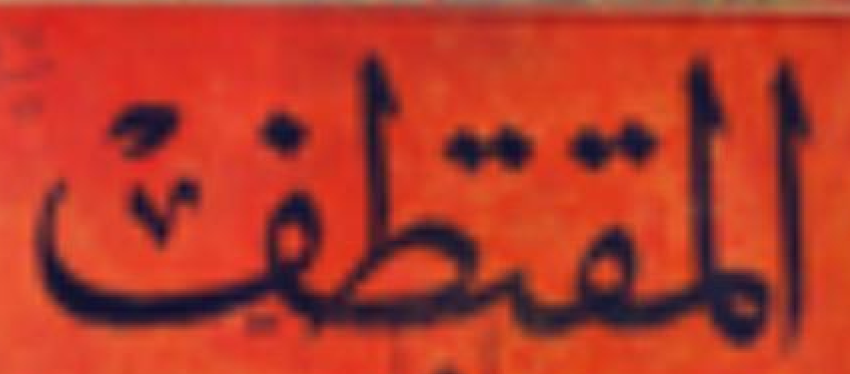

المقتطف

المقتطف

الجزء الاوَّل من المجلد السادس والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣١٨

شكل الميكروب وحجمهُ

لقد شاع اسم الميكروب وألفتهُ الاسماع حتى دخل اشعار الخاصة واناشيد العامة وصرَّفهُ الكتَّاب فقالوا ميكروبات وميكروبي . ويتقصهم اشتقاق فعل منهُ فيقولون مَكْرَبَ الجسم اي ادخل فيهِ الميكروب وتمكرب الجسم اي دخلهُ الميكروب او صار ذا ميكروبات . لكنَّ كثيرين يطلقونهُ على غير ما وُضع لهُ وعلى غير ما يمكن ان يدخل فيهِ حتى على الحشرات التي ترى بالعين المجرَّدة بل على ما كبر من خشاش الارض ولذلك رأينا ان ننشر صور اشهر انواع الميكروبات ونشفعها بوصف وجيز قريب المأخذ يسهل تناولهُ على جمهور القرَّاء فنقول

الميكروب اسم يطلق على انواع مختلفة من الاجسام الحية الصغيرة التي كلٌّ واحد منها خلية واحدة فهو من هذا القبيل ابسط انواع الحيوان والنبات . ويطلق عليها ايضاً اسم البكتيريوم والجمع بكتيريا ولكننا اخترنا اسم الميكروب على اسم البكتيريوم لان وزن الميكروب شبيه بالاوزان العربية ويسهل تصريفهُ مثلها فلا يثقل على اللفظ والسمع

والميكروب حيٌّ كما تقدَّم فيغتذي مثل كل الاجسام الحية وغذاؤهُ من المواد الآلية حية كانت او غير حية . ويراد بالمواد الآلية الحيوان والنبات وما يتولد منهما . وقد يغتذي ايضاً من المواد غير الآلية اي من الجماد كالهواء والتراب . وهو من اصغر الاجسام الحية لا يُرى الأَّ بالميكرسكوب فلا يقاس طولهُ وعرضهُ بالعقدة والسنتيمتر والمليمتر بل بالميكرون وهو جزءٌ من الف جزء من المليمتر والمليمتر جزءٌ من الف جزء من المتر . ولذلك لا يرى جيداً الاَّ بميكرسكوب قوي . وهو وان كان صغيراً الى هذا الحد يفعل افعالاً كبيرة جداً لا يكفي لها قولهم "مستعظمُ النار من مستصغرِ الشرر" لانهُ اصغر من الشرر بما لا يقدَّر واف لا،

اعظم من افعال النار كثيرًا فهو علة الاختمار والانحلال والفساد وهو سبب اكثر الامراض والاوباء . وبهِ تجود التربة وتختمر الخمر و يصلح الجبن وتطيب الطعوم ولهُ افعال اخرى كثيرة بين نافع وضار

وصغر الميكروبات الى هذا الحد لا يمنع امتياز بعضها عن بعض شكلاً وحجماً كما يظهر من الصورة المقابلة لصدر هذه المقالة. واشكالها الاصلية اربعة وهي الشكل الكروي والبيضوي والعصوي واللولبي. لكن انواعها تختلف اكثر مما تختلف اشكالها اي يكون لميكروبين شكل واحد ويكونان مختلفين نوعاً فيعلم الفرق بينهما من اوصاف اخرى تميز كلاًّ منهما عن الآخر مثل شكل نموهِ وفعلهِ بالحيوانات . وزد على ذلك ان النوع الواحد من الميكروبات يختلف شكلهُ وحجمهُ في بعض الاحوال

ويطلق على الميكروبات الكروية والبيضوية اسم كوكس ومعناهُ باليونانية توت او كبش وهي تبقى كروية الى ان يحين وقت انقسامها فتستطيل وتصير بيضوية ثم تنقسم. وقد ينتظم بعضها مع بعض في شكل مسابح متعرجة فتسمى الستربتوكوكس من ستربتوس اي متعرج . او تجتمع معاً في شكل عناقيد فتسمى ستفيلوكوكس من ستفيلي عنقود . وقطر الكوكس يختلف من ثلث ميكرون الى ثلاثة ميكرونات والميكرون جزء من عشرة آلاف جزء من السنتيمتر كما تقدم. فاذا صُفَّ الف ميكروب من الكوكس الصغير احدها لصق الآخر بلغ طول صفها ثلث سنتيمتر لا غير

ويطلق على الميكروبات العصوية اسم باشلس اي عصا لانها كالعصي شكلاً ويختلف طولها من نصف ميكرون الى ثلاثة ميكرونات ونصف وعرضها لا يبلغ الميكرون

والميكروبات اللولبية الشكل اما لوالب واما اقواس مزدوجة كالمدة او كحرف S الافرنجي او اقواس بسيطة ومن ذلك ميكروب الكوليرا وهو صغير قطرهُ اربعة اعشار الميكرون

وقد رسمنا في الشكل المتقدم سبعة انواع من الميكروبات كما ترى تحت ميكرسكوب يكبر قطرها الفاً ومئة ضعف

الاول من جهة اليسار فيهِ الميكروب الكروي المنتظم كالعقد ومنهُ ميكروب الحمرة . وقد ثبت بالامتحان ان هذا الميكروب يحدث الحمرة في الناس الذين يطعَّمون بهِ . وربما استغرب القارئ قولنا ان فعل هذا الميكروب ثبت بالامتحان لانهُ لا ينتظر ان يُسلِّم احد نفسهُ ليمتحن فيهِ مرض خبيث مثل الحمرة ولكن يقال في الطب احياناً كثيرة ما يقال في الصناعة وهو لا "يفلُّ الحديد الاَّ الحديد" او ما قالهُ المتنبي وهو "فربما صحَّت الاجسام بالعلل" فان من الاورام الخبيثة ما لا يشفى الاَّ اذا طُعِّم بميكروب الحمرة فيستحيل الى حمرة تسير سيرها الى ان

تشق كأن ميكروب الحمرة يتغلَّب على الجراثيم او الميكروبات التي تسبّب المرض الخبيث وتميتهُ فيكون الجسم قد استشفى من داء بداء لكن الثاني ليس اقتل من الاول ولا هو قاتل مثلهُ. وبمثل ذلك ثبت ان هذا الميكروب هو المسبب للحمرة

والثاني (وهو الاعلى من جهة اليمين) فيهِ الميكروبات العنقودية الشكل لاجتماعها كالعناقيد وهي المكونة للصديد الاصفر. وآحادها متماثلة حجماً لا كالمكروبات التي في الشكل الاول فان المفصولة منها عن العقد اكبر حجماً من المنظومة فيهِ

والثالث ميكروب الطاعون وشكلهُ يغني عن وصفهِ وهو عصي قصيرة يكاد طولها يساوي عرضها الاَّ ان بعضها مزدوج فيظهر طويلاً. ونحو الاسفل ميكروب يزيد طولهُ على طول ستة من التي حولهُ. واذا كان المستنبت مائعاً صار شكل ميكروب الطاعون مثل شكل ميكروب الحمرة اي انتظم بعضهُ مع بعض كالعقد. اكتشف هذا الميكروب الدكتور كتاساتو الياباني الذي اكتشف ميكروب التتانوس كما سيجيءُ وقد وصفنا طباعهُ في الصفحة ٧٢ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

والرابع وهو الى اليمين قبالة الثالث ميكروب ذات الرئة الذي اكتشفهُ فردلندر سنة ١٨٨٢ وهو من الكوكس كما يظهر من شكلهِ لكنهُ كثير الاختلاف بعضهُ كبير وبعضهُ صغير بعضهُ مفرد وبعضهُ مزدوج وقد تستطيل آحادهُ قليلاً فتصير مثل ميكروب الطاعون

والخامس في اسفل الشكل من جهة اليسار ميكروب الكوليرا الذي اكتشفهُ الدكتور كوخ ووصفناهُ مراراً كثيرة قبلُ وهو كالاقواس الصغيرة وقد يتصل اثنان منهُ في جهتين مختلفتين فيكون من ذلك شكل كالمدة التي توضع فوق الالف. وحجمهُ متغير بعضهُ اكبر من بعض كما ترى ولعلَّ الكبير ميكروبان متصلان حتى يكون لهما انحناءٌ واحد

والسادس في الشكل المقابل لميكروب الكوليرا من جهة اليسار ميكروب التتانوس وهو عصي طويلة واذا تكونت البزور فيها اتسع احد رأسيها فصارت كمضربة الطبل. ويعزى فضل اكتشافهِ الى العالم كتاساتو الياباني تلميذ الدكتور كوخ فان الدكتورين كارل وراتون اثبتا سنة ١٨٨٤ ان مرض التتانوس ينتقل بالعدوى من المصاب الى السليم لانهما طعَّما الارانب بصديد مستخرج من جسم انسان مات بالتتانوس فاصيبت بهِ. ثم اكتشف الدكتور نيقولاير ان في طبقة الارض العليا نوعاً من الميكروب اذا طُعِمت بهِ الفيران والارانب وخنازير الهند اصابها التتانوس وماتت بهِ. ولكن لم يستطع احد ان يفصل هذا الميكروب من غيرهِ من الميكروبات المخالطة لهُ حتى قام كتاساتو واكتشف طريقة لفصلهِ فانهُ اخذ قليلاً من صديد التتانوس ورباهُ

في الاجار اجار (وهو نوع من الهلام يستخرج من بعض الاعشاب البحرية و يطبخ كالجلاتين) وحفظهُ على الدرجة ٣٨ من الحرارة فلم تمضِ عليهِ اربع وعشرون ساعة حتى نمت الميكروبات فيهِ وكثرت ونظر اليها بالميكروسكوب فوجدها كثيرة الانواع و بينها ميكروب التتانوس الذي رآهُ نيقولايير وهو من الميكروبات التي لا تنمو في الهواء ولذلك عسر فصلهُ عن غيرهِ قبلاً . ثم وضع الاناء الذي فيهِ هذه الميكروبات في ماء حرارتهُ ٨٠ درجة بميزان سنتغراد وابقاهُ فيهِ ثلاثة ارباع الساعة فمات كل ما فيهِ من الميكروبات الاَّ بزور ميكروب التتانوس فطعم الفيران بها فاصيبت بالتتانوس وماتت بهِ . والظاهر انهُ اهتدى الى هذه الطريقة من رؤيتهِ اكياس البزور متولدة في طرف هذه الميكروبات دون سواها فقال في نفسهِ ان الحرارة تميتها وتميت كل ما سواها ايضاً ولكنها لا تميت البزور فكان كما قال

وبزور ميكروب التتانوس كثيرة الانتشار في الاراضي الزراعية ومزارب المواشي وهي تجف وتطير في الهواء حتى اذا دخلت بدن الانسان من جرح اماتتهُ اشنع ميتة . ذكر الدكتور فرنكلند ان ولداً جرح اصبعهُ بسكين من سكاكين المطبخ فاسرع ابوهُ الى نسيج العنكبوت ووضعهُ على الجرح ليقطع الدم بهِ كما يفعل الناس عادة فأصيب الولد بالتتانوس وثبت بالامتحان ان بزور التتانوس كانت في نسيج العنكبوت لانهُ طعمت بهِ الارانب فاصيبت بالتتانوس

والسابع والثامن ميكروب الحمى التيفويدية ففي الشكل الثامن ترى الميكروب وحدهُ وهو عصي دقيقة بعضها مفرد وبعضها مزدوج او منظوم في خط طويل . وفي الشكل الثامن تراهُ مكبراً وقد احاطت بهِ خيوط دقيقة متعرجة كجذور النبات وهي لهُ كالقوائم للحيوان يحركها فينتقل بها من مكان الى آخر ولا تظهر دائماً لان جسم الميكروب يصبغ بالانيلين كما يصبغ الصوف بهِ فيظهر حالاً واما هذه الخيوط فلا يثبت فيها صبغ الانيلين ما لم تؤَسس لهُ كما تؤَسس المنسوجات القطنية وقت صبغها فاذا أُسست وصبغت بانت تحت الميكرسكوب ايضاً

هذا شيء يسير جداً مما يعرف عن هذه الميكروبات وخلاصتهُ ان الميكروب جسم حي صغير جداً لا يرى بالعين ولا يرى الاَّ بميكرسكوب قوي الفعل يكبر قطرهُ من الف ضعف الى الفي ضعف . ويقال ان الميكرسكوب الذي يكبر القطر الفاً وسبع مئة ضعف اصلح من غيرهِ لرؤية الميكروبات والبحث عن شكلها وخواصها

ويضاف الى ذلك ان ابناء المشرق الاقصى جاروا ابناء المغرب في هذه المباحث العلمية الدقيقة فان واحداً منهم وهو الدكتور كتاساتو الياباني اكتشف اثنين من هذه الميكروبات السبعة واكتشف طريقة عملية لفصل الميكروبات بعضها عن بعض كما رأيت

آداب المباحثة

المباحثة امرٌ خطيرٌ لا يخفى على ذي مسكةٍ مكانةُ من كشف الحقائق لكن والهف العلم عليهِ قد تشوَّه جمالهُ وتنكرت حقيقتهُ حتى كاد لايعرف . وخالطهُ من حب الانتصار للرأي شوائب . ونزل بهِ من الاهواء مصائب بحيث أضحى وقوعهُ كشفاً لعوار الأدباء . وعيوب العلماء . ونشرهُ في المجلات والجرائد فضيحةً دائمةً . وهتيكةً على الدهر باقيةً . فدفعني الحرص على ماوراءهُ من اظهار الحقائق وتحقيق المسائل ان اكتب هذه المقالة عساها ان تكون الدواء الشافي للمباحثة من التعنّت والتهكم والاستهزاء والتعيير والواقي كرامتها من المقاذعة والبذاءة والمحضها للكشف عن الحق المستتر تحت حجاب الخفاء . ولقد قسمتُ الكلام فيها الى قسمين وخاتمةٍ القسم الاول في حقيقة المباحثة وفوائدها والقسم الثاني فيما طرأ عليها من العلل والشوائب والخاتمة في ان تقدُّم هذا العصر المشارف الغاية كان حرياً ان يمتاز بتخلص المباحثة من تلك العاهات المشار اليها

﴿ في حقيقة المباحثة وفوائدها ﴾ المباحثة اصلها من البحث في التراب لطلب شيء تحتهُ فاستعيرت للمخاطبة في مسئلة ما قصد الوصول الى حقيقتها فيعدّ ما عليها من الابهام كالتراب المغشي لما يطلب تحتهُ . ولها شرائط عدّة منها ان يكون المباحثان من اهل العلم فيما تقع عليهِ المباحثة فان كانت المسئلة فقهيةً او رياضية او لغوية وجب ان يكونا فقيهين او رياضيين او لغويين او طبيبين والاَّ فان كانا ممن يجهلهُ او كان احدهما جاهلهُ فينبغي ترك المباحثة على الافتراض الاول فمن لا يدري ما العوم لا يقتحم اليمّ . ويجب انقياد الجاهل للعالم على الافتراض الثاني كما ينقاد الضرير للبصير والاَّ طال الكلام على غير طائلٍ

ومنها اتجاه النية الى اظهار الحق ليس غير حتى يتلقاهُ وقد حصحص ببرهان قرنهِ كما يتلقى الحبيب الغائب و يعترف لمظهرهِ بالفضل و ينادي بلسان حالهِ على رؤوس الاشهاد ان قبول الحجة القاطعة من اكبر الادلة على الرسوخ في العلم ومن أقطع الحجج لاجلال قدرهِ ورعاية كرامتهِ وان المكابرة اقوى شاهد على قلة البضاعة واصدق دليل على جهل المكابر

ومنها اتباع القياس المنطقي من اجل انهُ اقرب طريق الى معرفة الصواب من الخطاء وتبين الحق من الباطل فهو يخلّص البحث من كل ماليس لهُ دخلٌ في موضوعهِ . واما اذا عُدِل عنهُ فيدخل في المباحثة ما لا يمسُّ المقصود مما هو خارجٌ عن قوامها ولبابها فيحول بين الفهم والاطلاع عليهِ حائل من لواحق ومضافاتٍ يضطر المطالع ان ينشد المقصود بينها كما ينشد ضالتهُ

واما فوائد المباحثة فكنوزٌ لا تفك ارصادها الاَّ على ضيائها ومعاقل حصينة لا تفتح ولا ترام الاَّ بقيادتها. ولا جرم ان المباحثة اذا توفرت شرائطها من عقد النية على كشف البراقع عن وجوه الحقائق ومراعاة الطريقة المنطقية وتجرّد المباحثين فيما يباحثان فيهِ جاءَت بعد الظلام الساتر بالصبح الكاشف . ولا تسل عما وراء ذلك الكشف من العوائد فان كانت المباحثة في مسئلةٍ شرعيةٍ او نظامية سلم ذو الحق من خسران حقهِ وان كانت في المسائل الطبية وتشخيص الادواء صينت الحياة من آفات الغلط القتّالة وان كانت في المعاملات التجارية والاختلافات الحسابية حُفظت الثروة من الابتلاع

﴿ فيما طرأ على المباحثة من العلل والشوائب ﴾ الغرض من المباحثة انما هو الوصول الى الحق ولقد كانت ولم تزل بين عارفي الحقّ ومكرّميهِ مرعية الآداب محترمة الجناب دالّةً بخلوصها من لهيب ما يتأجّج في الصدور من الحسد وما يتلبّد في القلوب من الحقد على بسطة العلم وسلامة الطباع فيمن يوفّونها حقها وكان تسليم احد المباحثين للآخر يكسوهُ جلالةً قدرٍ في عين المصيب بل كان العالم اذا رأى الحقّ في جانب مباحثهِ تلقّاهُ بالتسليم وعدّ اللياذ بالمغالطة حطةً في قدرهِ وغضاً من شأنهِ وقبول الحجة دليلاً على علمهِ . واما المصيب فما كان يحسب وقد اصاب في ذلك البحث انهُ اوسع من المخطئ علماً ولا أرسخ منهُ في ذلك العلم قدماً بل كان يثبت عندهُ من سرعة اذعان المخطىء للبرهان وانقيادهِ للدليل ان خطأهُ انما هو من آثار ما يأخذ الذهن من الكلال والسهو والنسيان و يستدلُّ من ذلك على أنّ لمخطئهِ علماً رحباً وخلقاً مهذّباً . وحسبك دليلاً على ان هذه صفة المباحثة بين اكابر العلماء ما يروى عن السعد والسيّد لما ضمّهما مجلس حافل وجرت بينهما مباحثة علميّة وكان السعد يوم ذاك شيخاً طائر الصيت عالي الكعب في العلم جليل القدر في النفوس وكان السيد يومئذٍ شاباً لم يظفر عند الناس بما نالهُ السعد من جلالة القدر ومع هذا فقد تلقّى السعد كلامهُ بحضرة عددٍ من اعيان الناس بالتسليم فقيل لهُ لِمَ سلّمتَ ألم يكن في علمك ما يدفع حجتهُ . قال بلى وفي علمي ما يبلغ بي أن اظهرهُ للناس مخطئاً . ولكن لو فعلتُ ما اعتقدني السيد عالماً . ووالله لئن يعتقدني الناس مصيباً لا يكافئُ ان يعتقدني السيد جاهلاً . فعظم السعد في عين السيد واعتقدهُ ذا فضل كبير فكان ذلك على حدّ ما جاء في مجلة المقتطف البهية في باب المناظرة ونصُّ ما هنالك " انما الغرض من المناظرة التوصّل الى الحقائق فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف بأغلاطهِ اعظم "

ومن المباحثات المراعى فيها آداب البحث ما جرى من الحجاج الطويل بين اصحاب

الطائيين حبيب والبحتري فهو مخلص لابانة الحق لا حظ فيهِ للوقيعة والمهاترة ولا موضع للتهكم والاستهزاء ومن لم يكن قد قرأ كتاب الموازنة فهذه فقرٌ منهُ جديرة بأن تتخذ قاعدة في باب المباحثة الأدبية

قال صاحب ابي تمام " كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحتري أشعر من ابي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حذوهِ احتذى ومن معانيهِ استقى وباراهُ حتى قيل الطائي الاكبر والطائي الاصغر. واعترف البحتري ان جيد ابي تمام خير من جيدهِ على كثرة جيد ابي تمام . فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحتري أولى من ان يكون البحتري اشعر منهُ

قال صاحب البحتري اما الصحبة فما صحبهُ ولا تلمذ لهُ ولا روى ذلك احد عنهُ ولا نقلهُ ولا رأى قط انهُ محتاج اليهِ . ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابي سعيد محمد بن يوسف الثغري وقد دخل اليهِ البحتري بقصيدتهِ التي اولها " أأفاق صبٌّ من هوًى فأفيقا " وابو تمام حاضر فلما أنشدها علق ابو تمام ابياتاً كثيرة منها فلما فرغ من الانشاد أقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال ايها الأمير ما ظننت ان احداً يقدم على ان يسرق شعري وينشدهُ بحضرتي حتى اليوم. ثم اندفع ينشد ما حفظهُ حتى أتى على كثير من قصيدة البحتري . ورأى ابو تمام الانكار في وجهِ ابي سعيد محمد بن يوسف فحينئذٍ قال لهُ ابو تمام ايها الامير والله ما الشعر الا لهُ وانهُ احسن فيهِ الاحسان كلهُ واقبل يقرّظهُ ويصف معانيهُ ويذكر محاسنهُ ثم جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف لهُ الجائزة . فهذا الخبر يبطل ما ادعيتم الى ان قال قال صاحب ابي تمام "فابو تمام انفرد بمذهب اخترعهُ وصار فيهِ اولاً واماماً متبوعاً وشهر بهِ حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجهُ واقتفوا أثرهُ . وهذه فضيلة عري عن مثلها البحتري "

قال صاحب البحتري ليس الامر لاختراعهِ لهذا المذهب على ما وصفتهُ ولا هو بأوّل فيهِ ولا سابق اليهِ بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوهُ وافرط وأسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المألوف. وعلى ان مسلماً ايضاً غير مبتدع لهذا المذهب ولاهو اوّل فيهِ ولكنهُ رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع وهي الاستعارة والطباق والتجنيس منثورة متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعرهِ منها. الى ان يقول فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع ابي تمام لهذا المذهب وسبقهِ اليهِ . وصار استكثارهُ منهُ وافراطهُ فيهِ من اعظم ذنوبهِ واكبر عيوبهِ. وحصل للبحتري انهُ ما فارق عمود الشعر وطريقتهُ المعهودة مع ما نجدهُ كثيراً في شعرهِ من الاستعارة والتجنيس والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعاني.

وحيث وقع الاجماع على استحسان شعرهِ واستجادتهِ وروى شعرهُ واستحسنهُ سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فمن نفق على الناس جميعاً أولى بالفضيلة واحقّ بالتقدمة

قال صاحب ابي تمام انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمهُ لدقة معانيهِ وقصور فهمهِ عنهُ. وفهمهُ العلماء والنقَّاد في علم الشعر. واذا عرفت هذه الطبقة فضيلتهُ لم يضرهُ طعن مَن طعن بعدها عليهِ

قال صاحب البحتري ان ابن الاعرابي واحمد بن يحيى الشيباني وقبلهما دعبل بن الخزاعي قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم في ابي تمام وازدراءهم بشعرهِ وطعن دعبل عليهِ وقولهم ان ثلث شعرهِ محال وثلثهُ مسروق وثلثهُ صالح

قال صاحب ابي تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعرهِ عليهِ لان دعبلاً كان يشنأ أبا تمام ويحسدهُ وذلك مشهور معلوم منهُ فلا يقبل قول شاعر في شاعر. واما ابن الاعرابي فقد كان شديد التعصب عليهِ لغرابة مذهبهِ ولأنهُ كان يرد عليهِ من معانيهِ ما لا يفهمهُ ولا يعلمهُ فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول لا أدري فيعدل الى الطعن عليهِ والدليل على ذلك انهُ أُنشد يوماً ابياتاً من شعرهِ وهو لا يعلم قائلها فاستحسنها وامر بكتبها فلما عرف انهُ قائلها قال خرقوهُ

واما المباحثة المزيَّنة من الأدب بما هو أبهج من الدباج الخسرواني المجللة من التهذيب بالواجب لمقام العلم والمقتضى لمرتبة الفضل فمباحثة الهاشمي والكندي فكلاهما جاء بحججهِ بأجمل صورة وأحمد طريقة قاصداً الخير والسعادة لمباحثهِ. وقد تماديا في الكلام حتى لم يدَّخر احدٌ منهما شيئاً من الادلة على صحة ما هو عليهِ. ومن تعهد المباحثات الدينية رأى هذه المباحثة اعلى قدراً واجمل وقعاً ولا بدع فقد وقعت بين صفيّين كلٌّ منهما يودّ لصفيهِ ما يودّ لنفسهِ وكلاهما على يقين من صحة دينهِ

واما معظم ما وقع في ايامنا من المباحثات العلمية والمناظرات الادبية والمجادلات المختلفة المواضيع فقد كتبت بعبارةٍ تمثل ما في الصدور من الشنآن وتصوّر ما تحت الاضالع من العدوان وتدلُّ على ما عند اصحابها من الظماء القامح الى التحقير والاستهانة والتشنيع مما هو غريب عن اخلاق المحققين بالعلم الراغبين في الانتهاء الى الحقّ

هذا واعلم ان المهاترة وما يتبعها من شوائب المباحثة لا يرتفع ما دام كلٌّ من المباحثين يخشى ان يسقط من العيون اذا اعترف بالصواب لمباحثهِ ولا تزول المشاغبة والمغالطة والتورُّك على الاستهزاء ما قام في اذهانهما ان من تلزمهُ الحجة في مسئلة ما مقصر منحطّ الشان ضعيف العلم في سائر المسائل. بل لا تنفصل المناظرات على ما يساوق جلالة العلم ويوافق فخامة العدل ما آثر كلٌّ من المناظرين الانتصار للرأي على الانتصار للحق

وفي هذا الزمان من طلاَّب الاشتهار بالماحكة والتعنت والمكابرة والمواربة والمراوغة عددٌ ربما يتحككون باهل الفضل تحكك العقرب بالافعى وجلهم ممن غلبتهُ شهوة التفوُّق او ران على قلبهِ الميل الى الانتظام في عداد العلماء ولم تتهيأ لهُ الاسباب لادراك هذه الامنية فيحسب ان في مثل هذه الترُّهات تبريدًا لحرارة شهوتهِ ويفوتهُ ان ذلك كشفٌ لعوارهِ واظهارٌ لقصورهِ عن قضاء اوطارهِ. لكنما في اليد حيلة ما دامت الشهوة تعمي البصيرة. ولعلَّ في المطالعين من يستغرب خلوَّ المناظرة عن قوارص الكلام وهي حربٌ اسنتها الاقلام وتحت اضالع المتحاربين من لظى العداوة للآخر ما لو تمثل للعيان لأذاب الحجر ورمد الشجر. ويعجب ممن يحاول اخفاء حرقة الانغلاب ويتوخى من المناظر الاعتراف لمناظرهِ بالاصابة وقد أتى بالحجة الكاشفة للحق المتعالية عن ان تصاب بنبال الردّ ويقول هل من جريح لا يتألم او طعين لا يضجّ من ألم الطعن. فلمَ تسعى في طلب الممتنع وتجدّ وراء المتعذّر وانت تشعر من نفسك ان كلمة (أخطأتَ) هوان وكلمة (أصبتَ) شرفٌ وشتَّان ما بين شعورك بالأولى وشعورك بالثانية. قلت من نوى في المناظرة الوقوف على الصواب وعلا كعبهُ في معرفة العلم المتناظر فيهِ لا تسقط عندهُ كرامة المخطىء لغلطةٍ او غلطات ولا يسمح لقلمهِ ان يتنكب طريق البحث وتأبى عليهِ كرامة العلم ان يغض من مباحثهِ بل يرعى مقامهُ ويحافظ على كرامتهِ ويلتزم معهُ الأدب. ولا يغيب عن علمهِ انهُ قد يخطئ في مسائل أخر ولا ينتبه لخطائهِ ما لم ينبههُ عالمٌ من مثل هذا الخطاءِ. ولكن هيهات ان تتوفر هذه الشرائط في المناظر وهو غاضُّ الطرف عن عيوب نفسهِ مذءرف النظر عمَّا فطرت عليهِ البشرية من السهو والنسيان وكلال البصيرة وغير ملتفتٍ الى ما يتولد عن المهاترة والمقاذعة ولا تتنقى مباحثتهُ من جملٍ ألدغ من الافاعي وعبارات أجرح من الخناجر وكم أنتن من الظربان ما لم يربَّ على احترام العلم ومعرفة قدرهِ ويؤخذ بالتهذيب وتدمث اخلاقهُ بحسن التربية

﴿ الخاتمة ﴾ قد علمت من كل ما مرَّ فوائد المباحثة وشرائطها وما طرأ عليها من العلل وعرفت العلاج النافع فلم يبقَ سوى تعاطيهِ فبادر بتجرُّع كأسهِ ولاسيما وقد أوشكت ان تغرب شمس القرن التاسع عشر الذي على امتيازهِ بآثار النجاح في العلوم والفنون والصنائع تعدَّد فيهِ من شوَّهوا آداب البحث بالشتم والتعيير وتهجين النسب الى غير ذلك مما يدلُّ على سفالة قائلهِ ولؤم طينتهِ وقلة راس مالهِ من العلم. ومما يحثك على النظر في هذه المقالة ان شمس القرن العشرين كادت ان تشرق على الكون فأجدر بنا ان نتلقاهُ لا كمن يعدُّون السنن الأدبية اساطير موضوعة او الفاظًا مصنوعة وأحرِ بنا ان لا ندع جيد القرن الجديد عاطلاً من حلاها غير مهذب المباحثات ولا مرتب المحاورات

سعيد الشرتوني

حركات النجوم الثوابت

انظر الى قبَّة السماء في ليلة غاب قمرها وصفا اديمها فترى النجوم تتألَّق بعضها ثابت النور وبعضها متوقد مترجرج وكلها يسير نحو الغرب سيرًا وئيدًا حتى تغيب فيهِ ويصعد غيرها من الشرق . واذا نظرتَ اليها في الليلة الثانية والثالثة رأيتَ ما رأيتَ في الليلة الاولى تقريبًا . وهبْ انك راقبتها الساعة العاشرة ليلاً مدة شهر كامل فلا تراها في آخرهِ كما رأيتها في اولهِ نسبةً الى الافق الشرقي او الى الافق الغربي بل تراها في آخر الشهر قد تقدَّمت الى الغرب فظهرت حينئذٍ كما كانت تظهر عند نصف الليل في اول الشهر . هذا من حيث مجموعها لكن نسبة بعضها الى بعض لا تتغير ما خلا الكواكب الثابتة النور فان نسبتها الى غيرها تتغير من ليلة الى اخرى وهذه هي السيارات . والذي يُرَى منها بالعين خمسة زُحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد . وكل النجوم التي ترى بالعين غير هذه الخمسة لا يظهر لك فرق في مواقعها ونسبة بعضها الى بعض فسميت بالنجوم الثوابت

ولو بُعث البتَّاني بطليموس العرب الذي نشأ منذ الف سنة او بُعث بطليموس اليونان نفسهُ الذي نشأ منذ ألفي سنة او لو بعث منجمو مصر وبابل الذين نشأوا منذ ستة آلاف سنة ورصدوا هذه النجوم الثوابت لوجدوها في المواقع التي فارقوها فيها ولم يروا فرقًا ظاهرًا الاَّ في موقع السماك الرامح لا لان النجوم كلها باقية على الوضع الذي كانت فيهِ لما كانوا في قيد الحياة بل لان ابعادها شاسعة جدًّا فلا ترى العين ما حدث في اوضاعها من الفروق. لكن ما لا تراهُ العين مجرَّدةً تراهُ مستعينة بالتلسكوب. وقد استعان علماء الفلك بهِ في هذا العصر على رصد النجوم الثوابت وقياس حركاتها فقاسوا حتى الآن حركات ثلاثة آلاف نجم منها . وهي مختلفة كثيرًا في سرعة حركتها بعضها سريع كالسماك الرامح فهو يسير مئتي ميل الى ثلثمئة ميل في الثانية من الزمان وبعضها بطيء لا يسير الاَّ ميلاً او اقل في الثانية . هذا اذا قيست السرعة بالاميال واما اذا قيست بالاقواس على السماء اي بالابعاد التي تُرَى على وجه السماء فحركة النجم البعيد تظهر قليلة جدًّا ولو كان سريعًا لبعدهِ الشاسع ولذلك فالنجوم التي تظهر كبيرة تظهر حركتها سريعة لانها اقرب من غيرها . واسرع النجوم الثوابت التي قيست سرعتها حتى الآن نجم صغير من القدر الثامن قيست سرعتهُ منذ ثلاث سنوات فوجد انهُ لو دار حول الشمس بالسرعة التي يسير بها الآن ما اتمَّ دورتهُ حولها في اقل من مئة وخمسين الف سنة

فاذا كانت النجوم الثوابت تتحرَّك فلا يبعد انها تدور مثل السيارات في افلاكها ولكننا لو

رصدنا السيارات دقائق قليلة في اوقات متفرقة ما وجدنا انها تدور حول الشمس لقصر المدة التي رصدناها فيها وكذا المدَّة التي رُصدت فيها هذه النجوم لا تكفي لمعرفة مداراتها لان هذه المدة قصيرة جدًّا اذا قوبلت مع اتساع افلاكها وبعد المركز الذي تدور حولهُ اذ قد لا تتمُّ دورتها في اقل من الف سنة او مليون سنة او اكثر

وقد ذهب كثيرون من مشاهير علماء الفلك الى ان النجوم الثوابت يدور بعضها حول بعض في انظمة كما تدور الاقمار حول السيارات وكل نظام منها يدور حول مركز آخر كما تدور السيارات حول الشمس . وظن الفلكي مدلر انهُ وجد المركز الذي تدور حولهُ النجوم المشرقة وهو نير الثريا اي النجم الاكبر منها . وتحقيق ذلك من المستبعدات كما لا يخفى ولكن في حركات الثوابت ما يدلُّ على ان جماعات منها سائرة في جهة واحدة كأنَّ لها مركزًا واحدًا تدور حولهُ . من ذلك نجوم الثريَّا فان الابعاد التي بينها لم تتغير من حين ما رصدت اول مرة وهذا يصدق على الستة الكبيرة منها التي ترى بالعين وعلى كثير من النجوم الصغيرة التي ترى فيها بالتلسكوب ولكنهُ لا يصدق على غيرها مما يرى داخل الثريا وهو ليس منها

ويظهر ذلك ايضًا في بنات نعش الكبرى وهي خمسة نجوم في كوكبة الدب الاكبر فانها كلها تسير في جهة واحدة سيرًا واحدًا وتقطع ثماني ثوانٍ من الصعود المستقيم كل مئة سنة. والنجوم الصغيرة التي بينها لا تشاركها في هذا السير . وكذلك ثلاثة من النجوم في ذات الكرسي تسير في جهة واحدة . وكل النجوم التي رُصدت في برج الثور بين الدبران والثريا يظهر انها تسير في جهة واحدة

ثم اذا رصدنا نجمًا ورأيناهُ متحركًا بالنسبة الينا حقَّ لنا ان نستنتج انهُ متحرك ونحن ثابتون او انهُ ثابت ونحن متحركون او ان كلينا متحرك وحركتهُ الظاهرة مجموع حركتهِ وحركتنا اذا كانت الحركتان في جهتين مختلفتين او الفرق بينهما اذا كانتا في جهة واحدة. والمعتبر في حركتنا وثبوتنا هو الشمس التي ندور حولها لا الارض التي نسكن فيها لان الارض باقية في فلكها حول الشمس فكأننا رصدنا النجم من الشمس لا من الارض

ولما رأى الفلكيون ان هذه النجوم متحركة في جهة واحدة حسبوا اولاً انها كلها ثابتة وان المتحرك هو الشمس. وهذه هي النتيجة التي وصل اليها هرشل ابو علم الفلك الحديث. ثم ان علماء الفلك الذين جاؤُوا بعدهُ بحثوا عن النقطة التي تحسب مركزًا مشتركًا لهذه النجوم وعدوها ثابتة وحسبوا حركة الشمس بالنسبة اليها وعينوا محلها اولاً في كوكبة الجاثي في النسق الشامي. ولما كشفوا نجومًا اخرى متحركة اضطروا ان يغيروا هذا المركز فعدوهُ على درجتين من النسر

الواقع حيث الصعود المستقيم ٢٨٠ درجة والميل ٣٨ درجة شمالاً وحسبوا الشمس متحركة معها حول هذا المركز . ثم حسبوا سرعة حركة الشمس حولهُ فوجدوها عشرة اميال في الثانية من الزمان بانين حسابهم على ما عُرِف من اختلاف ثلاثين نجماً من النجوم الستين التي قيس اختلافها حتى الآن

نزع سم المسكرات

اشرنا في الجزء الماضي ان ما اثبتهُ السر لودر برنتن والدكتور تنكليف من ان في المسكرات سمّاً ناقعاً يمكن ان يُنزع منها فتبقى مسكرةً ولكنها لا تبقى سامةً اي تعبث بالعقل مدةً من الزمن ولكنها لا تعبث بالصحة . ولما كان بحثهما الذي اوصلهما الى هذه النتيجة حقيقاً بالمطالعة من حيث كونهُ علمياً فضلاً عمّا فيهِ من الفائدة العملية رأينا ان نلخص المقالة التي كتباها في هذا الموضوع قالا :

ان ما يبدو من الناس حينما يسكرون بالمسكرات العادية مختلفٌ جدّاً لاختلاف اسبابهِ . وهذه الاسباب تقسم الى نوعين الواحد متعلق بالناس الذين يسكرون والثاني بالمسكرات التي شربوها . وقد قصرنا بحثنا على النوع الثاني اي على اختلاف فعل المسكرات الناتج عن اختلاف في تركيبها

ولا يشعر المرء باختلاف في نوع المسكر الا حينما يشرع في السكر وحينما يصحو منهُ واما في الفترة التي بين هذين الحدين اي حينما يكون سكران فلا يكترث لنوع المسكر

والمادة المسكرة في كل الاشربة الروحية العادية واحدة في نوعها ولو اختلفت كثيراً في كميتها فاذا اختلف فعلها بالشاربين فيكون هذا الاختلاف في الكمية لا في الكيفية ولكن في المسكرات مواد اخرى غير المادَّة المسكرة ومن اخصها مادَّة تسمَّى الفرفرال (وهي تستخلص من قشر الحبوب التي تستخرج المسكرات منها وسميت كذلك من الفرفر باللاتية وهو النخالة لانها تستخرج منها بفعل الحرارة اذا وُجدت الحوامض). والمسكرات التي امتحناها هي الوسكي والبراندي والجن والروم ومسكرات اخرى كثيرة مما يستخرج في المستعمرات البريطانية . وكثيراً من المسكرات الاسبانية والبرتغالية والصينية واليابانية الرخيصة الثمن . فوجدنا الفرفرال فيها كلها على درجات مختلفة من الكثرة والقلة . والغالب ان يكون مقدارهُ ثلاثة دراهم في كل مئة الف درهم ويُمتحن وجودهُ هكذا : توضع ملعقة صغيرة من الوسكي مثلاً في انبوب من انابيب

الامتحان و يضاف اليها ملعقة من الماء ونقط قليلة من محلول كربونات الصوديوم ثم نقط قليلة من محلول خلات الانيلين ويهز الانبوب ويترك حتى يستقر ما فيهِ فيتولد فيهِ لون وردي قرنفلي اذا كان فيهِ شيء من الفرفرال وتكون شدة لونهِ مناسبة لكثرة الفرفرال

وقد بحثنا عن فعل الفرفرال الفسيولوجي بالناس والحيوانات فامتحنا فعله بالقطط والكلاب والارانب وبرجلين تبرعا لهذا الامتحان فوجدنا انهُ اذا كان مقدارهُ من عشر غرام الى خمسة في المئة من الغرام وحقناً بهِ الحيوان تحت جلدهِ انشلت عضلاتهُ الخاضعة للارادة ثم اصابتهُ تشنجات قد يكون سببها تضيّق المسالك الهوائية . و يسرع تنفسهُ ويزول انتظامهُ . وهذه الاعراض سريعة الحدوث فاذا حُقن الحيوان بهذه المادة اصابهُ الشلل حالاً وازرقَّ لسانهُ وشفتاهُ وصار تنفسهُ متقطعاً وقد يسرع او يبطئ ثم يعتريهِ التشنج وقد يستفرغ . ثم تأخذ هذه الاعراض تزول ويكون في اول الامر مذهولاً ثم يرجع الى حالهِ الطبيعية وقد تتوالى الاعراض كلها في نحو ثلث ساعة الى نصف ساعة ولا يزول الشعور . وحينما تشل العضلات تبقى تتحرك اذا اتصل بها مجرًى كهربائي شديد . واذا كانت الجرعة اصغر من ذلك سببت اضطراباً وارتجافاً ولا سيما في العضلات الوجهية واذا كانت اكبر من نصف غرام مات الحيوان اختناقاً من انشلال عضلات التنفس ويحدث مثل ذلك لو شرب هذه المادة مع اللبن او الماء . واذا كانت المعدة فارغة ولم تكن المادة ممزوجة باللبن ففعلها اشد . وتناول رجلان عشري غرام من الفرفرال كلٌّ منهما عشر غرام بعد الطعام بساعتين فلم يمضِ عليهما نصف ساعة حتى شعرا بالم عصبي في النقرة امتدَّ الى الجزء المؤخري ونبضان في اوعية الرأس واصابهما صداع دام في احدهما النهار كلهُ وظهر الفرفرال في بولها كما ظهر في بول الحيوانات التي عولجت بهِ

ثم امتحنا فعل المسكرات الخالية من الفرفرال ومن بقية الالدهيدات فوجدنا ان الحيوان الذي يسكر بمسكر خالٍ من الفرفرال يصحو حالاً بعد زوال فعل السكر ولا يعرض لهُ الاَّ قليل من الاعراض الثانوية واما الذي يسكر بمسكر فيهِ فرفرال فيمشي من مكان الى آخر مضطرباً عند انتقالهِ من فعل السكر الى الصحو التام . ويبقى مضطرباً بعد زوال السكر فيرفض ما يقدَّم لهُ من الطعام و يظهر الشراسة والشكاسة ولا يظهر منهُ شيء من ذلك اذا كان المسكر خالياً من الفرفرال بل يعود حالاً الى سابق حالهِ التي كان فيها قبلما سكر ويأكل ما يُقدم لهُ من الطعام

ويستنتج من ذلك ان ما يعتري الناس من الخبال والاضطراب بعد الصحو من فعل المسكرات سببهُ الاكبر الفرفرال الموجود فيها فاذا ازيل منها بقي فعلها المسكر ولكن زالت الاعراض التي تتلوهُ . انتهى

هذا من حيث الحقيقة العلمية وكيفية الوصول اليها . ولو لم يكن في الامر غير ذلك لما اجهدنا نفسنا في تلخيص مقالة كلها كلمات ومصطلحات علمية ولكن فيهِ شيئين آخرين حريين بالنظر الاول ان الفرفرال المشار اليهِ وكل المواد المماثلة لهُ تكون كثيرة في الاشربة الجديدة وقليلة في الاشربة العتيقة او البالغة وهذا ينطبق على ما يُعلم من ان المسطار اي الخمر الحديثة تصرع شاربها كما جاء في كتب اللغة العربية منقولاً عن اخبار الناس في العصور الغابرة . والثاني ان هذه المواد تتكوَّن من فعل الحوامض بالسلولوس وهذا السلولوس كثير في الحبوب وقليل في العنب فالاشربة التي تصنع من الحبوب او من السبيرتو الافرنجي المستخرج من الحبوب ينتظر ان تكون هذه المواد اكثر فيها منها في الاشربة المستخرجة من العنب . وهذه الحقيقة حرية بالاعتبار من باب تجاري لدى صانعي الاشربة اللبنانية فانهم اذا اثبتوا بالامتحان الكيماوي ان اشربتهم خالية من الفرفرال او هو اقل فيها منهُ في غيرها من الاشربة كان ذلك مروّجاً لتجارتهم كما هو مقلل لضرر الذين يشربون

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

الباب الثاني عشر في تزيين المباني وتأثيثها وتحتهُ عشرة فصول مختلفة الاول في تزيين المباني بالخشب والحجر والخزف والمرمر والحديد والرصاص والنحاس . والثاني في تزيينها بالزجاج الملوَّن . والثالث في تبطين جدرانها بالورق المنقوش . والرابع في تزيينها بالصور والنقوش بالفسيفساء ونحوها . والخامس والسادس في البسط والستائر والكراسي والمقاعد والموائد والخزائن وما جرى هذا المجرى . والسابع في الخزف على انواعهِ والثامن في الزجاج على انواعهِ والتاسع في طرق التدفئة والتهوية وآلاتهما . والعاشر في طرق الانارة وآلاتها ما عدا الكهربائية

وهذه الاشياء معروضة في مباني الانفاليد ولفرنسا النصيب الاكبر منها كما لها النصيب الاكبر من المعرض كلهِ وقد ابدعت في هذا الباب كما ابدعت في غيرهِ لان الزخرفة والزينة مما امتاز بهِ الفرنسويون عن غيرهم وملأَت بمعروضاتها ومعروضات الباب الخامس عشر الآتي ذكرهُ النصف الايسر من المباني التي شيدت في ساحة الانفاليد لهذا الغرض وجانباً من النصف الايمن ولم تعرض آلات التدفئة والتهوية هنا بل في بناء خاص على ضفة السين كما سيجيء

مَن عانى حرفة التدريس في المدارس العالية ورأى ابناء الاغنياء يجلسون مع ابناء

الفقراء على مقعد واحد ويدرسون في كتاب واحد وقد يمتاز ابن الفقير على ابن الغني باعتدال القامة وجمال الطلعة وصحة الجسم وتوقد الذهن وسرعة الخاطر ثم دخل بيتي ابويهما ورأى كوخ الفقير بيتاً صغيراً حقيراً من الطوب او الحجر الساذج ليس فيهِ من الاثاث غير حصير وفراش ودثار وقليل من مواعين الاكل والشرب . ثم رأى قصر الغني بغرفهِ ومقاصيرهِ من الحجر النحيت والرخام والمرمر فيهِ التماثيل الناطقة والصور الفاخرة والاثاث والرياش من الحرير والديباج والبسط والستائر والكراسي والموائد وآنية الطعام والشراب من الفضة والذهب والصيني والبلور وخزائن الثياب واسفاط الحُلي وقف مدهوشاً من مقدرة المال على التفريق بين الناس في هذه الاعراض الفانية وعجزهِ عن التفريق بينهم في مقوّمات الانسان في الجسم والعقل والاعتدال والذكاء

وقد طالما وقفنا هذا الموقف من حين ادركنا سن التمييز بين الناس وكنا نزيد دهشةً اذا دخلنا قصور الملوك وبعض الاغنياء في هذا القطر والديار الاوربية ورأينا ما فيها من دلائل الترف والاسراف ولكننا لم نقف على طرفي النقيض كما وقفنا في معرض باريس لما دخلنا هذا القسم بعد ان مررنا على اكواخ اهالي مدغسكر وخصاص اهالي افريقية . ولو زار الارض احد سكان المريخ او الزهرة ورأى اكواخ اهالي مد غسكر او السنيغال وهي لا تكاد تفرق عن المظال التي يبنيها نوع من قرود افريقية او العشاش التي تبنيها الطيور ورأى ما فيها من الامتعة القليلة الساذجة ثم دخل المباني التي عرضت فيها فصول هذا الباب وقلتَ لهُ ان المكتفين بتلك الامتعة والذين لا تكفيهم هذه اخوان من نوع واحد ولا يمتاز احدهم عن الآخر بشيء من مقومات النوع لظنك تهزأ بهِ وتثبت لهُ المحال

ولقد جلت في مباني الانفاليد مراراً وكنتُ انتقل من القسم الفرنسوي الى اقسام سائر الدول العارضات هناك فتمضي الساعة بعد الساعة وانا اقلب طرفي في بدائع الصناعة ومغالاة الصنّاع في اتقان مصنوعاتهم ومباراتهم بعضهم بعضاً في هذا السبيل حتى كأنهم خيل رهان . وارى ان هذه المناظرة لا تقتصر على الصناع انفسهم الذين قد يغرمون بصناعاتهم حتى لا يدخروا وسعاً ولا تعباً في سبيل اتقانها بل يتناول اصحاب المعامل الذين غرضهم الاكبر توفير المكاسب لانهُ يظهر مما عرضوهُ انهم هم ايضاً مغرمون باتقان الصناعة ولهم في ابلاغها اسمى الدرجات ولعٌ يكاد يخرجهم عن حد الاقتصاد التجاري . كنت افعل ذلك ثم اقول في نفسي ان كل ما هو معروض هنا نمت اصولهُ في بلادنا الزجاج والخزف المدهون والمنقوش والفسيفساء والبسط والستائر والكراسي والموائد والموشّي والمطرّز والمطعّم والمرصّع ولم يزل لبعض امم المشرق

السبق في كثير من ذلك حتى ان الاوربيين انفسهم يدخلون قصور ملوك المشرق فيعترفون ان ليس في بلادهم مثلها فخامة ونقشاً وزخرفة فعلى مَ قصَّر الشرقيون في ميدان المناظرة وعلى مَ لا تفيض مصنوعاتهم على الدنيا كما فاضت مصنوعات الاوربيين ثم اعود الى الفارق الكبير بيننا وبينهم وهو ان ولاة امورهم اعوان لهم وولاة امورنا عوائق لنا

وترى بين هذه المعروضات ما هو ثمين جداً لما يقتضي عملهُ من الوقت والمشقة وبعضها صار ارخص من سقط المتاع . ممثنا صحفة فيها صورة جميلة فقيل لنا انها تساوي الفي فرنك لانها مصنوعة بقلم مصور ماهر ومثنا كأساً عليها صورة اخرى فقيل لنا انها تساوي مئة وخمسين جنيهاً لانها وحيدة . وهذه الكاس وتلك الصحفة ليستا من اثمن ما صنعهُ الصناع بل ان من المصنوعات الخزفية ما تساوي القطعة منهُ آلافاً من الجنيهات لندرتها او لان صانعها مات فيراد الاحتفاظ بها اثراً لها وانموذجاً يحتذيهِ الصناع . وبسط غوبلين التي تصنع الآن وليس لها قيمة تاريخية بل قيمتها في ما يقتضيهِ عملها من الوقت والمشقة يساوي المتر المربع منها اربعين جنيهاً او اكثر. لان الخيوط التي تصنع منها ملونة باكثر من الف واربع مئة لون مختلف وعلى الصانع ان يمرّن عينيهِ على الفرق بينها ولا يتم لهُ تمرين عينيهِ ويديهِ على تمييز الالوان واختيارها في اقل من خمس عشرة سنة . وهو مهما كان بارعاً لا يصنع في السنة اكثر من ثمانية امتار مربعة تباع بثلاثمئة وخمسين جنيهاً . لكن المصنوعات الرخيصة الثمن كثيرة جداً وكلها مما اخترعت لهُ آلات تصنع الكثير منهُ بسرعة فلا يضطرُّ مهرة الصناع الاَّ الى عناء قليل في تهذيبهِ

هذا ولنعد الى التفصيل بعد هذا الاجمال فنقول ان فرنسا قد ابدعت في ما عرضتهُ في القسم الاول من رسوم المباني واشكال السقوف والابواب والشبابيك ومنقوشات الرخام والجص وورق الورق والتماثيل الكثيرة الداخلة في هذا الباب وابواب الحديد والنحاس والمناور والتصوير على الحجر والخشب والمعدن وعمل الصور من قطع الفسيفساء والمينا وبناء القبب والاقبية وادخال الاجر المدهون في ذلك بعد نقشهِ بالوان جميلة يتألف منها صور شتى بين ازهار واطيار وحيوانات وما اشبه مما يطول شرحهُ

وقس على ذلك الزجاج الملوَّن الذي يوضع في الكوى فتكون منهُ صور باهية الالوان متناسبة الاجزاء كانها صوّرت بقلم امهر المصورين وما هي الاَّ قطع مفصولة مختلفة الالوان ضُمَّ بعضها الى بعض فصارت منها تلك الصور. ومن ابدع ما شاهدناهُ من هذا القبيل رسوم تمثل الاربعة الانهار التي كانت في الفردوس على ما في سفر التكوين رسمها المسيو لامير لتوضع في كنيسة اليونان بباريس ترى فيها الغزلان والظباء والايائل والاراوي واردة الماء وهو يتدفق امامها

وللاوربيين ولع شديد بوضع الزجاج الملوَّن في كوى كنائسهم بادية فيهِ صور القديسين والملائكة بالوان زاهية جدًّا من الاحمر الياقوتي الى الازرق اللازوردي والاصفر الزعفراني وما بينها من الالوان الممتزجة. ولصنَّاعهم مهارة فائقة في ذلك لا نظن ان احدًا من صنَّاع المشرق يباريهم فيها الآن او حاول السير في هذا المضمار في العصور الغابرة . وقد رأينا بين آثار العرب كثيرًا من الزجاج الملوَّن والمعرَّق ولكننا لم نرَ زجاجًا مصنوعًا من قطع مختلفة الالوان تتألف منها صور محكمة

ومما هو شائع عند الاوربيين ولم نرَ لهُ اثرًا في بلدان المشرق قبلما اخذناهُ عنهم تبطين جدران البيوت بالورق المنقوش . وقد اتقنوا صناعة هذا الورق وعرض منهُ الفرنسويون والانكليز وغيرهم اشكالاً بديعة جدًّا تراها فتحسبها نقوشًا بالزيت على الجدران او انسجة من الحرير والكتان موشاة معرَّقة مطرزة كابدع ما صنعهُ النسَّاجون كأن المراد بها ان لا يدري رائيها انها ورق . ولا ندري ما نوع الادهان التي طبعوها بها ولكن يغلب على الظن ان البعض منها سام فيهِ الزرنيخ ينتشر منهُ في هواء الغرف ويضرُّ بساكنيها ولو قليلاً لكن لها كلها فائدة لا تنكر في تربية الذوق على محبة الجمال والارتياح اليهِ فان اكواخ الفقراء تماثل بها قصور الملوك من حيث زخرفة الجدران وتزويقها بالصور الجميلة فينشأ اولادهم على حب الجمال والنفور من كل ما هو قبيح سمج ولا تنكر فائدة ذلك في تربية الامم وارتقائها

ومن هذا القبيل تزيين البيوت بالصور والنقوش والفسيفساء وقد كان ذلك كلهُ شائعًا عند المصريين والاشوريين لكن يظهر من آثارهم انهم كانوا يقتصرون على تزيين هياكل الآلهة وقصور الملوك ومدافن الاموات واما بيوت جمهور الناس فكانت اكواخًا عاطلة من كل زينة . وتقدَّم عليهم اليونان والرومان كما يظهر من البيوت التي كُشفت في خرائب بمباي وهركولانيوم فان التجار والعلماء ورجال السياسة كانوا يزينون بيوتهم باجمل النقوش والزخارف كما يزينون هياكلهم. ونما هذا الخلق في الاوربيين الذين جاءوا على اثرهم ولو كانوا من برابرة الشمال . والظاهر ان الميل الى التمثيل والتزويق قديم فيهم من حين كانوا همجًا يعيشون بالصيد والقنص كما يظهر من رسمهم صور الحيوانات التي كانوا يصيدونها على عظامها فلما تدمَّثت اخلاقهم وتهذَّبت عقولهم فاقوا امم الارض في هذا المضمار

اما البسط والستائر والكراسي والخزائن وما جرى هذا المجرى فحدّث عنها ولا حرج. وقد نصب النسَّاجون انوالهم في المعرض ينسجون بها البسط العجمية ومطارف الخز والديباج والقطيفة والاستبرق . وفرشت غرف كثيرة فرشًا فاخرًا لا تملُّ العين من النظر اليهِ . وتفنن الصناع

في الخشب والمعدن فمثلوا الغيد الحسان والضواري والكواسر وسائر ضروب الحيوان والازهار والاثمار والادواح والرياحين والحوادث التاريخية والاقاصيص الوهمية حتى لم اتمالك عند رؤيتها من انشاد ابيات من رائية ابن حمديس الصقلي التي وصف بها دار المنصور بن اعلى حيث قال

وضراغم سكنت عرين رئاسة ... تركت خرير الماء فيهِ زئيرا
فكأنما غشَّى النضار جسومها ... واذاب في افواهها البلّورا
اسدٌ كأنَّ سكونها متحرّك ... في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكَّرت فتكاتها فكأنما ... اقعت على ادبارها لتثورا
وبديعة الثمرات تعبرُ نحوها ... عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبيَّة نزعت الى ... سحر يؤَثّر في النهى تأثيرا
قد صولجت اغصانها فكانها ... قبضت بهنَّ من الفضاء طيورا
من كل واقعة ترى منقارها ... ماء كسلسال اللجين نميرا
وتريك في الصهريج موقع قطرها ... فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ومصفَّح الابواب تبرًا نظَّروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفهِ ... ابصرتَ روضًا في السماء نضيرا
وضعت بهِ صنَّاعها اقلامها ... فارتكَ كلَّ طريدة تصويرا

من امثال العامَّة في القطر السوري الدالَّة على احتقارهم صناعة الفخار وازدرائهم اصحابها قولهم "مثل الفواخرة لا دنيا ولا آخرة" لكن هذه الصناعة من اقدم الصنائع التي اتقنها الناس وقد بقي اهالي المشرق الاقصى مستأثرين باتقانها قرونًا كثيرة وبذل اهالي اوربا النفس والنفيس في اخذها عنهم او تقليدهم بها كما يُعلَم من سيرة بالسي وبتغر ووجود الخزافين الثلاثة العظام الذين ورد تاريخهم في كتاب سر النجاح . وقد ارتقت على يد خلفائهم وبلغت في هذا العصر مبلغًا لم يحلم بهِ اهل العصور الغابرة كما يعلم كل من رأى انواع الخزف الفرنسوي والانكليزي والالماني والايطالي المعروضة في هذا المعرض ورأى المزاهر والكؤُوس والصحاف التي صنعت في معمل سفر بفرنسا وما عليها من الصور والنقوش

ومن غريب امر الصنَّاع انهم يعدلون عن الطريق المطروق من وقت الى آخر لكي يزيدوا رغبة الناس في شيء جديد يستنبطونهُ لهم ولو عثروا عليهِ اتفاقًا او كان من الخطإِ في صناعتهم لكي لا تسأم النفوس من الاستمرار على شيء واحد . ومما عثروا عليهِ حديثًا وكانوا يعدونهُ خطأً فرأَوا فيهِ سبيلاً جديدًا للنجاح تبلور الدهان ببلورات مشعَّة كالنجوم . والظاهر ان خزَّافي

الدنمارك هم اول من رأى الاحتفاظ بالآنية الخزفية التي يتبلّور دهانها حاسبين ان الناس سئموا ما دهانهُ منتظم . فكان كما ظنوا . والحال تذكر غيرهم من الخزافين ان تبلوُر الدهان كان يعرض لهم احياناً فيكسرون الآنية التي عرض لها حاسبين انهُ خطأٌ وقع فيها فصاروا ينتبهون الى هذا الخطإِ ويحاولون تكريرهُ بالصناعة . وراجت مصنوعاتهم التي من هذا القبيل وتفننوا فيها على اساليب شتى ومزجوا البلورات بالنقط البرّاقة التي تكون في بعض انواع الخزف المدهون فكان من مزيجها اشكال جميلة ترى الخزف يتألق بها كأنهُ مرصع بما لا يحصى من الحجارة الكريمة

ومن هذا القبيل تقليد الزجاج القديم الذي يحل النور فتنعكس عنهُ كالوان عنق الحمام او عرق اللؤلؤ فقد اكتشف سرّ هذه الصناعة رجل في انكلترا وآخر في فرنسا وآخر في ايطاليا ثم اقتدى بهم غيرهم وكثرت مصنوعاتهم ولمعانها معدنيٌّ لكن منظرها غير جميل وقلّدوا الزجاج القديم الذي في قبور الفينيقيين وقد اذابت صقالهُ الاملاح التي في التراب فصار يحل النور كابدع ما يكون قلّدوهُ حتى يعسر الفرق بين القديم والمصنوع على مثالهِ

وكما تفننوا في الخزف المدهون والصيني على انواعهِ تفننوا في الاجر المدهون والملون ورسموا بهِ صوراً جميلة كالفسيفساء جارين مجرى الفرس وعرب اسبانيا في صناعة القيشاني . ولليابان جانب كبير من معروضات هذا الباب كما لها في سائر الابواب

اما الزجاج فاغرب ما عُرض منهُ الالواح الكبيرة التي يزيد طول اللوح منها على ثمانية امتار وعرضهُ على اربعة امتار والقطع المكعبة التي تستعمل للبناء والرصف بدل الحجارة والبلاط . وقد اقيم بناءٌ كبير بجانب برج ايفل من الزجاج لا غير . اما اشكال الاقداح والمزاهر والمصابيح والاباريق والوانها ونقوشها فما يفوق الوصف ولو لم يظهر ان فيها اختراعاً جديداً . وقد دخلت معمل سبك الزجاج ورأيت الصناع يصهرونهُ وينفخونهُ ويشكلونهُ ويلوّنونهُ ويخرطونهُ وينقشونهُ ويكتبون عليهِ اسماء المشترين وهو في يدهم ألين من الخزف في يد الفخاري . صناعة قديمة اكتشفها ابناء المشرق منذ الوف من الاعوام واتقنوها حتى صاروا يصنعون عيوناً لا تفرق بينها وبين العيون الطبيعية ثم انحطت في يد ابنائهم حتى لم يبقَ منها الاّ عمل الاساور والدمالج فشاد ابناء المغرب معالمها وصنعوا من الزجاج خيوطاً تُنسج وحجارة تُبنى ونحتوا منهُ آلات يرون بها اصغر احياء الارض وابعد كواكب السماء

ويلي هذا الفصل فصل التدفئة والتهوية وآلاتهُ وادواتهُ معروضة وحدها في بناء كبير على ضفة السين الجنوبية وهو اشبه بمخزن تجاري منهُ بمعرض صناعي وقد تبارت المعامل الصناعية في عرض معروضاتها وغرض كلٍّ منها اقناع الناظرين بفضل مصنوعاتها حتى يبتاعوا منها ما

يحتاجون اليه لان وسائل التدفئة والتهوية من اهم ما يطلبهُ الناس في البلدان الباردة . وتبتدىء المعروضات بما يستعمل لتدفئة البيوت بالبخار او بالماء السخن او بهما معاً ثم بوسائل التهوية الطبيعية والصناعية . لان تدفئة البيوت بالنار المكشوفة فيها تعرّضها لفساد الهواء فاذا كانت المواقد متصلة بانبوب كبير ممتد من فوق النار الى اعلى سطح البيت سار الهواء البارد من الغرفة ومرَّ فوق النار وصعد في هذا الانبوب فيصلح الموقد لتدفئة الغرفة وتجديد هوائها في وقت واحد . ولم يقف الاوربيون والاميركيون عند هذا الحد بل دفأوا بيوتهم بالهواء السخن او الماء السخن او البخار السخن يجرونها في انابيب تمر حول الجدران حتى يقال ان بيوت بطرسبرج في اقصى الشمال ادفأ في الشتاء من بيوت القاهرة

واذا قلنا مواقد النار وانابيب البخار فاول ما يخطر على البال ادوات من الحديد او الخزف سوداء قبيحة المنظر لكن الصنّاع لا يتركون شيئاً قبيحاً وقد تفننوا في زخرفة كل وسائل التدفئة حتى صارت من ادوات الزينة في البيوت بل من اجمل ادوات الزينة فيها . واظهروا مهارتهم في ذلك بما عرضوهُ في هذا الباب من مواقد الحديد والنحاس والنكل والمرمر والحجر والخزف وما فيها من النقش البديع

وادخلوا مع وسائل التدفئة وسائل الطبخ من المواقد والافران على انواعها ولاسيما ما استُنبط منها حديثاً مما ينضج فيهِ الطعام ويجود طعمهُ ويسهل هضمهُ ولا يتلف شيءٌ منهُ . ومن رأى فقراء الفلاحين يضعون قدرهم على الاثافي او عرب البادية يشوون الجزور حنيذاً وقد مرّت على هؤلاء واولئك أُلوف من الاعوام وهم على منهاج واحد من غير تغيير وعلم ان اهالي اوربا كانوا مثلهم او اخط منهم منذ اقل من الف عام ثم ارتقوا هذا الارتقاء العظيم لم يسعهُ الأَّ ان يقف مدهوشاً و يسأل عن الاسباب التي رقّتهم واوقفتنا او اخّرتنا

ومن اول اسباب الارتقاء والنجاح في الاعمال استنباط وسائل القياس فترى الاوربيين والاميركيين يفعلون كل شيء على قدرٍ وقياس فيقيسون الحرارة والرطوبة والضغط والقوة ويتحكمون في كل شيء . وترى هذه المقاييس كثيرة بين هذه المعروضات كمقاييس الحرارة والرطوبة وضغط الهواء وضغط البخار واساليب التحكم فيها حتى لا تغلب عليهم قوة من قوى الطبيعة بل تخضع كلها لا مرهم وتجري على حسب مشيئتهم وهذا من اسرار نجاحهم في كل اعمالهم

واذا كان التفنُّن في آنية الزجاج والخزف والمعدن قديماً فالتفنن في طرق الانارة حديث جدّاً وقد بقي الناس الوفاً من الاعوام يستصبحون بزيت الزيتون وشمع النحل وقصروا هممهم وتفننهم على مادة المصابيح وشكلها فصنعوها من الخزف والزجاج والنحاس والفضة والذهب وتصرَّفوا

في اشكالها من الصدفة البسيطة الى التماثيل البديعة التي سبكها امهر صنَّاعهم . لكن طرق الانارة بقيت على حالها الى ان اتفق لبعضهم ان وضع انبوباً من الزجاج فوق مصباح مشتعل فرأى نورهُ يزيد اشراقاً فانتبه اخوهُ الى ذلك وكان يبحث عن طريقة لاصلاح المصابيح ومن ثم صارت توضع المداخن فوق المصابيح لكي يزيد الهواء المار على لهب المصباح ويتم احتراق الزيت فيسطع نورهُ . ثم وُجد الغاز وزيت البترول وصنعت المصابيح الكهربائية وفتائل اور التي تحمو الى درجة البياض وتنير بنور ساطع يزري بالنور الكهربائي . وآخر الكل استنبطت مصابيح السبيرتو والاستيلين وارسل البترول الى المصابيح بانابيب دقيقة . وتاريخ اكثر هذه المصابيح معروف عند قراء المقتطف والكهول منهم يذكرون الايام التي كانوا يستصبحون فيها بمصابيح زيت الزيتون. فكل هذا الارتقاء العظيم في اساليب الاستصباح حدث منذ اربعين عاماً الى الآن واكثرهُ حدث في الخمسة عشر عاماً الاخيرة . وهذه الاساليب معروضة كلها في هذا الباب ما عدا اساليب الانارة بالكهربائية فانها معروضة في باب سابق كما تقدَّم وهي الوحيدة في خضوعها التام لارادة الانسان على ما لها من الحوْل والطوْل ولذلك انير المعرض كلهُ بها واستخدمت لاظهار بهجتهِ وزينتهِ

الباب الثالث عشر في الغزل والنسج والثياب وفصولهُ احد عشر فصلاً معروضة في شان دو مارس الاول في الغزل وفتل الحبال والثاني في النسج والثالث في قصر المنسوجات وصبغها وطبعها وتهذيبها . والرابع في التفصيل والخياطة . والخامس في خيوط القطن ومنسوجاتهِ بنوع خاص . والسادس في خيوط الكتان والقنَّب والرامي والصبر ومنسوجاتها والحبال التي تصنع منها . والسابع في خيوط الصوف ومنسوجاتهِ . والثامن في الحرير ومنسوجاتهِ . والتاسع في الخرج والتطريز والزركشة . والعاشر في خياطة الثياب للرجال والنساء والاولاد . والحادي عشر في ما يدخل مع الثياب كالجوارب والاحزمة والبرانيط والمشدَّات والمظلاَّت وما اشبه

ولا يخفى ان الغزل والنسج وخياطة الثياب وتوشيتها وتطريزها من اقدم الصنائع التي عمل بها الانسان وقد اتقنها القدماء من عهد المصريين والاشوريين والفينيقيين والعبرانيين ولا تزال منسوجاتهم في المتحف المصري ومتاحف اوربا شاهدة لهم بانهم بلغوا في هذه الصنائع شأواً لم تفقهم فيهِ اوربا الاَّ منذ مئة عام . لكن اهالي المشرق وقفوا عند الحد الذي بلغهُ اسلافهم او تأخروا عنهُ واهالي اوربا ساروا في مئة عام اكثر مما سارت امم المشرق في الف عام ساروا سيراً يدهش كل من ينظر اليهِ اذا ادرك ما يرى بعينيهِ وعلم تاريخ كل آلة من الآلات التي استنبطوها

وما عاني مستنبطها من المشقة في استنباطها او قرأ على الاقل الملخص المذكور في سر النجاح عنها

وفصول هذا الباب زينة المعرض وواسطة عقده واليها تسير اقدام النساء بنوع خاص حتى لقد يتعذَّر على المرء المرور حيث عُرضت الثياب والازياء. وقد شاهدت هذه المعروضات بعد ما رأيت قصور الدول ومعرض مدينة باريس وقصر الازياء وفيها كلها ما يعجز القلم عن وصفهِ من الحلل الفاخرة ولم أكن احسب ان قد ترك الاول للآخر شيئاً فلما رأيتُ ما هو معروض هنا قلتُ في نفسي حقًّا ان الدافع الاول للبس الثياب هو الزينة والامتياز لا الدفء ولا التستر كما اوضحتُ ذلك قبلاً في مقالة موضوعها من الحلى الى الحلل. فان هذه الثياب التي نراها هذه الموشَّيات والمطرزات هذه الاسنجة التي تقف على اذيالها لصفاقتها او تطير في الهواء لخفتها هذه المخيطات التي يبدو منها جمال الصدر والخصر والعنق والمنكبين وكلٌّ منها يمتاز عن الآخر ولو عدَّت بالمئات والالوف لا يمكن ان يكون الغرض منها ستر عريٍ او دفع بردٍ . وقد زادها الصنَّاع جمالاً بما صنعوه لها من تماثيل الشمع الاسيلة الخدود النجلاء العيون وما على رؤُوسها من غدائر الشعر المعقوص على اساليب شتى حتى كأن الجمال كلهُ جُمع في تلك الخزائن

ولم يقتصر العارضون على عرض حلل النساء بل عرضوا ايضاً ثياب الاولاد والرجال والحلل الملكية والعسكرية على اختلاف انواعها واشكالها. وهذه ايضاً لا تخلو من الزينة والزخرفة ولاسيما حلل الملوك والاساقفة والقوَّاد والقسوس لاغراض لا تخفى على البصير وهي تفوق في زخرفتها كل ما تلبسهُ اشد الغواني ترفاً

ويغلب على ظني ان كل مَن زار المعرض من سكان القطر المصري امعن نظرهُ في آلات الغزل والنسج التي فيهِ كما امعنتُ نظري فيها ولا سيما لان جانباً كبيراً من قطنها وصوفها وحريرها وكتانها ترد اليها من القطر المصري والقطر الشامي فيودُّ ابناء هذين القطرين ان يعلموا ماذا يُعمل بقطنهم وصوفهم وحريرهم وكتانهم حتى صارت منسوجات اوربا ارخص من منسوجاتنا على غلاء الاجور فيها ورخصها في بلادنا. ولما رأى مديرو معامل الغزل والنسج انني ارغب في الوقوف على دقائق صناعتهم لم يدَّخروا وسعاً في اطلاعي على كل شيء فاروني كيف ينظَّف القطن وينتدف لا بالقوس والوتر بل باساطين ذات اسنان كريش القنفذ تنسل خيوطهُ نسلاً ثم يجمع النسل عنها فتائل اثخن من الابهام وتمدُّ هذه الفتائل وتفتل فتصير خيوطاً دقيقة ثم تلفُّ على الوشائع وتثنى وتثلَّث . وآلات الغزل مختلفة الانواع والاشكال وكل آلة تعمل اعمالها بما لا مزيد عليهِ من الدقة حتى لو كان لها عقول ثاقب ما احكمت اعمالها اكثر مما تحكمها الآن بل هي في حالتها الحاضرة اقدر على الدقة والاحكام من كل صانع ماهر لان الصانع

يضجر ويملُّ وينسى ويخطئُ واما هي فلا يعتورها شيءٌ من ذلك

وآلات النسج لا تقصر في دقتها واحكامها عن آلات الغزل ولا سيما اذا نُسج بها نسيج معرَّق او معلم او مخمل او مخرَّم

والذي يرى خيطاً ابيض بسيطاً ملفوفاً على بكرة او منديلاً ملوَّناً بنسجهِ او بصبغهِ لا يخطر لهُ ان ذاك الخيط وهذا المنديل مرّا على اكثر من ثلاثين آلة مختلفة قبلما خرجا من ايدي الصناع ودخلا في ايدي التجّار . وهذه آلات معروضة كلها في هذا المعرض فقد رأيت بين معروضات اخوان بلات وشركائهم نحو اربعين آلة مختلفة بعضها لحلج القطن وبعضها لتفتيحهِ وتنظيفهِ وبعضها لندفهِ وبعضها لغزلهِ وبعضها لفتلهِ وبعضها لنسجهِ وربما عدتُ الى وصفها في باب الصناعة في فرصة أُخرى . وعلمتُ من مدير هذا المعمل ان نقل هذه الآلات من البلاد الانكليزية الى البلاد الروسية ووضعها في اماكنها اقتضى لهُ من النفقة قدر ثمنها فاذا ابتعنا آلات معمل للغزل والنسج بعشرين الف جنيه اقتضى ان ننفق عليها عشرين الفاً اخرى حتى تنقل الى بلادنا وتركب في اماكنها وتدار فيها قبلما تعمل عملاً منهُ ربح وذلك لغلاء اجرة الصناع الذين يؤْتى بهم لتركيبها وادارتها . وذاكرتهُ مليًّا في ربح معامل الغزل والنسج فاراني مقاييس وجداول يعلم منها مقدار ما يغزل وينسج بالآلات اذا عرف ثمنها . وبعد حساب طويل أكد لي ان الربح في القطر المصري لا يقل عن عشرة في المئة ولو اضيف الى رأس المال نصفهُ اسهماً للمؤسسين لكن هذا الربح لا يتحقق في السنة الاولى التي يدار فيها المعمل بل في السنة الثانية وما بعدها

ومما يستوقف النظر بنوع خاص انوال النسج المعرَّق والملوَّن والمزركش فانها تنسج الواناً كثيرة من وشائع مختلفة . وفي النول سواعد ترمي الوشيعة المطلوبة من نفسها تختارها من بين وشائع عديدة لانها تكون في كوًى بعضها فوق بعض متصلة بآلة ترفعها وتخفضها حتى تكون الوشيعة المطلوبة منها امام فتحة السدى فتضربها ذراع مرنة قائمة وراءها ضربات متوالية حسب المطلوب وترتفع الكوى حينئذٍ او تنخفض حتى يكون امام فتحة السدى الوشيعة الاخرى التي يأتي لونها بعد لون الاولى وهلم جرًّا . وخيوط السدى ترتفع وتنخفض وتجتمع وتفترق تبعاً لقطع من الورق المقوّى فيها خروب حسب النقش المراد توشية النسيج بهِ وهذه القطع تضغط على ابر كاسنان المشط فتنضغط تحت ما لا خرق فيهِ وتبقى على حالها تحت الخرق وتتصل حركاتها بخيوط السدى فترفعها او تخفضها حسب المراد

واغرب من هذا الاسلوب اسلوب الذراع وهو ذراع طويلة لها اصبع يدلُّ بها على رسم

مرسوم امام الحائك فليس عليهِ الاَّ ان يمسك هذه الذراع بيدهِ ويدل باصبعها على نقط مختلفة في الرسم فتتقدم او تتأخر او تعلو او تسفل حسب موقع تلك النقط في الرسم ويحرك طرفها الآخر وهو متصل بالسدى فيحركها وينسج منها شكلاً مثل الشكل الذي امامهُ. وترى الحاكة رجالاً ونساء دئبين على اعمالهم ينسجون المقاطع الكبيرة او المناديل الصغيرة يرسمون فيها صور المعرض او صور الملوك والملكات او صور القديسين والقديسات امام عين الرائي .
وهانذا اكتب هذه السطور وعيني تقع في فترات الكتابة على مناديل من الحرير الملون نُسجت امامي في نول فرنسوي وعليها صورة قصر الكهربائية من قصور شان ده مارس وصورة قيصر الروس نقولا الثاني ورئيس الجمهورية الفرنسوية المسيو لوبه وعلَم الروس وعليهِ النسر الرومي وعلَم الفرنسويين وعليهِ الحرفان R.F. واشعة النور الكهربائي متألقة فوق القصر كأنها الشمس في بهائها ومياه الشلالات والفساقي متصببة امامهُ يحيط بها اكليل من الغار والسنديان وقد كتب فوقها بحروف سوداء وبيضاء المجد للقرن العشرين وتحتها تذكار المعرض قصر الكهربائية. وارض المنديل من الاحمر او الاخضر او البرتقالي او الرمادي والنقش عليهِ من لونهِ ومن الابيض والاسود

ومما يستوقف النظر ايضاً انوال نسج التول المخرَّم المعرَّق الذي تصنع منهُ الستائر الكبيرة. يقف الرائي امامها ساعة بعد ساعة يرقب حركاتها وسكناتها فيراها تحيك وتحبك وتفك وتعقد وتنسج الاوراق والازهار والخطوط والعروق والدوائر والمقنطرات والحائك لا يمدُّ اليها يداً الاَّ اذا انقطع منها خيط فيوصلهُ . ومن رأى فتاةً من بنات هذا العصر تقيم ساعة بعد اخرى على حبك زهرة واحدة من زهر التتن او الدانتلا ثم رأى مئات من مثل هذه الازهار تحبك في دقيقة من الزمان ارتفعت في عينيهِ مقدرة العقل الذي صنع آلة امهر من يد الانسان . لكن المصنوعات اليدية لم تفقد شيئاً من رونقها ولا خسرت من قيمتها ولا يزال الاوربيون يغالون بها كما كانوا يغالون في العصور الغابرة وقد عرض امراؤهم واغنياؤهم قطعاً كثيرة منها مما حبكتهُ ايدي النساء وباع المترمنهُ بما يزيد على وزنهِ ذهباً

ومنهُ انوال نسج الجوارب والكفوف والقمصان وما اشبه مما يُحبك حبكاً . وهذه ايضاً قد قامت مقام الحبك بالصنارات . ويشاهد منها في المعرض ما يحبك القميص من لونين او ثلاثة او اكثر ويصنع الجورب في بضع دقائق

ومعلوم ان القصد من عرض هذه الآلات ترغيب الطلاب في ابتياعها من معاملها وقد بيع كثير منها مراراً ومن ذلك آلة سويسرية للغزل تدور بسرعة البرق حتى يظن الناظر اليها

ان مغازلها ثابتة لسرعة حركتها وقد اشترتها حكومة الروس لمدارسها الصناعية

ولما شبعت من الوقوف امام الآلات الفرنسوية والانكليزية والالمانية لان النفس تشبع من الفوائد كما تشبع المعدة من الطعام قيل لي انك لم ترَ معروضات اليابان في هذا الباب كما رأيتها في غيره من الابواب فهرولت اليها وانا احسب انني لا ارى فيها غير ما اعتدنا رؤيتهُ في هذه العاصمة من منسوجات اليابانيين وموشياتهم فلما وقع نظري عليها واجلت طرفي فيها اكبرتُ امر هذه الامة التي جارت الاوربيين في كل شيء فترى بين معروضاتها البرانيط من كل الاشكال والانواع والاسجاف المطرزة وعليها صور الاطيار والازهار بالوانها الطبيعية تحسبها بارزة منها كأنها موضوعة امامها وضعاً لا منسوجة فيها نسجاً وصوراً كثيرة في رباط من الحرير تعلق في البيوت بدل صور الزيت. في واحدة منها صورة امرأة مكسال والسبحة في يدها وفي اخرى صور بط واوزّ والريش منهُ لامع كأنهُ خرج من الماء وانعكس عنهُ نور الشمس . وفي اخرى صورة ديك ودجاجة رفقاء وفراخها معها . وفي اخرى صورة شجرة مزهرة والطيور تحتها . وفي اخرى صورة صخر في البحر وقف عليهِ نسر كأنهُ ملك على عرشهِ . وفي اخرى صور كلاب صيد جارية تكاد تسبق اظلالها. ولا تسل عما هناك من المراوح والقمصان والمظلات والقش المضفور وما اشبه مما يدخل في هذا الباب

وهناك ايضاً كثير من منسوجات الحرير والمخمل المعرّقة والموشاة على ضروب شتى وهي تشهد لراسميها بالمهارة في فن الرسم واختيار الالوان كما تشهد لصناعي انوالها ببلوغ الحد في التفنن والاتقان . وسواء كانت هذه الانوال يابانية او اوربية وسواء كان الرسامون والحاكة من الوطنيين او من الاجانب فصناعة النسج المتقن دخلت ربوع يابان ورسخت قدمها فيها وصار اليابانيون يبارون الفرنسويين والانكليز والالمانيين في اتقان منسوجاتهم ولا عجب اذا رأيناهم يبارونهم في كثرتها ورخصها واذا اقتدى بهم جيرانهم الصينيون والكوريون والهنود ونبقى نحن العثمانيين في ساقة كل اهالي المشرق بعد ان كان اجدادنا في طليعة امم الارض

الباب الرابع عشر في الصناعات الكيماوية وفيهِ خمسة فصول الاول في الكيمياء الصناعية والصيدلية والثاني في الوراقة والثالث في الدباغة والرابع في استخراج الطيوب والخامس في التبغ والثقاب (عيدان الفصفور)

وهذا الباب مناسب للباب السابق ومعروض الى جانبهِ ولا تضرُّ رائحة التبغ فيهِ لان رائحة الطيوب تغلب عليها على حد ما قالهُ احد الظرفاء

ضرر المطابع

لا وردَ بلا شوك ولا نفع الاَّ ومعهُ شيء من الضرر. ومن شأن المضار انها تزيد وتنمو مع المنافع كما ينبع الشوك والقراص في الارض المحروثة المعدَّة للزرع. يعلم ذلك اهل الزراعة فيقربون النبات الذي يزرعونهُ بعضهُ من بعض حتى لا يبقى مجال للاعشاب الضارَّة واذا نمت رغماً عنهم واظبوا على استئصالها لئلاَّ تقوى وتخنق زرعهم. وعلى الذين يهتمون بمصالح العباد وتوفير المنافع لهم ودفع المضار عنهم ان يفعلوا مثل ذلك بما ينمو بين الناس من الشرور والمضار حيث يُنتظر نمو الخيرات والمنافع. ويصدق هذا بنوع خاص على المطابع ونشر الكتب فان الناس يؤَلفون من الكتب النافع والضار والمصلح والمفسد والسمين والغث فلما كان نشر الكتب موقوفاً على اقلام الكتَّاب كان انتشار المنافع قليلاً وكذلك انتشار المضار. اما وقد كثرت المطابع وسهل طبع الكتب ونشرها فصار انتشار الكتب الضارَّة ميسوراً لاسيما وان جمهور العامة اميل الى السخافة والاوهام منهم الى العلم والحقائق

يغنينا عن الاسهاب في هذا الموضوع ما اظهرهُ احد الادباء بالاحصاء من انهُ لا يطبع كتاب علمي مفيد في هذا القطر حتى يطبع فيهِ عشرون رواية واكثرها مما لا فائدة من مطالعتهِ وبعضها يفسد الاذواق والاخلاق. وهذا الداء منتشر في البلدان الاوربية اكثر مما هو منتشر عندنا لكنَّ الاوربيين لم يغفلوا عنهُ بل احتاطوا لهُ وتراهم يعالجونهُ على اساليب شتى فعندهم الانتقاد الممحص في الجرائد والمجلاَّت وعندهم الجمعيات العلمية والادبية حيث تذاع العلوم والآداب ولا يخلو بلد من بلدانهم من مدارس تُهذَّب فيها العقول ومكاتب تُوسع فيها المعارف. وعندهم ما لا يحصى من الصحف العلمية والادبية ينشئها كبار العلماء الذين لا يذكرون الاَّ الحقائق وهي رخيصة الثمن لكثرة ما يطبع وينشر منها فيسهل على كل احد الاشتراك فيها. هذه المزايا كلها تقاوم انتشار المضار والاضاليل او تمحو اثرها من النفوس

ولو كانت شكوانا من الروايات السمجة وكتب المجون لا غير لهان الامر لان هذه الكتب تُعرَف من عنوانها فلا يطالعها من يضنُّ بوقتهِ او يكرهُ ان يرى الفاحشة بعينيهِ. لكننا نشكو ايضاً مما تخفى مضارهُ على العامة وقد تخفى على بعض الخاصة. نشكو من الكتب التي تُنشر لابسة حلة العلم وتظهر عليها ديباجة التحقيق وفيها من السخائف والخرافات ما يزيد ظلمة العقول ظلمة ويرسخ الاوهام في النفوس

وقد كنَّا نرى هذه السخائف في الكتب العربية القديمة التي طُبعت قبل انتشار المعارف

لكنهم لم يستطيعوا ان يناظروا المعامل الاوربية فاضطروا ان يوقفوهُ بعد ان انفقوا عليهِ النفقات الطائلة . ولا امل بنجاح معامل الورق عندنا الاَّ اذا زاد عدد القراء اضعافاً فكثر انتشار الجرائد العربية حتى صار الورق الذي يستعمل فيها سنوياً يقتضي انشاء معملين او ثلاثة كلٌّ منها يصنع مليون كيلوقي اليوم . وقد لا نقوى على مناظرة الاوربيين على كل حال لان الجانب الاكبر من الورق الرخيص خشب والخشب يؤتى بهِ من اوربا واميركا فجلبهُ ورقاً ارخص من جلبهِ خشباً . وكذلك القوَّة المطلوبة لادارة آلات المعمل تستمدُّ من الفحم الحجري وهو وارد من اوربا ايضاً فتضاف اجرة شحنهِ الى ثمن الورق فيغلو بهِ

ويقال في انواع الورق واشكالها والوانها ما يقال في سائر المعروضات من الكثرة والتنويع فان من الورق ما هو صفيق كالرق ومنها ما هو شفاف كالزجاج ومنها ما هو ابيض كالثلج ومنها ما هو ملوَّن بكل لون معروف ومنها الصقيل والخشن والمنقوش وغير ذلك مما يطول شرحهُ ويتعذَّر وصفهُ

اما قناني الطيوب وحناجرها والازهار التي تستخرج الطيوب منها والخزائن التي عرضت فيها والرفوف التي وضعت عليها فقد قُصد بها كلها ان تسرَّ حاسَّة البصر باشكالها والوانها كما تسرُّ الطيوب حاسَّة الشم بطيب رائحتها

والتبغ معروض في كل مكان تقريباً في قصور الدول والانفاليد وشان دو مارس كأنهُ اروج تجارة في الدنيا . وتفنن العارضون في عرض اوراقهِ مبسوطة وملفوفة وعرض سكائرهِ وآلات لفها والورق الذي يلف بهِ والاحجار (الغلايين) التي يحرق فيها. ولا ندري متى يعدل الناس عن عادة نفعها قليل وضررها كثير و يزرعون الارض التي يزرعونها تبغاً طعاماً تغتذي بهِ الابدان وينفقون الاموال التي ينفقونها عليهِ في عمل مفيد لنوع الانسان

وقد اضحكني اهتمام الفرنسويين بعمل الثقاب (عيدان الكبريت او الفصفور) ودفعهم الجوائز لمن يستنبط نوعاً منهُ خالياً من الفصفور السام والثقاب عندهم أغلى مما هو عندنا اضعاف الاضعاف كأن حكومتهم لم تجد غير هذا السبيل لجمع المال على اسلوب يشعر بثقلهِ الفقير كما يشعر بهِ الغني او اكثر لان زوجة العامل الفقير تضطر ان تستعمل من عيدان الثقاب اكثر مما يُستعمل في بيت جارها التاجر الغني لكن اهتمام الفرنسويين وغيرهم من الامم الاوربية باتقان هذه الصناعة قد رخَّص مصنوعاتها في بلادنا الى حد لم نعهد لهُ مثيلاً . وقد شاهدت معامل الثقاب في رحلتي الاولى الى اوربا ووصفتها فيها بما يغني عن اعادة الوصف

القرن التاسع عشر

ينتظر القراء الكرام ان نودّع القرن التاسع عشر واصفين تقدُّم العلوم والفنون فيهِ وقد فعلنا ذلك منذ سنتين ولخصنا عن كتاب الاستاذ الفرد ولس العالم الطبيعي الشهير وصف المكتشفات الصناعية التي اكتشفت في القرن التاسع عشر والقضايا العلمية التي أُثبتت فيهِ وما يقابل ذلك من مكتشفات القرون السالفة. وها نحن معيدون بعض ذلك وملحقون بهِ ما يحتملهُ المقام من الشرح والتفصيل

ان مكتشفات هذا القرن التي تطبَّق بها العلم على العمل وصار لها الشأن الاكبر في اعمال الناس وافكارهم كثيرة وقد ذكر منها الاستاذ ولس ثلاثة عشر وهي

(١) السكك الحديدية التي غيَّرت اساليب السفر ونقل البضائع برًّا . ولم يكن منها شيء في بداءة هذا القرن فانها ابتدأت في بلاد الانكليز سنة ١٨٢٥ وفي اميركا سنة ١٨٣٠ وبلغ طول خطوطها في منتصف القرن نحو ٢٤ الف ميل وهو الان نحو اربع مئة وسبعين الف ميل . وكان السفر برًّا كثير المشاق والمخاطر فوق ما فيهِ من البطء واضاعة الوقت عبثًا فصارت المركبات التي يسار بها في اكثر البلدان كالقصور الفاخرة في اثاثها ورياشها وبلغت سرعتها خمسين ميلاً او اكثر في الساعة الواحدة. وختم القرن والكهربائية تحاول ان تقوم مقام البخار في السكك الحديدية وقد قامت مقامهُ في المدن حيث لا تزيد المسافة على بضعة اميال. والبخار والكهربائية والهواء المضغط تحاول كلها ان تقوم مقام الخيل في مركبات الركوب وعربات الجنود والمدافع فيحرَّر الفرس من جر الاثقال

(٢) السفن البخارية التي فعلت مثل ذلك بالسفر ونقل البضائع بحرًا فقد كان محمول السفن الشراعية في بداءة هذا القرن نحو اربعة ملايين طن ولم يكن فيهِ سفينة بخارية . واول سفينة بخارية اجتازت الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا سنة ١٨١٩ . ولما انتصف القرن كان محمول السفن الشراعية قد صار احد عشر مليونًا اربع مئة الف طن ومحمول السفن البخارية خمسة ملايين طن والآن نقص محمول السفن الشراعية قليلاً فصار احد عشر مليون طن فقط واما محمول السفن البخارية فصار اكثر من ٥٢ مليون طن . ولا تسل عما في السفن البخارية الكبيرة من وسائل الراحة والرفاهة

(٣) التلغراف الكهربائي وهو ايضًا من بنات القرن التاسع عشر لم يكن منهُ شيء في بداءتهِ وبلغ طول خطوطهِ في منتصف القرن ٥٠٠٠ ميل برًّا و٢٥ ميلاً بحرًا وبلغ طولها

الآن نحو مليون ميل برًا ومئة وسبعين الف ميل بحرًا . وهو يزيد سرعة واتقانًا عامًا بعد عام

(٤) التلفون الكهربائي الذي نتخاطب بهِ الآن فيسمع احدنا كلام الآخر على مئات من الاميال وقد استُنبط واتسع نطاقهُ في عهد المقتطف كما يعلم قرَّاؤُهُ

(٥) عيدان الفصفور التي غيَّرت اسلوب اضرام النار وهي اختراع كبير النفع لاشتراك البشر كلهم في فوائدها

(٦) الغاز الذي تضاء بهِ البيوت والشوارع وفتائل اور التي استنبطت حديثًا لجعل نورهِ ابيض ساطعًا كالنور الكهربائي

(٧) النور الكهربائي الذي يفوق كل اساليب الانارة بهاء. وقد صُنعت مصابيحهُ الحديثة في عهد المقتطف كما لا يخفى

(٨) الفوتوغرافيا ونسبتها الى الاشكال الطبيعية نسبة الكتابة الى الافكار. وقد زادت انتشارًا باكتشاف الجلاتين الحسَّاس حتى صارت من وسائل التسلية لكل طبقات الناس رجالاً ونساء فضلاً عن استعمالها في العلوم الفلكية والطبيعية

(٩) الفونوغراف الذي يحفظ الاصوات ويعيدها كما تحفظ الفوتوغرافيا الصور وتظهرها

(١٠) اشعة رنتجن التي تخترق الاجسام الظليلة وصار لها شأن كبير في علم الطب والجراحة

(١١) الحل الطيفي الذي عُرفت بهِ مواد الاجرام السموية ولهُ شأن كبير في الحل الكيماوي

(١٢) استعمال المخدرات التي تخدر الجسم حتى تعمل فيهِ العمليات الجراحية من غير الم

(١٣) استعمال مضادَّات الفساد في العمليات الجراحية فيبرأ الجرح من غير ان يتعرَّض الجسم للخطر وقد صارت بها العمليات الجراحية الكبرى اقل خطرًا من الجراح البسيطة

قال الاستاذ ولس واذا بحثنا عن مكتشفات القرن الثامن عشر التي تقابل بهذه المكتشفات لم نجد سوى اصلاح الآلة البخارية لكن فائدتها كانت محصورة في رفع الماء من المناجم . ولم يكتشف في القرن السابع عشر من المكتشفات الكبيرة غير التلسكوب ولا كشف شيء منها في القرن السادس عشر . اما القرن الخامس عشر فكشفت فيهِ الطباعة . وكشف حك الملاحة في القرن الرابع عشر او الثالث عشر فسهَّل اكتشاف اميركا . واذا عدنا الى العصور الخالية وجدنا فيها اكتشاف الارقام العددية وقبلهُ اكتشاف الكتابة بالحروف الهجائية وهذان الاكتشافات اي الارقام العددية والحروف الهجائية هما آلتا المعارف والمكتشفات

والخلاصة ان القرون الغابرة كلها من الثامن عشر فما قبلُ فيها خمسة مكتشفات كبيرة من المكتشفات المفيدة وهي التلسكوب والطباعة وحك الملاحة والارقام العددية والحروف

الهجائية واذا اضفنا اليها الآلة البخارية والترمومتر والبارومتر صارت مكتشفات القرون الغابرة ثمانية امام ثلاثة عشر من مكتشافات القرن التاسع عشر

اما المكتشفات العلمية النظرية التي اتسعت بها معارفنا وزاد ادراكنا للكون وظواهره فكثيرة وقد ذكر الاستاذ ولس اثني عشر اكتشاف منها وهي

(١) قياس الحرارة بما يعادلها من القوة. وقد ادَّى هذا الاكتشاف الى اكتشاف ناموس حفظ القوى الذي هو حياة العلوم الطبيعية ويحق لهُ ان يُعَد من اعظم مكتشفات القرن التاسع عشر. وقد اشار اليهِ اولاً فردرك مور سنة ١٨٣٧ واثبتهُ مير الالماني وجول الانكليزي سنة ١٨٤٢ ولم نطل الكلام فيهِ في صفحات المقتطف لانهُ من المباحث العلمية التي يعسر ادراكها على جمهور القراء

(٢) تعليل خواص الغازات بحركة دقائقها وهذا ايضاً من المباحث العويصة وقد اتضح بهِ ان الدقائق الجوهرية التي تتألف منها الاجسام صغيرة جداً حتى ان اصغر الاحياء التي يمكن ان ترى باقوى انواع الميكرسكوب يحوي مليونين منها او مليوناً على الاقل وهي في حالة الحركة الدائمة فاذا كان الجسم جامداً وزادت حركة دقائقهِ فقد يصير سائلاً ثم اذا زادت حركتها اكثر من ذلك زادت البعد بينها فصار غازاً منتشراً

(٣) قياس سرعة النور واثبات دوران الارض بالامتحان

(٤) اكتشاف فعل الغبار او المياه وكون بعضهِ جراثيم حية يتولد منها الاختمار والعفونات وقد كان لذلك فائدة كبيرة في صناعة الخمور وعلم الطب والجراحة

(٥) تعليل المواد بانها مركبة من عناصر بسيطة على نسب محدودة وقد ادَّى ذلك الى عمل كثير من المواد الآلية كالكحول والايثر وسكَّر العنب والحوامض الآلية والزيوت النباتية والطيوب على انواعها فان هذه المواد تصنع الآن في المعامل الكيماوية كما يصنع الصابون من الزيت والقلي

(٦) اكتشاف حقيقة النيازك وذوات الاذناب والاتصال من ذلك الى تعليل تكوُّن الاجرام السموية من الحجارة النيزكية. وليس لهذا الاكتشاف من فائدة عملية حتى الآن ولكن فائدتهُ المعنوية لاتنكر في دفع الاوهام والوقوف موقف مَن يدرك حقيقة مايراهُ من اجرام السماء

(٧) تعليل الدور الجليدي ومعرفة مدتهِ وافعالهِ في الارض وفائدة ذلك عملية ايضاً تدفع بها الاوهام وتكشف الغوامض فيرى المرء في البلدان الباردة آثار الحيوانات التي تعيش في البلدان الحادة ولا يستغرب وجودها فيها لانهُ يعلم ان تلك البلدان كانت حارَّة في عصر

من العصور الغابرة . ويرى آثار جبال الجليد في بلدان لا تصل اليها الآن فلا يستغرب هذا ايضاً لانهُ يعلم ان تلك البلدان كانت باردة جدًّا في دور آخر

(٨) الادلة على قدم الانسان . وبها علم انهُ وجد على وجه البسيطة منذ الوف كثيرة من السنين فسهل تعليل ما كان يُرى من الفروق بين طوائفهِ من ايام المصريين القدماء وتعليل وجود آثارهِ مع آثار الحيوانات البائدة التي عاصرتهُ وعاصرها قبل الدور الجليدي الاخير

(٩) مذهب النشوء واقامة الادلة عليهِ وتعليل كل تقدُّم وارتقاء آليًّا كان او غير آلي بالمبادىء التي أُثبت بها نشوء الحيوان والنبات

(١٠) الرأي الخلوي وتعليل مرور الجنين على الاطوار التي مرَّ عليها اسلافهُ وتطبيق ذلك على علم الطب وعلم الاجنة

(١١) اكتشاف سبب الامراض الخميرية والامراض المعدية بنوع عام . وفوائد هذا الاكتشاف اكثر من ان تحصى واعظم من ان توصف وهو اساس كل تقدُّم حديث في علم الطب والجراحة وحفظ الصحة

(١٢) اكتشاف كريات الدم البيضاء ووظائفها وفهم ما تفعلهُ في مقاومة الجراثيم المرضية

ونضيف الى ذلك حقيقة علمية اخرى لا يوافق عليها الاستاذ ولس وهي اكتشاف المصل الشافي من بعض الامراض . ويقابل ذلك في القرن الثامن عشر وضع علم الكيمياء الحديث ووضع علم الكهربائية واكتشاف تطعيم الجدري . وفي القرن السابع عشر اثبات ناموس الجاذبية واكتشاف قواعد كبلر في علم الفلك واكتشاف قواعد السرد وعلم التفاضل واثبات هارفي لدورة الدم ومعرفة رومر لسرعة النور . واذا التفتنا الى ما وراء ذلك لم نجد في القرون السالفة ما يقابل هذه المكتشفات العلمية الاَّ تأليف اقليدس لكتاب الهندسة من اوضاع الذين تقدَّموهُ من اليونان والمصريين واستعمال الارقام العددية والحروف الهجائية . هذا ولم يقطع الاستاذ ولس بان ما ذكرهُ من مكتشفات القرن التاسع عشر هو كل ما اكتشف فيهِ او كل ما يمكن عدهُ بين المكتشفات الكبيرة قال " ومعلوم ان تحديد المكتشفات والمخترعات التي لها الشان الاعظم في العمران ليس امرًا مقررًا فيمكن ان يزاد على ما ذكرتهُ امور اخرى يعد لها غيري شأنًا عظيمًا لا اعدُّهُ انا لها او ينقص منهُ بحذف ما حسبت لهُ شأنًا كبيرًا وغيري لا يعدهُ كذلك " . هذا ومن رأينا انهُ ذكر امورًا لا تستحق الذكر مع المكتشفات الكبيرة التي ذكرها واهمل امورًا اخرى احق منها بالذكر . ويمكن ان يُقابل بين مكتشفات القرن التاسع عشر ومكتشفات كل القرون التي قبلهُ كما ترى في الجدول التالي

مكتشفات القرن التاسع عشر

(١) السكك الحديدية
(٢) السفن البخارية
(٣) التلغراف الكهربائي والاثيري
(٤) التلفون
(٥) الآلات المختلفة التي تدور بالبخار
(٦) عيدان الفصفور
(٧) الطرق الحديثة لتنقية الحديد وعمل الفولاذ
(٨) الاستصباح بالغاز والبترول
(٩) الاستصباح بالكهربائية والاسيتيلين
(١٠) الفوتوغرافيا
(١١) نقل القوة بالكهربائية
(١٢) الترام الكهربائي
(١٣) اشعة رنتجن
(١٤) الحل الطيفي
(١٥) المخدرات
(١٦) مضادات الفساد في الجراحة
(١٧) استخلاص الاصول الدوائية
(١٨) حركة دقائق الاجسام
(١٩) فعل الهباء
(٢٠) نسب المركبات الكيماوية
(٢١) قدم الانسان
(٢٢) النشوء
(٢٣) الراي الخلوي
(٢٤) ميكروبات الامراض
(٣٥) المصل في علاج الامراض
(٣٦) حفظ القوة

مكتشفات كل القرون قبله

(١) تطعيم الجدري
(٢) حك الملاحة
(٣) الآلة البخارية
(٤) التلسكوب
(٥) الميكروسكوب
(٦) الترمومتر والبارومتر
(٧) الطباعة
(٨) الارقام العددية
(٩) الكتابة بالحروف الهجائية
(١٠) مبادىء الكيمياء الحديثة
(١١) علم الكهربائية
(١٢) ناموس الجاذبية
(١٣) علم التفاضل
(١٤) دورة الدم
(١٥) علم اللوغرثمات
(١٦) علم الهندسة والمثلثات

وقد اطلق على القرن التاسع عشر اسم عصر البخار لكثرة ما صُنع فيهِ من الآلات البخارية وما استفادهُ الناس منها. ولا يبعد ان يطلق على القرن العشرين اسم عصر الكهربائية حينما يتمكن عقل الانسان من اخضاع كل القوى الطبيعية والقبض عليها بزمام الكهربائية وارسالها من جهة الى اخرى بالاسلاك المعدنية او بالارض نفسها من غير موصل آخر . وقد شرعنا في ذلك من الآن ورأينا في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر المركبات الكبيرة تساق بالكهربائية والمعامل الوسيعة تدار بها . وبها يُقصَر الورق وتتلف الاقذار وتطبع الكتب وهي اطوع للانسان من كل القوى الطبيعية وانفع منها كلها واقدر منها على ملاشاة عوائق الزمان والمكان . وقد سهل تحويل كل القوى الطبيعية اليها وتحويلها الى غيرها من القوى وارسالها بسرعة البرق . واذا شاع استعمالها لتوليد الحرارة كما تستعمل لتوليد النور وصار الطعام يطبخ بها كما تنار بها المنازل صارت البيوت جنّات في نظافتها ونقاوة هوائها . واذا عرفنا ميكروبات كل الامراض وطرق الوقاية منها قلَّ فتكها كثيرًا فزاد نمو نوع الانسان وسهل عليهِ تعمير البلاد التي تمنعهُ امراضها من استيطانها الآن

وقد اخذ نوع الانسان في هذا النمو والانتشار منذ اوائل هذا القرن فكان عدد سكان الارض كلها في اولهِ ٦٤٠ مليونًا فصار الآن اكثر من الف وخمس مئة مليون اي مضى عليهم الوف كثيرة من السنين لم يبلغوا فيها سوى ستمئة مليون ثم زادوا في قرن واحد الف مليون . وهذه الزيادة ليست من كثرة المواليد بل من قلة الوفيات بمقاومة الامراض والاوبئة والمجاعات ونشر راية السلام في اكثر المعمور

وقد اتسع نطاق التجارة بازدياد عدد السكان وتسهيل سبل المواصلات فكانت قيمة متاجر الدنيا في اول هذا القرن نحو ٣٠٠ مليون جنيه في السنة وهي الآن نحو خمسة آلاف مليون جنيه اي زادت ستة عشر ضعفًا . وكان مقدار الفحم الذي استخرج من الارض في السنة الاولى من القرن نحو ١١ مليون طن فبلغ في العام الاخير منهُ سبع مئة مليون طن اي زاد نحو سبعين ضعفًا . وكان المستخرج من الحديد في العام الاول منهُ نحو ٤٦٠ الف طن فبلغ في العام الاخير منهُ نحو اربعين مليون طن . وكانت قيمة الذهب المستخرج سنويًا في اول القرن نحو مليونين ونصف من الجنيهات فصارت في آخرهِ اكثر من ستين مليونًا . وكانت مساحة الارض الزراعية نحو ٣٦٠ مليون فدان فبلغت الآن نحو تسع مئة مليون فدان . وكانت غلة القطن في السنة خمسة ملايين قنطار فبلغت الآن نحو ستين مليون قنطار

ويبقى هذا الفصل ناقصًا اذا لم نشر الى ما حدث فيهِ من التقدُّم العظيم في آلات الحرب

ووسائل الهجوم والدفاع . ولو ختم القرن التاسع عشر بمؤتمر السلام ولم يختم بالحرب الافريقية والثورة الصينية لقلنا ان اخلاق الناس وآدابهم بلغت من التهذيب والتدميث الحد الذي يتمناه محبو الخير العام لكنها لم تبلغ هذا الحد ولا يظهر انهُ تبلغهُ قريباً غير انها سائرة اليهِ رغماً عما يظهر منها آونة بعد اخرى من العود الى الهمجية والبربرية والاعتداء والاغتصاب. ودليلنا على ذلك قلّة قتلى الحروب الحديثة وحسن معاملة الاسرى وشدَّة الاهتمام بالجرحى والابتعاد عن التدمير والتخريب كلما مكنت الفرص. فان حرب الترنسفال هذه التي مرَّ عليها الآن سنة وبضعة اشهر ورحاها دائرة لم يقتل فيها قدر ما كان يقتل في معركة واحدة من المعارك القديمة

هذا وقد نشرنا فصلاً للاستاذ بخنر الالماني في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف قال في خاتمتهِ " ان ابناء القرن المقبل سيعلون علوًّا كبيرًا على ابناء هذا القرن بما يتصل اليهِ العقل البشري والقوَّة البشرية . ومن المحتمل اننا بالنسبة اليهم كما كان ابناء القرن الثامن عشر بالنسبة الينا من حيث ضعف المدارك او عدم بلوغها . وقد يصدق الذين يقولون اننا مع ما بلغناهُ من الارتقاء لا نزال في البداية بعيدين عن الغاية التي يسعى اليها نوع الانسان . ولقد احسن السر اسحق نيوتن حيث شبَّه الناس باطفال على شاطىء يلتقطون من هنا حصاة غريبة ومن هناك صدفة ملونة وبحر الحقائق مبسوط امامهم لم تخضهُ اقدامهم . وكل ما يقال عن المستقبل افتراض او احتمال لاننا لا نعلم موضعنا في سلسلة النشوء اي هل نحن في اولها او في وسطها او في آخرها . ذلك محجوب عنا بستار المستقبل فنتركهُ ونلتفت الى امر آخر وهو ان التقدُّم الذي تقدمهُ الانسان في المعرفة والقوة في القرن التاسع عشر لم يعمَّ المطالب الادبية والعقلية والاجتماعية والسياسية فمن المرجح ان تقدُّم القرن العشرين يكون في هذه المطالب اي في التوفيق بين الوجود والعقل لنزع الخلاف ونشر الوئام"

وغنيٌّ عن البيان ان كل ما تقدم من المكتشفات والمخترعات التي وجدت في القرن التاسع عشر قام بهِ الاوربيون والاميركيون لا غير فليس لنا نحن الشرقيين من ذلك كلهِ الأ جزء صغير جدًّا في علم الميكروبات اكتشفهُ الاستاذ كتاساتو الياباني. هذا اذا عددنا اليابانيين من الشرقيين ونظن انهم صاروا يأنفون من هذه النسبة الآن . اما ابناء مصر والشام والعراق وكل الممالك العثمانية وكل البلدان الافريقية وفارس والهند والصين وافغانستان وبلوخستان وتركستان فليس لهم ذرَّة تذكر في تقدُّم القرن التاسع عشر. غير ان هذه البلدان اشتركت في فوائد هذا القرن على درجات مختلفة وهو ما سنوضحهُ في الجزء التالي

القمر والتلسكوب الاكبر



وصفنا هذا التلسكوب منذ سنة في الجزء الاول من المجلد الرابع والعشرين الصادر في غرة يناير الماضي نقلاً عن اشهر الجرائد العلمية الاوربية والاميركية ثم رأيناهُ في الصيف الماضي فاذا الوصف منطبق عليهِ تمام الانطباق . وشاهدنا صورة فوتوغرافية كبيرة للقمر صنعت بهِ فجاءت على حسب المنتظر. وقد رأينا الآن فصلاً في هذا الموضوع في مجلة السترائد الانكليزية لمسيو دلنكل Deloncle الذي لهُ اليد الطولى في عملهِ بل هو مبتدع الرأي بانشائهِ فرأينا ان نعربهُ عنهُ لما فيهِ من الفائدة قال :

اني من الذين يثقون الثقة التامَّة بفائدة المعارض العمومية لترقية نوع الانسان وإحكام ربط الوئام بين افرادهِ وعندي ان البرنس البرت (زوج ملكة الانكليز) وهو اول من بذل الجهد لجمع الناس من كل الامم في هيد بارك (في المعرض الانكليزي الاول) منذ خمسين سنة يستحق ان يُعَدَّ مع اعظم المخترعين والمتفضلين على نوع الانسان. ولذلك فاني لما وقفتُ في مجلس النواب في شهر يوليو سنة ١٨٩٢ وطلبتُ ان نحيي قدوم القرن العشرين بمعرض عام في مدينة باريس فعلتُ ذلك مطاوعةً لاعتقادي الراسخ في نفسي. إلاَّ ان طلبي قوبل بالمقاومة في مجلس النواب وفي البلاد كلها لاسباب مختلفة ولكن الذين قاوموهُ اولاً عادوا فرضوا عنهُ . وكان

الجميع يخافون من ان باريس لا تستطيع ان تنشئ معرضاً يفوق المعرض الذي انشأته سنة ١٨٨٩ لما ناله ذلك المعرض من النجاح التام . واعترف الآن علانية اني كنت اخاف خوفهم احياناً غير ان خوفي هذا لم يكن من قبيل اتقان المعرض في بنائهِ وتنميقهِ لاني اقول ولا اخشى لومة لائم ان فرنسا تستطيع دائماً ان تفعل ما يروق امم العالم قاطبة . لكنني قلت في نفسي انهُ لا يكفي ان يكون هذا المعرض بالغاً حد الاتقان من حيث بناؤهُ وتنميقهُ بل يجب ايضاً ان يكون لهُ شأن يذكر في تاريخ الانسان بتقريبهِ ثمار العلم من افهام العامة العلم الذي سيقلب هيئة العالم بعد عهد قريب . وخطرت لي خواطر كثيرة من هذا القبيل كنت اضرب عنها صفحاً الواحد بعد الآخر لانها ليست مما يمكن اخراجهُ من القوة الى الفعل . ثم زرت مرصد باريس ذات يوم فصممت نيتي على ما يجب عملهُ . فان المسيو لوفي Lœwy مشتغل منذ زمن في هذا المرصد الشهير بعمل اطلس متقن لوجه القمر من صور فوتوغرافية مأخوذة بواسطة النظارة الاستوائية التي فيهِ كما يعلم ذلك الذين يهتمون بهذه المسائل . ولما كان لي مشاركة في علم الفلك وكنت اطالع كتبهُ احيانا على سبيل التسلية كان عمل المسيو لوفي مما يسرُّني بنوع خاص فقلت لهُ لو كان التلسكوب مضاعف ما هو لكانت النتيجة اتم

فقال لا شبهة في ذلك

فقلت ولو كان التلسكوب ثلاثة اضعاف ما هو الآن او اربعة اضعاف لكانت النتيجة اتم كثيراً

فقال نعم ولكن هذا التلسكوب لا يُصنع الاَّ بعد سنين كثيرة

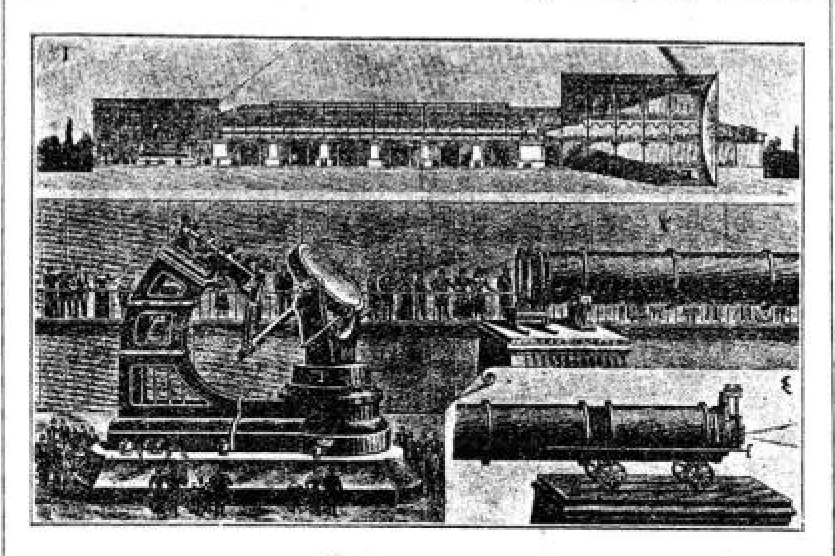
وحينئذٍ صممتُ نيتي على عمل التلسكوب الذي نحن بصددهِ وقلت في نفسي وانا خارج من المرصد لماذا لا اصنع تلسكوباً للمعرض يكون اكبر من كل تلسكوب صُنع حتى الآن . تلسكوباً يقرّب اجرام السماء . واي آلة تتسع بها دائرة الادراك اكثر مما تتسع بهذه الآلة

وقبلما وصلتُ الى بيتي كنت قد عزمت على انهُ ان كان الجد والاجتهاد يفعلان شيئاً فهذا الحلم يصير حقيقةً . وللحال رسمت لنفسي الخطة التي يجب ان اسير عليها فوجدت الجمهور راضياً عن هذا المشروع وانتشر بينهم القول ان القمر يصير على متر منَّا ! La Lune a un mètre كما ينتشر نور البرق في السماء

إلاَّ ان العلماء لم يرحبّوا بمشروعي كما رحَّب بهِ العامة بل قالوا انهُ من الاحلام التي لا يمكن اخراجها من القوة الى الفعل . فازدريت باعتراضاتهم في اول الامر لانني كنت محمولاً على اجنحة الخيال ولكن لما همد ثائر نفسي وجدت ان كثيراً من تلك الاعتراضات في محلهِ . وكل

باب قرعتهُ سمعت منهُ واحداً يقول " يستحيل عمل البلورات التي تطلبها " " يستحيل صقل هذه البلورات اذا كان عملها ممكناً " "يستحيل نصب هذا التلسكوب . ويستحيل ان يرى بهِ شيءٌ اذا امكن نصبهُ" . هذا ما سمعتهُ في باريس ودبلن ونيويورك

اما نحن البرتنيون فاهل عناد اذا قام في نفوسنا اننا في جادَّة الصواب فلا احد يستطيع صرفنا عنها . والموانع تقوي عزمنا على التغلب عليها بتفضيل الموت على الرجوع عمَّا نعتقدهُ صواباً او عمَّا نعدهُ فرضاً واجباً . فما كانت هذه المستحيلات المشار اليها الاَّ لتزيد همتي وتقوي عزيمتي فاثبت فسادها واحداً بعد الآخر



التلسكوب الاكبر (١) التلسكوب وهو موضوع وضعاً افقيًّا على عضائد متينة في البناء الخاص بهِ في شان ده مارس (٣) السيدروستات وفيهِ المرآة التي تنعكس عنها صورة الجرم السموي الى بلورة التلسكوب (٢) طرف التلسكوب الذي امام مرآة السيدروستات وفيهِ بلورتان مختلفتان يمكن ان توضع الواحدة منها او الاخرى (٤) الطرف الآخر من التلسكوب الذي فيهِ البلورة العينية وتخرج منها اشعة النور وترسم للجرم السموي صورة مكبرة على ستار كبير موضوع امامها كما ترى في يمين القسم الاعلى من الصورة

وصُنِعت البلورات بالحجم الذي طلبتهُ لكنها لم تصقل باليد كما تصقل البلورات دائماً بل بآلة اخترعت لها خاصةً . واني مع ما اشتهر بهِ قومي من العناد لم استطع ان امرَّ على ما يخالفهُ العقل فرأيت ان الذين قالوا باستحالة نصب تلسكوب طولهُ مئتا قدم كما ينصب التلسكوب عادة

مصيبون في قولهم ولذلك حلَّ هذا المشكل باستخدام السيدروستات الذي اخترعهُ فوكول العالم الطبيعي الشهير وهو مرآة تدار في كل جهة فتنعكس عنها صور الاجرام السموية ولذلك فالذي يُرى بالتلسكوب هو صور الاجرام لا الاجرام نفسها فيبقى التلسكوب مستقرًّا في مكانهِ وتدار المرآة وحدها

وقد يتعذَّر على المرء ان يتصوَّر مقدار المصاعب الادبية التي لقيتها اما بالمقاومة الفعليَّة او بالاغضاء والاهمال فضلاً عمَّا كان يتولاَّني من القنوط حينما اجد امامي اعتراضاً قويًّا ولا ارى عندي شيئًا انقضهُ بهِ غير اعتقادي الراسخ بأني سافوز بالنجاح

واخيرًا تمَّ التلسكوب ووُضع في مكانهِ ولم يبقَ الآن تجربتهُ وترى فعلهُ. ومن يلوموننا على ما كنَّا نشعر بهِ من السرور حينئذٍ انا والذين اخذوا بيدي من اول الامر وثبتوا معي الى النهاية كلَّما ابتدع احدٌ شيئًا خالف بهِ المألوف سمع من كثيرين الانباء بفشلهِ وكنتُ اعلم ان نجاحي لا يسرُّ كثيرين كما يسرني. ولم اجهل ان هذا التلسكوب سيوضع حيث لا يصلح وضعهُ فان قربهُ من النهر والغبار الكثير المتصاعد من اقدام مئات الالوف من الناس. وا تجاف الارض من حركة الآلات الكثيرة. وتغير حرارة الهواء وسطعان المصابيح الكهربائية العديدة - كل واحد من هذه الاشياء ونحوها ممَّا لم اذكرهُ لكي لا يملَّ القارئ كافٍ ليجعل ايَّ فلكي كان ييأس من النجاح ولو كان في مرصد مبنيٍّ في اصلح البقاع. لاسيما وانهُ تمضي اشهر وسنين على النظارات الجديدة قبلما تحكم التحكيم الواجب في الاماكن التي هواؤُها نقي قليل الحركة. لكن ثقتي لم تفارقني وقد اعدنا حساباتنا مرارًا كثيرة فلم نجد فيها شيئًا ممَّا يخشاهُ الذين كانوا ينتقدون عليَّ

ولما أُعدَّ كل شيء ازيح الجزء المتحرك من السقف وانكشفت مرآة السيدروستات امام وجه السماء وكنت واقفًا في الغرفة المظلمة على الجانب الآخر حيث الزجاجة العينيَّة من التلسكوب على مئتي قدم من المرآة انا وثلاثة من اصدقائي وامام التلفون رجل ينتظر اوامري حتى يرسلها بهِ الى الرجل الموكَّل بالاشغال التي تدير السيدروستات ومرآتهُ

وكان القمر قد طلع وظهر ببهائهِ في المرآة فقلت للرجل الذي امام التلفون ان يكلِّم الرجل الآخر ليدير المرآة الى اليسار ثم الى اليمين وللحال ارتسمت صورة القمر على لوح كبير من الزجاج الخشن حتى ملأتهُ فوقفنا في قلب باريس نرى صورة سلطان الليل ونحن نظرنا في جبالهِ واوديتهِ وقفارهِ وخرجت ظافرًا

وفي الرابع عشر من اغسطس صوَّر المسيو له مورفان الفلكي المشهور مساعد المسيو لوفي مدير

مرصد باريس صوراً فوتوغرافية للقمر بهذا التلسكوب طول الصورة منها قدمان وعرضها قدمان فكلٌ منها تزيد ضعفين على اكبر صورة صُوِّرت للقمر قبل الآن (والصورة المرسومة في صدر هذه المقالة منقولة عن واحدة منها)

ويظهر لي من هذه الصور ما يثبت الرأي الشائع وهو ان القمر جرم من المواد البركانية لا هواء لهُ ولا حياة فيهِ وذلك دليل آخر على ان ناموس النمو والانحلال عامٌ ومثال لما ستصير اليهِ ارضنا بعد ان تمرَّ عليها ملايين اخرى من السنين

والمستقبل وحدهُ يكشف لنا ما سيكشف بهذا التلسكوب ولكن لا شبهة عندي في انهُ سيزيد ما نعرفهُ من امر العوالم المحيطة بنا . وقد سررت لاني ادنيت الى افهام العامة قطوف هذا العلم الجليل الذي هو اقدم العلوم واوسعها نطاقاً . انتهى

من الهند الى المريخ

ألَّف المسيو فلورنوي استاذ علم النفس في مدرسة جنيفا الجامعة كتاباً سمَّاهُ "من الهند الى المريخ" ذكر فيهِ اموراً من اغرب الافعال الدماغية المنعكسة اي التي تحدث وليس لارادة الانسان تسلُّط عليها . وموضوع الكتاب هذه الافعال كما تظهر في امرأة من اهالي جنيفا بسويسرا عمرها نحو ثلاثين سنة عصبية المزاج شديدة الشعور تكثر التفكُّر والتخيُّل وبها ميل شديد الى الذهول والهذيان والتيه في عالم الوهم والخيال

ولبعض الاوربيين اعتقاد بمناجاة الارواح فيجتمعون لهذه الغاية ويزعمون انهم يستحضرونها فتحضر وتكلمهم بقرع الابواب والموائد ونحوها . فجعلت هذه المرأة تجتمع معهم لهذه الغاية وواظبت على ذلك فقوي فيها الميل الى الذهول وصارت تغيب عن نفسها احياناً وتتكلَّم وهي غائبة كأنها شخص آخر غير شخصها . قال الاستاذ فلورنوي في كتابهِ انها تصير في احدى هذه النوَب ماري انطونت ملكة فرنسا فتتغيَّر هيئتها وتصير تشير وتتكلم كأنها تلك الملكة نفسها ويحضر عليها وهي في هذه الحالة كاجليوسترو عشيق ماري انطونت فيكلمها ويخبرها باخبار عالم الغيب ويجعلها تكتب وتصوّر ما يأمرها بهِ . اي انها تتصوَّر وجود هذا الرجل امامها وتتكلَّم وتفعل كأنها تسمع كلامهُ وتطيع اوامرهُ ثم اذا استيقظت وعادت الى حالتها العادية لم تتذكر شيئاً مما جرى لها ولا مما قالتهُ وفعلتهُ

قال "وفي نوبة اخرى من النوب التي تعتريها او الادوار التي تمرُّ عليها تتكلم كأنها انتقلت

الى المريخ فتصير تصف ما تراهُ فيهِ من المناظر وتتكلم بلغة اهلهِ وتكتب ما تزعم انهُ خطهم

وفي نوبة ثالثة تصير احدى اميرات الهند اللواتي عشنَ في غرة القرن الخامس عشر واسمها سمنديني فتخبر عن حالها وعن الذين حولها من اهالي الهند وتقول ان اسم زوجها سقروكا وانهُ ملك على قنارة وهو الذي بنى قلعة تشاندره غوبري سنة ١٤٠١ للميلاد. وتصف حالة الهند في ذلك العصر. وتتكلم حينئذٍ لغةً تشبه السنسكريت لغة الهنود القديمة وتكتب خطاً يشبه خطها مع انها لا تعرف في يقظتها غير الفرنسوية. ومن الغريب ان الوصف الذي تصف الهند بهِ حقيقي ينطبق على حالها في ذلك العصر والاسماء التي تذكرها ليست وهمية بل حقيقية واردة في تاريخ قديم ألفهُ المسيو ده مارله سنة ١٨٢٨ وهي لم ترَ هذا الكتاب قط لانهُ نادر جداً غالي الثمن وليس في جنيفا كلها نسخة منهُ" . انتهى

وهذه المرأة فقيرة الحال تخدم في مخزن النهار كلهُ لتكتسب ما يقوم بمعيشتها ولما انتشر كتاب الاستاذ فلورنوى ذاع بهِ اسمها فقصدها كثيرون من البلدان الاوربية والاميركية للوقوف على حقيقة امرها فلم تقابل الاَّ قليلين منهم لان غيبوبتها ومرورها على الادوار المتقدم ذكرها يتعبانها كثيرًا فتفيق من الغيبوبة منهوكة القوى غير قادرة على عمل من الاعمال . ولما رأى هؤلاء ما هي فيهِ من فقر الحال عرضوا عليها الاموال فلم تقبل شيئًا منها

واتفق ان سيدة شريفة من معارفي كانت في جنيفا لما كنت فيها في الصيف الماضي فاهتمت بامرها ولما رأت ما هي فيهِ من الضيق واضطرارها الى الاشتغال النهار كلهُ لتحصيل معيشتها اقنعتها بالانقطاع عن هذا العمل وقطعت لها مالاً يكفي لمعيشتها وبواسطتها تعرَّفتُ بها وكان ذلك في اليوم الاخير من قيامي في جنيفا فسألتها عما اذا كانت تشعر في يقظتها بشيءٍ مما تشعر بهِ او تفعلهُ وهي في غيبوبتها فقالت كلاَّ وانما يقصُّون عليَّ حينما استيقظ ما قلتهُ وما فعلتهُ وانا في حالة الغيبة فيأخذني العجب واكاد لا اصدقهم لولا اقتناعي بانهم قوم صادقون لا غرض لهم من الكذب عليَّ . فقلت لها وهل تشعرين بشيءٍ غير عادي عند استيقاظك فقالت نعم اشعر بضعف شديد جسمًا وعقلاً فانطرح على فراشي لا استطيع الحراك . فقلت لها ماذا كنت تفعلين حتى تصيبكِ هذه النوَب . فقالت ان الاستاذ فلورنوى كان ينومني اولاً بالاستهواء اما الآن فانام او اغيب عن صوابي كلما جلستُ مع بعض الناس في مكان مظلم وصمتنا مدة عن الكلام وابطلنا الحركة. فقلت لها هل هذه النوَب آخذة في الشدة او هي آخذة في الضعف فقالت انها تقوى عليَّ اذا غبت مرة كل يومين او ثلاثة واما اذا انقطعتُ عن الغيبوبة مدة ضعف فعلها . فقلت لها وهل تعتقدين بصحة شيءٍ مما يبدو منكِ اي هل تظهر فيكِ تارة

نفس ماري انطونت وتارة نفس اميرة من اميرات الهند . فصمتت برهة ثم قالت وهي شاخصة الى الفضاء " لا ادري ولا اريد ان ادري فان هذه الحالة تتعبني جداً واريد التخلص منها كلها "

وهي طويلة القامة مملوءة الجسم سمراء اللون سوداء الشعر عيناها كبيرتان شاخصتان في اكثر الاحيان كأنها تفكر في امور عويصة قليلة الكلام قليلة الاشارات تلبس لبساً ساذجاً جداً

اما الاستاذ فلورنوى فشاهدتهُ في باريس في مؤتمر العلوم النفسية وهو حذور جداً في كلامهِ يذكر ما رآهُ من هذه المرأة ويقف عندهُ اي انهُ لا يدعي تعليلهُ بتقمص الارواح ولا بحلولها ولا بغير ذلك

نجيب صروف

الجغرافية عند المغاربة

بعد ان قدمت الكلام على الجغرافية عند اهل المشرق رأيت من اللازم ان الم بالجغرافية عند اهل المغرب وبحسن خدمتهم لها وسعيهم في ارتقائها وانا موقن بان هذا الموضوع مفروغ عنهُ ولكن ذكر من خدم العلم امر يحتم على الذمم قضاؤهُ ولا بأس بتكرار الحسنات ما دام المكرَّر احلى

قال الجغرافي كورتامبر الشهير . الظاهر ان علم الجغرافية نشأ في مصر فقد روي ان (سزوستريس) كان لهُ فهرس رسمت فيهِ الطرق والاراضي والبحار لتتخذ بمثابة دليل لعامة السياح والجيوش . ومنذ اعصر متطاولة صُنع تقويم املاك القطر المصري الذي هو عبارة عن وصف مدقق للاراضي المسجلة على مدارج وطوامير

ولقد رسم العبرانيون وهم تلامذة المصريين في العلوم مصوَّر بلاد كنعان لما انتهوا الى هذه الارض الموعودة. ولا شك ان الفينيقيين والقرطاجنيين وهم شعوب بحارة كانوا ذوي معرفة بعلم الجغرافية . وبلغت سياحة حانون القرطاجني الساحلية حوالي جزء من قارة افريقية مبلغاً عظيماً من الاشتهار بين الرحلات . ولعلَّ الفينيقيين الذين بعث بهم نخاو ملك مصر هم اول من طاف حول افريقية في القرن التاسع قبل المسيح. وكان اليونان في الاعصر الخرافية يهتمون بالجغرافية للسياحات التي شرع بها ابطالهم لاغتنام جزة الكبش والغالب ان هذا الحملة سارت الى البحر الاسود . وفي سنة ٦٣٩ ق. م حملت الرياح الشرقية كولوس بالرغم عنهُ وقذفت بهِ من جزيرة ساموس الى تارتس عند مصب نهر كاد الكيفير اعظم انهار اسبانيا وهو اول داخل من هذه الامة الى ما وراء الجبلين اللذين في فم جبل طارق ذاك المضيق الذي سبق الفينيقيون والقرطاجنيون فاجتازوهُ من عهد عهيد

وصنع هيكاته تلميذ فيثاغورس جغرافية للمشرق وكذلك ادخل انا كسياندر تلميذ تالس الى وطنهِ استعمال المصورات الجغرافية وهكذا عمل سيلاكس نحو سنة ٥٠٠ ق . م جغرافية البحر الهندي . وكان لارسطوطاليس الذي الف نبذة على العالم رأيٌ سديد في شكل الارض ووصف اقسام الكرة المعروفة لعهدهِ . وكان المهندسون يرافقون الاسكندر المقدونيّ في غزواتهِ وكلما توغل هذا الفاتح العظيم في قارَّة آسيا يرسمون مصوَّر الاماكن النازل بها فقد وصف نيارك رئيس اسطولهِ شواطئ بلاد فارس وطرفاً من ديار الهند ونظم ديسيارك احد صغار الجغرافيين اليونانيين شعراً في وصف بلاد اليونان في القرن الرابع قبل المسيح

وساح پيتياس المرسيليّ اذ ذاك سياحات كبرى في اطراف الشمال الغربي من اوربا وفي عُرض البحر المتوسط والبحر الاسود . وشرع اودوكس بترقية الجغرافية الفلكية في القرن الرابع . وفي القرن الثالث رسم ايراتوستين جدولاً تامًّا اتى فيهِ على ما عرف من الجغرافية لعهدهِ . ووضع هيبارخس في القرن التالي قواعد جغرافية واضحة الاسلوب . وزار اودوكس السيزيكي اصقاع الهند والشواطئ الشرقية من بلاد الحبشة وجميع البحر المتوسط ومينا قادش ويخمنون انهُ طاف حول قارة افريقية . وبوسائط متقنة عرف بوزيدونيوس حجم الارض

وكان المؤرخون اليونانيون امثال هيرودتس في القرن الخامس ق . م وتوسيديدس وزنوفون في القرن الرابع وپوليبس في القرن الثاني علماء في الجغرافية . ومزج الشاعران اليونانيان هوميروس وازيودس اوصافاً جغرافية في تصوراتهما الشعرية ملئت سداداً وحكمة . وانهُ لتصح تسمية العصر اللاتيني بآخر جزءٍ من تاريخ الاعمال الجغرافية عند القدماء لان الرومانيين كانوا في هذا العصر باسطي ايديهم على كل ما عُرف من البسيطة تقريباً

وترى كذلك لذاك العهد بلينوس الذي صنع اعظم جريدة جغرافية قديمة وان عثر عثرات تكاد تكون شائنة . وكتب سترابون وبطليموس جغرافية باللغة اليونانية وهما من اعظم المدققين واصحاب البصائر بين قدماء الجغرافيين . واشتهر بومبونيوس ملا بطلاوة اوصافهِ . ووصف بوزانياس بلاد اليونان وصفاً طوبوغرافياً مهمًّا . والف مارين من مدينة صور مصنفاً جغرافياً تامًّا انتابتهُ ايدي الضياع . وانشأ اغريبا وصفاً لمملكة الرومان الواسعة وصنع مصوَّراً مشهوراً . ووضع امّين مارسلين في القرن الرابع مبادئ واضحة على مركز الشعوب الجرمانية والسارماسية الاولى يعزي اليهم تأسيس جمّاع الممالك الاوربية الحديثة . ويمثل دليل انطونين المنسوب للامبراطور المعروف بهذا الاسم صورة ثمينة لمساوف الاماكن في كل اراضي المملكة . ومن اكبر المصوَّرات واعجب فهارس الادلة التي لم يعرف تاريخها معرفة حقيقية ذاك المصوَّر

المعروف باسم بوتينجر احد علماء الالمان وهو الذي عثر عليهِ نحو عام ١٥٠٠ واطلق عليهِ اسم الجدول التيودوسي لما ان تاريخهُ يُرَدُّ الى الامبراطور تيودوسيوس

وفي القرن الرابع خلَّف احد مسيحيي مدينة بوردو دليلاً مشهورًا من هذه المدينة الى البيت المقدس . وقد عثر عام ١٨٥٢ على ثلاث اوانٍ من الفضة حُفر عليها دليل من قادش الى رومة في اواخر المملكة الرومانية وذلك في حمامات فيكارلو على مقربة من مدينة رومة . وابق اتيوس في القرن الخامس معلومات جغرافية مهمة . وكذلك قُل عن موسى دو خورن فقد فصل غربي آسيا تفصيلاً جغرافيًّا غاية في الابداع

وفي القرن السادس الف اتين دو بيزانس معجماً جغرافيًّا . ووصف كوسماس جانبًا من الهند وصفاً مدققاً غير انهُ وضع لشكل الارض طريقة من اغرب الطرق . ولاحظ بروكوب عدة ملاحظات على الشعوب المجاورة للبحر الاسود والقوقاز

وبُعَيد ذلك غادر فن الجغرافية ربوع الامم المسيحية واقسم ان لا يمارس زمناً طويلاً الاَّ عند العرب فقد ساعد الخليفة هرون الرشيد والخليفة المأمون على ترقية هذا الفن . فنشر ابن حوقل في القرن العاشر مصنفاً جغرافيًّا كبيرًا والمقدسي او ابن البنا هو من جلة علماء الجغرافية في هذا القرن ايضاً لكن الادريسي الملقب بجغرافي نوبية ذهب بفضل الشهرة واستأثر بها دونهُ . ثم انهُ توطن صقلية في القرن الثاني عشر فصنع للملك روجر الثاني وصفاً للعالم اشتهر شهرة الشمس والقمر ووصف البسيطة في كرتهِ الارضية المسطحة كأنها محاطة من شرقها الى غربها ببحر الظلمات الذي سماه بحر القطران وسمى البحر الابيض المتوسط بحر الشام وارض الشام وهذا الجزء من الارض شغل تقريبًا وسط مصوَّرهِ وشمل ايضاً غربيَّ آسيا

ورسم على التخوم الشمالية في هذا الجزء من العالم مملكة يأجوج ومأجوج وجبل كوكوجا او القوقاز او جبال اورال وفي الشرق التبت والصين وفي الجنوب الهند واليمن وعمان من بلاد العرب وذهب الى ان البحر الاخضر هو الخليج الفارسيّ ودعا البحر الاحمر ببحر القلزم وبحر الخزر ببحر الكرج ولم يذكر من قارة اوربا الاَّ روسيا وجرمانيا والاندلس وايطاليا ومقدونيا ومدَّ قارة افريقية الى الجنوب الشرقي ووصلها ببلاد واق الواق ومدغسكر ورسم في شمالها مصر وتونس وفي داخليتها جبال القمر تنفجر منها ينابيع نيل مصر وفي الغرب نيل الزنوج (النيجر) الذي يصب في البحر الغربي

اما ابو الفدا صاحب حماة في سورية وابن بطوطة العالم الرحالة في آسيا وافريقية فهما ايضاً من مشاهير ارباب الجغرافية جاءَا بعد الادريسي

ومع هذا فقد عاد فن الجغرافية فنشأ في اوربا فاكتشف النروجيون في القرن التاسع ايزلاندة نحو الشمال واكتشف الايزلانديون غريلاندة وحوالي القرن العاشر كشفت فينلاندة وفي القرن نفسهِ وصف قسطنطين بورفيروجينت امبراطور الشرق الشعوب والممالك المتاخمة لمملكتهِ وصفاً مشبعاً . وفي القرن الثالث عشر زار بنيامين الطليطلي آسيا . ورحل كل من بلان دوكاربين وروبريكس واسلين الى بلاد التتار واسفارهم غريبة في بابها. وكان من اعظم روّاد هذا القرن ماركو بولو البندقيّ فانهُ اول من طاف الصين وقال بوجود اليابان . وفي عام ١٣٠٢ اتقن جيوجا دامالفي صورة الابرة المغنطيسية المعروفة لذلك العهد القليلة الاستعمال اتقاناً فاق بهِ من تقدمهُ ونشر استعمال هذه الآلة الثمينة التي ساعدت كثيراً على نجاح فن الجغرافية

وساح مانداڤيل الانكليزي سياحات مفيدة في الشرق دامت منذ عام ١٣٢٢ الى ١٣٥٦. وساح بالدانسان الالماني سياحة شهيرة في الارض المقدسة عام ١٣٣٤. وتتبع في هذا القرن شيلدبرجر من مدينة مونيخ خطوات تيمورلنك في غزواتهِ . وبلغ بودوين بوكولدي حتى مدينة بكين وزار اودريك دوبورتنو الايطاليّ بلاد الهند والصين . واحرز البنادقة والكتلانيون والجنويون اعظم ذكر في الاعمال الجغرافية في القران الرابع عشر والخامس عشر. ووضع الكتلانيون مصوَّرات لسير الملاحين في البحر واشهر المصورات التي صنعها الكتلانيون هي التي صورت نحو سنة ١٣٧٥ وهي محفوظة في خزانة كتب الامة بباريس . وبلغ الجنويون جزائر كناريا عام ١٣٤١. وساح الاخوان زيني في جزائر فارير وغريلاندة وغيرها من الاقطار القاصية في الشمال. ويظهر ان الكتلانيين قطعوا رأس بوجادور سنة ١٣٤٦ وان الديبويين وصلوا الى غينة منذ عام ١٣٦٤

ويؤخذ من الكتب الخطية التي عثر عليها اليوم في مدينة جنو الايطالية ان ملاحين جنويين انتهى بهما امد السفر الى السينيغال منذ القرن الثالث عشر . وفي القرن الخامس عشر بدأت الابحاث المعجبة من اكتشافات البرتغاليين وفتوحاتهم فوصلوا الى جزائر ماديرا عام ١٤١٩ والى الآسور عام ١٤٣٢ واجتازوا رأس بوجادور عام ١٤٣٣ وقد كان يعتبر لذلك العهد اقصى حدود الدنيا على الجملة. ورأوا الرأس الاخضر عام ١٤٤٤ ووفدوا على جزائر كناريا عام ١٤٤٦ غير ان رجلاً افرنسياً اسمهُ بيتانكور كان قد افتتحها من قبل عام ١٤٠٢ باسم ملك كاستيل . ولا ننسَ في هذا القرن ايضاً رحلات كيلبر دولانوى وبرىدانباش الى الاراضي المقدسة ورحلات كلافيجو المنفذ من قبل البلاط الاسباني الى بلاط سمرقند

واليك إجمالاً لما كانت عليهِ المعارف الجغرافية في النصف الاول من القرن الخامس عشر اعني في غاية القرون المتوسطة فقد كانت قارة اوربا معروفة كلها تقريباً ما خلا الشمال الشرقي حيثما كانت الظلمة رافعة قبابها بعدُ على الصقع الواقع شرقيّ البحر الابيض وشماليّ قبائل الكابتشاك

وكان يعرف عن قارة آسيا التي كادت تكون مملكة المغول مستغرقة اياها برمتها كثيرٌ من المعلومات التقريبية خصوصاً ما يتعلق بالغرب والجنوب والشرق الى حدود الصين. والناس وقتئذٍ موقنون بوجود اليابان لكن لم تكن قدم احد لتطأها. وقصارى القول لم تكن تعرف آسيا الشمالية اعني سيبريا الحالية لذلك كان يطلق عليها اسم بلاد الظلمات

ولم يعرف في افريقية ما يقر عليهِ الخاطر لا من جنوب خط الاستواء ولا من غرب دائرة نصف النهار في جزائر كناريا

اما قارة اميركا فقد كانت ايزلاندة وغرينلاندة وفينلاندة مستعمرةً بجماعة من السكندنياويين ولكن دون ان يعلم انهم احتلوا جزءا من الدنيا الجديدة الواسعة التي كشفها كولمبس فيما بعد. ولسوء البخت انفصلت مستعمرات غرينلاندة وفينلاندة المهمة عن ام المستعمرات وانتهت الحال بان تنوسي امرها بتة في اوربا حتى كأنها اكتشفت اكتشافاً جديداً في القرون التالية

ومن اشهر الآثار التي اعانت المعارف الجغرافية في ثلاث فرص شهيرة في ذاك القرن مصورُ نصف الكرة لصاحبهِ فرامورو في اواسط القرن وكرة مارتين بهيم عام ١٤٩٢ قبيل ان يكتشف كولمبس قارة اميركا ومصور نصف الكرة لصانعهِ جوان دولا كوزا ملاح كولمبس وهو الذي فرغ من رسمهِ عام ١٥٠٠.

وافتتح النصف الاخير من القرن الخامس عشر الاجيال الحديثة باكتشاف جنوبي افريقية واميركا واكتشاف البرتغاليين لجزائر الرأس الاخضر عام ١٤٥٠ و ١٤٥٦ وفي عام ١٤٦٢ انتهوا الى شاطئ غينة الاعلى وفي عام ١٤٨٤ الى مصب نهر الزايير. وسنة ١٤٨٦ وصل احد سياحهم بارتلي دياز الى رأس الزوابع المشتهر فيما بعد باسم رأس الرجاء الصالح. واجتاز المدعو فاسكو دوغاما هذا الرأس عام ١٤٩٦ كيما يجد طريقاً الى الهند من المضيق الجنوبيّ في افريقية ويكشف لاوربا جميع الشاطئ الجنوبي الشرقي من هذه الجزر من اطراف المعمور

وسنة ١٤٩٢ اكتشف خريستوف كولمبس الجنوي على مراكب اسبانية طرفاً من جزائر الارخبيل فدعيت باسم لوكاي وكوبا وهايتي وقد أُلقي في قلب هذا الرجل العظيم ان الارض مدورة الشكل واقتنع بانهُ كلما تقدم الى الغرب يصل الى آسيا الشرقية وكان يذهب الى ان قارة آسيا ممتدة الى الشرق اكثر مما هي عليهِ حقيقة وان بلاد اليابان ابعد عن آسيا مما هي عليهِ

يعني انهُ لما وصل الى الجزائر الاميركية تراءى لهُ انهُ صار الى اراض مستقلة عن الهند الاسيوية فمن ثم اطلق عليها هذا الاسم الاخير الذي انقلب حالاً الى الهند الغربية . اما اسم ارخبيل او انتيل فقد جاءها مما كانوا يذهبون اليهِ من انهُ يوجد في هذه الجزائر ارض يابسة من انتيليا وبعضهم يعين مركزها غربي آسور وهو رأي مبهم للغاية انتشر في القرون المتوسطة . واختلف كولمبس الى اميركا ثلاث مرات وفي الثانية التي جرت سنة ١٤٩٣ رأى اغلب جزيرات الارخبيل واكتشف في الثالثة عام ١٤٩٨ برَّ اميركا الجنوبية فسار على شاطئها الشمالي منذ مصب نهر الاورينوك الى كاركاس ودعاها مملكة الارض الثابتة وفي سياحتهِ الرابعة عام ١٥٠٢ احكم معرفة الشاطىء الشمالي من اميركا الجنوبية حتى خليج دارين

اما يوحنا كابوت وابنهُ سباستين اللذان كانا متعلقين بخدمة انكلترا فقد وصلا اول الناس الى البر الجديد عام ١٤٩٤ وعرجا على ايكوسا الحديثة ولابرادور والارض الجديدة . ويزعمون ان امريك او البيريك اولمبيريك فسبوس الفلورنسي قد افضى الى الشاطىء الشرقي من اميركا عام ١٤٩٧ ورحل عدة رحلات عام ١٤٩٩ وتوابعها ففاز بالمجد وحاز الفخار بان لُقِّب العالم الجديد باسمهِ . وقد قام طابع الماني واسمهُ فالتزمولر عام ١٥٠٧ بان نشر قصة سياحات امريك فسبوس المشار اليهِ وكذلك قطع فنسان ينزون خط الاستواء من ناحية اميركا وبحرها الاتلانتيكي عام ١٤٩٩

وازمع كابرال الشخوص الى رأس الرجاء الصالح فقذفت بهِ الرياح والتيارات الى الشاطىء الشرقي من اميركا وانتهت بهِ عام ١٥٠٠ الى البرازيل وهكذا كانت اميركا تكتشف عرضاً بلا تعمُّل ايان لم يكتشفها كولمبس

وكان القرن السادس عشر عصراً كبرت فيهِ دائرة الجغرافية كبراً مفرطاً ففي عام ١٥٠١ وصل كورتيرال الى لابرادور وفي عام ١٥٠٣ ظهر ان بولميه دوكونفيل بلغ في طوافهِ جنوبي البحر الاتلانتيكي الى المنطقة الجنوبية وفي خلال تلك المدة جاز سوليس الى ريود ولابلاتا . وفي سنة ١٥١٢ اكتشف پونس دوليون مملكة فلوريدا . وفي سنة ١٥١٣ عرف نيونز دوبالبوا بوجود برزخ باناما وشهد اول الشاهدين الاوقيانوس الكبير الذي دعاه باسم بحر الجنوب . وتوفق كورتز الى اخضاع بلاد المكسيك عام ١٥١٩ . واكتشف بيزارو من عام ١٥١٦ الى ١٥٢٤ مقاطعة بيرو وتوفر على افتتاحها وتسخيرها وكان احد رفاقهِ في تلك الرحلة اورلانا اول من نزل الى نهر الامازون. وفي عام ١٥٢٠ قام ماجلان واكتشف المضيق الذي سماه باسمهِ بين ارض النار والطرف الجنوبي من اميركا ودخل في المحيط الكبير ودعاهُ بالاوقيانوس

الباسيفيكي اي الهادي؛ لكنهُ قضى نحبهُ في جزائر فيلبين عام ١٥٢١ . ورجعت عام ١٥٢٢ الى اسبانيا السفينة التي تولى قيادتها فيما بعد كانوا الذي اجتاز رأس الرجاء الصالح وعلى هذا قامت الاولى بطواف العالم بحرًا وقد قص بيكافيتا الذي كان مرافقاً للحملة قصتها بايضاح جلي

وفي عام ١٥٣٤ توغل يعقوب كارتيه الفرنساوي في كندا بطريق نهر سنت لورانس واستولى عليها باسم فرنسيس الاول . واستقرى فيرازانو البحري الفلورنسي الذي كان في خدمة هذا الملك الشواطئ الاميركية ورأس الارض الجديدة. وفي هذه الغضون من القرن السادس عشر شرع تريستان داكونها وفرنسيس ولوران دالميدا والبوكرك في مواصلة الحملات البرتغالية حوالي افريقية الجنوبية والهند مواصلة آلت الى احسن النتائج. ووصل بدرو داندرادا وفرناندوبريز الى الصين عن طريق البحر . وقام ايضاً اناسٌ من البرتغاليين وزاروا جزائر الملوك وغينة الجديدة ولعلهم انتهوا الى استراليا ووصلوا عام ١٥٤٣ الى اليابان

وبعد قليل من الزمن انخرط الانكليز في سلك الاكتشافات واخذوا يستوفون حظهم منها فان ولوبي عام ١٥٥٣ وبرو عام ١٥٥٦ طافا البحر المتجمد الشمالي في اوربا وما كان اقصى غايتهما من وراء هذا الطواف الا التنقيب عن منفذ يؤدي الى الشمال الشرقي من العالم الجديد. وتوغل فروبشر منذ عام ١٥٦٧ الى ١٥٧٨ ودافيس عام ١٥٨٥ في الاطراف الشمالية من البحر الاتلانتيكي . وارتاد دارك في الشمال الشرقي من اميركا الشواطئ الغربية من هذه القارة وذلك منذ عام ١٥٧٧ الى ١٥٨٠ وساح مرة ثانية في العالم ومشى على اثره كافانديش .وفي عام ١٥٨٤ اسس ربلي مستعمرة فيرجيني. وقام قبيل ذلك احد رجال الفرنسيس المدعو ريبول واسس مستعمرات الكارولين

وحاز الهولانديون ايضاً نصيبهم من الدخول في غمار تلك الحركة التي قامت على ساقها لاكتشاف الكرة في اواخر القرن السادس عشر فزار بارنتس ودوفير البحر المتجمد الشمالي وشاهدا جزائر اسبتزبرج وجزيرتي زامبل الجديدة . وقام نورت عام ١٥٩٨ وتوابعها بسياحة حول الارض متبعاً في ذلك الخطة التي جرى عليها ماجلان

وفي نحو القرن السادس عشر طاف الاسبانيان ماندانا وكيروس البحر المحيط الباسيفيكي وسنة ١٥٨٠ اكتشف القوقازي ايرماك قطعة سيبيريا وافتتحها باسم الدولة الروسية

وفي القرن السابع عشر فاز الهولانديون خاصة بعدة اكتشافات جميلة وانشاء المستعمرات الشاسعة وافضى بهم المسير سنة ١٦٠٦ وتوابعها الى هولاندة الجديدة . وسنة ١٦١٠ وجد يوحنا ماين في البحر المتجمد الشمالي الجزيرة المعروفة باسمهِ . وسنة ١٦٢٦ اكتشف كل من

شوتن ولومير رأس هورن واجتازا المحيط الكبير. وسنة ١٦٤٢ جاب هابيل تاسمان جزءا عظيماً من شواطىء هولاندة الجديدة ورأى ارض ديامان او تاسماني وزيلاندة الجديدة

واكتشف الانكليزيان هدسن وبفن عام ١٦١٠ وتوابعها البحار التي في شمالي اميركا المدعوة باسميهما وساح وطنيهما دمبير ثلاث سياحات حول العالم. وفي خلال هذا القرن زار بلاد فارس والهند وبلاد الاتراك في آسيا كل من تفنوت وشاردين وتافرنيه وتورنفور من امة الفرنسيس وزار بايكوف الروسي مدينة بكين عام ١٦٥٤. وذهب كامبفر الى اليابان عام ١٦٨٣

وفي القرن الثامن عشر زادت الحملات حول الارض زيادة خاصة فكانت رحلة روجوين عام ١٧٠١ وانسون عام ١٧٤٠ وبيرون سنة ١٧٦٥ ووليس وكارترت سنة ١٧٦٦ وبوجنفيل سنة ١٧٦٨ وكوك من سنة ١٧٦٨ الى ١٧٧٩. واهم الرحلات كلها رحلة فورنو عام ١٧٧٣ وبيروز وانتركستو من سنة ١٧٨٥ الى ١٧٩١ وفانكوفر سنة ١٧٩٠ ومارشان سنة ١٧٩١ وباس وفلندرس طافا تاسمانيا سنة ١٧٩٨. واكتشف بهرنغ سنة ١٧٢٨ المضيق الذي عرف باسمهِ. وطاف كرجولان سنة ١٧٧١ البحار الجنوبية فوجد الارض التي لقبت باسمهِ

ويمكنك ان تعد في مصاف السياحات في داخلية الارض رحلة الاب كوبيل وغيره من المرسلين الفرنساوية الى مملكة الصين اوائل القرن وسياحة لاكوندامين وبوركير الى اميركا الجنوبية سنة ١٧٣٦ وسياحة ادانسون الى السينيغال ورحلات لجانتيل الى الهند ونيبوهر الى بلاد العرب وپالاس الى سيبريا وتونبرغ الى اليابان وڤولني ولوشڤاليه الى غربي آسيا ونوردن الى مصر وبروس الى الحبشة ومنبع النيل الازرق. وكذلك رحلات دوكين وماركتي الى الصين وبرون ومنكوپارك وهورنمان الى داخلية افريقية. وكان للحملة الفرنسوية الى مصر عام ١٧٩٨ اوفر نصيب من الاشتهار وسياحة ماكنزي في شمالي اميركا والسياحة التي شرع بها همبولت عام ١٧٩٩ الى اميركا. انتهى

هذا ما ترجمتهُ عن مقال العالم الافرنسي وهنا جاء على فصل ضافٍ عدَّد فيهِ الرحلات البرّيَّة والبحريَّة والاكتشافات الداخليَّة والخارجيَّة التي توفق اليها رجال الفرنجة في القرن التاسع عشر بحيث لم تبقَ فيهِ مدينة ولا كورة ولا قرية بل ولا جبل او مضيق او واد او نهر الاَّ وعرفت بما تهيأ من اجلها في البلاد المتمدنة من الجرائد والنوادي والمؤتمرات والاعتمادات التي تتكبدها حكومات الغرب تنشيطاً لمن يقرون البلاد ويبحثون في احوال العباد وخدمة للانسانية والمدنية. فسبحان من رغَّب اهل الغرب في كل مفيد ورغَّب اهل الشرق عن كل طريف وتليد ..

محمد كرد علي

الحيوان المزهر والنبات المفترس

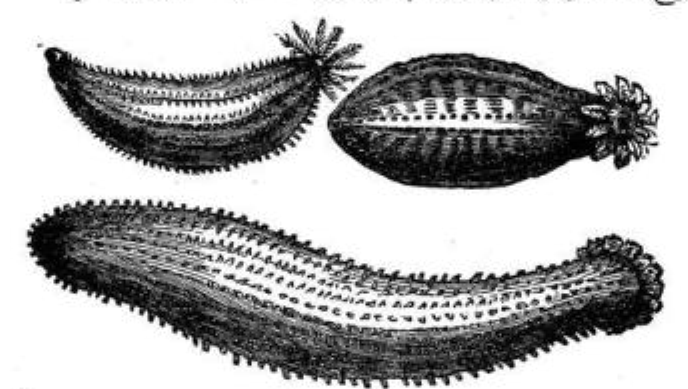
الافتراس للحيوان فهو الذي يسعى في طلب رزقهِ ولا يكتفي بما تنبت الارض من نباتها وتنضج من ثمارها بل يعتدي كبيرهُ على صغيرهِ وقويّهُ على ضعيفهِ وقد يعتدي الصغير على الكبير والضعيف على القوي فيفترس احدهُ الآخر افتراساً. ولا تعرف انواعهُ شفقة ولا حناناً فترى الهرَّ يأكل اجراءه وصغار العناكب تأكل امّاتها والهوام تلصق بابدان الدواب وتمتصُّ دمها وكلٌّ يسعى في شأنهِ . واما النبات فتنشب جذورهُ في الارض ويستقرُّ فيها ويكتفي بما تمتصهُ جذورهُ من عناصرها وبما تتناولهُ اوراقهُ من الهواء الذي حولهُ وهو لا يعيش عيشة الزاهد المكتفي بالقليل بل يعتدي على ما حولهُ من النبات ويناظرهُ في التهام الغذاء لكنهُ يفعل ذلك مستقرًّا في مكانهِ غير ساعٍ في طلب رزقهِ

وكان المظنون ان بين الحيوان والنبات حدًّا فاصلاً من هذا القبيل لا يتعدَّاهُ الحيوان فيستقر ويغتذي من الجماد ولا يتعدَّاهُ النبات فيسعى ويفترس الحيوان. لكن ظهر لدى امعان النظر ان الاحياء الارضية سلسلة متصلة الحلق وقد نقض البحث والاستقراء الحدود القديمة وكشفا عن نباتات خالية من الجذور او من الاوراق او من الجذور والاوراق معاً تلصق بغيرها من النبات وتغتذي بهِ ونباتات اخرى تسعى سعي الحيوان وتنتقل من مكان الى آخر بل تفترس الحيوان افتراساً وعن حيوانات تلصق في مكانها كالنبات وتغتذي مثلهُ مما يصل اليها لا مما تسعى لهُ . ومن هذه الحيوانات ما يتفرَّع مثل النبات ويزهر مثلهُ من ذلك الحيوانات المعروفة بشقائق البحر وهي تزري بشقائق النعمان لوناً وبهاء مقامها في البحر تلصق بالصخور قرب الشاطىء في الاماكن القليلة التعرض للامواج. جسمها انبوب جلدي القوام قاعدتهُ واسعة لتتمكن بالصخر الذي تلصق بهِ ورأسها متفرّش كزهر الاقحوان او الشقيق او نحوها من الازهار المنبسطة وفمها في وسط هذا الرأس وهي مختلفة الالوان بعضها برتقالي ورأسهُ قرنفلي وبعضها اصفر منموش وشعر رأسهِ ابيض وبعضها مرقّط او مخطط بالاحمر والابيض وشعر رأسهِ اصفر او احمر وبعضها يحيط بساقهِ حلقات بنية وبيضاء على التعاقب وشعر رأسهِ اخضر . وبعضها ساقهُ خضراء وشعر رأسهِ ابيض وبعضها رأسهُ كزهر الاقحوان تماماً اوراقهُ بيضاء وقلبهُ اصفر الى غير من الاشكال والالوان التي يعدُّ منها ولا يعدَّد . وها نحن نكتب هذه السطور وامامنا صور ٢٣ نوعاً مختلفاً منها

والشعر المشار اليهِ ليس شعرًا بل نتوات دقيقة بارزة من رأس الحيوان بعضها قصير لا

يبلغ طولهُ نصف قطر الرأس وبعضها يتدلَّى حول جسم الحيوان كغدائر الغيد الحسان. وكلهُ اذرع يستعين بها على امساك طعامهِ وافتراسهِ فاذا مرَّ بهِ حيوان قبض عليهِ باذرعهِ قبضةً لا مناص لهُ منها ونفث في جسمهِ سمًّا يخدرهُ ويمنعهُ من الحركة ودفعهُ الى جوفهِ وحينئذٍ تنقبض اذرعهُ فوق رأسهِ ويصير كالكرة ويبقى كذلك الى ان يهضم طعامهُ ثم يبسط اذرعهُ وينتظر فريسةً أُخرى فيفعل بها ما فعل بالاولى

ومن قبيل ذلك الحيوان المعروف بخيار البحر وهو يسعى قليلاً لكنَّ سعيهُ بطيءٌ جدًّا ولهُ حول فيهِ زوائد كاوراق الزهر كما ترى في هذا الشكل. ومن غريب امرهِ انهُ مضياف يفتح دارهُ لغيرهِ من الحيوان فان في جسمهِ تجوفًا كبيرًا مملوءًا ماء تدخلهُ سمكة صغيرة وتقيم فيهِ وتخرج منهُ تسعى في طلب رزقها ثم تعود اليهِ كأنهُ خباء لها او وطن اصلي



ومن قبيلهِ ايضًا حيوانات المرجان على انواعها واشكالها فان مشابهتها للنبات تامَّة حتى بقي المرجان زمانًا طويلاً معدودًا بين انواع النبات وهي حيث تكثر في البحر تحسبها خميلة مدبَّجة بالازهار المختلفة الالوان والاشكال

ومنهُ زنابق البحر وهي حيوانات من نوع السمك النجمي تعيش في اعماق البحر حيث لا ترى عين انسان بهاء الوانها وبديع اشكالها تقوم على ساق طويلة ويتفرَّع من رأسها فروع كزهر الزنبق والسوسن وقد بقيت منها بقايا كثيرة من العصور الغابرة تحجرت بما رسب في ابدانها من المواد الترابية والعوام يرونها ويحسبونها ازهارًا تحجرت من عهد الطوفان

هذا ما يقال من حيث الحيوانات المزهرة اما النباتات المفترسة فلا تقل عنها غرابةً. واي شيءٍ اغرب من ان ينصب النباتُ شباكهُ للحيوان فيصيدهُ ويفترسهُ. ومعلوم ان النبات كثيرًا

ان مغازلها ثابتة لسرعة حركتها وقد اشترتها حكومة الروس لمدارسها الصناعية

ولما شبعت من الوقوف امام الآلات الفرنسوية والانكليزية والالمانية لان النفس تشبع من الفوائد كما تشبع المعدة من الطعام قيل لي انك لم ترَ معروضات اليابان في هذا الباب كما رأيتها في غيرهِ من الابواب فهرولت اليها وانا احسب انني لا ارى فيها غير ما اعتدنا رؤيتهُ في هذه العاصمة من منسوجات اليابانيين وموشياتهم فلما وقع نظري عليها واجلت طرفي فيها اكبرتُ امر هذه الامة التي جارت الاوربيين في كل شيء فترى بين معروضاتها البرانيط من كل الاشكال والانواع والانجاف المطرزة وعليها صور الاطيار والازهار بالوانها الطبيعية تحسبها بارزة منها كأنها موضوعة امامها وضعاً لا منسوجة فيها نسجاً وصوراً كثيرة في رباط من الحرير تعلق في البيوت بدل صور الزيت. في واحدة منها صورة امرأة مكسال والسبحة في يدها وفي اخرى صور بط واوزّ والريش منهُ لامع كأنهُ خرج من الماء وانعكس عنهُ نور الشمس . وفي اخرى صورة ديك ودجاجة رفقاء وفراخها معها . وفي اخرى صورة شجرة مزهرة والطيور تحتها . وفي اخرى صورة صخر في البحر وقف عليهِ نسر كأنهُ ملاك على عرشهِ . وفي اخرى صور كلاب صيد جارية تكاد تسبق اظلالها. ولا تسل عما هناك من المراوح والقمصان والمظلات والقش المضفور وما اشبه مما يدخل في هذا الباب

وهناك ايضاً كثير من منسوجات الحرير والمخمل المعرَّقة والموشاة على ضروب شتى وهي تشهد لراسميها بالمهارة في فن الرسم واختيار الالوان كما تشهد لصناعي انوالها ببلوغ الحد في التفنن والاتقان . وسواء كانت هذه الانوال يابانية او اوربية وسواء كان الرسامون والحاكة من الوطنيين او من الاجانب فصناعة النسج المتقن دخلت ربوع يابان ورسخت قدمها فيها وصار اليابانيون يبارون الفرنسويين والانكليز والالمانيين في اتقان منسوجاتهم ولا عجب اذا رأيناهم يباروهم في كثرتها ورخصها واذا اقتدى بهم جيرانهم الصينيون والكوريون والهنود ونبقى نحن العثمانيين في ساقة كل اهالي المشرق بعد ان كان اجدادنا في طليعة ام الارض

الباب الرابع عشر في الصناعات الكيماوية وفيهِ خمسة فصول الاول في الكيمياء الصناعية والصيدلية والثاني في الوراقة والثالث في الدباغة والرابع في استخراج الطيوب والخامس في التبغ والثقاب (عيدان القصفور)

وهذا الباب مناسب للباب السابق ومعروض الى جانبهِ ولا تضرُّ رائحة التبغ فيهِ لان رائحة الطيوب تغلب عليها على حد ما قالهُ احد الظرفاء

ضرر المطابع

لا وردَ بلا شوك ولا نفع الا ومعهُ شيءٌ من الضر . ومن شأن المضار انها تزيد وتنمو مع المنافع كما ينبع الشوك والقراص في الارض المحروثة المعدَّة للزرع . يعلم ذلك اهل الزراعة فيقربون النبات الذي يزرعونهُ بعضهُ من بعض حتى لا يبقى مجال للاعشاب الضارَّة واذا نمت رغماً عنهم واظبوا على استئصالها لئلاَّ تقوى وتخنق زرعهم . وعلى الذين يهتمون بمصالح العباد وتوفير المنافع لهم ودفع المضار عنهم ان يفعلوا مثل ذلك بما ينمو بين الناس من الشرور والمضار حيث يُنتظر نمو الخيرات والمنافع . ويصدق هذا بنوع خاص على المطابع ونشر الكتب فان الناس يؤلفون من الكتب النافع والضار والمصلح والمفسد والسمين والغث فلما كان نشر الكتب موقوفاً على اقلام الكتَّاب كان انتشار المنافع قليلاً وكذلك انتشار المضار . اما وقد كثرت المطابع وسهل طبع الكتب ونشرها فصار انتشار الكتب الضارَّة ميسوراً لاسيما وان جمهور العامة اميل الى السخافة والاوهام منهم الى العلم والحقائق

يغنينا عن الاسهاب في هذا الموضوع ما اظهرهُ احد الادباء بالاحصاء من انهُ لا يطبع كتاب علمي مفيد في هذا القطر حتى يطبع فيه عشرون رواية واكثرها مما لا فائدة من مطالعته وبعضها يفسد الاذواق والاخلاق . وهذا الداء منتشر في البلدان الاوربية اكثر مما هو منتشر عندنا لكنَّ الاوربيين لم يغفلوا عنهُ بل احتاطوا لهُ وتراهم يعالجونهُ على اساليب شتى فعندهم الانتقاد الممحص في الجرائد والمجلاَّت وعندهم الجمعيات العلمية والادبية حيث تذاع العلوم والآداب ولا يخلو بلد من بلدانهم من مدارس تتهذَّب فيها العقول ومكاتب تتوسع فيها المعارف . وعندهم ما لا يحصى من الصحف العلمية والادبية ينشئها كبار العلماء الذين لا يذكرون الاَّ الحقائق وهي رخيصة الثمن لكثرة ما يطبع وينشر منها فيسهل على كل احد الاشتراك فيها . هذه المزايا كلها تقاوم انتشار المضار والاضاليل او تمحو اثرها من النفوس

ولو كانت شكوانا من الروايات السمجة وكتب المجون لا غير لهان الامر لان هذه الكتب تُعرَف من عنوانها فلا يطالعها من يضنُّ بوقته او يكرهُ ان يرى الفاحشة بعينيهِ . لكننا نشكو ايضاً مما تخفى مضارهُ على العامة وقد تخفى على بعض الخاصة . نشكو من الكتب التي تُنشر لابسة حلة العلم وتظهر عليها ديباجة التحقيق وفيها من السخائف والخرافات ما يزيد ظلمة العقول ظلمة ويرسخ الاوهام في النفوس

وقد كنَّا نرى هذه السخائف في الكتب العربية القديمة التي طُبعت قبل انتشار المعارف

الحديثة فنود ان يعاد طبعها وتضاف اليها حواش يُذكر فيها صريحاً ان هذا كان اعتقاد القدماء اما الآن فانتقض وثبت ما هو كذا وكذا كما فعل اليسوعيون ببعض الكتب التي طبعوها . اما الكتب القديمة التي لم تطبع قبلاً وطبعت الآن اول مرة فلا عذر لطابعيها اذا لم يعقّبوا عليها بما يصلح خطأها ويقوّم اودها ولاسيما اذا كان ما فيها من الخطإِ وارداً مورد الحقائق العلمية . مثال ذلك ان الامام القزويني ذكر في جملة ما ذكرهُ في كتابهِ عجائب المخلوقات ان الجراد " اذا رعت ايام الربيع طلبت ارضاً طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت باذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مئة بيضة الاَّ بيضة وطارت وآفتها الطيور والبرد ثم اذا اتت ايام الربيع واعتدل الزمان يفقص ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجهِ الارض الخ "

ومفاد ذلك ان الجرادة تبيض ٩٩ بيضةً في الربيع في الارض الطيبة التربة الرخوة وتبقى حية ويبقى بيضها في الارض الى الربيع التالي فيفقص. وينتظر من علماء العرب ان يكونوا على معرفة تامة بطبائع الجراد لكثرتهِ في بلادهم . وقد رأينا الجراد مراراً في بلاد الشام فوجدناهُ يبيض في الارض الرخوة التربة والصلبة التربة وكثيراً ما يفضل الثانية على الاولى فيبيض على الطرق المطروقة في الاراضي الزراعية ويموت بعد وضع بيضهِ في الارض ويفقص بيضهُ وتظهر صغارهُ بعد ايام قليلة من اسبوعين الى ثلاثة . والظاهر ان الامام الدميري اراد ان يصلح ما قالهُ القزويني فبالغ واخطأ قال "واذا اراد الجراد ان يبيض التمس لبيضهِ المواضع الصلدة والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبهِ فتنفرج لهُ فيلقي بيضهُ في ذلك الصدع" ثم ملأَ ثلاث صفحات كبيرة بما لا فائدة علمية منهُ لكنهُ ألبسهُ حللاً دينية حتى يضطر القارىء ان ينظر اليهِ بالتوقير ولو كان عقلهُ لا يسلم بكثير منهُ

وقد يُلتمس عذر للقزويني والدميري وامثالهما بان ذلك كان مبلغ ما وصل اليهِ علمهم والذين طبعوا كتبهم منذ بضعة عشر عاماً حين لم يكن من يبحث او من يمحص. ولكن اي عذر يلتمس لمن ينشر اليوم كتاباً لاخوان الصفا يقال فيهِ ما نصهُ " ان الجراد اذ سمنت ايام الرعي في الربيع طلبت ارضاً طيبة التربة رخوة الحفر ونزلت هناك وحفرت بارجلها ومخالبها وادخلت اذنابها في تلك الحفرة وطرحت فيها بيضاً ودفنتها ثم طارت وعاشت اياماً ثم اذا جاء وقت موتها اكلتها الطيور وماتت ما بقيت وهلكت من حرّ او بردٍ او ريح او مطر وفنيت ثم اذا دار الحول وجاءت ايام الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نشأ من تلك البيضة المدفونة في الارض مثل الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلأَ الخ . ففصّل

مؤلفو هذا الكتاب ما ذكرهُ القزويني لكي يزيدوهُ خطأً وخطلاً

وذكر القزويني دودة القز فاصاب في وصفها قال هي " دويبة اذا شبعت من الرعي طلبت مواضعها من الاشجار والشوك ومدَّت من لعابها خيوطاً دقاقاً ونسجت على نفسها كناً مثل الكيس ليكون حرزاً لها من الحر والبرد والرياح والامطار ونامت الى وقت معلوم اما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهي انهم اول الربيع يأخذون البزر ويشدونهُ في خرقة ويجعل تحت ثدي المرأة لتصل اليهِ حرارة البدن الى اسبوع ثم ينشر على شيءٍ من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من ذلك الورق " الى ان قال " واذا فرغت الدودة من عمل الفالجة عُرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفالجة الابريسم ويترك بعض الفالجة ليثقبها الدود ويخرج ويبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية "

اما اخوان الصفاء فقالوا في كتابهم " ان دود القز تكون على رؤُوس الاشجار في الجبال خاصةً شجر الغضا والتوت فانها اذا شبعت من الرعي ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها في رؤُوس الاشجار شبه العش والكن ثم تنام فيها اياماً معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضاً في داخل الكن الذي نسجت على نفسها ثم ثقبتها وخرجت منها وسدَّت تلك الثقب وخرجت لها اجنحة وطارت فتأكلها الطيور او تموت من الحر والبرد او المطر ويبقى ذلك البيض في تلك الحرزات محروزاً ايام الصيف والخريف والشتاء من الحر والرياح والامطار الى ان يحول الحول وتجيء ايام الربيع ويحضن ذلك البيض في الحرزات ويخرج من تلك الثقب مثل الديدان الصغار وتدب على ورق الاشجار ". ومفاد ذلك ان دود الحرير يبيض في فالجتهِ ويسدها بعد خروجهِ منها وهذا مخالف لما ذكرهُ القزويني ومخالف للواقع لان الفراش يخرج من الفالجة ويبيض على خريطة يحفظ البزر فيها الى الربيع التالي

وقس على ذلك قولهم عن لسان زعيم النحل ان الذباب والبق والبراغيث والديدان وما شاكلها لا تبيض ولا تحضن ولا تلد. وقولهم ان الزنابير تموت ثم تعيش ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى ويخالف الحقائق المقرَّرة في علم الحيوان

ولم نخص هذا الكتاب بالذكر لان فيهِ من الغلط ما ليس في غيرهِ بل لانهُ اتفق اننا نظرنا فيهِ قبل كتابة هذه السطور. وقلما يقع نظرنا على كتاب قديم من الكتب التي تطبع حديثاً الاَّ ونرى فيهِ شيئاً كثيراً مما يخالف الحقائق المقررة تاريخيةً كانت او علميةً او ادبيةً حتى لقد نصوّب ما قالهُ المغفور لهُ السيد جمال الدين الافغاني وقد قيل لهُ ان استنباط طريقة جديدة لرسم الحروف العربية يفقدنا كل الكتب العربية القديمة فقال " اذاً لا نفقد شيئاً "

والغالب ان يتقي المؤلفون سهام الانتقاد والتخطئة باسوار من الآيات الكتابية والعقائد الدينية حتى يعسر على من يريد احقاق الحق الدنو منهم فيقولون مثلاً " ان الذباب يتولد من الطين بقدرة الله تعالى وهو على كل شيء قدير " و" ان الزنابير تموت وتبقى جثثها كل ايام الشتاء يابسة لعلمها يقيناً بالمعاد وان الله منشئها ومعيدها في العام القابل كما انشأها اول مرة فاذا انقضى الشتاء وجاء الربيع واعتدل الزمان وطاب الهواء نفخ الله تعالى فيها روح الحياة فعاشت وبنت البيوت وباضت ". فاذا خالفتهم بقولك ان الذباب لا يتولد من الطين بل من بيض باضه ذباب آخر قبله وان الزنابير لا تموت ثم تعيش بل تشتو اي تنام نوماً ثم تستيقظ سهل عليهم ان يرشقوك بالالحاد. وبمثل ذلك يفسد العلم او تضعف العقائد الدينية

ويا حبذا لو اهتمّ ناشرو الكتب القديمة بتعليق الحواشي عليها اذا كان لا بدّ من نشرها او حبذا لو بذلوا همتهم في تنشيط المترجمين والمؤلفين على نشر كتب جديدة مما ينطبق على المعارف العلمية الحديثة لان الاعتماد على القديم لا يفيدنا اكثر مما افاد اسلافنا بل قد لا يفيدنا كما افادهم اذ نحن نناظر الآن اقواماً لم يكونوا يناظرونهم فاذا لم نحاضر مثل هؤلاء الاقوام ولم نسعَ سعيهم قصرنا عنهم كثيراً وكرّت القرون ونحن في ساقة الامم

صيد الاسد

اقبل الاوربيون على افريقية بخيلهم ورجلهم يقصدون تدويخها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فلم يلقوا مقاومةً من الانسان قدر ما لقوا من الحيوان وافتكهُ بهم تلك الميكروبات الصغيرة التي تضني ابدانهم ولا تبقي على كبير ولا على صغير لكنَّ فتكها خفي لا يتحدَّث بهِ الناس كما يتحدثون بفتك الضواري ولا ترهبهُ النفوس كما ترهب فتك الاسود

كتب بعضهم الى جريدة العالم الانكليزية يصف هجوم الاسد على ثلاثة من الاوربيين في طريق اوغندا في السادس من شهر يونيو الماضي قال كان المستر ربال معاون البوليس سائراً في مركبتهِ على طريق اوغندا وكانت المركبة متصلة بقطر سكة الحديد التي هناك فالتقى برجل اسمهُ هبنر وآخر اسمهُ بارنتي حتى اذا وصل القطر الى محطة كيا على ٢٥٠ ميلاً من اول الخط رأى اسداً كبيراً وشبلين قرب المحطة وكان من مهرة الصيادين ففصل مركبتهُ عن القطر ودعا الرجلين اليها ليبيتوا فيها ويقوموا في الصباح الى صيد الاسد ثم يصلوها بقطر آخر يمرُّ من هناك بعد الظهر فاجاباهُ الى ما طلب ففصل المركبة عن القطر ودفعها الى تحويلة بجانب

المحطة واقام الثلاثة فيها وتعشوا وسهروا . وطلب من هبنر ان ينام في فراشهِ فابى وقال انهُ يفضل ان ينام في عرزال معلق بسقف المركبة . وطلب من بارنتي ان ينام في فراشهِ فابى وفضل ان ينام في ارض المركبة

ولما كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً اقتسموا حراسة المركبة فنام هبنر في العرزال وبارنتي على الارض وبقي المعاون جالساً للحراسة ففتح باب المركبة واقام فيها ولم يكن الاَّ ساعات قليلة حتى استيقظ هبنر على صوت المعاون فالتفت من العرزال واذا اسد ضخم الجثة قابض على صدرهِ وقد مزقهُ تمزيقاً وقدماهُ على جسم بارنتي . قال هبنر "فدهشت من هذا المنظر المرعب ولم ادرِ ماذا افعل ثم تبينت المعاون فوجدتهُ قد اسلم الروح لان الاسد مزَّق صدرهُ وقلبهُ واما بارنتي فلم يبدِ حراكاً وكان جسم الاسد قد ملأَ المركبة كلها فنزلت من العرزال على ظهرهِ وكان جانب من المركبة مفصولاً وحدهُ يقيم فيهِ الخادم ويهيئ الطعام ففتحت بابهُ وكان الخادم قد اقفلهُ ودخلتهُ واقفلناهُ ثانيةً وخرج الاسد من الباب الذي دخل منهُ وهو حامل رمَّة المعاون بفيهِ وعدا بهِ ثم ناديت بارنتي فوجدتهُ حياً يرزق "

واعلن مهندس السكة انهُ يعطي مئة جنيه لمن يقتل هذا الاسد ومضت الايام ولم يتمكن احد من قتلهِ . اما الاسد فغاية ما فعلهُ انهُ اخذ بثأر اخوتهِ التي يسفك الاوربيون دمها سنة بعد سنة حتى كادوا يقرضون الاسد من بلاد الاسود

وكتب السر ادمند لشمير منذ ثلاثة اشهر يقول انهُ مضى الى بلاد الصمال في غرة يناير الماضي هو وزوجتهُ وخادم انكليزي فوصل الى بربرا في ١٨ منهُ واخذ منها قافلة فيها عشرون رجلاً واربعة وعشرون جملاً وضرب في البلاد الى ان بلغ جليلو التي يزعم البعض انها موضع جنَّة عدن لكثرة ما فيها من الاشجار والغزلان وبقر الوحش . ثم سار من هناك الى ان بلغ هراف فسمع ان فيها اسداً ضارياً واتاهُ رجل اخبرهُ ان الاسد افترس خروفاً من القرية التالية فقام حالاً وسار في اثرهِ الى ان عثر عليهِ واذا هو من الاسود الكبيرة اسوَد اللبد ضخم الجثة ومعهُ اسد آخر . قال فلما وقع نظري عليهما نهضا ووثبا فتخطَّيا الانجم التي تحيط بعريسهما ووصل واحد منهما غابة ملتفة الشجر فنزلت عن جوادي واقتفيت اثرهُ ومعي بندقية وخادم يحمل بندقية اخرى ولم ارَ الاسد حتى صرت على خمسة عشر متراً منهُ فاطلقت عليهِ الرصاص فالقيتهُ على الارض يتخبط بدمائهِ وهو الاسد الذي كان الناس يشكون منهُ ويقولون انهُ أضري باكل لحم الانسان وقستهُ فوجدت طولهُ ثماني اقدام وخمس عقد . ثم عدنا الى ديس واصطدنا هناك اسداً آخر وكثيراً من الفرا وبقر الوحش والضباع المخططة والمرقطة . ولم يكن هذا الاسد

وحده' بل كان معهُ لبوتهُ وكانت زوجتي راكبة على جمل فتركتها في مسيل نهر حاسباً انها فيهِ بمأمن من الاسدين ثم اقتحمت' الغاب الذي كان فيهِ الاسد واللبوة الى ان دنوت منهُ واطلقت عليهِ الرصاص فاصبتهُ بين كتفيهِ لكن الرصاص لم يقتله' فنفر من وجهي وخرج من الغاب ودخل مسيل النهر حيث كانت زوجتي وبقية الرجال واقعى كأنهُ يتأهب للوثوب عليهم وهو يجلد جنبيهِ بذنبهِ ويزأر زئيراً مزعجاً فاستعدَّ الرجال لاطلاق الرصاص عليهِ اذا وثب عليهم لكنهُ لم يفعل ذلك بل فضَّل العودة الى غابهِ ولم يدرِ انني كنت له' بالمرصاد فلم يكد يدخل الغاب حتى اطلقت عليهِ رصاصة اصابت رأسهُ فوقع قتيلاً على خمسة امتار مني . وهو من اكبر الاسود واضخمها عضلاً طوله' ثماني اقدام ونصف قدم . اما اللبوة ففرّت من وجهنا ولسان حالها يقول

قَتْلُ الذي اتخذ الجراءة خلَّةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً

واكتفينا بهذين الاسدين وعدنا ادراجنا الى الساحل فاصابتني الحمى الملارية ولم تفارقني حتى بلغت نصف الطريق الى بلاد الهند

وتاريخ الاستعمار في افريقية واحد في كل الازمان يأتيها الاوربيون فلا يقف امامهم انسانها ولا حيوانها حتى الاسود الضارية تهرب من وجههم او تتجرَّع غصص المنون برصاص بنادقهم واما ميكروبات الامراض فلا تخشى صولتهم ولا ترهب بطشهم بل تفاجئهم في السر والعلن وتردّد على مسامعهم قول من قال ان البعوضة تدمي مقلة الاسد . فان بقيت على فتكها بهم فلا خوف من انهم يطردون من البلاد سكانها ويستوطنونها بدلاً منهم كما فعل اخوانهم في اميركا. ولكن اذا استنبطوا الاساليب الصحية والطبية لدفع عوادي الادواء ووقاية الابدان من الميكروبات ولاسيما ميكروب الحمى الملارية لم يصدهم شيء عن السكن فيها واستيطان فيافيها واحياء مواتها واستثمار خيراتها. واذا صحَّ ما تناقلتهُ الالسن ونحن نكتب هذه السطور وهو ان انكلترا عازمة على المقايضة مع المانيا فتعطيها قبرص وتأخذ منها املاكها في شرقي افريقية صار للانكليز اغنى بقاع افريقية واكثرها سكاناً من "القاب الى القاهرة" كما يقولون اي من رأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب الى بلاد مصر في اقصى الشمال . وهم مهتمون الآن بمد سكة الحديد فيها ووصل اسلاك التلغراف ولا يستحيل شيء على اولي العزائم

ونحن ابناء هذا القطر نستطيع الاستيطان في كل بقعة من افريقية فعلى م لا نناظرهم في استعمارها ونأخذ اخذهم في استدرار الخير منها

السحر الحلال

(١) اختفاء المشعوذ وظهورهُ

شاع في هذه الاثناء اسلوب من الشعوذة غريب جدًّا شرحتهُ جريدة السينتفك اميركان في آخر عدد وصل الينا منها قالت ان اثنين من مهرة المشعوذين ادهشا اهالي اوربا واميركا في هذه الاثناء باختفاء احدهما امام عيون الناظرين . وهما لا يستعملان الاَّ مائدة بسيطة من الموائدالتي تكون عادة في المطابخ فيضعانها امامالناظرين ويبسطان غطاء عليها يجلل جوانبها ثم يخلصان على من منهما يطبخ الطعام واخيرًا يهرب احدهما من وجه رفيقهِ ويثب على المائدة ويجلس عليها فيتبعهُ رفيقهُ مسرعاً ويخطف سلاًّ كبيرًا بيدهِ ويغطيهِ بهِ ويجعل يعزّم فوق السل نحو دقيقة من الزمان ثم يرفعهُ عن المائدة فلا يجد تحتهُ شيئاً اي ان رفيقهُ يختفي من تحت السل والناظرون يرون ذلك ولا يدرون سببه' وخفاف العقول منهم يظنون انهُ اختفى بقوة التعزيم

ثم يعيد المشعوذ السل الى مكانهِ فوق المائدة ويعزّم عليهِ ويرفعهُ عنها ثانية فيظهر رفيقهُ جالساً عليها كما كان اولاً كأنهُ تجلى من عالم الخفاء الى عالم الظهور

ولايضاح ذلك نقول ان في اللوح الظاهر في سطح المائدة باباً لهُ مفاصل مرنة وتحتهُ لوح آخر مثلهُ قائم على اربع زنبلكات موضوعة في اربع حفر في قوائم المائدة الاربع . والغطاء الذي يوضع على المائدة جانب منهُ مشقوق يزم بخيط فينفتح ثم يشد الخيط من جهة أُخرى فينطبق. فاذا وضع السل على المشعوذ شد بخيط الغطاء ورفع الباب الذي في سطح المائدة ونزل منهُ الى اللوح الذي تحتهُ فينخفض هذا اللوح بثقلهِ فينام بين لوحين اللوح الذي في سطح المائدة واللوح الذي تحتهُ ويشد بالخيط فيعود الغطاء الى حالهِ ولا يظهر شيء منهُ ولا من اللوح الذي تحتهُ لان الغطاء يجلل المائدة وينزل حولها نحو نصف متر من كل جهة فاذا رُفع السل لم يظهر تحتهُ شيء . ثم يُعاد السل الى فوق المائدة فيفتح المشعوذ الباب الذي فوقهُ ويصعد منهُ ويجلس تحت السل

اخراج الفراخ من البيض

من اعمال المشعوذين الشائعة وضعهم ست بيضات في برنيطة وتحويلها الى ستة فراخ يخرجونها منها الواحد بعد الآخر. وذلك ان يستعير المشعوذ برنيطة كبيرة من احد الحضور ويضع

فيها بيضة حقيقية امام الحضور ثم يخرجها براحة يدهِ خفية ويضعها فيها ثانية امامهم ثم يخرجها خفية ويضعها ظاهراً وهلمَّ جرّاً الى ان يظهر للحضور انهُ وضع في البرنيطة ست بيضات وهو لم يضع الا بيضة واحدة . وحينئذٍ يطلب من خادمهِ ان يأتيهُ بشمعة موقدة لكي يسخن البيض عليها فيأتي الخادم ومعهُ شمعة على طابق كبير فيدور اليهِ ويجعل ينتهرهُ لانهُ لا يرفع الشمعة كما يجب او لا يخفضها كما يجب ويكون مع الخادم كيس اسود معلق بظهرهِ فيهِ ستة فراخ فيأخذهُ منهُ خفية ويضعهُ في البرنيطة ثم يلتفت الى الحضور ويضع يدهُ في البرنيطة ويخرج منها فرخاً بعد آخر الى ان يخرج الفراخ الستة ويدخل فيها خفية طاقة ازهار صناعية وهي اوراق متصلة باسلاك مرنة تنفتح وتصير مثل طاقة الازهار وحينما يخرجها يخرج معها الكيس الذي كانت فيهِ الفراخ واضعاً اياهُ تحتها

تكثير الدخان

يأخذ المشعوذ كاسين عاديتين من الزجاج ويمسكها بيدهِ امام الحضور ثم يضع احداها على مائدة ويضع منديلاً على الكاس الأُخرى ويقلبها فوق الكاس الاولى حتى يقع فم الواحدة على فم الاخرى ويغطي المنديل الاثنتين ثم يطلب من احد الحضور ان يشعل سيجارة وينفخ قليلاً من الدخان على المنديل وينزع المنديل بعد ذلك عن الكاسين ويرفع احداها عن الاخرى فاذا هما مملوءتان دخاناً وينتشر الدخان منهما وحولهما كالضباب الابيض الكثيف والمشعوذ ينفخهُ وهو يزيد انتشاراً

وكيفية ذلك ان المشعوذ يكون قد صبَّ في الكاس السفلى نقطاً قليلة من سائل النشادر (الامونيا) وفي الكاس العليا نقطاً قليلة من روح الملح (الحامض الهيدروكلوريك) فحالما يقلب الكاس الثانية فوق الاولى تحت المنديل يمتزج غاز النشادر بروح الملح ويتكون من ذلك دخان ابيض كثيف

اخفاء المناديل

يكثر المشعوذون من اخفاء المناديل ولهم في اخفائها اساليب شتّى اشهرها ان يربط المشعوذ خيطاً مرناً من الصمغ المندي والحرير بالرباط الذي يرفع بهِ بنطلونهُ عند كتفهِ ويكون في طرف هذا الخيط شيءٌ كالفنجان من الورق المقوّى او المعدن فاذا اراد اخفاء منديل لفهُ بيدهِ وتظاهر بوضعهِ تحت صحفة او في كاس او في فرد او نحو ذلك لكنهُ يضعهُ في هذا الفنجان ويتركهُ فيدخل كمهُ من نفسهِ الى اعلاهُ . وقد لا يكون الفنجان متصلاً بخيط مرن بل بقليل من الشمع فيلصقهُ المشعوذ بقفا الكرسي او برجل المائدة حتى لا يُرى اما المنديل الذي يأخذهُ

من احد الحضور او يريد اظهارهُ فيما بعد فيعطيهِ لخادمهِ لكي يظهرهُ لهم بعد ما يدَّعي انهُ اختفى

قنينة الخمور

كثيراً ما يضع المشعوذ احد عشر قدحاً على طبق و يصبُّ فيها سائلاً واحداً من قنينة واحدة يصبُّهُ في القدح الاول فيظهر كالخمر البورت وفي الثاني فيظهر صافياً كالماء وفي الثالث فيظهر كخمر الشري وفي الرابع فيظهر صافياً كالماء وفي الخامس فيظهر كخمر الكلارت وفي السادس فيظهر كالماء وفي السابع فيظهر ابيض كاللبن وفي الثامن فيظهر كالماء وفي التاسع فيزبد كالشمبانيا وفي العاشر كالماء وفي الحادي عشر فيظهر اسود كالحبر . وطريقتهُ في ذلك ان يأتي بزجاجة صغيرة فيها ٦ دراهم من صبغة بركلوريد الحديد ودرهمان من الحامض الهيدروكلوريد . وزجاجة ثانية فيها مذوب سلفوسيانيد الامونيوم المشبع . وزجاجة ثالثة فيها مذوب قوي من بركلوريد الحديد . وزجاجة رابعة فيها من مذوب خفيف من سلفوسيانيد الامونيوم . وزجاجة خامسة فيها مذوب ثقيل من خلاَّت الرصاص . وزجاجة سادسة فيها مذوب سلفيد الامونيوم او الحامض البيروغاليك . وعلبة فيها مسحوق كربونات البوتاس

و يضع ملعقتين صغيرتين من السائل الاول في زجاجة سوداء من الزجاجات الذي توضع فيها الخمر عادةً ثم يصب في القدح الاول نقطة او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الثانية ويترك القدح الثاني فارغاً و يصب في القدح الثالث نقطةً او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الثالثة . و يترك القدح الرابع فارغاً و يصب في الخامس نقطة او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الرابعة ويترك القدح السادس فارغاً و يصب في السابع نقطةً او نقطتين من السائل الذي في الزجاجة الخامسة ويترك القدح الثامن فارغاً و يضع في التاسع بضع قمحات من المسحوق الذي في العلبة ويترك القدح العاشر فارغاً و يصب في الحادي عشر قليلاً من السائل الذي في الزجاجة السادسة. ولا يظهر في هذه الاقداح شيءٌ بل تظهر فارغةً اما الماء فيصبهُ في الزجاجة الكبيرة التي وضع فيها ملعقتين مما في الزجاجة الاولى ثم يصب منهُ في هذه الاقداح على التوالي كما تقدَّم فالفارغ منها يظهر كانهُ ملء ماء قراحاً والذي فيهِ مادَّة كيماوية يتلون الماء الذي يصبُّ فيهِ حسب تلك المادَّة كما تقدَّم. لكن هذه السوائل سامة لا يجوز للشعوذ ان يسقي احداً منها غير اننا رأينا مشعوذاً يصب خموراً حقيقيةً من قنينة واحدة في اقداح كثيرة وقد شرب منها احد الحضور امامنا وقال ان الذي شربهُ منها خمر حقيقية. وسنشرح كيفية ذلك في الجزء التالي

تاريخ العام الماضي

اليوم يناير

٠١ ثبتت رؤية الهلال شرعاً وابتدأ رمضان في ٢ يناير . وحدثت زلزلة في تفليس قتل بها نحو ٨٠٠ نفس

٠٢ ورد على نظارة الاشغال ان ماء النيل انخفض انخفاضاً عظيماً في السودان كله وفي بحيرة فكتوريا نينزا ايضاً

٠٧ حدثت زلزلة عنيفة في بلاد القوقاس خرَّبت عشر قرى وتركت أُلوفاً من السكان بلا مأوى

٠٨ احتفل القطر المصري بعيد جلوس الجناب الخديوي واشترك كثيرون باقامة زينة حافلة في حديقة الازبكية

٠٩ وصل اول قطار الى الخرطوم

١٠ وصل اللورد روبرتس واللورد كتشنر الى مدينة الكاب . وتوفي الدكتور مرتنو الفيلسوف اللاهوتي الانكليزي وعمرهُ ٩٤ سنة

١٩ قُبض على عثمان دقنه قرب طوكر وارسل الى العاصمة فوصلها في ٢٧ يناير مساء

٢٠ توفي جون رسكن الكاتب الشهير وعمرهُ ٨٠ سنة . وافقت الدول على اطالة مدة المحاكم المختلطة ٥ سنوات

٢٢ انتخب السيد فوتيوس مطران الناصرة بطريركاً اسكندرياً للروم الارثوذكس . وتوفي دوق تك والاستاذ هيوز الكهربائي وعمرهُ ٦٩ سنة

٢٥ سمّى امبراطور الصين ابن البرنس توان وليّ عهد لهُ

٢٦ عزلت امبراطورة الصين لنج لو قائد الجنود الصينية لانهُ غير راضٍ عن الحالة الحاضرة في بلاد الصين

٢٧ ارتدت الجنود الانكليزية الى جنوب نهر التجلا

٣٠ صدر الامر العالي باطالة مدة المحاكم المختلطة خمس سنوات ابتداء من اول فبراير

فبراير

٠٧ ظهر شيءٌ من الاضطراب بين الجنود في السودان فمضى سعادة السردار اليها وورد تلغراف منهُ ان الاضطراب زال تماماً

٩ احتفل بفتح المعرض الزراعي الجديد في الجزيرة بالعاصمة افتتحهُ الجناب الخديوي ثم مضى الى الاسكندرية ليسير منها على ساحل البحر غرباً

١٠ وصل اللورد روبرتس الى معسكر نهر مدر

١١ غرقت ثلاثة قوارب قرب دمياط وغرق تسعة من بحارتها

١٣ صدرت الارادة السلطانية لسفير روسيا بانشاء سكة حديد من القارص الى ارض روم

١٤ وصل الجنرال فرنش الى كمبرلي

١٦ استولت جنود الجنرال كلي كني على ٧٨ مركبة من مركبات الجنرال كرونجي مملوءة معدات

١٩ ظهر من حساب الحكومة عن السنة الماضية ان دخلها بلغ ٤٨٧ ٤١٥ ١١ جنيهاً ونفقاتها بلغت ٠٣٢ ٠١٣ ١١ جنيهاً وتشمل النفقات الاموال المقتصدة من تحويل الدين ومما يضاف الى المال الاحتياطي ومجموعها ١٤١ ٠٢٤ ١ جنيهاً

٢٢ قرَّرت الحكومة منع ري الشراقي المعدة لزرع الذرة لقلة الماء في النيل

٢٣ اعترض السفراء في الاستانة على منع الاجانب من اخذ الامتيازات بمناجم السلطنة وتوفي الاستاذ يازي سميث الفلكي وعمرهُ ٨٠ سنة

٢٧ سلَّم الجنرال كرونجي للورد روبرتس في بارد برج بعد قتال طويل وأُخذ منهُ اربعة آلاف اسير وستة مدافع صغيرة

٢٨ وضعت نظارة الاشغال نظاماً صارماً لري القطن بالمناوبة لقلة مياه النيل. ودخلت جنود اللورد دندولند مدينة لادي سميث

مارس

١ رفع الحصار عن مدينة لادي سميث

٢ وصل الجنرال كرونجي الى مدينة الراس اسيراً

٦ حدثت الساعة الثامنة والدقيقة السادسة زلزلة خفيفة في القطر المصري دامت عشر ثوانٍ عقبتها ثلاث هزات اخف منها

٨ عاد الجناب الخديوي من سياحتهِ فوصل الى المنتزه مساء هذا اليوم . احترق التياترو الفرنسوي بباريس

١٠ امر الباب العالي بزيادة رسوم الجمارك من ٨ الى ١١ في المئة ابتداء من ١٤ مارس فاعترض سفراء الدول على ذلك

١٢ شبت النار في مخازن السجون بالاسكندرية فاحرقتها

١٣ صدر الامر العالي بمنع ارواء الشراقي لقلة مياه النيل . غرق قارب صيد في الاسكندرية فيه عشرة انفس مات منهم سبعة . سلمت بلومفنتين قصبة ولاية اورنج للورد روبرتس فدخلها ونصب الراية الانكليزية على دار الرئيس ستين

١٦ احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية بليلتها السنوية في حديقة الازبكية

١٩ احتفل بتشييع المحمل من ميدان القلعة بحضور الجناب الخديوي

٢١ احتفل الايرانيون بعيد النيروز

٢٢ زار الجناب الخديوي مخازن المهمات الحربية في القلعة وزار ميدان الجزيرة حيث شاهد تلامذة المدارس الاميرية يلعبون الالعاب الرياضية

٢٣ توفي ذو الفقار باشا واحمد نشأت باشا. وردت الاخبار بابتداء ارتفاع النيل في فشودا فانهُ ارتفع منذ ٨ الشهر ٤٥ سنتمترًا والمظنون ان ذلك من فتح سدود النيل

٢٦ اجّلت نظارة الاشغال الابتداء بالمناوبات لان المياه لا تزال مرتفعة في القناطر الخيرية

٢٧ توفي الجنرال جوبير قائد جيوش البوير العام

٣١ فتح الجناب الخديوي معرض الازهار والاثمار . بلغ عدد الحجاج الذين سافروا من السويس الى الاقطار الحجازية من اكتوبر الى ٣١ مارس ٩٢٧ ١٥١ حاجًا منهم ٧٠٢٦ مصريًا

ابريل

٠١ توفي الاستاذ سنت جورج ميفارت وعمرهُ ٧٢ سنة

٠٢ صادق جلالة السلطان على تعيين السيد فوتيوس بطريركًا للكرسي الاسكندري للروم الارثوذكس

٠٣ احاط البوير بستمئة من الجنود الانكليزية في رددسبرج وامروم

٠٤ توفي عثمان باشا الغازي بطل بلافنا

٠٥ احاطت الجنود الانكليزية بالجنرال فلبوى قرب بشون واسرتهُ واسرت نحو ٥٠٠ من البوير معهُ

٠٧ وصل العاصمة ونجت باشا سردار الجيش المصري عائدًا من السودان

٠٨ اطلق فتى عمرهُ ١٥ سنة الرصاص على ولي عهد انكلترا في بركسل عاصمة البلجيك

٠٩ وردت الاخبار عن حدوث ثورة في بلاد كومامي بسبب التفتيش عن كرسي ملكها وهو من الذهب

١٠ جرى الاحتفال بعيد الاضحى

١٤ فتح رئيس الجمهورية الفرنسوية معرض باريس العام . وصل الجنرال كرنجي وزوجتهُ الى منفاهُ في جزيرة القديسة هيلانة

١٧ حدثت اربع اصابات مشتبه بها في ينبع وقرّر اعتبار الحج مطعوناً هذا العام

٢١ صدر امر عالٍ باعفاء الارض التي تغرس اشجاراً من الضرائب مدة عشر سنوات. انفجر مرجل سفينة طربيد صغيرة في مرفإ بيروت فقتل بها جمهور من ركابها . توفي الاستاذ ملن ادوار العالم الطبيعي الفرنسوي وعمره ٦٤ سنة

٢٤ توفي دوق ارجيل العالم السياسي وعمره ٧٦ سنة . فاض دجلة فيضاناً عظيماً فخرب كثيراً من المنازل

٢٥ فتح مؤتمر مقاومة السل في مدينة نابلي وحضره الف من الاطباء المندوبين

٢٨ احتفل بوضع الحجر الاول من بناء متحف الآثار العربية والمكتبة الخديوية . رفع ولي عهد انكلترا الستار عن تمثال هكسلي. سقط كبري خشب في معرض باريس فقتل عشرة وجرح ١٥

٣٠ احتفل ببداءة السنة ١٣١٨ الهجرية. ابتدأت زيادة النيل في البحر الازرق فزاد ٤٠ سنتمتراً في سنار . حدثت وفاتان بالطاعون في بورت سعيد وقد ابتدأت الاصابات فيها في ٢٨ الشهر

مايو

٠١ سافر الجناب الخديوي الى الاسكندرية لاقامة فصل الصيف . فتح رئيس الجمهورية الفرنسوية قصري الفنون في معرض باريس

٠٣ عبر الجنرال هنتر نهر الفال بلا معارضة ثم عبره الجنرال بارتون في ٥ الشهر

٠٦ وجدت امرأة ميتة بالطاعون في الاسكندرية

٠٩ توفي السيد احمد بن موسى وزير مراكش

١١ حدث اضطراب في مدريد وبرشلونة واشبيلية باسبانيا

١٣ انتشرت الكوليرا بين المصابين بالمجاعة في بلاد الهند

١٥ دخل الجنرال هنتر بلاد الترنسفال من الغرب

١٧ اشتد الهياج على الاجانب في بلاد الصين . انقذ الكولونل ماهون مدينة مفكن ودخلت فرسان الجنرال هملتون لندلي وامرت مشاة هتون القومندان بوثا

٢٢ ارسلت حكومة الصين جنودها لاخماد ثورة البُكسَر

٢٧ اعلن اللورد روبرتس قائد الجنود الانكليزية العام في جنوبي افريقية ان ولاية اورنج الحرة ضمت الى الاملاك الانكليزية

٢٨ كسفت الشمس وظهر كسوفها تاماً في اميركا والجنوب الغربي من اوربا والشمال الشرقي من افريقية

٢٩ بلغت مساحة كل الشراقي في الوجه القبلي ٩٠٠ ٢٦٤ فدان . اشتدَّ الخوف في بكين وأُرسل الحراس اليها من البوارج الاجنبية

٣٠ خرج الرئيس كروجر من بريتوريا . كانت ظفرات الانكليز متوالية في هذا الشهر

يونيو

١٠ سلمت بريتوريا ودخلها لورد روبرتس

٠٢ سافر الجناب الخديوي من الاسكندرية قاصدًا اوربا لقضاء الصيف فيها وزيارة جلالة ملكة الانكليز وصدر الامر العالي بتعيين عطوفتلو مصطفى باشا فهمي قائمقام خديوي

٤٠ احرق البوكسر محطة من محطات سكة الحديد التي بين بكين وتينتسين

٧٠ وصل الجناب الخديوي الى تريسته . زار ملك اسوج ونروج معرض باريس

٩٠ اعترض ديوان الخارجية في الصين على وجود كثير من الجنود الاجنبية في بكين

١١ استعفى واحد من ديوان خارجية الصين وعين فيهِ اربعة من المنشو

١٣ اجَّل الباب العالي انفاذ لائحة الجمارك الجديدة شهرًا

١٤ اقرَّ مجلس النواب في فرنسا على انفاق ٦١ مليون فرنك لتحصين المستعمرات . كاد البوير يأسرون اللورد كتشنر

١٦ فتح امبراطور المانيا الترعة الواصلة بين البحر الشمالي وبحر بلطيك . وفتح ملك ايطاليا مجلس النواب الايطالي

١٧ اطلقت حصون تاكو النار على بوارج الدول المتحدة فجاوبتها البوارج ونسفت حصنين منها بعد سبع ساعات واستولت على الحصنين الباقيين هجومًا

١٨ اشيع ان سفير المانيا قتل في بكين . استعفت وزارة ايطاليا . سارت الجنود الانكليزية من هونغ كونغ الى الصين

١٩ ارسلت روسيا واليابان وفرنسا والولايات المتحدة النجدات الى الصين

٢١ وصل الجناب الخديوي الى بلاد الانكليز مصابًا بالتهاب الحلق العفن من الميكروب المعروف بالستربتوكوكس . توفي الكونت مورافيف وزير روسيا

٢٢ اطلق الصينيون مدافعهم على مدينة تينتسين

٢٤ أُلفت وزارة جديدة في ايطاليا وفي البرتغال وعيَّدت مدينة مينس عيد خمس مئة سنة من ولادة غتنبرج مخترع الطباعة

٢٥ شفي الجناب الخديوي ودخل في دور النقه

٢٦ احتفل باستقبال المحمل في ميدان القلعة بحضور عطوفتلو مصطفى باشا فهمي القائمقام الخديوي . فاض نهر الاتبرة فيضانهُ التام . عجز الاميرال سيمور عن الوصول الى بكين فعاد الى تينتسين وأُرسلت الجنود من كلكتا الى الصين

٢٧ وصل الجناب الخديوي الى مدينة لندن فقوبل باحتفال عظيم . اقرَّت الحكومة المصرية على لائحة للجنسية المصرية. وردت اخبار من سفير انكلترا في بكين مؤرخة في ١٩ يونيو ان الحكومة الصينية طلبت من السفراء ان يخرجوا من بكين في ٢٤ يونيو

٢٨ تناول الجناب الخديوي العشاء عند جلالة الملكة في قصر وندزور

٣٠ ابحر عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار من الاسكندرية قاصداً اوربا لقضاء اجازتهِ فيها . شبت نار هائلة في حوض سفن شركة لويد الالمانية بنيويورك فمات بها نحو اربع مئة نفس وتلف ما يساوي مليوني جنيه . كانت الحرب سجالاً في الترنسفال في هذا الشهر

يوليو

٢ . احتفل مجلس بلدية لندن باستقبال الجناب الخديوي في الجلدهول احتفالاً باهرًا

٣ . رفع الستار في باريس عن تمثال لوشنطون محرر اميركا اهدتهُ نساء اميركا الى فرنسا

٤ . عاد الجناب الخديوي من لندن ووصل سويسرا في اليوم التالي. اقرَّ الاميرال الانكليزي والاميرال الروسي على انهُ لا يمكن انقاذ الاجانب الذين في بكين ما لم ترسل الدول مدداً كبيرًا

رُفع الستار عن تمثال لفايت في حديقة اللوفر وهو مهدًى الى فرنسا من تلامذة المدارس في اميركا

٥ . حكم المحلفون في بروكسل ان الفتى الذي أطلق الرصاص على ولي عهد انكلترا غير مطالَب لانهُ لم يبلغ سن الرشد

٠٧ رفع الستار عن تمثال لغلادستون في اثينا وكان الملك ووزراؤُهُ حضورًا

٠٨ احتفل بالليلة الكبرى من ليالي المولد النبوي بالعباسية . وصل الى سفير الصين في وشنطون رسالة مفادها ان السفراء في بكين كانوا سالمين حتى ٣ يوليو

١٠ ورد من الصين ان الامبراطورة قبضت على ازمة الاحكام من ٣٠ يونيو وجعلت ينغ لو وزيرًا لها وامرت بحماية الاجانب

واقرَّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ في فرنسا على انفاق ١٤ مليونًا ونصف مليون فرنك للحملة الصينية .

١٢ أُمضي امر خديوي باصدار اسهم جديدة من الدين الممتاز بقيمة مليون وسبع مئة الف جنيه لتمديد سكك الحديد وزيادة ادواتها
١٣ ابحر اللورد كرومر من الاسكندرية قاصداً انكلترا لقضاء فسحة الصيف
١٤ استولت الجنود المتحدة على مدينة تينتسين بعد معركة شديدة وكان عددها ثمانية آلاف وبلغ عدد القتلى والجرحى ٨٨٨
١٥ انقذت حامية كوماسي
١٧ مضى الوزير لي‌هنغ شنغ من كنتون الى هنغ كونغ واتاه امرٌ بتعيينهِ والياً على ولاية شي‌لي
٩ جرى الاستعراض البحري الفرنسوي في شربورغ
٢٠ بعث امبراطور الصين تلغرافاً الى رئيس الجمهورية الفرنسوية يطلب وساطة فرنسا والولايات المتحدة الاميركية
٢٢ اخلت الجنود الصينية تينتسين وما جاورها
٢٩ قتل ملك ايطاليا في مينزا
٢٩ سلم الجنرال برنسلو وخمسة آلاف من البوير في ناوو بورت
٣١ توفي برنس سكس كوبرج غوثا دوق ادنبرج وعمرهُ ٥٦ سنة

اغسطس

٠٢ هجم رجل على مركبة شاه ايران في معرض باريس وحاول اطلاق الرصاص عليهِ. جرى الترام الكهربائي بين العاصمة والاهرام
٠٤ وقع القتال بين الروسيين والصينيين في منشوريا فاستولى الروس على مدينة ايجن . وبين الصينيين والجنود المتحدة في باي تانغ فخسرت الجنود المتحدة ١٢٠٠ بين قتيل وجريح
٠٥ اقترن ملك السرب بمدام دراغا ماشن في بلغراد . اعتصب ٤٥٠٠ من سائقي المركبات في باريس . ثار خصوم اليهود عليهم في اودسا . وصل الاميرال سيمور الى شنغاي وابتدأ الزحف على بكين
٠٦ امضى وزير البحرية العثمانية اتفاقاً مع محل كروب الالماني لتسليم ثماني مدرعات وقاربين من متلفات التربيد . هجم ١٢ الفاً من الجنود المتحدة على الصينيين المتحصنين في هسي كو على ميلين من تينتسين فارتدَّ الصينيون شمالاً
٠٧ وصلت رسائل بالارقام الى الحكومة الانكليزية والاميركية من سفيريها في بكين تاريخها ٣ اغسطس. استولت الجنود اليابانية على باي تانغ

٠٨ عين الكونت لمسدرف وزيرًا للخارجية في روسيا والكونت ولدرسي الالماني قائدًا عامًا للجنود المتحدة في الصين

٠٩ احتفل بجنازة ملك ايطاليا في رومية

١٠ اكتشفت مكيدة في برتوريا لاختطاف اللورد روبرتس

١٢ اقسم الملك فكتور عمانوئيل الثالث ملك ايطاليا انهُ يكون امينًا للدستور الايطالي وللامة الايطالية

١٣ غرق متلف التربيد فرامه الفرنسوي وغرق فيهِ ٤٢ من الضباط والبحارة

١٤ اعتصب خمسة آلاف من الشيالين في مرسيليا فتوقف سفر السفن منها

١٥ وفى النيل واحتفل بجبر الخليج . دخلت الجنود المتحدة مدينة بكين وانقذت السفارات والاجانب وكان الامبراطور والامبراطورة قد غادراها تحميهما الجنود الصينية

٢٠ فتح مؤتمر المشتغلين بالعلوم النفسية في باريس برئاسة الاستاذ ريبو . طلبت الصين ان المستر كونجر اوغيره من الاميركيين يُعيَّن لتذاكره في امر الصلح

٢٤ حُكم بالقتل على الملازم كوردوى الذي حاول اختطاف لورد روبرتس فقتل رميًا بالرصاص

٢٦ اسر الجنرال بروس هملتون الجنرال اوليفه وابناءهُ الثلاثة

٢٩ حكم على برشي قاتل ملك ايطاليا بالاشغال الشاقة مدى العمر

٣٠ وصل الجناب الخديوي الى الاسكندرية عائدًا من اوربا

٣١ احتفل بالعيد الفضي لجلالة السلطان اي بالعيد الخامس والعشرين لجلوسهِ . توفي السرجون لوز وعمرهُ ٨٦ سنة

سبتمبر

٠١ اعلن اللورد روبرتس ضم الترنسفال الى الاملاك البريطانية . واعلنت روسيا انها امرت جنودها وسفيرها بالخروج من بكين والرجوع الى تينتسين

٠٣ بلغ النيل اعظم ارتفاعهِ في الروضة هذا العام وذلك ٢٠ ذراعًا و١٤ قيراطًا

٠٤ عين لي هنغ تشنغ وينغ لي والبرنس تشنغ للمذاكرة في امر الصلح

٠٥ صدرت الارادة السنية باحالة فيضي باشا على المعاش وتعيين عبد الحليم عاصم باشا مديرًا للاوقاف بدلاً منهُ

٠٦ عاد دوق ابروزي من رحلتهِ القطبية

٠٩ ثارت زوبعة شديدة على شواطىء تكساس ولويزيانا باميركا قتل بها نحو اربعة آلاف نفس

١٠ هاج بركان يزوف هياجاً شديداً . نهبت الجنود المتحدة مدينة بكين

١١ وصل الرئيس كروجر الى لورنزو مركيز . احتفلت الامة القبطية بعيد النيروز وهو ابتداء السنة ١٦١٧ للشهداء

١٣ نزل الرئيس كروجر ضيفاً على حاكم املاك البرتغال في شرقي افريقية . اتصل التلغراف من الخرطوم الى الابيض مسافة ٢٨٠ ميلاً ووصلت اول رسالة برقية من الابيض الى القاهرة

١٤ قام لي هنغ تشنغ من شنغاي قاصداً بكين. واخذ الروس فلجردا على سكة الحديد في منشوريا

١٧ حرق الالمانيون مدينة ليانغ . وصل لي هنغ تشنغ الى تينتسين

١٨ اعلنت الحكومة الانكليزية ان مستعمرات استراليا وتسمانيا تتحد من اول يناير سنة ١٩٠١ ويطلق عليها اسم كُمُن ولث استراليا (جمهورية استراليا) . وصل الكونت ولدرسي الى هنغ كنغ

١٩ بلغ عدد المعدنين المعتصبين في اميركا ١٢٦ الفاً . عرضت حكومة هولندا سفينة حربية على كروجر لتنقلهُ الى هولندا . غرقت الباخرة الشرقية من بواخر الشركة الخديوية قرب جزيرة اندروس وهي سائرة من الاسكندرية الى الاستانة وغرق فيها كثيرون

٢٢ أُولمت وليمة عظيمة في باريس حضرها ٢٢ الفاً من حكام المدن بدعوة من رئيس الجمهورية

٢٣ سلم ثلاثة آلاف من البوير لحكومة البرتغال بعد ان اتلفوا مدافعهم

٢٤ قام لي هنغ تشنغ من تينتسين الى بكين تخفرهُ الجنود الروسية واليابانية

٢٥ احتفل بعيد مولد الجناب الخديوي . صدر الامر بانتخاب مجلس جديد للنواب في بلاد الانكليز

٢٧ وصل البطريرك فوتيوس بطريرك الروم الارثوذكس الجديد الى الاسكندرية

٢٩ عين اللورد ربرتس قائداً عامًّا للجنود الانكليزية بدلاً من اللورد ولسلي . خرج سفير روسيا من بكين ومعهُ الجنود الروسية وعادوا الى تينتسين

٣٠ اجتمع مؤتمر السلام في باريس

اكتوبر

٠١ وصل الشاه الى الاستانة. وصل دولتلو مختار باشا الغازي الى الاسكندرية عائداً من اوربا

٠٢ شفي آخر مصاب بالطاعون في الاسكندرية ولم تحدث اصابات بعدهُ

٠٣ عاد اللورد كرومر من اوربا

١٠ ضُمَّت جزائر كوك الى زيلندا الجديدة بطلب رؤسائها . احتفل الايرانيون بعيد مولد جلالة الشاه

١٢ انتقل البلاط الصيني الامبراطوري الى سي نان فو. رد الروسيون قصر الصيف الى الصينيين. وصل لي هنغ تشنغ الى بكين وزار سفراء الدول فيها

١٤ بعث امبراطور الصين كتاباً الى رئيس الولايات المتحدة يشكرهُ فيه على ما اظهرهُ من الوداد للصين. وصل عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار الى الاسكندرية عائداً من اوربا

١٥ اجتمع وكلاء الدول في بكين واقروا على المطالب التي يطلبونها من الصين

١٦ اعلنت ملكة هولندا خطبتها لدوق مكلنبرج شورن . تمَّت الانتخابات في بلاد الانكليز لمجلس النواب ففاز المحافظون

١٧ استعفى البرنس هوهنلوهي من وزارة الامبراطورية الالمانية وعين الكونت بولو وزيراً لالمانيا في اليوم التالي

١٩ قام الرئيس كروجر من لورنزو مركيز قاصداً اوربا على البارجة جلدرلند الهولندية . احتلَّ الف من الجنود الفرنسوية ته شو شمالي النهر الاصفر

٢٠ الف المركيز ايتو وزارة يابانية جديدة . سافر الجنرال بلر من دربان قاصداً انكلترا

٢١ استعفت الوزارة الاسبانية فأُلفت وزارة جديدة في اليوم التالي

٢٢ احتدم القتال بين البوير والجنرال فرنش ولورد مثوين

٢٣ احتلت الجنود المتحدة باوتنغ فو من غير مقاومة

٢٧ هزم الجنرال نكس ده ويت واخذ مدفعين من مدافعهِ

٢٨ توفي الاستاذ مكس ملر وعمرهُ ٧٧ سنة

٢٩ شبت النار في نيويورك فقتل بها ٣٨ وجرح مئة . توفي البرنس كرستيان فكتور في برتوريا وعمرهُ ٣٣ سنة

٣٠ حدثت زلزلة في قرقاس قتل بها ٢٥ نفساً وجرح كثيرون . اطلق كثيرون من اسرى السودان فعادوا من رشيد الى اوطانهم

نوفمبر

١ عاد الجناب الخديوي من الاسكندرية الى العاصمة . تألفت الوزارة الانكليزية من المحافظين واقرَّت الملكة على تعيين المستر رتشي وزيراً للداخلية واللورد لنسدون للخارجية والمستر

بردرك للحربية واللورد سلبرن للبحرية وبقي بقية الوزراء في مناصبهم . احتلت الجنود المتحدة مدافن الملوك في بلاد الصين

٠٢ ثار الكارلوسيون في اسبانيا

٠٣ احتفل بفتح معرض الاخوان في الجزيرة

٠٤ رفع الرئيس لوبه الستار عن تمثال الرئيس كارنو في ليون

٠٥ واقع الكولونل له كالس البوير ودام القتال خمس ساعات فاخذ منهم ثمانية مدافع ومئة اسير لكنهُ قُتل في المعركة

٠٦ أُعيد انتخاب مكنلي رئيساً للولايات المتحدة الاميركية

٠٨ اصيب فتى بالطاعون في الاسكندرية

٠٩ ورد من اخبار نجد ان ابن الرشيد اطاع الدولة العلية على ان تمدهُ بالقوة العسكرية . اصيب ربان باخرة انكليزية بالطاعون في الاسكندرية . خرجت الجنود الروسية من تينتسين وسلمت سكة الحديد من تينتسين الى شنغ كاي كوان للكونت ولدرسي وعزمت الولايات المتحدة على ان تقتدي بروسيا فتخرج جنودها من الصين

١٠ حكم على سلسون الذي حاول قتل الشاه بالسجن مدى الحياة

١١ كتب السفراء مطالبهم لشروط الصلح مع الصين

١٢ أُصيب قيصر الروس بالحمى التيفويدية . أُقفل معرض باريس وكانت علامة اقفاله اطلاق ثلاثة مدافع ليلاً

١٤ وصل الرئيس كروجر الى السويس ولم يقابل احداً من مكاتبي الجرائد

١٥ حدثت حادثة سكة حديد بفرنسا قرب بايون قتل بها ١٧ وجرح ٢٠

١٦ رمت امرأة فأساً على امبراطور المانيا في برسلو

١٧ حدث قطع في جسر سكة الحديد المصرية بين الدبة وفاو طغت بسببهِ المياه وقدرت الخسارة بنحو اربعين الف جنيه عدا تعطيل القطارات عن السير

١٨ وصل كتاب الى الحكومة الالمانية من امبراطور الصين يتوسل اليها بهِ لتساعدهُ

٢٠ ظهر الجراد في جهات طوكر وبقي في مزارعها يومين فاكل الذرة من ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان

٢١ حدثت زوبعة في مدينة كولمبيا بولاية تنسي باميركا قتل بها ١٥ نفساً

٢٢ وصل الرئيس كروجر الى مرسيليا

٢٣ سلمت حامية دوتس درب الانكليزية للبوير فاسروا ٤٠٠ واخذوا مدفعين

٢٤ وصل كروجر الى باريس فقوبل بالترحاب وزار المسيو لوبه فردَّ له الزيارة

٢٦ ثار اهالي الصمال في شرقي افريقية

٢٧ تمَّ الاتفاق التجاري بين تركيا والبلغار . اولم مجلس بلدية باريس وليمة فاخرة لكروجر . كشفت مكيدة كيدت على اللورد ربرتس في يوهنسبرج

٢٩ جعلت الحكومة المصرية اجرة المجلات المتبادلة داخل القطر مليمًا واحدًا الى حد ما زنتهُ ٢٠٠ جرام وجعلت مدة الخدمة العسكرية ١٠ سنوات فقط خمس سنوات منها في الجيش العامل و٥ في البوليس والرديف . ووهبت مستشفى الكلب ٢٥٠ جنيهًا كل سنة وصادق مجلس النظار على انشاء صندوق عمومي للتوفير في البوسطة المصرية وعلى انشاء مجالس بلدية في اصوان والجيزة وجرجا ومنوف وعلى انشاء سد دمياط ومحلة الامير

٣٠ خرج كروجر من باريس . شفي القيصر ودخل دور النقه

دسمبر

٠١ منحت حكومة نكارغوى الولايات المتحدة امتيازًا بفتح ترعة بين المحيطين

٠٢ اعتذر امبراطور المانيا عن مقابلة كروجر وكذلك امبراطور النمسا وملك ايطاليا

٠٤ قدرت نفقات ترعة نكارغوى بمئتي مليون ريال . وصل كروجر الى عاصمة هولندا

٠٧ وقع خلاف بين هولندا والبرتغال فترك سفير هولندا منصبهُ في لسبون وسفير البرتغال منصبهُ في الهاي . اطلق البوير الاسرى الذين اسروهم في دوتس درب ما عدا الضباط منهم

٠٨ وصل اللورد روبرتس الى مدينة الراس عائدًا الى انكلترا ليستلم منصب القائد العام للجنود الانكليزية . وتقرر ان يقيم السر الفرد ملنر في برتوريا وتجعل عاصمة المستعمرات الجديدة . قابل كروجر ملكة هولندا

٠٩ زار الاسطول الانكليزي مدينة لسبون وادب ملك البرتغال مأدبةً لجنوده وأكَّد تحالف انكلترا والبرتغال . وأكَّدت ذلك ايضًا ملكة الانكليز في البارلمنت

١٠ احتفل بافتتاح عنابر بولاق بحضور الجناب الخديوي . قدَّر ديوان الزراعة باميركا موسمها عشرة ملايين ومئة الف بالة وزمام الارض المزروعة قطنًا ٢٥ مليون فدان

١١ قرَّرت الحكومة المصرية بناء مكان جديد لمدرسة الحقوق ولمدرسة الزراعة ومد اسلاك التلفون بين العاصمة والاسكندرية في انابيب من الحديد وبناء قناطر على النيل قرب زفتي ونحو ذلك من الاعمال العمومية وقدِّرت نفقاتها كلها مليونًا و ٩٦ الف جنيه واجتمع

اعضاء صندوق الدين ووافقوا على اعطائها اكثر هذا المال من المال الاحتياطي العمومي. اخبرت هولندا المسيو كروجر انها لا تستطيع ان تساعد جمهوريتي البوير الا اذا ابتدأت الدول العظمى في ذلك. سار اول قطر بين بكين وتينتسين بعد ابتداء الفتنة

١٢ هجم دلاري وباريز بالفين وخمس مئة من البوير على الجنرال كليمنتس فاضطرَّ الى التقهقر وقتل خمس ضباط من الانكليز

١٤ مضى اللورد كرومر الى السودان لتفقد احوالهِ وذهب معهُ المستشار المالي

١٥ احتفلت الجمعية الجغرافية المصرية بيوبيل ٢٥ سنة مرَّت عليها منذ افتتاحها فناب عطوفتلو مصطفى باشا فهمي عن الجناب الخديوي في حضور احتفالها . دخل البوير مستعمرة الراس

١٦ غرقت بارجة المانية متخذة مدرسة بحرية على سواحل اسبانيا وغرق فيها ٣٨ نفساً

١٨ ضبطت الحكومة الفرنسوية في مرسيليا اربعين صندوقاً مملوءة غنائم غنمها الجنرال فري من الصين وستردها كلها الى الصين . ارسل امبراطور المانيا اكليلاً دقيق الصنعة ليوضع على ضريح السلطان صلاح الدين في دمشق

١٩ هزم الجنرال فرنش ٢٥٠٠ من البوير فقتل منهم ٥٠ وتقهقر الباقون وخسر الانكليز ١٤ جريحاً . صدر الامر العالي بربط الميزانية المصرية لسنة ١٩٠١ وهي عشرة ملايين وسبع مئة الف جنيه للايرادات وعشرة ملايين وستماية وستة وثلاثون الف جنيه للمصروفات

٢١ اعلنت الاحكام العرفية في مقاطعات كثيرة من مستعمرة الراس خوف الثورة . احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية احتفالها السنوي في حديقة الازبكية . ثبتت رؤية هلال رمضان في المساء

٢٢ ابتدأ شهر رمضان وجرت التشريفات في المساء

٢٤ صادق مجلس الشيوخ بفرنسا على العفو العام عن كل ما يتعلَّق بمسألة دريفوس . خطب اللورد كرومر في الخرطوم على مشايخ السودان

٢٦ احتفل بعيد الميلاد عند الطوائف المسيحية الغربية . واستعرض اللورد كرومر الجنود المصرية التي في السودان

٢٦ سلم السفراء الرقيم الاجماعي الى البرنس تشنغ ليقدمهُ الى امبراطور الصين . توفي غلام محمد خان عم امير الافغان في دمشق الشام وعمرهُ تسعون سنة

٢٧ توفي اللورد ارمسترنغ المهندس المشهور مخترع المدفع المعروف باسمهِ

باب الزراعة

التعليم الزراعي في فرنسا

القسم العالي

النصف الاول من السنة

(١) الحيوانات — يعلَّم التلامذة كيفية الفرق بين الحيوانات بارشادهم الى الفروق بين الحيوانات الاهلية وترسَّخ في عقولهم قواعد التدابير الصحية اللازمة للاعتناء بالمواشي ويُدرَّسون وظائف اعضاء الجسد الرئيسية كالقلب والرئتين والمعدة والكبد ويُرون هذه الاعضاء في الحيوانات الميتة

(٢) الانسان — يعلَّم التلامذة قواعد حفظ الصحة ووجوب الجري عليها ولاسيما ما يتعلَّق منها بالهضم والدورة الدموية والتنفُّس وعلاقة المشاعر بالاعصاب

(٣) مبادئ الطبيعة — يثبت لهم بالتجارب البسيطة مبادئ الحرارة والنور والكهربائية والجاذبية ويعوَّدون على قراءة الترمومتر والبارومتر واستعمال الخرائط المتيورولوجية

(٤) مبادئ الكيمياء — يعلَّمون مبادئ الكيمياء بالتجارب وتختار التجارب المتعلقة بعلم الزراعة خاصةً فيعلمون مثلاً كيفية استخراج البوتاسا من رماد الخشب وكيفية استحضار الفصفات الذي يقبل الذوبان من العظام المكلَّسة . واكتشاف الامونيا في المواد التي تحتوي شيئاً منها

(٥) الجمادات — تدرس الاتربة والصخور بالتجارب الكيماوية وبالمشي في البلاد ومشاهدة ما فيها وشرح خواص اتربتها وصخورها

(٦) زراعة الغلال والبساتين — تجعل الدروس منطبقة على زراعة البلاد وعلى الدروس الاخرى الطبيعية والكيماوية وعلى الاماكن التي يمشي فيها التلامذة

النصف الثاني من السنة

(١) التجارب الزراعية — وهي تشمل التجارب التي تتضح بها كيفية تحلل الهواء للتراب ولزوم النيتروجين والحامض الفصفوريك والبوتاسا والجير لنمو المزروعات وفائدة السماد الآكي للارض ميكانيكيًّا لتحليل التربة فوق فائدته كغذاء للنبات . والسماد اللازم لكل تربة على حدتها لانهُ يقدم لها ما تحتاج اليهِ لنمو النبات فيها . واذا زاد عن المطلوب فلا فائدة من الزيادة

ويمكن اجراء اكثر هذه التجارب بزرع النباتات في آنية صغيرة امام التلامذة في اتربة مختلفة وتسميدها بانواع مختلفة من السماد . ويحسن ايضاً ان تجرى هذه التجارب في بستان قريب من المدرسة

(٢) ارض الامتحان — يجب ان يهتم الاستاذ هنا باظهار فائدة المعارف الزراعية في زيادة الغلّة اي ان يقابل بين قطع مختلفة من الارض بعضها يزرع حسب الطرق العادية وبعضها يزرع حسب الطرق العلمية حتى يظهر اخيراً الفرق بين غلّة هذه وغلّة تلك . ويعيّن لكل نوع من المزروعات ثلاث قطع قطعة تزرع ولا تسمّد وقطعة تزرع وتسمد بزبل المواشي كما تسمد الارض عادة في البلاد التي المدرسة فيها وقطعة تزرع وتسمد بالزبل وبالسماد الكيماوي الذي تقتضيهِ طبيعة الارض وطبيعة ما يزرع فيها من الزرع حسبما قرّرهُ استاذ الزراعة بالامتحان الكيماوي

ولا بدَّ من ان يشترك التلامذة في اعداد الارض وخدمتها او ان يعملوا بايديهم و يشتغلوا بعقولهم

(٣) مماشي التلامذة — لا بدَّ للتلامذة من ان يخرجوا للنزهة مشاةً كل يوم فيقضون ساعةً او اكثر في المشي بين الحقول والمزارع . وقد سمينا الاماكن التي يمشون فيها مماشي وهي لازمة لهم من باب صحي ومن باب علمي و يغتنم الاساتذة الفرصة حينئذٍ ويخبرونهم عن انواع التربة التي يشاهدونها في مشيهم واساليب الزراعة والحشرات التي يرونها وآلات الزراعة وكل ما تقع عينهم عليهِ مما يدخل في علم الزراعة وعملها . ويوجه نظرهم بنوع خاص الى الامور التالية وهي

الحرث — شكل المحاريث كيفية قلبها للتربة مزايا بعضها على بعض مقدار غورها في الارض فائدة ذلك في قلب التربة وتجفيفها. زمن الحرث المرّات التي تحرث بها الارض

التقصيب — كيفية ذلك واختلافهُ باختلاف الاراضي وفائدتهُ في نزع الحشائش

وضع السباخ — . انواع السباخ وكيفية وضعها في الارض قبل الحرث وبعدهُ وقبل الزرع وبعدهُ

الزرع — الشروط اللازمة لنمو البزر . الزرع العميق وغير العميق . اختلاف الفصول وتأثيرها في الزرع . مقدار التقاوي

القضب والتطعيم — وهذا خاص بالجنائن اي باشجار الفاكهة كالليمون والكمثرى والكرم وما اشبه

اعمال الزراعة الخفيفة — كنزع الاعشاب والعزق ونزع الجذور العليا

الحصاد — اوقاتهُ وطرقهُ والآلات المستعملة فيهِ فان هذه كلها يجب ان يريها الاستاذ لتلامذتهِ وهي تستعمل في اماكنها و يشرح لهم تركيبها وعملها

وعلى الاستاذ ان يعلم ما هو عازم ان يريهُ لتلامذتهِ قبل الوصول اليهِ فيعد عقولهم لهُ بشرحهِ في المدرسة ويعيد شرحهُ لهم بعد رؤْيتهِ ويجعلهُ موضوعاً للدرس لان قرن العلم بالمشاهدة يرسّخ قواعد العلم في النفس ويسهّل فهمها

هذه خلاصة ما نشرتهُ وزارة الزراعة في فرنسا واوجبت العمل بهِ في المدارس الابتدائية في كل البلاد الفرنسوية. وحبذا لو اقتدت بها الحكومة المصرية فوسعت نطاق المدرسة الزراعية ورغبت تلامذتها في تولي نظارة المدارس الابتدائية وادخال العلوم الزراعية الابتدائية فيها وقرن العلم فيها بالعمل على حسب النحو الذي شرحناهُ . واذا عقدت الحكومة نيتها على ادخال مبادىء العلوم الزراعية الى مدارسها لم يتعذَّر عليها ذلك بل وجدت السبل الموصلة اليهِ

المحراث المصري

صارت مجلة الشركة الزراعية في يد المستر فودن مخزن فوائد لا يستغنى عنها . وقد رأينا في الجزء الاخير الذي صدر منها مقالات كثيرة عميمة الفائدة شرح في المقالة الاولى منها فائدة المحراث . ومما قالهُ في هذا الصدد انهُ يُقصَد بالمحراث قلب الارض لا مجرَّد اثارة ترابها اما المحراث المصري فلا يقلب الارض قلباً بل يثير ترابها اي يحركهُ في مكانهِ ولذلك فالفوائد التي تنتج من الحرث الجيد مثل تهوية الارض وتغيير موادها من حالة لا تقبل الذوبان فيها الى حالة تقبل الذوبان فيها لا تنتج كلها من الحرث بالمحراث المصري. والحرث الجيد بمثابة السماد للارض حتى ان من يحرث ارضهُ جيداً يستغلّ منها ولو كانت غير جيدة اكثر مما يستغلهُ صاحب الارض الجيدة من ارضهِ اذا لم يحرثها جيداً

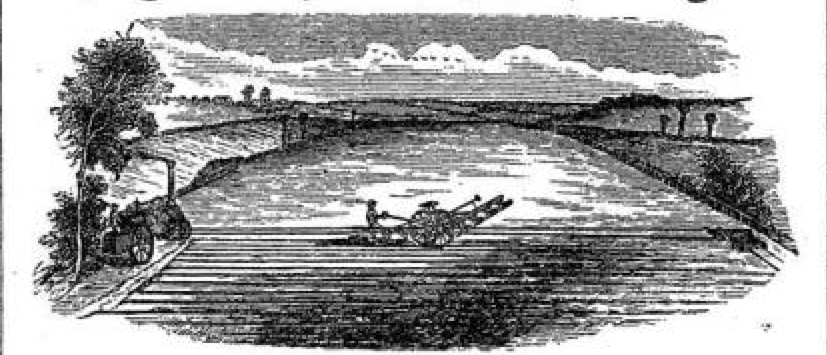
ثم ان زراعة البرسيم تفيد الارض لان البرسيم يستمدّ بعض غذائهِ من الهواء ويتركهُ في الارض اذا حرثت والبرسيم فيها فاذا كان المحراث يقلبها قلباً غطى ترابها البرسيم فانحل فيها وصار سماداً لها واما اذا كان المحراث لا يقلبها قلباً لم يتغطَّ كل البرسيم فيها فلا تستفيد منهُ كل الفائدة التي تستفيدها اذا قُلب ترابها على البرسيم وطمرهُ ولذلك فالمحراث الاوربي اصلح كثيراً من المحراث الوطني من هذا القبيل

ولكن يعترض على المحراث الاوربي اعتراضات كثيرة اولها غلاء ثمنهِ فان ثمن المحراث الوطني من خمسين غرشاً الى ستين واما المحراث الاوربي فثمنهُ اربعة جنيهات على الاقل وقد يكون ثمنهُ ثمانية جنيهات .وهو كثير التراكيب سريع الخلل واذا اختلَّ تركيبهُ عسر اصلاحهُ في هذه البلاد . وكذلك جرُّهُ في الارض صعب جداً في الحرث الاول بعد ضم الزرع لانها

تكون صلبة يعسر شقها واما اذا حُرثت بالمحراث الوطني اولاً فيسهل حرثها ثانية وقلبها بالمحراث الاوربي . وكذلك يُفضَّل المحراث الوطني على المحراث الاوربي اذا كان الماء قليلاً وأُريد حفظهُ في الارض ولاسيما في الحياض التي تروى مرة في السنة كما في الوجه القبلي لانهُ يشق الارض شقاً ولا يقلبها قلباً كالمحراث الاوربي فلا يتبخر الماء منها فتجف

المحراث البخاري

ثم التفت المستر فودن الى المحراث البخاري وقال ان اراضي القطر المصري اصلح لهُ من اراضي البلدان الاوربية لان الارض منبسطة في القطر المصري ويسهل حرث الخطوط الطويلة فيها . ثم فصَّل انواع المحاريث البخارية فقال انها ثلاثة اشهرها ذو الآلتين لان فيهِ آلتين بخاريتين توضع الواحدة امام الاخرى على طرفي الارض التي يراد حرثها وتوضع المحاريث بينهما



فتجرها الآلة الواحدة اليها بسلاسل متصلة بها ومتى وصلت اليها انقلبت محاريثها الى الجهة الاخرى فتجرّها الآلة الثانية اليها وتتقدم الآلتان رويداً رويداً على جانبي الارض حتى يتم حرثها. وآلتا هذا المحراث تستعملان لاغراض اخرى بعد ما يتم حرث الارض فتستعملان للدراسة او للري

ويتلوهُ المحراث الذي لهُ آلة واحدة يقابلها مركبة ثقيلة كالمرساة فالآلة تجر المحاريث ذهاباً واياباً وهي متصلة بالمرساة بسلسلة طويلة . وقد رأينا ان نضع هنا صورة هذا المحراث لان النظر اليها يغني عن الاسهاب في وصفهِ . اما المحراث الثالث فرسانهُ تتحرك من نفسها بآلة فيها وقد أُهمل استعمالهُ الآن لكثرة نفقاتهِ . ومن رأي المستر فودن ان المحراث ذا الآلتين أفضل من غيرهِ ولاسيما اذا كانت آلتاهُ مصنوعتين ليوقد فيهما حطب القطن كما يوقد الفحم .

واذا اشترك فلاَّحان في محراث وابتاع كلٌّ منهما آلة بخارية استطاع كلٌّ منهما ان يستعمل آلتهُ للري او للضم عند الفراغ من الحرث . ويمكن الحرث بهذا المحراث بحث يكون العمق ٢٠ سنتمترًا فقط او بحيث يبلغ العمق ٧٠ سنتمترًا حسب الطلب ويكون في المحراث سلاح (سكة) واحد او سلاحان او اربعة الى سبعة . وفي المحراث المرسوم ههنا اربعة اسلحة من كل جهة

والغالب ان المحراث البخاري يحرث من ثمانية افدنة الى ١٢ فدانًا في اليوم ولا ينتظر ان يحرث مقدار ذلك في القطر المصري. وتوضع فيهِ سكك غير المحاريث للعزق وفتح الخنادق او الملألات فيشق بهِ خندق طولهُ الف وسبع مئة متر في الساعة وعمقهُ ستون او سبعون سنتمترًا وسعتهُ ٩٠ سنتمترًا

ضربة الليمون

ذكرنا منذ بضع سنوات ان الاميركيين اخذوا يعالجون ضربة الليمون القشرية بغاز الحامض الهيدروسيانيك وذلك بوضع خيمة كبيرة فوق شجرة الليمون واطلاق غاز الحامض الهيدروسيانيك تحتها حتى ينتشر بين اغصان الشجرة واوراقها ويميت ما عليها من الحشرات . وقد كتب الينا بعض الفضلاء من طرابلس الشام انهم جرَّبوا ذلك حسب ارشاد المقتطف فلم يفِ بالغرض وطلبوا منا ان نبحث عن سبب فشلهم فرأينا في مجلة الجمعية الزراعية الآن ان اطلاق غاز الحامض الهيدروسيانيك يجب ان يكون ليلاً لا نهارًا "لان نور الشمس يحل هذا الغاز فيتكوَّن منهُ غازات اخرى تضرُّ ورق الليمون ولا تضرُّ كثيرًا بالحشرات" ويستطيع اربعة رجال ان يستعملوا ست خيام الواحدة بعد الاخرى فمتى انتهوا من نصب الخيمة السادسة واطلاق الغاز فيها يكون الغاز قد فعل فعلهُ في الخيمة الاولى فيرفعونها ويضعونها على شجرة اخرى ويطلقون الغاز فيها ثم يعودون الى الخيمة الثانية فالثالثة وهلمَّ جرًّا. ويتيسر لهم بذلك ان يبخروا ٢٤٠ شجرة في ليلة واحدة واذا كانت الاشجار صغيرة والرجال متدربين على العمل والخيام اربعين خيمة سهل عليهم تبخير اربع مئة شجرة في ليلة واحدة ولا تزيد نفقة تبخير الشجرة على نصف فرنك اما الشجرة الكبيرة فتبلغ نفقات تبخيرها اربعة فرنكات واذا زاد ارتفاعها على عشرة امتار تعذَّر تبخيرها مطلقًا لصعوبة نصب الخيمة فوقها

اما المواد الاصلح لاستحضار غاز الحامض الهيدروسيانيك فهي اوقية من سيانيد البوتاسيوم النقي واوقية سائلة او اكثر قليلاً من الحامض الكبريتيك وثلاث اواقي سائلة من الماء وهذه

الكميات يتولد منها غاز كافٍ لما مساحتهُ ١٥٠ قدماً مكعبة من الشجر اي لشجرة قطر اغصانها متران وعلوها متران. وهي توضع في اناء على الارض داخل الخيمة يوضع فيهِ الماء اولاً ثم الحامض الكبريتيك واخيرًا السيانيد ثم تقفل الخيمة وتترك كذلك ثلاثين دقيقة او اربعين. وهذا الغاز يقتل الحشرات ولا يضرُّ الاثمار



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحدٍ فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

"علموا البنات الطبخ والنفخ"

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

حضرتُ الاحتفال بمنح الشهادات لتلميذات مدرسة البنات الاميركية في العاصمة وسمعت الخطب الانيقة التي تليت فيهِ. وقد دلت تلك الخطب على ان بناتنا جاريْنَ ابناءنا في اختيار المواضيع وشرحها بعبارة معربة فصيحة. وسواء كنَّ المنشئات لتلك الخطب من غير ان يساعدهنَّ احد او ساعدهنَّ اهلهنَّ ومعلماتهنَّ فالنتيجة حسنة جدًّا تدلُّ على ان التعليم قد اثمر فيهن

وقد سمعتُ من بين تلك الخطب خطبةً لم استغربها كثيرًا لانني اعتدت سماع مثلها من الخطب والاحاديث ومفادها ان تعليم البنات لا يفي بحاجة البلاد ما لم تتعلم البنت الطبخ والنفخ او كما قال احد الحضور الذي وقف خطيبًا عند ختام الحفلة "الطبخ والعجن". وانا وغيري من السيدات اللواتي كنَّ حاضرات هناك نعترض على هذا القول اشد الاعتراض ولا نريد ان نرسل بناتنا الى المدارس ليتعلمنَ فيها الطبخ والعجن الَّا اذا كانت المدرسة لتعليم الخادمات واردنا ان نعلم بناتنا ليكنَّ خادمات في بيوت غيرهنَّ

ولا انكر ان الطبخ والعجن لازمان لكل بيت من البيوت ولا تعيش عائلة ما لم يوجد من

يهيء لها الطعام من خبز وطبيخ. ولا انكر ايضاً ان اكثر العيال مضطرة ان تعد طعامها بنفسها وان اعداد الطعام يكون من عمل المرأة في الغالب لا من عمل الرجل . ولكن هذه العيال التي تلتزم نساؤها ان تعد طعامها بيدها لا تقدر في الغالب ان تبعث بناتها الى المدارس العالية. اما العائلة التي تقدر ان تنفق على بناتها في المدارس العالية فلا تضطر المرأة التي فيها ان تعجن وتطبخ طعامها بيدها بل تستطيع ان تشتري خبزاً مخبوزاً وان تستخدم طباخاً يطبخ لها وان عجنت وطبخت بيدها فلزيادة الحرص

واني استميح حضرة الخطيب والخطيبة بذكر الامثلة الآتية لزيادة الايضاح فاقول .

ان الزراعة من اول المعايش والزمها ولا تستطيع امة من الامم ان تعيش ما لم تزرع الارض وتستغلها . والزراعة لازمة لزوم العجن والطبخ ولكن يستطيع عدد كبير من اعضاء كل امة ان يعيشوا وينجحوا من غير ان يتعلموا الفلاحة والزراعة ومن غير ان يعملوا بهما كأن يتعلموا الطب مثلاً فيكونوا اطباء او يتعلموا الحقوق فيكونوا قضاة او محامين او يتعلموا الادارة فيكونوا حكاماً ومديرين او يتعلموا الفنون العسكرية فيكونوا جنوداً وضباطاً او يتعاطوا التجارة على انواعها من بيع وشراء . ومع لزوم الزراعة الامة لزوماً لا انفكاك عنهُ نجد ان عدداً كبيراً من رجالها لا يتعلمون الزراعة ولا يعملون بها ومع ذلك تعيش تلك الامة وترتقي . نعم انهُ في غابر الازمان قبلما جرى الناس على ناموس تقسيم الاعمال كان كل احد يزرع ارضهُ بيدهِ ويستغلها ولا يعيش ما لم يزرع ويستغل طعامهُ بيدهِ اما بعد ان تقسمت الاعمال صار البعض يزرعون الارض لهم ولغيرهم ولم تعد الزراعة حرفة عامة لجميع الناس

ومن هذا القبيل نسج المنسوجات فان الناس في الزمان القديم كانوا يجزُّون صوف غنمهم ويغزلونهُ وينسجونهُ ويخيطونهُ ويلبسونهُ . واللباس لازم لزوم الاكل والشرب فهل نجبر كل رجل ان يغزل قطنهُ او صوفهُ بيدهِ ويحيكهُ كما كان يفعل الناس في قديم الزمان او نكتفي بحصر صناعة الغزل والنسج ببعض الناس واناطة اعمال أُخرى بالبعض الآخر على موجب ناموس تقسيم الاعمال

ولا شبهة في ان الطبخ والعجن لا يزالان شائعين اكثر من شيوع الغزل والنسج اي ان كل الناس تقريباً يصنعون خبزهم ويطبخون طبخهم في بيوتهم ولكن اذا استطاعت امرأة ان تعمل عملاً آخر غير الطبخ والعجن اربح لها منهما واريح لها منهما فيكون من الحماقة والسخافة ان تترك هذا العمل وتهتم بالمطبخ . فان المرأة التي تستطيع ان تكون معلمة وتربح في شهرها ستة جنيهات وتستطيع ان تستخدم خادمة تطبخ لها طعامها وتدبر لها بيتها بجنيه او جنيهين في

الشهر يكون من الحماقة والجهل ان تترك التعليم وتطبخ طعامها بيدها . وشأنها في ذلك شأن محرر الجريدة الذي يربح من تحريرها خمسين جنيهاً في الشهر ثم هو يترك التحرير ويزرع فدانين من الارض يستغلُّ منهما ما يحتاج اليهِ من القمح والذرة والقطن ويحلج قطنهُ و يغزلهُ و ينسجهُ و يخيط منهُ ثيابهُ

ولا بدَّ لكل امة من اناس يحرثون و يزرعون واناس يغزلون و ينسجون واناس يبنون ويفرشون واناس يطبخون و ينفخون واناس يعجنون و يخبزون . والامم المتبربرة التي لا تزال على الهمجية يعمل كل واحد منها هذه الاعمال كلها . وعلى حسب ارتقاء الامة تتوزع الاعمال بين اعضائها فيسهل عملها و يزيد اتقانها بتوزيعها . والذي يطلب من الوزير والمدير والتاجر والقاضي والمحامي والطبيب ان يعملوا كل الاعمال اللازمة للمعيشة انما يقصد الرجوع بنوع الانسان الى حالة الهمجية والبربرية وكذا من يطلب من امرأة الوزير والمدير والتاجر والقاضي والمحامي والطبيب ان تترك المطالب التي تستطيع ان تعمل بها حسب مقامها ومقام زوجها وتعمل ما تعملهُ امرأة الفلاح من طبخ ونفخ وحلب وصر انما يخالف ناموس الارتقاء وتقسيم الاعمال . وكما تحتاج الامَّة الى طبَّاخات ونفَّاخات تحتاج الى مربيات ومعلمات ومؤلفات ومدبرات ونساء يعرفنَ كيف يستقبلن الضيوف ويحدثنَ الزوار وينفثن في الحياة بهجةً وسروراً . والمرأة المتعلمة المتهذبة التي تستطيع ان تستخدم الخدم في بيتها لا تتعذر عليها ادارتهم ومراقبتهم كما ان الملاَّك الماهر يستطيع ان يدير زراعتهُ ولو لم يمسك المحراث بيدهِ . اما النساء اللواتي لا يستطعن ان يستخدمن الطبَّاخ والطبَّاخة بل يلتزمنَ ان يطبخن طعامهنَّ بايديهنَّ لفقرهنَّ فقليلات منهنَّ يستطعنَ ان يتعلمن في المدارس العالية . وسواء تعلمنَ فيها او لم يتعلمن فالطبخ والنفخ يتعلمنهُ من امهاتهنَّ في بيوتهنَّ ولا داعي لان يضاع وقت المدرسة الثمين في تعليم الطبخ والنفخ وما اشبه . واذا بحثنا عمَّا تمسُّ اليهِ الحاجة في القطر المصري وجدنا انهُ نشر التعليم العمومي في البلاد كلها لانهُ مفتاح التهذيب والارتقاء والنساء محتاجات اليهِ احتياج الرجال . ولا ينتشر التعليم و يعمُّ النساء والرجال ما لم تُستخدَم المعلمات للتعليم في المدارس الابتدائية كما فعل اهالي اوربا واميركا . فالحاجة ماسَّة الآن الى معلمات لا الى طبَّاخات ونفَّاخات

مصر احدى قارئات المقتطف

احتجاب المشتري

كانت ليلة التاسع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي صافية في هذه البلاد فاشرق قمرها وبسط نورهُ على المروج الخضراء التي كستها الطبيعة ابهى الحلل

في تلك الليلة كنت ترى الناس زرافات ووحدانًا في الحدائق العمومية والشوارع الكبيرة على غير عادتهم وكلهم عيون تنظر الى السماء بعجب ودهشة وتراقب الفلك كأنها شعرت بلذة لم تشعر بها الحواس من قبل. وكلٌّ منهم يقول للآخر سنرى منظرًا غريبًا لا نراهُ مرةً اخرى في حياتنا كوكبًا يدنو من القمر كأنهُ يريد الامتزاج بهِ منظرًا نراهُ نحن فنستغربهُ ونسرُّ بهِ ويراهُ الفلكي فيرقبهُ بنظارتهِ ويستفيد منهُ في حل مسائل كثيرة في علم الفلك

وقد كان احتجاب المشتري ظاهرًا في كل جهات نيوسَوث ويلس وابتدأ الساعة ٧ والدقيقة ٣٧ والثانية ١٢. وبعد ٣٥ ثانية اختفى المشتري تمامًا لانهُ صار وراء القمر. وانتهت مدة الاحتجاب الساعة ٨ والدقيقة ٤٣ والثانية ٣٧. وكنا نرى المشتري صغيرًا جدًّا بالنسبة الى القمر والحقيقة انهُ اكبر منهُ كثيرًا

والنجمُ تستصغر الابصار رؤيتهُ والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

بل ليس الذنب للنجم ولا للطرف ولكن للبعد الشاسع فان حجم الاجرام يصغر ببعدها عنا. والثوابت التي يرى كلٌّ منها صغيرًا كنقطة في لوح السماء يفوق جرم كلٍّ منها جرم الارض وجرم الشمس

وديع ابو رزق — سدني باستراليا

تحريف الاسماء المعرَّبة

حضرات الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

خصَّ كاتب بسدني ناطقي الضاد بتحريف وتغيير ونسخ اسماء اعلام العجم وأيَّد ذلك بمثل القائد Gordon وغيرهِ الذي لم يستعض فيهِ سوى حرف G بحرف الغين الحلقيتين وكذلك Gatacre بالجيم. وكأني بهِ يتجاهل ما يحرفهُ العجم انفسهم في الاسماء العربية من التحريف الخبيث الذي يكاد يذهب بالمقصود منها واليك بعضها مُسلم Moslem (مُظْلَمْ). والقاهرة Cairo (كايرو). والدولة الاموية Ommyads (أُميادز). والدولة العباسية Abbasides (أبَّاسيْدِز). وعكاء Acre (إكَرْ). ونهر وادي الكبير Guadalquivir (جادلكفير). والحمراء Alhambra (ألهمبرا). وطائفة المرابطين بشمالي افريقية Almoravides (المرافيدز) وغيرها ممَّا لا يدخل تحت حصر. ولم يكُ هذا التحريف داعيًا الى سلقهم وتصويب سهام الملام اليهم فان النقل والترجمة لا يخلوان من التصرفُ في الاسماء الاعجمية مهما بالغ الناقل والراوي والمعرب في الدقة

سمعان عوض — امبابه

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرِّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كيف تكوّن الانسان

سان باول بالبرازيل. الخواجه اندراوس الشخاتيري . يزعم الماديون ان الانسان تكوّن من عناصر طبيعية فوُجدا اولاً كتلة لحم متحركة ولكن هل للماديين كلام عن اصل تلك الكتلة وهل كانت ذكراً او انثى او كانت ذكراً وانثى معاً وكيف ظهر النوعان من عناصر واحدة واذا لم تكن الاَّ من نوع واحد فكيف تولَّد النوع الآخر

ج ان الماديين لايقولون هذا القول ولا ما يشابههُ كأنهُ مذهب خاص بهم يخالفهم فيهِ غيرهم . والحقيقة التي لا ريب فيها ان كل انسان يكون جنيناً في بطن امهِ قبلما يولد والجنين يكون نطفةً صغيرةً جداً لا ترى بالعين لصغرها فالجنين يولد في الشهر التاسع من الحمل. وقبل الحمل بيوم او يومين اي قبلما يولد بتسعة اشهر يكون نطفة صغيرة اصغر من اصغر نقطة في هذه الصفحة وهذه النطفة لا تكون ذكراً ولا انثى ولا يكون لها يدان ولا رجلان بل تكون جسماً دقيق الذنب كالدبوس يدخل البيضة وهي صغيرة ايضاً اصغر من اصغر نقطة في هذه الصفحة لا ترى بالعين لصغرها فتأخذ تنمو وتكبر ثم يتولد لها رأس ويدان ورجلان. ولا تظهر الاعضاء الفارقة بين الذكر والانثى الاَّ في اواخر المدة التي يتكون فيها الجنين. وتكون هذه الاعضاء واحدة في الجنين في اول الامر ثم تتنوع حتى يمتاز الذكر عن الانثى . وهذه الامور كلها تحدث في شهور قليلة وقد شوهد الجنين في كل ادوار تكونهِ فعلمت منهُ الامور التي تقدَّم ذكرها . فليس الامر رأياً نظرياً بل هو حقيقة حسية مشاهدة . ويقول العلماء ان ما يتم من التغيرات في هذه النطفة حتى تصير انساناً في اقل من تسعة اشهر هو مثال ما حدث في نوع الحيوان منذ بداءة وجودهِ الى ان صار انساناً وان القوة التي تصيّر النطفة انساناً في تسعة اشهر هي نفس القوة التي جعلت الحي الاول يرتقي في النمو حتى صار منهُ نوع الانسان. هذا ما يقولهُ الماديون وكل علماء الطبيعة

(٢) الدين والتقدم

السويس . مينا افندي راغب . هل للاديان علاقة بتقدُّم الممالك او تأخرها

ج نعم وعلاقتها كبيرة ولاسيما اذا كان لها سلطة قوية على الشعب . ولا يُعقل ان يكون لامر من الامور سلطة عظيمة على كل فرد من افراد شعب الأُ ويكون لهُ علاقة كبيرة بما يأول الى تقدُّم ذلك الشعب او الى تأخرهِ

(٣) تقدم مصر

ومنهُ . اذا استمرَّت مصر سائرة على الانموذج الترقي البطيء المشاهد الآن ففي كم عام تبلغ مراتب الممالك الاوربية الكبرى من حيث العلوم والمعارف والصنائع والغنى

ج كلما فكَّرنا في هذا الامر اتضح لنا ان بلوغ مراتب اوربا بعيد جدًّا ان لم يكن ضربًا من المحال فانتشار التعليم مثلاً لا يتمُّ ما لم نستعن بالنساء لتعليم الصغار في المدارس الابتدائية . وعوائد القطر المصري تكاد تمنع البنات والنساء من التعليم لو تعلمنَ . واذا بقينا جارين على هذا الانموذج البطيء فالبنات اللواتي يتعلمنَ الآن لا يكفين لما يزيد في عدد السكان عامًا بعد عام لان هذه الزيادة تبلغ نحو ثلاثة في المئة سنويًّا فاذا حسبنا عدد الصغار الذين في سنّ التعلم الابتدائي مليونًا ونصف مليون فالزيادة السنوية في عددهم ٤٥ الفًا يقتضون الف معلمة على الاقل كل سنة . وقد نفلح في ادخال بعض الصنائع التي يسهل العمل بها في هذا القطر ونبلغ بها مراتب الاوربيين ولو لم ينتشر التعليم في بلادنا كما هو منتشر في بلادهم ولكن بلوغ مبلغهم من الغنى ضرب المحال لان متوسط دخل الشخص الواحد من الانكليز نحو ثلاثين جنيهًا في السنة ونحن لا دخل لنا الأ من اطياننا وهذا الدخل يقدَّر الآن باربعين مليونًا من الجنيهات وعدد السكان عشرة ملايين فيكون متوسط دخل كل نفس اربعة جنيهات في السنة وقد يتضاعف دخل الاطيان بعد سنوات قليلة باتساع مساحتها واتقان زراعتها ولكن عدد السكان يزيد ايضًا فيتضاعف في اقل من ثلاثين سنة . فلا بدَّ من ان تمضي سنون كثيرة قبلما يزيد متوسط الدخل على ثمانية جنيهات في السنة . الأ ان الاوربيين لا يقفون عند الحد الذي نراهم فيهِ الآن منتظرين وصولنا اليهم بل اذا تقدَّمنا خطوة تقدموا خطوتين وقد يناظروننا في مواطننا ويأكلون خيراتنا امام عيوننا فلذلك كلهِ لا ندري كيف نبلغ مراتبهم

(٤) كارليل

ومنهُ . ما شهرة كارليل . وما رأيكم في كتابهِ المسمى بالابطال وعبادة الابطال وهل ترجم هذا الكتاب الى العربية

ج كارليل كاتب من اشهر كتَّاب الانكليز لهُ نفَس في الانشاء خاص بهِ يحبهُ

البعض و يُعجب بهِ ويكرههُ البعض الآخر ويشمئز منهُ حتى انهُ لما ألَّف كتابهُ المسمى فلسفة اللباس وعرضهُ لنقد الناقدين هزأ بهِ كثيرون وقال بعضهم ان الذي يقرأهُ عكساً من آخر كلمة منهُ الى اول كلمة يفهم منهُ كما يفهم من يقرأهُ طرداً من اولهِ الى آخرهِ. ولم نقرأ كتاب الابطال الذي ذكرتموهُ ولكننا قرأنا غيرهُ من كتبهِ فرأينا عبارتهُ معقدة احياناً كثيرة يمازجها الخيال حتى تصير اقرب الى الشعر منها الى النثر ووصفهُ بالغ حدَّ الاعجاز حتى كأنهُ يصور ما يصفهُ تصويراً لكن مقامهُ عند قومهِ لا يتوقف على انشائهِ بل على براعتهِ في انتقاد العادات والاخلاق انتقاداً مزج فيهِ البلاغة بالمزح والتهكم حتى يقال انهُ لم يفقهُ احد في ذلك. ولم يترجم كتابهُ الى العربية في ما نعلم

---

(٥) تاريخ العام الماضي

ام درمان . جبرا افندي حنا . نرجو ان تدرجوا لنا في مقتطف يناير مقالةً تحتوي على تاريخ العالم في هذه السنة ويا حبذا لو كنتم في نهاية كل سنة تلخصون تاريخها لكي تزينوا العربية بقلائد تاريخ مضبوط مختصر

ج قد اجبنا طلبكم في هذا الجزء وكان ذلك الباعث الاكبر لتأخيرهِ الى الآن لان جمع هذه الحوادث التاريخية اقتضى وقتاً اطول مما كنا نظن وسنزيد ذلك اتقاناً واسهاباً في السنوات التالية ان شاء الله

---

(٦) الدور الجليدي

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . قلتم انهُ يحتمل او يرجح ان الاقطار الاوربية تبرد كثيراً لاسباب فلكية فلا يعود الانسان قادراً على السكن فيها فتخرب مدنها وتعفى آثار معالمها . فهل يمكن تحديد الاجل الذي يتم فيهِ ذلك

ج كلاَّ لان الزمن الذي حدث فيهِ الدور الجليدي الاخير تختلف في قدميتهِ فان كان قد حدث منذ نحو مئتي الف سنة حينما كان مركز فلك الارض على اعظم بعدهِ عن الشمس فيكون عودهُ بعد نحو اربعين الف سنة لان مركز فلك الارض يبعد ويقرب من مركز الشمس ويتم دورتهُ في نحو ٢٤٠٠٠٠ سنة وان كان قد حدث منذ نحو عشرة آلاف الى خمسة عشر الف سنة فقط كما يقول الجيولوجيون الاميركيون فيحتمل انهُ يحدث ثانية بعد نحو عشرة آلاف سنة اخرى لان حدوثهُ يتكرر مرتين او ثلاثاً قبلما يدور الدور وربما عدنا الى هذا الموضوع فبسطناهُ في فرصة أخرى

(٧) مكس ملر والهنود

ومنهُ . قلتم ان مكس ملر اللغوي بذل جهدهُ مدة خمسين عاماً ليقنع الانكليز ان

الهنود ابناء اعمامهم لكن هذا لم يغير رأي الانكليز في الهنود ولا افاد الهنود مثقال ذرة. فهل من صلة تجمع بين الفريقين حتى كان ذلك العلاّمة باذلاً جهده في اقناع الاولين بان الاخرين من ابناء اعمامهم واي فائدة من الفوائد يقصدها مكس ملر ولم ينل الهنود منها مثقال ذرة

ج ان لغة الهنود القديمة المعروفة بالسنسكريت مشابهة للغة اليونانية واللاتينية وما تفرَّع منهما فاستنتج مكس ملر من ذلك ان اهالي اوروبا واهالي الهند من شعب واحد سماهُ الاصل الآري وان وطن هذا الشعب كان في الجبال التي في قلب اسيا فهاجر بعضهُ غربًا الى ان وصل اوربا ونزل البعض الآخر جنوبًا وانتشر في بلاد الهند. وكان غرض مكس ملر ان يجعل الانكليز ينظرون الى الهنود كاخوان لهم ويعاملونهم معاملة الاخوان فلم ينجح ولو نجح لامتزج الانكليز بالهنود امتزاج ابناء الشعب الواحد وعاد ذلك بنفع كبير على الهنود كما لا يخفى

(٨) اماكن المعادن

ومنهُ. كيف يمكن الاستدلال على الارض التي يظن ان فيها منجماً لمعدن من المعادن وهل يعوَّل في ذلك على الموضوعات القديمة او توجد استدلالات حديثة يمكن اعتبارها من الممهدات لمعرفة الارض التي فيها معدن

ج ان اردتم بالموضوعات القديمة الخرائط والتواريخ ونحوها فدلالتها كبيرة الفائدة كما ترون في الخريطة المصرية القديمة التي جاءت منطبقة على ما كشف من مناجم الذهب في الجهة الجنوبية الشرقية من القطر المصري. وفي علم المعادن وعلم الجيولوجيا دلائل كثيرة على وجود المناجم ولكن اكثر المناجم الشهيرة وجد بالاتفاق كما وجدت مناجم كليفورنيا واستراليا وكلنديك

(٩) غذاء الاشجار

اسيوط. عزيز افندي ابرهيم. ان كانت الاشجار تستنشق الحامض الكربونيك وهو مضر بالنوع الانساني وتمتص غذاءها من الارض الممتزجة بالسماد القذر فكيف تثمر اثمارًا صالحة لاكل الانسان وتغذيتهِ

ج ان كلمة سم مركبة من حرفين السين والميم وكلمة دسم مركبة من هذين الحرفين وحرف الدال والسم مميت والدسم نافع ووجود حرفي السين والميم في كلمة دسم لا يجعل الدسم سامًا وعلى مثل هذا النحو يقال في المركبات الكيماوية فانها مركبة كلها من العناصر البسيطة كما ان كلمات اللغة مركبة من الحروف الهجائية وتختلف خواصها باختلاف تراكيبها فالنشا مثلاً مركب من الكربون والاكسجين والهيدروجين. والسكر مركب من هذه العناصر ايضاً ولكن على نسبة اخرى فان النشا مركَّب

من ستة جواهر من الكربون وعشرة من الهيدروجين وخمسة من الاكسجين ويتحد بهِ جوهر من الماء فيصير تركيبهُ من ستة جواهر من الكربون و١٢ جوهرًا من الهيدروجين وستة من الاكسجين فيصير سكرًا لان السكر مركَّب من ستة جواهر من الكربون و١٢ جوهرًا من الهيدروجين وستة جواهر من الاكسجين. ولا صعوبة في ادراك ذلك. بل من المركبات ما جواهر الواحد منها تماثل جواهر الآخر نوعاً وعدداً ومع ذلك تختلف خواص الواحد عن خواص الآخر اما لاختلاف في وضع جواهرها بعضها مع بعض كما في كلمة حرب و بحر اللتين فيهما احرف واحدة ولكن يختلف معناهما لاختلاف وضع حروفهما او لسبب آخر لا نعلمهُ

ومتى امتصت الاشجار غذاءها من الهواء والارض لا تبقى المركبات الكيماوية على حالها بل تحلها الى عناصرها الاصلية وتركب منها مركبات جديدة صالحة لبنائها فتأخذ الكربون من الحامض الكربونيك وتضيفهُ الى مادتها الخشبية وتأخذ عناصر اخرى من التراب والسماد وتركب ما فيها من الزيت والدهن والصمغ والحامض والسكر ونحو ذلك مما يكون في الاشجار واثمارها واوراقها

(١٠) الحصان البخاري

ومنهُ . ان قوة الماكينات البخارية تحسب بعدد رؤُوس الخيل فيقال مثلاً ان هذه الماكنة قوة اربعة رؤُوس خيل او خمسة الخ . فاذا اراد الانسان ان يشتري ماكنة بقوة ١٢ حصانًا وذهب الى احد البيوت التي تبيع الماكنات واعطوهُ ماكنة بقوة ١٠ احصنة وقالوا لهُ انها بقوة ١٢ حصانًا فهل من طريقة عملية لاكتشاف ذلك وما هي

ج ان المعامل والبيوت التجارية المشهورة لا تغش احداً والحكومة تمتحن الآلات البخارية عند التصريح باستعمالها . ومع ذلك فالطريقة النظرية لمعرفة قوة الآلة هي هذه

اول من قاس قوة الآلة البخارية بالاحصنة هو جمس وط وقد وجد ان الحصان يرفع ١٥٠ رطلاً (ليبرة) ويسير بها مسافة ميلين ونصف ميل في الساعة وذلك بمثابة رفع ٣٣٠٠٠ رطل قدماً واحدة في الدقيقة من الزمان لان في الميلين والنصف ١٣٢٠٠ قدماً فاذا ضُربت في ١٥٠ بلغت ٢٠١٠٠٠٠ فكأنَّ الحصان يرفع في الساعة ٢٠١٠٠٠٠ رطل مسافة قدم واحدة واذا قسم هذا العدد على ٦٠ عرف ما يرفعهُ في الدقيقة وهو نحو ٣٣٠٠٠ رطل فجعل قوة الحصان ٣٣٠٠٠ رطل تُرفع قدماً واحدة في الدقيقة . والآلة البخارية ترفع اسطوانتها (البستون) بقوة يستدل عليها من آلة صغيرة فيها تسمى الدليل (الانديكاتور) فيرى مقدار الضغط على هذا الدليل ويضرب في مساحة قاعة الاسطوانة ويضرب الحاصل في مقدار الاقدام التي تحركها البستون في الدقيقة

من الزمان ويقسم الحاصل على ٣٣٠٠٠ فالخارج هو عدد الاحصنة

(١١) الشهية في الشتاء

ومنهُ . لماذا تكون شهية الانسان للطعام اكثر في الشتاء منها في الصيف

ج ان هذا القول شائع وهو صحيح في الغالب وسببهُ احتياج الجسم في الشتاء الى حرق مقدار كبير من الغذاء لتدفئتهِ

---

(١٢) الجرائد الزراعية الطبية

حماه . محمد افندي علي كاتب ادارة الديون العمومية . ما هي احسن جريدة زراعية باللغة العربية وما هي احسن جريدة طبية بها

ج مجلّة الجمعية الزراعية الخديوية التي تطبع في مصر في مطبعة المقتطف ومجلة الطبيب التي تطبع في بيروت

(١٣) كتب طبية وطبيعية

ومنهُ . نرجو ان ترشدونا الى باثولوجية عربية حديثة مطولة مثل باثولوجية المرحوم الدكتور فان ديك والى كتاب حديث في فن الزراعة وكتاب آخر في الفلسفة الطبيعية وكتاب في علم المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والجماد وكتاب في علم الكيمياء العضوية وغير العضوية عدا كتاب الن جكسن وكتاب المعلم اسعد شدودي وكتاب الدكتور فان ديك

ج نرى ان كتاب الباثولوجية الذي الفهُ الدكتور ابرهيم باشا حسن حديثاً من احسن الكتب في بابهِ ولم نرَ حتى الآن كتاباً حديثاً يعول عليهِ في علم الزراعة . ولا كتاباً في الفلسفة الطبيعية خيراً من الكتابين الذين ذكرتموهما . ولما كان الدكتور لويس الاميركي في بيروت طبع جزءا من الكيمياء غير الآلية اسمهُ الكواشف الجلية في الحقائق الكيمية ولكنهُ وصل فيهِ الى عناصر الرتبة الثالثة فقط . وكتابا الدكتور بوست في النبات والحيوان من احسن الكتب العربية في هذين العلمين ولم نرَ كتاباً عربياً مطبوعاً في علم الجماد يصح الاعتماد عليهِ . ولو بقيت المدرسة الكلية الاميركية تعلّم باللغة العربية لرأيتم الآن كثيراً من الكتب في هذه المواضيع وامثالها ولكن تركها التعليم بالعربية واقتداء المدارس المصرية بها اضعفا همة المؤلفين . ولولا بعض المجلات العلمية لخسرنا القليل الذي كسبناهُ في السنوات الماضية . ولا تقوم للغة قائمة من غير دولة تحتفظ بها وتعزّز شأنها

---

(١٤) الجاذبية واختلاف الوزن

بيروت المدرسة الكلية . زاكي افندي زخورا . هل يختلف وزن الجسم عند احد القطبين عن وزنهِ عند خط الاستواء واذا اختلف فالجسم الذي ثقلهُ عشر اقات عند

احد القطبين كم يكون وزنهُ عند خط الاستواء

ج نعم يختلف ونسبة ثقل الجسم عند احد القطبين الى ثقلهِ عند خط الاستواء كنسبة مربع نصف القطر الاستوائي الى مربع نصف القطر القطبي اي ان الثقل يختلف كمربع البعد عن مركز الارض بالقلب وعليهِ تكون النسبة هكذا ١٠ : ج :: ٤٠٠٠^٢ : $\frac{1}{2}$ ٣٩٧٢^٢ او كنسبة ١٩٥ : ١٩٤ اي يكون وزنهُ ٩ اقات ونحو ٣٧٩ درهماً

---

(١٥) الحروف الصينية

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . كم عدد الحروف الصينية وكيف يرسمونها وينطقون بها وكيف يركبونها لتكون منها الكلمات

ج الكتابة الصينية لا تؤلف من حروف كالعربية والانكليزية والفرنسوية بل من علامات تدلُّ على الكلمات او على المعاني وهي نحو ٤٣٠٠٠ علامة ولكن بعضها مركب من بعض مثال ذلك ان العلامة التي تدلُّ على الصبي مركبة من علامتين الواحدة تدل على الحقل والثانية على القوَّة . واسم الصبي نان واسم الحقل تين واسم القوة لي فزجوا العلامة التي تلفظ وحدها تين بالعلامة التي تلفظ وحدها لي ولفظوا العلامتين معاً نان كأنهم وصفوا الصبي بانهُ قوة جديدة للعمل في الحقل ولكنهم لم يلفظوا هذا الوصف .

وقد حلَّل الدكتور تشالمرس اكثر الكلمات الصينية الى نحو ١٠٩٨ علامة ويمكن تحليل كل الكلمات الصينية الثلاثة والاربعين الفاً الى نحو ٤٣٦ مقطعاً . وترون رسم الكلمات الصينية على كل الادوات والامتعة الصينية واليابانية . والنطق باللغة الصينية سهل على الذين يتعلمونها عن صغر حتى يقال ان اولاد المرسلين الذين يولدون في بلاد الصين ويعاشرون اهلها يتقنون النطق باللغة الصينية والتكلم بها قبلما يتقنون النطق بلغة والديهم

(١٦) اتقاء البرد الشديد

ومنهُ . كيف يتقي الانسان شدَّة البرد حين ذهابهِ الى القطب الشمالي وماذا يلبس على بدنهِ وقدميهِ

ج يتقي البرد بالملابس الصوفية والفراء ولا سيما جلود الذئاب فتبقى حرارة البدن فيهِ لانها تسخن الهواء الذي بين صوف الفراء . والهواء غير موصل للحرارة فلا يبدّدها مالم تحرّكهُ الرياح والرياح قليلة هناك على ما يظهر وتلفُّ القدمان بالصوف والفراء وكذلك الرأس واليدان . واذا ملأْتم زجاجة بماء سخن ولففتموها بكثير من الصوف تبقى حرارة الماء فيهِ زماناً طويلاً ولو تعرَّض للبرد الشديد وهو ملفوف بالصوف واذا كانت الحرارة تتجدَّد فيهِ كما تتجدَّد في جسم الانسان بقيت على درجة واحدة لأَنَّ ما يزول منها بالايصال والاشعاع يتجدَّد غيرهُ بدلاً منهُ



سكان المريخ

انشأنا مقالة مسهبة منذ خمس عشرة سنة موضوعها سكان الكواكب نشرت في الجزء الاول والثاني من المجلد العاشر الصادر سنة ١٨٨٥ ذكرنا فيها ظنون العلماء وما يعدونهُ محتملاً وما يعدونهُ غير محتمل من حيث وجود السكان في كواكب السماء وقد قلنا فيها عن المريخ انهُ " ابعد من ارضنا عن الشمس وقد انفصل عنها قبل ارضنا وسنتهُ نحو سنتين من سنينا وفصولهُ كفصولنا من حيث اختلاف الحرّ والبرد ولكنها مضاعفها في الطول ويومهُ يزيد نصف ساعة عن يومنا وبعدهُ عنا نحو ٤٦ مليون ميل وجرمهُ وحجمهُ اصغر من جرم الارض وحجمها فقطرهُ نحو ٥ آلاف ميل فقط وقطرها نحو ثمانية وثقلهُ النوعي اقل من ٤ وثقلها النوعي نحو ٥,٦ . ومقتضى الرأي ان يكون سابقاً الارض في طورهِ لانهُ اقدم منها سناً واصغر حجماً فاطوارهُ ابتدأت قبل اطوارها وهي اقصر منها مدة. والمشاهدة لاتنفي ذلك ولا تؤيدهُ. فالناظر اليهِ بالمنظر يرى سطحهُ مختلف الالوان كأن فيهِ برًّا وبحرًا ويرى حول قطبيهِ نقطتين بيضاوين تتسعان شتاء وتضيقان صيفاً كأنهما ثلوج متراكمة كالثلوج المتراكمة حول قطبي الارض. وقد ثبت ان فيهِ هواء فلا ينازع بعد هذا بان الأبخرة تتصاعد في هوائهِ وتنزل مطرًا وثلجًا حسبما يتفق . فهذه المشاهدات تدلُّ على ان المريخ يشبه ارضنا . الاَّ ان لطافة هوائهِ وقلة حرارتهِ الذاتية وقلة مائهِ عليهِ بالنسبة الى ماء الارض عليها ونحو هذه من الاسباب تقتضي ان تكون حرارتهُ قد قلَّت كثيرًا وان البرد عليهِ اشدّ مما هو على ارضنا. ولذلك فان كان لم يجتز طورهُ الثاني حتى الآن فقد صار قريباً من اجتيازهِ والدخول في طورهِ الثالث . والخلاصة ان المريخ قد صار قريباً من الشيخوخة والهرم فان كانت مخلوقاتهُ الحيَّة لم تبد عن وجههِ بعد فقد صار زمان انقراضها قريباً"

وقد كثر اهتمام العلماء بالمريخ لمَّا رأوا على وجههِ اقنية مفردة ومزدوجة واختلفوا في تعليلها ولم يهتدوا حتى الآن الى وجهها وقد اوضحنا ذلك في اوقاتهِ

وحدث في الثامن من شهر دسمبر الماضي انهُ ورد تلغراف الى الاستاذ بكرنج من المستر دغلاس من مرصد لول باريزونا يقول فيهِ انهُ " رأى نتوًّا على الحد الشمالي من المريخ في بحر ايكار يوم بقي ظاهرًا سبعين دقيقة "

هذا هو الاساس الذي بنيت عليه كل

هذه العالي والقصور في الجرائد اليومية والشبيهة بها من حيث مخاطبة سكان المريخ بالاشارات . اما العالم تقولا تسلا الذي اهتمّ بهذا الخبر اكثر من غيره فيظهر لنا من مقالة مسهبة نشرها حديثاً في جريدة السنتشري الاميركية انهُ قويّ عليهِ سلطان الخيال وابعد عن مسالك العلماء المدققين. ووجود السكان في المريخ ليس ضرباً من المحال ولكن القول بانهم هم الذين احدثوا هذا النتوّ العظيم اشارةً لنا فرضٌ بعيد جداً لامسوّغ لهُ

الميكروب المنير

يذكر الذين زاروا معرض باريس ودخلوا قصر البصريات ان فيهِ قناني تحوي سائلاً ينير في الظلام كالفصفور بما فيهِ من الميكروبات المنيرة . وقد كتب المسيو رفائيل ديبوى في مجلة الطبيعة يقول " انهُ انيرت غرفة كبيرة بهذا الميكروب كما تنار بالقمر وهو بدر" . فان كان هذا مبلغ ما تصل اليهِ الانارة بالميكروب المنير فلا امل انها تقوم مقام الانارة بالغاز والكهربائية والاستيلين وما اشبه

التلغراف الاثيري لوقاية السفن

احدثَ اكتشاف في التلغراف الاثيري آلة توضع على الرؤوس والصخور التي يخشى من اصطدام السفن بها وقت النوء والضباب . فاذا ثار النوء وغطّى الضباب وجه البحر حتى لم تعد السفن ترى طريقها حرّكت هذه الآلة حركات تعبّر عن اسم المكان الذي هي فيهِ وتكرّر ذلك فاذا مرّت السفن بقربهِ وكان فيها آلة من آلات مركوني تأثرت من ذلك وعلم من في السفينة انهم بقرب صخر يخشى من اصطدامها بهِ فابعدوا عنهُ

التلغراف الاثيري المتعدد

استنبطَ الاستاذ سلابي الالماني استنباط آلة للتلغراف الاثيري يسهل مخاطبة اماكن عديدة بها في وقت واحد وامتحنها امام امبراطور المانيا في ٢٢ دسمبر الماضي فوفق بالغرض

لورد ارمسترنغ

توفي لورد ارمسترنغ في السابع والعشرين من دسمبر الماضي وهو في الحادية والتسعين من عمرهِ وكان من كبار المهندسين ومشاهير العلماء عدا شهرتهِ الفائقة في عمل المدافع . ولد سنة ١٨١٠ ودرس علم الحقوق واحترف المحاماة لكنهُ كان شديد الرغبة في العلوم الطبيعية والميكانيكية فترك المحاماة لاجلها واستنبط الآلة التي تتولد منها الكهربائية بالبخار الخارج منها فانتُخب عضواً في الجمعية الملكية من اجل ذلك وكان عمرهُ ٣٦ سنة . ولم يترك هذا الموضوع في شيخوخته فنشر فيهِ كتاباً سنة ١٨٩٧ ابان فيهِ انهُ اذا جرى المجرى الكهربائي السلبي في جهةٍ جرى حولهُ مجرًى ايجابي في الجهة المقابلة

ولهُ الفضل في اختراع الروافع المائية وهو اول من صنع المدافع ذات الثقب اللولبي فصنع منها للحكومة الانكليزية ٣٥٠٠ مدفع بين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٦٣ . ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٦٣ واشار في خطبة الرئاسة الى قرب نفاد الفحم الحجري من الجزائر البريطانية فالفت الحكومة لجنة تبحث عن ذلك . وكان كريماً وهب الجمعيات العلمية ونحوها هبات طائلة وجازتهُ حكومة بلادهِ بلقب سر اولاً ثم بلقب لورد

نيازك نوفمبر

شوهدت نيازك نوفمبر في استراليا في العاشر من نوفمبر ولم تدم الاَّ نصف دقيقة عدَّ بعضهم فيها نحو مئتي نيزك

جيل جديد من الاقزام

بعث السر هري جنستون الى الجمعية الجغرافية الملكية بتفصيل رحلتهِ الى اوغندا وقال فيها انهُ لقي في بلاد الكنغو كثيرين من الاقزام فوجد انهم من نوعين الواحد اسود الجلد شعرهُ اسود ثخين جعد والثاني احمر الجلد او اصفرهُ شعر رأسهِ ضارب الى الحمرة وشعر بدنهِ ضارب الى الشقرة . وصغارهُ ابدانهم شعراء وليس لهُ لغة خاصة بهِ بل يتكلم لغة الزنوج الطوال القامة الذين يقطن على مقربة منهم . ومما يمتاز بهِ كبر الانف وشدة فطسهِ ويكاد انفهُ يكون من غير مارن وشفتهُ العليا طويلة جدًّا وسحنتهُ مثل سحنة القرود من وجوه كثيرة ولكنهُ على جانب كبير من الذكاء والانس وحب اللهو والطرب

فرس جديد

قال السر هري جنستون في رحلتهِ المشار اليها آنفاً انهُ وجد في حراج الكنغو نوعاً جديداً من الفرس او الفرا لم يصفهُ احد من قبلُ

جبال الثلج الافريقية

ووصل الى جبال عالية جدًّا صعد فيها الى علو ١٤٨٠٠ قدم ثم عجز عن التصعيد فوق ذلك لان جوانب الجبل كانت صخوراً شاهقة كالمعاقل ووجد الثلج عليها وحدُّهُ الاسفل على علو ١٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويبقى الثلج دائماً على مدار السنة عند ما علوهُ ١٣٥٠٠ قدم فما فوق

هبة علمية

طلبت لادي ووروك ان يتكرَّم احد المحسنين بخمسين الف جنيه لانشاء مدرسة تتعلم فيها النساء علم الزراعة في البلاد الانكليز فلبى احد الفضلاء طلبها حالاً ودفع اليها خمسين الف جنيه

مكتشفات القرن العشرين

سأل بعضهم جمهوراً من نخبة علماء الانكليز عمَّا يحسبهُ كلٌّ منهم اعظم اكتشاف يكتشف في القرن العشرين فقال السر نورمن

أُكِبْر الفلكي محرر جريدة ناتشر " الانباه من كلف الشمس بما يحدث من المجاعات في بلاد الهند والقيظ في استراليا

وقال السر وليم بريس الكهربائي " آلة للطيران مبنية على مبدإٍ جديد لانعرفهُ الآن "

وقال السر جون ولف بري مهندس جسر البرج بلندن " خزن ماء المطر على جبل بن نفس او غيره من الجبال حتى تكون منهُ قوة مائية يستغنى بها عن الفحم الحجري . وبماشٍ دوَّارة في الشوارع المزدحمة وسرب تحت البحر بين انكلترا وارلندا "

وقال السر وليم كروكس الطبيعي الشهير . " انتشار التلفون بين البيوت وشيوع الفونوغراف وركوب الهواء "

وقال المستر سوان الكهربائي " استخراج الكهربائية بواسطة كيماوية لنقل نفقتها و يزيد استعمالها "

وقال المسيو برتلو الكيماوي " استحضار الغذاء بوسائط كيماوية والاستغناء عن المطابخ والمطاعم "

وقال السر هنري رسكو الكيماوي كما قال المسيو برتلو وزاد عليهِ استخدام الشلالات الكبيرة

وقال المستر توماس برينت رئيس مدرسة الجراحين " شفاء السرطان والسل بدرس طبائع الميكروبات . واتقاء الملاريا . والاكثار من استعمال اشعة رنتجن والتنويم في الطب "

حاجة القرن العشرين

سألت مجلة اخرى جمهوراً من مشاهير الكتاب والفلاسفة عن امسّ ما يحتاج اليهِ القرن العشرون فقال دين فرار اللاهوتي الشهير " ان يزيد الاجتهاد والايثار والاقتناع بان العدل اساس الملك والاستقامة ترقي الشعوب "

وقال برنارد محرر جريدة بنتش الهزلية الانتقادية " المال "

وقال مكس اوربل " ان تستقيم الجرائد وتترفَّع عن الدنايا "

وقال القس رولند " انكار الذات في سبيل المطالب العليا "

وقال القانون دانيال " زيادة الاخلاص في عقد الزيجة والقيام على العائلة "

وقال القس هوس " ان يزيد المبتكرون ويقل المقلدون ويزيد التفكُّر ويقلُّ التكلُّم وتزيد الحقيقة ويقل الخيال "

وقال المستر ماسنهام " ان يتعلَّم المرء الصدقَ والحكومةُ العدلَ والكنيسةُ الدينَ "

وقال كير هاردي " الرجال "

وسألت جريدة المرلد المسيحي جماعة من مشاهير الرجال والنساء مسائل مختلفة عمَّا يتعلَّق بالقرن العشرين وما يمكن ان يتمَّ فيهِ فاجاب كلٌّ منهم حسبما تراءى لهُ . سُئل كارنجي الغني الشهير ماهو اهم فرض على

الناس في القرن العشرين واذا بُعثتَ سنة ٢٠٠٠ للمسيح فما التغيير الذي تودُّ ان تراهُ في احوال الانسان فقال في الجواب عن السؤال الاول ان يترك الناس اقبح وصمة وُسموا بها وهي قتل بعضهم بعضاً باسم الحرب وقال في الجواب عن السؤال الثاني ان الخدمة العسكرية التي يحسبها الناس الآن اشرف الخدم وامجدها اود ان تحسب حينئذٍ من اقبح الاعمال واحطها

وسئل وليم بريان المرشح لرئاسة الجمهورية الاميركية عن افضل اصلاح ينتظرهُ في القرن العشرين فقال ان يرسخ في عقول جميع الناس انهم اخوة بعضهم لبعض فيحبُّ المرء قريبهُ كما يحب نفسهُ ويعني بقريبهِ كل احد من نوع الانسان فيزول الظلم والاعتداء

الاغنياء والمدارس

ذكرت جريدة ناتشر اسماء بعض المدارس الاميركية الجامعة واسماء الاغنياء الذين جادوا لها بالمال ومقدار ما وهبها كلٌّ منهم وهم

رُكْفلر	١٩٠٢٨٤٨ جنيهاً
ستفن جرارد	١٤٥٨٣٤٣ "
تشارلس برات	٠٧٥٠٠٠٠ جنيه
جونس هبكنس	٠٦٢٥٠٠٠ "
دركسل	٠٦٢٥٠٠٠ "
لالند ستنفرد	٠٥٢٠٨٣٣ جنيهاً
عزرا كورنل	٠٣١٢٥٠٠ جنيه
فندربلت	٠٢٢٩١٦٦ جنيهاً
شيث لو	٠٢٠٨٣٣٣ "

اما المدارس الموهوبة فتسمَّى باسماء الواهبين الاَّ المدرسة التي وهبها ركفلر فاسمها مدرسة شيكاغو الجامعة والمدرسة التي وهبها شيث لو فاسمها مدرسة كولمبيا الجامعة

اصطناع المطر

كتب الاستاذ كلفلند اب مقالة فنَّد بها مزاعم الذين يقولون ان اطلاق المدافع ونحوها يعقد البخار في الجو ويُوقع المطر وارتاب في صحة كل ما ذُكِر من ان المطر وقع احياناً عقب المعارك الكبيرة التي كثر فيها اطلاق المدافع . فكتب بعضهم على اثر ذلك يقول ان اعتقاد الناس بوقوع المطر بعد المعارك الكبيرة قديم جدًّا كان شائعاً قبل استنباط البارود وقد اشار اليهِ فلوطرخس المؤرخ في ترجمة كايُس ماريوس حيث قال " انهُ يقع مطر غير عاديّ بعد المعارك الكبيرة سواء كان ذلك ناتجاً عن ان الهاً من الآلهة يقصد ان يطهر الارض بماء من العلاء او عن ان الدماء والجثث المنتنة تخرج ابخرةً ثقيلة رطبة تكثّف الهواء وهو سريع التأثر لاقل سبب " فالاعتقاد بوقوع المطر بعد المعارك قديم وتفسيرهُ باطلاق المدافع حديث واساس هذا مثل اساس ذاك الوهم لاغير

السم في البيرا

لما شاع في البلاد الانكليزية ان البيرا قد لا تخلو من الزرنيخ السام عينت الحكومة الانكليزية لجنة من اشهر علمائها للبحث في ذلك ومن اعضاء هذه اللجنة اللورد كلفن والسرولیم تشرش رئيس مدرسة الاطباء الملكية والاستاذ ثورب . وقد كلفت هذه اللجنة البحث عن الذين مرضوا وماتوا ونسب مرضهم وموتهم الى السم بالزرنيخ وعما اذا كان سمهم ناتجاً عن شربهم البيرا او عن شربهم اشربة اخرى او عن اكلهم طعاماً فيهِ زرنيخ وكيف يمنع وصول الزرنيخ الى البيرا

تنشيط المخترعين

من الاساليب التي يستعملها الانكليز لتنشيط المخترعين ان حكومتهم تعطي الجمعية الملكية مالاً تساعد بهِ المخترعين اذا وجدت انهم جارون في عمل يرجى منهُ نفع . وتختلف هذه المساعدة من عشرة جنيهات في السنة الى خمس مئة جنيه . وينتظر ان توزع في شهر يناير الحاضر اربعة آلاف جنيه لهذه الغاية

سيدة التجارة

بلغت قيمة الوارد الى البلاد الانكليزية في العام الماضي ٥٢٣ ٦٣٣ ٤٨٦ جنيهاً وقيمة الصادر منها ٢٩١ ٤٥١ ٣٠٦ جنيهات وبلغ دخل الحكومة الانكليزية من الرسوم التي تأخذها على التبغ والخمر والشاي وما اشبه ٢٤٨٩٦٩٢٤ جنيهاً ولو اخذت ٨ في المئة على كل ما يرد اليها لبلغ دخلها من جماركها اربعين مليوناً اخرى من الجنيهات

عجوزان في ثلاثة قرون

من الامور المقرَّرة ان النساء يعمرن اكثر من الرجال وقد ذكرت اثنتان منهن ولدتا في القرن الثامن عشر وعاشتا القرن التاسع عشر كلهُ وبقيتا الى القرن العشرين الاولى اسمها بتسي مور ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٠٠ ولم تزل في صحتها تصعد الدرج وتنزل عليهِ من غير عكاز . والثانية اكبر منها سناً واسمها انا سمث ولدت في شهر يونيو سنة ١٧٩٢ ومضى الاسبوع الاول من القرن العشرين وكانت لم تزل في قيد الحياة

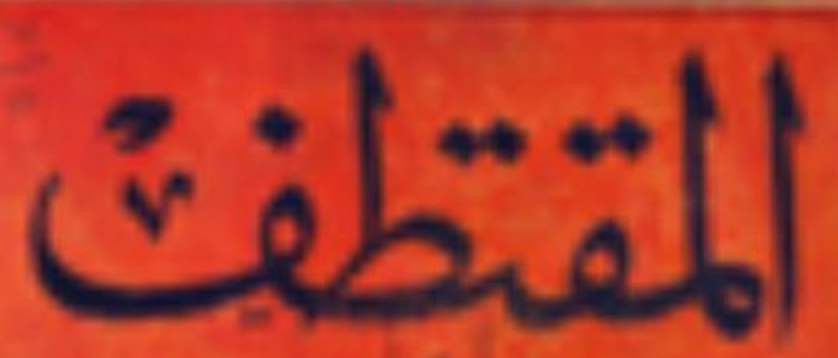
اثمن الكتب الحديثة

عزم هربرت بنكرفت احد ناشري الكتب في مدينة شيكاغو باميركا ان يطبع كتاباً فيهِ الف صفحة ولا يطبع منهُ الا اربع مئة نسخة ولكنهُ قطع ثمن النسخة الواحدة منهُ خمس مئة جنيه ولا يبعد ان يبيعهُ بهذا الثمن لاغنياء الارض لانهُ وصف احوال الاغنياء وفائدة الغني وما فعلهُ المال في الدنيا

تأخُّر صدور المقتطف

اضطررنا ان نؤخر اصدار هذا الجزء الى آخر الشهر وسنبذل الجهد لنصدر الاجزاء التالية في اوقاتها

فهرس الجزء الاوَّل من المجلد السادس والعشرين



December

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣١٩

مراصد الافلاك

اوَّل انسان نظر الى السماء وراقب شمسها وقمرها ونجومها وكواكبها هو اول من رصد الافلاك . فالرصد قديم اشتغل بهِ الناس منذ الوف من السنين حتى يقال عن ثقة ان اهرام مصر وابراج بابل كانت مراصد للافلاك كما كانت مدافن للاموات وهياكل للعبادة . ولكن اوَّل مرصد انشئ لمراقبة الافلاك مراقبةً علميَّة دقيقة هو في ما نعلم مرصد الاسكندرية انشأهُ البطالسة في القرن الثالث قبل المسيح وبقي قائماً فيها الى القرن الثاني بعدهُ . هناك اكتشف هبرخس الفيلسوف مبادرة الاعتدالين اي انتقال النقطتين اللتين تتاطع فيهما دائرة البروج وخط الاستواء من الشرق الى الغرب فينتج عن انتقالهما اختلاف مواقع النجوم نحو دقيقة كل سنة . وبحث ايضاً عن حركات الشمس والقمر والسيَّارات . وخلفهُ رجال مختلفون ساروا في خطتهِ الى ان قام خاتمتهم بطليموس وجمع زبدة معارفهم وما وصلوا اليهِ بالرصد والبحث في كتابهِ المعروف بالمجسطي الذي بقي معتمد علماء الفلك الى عهد نصير الدين الطوسي

ثم ضعف شأن العلم وقويت سلطة الوهم وقام العرب وفتحوا الاقطار فلمَّا تمهدت لهم استخدموا علماء الشام والعراق لترجمة كتب اليونان في العلم والفلسفة وانشأ الخليفة المأمون مرصداً بظاهر دمشق في جبل قاسيون لرصد الاجرام السموية والاحداث الجويَّة وبنى مرصداً آخر في بغداد لهذه الغاية وكان ذلك في اوائل القرن التاسع . وقام بعدهُ محمد بن جابر البتَّاني صاحب الزيج الصابي وهو من امراء الشام وولد ببتَّان من اعمال حرَّان واليها ينسب واقام بالرقَّة من العراق ورصد بانطاكية وقرأ كتاب بطليموس وتمرَّن على اساليب اليونان في الرصد فلما شرع في رصد النجوم وجد ان كثيراً منها في غير الاماكن التي ذكرها فيها بطليموس

بسبب خطاء بطليموس في حساب مبادرة الاعتدالين فدقق فيها اكثر منهُ . ودقق ايضاً في معرفة اهليلجيَّة فلك الشمس والنتيجة التي وصل اليها تنطبق على النتيجة المعروفة الآن . وقال ان نقطة الراس في فلك الشمس تتقدم بتغيُّر الفصول وهو اكتشاف مهم في علم الفلك ثبت بعدئذٍ بقواعد الجاذبيَّة . واثبت الكواكب الثابتة في زيجهِ لسنة ٢٩٩ هجرية الموافقة سنة ٩١١ مسيحيَّة ويقال انهُ ابتدأ بالرصد من سنة ٢٦٤ وانتهى سنة ٣٠٦ فرصد الافلاك اثنتين واربعين سنة

وبنى الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمي مرصداً على جبل المقطم بظاهر القاهرة للفلكي الشهير عبد الرحمن بن يونس المصري فصنع لهُ الزيج الحاكمي في اربعة مجلدات كبيرة بيَّن فيها مواقع الشمس والقمر والسيَّارات وحسب ميل دائرة البروج ٣٥َ ٢٣° فاخطأ بنحو نصف دقيقة

وكان الصينيون قد عرفوا هذا الميل ومقدار اختلافهِ قبل المسيح بالف ومئة سنة وعرفهُ المصريون والبابليون ايضاً ولذلك زعم البابليون انهم رصدوا الافلاك قبل الاسكندر بنحو ٤٠٣٠٠٠ سنة اذ حسبوا ان هذا الميل يقل نحو دقيقة كل مئة سنة وان دائرة البروج كانت عمودية على خط الاستواء حينما شرعوا في الرصد كما زعم المصريون قبلهم . والحال ان هذا الميل لا يزيد على ٥٣َ ٢٣° ولا ينقص عن ٤٤َ ٢٢° كما اثبتهُ المتأخرون فبلغ معظمهُ سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وسيبلغ اقلهُ سنة ٦٦٠٠ بعد المسيح

ورصد ابن يونس كسوفين وخسوفاً سنة ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ فاكتشف منها تسارع حركة القمر قبل ان اكتشفها هالي الفلكي من مقابلة الكسوفات التي رصدها الكلدانيون في بابل في القرن الثامن قبل المسيح بالكسوفات التي رصدها علماء العرب في القرن الثامن والتاسع بعدهُ

وقتفى خانات المغول وملوك التتر آثار الخلفاء العباسيين والعلويين في اقامة المراصد فانشأ هولاكو مرصد مراغة في الشمال الغربي من بلاد فارس سنة ١٢٦٠ للمسيح واقام فيهِ نصير الدين الطوسي فصنع لهُ الزيج الخاني واصلح القواعد التي يعرف بها مبدأ السنة

وخُتم علم الهيئة ورصد الافلاك في بلاد المشرق باولغ بك حفيد تيمورلنك التتري الذي خلف اباه شاه رخ سنة ١٤٤٧ للميلاد فانهُ رغَّب العلماء في درس الفلك وكان هو من المشاركين فيهِ وانشأ مرصداً كبيراً في سمرقند وضع فيهِ اعظم آلات الرصد وادقها ونصب عموداً ارتفاعهُ ١٨٠ قدماً او ٥٥ متراً حقق بهِ ميل دائرة البروج حينئذٍ فوجدهُ ٢٠ً ٣٠َ ٢٣°

فاخطأ الحقيقة بنحو ١٣ ثانية فقط اذا كان هذا الميل يقل ٤٨ ثانية كل مئة سنة . وهو تدقيق لا مثيل له . ولاولغ بك زيج مشهور صنعهُ هو والذين كانوا يساعدونهُ من علماء الرصد وضعهُ في العربيَّة ثم ترجم الى الفارسيَّة واللاتينيَّة

ولم تكد شمس المعارف تغيب عن ربوع المشرق حتى اشرقت في ديار المغرب فانشئ فيها اول مرصد فلكي سنة ١٤٧٢ في نورمبرج انشأهُ رجل غني من اهاليها واستخدم للرصد فيهِ الفلكي رجيومونتانوس فاصلح آلات الرصد وظل الفلك العملي مستعملاً فيهِ الى سنة ١٥٠٤ ثم قام تيخو براهي الاسوجي الاصل الدنماركي الدار ودرس علم الفلك على ما كان معروفاً في عصرهِ فبنى له فردرك الثاني ملك الدنمارك مرصداً في جزيرة هيون وقطع له مالاً طائلاً لكي ينقطع للرصد فرغَّب الناس في رصد الافلاك حتى صارت المدارس العالية تتبارى في انشاء المراصد هي والدول الكبيرة وعكف علماء الهيئة على اتقان آلات الرصد حتى عرفوا بها اجرام الكواكب وابعادها وحركاتها واثقالها والعناصر التي تتألف منها

اما المراصد الاوربيَّة الباقية الى الآن فاقدمها مرصد مدرسة ليدن الجامعة انشئ سنة ١٦٣٢ ولكن كانت آلات الرصد فيهِ صغيرة لم ينتج منها فائدة تذكر الى ان وضعت فيهِ آلات كبيرة سنة ١٨٣٧

ويتلوهُ مرصد كوبنهاغن انشئ سنة ١٦٤١ على رأس برج عالٍ وحُرق سنة ١٧٢٨ ثم جدّد سنة ١٧٤١ ولم يكن موضعهُ صالحاً للرصد فانشئ فيها مرصد غيرهُ سنة ١٨٦١

ثم مرصد باريس انشئ سنة ١٦٦٧ واشتهر بارصاد كاسيني حتى صار اشهر مراصد الدنيا ثم أُهمل امرهُ الى ان قام لافريه سنة ١٨٥٤ واداره بهمتهِ المشهورة . وفيهِ نظارة كاسرة قطر بلورتها ٢٩ عقدة ونظارة عاكسة قطر مرآتها اربع اقدام واذا نقلت اليهِ نظارة معرض باريس صار فيهِ اكبر نظارة كاسرة صُنعت حتى الآن

ومرصد غرينوتش ببلاد الانكليز انشئ سنة ١٦٧٥ . وهو من اشهر مراصد الدنيا . ومرصد أكسفرد انشئ سنة ١٧٧١ . ومن المراصد الكثيرة في بلاد الانكليز مرصد ارل روص وفيهِ نظارتهُ المشهورة وقطر مرآتها ست اقدام انكليزية وبعد محترقها ٥٤ قدماً . وهي اكبر النظارات العاكسة . ومرصد السر وليم هرشل وفيهِ نظارتهُ الكبيرة التي قطر مرآتها اربع اقدام وبعد محترقها اربعون قدماً

ومن المراصد القديمة المشهورة مرصد برلين انشئ سنة ١٧٠٥ ومرصد ليبسك انشئ سنة ١٧٨٧ ومرصد فينا انشئ سنة ١٧٥٦

ومن مراصد ايطاليا المشهورة مرصد بولونا أُنشئ سنة ١٧٢٤ ومرصد بادوى أُنشئ سنة ١٧٦١ ومرصد تورين انشئ سنة ١٧٦٣ ومرصد رومية انشئ سنة ١٧٨٧

اما النظارات الكبيرة فهذه اشهر الكاسرات منها

نظارة معرض باريس	قطر بلورتها	٥٠	عقدة
" باركس باميركا	" "	٤٠	"
" لك	" "	٣٦	"
" بلكوفا بروسيا	" "	٣٠	"
" نيس بفرنسا	" "	٢٩,٩	"
" باريس	" "	٢٨,٩	"
" غرينوتش بانكلترا	" "	٢٨	"
" فينا بالنمسا	" "	٢٧	"

واشهر النظارات ذات المرآة العاكسة ما يأتي

نظارة ارل روص	قطر مرآتها	٦	اقدام
" الدكتور كمون	" "	٥	"
" السر وليم هرشل	" "	٤	"
" ملبرن	" "	٤	"
" باريس	" "	٤	"

ومنذ عهد قريب عادت اشعة شمس العلم فبزغت في ربوع المشرق فأُنشئ فيها المرصد الخديوي في القاهرة ومرصد لي التابع للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهو المرسوم في صدر هذا الجزء انشئ سنة ١٨٧٤ وجدّد سنة ١٨٩٣ وفيهِ قبة قطرها ٢٣ قدماً ونظارة كاسرة قطر بلورتها ١٢ عقدة وبعد محترقها ١٥ قدماً وفيها كل ما يلزم للرصد من آلات القياس والتصوير تدار بآلات ساعة وتنار بالنور الكهربائي . وفي هذا المرصد ايضاً آلات كثيرة مما يلزم للارصاد الفلكية الدقيقة كالساعات ونظارات العبور . وكل ما يلزم للارصاد الجوية كمقاييس الحرارة والرطوبة والمطر وسرعة الرياح وضغط الهواء . وترصد فيهِ الاحداث الجوية ثلاثاً في اليوم على مدار السنة وترسل هذه الارصاد بالتلغراف الى الاستانة وفينا وباريس ولندن ووشنطون وغير ذلك من المراصد الشهيرة . وقد اضيف اليها حديثاً آلات رصد الزلازل وارتجاف الارض . ويتمرن التلامذة على استعمال هذه الآلات حينما يقرنون العلم بالعمل

اما مرصد القاهرة فبعيد عن مدارسها ولذلك قلما يستفيد منهُ تلامذتها وسنفرد لهُ مقالة خاصة في فرصة اخرى

والعبرة في المراصد ليس في بنائها بل في آلات الرصد التي تُستعمل فيها وقد كانت هذه آلات على غاية السذاجة في الازمنة الغابرة لا تزيد على الربع والاسطرلاب فبلغت الآن من الاتقان والتدقيق ما يعجز القلم عن وصفهِ . ولا نرى بين مصنوعات البشر ما أُتقن اتقان



وجه الاسطرلاب

آلات الرصد فما المحراث الخشبي الذي تحرث بهِ اراضي السودان بالنسبة الى المحراث الكهربائي . ولا العرَبة التي تجرها بغال الحجارة بالنسبة الى قواطر سكة الحديد . ولا اكواخ القصب والطين بالنسبة الى قصور الملوك وما فيها من الاثاث والرياش بابعد من نسبة آلات الرصد التي استعملها الطوسي والبتاني وابن يونس الى الآلات المنصوبة اليوم في مرصد بيروت ومرصد القاهرة .

انظر الى شكل الاسطرلاب المرسوم ههنا من وجههِ وظهرهِ وهو بحجمهِ الطبيعي وقابلهُ بنظارة طولها عشرة امتار او اكثر تديرها آلة ساعيَّة مع الافلاك تكبّر القمر حتى تظهر جبالهُ ووهادهُ وفوهات براكينهِ وتحل نور النجوم وتدلُّ على ما فيها من العناصر الكيماوية وحولها من آلات التصوير والتوقيت والقياس ما تنذهل من دقتهِ العقول ترَ مقدار ما ارتقى هذا العلم بعد ان وصل الى الاوربيين كل ذلك والرغبة فيهِ رغبة علميَّة محضة وهو مطلوب لذاتهِ لا لمنفعة مادية منهُ . وقد



ظهر الاسطرلاب

اخذ العرب الاسطرلاب عن اليونان وظلوا يصنعونهُ ويستعملونهُ نحو الف سنة فلم يزيدوا فيهِ اشياء تذكر اما الاوربيون فابلغوا آلات الرصد هذا المبلغ العظيم من الكثرة والاتقان في اقل من مئتي عام ولهم كل يوم اختراع جديد واستنباط مفيد

مجمع ترقية العلوم البريطاني

وخطبة الرئاسة

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو بسكوتلندا في الحادي عشر من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ الاستاذ ركر خطبة الرئاسة. ثم انقسم اعضاؤهُ الى فروعهِ المختلفة وخطب رئيس كل فرع خطبة الرئاسة فيهِ وتُليت المقالات ودارت المحاورات في موضوعها على ما يجري في كل عام . وكانت خطبة الرئاسة هذا العام دقيقة البحث كأنها لخاصة العلماء لا للجمهور الكبير الذي يحضر هذا الاجتماع عادةً ولذلك لم نترجمها كلها بل اقتصرنا على ترجمة الفصول التالية منها

موضوع الخطبة الفروض التي بُني عليها العلم النظري في القرن التاسع عشر وهل اساسها ثابت لا يتقلقل تحت ثقل البناء الذي شيد عليها او هي زائلة مثل غيرها من الفروض القديمة التي تقوَّضت بارتقاء العلوم الطبيعيَّة . قال الخطيب "ان اشهر هذه الفروض ثلاثة الاول وجود الجوهر الفرد والثاني كون الحرارة حركة في جواهر الاجسام والثالث وجود الاثير الذي تنتقل بهِ هذه الحركة . وان رأي دلتون الجوهري اذاعهُ اولاً استاذ من اساتذة غلاسغو سنة ١٨٠٧ وكان دلتون قد اطلعهُ عليهِ سنة ١٨٠٤ . ونشرت مباحث رمفورد عن حقيقة الحرارة سنة ١٧٩٨ وآراء دافي عنها سنة ١٧٩٩ وخطب الاستاذ يَنغ خطبتهُ التي اثبت فيها ان الحرارة اهتزاز في جواهر الاجسام سنة ١٨٠١ . فاربعة من ابناء وطننا اوقدوا مصباح العلوم الطبيعيَّة في غرة القرن التاسع عشر ولذلك يليق بنا ان نبحث بعد ختام هذا القرن عن حقيقة ما اثبتوهُ"

ثم تكلَّم على الفروض او النظريات العلمية وقال " انها وسائط تساعد الذاكرة على تبويب الظواهر الطبيعيَّة وردها الى ما تشترك فيهِ فتنقسم المعارف بها الى ابواب وفصول". وبعد ان اسهب في هذا المعنى الفلسفي قال "اننا ندرك ظواهر الاشياء ولا ندرك حقيقتها و بحثنا الطبيعي يُبعد الغوامض التي نقف عندها ولكنهُ لا يحلها مثال ذلك اننا نبحث عن حقيقة الهواء فنرى اننا لم نعد نحسبهُ عنصراً بسيطاً كالاولين بل وجدناهُ مؤلفاً من عناصر مختلفة اكسجين ونيتروجين وارغون وحامض كربونيك وبخار مائي . فكان الناس اولاً يحسبون الهواء عنصراً بسيطاً لا تعلم حقيقتهُ فصاروا الآن يجدونهُ عناصر كثيرة لا تعلم حقيقتها اي انهم ابعدوا الغوامض درجة ولم يكشفوا الستار عنها ولكن ذلك لا يتعب الباحثين ولا يجعلهم يرتدُّون عنهُ بالخيبة والفشل بل هم

اذا كانت شديدة الحمو بل يتناول الجوامد اذا كانت باردة فقد الصق السر روبرتس اوستن الرصاص بالذهب مدة اربع سنوات وكانا على درجة ١٨ بميزان سنتغراد فاتحد المعدنان معاً ودخلت دقائق الذهب بين دقائق الرصاص الى عمق نصف سنتيمتر او اكثر ودخلت دقائق الرصاص بين دقائق الذهب نحو ثلاثة ارباع المليمتر وهذا يُفسَّر تفسيرًا واضحًا بان دقائق الذهب والرصاص متحركة وبينها فسحات وقد انتقلت دقائق كلٍّ منهما ودخلت بين دقائق الآخر

وبهذا تفسَّر امور كثيرة معروفة ولولاهُ ما كان التمدُّد من الحوادث المعقولة . فان الغاز مثلاً يتمدَّد حتى يشغل حيزًا كبيرًا جدًّا فلا يُعقَل ان الجسم الذي يشغل حيزًا صغيرًا وتكون اجزاؤهُ متصلة فيهِ يشغل ايضًا حيزًا اكبر من حيزهِ الاوَّل مليون ضعف وتبقى اجزاؤهُ متصلة بعضها ببعض . ولكن اذا كانت المادَّة او الهيولى مؤلفة من اجزاء منفصلة بعضها عن بعض وبينها فراغ او شيء آخر مختلف عنها اتضح امر التمدُّد والتقلُّص فان الاول يكون ازدياد البعد بين هذه الاجزاء والثاني ازدياد القرب بينها

ثم ان الحرارة لا تُدرَك الاَّ اذا حسبنا انها نوع من الحركة . وان كانت الحرارة حركة فالذي يتحرَّك بها هو الاجزاء الاصلية التي تتألف منها المادة لان هذه الحركة غير منظورة ولا هي في الجسم كلهِ كجسم متصل . وكلما زادت الحرارة زاد الانتشار الذي هو حركة في دقائق الجسم وذلك دليل على ان الحركات الداخليَّة في دقائق الجسم تزيد سرعة وهي نفس النتيجة التي تنتج لو تحوَّلت هذه الحركات الى حرارة

فاذا التفتنا الى الانتشار والتمدُّد والحرارة رأينا انهُ ما من فرض تفسَّر بهِ كلها الاَّ الفرض المبني على ان الاجسام مؤلفة من جواهر منفصل بعضها عن بعض وهي في حالة الحركة المستمرة

وفي جواهر المادة قولان الواحد انها اجزاء يختلف نوعها عن نوع الموصل الذي بينها والثاني انها من نوع الموصل الذي بينها ولكن حالتها تختلف عن حالتهِ والاول ينطبق على ما قالهُ فيها وترستون وكلوسيوس ومكسول والثاني على ما قالهُ لورد كلفن وهو ان الجواهر حلقات زوبعية في الاثير نفسهِ

وسواء كانت دقائق الاجسام اجزاء مستقلَّة مختلفة عن المادة التي بينها او كانت من نوع هذه المادة ولكنها مختلفة عنها في بعض صفاتها فهي اشياء موجودة فعلاً خواصها تختلف عن خواص الجسم الذي هي منهُ . ولو كانت خواص هذه الاجزاء او الدقائق مثل خواص الجسم كلهِ لتعذَّر بقاء الحرارة فيهِ ولتبدَّدت باصطدام هذه الاجزاء بعضها ببعض حتى اذا

احمى جسم ووقي من ايصال حرارتهِ الى غيرهِ زالت حرارتهُ من نفسها . وهذا غير الواقع فتدلُّ الدلائل كلها على ان ما بين الاجزاء شيءٌ لا يشبه المادة اي ليس فيهِ مقاومة لحركة الجواهر فلا يبدّد شيئاً من حركة الاجزاء التي يتألف الجسم منها

والاجزاء نفسها لاتبدّد الحرارة حينما يصطدم بعضها ببعض فهي والموصل الذي بينها شيئان يخالفان المادَّة في انهما لا يماثلانها في كل خواصها ولو كانا اساساً لها فليس وجودهما من قبيل الفروض التي يفرضها العلماء لايضاح المسائل العلمية العويصة التي لا يدركها الاَّ خاصَّة العلماء بل هو من الامور التي لا بدَّ منها في درس الطبيعة حتى كأنهُ من البديهيات . فإِمَّا ان تكون خواص الاجسام غير مبنيَّة على خواص بسائطها او تكون خواص البسائط مخالفة لخواص الاجسام التي تتألف منها . ووجود شيءٍ غير المادة لا يلزم نفيهُ بالبداهة فلا مناص لنا من ان نقول بما يقول بهِ جمهور العلماء وهو ان وجود الجواهر والاثير من الامور التي تقوم الادلَّة على اثباتها . ولا عبرة بكثرة المذاهب العلمية والفروض الطبيعية التي ظهر فسادها وعدل الناس عنها لان فساد مذهب لا يستلزم فساد كل مذهب آخر . وخطأ المتقدمين قد يكون داعياً لصواب المتأخرين . وما احسن ما قالهُ الاستاذ كارل بيرصن وهو "ان سبيل النجاح مرصوف برفات الامم وآثار الشعوب المنحطَّة بادية في كل مكان ولكن تلك الامم التي فنيت والشعوب التي انقرضت كانت سلَّماً ارتقى عليهِ نوع الانسان الى المدارك السامية والعواطف النبيلة"

واسهب الخطيب في هذا الموضوع ثم استطرد الى الراي الجوهري فذكر انقسام جواهر الاجسام مستدلاً على ذلك بتكوُّن الضباب حول دقائق الهباء او الغبار المتطاير في الهواء فانهُ اذا طار بخار الماء في هواء نقي خالٍ من الغبار لم يصر البخار ضباباً ولكن اذا ذُرَّ في الهواء قليل من الغبار تحوَّل البخار الى ضباب . ثم ان الدقائق المكهربة تفعل فعل دقائق الغبار فاذا كهرب جسم بكثير من الكهربائية حتى صارت تفلت منهُ ووضعناهُ قرب انبوب يخرج منهُ البخار تكاثف البخار وتكوَّن منهُ ضباب ولو كان الهواء نقياً خالياً من كل غبار . ومن المسلَّم بهِ عند علماء الكهربائية انهُ اذا مرَّ مجرىً من الكهربائية في غاز انقسمت بعض جواهر الغاز الى اقسام تحمل الكهربائية الايجابيَّة والسلبيَّة وتحركت في جهتين متقابلتين والاَّ فالغاز لا ينقل الكهربائية . ولكن الغاز ينقل الكهربائية ايضاً اذا وقعت عليهِ اشعة رنتجن او اشعَّة الاورانيوم فيرجح من ذلك ان اشعَّة رنتجن واشعَّة الاورانيوم تحل جواهر الغاز وتفرّق اجزاءها مكهربة بالكهربائية الايجابية والسلبيَّة

ولا بدَّ لنا هنا من تعريب كلمة حديثة الوضع وهي كلمة ايون ion ويراد بها الجزء من

الجوهر الفرد الذي يحمل الكهربائية . كأن الكهربائية تقسم الجوهر الى اقسام بعضها يحمل الكهربائية السلبية و بعضها الايجابية ويسمى كلٌّ منهما بالايون اي السائر لانهُ يسير بالكهربائية ويبنون منهُ فعلاً فيقولون اين وغاز مؤيَّن ومخذو حذوهم ونسمي هذا الجزء ايونًا والجمع ايونات والفعل ايَّن الجسم اي حلَّ جواهرهُ بالكهربائية . وقد اشار الخطيب الى الايونات وما يظن من انها دليل على انقسام جواهر الاجسام وعلى ان العناصر ليست اجسامًا بسيطة كما يقال حتى الآن بل مركبة وكل جوهر من جواهرها مركبٌ من الوف كثيرة من الدقائق الصغيرة وان السر نورمن لُكيَر رأى بالسبكتروسكوب ما يدلُّ على ان العناصر البسيطة تنحل في الاجرام السموية الى عناصر ابسط منها

وقال في الختام " ان من ينظر في غرفة مظلمة و يصف ما يراهُ فيها رؤية غير جلية يكون مصيبًا من حيث وصفهُ شكل الاشياء التي يراها بنوع عام ولكنهُ يكون مخطئًا اذا وصفها وصفًا مدققًا وذكر من اوصافها ما لم يتبينهُ فيمزج في وصفهِ لما فيها الحقيقة بالوهم و يصعب ان نعرف اين تنتهي الحقيقة واين يبتدئ الوهم . ولكن الوهم قد لا يكون خاليًا من الفائدة اذا كان مبنيًا على شيء من الحقيقة حتى ان من يدخل الغرفة بعدهُ لا يلطم بمرآة فيها ولا يعثر بكرسي . والانسان الضرير الذي فتحت عيناهُ فقال اني ارى الناس يمشون كالاشجار اصاب في انهُ رأى شيئًا متحركًا حولهُ

" ونحن في بداءة القرن العشرين لسنا مضطرين ان نعدل عمَّا نعتقدهُ من اننا عرفنا بعض الغوامض الطبيعية ولو كان لا يحق لنا ان نقول انا ازحنا الستار عنها كلها وكشفنا غوامض الكون . فان كان فرض الجواهر يوضح كثيرًا من الامور الطبيعية التي لا تتضح بغيرهِ وان كانت التموجات تنتقل في الفضاء كانهُ خالٍ من المادة فقد ثبت امران اساسيان في العلم الطبيعي وهما وجود الجواهر المادية ووجود الاثير غير المادي . وقد لا ندرك حقيقة الجواهر وحقيقة الاثير ولكن لا بدَّ لنا من البقاء على فرضهما الى ان نرى فرضًا آخر يقوم مقامهما ويكون اكفى من فرضهما لايضاح امور الكون المادي " . انتهى باختصار

هذا وكنا نودُّ ان نترجم الخطبة برمتها لولا ارتباط ما بقي منها بمناظرات ومشاحنات بين العلماء قلما اشرنا اليها في ما مضى وغايتها تصويب رأي القائلين بوجود الجوهر الفرد والاثير مع انهُ قد ثبت الآن ان كل جوهر ينقسم الى الف جوهر وسنعود الى الجوهر الفرد وانقسامهِ ونبسط الكلام عليهِ بالاسهاب

الرئيس مكنلي



المرء بأصغريهِ قلبهِ ولسانهِ حقيقة يعترف بها الناس ثم يتناسونها ثم يعودون اليها تارةً أُخرى كأنَّ الحقائق لا ترسخ في النفوس ما لم تعززها الاحوال التي ترتبط بها .

صاحب الترجمة رجل بقلبهِ ولسانهِ ساد قومهُ ولكن لولا قومهُ ولولا ما لهم من العزَّة والمنعة ولولا الحالة التي قضى بها ما امتاز نعيهُ عن نعي امثالهِ من نوابغ الرجال الذين يعدون بالالوف في بلادهِ حتى لقد يظن المرء ان الناس يتزلفون الى الامة الاميركية بتعظيم قدر رئيسها ومشاطرتها الحزن عليهِ لكثرة ما ابدوا من ذلك

وُلد وليم مكنلي في بلد صغير من ولاية اوهايو في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٤٣ فاغتالتهُ يد فوضوي في سن الكهولة وعنفوان القوَّة العقلية . وهو مثل كثيرين من

الاميركيين العصاميين لا يمتاز اسلافهُ الّا بالفضائل وكرم الاخلاق . ومثلهم بذل والداهُ جهدهم في تعليمهِ وتهذيبهِ بما تصل اليهِ طاقتهما حاسبين ان العلم والادب خير من الجاه والنشب حتى اذا اتمّ دروسهُ في مدرسة اليغني الكلية صار مدرّساً يفيد غيرهُ بما استفادهُ . ونشبت الحرب الاهلية سنة ١٨٦١ وكان في التاسعة عشرة من عمرهِ فتجنَّد مع المتطوعة "نفرًا" وبقي اكثر من سنة قبلما صار ملازماً ثانياً . وفي السنة التالية صار ملازماً اول وفي التي بعدها يوزباشياً ثم بكباشياً بلغ هذه الرتبة في اقل من ست سنوات وبها خرج من الجيش حينما وضعت الحرب اوزارها وقد نالها بشجاعتهِ ومهارتهِ وبقي يلقب بلقب ماجور (بكباشي) الى ان صار رئيساً للجمهورية الاميركية . فهو من هذا القبيل مثل الوف من الشبان الاميركيين الذين خدموا بلادهم في تلك الحرب بل ان كثيرين منهم امتازوا عليهِ حينئذٍ او سنحت لهم الفرص للامتياز اكثر مما سنحت لهُ . دخل الجندية فتىً وخرج منها فتىً لا مال ولا جاه ولا حرفة للكسب فجعل يدرس علم الحقوق ليصير محامياً واجيز لهُ ولكنهُ لم يشتهر بذلك لأنَّ القدر خبأ لهُ واسطة أُخرى للشهرة ابتدأت فرصتها سنة ١٨٧٦ حينما انتُخب عضوًا في مجلس النواب فادرك اعظم ما يدركهُ المرء في الجمهورية الاميركية وهو رئاسة البلاد

ويعاد انتخاب النوّاب كل سنتين فأُعيد انتخابهُ سبع مرات متوالية في اربع عشرة سنة لثقة قومهِ بهِ . وكان من القائلين بحماية الصناعة الاميركية اي بضرب الرسوم الفادحة على المصنوعات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المصنوعات الوطنيَّة . وهو مذهب لبعض الناس يعدونهُ من اكبر عوامل النجاح لكن نفعهُ يعود على الخاصَّة لا على العامَّة فاذا ضربنا رسماً فادحاً على المنسوجات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المنسوجات الوطنيَّة كانت النتيجة ان هذا الرسم يضاف الى ثمن الاجنبي منها والوطني معاً فيربحهُ اصحاب معامل المنسوجات ويخسرهُ جمهور الناس الذين يستعملونها والنتيجة اللازمة عن ذلك ان يزيد الاغنياء غنًى ولا ينال الجمهور الكبير غير التعب والضنك . ويقيننا ان مكنلي كان مخلصاً لامتهِ معتقدًا صحة مذهبهِ يقصد بهِ فائدة الصناعة الاميركية لا اصحاب المصانع

الّا ان اعتناق مذهب يفيد الاغنياء ويزيد ثروتهم لا بدَّ من ان يحملهم على نصرة صاحبهِ فقوي انصار مكنلي لان القوة للدينار . والظاهر ان الزمان اراهُ فساد هذا المذهب بعدئذٍ فعوَّل على تحويرهِ كما يظهر من الخطبة التي القاها قُبيل وفاتهِ

واريد انتخابهُ عضوًا في مجلس الشيوخ الاميركي فلم يفز بذلك فانتخبهُ حزبهُ حاكماً لولاية اوهايو وزادت اصوات منتخبيهِ واحدًا وعشرين الفاً ثم اعيد انتخابهُ بعد سنتين وزادت اصوات

منتخبيهِ حينئذٍ واحدًا وثمانين الفًا فلم تبقَ شبهة في اجماع ابناء وطنهِ على انهُ من الاكفاء الذين يقدرهم الناس قدرهم

وزاد حزبهُ وزادت شهرتهُ حتى رُشح لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٩٢ فلم يفز بذلك بل فاز الرئيس هريسُن . ثم رُشح في الانتخاب التالي سنة ١٨٩٦ فانتخب رئيسًا بعد نزاع شديد لم ترَ الولايات المتحدة اشد منهُ . وكان خصمهُ مرشَّح حزب الديموقراطيين المستر بريَن يقصد ان يجعل الفضة معاملةً قانونية في البلاد الاميركية كالذهب فينصرهُ اصحاب مناجم الفضة وهو اي المستر مكنلي يقول ان المعاملة القانونية يجب ان تنحصر في الذهب . فلو انتُخب المستر بريَن وصارت النقود الفضيَّة معاملة قانونية لحقَّ للحكومة الاميركية ان توفي ربا ديونها نقودًا فضيَّة بقيمتها الاصليَّة ومعلوم ان قيمة الفضة الآن نصف قيمتها الاصلية فيخسر الاغنياء اصحاب الديون الاميركية نصف ديونهم . وبديهي ان المال بعد النفس يدافع عنهُ المرء بكل مرتخص وغالٍ فلا عجب اذا قوي حزب مكنلي والاغنياء نصراؤهُ ورأيهُ الاصوب والاقرب الى العدل

ويقال ان مكنلي لم يكن من هذا المذهب اولاً بل كان يرى ان تضرب النقود من الفضة من غير حد حاسبًا ان مسألة النقود ثانوية بالنسبة الى مسألة حماية الصناعة وغرضهُ من الامرين فائدة الجمهور لكنهُ عاد فرأى ان فائدة الجمهور لا تقوم بالاعتماد على معاملة ليس لها قيمة ثابتة فعدل عن رأيهِ حبًّا بالنفع العام . وعرفت الامة ذلك منهُ حتى ان جمهورًا كبيرًا من الديموقراطيين انحاز الى حزبهِ وقت انتخابهِ فصوَّت لهُ سبع مئة الف منهم . وبلغت اصوات المنتخبين الاخيرة لهُ ٢٧١ وللمستر برين ١٧٦ فجعل رئيسًا للولايات المتحدة الاميركية . ثم رأى مجلس الامة ان لا بدَّ لهُ من الاقرار على جعل الذهب مقياس المعاملة وحدهُ دون غيرهِ حتى لا تبقى معاملة البلاد غرضًا تتنازعهُ الاحزاب فاقرَّ على ذلك سنة ١٩٠٠

وكان في الولايات المتحدة حزب كبير يودُّ محاربة اسبانيا لتحرير كوبا منها اما الرئيس مكنلي فكان يحسب انهُ يمكن تحرير كوبا بغير الحرب وبذل جهدهُ في هذا السبيل ولكن نسف البارجة ماين في كوبا غلَّ يديهِ ودفعهُ الى الحرب رغمًا عنهُ فادار رحاها ولم تضن عليهِ الامة بمالٍ ولا برجال . ووضعت الحرب اوزارها بعد ان دارت الدائرة على اسبانيا واضيفت فيلبين وبورتو ريغو الى اميركا في معاهدة باريس واضطرت الولايات المتحدة ان تدخل في عداد الدول الاستعمارية اي التي تستعبد الناس بحجة اصلاح شؤُونهم ثم تحرمهم الحق الطبيعي الذي لا تصلح الشؤُون بدونهِ وهو المساواة مع سائر الرعايا

ولما انتهت مدة رئاستهِ الاولى وهي اربع سنوات أُعيد انتخابهُ للرئاسة باكثرية كبيرة

اثبتت علو منزلتهِ عند امتهِ

وفي ٦ سبتمبر بينما كان يستقبل الناس في معرض بفلو تقدم اليهِ بحجة السلام عليهِ فوضوي بولوني الاصل يسمَّى زولوجوز واطلق عليهِ رصاصتين من مسدس حملهُ بيسراهُ تحت منديل فاستخرجت الرصاصة الاولى التي اصابت صدرهُ ومزقت اللحم فقط اما الثانية فاخترقت بطنهُ الى الجدار الخلفي ولم يتمكن الجرَّاحون من اخراجها وتعلَّق الامل في بادىء الامر بحياتهِ الى ١٣ سبتمبر حين تغيرت حالتهُ فجأة وتوفي في ١٤ منهُ الساعة الثانية بعد نصف الليل ونقلت جثتهُ الى وشنطون في ١٧ منهُ ودفنت في ٢٠ منهُ في كنتون (اوهيو) بمشهد من ٧٠ الف نفس. ولم يكد نعيهُ ينتشر في المسكونة حتى بادر ملوك الارض ورؤساؤها وعظماؤها الى مشاركة الامة الاميركية في حزنها على رئيسها كأنهُ من اعظم ملوك الارض شأناً واقربهم اليهم مودَّة

فارسل امبراطور المانيا الى زوجتهِ بالتلغراف التالي

" اني وزوجتي الامبراطورة نعرب لكِ عن حزننا الشديد على فقدكِ زوجك المحبوب الذي اغتالتهُ يد اثيمة وعسى الله الذي منحكِ ان تعيشي معهُ سنين كثيرة بالسعادة والهناء يقدركِ الآن على احتمال هذه المصيبة التي افتقدكِ بها "

وبعث ملك الانكليز الى سفير الولايات المتحدة في لندن بالتغراف التالي

" اني اشاركم واشارك الامَّة الاميركية كلها في الحزن الشديد على فقد رئيسكم الفاضل الذي يبقى الاسف عليهِ مدى الدهر " . وامر ان يحد عليهِ البلاط الانكليزي اسبوعاً كاملاً

وارسل رئيس الجمهورية الفرنسوية الى زوجة مكنلي التلغراف التالي

" اني اشاركِ من اعماق قلبي في المصاب الذي حل بكِ بفقد اعز شخص لديكِ المصاب الذي حرم الامَّة الاميركية العظيمة من رئيس حائز بالاستحقاق التام اعظم الحب والاكرام " . ثم زار السفارة الاميركية بنفسهِ لتقديم فروض التعازي

وبعث اليها رئيس جمهورية سويسرا يقول

" في هذا اليوم الذي حلَّ مصابهُ بكِ وبالولايات المتحدة ابعث اليكِ ايتها السيدة بما يشعر بهِ مجلس اتحاد سويسرا من الحزن الشديد على فقد زوجك رئيس الولايات المتحدة المحبوب الذي اغتالتهُ يد الاثم "

وكان الرئيس مكنلي قوي الحجة شديد العارضة حبَّبهُ الى الشعب الاميركي فضيلتهُ العائلية التي يُجلها ذلك الشعب فوق كل فضيلة فقد اقترن بامرأة فاضلة كانت عيشتهُ معها وعيشتها معهُ مثالاً للعيشة الزوجيَّة الطاهرة ثم زاد حبهُ في قلوب امتهِ لما رفض بتاتاً ان يرشح للرئاسة مرة ثالثة

تأثير الوحام

سألنا سائل منذ خمس سنوات قائلاً "أحقيق ان الحامل التي في شهرها الثالث اذا نظرت الى شخص وامعنت نظرها فيهِ جاء ولدها شبيهاً بهِ حسناً كان او قبيحاً". فاجبناهُ "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جدًّا الاَّ ان العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها في ما نعلم . ولكن ما يُعرف من نواميس الطبيعة يرجح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالغ فيها والحقيقي منها يمكن ارجاعهُ الى علل اخرى . ونحن لم نرَ شيئاً حتى الآن مما يقال انهُ متولّد بسبب الوحام الاَّ وجدناهُ بعيدًا عمَّا قيل انهُ يشبههُ بعدًا شاسعاً . مثال ذلك اننا رأينا ابنةً ولدت وفي عنقها خرَّاج كبير واكَّدت لنا امها انها توحمت على كلية وهي حبلى بها وحكَّت عنقها حينئذٍ فولدت طفلتها والكلية في عنقها . ثم شقها الطبيب فاذا هي كيس خلوي مملوء ماء . ورأينا رجلاً قال ان في ساقهِ سمكةً تولَّدت فيهِ من وحام امهِ على السمك وكشف ساقهُ فوجدنا فيهِ لطخة سمراء لا تشبهُ السمكة اكثر مما تشبهُ يدهُ وهلمَّ جرًّا"

هذا وقد وقف الاستاذ ايورت منذ ايام قليلة في مجمع ترقية العلوم البريطاني وكان رئيس علم الحيوان فيهِ فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها ما يتولّد في الحيوانات من التغيرات واسبابها وتكلم على الوحام فقال

"ان الاعتقاد بتأثير الوحام في الاجنَّة قديم جدًّا وقد اقام ملَر الادلة القاطعة على فسادهِ منذ اكثر من خمسين سنة ولكن لا يزال الاعتقاد بهِ شائعاً واني اعرف اثنين من علماء الحيوان يعتقدان صحتهُ . ويعتقد صحتهُ ايضاً كثيرون من مربي المواشي ومن الاطباء . وكتب بعضهم في احدى المجلاَّت المنتشرة بين اهل الزراعة يقول ان ما تراهُ البقر وهي حامل يؤثر في لون عجولها حتى اضطرَّ احد مربي البقر السوداء ان يقيم سورًا اسود حول بقرهِ لكي لا تلد عجولاً حمراء لان بقر جارهِ حمراء اللون . وان لون العجل يكون بلون ما تراهُ البقرة اشبه منهُ بلونها او لون ابيهِ . وكذلك فراخ الطيور لونها اشبه بلون ما تراهُ امهاتها منهُ بلون امَّاتها". ثم ردَّ على ذلك قائلاً "اني ولَّدت في السنوات الست الاخيرة مئات كثيرة من الحيوانات فلم ارَ فيها ما يدلُّ على تأثير الوحام . وقد ولد عندي كثير من المهار وكانت امهاتها ترى حمار الزرد المخطط دائماً وهي عشار فلم يظهر في المهار اثر للخطوط ولا لانتصاب العرف . وكذلك الغنم والبقر والمعزى والارانب وخنازير الهند والدجاج والحمام وسائر الحيوانات التي ربيتها وولدتها لهذه الغاية لم اجد فيها اقل تأثير للوحام"

عمران دمشق

" متنزهاتها "

لا غرابة في مدينة كالفيحاء خُصت بغوطة غنّاء غيناء ان تحيط بها المتنزهات والرياض احاطة الاكام بالاثمار ولكن كان هذا ايام استبحارها في العمران وتمتعها بنعيم الامان . ومن الفضاضة الآن ان المتنزهات المستوفاة شروط الصحة والراحة مفقودة على حين انها ما انعدمت في كل الادوار حتى في زمن تخريب التتار وبعدهم

فمدينة كدمشق فيها نهر كبردى يشقها من غربيها الى شرقيها وهي على جانب من اتساع الرقعة وانبساط البقعة لا ترى داخلها ولا خارجها متنزهاً يصلح ان ينتابهُ الفقير والغني وما برحت متنزهاتها عبارة عن محال للقهوة كثيبة مظلمة يتكاثف الدخان فيها وتطبق الروائح الكريهة واحسنها هي التي بُنيت قرب المياه الراكدة . وكان مدحت باشا فكَّر ان يكشف البيوت والحوانيت المبنية على النهر ويجعل في ضفتيهِ رصيفاً يظلل المارّة بالاشجار ويقيم فيهِ المتنزهات والاماكن العمومية لكن الاقدار عارضتهُ . ومنذ سنتين أُعيد هذا الاقتراح على الاهلين بلسان الصحف فعدّوهُ هزلاً لا جدًّا واستحالوا صيرورتهُ لان التجارب علمتهم ان الشرقي لا يقدر ان يعمل عملاً ولو طفيفاً بدون ان يكون تبعاً للغربي يسخرهُ كيف يشاء . ولو تمَّ هذا المشروع لغدت الفيحاء جنة غنّاء وتوفَّر لها كل عام زهاء عشرة آلاف ليرة يخسرها الناس في الفيضان

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ ان حارة الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق ساروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الاحياء الخارجة عن السور لم تكن في القرن الخامس او السادس سوى مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات على ما سيجيء

واول متنزه وحارة للفيحاء ❊ الصالحية ❊ ذكر بعضهم انها كانت في القرن الخامس للهجرة جناناً وحدائق وقال القرماني الصالحية اسم لثمانية مواضع الاول بلدة قرب دمشق بسفح قاسيون ذات منابر وحمامات وبساتين ومتنزهات وهي اسلامية وسبب تسميتها بالصالحية انهُ لما نزل بها ابو عمر الجماعيلي المقدسي وعمَّر بها الدير ومدرستهُ الشهيرة وسكن بها هو واصحابهُ وكانوا قوماً صالحين سميت بهم . ويقول النعيمي ان احمد الخطيب والد ابي عمر المنوه بهِ كان من بيت المقدس فلما تملكها الافرنج هاجر الى دمشق فنزل بمسجد ابي صالح خارج " باب شرقي " ثم صعد الجبل وبنى الدير ونزل بسفح قاسيون وكانوا يُعرفون بالصالحية لنزولهم بمسجد ابي صالح ثم قيل جبل الصالحية

ومما يذكر ان ابا عمر باني المدرسة بالسفح المسماة اليوم بمدرسة الحنابلة كان شرع سنة ٥٩٨ في بناء المسجد الجامع بسفح قاسيون فانفق عليهِ رجل يقال لهُ ابن محاسن حتى بلغ البناء مقدار قامة فلما نفد ما عندهُ من المال ارسل كوكبري بن زين الدين صاحب اربل مالاً جزيلاً ليتم بهِ فكمل وارسل الف دينار ليُساق بها اليهِ الماء من قرية برزة الواقعة الى الشرق من الصالحية فلم يمكن من ذلك الملك المعظم عيسى صاحب دمشق واعتذر بان الارض قبور كثيرة للمسلمين فصنع لهُ بئر وبغل يدور واوقف عليهِ وقفاً لذلك

ولو اذن صاحب دمشق لصاحب اربل ان يجر قناة من برزة الى الصالحية لكان امتدَّ عمرانها اكثر ولكانت الدور المشيدة في الاعالي من شعاب الجبل تسقى بها بدلاً من ان تستقي من نهر يزيد بالقُلل والقِرَب

﴿ دير مُرَّان ﴾ كان في سفح جبل قاسيون في حدائق الصُبَّار فلم يبقَ لهُ اليوم عين ولا اثر وهو من المتنزهات البديعة في الجاهلية والاسلام قال الخالدي انهُ بالقرب من دمشق على تلّ مشرف على مزارع الزعفران بناؤُهُ بالجص واكثر فرشهِ بالبلاط الملوَّن وهو دير كبير فيهِ رهبان كثيرة وفي هيكلهِ صورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة بهِ . واكثر الشعراء من التغزل بهِ حتى قال يزيد بن معاوية وقد اصاب المسلمين سباءٌ وقتل بارض الروم

وما أُبالي بما لاقت جموعهمُ بالغَذْقَذُونة من حمّى ومن مُوْمِ
اذا اتكأتُ على الانماط مرتفقاً بدير مُرَّان عندي ام كلثومِ (١)

﴿ البهنسيَّة ﴾ في كتاب محاسن الشام وهو مما أُلف في القرن التاسع ان هذا المتنزه روض يجمع بين اشجار مثمرة وعيون ماء تظهر منهُ الى جسر ابن شواش

﴿ جسر ابن شواش ﴾ قال ياقوت ان شواش اسم رجل نُسب اليهِ موضع في متنزهات دمشق فيهِ يقول فتيان الشاغوري

يا حبذا جنة باب البريد بها والحسن قد خُشيتْ منهُ حواشيهِ
فالقصر فالنهر فالقصر المنيف على القصور بالشرف الاعلى فثانيهِ
فالجسر جسر ابن شواش فنيّربها تحلو معانيهِ لا تخلو مغانيهِ
كأن في رأس علّيين ربوتها يجري بها كوثر سبحان مُجريهِ
تلك المرابع لا رَضوى وكاظمة ولا العقيق بواديهِ بواديهِ

(١) هي بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد · والغذقذونة ويروى غذقذونة وهو الثغر الذي منهُ المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة قالهُ ياقوت

﴿باب البريد﴾ هو الآن اسم الباب الغربي من جامع دمشق كان قديماً من انزه المواضع . اكثر الشعراء من ذكره ووصفه والتشوق اليه فمن ذلك قول علي بن رضوان الساعاتي

ألمّتْ سُلَيمى والنسيم عليلُ فخيّل لي ان الشمالَ شَمولُ
كأن الخزامى صَفّقت منهُ قرقفاً فللسكر اعناقُ المطيّ تميلُ
تلاقت جفون ما تلاقي قصيرة وليلُ مشوق بالغرام طويلُ
شديد الى باب البريد حنينهُ وليس الى باب البريد سبيلُ
ديار فاما ماؤها فصفّق زلالٌ واما ظلها فظليلُ
نحلتُ وما قولي نحلتُ تعجباً هل الحب الاّ لوعة ونحولُ

وللقوم اليوم بيتان دائران على الالسن قيل انهما كانا مكتوبين بجانب قوس النصر في مدخل المعبد القديم الذي بني الجامع الاموي على انقاضه وهما

عرّج ركابك عن دمشق فانها بلدٌ تذلّ لها الاسود وتخضعُ
ما بين جابيها و باب بريدها قمر يغيب والف بدر يطلعُ

﴿النّيرب﴾ وربما قيل لهُ النيربان ولم ادرِ ما السبب وهي قرية عُدّت قديماً من المتنزهات المفرحة بقي الاسم منها فقط وهي على نصف فرسخ من المدينة وسط الرياض ويذهب بعض المحققين الى ان حيّ المهاجرين في الصالحية اليوم كان داخلاً في النيرب . قال القرماني انها قرية بغوطة دمشق في وسط بساتينها من جهة الغرب وقال ابن بطوطة انها باسفل الربوة والآن قد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانت اشجارها فلا يظهر من بنائها الاّ ما سما ارتفاعهُ . وقال ياقوت هي انزهُ موضع رأيتهُ . وذكر البدري ان محلة النيربين تعلو البهنسيّة وجسر ابن شواش وانها من اعظم المحلات واخضرها وانضرها وبها سويقة وحمام وجامع وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة يحيى بن جحي ومنها تدخل الى الربوة

﴿الربوة﴾ كانت من أعمر احياء المدينة وازهر متنزهاتها اتفقت على ذلك السن المؤرخين والجغرافيين والادباء . ويستخلص من كلام البدري انهُ فيها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبها جامع ومدارس وعدة مساجد وبها عدة قاعات واطباق وفيها عين ماء يقال لهُ المنثم وبها سويقتان يقطع بينهما نهر بردى وبها صيادو السمك والقلاّون ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم ما عدا ما يجيئها من لحم البلد وبها فرنان وثلاثة حوانيت للخبز وحمام لا نظير لهُ بكثرة مائه ونظافته ومناظره وبها طارمة خشب المسجد الدبلي الذي جدده نور الدين الشهيد ولهُ اوقاف على قرّاء ووعاظ وقراء البخاري وغيرهم وفيه يقول تاج الدين الكندي

ان نور الدين لما ان رأى في البساتين قصور الاغنيا
عمّر الربوة قصراً شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

ولا عجب اذا بنى نور الدين للفقراء قصوراً فقد ذكر القرماني ان داريّا وهي اعظم قرى دمشق كان وقفها ايضاً لعامة فقراء دمشق يُفرق غلالها عليهم

﴿ الشرف ﴾ شرفان اعلى وادنى كان مصايف للاعيان كالربوة والنيربين قال البدري ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور وقد تقرب اهلها الى الله ببناء المدارس ورتبوا للفقراء الطعام والمصرف في كل شهر على الدوام فيجلس الطالب في شباكها يطل على المناظر البديعة فينبعث الى طلب العلم ويتحرك في فهمه ما سكن . ويقال انهُ بمدرسة الكجانية قبة فيها طاقات على عدد ايام السنة والشمس تدور على تلك الطيقان لا تدخل اليها وهذا من حسن الهندسة واما جامع تنكز (وهو اليوم مدرسة اعدادية عسكرية) فانهُ في الشرف الادنى وهو من الغايات هندسةً وبناء وفيهِ عشرون شباكاً على خط الاستواء تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . ثم قال وكل من الشرفين يطل على الشقراء والميدان والقصر الابلق والمرجة ذات العيون والغدران قال مجير الدين بن تميم يصف الميدان

عجباً لميدانَي دمشق وقد غدا كلٌّ لهُ شرف اليهِ يؤولُ
والنهر بينهما لغير جناية سيفٌ على طول المدى مسلولُ

ومن جملة وقف تربة الملك الظاهر برقوق طاحون الشقراء بمرجة دمشق ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الاعجام وبينهما قصبة سوق كان فيها عدة حوانيت ويتلخصُ من ذلك ان المرجة الخضراء كان يمتد عمرانها لا الى شرفيها فقط بل الى وادي الربوة وما والاها واما القصر الابلق فكان مكان التكية السليمانية اليوم . قال شيخ الربوة انهُ من المباني العجيبة المحدثة بدمشق بناهُ الملك الظاهر بيبرس وسمي بالابلق لكونهِ مبنياً بالحجارة البيض والحجارة السود

وفي الروضتين ان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان يزور القاضي الفاضل ليستضيء برأيهِ فيما يريد فعلهُ في جوسق (قصر) ابن الفراش بالشرف الاعلى في بستانهِ حتى ان الصفيّ ابن القابض لما تولى خزانة دمشق لصلاح الدين بنى لهُ داراً مطلة على الشرفين بالقلعة وانفق عليها اموالاً كثيرة وبالغ في تحبيرها وتحسينها وظن انها تقع من السلطان بمكان فما اعارها طرفاً ولا استحسنها وكانت من جملة ذنوبهِ عند السلطان التي اوجبت عزلهُ عن الديوان وقال ما يصنع بالدار من يتوقّع الموت وما خُلقنا الاَّ للعبادة والسعي للسعادة وما جئنا دمشق لنقيم وما نروم ان لا نريم

❖ الخلخال ❖ محلة ومتنزه كانت على الغالب محل التكنة الجديدة او فيما يليها للغرب ولها سويقة وحوانيت وفرن وحمام وفي القرن التاسع كان يسكنها الاتراك وكذلك المنيبع والشرفين وبها تدق طبلخاناتهم (1)

❖ المنيبع ❖ كان بها زاوية الادهمية والهنود وهي محفوفة بالناس والاعان لها سويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية كانت من الاعاجيب يشقها في فنائها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها ولها قاعدة خلاوي للطلبة وبجوارها دار الامير منجك والى هذه المدرسة وصل الصليبيون لما نزلوا في ظاهر الفيحاء في القرن السادس . ولا اثر اليوم للبناء في هذه الاماكن بل كلها بساتين وحدائق

❖ الجبهة ❖ كان متنزهاً حسناً ذا نواعير وبرك واحواض لها فوارات وحوانيت به مسجد ومدرستان . قال البدري ومربط للدواب ومقاصفية واقفون لخدمة الناس وعندهم اللحف والانطاع والاعبئة لمن ينام او يبيت ويعلوها نهران القنوات وبانياس ينحدر الماء اليها منهُ وفوق النهر حمام النزه والى جانبهِ مقصف ذو حوانيت فيها البضائع ويمر بوسطهِ نهر قنوات ويوصل منهُ الى زاوية الحريري المشهورة وليس بابدع من منظرها وينحدر منها الى المتنزه المسمى بقطية وهو مقصف على ضفة بردى فيهِ النواعير والمجرات وقصبة سون تعلوها اربع طباق ومربط للدواب

ويقول كاتب جلبي انهُ كان في المرجة قصور عالية مشهورة في الآفاق لا يتأتى ايفاؤها حقها من الوصف سيما ابنية البرامكة وآثارهم فانها لم تزل باقية الى الآن وفيها منظر مشهور يقال لهُ الجبهة ثم اخذ في وصفهِ بما يقرب مما قالهُ البدري آنفاً . ولا اثر اليوم لكل ما ذُكر من بناء

❖ العنّابة ❖ كانت محلة نزهة تشتمل على دور وقصور لا يعرف لهذا العهد سوى اسم ارضها فقط . ذكر البدري ان السبب في تسميتها ان كاهناً في زمن الروم كان يتعبّد في صومعة

---

(1) قال صاحب صبح الاعشى شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي بن احمد القلقشندي (قلقشند قرية من عمل قليوب في مصر) المتوفى سنة ٨٢١ ه ان الطبلخانات هي طبول متعددة معها ابواق وزمر يختلف اصواتها على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الاسفار والحروب وهي من الآلات العامة لجميع الملوك ويقال ان الاسكندر كان معهُ اربعون حملاً من الطبلخانات وقد كتب ارسطو في كتاب السياسة الذي كتبهُ للاسكندر ان السرّ في ذلك ارهاب العدو في الحرب والذي ذهب اليهِ بعض المحققين ان في اصواتها تهييجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الابل بالحداء ونحو ذلك

بتلك الارض فحصل لهُ علة اشرف منها على الهلاك فنزل عليهِ تاجر من تجار الروم ومن جملة متجرهِ خمسة احمال عناب فحلها ونشرها فصار هذا الكاهن يتناول منهُ وقد طاب لهُ فلما اصبح جاء اليهِ الطبيب يجدهُ قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في نفسهِ نشاطاً فقال لهُ ما الذي استعملت البارحة قال الشيء الفلاني ونسي ان يذكر لهُ العناب فقال الطبيب ولعلك استعملت عناباً قال لهُ نعم من اخبرك بذلك قال لعلمي ان علتك لا يبرئها سواهُ وهو معدوم وخشيت ان أُعلق خاطرك بهذا الدواء فزرع الكاهن الارض التي حول صومعتهِ جميعها عناباً وتقرَّب بها الى كل من احتاج منها الى شيء ان يأخذهُ حتى يقال انهُ وجد في الاسلام من ذلك العناب شجرة واحدة وبني حولها فسميت الحارة بهِ

﴿ سطرًا ومقرا ﴾ من متنزهات دمشق وقرى الغوطة قال البحتريّ يمدح خمارويهِ

أما كانَ في يوم الثنية منظرٌ ومستمع يُنبي عن البطشة الكبرى
وعطف ابي الجيش الجواد بكرة مُدافعة عن دير مُرَّان او مقرى

وقد خرج منهما جماعة من اهل العلم والدراية وهما من ارض الطيبة في الفيحاء كان ينتابهما القوم للتنزه ولا يُعرف الآن مكانهما ويؤخذ من بيت توفيق بن محمد النحوي انهُ يخرج اليهما من باب العمارة اي الفراديس وهو قولهُ

سقى الحيا اربعاً تحيا النفوس بها ما بين مقرى الى باب الفراديسِ

وفيهما يقول عبد الرحمن بن خطيب داريا وقد احسن التورية

خليليَّ انْ وافيتما الشام بكرة وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقريا عني كتاباً كتبتهُ بدمعي لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

وقال ابن عنين واجاد في الوصف

ألا ليت شعري هل ابيتنَّ ليلة وظلك يا مقرى عليَّ ظليلُ
دمشق فلي شوق اليها مُبرِّح وانْ لجَّ واشٍ او الحَّ عذولُ
بلاد بها الحصباء درٌّ وتربها عبير وانفاس الشمال شمولُ
تسلسل فيها ماؤُها وهو مطلق وصحَّ نسيم الروض وهو عليلُ

﴿ البلكي ﴾ متنزه بين سطرا ومقرا قال البدري ان الناس يجتمعون فيهِ ايام زهر السفرجل ويُطلقون الماء تحت اشجارها ويُوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيهِ اياماً واوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها

﴿ الميطور والسيلون ﴾ هما من متنزهات الفيحاء ويقال ان اول من غرس في ارضها غرساً بيدهِ سليمان بن عبد الملك

السهم — كان متنزهاً متصلاً بارض الصالحية وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري كهدير البحور قالهُ البدري

المزارع — كان متنزهاً خضراً نضراً تسرح فيهِ الابصار وتجري من تحتهِ الانهار

الماطرون — موضع قرب دمشق عُدَّ من بدائعها قال يزيد بن معاوية من ابيات

ولها بالماطرون اذا   اكل النملُ الذي جمعا
خُرفةٌ حتى اذا ربعت   ذكرت من جلق بِيَعَا
في قباب حول دسكرة   بينها الزيتون قد ينعا

﴿ الحميريون ﴾ كانت محلة بظاهر دمشق على القنوات لها ذكر في خبر شبيب العُقيلي ذكرهُ المتنبي في مدحهِ لكافور

هذا ما عثرت عليهِ من المتنزهات والحارات الدائرة في ضاحية دمشق ولعلَّ ثمت من الاسماء ما فاتني الوقوف عليهِ وكلها مما دثر عمرانهُ بتة ونسيت اسماؤهُ الاَّ قليلاً

محمد كرد علي

استئصال المعدة

يوجد الآن في قيد الحياة خمس نساء ورجلان بلا معدة . وقد نُزِعت المعدة برمتها ١٦ مرة منذ ثلاث سنوات الى الآن وكانت العاقبة حسنة في الغالب . وكان من نصيبي ان شاهدت نزعها مرتين اولاها في سنت لو يس بالولايات المتحدة الاميركية وقد ارسلت تفاصيل تلك العملية حينئذٍ الى مجلة الطبيب والثانية في هذه المدينة منذ عهد قريب وهي في امرأة ولا تزال حيَّة ترزق . وقد تولَّد فيَّ نوع من الرغبة في درس هذا الموضوع الجديد والبحث والتنقيب عمَّا صار اليهِ وكاتبتُ اكثر الجراحين الذين اجروا هذه العمليَّة فاجابوني عمَّا سألتهم عنهُ وارسل اليَّ بعضهم تقارير مطبوعة . وآخر تقرير وصلني كان من استاذي الدكتور ماير Dr. Meyer احد تلامذة الدكتور كوخ وهو عن رجل استأصل معدتهُ منذ بضعة اسابيع وفي هذا التقرير من الفائدة ما جعلني الخصهُ لقراء العربية الكرام في آخر هذه المقالة

ولا يخفى ان استئصال المعدة امرٌ لا يزال في طفوليتهِ ولذلك اختطَّ فيهِ كل جرَّاح خطَّةً

لنفسهِ مستقلاً عن غيرهِ واخطأ بعضهم فكان خطأَهُ سبباً لموت العليل . ولم توضع هذه العملية حتى الآن ضمن حدود معلومة مثل سائر العمليات الجراحية الكبيرة ولذلك فغلط الزمن الحاضر سيكون اكبر معلّمٍ لجراحي الزمن المستقبل حين نرى عدداً كبيراً من المرضى الذين نزعت معدهم يعيشون كأنهم ذوي معد سليمة

والعلل التي تدعو الى استئصال المعدة مرجع اكثرها القرحة الخبيثة وهي نادرة والسرطان وهو كثير . وامامي الآن تقرير عن ست عشرة عملية نزعت فيها المعدة في اربع عشرة كان سبب نزعها السرطان وفي اثنتين سبب نزعها القرحة المعدية . وهاك كلاماً مجملاً عن اكثرها

الاولى عُملت في الولايات المتحدة منذ زمن بعيد قبل ان عُلمت مضادات الفساد فمات العليل بالتقيح

الثانية عملية الدكتور شلتر الشهيرة التي عملها في زورك بسويسرا بنجاح دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش بغير معدة . وترى وصفها مفصلاً في المقتطف في الصفحة ٨٧ من المجلد الثاني والعشرين . وقد عاشت المرأة التي نزع معدتها ١٤ شهراً بعد العملية ثم عاد السرطان فظهر ثانية في المساريقي والقولون فاماتها

الثالثة عملية الدكتور برغهام من سان فرنسسكو وهي في امرأة ولا تزال المرأة حيَّةً تُرزق وكان قد مرَّ عليها ٢٣ شهراً يوم كتب التقرير عنها في ١١ يونيو الماضي وهي تأكل المآكل العادية وتحسن هضمها كمن لهُ معدة سليمة . وقد وصل الدكتور برغهام طرفي المعدة الفؤادي والبوابي واما الدكتور شلتر فوصل الطرف الفؤادي بالصائم

الرابعة عملية الدكتور مكدونلد من سان فرنسكو ايضاً والعليل امرأة ولا تزال حية ترزق

والخامسة عملية رتشردصن من بوستن وعاش العليل تسعة اشهر بعد العملية ثم ظهر السرطان ثانية في امعائهِ فاماتهُ

والسادسة عملية شفاس من فرنسا ولا يزال العليل حياً

والسابعة عملية كاقل ومات العليل اثناء العملية

والثامنة عملية برنايز من سنت لويس باميركا وهي التي اشرت اليها قبلاً وكنت من جملة المساعدين فيها . وكنا قد اجرينا العملية في بعض الكلاب والارانب وقد تركتُ كلباً حياً عند الدكتور برنايز وهو من غير معدة . والعملية في رجل كان ضعيفاً جداً فلم يعش بعدها سوى ٣٦ ساعة ومات من قلة التغذية

التاسعة عملية دلاتور من فرنسا وقد عاش العليل ٢١ شهراً بعد العملية

العاشرة عملية كوشر من الولايات المتحدة . عاش العليل بعدها وقتاً قصيراً وكان سبب موتهِ خطأ الجراح المذكور فانهُ قطع الاوعية الدموية التي تغذي المساريقي والقولون المستهي في اثناء العملية ولم يعلم خطأه الا حين ابتدأت الغنغرينا في المساريقي والقولون وكان ذلك سبباً لموت العليل كما ظهر من فحص جثتهِ

الحادية عشرة عملية مورتن من لندن والعليل لا يزال حياً

الثانية عشرة عملية بردك وقد عاش العليل وقتاً قصيراً بعد العملية

الثالثة عشرة عملية كارفاليو من سان باولو (بالبرازيل) وهي في امرأة لا تزال حية وكان سبب استئصال معدتها السرطان . واتبع الدكتور كارفاليو فيها الخطة الحديثة من وصل طرفي المعدة الفؤادي والبوابي . وقد شاهدت هذه العملية ولا تزال المرأة حيَّة

الرابعة عشرة عملية عملت في سنت لويس في ٢١ مايو الماضي عملها استاذي الدكتور مايروستري تفصيلها في آخر هذه المقالة

وظيفة المعدة والآراء الحديثة

يذهب الفسيولوجيون اليوم الى ان وظائف المعدة ثلاث وهي خزن الطعام وتحريكهُ وتطهيرهُ ولا هضم فيها ولا امتصاص ولا تمثيل كما كان يزعم . فيخزن الطعام فيها لكبر حجمها ويبقى فيها مدة حتى يلين بامتزاجهِ بالعصارة المعدية وهذه هي الوظيفة الاولى . ثم ان حركة المعدة تدفع الطعام من الفتحة البوابيَّة الى الاثني عشري وهذه وظيفتها الثانية

ومعلوم ان العصارة المعدية السليمة تقتل بعض الميكروبات الوبائيَّة كميكروب الكوليرا وميكروب الحمرة وميكروب القيح وما اشبه فهذهِ وظيفة المعدة الثالثة . وفي العصارة المعدية الاصلية حامض هيدروكلوريك وهو يساعد على افراز الببسين ويساعدهُ على هضم الطعام . وكل ما تقدَّم يدلُّ على فائدة المعدة ولكن هذه الفائدة غير ضرورية للحياة بدليل ان الهضم والامتصاص والتمثيل تتم كلها في الامعاء الدقاق لا في المعدة فاذا اصيبت المعدة بسرطان او قرحة بطلت فائدتها وصار منها ضرر فيجب نزعها . اما السرطان فانهُ يمنع تولُّد الحامض الهيدروكلوريك فيها ويمنع خروج الطعام من فتحتها البوابية فيبقى فيها مدة طويلة ويحلُّ بهِ الاختمار والتعفُّن فتتولَّد منهُ الغازات وتضعف جدران المعدة عن عملها وتتمدَّد ولذلك تقلُّ تغذية العليل فيشعر بالضعف وانحلال القوى الى ان يفاجئهُ الموت فيموت من قلة الغذاء لان معدتهُ مصابة بالسرطان . فاذا نزعت وصل الطعام الى امعائهِ رأساً فاغتذى جسمهُ ونجا من الموت

التشخيص وكيفية العملية

اما تشخيص السرطان المعدي فمن اصعب الامور في الطب الداخلي خصوصاً في بادىء الامر. ويظهر من وصف الحادثة التي عالجها الدكتور ماير اخيراً ما يقاسيهِ الطبيب حتى يصل الى الحقيقة قال: ان سن العليل ٣٧ سنة وهو عامل الماني متزوج لهُ خمسة اولاد كلهم اصحاء اقوياء وامرأتهُ كذلك لا يعلم سبب موت والديهِ . يقول انهُ لزم فراشهُ وعمرهُ سبع سنوات بسبب علّة معدية وكان يتقيأ دائماً . ثم انتظم في سلك الجندية الالمانية وأصيب بالروماتزم المفصلي ولا يزال يشكو منهُ للآن . وترك وطنهُ وعمرهُ ٣١ سنة وهاجر الى الولايات المتحدة وبقيت صحتهُ جيدة الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٠ ثم ابتدأ يشعر بألم في معدتهِ وكان الالم يزداد خصوصاً بعد الطعام الى ان جاء في ١٥ دسمبر وكانت علامات الضعف والهزال بادية عليهِ على ان وزنهُ كان ١٨٥ ليبرة (رطلاً) ثم صار الالم يزداد بعد الطعام وكذلك الجشاء والضعف وزالت قابليتهُ للطعام وفي ٢١ فبراير الماضي ظننت انهُ مصاب بالسرطان وجعلت افحص محتويات معدتهِ كياوياً

وصباح الثاني والعشرين من شهر فبراير (شباط) اطعمتهُ ما يسمَّى بفطور ايوالد اي قطعةً من الخبز وزنها سبعون غراماً تحتوي على خمسة غرامات من مادة نيتروجينيَّة و ٩ غرامات من مادة كربوهيدراتية وثلث غرام من الدهن وثلاثة ارباع الغرام من الاملاح وسقيتهُ ٣٥٠ غراماً من الماء واوصيتهُ ان يمضغ الخبز جيداً . وبعد ساعة اخرجت محتويات معدتهِ وفحصتها فحصاً كياوياً ومكرسكوبياً فوجدتها كما يأتي :—

الكميَّة تسعون غراماً. لا سائلة تماماً ولا جامدة تماماً بل بين بين وعند ما تركناها تركد في اناء زجاجي صارت طبقتين فعلها الكياوي حامض ليس فيها شيء من الحامض الهيدروكلوريك مطلقاً ولكن فيها كثير من الحامض اللبنيك والحموضة الاجمالية ١٣. قوة تولد البيسين جيدة والنشاء موجود وكذلك الدكسترين والبيتون . وظهر بالفحص الميكرسكوبي حُبَيبات النشاء وتشعبات الخمير بكثرة وحينما مددنا المعدة بالغاز رأينا طرفها الاسفل فوق السرَّة بعقدة واحدة

واجرينا هذه العملية نفسها في اول مارس (اذار) فوجدنا امرين جديدين الاول ان الكمية كانت ٢٠٠ سنتيمتر مكعب والثاني بقايا سليلوس ليموني وكان العليل قد اكل ليموناً منذ ١٧ ساعة

وفي ٨ مارس وجدنا الكميَّة ٤٠٠ سنتيمتر مكعب وكان الحامض اللبنيك كثيراً فيها وحموضة المعدة الاجمالية ٥٦ لان العليل اكثر من اكل الزبدة قبل الفحص بيوم ولذلك كثر

الحامض الزبديك في معدتهِ وكانت رائحة الحموضة شديدة جدًّا وتجشأ كثيرًا من الغاز وكان لون المادة المستخرجة من معدتهِ الآن اسمر فاتحًا ولا اثر فيها لكريات الدم واما مادة الخمير فكانت كثيرة وتشعباتها طويلة

وفي ١٢ مارس كثرت انواع البكتيريا وزاد عددها زيادة فاحشة وعددنا كريات الدم الحمراء يومئذٍ فوجدناها ٤٢٠٠٠٠٠ وكمية الهيموغلوبين فوجدناها ٤٠ في المئة ومددنا المعدة بغازٍ فوجدنا طرفها الاسفل تحت السرَّة بعقدة ونصف اي انها تمددت في هذا الوقت القصير فرجحتُ وجود السرطان فيها والاسباب التي دعتني الى ترجيح وجودهِ ثلاثة

اولاً عدم وجود الحامض الهيدروكلوريك مطلقاً

ثانياً وجود الحامض اللبنيك دائمًا وبكثرة

ثالثاً علامات عدم التغذية في العليل وبسرعة تمدد معدتهِ وعدم نجاح كل الادوية التي استعملناها لهُ

ولذلك عولنا على استئصال المعدة برضا العليل

عمل العملية الجراح كارسن بحضور الاستاذ ماير على طريقة برغهام وكان العليل يُطعَم في الخمسة الايام الاولى عن طريق المستقيم طعامًا مؤلفًا من اللبن الحليب والخمر وزلال البيض مع قليل من الملح وفي اليوم السادس أُبدلت اساوة الجرح الاولى فكان كل شيء على ما يرام ولكن دخل ميكروب الصديد عند تغيير الاساوة فتقيح الجرح ومات العليل في اليوم التاسع بسبب العدوى بميكروب الصديد

الاعتراض على هذه العملية

يقول المعترضون على هذه العملية ان مَن يصاب بالسرطان لا بدَّ من موتهِ بهِ فلنتركهُ وشأنهُ واذا نزعت معدتهُ عاد السرطان فظهر في امعائهِ واماتهُ كما حدث في المرأة التي استأصل الدكتور شلتر معدتها . وزد على ذلك ان البعض ماتوا بسبب العملية نفسها . ويردُّ عليهم القائلون بالعملية انهُ اذا لم يكن من الموت بدٌّ لوجود السرطان او القرحة الخبيثة فلا بأس بقطع العضو المصاب اذا استطاع العليل ان يستغني عنهُ فان عاش بعد ذلك فهو المطلوب وان مات فقد كان في عداد المائتين وما العملية سوى مقوٍّ لآمالهِ في الحياة . ويبدي الذين تُعمل فيهم من البهجة والسرور بعدها ما يدعو الى شيوعها والإقبال عليها

سان باولو بالبرازيل الدكتور سعيد ابو جمره

رواية امينة

الفصل الرابع عشر

ألا تستطيعين ان تبقي الباب مفتوحاً فان الحر شديد يزهق النفوس . قلت ذلك لام عطيَّة هانم وهي امرأة كهلة طويلة القامة سمينة الجسم كانت جالسة امام الباب تلهث من شدة الحر وانا جالسة وامامي كومة من الحرير افصِّل فيها . فقالت كلاَّ لاني لا اريد ان احداً ينظرنا هنا ويمضي ويخبر عزَّت باشا و يقول لهُ هذا لازم وهذا غير لازم فقد كفانا ما سمعنا من الكلام وما دار بيننا من الخصام

ولم اكن احسب ان في رؤية النساء لجهاز عطيَّة هانم اقلَّ ضرر لاسيما وان سنية هانم هي التي اعدَّتهُ ولكني وجدتُ من العبث الجدال معها فتركتها جالسة والباب مقفل وانا اقول في نفسي ترى هل تصير عطيَّة هانم مثل امها سمينة بليدة سخيفة العقل . اما من حيث سخافة العقل فلم احسب ذلك ممكناً لان عطية كانت ذكيَّة الفؤاد على ما يظهر واما السمن فدلائلهُ واضحة فيها

ثم مسكت بكرة فارغة بيدي وقلت لها لا بدَّ لنا من خيطان حرير من هذا اللون . فتنهدت وقالت من اين الدراهم فقد صرفنا كل ما معنا . واخرجت كيساً من جيبها مملوءًا بالنقود وقالت هل يكفي غرش فقلت كلاَّ ولا بدَّ من خمسة غروش . لاني كنت قد ضجرت من بخلها . فصمتت وهي تنظر الى قطعة النقود في يدها واخيراً رمتها اليَّ قائلة كفى بعزقة واسرافاً كأَنك تحسبين عندي خزنة

فلم اجبها بل خطر ببالي ان ارمي ثياب ابنتها في وجهها واقوم واتركها ولكني رأَيت اللياقة تمنعني عن ذلك . ثم قالت لي أتعلمين ان عزَّت باشا اتى الى هنا منذ مدة وقال لي ان نافذ بك قام من اسطانبول منذ اسبوعين وانهُ يكون هنا غداً او اليوم العصر . ما هو شكلهُ فقد بلغني انكِ تعرفينهُ فهل هو جميل المنظر

فقلت لها نعم جميل جدًّا . وشعرت حينئذٍ بخفقان في قلبي ودوران في رأسي . وكانت قد سألتني هذا السؤَال مئة مرة واجبتها عنهُ كما اجبتها الآن . فلم تكتفِ بل قالت قلتِ ان شعرهُ اشقر وهذا غريب لان شعر سنية هانم اسود . فقلت لهُ انهُ ليس مثل اختهِ . ولما قلت ذلك دخلت سنية هانم ودنت مني و باستني على جاري عادتها وقالت لي اليوم يصل نافذ وتخلصين من هذا التعب . فقالت لها ام عطية أَصحيح ذلك هل ارسل احداً يخبر بقدومهِ

فقالت سنية هانم نعم وصل رسول منهُ الآن

وقمتُ حينئذٍ بحجة الذهاب لارسل من يشتري الحرير وذهبت الى غرفتي لان سنية هانم لا تبقى طويلاً هناك وهذا هو الوقت الذي يأتي فيهِ حسين بك وكان هذا الشاب قد نغص عيشي بوقاحتهِ وكنت اهرب منهُ من غير ان اقابلهُ بالغيظ الذي اشعر بهِ في نفسي . ولما جاء الخادم بالحرير اتت ام عطية هانم ونادتني قائلة تعالي لنرى نافذ بك فان الشبابيك في غرفة حافظ باشا تطلُّ على الدار التي يمرُّ فيها . فتبعتها عن غير فكر الى ان وصلنا الى غرفة حافظ باشا فوجدنا النساء والجواري ملأن كل كواها ورأتني الجواري فوسَّعن لي مكاناً ولكنني لم استحسن الوقوف بينهنَّ وعزمتُ ان ارجع من حيث اتيت ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان تحت هذه الغرفة غرفة اخرى صغيرة فيها شباك يطل على الساحة فنزلت اليها وتبعتني عطية هانم فدخلناها معاً وهي تقول لي لا تخبري احداً عني لانني احبُّ ان اراهُ وارى من يشبه . ووقفنا كلتانا امام الشباك وعيناها مملوءتان بهجة وسروراً وهي لا تحسب لي حساباً لانها تعدني دونها بمراحل فلم تحاول اخفاء سرورها امامي

وسمعنا صوت المركبة وخيلها ثم دخلت الدار ونزل نافذبك واثنان آخران ووقف وظهرهُ الى الشباك الذي كنا فيهِ فكنت اسمع صوتهُ ولا ارى وجههُ وجعل يحيي الذين اتوا لاستقبالهِ وخرج عزّت باشا واستقبلهُ بالترحيب والتأهيل على جاري عادتهِ ثم قال لهُ ادخل واسترح الآن وبعد ذلك آخذك الى اختك فقال لهُ بل خذني الآن لاني مشتاق اليها جداً . ودار عزت باشا بكلم واحداً فادار نافذ بك وجههُ حتى صار امامي مواجهة ولو امكنني ان افتح الشباك لمسته بيدي فرأيتهُ نحيفاً اصفر الوجه في جبينهِ اسارير كثيرة . والتفت عزت باشا اليهِ حينئذٍ وقال لهُ هلمَّ بنا وسار معهُ ودخلا البيت والتفتُّ الى ما حولي فوجدت ان عطية هانم قد خرجت من الغرفة وتركتني وحدي كأنها خافت ان تُستفقد فتُرى هناك . ولما رأيت اني وحدي ولا داعي لاخفاء ما بي جلست على حافة الشباك واعطيت نفسي مداها في البكاء

وكنت ارى ان وجودي هناك لا يمكن ان يخفى على نافذ بك وانهُ لا يزال يحبني ولكنهُ لا يستطيع ان يعدل عن الاقتران بعطية بعد ان خطبها الى ابيها واخيها فجعلت اصبّر نفسي حتى اذا التقيت بهِ لا يظهر عليَّ شيء

وانتظرتُ سنية هانم في اليوم التالي لارى ما هو رأيها فيهِ . ولما اتت كانت ام عطية غائبة فقالت لي لقد اخطأ ادهم في ما قالهُ عن نافذ فانهُ لا يزال يحبك حباً شديداً ولا اقول ذلك لانهُ اخبرني بهِ او لاني اراهُ كاسف البال كلاَّ فانهُ لم يخبرني بشيء ولا يُظهر الاَّ البهجة

والسرور ولكنني ارى جلياً انهُ يتظاهر بالسرور تظاهراً . وقد عرف انكِ هنا فتعالي معي ليراكِ

فقلت لها من اخبرهُ اني هنا

فقالت اخبرتهُ ظبي فانها ارتهُ كلبها الصغير وسلتهُ وقالت لهُ ان امينة صنعتها فلما سمع اسمكِ اضطرب واخذ يسألها من هي امينة هذه فقالت لهُ انها ابنة ابنة مربية امي وانها اتت من اسطانبول . وكان زوجي حاضراً فاكّد لهُ الخبر واعلمهُ ايضاً تاريخ مجيئك الى هنا فلم يقُل شيئاً ولكنهُ التفت اليَّ بعد حين وقال لي بصوت منخفض اين اخفيتم تلك المسكينة عسى ان لا تصدقي كل ما قالهُ ادهم عني ولا تظنيني غولاً اتيت لابتلاعها ولا تخافي من اني اعدل عن عطية بعد ان وصلنا الى هذا الحد

فقلت لها ألا تظنين مع ذلك انهُ خير لي ولهُ ان ابقى هنا

فقالت كلاَّ بل الاحسن ان تقابليهِ ولو بقيتِ تامين هنا لان كل احد يعلم انكِ ربيت في بيت ابي فيستغربون عدم ظهوركِ امامهُ وانا اعلم ان ذلك صعب عليكِ ولكن الا تظنين انكِ تستطيعين ان تقابليهِ

فقلت لها سافعل حسبما تريدين

فقالت اتبعيني اذاً الآن بعد ما اذهب وقولي انكِ آتية لترى نافذ بك . ثم قامت ومضت ووقفتُ حيرى وانا اقول في نفسي جاءت الساعة التي كنت اخشاها ولكن لا بدَّ لي من مقابلتهِ . ودخلت زوجة حافظ باشا حينئذٍ فقلتُ لها اني ذاهبة الى البيت الآخر لارى نافذ بك . فقالت اذهبي وارجعي حالاً واخبريني بكل ما يقولهُ فقد قال حسين انهُ من اظرف الناس وعزَّت باشا مسرور بهِ جدًّا

فخرجت من غير ان اجيبها ووصلت الى باب البستان الآخر ولم اكد استطيع فتحهُ لارتجاف يديَّ ولما فتحتهُ ودخلت البستان رأيت نافذ بك وحسين بك وسنية هانم جالسين تحت السنديانة فتجلدت وسرت اليهم وانا مطرقة الى الارض حتى اذا دنوت من نافذ بك نهض لاستقبالي وقال بصوت مرتجف اهذه امينة . ولم اقبّل يدهُ لاني كنت اعلم انهُ يكره ذلك بل سلمتُ عليهِ تمنّياً فسلّم عليَّ كذلك وادنى كرسياً مني وقال تفضلي . فجلست صامتةً . كل ذلك وانا لا اجسر ان ارفع نظري اليهِ ولما جلس رفعت عينيَّ ونظرت في وجههِ ملياً وكان آخذاً في اشعال سيكارتهِ فرأيتهُ مصفرًّا قليلاً ويداهُ ترتجفان ثم التفت اليَّ وقال لقد عدتِ الى الاناضول يا امينة فهل ذهبت الى قش اغاج

فقلت كلاَّ لأَنها بعيدة جداً . فقال نعم بعيدة واظن انكِ ستمضين اليها يوماً من الايام

وقد مضيت انا اليها حديثاً

فقال حسين بك أإلى قش اغاج ما أخذك الى هناك فانها قرية صغيرة حقيرة

فقال نعم بل لا تستحق ان تسمّى قرية لان ليس فيها الاّ عشرة اكواخ في سفح جبل

فقال حسين بك وكيف ذهبت اليها واين نزلت

فقال اني لم اقم هناك الاّ ليلة واحدة فلم يكن الوقت كافياً لاتعب منها لا سيما واني ذهبت اليها من مونت كارلو رأساً فكأني خرجت من الجحيم الى النعيم او من حمام سخن الى حمام بارد

وكان سعيد بك قد اتى وجلس معنا فقال لنافذ بك أكنتَ في اوربا حديثاً

فقال نعم اخذت اجازة اربعة اشهر فاقمت شهراً في باريس وقضيت الثلاثة الباقية ضارباً في المانيا وسويسرا ثم اسرعت الى قش اغاج ولذلك ما عدت استطيع ان آخذ اجازة أخرى هذه السنة ولما صممت على المجيء الى هنا اضطررت ان ابين سبب مجيئي وهو الزواج ولم احصل الاّ على اجازة شهر واحد

وكأنهُ خاف ان اري ما بدا على وجهِ من الاضطراب حين لفظ كلمة الزواج فانحنى لكي لا اراه

ثم غيَّر الموضوع وقال لحسين بك اعندكم صيد كثير هنا

فاجابهُ عندنا صيد غير قليل ولكن ليس هذا وقتهُ

فقال نعم اعلم ذلك وحسناً انهُ ليس وقت الصيد الآن لانهُ يصعب على المرء ان يضرب في الجبال والوهاد النهار كلهُ ثم لا يجد في الليل مكاناً يبيت فيهِ . وصيد عصفورين لا يغني عن تعب النهار وقلق الليل

فقالت لهُ اختهُ ما عرفت انك متنعم بهذا المقدار ولو عرفت ذلك لكنت اخاف ان بيتي لا يرضيك. فقال لها لا تخافي ما دمتِ ابنة امكِ . وعلى ذكر امي اتعلمين انها منحرفة المزاج

فقالت لا وما هو مرضها

فقال لا اعلم ولكن ظهر عليها الكبر كثيراً في هذه الاثناء ولما رجعت من سفري استغربت منظرها جداً كأنها كبرت ثلاثين سنة في غيابي وهي لا تشكو من شيء خصوصي ولكنها لم تعد تظهر قوية على جاري عادتها . وقد كلمتُ ابي في ذلك فاستدعي لها طبيباً ولكنها ابت ان تراه وأظنها تستعمل الآن علاجاً من علاجات الدجالين

فنظرت اليهِ وانا اقول في نفسي لعلَّ صحتها انحرفت على اثر ما وقع من الخلاف بينها و بين ابنها وكأنهُ هو كان يحسب ذلك سبباً لانحراف صحتها . فقلت لهُ ما هو سبب انحراف صحتها

فقال لا اعلم حقيقةً ولكني اخاف من ان قلبها ضعيف ألا تذكرين انهُ كان يصيبها نوب خفقان احياناً . يا حبذا لو كان ابي يقنعها لتري نفسها لطبيب وعسى ان اكون مبالغاً في قولي . اين الاولاد الآن

فقالت اختهُ هم يدرسون الآن مع المعلم وسيخرجون قريباً لانهُ قرب وقت الغداء

فقال أصحيح اذاً لا بدَّ من ذهابي لان واحداً من رجالكم اظنهُ شيخاً او مديراً دعاني للغداء عندهُ والناس هنا يحسبون ان من يأتي من العاصمة يأتي والشرف يرشح من ثيابهِ فيتسابقون اليهِ من كل فج ويحسبون اكرامهُ فخراً لهم . ونهض وهو يتكلم وقال لي لا اظن انني استطيع ان اراكِ اليوم ايضاً يا امينة اذ بلغني انكِ نازلة في البيت الآخر وارى عليك علامات التعب لا تتعبي نفسكِ كثيراً انا اعلم انكِ كبيرة المروءَة فلا تدعيهم يتعبونكِ كثيراً كما كنتِ تتعبين في بيتنا

ثم امسك بيدي وشدَّ عليها قليلاً وتركنا ومضى

الفصل الخامس عشر

المقابلة المشار اليها في الفصل السابق لم تكن الاخيرة بل قابلت نافذ بك مراراً بعد ذلك وكان يقابلني دائماً فيظهر لي المودَّة لا اكثر ولا اقل ولم يشر الى الماضي بكلمة ولا بتلميح كأنهُ رأى ان لا مردَّ لما مضى واني رفضتهُ رفضاً باتاً لا ارجع عنهُ . وكنت انا اقابلهُ كما يقابلني حتى لا يستدلَّ من يرانا على شيءٍ مما كان بيننا

وبلغ الاستعداد للعرس اتمَّهُ ونُصب العرش للعروس وأُرسلت رقاع الدعوة وكُتب الكتاب وسيكون العرس غداً . اصابني صداع شديد فدخلت غرفتي بُعيد الغروب بساعة او ساعتين وعزمت ان انام حينئذٍ لكي استطيع ان انهض باكراً ولكني لم اجد الى النوم سبيلاً

ومشيت الى الشباك كأنهُ على غير قصد مني وفتحتهُ لاستنشق الهواء فرأيت نفسي مدفوعة غصباً عني لاخرج الى الحديقة واراهُ قبلما انام ففتحت الشباك وخرجت منهُ وسرت الى باب الحديقة ففتحتهُ ومشيت الى السنديانة الكبيرة فجلست تحتها وكان في الرواق امامي شخصان لكنهما لم يرياني لان الليلة كانت حالكة الظلام وكان فوقهما قنديل فكنت اراهما بنورهِ وهما سنية هانم ونافذ بك والظاهر انهما لم يكونا يتكلمان وكان نافذ بك جالساً على كرسي كبير وقد رفع رجليهِ ووضعهما على كرسي آخر ووضع كفَّيهِ تحت رأسهِ مستنداً عليهما. فنظرت اليهِ ملياً وقلت غداً يكون عرسهُ فلا يبقى في قوس الرجاء منزع وبعد اسبوع يذهب بزوجتهِ فلا اعود اراهُ ولا يبقى من هذا الحلم الاَّ ما اسمعهُ عنهُ من مكاتيبهِ لسنية هانم. فابقى

مربية للاولاد بقية عمري اذكر الايام الماضية وما رأيت فيها من صفاء وكدر . ولما خطرت ببالي هذه الخواطر فاضت عيناي بالدموع وتحسّرت على ايام كنت اضع فيها رأسي على كتفهِ واشعر بذراعهِ حولي وانا اغسل كآبة نفسي بدموع عينيَّ

ثم سمعت صوتاً في الرواق فالتفت واذا هو يمشي ذهاباً واياباً مشية الاضطراب والضجر لا كمن يبيت منتظراً عرسهُ في الغد . ونهضتْ اختهُ ايضاً فقال لها خبرتك ان تذهبي الى البيت الآخر والآن جاءني واحد من اولاد عمي وازهق روحي بثقالتهِ . عسى ان لا تكون عطية مثل الصغار من اخوتها فاني لم ارَ مثلهم في حياتي ولا ادري كيف هم اخوة لزوجتك

فقالت نعم انهم على ما ترى ولكن ليس اللوم عليهم فان اباهم مفلوج لا يستطيع ان يعمل عملاً ولذلك ربوا من غير مؤدب . ولكن كيف اذهب واتركك وحدك الى اين تريد ان تمضي

فقال اني امضي الى السلاملك واطيّر زعلي بدبكارة ادخنها ثم اذهب وانام . وودعها وودعتهُ وسارت هي الى البيت الآخر وبقي هو مكانهُ بضع دقائق ثم دار ومشى . وبقيت انا في مكاني وقد رجعت بي افكاري الى الايام الماضية فتذكرت مواعيدهُ لي في البستان قرب البركة وقلت غداً يكون عرسهُ أما كان يستطيع ان ينتظرني قليلاً فانهُ لم تمضِ سنة من حين فارقتهُ وهوذا اراهُ على اهبة التزوج باخرى . ما اسرع تقلب الرجال وما اقل ودادهم . هل فتش عني لماذا لم يظهر الجفاء لابيهِ . لو رأى ابوهُ منهُ اصراراً للان . ومن يلزمهُ التزوج باخرى الآن . لا بدَّ من انهُ يفضل مشيئة والديهِ على كل مشيئة ويشتري رضاهما بكل عزيز والاَّ فلو اصرَّ على الرفض لما قدر احد على جعلهِ يقلع عن عزمهِ ويتزوج بمن لا يريد التزوج بها

وبينما انا افكر في ذلك سمعتُ واحداً يمشي بجانبي وقد دنا مني فالتفتُّ واذا حسين بك امامي وجهاً لوجه . فنظر اليَّ باسماً وقال ما اتى بكِ الى هنا فقد بلغني انكِ مريضة وانكِ ذهبتِ لتنامي

فقلت اني خرجت لاستنشق الهواء قليلاً

فقال احسنتِ وهذا من حسن حظي وساعود اليكِ حالاً بعد ان اقول لسنية هانم ان زوجها في انتظارها

فقلت لهُ ان سنية هانم مضت الى البيت الآخر ولا بدَّ لي من ان اتبعها . وقمت لامشي فوقف في طريقي وقال لا ادعكِ تذهبين . قولي لي لماذا تهربين مني دائماً . فلم اجبهُ فقال

لماذا انتِ مجنونة ألا ترين اني احبكِ فلماذا تهربين مني . قال ذلك ودنا مني ليمسكني بيدي فصرخت ابعد عني ابعد عني . وللحال رأيت نافذ بك مسرعاً اليَّ فقلت لهُ بالله خلصني من هذا الشيطان ولم اكد الفظ هذه الكلمة حتى خطر ببالي ان هذا يوقع العداء بينهما ولكن قُضي الامر وامسكني نافذ بك بيدهِ ونظر الى حسين بك عابساً فقال لهُ حسين بك اني انا امزح معها . فقال لهُ الست تعلم انها ضيفة اختي وان ابي قد تبناها ولا يجوز لك ان تمزح معها فهي ليست جارية في بيت ابيك ولا هي من جواري اخيك فابقِ مزحك للخدم والجواري

فقال حسين بك اني لم انوِ لها شرًّا وكيف اعرف انها فوق غيرها من الجواري

فقال لهُ نافذ بك لقد اخبرتك بذلك والآن لا داعي لبقائك هنا . فلم يجب بشيء بل ادار وجههُ ومضى وبقي نافذ بك ناظرًا اليهِ الى ان غاب عن البصر فتنفَّس الصعداء ونظر الى وجهي طويلاً ثم قال لي متبسماً تبسُّم التهكم ليهنأ ادهم بما فعل حقًّا انهُ فعل فعلاً يفتخر بهِ ابعدكِ عن اخيهِ لكي يطرحكِ بين هؤلاء الكلاب

فلم اجبهُ لان نفسي كاد ينقطع من الخوف والغيظ والندامة . وبقي هو ماسكاً يديَّ بيديهِ وانحنى حتى كاد وجههُ يصل الى وجهي فخفت منهُ لكنهُ عاد فرفع رأسهُ وتركني وقال لي لماذا اتيتِ الى هنا فقد بلغني انكِ تنامين هناك في البيت الآخر

فقلت نعم وقد اتيت الى هنا لانني احببت ان امشي قليلاً

فقال وهل تلاقين من هذا الغرما لقيتِ منهُ الآن . فقلت ليس تماماً لانهُ لم يتجاسر قبلاً ان يكلمني كما كلمني الليلة

فقال ولكنهُ كلمكِ وسيكلمكِ باكثر من ذلك وانتِ التي رفضتِ حباً طاهرًا شريفاً مثل حبي تغازلين شاباً دنيئاً مثل هذا اواه من النساء

فقلت لهُ لقد اخطأت وظلمتني فاني لم اغازلهُ ولا كلمتهُ

فنظر اليَّ وبقي هنيهة لا يتكلم ثم قال عسى ان تسرّي الآن بما فعلتِ بنفسكِ وبي . لو كان لكِ اقل ثقة بي لما كنتُ اضطر الآن ان اقترن بامرأة لا اعرفها ولم ارَ وجهها قط ولا كنتِ انتِ عرضة لمثل هذه الاهانة ولا يعلم الأَّ الله اين تنتهي الامور

فقلت لهُ اذا تجاسر على الكلام معي مرةً اخرى اخبر سنية هانم بذلك . فقال نعم وهي تخبر زوجها فينتهر اخاهُ وبعد يومين يعود اردأ مما كان . أتظنين ان الشاب التركي يخاف من الانتهار

فلم اجبهُ وجلس على مقعد من الخشب كان هناك واشار اليَّ لاجلس بجانبهِ فجلست وكانت

يدهُ مبسوطة على مسند المقعد خلف رأسي حتى يكاد رأسي يستند على ذراعهِ فشعرت براحة تني بكل ما لقيتهُ من التعب والكدر في ذلك الشهر . ونظرت الى وجههِ فوجدتهُ عابساً مكفهرًّا فقلت في نفسي اذًا هو لا يشعر بشيءٍ من الراحة التي اشعر بها انا . ثم قال انك لم تسأليني عن البيت هل نسيتنا كلنا وهل رأيت اصحابًا جددًا انسوكِ العتق

فقلتُ معاذ الله واودّ ان اعرف اخبارهم كلها هل مضت ولية هانم مع ادهم بك الى بلاد الروملي فقال نعم وقد اظلم البيت في غيبتها . ثم اني جمعتُ بين الساحرة و بوار فعرفت كذبها و بعتها فاشتراها احد الباشوات وتزوَّج بها حالاً

فقلت وهل مضت كنجه مع ادهم بك . فقال كلاَّ بل تزوجتْ اخذها سليم اغا وهو الذي اتى بكِ الى هنا على ما قال لي عزّت باشا بالامس . واعطاها ابي بيتاً ودبَّر لهُ وظيفة في الجمارك . وذهب علي بك ايضاً لانهُ توظف في تونس . فقلت وهل ذهبتْ وحيدة هانم معهُ فقال كيف لا وهل تظنين انها تتركهُ يذهب وحدهُ يغازل بنات تونس . واظن ان ابي لم يكن ميالاً الى ذهابهِ ولكنهُ اصرَّ على الذهاب وقد قال لي ان البيت لا يُسكَن بعد ذهابكِ وذهاب ولية منهُ فرأيت الحق في يدهِ ولذلك لم احاول منعهُ عن الذهاب

وصمت قليلاً ثم قال باسماً " وهل تحبين ان تعرفي ماذا فعلتُ بعد فراركِ . ذهبت الى البيت الذي كنتِ فيهِ فلم اجدكِ ولم يرد الطبيب ان يخبرني الى اين ذهبتِ بل قال انكِ ذهبت بامر ادهم بك ولا يعلم الى اين فطار عقلي ورجعت الى البيت وسكبت كاس غيظي على ادهم ثم دخلت الحريم وامسكت بامي وطلبت منها ان تخبرني الى اين ارسلوكِ ولا بدَّ من انني جننت حينئذٍ ولا ادري كيف احتملوني . وبعد ان فتشتُ عنكِ في كل مكان يمكن ان ترسلي اليهِ قطعت الرجاء منكِ حاسبًا انكِ لا تستحقين محبتي وعنائي . ثم مضيت الى ڤينا وسويسرا وباريس لعلي اسلوكِ واتغلب على ما كنت اشعر بهِ من الغيرة ولا ادري الآن كيف دخل في عقلي ان ادهم كان يحبكِ وانهُ ابعدكِ عني لهذه الغاية " .

ولما قال ذلك اضطربتُ ونظرتُ اليهِ مستفسرةً فقال " نعم هذا كان اعتقادي حينئذٍ ولو عرفت الحقيقة ما كنتُ تركت التفتيش عنكِ ولا كنت اجلس الآن هنا كزوج لامرأة أُخرى . واخيرًا خطر ببالي انكِ ربما تكونين قد رجعتِ الى بلادك قش آغاج وكنت حينئذٍ في مونت كارلو اسلي نفسي برؤية المقامرين فخطر ببالي الوقت الذي كنت اقامر فيهِ واضطرَّ ابي ان يوفي ديوني والحديث الذي دار بيننا في الرواق على اثر ذلك فخطر ببالي اسم قش اغاج الذي ذكرتهِ لي حينئذٍ فقلت هي هناك حتمًا وقمتُ ورجعتُ الى الفندق واخبرت خدمي اني عازم على

السفر حالاً فاندهشوا وركبنا اول قطار الى مرسيليا وسرت من مرسيليا الى ازمير بحرًا ووصلت الى قش اغاج بعد ذلك باثني عشر يومًا قضيتها سيرًا متواصلاً ولما لم اجد احدًا هناك عدتُ الى البيت واقسمتُ ان لا اتعب نفسي بعد ذلك في التفتيش عنكِ . وانتِ ترين انني برَّرْتُ بقسمي ولا ارى لي سبيلاً الآن للتخلُّص من هذه الحالة الاَّ بواحد من امرين اما ان اضع رصاصة في دماغي واخلص من هذه الحياة واما ان اخذكِ وامضي بكِ الى حيث لا يعرفنا احد

وكان يتكلم وجوارحهُ كلها تشاركهُ في الكلام فوضعت يدي على ذراعهِ وقلت له كيف تقول ذلك . فقال لو كنتِ تشعرين كما اشعر ما كنتِ تلومينني . الله يعلم مقدار ما نالني من العذاب هذا الشهر . مرارًا كثيرة كنتُ ارى نفسي مدفوعًا لان آخذكِ بيديَّ واضمَّكِ الى صدري امام الجميع ولم يكن يمنعني عن ذلك الاَّ خوفي على اسم ابي . اتصدقين يا امينة انني كنت اقوم مرارًا واتركك بغتة لكي امنع نفسي عن عمل مثل هذا

فقلتُ لهُ أَوَ تظنُّ اني لا افهم ذلك واني انا كنتُ خالية البال كل هذه المدة أتظن انهُ يسهل عليَّ ان اراك غدًا زوجًا لامرأة أُخرى ولا يعود يحق لي ان افتكر بك فكرًا . ولما قلتُ ذلك غلبتني عواطفي وفاضت دموعي

فلم يقل شيئًا بل ضمني الى صدرهِ ولما لم ازد الاَّ بكاء قال لي لا يمكن ان نفترق قومي نذهب الى حيث يشاء الله وتركي لهذه الفتاة لا يضرها لانها لا تحبني ولا تعرفني فارسل اليها ورقة الطلاق من اول قرية نصل اليها وهذا لا يضر احدًا اما انتِ فلا اقدر على فراقك

فلم اجبهُ لانني كنت اقول في نفسي تُرى هل استطيع الصبر على فراقهِ ايضًا فراقًا ابديًّا

ثم قال صدقيني ان ذلك قلَّما يسوُّها وهو لا يضرها حتمًا لان كل احد يلقي اللوم عليَّ لا عليها . اما انا وانتِ فكيف نصبر على الفراق

لكن عقلي غلب على عواطفي حينئذٍ فقلتُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال لا استطيع ذلك ولا يمكن ان ادعك تتلف اسمك ومستقبلك لاجلي وكيف استطيع ان انظر الى وجهك بعدئذٍ وانا اعلم اني كنتُ سبب خرابك

واراد ان يتكلم ولكن فُتح باب الحديقة حينئذٍ فقمت واختفيت وراء السنديانة ودخلتْ سنية هانم وقالت لهُ أَلا تزال هنا تعال اخبرني ماذا كنت تفعل . فمشى معها ولما ابعد عني قمت ومضيت الى غرفتي

البقية في الجزء التالي

المدارس الروسية في سورية

بينما كانت اللجان الانجيلية والجمعيات الكاثوليكية مشغولة بمسابقة بعضها بعضاً في ترسيخ القدم وتوسيع دائرة العمل وتكثير عدد المريدين والمجيبين للدعوة في مدن سورية وقراها وسهولها وجبالها تحفزت جمعية جديدة لمزاحمة كل هاتيك الجمعيات السابقة وقد اوشكت ان تنال قصب السبق عليها في مضمار التقدم والنجاح والوصول الى ضالتها المنشودة وغايتها المقصودة لاسباب نبسطها للقراء الكرام في ما يلي

واريد بهذه الجمعية جمعية فلسطين الروسية الامبراطورية التي نشأت اول عهدها في فلسطين جنوب سورية وما ابطأت أن امتدت مدارسها شمالاً واتسعت شرقاً وغرباً حتى بلغت دمشق فحمص فحماة وجازت بشمال لبنان داخلة طرابلس الشام وملحقاتها وامعنت في الجهة الشمالية حتى بلغت اللاذقية وعن قريب تجتازها الى انطاكية وحلب وتعم كل اقطار سورية. وبعد ما كانت مدارس هذه الجمعية تعد بالآحاد ومعلموها بالعشرات وتلامذتها صبياناً وبنات بضع مئات أصبحت مدارسها الآن تحصى بالمئات ومعلموها كذلك وتلامذتها بعشرات الالوف وقد اوشكت ان تكون ضربة قاضية على الجمعيات السابقة لها لانك تراها مذ الآن على حداثة عهدها تنازع تلك الجمعيات حيث حلّت فتستظهر عليها وتستميل اكثر الاهلين اليها وكثيراً ما كانت مدارسها سبباً لتعطيل غيرها من المدارس الانجيلية او الكاثوليكية. اما الاسباب التي مكنتها من سرعة الانتشار واعانتها على هذا الاستظهار فكثيرة نلخصها في ما يأتي

اولاً قدرتها او نفوذها — فليس من جمعية اجنبية في سورية تستطيع ان تُباري في نفوذها جمعية مبعوثة من مجمع عظيم في بطرسبرج رئيسه العامل صاحب السمو الامبراطوري الغراندوق سرجيوس عم جلالة القيصر. وحامي ذمارها جلالة القيصر نفسه الذي هو رئيس شرف لهُ ايضاً. ويروى انهُ لما جلس القيصر على عرشه كتب الى سمو عمهِ يشكر لهُ اهتمامهُ بنجاح مصالح هذه الجمعية ويعلن قبولهُ لأن يكون لها رئيس شرف مكان ابيهِ اسكندر الثالث واستعدادهُ لسحق كل قوة تقف في طريق تقدمها وانتشارها. ويظهر ان جلالتهُ مخرج لقولهِ هذا من حيز القوة الى الفعل فانك اذا تتبعت اعمال هذه الجمعية في سورية لا ترى في طريقها اقل شيء من العثرات او المصاعب التي تقام على الدوام في طرق الجمعيات الأخر واذا اتفق حدوث شيء من ذلك فانهُ في الحال يزول وقد لا يصدر الا عن اناس يجهلون شدة حول هذه الجمعية وصولتها حتى اذا رأوا ما وراءها من القوة التي تميد لها الرواسي لاذوا باكناف

الاستكانة وانزاحوا من طريقها آسفين نادمين

ثانياً مجانيَّة التعليم . كانت الجمعيات الانجيليَّة والكاثوليكية في السنين الغابرة تتسابق الى جمع اولاد سورية من الازقة والشوارع واخذهم الى مدارسها وتعليمهم عفواً بدون ان تسوم اهلهم اقلّ نفقة . ولكن في هذه الايام الاخيرة غيرت خطتها القديمة واخذت تتنافس في ضرب الاجور الفاحشة والنفقات الباهظة على الذين يطلبون تحصيل العلوم في مدارسها

اما الجمعية الروسية فقد عمَّمت التعليم المجاني في كل مدارسها بلا استثناء ونهت الرؤساء والمدراء نهياً مطلقاً عن تكليف احد الاولاد غنياً كان او فقيراً ان يدفع غرشاً واحداً مدة وجوده فيها بل يتلقى العلوم ويتناول الكتب والدفاتر والاقلام والحبر والورق وكل ما يحتاج اليهِ مجاناً بلا ثمنٍ على الاطلاق . وهذا كما لا يخفى اكبر مغرٍ للآباء والامهات بارسال اولادهم اليها تخلصاً من نفقات التعليم واثمان الكتب التي اصبحت في هذه الايام حملاً ثقيلاً ولا سيما على الفقراء الذين هم العدد الاكثر من سكان كل مكان

ثالثاً علاقتها الدينية . ان طائفة الروم الارثوذكس اكبر الطوائف المسيحية في سورية وكان اكثر اولادها قبل انتشار الجمعية الروسية غرضاً ترمي اليهِ الجمعيات الاجنبية وصيداً تحتال على اقتناصهِ . فلما دخلت الجمعية الروسية وليس من يجهل تفاني الروم الارثوذكس في حب الروس غصت مدارسها على الفور باكثر اولاد هذه الطائفة . ولولا ان المدارس الروسية ينقصها بعض امور سنشير اليها في ذيل هذه المقالة لما ابقت على مدرسةٍ لغيرها في جميع الاماكن التي امتدت اليها . قلنا ان الروم الارثوذكس يحبون الروس حباً يقرب ان يكون عبادة وهذا غير مجهولٍ عند الجمعية الروسية وقد اعانها على توثيق هذه العلاقة وزيادة تمكينها انها اكثرت في مدارسها من التعليم الديني وممارسة الصلوات وحفظ كثيرٍ من فروض العبادة غيباً واوجبت على جميع اولاد مدارسها الذهاب معاً الى الكنيسة في كل مساء وصباح من الآحاد والاعياد الممتازة . فهذا كلهُ مع كونهِ من اسمى غايات هذه الجمعية اي نشر التعليم الديني الارثوذكسي جاء موافقاً لاميال السواد الاعظم من ابناء الطائفة الارثوذكسية . والآن حيثما توجد مدرسة روسية فهناك الكنيسة الارثوذكسية غاصَّة في الآحاد والاعياد بفرق الصبيان وصفوف البنات ووراءهم جماهير الشعب رجالاً ونساء يزحمون بعضهم بعضاً منقادين الى ذلك اما اقتداء باولادهم او حباً بالتفرج عليهم

رابعاً طرق التعليم . مما امتازت بهِ هذه الجمعية على غيرها من الجمعيات الاجنبيات في سورية انها سنَّت لمدارسها قوانين هي غاية في الدقة والضبط وقد رُوعيت صحة الاولاد

الجسدية ونشاطهم العقلي وسيرتهم الادبية مراعاةً لم تترك حاجةً لمستزيد . وهذه القوانين مطردة الاجراء مرعيَّة في كل مدارسها ولا مطمع لاحدٍ من اساتذتها ومدرسيها في مخالفة واحدٍ منها بدون ان يعرّض نفسهُ للتوبيخ ثم لنقص الراتب واخيرًا للطرد

فمن قوانينها ان يعطي الاولاد من ابن عشر سنين فصاعدًا فسحة (فرصة) عشر دقائق كل ساعةٍ لاراحة الذهن من التعب العقلي . اما الاولاد الذين هم من ابن تسع سنين الى الست فيُعطون كل نصف ساعةٍ فسحة عشرين الى ثلثين دقيقة مراعاة لحداثة سنهم . وفي كل فسحة ينبغي ان تخرج جميع الفرق (الصفوف) ازواجًا ازواجًا كانها فرق عساكر مدربة على المسير بغاية الانتظام والترتيب ولا يسمح لولدٍ ان يمشي محدودبًا بل عليهِ ان يسير منتصب القامة مرفوع الرأس مكشوفهُ ويداهُ على جانبيهِ موفقًا خطواتهِ على خطوات رفيقهِ وفي اثناء اللعب لا يُؤذن للمدرسين ان يتنحوا عن التلاميذ بل يفرض عليهم ان يكونوا واقفين معهم وبينهم وعيونهم مفتوحة لمراقبة العابهم وتلافي خطر اللعب العنيف بالايدي قبل وقوعهِ وتدريب الاولاد على الالعاب المروّضة للاجساد والعديمة الضرر . وعند نهاية الفسحة يقرع الجرس قرعةً واحدةً ينقطع عندها الاولاد عن الحركة والتكلُّم ويقف كلٌّ منهم حيث كان كانهُ آلة جامدة ثم يقرع لهم الجرس ثانية وباسرع من لمح البصر يسرع كلٌّ منهم الى مكانهِ في الصفّ ويقف احد الاساتذة امامهم كانهُ قائد عسكرٍ ويأخذ في استعراضهم وطلب اتجاههم الى اليمين واليسار والوراء والامام بما لا مزيد عليهِ من الخفة والرشاقة ثم يشير اليهم بالمسير فيمشون مرنمين الحانًا يوقعون عليها اقدامهم حتى تدخل كل فرقة منهم الغرفة المختصة بها وعلى كل استاذٍ ان يفحص كُلًّا من تلاميذهِ قبل مباشرة التدريس ليرى هل اتمَّ شروط النظافة المطلوبة منهُ فينظر رأسهُ ووجههُ وعنقهُ ويديهِ ثم يشير في دفترهِ الى الغائب منهم وسبب غيابهِ ويشرع بعد ذلك في عملهِ . ومن قوانين هذه المدارس ان لا يُسمح للمعلم بالجلوس في اثناء التدريس او التسميع بل عليهِ أن يكون واقفًا منتصبًا امام الفرقة وعيناهُ ترقبان كل ولدٍ واذناهُ مصغيتانِ الى كل كلمةٍ . وفي هذا القانون من الحكمة ما لا حاجة الى بيانهِ

ولا يسمح الاستاذ لاحد التلامذة ان يجيب على سؤالٍ القاهُ عليهم قبلما يتحقق انهم كلهم يعرفون ذلك السؤال . وكيفية ذلك انهُ يلقي السؤال على تلميذ منهم وبينما هم جميعهم مهتمون باستخراج الجواب يطلب من تلميذ آخر ان يعيد ذلك السؤال نفسهُ وبهذه الطريقة ترى آذان التلامذة مفتوحة لكل سؤالٍ حتى انهم قلَّما يحتاجون ان يُعاد عليهم وبعد ما يتحقق

المعلم انهم جميعهم عارفون بالسؤال يكلّف واحداً منهم ان يجيب عليهِ ثم انهُ لا يكتفي بالجواب ولو كان صحيحاً بل يمتحن انتباه الآخرين بطلب اعادتهِ ممن اراد حتى يكون ضامناً لانتباههم كلهم من كل وجهٍ

وعلى كل استاذ عند ما يلاحظ كللاً او تعباً عقلياً طرأ على اساتذتهِ ان يوقف العمل هنيهةً ويريح اذهانهم بان يقصّ عليهم قصةً صغيرة مضحكةً توجب مسرتهم او أن يأمرهم بالنهوض والجلوس معاً مرات متوالية ثم يرجع الى عملهِ حتى تنتهي الساعة المعينة لذلك الدرس

والتدريس في هذه المدارس لا يعوَّل فيهِ على حفظ الدروس غيباً في الكتب بل في الاكثر على شرح الاساتذة وبسطهم للمواضيع المهمَّة في ذلك الدرس حتى انهم يدرسون فنوناً كثيرةً القاءً بلا كتب

وعند ما يبتدئون يعلّمون الاحداث لغةً ما سواء كانت العربية او احدى اللغات الاجنبية لا يؤْذَن لهم ان يرهقوا عقول الصغار بتعليمهم اسماء الحروف الهجائية بل يقتصرون على تعليمهم اصوات الحروف لا غير لان هذا هو الشيء المهم للولد في بادىء الامر ان يعرف صوت الحرف ليحفظهُ في ذاكرتهِ ويُطلِقهُ عليهِ كما رآهُ

ولهم في تعليم الحساب اساليب عجيبة غريبة تروِّض عقول الاحداث وتعوّدها على صحة الاستدلال وسرعة الحكم بالصواب في المسائل العقلية لانهم لا يحلّون لتلميذ مسألة حسابية على الاطلاق بل يساعدونهُ على حلها ويدربونهُ ان يقيس عليها كما كان من نوعها

ويعوزني الوقت ان اردت شرح ما عندهم من الطرق الصحيحة والاساليب المفيدة الكافلة تقدم التلامذة ونجاحهم والمحافظة الشديدة على صحة اجسادهم وآداب نفوسهم

وما تقدم يكفي للدلالة على شدة مسئولية الاساتذة في هذه المدارس فالاستاذ الضعيف العزم المسترخي اليد البطيءُ الحركة الخائر القوى لا يرى لهُ عملاً في مدارس هذه الجمعية. والضرب في هذه المدارس ممنوع منعاً تاماً ولهم قصاصات ادبية ينفذونها على اساليب مفيدة جداً للاولاد

خلاصة الامر ان الاستاذ في هذه المدارس ينبغي ان يكون لهُ صبر الجندي وخفة الضابط وحذق القائد والاَّ قذفوهُ من حالق ولو كان صدرهُ مدفن حكمة الاولين وعلوم المتأخرين ولذلك ترى النجاح حليفاً لها وقد شاعت بها اللغة الروسيَّة في انحاء سورية على قرب عهدها

اسعد داغر

داء الصلع ودواؤهُ

الصلع داء لا يُؤلم ولا يُتعب ولكن قلَّ من لا يودُّ التخلُّص منهُ ولا سيما اذا جاءهُ في مقتبل العمر. وقد يجد عنهُ بعض السلوى بما يرى من شيوعهِ بين رجال العلم وارباب السياسة فيحسبهُ ناتجاً من اتساع العقل ونباهة القدر ولكنهُ لا يلبث ان يراهُ غير نادر بين الذين لا علم لهم ولا شأن ويرى كثيرين من رجال العلم والفهم والشعرُ غزير في رؤوسهم ولو اشتعلت شيباً ويرى النساء كلهنَّ سليمات من الصلع على اختلاف عقولهنَّ فيضطرُّ ان يقدّر للصلع سبباً آخر غير اشتغال الفكر وسعة العقل

وقد ادَّعى بعضهم حديثاً ان الصلع ناتج عن نوع من الميكروبات يمرض الشعر ويميتهُ فيقع من الراس او يمنع تغذيتهُ فيضعف رويداً رويداً حتى يقع . وان هذا الميكروب ينتقل من واحد الى آخر بالعدوى من مشط الحلاَّق (المزين) فصنع الحلاقون امشاطهم من المعدن وجعلوا يغسلونها بالماء الغالي قبل استعمالها وبعدهُ تطهيراً لها ومنعاً لنقل عدوى الصلع بها . ولا نعلم نتيجة ذلك حتى الآن لان استعمالهُ حديث وليس للصلع احصاء يعرف بهِ مقدار انتشارهِ

غير ان هذه المسألة اتخذت الآن صورة اخرى فقد قام احد الاطباء الاميركيين واسمهُ الدكتور باركر وادعى انهُ اكتشف السبب الحقيقي للصلع وضعف الشعر عموماً واكتشف ايضاً علاجهُ واثبت ذلك كلهُ بالامتحان ونشرهُ في جريدة السجل الطبي

قال ان الناس قلَّما يتنفسون كما يجب ان يتنفسوا فيبقى في اعالي رئاتهم كثير من النفس القديم الفاسد فيمتصهُ دمهم ويدور بهِ في اجسامهم وهو يفعل فعلاً خاصاً بالشعر فيميتهُ وهذا سبب الصلع وداء الثعلب . ولا يصاب النساء بالصلع لانهنَّ لا يتنفسنَ مثل الرجال فان تنفس الرجال عادةً بطنيٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهم من اسفلها مما يلي البطن وتنفس النساء صدريٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهنَّ من اعلاها من عند الصدر فيخرج الهواء الفاسد من اعالي رئاتهنَّ ولكن الرجال يستطيعون ان يتنفسوا تنفساً صدرياً ايضاً كالنساء اذا عمقوا تنفسهم غير انهم لا يفعلون ذلك الاَّ نادراً ولا سيما اذا كانت اعمالهم لا تقتضي حركة كثيرة

وكذلك المصابون بالسل قلما يصابون بالصلع بل الغالب ان يكون شعرهم غزيراً طويلاً وذلك لان السل يصيب اولاً اعالي الرئة حيث يستقر الهواء الفاسد المشار اليهِ آنفاً فلا يعود هذا الهواء يستقرُّ هناك . ثم ان عطبَ جانب من رئة المسلول يضطرهُ الى استعمال باقيها وقت التنفس فلا يعود الهواء الفاسد يخزن فيها. ولعلَّ السعال الذي يصيب المسلولين يساعدهم

على اخراج الهواء الفاسد من رئاتهم وتنظيفها منهُ

قلنا ان الدكتور باركر اثبت رأيهُ بالامتحان وقد رأينا صور الحيوانات التي جرَّب فيها ذلك فان كانت منقولة عن صور فوتوغرافية حقيقيَّة فلا شبهة في انهُ اصاب كبد الحقيقة فقد اتى بانسان اصلع وجمع نفَسهُ في كيس من الكاوتشوك ونقل النفس الى قنينة فيها قليل من الماء المقطر والهواء النقي ووضعها في مكان حرارتهُ مثل حرارة دم الانسان وتركها فيهِ عشرة ايام ثم هزَّها جيداً حتى علق بالماء كل ما في الهواء من المواد الآلية ووضع هذا الماء في حقنة صغيرة مما تحقن بهِ الحيوانات تحت جلدها وحقن بهِ كلباً واعاد حقنهُ يوماً بعد يوم على اربعة عشر يوماً فظهرت في جلدهِ بقعة عارية من الشعر كالاصبع ثم حقنهُ ١٨ حقنة اخرى فكثرت البقع العارية من الشعر في بدنهِ في بطنهِ وصدرهِ وخاصرتيهِ ولما صارت الحقن ٤٢ حقنة زال كل الشعر من بطنهِ . وبقيت صحتهُ جيدة جداً وكان يأكل ويشرب على جاري عادتهِ . وحقن دجاجة بهذه المادة لما حقن الكلب بها فزال الريش من رأسها وعنقها واكثر بدنها وبقيت صحتها جيدة وبقيت تبيض بيضتين كل ثلاثة ايام على جاري عادتها . ثم ابطل حقنهما فعاد الشعر الى الكلب والريش الدجاجة رويداً رويداً الى ان رجعا كما كانا اولاً وجرَّب ذلك في حيوانات اخرى فكانت النتيجة واحدة وهي ان نفَس الانسان المجموع في مكان حار تتولَّد فيهِ مادة اذا دخلت البدن اضرَّت بحياة الشعر حتى اذا تكرَّر دخولها البدن مات الشعر وسقط فاستنتج من ذلك ان الصلع ناتج عن هذه المادة او عن ضعف التنفس وانهُ اذا اراد المرء ان ينجو من هذه الآفة فعليهِ ان يعوِّد نفسهُ على التنفس الشديد حتى يمتلئ صدرهُ بالهواء النقي ويخرج منهُ الهواء الفاسد كلهُ وتنظف رئتاهُ منهُ فاذا فعل ذلك لم يصبهُ الصلع واذا كان قد اصابهُ فلا يبعد ان يعود شعرهُ اليهِ . وهذا هو السبب لقلَّة الصلع بين النساء وبين السعاة والمصارعين وكل الذين يعملون اعمالاً شاقة تدعوهم الى التنفس الشديد ولكثرتهِ بين العلماء والكتَّاب والتجار وغيرهم من الذين تقلُّ حركتهم ويضعف تنفسهم

فان صحَّ هذا التعليل وهذا العلاج فقد نجا الانسان من آفة يكرهها ويودُّ الفرار منها فلا يجد الى ذلك سبيلاً واتضح ان سبب ما يظهر من الفائدة لبعض الادوية التي يُفرك بها الراس الحركة العنيفة التي يفرك الانسان رأسهُ بها لانها تسرع تنفسهُ فتتطهر رئتاهُ من الهواء الفاسد . ولا بدَّ من ان يمتحن كثيرون معالجة هذا الداء بالتنفس الشديد الذي يطهر رئاتهم من الهواء الفاسد فان شفاهم من الصلع فهو الغاية المطلوبة وان لم يشفهم منهُ فلا ضرر فيهِ بل منهُ نفع في اجادة الصحة من غير نفقة

الوباء الجارف

لو وُجد آدم وحواء منذ الفين وستين سنة فقط وتوالدوا من ذلك الحين وكانت زيادة اولادهم السنوية اي زيادة المواليد على الوفيات واحدًا في المئة فقط لبلغ عدد نسلهم الآن ١٦٠٠٠ مليون (ستة عشر الف مليون) نفس كما هو عدد سكان المسكونة في هذا الوقت

ولو وجد في المسكونة عشرة نفوس فقط وقت ميلاد المسيح اي منذ الف وتسع مئة سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس كما هو عدد سكان المسكونة الآن اذا كانت زيادة المواليد على الوفيات واحدًا في المئة فقط

ولو وُجد فيها ٣٢٠٠ نفس في السنة الاولى من الهجرة النبوية اي منذ ١٣١٨ سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس

ولو وُجد في الارض مليون نفس وقت ميلاد المسيح وكانت زيادتهم السنوية واحدًا في المئة فقط لبلغ عددهم الآن مئة وستين مليون مليون نفس فاجتمع منهم في كل ميل مربع من الارض الصالحة للسكن اكثر من ثلاثة ملايين نفس حتى لو ارادوا النوم ما وجدوا في الارض مكانًا يسعهم

والمرجح ان سكان المسكونة لم يكونوا وقت الميلاد اقل من مئتي مليون من النفوس فلو زاد عددهم على ما تقدّم لوجب ان يكون الآن في الميل المربع من الارض الصالحة للسكن ستمئة مليون نفس اي نحو مضاعف سكان اوربا كلها فيصيب المتر المربع ٢٤٠ نفسًا لو وقفوا عليهِ اربعةً اربعةً لغطوا الارض وارتفعوا عليها ١٢٠ قامةً

ومعلوم ان متوسط نمو الناس بالتوالد لم يزد الآن عمَّا كان عليهِ في السنين الغابرة بل نقص كثيرًا كما يظهر من مقابلة مواليد بعض الممالك الاوربية الآن بمواليدها منذ مئة عام

وينتج من ذلك ان الذي منع نوع الانسان من ان يكثر ويملأ الارض هو كثرة الوفيات في الازمنة الغابرة لا بالموت العادي بل بالموت الذريع فلو كان معدَّل الوفيات في السنين الغابرة كما هو الآن لامتلأت الارض بسكانها منذ قرون كثيرة فالاوبئة الفتَّاكة والامراض القتالة والحروب والمجاعات هي التي ابقت نوع الانسان الى الآن وابقت لنا فسحةً من الارض نعيش فيها ولولاها ما استطاع هذا النوع ان يبقى في الارض اكثر من الفين وخمس مئة سنة من وجوده ذكرًا وانثى الى حين امتلاء الارض بهِ وتعذر معيشتهِ فيها

واليد الطولى في حصد النفوس حتى لا تكثر وتملأ الارض للطاعون الجارف الذي انتاب نوع الانسان مرةً بعد اخرى في العصور الغابرة . ذكر ابن اياس في " تاريخ الدهور " ان

من حوادث سنة ٧٤٩ للهجرة " الفناء الذي وقع بالديار المصرية وعمّ سائر البلاد فكان يخرج من القاهرة في كل يوم ما ينيف على عشرين الف جنازة ومات في شهر شعبان ورمضان تسعمائة الف نفس ولم يسمع بمثل هذا الطاعون في ما تقدَّم من الطواعين المشهورة في صدر الاسلام . قال الشيخ شمس الدين محمد الذهبي ان الطواعين المشهورة في مبتدإ الاسلام خمسة وهي طاعون شيرويه وطاعون عمواس وكان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ وقع بالشام واعمالها سنة ١٨ من الهجرة وطاعون الجارف وقع في زمن عبدالله بن الزبير سنة ٦٧ من الهجرة قيل مات فيهِ في ثلاثة ايام في كل يوم سبعون الفاً . وطاعون الفتيات كان بالبصرة وواسط قيل انهُ ابتدأ بالعذارى الصغار فسمي طاعون الفتيات . وطاعون جاء في سنة احدى وثلاثين ومئة ويسمى طاعون قتيبة مات بهِ الف الف وستمائة وخمسون الفاً (١٦٥٠٠٠٠) . ولكن لم يسمع بمثل هذا الطاعون الذي جاء في هذه السنة (سنة ٧٤٩ هجرية الموافقة ١٣٤٨ مسيحية) لانهُ عمَّ البلاد قاطبةً ومات فيهِ من الناس من لا يحصي عددهم من مسلم وكافر وكانت قوة عمله في بلاد الفرنج واقام دائرًا في البلاد نحو سبع سنين حتى عزَّت جميع البضائع لقلة الجالب من البلاد وبلغ ثمن الراوية من الماء اثني عشر درهماً في القاهرة بسبب موت الجمال ولم يزرع من اراضي مصر تلك السنة الاَّ القليل بسبب موت الفلاحين فوقع الغلاء وبيعت كل ويبة قمح بمثنيْ درهم وكادت مصر ان تخرب . ووقع الطعن ايضاً في القطط والكلاب والوحوش ولقد شوهد شيءٌ كثير من الوحوش وهي مطروحة في البراري وتحت ابطها الطواعين وكذلك الخيل والجمال والحمير وسائر الحيوان حتى الطيور مثل النعام وفي ذلك يقول الصلاح الصفدي

لمَّا افترستَ صحابي	يا عام تسع واربعينا
ما كنت والله تسعاً	بل كنتَ سبعاً يقينا

وقال ايضاً

دارت من الطاعون كاس الفنا	فالنفس من سكرتهِ طافحة
قد خالف الشرع واحكامهُ	لانهُ يثبت بالرائحة

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

يقولون شمُّ الخل في زمن الوبا	وفاقاً لما قال الاطباء يا خلي
فان قلت للطاعون تسطو على الورى	فقال نعم اسطو وانفكَ في الخلِ

وقال ابرهيم المعمار

قبح الطاعون داء فقدت فيهِ الاحبة
يبعث الانفس فيهِ كل انسان بحبة

والّف فيهِ ابن حجر كتاباً سماه "بذل الماعون في اخبار الطاعون". انتهى باختصار

والّف ابو الفدا رسالة في هذا الطاعون قال فيها

"طاعون روّع واماتَ وابتدأ خبره من الظلمات. ما صين عنهُ الصين ولا منع منهُ حصنٌ حصين. سلّ هنديًّا في الهند واشتدَّ على السند. وقبض بكفيهِ وشبك على بلاد ازبك. وكم قصم من ظهر في ما وراء النهر. ثم ارتفع ونجم وهجم على العجم. وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم. وجرّ الجرائر الى قبرس والجزائر. ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتنبهت عينهُ لمصر فاذا هم بالساهرة. الى ان قال

اسكندرية ذا الوبا سبع يمدّ اليك ضبعهْ
صبرًا لقسمتهِ التي تركت من السبعين سبعهْ

ثم يمم الصعيد الطيّب وابرق على برقة منهُ صيب. وغزا غزه وعسقلان هزه. وعكّ الى عكا واستشهد بالقدس وزكّى. وصاد صيدا وكاد بيروت كيدًا. ثم سدّد الرشق الى جهة دمشق. فتربّع ثم وتمدّد وفتك كل يوم بالف واز يد. ورمى حمص بجال وصرفها مع علمهِ ان فيها ثلاث علل. ثم طلّق الكنّة في حماه فبرد عاصيها من حماه"

وكما وصفهُ كتّاب المشرق من اهالي مصر والشام وصفهُ كتّاب المغرب من الافرنج فتواردت خواطرهم في الكلام عليهِ جدًّا وهزلاً

والظاهر ان هذا الوباء انتشر من احد مرابعهِ (١) في بلاد الصين وسار منهُ بطرق التجارة الثلاث الواحدة طريق خليج فارس الى البصرة فبغداد ومنها الى بلاد العرب ومصر وشمالي افريقية. والثانية طريق الهند الى افغانستان وجنوبي بحر قزبين والبحر الاسود و بر الاناضول. والثالثة طريق تركستان الى القرم والقسطنطينية ومنها الى سائر البلدان الاوربية

وكان تجار جنوى والبندقية يدخلون البحر الاسود بسفنهم و ينزلون حيث مدينة ثيودوسيا الآن مما يلي مدخل بحر ازوف وهناك مرفأ امين فبنوا فيهِ مدينة حصينة سموها كفًّا. وغزا التتر هذه المدينة سنة ١٣٤٧ (٧٤٨هـ) وحصروها وضيقوا خناقها و بلغهم طاعون الصين حينئذٍ بطريقهِ الثالثة وفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى كاد يفنيهم فجعلوا يقذفون موتاهم بالمجانق الى المدينة

(١) يعلم للطاعون الآن خمسة مرابع او مواطن اثنان منها في بلاد الصين وواحد في بلاد الهند وواحد في بلاد العرب وواحد في افريقية

لكي يفعل الوباء باعدائهم ما فعل بهم . فكان كما ارادوا وفشا الوباء في المدينة فهجرها سكانها ونزلوا في سفنهم وحملوا العدوى معهم الى القسطنطينيَّة وبلاد اليونان وايطاليا فانتشر فيها سريعاً انتشار النار في الهشيم ولم يحل عليهِ الحول حتى بلغ مرسيليا وانتشر في فرنسا واسبانيا وبلغ انكلترا ووصل في السنة التالية الى المانيا وروسيا وسكنديناڤيا وشمل اوربا كلها في اقل من اربع سنوات . ولم يذكر في تاريخ الانسان بليَّة عمَّت الدنيا كما عمَّها هذا الوباء او كان فتكها ذريعاً مثل فتكهِ وشرها وبيلاً مثل شرهِ

وكان في السفن المشار اليها رجل اسمهُ ده مُسس عاد بها الى جنوى ووصف حال الوباء فقال "كنا الوفاً فلم يصل منا عشرة فبادر الاقارب والاصدقاء الى لقائنا ولكن ويل لنا فاننا اتينا معنا بسهام الموت المسنونة ونفثنا فيهم سم الهلاك بنفسنا" وقال انهُ مات اربعون الفاً من اهالي جنوى فلم يبقَ فيها سُبع سكانها ومات من اهالي البندقية مئة الف نفس ومن اهالي نابلي ستون الفاً ومن اهالي سينَّا سبعون الفاً ومن اهالي فلورنسا مئة الف

وابلغ مَن وصف هذا الوباء من الاوربيين بكاشيو في كتابهِ المسمى دكامرون اي مئة قصَّة قال "كم من بيوت فاخرة ومن قصور مشيدة اقفرت من سكانها حتى لم يبقَ بها احد . كم من عيال انقرضت ومن اموال تركت لا وارث لها . كم من فتيان وفتيات في عنفوان الصبا وريعان الشباب لو رآهم جالينوس وبقراط واسكولابيوس في الصباح لقالوا انهم في اتم الصحة والعافية تغدوا مع اقاربهم وتعشوا مع الذين سبقوهم الى الآخرة"

وتفشَّى الوباء من مرسيليا في بلاد فرنسا ودخل اديرة الرهبان فلم يبقِ فيها ديَّاراً وكان البابا في افنيون فدخلها وامات من اهلها ١٨٠٠ نفس في ثلاثة ايام ووصل الى باريس فقتل من اهلها اكثر من خمسين الفاً

ووصل الى انكلترا في اواسط سنة ١٣٤٨ وعاث فيها سنة كاملة وكان سكان لندن حينئذٍ ٤٥٠٠٠ نفس فامات عشرين الفاً منهم

والمظنون ان سكان اوربا كانوا قبل انتشارهِ مئة مليون نفس فمات بهِ ربعهم اي خمسة وعشرون مليوناً . وقُدِّر عدد من مات بهِ في المسكونة كلها ثلاثة واربعين مليوناً ولعلهم اكثر من ذلك كثيراً وكان اشد فتكهِ في ايطاليا فمات بهِ نصف سكانها

وتكرَّر انتشار الوباء بعد ذلك الى القرن السادس عشر فخفَّت وطأتهُ قليلاً حينئذٍ ثم اشتدَّت في القرن السابع عشر ولا سيما سنة ١٦١٩ فمات بهِ في القطر المصري ٦٣٠ الفاً . وتكرر انتشارهُ سنة بعد سنة الى سنة ١٦٢٥ فمات بهِ في القاهرة حينئذٍ اكثر من ٣٠٠٠٠٠

نفس وبلغ اوربا سنة ١٦٢٩ فمات بهِ مليون نفس من اهالي ايطاليا . وفتك باهالي ميلان فتكاً ذريعاً . ويقال ان اهاليها حسبوهُ ناتجاً عن سم يدسهُ الاشرار لغيرهم من الناس فجعلوا يقتلون كل من يشتبهون فيهِ . وقام بعضهم على بعض كالمجانين وكان سكان ميلان نحو ٢٥٠ الفاً فمات منهم ١٤٠ الفاً في قول و١٨٦ الفاً في قول آخر

ثم انتشر مراراً كثيرة بعد ذلك وفتك بمئات الالوف ولا سيما سنة ١٦٦٥ حين دخل مدينة لندن آخر مرة — اتاها من ازمير ففعل بها فعلاً ذريعاً كان سكانها خمس مئة الف فقتل منهم نحو سبعين الفاً وخرج منها ثلاثة آلاف جنازة في ليلة واحدة . وحُرقت لندن في السنة التالية ثم لم يعد يظهر فيها وافداً بعد ذلك لكنهُ انتشر في بقية اوربا ووصل الى بلاد النمسا فامات من اهالي فينا سبعين الفاً على قول ومئة واربعين الفاً على قول آخر وامتدَّ من فينا الى براغ فقتل ٨٣ الفاً من اهلها

وعاد الى الانتشار في بداءة القرن الثامن عشر قال الجبرتي في حوادث سنة ١١٢٥ هجرية (تعادل سنة ١٧١٣ مسيحية) حدث في القاهرة طاعون كان ابتداؤُهُ في غرة ربيع الاول وتناقص في اواخر جمادى الآخرة ولم يزد على ذلك . ووصل هذا الطاعون من الشام الى مرسيليا سنة ١٧٢٠ وعاث فيها فبلغت وفياتهُ الفاً في اليوم وكان الناس يهربون من المطعونين هربهم من الاسد ويتركونهم بلا طعام ولا شراب او يدفعونهم الى بيوت يقيمون فيها ويرمون اليهم الخبز من كواها بآلات كالمجانق وبقي في المدينة خمسة عشر شهراً فقتل اربعين الفاً من اهلها و ٨٨ الفاً من البلاد المجاورة لها . وهو الطاعون الاخير الذي دخل غربي اوربا الى ان ظهر حديثاً في بلاد البرتغال

ووصل الطاعون الى اميركا سنة ١٧٥٥ اوصلهُ اليها رجل ارمني فمات بهِ ٤٣٠٠ نفس من سكانها

ولما جاء بونابرت الى هذا القطر والقطر السوري كان الطاعون فاشياً فيهما وتردَّد عليهما وعلى البلاد المجاورة لهما حتى بلاد الروس مدة اربعين سنة

وما قيل في الطاعون يقال في الجدري والكوليرا ونحوهما من الامراض الوبائية . وفي وسائل القتل العديدة كالحروب والمجاعات والمسكرات فانها كلها تفتك بنوع الانسان وتمنع ازدياد السكان لكنَّ وطأتها خفَّت كثيراً في هذه الايام فلم يعد فتكها عشر معشار ما كان في السنين الغابرة ولا بدَّ من ان تمتلئ الارض بسكانها بعد قرون قليلة اذا لم يشع بينهم داء العقم الذي كثر الآن بين الشعوب الاوربية

اكتشاف اميركا واحتلالها

اذا ذُكرت الحوادث الخطيرة التي لها الشأن الاكبر في احوال البشر وجب ان يُذكر معها اكتشاف اميركا واحتلالها لا من حين وصل اليها الناس اولاً وسكنوها بل من حين وصل اليها خريستوفورس كولمبوس وذهب اليها اهالي اوربا بعدهُ واحتلوها وعمّروها . لان وصول الاولين اليها لم يكن لهُ شأن يذكر في احوال البشر واما استيطان الاوربيين لها فقد نتج عنهُ قيام جمهورية عظيمة فيها تضاهي اعظم الممالك ثروة واشدها منعة وانتظام ممالك وجمهوريات أخرى سائرة كلها او اكثرها في سبيل النجاح

وقد طلب الينا بعض الفضلاء ان نلخص لهم قصة ذلك الاكتشاف والاحتلال فجاء طلبهم منطبقاً على ما كنّا نفكر فيهِ منذ مدة وهو وصف اشهر حوادث التاريخ الحديثة كاكتشاف اميركا وثورة فرنسا واحتلال الهند ونحو ذلك مما جعل عمران القرنين الثامن عشر والتاسع ارقى من كل عمران سبقهُ صناعةً وتجارة وبوَّأ الاوربيين منصَّة القضاء والسيادة في المسكونة فدان لهم اقيال الهند وسنُّوا السنن لملوك الصين وجابوا فيافي افريقية ومجاهلها وجعلوا ينشئون فيها الممالك

لما وصل خريستوفورس كولمبوس الى اميركا وجدها آهلةً بالسكان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بعضهم قبائل رحَّل يعيشون بالصيد والقنص وبعضهم اهل حضارة ونعيم لهم المدن الفخيمة والقصور المشيدة والهياكل الكبيرة والقرى والدساكر وبين هذين الطرفين اقوام متباينون في درجة حضارتهم

ولا يُعلم من مصَّر تلك القارة اولاً ولا من اين اتاها سكانها الاولون . ولاهل البحث في ذلك مذاهب شتى سنشير الى المذهب الأوجه منها

وكولمبوس كاشف اميركا للاوربيين رجل ايطالي ولد بجنوى سنة ١٤٣٥ او ١٤٤٦ وابوهُ مشّاط صوف فعلَّمهُ صناعتهُ ثم بعث بهِ الى مدرسة بافيا الجامعة فاقام فيها مدة قصيرة حتى اذا صار عمرهُ اربع عشرة سنة ذهب في احدى السفن ملاَّحاً وجندياً حسبما كان الملاَّحون في ذلك العصر حتى اذا اشتدَّ ساعدهُ جُعل رئيساً على سفينة وأُرسل الى تونس ليوقع بسفينة من سفنها . وفي سنة ١٤٧٠ كُسرت سفينتهُ عند رأس سنت فنسنت في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد البرتغال فركب لوحاً من الخشب وبلغ البر عليهِ . واقام في مدينة لسبون مدة واقترن فيها بابنة رجل ايطالي الاصل كان عاملاً من قبل ملك البرتغال على

بورتو سانتو جزيرة صغيرة قرب جزائر مديرا غربي المغرب الاقصى . وذهب الى هذه الجزيرة واقام فيها مدةً وكان يكتسب معيشتهُ برسم الخرائط للتجارة فاضطرَّ ان يبحث وينقب في خرائط حميهِ ويباحث شيوخ النوتية عما لقوهُ من المشاق في اسفارهم فاستنتج من كل ما رآهُ وسمعهُ انهُ لم يزل جانب كبير من الارض مجهولاً ويمكن الوصول الى طرف آسيا الشرقي بالسير اليهِ غرباً واطلع طبيباً فلورنسياً على هذا الرأي فاقنعهُ بصحتهِ

وكان كثيرون قد ارتأوا مثل رأيهِ قبلهُ وابعد واحد من اهالي البرتغال ألفاً ومئتي ميل عن رأس سنت فنسنت غرباً محمولاً بتيار عنيف فوجد قطعة من الخشب طافية على وجه الماء وفيها آثار تدل على ان يد الانسان عملت بها . والتقط صهر كولمبوس انابيب كبيرة من القصب امام بورتو سانتو يسع الانبوب منها نحو اقتين من الخمر وهي مما لا ينبت الا في بلاد الهند فهذه الامور وامثالها قوت اقتناعهُ بانهُ اذا واصل السير غرباً بلغ بلاد الهند

وسار سنة ١٤٧٧ حتى بلغ شمالي البلاد الانكليزية ولا يبعد ان يكون قد سمع وهو هناك عن وصول بعض اهالي نروج الى بلاد مجهولة واستيطانهم لها قبل ايامهِ بخمس مئة سنة وانقراض نسلهم منها . فعزم على الرحلة الى هذه البلاد وجعل يفتش عمن يمدهُ بالمال والرجال وطلب ذلك اولاً من مجلس جنوى مسقط رأسهِ فرفض المجلس طلبهُ . ولما رأى ان ابناء وطنهِ لم يحفلوا بهِ لجأ الى يوحنا الثاني ملك البرتغال فاحالهُ على لجنة من العلماء تنظر في المسائل الجغرافية التي من هذا القبيل . فكان قرارها على غير مرادهِ . وكان الملك ميَّالاً الى البحث عن البلدان الجديدة فاشار عليهِ احد الاساقفة ان يرسل سفينة تضرب في عرض البحر الغربي خفية عن كولمبوس ففعل وبعث بالسفينة فسارت الى ان يئس بحارتها من طول الشقة فعادوا بها ادراجهم . وعرف كولمبوس ذلك فاغتاظ من هذه المخاتلة وبعث بكتاب الى الملك هنري السابع ملك الانكليز يعرض عليهِ رأيهُ ويطلب منهُ المساعدة على تحقيقهِ . ولا بدَّ من ان يكون قد وعدهُ بان يكتشف الارض الجديدة باسمهِ كما وعد غيرهُ

ثم هرب من بلاد البرتغال الى اسبانيا وقصد دوق مدينة صيدونيا جنوبي اسبانيا وطلب مساعدتهُ فلم يحفل بهِ بل حسب رأيهُ من قبيل الاوهام . فتركهُ وقصد دوق مدينة سلي فانزلهُ على الرحب والسعة واكرم مثواهُ وعزم ان يجهزهُ بثلاث سفن ولكنهُ عاد فرأى ان العمل كبير فوق طاقتهِ فاهملهُ . وعزم كولمبوس ان يستعين بملك فرنسا فصرفهُ هذا الدوق عن عزمهِ وكتب الى الملكة ايزابلا (١) ملكة قشتالة (Castilla) يتوسَّل اليها ان لا تدع عملاً مثل

(١) انتقل اليها ملك قشتالة بعد وفاة اخيها الملك هنري الرابع واقترن بها فردينند ملك اراغون وصقلية

هذا يذهب الى الغرباء فامرت بمجيء كولمبوس اليها الى قرطبة Cordova

وكانت الحرب ناشبة بين العرب نزلاء اسبانيا و بين اهلها الاصليين فلم تجد الملكة ايزابلا مجالاً للنظر في طلب كولمبوس لكنها اكرمت مثواه وامرت واحداً من خواصها ان ينظر في طلبهِ . ولم يكن الا القليل حتى اقنع كثيرين بصدق دعواه وسار مع حاشية الملكة الى سلمنكا والتقى هناك الكردينال مندوزا صاحب الصول والطول في اسبانيا . وظن هذا الكردينال اولاً ان في رأي كولمبوس رائحة الكفر لكنهُ اقتنع بصحتهِ حالاً واقنع الملك فردينند زوج الملكة ايزابلا حتى قابل كولمبوس وسمع ما يقولهُ واحالهُ على مجلس من علماء الفلك والجغرافية سنة ١٤٨٧ فبسط كولمبوس ادلتهُ لاعضاء هذا المجلس فناقضوهُ وقاوموهُ واستدلوا على فساد آرائهِ بكثير من آيات التوراة واقوال آباء الكنيسة وبعد جدال طويل دام نحو ثلاث سنوات اقرَّ المجلس على ان رأيهُ باطل لا يعمل بهِ

وكان كولمبوس في كل هذه المدة يسير في حاشية الملك والملكة وهما يحاربان العرب وحضر حصار مالقة Malaga فلما حكم المجلس برفض طلبهِ سار قاصداً فرنسا ودخل في طريقهِ ديراً في الاندلس وطلب ماء وطعاماً لابنهِ فسألهُ رئيس الدير الى اين يقصد فاخبرهُ بقصدهِ فدعاهُ الى داخل الدير وكان فيهِ طبيب ماهر في علم الجغرافية فاخذ يباحثهُ في امر الوصول الى الهند فاقنعهُ كولمبوس بصحة رأيهِ وكان رئيس الدير قبل ذلك معرّفاً للملكة ايزابلا فكتب اليها عن كولمبوس فاتاهُ الجواب منها ان يأتي اليها بهِ وارسلت اليهِ نفقات السفر . ووصل الى غرناطة وقتما استلمها الاسبانيون من العرب

وطُلب من كولمبوس حينئذٍ ان يبين الشروط التي يشترطها لكشف هذه البلاد الجديدة فطلب ان يعطى لقب امير البحر (اميرال) ويجعل والياً على كل البلدان التي يكتشفها وعشر ما يرد منها سواء كان من الغنائم او من التجارة فرُفض طلبهُ . وفي شهر يناير من سنة ١٤٩٢ اقلع من اسبانيا قاصداً فرنسا ولكن تشفع بعضهم في امرهِ لدى الملكة واقنعها بمساعدتهِ فارسلت اليهِ رسولاً ادركهُ على غلوتين من غرناطة وردهُ اليها وفي السابع عشر من ابريل سنة ١٤٩٢ أُمضي الاتفاق بينهُ و بين الملكة وزوجها ولم يكن اعداد السفن والبحارة بالامر السهل لانهُ لم يكد يجد من يخاطر بنفسهِ مثلهُ في مجاهل البحار . وبعد عناء شديد أُعدت لهُ ثلاث سفن وهي سنتا ماريا وفيها خمسون بحاراً وكانت ادارتها في يدهِ والبنتا وفيها ثلاثون بحاراً وقيادتها في يد مارتن بنزون والنينا وفيها ٢٤ بحاراً وقيادتها في يد اخيهِ فيسنت بنزون وجملة النفوس ١٢٠ . واقلعت هذه السفن يوم الجمعة في الثالث من اغسطس سنة ١٤٩٢ ووجهتها

جزائر كناري و بعد ثلاثة ايام اضاعت البنتا دفتها فاضطرَّ كولمبوس ان يرسو بسفنهِ في مرفإِ تناريف مدينة كناري ليصنع لها دفةً غيرها وعاود السير في السادس من سبتمبر وفي الثالث عشر منهُ شاهد رجالهُ انحراف الابرة المغنطيسية اول مرةً عن الشمال والجنوب فارتاعوا من ذلك وزاد ارتياعهم بعد يومين اذ رأوا نيزكاً كبيرًا وقع من السماءِ على مقربة منهم . وبلغوا في اليوم التالي مكانًا رهوًا ولقوا نسيمًا عليلاً تطيب بهِ النفوس فاطمأنوا ثم زاد انحراف الابرة المغنطيسية فزاد اضطرابهم الاَّ ان كولمبوس فسَّر لهم ذلك بما سكَّن روعهم . وشاهدوا حينئذٍ كثيرًا من طيور البحر فايقنوا انهم مصيبون برًّا عن قريب ولما لم يصلوا الى البر تذمروا وتمرَّدوا وكانوا يشاهدون احيانًا ما يظنونهُ برًّا قريبًا فتطيب نفوسهم حتى اذا بلغوهُ ورأوهُ سراب بقيعة عادوا الى التذمُّر والتمرُّد الى ان كان الحادي عشر من اكتوبر فالتقطت بحارة البنتا قناةً وقطعةً من الخشب وعصًا ولوحًا وشاهدت بحارة النينا وتدًا عليهِ نبات مزهر . وفي المساء شاهد كولمبوس نورًا في الافق وفي الساعة الثانية صباحًا رأى البرَّ بحَّار من بحارة النينا وكان هذا البر اول جزيرة من جزائر اميركا وقد ظُنَّ اولاً انها الجزيرة المسماة الآن سان سلفادور ثم اتضح انها الجزيرة المسماة الآن سامنا . ونزل فيها كولمبوس ذلك الصباح وهو لابس حلَّة فاخرة ومعهُ العلَم الاسباني ونزل معهُ الربَّانان الآخران وفريق كبير من البحارة وركعوا على ركبهم وشكروا الله والدموع ملءُ عيونهم وتقدَّم اليهِ البحَّارة الذين تمرَّدوا عليهِ قبلاً واسترحموهُ وطلبوا عفوهُ

والجزائر هناك كثيرة قريبة بعضها من بعض فاكتشف كولمبوس كثيرًا منها واشهرها واكبرها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وسمَّى هايتي هسبانيولا وارتطمت سفينتهُ عندها لاهمال بحارتها لها فاضطر ان يخرج كل الامتعة منها ويتركها هناك وانشأ مستعمرةً في تلك الجزيرة وترك فيها ٤٣ نفسًا من بحارتهِ واقلع في النينا في السادس عشر من شهر يناير سنة ١٤٩٣ قاصدًا اوربا وكانت البنتا قد افترقت عنهُ فتبعتهُ بعد اربعة ايام وبعد عناء شديد بلغ مرفأ لسبون في الرابع من شهر مارس فاستقبلهُ ملك البرتغال بالاكرام والترحاب

وكان بلاط الملكة ايزابلاَّ في برشلونة فمضى كولمبوس اليها فاستقبلتهُ هي وزوجها ورجال بلاطهما وقصَّ عليهم اخبار سفرهِ واراهم بعض ما اتى بهِ من الذهب والقطن والاسلحة والنباتات الغريبة والطيور والوحوش وتسعة من هنود اميركا جاء بهم معهُ . فاقرَّ الملك والملكة على ما منحاهُ قبلاً من الالقاب والامتيازات ونودي قدامهُ كعظيم من عظماء اسبانيا وصنع لهُ ترس عليهِ شعار قشتالة وليونة اي القصر والاسد

وفي الخامس والعشرين من شهر سبتمبر اقلع بثلاث سفن كبيرة واربع عشرة سفينة

صغيرة و ١٥٠٠ رجل وكثير من الادوات اللازمة للاستعمار فبلغ جزائر الهند الغربية التي بلغها اولاً واكتشف جزائر كثيرة لم يكتشفها قبلاً وبلغ جزيرة هايتي فوجد المستعمرة التي انشأها فيها قد لعبت بها ايدي سبا فعزم على انشاء مستعمرة غيرها

الى الآن كان كولمبوس يكتشف الجزائر التي لم ترها عين الاوربيين قبلهُ فنجح في ذلك نجاحاً بيناً ولكنهُ حالما شرع في استعمار تلك الجزائر واستخراج الذهب منها وسلب الغنائم من اهلها توالت النوائب عليهِ لان هواء البلاد لم يوافق الاسبانيين واهاليها الذين رحبوا بهم اولاً قلبوا لهم ظهر المجن الآن وقابلوهم بالعدوان . ومرض هو حتى كاد يقضي نحبهُ ولما شفي رأى ان لا بدَّ لهُ من اخذ الهنود بالقوة فاسر منهم خلقاً كثيراً وارسلهم الى اسبانيا فبيعوا فيها عبيداً وضرب الجزية الفاحشة على الذين بقوا في البلاد منهم

وقام لهُ خصوم في بلاط اسبانيا حسداً فوشوا بهِ واوغروا الصدور عليهِ فبعث الملك والملكة واحداً يبحث عن اعمالهِ فاوجس كولمبوس شرّاً وعاد الى اسبانيا في ١١ مارس سنة ١٤٩٦ فوصل الى قادس في ١١ يونيو واقنع الملك والملكة باستقامتهِ ونجاح عملهِ وطلب منهما ثماني سفن للاستعمار وست سفن لمواصلة الاكتشاف . ولم تكن خزينة اسبانيا في حالة راضية لكن الملكة كانت شديدة الرغبة في اجابة طلبهِ وجهزت لهُ ست سفن فاقلع بها في ٣٠ مايو سنة ١٤٩٨ وبعد عناء شديد رأى احد البحارة ارضاً لم يروها قبلاً وثلاث انداد اي تلال فيها فسموها ترينداد اي الانداد الثلاث وهو اسمها الى اليوم . وفي غرة اغسطس سنة ١٤٩٨ رأى طرف البر من قارة اميركا الجنوبية فظنهُ جزيرة وظلَّ يسير غرباً وهو يرى الرؤوس الناتئة من البر فيظنها جزائر الى ان رأى الماء الغزير الذي ينصبُّ من نهر اورينوكو فحكم ان البلاد قارة كبيرة وانها هي ضالتهُ المنشودة

ثم افتقد المستعمرات التي انشأها في طريقهِ فوجدها في حالة يرثى لها لان اهاليها ثاروا بالسكان او ثار السكان بهم ونشبت الحروب بينهم وسفكت الدماء وامر رجالهُ كثيرين من السكان وبعثوا خمس سفن الى اسبانيا مشحونة بالاسرى عبيداً . فاغتاظت الملكة ازابلا من ذلك وقالت من اباح لهُ ان يأسر هؤلاء المساكين وامرت ان ينادى في اشبيلية (Seville) وغرناطة وغيرها من المدن الكبيرة بعتق كل العبيد الذين اتي بهم من جزائر الهند الغربية اخيراً . فاغتاظ الذين اتوا بهم من هذه الخسارة ولم يجدوا سبيلاً لتنفيس كربهم الاَّ بالتظلم من كولمبوس واخويهِ واجتمعوا في ساحة الحمراء وعلا صياحهم فاصغت الملكة اليهم وعينت رجلاً اسمهُ بوبادلاً حاكماً على هايتي وامرتهُ ان ينزع الولاية من كولمبوس ويبحث عن حقيقة

الشكاوى ويرفع ظلامة المتظلمين

وكان كولمبوس قد اخمد ثورة الثائرين في هايتي ونصَّر اهاليها واستخرج كثيرًا من الذهب حتى بلغ نصيب الدولة الاسبانية منهُ ستين مليونًا من الريالات ولكن وصل بوبادلاً الوالي الجديد حينئذٍ واستولى على بيت كولمبوس وقبض عليهِ وعلى اخويهِ ورفعت الشكاوى عليهم بانهم مرتشون ظالمون عتاة حتى رأى كولمبوس انهُ غير ناجٍ من القتل لكن بوبادلاً لم يقتلهُ بل كبَّلهُ بالقيود هو واخويهِ وبعث بهم الى اسبانيا

وكان ربَّان السفينة التي ارسلوا فيها على جانب من الشهامة فاراد ان يفك قيود كولمبوس فلم يقبل بذلك بل قال لهُ يجب ان تبقى هذه القيود كما هي الى ان يفكها الملك والملكة ثم احتفظ بها تذكارًا للجزاء الذي نالهُ . وفعل كما قال وعلَّق هذه القيود بعد ذلك في غرفتهِ لتدفن معهُ بعد موتهِ

ووصلت السفينة بكولمبوس واخويهِ وهم في القيود وكتب كولمبوس الى السيدة التي كانت تربي ابنة الملك كتابًا يلين الجماد بما فيهِ من التظلُّم والتذلُّل واطَّلعت عليهِ الملكة فرقَّت لهُ ورثت لحالهِ ومال اليهِ كل اهل البلاد ففكَّت قيودهُ وقوبل بالإكرام والاجلال حتى يقال ان الملكة بكت لما سمعتهُ يقص قصتهُ . وعزل بوبادلاً من الولاية وعين والٍ آخر بدلاً منهُ وانهالت الهبات الملكية على كولمبوس ولكن لم يردَّ الى ولاية البلاد التي اكتشفها

وكانت نفس كولمبوس لا ترضى بالسكينة والراحة فطلب ان يجهز بسفنٍ اخرى ليذهب ويكتشف طريقًا يصل الى المشرق الاقصى الى املاك البرتغاليين في اسيا فأُعطي اربع سفن و ١٥٠ بحارًا وأُمر ان لا يدخل جزيرة هايتي فاقلع من قادس في ٩ مايو سنة ١٥٠٢ واكتشف جزيرة مرتنيك في ١٣ يونيو وثارت عليهِ العواصف واضطرتهُ ان يلجأ الى هايتي ولكن واليها منعهُ من النزول فيها. وبعد مشاق يطول وصفها وصل الى البرزخ الموصل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية فوجد هناك ذهبًا كثيرًا وانشأ مستعمرة ترك فيها ثمانين من رجالهِ ولكن ثارت الفتن بينهم وبين السكان الاصليين حالاً فاضطرَّ ان يترك لهم سفينة من سفنهِ ليعودوا بها الى وطنهم وعاد هو بطريق كوبا واخذ الزاد من اهاليها وسار الى جمايكا وجنحت سفنهُ هناك في مكان يسمى كهف خريستوفورس الى الآن وهشَّ لهُ السكان وانزلوهُ على الرحب والسعة لكن رجالهُ اساؤوا اليهم فابتعدوا عنهُ ومنعوا عنهُ الزاد الى ان انبأهم بخسوف قريب فخافوهُ وعادوا الى اكرامهِ . وكان قد ارسل يطلب النجدة من الجزائر الاخرى التي نزلها الاسبانيون فاتتهُ سفينتان عاد بهما الى اسبانيا فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٤ بعد عناء شديد ومخاطر كثيرة

وتوفي في ٢٠ مايو سنة ١٥٠٦ ودفن في اسبانيا اولاً ثم نقل الى هايتي ودفن في كنيستها . ولما انتقل قسم اسبانيا من تلك الجزيرة الى فرنسا نقل رفاتهُ الى هافنا بكوبا . ويقال ان رفاتهُ لا يزال في هايتي والذي نُقِل انما هو رفات ابنهِ ففي سنة ١٨٧٧ وجد قبر في كنيسة هايتي عليهِ حروف تدل على انهُ قبر "مكتشف اميركا الاميرال الاول" وعلى التابوت الذي فيهِ ثلاثة حروف C. C. A. اي خريستوفورس كولمبوس الاميرال



(خرستوفورس كولمبوس)

وكان كولمبوس طويل القامة كبير العينين جميل المنظر شاب شعرهُ وهو في الثلاثين من عمره . وكان غير متأنق في مأكلهِ ومشربهِ ولباسهِ شديد التديُّن يكثر من الصوم والصلاة حتى يظن مَن يراهُ انهُ من الرهبان . عالي الهمَّة يقتحم المخاطر لنيل مقاصدهِ غير مبالٍ بخداع المخادعين وختل المخاتلين

وسنتم الكلام على كشف اميركا ونفصل تاريخ شعوبها الذين كانوا فيها وكيفية فتح الاسبانيين لها وتقويضهم دعائم عمران ارقى من عمرانهم واعظم

مستقبل الصين

الخاتمة

بقي علينا لأخذ صورة تامة عن بلاد الصين امرٌ عظيم هو عمدة هذه المملكة ومزيتها ومعوّل الذاهبين الى ثبات مستقبلها ومتانة منقلبها ألاَ وهو كثرة عديد اهلها وزخور لجج النفوس البشرية في ارجائها حتى انهم ليبلغون ثلث هذه العترة الآدمية ويمثلون واحدة من ثلاث فصائل الانسانية . ولم يعهد ان شعباً بلغ هذا المبلغ من الحصى وهو يؤول الى جلدة واحدة ويخضع لسلطان واحد . فالصين ثماني عشرة مملكة او اقليماً اذا اضفت اليها منشوريا الجنوبية صارت تسعة عشر اقليماً كل اقليم منها ينقسم الى ولايات واسم الولاية عندهم فو وينقسم الفو الى مقاطعات اسم الواحدة منها تشيو وينقسم التشيو الى كور واسم الكورة منها هيان وقد تسمَّى بهذه الاسماء الامصار والمدن التي هي مراكز الولايات والعالات . وان القرى التي تتألف منها الكورة تسمَّى باو ويقال لها ايضاً تو والكورة او الهيان تتألف من ٥٠ الى ٧٠ قرية ويوجد منها ما هو متعلق بمراكز الولايات رأساً فيسمَّى تشيلي تشيو ومنها ما هو تحت الادارة العسكرية ويقال لهُ تين وان كانت مراجعتهُ لمراكز الولايات رأساً قيل لهُ تشيلي فين . ولا نرى لزوماً لوضع جدول احصاء الاقاليم كلٌّ على حدة مما يستغرق محلاً واسعاً وليس هو المقصود بالذات وانما نقول ان الاحصاء الذي جرى سنة ١٨٤٢ اسفر عن اربعمائة مليون واربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة واربع عشرة نسمة . ولا شيء يشبه الرمل والنمل مثل هذا . وعدِّلت مساحة هذه البلاد باربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة وتسعين كيلو متراً مربعاً فاصاب الكيلومتر الواحد مائة نسمة من السكان وهو شأو بليغ في العمارة . ويوجد في الصين نحو ١٩٠ مدينة من الامصار الممصَّرة والقواعد والحواضر والمدر الكبار عدا القصبات والمدن الصغار . وغير خافٍ انهُ مضى على هذا الاحصاء نحو ستين سنة ونيفٍ فلا بدَّ ان تكون النفوس زادت في هذه البرهة زيادة عظيمة ولولا استئصال الفتن المتتابعة بعض ولايات الصين وانهم في شرب الدماء يشتفون وفي التقتيل لا يبقون ولا يذرون لاربى عدد اهل الصين على الخمسمائة بل الستمائة مليون ولضاقت بهم آسية بما رحبت وتحرَّجت الارض بابناء السماء

وحيث قد بسطنا من أحوال هذه المملكة ما نظنهُ كافياً لمعرفة سرائرها ووطأنا من امورها ما فيهِ مقنع لتشخيص دائها واستشفاف ما انطوت عليهِ جوانحها على تنكُّبٍ منا لطريق الاطناب

خوف تبرّم القراء آن لنا ان نتكلم شيئاً عما ترجمةُ من مستقبل الصين الذي هو عنوان مقامنا ومدار خطابنا واذا كان مستقبل الصين وكل مستقبل في الارض منوطاً الآن بالعلاقة الاوربية مربوطاً بالحضارة الغربية لزم ان نوطئ شيئاً عن علاقة الصينيين بالغربيين وعلاقة الغربيين بالصينيين فنقول

سنة ١٨٧٩ لم يكن للغربيين في جميع بلاد الصين سوى ٤٥١ محلاً تجارياً منها ٢٢٩ محلاً للانكليز والباقي لسائر الاوربيين وكان في جميعها ٣٩٨٥ شخصاً اذا اضفت اليهم السيّاح والمبشرين بلغ عدد جميع الافرنج في الصين ٥٠٠٠ نسمة . وقد ازداد هذا العدد زيادة عظيمة منذ ذلك العهد ولكنهُ لا يزال قليلاً بالنسبة الى اعداد الصينيين الهائلة ولا يزال كالشعرة البيضاء في الثور الاسود . وانما كان تأثير هذا العدد القليل عظيماً في احوال الصين وعاداتها ومآخذها ومناحيها وكان لهُ فعل في تجارتها وصناعتها ولغتها وحسبك انهُ تشعب في السواحل لغة من اللغة الانكليزية فاوسعها التجار الصينيون تخلطوها بشيء من لغتهم فصارت مزيجاً من اللغتين وساعدتهم على التعبير عن كثير من الافكار الجديدة والمعاني المحدثة والاغرب من هذا ان اساس هذه الرطانة برتغاليّ لا انكليزيّ فصارت هذه اللغة الجديدة مترشحة عن لغات ثلاث

هذا من امر اللغة واما من امر الاخلاق والعادات فكان الصينيون في البداءة لا يخرجون من بلادهم ولا يخالطون غريباً ولا يعرفون الغربة والسلطان يحظر عليهم ذلك وما زالوا على هذه الحال حتى وطئت ديارهم اقدام الافرنجة فعوّدوهم السفر وجرّأوهم على الاغتراب فانسلّت منهم جماعات خفيةً ثم تتابعوا حتى بلغ عدد المهاجرين منهم الى الآن ثلاثة ملايين في بلاد الغربيين واما البلاد الغربية من الصين والاصقاع الشرقية ففيها اضعاف هذا العدد من الجالية الصينية لأن الذين خرجوا الى ما وراء السور مثل منغوليا ومندشوريا وكانسو الخارجية يناهزون الثلاثة عشر مليوناً عدا الجالين الى جزر البحر المحيط والممالك الهندية الصينية وهم لا ينظرون الى هذه البلدان بالعين التي ينظرون بها الى بلاد المسيحيين فانهم يدفنون في تلك موتاهم ويستصحبون اليها نساءهم وليس امرهم كذلك في شيلي وبيرو وكاليفورنيا فانهم يرسلون منها جثث موتاهم الى بلادهم الاصلية تطوى المسافات الطوال لئلاَّ تدفن خارجاً عن بطن امهم الارض الصينية وكذلك لا يزال السفر الى الخارج محظوراً على النساء فكثيرون من الصينيين اذا عزموا على الرحيل وتركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً باعوهم بيعاً لئلاَّ يهلكوا جوعاً فآثروا بيع نسائهم واولادهم على تغريبهم الى الخارج . والتزوج مع الاجانب ممنوع عندهم فلا

كفوءٍ للصينية عندهم غير الصيني ومن خالف ذلك فقد باء بغضب من السماء . وكل اطوار هذه الامة تدلك على شدة استمساكهم باطوارهم القديمة ونفورهم من كل غريب عنهم وانهم يريدون ان يبقوا صينيين كما كانوا منذ اربعة آلاف سنة

وفي اي محل وجدوا من بلاد الغربة تساند بعضهم على بعض وانضموا كتلة واحدة لانهم احنى الناس ضلوعاً بعضهم على بعض واكثرهم غراماً بالانضمام والاجتماع ولهذا تكثر عندهم الجمعيات فلكل شيء عندهم جمعية ولكل عمل عصبة وهم ينصبون عليها جميعاً الرؤساء والنقباء حتى يقال ان المتسولين منهم لهم رؤساء ونقباء كغيرهم . واينما حلوا وحيث نزلوا قطعوا ارزاق غيرهم بصبرهم العجيب وثباتهم الغريب وقناعتهم الموصوفة وكونهم قوماً يعتادون كل شيء حتى اصبحت مزاحمتهم لا تطاق ومجاورتهم احرّ من مجاورة النار ذات الوقود . ولما شوهد منهم هذا الالحاح في المسابقة ثاروا بهم في اميركا يقتلونهم وعقدت الولايات المتحدة معاهدة مع الصين بمنع سفرهم الى هناك وضيقوا عليهم في الجزر التابعة هولنده من البحر المحيط وعينوا لهم اماكن مخصوصة للسكنى وحرفاً مخصوصة لا يتعدونها في الشغل .

وقد كان لهذه المهاجرة وذاك الاختلاط مع الغربيين تأثير عظيم على مصير امور هذه المملكة وفعل بيّن في اخلاق اهلها ولولا حجر الحكومة الصينية وضغطها على امتها وانتباذها من وراء سورها لا تفسح في دخول الفنون الاوربية فيما بينها لكانوا تدرّجوا تدرّجاً لا يباريهم فيه احد في مراقي التمدن الاوربي لانهم قوم صنع الايدي والاوربيون قيام امرهم الصناعات ولانهم يجيدون التقليد ويحسنون المباراة ولا يرون شيئاً الا ذللته ايديهم وكثيرون منهم اصبحوا يقدرون الحضارة الاوربية قدرها ويعلمون ان علومهم القديمة قد نُسخت آيتها وانها صارت لا تفي بغرضهم ولا تجيء من وراء حاجتهم وان الاوربيين سادوا وشادوا وادركوا ما ارادوا بدون ان يتم لهم وقوف على كليات كنفوشيوس الخمس فابتدأوا يتدارسون علوم الافرنج وترجمت الوف من كتب هؤلاء الى اللسان الصيني على ما في الترجمة الى الصيني من الصعوبة وسارت لهم جرائد وانتشرت مجلات واقبل عليها القراء اقبال العطاش على مورد عذب

وعليه فان كان العلم هو الملك حقاً وكانت اوربا لم تطلّ على هذه الغايات المتطاولات من الحول والقوة والانبساط والاستعلاء الا بعزائم العلم وكرامات الفن فلا شك ان الصينيين يحرزون هذا العلم يوماً من الايام ويحمون به ذمارهم لانهم مهما دافعوا تياره عنهم فلن يستطيعوا دفعهُ بعد ان خيم الافرنج بدارهم ولان الحاجة تقضي عليهم بان يولوا وجوههم شطر

الغرب للاستنارة بعلومهِ والتترّس بها ضد من يروم استباحة حماهم والناس اشبه بزمانهم منهم بآبائهم . والصينيون قوم يحترمون العلم و يعظمونهُ ويرجحونهُ فوق كل شيءٍ حتى ان اسم العلم عندهم الذي هو كياو يعني بهِ الدين ايضاً فكأنهم جعلوا العلم والدين عندهم في ميزانٍ واحد والتعلم فريضة على جميع الذكور لا مندوحة عنها وفي كلّ قرية مكتب ينفق عليهِ من المجلس البلديّ . وللعلم والعلماء والكتابة حتى الكاغد عندهم شأن يتورّعون فيهِ ولا ورع العبادة. وان قيل ان الصينيين بتعصبهم لعلومهم البالية وبغضهم للاجانب يتحرجون من اخذ شيءٍ عنهم كما يفهم من نفس مقالك هذا قلت ان الزمان الذي من غالبهُ غُلِب سوف يقودهم الى طاعة العلم الصحيح ويجدع مارن كبريائهم وانهُ مع ذلك مخطئ من يظن كون التغيير عند الصين مخالفاً لمذهب كنفوشيوس فقد حصلت في الصين انقلابات كثيرة ولم يكن فيها شيءٌ سرمدًا وقد ورد في اقوال ذلك الفيلسوف الاكبر عندهم "ان شئت ان تصلح نفسك فجدّدها كل يوم" ولئن كان التجديد بطيئاً الى الآن فالعلة فيهِ كبر الصينيين وشموخهم بانوفهم عن الاقرار بضعفهم وتوهمهم بانهم اعلى الامم كعوباً في الحضارة وانهم الامة الوحيدة في الارض وبديهيٌّ انهُ يصعب عليهم الانتقال من هذا الزعم الى كونهم دون الاوربيين بمنازل دفعةً واحدة وانهُ لا بد لذلك من التدريج والطفرة محال كما لا يخفى

نعم ان الصينيين لا يتقدمون في هذا الامر تقدم اليابانيين لانهُ ليس عندهم اقدام اليابانيين ولا حماسهم وانما يقابل ذلك منهم الصبر والثبات وهو عامل لا يقلّ عن الاول نفوذاً في تقدم الامم

بقي علينا ان نتساءل هل تبقى الصين لاهلها ام يغير عليها الاوربيون من كل جهةٍ فيتقاسمونها فيما بينهم وهو المراد بمستقبل الصين والموضوع بحثٌ لافاضل الكتّاب واهل النظر يقتدحون فيهِ زناد الافكار وكل يؤيد مذهباً و يعضد رأياً فذهب بعضهم الى ان مصير الصين كمصير غيرها من غير الاوربيين وهو السقوط في ايدي ابناء الغرب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وذلك لما ظهر من وهن قوتها الحربية وانها مملكة لينة المعاطف سهلة فلا يخشى بأسها ولا يُتعب مرامها وانهُ ان كان الخلاف الدوليّ حائلاً الى الآن دون تشطّر اضرعها فلا بد ان الضرورة تقضي بقسمةٍ مناسبة يخرج منها كل فريقٍ بسهم يُرضيهِ فالروسية تطمح الى منشوريا وقد شرعت في ان تأخذها وانكلترا وفرنسا واليابان والمانيا كل دولة منها ترتضي بولايةٍ كبيرة لا تتعداها الى اختها وهلمّ جرّا وذهب آخرون الى ان مستقبل الصين انما هو لليابان لانها دولة شرقية كدولة الصين والضرورة تحكم على الصينيين بموادّة اليابان لا حبًا بهم بل بغضاً

بالاوربيين وانهُ قد يجيء زمن تتفق فيهِ هاتان الامتان وتقومان يداً واحدة على الغريب . وكل من الافتراض الاول والثاني ترد عليهِ الاعتراضات الكثيرة لأنَّ اوربا لا يسلم بعضها لبعض بالاستيلاء على الصين وان التجزئة التي يحلم بها بعضهم غير متيسرة بل هي باب للحرب من ثاني يوم واذا كان الاوربيون لا يسمحون فيما بينهم بتركة الصين فكيف يسمحون لليابان وهي شرقية وهم لا يطيقون رجوع العلاء للشرق . وقال آخرون ان مستقبل الصين انما هو للاسلام بما وجدوا من الفرق بين الصيني المسلم والصيني الوثني وان الاول يفضل الثاني من كل وجهٍ ورأوا انهُ اذا اعيت عقائد الصينيين عن النهوض باهلها فانهم يفضلون الاسلام على غيره من الاديان لانهم يكرهون الاوربي وديانتهُ كراهة دلَّت عليها الحوادث الاخيرة والاسلام دين قسمٍ منهم فالارجح انهم يميلون اليهِ وهو يزداد بين ظهرانيهم بسطةً وظهوراً . وقد تخوَّف كثير من سياح الافرنجة من عاقبة تقدُّم الاسلام هناك كما قدمنا في جزءٍ ماضٍ من المقتطف . والذي نراهُ انهُ ان كان المقصود بالمستقبل هو المستقبل الديني فربما كان للاسلام الرجحان على غيره في تلك البلاد ولا شك انهُ يمشي في قلب الصين كما يمشي في قلب افريقية وان اوربا لا تنظر بعين الرضى الى هذا التقدم ولو اخفى ذلك رجال السياسة في صدورهم وان المسلمين يتعزّون على تأخر دنياهم في هذا القرن بتقدم دينهم . ولكن لو كانت وفرة العدد كافية بدون التمدن لاغنت الصينيين انفسهم وهم اكثر من اهل الاسلام عدداً وكيف نرجو ان يستأثر الاسلام بملك الصين على مرأى من دول الغرب وهو يعجز عن حفظ ملكهِ القديم واذا احسَّ اهل الغرب منهُ نبأة للنهوض في ارضهِ اخذوا بخناقهِ فما ظنك لو تحرك في ارض غيره لا جرم ان دول اوربا تقاتل قتال المستميت دون ان ترى مملكة الصين في ايدي المسلمين خشية ان تجمع يوماً بين التمدن الاوربي والدين الاسلامي فتكون الضربة القاضية على ملك الاوربيين في المشرق

ثم من الناس من يظن ان مآل امر الصين انما هو الى الروسية لأنَّ الروسية اشد جارات الصين بأساً واحسنهن مستقبلاً وهي تتاخمها مسافة ثمانية آلاف كيلومتر وقد تحيفت من جوانبها ما لم تتحيفهُ دولة سواها وصيرت منشوريا تحت طائلة نفوذها وزأر اسدها في سواحل كوريا ومدخل البحر الاصفر وبوغاز جزر اليابان فهي ذات الكلمة العليا في تلك الاصقاع . وهذا الرأي على كونهِ اقرب الى العقل مما تقدمهُ فلا يزال بعيداً لانَّ سائر الدول وخصوصاً انكلترا واليابان يزاحمنَ الروسية بالمناكب ويدفعنها بالراح ولأنَّ لها من العداوات التي بجانبها في اوربا ما يطأمن من مرقب طماحها على الصين ويفسح في اجلها . وذهب قوم الى ان كثرة

احتكاك الاوربيين بالصينيين ليست من مصلحة اوربا في شيء لأن الاوربيين بكثرة تحككهم بالصين يعلمونهم اطوارهم ويحملونهم على علومهم وينهجون بهم مناهجهم في الحضارة رغماً عن انوفهم فكأنما يسلمونهم اسلحتهم ليقاتلوهم بها وانهُ ان استمر الامر على ما هو عليهِ فلا يمضي زمن طويل حتى يتم للصين ما تمَّ لليابان من هذا القبيل فلا يعود لاحد مطمع في يفشهم لانهم من الكثرة والالتفاف بحيث لو تعلموا ونسقوا جيشهم على الترتيب الاوربي لكان لهم فيلق ترجف لمشيتهِ دفتا الشرق والغرب وخيف من استئناف دور جنكيز وما ذلك على الايام بعزيز

ويقول بعض السياح الذين داخلوا الصين وعاشروا اهلها ورأوا ذلك الشعب المتموّج تموّج الباسيفيك مثل ريشتوفن وارمان دافيد وفازيليف ان اختلاط الصينيين بالاوربيين والاميركيين لا يغير احوال الصينيين فقط بل يؤثر في هؤلاء ايضاً لأن الماء والخمر اذا امتزجا تغير لونهما معاً ومن رأى الصينيين في بلادهم وعلم انهم نحو نصف مليار من النسم على مشرب واحد ومن اصل واحد عرف ما يعترض الاوربيين من الصعوبة في استغراق هذا الجنس لا بل تأكد لديهِ انهم اذا ولجوا ثغر تلك البلاد قصروا عن سدها وانهم مهما اجتمعوا حولها فلا مندوحة لهم في الآخِر ان يتصدعوا عنها . ومنهم من رأى الأبلغ في نصح اوربا ابقاء الصين في وحدتها معزولةً عن الناس ومعزولاً عنها الناس تأميناً لمستقبل اوربا وكفاً للشرق عن الغرب وهؤلاء هم الذاهبون الى ان الصين المتعلمة تندفق على سائر البلاد فلا يقف احد في وجهها

والبعض يهنىء اوربا بعكوف الصينيين على الافيون الذي يخبل العقل ويُذهب الفكر وفاسيليف يبالغ فيقول لولا الافيون لغزت الصين العالم باسرهِ وخنقت اوربا واميركا بانبساطها عليهما وكثيرون من الافرنج يرددون ذكر "الخطر الاصفر" يعنون بهِ الخوف من غوائل الصين المستقبلة اذا اخذت بمبادىء التمدن الغربي وانها تصلي اوربا حرباً اقتصادية لا يكفيها بها احد

وعندي ان الصين وان كانت لقمة لا تسوغ بسهولة في مزدرد اوربا لكثرة عدد اهلها ووحدة جنسهم وامتلاء بلادهم فانها نعامة شائلة ودولة زائلة الاَّ اذا حذت حذو اليابان واقتدت مثلها باوربا فان اليابان لم تأمن على استقبالها ولم تدخل في صف الدول العظام ولم تحسَّ بقوةٍ تناهض بها روسية في الشرق الاقصى ولم يصر الواحد من اهلها كفوء العشرة والخمسة عشر من اهل الصين الاَّ بصولة التمدُّن الغربيّ وفضل العلوم الحديثة فالصين تدرَّى من وراء كثرتها ووحدة جنسها وبعد مزارها ما شاءت ان تدرَّى ولكن لا بد ان تنجلي غيابة

السحر في الآخر ويرتع السيف في رقاب الصينيين ان لم يتنبهوا من غفلتهم ويثيبوا من ضجعتهم فانهُ لا يكثر كثير مع الجهل ولا يقلّ قليل مع العلم ومستقبل الصين موقوف على تعلمها والله وحدهُ علاّم الغيوب شكيب ارسلان

الحول وعلاجهُ

علمت بالمراقبة ان الحول نادر في اهالي أوربا فقد يقيم الغريب المراقب بينهم حولاً ولا يرى احول . والسبب في ذلك ليس اختلاف الاقليم فالحوَل ليس من امراض العين التي يحدثها اشتداد الحر وتصاعد العثير وعدم الاعتناء بنظافة الاجسام الى غير ذلك من المسببات المتوفرة في المناطق الحارة وانما الحوَل مرض ينشأ عن ضعفٍ خفيّ في النظر كما سنذكر ذلك وليس للاقليم الحار شأن في حدوثهِ . ولكنَّ السبب في قلة الحوَل في الغرب وكثرتهم في الشرق هو ان الصبي الغربي الاحول يذهب بهِ ذووهُ الى اطباء العين فتستعمل لهُ الطرق لتقويم نظرهِ المعوج واذا اهمل اهلهُ امرهُ لا يلبث ان يشبَّ ويدركَ حتى يهرول الى رمديّ يشفيهِ من دائهِ . وذلك بخلاف ما يرى في الشرق حيث الاحول لا يهتم بامرهِ اهلهُ اذا كان قاصراً ومن شب وكبرَ ورأى حولهُ الحول كثيرين لا يكترث للامر بل يرضخ صاغراً راضياً بدائهِ مستسلماً لحكم القضاء والقدر فيعيش احول ويموت احول

وكان يلتمس لاهل الشرق عذر في ما مضى لانهُ لم يكن بين ظهرانيهم العدد الكافي من اطباء العين واما الآن فما عذرهم وقد كثر الاطباء حتى لم تعد تدخل بلداً كبيراً من بلاد المشرق الاّ وجدت فيهِ واحداً منهم

والغرض من مقالتي هذه هو اولاً ان اتكلم موجزاً عن هذا الداء وطرق علاجه ليعلم القراء انهُ داء يمكن احياناً كثيرة ازالتهُ منذ الصغر باستعمال الطرق التي ساذكرها وبانهُ ان لم تنجح هذه الطرق يمكن تقويم العين الحولاء بعملية جراحية قلما تخيب

ثانياً لاورد لزملائي الاطباء وعلى الخصوص المنقطعين منهم لامراض العين ما قالهُ العلامة باناس الرمدي الشهير في خطابٍ القاهُ اخيراً في مستشفى اوتيل ديو عن طريقتهِ الحديثة في عملية الحول لعلهم يستصوبونها مثلي ويتبعونها ولعلي بذلك افيد الطبيب والمتطبب

ما هو الحول : الحول حالة مرضية لا يمكن معها اتجاه العينين الى الشيء المحول اليهِ النظر

متى يظهر : لا يظهر هذا الداء غالباً قبل السنة الثانية من العمر غير ان بعض العالمين

بامراض العين المدققين ولا سيما الاستاذ باناس يقولون ان الطفل يولد احياناً احول و ينسبون هذا الحوَل الى ضغط الدماغ بجفوت التوليد عند تعذُّر الولادة والى اسباب أُخرى لا تهمنا معرفتها

انواعهُ — يكون الحول اما مفرداً اي ان احدى العينين تكون طبيعية والاخرى منحرفة . واما مزدوجاً اي ان العينين تكونان منحرفتين . فاذا كانت العين الحولاء متجهة نحو الانف يُدعى الحوَل متقارباً واذا كان اتجاهها الى الجهة الصدغية يدعى الحول متباعداً . و يدعى علوياً اذا كانت العين متجهة الى الاعلى وسفلياً اذا كانت متجهة الى اسفل

وقد يتنوع الحول الى اكثر من ذلك كأن تكون احدى العينين منحرفةً الى اليمين والاخرى الى الشمال وهذا نادرٌ او ان تكون العين الواحدة مرتفعةً والاخرى منخفضة وهو ما يقال لهُ الحول المخيف لما يعتور الخلقة من قبح المنظر وهذا نادرٌ ايضاً. واكثر الحول حدوثاً هو الحول المتقارب ثم يليهِ المتباعد

كيف يرى الاحول : اذا قلتَ لمصابٍ بحولٍ مفردٍ متقاربٍ مثلاً ان يوجه نظرهُ الى شيءٍ ما وتأملتَ عينيهِ وهو شاخص الى ذلك الشيء، وجدت ان العين المستقيمة متجهة نحوهُ والعين المنحرفة مائلة عنهُ الى جهة الانف ثم اذا وضعتَ امام العين المستقيمة كفَّكَ او حجاباً آخر يحول بينها وبين الشيء المنظور وقلت للاحول ان لا يحوّل نظرهُ عن ذلك الشيء رأيت ان العين الحولاء قد استقامت واتجهت نحو الشيء المنظور واذا راقبتَ في الوقت نفسهِ العين المستقيمة وراء الحجاب وجدتها قد انحرفت الى الداخل وصارت حولاء مثلما كانت اختها قبل وضع الحجاب

فهذا الامتحان يثبت لنا امرين مهمين

اولها : ان انحراف العين في الحول لا ينتج عن شلل عضلي كما كان يزعم الاولون لانهُ لو كان انحراف المقلة الى الداخل في الحول المتقارب مثلاً ناتجاً عن شلل العضلة المستقيمة الانسية للعين لما كان يستقيم ذلك الانحراف عند وضع الحجاب امام العين السليمة كما رأيت

وثانيهما : ان الحول وان كان يظن في الغالب مفرداً اي ان احدى العينين تكون مستقيمة والاخرى منحرفةً فهو في الحقيقة مزدوجاً على الدوام غير ان العين الحولاء او التي تظن وحدها حولاء تكون دائماً اضعف نظراً من التي تظن مستقيمة ولذلك يتحول اليها كل الانحراف . واقوى شاهد على ان الحول مزدوج وان كان يظهر غالباً مفرداً هو ان هذا الداء يتنقل في الاطفال من عين الى اخرى ولا يثبت الانحراف في عينٍ واحدةٍ الاَّ متى ادرك الطفل سن

الصبا وتحقق ان احدى عينيهِ احدُّ نظرًا من الثانية فيعتمد عليها في النظر ويهمل الاخرى فيتحول اليها كل الانحراف

قياس الحوَل : لقياس درجة انحراف العين في الحول طُرق شتى احسنها وابسطها الطريقة الآتية وهي

بوضع امام الاحول شيء على بعد ثلاثة امتار او اربعة ويكلَّف بالنظر اليهِ . وعند ما يشخص الاحول الى الشيء الموضوع امامهُ يُعلَّم على حافة الجفن السفلي من عينهِ الحولاء بنقطة حبر اسود عند منتهى حد القرنية الوحشي . ثم بوضع امام العين السليمة حجابٌ ويكلَّف بان لا يحوّل نظرهُ عن الشيء الموضوع امامهُ . فللحال تستقيم العين الحولاء التي كانت منحرفة وتتجه نحو الشيء الناظر اليهِ الاحول وعندئذٍ يُعلَّم بنقطة حبر اسود ثانية عند حد القرنية فتكون المسافة بين النقطة الاولى والنقطة الثانية هي قياس الانحراف الحوَلي الاصلي

وعند ما تستقيم العين التي كانت منحرفة تنحرف العين الاخرى وراء الحجاب ويكون انحرافها مثل انحراف الاولى فتوضع نقطة حبر ثانية على جفنها السفلي عند آخر القرنية قبل الانحراف وبعدهُ فتكون المسافة بين النقطة الاولى والثانية درجة الانحراف الحوَلي الثانوي وهي تعادل تماماً درجة الانحراف الاصلي

وقد تختلف درجة الانحراف من مليمتر الى ثلاثة فاكثر

اسباب الحول : كان المتقدمون يتوهمون ان انحراف العين في الحول ناتجٌ إما عن قصرٍ في عضلة العين المتجه نحوها الانحراف وإمَّا عن شللٍ في العضلة المقابلة لذلك الانحراف . وقد اثبتت بالبرهان فيما تقدم فساد هذا المذهب . وما زال هذا معتقد الاطباء الاقدمين حتى جاء العلامة دوندرس Donders واثبت بعد طويل البحث والاختبار ان الحول ناتج عن ضعفٍ خلقي في البصر وان اكثر المصابين بالحول المتباعد قصار البصر واكثر المصابين بالحول المتقارب طوال البصر

ولتأييد مذهب دوندرس تعليل طويل لا محل لايرادهِ هنا . وهذا المذهب وان يكن فيهِ شيءٌ كثير من الصحة فهو غير مضطرد فقد شوهد حوَلٌ كثيرون وليس بهم ضعف في البصر وآخرون مصابون بحوَل متقارب وهم مع ذلك قصار البصر خلافاً لقاعدة مذهب دوندرس

ثم جاء العلاَّمة بارينو بعد دوندرس وذهب الى ان سبب الحول ضعفٌ في مركز تطبيق البصر من الدماغ وليس في مركز العصب البصري نفسهِ ولتأييد مذهبهِ قال وفي قولهِ شيء من الصحة : ان اغلب المصابين بالحول مصابون باضطرابات عصبية : وهو القائل ايضاً " اني اخاف

طباع الاحول كما اخاف طباع الافعى "

والمرجح الآن عند المدققين من اطباء العين انهُ لا بدَّ لتعليل حدوث الحول من الجمع بين مذهب دوندرس ومذهب بارمينو اي ان ضعف مركز تطبيق البصر في الدماغ يهيء السبيل للداء وان ضعف البصر يجلبهُ والله اعلم

علاج الحول : لعلاج الحول طريقتان احداهما تمرينية ويقال لها ايضاً الطريقة الطبيعية والثانية الطريقة الجراحية

فالطريقة الاولى تستعمل للاحداث حتى السنة العاشرة واليك شرحها

يبحث اولاً عن عين الصبي المنحرفة بالاوفتالموسكوب فاذا كان بها طول البصر وهو الغالب في الحول المتقارب يلزم استعمال العدسيات المحدبة وتختلف نمرة العدسية التي توضع على العين المنحرفة باختلاف درجة طول البصر في تلك العين . واذا كانت العين المنحرفة مصابة بقصر البصر (الحسر) وذلك يكثر في الحول المتباعد يلزم استعمال العدسيات المقعرة التي توافق درجتها من التقعير درجة ما في العين من قصر البصر اما قسم العوينات المقابل للعين المستقيمة فيوضع فيهِ قطعة من الزجاج الابيض غير الشفاف يبطل عمل هذه العين . ومعلوم انهُ لا يمكن استعمال العوينات للاحداث الا متى صاروا على شيء من الادراك والتعقل وصار يمكن اقناعهم بضرورة استعمال العوينات والمثابرة عليهِ حتى لا ينزعوها اذا ضاقت منها اخلاقهم. فاذا تعذَّر استعمال العوينات يلزم استعمال الاتروبين Atropine وذلك ان يُقطر في العين المستقيمة من محلول هذا الجوهر بنسبة ١٠٠/١ مرات متوالية حتى تتمدد حدقة هذه العين ويكف بصرها فيكف عن استعمال الاتروبين واذ ذاك يلتزم المصاب ان يستعين على النظر بعينهِ المنحرفة رغماً عنهُ . ويبقى فعل الاتروبين في العين مدة ٦ او ٧ ايام فمتى انقضت هذه المدة بعد استعمالهِ واخذت قوة البصر تعاود العين المستقيمة يوضع فيها من محلول الاتروبين مرة ثانية ثم بعد اسبوع مرة ثالثة وهكذا حتى ينقضي سنة كاملة وفي بحر هذه السنة تأخذ العين المنحرفة بالاستقامة شيئاً فشيئاً حتى تعادل اختها . وقد اشار بعضهم الى استبدال الاتروبين بعصبة تربط بها العين المستقيمة ليبطل عملها غير ان الصغار لا يبقون هذا الحجاب على عينهم السليمة لضيق خلقهم فكلما سنحت لهم الفرص ولم يردعهم رقيبٌ ينزعونهُ عنها . ولذا يفضل الرمديون طريقة الاتروبين على هذه الطريقة

الطريقة الجراحية : واذا ادرك الصبي الاحول السنة الحادية عشرة ولم تستقم عينهُ المنحرفة سواء استعملت لها الوسائط المذكورة آنفاً او لم تستعمل فلا بدَّ من الاستعانة بالمشرط لتقويم

اعوجاجها لأن الوسائط التمرينية قلما تنجح بعد هذا السنة وعلى الخصوص اذا كان الحول متباعداً لان هذا النوع مستعصٍ ولا يزول الاَّ بالوسائط الجراحية

وتختلف طُرق العملية الجراحية باختلاف حالة الحول من حيث الاتجاه والشدة وسن المريض واليك مجمل ما اشار اليهِ الاستاذ باناس في خطابٍ القاهُ اخيراً في مستشفى اوتيل ديو عن تنوع الطرق الجراحية في علاج الحول قال

اولاً : اذا كان الحول متقارباً والانحراف خفيفاً يكفي لتقويم الانحراف إمَّا قطع وتر العضلة المستقيمة الانسية او تقديم نقطة ارتكان العضلة المستقيمة الوحشية

ثانياً : اذا كان الحول متباعداً والانحراف خفيفاً يكفي لتقويم الانحراف اماَّ قطع وتر العضلة المستقيمة الوحشية او تقديم نقطة ارتكاز العضلة المستقيمة الانسية

ثالثاً : اذا كان الحوَل متقارباً والانحراف شديداً يلزم قطع وتر العضلة الانسية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الوحشية

رابعاً : والعكس بالعكس اذا كان الحوَل متباعداً والانحراف قوياً اي انهُ يلزم قطع وتر العضلة الوحشية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الانسية

خامساً واخيراً : اذا كان الحوَل مفرداً وقوياً جداً وذلك يكثر عند المتقدمين في السن لا يستقيم الانحراف الاَّ اذا عملت عملية القطع والتقديم للعينين معاً كأن كلتيهما منحرفتان وليس للعين المنحرفة فقط

ثم اردف الاستاذ باناس قائلاً : " وما زال بعض الرمديين يزعم حتى يومنا هذا ان الحول لا يزول دائماً بالعملية الجراحية لاسيما اذا كان الانحراف شديداً والاحول كبير السن . وهذا زعم فاسد والذي حملهم عليهِ هو ان بعضهم يكتفي بقطع وتر العضلة المتجه نحوها الانحراف ويكتفي البعض الآخر بتقديم نقطة ارتكاز العضلة المقابلة للانحراف سواء كان الحوَل شديداً او خفيفاً او كان الاحول صغيراً او كبيراً وقلَّ منهم من يفطن الى الجمع بين القطع والتقديم متى كان الحوَل شديداً ولذلك لا ينجحون دائماً

اما انا فبطريقة القطع من جهة والتقديم من الجهة المقابلة يمكنني ان اقوِّم كل حولٍ مهما كانت درجة الانحراف شديدة واذا كان الاحول مسناً وحوَلهُ مستعصياً ولم تنجح فيهِ عملية القطع والتقديم للمرة الاولى اكرر نفس العملية مثنى وثلاث ورباع حتى يستقيم الانحراف تماماً فاذا كنتم تعرفون احولَ عمرهُ مائة سنة وبمقلتيهِ انحرافٌ لا يُرى معهُ شيءٌ من القرنية فأتوني بهِ وانا اتعهد لكم بشفائهِ "

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

امبراطورة فردرك



لم يحل الحول على وفاة فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند حتى جرّعت ابنتها فكتوريا زوجة الامبراطور فردرك الالماني وام الامبراطور غليوم امبراطور المانيا الحالي كاس المنون وهي في الحادية والستين من عمرها بداء اليم قضى بهِ زوجها من قبلها وهو داء السرطان الخبيث ولم تجدِ عزّة الملك ورفعة الشأن ومهارة الاطباء فتيلاً

وُلدت الفقيدة في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ وبدت عليها مخايل النجابة وهي طفلة فكانت تتكلّم الانكليزية والفرنسوية وهي في الثالثة من عمرها واستظهرت بعضاً من اشعار لامرتين الشاعر الفرنسوي وهي في ذلك السن وكانت تستشهد بها احياناً وهذا من الغرائب التي لا تكاد تصدَّق لو لم يشهد بهِ ابوها . قال

انها خرجت مرةً راكبةً فلما رأت الحقول مبسوطةً امامها والغنم والبقر سائمة فيها قالت Voila le tableau qui se déroule à mes pied ! اي « يا لها من صورة تنتشر امامي . لكن هذا الذكاء المفرط لم يحملها على العُجْب بنفسها فبقيت وهي في سن الصبوة كغيرها من الصبايا لا تظهر الامتياز عليهنَّ ولما كبرت وطالعت الكتب الكثيرة واتَّسع نطاق معارفها ولقيت من العلماء والفهماء اكثر ممَّن لقيت امرأة اخرى غيرها في عصرها لم يبدُ عليها شيء من الدعوى والغرور لا في سلوكها ولا في حديثها مع انها قرأت اعوص العلوم وشاركت اباها فيها قبل زواجها واظهرت من البراعة ما دعا الى القول بانها من نوابغ العصر

ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها اتى ابن ولي عهد بروسيا خاطباً لها برضى ابيها وامها وكان من اجمل الشبان طلعةً واكملهم آداباً فلما رأتهُ وقع في نفسها كما وقعت في نفسهِ وقرَّ القرار على ان يقترن بها حينما تبلغ السابعة عشرة من عمرها

واحتُفل بهذا الاقتران في الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٥٨ واعطاها البارلمنت الانكليزي اربعين الف جنيه صداقاً وقطع لها اربعة آلاف جنيه في السنة . فاعرب بذلك عن رضى الامَّة الانكليزية بهذا الاقتران . وقد ظنَّ البعض انها تترك اميالها الوطنية وتبدلها بما يخالفها لكن دلَّت الايام على انها لم تفعل ذلك بل بقي حبها لوطنها وللحكومة الدستورية متغلباً عليها حتى لم تكن تحجم عن المجاهرة بهِ ولو شدَّد اللوم عليها ساسة برلين

ولم تكد قدمها تطأُ البلاد الالمانية حتى رأى فيها اقارب زوجها ما يدعو الى حبها واكرامها فكتب زوجها الى ابويها يقول « ان زوجتي سحرت العائلة المالكة كلها » وكتب لورد كلرندون وزير الخارجية حينئذٍ « انها كانت تسبي الجميع بلطفٍ يظهر انهُ عنوان عقل راجح وادب رائع يعصمانها من الخطاءِ في اقوالها وافعالها »

ولما استقرَّ بها المقام في بيتها الجديد عادت الى اشغالها العادية القراءة والكتابة والرسم والتصوير والنقش . وكانت تقرأُ في مختلف الكتب من الفلسفة الى الروايات لكن اكثر اشتغالها كان بالمواضيع العويصة كالاقتصاد السياسي والفلسفة السياسية . ولم

يمضِ عليها شهران حتى اخذت تترجم رسالة من الالمانية الى الانكليزية لخَّص فيها مؤلفها تاريخ المانيا وابان انها ستصير من اعظم الدول الاوربية سطوةً اذا جرت على خطة حربيَّة معلومة. وبعد قليل اخذت تبحث في مسألة اخرى من معضلات المسائل وهي هل يجوز لفريق من الناس ان يعقد محالفة مع البابا ولو على غير رضى الدولة التي هو تابع لها . وذهبت الى انهُ لابدَّ من وضع حد يفصل بين سلطة الدولة وسلطة الكنيسة . ثم التفتت الى مسألة اعوص من هذه وهي واجبات الوزراء في الحكومة الدستورية وانشأت رسالة في هذا الموضوع وكان عمرها عشرين سنة

لكن اشتغالها بهذه المواضيع السامية لم يصرفها عن تدبير بيتها والاهتمام بشؤُونهِ فانهُ يظهر من مكاتيبها انها كانت تبذل جهدها لتجعل نفقات بيتها اقل من دخلها ودخل زوجها لكي يتوفر عندها في آخر كل سنة ما يبقى عوناً لها وقت الحاجة . ولم يحُل الحول عليها متزوجةً حتى رُزقت ولداً وهو امبراطور المانيا الحالي ولدتهُ في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٩ وتعسَّرت ولادتها بهِ حتى كاد يقضى عليها . وبقيت مع كل اشتغالها واهتمامها من اودع النساء واكثرهنَّ بهجةً

وسنة ١٨٦١ توفي فردرك وليم الرابع ملك بروسيا وخلفهُ حموها وليم الاول على سرير الملك وصار زوجها وليَّ العهد وكانت آراؤُها السياسية مخالفة لآراء كثيرين من ساسة بروسيا ومطالبها العلمية والاجتماعية فوق ما يستصوبهُ رجال بروسيا في ذلك العهد بل كان البعض ينكرون عليها اهتمامها ببعض الاعمال الخيرية لان حالة المرأة في بروسيا كحالتها في الشرق متأخرة جداً عمَّا هي عليهِ في انكلترا واميركا .

وكان يُنقم عليها اكرامها لرجال العلم كأن ذلك لا يليق بمقام اميرة رفيعة الشان مثلها . وظُنَّ انها تميل بزوجها عمَّا جرى عليهِ ملوك بروسيا من الاستبداد الى الآراء الدستورية الشوروية الجارية في بلاد الانكليز . وكان هذا الظن في محلهِ لان سلطتها على زوجها كانت شديدة وكان هو ميالاً الى الآراء الدستورية بالطبع . وتناظرت الجرائد الانكليزية والالمانية في هذا الموضوع فزادت المسألة اشكالاً واوقعت الاميرة في مركز حرج جداً ولاسيما بعد ان ابدى حموها الملك رغبتهُ عن الحكومة الدستورية

وزادت سطوة بسمارك في ديوانهِ

وكان بسمارك يكرهُ الانكليز كرهاً شديداً ويتهمها بتفضيل المصلحة الانكليزية على المصلحة الالمانية وبقي مصرًّا على هذه التهمة بعد ان صار زوجها امبراطور المانيا وصارت هي امبراطورتها . وقد قال في صدد ذلك « ان الامبراطورة الجديدة انكليزية وهي واسطة للنفوذ الانكليزي وللمصالح الانكليزية عندنا ... والانكليز يحسبوننا شعباً منحطاً مخلوقاً لخدمتهم هذا هو رأي ملكتهم فينا وابنتها مثلها من هذا القبيل

ومن الغريب ان ذوي الاحقاد من الانكليز كانوا يتَّهمون العائلة الانكليزية المالكة هذه التهمة عينها فيقولون انها المانية وتروّج المصالح الالمانية فانقلبت التهمة الآن الى ضدها .

ونجح بسمارك في سياستهِ المعروفة بسياسة الدم والحديد وفاز بقهر بعض الممالك الالمانية رغماً عن الفقيدة وباطلاق القنابل على مدينة باريس غير مكترث لتوسلاتها ودموعها ولكن نجاحهُ دمث اخلاقهُ كما محا ذنوبهُ من عيون الامة الالمانية فزال من نفسهِ ما كان يراهُ من الموجدة عليها . قال بعد حين وقد سئل عنها « انها كانت لا تطيق النظر اليَّ اما الآن فقد تغيَّر ذلك . طلبت مني مرَّةً شربة ماء فلما اتيتها بكاس الماء نظرت الى سيدةٍ كانت جالسة معها وقالت لها عني « لقد اراق دموعاً من عينيَّ اكثر من ملءِ هذه الكاس » ولكن ذلك مضى وانقضى »

واصيب زوجها بداء السرطان في حنجرتهِ وآلام هذا الداء شديدة لا تطاق فتحملها بالصبر الجميل وكانت هي تمرّضهُ بنفسها كالام الحنون . ثم توفي ابوهُ فخلفهُ على سرير الامبراطورية الالمانية وقام باعباء الملك على ما بهِ من الداء الاليم ووعد امتهُ ان يبذل الايام الباقية من عمرهِ في ما يرقي شأنها ادبياً ومادياً لكن تلك الايام كانت قليلة تسعة وتسعين يوماً قضى بعدها مأسوفاً عليهِ مبكيًا من امتهِ ومن كل من يتمنى للناس ملوكاً عادلين وخلفهُ ابنهُ وابنها وليم الثاني الامبراطور الحالي

وكان بسمارك قد بذل جهدهُ لكي لا يسير الابن في خطة ابيهِ فنجح وعادت الام الارملة الى سكب الدموع وبث الشجا ولكن لم يمضِ على الامبراطور سنتان حتى رمى

بسمارك عن حالق فعاد يتوسَّل الى الامبراطورة لكي تشفع بهِ لدى ابنها فقالت لهُ انك لم يبقَ لي كلمة مسموعةٌ عند ابني فصرت عاجزةً عن الشفاعة فيك

وكانت بهجة برلين قد صارت مضاضةً في عينيها فهجرتها وابتنت لها داراً قرب فرنكفرت اقامت فيها بقية ايامها . ولما دالت دولة بسمارك عاد ابنها الى تذكار فضائل ابيهِ وكان يكاد ينساها ويقتصر على ذكرى جدهِ ووثقت ربط الحب بين الولد والوالدة من جديد

ثم ظهر فيها داء السرطان كما ظهر في زوجها فاكثر ابنها من الترداد عليها حتى اذا قضى الواجب عليهِ نحو رفات جدتهِ وعاد من البلاد الانكليزية اسرع الى جانب سريرها يمسح دموعها ويخفف آلامها وبقيت هي الى آخر ايامها تهتم بالمسائل العمومية وتبذل جهدها في ما يخفف آلام الناس ويزيل مضض الفقر والبأساء وتصبر على الآلام صبر الاشداء حتى لم يكن يُظن ان الداء يتغلب عليها قريباً . لكن نفذ سهم القضاء وفاضت روحها في الخامس من اوغسطس الماضي





باب تدبير المنزل

نزهة الاطفال

اذا كان الفصل صيفاً وجب الخروج بالطفل الى النزهة حالما يصير عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وفي القطر المصري يمكن الخروج بهِ ايضاً في الربيع والخريف وهو في هذا السن وفي الشتاء بعد الاسبوع الخامس او السادس . والطفل كالنبات يحتاج الى الهواء والنور لكي ينمو ويقوى ويحسن منظرهُ . فاذا حجزت النور والهواء النقي عن نبات ضعف وذبل وهكذا يضعف الاطفال ويذبلون اذا قاموا في بيوت رطبة مظلمة لا يتجدَّد هواؤها ولا تدخلها اشعَّة الشمس

ذكرت احدى السيدات المهتمات بتربية الاطفال ان طفلاً اريد حجبهُ عن الانظار لسبب من الاسباب فربي في غرفة مظلمة حيث لا يرى الشمس ولا يرى احداً الاَّ الذين

يطعمونهُ وكانوا يحسنون معاملتهُ من حيث طعامهُ وشرابهُ ولباسهُ لكنهُ نشأ ابله لا يدرك شيئًا . والنور الكثير لازم لبث البهجة والحبور في نفوس الاطفال ولا يعني بذلك ان يقيموا في الشمس حتى يصيبهم الصداع كلاً بل لا بدَّ من ان يوقوا من اشعتها ولا سيما في فصل الصيف وفي ايام الحر

ولا يجوز حمل الطفل منتصبًا قبلما يصير عمرهُ ستة اشهر على الاقل واما قبل ذلك فيحمل على اليدين مستلقيًا حتى كأنهُ نائم في سريره وينقل من يد الى اخرى لكي لا تتعب التي تحملهُ . ولا يجوز لها ان تضغط عليهِ كثيرًا وهي تضمهُ الى صدرها لان عظامهُ لينة فتتأثر من الضغط

" اعتنِ بالصحة ولا تبالِ بالحياة "

معربة بتصرف عن قصيدة انكليزية للسر الفرد بورَ

للجسم من دون امترا جلدانِ باد وآخرُ داخلَ الانسانِ
هذا ظهارتهُ وذاك بطانةٌ من داخلٍ في غاية الإتقانِ
وكلاهما عند الحقيقة واحدٌ فالاولُ البادي نظير الثاني
فالمنخران وداخل الفكّين والـ حلقوم حتى داخل الجثمانِ
هذي مبطَّنة بما يولي الورى عجبًا بحكمة خالق الاكوانِ
امَّا الغشاء الخارجيُّ فمفرزٌ عرقًا يسيلُ بفضلةِ الأبدانِ
والداخليُّ من الغذا يمتصُّ ما يعتاضُ فيهِ عن المبادرِ الفاني
لكنْ آفتهُ ومبعث منعهِ عن فعلهِ إدمانُ بنتِ الحانِ
والخارجيُّ يكفُّ عن إفرازهِ إن لم تطهِّرهُ من الادرانِ
فليحرصِ المرء اللبيب عليهما ما دام امرُ الحرص في الإمكانِ
فالخارجيُّ الماء والصابونُ في تنظيفهِ للكل مبذولانِ
والداخليُّ اذا جرى فيهِ سوى ماءٍ فانت عليهِ حقًّا جانِ
ايضًا عليهِ الاعتنا بثلاثةٍ ليكونَ طولَ العمرِ في اطمئنانِ
بطعامهِ وبمائهِ وهوائهِ هذي المهمة فيهِ للبنيانِ
اما الطعام فكلُّ سهلٍ هضمهُ وغذاؤهُ وافرٍ بلا نقصانِ

لكن عديم النضج منهُ وكل ما | هو فاسدٌ فأنبذهُ دون توانِ
والماء فاطلبهُ صحيحاً طاهراً | عذباً نقياً ساغ للعطشانِ
واذا اشتبهت بهِ تحاذر عرضهُ | من دون ترشيحٍ على ظمآنِ
الا فسخنهُ فما فيهِ من آل | شيء المضرِ يموتُ بالغليانِ
واحذر من استنشاقِ أنفاسِ الورى | فالسمُّ فيها ناقع وعياني
واجعل يخدعك الهواء على المدى | حرّاً طليقاً دائم الخطرانِ
هذي مبادئُ إن تلاحظ كلّها | لا خوف من وباٍ ولا حدثانِ
ولمن يراعيها على طول المدى | جلدانِ في طول البقا سيّانِ

اسعد داغر

اسهال الاطفال

من كتاب صحة الاطفال والاحداث للدكتور جريديني وهو تحت الطبع

النوع الثالث الاسهال البطيء ويقال له ايضاً اسهال الصيف يحدث من فساد اللبن في زمن الحرّ الشديد للاسباب التي سبق ذكرها في النوع الثاني من الاسهال . وقد يأتي على اثر الاسهال الحاد (كوليرا الاطفال) اذا عاد العليل الى التغذية من الثدي ولا سيما من زجاجة الرضاع قبل بلوغهِ تمام الشفاء

الاعراض — قيء ضعيف يشتدُّ على اثر الطعام والشراب وذرب قليل في اول هجوم العلة ثم يزيد ويخالطهُ مخاط كثير ومواد دهنية وفضلات من الطعام غير منهضمة . وفي اول الامر يكون الغائط اصفر اللون او اسمره ثم يتحول سريعاً الى اخضر او اصفر ضارب الى الخضرة . وفي اثناء العلة يتطبل البطن كثيراً وينسلخ الجلد حول المعقدة والفخذين ويكتسي اللسان فروة بيضاء وترتفع حرارة الجسم الى درجة ١٠٢ او ١٠٣ بميزان فهرنهيت . ويفقد العليل شهوة الطعام فيضعف ويهزل وبسبب الضعف الزايد تنحط قواه ويصاب بامراض الصدر والكليتين وهي كثيرة في الاسهال البطيء وعاقبتها الموت

ويمتاز الاسهال البطيء عن الاسهال الحاد (كولرا الاطفال) ببطء اعراضهِ واعتدال الحمى وخلو البراز من الماء الكثير وقد يلتبس بانسداد الامعاء فيتميز عنهُ بخلو القيء من المواد البرازية وفقد الزحير والالم الشديد

العلاج — يمنع العليل عن اللبن ويغذى بمرق اللحم وماء زلال البيض يتناولهُ في اوقات

معينة بينها نحو ثلاث ساعات او اربع ولا يعود الى التغذية باللبن ما لم ينقطع القيء تماماً ويرجع لون البراز الى اصلهِ. وفي اثناء ظهور الهجوم يحمم بالماء الفاتر مرةً في اليوم وتغسل مقعدتهُ بعد كل براز بالماء الصرف واذا كان العليل من سكان المدن الحارّة ينقل الى القرى والحقول في الجبال او السهول النقية الهواء والماء

ومما يفيد جداً شرب الماء مرشحاً او مطهّراً بغليانهِ على النار يسقى منهُ مراراً في اليوم كميات قليلة ويضاف اليهِ نحو نصف ملعقة صغيرة او اكثر من الكونياك او الوسكي فينبه القوى ويخفف الذرب . وفي بدء العلة يعطى مسهلاً من زيت الخروع لتنظيف امعائهِ من المواد الحريفة التي تسبب الاسهال وفي طور النقاهة وهو زمن زوال الاعراض يعطى زيت السمك لتقوية جسمهِ وقد لا تهضمهُ معدتهُ لضعفها فيفرك بهِ بدنهُ حتى يدخل الزيت الى الدم بواسطة مسام الجلد

النوع الرابع الاسهال الالتهابي وهو التهاب خفيف في الامعاء من اعراضهِ حمّى قليلة وقيء خفيف وبراز مخاطي مائع قليل الكمية وفي بعض الاحيان تلتبس اعراضهُ باعراض الاسهال البطيء فيصعب التمييز بينهما بدون مساعدة الطبيب

واذا اشتدت الاعراض فيقال للعلة عندئذٍ دوسنطاريا وفيها يكون البراز قليل الكمية كثير المخاط والدماء ومصحوباً بزحير يلاشي القوى فيشعر العليل في اثناء ذلك بشيء في المستقيم لم يدفع بعد

العلاج — يداوى هذا المرض على الطريقة التي سبق ذكرها في انواع الاسهال وعلى الام ان تحفظ للطبيب شيئاً من البراز حتى يسهل عليهِ تشخيص العلة



الوحام والاجنَّة

حضرة منشئ مجلة المقتطف الوضاء

قلتم في جواب المسئلة السابقة المدرجة في الجزء الرابع من السنة العشرين عن الوحام "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جداً ولكنَّ العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا

بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها فيما نعلم . ولكن ما يعرف من نواميس الطبيعة يرجح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالغ فيها "هذا ولم تظهروا قولاً وافياً يؤيد صحة ما ابديتموهُ ولا حجة دامغة تعزز ما زعمتموهُ بل قلتم (والحقيق منها يمكن ارجاعهُ الى علل أُخرى) فاي علل تقصدونها وقد اثبت لنا الكتاب ان الوحام قضية مسلمة بشاهد متين لم يقدر ان يقوضهُ علماء الازمنة الغابرة ولا يهدمهُ فطاحل فلاسفة العصور القشيبة التالية وهو انهُ لما اشترط يعقوب على خالهِ لابان ان يأخذ نظير ما يكابدهُ من التعب كل مخطط او ارقط او ابلق يولد من انعامهِ اخذ قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان واوقف القضبان التي قشرها في الاجران في مساقي الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب فتوحمت الغنم عند رؤية القضبان وولدت مخططات ورقطاً وبلقاً . فهذه رعاكم الله آي الكتاب بل تجربة نبي الله اظهرت لنا جلياً بان الوحام قضية مسلمة الثبوت لا تحتاج لاقامة ادلة بعض العلماء ودعوى لا تقبل فلسفة بعض المتفلسفين الذين طالما قلبوا الاوهام حقائق والحقائق اوهاماً

واخيراً اقترح على قراء المقتطف الافاضل خصوصاً من أُوتوا حكمة وفصل الخطاب ان يسرحوا الطرف ملياً في مسارح هذا الموضوع ويجولوا طرف ذكائهم في ميدانهِ حتى لا يحرمونا من فوائدهِ الجزيلة . وانا موقن ان اقتراحي هذا يلقى اذاناً صاغية ولا تذهب امنيتي ادراج الرياح

[المقتطف] ان ما ذكرناهُ منذ ست سنوات هو ما يقول بهِ جمهور العلماء الآن وما ثبت بالامتحان كما ترون من مقالة وجيزة نشرناها في اوائل هذا الجزء وهي من خطبة رئيس قسم علم الحيوان في مجمع ترقية العلوم البريطاني

اما حادثة يعقوب وخالهِ لابان التي تشيرون اليها فمفسرو التوراة مختلفون فيها وجمهورهم على ان ما ذكر فيها حدث باعجوبة الهية هذا ما صرَّح بهِ علماء البروتستانت في التفاسير التي عندنا وقال بهِ علماء الكاثوليك ايضاً على ما يظهر لنا فقد جاء في حواشي التوراة العربيَّة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ما نصهُ " انما كثرت غنم يعقوب المخططة كثرة خارقة العادة بتوفيق الله وقد صرَّح بذلك يعقوب نفسهُ اذ نسبهُ الى الله قائلاً لراحيل ولية فاخذ الله مال ابيكما واعطانيهِ"

ومع ذلك فامتحان هذا الامر سهل ميسور فعلى مَ لا تمتحنونهُ اذا كنتم راغبين في الوقوف على الحقيقة التي تقنعكم

مدرسة خيرية لبنانية

حضرة الدكتورين منشئي مجلة المقتطف الغراء

ان الاعتراف بجميل اهل الفضل والثناء عليهم امران واجبان على كل احد لان من لا يضن بالنفس والنفيس في سبيل النفع العام حريٌّ بالمدح والاكرام . وان كانت مجلاَّتنا الشرقية تنشر فضائل الفضلاء من اهل الغرب وتذكرهم بما هم اهل لهُ من المدح والثناء فاحرِ بها ان تذكر فضائل الفضلاء من اهل الشرق ولا تبخل عليهم بما يستحقونهُ من المدح والاطراء . ولما كانت مجلتكم الزاهرة ام المجلات العلمية ومنذ نشأتها للآن تنادي بوجوب التعليم وحث الاغنياء من اهل الشرق على الاخذ بناصر الفقير وتعليمهِ اقتداءً باهل الغرب اتيت اقصُّ عليكم ما اتاهُ حضرة الوجيه الفاضل بولس افندي عازر فانهُ انشأ مدرسة خيرية في غرزوز بلدتهِ يتعلم فيها الصبيان والبنات مجاناً وهو لا يكتفي يبذل المال على تعليمهم مجاناً وكساء المساكين منهم بل تراهُ ساهراً على راحتهم ويبذل الوسائل كلها لفائدتهم وفي كل مجلس يحث الوالدين على تعليم اولادهم ويبين لهم فوائد العلم ومضار الجهل

فعسى ارباب الثروة ان يقتدوا بهذا الرجل الفاضل وينفقوا من سعتهم على تعليم ابناء وطنهم والله لا يضيع اجر من احسن عملاً غرزوز بلبنان احد المشتركين



تاريخ الامير حيدر

يعلم ابناء سورية عموماً وابناء لبنان خصوصاً ان للامير حيدر الشهابي تاريخاً مطوَّلاً جمع فيهِ اخبار الايام من لدن ظهور الاسلام الى ان جاء الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان الى الديار المصرية . وكان هذا التاريخ يخط ويقرأهُ ابناء لبنان في الكتاتيب والمدارس اجزاء كانهُ من كتب التعليم حتى لقد استظهرنا كثيراً من فصولهِ وقصائدهِ منذ نعومة اظفارنا وكان اعتماد المؤلف في ذكر الحوادث التي قبل زمانهِ على كثيرين من جلة المؤرخين

كالطبري والمسعودي وابن العبري وابن سباط وتاريخ صاحب صور وتاريخ البيعة للعالم بارونيوس الذي نشأ في القرن السادس عشر ونشر تاريخهُ بين سنة ١٥٨٨ و ١٥٩٣ في اثني عشر مجلداً ثم نشر ثانية بين سنة ١٧٣٨ و ١٧٥٩ في ٣٦ مجلداً ولا ندري كيف اطَّلع عليهِ الامير حيدر وهو باللاتية . اما الحوادث التي حدثت في زمانهِ فاعتمد فيها على الخبر وعلى ما يسمَّى الآن بالمحررات الرسميَّة اي فرمانات التولية والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة فنقلها بالحرف الواحد

وقد رتب التاريخ حسب السنين فذكرها سنة سنة من السنة الاولى من الهجرة الى حوالي سنة ١٢٣٦ واكتفى اولاً بامهات الحوادث فشغل ثلثي الكتاب بحوادث ١٠٤٠ سنة من سني الهجرة والثلث الاخير بحوادث مئتي سنة . ويبتدئ الاسهاب من حين حكم الامير فخر الدين المعني سنة ٩٩٣ هجرية الى ان دارت الدائرة عليهِ وأُتي بهِ الى الاستانة وجُرِّع فيها غصص المنون سنة ١٦٣٣ بعد ان حكم البلاد نحو اربعين سنة فُصِّل تاريخها في نحو مئة صفحة . ويزيد هذا الاسهاب في تاريخ الامير بشير الكبير

وهو مثل غيرهِ من التواريخ العربية يقتصر اكثرهُ على ذكر الحروب والدسائس والمظالم وبعض الحوادث الطبيعيَّة كالزلازل والاوبئة والسيول والكسوف والخسوف وقليل من الامور الاجتماعية كمدائح الشعراء للملوك والرؤساء يقرأُهُ المرء من اولهِ الى آخرهِ فلا يعرف منهُ كيف كانت احوال المعيشة وطرق الاكتساب ودرجة المعارف الاَّ ما ذُكر منها عرضاً كأنهُ ليس تاريخ الامم بل تاريخ ملوكهم ورؤساءهم من حيث هم رجال حرب او سلم وعدل اوظلم لكنَّ حوادثهُ متسلسلة مرتبطة بعضها ببعض يطالعها المرء ساعة بعد ساعة ويوماً بعد آخر فلا يكلّ ولا يملّ فهو من هذا القبيل كتاب فكاهي كما انهُ كتاب تاريخي

وقد عني بتنقيحهِ وطبعهِ حضرة صديقنا الفاضل الاستاذ نعوم مغبغب بعد ان اضاف اليهِ كثيرًا من الحواشي والشروح واتمَّ تاريخ الامير بشير الشهابي الى حين وفاتهِ سنة ١٨٥١ فجاء الفاً واثنتين وخمسين صفحة كبيرة بقطع المقتطف وحرفهِ حاوية زبدة تواريخ البلاد الشرقية بنوع عام والديار الشامية والسورية بنوع خاص وجبل لبنان بنوع اخص يليق بكل مَن يهتم ببضاعة العلم والادب ان يقتني نسخةً منهُ . وهو يطلب من حضرة ملتزم طبعهِ ومن ادارة المقتطف ومن المكاتب الشهيرة في القاهرة وسنعود الى هذا التاريخ في الجزء التالي

سبائك التبر في احوال الجبر

بينا نرى كتب الحساب والجبر تطبع في هذا القطر موجزة مختصرة جرياً على ما تطلبهُ نظارة المعارف المصرية نرى هذه الكتب تطبع في سورية مطوَّلة مسهبة حتى لا تبقي حاجة في نفس الطالب . ومن ذلك كتاب نُشر حديثاً في علم الجبر والمقابلة ألَّفهُ حضرة الرياضي الفاضل جبران افندي يوسف لُبس ونشر منهُ الآن الجزء الاول وهو يبتدئ بمبادىء علم الجبر ويتدرَّج الى حل المسائل التي من الدرجة الاولى فيذكر كل ما يتعلق بها ويدخل تحتها من جمع وطرح وضرب وقسمة وترقية وتجذير . وهو واضح الحدود كثير الامثلة حتى ترسخ قواعدهُ في اذهان الطلبة . وحبذا لو جرى فيهِ دائماً على اصطلاح استاذنا الدكتور فان ديك فاننا حينا فتحناهُ لننظر فيهِ وقع نظرنا اولاً على مثال في قسمة الكميات المركبة ونحن نحسب ان المقسوم عليهِ يوضع الى يمين القارىء حيث تبتدئ الكميَّة المقسومة ويبتدأُ بطرح الحاصل وكدنا نحسب العمل خطاء لو لم ننتبه الى ان المقسوم عليهِ موضوع الى اليسار . كذلك لو وضع المعادلات البسيطة اي التي من الدرجة الاولى في اوائل الكتاب حيث يستطيع التلميذ فهمها وحلها لكان اقرب الى ترغيبهِ في هذا العلم فقد ثبت لنا بالاختبار مدة تعلُّم الجبر وتعليمهِ ان الشروع في حل المعادلات البسيطة واظهار مزية حلها بالجبر على حلها بالحساب هو اكبر مرغب للتلامذة في درس علم الجبر . وحرف الكتاب واضح جداً حتى دلائل القوات والجذور وطبعهُ متقن فعسى اساتذة المدارس ان يعتمدوا عليهِ في تعليم هذا العلم الجليل

تعليم قراءة الخطوط العربيَّة

للكتابة العربيَّة صور متعددة كما قال جامع هذا الكتاب تختلف باختلاف الاماكن والاصقاع فمنها الخط السوري والمصري والتركي والهمايوني والفارسي والمغربي وكلها لا تضرب على وتيرة واحدة بل منها ما تسهل قراءتهُ على صغار الطلبة ومنها ما تصعب قراءتهُ جداً حتى على الذين مارسوا قراءة الخط سنين كثيرة . وقد احسن حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت بجمعهِ كتاباً اودعهُ اشكالاً كثيرة من امثلة الخطوط العربية المختلفة فنثني على همتهِ ونحث ارباب المدارس على استعمال كتابهِ وهو رخيص جداً ثمنهُ ٦٠ سنتيماً اي نحو غرشين ونصف ويكون اقل من ذلك للمدارس

النتيجة السنويَّة والتعازي الروحانيَّة

وضع هذه النتيجة لسنة ١٦١٨ القبطية حضرة رزق الله افندي السيد البرماوي ووضع فيها لكل يوم من ايام السنة آيتين من الكتاب المقدَّس الواحدة تقابل الاخرى كقول صاحب الزبور الى متى يارب تحجب وجهك عني وقولهِ تعالى بلسان اشعيا حجبت وجهي عنك لحظةً وباحسان ابدي ارحمك . ويليق بكل مسيحي ان يقتني نسخةً منها

الفرائد الجمانيَّة

هو شرح للقصيدة الطنطرانية التي مطلعها

يا خليَّ البال قد بلبلتَ بالبلبال بال   بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال

وضعهُ حضرة الاديب محمد بن الحاج العربي العنابي الملقَّب بابي الليل . وقال في مقدمتهِ ان ناظم هذه القصيدة هو احمد الطنطراني من جهابذة المدرسة النظامية ببغداد مدح بها نظام الملك شمس الكفاة المتولي امور دار السلام وفتنتها" وحبذا لو توسع في هذه المقدمة فاسهب في الكلام على الناظم والمدرسة النظامية ونظام الملك

فتح المنان في علم تقويم البلدان

هو رسالة وجيزة تشتمل على ما يكفي تلامذة السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية تأليف حضرة الماجد محمد افندي ذهني وضعها على طريق السؤال والجواب واكثر ما فيها حدود يستظهرها الطالب

شهيدة الامانة

رواية ادبية غرامية مما وضعهُ شاتوبريان الكاتب الفرنسوي الشهير وقد عربها حضرة الاديب فرج افندي عبده واهداها الى حضرة الالمعي الفاضل امين بك غالي رئيس نيابة محكمة الاستئناف المختلطة . والرواية ادبية مفيدة اول شيء وقع نظرنا عليهِ منها كلام قالهُ كاهن شيخ جمع الديانة العملية كلها وهو قولهُ انهُ علَّم رعيتهُ " ان يحبوا بعضهم بعضاً وان يعبدوا الله وينتظروا حياةً افضل من هذه بعد الموت " وحبذا لو كثر نشر الروايات الادبية التقوية التي من هذا القبيل

باب المسائل

(١) ملك مصر في عهد ابرهيم

امبابه . اسكندر افندي نبيه . سألتكم مرةً في الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل فكان جوابكم "لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احيانًا الى اكثر من الف سنة" ولكن قد ابان صاحب عين شمس المجلَّة الاثرية في العدد الاخير من السنة الاولى ان انحدار ابرهيم الخليل الى الاقطار المصرية يحتمل ان يكون في زمن العائلة الثانية عشرة الطيبيَّة المصرية التي عمَّرت نحو سنة ٢٣٨٠ — ٢١٦٧ وفي عهد الملك القوي امنمهات الثالث الذي حفر بحيرة موريس فماذا تقولون

ج نقول كما قلنا اولاً "ان ذلك لا يعلم" وقول صاحب عين شمس لا يناقض قولنا لانهُ حيث وقع الاحتمال بطل الاستدلال فيحتمل ان يكون نزول ابرهيم الى مصر في زمن هذا الملك ويحتمل ان يكون في زمن غيرهِ . واسم ملك مصر يعرف إما من الكتاب المقدَّس او من الآثار المصرية او من مقابلة تواريخ السنين في الكتاب المقدَّس بتواريخ السنين في تاريخ مصر . اما الكتاب المقدَّس فلا يذكر فيهِ اسم ملك مصر بل يذكر لقبهُ الذي يلقَّب بهِ ملوك مصر في الكتاب المقدَّس وهو فرعون . واما الآثار المصرية فكل ما كشف منها الى الآن لا يُذكر فيهِ انحدار ابرهيم الى مصر . واما مقابلة التواريخ فلا تفيد شيئًا لانها على ما تقدَّم من الاختلاف سواءٌ كانت في التوراة او في التواريخ المصرية فالعائلة الثانية عشرة المصرية التي اشيرون اليها حكمت سنة ٣ ٣٧ قبل المسيح على حساب شمبوليون فيجياك وسنة ٢٣٨٠ على حساب لبسيوس . وسنة ٢٤٦٦ على حساب برغش وسنة ٢٨٥١ على حساب مريت . ولنفرض ان زمن ابرهيم الخليل معروف محدود وهو بحسب ما تعتمدهُ اكثر الكنائس البروتستانتية سنة ١٩٢٠ قبل المسيح فهل يمكن ان يطبق على ملك من ملوك هذه العائلة والاختلاف بين العلماء في زمنها يزيد على الف وثلثمئة سنة . ثم ان العائلة الثالثة عشرة التي جاءت بعد العائلة الثانية عشرة ابتدأت سنة ٢١٣٦ على حساب لبسيوس ومددهُ اقل المدد قدمية وعليهِ فزمن العائلة الثانية عشرة سابق لزمن ابرهيم الخليل . ولذلك كلهِ يبقى جوابنا الاول في محلهِ لا غبار عليهِ . واذا كشف في المستقبل اثر

مصري يثبت نزول ابرهيم الخليل الى مصر ويعرف منهُ زمن نزولهِ لا نتأخر عن ذكرهِ في المقتطف

(٣) غلاء الخزف الصيني

طرابلس الشام المسيو جواني كاتسفليس. يتفاخر البعض بالصيني القديم حتى صارت الكاس السوداء المذهبة منهُ تباع بمئة وخمسين فرنكاً فهل يستحق هذه الاسعار وما هي قدميتهُ واهميتهُ

ج ان قيمة المصنوعات هي ثمن موادها الاصلية واجرة العمال الذين يصنوعها وربا رأس المال الذي تعمل بهِ وربح التجار الذين يتجرون بها ونفقات النقل والخزن الخ . واذا كان صانع المصنوعات من اهل المهارة النادرة فيغالي اصحاب اليسار حينئذٍ باثمانها على حسب غناهم ورغبتهم في اقتنائها ونسبتها الى غيرها من مقتنياتهم حتى اذا قصد واحد منهم ان يجمع امثلة من مصنوعات صانع واحد او صنّاع امة من الامم فقد يبتاع النادر منها او ما يجدهُ تكملةً لما عندهُ باغلى الاثمان اذا لم يستطع ابتياعهُ بثمن ارخص منهُ . والخزف الصيني يستحق ثمناً غالياً لكثرة ما ينفق في إعداد طينهِ ونقشهِ ودهنهِ وشيهِ من الوقت والتعب . ثم اذا كانت رسومهُ متقنة اضيف الى ثمنهِ اجرة مهارة الصانع الماهر الذي صنعهُ واذا قدم عهدهُ قلَّت امثالهُ لكثرة ما يتكسر منها على طول الزمان ولكثرة انتشارهِ فتزيد المغالاة بهِ. وقد رأينا آنية صينية يباع الاناء منها بمئات من الجنيهات وآنية من صنع اوربا يباع الاناء منها بمثل ذلك او باكثر من ذلك وجانب من ثمنها اجرة صنّاعها والمهارة التي صُنعت بها والجانب الآخر مغالاة دعت اليها الندرة والرغبة . اما القدمية فمختلفة والصينيون صنعوا الخزف قبل المسيح بنحو الفي سنة ولا اهمية للآنية الصينيَّة الآن حيث جمعها للزينة والمباهاة

(٣) وراثة الالقاب

ومنهُ . اصطلح البعض على توجيه لقب بك الى اولاد البكوات واولاد اولادهم فهل تسمح نظامات الدولة بتوريث هذا اللقب كما هو جارٍ واذا بقي الحال على هذا المنوال فكم يكون عدد البكوات بعد نصف قرن

ج ان نظام الحكومة المصرية الذي نظنهُ منقولاً عن نظام الحكومة العثمانية يعطي لقب بك لابناء الباشوات اما ابناء ابنائهم فلا ينالونهُ بالارث ولذلك يبقى عددهم محصوراً

(٤) أكل الحيات

ومنهُ . هل يوجد نوع من الحيات لا يأكل غير تراب الارض فقط

ج كلاَّ والحيات من آكلات الحشرات ونحوها كالبيض والجبن

(٥) صورة الجنيه الانكليزي

بيروت الخواجه انيس خوري . نرى الدولة الانكليزية ترسم على الليرة صورة القديس جاورجيوس فما سبب ذلك

ج لان الانكليز يحسبون القديس جاورجيوس حامي انكلترا ويقال ان اول من قال بذلك الملك ريكاردوس المعروف بقلب الاسد فانهُ استعان بهذا القديس في الحروب الصليبيَّة فاعانهُ ثم جُعل حامياً للمملكة الانكليزية في عهد الملك ادوارد الثالث

(٦) تنظيف ريش النعام

ومنهُ . ما هي الطريقة الحسنة لتنظيف ريش النعام

ج تذاب اوقية من الصابون الابيض في رطل من الماء على النار وحينما يبرد الماء ويبقى فاترًا توضع الريشة فيهِ تمسك باليسرى يضغط عليها بسبابة اليد اليمنى وتسحب باليسرى والاصبع ضاغطة عليها ويكرَّر ذلك مرارًا كثيرة الى ان تنظف ثم تجاز في ماء نقي مرارًا ثم في ماء اذيب فيهِ قليل من النشا وازرق اللازورد وتوضع على خرقة من الشاش وتترك حتى تجف في الشمس وقبلما تجف كثيرًا تفرك بين الراحتين

(٧) تجعيد الريش

ومنهُ . وما هي طريقة تجعيدهِ

ج يمسك المجعد سكيناً غير ماضٍ ويضع ريشات الريشة واحدة واحدة بين ابهامهِ وحدّ السكين ويشد عليها ويسحبها من محل منذ غمها بالريشة الى اعلاها فتنعطف على نفسها ولا بد لهُ من ان يعطف الريشات كلها الى جهة واحدة

(٨) تنظيف الريش من العث

ومنهُ . ما الدواء لحفظهِ من العث

ج النفتالين يحفظهُ من العث واذا اريد حفظهُ من سنة الى أُخرى او من فصل الى آخر فاسهل طريقة لحفظهِ من العث ان يوضع في كيس من القطن يخاط جيدًا فلا يدخل فراش العث اليهِ

(٩) دليل البلدان

ومنهُ . نرى كثيرين من الاوربيين الذين يجولون في الممالك المحروسة بيدهم كتاب يستدلون منهُ على الطرق والاماكن فما اسمهُ واين يباع وهل هو مطبوع بالعربيَّة او بالانكليزية فقط

ج نظن انكم تشيرون الى كتب مري Murray او كتب بدكر Baedeker وهي كتب مسهبة تباع عند كل باعة الكتب الاوربيين في مصر والاسكندرية ونظن انها تباع ايضاً في المطبعة الاميركية في بيروت ولم تترجم الى العربيَّة

(١٠) اختلاف اللغات

ومنهُ . من المعلوم ان ابوينا الاولين كانا يتكلمان لغة واحدة وبقي نسلهما يتكلم لغتهما

الى ان تبلبلت الالسن فاختلفت لغات الناس قليلاً . وقد تعددت اللغات كثيرًا الآن حتى صارت تعدُّ بالالوف فما سبب ذلك

ج لو ذهبت قبيلتان تتكلمان لغةً واحدة الى جزيرتين بعيدتين احداهما عن الاخرى وسكنتاها ولم يعد نسل القبيلة الواحدة يتصل بنسل القبيلة الاخرى بوجه من الوجوه وبقيتا على ذلك الف سنة او اكثر لاختلفت اهل لغة الجزيرة الواحدة عن لغة اهل الجزيرة الاخرى ولو كانتا في الاصل لغة واحدة وذلك لان الناس يختلفون ولو قليلاً في تصوراتهم وتعبيراتهم ولفظهم فيجري اهالي الجزيرة الواحدة على طرق من اللفظ والتعبير لا يجري عليها اهالي الجزيرة الاخرى وعلى توالي السنين يزيد الفرق بينهم حتى لا يعود الفريق الواحد منهم يفهم كلام الفريق الآخر فتصير لهم لغتان مختلفتان وعلى هذا النمط اختلفت اللغات وتنوَّعت واختلفت اشكال النبات والحيوان وتنوَّعت ايضاً . ويحسن بكم ان تراجعوا الفصول التي كتبناها عن تولُّد اللغات ونموها في المجلد العاشر والحادي عشر من المقتطف

(١١) غسل المنسوجات الحريرية

ومنهُ بماذا تغسل الاقمشة الحريرية البيضاء حتى تبقى على لونها الاصلي بيضاء نقية

ج ان الغسل بالماء والصابون يبقيها بيضاء او يزيدها بياضاً ولكنهُ قد يزيل لمعانها

(١٢) اسم اسيوط

مصر . عبد المجيد افندي فهمي . ما معنى كلمة ليكوبوليس الذي كانت مدينة اسيوط تسمَّى بهِ

ج مدينة الذئاب وذلك لان انوبس الذي رأْسهُ يشبه رأْس الذئب او ابن اوى كان يعبَد فيها

(١٣) روايات ايبرس

مصر . بانوب افندي حنا ما هي روايات العلاَّمة جورج ايبرس التي لها علاقة بتاريخ مصر وما الذي ترجم منها الى العربيَّة

ج انشأ اولاً الاميرة المصرية سنة ١٨٦٤ وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت في في مطبعة المقتطف وقصة وردة سنة ١٨٧٧ وهي تترجم الآن وتطبع في المؤيد ولهُ روايات اخرى يظهر من اسم واحدة منها وهو سيرابيس انها مصرية او من عهد البطالسة ولكننا لم نقرأْ من رواياتهِ غير الروايتين الاوليين

(١٤) رواية تاريخ مصر

ومنهُ ما اسم احسن رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً

ج ما من رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً لان تاريخ مصر يمتد ستة آلاف سنة ولا يمكن ان يعيش المذكورون في رواية هذا الزمن المديد حتى تذكر معهم حوادث ازمنتهم . فان كنتم تطلبون معرفة

الحوادث التاريخية فاطلبوها في التواريخ لا في الروايات لان واضع الرواية التاريخية يقتصر على بعض الحوادث وقد يغير فيها ويبدل حتى تطابق غرضهُ

(١٥) علامة النسبة

الاسكندرية . احمد افندي كامل مراد . لا يخفى ان علامة النسبة في العربية ياء تلحق آخر الاسم فيقال مصري وشامي نسبةً الى مصر والشام ولكننا نرى اسماء كثيرة تنسب باضافة لفظة جي الى آخرها فيقال قهوجي وعربجي فما هي هذه النسبة

ج تركية جرى عليها المحدثون اخذاً عن الاتراك

(١٦) معنى خان

ومنهُ . ما معنى كلمة خان التي تلحق بآخر اسماء السلاطين ومن اي لغة هي

ج معناها ملك او امير وهي تترية او تركية الاصل

(١٧) الختان الطبيعي

ومنهُ . يولد بعض الاطفال مختونين ويقال ان الجان يختنهم حينما يختن امثالهُ فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ بل ان القلفة تكون قصيرة في بعض الاولاد من اصلها

(١٨) اعالة الفقراء

المنصورة . ابرهيم افندي زكي ألم يهتدِ الباحثون الى احسن طريقة لاعالة الفقراء الذين يكثر عددهم بكثرة الآلات التي يستغنى بها عنهم وبسبب غلاء المعيشة

ج ان الآلات تغني عن كثير من العمال ولكن العامل المجتهد يجد دائماً عملاً يعمل بهِ ويجد اناساً يفتشون عنهُ . والمعيشة ليست الآن اغلى مما كانت قبلاً . والخيرات كثيرة في الدنيا ويستطيع كل رجل ان يحصل منها ما يقوتهُ ويقوت ثلاثة او اربعة معهُ وانما سبب الفقر الكسل والاسراف . كنا ماشين مرة في احد شوارع لندن فرأينا رجلاً رث الثياب يمشي ووراءهُ امرأة تتوسل اليهِ وتبكي وهو يشتمها وينفر منها فنظرنا اليها وسألناها عن امرها فقالت لنا ان اطفالها جياع عراة وهذا زوجها يأخذ اجرتهُ ويسكر بها ولا يطعم اولادهُ . وهذه حال اكثر المساكين في المدن الاوربية يكتسبون ما يكفيهم ولكنهم ينفقونهُ على المسكر فاذا زال المسكر من الدنيا وعوقب الكسلان والمسرف معاقبة الجاني زال اكثر ما يرى فيها من الفقر والضنك

(١٩) جبل طارق

ومنهُ . اكان مضيق جبل طارق ارضاً يابسة وتغرتهُ المياه او هو من عمل الانسان

ج يظهر من المباحث الجيولوجية ان الجبل كان متصلاً ببر افريقية وبينهما فرجة او وادٍ باطنهُ اعلى من سطح البحر وحينئذٍ كانت اوربا متصلة بافريقية بهِ ثم هبط الجبل

نحو سبع قدم عن الحد الذي هو عليهِ الآن فصارت الفرجة بوغازًا يجري فيها الماءُ ثم ارتفع ثانية وانخفض بعد ذلك كما هو منخفض الآن والامواج تزيد الفرجة اتساعًا . ولعلَّ الفرق بين اتساعهِ الحالي واتساعهِ وقتما عبره العرب ناتج اكثرهُ عن خسوفهِ لا عن فعل البحر بهِ

(٣٠) آثار مصرية في غير مصر

ومنهُ . تكرر العثور على آثار مصرية في غير مصر وآخر ما قرأتهُ انهم عثروا على البعض منها في مشونالاند فبماذا يعلَّل ذلك

ج كان سكان مصر في العصور الغابرة اذا رحلوا الى بلاد يبقون على عاداتهم وعباداتهم فيحنطون موتاهم و يضعون في مدافنهم ما يضعونهُ فيها في القطر المصري وكان ملوكهم يصلون في غزواتهم الى اطراف السودان جنوبًا وبلاد ارمينية شمالاً ويبقون آثارهم فيها اما مشونالاند فالمظنون ان رجال سليمان الحكيم كانوا يذهبون في البحر الاحمر الى هناك لجلب الذهب فلا يبعد ان يكون المصريون قد سبقوهم اليها او لحقوهم وابقوا آثارهم فيها

(٣١) المشاهير والنوائب

ومنهُ . يكثر ان يصاب مشاهير الرجال واعاظمهم بنوائب الدهر في اخريات ايامهم فبماذا يعلَّل ذلك

ج لا نظن ان الامر كما تقولون ولا نعلم ان احدًا بحث عن ذلك فوجدهُ كما تقولون وطريقة البحث ان يُنظر في تاريخ مئة رجل من المشاهير من غير اختيار ومئة رجل من غير المشاهير من غير اختيار ايضًا فاذا ظهر ان اربعين او خمسين في المئة من الاولين اصيبوا بنوائب الدهر في اخريات ايامهم ولم يصب من الآخرين بها سوى عشرة او عشرين ترجح صدق حكمكم وحق البحث فيهِ

(٣٢) نفع الاجانب

ومنهُ . اذا كان اتيان عمل نافع من يد اجنبيَّة كانشاء السكك الحديدية يفيد الذين تنشأ عندهم من باب تسهيل المواصلات ولكنهُ يؤدي الى اضعاف نفوذهم ومحو استقلالهم فهل يفضل هذا النفع على ضياع الاستقلال

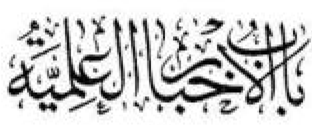
ج كلاَّ ولكن القوم الضعاف الذين يَدعون الغير بنشيءِ السكك في بلادهم و يضيع استقلالهم قلما يرجى ان يحتفظوا بهِ او يستفيدوا منهُ ومع ذلك فترك الناس يحكون جلدهم بظفرهم خير لهم من ان يجرّعوا وسائل العمران تجريعًا قبلما يصيرون اهلاً لورود مواردها

(٣٣) سوس الرمان

الخطاطبة . الخواجه حبيب جدي . عندنا كثير من شجر الرمان وقبلما يطيب

يدبُّ السوس فيهِ فيتلفهُ وقد جربت التبخير بالشيح والعظام وبراز البهائم فلم يأتِ بنتيجة واشار عليَّ البعض ان الفَّ كل كوز بقفة خوص صغيرة فسلم منهُ قسم صغير وتلف الباقي فهل من واسطة او دواء لمنع السوس

ج اللف بقفف الخوص خير واسطة لوقاية الرمان ويجب ان تشرعوا في ذلك قبلما يقع الفراش على الرمان ويبيض عليهِ وان تكون قفف الخوص محكمة العمل والربط حتى لا يبقى فيها ثقب واسع يدخل الفراش منهُ. وحبذا لو انتدبت الحكومة المصرية احد علماء الحشرات الى درس حشرات بلادها والاشارة بما يقي منها . اما السباخ الذي بعثتم الينا بهِ فلا سبيل لنا الى تحليلهِ ويحسن بكم ان ترسلوهُ الى المعمل الكيماوي وهو يحللهُ لكم باجرة معتدلة



المؤتمر الطبي المصري

أُنشيء مؤتمر طبي في القطر المصري انتظم فيهِ كثيرون من اطباء القطر الاجانب والوطنيين وأُعطيت رئاستهُ لسعادة الشيخ الجليل الدكتور اباتا باشا نزيل الديار المصرية منذ ٥٥ سنة فتنازل عنها للدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس مدرسة قصر العيني الطبيَّة . وسيعقد المؤتمر في اواخر سنة ١٩٠٢ من ١٠ الى ١٤ دسمبر في مدرسة قصر العيني وقد منحتهُ الحكومة المصرية خمس مئة جنيه واذنت لهُ في طبع مطبوعاتهِ كلها في المطبعة الاميرية على نفقتها . فعسى ان نرى من حضرات اعضائهِ ما يحقق آمال الناس فيهم فيفيدوا القطر المصري خاصةً والاقطار الشرقية عامةً بعلمهم وبحثهم

البحث عن مذهب كوخ

ان اللجنة التي عينتها الحكومة الانكليزية للبحث عن صحة مذهب كوخ او فسادهِ مؤلفة من السر ميخائيل فوستر الفسيولوجي والاستاذ وده البكتيريولوجي والاستاذ مارتن والاستاذ مكفديان والاستاذ بويس وسيكون بحثها في هذه الامور وهي اولاً هل سل البقر هو عين سل البشر ثانياً هل يعدى بهِ الانسان والحيوان الواحد من الآخر على حدٍّ سوى . ثالثاً اذا كان السل ينتقل من الحيوان الى الانسان فما هي الاحوال التي ينتقل فيها وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ وما هي الامور التي تضاد انتقالهُ اما نتيجة بحثها فلا تعلم الاَّ بعد سنة او سنتين في ما نظن

شهداء الحمّى الصفراء

لما ظهر ان البعوض ينقل الحمّى الصفراء الشديدة الفتك في البلاد الاميركية تبرع ثمانية رجال ليمتحن ذلك فيهم في هافانا عاصمة كوبا فعرَّضوا انفسهم للبعوض الذي امتصَّ ميكروب الحمّى الصفراء حتى لسعهم فمات ثلاثة منهم بهذه الحمّى الخبيثة ومرض ثلاثة بها ويرجى شفاؤهم وواحد لم تظهر فيهِ الحمّى قط وواحد لم يفت الوقت على ظهورها فيهِ حينما ورد الخبر على جريدة التيمس منذ شهر من الزمان فلم تبقَ شبهة في ان البعوض ينقل هذا المرض الخبيث ويطعِم الاصحاء بعدواه حينما يلسعهم

قرارات مؤتمر السل

اقرَّ اعضاء مؤتمر السل على امور كثيرة اهمها ما يأتي

(١) ان نفث المسلول هو اكبر واسطة لنقل عدوى السل من انسان الى انسان ولذلك يجب منع البصق في الاماكن العمومية واتلاف بصاق المسلولين واعطاء كل مسلول قنينة يبصق فيها ويضعها في جيبهِ

(٢) ان تنشأ مصاحّ في كل بلاد يمضي اليها المسلولون ويعالجون فيها

(٣) ان تنشأ ملاجئ لفقراء المسلولين يعالجون فيها على نفقة الحكومة

(٤) ان تبذل الهمَّة في نشر التعاليم التي يتعلمها الناس فيعرفون كيف يتّقى السل وكيف يُعالَج

امتحان مذهب كوخ

تبرَّع ثلاثة في شيكاغو باميركا ليمتحن فيهم ميكروب سل البقر لاثبات مذهب كوخ او لنقضهِ احدهم شاب عمرهُ ١٨ سنة والثاني كاتب في ديوان الصحة عمرهُ ٢٣ سنة والثالث من مستخدمي المعمل الطبي وعمرهُ ٣٣ سنة. وينتظر ان يعرض كثيرون انفسهم للامتحان حتى يظهر فعل ميكروب سل البقر في كل اسنان الناس وفي احوال مختلفة . وقد طُعِم هؤلاء الثلاثة في اذرعهم كما يطعَّم الانسان عادةً للوقاية من الجدري فاذا لم يظهر فيهم التدرُّن طُعِموا هم او غيرهم لامتحان فعل الميكروب بالامعاء والرئتين

مجمع ترقية العلوم البريطاني

اشرنا في هذا الجزء الى التئام مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو ونشرنا خطبة رئيسهِ الاستاذ ركر وجانباً من خطبة رئيس قسم علم الحيوان فيهِ . وقد بعث الينا ولدنا نجيب صروف وهو عضو في هذا المجمع بوصف مسهب لما رآهُ وسمعهُ فيهِ وسننشرهُ في الجزء التالي

مجمع ترقية العلوم الاميركي

اجتمع مجمع ترقية العلوم الاميركي اجتماعهُ الخمسين في مدينة دنفر بولاية كلورادو في

٢٤ اغسطس وخطب فيهِ الاستاذ وودورد خطبة الرئاسة وموضوعها تقدُّم العلم واكثرها فلسفي وادبي لكنهُ جاهر فيها باقوال لا بدَّ من ان يخالفهُ فيها كثيرون من فضلاء اميركا . قال انهُ من الواضح البيّن ان سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف وصحف الاخبار تنير الشعوب التي لا تزال في الظلام الدامس اكثر مما ينيرهم كل دعاة الاديان . وقد غالى في فائدة التجارة للامم النائية وفاتهُ ان هذه الامم تكاد تنقرض من فضل التجار الذين يأتونها بالاسلحة والمسكرات قبل كل بضاعة . وسنعود الى هذه الخطبة في فرصة أُخرى وننشر خلاصتها

بالون ديمون

صنع المسيو ديمون بالونًا جديدًا غير البالون الاول الذي دار بهِ حول برج ايفل وقصَّر عن الرجوع الى سان كلو في الوقت المحدد لنيل الجائزة . وطار بهذا البالون الجديد عساهُ ينال الجائزة فلم ينلها لان حبلاً من حبالهِ علق بشجرة فمنعهُ من السير . وقد صنع المستر ولِيم بيدل بالونًا فيهِ آلة بخارية قوتها ٢٨ حصانًا وهو عازم ان يباري بهِ المسيو ديمون لنيل الجائزة والمنتظر ان يتسابق الاثنان في اواخر اكتوبر

ضرر البعوض

ذهب الماجور روس مكتشف بعوض الحمَّى الملارية الى شاطئ الذهب في جنوبي افريقية للبحث عن الحميات الملارية وقد كتب منها يقول ان الدكتور تيلر نظف خمسة آلاف بيت في مدينة فريتون من كل الآنية التي يترك فيها الماء فيبيض فيهِ البعوض فكانت النتيجة ان قلَّ البعوض جدًّا . والبعوض المقصود هنا هو البعوض العادي الذي نراهُ في القطر المصري والشامي وهو ينقل عدوى الحمَّى الصفراء وعدوى داء الفيل ومن المحتمل ايضًا انهُ ينقل عدوى غيرهما من الامراض . قال الماجور روس وقد اهتمَّ الدكتور تيلر والدكتور بركلي بطمر كل المستنقعات الصغيرة التي يربو فيها بعوض الحمَّى الملارية حتى قلَّ هذا البعوض جدًّا وصار يتعذَّر الحصول على واحدة منهُ لاجل الامتحان العلمي . والذين يصابون بالحمَّى الملارية هناك هم الجانون على انفسهم لانهم كلهم يستطيعون اتقاءها

ضرر قناديل البتروليوم

ألَّف اثنان كتابًا انكليزيًا في زيت البترووليوم ذكرا فيهِ تاريخهُ واستخراجهُ وتنقيتهُ واستطردا الى ذكر الضرر الذي يحدث من اشتعال قناديل البترووليوم فقالا انهُ يموت في السنة ١٢٩ نفسًا من اشتعالها ويبلغ عدد المرات التي تستعمل فيها في هذه المدة ٤٠٠٠ مليون مرة . فاذا وجب ابطالها بسبب ما يقتل باشتعالها وجب ان لا تبنى البيوت الاَّ

طبقة واحدة لانهُ يقتل بالسقوط من سلالم ذات الطبقات ٥٥٠٠ نفس كل سنة

زبدة النارجيل

صنع معمل في مرسيليا الزبدة من جوز النارجيل فاذا هي انقى من زبدة البقر واجمد منها واشد بياضاً واصلح منها لعمل الكعك وغيرهِ من انواع الحلوى وارخص كثيراً من زبدة البقر

الوندسو المغذي

في اواسط افريقية نبات اسمهُ الوندسو من فصيلة القطاني لهُ ثمر كالبندق ينضج تحت الارض فيهِ دقيق ابيض اذا سلق اشبه طعمهُ طعم الكستنا المسلوقة وقد حُلل تحليلاً كيماوياً فوجد فيهِ ٥٨ في المئة من النشا و١٩ في المئة من المواد النيتروجينية و١٠ في المئة من الماء و٦ في المئة من الزيت و٤ في المئة من السلولوس و٣ من الرماد ويقال انهُ الثمر الوحيد الذي فيهِ كل ما يحتاج اليهِ جسم الانسان من الغذاء فيستطيع ان يعيش عليهِ فقط

حديث مع الماجور اوستن

سار الماجور اوستن من ام درمان في اواخر السنة الماضية بحملة من الجنود السودانية والجهادية لتخطيط الاراضي الواقعة على تخوم السودان والحبشة شمالي بحيرة رودلف وقد استصحب معهُ اثنين من الانكليز احدهما الدكتور جارنر اخو الدكتور جارنر من موظفي مصلحة الصحة العمومية والآخر الماجور بربط اولهما للسهر على صحة الحملة وثانيهما للارصاد الجوية ومساعدة الماجور اوستن في تخطيط الاراضي . وكان الاتفاق بينهُ وبين حكومة السودان على ان توافيهُ بالزاد الى مكانٍ معين . فضلَّ المكان ولما جاءَت القافلة اليهِ بالزاد لم تجد لهُ فيهِ اثراً ولا سمعت عنهُ خبراً وانقطعت اخبارهُ وارسلت حكومة السودان الرسل الكثيرين يستقصون آثارهُ ويسأَلون عنهُ فلم يظفروا بخبر عنهُ حتى وصل الى مكان يقال لهُ بارنجو في بلاد اوغندة فارسلت الحكومة الانكليزية في اوغندة تنبئ بوصولهِ اليها

وقد وصل هو ورفيقاهُ ومن بقي سالماً من رجال حملتهم الى هذه العاصمة يوم السبت في ٢٨ سبتمبر فقابلناهُ وهو شاب في الثالثة والثلاثين من عمرهِ ولكنهُ اشمط السالفين مما مرَّ بهِ من العبر والاهوال في سفرة تقلب فيها بين مخالب المنون الايام الطوال وقد سأَلناهُ عما اتم في سفرتهِ هذه فاجابنا انهُ كان قد خطط الاراضي التي بين ام درمان والناصر في السنة الماضية فخطط في هذه السنة الاراضي التي بين الناصر ومركز مرلي الواقع على نهر اومو شمالي بحيرة رودلف : فرسم في هاتين السنتين خرائط الاراضي الواقعة بين ام درمان والدرجة الخامسة والدقيقة الحادية عشرة من العرض الشمالي وبين الدرجة ٣٣ والدرجة ٣٦

من الطول الشرقي ووجد في تلك الجهات اراضي فسيحة تصلح للزراعة وباقيها صحاري مجدبة او آكام وهضاب صخرية ومنها جبل يزيد ارتفاع قمته اكثر من سبعة آلاف قدم عن سطح البحر شمالي بحيرة رودلف يراه الناظر من ابعاد شاسعة . وكان اجتيازهم تلك الجهات في فصل الشتاء فثارت عليهم انواء وعواصف شديدة واصابتهم ديم مدرار ومطروا امطارًا غزيرة كانت سيولها تجتمع انهرًا وتجري الى بحيرة رودلف سريعًا فتجف حالاً او تمتصها الرمال فينضب ماؤها في اوقات قصيرة ولكن هناك نهرًا كبيرًا كثير الماء يصب في تلك البحيرة اسمهُ اومو وهو اشهر انهار هاتيك الاقطار

ورأوا في طريقهم وحوشًا كثيرة اصطادوا منها عددًا يذكر وحملوا جلودها وغيرها مسافة طويلة ثم لما نفد منهم الزاد وخارت القوى القوها في الطريق مع سائر امتعتهم ولم يأتوا بشيءٍ منها غير الخرائط ورأوا في مسيرهم نوعين من الايائل يظن الماجور اوستن انهُ لم يسبق لعلماء الحيوان علم بهما وقد رصد الماجور بريط رفيقهُ حرارة الهواء فكان اعلى درجات الحرارة ٤١ ٢/١ واوطأُها ٣٠ بميزان سنتكراد

ولما انتهى من وصف جغرافية الاراضي التي خططها سأَلناهُ عن اهلها فقال انهم اقوام من أحط اهل الارض خلقًا ومن اشدهم توحشًا يعتقدون بوجود خالق الكائنات لكنهم عبدة اوثان او بشر بلا اديان . وهم قبائل شتى اعظمها واقواها واغناها قبيلة التركانة المنتشرة على ساحل بحيرة رودلف الغربي وساحلها الجنوبي وكلها عشائر رُحل تقتني الابل والحمير والغنم والمعزى وتنتقل بانعامها من مكان الى مكان في طلب الكلاءِ وتقتات بلحومها ولحم الحمير من جملتها ولا يكاد يكون عندها حبوب ولا قطاني ولا مأْكل غير لحم المواشي وليس فيها من يلبس لباسًا او يستر عورة فترى رجالها ونساءها كبارها وصغارها عراة الاجسام من قمة رأسهم الى اخمص قدمهم كما خلقوا من بطون امهاتهم . ولا يبنون منازل ولا يضربون مضارب ولكنهم يتقون الرياح والامطار بمظال ينشرونها لتردها عنهم وسلاحهم الحراب والقسي والنبال ولا وجود للاسلحة النارية عندهم

فقلنا وكيف كان شأنهم معكم عند مروركم في بلادهم

قال انهم عاملونا معاملة الدّ الاعداء فقد اخذنا معنا ثمانية احمال من الخرز واحمالاً كثيرة من الاسلاك الحديدية والنحاسيَّة وغيرها مما نقايض بهِ قبائل السودان وتعدهُ اثمن من الذهب والحجارة الكريمة فابوا مقايضتنا وامتنعوا عن اعطائنا ما نقتات بهِ في بلادهم وتعقبونا في مسيرنا ورصدوا لنا في حركاتنا وسكناتنا واغتالوا كل من ظفروا بهِ

منفرداً منا طعناً بحرابهم فقتلوا مرة ثلاثة من رجالنا وهجموا علينا مرة بعد نصف الليل بساعة في ٥ مايو يريدون اغتيالنا في محلتنا ونحن نيام فسمع خفراؤنا صياحهم وزغردتهم وقابلوهم برصاص البنادق فردوهم على اعقابهم مدحورين قبل ان يدخلوا محلتنا فكفانا الله شرَّهم وبقينا شهراً من الزمان نخترق بلادهم فاغتالوا فيهِ تسعة من رجالنا طعناً بحرابهم

وقد قابلتنا القبائل الاخرى بالعدوان كقبيلة التركانة فلم نستطع ان نحصل منها على طعام ولا سيما لان البلاد اجدبت من قلة الامطار واشتداد القيظ في العام الماضي فاشتدَّ علينا الجوع بعد نفاد زادنا ولذلك ولشدة ما قاسينا من العطش في جوب المفاوز واجتياز البلاد التي ماؤُها كريه لا يشرب وما عانينا من مشاق السفر مشياً على الاقدام ضعفت منا الابدان وخارت القوى فمات معظم رجالي ضعفاً وخوراً . فاني اخذت معي من ام درمان اثنين وثلثين جهادياً فماتوا كلهم ما عدا اثنين رجعا معي الى هنا وكذلك مات نصف من استصحبت معي من العساكر السودانية . ونفد منا كل زاد وطعام قبل ان نصل الى اوغنده بشهرين ونصف فقضينا هذه الايام كلها ونحن نذبح جمالنا وحميرنا التي تحمل امتعتنا ونأْكلها لنعيش بلحمها . واصابني من جراء ذلك مرض شخصهُ الاطباء بنوع من الاسكربوط فاضناني وذهب بعافيتي

وقد عدت الآن الى صحتي ولكنني لم استرجع بعدُ قوتي على ان رجالي من العساكر السودانية والجهادية كانوا يحتملون ذلك كلهُ بالصبر الجميل فلم ارَ منهم تمرداً وسط اشد الشدائد ولا عصياناً للاوامر ولا شقاً لعصا الطاعة

فقلنا وهل مرَّ احد من البيض في تلك الجهات قبلكم . قال اننا قطعنا الطريق التي مرَّ بها الدكتور دونلد سميث قادماً من الجنوب الى الشمال في السنة الماضية وكذلك قطعنا الطريق التي مرَّ بها الكبتن ولبي قبل سنتين ولما جئنا نهراً يقال لهُ سكي على الضفة الشمالية من بحيرة رودلف رأَينا منديلاً على شجيرة هناك فاستغربنا وجود هذا الاثر من آثار التمدن بها فرفعناهُ عن الشجيرة فاذا الحرف ب الافرنجي قد طرز على طرف منهُ فعلمنا انهُ اول حرف من اسم الرحالة الايطالي بوتيجو الذي راد تلك الجهات سنة ١٨٩٧ فاضاع منديلهُ على الشجرة حيث بقي تلك السنين

فقلنا اما رأَيتم احداً من الاحباش في تلك الاقطار قال اننا لم نرَ احداً منهم ولا عثرنا على اثر لهم . فقلنا انهم يدَّعون ان تلك البلاد لهم على ما نسمع فكيف يدَّعونها وهم لا يعرفون شيئاً عنها قال لا بل يعرفونها وقد رسمت الآن خريطتها وبقي ان حكومة السودان والحبشة تتفقان على تعيين التخوم الفاصلة بينهما فيها

فقلنا وهل سلمتم تلك الخريطة الى

الحكومة السودانية قال اني تركت خريطة مجملة في نظارة الحربية وانا عازم على السفر مع رفيق الى انكلترا يوم الاثنين المقبل وهناك اطبع خارتة مفصلة مطولة وارسلها اليها

زرافة بخمسة قرون

للزرافة عادة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما . وقد اكتشف السرهري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءها . والخمسة خاصة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط

مزج ابدان الافاعي

اتي الاستاذ دكسن الاميركي بافعى من ذوات الاجراس وطوّق عنقها بطوق من الحديد ليأمن لسعها وقطع ذنبها واتى بصل وقطع ذنبهُ ووصلهُ بيدن الافعي مكان ذنبها وخاطهُ به فعاشت بذنب غير ذنبها وبقي السم يفرز من انيابها كما كان اولاً

الياف الخوص

عُرف خوص النخل في هذه البلاد منذ الوف من السنين وضفرت منهُ القفف واستخرجت الالياف ولكننا لم نسمع قبلاً ان احداً حاول ان يستخرج منهُ اليافاً دقيقة تنسج كالقطن والكتان . اما الآن فقرأنا ان بعضهم استخرج من سعوف النخل اليافاً دقيقة متينة وذلك بان تنقع السعوف في مذوّب الصودا الكاوي حتى يصير استخراج الالياف منها سهلاً ثم توضع في الماء اربعاً وعشرين ساعة وتعالج بزيت النارجيل والقلفونة اجزاء متساوية وتوضع في الحامض الكبريتيك والماء واخيراً تغسل الالياف جيداً بماء نقي حتى تنظف فتكون بيضاء . ويصلح هذا العمل للخوص كما يصلح للسعوف

اكبر الجوّالات

صنع الانكليز جوّالة سموها لوياثان اكبر من الجوّالات التي صنعتها حكومة يابان وكانت اكبر جوّالات الدول الحربيَّة . وطول الجوّالة الانكليزية خمس مئة قدم وتفريغها ١٤١٦٠ طناً وآلاتها البخارية قوتها ٣٠٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٣ ميلاً بحرياً في الساعة وهي مدرعة بدرع اثقل من درع كل جوّالة أُخرى غيرها

تخريب الغوّاصات

لم تكد تثبت فائدة الغوّاصات واستطاعتها على الفتك بالبوارج الكبيرة حتى استنبط الانكليز واسطة لتخريبها فانهم اوصلوا عموداً طويلاً طولهُ ٤٢ قدماً بقارب من قوارب التربيد وساروا به الى حيث اغرقوا برميلاً كبيراً بدل غواصة الى ان صار طرف

العمود فوق البرميل فطرحوا منهُ طربيلاً فيهِ ٣٢ رطلاً من قطن البارود حتى اذا دنا من البرميل اشعل ما فيهِ بالكهربائية فانفجر انفجاراً هائلاً مزق البرميل ويقال انهُ لو كانت هناك غوَّاصة لمزقها تمزيقاً

شجاعة الاطباء ومذهب كوخ

حالما اشتهر ما قالهُ الدكتور كوخ من ان سل البقر لا يعدي البشر كتب اليهِ الدكتور غارنول من باريس يعرض عليهِ نفسهُ ليمتحن ذلك فيهِ وقال في كتابهِ ان عمرهُ ٤١ سنة وثقلهُ ١٠٠ كيلوغرام وصحتهُ جيدة جدًّا ولا اولاد لهُ ولا عجب اذا ضحَّى رجال العلم انفسهم في سبيل العلم فان اناساً احط منهم مقاماً واقل علماً وتهذيباً لا يحجمون عن تضحية انفسهم في ميادين القتال لاغراض لا تقابل باغراض رجال العلم . قال مكاتب اللانست الباريزي انهُ اذا بقي الدكتور غارنول هذا سليمًا بعد الامتحان قال المخالفون لكوخ ان جسمهُ لا يقبل داء السل . واذا أُصيب بهِ قال الموافقون انهُ أُصيب بالسل بطريقة اخرى

الدكتور كلمت ولسع الافعى

ان الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافاعي ومدير مستشفى باستور في ليل كان يستخرج سم افعى من الافاعي الخبيثة فوقعت منهُ الكلاَّبة التي يمسك بها رأس الافعى في قفصها حينما استخرج السم منها فلسعتهُ في يدهِ اليمنى لسعاً بالغاً . وسمُّ هذه الافعى سريع الفعل شديد الفتك اما هو فبادر وحقن نفسهُ بالترياق الذي استنبطهُ اي المصل المضاد لسم الافاعي . وورمت يدهُ واصابتهُ الحمى ولكن الترياق فعل فعلهُ وضادَّ فعل السم فعادت الحمى وانخفضت في النهار نفسهِ وشفي من السم في اليوم التالي فاثبت فعل هذا الترياق في نفسهِ ولو على غير قصد منهُ

السفن الفرنسوية الغوَّاصة

اذا اتمت فرنسا ما اقرَّت على عملهِ من السفن الغوَّاصة صار عندها سنة ١٩٠٦ ثمان وستون غوَّاصة . وقد شرعت في انشاء عشرين سفينة منها هذه السنة يتم منها ثلاث في السنة التالية وسبع عشرة في السنة التي بعدها

كلَّة للمسافرين

اثبت الاستاذ كرمودي في احدى الجرائد الطبية رسمًا لكلَّة (ناموسية) يستخدمها المسافرون في المنطقة الحارة ليتقوا بها لدغ البعوض وهي معلقة اوتعلَّق عند الحاجة بالمظلة الشمسية) التي لا بدَّ منها هناك لكل مسافر فيتقي بهذه حرَّ الشمس نهارًا وبتلك لدغ البعوض ليلاً

آثار بلاد الماشونا

عاد الدكتور كارل بيترس بعد سفرٍ طويلٍ قطع فيهِ بلاد زامبسي الى نهر صابي وقد اكتشف كثيراً من العاديات والآثار القديمة في جوار بلاد الماشونا فمن ذلك قطعة من المصنوعات المصرية يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة قبل المسيح ومنها ايضاً ثلث وثلثون قطعة من النقود النحاسية وست قطع من النقود الفضية . وحجران عليها كتابة قديمة . ويرجى ان ترسل بعثة علمية لاجل زيادة البحث والاستطلاع

سكة كهربائية

تألفت شركة فرنسوية بلجيكية برئاسة ملك البلجيك لمد خط كهربائي تسير عليهِ قطر الركاب والبضائع الخفيفة بين باريس وبروكسل وبين بروكسل وانتورب وينتظران تقطع المسافة بين باريس وبروكسل في ساعةٍ ونصف وبين بروكسل وانتورب في عشر دقائق

الفاكهة بدل المسكرات

في كل انواع الفاكهة كثير من الماء ففي البطيخ ٩٥ في المائة وفي العنب ٨٠ في المئة وفي البرتقال ٨٦ في المئة وفي الليمون الحلو ٩٠ في المئة وفي الخوخ (الدراقن) ٨٨ في المئة وفي التفاح ٨٢ في المئة وفي الكمثرى (الاجاص) ٨٤ في المئة . فلا فاكهة الأ وفيها ثمانون في المئة ماء على الاقل ولذلك فهي تروي العطشان وتقوم مقام الماء . والذين يكثرون من اكل الفاكهة يقلون من شرب الماء . ولما كان عصار الفاكهة سليماً من كل انواع الميكروبات فوق ما فيهِ من الاملاح والحوامض المفيدة للصحة فهو خير من الماء من كل وجه . ولا يقتصر نفعهُ على ذلك بل ان الذين يكثرون من اكل الفاكهة يستغنون بها عن شرب المسكرات على انواعها فيستعيضون بالسليم عن المؤذي وبالنافع عن الضار . ولو بذل علماء الارض جهدهم ليصنعوا شراباً يطفئ العطش وقت الحر ويبرد الجسم وينعشهُ وهو مما يلذ طعمهُ ايضاً ما وجدوا شراباً افضل من عصار الفاكهة . وقد يعطش الانسان في يوم شديد الحر فيشرب كوبة بعد اخرى من الماء ولا يروي عطشهُ بل يطلب المزيد واما اذا اكل فاكهة كثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال فانهُ يرتوي وينتعش ويستغني عن الماء

سكك الحديد والحكومة

يشيع قوم ان في نية الحكومة المصرية ان تبيع سكة الحديد لشركة اجنبية فان فعلت ذلك تكون قد خالفت الخطة التي تتبعها دول اوربا الآن وهي ابتياع سكك الحديد من الشركات التي انشأتها . فقد سبقت

الى ذلك حكومة بروسيا وجارتها فيهِ كل الولايات الالمانية والحكومات الاوربية .وكان في روسيا سنة ١٨٨٢ اربعة عشر الف ميل من سكك الحديد ولم يكن للحكومة منها سوى اربعين ميلاً فصار فيها الآن ٢٤٣٠٠ ميل ثلثاها للحكومة يضاف اليها السكك الكبيرة التي مدتها في اسيا .وكل السكك في السرب ورومانيا للحكومة وثلثا سكك الدنمارك للحكومة وكل سكك بلجكا لحكومتها وكذلك كل سكك ايطاليا لحكومتها

ميكروب جديد في الدوسنطاريا

قال الدكتور لساج من مستشفى باستور انهُ اكتشف ميكروباً جديداً في دم المصابين بالدوسنطاريا . والمصابون بها كانوا آتين من الصين والهند الصينية وبلاد الجزائر . ويكثر هذا الميكروب في دمهم اذا اشتدَّت الدوسنطاريا ويقل اذا خفَّت فاذا لم يكن سبباً لها فلهُ علاقة شديدة بها وشكلهُ كمثري كبالون علِّقت بهِ مركبتهُ

القطن المصري

كنا نسمع ان بعض الناس يجنون ثمانية قناطير او تسعة من الفدان الواحد فنظنهُ ضرباً من المبالغة الى ان اتانا المستر فودين سكرتير الجمعية الزراعية المصرية ودعانا لمشاهدة القطن الذي زرعهُ في اراضي المدرسة الزراعية وكان قد جمع الجمعة الاولى منهُ فبلغ متوسطها من كل فدان نحو ستة قناطير ورأينا القطن واللوز عليهِ كثير جدًّا كأنهُ لم يجنَ منهُ شيء وهو يقدّر انهُ سيجمع منهُ ستة قناطير اخرى من كل فدان على الاقل . والقناطير هي القناطير المصرية الكبيرة المستعملة في الوجه البحري . وغاية ما استعملهُ لهذه الاطيان انهُ سمد القطن بسماد كيماوي بلغ ثمنهُ نحو جنيه لكل فدان . ومتى اتم جمع قطنهِ وحلجهُ كتب عنهُ تقريراً مسهباً فننشرهُ افادة لارباب الزراعة

وقد شاهدنا القطن في اماكن مختلفة في شهر سبتمبر الماضي في الوجه البحري والوجه القبلي ولا شبهة في انهُ اجود مما كان في العام الماضي ولكنهُ ليس اجود مما كان في العام الذي قبلهُ ولا يماثلهُ ولا نظن ان موسم هذا العام يزيد على ستة ملايين قنطار وقد لا يبلغها

اثمن آلات التصوير

صنع معمل انكليزي آلة تصوير شمسي لسلطان مراكش ثمنها الفان ومئة جنيه وهي صغيرة لا تفرق اجزاؤُها الجوهرية عن اجزاء آلات التصوير العادية ولكن معدنها الذهب ففيها منهُ ١٥٠ اوقية وقد زاد ثقلها بهِ فبلغ ١٣ رطلاً والثقل العادي لما كان من جرمها

ارطال ويقال ان سلطان مراكش من الغواة في صناعة التصوير الشمسي

الكلاب والمقانق

ثبت لرجال الحفظ في مدينة لندن ان بعض صانعي المقانق فيها يصنعونها من لحم الكلاب والقطط وقد قبض على الذين يفعلون ذلك في العام الماضي وغرّموا غرامةً شديدة لكن ذلك لم يثنهم عن عملهم لانهم يربحون ربحاً وافراً من هذه الحرفة وتقول جريدة اللانست الطبيّة ان عمل المقانق من لحم الكلاب والقطط شائع في اماكن كثيرة في البلاد الانكليزية وصنّاعها يعالجونهُ بالبهارات الكثيرة حتى يخفي طعمهُ ويلونونهُ ايضاً حتى يروق منظرهُ لعين الرائي . فهل يفعل صانعو المقانق في مصر ما يفعلهُ اخوانهم في البلاد الانكليزية مسألة يترك حلها لرجال الصحَّة

ماء الشرب

دخلنا بالامس بلداً صغيراً من بلدان الفلاحين ورأينا النساء يستقين من ترعة مارة فيه وفي الترعة فوق المستقى رمةُ حيوان مات بمرض المواشي المنتشر الآن في بعض انحاء القطر . ثم رأينا اهل البلد يشربون هذا الماء من غير ترشيح ولمَّا لمناهم على ذلك اخذوا سبيل الدفاع كما هي عادتهم ولكننا اصررنا على لومهم وابنَّا لهم مضار شرب هذا الماء ولا سيما بعد طرح رمةُ الحيوان المريض فيهِ فاقتنعوا ووعدونا بابعاد الرمة وطمرها بالتراب . ولو كان الفقهاء المنتشرون في كل بلدان هذا القطر يدرسون مبادئ حفظ الصحة ويرشدون الناس الى اتقاء المضار لزاد نفعهم اضعاف الاضعاف

مدرسة قصر العيني الطبيَّة

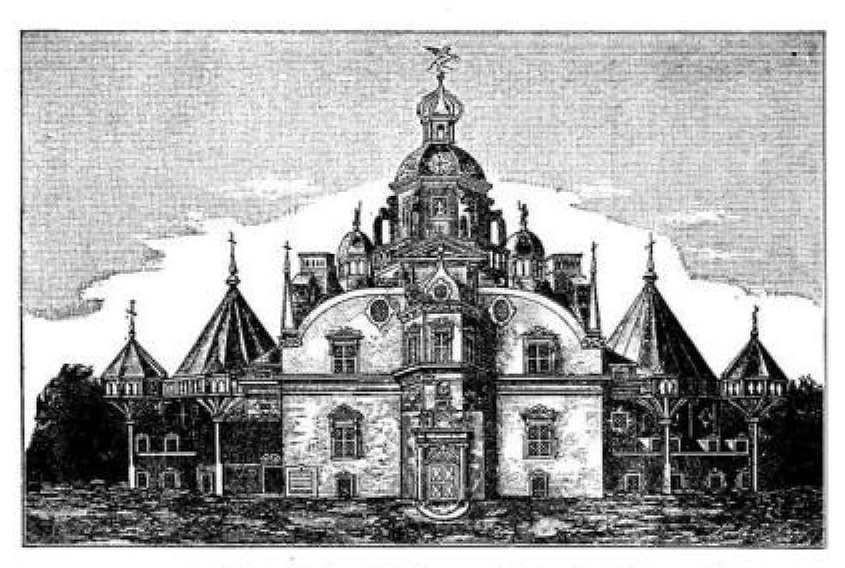
لقد زاد إقبال الطلبة على مدرسة قصر العيني الطبيَّة فجاءها هذه السنة اربعة وعشرون تلميذاً طالبين الانتظام فيها . والظاهر انها مترددة في قبولهم لانها لا تستطيع ان تقبل مجاناً الاَّ عدداً محدوداً من الطلبة . وحبذا لو جرت نظارة المعارف على خطَّة تجري عليها بلدان كثيرة حيث لا يكون التعليم مجانياً وهي ان تبيح للعشرين او الثلاثين الأوَّل من نائلي الشهادة الثانوية دخول المدارس العليا كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق مجاناً على نفقتها فان هؤُلاء قد يصيرون من اعظم رجالها ولو كانوا من افقر الناس فلا يكون من مصلحتها حرمانهم من التعليم لفقر والديهم

الطاعون

لا يزال الطاعون في القطر المصري لكنهُ خفيف الوطأة جداً يصاب بهِ اثنان او ثلاثة في الاسبوع ولا يبعد ان يمحي اثرهُ في اواسط هذا الشهر



تيخو براهي الفلكي



الاورانيبرج (اي برج السماء) مرصد تيخو براهي

فهرس الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين


المقتطف

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد السادس والعشرين

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ رجب سنة ١٣١٩

تيخو براهي

لعلم الفلك الشأن الاكبر عند علماء هذا العصر لا لأنَّ نفعهُ يفوق نفع غيره من العلوم بل لانهُ يبحث عمَّا يدهش العقل عن اجرام السماء واقدارها التي تفوق التصوُّر وابعادها التي تعجز عن ادراكها العقول وموادها التي يشبه اكثرها مواد الارض ويُثبت ذلك كلَّهُ بادلة رياضية وطبيعية مبنية على الاوليات والمشاهدات لا يشك فيها مَن لا يشكُّ ان الاثنين والاثنين اربعة وان في نور الشمس سبعة الوان

وقد ذكرنا في الجزء الماضي نبذةً من تاريخ علم الفلك في الكلام على مراصد الافلاك اشرنا فيها الى رجل من ارباب هذا العلم لهُ الشأن الاكبر عند اهلهِ وهو تيخو براهي الاسوجي المولد الدنماركي الدار. وقد احتفل علماء الفلك في الرابع والعشرين من شهر اكتوبر بمرور اربع مئة سنة من وفاتهِ فلا بدَّ من ان تصدر المجلات العلمية الآن وفيها كلام كثير عنهُ فرأينا ان نجري مجراها ونفتتح هذا الجزء بطرف من ترجمتهِ فنقول

ولد بيلد ندسترب جنوبي اسوج في الرابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٤٦ من بيت عريق في المجد ودرس اللاتينية وعمرهُ سبع سنوات وتوفي ابوهُ وعمرهُ ١٣ سنة فارسلهُ عمهُ الى مدرسة كوبنهاغن الجامعة ليدرس الفلسفة والبيان . وكسفت الشمس في ٢١ اغسطس سنة ١٥٦٠ في الساعة والدقيقة اللتين دلت عليهما التقاويم الفلكية فوقع ذلك في نفسهِ موقعاً عظيماً وحسب ان علم الفلك من العلوم الالهية وكان قد ابتاع بعض التقاويم فجعل يدرس فيها حتى عرف شيئاً عن مواقع السيَّارات

وبعث بهِ عمهُ الى مدرسة ليبسك ليدرس علم الحقوق لكن كان علم الفلك قد علق لبهُ

لجعل يدرس من علم الحقوق ما يرضي استاذهُ ويقضي بقية يومهِ في درس علم الفلك ورصد النجوم . وابتاع كرة فلكية صغيرة قدر الليمونة وجعل يطبق ابعاد النجوم كما يراها بعينهِ على ما هو مذكور عنها في الزيج الالفونسي والزيج البروسي فوجد خطأً فيهما . وتوفي عمهُ حينئذٍ وترك لهُ ابعدية في الدنمارك فترك المدرسة وعاد اليها . ولكن ما رآهُ هناك من الجهل المتسلط على الناس حملهُ على تركها والرجوع الى المانيا . وتبارز معهُ رجل دنماركي هناك فقطع جانب من انفهِ لكنهُ اصلحهُ بقطعة من الشمع والذهب والفضة الصقها مكان الجزء المقطوع

وبقي يرصد النجوم ويبحث في علم الفلك وعزم على الاقامة في بلاد سويسرا فاشفق فردرك الثاني ملك الدنمارك ان تخسر بلادهُ رجلاً مثلهُ فدعاهُ اليهِ ووهبهُ جزيرة هيون لكي ينشئ فيها مرصداً فلكيّاً من اعظم المراصد وقطع لهُ الفي ريال في السنة ومنحهُ وظيفة اخرى دخلها الف ريال في السنة فبنى هذا المرصد واطلق عليهِ اسم الاورانيبرج اي برج السماء ووضع فيهِ اكبر آلات الرصد وادقها

واقام في هذا المرصد عشرين سنة يرصد الافلاك من غير انقطاع . وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة ٤٥ وزيجات شمسية على غاية الدقة واصلح الزيجات القمرية . واثبت ان فلك ذوات الاذناب وراء فلك القمر وعين مواقع ٧٧٧ نجماً من الثوابت بالدقة ولذلك فزيجهُ ادق من زيج هبرخس وزيج اولغ بك . وابقى لمن جاء بعدهُ من علماء الفلك ارصاداً كثيرة للسيارات استخدمها تلميذهُ كبلر في اثبات نظام كوبرنيكوس

وزارهُ الملك جمس الاول ملك الانكليز في هذا المرصد لما ذهب الى الدنمارك للاقتران بالاميرة حنَّة واهدى اليهِ كثيراً من الهدايا ونظم اشعاراً في مدحهِ

والظاهر ان اهل عصرهِ عظموا شأنهُ لا لانهم كانوا يقدرون علم الفلك قدرهُ بل لان التنجيم كان جزءًا كبيراً من علم الفلك وكانوا يهتمون بالطوالع لمعرفة السعد والنحس لكن تعظيم الناس لهُ لم يحمهِ من حسد الحسَّاد فلما مات حاميهِ فردرك الثاني ضعف شأنهُ كثيراً وأُبطل الراتب والمال المقطوعان لهُ فاضطرَّ ان يترك المرصد لانهُ لم يعد يستطيع ان يقوم بنفقاتهِ وعاد الى كوبنهاغن ببعض الآلات الفلكية وجعل يرصد الافلاك بها في بيتهِ الى ان امرهُ الملك بابطال الرصد فترك كوبنهاغن ولجأ الى روستك في دوقية مكلنبرج بالمانيا . ثم وفد على امبراطور المانيا في مدينة براغ فاكرم وفادتهُ واعطاهُ قصراً فاخراً ليرصد الافلاك فيهِ الى ان يبني لهُ مرصداً خاصاً وقطع لهُ ثلاثة آلاف ريال في السنة لكنهُ لم يتمتع بهذا الانعام طويلاً فتوفي في الرابع والعشرين من اكتوبر سنة ١٦٠١ وهو في الخامسة والخمسين من عمرهِ



الامير عبد الرحمن خان امير افغانستان

عبد الرحمن خان

اذا ذُكر القوّاد العظام الذين جمعوا شمل القبائل وانشأُوا منها الممالك وتركوها عزيزة الجانب فالامير عبد الرحمن المتوفى الى رحمة مولاهُ واحد منهم وسيذكرهُ الافغان بالخير ما تعاقب الملوان

وهو بكر الامير محمد افضل وحفيد الامير دوست محمد وابن اخ الامير شير علي امير افغانستان السابق . لما توفي الامير دوست محمد سنة ١٨٦٣ اوصى بالامارة بعدهُ لابنهِ شير علي مع ان الامير محمد افضل اكبر منهُ سناً واوصى ابنيهِ محمد افضل وعظيماً ان يطيعا اخاهما ويقيما على ولائهِ . وكان الامير عبد الرحمن يشغل منصباً في تركستان فابقي فيهِ . ولم يكن نجيباً في حداثتهِ . قال مرة للورد كورزن حاكم الهند الآن انهُ بلغ العشرين قبلما تعلم القراءة . وكتب في تاريخ حياتهِ يقول " كنت احاول النهار كلهُ ان اقرأ واكتب فلا استطيع لخمول ذهني ولاني كنت مولعاً بركوب الخيل والصيد "

وتزوج ابنة خان بدخشان وهو في تركستان وصار لهُ شأن كبير عند الازبك سكان تلك البلاد . وخرج ابوهُ وعمهُ على اخيهما شير علي فوازرهما بالجند وكان لهُ اليد الطولى في خلع عمهِ فتولى ابوهُ الامير محمد افضل مكانهُ ولجأ شير علي وابنهُ يعقوب الى هرات

وتوفي الامير محمد افضل وخلفهُ اخوهُ الامير عظيم فلم يقع توليهِ موقعاً حسناً لدى قبائل الافغان ولم يستتب لهُ الامر حتى عاد شير علي وابنهُ يعقوب بجيش ضخم وطرداهُ ومعهُ ابن اخيهِ الامير عبد الرحمن . وتوفي الامير عظيم في الفقر ولجأ عبد الرحمن الى بخارى ثم الى سمرقند واستتبَّ الامر لشير علي من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٨ لكنهُ مالأ الروس حينئذٍ ورحب بسفارة مرسلة اليهِ من روسيا فطلبت انكلترا منهُ ان يقبل سفارة انكليزية مثلها في كابول عاصمتهِ فابى ونشبت الحرب بينهُ وبين الانكليز فتغلبوا على جلال اباد وقندهار فهرب من كابول الى تركستان وتوفي في مزار الشريف في اواخر فبراير سنة ١٨٧٩ ونودي بابنهِ يعقوب خان اميراً على افغانستان . وأُمضيت شروط الصلح بينهُ وبين الانكليز في ٢٦ مايو تلك السنة على ان تقيم انكلترا نائباً لها في كابول وتحمي الافغان من اعتداء الاجانب عليهم وتدفع راتباً سنوياً لاميرهم لكن جند الامير ثار بعد قليل وقتل نائب انكلترا ورجالهُ فانفذ اللورد روبرتس بستة آلاف مقاتل للاقتصاص منهم ففتح كابول عنوةً وتنازل يعقوب خان حينئذٍ واحتمى بالانكليز وقام ايوب خان اخوهُ الاصغر ونادى بالجهاد ضد الانكليز واثخن في جنودهم فاستعان الانكليز بعبد الرحمن عليهِ ومزقوا شملهُ ونصبوا عبد الرحمن اميراً على الافغان وتركوهُ

ليخضع البلاد بسيفهِ وذراعهِ ولم يساعدوهُ الاَّ بقليل من الاسلحة والميرة

وكان القائد محمد جان قائماً بدعوة موسى خان بن يعقوب الاصغر وكذلك كانت قبائل غلجائي الشديدة الحول والطول غير راضية عن الامير عبد الرحمن ولم يكن في البلاد كلها قبيلة يثق بها لكن السعد خدمهُ فقبض على محمد جان ووضعهُ في سجن لم يخرج منهُ واوقع بباقي خصومهِ الواحد بعد الآخر حتى افنام وتعقب قبائل غلجائي حتى بدَّد شملها والجأها الى الطاعة . وعاد ايوب خان ولم شعثهُ وحاول اخذ قندهار سنة ١٨٨١ وفاز اولاً ببعض الفوز لكن عبد الرحمن قهرهُ اخيراً واستولى على هراة فهرب ايوب خان الى ايران ونقل منها الى الهند وبالاستيلاء على هراة استتبَّ النصر للامير عبد الرحمن على بلاد الافغان كلها ولكن الانكليز لم يؤيدوا سلطتهُ فيها الاَّ لما تمَّ النصر للروس على التركمان شرقي بحر قزبين وخيف من سيرهم على مرو فرأوا حينئذٍ ان لا بدَّ لهم من شد ازرهِ ليبقى حاجزاً حصيناً بينهم وبين الروس فقطعوا لهُ راتباً يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه في الشهر ثم جعلوهُ خمسة عشر الف جنيه في الشهر فاشتد بهم ازرهُ وجعل ينفق هذا المال في ابتياع الاسلحة وبنى دور صنعة في بلادهِ لعملها

واستولى الروس على مرو سنة ١٨٨٤ فصاروا على حدود الافغان ورأى الامير عبد الرحمن انهُ لا ينجيهِ منهم الاَّ الانكليز فلجأَ اليهم لتعيين الحدود بين بلادهِ وبلاد الروس . وكان حريصاً على تعيين الحدود بين بلادهِ والبلدان المجاورة لها حتى لا يعتدي احد عليهِ ممن هم اقوى منهُ اما القبائل الضعيفة المجاورة لهُ فلم يرَ حيفاً في ضم بلادها الى بلادهِ . ويظهر حرصهُ على بلادهِ من انهُ منع الشركات التجارية والصناعية من دخولها لان ما جرى في بلاد الهند علَّمهُ ان هذه الشركات تدعو الى مشاكل وراءها السيف والمدفع . وهو مصيب في هذا المنع ولو كرههُ الاوربيون . وخيرٌ للامم الشرقية ان تتعلم اساليب الصناعة والتجارة بنفسها ولو تدرَّجت اليها تدرُّجاً بطيئاً جدًّا من ان تتعلمها بسرعة من امم تفقدها استقلالها . ولهذا السبب عينهِ كان يمنع الاوربيين من السياحة في بلادهِ الاَّ اذا كانوا من ذوي الشأن الذين يستطيعون ان يأخذوا الحرَّاس معهم ويحامي الاهالي جانبهم لرفعة شأنهم . واما عامة السياح فلا يبيح لهم ان يضربوا في بلادهِ مخافة ان يحلَّ بهم مكروهٌ فيكونوا عليهِ كناقة البسوس

وزار بلاد الهند في عهد لورد دفرن وقوبل باحتفال عظيم ووقف في الوليمة التي اولمت لهُ واستلَّ سيفهُ وخطب خطبة وجيزة وقال انهُ يحارب كل اعداء الدولة البريطانية بذلك السيف وكان ذلك امام لورد دفرن ودوق كنوت ابن ملكة الانكليز وكثيرين من امراء الهند وقواد الجيش

وسنة ١٨٨٨ خرج عليهِ ابن عمهِ اسحق خان وكان قد ولاهُ تركستان ورأى منهُ ما رابهُ

ودعاهُ اليهِ الى كابول مرارًا فلم يلبِّ الدعوة مخافة ان يحلّ بهِ ما حلّ بغيرهِ واخيرًا عيل صبر الامير عبد الرحمن فجيش جيشًا لمحاربتهِ فلقي اسحق خان هذا الجيش واثخن فيهِ وسوّلت لهُ نفسهُ الهجوم على كابول فالتقاهُ الامير عبد الرحمن بنفسهِ بجيش اضخم من الاول ونكّل بهِ تنكيلاً ففرّ بشرذمة من رجالهِ ولجأ الى الروس في سمرقند

وظلّ الامير عبد الرحمن سائرًا الى ان بلغ تركستان واقام فيها سنتين حتى اصلح امورها وترك مقاليد الاحكام في كابول بيد ابنهِ حبيب الله قرّنهُ على سياسة البلاد

وعاد الى كابول سنة ١٨٩٠ وجرى من الافعال في جهات شترال ما جعل الانكليز يوجسون شرًّا فدعوهُ الى بلاد الهند على ان يذهب لورد روبرتس بعد ذلك الى بلادهِ فلم يلبِّ دعوتهم ولا قبل بذهاب لورد روبرتس الى بلادهِ . وبعد جدال طويل في هذا الشأن قبل ان يزورهُ السر مورتمار دورند واستقبلهُ استقبالاً حافلاً جدًّا وحلّ معهُ كثيرًا من المشاكل

ومنحتهُ ملكة الانكليز نشان الحمَّام من الطبقة الاولى ويقال انهُ عزم حينئذٍ على ان يزور انكلترا و يشكر لها بنفسهِ ثم عدل عن ذلك وبعث ابنهُ نصر الله خان وغرضهُ ان يقنع الحكومة الانكليزية بان يكون لهُ سفير في لندن ينظر في امور بلادهِ حتى لا تبقى علاقتهُ ببلاد الهند بل تصير مع لندن رأسًا فلم تجبهُ الحكومة الانكليزية الى ذلك . وقد غاظهُ هذا الامر كثيرًا واشار اليهِ في تاريخ حياتهِ بمرارة لكنهُ بقي على ولائهِ للانكليز واثبت ذلك بالفعل وقتما ثارت قبائل شترال عليهم

وقد انفق الاموال التي قطعتها لهُ الدولة الانكليزية في تعبئة الجنود وتدريبهم على الفنون الحربيَّة وتجهيزهم باحدث البنادق والمدافع وعاش بالاقتصاد حتى يقوي جيشهُ حفظاً لبلادهِ من غارات الاعداء لكنهُ بقي حتى ادركتهُ الوفاة يحسب ان سلامة بلادهِ قائمة ايضاً بمصادقتها للدولة الانكليزية و بث ذلك في نفس ابنهِ ولي عهدهِ كما يظهر من وصيتهِ التي اوصاهُ بها

لكن الجند لا يكون سياجاً للمملكة ما لم يكن فيها رجال اكفاء ولا تستتب الراحة لاهلها ولا ينعم عيشهم الاَّ اذا توفَّرت لهم المصالح وقد كان الامير عبد الرحمن يعلم ذلك فلم يكتفِ بانشاء معامل المدافع والبنادق بل مهَّد السكك ونشط اسباب الزراعة والصناعة ونشر راية الامن في البلاد كلها دانيها وقاصيها فكانهُ استعمل جنودهُ لارهاب اهل البغي والفساد الذين لم يألفوا غير الحرب والغارات حتى ان البلاد القاصية التي لم ترَ جنودهُ ولا خضعت لامير قبلهُ خشيت بأسهُ وخلدت الى السكينة

وقد ساعدهُ على ذلك خلق مغروس في نفسهِ وهو خلق التنظيم والتدبير فانهُ جعل لكل

يوم ولكل ساعةٍ عملاً خاصاً وكان من اكثر الرجال شغلاً واشدهم نشاطاً بل كان هو الوزير لكل الوزارات وكان طويل القامة كبير العضل جبَّاراً من الجبارة اسود العينين جميل الطلعة آري الملامح يدَّعي انهُ من نسل الاسكندر المكدوني وليس ذلك بمستبعد لان اليونان والآريين من اصل واحد . والظاهر انهُ ترفه بعض الترفُّه بعد ان بلغ سن الكهولة فمال الى السمن واعتراهُ النقرس واشتدَّت وطأتهُ عليهِ حتى قطع الاطباء الرجاء من سلامتهِ منذ بضع سنوات . وعلم ان اجلهُ قريب فدرَّب ابنهُ حبيب الله على تولي شؤُون البلاد حتى اذا حضرتهُ الوفاة اغمض جفنيهِ مطمئناً على بلادهِ وملكهِ . وكتب لهُ وصيَّة مسهبة من خير ما اوصى بهِ الملوك ابناءهم والحكماء تلامذتهم وقد تناقلتها الصحف منذ مدة فرأينا ان نثبتها هنا كما رأيناها في كتاب تحفة البيان

" ولدي العزيز — لا يخفى عليك انني سلمت لك زمام الحكومة في مدة حياتي وان هذا العمل بلا شك مخالفٌ لنظام الحكومات ومعاملات الدول الاوربية في الغرب والسلاطين في الشرق . ولكن غرضي من ذلك هو ان اعلمك كيف تحكم وكيف تفعل لكي تكون على بصيرة وحكمة حينما يصل اليك الملك وترقى على عرش هذه الدولة . ولي في ذلك ايضاً غرض آخر وهو ان يعرف مقامك رؤَساء القبائل الافغانية فيخشوا بأسك ويخضعوا لرأيك

والآن اريد ان القي على مسامعك بعض كلمات في قالب النصيحة واعتقد انك اذا سرت على خطتها تأمن على سلامة بلادك ولا ترتكب خطأ في حكومتك يؤَدي الى ضياع نفوذك وهذه نصيحتي اليك

(١) يجب عليك يا بنيَّ ان تتمسك بمبادىء دينك الشريف فتجعل لهُ المقام الاول وتنظر الى الواجبات الخاصة بهِ قبل نظرك الى اشغالك وسياستك وبعبارة أُخرى يجب عليك ان تكون قدوة حسنة في التقى والتدين لكل افراد رعيتك

(٢) يجب عليك ايضاً ان توجه عنايتك الى سعادة أُمتك وراحة رعيتك وتوطيد دعائم السلام والسكون في ارجاء بلادك . ولتعلم ان نجاح البلاد وفلاحها متوقفان على الثروة وان الثروة والنفوذ لا يُدركان بغير وسائط الزراعة والتجارة والصناعة وان هذه الوسائل تحتاج في ترقيتها وانجاحها الى التعليم والتربية العمومية

ان امتنا يا بنيَّ لا تزال في الدرجة الاولى من درجات المدنية ولم يوجه أفرادها أنظارهم الى تحصيل العلوم وتربية الافكار . ولقد كانت أماني القلبية موجهة الى تشييد المدارس وارسال انوار العرفان الى سائر الاقطار الافغانية على طريقة المدارس ودور الفنون الموجودة

في البلاد الغربية . ولكن مثل هذه الغاية لا تُدرك بمجرد الارادة ولا تحقق في زمنٍ قليل لانها تحتاج الى النمو والترقية التدريجية وحينئذٍ يلزمك ان توجه عنايتك التامة الى هذه النقطة المهمة وان تعتقد ان من أقدس الواجبات عليك هو ان تبحث في نفوس رعيتك ميلاً الى التربية والتعليم

(٣) حيث انك ستستلم زمام الاحكام بيديك وتكون انت افضل الرجال في هذه الديار واسماهم عقلاً واكبرهم فكرًا واعلاهم مقاماً فتحسن معاملة أتباعك ومن تحت حكمك . عامل رعيتك باللطف والمحبة الابوية ليعتقدوا اعتقاداً ثابتاً في شفقتك عليهم وحرصك على سعادتهم وراحتهم اذ هذا العمل يزيد في محبتهم لك ويجعلك أسمى مكانة في اعينهم . ولكن لا يجب ان تعامل الاجانب بمثل هذه المعاملة الابوية لانها تزيد في جسارتهم ووقاحتهم

(٤) يجب عليك ان تقدر اعمال رجالك ولا تنسَ فضل الفضلاء منهم فتكافئهم لان ذلك يقوّي عزائمهم وينشطهم على خدمتك بالدقة والاخلاص والاستقامة

(٥) لتكن بعيدًا عن المحاباة والمجاملة في انصاف المظلوم من الظالم ومعاقبة المجرم على جريمتهِ ولو كان المذنب ولدك وفلذة كبدك واعرف انك بذلك تسترق القلوب وتستعبدها

(٦) لا تمكن الاجانب من فرصة ينالون بها حقاً من الحقوق او نفوذاً كيف كان لانك ان ملكتهم قليلاً من الفرصة فانك تمهد لهم الطريق الى خراب مملكتك وضياع بلادك

(٧) حيث ان الحكومة الانكليزية بقيت معي الى هذا العهد مسالمة مصافية فكن معها كما كنت انا . ولكن على اي حال ضع نصب عينيك سلامة افغانستان واستقلالها

(٨) ليكن من اول الواجبات التي تكلف نفسك بها حماية مصالح رعاياك في كل حال من الاحوال

(٩) اما ما يختص بالمسائل السياسية فيجب عليك ان لا تركن فيها الى وزرائك واعوانك بل يجب عليك ان توجه اهتمامك لكل شيء صغيرًا كان او كبيرًا بنفسك

(١٠) واما ما يتعلق بالمسائل الحربية فاعلم انهُ يلزمك ان تكون قواتك الحربية على قدم الاستعداد كأنما تريد ان تزحف بها في الغد الى ساحة القتال لمحاربة دولة اقوى منك جاشاً واكثر منك عدداً وعدداً . واعلم يا بنيّ ان الايام علمتنا دروساً يجب ان نستفيد منها فقد عرفنا ان من اول الضروريات ان يكون الجيش دائماً على اهبة الاستعداد التام . ثم لا تنسَ زيادة الآلات والذخائر الحربية في زمن السلم لانهُ كما لا يخفى عليك من الصعب ان تزوّد جيشك بما يكفيهِ من المؤونة والذخائر والآلات في زمن الحرب

(١١) يجب على الملوك ان يجتهدوا في جذب قلوب الجند وازدياد محبتهم لهم . فاجعل جنودك سعداء مستريحين فيحبوك ولا يتأخروا الى الوراء في ساعة يفيدك فيها ان يضحوا حياتهم حبًّا فيك وحرصاً على سلامتك . واعلم ان الجنود يبيعون ارواحهم الغالية بمرتبات قليلة تعطى دائماً في مواعيدها واذا لم تسر معهم على هذه الخطة فانهم يضنون في ساعة شدة ان يبيعوك ارواحهم بثمن اغلى قيمة واسمى

(١٢) يجب ان تعلم يا بنيّ ان بيت مال الحكومة هو ملك الامة وليس مقام السلطان او الامير تجاهه الاّ مقام الحارس الامين على ما فيهِ . فاذا ابتدأ الحاكم ينفق المال المودع عنده على مصالحه ومطالبهِ الخصوصية فانهُ يكون خائناً لمن ولّوه الامانة وسلّموه القيادة واعتقدوا فيهِ الاستقامة . ومن المقرر المعلوم ان الخائن لا قيمة لهُ في اعين الامة مطلقاً وانهُ مبغض عند الله وعند الناس اجمعين . ويجب ان يكون بيت المال دائماً ممتلئاً لان ضعف الحكومة يظهر في قلة مالها اكثر من ظهورهِ في شيءٍ آخر . كذلك يلزمك ان تدقق في ضروب المصروفات والايرادات وكل ما يزيد يضم على بيت المال بالتوالي ويجب عليك ان تعمل كل ما في امكانك من الوسائل لزيادة ثروة بيت المال لكي تتمكن من انجاز الاعمال التي تريد انجازها سواء كانت سياسية او حربية او تجارية او صناعية او تعليمية في الاوقات المناسبة لها لان الزمن يا بنيّ يحتاج الى كل هذه الاعمال والسير على هذا النهج القويم لكي تعيش آمناً مطمئناً قوياً عزيز الجانب "

وهذه الوصية مرآة تظهر فيها صورة هذا الامير الكريم ومبلغ حكمتهِ وحنكتهِ ودستور يليق بملوك المشرق ان يتخذوا احكامهُ نبراساً لهم في سياسة بلدانهم

وفي الاسبوع الثالث من شهر سبتمبر الماضي اصيب بشلل في الشق الايمن وفي الثامن والعشرين منهُ شعر بدنو الاجل فدعا اليهِ اهل بيتهِ وكبار رجالهِ فلما مثلوا بين يديهِ خاطبهم بصوت ضعيف لكنهُ واضح جليّ قائلاً

" اذا شاخ الملك وتولاهُ الهرم وادركهُ الاجل عين من يخلفهُ على عرشهِ فأريد تعيين من يخلفني منذ الآن . فانظروا فيما بينكم من ترونهُ اهلاً لذلك واخبروني بهِ "

فاجابوهُ وعيونهم مغرورقة بالدموع انهم يريدون حبيب الله الذي مارس سياسة الامارة وتضلع منها مدة ثماني سنوات . فاوعز حينئذٍ الى حبيب الله ان يتقلد سيفهُ وحمائلهُ المرصعة بالحجارة الكريمة واعطاهُ سجلاً كبيراً يتضمن وصيتهُ واموراً تتعلق بادارة شؤون الامارة . ثم امر باقي بنيهِ ان يعترفوا بالامارة لاخيهم الاكبر وانصرف الجميع من حضرتهِ . وما لبث بعد هذا ان انتابهُ النزع وفاضت روحهُ الى رحمة ربهِ في غرة اكتوبر لكن خبر وفاتهِ لم يعلن الاّ في ٣ منهُ

حبيب الله امير الافغان



فينا معاشرُ لم يبنوا لقومهم وان بنى قومهم ما افسدوا عادوا
لا يُرشَدون ولم يرعوا لمرشدهم والجهل منهم معاً والغيُّ ميعادُ

كما قال الافوه الازدي . وفينا مَن يقول ما قالهُ ابو مسلم صاحب الدولة

ادركتُ بالحزم والكتمان ما عجزتْ عنهُ ملوك بني مروان اذ جهدوا

هذا شأن ملوك المشرق في هذه الايام بعد ان احتكت ركابهم بركاب اهل المغرب بعضهم ركب متن الغواية فضيَّع ملك آبائهِ واجدادهِ وبعضهم استرشد العقل وتنطَّق الحزم فبنى لنفسهِ وامتهِ ملكاً عزيز الجانب مغدق الخير . اعتبر ذلك ببعض ملوك الهند وملك اليابان وبعض امرائها وامير الافغان

وقد تقدَّم وصف امير الافغان المنتقل الى رحمة مولاهُ وما امتاز بهِ من الحزم وعلو الهمَّة

والسعي في مصلحة الرعية . ولقد كان من اول اغراضهِ ان يرشّح احد ابنائهِ للقيام باعباء الملك من بعدهِ فرشّح لذلك بكرهُ حبيب الله وكتب في هذا الصدد يقول " ان كل اهل بيتي وكل اهل بلادي يعرفون ان ابني الاكبر حبيب الله هو المرشح للملك من بعدي" . وقد تمَّ ذلك الآن وتربع الامير حبيب الله على عرش الامارة وهو في عنفوان الشباب لا يتجاوز عمرهُ الثلثين عاماً ولهُ المام بسياسة البلاد وادارة شؤُونها . وقد رُشّح لذلك في عهد ابيهِ فتولى مقاطعات كبيرة وناب عنهُ في الامارة . فاذا لم يستطع النهوض بالحمل الثقيل الذي الَقي الآن على عاتقهِ لم يكن ذلك من قلة معرفتهِ ولا من عدم خبرتهِ

وما يعرف عن حبيب الله مستمَدٌّ اكثرهُ مما كتبهُ ابوهُ عنهُ في تاريخ حياتهِ . من ذلك انهُ ولد بسمرقند سنة ١٨٧٢ حيث كان ابوهُ منفياً وامهُ بنت امير بدخشان وهو اكبر اخوتهِ الاحياء اما اخوهُ نصر الله الذي زار اوربا منذ خمس سنوات فاصغر منهُ بسنتين . وقد ولاهُ ابوهُ كابول لما خرج لقتال ايوبخان وكان فتىً وولاهُ اياها ثانية لما خرج لقتال اسحق خان سنة ١٨٨٨ فاحسن ادارتها ومدحهُ ابوهُ بعد عودتهِ قائلاً

" اني بعد ما رجعت من الحرب رأيتهُ تولى ادارة البلاد بما لا مزيد عليهِ من الدراية والذكاء وادار شؤُونها طبق مشورتي وحسب رغائبي فانعمت عليهِ بنشانين الاول جزاء حسن ادارتهِ للامارة والثاني جزاء اجتهادهِ في قمع الفتنة التي اثارها جندي . فقد ابدى فيها بسالة خارقة اذ امتطى جوادهُ وخاض صفوف الثائرين غير هياب ولا وكل "

ثم انابهُ عنهُ في المقابلات الرسميَّة واوعز الى باقي بنيهِ ان يذهبوا بعد مقابلتهم المعتادة لهُ في كل اسبوع الى اخيهم حبيب الله ويزوروهُ في قصرهِ الخاص . فترى من هذا ان الامير عبد الرحمن لم يقر على اختيارهِ ابنهُ حبيب الله وارثاً لامارتهِ الاَّ بعد ما قضي وقتاً طويلاً في اختبار اهليتهِ وامتحان كفاءتهِ لهذا المنصب الخطير . ولما وجدهُ اهلاً لذلك لم يعلن قصدهُ هذا لكي لا يهيج الاحقاد ويعرض حبيب الله لاخطار الدسائس والمكايد بل ابقاهُ مكتوماً وجعل اهالي الافغان وغيرهم يفهمون مرادهُ من تلقاء انفسهم وتدرج فيهِ شيئاً فشيئاً حتى مهد لهُ السبل واحتاط بما يدفع الحذر وينفي الخطر

مثال ذلك انهُ أخذ في آخر سني حياتهِ يتلقى انباء امارتهِ من قاصيها ودانيها كبيرها وصغيرها على يد حبيب الله وجعل على يدهِ ايضاً يصدر كل اوامرهِ واحكامهِ الى الحكام والنواب والقادة والضباط . ومنذ نحو خمس سنين القى اليهِ مقاليد خزينة الامارة وجعلهُ قيّماً على بيت مالهِ اظهاراً لائتمانهِ لهُ وثقتهِ بهِ ثم ولاهُ رئاسة محكمة الاستئناف العليا . ومع كل

هذا الانعام الشامل الذي ناله حبيب الله من ابيهِ ظل سلوكه مجلى نزاهة نفسهِ ومظهر سلامة ذوقهِ فانهُ بقي واقفاً عند الحد الذي رسمهُ لهُ ابوهُ لم يتجاوزهُ قيد اصبع ولا حدثتهُ نفسهُ بالطموح الى ما وراءهُ . ولم يداخل اباهُ في شؤُونهِ ولا تعرَّض لامرٍ لم يدعهُ اليهِ

ومن القواعد الاساسية التي بنى الامير عبد الرحمن سياستهُ عليها ان يصل أُسرتهُ عموماً وولي عهدهِ خصوصاً باشرف البيوت في امارتهِ . فحبيب الله ابو عائلة كبيرة مذ الآن وسيكون لبنيهِ في المستقبل شأن عظيم في تاريخ افغانستان . ولاكثرهم خطيبات اختارهنَّ لهم الامير عبد الرحمن من اشرف فتيات الافغان

ومما لا يحسن اغفال ذكرهِ ان الامير عبد الرحمن ظل مع اعتمادهِ على الامير حبيب الله في كثير من شؤُونهِ مستأثراً بامرٍ واحد الى آخر حياتهِ ولم يشاركهُ ابنهُ فيهِ وهو السياسة الخارجية . فقد كان حبيب الله يقضي كل يوم ما عدا يوم الجمعة متنقلاً في دوائر الحكومة من دائرة الى اخرى من شروق الشمس الى مغيبها . ولكن اسرار السياسة الخارجية ظلت مكتومة عنهُ ومدفونة في صدر ابيهِ . ولعلهُ اطلعهُ عليها قبيل وفاتهِ . ويقال ان من الامور التي اوصاهُ بها ان يتوخى محالفة بريطانيا العظمى يوم يجلس على سرير الامارة فانها قوام ثباتهِ ودعامة امارتهِ كما قال في كتابهِ

وقد حاز الامير حبيب الله من انكلترا وسام القديس ميخائيل والقديس جورج من الطبقة الاولى . وشمل النزالة الانكليزية في كابول بالرعاية والاكرام . وجملة القول فيهِ ان اباهُ تركهُ بعدهُ خير خلف للامارة فاذا تحرى ترقية شعبهِ واصلاح حال رعيتهِ وسيَّر امارتهُ على سنن التقدم والارتقاء وجعل العدل اساساً للاحكام ومصدراً للامر والنهي في الامة نال من اعلاء شأنها ما تمناهُ وحمد الناس مبدأ حكمهِ ومنتهاهُ

ولم يكد نعيُ ابيهِ وخبر توليهِ ينتشر في امارتهِ حتى وفد الولاة والعظماء الى كابول لمبايعتهِ وشمل السرور جمهور الرعية لانها وان كانت تكرم المرحوم اباهُ وتُعلي شأنهُ لانهُ رفع منار الافغان واعلى اسمها بين الممالك الاَّ انهُ كان شديد البطش بعيداً عن الملاينة اما الامير حبيب الله فاقرب منهُ الى الدعة واللين ولا يقل عنهُ حزماً وحسن ادارة . وقد يخشى من ان يقوم عليهِ بعض الذين كانوا ناقمين على ابيهِ واقعدهم عن القيام ما يعلمونهُ من شدة بطشهِ لكن الامير حبيب الله تدارك ذلك فعزز الحاميات حيث يخشى خروج القبائل . وكان المرحوم ابوهُ يقول ان عندهُ مئة الف جندي مدرَّب وهذه الجنود خاضعة كلها للامير حبيب الله تأتمر بامرهِ كيف شاء فلا خوف من ثورة في البلاد الاَّ اذا اوقد نارها الخارجون عنها

الاستاذ فركو

Prof. Vircow



في الثالث عشر من هذا الشهر اتمَّ الاستاذ فركو الالماني السنة الثمانين من عمرهِ . عمرٍ قضاهُ في توسيع نطاق المعرفة وتقرير قواعد العلم وافادة نوع الانسان ومقاومة آثار الاستبداد فاحتفلت الامَّة الالمانية بذلك وشاركها في هذا الاحتفال نوَّاب الجمعيات الطبيَّة والعلميَّة من اقطار المسكونة وكتب اليهِ امبراطور الالمان يقول

" في هذا اليوم الذي مُنحتَ فيهِ بنعمة الله ان تتمَّ السنة الثمانين من عمركَ وانتَ في تمام النشاط العقلي والجسدي أُعرب لكَ عن تهنئاتي القلبية وما ارجوهُ لك من السعادة الدائمة . انَّ علم الطب مديون لكَ لانكَ قضيتَ عمركَ في البحث فيهِ واكتشفت اموراً مهمَّة لذاتها وقد قادت الى اكتشافات اخرى فرسخ اسمك في صفحات تاريخ الطب مدى الادهار وأُكرم في بلادك وفي كل الاقطار والامصار . وفوق ذلك جدتَ بمعارفك الطبية واختبارك الواسع في السلم والحرب لخدمة نوع الانسان وكنتَ دائماً الطبيب الامين والمعين الصادق . وقد منحتك الآن نشان العلم الذهبي العظيم علامةً لشكري لك واعترافي بفضلكَ واني امرتُ بارسالهِ اليك في هذا اليوم الذي يحتفل فيهِ بعيدك "

هكذا يخاطب ملوك اوربا علماءها وبمثل هذا الاكرام يكرمونهم . والناس على دين ملوكهم . فقد احتفل رجال الدولة الالمانية وعلماؤها ونوَّاب الجمعيات العلمية بهذا العيد احتفالاً نادر المثال اعربوا بهِ عن اكرامهم للعلم والعلماء اكراماً يقرب من العبادة

والرجل الذي احتفلوا بعيدهِ من اصل وضيع مثل كل العصاميين واكثر المشهورين ولد في الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٨٢١ وابوهُ فلاَّح صغير من قرية من قرى المانيا . ودرس

في مدرسة قريتهِ ثم في مدرسة كسلن العالية وانتقل منها الى برلين في طلب الطب فنال الشهادة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وجعل مساعداً لاستاذ التشريح في مستشفى الرحمة . وفشت حمى التيفوس بين الحاكة في جبال سلسيا على اثر مجاعة فأرسل للبحث عن سببها فبحث وكتب تقريراً مدققاً كان لهُ وقع عظيم وهو الذي جعلهُ يسير في الخطة التي سار فيها علماً وسياسةً فعكف على درس الامراض الباطنة وصار من احرار الالمان . الاّ ان مذهبهُ السياسي قضى بحرمانهِ من منصب التعليم الذي كان فيهِ في مدرسة برلين تخرج منها ودعي الى مدرسة ورزبرج الجامعة فوضع وهو هناك اساس الباثولوجيا الخلوية واثبت ان الانسجة التي تعتريها الامراض تتولَّد فيها خلايا مريضة او سليمة من خلايا اخرى مثلها كما تتولَّد سائر انسجة النبات والحيوان من الخلايا . فعرف سير الامراض واساليب شفائها ثم لما قام باستور وكوخ واكتشفا اسبابها ظُنَّ اولاً ان اكتشافهما مناقض لاكتشافهِ ثم ثبت انهُ مؤيد لهُ الواحد يدل على سبب المرض والثاني على اسلوبهِ وحقيقتهِ . فاشتهر اسمهُ واشتهرت بهِ مدرسة ورزبرج حتى صارت اشهر المدارس الطبية فاعيد الى مدرسة برلين سنة ١٨٥٦ لان ميدان العمل فيها اوسع فبحث وحقَّق وجمع ودقق وكلَّل اعمالهُ بانشائهِ المعرض الباثولوجي قرب مستشفى الرحمة ولا يزال في مقدَّمة الباحثين عن حقيقة الامراض ومن ادق الناس نظراً واشدهم فراسةً واصدقهم حكماً

ولهُ مشاركة في علوم أُخرى فهو من المشهورين في علم الانثروبولوجيا اي علم الانسان واليهِ انتهت رئاسة الجمعية الباثولوجية وقد كتب عن سكان الكهوف وسكان الخصاص التي كانت قائمة على الاوتاد في بحيرة جنيفا في العصور الغابرة. ويعد بين ارباب السياسة وهو زعيم الاحرار في مجلس النواب منذ سنة ١٨٦١ وقد رأس اللجنة المالية ٢٥ سنة وهو الذي نظَّم مالية بروسيا. وناب عن قسم من برلين من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٩٣ . ولهُ مناظرات شديدة مع بسمارك وقد دعاهُ بسمارك مرةً للمبارزة لشدَّة ما اغتاظ منهُ لكن اصدقاءهما اصلحوا بينهما فلم يتبارزا بالسلاح . وبقي ٤٢ سنة في مجلس برلين البلدي واليهِ يُنسب اصلاح تلك العاصمة فقد كانت افسد المدن هواء واقلها صحةً فصارت الآن اصح المدن هواء واجودها صحةً واجرى اسرابها الى ما حولها من القفار القاحلة فصيَّرتها رياضاً نضرة . ومستشفيات برلين التي هي الآن مثال يقتدى بهِ في الانتظام والاتقان لهُ الفضل الاول واليد الطولى في تنظيمها واتقانها . ولهُ مدينة برلين مديونة اكثر مما هي مديونة لرجل آخر

اما الاحتفال بعيدهِ فنقتطف وصفهُ مما جاء في جريدة التيمس قالت : ابتدأ الاحتفال

في دار الباثولوجيا فقدّم اليهِ اولاً تمثالهُ مصنوعاً من الرخام لينصب في تلك الدار ووقف حولهُ حينئذٍ وزير المعارف ورئيس الوزارة الامبراطورية ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير التجارة ووزير المخابرات ورئيس اطباء الجيش ومحافظ برلين ورئيس مجلسها البلدي وكثيرون غيرهم . وخاطبهُ وزير المعارف معرباً عن الفرح والفخر اللذين شملا ذلك الجمع في تهنئتهِ وهو قائم في وسط هذا المعرض الباثولوجي المنقطع النظير . وقال ان اسم فركو يبقى مدى الدهر مقروناً بمكتشفاتهِ وما وسَّع بهِ نطاق العلم ولكن اهالي العصور التالية يودون ان يروا مثال الرجل الذي بنى هذه الدار ولذلك فوزارة المعارف تهدي هذا التمثال الى مديرها علامة على شكرها ورغبةً في ان قدوة منشئها العظيم تحيي نفوس الذين يطلبون العلم فيها

فاجابهُ الاستاذ فركو شاكرًا وكان رجال العلم في برلين ونواب الجمعيات والمدارس العلمية قد اجتمعوا في النادي الكبير في الطبقة العليا من الدار ليسمعوا خطبتهُ فصعد اليهم فقابلوهُ بالهتاف الشديد حتى اذا سكنت اصواتهم خطب فيهم خطبة وجيزة جاء فيها على خلاصة تاريخ الباثولوجيا من غير ان يشير الى ما لهُ من الايادي البيضاء في اصلاح هذا العلم . واستطرد الى فعل داء السل وبيَّن بالامثلة الكثيرة ان ميكروبهُ يميت الاجزاء التي يصيبها فتفرز من الجسم ولا يعود في الامكان ان ترجع الى ما كانت عليهِ ولذلك يستحيل ان يشفى الانسان منهُ شفاء تاماً ما لم يقع فيهِ التكلّس. وقد يبرأُ العضو المصاب ولكن يبقى مكان الاصابة مؤوفا لا يتجدَّد ويبقى العضو ناقصاً الجزء الذي تلف منهُ وزال . واذا زال الميكروب كلهُ ولم يأت غيرهُ وقف الضرر عند ذلك الحد

وعُرضت حينئذٍ صور ميكروب السل والانفلونزا والكوليرا والتيفويد بالفانوس السحري وسار الاستاذ فركو بالمدعوين الى غرفة الميكرسكوب حيث كان الاستاذ كوخ والاستاذ لونن فارياهم ميكروبات الملاريا . وعادوا من هناك الى تناول الغداء

واولمت لهُ وليمة فاخرة في المساء في غرفة كبيرة من غرف مجلس النواب حضرها مع زوجتهِ واعضاء عائلتهِ ونخبة الوزراء والعلماء ثم انتقلوا الى نادٍ كبير من اندية ذلك المجلس حيث قدمت لهُ الخطب من حكومة المانيا ومجلس بلدية برلين ونواب المدارس والمجامع العلمية وكانت لجنة الاحتفال قد جمعت خمسين الف مارك ليوقف ريعها على البحث العلمي تذكارًا لاسمهِ فقدمت لهُ وسميت مال فركو وحينئذٍ وقف وزير المعارف وتلا الرسالة الامبراطورية التي ذكرناها آنفاً وتليت رسائل أُخرى من دوق مكلنبرج ووزير الامبراطورية الالمانية ولما تليت رسالة المجلس البلدي اذا معها هدية مئة الف مارك لتضاف الى "مال فركو" . وكان بين النواب

الاجانب السنيور باشلي وزير التجارة في ايطاليا والمسيو كورنيل من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وغيرهم من روسيا والنمسا والدنمارك واسوج ونروج وسويسرا . وارسلت انكلترا اللورد لستر الجرَّاح الشهير والسر فلكس سيمون وغيرهما من كبار اطبائها

وللاستاذ فرخو كثير من الكتب العلمية منها كتاب علم الباثولوجية الخلويَّة وحمَّى المجاعة وحربة العلم والامراض المعدية في الجيش والفحص الرمي ومقالات شتى في جرائده الطبية

مناجم مصر والسودان

ذكر بعضهم المهندس تشارلس الفُرْد مدير قسم الهندسة في شركة البحث عن المناجم المصرية فاعرب له عن غنى هذا القطر بالمعادن مصداقًا لما ذكره الاستاذ سايس واشرنا اليهِ قبل الآن وهو ان قدماء المصريين كانوا يستخرجون الذهب الكثير من بلادهم ولم تزل مناجمهم الى الآن في الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر . ومما قالهُ المهندس الفُرْد في هذا الصدد ان قطع الحجر التي قطعوها الآن من تلك المناجم وجدوا فيها كثيرًا من الذهب ١٩ درهماً في الطن والمرجح انها ليست من العروق الكثيرة الذهب التي كان المصريون القدماء يستخرجون الذهب منها . و١٩ درهمًا في الطن ليست بالشيء القليل كما بلغنا ممن يوثق بكلامهم في هذا الموضوع لكن المهندس الفرد يظن ان العروق التي ذهبها اكثر من ذلك لا تزال كثيرة لان المصريين القدماء لم يستنزفوا ثروة الارض لضعف وسائطهم ولانهُ وجدت هناك قطع في الطن منها نحو ١٢٠ درهمًا من الذهب . وسئل عما اذا كان الماء كافيًا بقرب المناجم اذ لا بد من الماء الغزير لتصويل الذهب بعد سحق حجارتهِ ويتعذر نقل الحجارة الى مكان بعيد حيث الماء الغزير فاجاب ان القدماء حفروا آبارًا كثيرة ثم طوبت اما عمدًا واما عرضًا ونحن شارعون في حفرها ثانيةً وشارعون ايضًا في انشاء حوض كبير طولهُ اربعون قدمًا وعمقهُ ١٢ قدمًا يجمع فيهِ ماء المطر فيسع اربع مئة الف جالون من الماء

وسئل عن مناجم السودان ووجود الذهب فيها فقال ان الصخور المتبلورة التي في الصحراء الشرقية بين قنا والبحر الاحمر ممتدة حتى بلاد الاحباش والذهب موجود فيها حتمًا ولكن اتساعها وعمقها يختلفان كثيرًا فاما ان تكون ظاهرة علي وجه الارض واما ان تكون مغطاة بالرمال والحصى وكيف كانت فالبحث يظهرها وهي حرية بالبحث والاستقصاء وقد بعث بيت يوحنا تيلر وشركائهِ بالمهندسين الى السودان للبحث عن معادنها

وليس الذهب بالمعدن الوحيد الذي كان المتقدمون يستخرجونهُ من القطر المصري ثم اهمل المتأخرون استخراجه كما اهملوا كل ما منهُ نفع بل هناك معادن اخرى وحجارة غالية الثمن اخصها المرمر السماقي والمعرَّق والرخام الابيض الصلب . والظاهر ان الرخام الابيض بقي يستخرج حتى زمن العرب فان اللجنة الموكول اليها حفظ الآثار العربيَّة وترميمها وجدت فيها كثيرًا من الرخام الابيض الجميل المنظر ولم تكن تعرف مصدره ولا رأت من الرخام الاوربي ما يقوم مقامهُ فاضطرَّت ان تترك بعض المباني من غير ترميم لانها لم تجد رخامًا يضاهي الرخام الذي فيها واذا رممتها برخام آخر ضاع ما كان فيها من الاتساق . ثم لما نشرت شركة البحث عن المعادن تقريرها عن العام الماضي وذكرت فيهِ انواع الرخام التي وجدتها في جهات مختلفة من القطر المصري خطر على بال اللجنة الموكول اليها حفظ الآثار العربيَّة ان شركة البحث عن المعادن قد تكون وجدت الرخام المطلوب فكان كما ظنَّت واتى هرنس بك بقطع كبيرة من الرخام من ابي جارية وهو اجود من الرخام الاوربي كثيرًا فلو سهلت الطرق لنقله الى القاهرة والاسكندرية لناظر الرخام الاوربي وقام مقامهُ ولو كان اغلى منهُ ثمنًا

هذا ما يقال في الذهب اثمن المعادن وفي الرخام ارخص الحجارة الكريمة وبين هذين الحدين معادن مختلفة وحجارة كريمة متعددة كالفضة والنحاس والانتيمون والزمرد والزبرجد والفيروز . لكن في الديار المصرية معدنًا آخر اثمن من هذه المعادن كلها وحجرًا اكرم منها وهو الطين تراب وادي النيل من بحيرة فكتوريا نيانزا الى البحر المتوسط بحر الروم فان كل مناجم الذهب التي في المسكونة لا يستغلُّ منها في السنة الواحدة اكثر مما يستغل من زراعة القطر المصري . والمناجم يختص نفعها بقليلين من اصحاب الاموال الطائلة واذا جُعلت اسهمًا وتفرقت على جمهور كبير خضعت لحكم المضاربات فصارت خسارتها اكبر من ربحها واما الطين فانهُ مال الفلاح والصغير يربح منهُ اكثر من الكبير والفدان الواحد يقوم بحاجات عائلة كاملة . واننا مع رغبتنا في بقاء مناجم الديار المصرية لسكانها وفي حثهم على تأليف شركة تهتم باستخراجها لا ننفك عن القول بان الغنى الصحيح والكسب الوافر هو من الاطيان . من اتقان الزراعة والجري فيها على الاساليب العلميَّة . ومهما كانت المناجم غنيَّة لا ينتظر منها مليون جنيه في السنة واما اتقان الزراعة فيضاعف الحاصلات وقيمة الحاصلات الآن اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات فاذا تضاعفت صارت ثمانين مليونًا واذا زادت الخمس فقط بلغت الزيادة ثمانية ملايين جنيه في السنة . هذا هو الكسب الكبير والغنى الوافر

عمران دمشق

" قراها "

دعا الاتصال بين دمشق وقراها الى ان سكن اكثرها بعض الامويين منذ الفتح فاصبحت كأنها حارات لدمشق او مصايف لاعيانها وتوفرت فيها مرافق الحياة حتى قال ابن بطوطة بعد كلامهِ على عمران المزة وذكر من نُسب اليها من العلماء والفضلاء ان في اكثر قرى دمشق الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق وسكانها كاهل الحاضرة في مناحيهم

ولا بدع اذا اخرجت هذه القرى مئات من العلماء فقد عدَّد ياقوت في معجم البلدان المؤلَّف في الربع الاول من القرن السابع للهجرة اكثر القرى والامصار التي درست في بلاد الاسلام واتى بما قيل فيها من الاشعار وما نسب اليها من الوقائع التاريخية وحملة العلم والادب وساق في ثلاث صفحات من كتابهِ علماء قرية واحدة اسمها (صنعاء دمشق) وهي دارسة اليوم لا يعرف اسمها ولا رسمها . فسقياً لذاك العمران ورعياً لتلك الازمان . وهاك اسماء الضياع الدوارس

(بيتُ لِهيا) كانت قرية مشهورة في الغوطة والصحيح بيت الآلهة . اكثر الشعراء من ذكرها ونسب اليها خلق من اهل الرواية والدراية والنسبة اليها بتلهي وكانت عامرة في اوائل القرن الحادي عشر ذُكر في ترجمة عبد اللطيف المحبي المتوفى سنة ١٠٣٢ انهُ اقتنى بساتين فيها ووقفها

(بيت الآبار) يضاف اليها كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى خرج منها غير واحد من رواة العلم

(بيت ارانس) من قرى الغوطة بها قبر ابي مَرْثَد دِثار بن الحُصين من الصحابة

(بيت سابا) قال ابن عساكر ان هشام بن يزيد بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي كان يسكن بيت سابا من اقليم بيت الآبار عند جرمانس وكان لجدهِ يزيد بن معاوية

(ارزونا) من قرى دمشق قرب عربيل

(عالقين) قال صاحب فوات الوفيات انها قرية بظاهر دمشق مات فيها ابو بكر بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين سنة ٦١٥ هـ ونقل منها الى دمشق ودُفن بالقلعة ثاني يوم وفاتهِ ثم نقل الى مدرستهِ المعروفة بهِ

(الجامع) من قرى الغوطة سكنها قوم من بني امية

(طرميس) قرية في الغوطة نسب اليها بعض اهل الرواية ممَّن ورد ذكرهم في تاريخ دمشق
(حجيرا) من قراها يُنسب اليها كثير من العلماء وحجيرا المعروفة اليوم هي غيرها
(دقانية) خرج منها اناس من اهل العلم
(دير ابان) قرب قرحتاء سكنهُ بعض الامويين
(دير بوَنّا) بجانب الغوطة في انزه مكان قال ياقوت وهو من اقدم ابنية النصارى يقال انهُ بني على عهد المسيح عليهِ السلام او بعدهُ بقليل وهو صغير ورهبانهُ قليلون اجتاز بهِ الوليد بن يزيد فرأى حسنهُ فاقام بهِ يوماً في لهو ومجون وشرب ونظم في وصفهِ ابياتاً خلاعية
(دير محمد) قال ابن عساكر كان عمر بن عبد العزيز يراهُ اهلاً للخلافة واليهِ تنسب المحمديات التي فوق الارزة ودير محمد الذي عند المنيحة من اقليم بيت الآبار
(دير هند) من قرى دمشق سكنهُ بعض الأمويين
(قصرامّ حكيم) بمرج الصفّر من ارض دمشق منسوب الى ام حكيم بنت يحيى ويقال بنت يوسف بن يحيي بن الحكم بن العاص بن أُميّة وامها زينب بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن عبد الملك فولدت لهُ يزيد بن هشام واليها ايضاً ينسب سوق ام حكيم بدمشق وهو سوق القلانسيين قالهُ ياقوت
(قنية) قرية كانت مقابل الباب الصغير من دمشق منها جماعة من العلماء
(الميطور) من قرى دمشق وفيها يقول عرقلة

وكم بين اكناف الثغور متيم   كئيب غزتهُ اعين وثغورُ
وكم ليلة بالماطرون قطعتها   ويوم الى الميطور وهو مطيرُ

(يلدان) كانت من اقليم بانياس سكنها عمر بن القاسم الاموي ذكرهُ ابن ابي العجائز في حديث ذي القرنين لما عمّر دمشق انهُ نزل من عقبة دمّر وصار حتى نزل في موضع القرية المعروفة يلدا من دمشق على ثلاثة اميال . كذا في الحديث بغير نون قال ياقوت لا ادري اهي واحد ام اثنان . قلت اذا كانت بلدا بالمفرد فهي قرية معروفة لهذا العهد

ذاك بعض ما وقفت عليهِ في تضاعيف الكتب من اسماء قرى الغوطة الداثرة اليوم ويذهب بعض الماحكين الى ان هذه القرى ما برحت في لوح الوجود بل تغيّرت اسماؤُها فقط فان كان الامر كذلك فلمَ لم يتغير غيرها من الاسماء التي ما برحت بحالها منذ القرون المتوسطة ولم يطرأ عليها الأ بعض التحريف من السن العامة فقط . وهاك الآن نموذجاً من ابيات لشاعر الشام في عصرهِ احمد بن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ تفهم منها باقي القرى من داثرها

حيِّ الديار على علياء جيرونِ مهوى الهوى ومغاني الخرَّد العينِ
مراد لهوي اذ كفّي مصرّفة اعنة العيس في فيح الميادينِ
بالنيربين فمقرى فالسرير فخمـ ـرايا فجو حواشي جسر جسرينِ
فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأ على فسطرا فجرمانا فقلبينِ
فالماطرون فداريا فجارتها فآبل فمغاني دير قانونِ
تلك المنازل لا وادي الاراك ولا رمل المصلَّى ولا اثلات يبرينِ

"هندستها"

بُنيت مدينة دمشق وسط وادٍ عميق اشبهَ بواحة يكثر فيها العفن والرطوبات ويشتدّ فيها الحر والبرد خصوصاً في هذه القرون الاخيرة. والبنيان متراكم والحارات ضيقة المداخل والمخارج وهي بقبور اموات اليق منها باحياء احياء. تكاد الشمس والهواء لا ينفذان الى دورها وطرقها لارتفاع الجدران والسطوح ولولا الشارعان اللذان أُنشئا حديثاً الاول سوق مدحت باشا والثاني سوق الحميدية لكانت دمشق على ما هي عليهِ من الطول والعرض وسكان يقربون الآن من مئتي الف نسمة تشبهُ قرية كبيرة حقيرة. دور عمرت بالطوب والتراب داخلها كئيب كخارجها واكوام من القامات ومجارٍ من القاذورات لو دخلها الطبيعيون لقالوا بقصر اعمار من يسكنونها لولا ان العادة طبيعة خامسة. لا جرم انهُ اتت على هذه الحاضرة ازمان من الفوضى ضاعت فيها الهندسة فصار الناس يبنون مساكنهم حيث شاءوا وعلى اي طرز احبوا. يقول بعضهم ان بناء دمشق على هذا النحو والسور يحرمها في محيطها كان من موجبات بقائها حتى الآن فدفع مركزها عنها كثيرًا من هجمات المهاجمين في القرون المتوسطة. وما كان المترفون من اهلها يعدمون زمن السلم قصوراً في ارباضها يرتبعون بها ويصطافون ويتربعون فيها ويرتافون حتى اذا تواترت الغارات وفشت الاضطهادات في القرون الحديثة امسى ما في سفح جبلها من المصايف والمرابع وفي ضاحيتها من الضياع والمزارع خرابًا يبابًا

ذكر شيخ الربوة الكاتب الدمشقي وكلامهُ احسن مأخذ في هذا الباب ان دمشق كانت مقسومة ثلاث قسمات قسم مبثوث العمارة في غوطتها لو جمع لكان مدينة عظيمة ما بين جواسق وقصور وقاعات واصطبلات وطواحين وحمامات واسواق ومدارس وترب وجوامع ومساجد ومشاهد غير القرى والضياع الامهات وهذا الذي ذكرناهُ لا يوجد بغيرها اصلاً. والقسم الثاني تحت الارض منها مدينة أُخرى من متصرفات المياه والقني وجداول ومسارب ومخازن وقنوات تحت الارض كلها حتى لو حفر الانسان اينما حفر من ارضها وجد مجاري الماء تحتهُ

مشتبكة طبقات بمنة و يسرة شيئاً فوق شيء . والقسم الثالث مسوّرها وما فيهِ وحولهُ من المعمور وكانما هي في وصفها طائر ابيض في مرج اخضر يترشّف ما يصل اليهِ من الماء اولاً فاولاً

واكّد من زار خرائب تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة ان تينك الحاضرتين كانتا على نسق واحد في هندستهما فقد كان يخرق دمشق من الشرق الى الغرب شارع عظيم مستقيم طولهُ ١٦٠٠ متر وعلى جانبيهِ رواقان من اعمدة حجرية هائلة هي اليوم مطمورة تعلوها الحوانيت والدور وقد ظهرت غير مرّة اثناء الحفر

والناظر الى ابوابها يتصور مساحتها وهندستها في السابق قال ابن عساكر " ان الباب القبلي المعروف بباب الصغير سُمي بذلك لانهُ اصغر ابوابها حين بُنيت . باب كيسان ينسب الى كيسان مولى معاوية وذُكر انهُ منسوب الى كيسان مولى بشر بن عمارة وهو الآن مسدود . الباب الشرقي سمي بذلك لانهُ شرقي البلد وكان ثلاثة ابواب باب كبير في الوسط وبابان صغيران من جانبيهِ سُدَّ منهما الكبير والباب الصغير الآن من قبليهِ وبقي الصغير الشمالي . باب توما من شمالي البلد يُنسب الى عظيم من عظماء الروم اسمهُ توما وكانت لهُ على بابهِ كنيسة جُعلت بعدُ مسجداً . باب الجنيق من الشمال ايضاً منسوب الى محلة الجنيق وهي محلة كبيرة كانت بها كنيسة فجعلت بعد مسجداً وهو الآن (في القرن السادس) مسدود . باب السلامة من شمالي البلد ايضاً سمي بذلك تفاؤُلاً لانهُ لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيتهِ لما دونهُ من الاشجار والانهار . باب الفراديس من شماليهِ منسوب الى محلة كانت خارج المدينة تسمى الفراديس وهي الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسُدَّ والفراديس بلغة اهل الروم البساتين . باب الفرج من شماليهِ ايضاً محدث احدثهُ الملك العادل نور الدين وسماهُ بهذا الاسم تفاؤُلاً لما يوجد من الفرج بفتحهِ وكان بقربهِ باب يُسمى باب العمارة فُتح عند عمارة القلعة ثم سدَّ بعدُ واثرهُ باقٍ في السور . باب الحديد من شمالهِ ايضاً هو الآن خاص بالقلعة التي أُحدثت غربي البلد في دولة الاتراك سمي بذلك لانهُ كلهُ حديد . باب الجنان من غربي البلد سمي بذلك لما يليهِ من الجنان وهي البساتين . باب الجابية لان الخارج اليها يخرج منهُ لكونهِ مما يليها وكانت ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيهِ بابان صغيران على مثال باب شرقي وكان من كل باب سوق ممتد من باب الجابية الى باب شرقي كان الاوسط من الاسواق للناس والسوقان الباقيان يجوز منهما الركاب حتى انهُ كان لا يلتقي فيهما راكبان (كما هو الحال في اسواق الغرب اليوم) فسدَّ الباب الكبير والشمالي منهما وبقي القبلي الى الآن وفي السور ابواب صغار غير ما ذكر تفتح عند الحاجة منها باب في

حارة الخاطب يعرف بباب ابن اسماعيل وباب في المدبغة "

وذكر صاحب محاسن الشام عند كلامهِ على ابواب المدينة باب السرّ فقال " انهُ سمي بذلك لكونهِ يفتح الى القلعة وكان الاتراك ينزلون منهُ سرًّا ويطلعون منهُ ويجوز الخارج على جسرين من خشب تحت الخندق المحيط بالقلعة بنيف عمقهُ على مائة ذراع بالعمل بهِ يخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة . واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون ان يصلي من ولي نيابة دمشق عند الباب ركعتين مستقبلاً القبلة بحيث يبقى الباب على يسارهِ وتقف اجناد القلعة وارباب الوظائف والادراك في منازلهم على حسب العادة متجملين بالسلاح الى ان يفرغ من صلاتهِ ودعائهِ فان أُريد بهِ شر قبض عليهِ ودخلوا بهِ ويقلبون الجسر بينهم وبين اعوانهِ فان الجسر بلوالب وان أُريد بهِ خير اركب في عزّتهِ ووجوه الدولة في خدمتهِ الى ان ينزل الى دار العدل — التي انشأها نور الدين الشهيد وهي التي تسمى بدار السعادة (سراي المشيرية اليوم) وهي تلي باب السرّ وعلى بابها باب النصر الذي فتحهُ الملك الناصر بن ايوب للمدنية ". الى ان قال " وغالب هذه الابواب القديمة بنى عليها نور الدين الشهيد منابر على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة واقفلت الابواب يستغني اهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم وهو مقصد جميل "

هذا واكثر تلك الابواب لم يبرح الى اليوم ماثلاً للعيان غير متداعي البنيان والاركان ولم ينقطع من الالسن ذكره' سوى باب كيسان والجنيق والفرج وابن اسماعيل والسرّ والنصر ومنها ما تهدم ولم ينقطع ذكره' كباب الصغير وباب الجابية اما السور الذي كانت تخللهُ تلك الابواب فقد كُتب عليهِ بقلم الحال " سبحان المتفرد بالبقاء " ولا تزال المعاول تشتغل في هدمهِ الى عهدنا هذا ليستعان بحجارتهِ الضخمة المنحوتة ولم يبقَ منهُ الا ما اعجز الهادم هدمهُ لحصانتهِ ومتانتهِ

" انهارها "

من يقرأ تاريخ الصدر الاول لا يكاد يرى فرقاً بيناً بين حاجيات الانسان اليوم وأمس كيف لا والبشر مهما تقهقروا لا غنية لهم عن الضروريات ولا يزهدون فيها زهد اهل المشرق كافة بالعاديات والآثار اقول هذا وحق لدمشق ان تغبط لانها سلمت لها انهارها منذ قرون ولم تسطُ عليها الغير . روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ان نهر يزيد كان صغيراً يجري فيهِ شيء يسير يسقي ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم بنوفرفا ولم يكن لاحد فيهِ شيء غيرهم فماتوا في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن لهم وارث فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنهُ يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس

لها ماء وكان مهندساً فنظر الى النهر فاذا هو صغير فامر بحفره فمنعهُ من ذلك اهل الغوطة ودافعوه فلطف بهم الى ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوه الى ذلك فاحتفروا نهراً سعتهُ ستة اشبار في عمق ستة اشبار على ان له مل جنبتيهِ وكان كما شرط لهم . ومات يزيد سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاقام عنده رجل من اهل الذمة يقال له جرجه بن قوا (جرجي بن قعرا) شاهدين يشهدان ان له في النهر قناة تجري الى حمام له بديره فسجل له سليمان بذلك سجلاً واشهد بهِ شهوداً ونسختهُ

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبهُ سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجه بن قوا بثبات قناة في نهر يزيد لما قامت له البينة وفيهِ من الشهود عمر بن عبد العزيز وعبدالله بن الحصين الهمداني ويزيد ابن اسلم وعبدالله بن عبد الملك .بن اهل الغوطة وذلك يوم الخميس في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين واشهد على نفسهِ وكفى بالله شهيداً"

وقلَّ الماء في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبقَ في بردى الا شيء يسير فشكا اهل الغوطة الى سليمان فوجه مولاه عبيد بن اسلم الى اصل ماء العين ليكروها فبينما هم يكرون فيها اذا هم بباب حديد مشبك يخرج الماء من كوى فيهِ يسمعون داخلها اضطراب السمك في الماء فكتبوا بذلك الى سليمان فامرهم ان لا يغيروا شيئاً عن اصلهِ فلم يزل كذلك حتى ولي هشام بن عبد الملك فسأل اهل حرستا ماء للشرب لشفاههم في مسجدهم فكلم فاطمة ابنة عبد الملك يعني ابنة عاتكة وعاتكة ابنة يزيد على ان يحفروا نهراً صغيراً الى مساجدهم للشرب لا لغيره وفتح الذي امر بهِ فتراً في فتر مستديراً يجري على قدر شبر من ارتفاع الارض

ثم فصل تقسيم الانهار والجداول زمن هشام بن عبد الملك مما لا فائدة في ذكرهِ لفقدان الاصطلاحات التي ذكرها في ميزة الانهار فاعطى الجدول ماء غدقاً والنهر غيضاً وشلاً

وكتب شيخ الربوة في الربع الاول من القرن الثامن نبذة بشأن انهار دمشق لم تغير الى اليوم اسماؤها واصطلاحاتها فقال ان نهر دمشق ينبعث من مرج الزبداني ومن عين الدولة فوق الزبداني ومن عين الفيجة ومن اعين في طول وادي بردى واصل عين بردى من تحت جبل في مرج الزبداني بجنب قرية يقال لها الضبرة . ثم قال ان عدد بساتين دمشق مائة الف واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد (باحصاء رسمي بلغ اليوم عدد حدائق دمشق وكرومها ١٩٣٩) يأتي اليها من ارض الزبداني ومن وادي بردى عين تنحدر من اول الوادي ومن عين الفيجة وتنبعث نهراً واحداً يسمى بردى ثم يتفرق سبع فرقات كل فرقة نهر يسمى باسم منها نهر يزيد فتحهُ يزيد بن معاوية فسمي بهِ ونهر ثورة فتحهُ ملك من ملوك الروم اسمهُ ثورة

فسمي به ونهر بلنياس او بانياس فتحهُ بلنياس الحكيم اليوناني فتسمي به ونهر القنوات وكلاهما يجريان الى داخل المدينة ويتفرقان في المصارف والبرك والقني والحمامات والطهارات. ونهر مزة منسوب الى قرية تسمى المزة وكان اسمهُ المنزه ثم نهر داريا وهو سادس النهور وارفعها مجرى وابعدها مقسماً وسابع النهور نهر بردى الجاري في قرارة الوادي ولا يقبل الارتفاع من مجراه ومنهُ تقسمت الانهار المذكورة. ثم ينقسم من هذه الانهار فرق وجداول وتتفرق متشعبة باراضي الغوطة حتى لا يبقى منها بقعة يمكن وصول الماء اليها الا و يصل و يركبها سقياً لها بحساب وتقسيط معلوم في الليل والنهار بساعات معلومة لا تزيد ولا تنقص ثم يخرج عمود بعد ذلك وينبعث في جهة الشرق و يسقي قرى وضياعاً واراضي مرجية وصحراوية حتى يصب آخره في بحيرة شرقي دمشق بارض عذراء ينبت بها القصب وهذه البحيرة يصب فيها نهر آخر يسمى الاعوج يجتمع عند تحليل الثلج ومن عصارات المياه والمواصي فيكون نهراً كبيراً

هذا وقد كان خطر لاحد ولاة الفيحاء منذ سنين ان يجري قسماً من عين الفيجة قبل اختلاطها ببردى يجعلهُ في قسطل من حديد و يوزّع على احياء المدينة للشرب فقط لان ما ينهال على بردى من قاذورات القرى في طريقهِ يجعل النفوس تعاف ماءه احيانًا و يضرّ بالصحة كثيرًا لكن هذا التصوّر ذهب ذهاب امس الدابر وكلام الليل يمحوهُ النهار . وان قوماً هم افقر الى الحاجيات منهم الى الكماليات لاحرى بهم ان يقدموا الاهمّ على المهمّ لو كان لهم حلم وعلم

محمد كردعلي

رواية امينة

الفصل السادس عشر

وقفت عطية هانم امام المرآة بعد ان البستها ثيابها وحلاها وقبلما تجلس على العرش وقالت لي "الحمد لله انتهينا ولم اعد احتاج الى شيء" . وكانت بحليها وحلتها من ابدع ما رأت عيني حسن فتّان وقوام يخجل غصن البان وحلة زادت جمالها جمالاً وقدها اعتدالاً على رأسها وفي عنقها ومعصميها شموس من الماس تبهر الابصار وعلى وجهها برقع فضي كانهُ الهواء او بخار الماء . فقلت في نفسي اذا رآها نافذ بك ولم يفتتن بجمالها فما هو انسان . قلتُ ذلك رغماً عن انني والحق غلاّب لكني طردتُ هذا الخاطر عن بالي حالما خطر لي وقلتُ لها نعم انتهينا وكل شيء على ما يرام . فقالت قولي لهم اذًا ليأتوا ودعينا نخرج من هنا

فخرجتُ لادعو الجواري وسمعتهنَّ يعجبن بجمالها فقلتُ في نفسي انهنَّ مصيبات ويستحيل عليَّ ان اظهر مثلها

وحضر المدعوون وامتلأ البيت وشُغلنا بتقديم السكاير واعداد الطعام وحضر كثيرات من اللواتي لم يُدْعَين وهؤلاء يكتفين بمشاهدة العروس ولا يجلسنَ للطعام . ولما غابت الشمس وحان الوقت الذي يأتي فيهِ العريس حاولتُ الوقوف في الدار لارى كيف يقابلها وتقابلهُ حتى اذا نفخت الابواق ودقت الطبول معلنةً قدومهُ جمد الدم في عروقي ووقف قلبي عن النبضان وكان الى جانبي امرأة من نساء نافذ باشا فقالت لي اراكِ صفراء ممتقعة اللون لقد تعبتِ كثيرًا ولكن نشكر الله انهُ انقضى كل شيء وزوجناها هوذا العريس قد أتى انظري انظري

فنظرت واذا نافذ بك صاعد على السلم والعبيد حولهُ يحملون الشموع فصعد ومرَّ في الفسحة الكبيرة الى غرفة العروس والى جانبهِ عادل بك وسعيد بك حتى اذا دخل الغرفة تركاهُ وخرجا وأنزل الستار على بابها فامسكت المرأة بيدي واسرعت بي الى الباب واقبل النساء ووقفن امامهُ يوصوصنَ من خلال ستارتهِ فنظرت من فرجة صغيرة بينها وبين الباب واذا بنافذ بك راكع يصلي ثم صعد على العرش وامسك بيد العروس ورفع البرقع عن وجهها

لم ترَ عيني جمالاً يبهر العيون مثل ذلك الجمال الفتان كانت جالسة على عرشها وعيناها مطرقتان الى الارض وعليها حلة حمراء قرمزية يظهر صدرها منها كالمرمر وهو يعلو ويهبط كموج البحر ووجهها ساكن كانهُ وجه تمثال لكن حمرة الخجل تنتابهُ مرةً بعد أُخرى. فقلتُ في نفسي هذه سلطانة على عرشها لا عروس امام عرسها . رفع نافذ بك البرقع كما قلت ونظر اليها مليًّا ثم تركهُ يغطي وجهها فعلق بالحلى التي على رأسها فمدَّت يدها لتساعدهُ في نزعهِ ونظرتْ الى وجههِ حينئذٍ فوقعتْ عينهُ على عينها لكنهُ ادار وجههُ حالاً وجلس الى جانبها

رأيت ذلك ومشيت الى الغرفة التي تلبس ثيابها فيها لانني كنت اعلم ان لا بدَّ لها من ان تغير ثيابها حينئذٍ وانا الموكلة بذلك . وجلستُ واسندتُ رأسي الى يدي وانا اسيفة حزينة لا لانهُ قُطع حبل رجائي بل لاني كدت احملهُ البارحة على الهرب بي والقاء نفسهِ في التهلكة لاجلي . ثم شكرت الله لاننا نجونا كلانا من ذلك وقلت خير لي والف خير ان اموت هنا حسرة من ان ينثلم صيتهُ وصيتي . ولكن ما ادراني ان وجودي هنا لا يضرُّ بهِ بعد ان ثبت لي انهُ يحبني كما احبهُ . ما ادراني انهُ يبقى كاتمًا حبهُ او يستطيع كتمانهُ بعد ان ثبت لهُ ايضًا اني احبهُ ولا احب احدًا سواه . وخطر ببالي حينئذٍ حسين بك وكلام نافذ بك عنهُ فارتعدت فرائصي وقلت اني اكون هنا طوع امرهِ ان شكوتهُ الى اخيهِ زاد خبثًا وغيظًا ولا يبعد ان ينتقم مني

وبينما انا افكر في ذلك سمعت صوتاً صمّ اذنيَّ ثم تلتهُ اصوات وفرقعة شديدة وسمعت كأن اناساً يركضون الى هنا وهنالك فقمت حالاً وفتحت الباب واذا بصوت هائل ارتجت لهُ اساسات البيت تلتهُ ظلمة مدلهمَّة ثم نور ساطع اراني ان الفسحة الكبيرة التي في الدار العليا قد خسفت بمن فيها كأن العريس لما خرج من غرفتهِ رمى النقود على جاري العادة فتراكم الناس بعضهم على بعض في تلك الفسحة ليلتقطوها فهبط السقف بهم ووقعت الشموع التي في الثريات بجانب الستائر التي حول الابواب فاشتعلت حالاً وزادت الهول هولاً . فنظرت الى ما حولي خائفة مضطربة ولم ارَ نافذ بك فقلت لعلهُ سقط مع البقية ولم يخطر ببالي امر نفسي ولا خطر ببالي احد غيره ووقفت انظر الى الهوة التي امامي والبلاط والخشب والقتلى والجرحى مختلطة كلها معاً اختلاط الحابل بالنابل . ووقفت انظر اليها مدهوشة مرعوبة غائبة عن الرشد وانا احوّل نظري من جهة الى أُخرى افتش عنهُ وللحال رأيت رجلاً مرَّ بجانبي وبين يديهِ امرأة يحملها . رأيتُ برقعها الفضي فعرفت مَن هي ووقفت جامدةً كالصنم تكتنفني غمار اليأس والقنوط وانا اقول في نفسي لم يهتم بغيرها ولا خطرتُ لهُ ببال نسيني في ساعة الشدَّة وخاطر بنفسهِ لاجلها واحسرتاه واحسرتاه

ثم عدت الى الغرفة وجلست وغطيت وجهي بيديَّ وانا اكاد اغيب عن الصواب واذا هو يناديني باسمي وقبل ان اجيبهُ رفعني بين يديهِ وسار بي مسرعاً ونزل من سلَّم خلفيّ الى جانب آخر من البيت لم تصل اليهِ النار . ولما وضعني على الارض نظرت الى وجههِ فرأيتهُ اسود من الدخان ولكن عينيهِ كانتا تتقدان حباً ولهفةً فقال بصوت منخفض قيل لي انكِ في البيت الآخر لما حدثت الحادثة فظننتكِ بمأمن من كل خطر وقصرت همي على تخليص الآخرين ثم فتشت عنكِ هناك فقيل لي انكِ هنا وشكراً لله لاني رجعت اليكِ قبلما فات الوقت

فلم اجبهُ لان اعضائي كلها كانت ترتجف وكأن لساني عقد عن الكلام وبعد هنيهة سكن روعي فقلت لهُ واين اختك . فقال هي سالمة والحمد لله وكذلك الاولاد

وكان قد اوصلني الى الدار الخارجية فرأيتها مزدحمة بالناس حتى يكاد بعضهم يدوس بعضاً . فقلتُ لهُ أمرادك ان ترجع الى البيت . فقال كيف لا وكل اولاد حميّ هناك ولا بدَّ لي من ان اذهب اليهم . قال ذلك وذهب مسرعاً ورأيتُ سنية هانم واقفة فوق عطية هانم وكان قد أُغمي عليها فاتيت اليها وجعلت اساعدها على ايقاظها وكان الرجال يخرجون القتلى والجرحى من تحت الردم فدنوت منهم ورأيتهم اخرجوا ام عطية هانم وهي على آخر رمق ثم اتى نافذ بك ومعهُ جريح فلما رآني قال لي اغمضي عينيكِ وابعدي من هنا حالاً فاطعت امرهُ

وعدت الى سنية هانم فلم ارها حيث تركتها ولا رأيت عطية هانم فظننت انهما ذهبتا الى السلاملك وجلست على مقعد كان هناك واغمضت عينيَّ لكي لا ارى ما حولي . وبعد قليل سمعت صوت نافذ بك ورأيتهُ آتياً مع سعيد وعادل يحملون حافظ باشا وقد اخرجوهُ من غرفتهِ لان النار كانت قد وصلت اليها . قال سعيد بك قد امتدت النار كثيراً واخاف ان تصل الى السلاملك قبلما نتمكن من اطفائها فقال لهُ نافذ بك لا حيلة لنا وليس في البلاد مطافئ للحريق هلمَّ بنا نفعل ما في الطاقة قال ذلك وعاد الى البيت وتبعهُ سعيد بك . ونُقل الجرحى الى السلاملك وذهب النساء الى الاسطبلات وقضيت ساعة امام حافظ باشا وهو يتقلَّب مصاباً بنوبة شديدة وانا ماسكة بيديهِ لكي لا يقلب عن المقعد الذي وضع عليهِ واخيراً سمعتُ واحداً يمشي بجانبي فقلت لهُ ماذا يصنعون لهُ حينما تصيبهُ هذه النوبة . فقال لا شيء وعرفت من صوتهِ انهُ حسين بك ولم اكن قد رأيت وجههُ حينئذٍ ولا كانت رؤيتهُ سهلة لان النار كانت قد خمدت وعادت الظلمة . ثم قال لي اين كنتِ مختفية . فقلت كنت هنا ألا تسقونهُ شيئاً لتخفيف الالم . فقال لا اعلم مالك ولهُ هذه النوب تصيبهُ كثيراً وهي ليست من الالم بل من الجنون ما لنا ولهُ أتبخلين عليَّ بقبلة ثم لا تخجلين من ان تزوجي حبيبكِ باختي لكي تتيسَّر لكِ رؤيتهُ

فنظرت اليهِ مغضبة فضحك هازئاً بي وقال اظنكِ استغربتِ كيف عرفتُ اسراركِ ولكن مَن لا يعرفها وقد وقف حبيبك ينادي قائلاً انهُ اذا اصابكِ مكروهُ لا نعود نرى وجههُ ولم يقل هذا القول على مسمع مني انا فقط بل سمعهُ عزَّت باشا وسنية هانم اما سنية فلم تكترث لهُ كأنها مطلعة على دخيلة امركِ وغاية ما فعلت انها اخذت تسكن روعهُ ونقول لهُ انكِ خرجتِ من باب البستان الى البيت الآخر

تكلم هذا الكلام ولم اعترضهُ ولا رأيت وجهاً للدفاع عن نفسي لانهُ كان يقول ما يستنتجهُ كل احد غيرهُ . ثم قال لي ساخراً قولي الحق الم يرسلكِ نصر الله باشا الى هنا من وجهِ ابنهِ اما ابنهُ فلا بدَّ لهُ من ان يتبعكِ اينما ذهبتِ . واذا سمعتِ نصيحتي خرجتِ من هنا باسرع ما يكن لان حبيبكِ لا يستطيع ان يحميكِ ولا سنية هانم تستطيع ذلك ولا بدَّ من ان تُطرَدي طرداً وخير لكِ ان تمضي من تلقاء نفسكِ قبلما يطردونكِ فيظنون انكِ قُتلتِ مع مَن قتل الليلة وتنتهي المسألة

قال ذلك ومضى ورأيت رجلاً من الخدم واقفاً في آخر الدار فدعوتهُ ليقف امام حافظ باشا وكنت قد رأيت نصيحة حسين بك عين الصواب وصمَّمت على العمل بها لكي اخلص من هذا التعب واخلّص بيت نصر الله باشا منهُ

ومضيت الى البيت الآخر ودخلت غرفتي وغيَّرت ثيابي وكانت الدراهم التي اعطاني اياها نصر الله باشا لم تزل معي فوضعتها في صرة داخل ثيابي مع ما عندي من الحلى وخرجت الى الحديقة ومنها الى الباب الخارجي ولم يلتفت احد اليَّ وكانت النار قد خمدت تماماً وعادت الظلمة قبل الفجر فسرت الى ان خرجت من البلد وهمتُ على وجهي وحينئذٍ فارقتني شجاعتي وخانني جَلَدي فضاقت الدنيا في عينيَّ ولم اعد اعرف الى اين امضي لكنني بقيت سائرة في طريقي متكلة على الله فوصلت الى بيت اناس من الفلاحين المتادين بساطة المعيشة والترحيب بالغريب فلقيتُ منهم كل مودة وكرم اخلاق واكتريت فرساً من رجل شيخ أشابت الايام شعرهُ ولكنها لم تضعف قدميهِ فسار في رفقتي الى ازمير ووصلت منها الى قش اغاج

الفصل السابع عشر

" غسلتُ الثياب ونشرتها فاذا لم يبقَ لي شغل آخر الآن فاسمحي لي ان اذهب الى بيت عمتي فلانة فقد وعدتها ان اكتب لها مكتوباً لابنها "

قلت ذلك واستندتُ الى باب المطبخ من التعب وانا انظر الى امرأة عجوز تحرّك القدر على النار وقد نظرتْ اليَّ كأنَّ كلامي لم يعجبها ثم قالت اذهبي مع السلامة لما كنتُ فتاة مثلكِ كان الرجال يكتبون المكاتيب والبنات يقتصرنَ على اعمال البيت

فضحكتُ وقلتُ ألا نستطيع ان نفعل الامرين معاً أوَلم تسمعي ما قالهُ الشيخ عني وهو اني طبَّاخة من اول طبقة وكاتبة مثل ابرع الكاتبات . فقالت وهو يحسب انكِ عين الكمال واظن انكِ تصوّبين رأيهُ فيكِ

فدنوت منها واعتنقتها وقلتُ لها ألستِ انتِ من رأيهِ ايضاً يا أُماه قولي الحق ألا تشكرين الله على الساعة التي اتيت فيها اليكِ . فضحكت وقالت اذهبي ولا تتأخري عن العشاء

ولما خرجت من الباب سمعتُ الاولاد يقرأون دروسهم ورأيت الشيخ زوجها جالساً يغمض عينيهِ من النعاس فتذكرتُ اليوم الذي وصلت فيهِ الى هذا البيت منذ خمس سنوات البيت الذي تعلمت فيهِ القراءة وانا طفلة ثم اقمت فيهِ عند هذا الشيخ الفاضل وزوجتهِ كل هذه المدة وهما يعاملانني كأني ابنة لهما وكنت احبهما كوالدين وكثيراً ما كانت افكاري تعود بي الى استانبول فاصرفها عن ذهني بخدمة البيت الذي آواني . اما الآن فكان القاضي قد سهر عندنا في الليل الماضي واخبرنا عن اعلان الحرب بين الدولة العلية والروس فقلت لا بدَّ من ان يُرسَل نافذ بك اليها واظنهُ الآن في ميدان القتال

كانت هذه الافكار تراوحني وانا سائرة في طريق يؤدي الى مرتفع من الارض كثير

الاشجار وبينما انا ماشية سمعتُ صوت الطبول بغتة فاستغربت صوتها لانني سمعتهُ حينما كنت افكر في الجنود والقتال فوقفتُ قليلاً لارى من اين اتى الصوت واذا بصوت كوقع اقدام الجنود ولم يكن الاَّ قليل حتى انكشفت لي فرقة من الجند معها ضابطان راكبان وكاني عرفت السابق منهما تخفق فؤادي والتفت هو اليَّ ثم صرخ مستغرباً فنظرت اليهِ واذا هو علي بك بعينهِ فكلم رفيقهُ كلمتين ووثب عن ظهر جوادهِ وامسك بيدي وصرخ امينة أأنتِ هنا ما اتى بكِ الى هنا أكنتِ هنا كل هذه المدة

فقلت نعم كما ترى قلت ذلك وقد صبغت وجهي حمرة الخجل

فقال نعم عرفتُ كل شيءٍ هربتِ من وجه نافذ لكي يدبر امرهُ بنفسهِ ولقد احسنتِ لان الامور اصطلحت نوعاً مدةً ما

فقلت لهُ وكيف حال الجميع الآن آهِ لو تدري مقدار تعطشي الى سماع اخباركم. وكانت الفرقة قد مرَّت كلها . فقال كلهم بخير ما عدا هانم افندي . فقلت ما لها وممَّا تشكو فقال لا تشكو من شيءٍ الآن لانها مضت في العام الماضي الى رحمة ربها

فغمني هذا الخبر جدًّا وقلت وا حسرتاه عليكِ يا اماهُ . ثم قلت لهُ ماذا كان مرضها وما هو سبب موتها . فقال الغم الشديد فقد مرضت لما مضى نافذ الى باريس ثم صلحت صحتها لما تزوَّج عطية لكنها لم تعد تستطيع ان تراهُ حزيناً . ولما قال ذلك تغيَّر وجهي ورأى ذلك فقال انهُ لم يتوفق قط فان عطية هانم لم تحسن السير معهُ ولا مع حماتها واخيراً اضطرَّ ان يفارقها وكان يكظم الغيظ و يظهر الجلد ويخشى الفضيحة وحاول ان يكبح جماحها و يستر عيوبها فلم يستطع لانها خلعت العذار وتمادت في الشر واخيراً طلبت منهُ ورقة الطلاق وتزوجت بواحد من ياورية السلطان وكان ذلك الضربة القاضية على هانم افندي . ولم يعاتبها نافذ على ما جرى ولا قال لها كلمة من هذا القبيل اما هي فكانت تعرف ان اللوم كلهُ عليها واخيراً انفجر عرق في قلبها وقضت نحبها

وكان الحزن قد غلب عليَّ فجلست اسكب العبرات وابكي من كبد حرَّى ولما هدأ روعي قليلاً قال لي ان نافذًا في طرابزون الآن وانا ذاهب اليهِ وقد أُمرت ان ابقى هناك الى ان تعلن الحرب . ولا بدَّ من ان اخبرهُ عنكِ وساكتب الى البيت ايضاً واخبرهم لان نصرالله باشا يود ان يقف على اخباركِ فماذا تريدين ان اقول لهم

فقلت سلِّمْ عليهم وقل لهم اني لم انسَ ولا انسى جميلهم ومعروفهم

فقال وماذا اقول لنافذ والآن لم يبقَ مانع يمنع اقترانهُ بكِ الاَّ اذا كنتِ قد تزوجتِ بآخر

فلاح امام عينيَّ ضياء الرجاء وخفق له فؤادي لكني قلت له والحياء يكاد يمنعني الكلام لعلَّهُ غيَّر رأيهُ الآن

فضحك وقال أهذا كل اعتراضكِ فهل اقول له انكِ لا تمتنعين عن اجابة طلبهِ اذا كان لا يزال عازماً على الاقتران بكِ . ثم امسك بيدي وباس جبيني وقال ان ادهم باس هذا الجبين مرةً لما اعترفت لهُ بحبكِ لاخيهِ وانا احذو حذوه والآن لا بدَّ لي من الذهاب فاودعكِ يا بنتي العزيزة الى حين اللقاء

الفصل الثامن عشر

مرَّ شهر كأنهُ عام وتأججت نار الحرب وحمي الوطيس وقلقتُ على نافذ لاني كنت اعلم انهُ في دار القتال ولما لم يأتني خبر منهُ ولا من استانبول خفتُ ان يكون علي بك مخطئاً في ما ظنهُ من رغبة نصرالله باشا في رجوعي الى بيتهِ

وذات يوم كنت في المطبخ فسمعت الباب يقرع ثم دخلت المرأة التي كنت في بيتها وقالت لي اتى رجل جليل القدر يقول انهُ من بيت نصرالله باشا . فخرجت واذا انا بادهم بك نفسهِ فمسكني بيديهِ وقال تعالي يا بنتي تعالي اتيتُ لاخذكِ الى البيت . نافذ في الحرب الآن ولكن ابي امرني ان آتي اليكِ واطلب منكِ ان ترجعي الى بيتهِ كزوجة لابنهِ

ولما رأى ان هذا الخبر حرَّك كل عواطفي تركني وسار الى الشباك ووقف ينظر منهُ الى ان هدأ روعي قليلاً فعاد اليَّ وقال أتستطيعين ان تسافري معي غداً اذ لا بدَّ من رجوعي باسرع ما يمكن

وفي الصباح ودَّعنا الابوين الكريمين اللذين اعتنيا بي هذه السنوات الخمس ودَّعناهما وشكرناهما على فضلهما وجميلهما وسرنا الى استانبول فرحَّبت بي ولية هانم ووحيدة هانم وزادت بهجتي برؤية سنية هانم فانها عادت مع زوجها الى استانبول بعد وفاة حافظ باشا وقدمات بعد احتراق البيت ببضعة اشهر . وقابلني نصرالله باشا بالترحاب وضمني الى صدرهِ وجعل يقبل جبيني والدموع تهطل من عينيهِ وقال لي اصفحي يا بنتي عمَّا اسأْنا بهِ اليكِ فقد نغَّصنا عيشك وعيش ذلك الولد المسكين

فقلت له اني لا اذكر لكم يا مولاي الاَّ المعروف والجميل فانهُ لولاك ولولا ادهم بك ما وقعت عيني على هذا البيت مرةً أُخرى وانا احقُّ بان اطلب الصفح منكم لاني نغَّصت عيش ابنكم

ومرَّت الشهور ونحن على احر من جمر الغضا ننتظر الاخبار من دار الحرب ساعةً بعد ساعة وذهب نافذ بك وعلي بك الى بلافنا وحُصرا فيها وحاربا مع حاميتها حرب الابطال

فكنا لانفتكر بهما الاَّ بالفخر بسالتهما والخوف على حياتهما الى ان وضعت الحرب اوزارها وابيح لها الرجوع الى البيت وحان يوم الرجوع وكنا في المصيف وأُرسل القايق الذي يأتي بهما فنزلت الى البستان وانا اقول في نفسي انهُ لم يذكر اسمي في تحاريره فلعلهُ نسيني او لم يعد يحبني فيرى انتظاري لهُ هنا طموحاً مني اليهِ وتطالاً الى ما هو فوق طوري . وغصت في هذه الافكار تتجاذبني المخاوف والشكوك الى ان شعرت بواحد دنا مني وقبض عليَّ بكتفنا بيديهِ وحينئذٍ زال كل شكٍّ من نفسي وبعد قليل نظرت اليهِ والحال اغرورقت عيناي بدموع الفرح وكان قد نحف واصفرَّ وكثرت الاسارير في جبينهِ اسارير الهموم والغموم ولم يعد جميلاً كما كان ولكنهُ الرجل الذي احببتهُ ولا ازال احبهُ جميلاً كان او غير جميل . ولما استطعت الكلام قلت لهُ عدنا التقينا وهذا ليس حلماً

فقال لا ليس حلماً والحمد لله وما عاد يفرقنا الاَّ الموت وعلى هذه الصورة دخلنا البيت واحدنا ماسك بالآخر

قال معرب القصة . وكُتِب الكتاب تلك الليلة وعاش نافذ بك وامينة هانم على غاية الرفاه والهناء مثالاً للعيشة الزوجية الطاهرة لاتفاق عقليهما وقلبيهما مثالاً يشار اليهِ بالبنان ويستفيد منهُ الاقارب والاباعد ويدلُّ على ان كنوز الفضيلة ومكارم الاخلاق غير نادرة في ابناء المشرق ولو رصدت عاداتهم ابوابها ومنعتها من الظهور احياناً كثيرة

أكان لويجي كورانو مصيباً

او الغذاء الكثير في الطعام القليل

تلا الدكتور ڤان سومرن مقالة في مجمع الطب البريطاني موضوعها "أكان لويجي كورانو مصيباً" فكان لها وقع عظيم في ذلك المجمع وكثر بحث الاطباء فيها . وكورانو هذا رجل من اشراف البندقية ولد سنة ١٤٦٧ وتوفي سنة ١٥٦٦ كان وهو شاب كثير الترف فمرض وهو في الاربعين من عمرهِ واشار عليهِ الاطباء ان يقلِّل أكلهُ فاقتصر على رطل (ثلث اقة) من الطعام ورطل من الشراب في اليوم وزاد في تقليل طعامهِ رويداً رويداً حتى صار يكتفي ببيضة واحدة في اليوم ولما صار عمرهُ ٨٣ سنة ألَّف كتاباً في اصح الطرق لاطالة العمر واتبعهُ بثلاثة كتب اخرى ألَّفها وهو في الستة والثمانين والحادية والتسعين والخامسة والتسعين من عمرهِ . وتوفي وعمرهُ ٩٨ سنة

قال كاتب هذه المقالة فهل كان لويجي كورانو مصيباً وهل اكتشف اسلوباً غير معروف للتغذية وهل الاعتدال في الطعام والشراب ضروري لاطالة العمر . لا شبهة في اننا نأكل اكثر مما تحتاج اليهِ ابداننا فما هو المقدار اللازم لها . واجاب عن هذه المسائل بما خلاصتهُ

ان الطبع يقود الانسان الى ما هو صالح لهُ . ونواميس الطبيعة صالحة كلها لا يُضام من يتبعها ولكن مَن يخالفها لا ينجو من عاقبة المخالفة . والمرءُ يحيا بما يهضمهُ لا بما يأكلهُ فلماذا يأكل ما لا يهضمهُ

كثيرًا ما يأتينا مريض يشكو من النقرس او من سوء الهضم (الدسبسيا) فنسأَلهُ عن اعراض مرضهِ ونصف لهُ الطعام اللازم والدواء النافع ولا نقول لهُ كلمةً عن اسنانهِ ولعابهِ فيعود الينا بعد ايام اصلح حالاً او اسوأ . فان كان اصلح يبقى كذلك مدة استعمال العلاج ثم يعود الى حالهِ الاولى حالما يتركهُ . واذا كان اسوأ حالاً غيّر علاجاً بعد علاج الى ان يألف الداء ولا يعود يعبأ بالدواء او يجعل دأبهُ الانتقال من طبيب الى آخر على غير جدوى . ولم يولد الانسان ليقتصر على طعام واحد وتكون زجاجة الدواء في جيبهِ دائماً ولا ليكون دأبهُ التردد على الاطباء واماكن المعالجة . ولكن مَن خالف الطبع وناقض نواميس الكون لا تُرجَى لهُ راحة ولا ينجو من ضيم

في الحلق رقيب يرقب الطعام ويدل الانسان على ما يصلح ابتلاعهُ منهُ وما لا يصلح ويبين لهُ ايضاً متى يحسن ابتلاع ما يصلح ابتلاعهُ لكننا خالفنا هذا الرقيب منذ الصغر باعتيادنا السرعة في الاكل فلم يعد يقوم بعملهِ على ما يُرام

نبهني بعضهم في الخريف الماضي الى شيء اصابهُ في حلقهِ فصار لا يستطيع ابتلاع طعام ما لم يحسن مضغهُ وقال انهُ شعر بذلك من حين اخذ يمزج طعامهُ باللعاب جيداً وهو يمضغهُ حتى يزول منهُ طعمهُ الاصلي فاذا صار الطعام في فيهِ خالياً من الطعم لم يعد يسهل بلعهُ الاَّ اذا مضغهُ جيداً . ومن حين اخذ يمضغ طعامهُ على هذه الصورة شفي من مرضين مزمنين كانا فيهِ وكانت شركات ضمانة الحياة تمتنع من ضمان حياتهِ بسببهما . وكان وزنهُ ٢٠٥ ارطال (ليبرات) فصار ١٦٥ رطلاً ولم يغير اشكال الطعام التي كان يأكلها لكنهُ قلل مقدارهُ ولما رأت شركات ضمان الحياة انهُ شفي من مرضيهِ وجادت صحتهُ ضمنت حياتهُ وكتب كتاباً موضوعهُ الافراط في الطعام

وقد جرَّبتُ تجارب كثيرة في نفسي وفي غيري فثبت لي منها ان نفع الطعام وضررهُ ليسا في نوعهِ بل في طريقة مضغهِ وازدرادهِ . وان في الاطعمة كلها شيئاً من الحموضة ولكن

الطعام الذي يمضغ جيداً تزول حموضتهُ ويصير قلوياً لان مزجهُ باللعاب وقت مضغهِ يزيل حموضتهُ . والطعام الخالي من الطعم لا يدعو الى افراز اللعاب واذا أفرز شيء منهُ لا يكون قلويَّ الفعل . ولا يسيغ الحلق بلع الطعام الخالي من الطعم قبل مضغهِ جيداً فلا يُبلَع الاَّ بجهد . اما الطعام السائل المغذي كالمرق واللبن والشاي والقهوة والاشربة المختلفة فيجب مزجها باللعاب كأنها طعام جامد ليسوغ بلعها ويسهل هضمها اذا شربها البالغون اما الماء فلا طعم لهُ ولذلك لا يحتاج الى ان يمزج باللعاب فيقبلهُ الحلق ولا يمنع ابتلاعهُ

وخلاصة ما تقدَّم ان الحلق (وما جاورهُ) اذا اعتاد الطعام الذي صار قلوياً بمزجهِ جيداً باللعاب يصير يرفض الطعام الذي فيهِ حموضة فيصعب عليهِ بلعهُ . وقد جربتُ ذلك في واحد وثمانين شخصاً من امم مختلفة عوَّدتهم مزج طعامهم بلعابهم فصاروا لا يستطيعون ابتلاعهُ ما لم يمضغوهُ جيداً . وعندي ان سوء الهضم يزول تماماً اذا اعتاد الناس ان يمضغوا طعامهم حتى يزول طعمهُ ويبتلع بسهولة من تلقاء نفسهِ لا بجهد منهم . اي يجب ان يمضغ الطعام جيداً وتزول حموضتهُ قبل بلعهِ اما الطفل الذي لا يفرز لعابهُ في الاشهر الاولى من حياتهِ فيكون في ثدي امهِ مادة قلوية تقوم مقام اللعاب ثم يكثر لعابهُ حينما تظهر اسنانهُ وحينئذٍ يتعلَّم مضغ الطعام لمزجهِ باللعاب

اطعمتُ اربعةً اللبن وجعلتهم يقتصرون عليهِ الاول كان يشربهُ كما يشرب الماء فبعد ثلاثة ايام عافهُ ولم يعد يستطيع شربهُ وطلب مني ان اعفيهُ منهُ . وبقي الثاني والثالث والرابع يشربون اللبن سبعة عشر يوماً لانهم كانوا يمزجونهُ بلعابهم جيداً وكان الرابع يمزجهُ اكثر من رفيقيهِ ويشرب منهُ اكثر منهما ومع ذلك لا يخرج من برازهِ قدر ما يخرج من برازهما . ويستنتج من ذلك ان مزج اللبن باللعاب يسهّل بلعهُ وهضمهُ وامتصاصهُ . وكان الرابع يشرب اكثر من رفيقيهِ كما تقدَّم ولكن لم يزد ما كان يشربهُ في اليوم على لترين (نحو اقة ونصف) ومع ذلك لم يخفّ وزن احد منهم بعد الثلاثة الايام الأُوَل وبقوا يشربون اللبن بشهيَّة كل مدة الامتحان فدلَّ ذلك على ان القليل من اللبن يغذي الجسم جيداً ويكفيهِ اذا مضغهُ الانسان قبلما يشربهُ واحسن مزجهُ بلعابهِ

وقد عُلم منذ القرن السابع عشر ان الرئتين والكليتين والجلد والامعاء تفرز كلها الفضول التي لا يحتاج الجسم اليها والتي اذا بقيت فيهِ اضرَّت بهِ ولم تكن حقيقة هذه الفضول معروفة ولكن كان يُعلم ان الجسم يبقى على حالهِ سواء زاد الطعام او قلَّ اي انهُ يغتذي بما يحتاج اليهِ من الطعام ويفرز ما لا يحتاج اليهِ . وها كم تجربتين الواحدة للدكتور سنيدر من اطباء ديوان

الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية والثانية لكاتب هذه السطور يظهر منهما مقدار الطعام ومقدار ما يغتذي بهِ الجسم منهُ

	تجربة الدكتور سنيدر	تجربتي
عمر الرجل	٢٢ سنة	٣٠ سنة
مدة التجربة	٤ ١/٢ يوم	٥ ايام
عدد الاكلات	١٣	١٠
بطاطس يومياً	١٥٨٧ غراماً	١٥٩ غراماً
بيض "	٤١١ "	١٢٤ "
لبن "	٧١٠ سنتيمترات مكعبة	٧١٠ سنتمترات مكعبة
زبدة "	٢٣٧ " "	٢٣٧ " "
بولهُ "	١١٠٣ غراماً	١٠٩٨ غراماً
برازهُ "	٢٠٤ غرامات	١٩ غراماً
ثقلهُ عند ابتداء التجربة	٦٢,٥ كيلو	٥٧,٣ كيلو
" " انتهاء	٦٢,٦ "	٥٧,٥ "

فكان الدكتور سنيدر يطعم الرجل الذي جرَّب فيهِ ثلاثة ارطال ونصف رطل من البطاطس وثماني بيضات ورطلاً ونصفاً من اللبن ونصف رطل من الزبدة كل يوم وانا كنت اطعم الرجل الذي جربت فيهِ ثلاث بيضات فقط واضيف اليها من البطاطس ما يجعل وزنها رطلاً واحداً واطعمهُ من اللبن والزبدة كما اطعم الدكتور سنيدر. وكان الرجل الذي امتحن فيهِ مساعداً لهُ في معملهِ يعمل الاعمال العادية في المعمل واما الرجل الذي جربتُ فيهِ انا فكان يلعب ستة ادوار بالتنس كل يوم او يركب ساعة ونصفاً على حصان ويمشي ساعةً ونصف ساعة ويقرأ ويكتب كثيراً. وبقي ثقل جسميهما على حالهِ لكن الرجل الذي جربت فيهِ انا كان طعامهُ من البيض والبطاطس نحو سدس طعام الرجل الذي جرب فيهِ الدكتور سنيدر كما يرى من الجدول السابق

ولا يخفى ان تعب الجسم واعضاء الهضم بالمقدار القليل من الطعام اقل من تعبها بالمقدار الكثير وزد على ذلك ان الامعاء كانت تضطر في الحالة الاولى الى افراز ٢٠٤ غرامات من الفضول الخبيثة واما في الحالة الثانية فلم تضطر الا الى افراز ١٩ غراماً

وقد زعم البعض ان للميكروبات التي في الامعاء شأناً كبيراً في الهضم ثم ثبت فساد هذا

الزعم وظهر بالامتحان ان الحيوان يهضم طعامهُ جيداً ولو لم يكن في امعائهِ شيء من الميكروبات فان كانت الميكروبات كثيرة في الامعاء فلا بدَّ من ان تفرز مواد سامَّة تصل الى الدم وتتوزع منهُ في الجسم مع دقائق الغذاء التي هي قوامهُ . فان كانت الدقائق التي يبنى منها الجسم مصحوبة بالسم أفلا يسقم وتضعف اعضاؤُهُ عن قضاء وظائفها وتقصر الحياة وتزيد آلامها . وكيف لا تكثر الميكروبات في الامعاء والطعام كثير لا تهضمهُ الأ بالعناء الشديد فيفسد فيها ويصير اصلح شيء لنمو الميكروبات . وكيف يكون الدم حاوياً مواد سامَّة ويستطيع ان يساعد الجسم على مقاومة ميكروبات الامراض وسمومها بل كيف لا يكون مستعداً لها تمام الاستعداد . واما اذا كان الطعام قليلاً على قدر حاجة الجسم فقط هلكت ميكروباتهُ في المعدة بفعل عصارتها الحامضة وقلَّت الميكروبات التي في الامعاء رويداً رويداً حتى تزول منها لانهُ لا يبقى لها شيء تغتذي بهِ فلا تعود تفرز سمًّا يمتصهُ البدن فيصلح حال الجسم كلهِ ويزيد مضاء العقل وتقل الشهية الشديدة للطعام

والامور التي ذكرتها اخيرًا بعضها مبنيٌّ على الامتحان وبعضها يستنتج استنتاجاً ويؤيدها ان مبرزات الامعاء ومفرزات الكليتين والجلد تصير خالية من الرائحة الخبيثة تقريباً . وتقل المبرزات كثيرًا وتخرج مغطاة بمادة مخاطية فتترك آخر الامعاء جافًّا نظيفاً ويشعر المرء بالنظافة ظاهرًا وباطناً ولا يعود يصيبهُ شيء من التطبل وتزول رائحة البول الكريهة ويتغير تركيبهُ الكيماوي . واذا استمرَّ المرء على التأني في اكلهِ ومضغ طعامهِ جيداً تتولَّد فيهِ ملكة جديدة لتمييز الطعام النافع من غير النافع ولمعرفة المقدار الكافي منهُ ولا يعود يأكل الأ ما يحتاج جسمهُ اليهِ اي ما يكفي لنموهِ والتعويض عمَّا يندثر منهُ يومياً . وكل ما زاد على ذلك فمنهُ ضرر . وتزيد لذة الاكل وتقلُّ كيَّة الطعام جداً ويصير المرء يفضل الاطعمة البسيطة على غيرها

ولا يتصوَّر كاتب هذه السطور الآن انهُ يوجد طعام الذ من الخبز والبيض والزبدة والجبن . هذه المواد مع الخضر الطرية وقليل من الفاكهة هي طعامهُ الذي يعتمد عليهِ دائماً . وكل الذين عاد فيهم رقيب الحلق الى فعلهِ الطبيعي وهو منع الطعام من الدخول الى المعدة قبلما يمضغ جيدًا يقولون قولهُ ويفضلون الطعام البسيط على غيرهِ . وينتج من الاقتصار على هذا الطعام القليل الكمية ان الهضم يجود والتمثيل يكثر والنفقات تقل وتقل ايضاً المبرزات في كميتها وفي مرَّات خروجها حتى لا تعود تخرج الأ مرَّة كل خمسة ايام الى ثمانية ولا يبقى محل للقبض ولا للاسهال

هذا من حيث نتائج اعادة الحلق الى وظيفتهِ اما هذه الاعادة فليست بالامر السهل لان عادة اعتادها الانسان وجرى عليها سنين كثيرة لا يستطيع ابطالها في ايام قلائل . واقصر

مدة اعيد بها فعل الحلق اربعة اسابيع ولم يتم ذلك الاَّ بالانقطاع عن الحديث مدة الطعام وحصر الفكر كلهِ في ابقاء الطعام في الفم ومضغهِ جيدًا الى ان يصير قلوياً ويزول طعمهُ

واقول في الختام ايها السادة ان حفظ الصحة يقوم باعادة هذا الفعل المنعكس الى الحلق وما يجاورهُ وحينئذٍ تجري التغذية مجراها الطبيعي ويزول من الجسم ما يعدهُ للمرض والالم

ديوان حافظ

نشر حضرة الكاتب البليغ والشاعر الشهير محمد حافظ افندي ابرهيم الجزء الاول من ديوانهِ في ستة ابواب المديح وشكوى الزمان والوصف والخمريات والمراثي والمقاطيع مفتتحًا بمقدمة بليغة في الشعر يتلوها مقدمة اخرى لشارحهِ حضرة الكاتب المدقق والشاعر المجيد محمد هلال افندي ابرهيم ومذيلاً بتقاريظ نخبة من افاضل الشعراء

ولقد طالعناهُ بقدر ما وسعنا الوقت فرأينا ان حضرة ناظمهِ توخى فيهِ المسلك الجديد الذي دلَّ عليهِ في مقدمتهِ بقولهِ "ان خير الشعر ما سبق دبيبهُ في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال" وعلى هذه الخطة المثلى جرى اكثر شعراء هذا العصر الذين غاروا على الشعر العربي غيرة الضرائر وشق عليهم ان يبقى اسير التقييد والتقليد مكبلاً بسلاسل الاحتذاء ومحصورًا في ابواب لا يتجاوزها واساليب لا يتعداها فأخذوا يمزقون عنهُ تلك القيود ويدأبون على استرجاع مزيتهِ الضائعة ورونقهِ المفقود واستعادة مقامهِ الحقيقي بين الفنون الجميلة اي ان يكون حياً مؤثرًا يفعل في نفس سامعهِ ما يفعلهُ التوقيع الحسن والصورة الجميلة . او ما يفعلهُ الشعر نفسهُ في اللغة الانكليزية والفرنسوية وغيرهما من اللغات الاجنبية . وقد يصعب على الذين لا يعرفون غير اللغة العربية ان يدركوا الفرق العظيم بين مقام الشعر في لغتنا ومقامهِ في احدى اللغات الاوربية ولكننا اذا استفتيناهم في مئات من القصائد العربية وكانوا من المنصفين حكموا فيها ما يحكمهُ كل ذي ذوق سليم وقالوا انها ليست من الشعر في شيء وان هي الاَّ كلام موزون . اما الشعر الانكليزي مثلاً فقلَّ ان تجد فيهِ ما يصح تطبيق هذا الحكم عليهِ وهكذا الفرنسوي والالماني وغيرهما . اذًا شعرنا قاصر جدًّا عن مجاراة الشعر الافرنجي على انهُ لا يصح نسبة هذا القصور الى لغتنا وهي مشهورة بسعتها وغناها بل شعراؤنا انفسهم هم المطالبون بهِ والمسؤولون عنهُ . واسباب قصورهم كثيرة منها انشغالهم بالتقليد في ما ينظمونهُ فيخالفون شعور النفس في سبيل التحدي والاقتداء حرصاً على الاتيان باحدى النكات البيانية او

المحسنات البديعية او التعابير الشعرية العربية التي لاكتها الالسنة من ايام الجاهلية . قلنا انهم يخالفون شعور النفس ولا ندري كيف يصح بعد ذلك ان يسمَّى مثل هذا الكلام شعراً . ومنها تكلُّف النظم او محاولتهُ حين لا تجد النفس اقل هشاشةٍ او ارتياح اليهِ فيأنونهُ وقد اعتاص عليهم لجموح الخاطر او جمود القريحة وينسون ان الشعر شعورٌ او إلهام يهبط على نفوس الشعراء هبوط الوحي على الانبياء ولهُ اوقات خاصةٌ وعوامل معينة تفعل في النفس فتشعر فتقول . وعبثاً يحاول الشاعر ان يقول طمعاً في حمل النفس على الشعور . وشعراؤنا لا يراعون هذه القاعدة غالباً بل يستسلمون الى الاضطرار والإكراه فيمدحون او يرثون او يتغزلون وهم غير شاعرين بمؤثرٍ دافعٍ الى شيءٍ من ذلك . ولعلَّ هذه الحقيقة من اكبر الحزازات الغاشية صدورهم فلا يحسن بنا ان نثير دفينها ونحرك سكونها

وشاعرنا حافظ افندي عالم حق العلم بهذا القصور وقد نهج مثل كثيرين من شعراء العصر منهج الإصلاح . لكنَّ الطفرة محال وطريق الإصلاح وعث كؤود لا يسهل قطعهُ بلا تحمل المشاق والاتعاب . فقد جرى في كثير من ديوانهِ على ما ذكرهُ في المقدمة فجاء شعرهُ سابحاً بالنفس في عالم الخيال واكثر ما ترى ذلك في باب شكوى الزمان ولا سيما في ما كتبهُ الى محرر المرأة في القصيدة التي مطلعها

لحاظك والايامُ جيشٌ احاربه فهذي مواضيهِ وهذي كتائبه

وفي القصيدة التي مستهلها

تناءيت عنكم فحُلَّت عرى وضاعت عهودٌ على ما ارى

وفي باب الوصف وقد اجاد فيهِ ما شاء بقصيدة " دولة السيف ودولة المدافع " وهي

يا دولة القواضب الصقالِ وصولة الذوابل الطوالِ
كم شدت بين الاعصر الخوالي ممالكاً غزيرة المنالِ
قامت بحد الابيض الفصَّالِ ومن ذاك الاسمر العسَّالِ
راحت بها الايام والليالي وخلفتها دولة الجلالِ
مملكة المدفع ذات الخالِ قامت بهول النار والزلزالِ
فارهبت افئدة الابطالِ آرهبها مزعزع الجبالِ
ومفزع الليوث في الدحالِ وقاطع الآجال والآمالِ
وخاطف الارواح من اميالِ بنور كالبركان في النزالِ
فيتبع الاهوالَ بالاهوالِ ويرسل النار على التوالي

فيحطم الهامَ ولا يبالي ما كوكب الرجم هوى من عالِ
فرَّ كالفكر سرى بالبالِ على عنيدٍ ماردٍ محتالِ
مسترق للسمع في ضلالِ من عالم التسبيح والاهلالِ
امضى وانكى منهُ في القتالِ اذا سرت قنبلة الوبالِ
من فيهِ المحشوّ بالنكالِ ينذرهم في ساحة الجِلالِ
بالبرقِ والرعدِ وبالآجالِ ولم يكن كذلك الختّالِ
يحزُّ في الهام وفي الاوصالِ صامت قول ناطقَ الفعالِ
رأيتهُ كالقوم في المثالِ مالوا عن القول الى الاعمالِ
فامتلكوا ناصية المعالي

وفي قصيدة "الكساء" وهي من ابيات شعرهِ . ولهُ شيءٌ كثير من ذلك في بابي المراثي والمقاطيع . لكنَّ المسلك الجديد الذي خطهُ في المقدمة لم يستطع استطراقهُ في بعض مدائحهِ ومراثيهِ واكثر خمرياتهِ ومقاطيعهِ وكأنَّهُ لم يقوَ على استئصال شأفة التقليد من ذهنهِ فأتاهُ سهوًا او اضطرارًا وجاء نظمهُ فيهِ كلامًا موزونًا لا شعرًا شاعرًا . فمن المدح قولهُ من قصيدةٍ

والملكُ فوقَ سريرِ الملك تحرسهُ عينُ الالهِ وترعى أعينُ الشُّهُبِ

ومنها

فهو ابنُ اكرم من سادوا ومن ملكوا وهو الاب المقتدى للسادة النُّجُبِ

ومن قصيدة أُخرى قولهُ

اني فتحتُ لها صدرًا تليق بهِ ان لم تحلهُ فالرحمن حلاَّهُ
لم اخشَ من احدٍ في الشعر يسبقني الاَّ فتى ما لهُ في السبقِ الاَّهُ

ومن الخمريات قولهُ

هذا الظلام أثار كامن دائي يا ساقيَّ عليَّ بالصهباءِ
بالكاس او بالطاس او باثنيهما او بالدنان فانَّ فيهِ شفائي

ومنها يا صاحبي كيف النزوع عن الطلا ولقد بليتُ من الهموم بداءِ
والليل ارشدهُ ابوهُ لشقوتي وكذا البنون على هوى الآباءِ

ومن قصيدة أُخرى

اوشك الديك ان يصيح ونفسي بين همٍّ وبين غمٍّ وحدسِ

يا غلامُ المدامَ والكاس والطا ... سَ وهيِّ لنا مكاناً كأمسِ
واطلق الشمس من غياهب هذا الد ... نّ واملأ من ذلك النور كاسي
واذن الصبح ان يلوح لعيني ... من سناها فذاك وقت التحسي

ومن المراثي قولهُ

اني ليحزنني ان جاءَ ينشده ... داعي المنون واني غير منشودِ
أمست تنافس فيك الشهب من شرفٍ ... ارضٌ تواريتَ فيها يا فتى الجودِ

ومن قصيدةٍ أخرى

عطَّلتَ فنّ الشعر بعدك وانطوى ... أجلُ القريضِ وموسم الشعراء

ومنها

شوقتنا للترب بعدك واشتهي ... فيهِ الاقامة واحد العذراء

ومن مقاطيعهِ قولهُ

اخي والله قد مُلِئ الوطابُ ... وداخلني بصحبتكَ ارتيابُ
رجوتك مرةً وعتبتُ اخرى ... فلا اجدى الرجاء ولا العتابُ
نبذت مودتي فاهنأ ببعدي ... فآخر عهدنا هذا الكتاب

وقولهُ

ظبيَ الحمى بالله ما ضرّكا ... اذا رأينا في الكرى طيفكا
وما الذي تخشاهُ لو انهم ... قالوا فلانٌ في الهوى عبدكا
قد حرَّموا الرقَّ ولكنهم ... ما حرَّموا رقَّ الهوى عندكا

فلا نظنُّ شاعرنا البليغ يقول بشعريَّة مثل هذه الايات ولا نراهُ يدَّعي لها اقلَّ قوةٍ على ان تسبح بالنفس خطوة واحدة في عالم الخيال لانها منظومة في معانٍ تناهبتها الخواطر وتنازعتها القرائح فلم يعد لها في النفس شيءٌ من التأثير فضلاً عن انها عاطلة الجيد من حلى السهولة والانسجام والرصانة والرشاقة والمتانة وغيرها مما ازدانت بهِ عرائس هذا الديوان العامر بآيات البلاغة وبينات البيان

فالناقد البصير يرى منظومات شاعرنا البليغ مشهداً للشعر الحديث الذي ارادهُ وتوخاهُ ومثالاً للشعر القديم الذي تنكبَّهُ ولكنهُ اتاهُ وقد لا يودُّ ان يكون اتاهُ وهو على الجملة شاهدٌ عدلٌ لحضرة الناظم بتوقد القريحة ومضاء الخاطر. واستحقاقهِ للشكر العطر والثناء الوفر

القاهرة اسعد داغر

الصحيح من الفراسة

تمهيد

الفراسة او الفزيوغنوميا مثل السحر والتنجيم من الموضوعات التي يرغب الناس فيها وتشغلهم سخافئها عن الجواهر كما قلنا في جزء سابق . بل هي والتنجيم اخوان وقد استنبط التنجيم مساعداً لها وعاش بهما قليلون من المحتالين على نفقة كثيرين من المجانين كما قال الاستاذ منتغزا الايطالي في كتاب الفهُ حديثاً في الفراسة طبع اولاً سنة ١٨٩٠ . ويطلق على الفراسة اسم العلم توسعاً وهي في الحقيقة صناعة لم تصر علماً حتى الآن اي ان معلوماتها التي اثبتها البحث والتمحيص قليلة ولم تبوَّب حتى الآن ولا رُدَّت الى قواعد كلية . هذا ما يقوله فيها العلماء المحققون قالت انسكلوبيذيا تشمبرس المطبوعة سنة ١٨٩١ "الفراسة صناعة الاستدلال على اخلاق الانسان من هيئته الخارجية وهي مبنية على اعتقاد قديم مفاده ان بين هيئة الوجه وملامحهِ وبين اخلاق الانسان واحوال عقلهِ ارتباطاً شديداً . ويعلم كل احد انهُ يستنتج نتائج من هذا القبيل يثق بها كثيراً او قليلاً في معاملاتهِ وقد حاول كثيرون وضع قواعد لاستنتاج هذه النتائج حتى ترتقي صناعة الفراسة الى مقام العلم لكن حبطت اعمالهم"

وقال العلاَّمة منتغزا في الكتاب المشار اليهِ آنفاً "يدعي بعض الناس انهم خُصوا بقوة من الفراسة يميزون بها اخلاق المرء ويعرفون ما اذا كان صالحاً او طالحاً مخلصاً او مرائياً كريماً او بخيلاً شجاعاً او جباناً وقد يصيبون في مزاعمهم بعض الاحيان لان قوة الملاحظة شديدة فيهم وقد مرَّنوها حتى قويت كما تقوى سائر قوى العقل بالتمرين ولكنهم يخطئون اذا حاولوا ان يخطُّوا الصناعة الى العلم اي ان يضعوا القواعد والقوانين لما هو مقتصر على ثمار اختبارهم وذكائهم" الى ان قال "ومن يتعلم قواعد اهل الفراسة ويحاول تطبيقها على من يراهُ من اهل زمانهِ يجد ان لافاتر[1] خدع نفسهُ تسعين مرةً من كل مئة مرة او ان اهل عصرهِ لا يشبهون اهل عصرنا[2] مع ان في كتاب لافاتر من المعلومات ما ليس في كتاب

(1) لافاتر Lavnter هو يوحنا كسبر لافاتر القس السويسري ولد بزورك سنة ١٧٤١ واشتهر اولاً بنظم الشعر والتصوُّف او ما يماثله وسيم قسيساً وبحث في الفراسة بحثاً مستفيضاً وجمع معلومات كثيرة نشرها في كتاب كبير ترجم الى اللغة الانكليزية منذ سنة ١٧٩٣ وطبع في ثلاث مجلدات فيها كثير من الغث وقليل من السمين مثل اكثر ما كتبهُ اصحاب الفراسة

(2) قيل ان زمرمن صديق لافاتر بعث اليهِ مرةً برسم رجل وكتب اليهِ كتاباً مع الرسم يسألهُ عنهُ . وكان لافاتر ينتظر رسم هردر الفيلسوف الالماني المشهور فلما وصل اليهِ هذا الرسم اطنب في وصف

آخر غيره من كتب الفراسة ما عدا كتب دلاَّ بورتا [٣] الذي فصل بين الفراسة والتنجيم"

وجمع صديقنا الاستاذ مكلستر تاريخ الفراسة وزبدة مباحثها في اقل من ثلاث صفحات في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية مع ان مقالة علم الفسيولوجيا التي اتت بعدها ملأت ٥٦ صفحة اكثرها بالحرف الدقيق . وابان" ان القدماء كانوا يعتقدون بالفراسة كما يعتقدون بالسحر والتنجيم الى ان تقدَّم علم التشريح في القرن السابع عشر فضعف الاعتقاد بها وزاد اهمالها في القرن الثامن عشر ولكن فصاحة لافاتر وتقواهُ ومهارتهُ في التمثيل شهرت كتابهُ في هذا الموضوع شهرةً لا يستحقها لانهُ دون الكتاب المنسوب الى ارسطوطاليس . ولم يقم بعد لافاتر مؤلف مشهور ثم جاءت الفرينولوجيا فكانت الضربة القاضية على الفراسة"

واول من بحث عن ملامح الوجه بحثاً علمياً هو السر تشارلس بل [٤] في كتاب نشرهُ سنة ١٨٠٦ في تشريح الملامح ومن ثمَّ صار للفراسة اساس علمي لكنها تجرَّدت من اكثر مزاعم لافاتر وغيرهِ من الذين جاءوا بعدهُ او قاموا قبلهُ ولذلك لم نعبأ بشيء من مزاعم المتقدمين ومَن حذا حذوهم من المتأخرين فلم ننشر شيئاً منها في المقتطف الاَّ عرضاً كما اننا لم ننشر شيئاً عن السحر والتنجيم الاَّ ما نبين بهِ فسادها . اما وقد دعت الحال الآن الى ذكر ما يصح الاعتماد عليهِ من الفراسة او من دلالة الملامح على العواطف كما اثبتهُ اهل البحث والتحقيق فاعتمدنا على احدث كتاب علمي وُضع فيها وهو كتاب الاستاذ منتغزا رئيس الجمعية الانثربولوجية الايطالية

ولا يراد بدلالة الملامح ما يظهر من شكلها التشريحي كاتساع الفم وضيقهِ وكبر الانف وصغرهِ وطول الحاجبين وقصرهما بل كيفية التعبير عن العواطف بحركاتها كالضحك وتوسيع المنخرين وتقطيب الحاجبين فانهُ قد يوجد رجلان الواحد صغير العينين افطس الانف واسع الفم والثاني كبير

قوى صاحبهِ العقلية وقريحتهِ الشعرية وكان الرجل من الجهلة القتلة الذين حكم عليهم بالقتل فتأمل

(٣) دلاَّ بورتا Della Porta طبيب من اهل نابولي ولد سنة ١٥٤٣ وتوفي سنة ١٦١٥ لهُ كتب كثيرة في الفسيولوجيا والزراعة والسحر الطبيعي والفراسة

(٤) هذا ما ذهب اليهِ الاستاذ مكلستر الشهير ويقول الاستاذ منتغزا ان كمبر الجراح الهولندي الشهير مكتشف دلالة الزاوية الوجهية هو اول من وضع اساساً علمياً للفراسة وقد نشأ كمبر في اواخر القرن الثامن عشر فانهُ توفي سنة ١٧٨٩ الاَّ ان الاستاذ منتغزا عاد فقال ان كتاب تشريح الملامح وفلسفتها الذي وضعهُ السر تشارلس بل هو اول كتاب في دلالة الملامح مع ان الفضل في درسها درساً علمياً حفظ لداروين لانهُ اول من بحث عن اسبابها الطبيعية في الانسان والحيوان وبينهُ وبين دلا بورتا قرنان انتقلت الفراسة فيهما مما يماثل الكهن والتنجيم الى اساليب البحث العلمي . كانت اولاً افكاراً قليلةً ممزوجة ببحر من الاوهام والتخرُّصات فصارت حقائق قليلة ممزوجة بكثير من الظنون والشكوك . وبين كتاب دلا بورتا وكتاب داروين بون شاسع الاول خيالات واوهام والثاني ارض ثابتة يسير الانسان عليها عالماً انهُ سائر في طريق العلم

العينين اقني الانف صغير الفم ويضحك كلاهما اذا فرحا ضحكاً واحداً وتظهر على وجهيهما امارات المحبة والبغضة على اسلوب واحد اي ان دلالة ملامحهما على عواطفهما تكون واحدة ولو اختلفت ملامحهما شكلاً اختلافاً كبيراً . ولا بدَّ من وصف ملامح الوجه اي اعضائهِ المختلفة قبل الكلام عمَّا ما يبدو عليها من امارات اللذة والالم والحب والبغض ونحو ذلك مما سنقف عليهِ مفصلًا

الفصل الاول في الوجه وملامحهِ

الوجه مرآة النفس يبدو عليهِ ما يخامرها من فرح او ترح وحب او بغض ولذَّة او الم . وقد بالغ بعضهم في دلالتهِ وقالوا ان اخلاق المرء تبدو على وجههِ . ولقد احسن ابن الرومي في عدم اطلاقهِ ذلك حيث قال

لهُ محيًّا جميلٌ يستدَلُّ بهِ على الجميل وللبطنان ظهرانُ
وقلَّ من اضمرت خيرًا طويتهُ الاَّ وفي وجههِ للخير عنوانُ

ووافقهُ ابو تمام واصاب كبد الحقيقة حيث قال

واني رأيتُ الوسم في خُلُق الفتى هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلدِ

اي ان الجمال هو جمال الاخلاق لا جمال الوجه ولا يدلُّ هذا على ذاك دلالة قاطعة . ومثل ذلك قول ابي الطيب المتنبي

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

قابل قول هذين الشاعرين الحكيمين وتحرُّسهما بما قالهُ لافاتر كبير اهل الفراسة من الاوربيين قال سأل بعضهم عالماً من علماء الفراسة ما هي قيمة وجهي عندك فقال العالم ان ذلك صعب تقديرهُ فقال الرجل ان قيمتهُ الف وخمسمئة ريال لان التاجر الفلاني ائتمنني على هذا المبلغ حينما رأى وجهي . وقال ايضاً جاء رجل الى الكونت فلان لشغل ما ولما قضى شغلهُ ودَّعهُ ليخرج فلم يدعهُ الكونت يخرج من بيتهِ فقال لهُ الرجل على مَ تمنعني من الخروج فقال لاني ارى الشر في وجهك واني اقرأ فيهِ انك عازم على قتل واحد . فقال الرجل ألِي تقول هذا القول . فقال نعم انك عازم على قتل واحد . فاصفرَّ وجه الرجل واعترف بما كان عازماً عليهِ وهو قتل انسان واخرج فرداً من جيبهِ وسلَّمهُ للكونت فبالغ الكونت في نصحهِ حتى صرفهُ عن هذا العزم . بمثل هذه الخرافات شحن لافاتر كتابهُ وعلى مثلها بنى احكامهُ وهو يحسب الناس اطفالاً تجوز عليهم

وتختلف وجوه الناس باختلافهم حتى لا تجد اثنين متشابهين تمام المشابهة الاَّ نادرًا

جدًا واذا امعنت النظر وجدت بين الوجهين المتشابهين فروقًا كثيرة تميز احدهما عن الآخر ولولا ذلك لالتبس زيد بعمرو وتعسرت المعاملات او تعذرت

والمميز الاكبر للوجوه العينان حتى اعتاد القتلة ان يشوهوا عيني القتيل لتتعذر معرفتهُ . غطِّ وجهك كلهُ ببرقع لا يظهر منهُ الا عيناك وانفك وشفتك العليا فلا تخفى على احد من معارفك واما اذا غطيت عينيك وحاجبيك واعلى انفك خفيتَ على كل معارفك. وتحرك العينان وملامح الوجه كلها حركات تدلُّ على عواطف النفس الادبيَّة والعقليَّة وعلى حالات الانسان الفسيولوجيَّة كما يدلُّ شكلها على جنسهِ وجمالهِ. فملامح الوجه خمس دلالات شكلها يدلُّ على جنس المرء من حيث كونهُ ابيض او اصفر او اسود قوقاسيًا او مغوليًا او زنجيًا او ما بينها من الاجناس المختلفة . ويدلُّ ايضًا على كونهِ جميلاً او غير جميل. وحركاتها تدلُّ على احوال الجسم الفسيولوجيَّة كالجوع والالم وانفعالات النفس الادبيَّة والعقليَّة كالحب والبغض والتبصُّر والتخيُّل

وقد بحث اهل الفراسة وعلماء الانسان (الانثربولوجيا) وارباب صناعة التصوير والنقش في هذه الملامح على اساليب مختلفة فاهل الفراسة وقفوا على معلومات قليلة مزجوها بما لا يحصى من التخرُّصات مما يدلُّ على فقر علمهم وغنى وهمهم . وترى في كتبهم الوفًا من القواعد الموضوعة ليس بينها قاعدة تدلُّ على اخلاق المرء ودرجة عقلهِ من ملامح وجههِ دلالة صحيحة مضطردة . وعلماء الانسان اكثر همهم مصروف الى شكل الراس والدماغ لا الى ملامح الوجه مع ان للملامح شأنًا في الدلالة على طوائف الناس . واما ارباب التصوير والنقش فبحثوا عن الملامح ولهم قواعد وضعوها وجروا عليها للتمييز بين الجميل والقبيح وما بينهما من الدرجات المختلفة . وهاك كلامًا موجزًا عن كل عضو من اعضاء الوجه من حيث شكلهُ وما يبنى عليهِ

الجبهة — اتفق اكثر الواصفين على ان الجبة اي اتساع الجبهة وشخوصها اجمل من الغمَم اي ضيقها حتى يكاد شعر الراس يبلغ الحاجبين . ويزيد قبحها اذا كانت غائرة اي راجعة الى الوراء كجباه بعض الزنوج والبله . وهذا الفرق بين الجباه ينطبق على ما يرى من الفرق بين طوائف الناس فالطوائف المرتقية يغلب فيها الجبه والطوائف المنحطَّة يغلب فيها الغمَم مع كبر الصدغين . وتمتاز جباهُ الاطفال عن جباه البالغين وجباه النساء عن جباه الرجال فتكون الجبهة مميزة للسن والجنس . ولا يزيد علماء الانسان على ذلك واما اهل الفراسة فلهم مزاعم تضيق عنها صفحات الكتب يحكمون بها على الناس احكامًا مخيفة ان اصابت مرةً اخطأت مئة مرة كقولهم "ان كبار الجبهة جبناء كالثيران الكبار الجباه وصغار الجبهة جهلاء لانهم يشبهون الخنازير ومن كانت جبهتهُ طويلة فهو ثاقب العقل ويبرع في العلوم ومن كانت جبهتهُ مربعة معتدلة بالنسبة

الى وجههِ فهو كريم لان هذه الجبهة تشبه جبهة الاسد. ومن كانت جبهتهُ مستديرة فهو غضوب شديد العُجْب بنفسهِ ومن كانت جبهتهُ مستديرة ومرتفعة ايضاً فهو بليد لانها تشبه جبهة الحمار. ومن كانت جبهتهُ غير مسطحة فهو ذكي فطن لانها تشبه جبهة الكلب. ومن كانت جبهتهُ ملساء فهو محب للخصام لان جبهة الكلب كذلك لاغضون فيها"

وبمثل هذه السخائف والاقوال المبهمة يوهمون البسطاء ويبتزُّون اموالهم ويأتونك على صدق مزاعمهم بصور كثيرين من الذين اشتهروا بالفضيلة او الرذيلة والعلم او الجهل والشجاعة او الجبانة. ولكن اين العدد القليل الذي يأتون بهِ من الملايين الكثيرة التي لا ينطبق عليها

واقوال لافاتر في هذا الباب لا تختلف عن اقوال غيرهِ معنًى ولو اوردها على اسلوب آخر وتوسع فيها واكثر من الامثلة والشواهد. ويحتمل ان يكشف العلم شيئاً من الحقائق في ما اوردهُ لافاتر وغيرهُ من هذا القبيل ولكنهُ لم يكشف ذلك حتى الآن ولا يعلم متى يكشفهُ في مستقبل الازمان

العين — امارات العين يملأُ وصفها كتاباً كبيراً ولكنَّ بحثنا الآن مقصور على اختلاف اشكالها والوانها ونسبة الحاجب والهدبين اليها فقد تكون كبيرة او صغيرة فاذا كانت نجلاء (اي واسعة) من غير جحوظ قيل انها جميلة واذا كانت خوصاء (اي ضيقة غائرة) قيل انها قبيحة ويكثر النوع الاول في الجنس الآري والسامي وبعض الزنوج والثاني في المغول والملقيين. والناس مختلفون كثيراً في ما يعدونهُ من محاسن العين فالعرب وكل الساميين يفضلون العيون الدعج اي الشديدة السواد واكثر الاوربيين يفضلون العيون الزرق اي التي حدقتها زرقاء كالسماء الصافية الاديم. وكلهم يفضلون العيون الوطفاء اي الطويلة الاهداب اللوزية الشكل الطويلة اللحاظ كعيون الاندلسيات والشركسيات. والظاهر ان الصينيين يفضلون العيون الشائعة عندهم وهي المرتفعة اللحاظ المنخفضة المآق على ضدِّ ما يستحسنهُ الاوربيون فانهم يفضلون العين المنخفضة اللحاظ كما ترى في صورة الامبراطورة اوجيني زوجة نبوليون الثالث

وقد تتقارب العينان كثيراً او تتباعدان كثيراً فتشوّهان الوجه او تجعلان منظرهُ وحشياً وقد تغوران كثيراً او تجحظان كثيراً وكلهُ معدود من العيوب

ويختلف لون العين كثيراً فقد اقرَّت جمعية باريس الانثربولوجية على اربعة الوان اصلية وهي الرمادي والازرق والاخضر والاسمر او الاشهل وفرَّعت من كل لون منها خمسة فروع. والغالب ان الذين عيونهم زرق او رمادية او خضراء يكون شعرهم اشقر والذين عيونهم شهل او سود يكون شعرهم اسود او اشقر ضارباً الى السواد ولكن قد يعكس ذلك

فتكون العيون زرقاء والشعر اسود او تكون العيون سوداء والشعر اشقر. وقد يخالف لون العين الواحدة لون العين الأخرى . ويختلف تحدُّب قرنيَّة العين بعض الاختلاف وتختلف رطوباتها ايضاً فيختلف اشراقها وتكون في البعض برَّاقة وفي غيرهم جامدة لا نور فيها

والحاجبان يزيدان العينين جمالاً او قبحاً . ويذكر العرب من محاسنهما الزجج وهو دقتهما وامتدادها والبلج وهو ان يكون بينهما فرجة وهم يكرهون القرن وهو اتصالها وتستحسنهُ التركيات على ما يظهر فانهنَّ يوصلن بين حواجبهن بالخطوط اذا كان بهنَّ بلج . والغالب ان تستحب دقة الحواجب في النساء وكثافتها في الرجال لان الاولى غالبة في النساء وفي الجميلات منهنَّ والثانية غالبة في الرجال وفي الاقوياء منهم . واذا خف شعر الحاجبين كثيراً لم يعودا جميلين لانهما لا يعودان يُظهران جمال العينين . وكذلك يستحب الوطف وهو طول اهداب الجفنين اذ يتضح بهِ بياض الوجنتين ويظهر اتساع العينين

الانف — الانف عضو قليل الحركة لكنهُ من ادلّ ملامح الوجه على جنس صاحبهِ ودرجة جمالهِ فمنهُ يعرف ما اذا كان سامياً او آريًا او زنجيًا او مغوليًا على الغالب . وقلما يوجد انف جميل في وجه قبيح . وقد يكون الوجه قبيحًا والعينان جميلتين ولكن قلما يكون الانف جميلاً والوجه قبيحًا لان الانف الجميل يحسن الوجه كلهُ فتوافقهُ سائر الملامح

وانوف الشعوب المرتقية طويلة دقيقة فيها الشمم والقنا كانوف الرومانيين والعرب . وانوف الشعوب المنحطَّة فيها الفطس والخنس كانوف الزنوج والاستراليين ولذلك نعلّق الانف الاقنى الاشم بالارتقاء والافطس الاخنس بالانحطاط كما نقول ان الشعوب البيضاء ارقى من الشعوب السوداء . ويقول العرب بذلك كما يقول الافرنج .قال حسَّان بن ثابت الانصاري يمدح آل جفنة ملوك الشام

بيض الوجوه كريمة احسابهم   شمُّ الانوف من الطراز الاوَّل

وعند المصورين والنقاشين قيود للانف الجميل يجرون عليها ولا محل لايرادها هنا

والعضلات التي تحرك الانف ضعفتْ جدًّا في نوع الانسان فلا يفعل منها الاَّ ما يحرّك المنخرين فيتسعان بها في حال الغضب وفي حال اظهار المسرَّة ويقال ان ذلك يكون على اشدهِ الطوائف الدنيا من الناس وفي اهل الترَف والخلاعة من الطوائف العليا

الفم — نسبة الفم الى عواطف النفس كنسبة العين الى قوى العقل فيظهر فيهِ ما تكنهُ النفس من فرح او كره وحب او بغض كما يبدو في العين ما يخامر العقل من تبصر وتمعن وتقدير واستدلال . وافواه المتمدنين صغيرة في الغالب رقيقة الشفاه . وافواه المتوحشين كبيرة

في الغالب غليظة الشفاه . والبرطمة خاصة بالزنوج ولو لم تكن عامَّة فيهم . والظاهر ان الذين تبرز شفتهم العليا عن السفلى يكونون في الغالب شديدي الحذر والذين تبرز شفتهم السفلى عن العليا يكونون في الغالب اهل حزم وثبات

الذقن — كل ما ظهر بالاستقراء حتى الآن من دلالة الاذقان ان الذقن البارزة الى الامام كالشفة السفلى البارزة تدل على الثبات وهي من مزايا الشعب الانكليزي

الوجنتان — ترتفعان قليلاً في البيض وفي الزنوج وكثيراً في المغول وارتفاعهما من الصفات المميزة لهم ولا دلالة لهُ غير انهُ مستقبح عند الشعوب الآرية

الاذنان — هما اقل ملامح الوجه دلالة لانهما لا تتحركان الاَّ نادرًا جدًّا في بعض الناس . والاذن الجميلة تكمّل جمال الوجه وهي قبيحة اذا كانت عظيمة ويقال لصاحبها اخطل وكذا اذا كانت مستديرة او مربعة الشكل او في استدارتها تعرّج كثير وجميلة اذا كانت بيضية . وما يستحسنهُ شعب قد يستقبحهُ آخر

الاسنان — يظهر لنا ان العربية من اوسع اللغات في اوصاف الاسنان ويعدُّ العرب من محاسنها الشَّنَب وهو رقتها واستواؤها . والرتل وهو حسن تنضيدها واتساقها والفلَج وهو تباعد ما بينها والشتت وهو تفرقها من غير تباعد . ومن مقابحها الروَق وهو طولها والكَسَس وهو صغرها والثعل وهو تراكبها وزيادة سن فيها والشغا وهو اختلاف منابتها واللدص وهو شدَّة تقاربها وانضمامها . واليلل وهو اقبالها على باطن الفم . والدفق وهو انصبابها الى قدام . والفقم وهو تقدُّم سفلاها على العليا . والقلح وهو صفرتها . وهذه المحاسن والمقابح يقول بها الاوربيون كما يقول العرب واما زنوج افريقية واهالي استراليا فمقياس جمالها عندهم على خلاف ذلك فتراهم يحززون اسنانهم ويدققون رؤوسها حتى تصير كاسنان الكلاب ويهتمون واحدًا منها او اكثر للتحلي او للامتياز ويتفننون فيها على صور أُخرى كما ابنا غير مرة وكل ذلك مستقبح عندنا . وقد تكون الاسنان جميلة والوجه قبيحاً فلا تجمّلهُ ولكن اذا كان الوجه جميلاً والاسنان قبيحة قبحتهُ . وليس فيها نفسها ما يدلُّ على مايخامر النفس والعقل ولكن في اظهارها عند الغضب وفي استعمالها للعض ما يدلُّ على ذلك كما سيجيء

وسنأتي على بقية ملامح الوجه في الجزء التالي ثم نشبع الكلام على ما تدلُّ عليهِ اماراتها كاللذة والالم والحب والبغض والراحة والتعب ونحو ذلك مما ستقف عليهِ مفصلاً

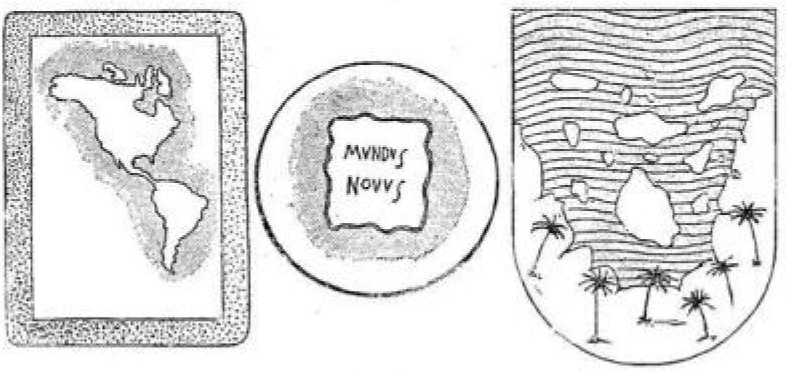
اكتشاف اميركا واحتلالها

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على كولمبوس مكتشف اميركا للاوربيين . ولا بدَّ من ان يستغرب القرَّاءُ ان تلك القارَّة العظيمة لم تُسمَّ باسمهِ بل باسم رجل آخر اميركوس فسبوشيوس وهو رجل من اهالي فلورنسا كان كاتباً في بيت مديشي اشهر تجار تلك المدينة وارسلهُ هذا البيت الى اسبانيا سنة ١٤٩٠ فاقام في قادس ثم انتقل الى اشبيلية وانتظم في خدمة تاجر فلورنسي اسمهُ براردي وهو الذي هيَّأ السفن لرحلة كولمبوس الثانية سنة ١٤٩٣ . ثم اخذ في اعداد اثنتي عشرة سفينة لملك اسبانيا ولكنهُ توفي سنة ١٤٩٥ قبل ان يعدها فطلب من اميركوس ان يتمم اعدادها

ولا دليل على ان اميركوس سافر مع كولمبوس في سفرتهِ الاولى ولا في سفرتهِ الثانية ولكن لا بدَّ من انهُ كان يعرفهُ و يعرف ايضاً ان ملك اسبانيا استرجعهُ بعد سفرتهِ الثانية ونزع منهُ الامتياز الذي اعطاهُ اياهُ اولاً . وكان كثيرون قد رغبوا في الرحلة الى العالم الجديد ويقول اميركوس انهُ رحل مع بعضهم اليهِ في اواسط سنة ١٤٩٧ فبلغوا برهُ في ٢٧ يوماً. فان كان صادقاً في وصفهِ فيكون قد بلغ مع رفاقهِ خليج كمبيشي في الطرف الجنوبي من خليج المكسيك ثم داروا شمالاً وشرقاً حتى بلغوا رأس سابل في طرف فلوريدا الجنوبي من الولايات المتحدة الاميركية وساروا منهُ شمالاً الى رأس هتراس شرقي ولاية كارولينا الشمالية . وعادوا الى اسبانيا فبلغوها في الخامس عشر من اكتوبر سنة ١٤٩٨

وسافر اميركوس مرة ثانية في ١٦ مايو سنة ١٤٩٩ فبلغ شاطئ برازيل عند رأس سنت روك وسار من هناك شمالاً حتى بلغ مصب نهر الامازون وعاد الى اسبانيا فبلغ مرفأ قادس في ٨ سبتمبر سنة ١٥٠٠ ودخل في خدمة عمانوئيل ملك البرتغال وسار الى برازيل في ١٠ مايو سنة ١٥٠١ فبلغ ريو جنارو في غرة يناير سنة ١٥٠٢ فسميت باسم ذلك الشهر وهي عاصمة بلاد برازيل الآن وعاد الى لسبون فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٢ ثم سافر سفرة رابعة سنة ١٥٠٣ قام من لسبون في العاشر من يونيو بست سفن قاصداً ان يصل الى ملقا في اقصى الهند بالسير غرباً وافترقت سفينتهُ عن سفن رفاقهِ فبلغ رأس فريو شمالي ريوجنارو حيث بنى حصناً . وعاد الى لسبون فبلغها في ١٨ يونيو سنة ١٥٠٤ وانتقل منها الى اسبانيا في السنة التالية ورجع الى خدمة الملك فردينند واقام في اشبيلية و يقال انهُ سافر بعد ذلك مرتين الى اميركا فبلغ برزخ بناما وعين ربانًا اكبر سنة ١٥٠٨ وتوفي سنة ١٥١٢

فان كان خبر اميركوس صحيحاً فيكون قد اكتشف بر اميركا قبل كولمبوس وقبل كابوت البندقي نزيل انكلترا الذي سار اليها بامر من الملك هنري السابع سنة ١٤٩٧ فوصل الى الارض الجديدة في ٢٤ يونيو تلك السنة وسار امام شاطئ اميركا الشمالية الى حد فلوريدا وذلك قبلما رأى كولمبوس البر بنحو سنة من الزمان. والظاهر انهُ اقنع اهل زمانهِ بصحة خبرهِ سواءٌ كان صحيحاً او غير صحيح فكتب بعضهم مقدمة جغرافية سنة ١٥٠٧ قال فيها " لقد كُشِفتْ قارة خامسة من قارات الارض كشفها اميركوس ولذلك سميناها اميركا " . وقال في مكان آخر لقد "كشف اميركوس فسبوشيوس قارَّة رابعة فلا ارى ما يمنع تسميتها باسمهِ اميركا" فسميت باسمهِ ثم بحث همبلت الشهير عن دعوى اميركوس فرأى ادلَّة قوية على فسادها ولكن كان ذلك سنة ١٨٣٧ اي بعد ان اشتهر اسم اميركا باكثر من ثلثمئة سنة



(الشكل الاول) (الشكل الثاني) (الشكل الثالث)

وحالما اشتهر اكتشاف كولمبوس وغيرهِ من الذين اقتفوا خطواتهِ جعل الناس يظنون الظنون في شكل العالم الجديد واخذ صانعو الخرائط يجمعون اخبار الذين رأوهُ لكي يصلحوا خريطة العالم . والظاهر ان اول خريطة رسمت لهُ كانت في شعار كولمبوس نفسهِ على ترسهِ كما ترى في الشكل الاول المرسوم ههنا ويقال ان كولمبوس نفسهُ رسم هذا الرسم على ترسهِ ممثلاً بهِ مرفأً من مرافئ اميركا التي دخلها والجزائر امامهُ . وضاع هذا الرسم فلم ينتبه احد لهُ الى ان اظهرهُ العلاَّمة همبلت في القرن الماضي

ويتلوهذا الرسم في القدم والبعد عن الحقيقة رسم صُنع سنة ١٥٠٠ جُعلت فيهِ قارة اميركا مربعةً كما ترى في الشكل الثاني وكُتب فيها ما معناهُ " العالم الجديد " فكان ذلك قبل ان

أُطلق عليهِ اسم اميركا . قابل هذا الشكل بالشكل الثالث الذي يليهِ وهو خريطة اميركا الشمالية والجنوبية حسبما تعرف اليوم تجد بينهما بوناً شاسعاً لا لان البلاد تغير شكلها فانها لم تتغير منذ الوف كثيرة من السنين بل لان معرفة الناس بها زادت رويداً رويداً حتى بلغت حد الكمال وقد تدرَّجت اليهِ تدرُّجاً شأن كل معارف البشر

ومن الخرائط القديمة التي رُسمت لاميركا بعد ان أُطلق عليها هذا الاسم خريطة شونر Schöner المرسومة في الشكل الرابع رسمها سنة ١٥٢٠ ويظهر منها ان اميركا الشمالية لم تكن معروفة حينئذٍ لان المرسوم هنا هو اميركا الجنوبية وجزيرة كوبا وجزيرة ازابلاً واسبانيولا

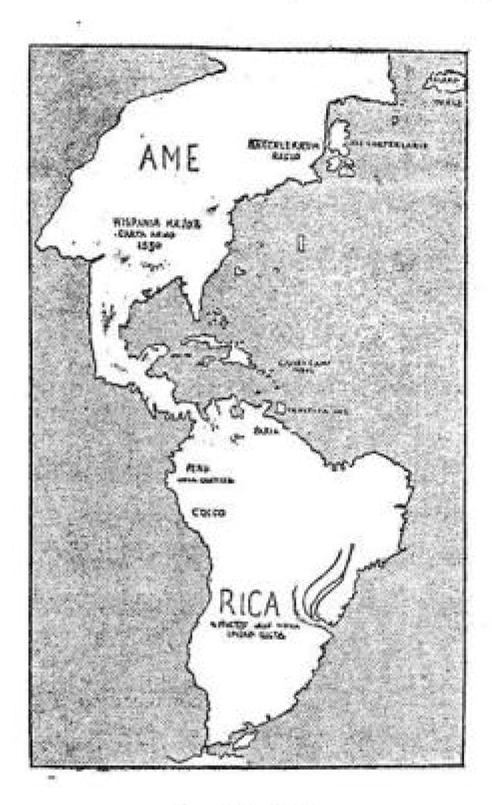


(الشكل الرابع)

وتوالى عمل الخرائط الى ان قام مركاتور الشهير ورسم خريطة اميركا الشمالية والجنوبية رسماً يقرب من الحقيقة كما ترى في الشكل الخامس وتلي خريطتهِ تاريخ سنة ١٥٣٠ ولكن يقال انهُ رسمها سنة ١٥٤١ . وكان الاسبانيون قد دوَّخوا بلاد المكسيك وبلاد بيرو ورسَّخت قدمهم في اميركا المتوسطة والجنوبية فجعلوها ميداناً للشعب اللاتيني الكاثوليكي واما اميركا الشمالية حيث الولايات المتحدة الآن فصرفت العناية كولمبوس عنها بكلمة قالها احد رجالهِ في سفرتهِ الاولى ولولا ذلك لاكتشفها اولاً وكانت الآن موطناً للشعوب اللاتينية الكاثوليكية لا للشعوب الانكليزية البروتستانتية ولكان عمرانها دون ما هو عليهِ بمراحل كثيرة

قلنا ان كولمبوس والذين حذوا حذوهُ وجدوا اميركا آهلة بالسكان راسخة قدمها في العمران ولا بدَّ من ان يسأل القارئ من اين اتاها اولئك السكان وهل هم من السلالة البشرية الساكنة اسيا واوربا ومتى كان وصولهم اليها وباي طريق وصلوها . لم يحلّ احد هذه المسائل

حتى الآن حلاً مقنعاً يسلم من كل اعتراض . فقد ثبت من ادلَّة كثيرة ان الانسان وُجد في اميركا منذ عهد قديم جدًّا لان عظامهُ وُجدت فيها مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة التي عاشت في العصر الجليدي حتى زعم البعض ان الانسان اقدم في اميركا منهُ في اسيا واوربا وان السلالة البشرية نشأَت اولاً في العالم الجديد وانتشرت منهُ الى العالم القديم ولكن كثيرين



(الشكل الخامس)

من العلماء المحققين مشتبهون في صحة ما يقال عن قدم الانسان في اميركا وهم يحسبون ان الحيوانات المنقرضة التي وُجدت عظام الانسان مع عظامها لم تنقرض منذ امد بعيد وان عظامهُ التي وجدت تحت طبقات سميكة من الارض لم يكن موضعها هناك بل وُضعت فيهِ

عمداً او وقعت فيهِ عرَضاً . ويحتمل ان يكون الانسان وُجد في اميركا منذ خمسة آلاف عام كما يحتمل ان يكون قد وجد فيها منذ خمسين الف عام

ثم ان الاقوام الاميركية التي وجدها الاسبانيون في اميركا تدَّعي ان عمرانها لم يكن قديماً جدًّا بل ان اقواماً اتوها بهِ من بلاد اخرى في اوقات مختلفة ومنذ ازمنة غير بعيدة . وفي عادات بعضها ما يماثل عادات بعض الامم الشرقية ففي اعالي نهر الامازون قبائل تطلق السهام من المواسير وتبني بيوتاً كبيرة تسكن فيها عيال كثيرة معاً وتصنع سلالاً واسفاطاً من القنا وتدخن رؤُوس اعدائها وتعلقها في بيوتها ويماثلها في ذلك كلهِ اهالي بورنيو في شرقي اسيا . وهناك قبائل يحذفون العصي بدل السهام كما يفعل اهالي استراليا وعندهم حربة يصطادون بها السلاحف وسنان الحربة سهل الانفصال عن قناتها فاذا نشب في بدن السلحفاة انفصلت القناة عنهُ من نفسها وطفت على وجه الماء تابعةً سير السلحفاة لانها تكون متصلة بالسنان بحبل او نحوهِ فتدل على مكانها وهو نفس الشيء الذي يفعلهُ اهالي استراليا الآن . و يستدلُّ من ذلك ومن ادلَّة اخرى مختلفة ان الناس جاؤُوا اميركا في العصور الغابرة من اسيا واوربا وافريقية واستراليا اي ان العواصف كانت تسوق السفن اليها فينزل ركابها ويقيمون فيها ويتوالدون اذا لم يكونوا قد ذهبوا اليها عمداً

وفي اواسط الولايات المتحدة الاميركية على ضفاف نهر المسسبي ونواصرهِ آثار اقوام كان عمرانهم ارقى كثيراً من عمران الهنود الذين رآهم الاوربيون فيها لما دخلوها بعد ما اكتشفها كولمبوس . واكثر هذه الآثار اسنمة ومساطب كجسور النيل والحوش في القطر المصري او كالطوابي التي تقام وقت الحرب وهي مثل الجسور التي كان البابليون والاشوريون يقيمونها في بلادهم دفعاً لطغيان الماء . وهذه الاسنمة مستطيلة كالجسور في الجهات الشمالية ثم تقصر في الجهات الجنوبية وتصير كالاهرام المقطوعة او المساطب المصرية . وكلها مبنية من الحجارة والتراب ولا بدَّ من انهُ عمل فيها اناس كثيرون وانهم كانوا في سعة من العيش او بسطة من الملك حتى تيسر لهم انشاؤُها . والظاهر ان الاسنمة الصغيرة كانت لحوداً لموتاهم والكبيرة التي تحيط بمربع من الارض كانت معابد لآلهتهم بعضها صغير لا يزيد على اقدام قليلة سعة وارتفاعاً وبعضها كبير يبلغ محيطهُ الف قدم او الفي قدم وارتفاعهُ ثمانين او تسعين قدماً . ومن هذه الجسور ما يحيط بارض مساحتها اربع مئة ميل الى ستمئة ميل وهي اما دوائر او مربعات او معينات او مجموعة من الدوائر والمربعات او تابعة لامتداد التلال التي بينها او مماثلة لاشكال الناس والوحوش والطيور والحشرات . واكثرها على التلال او على ضفاف الانهر كأنها أُنشئت

طوابي للحصار والدفاع حسب القواعد الحربية . و يزيد اتقانها بالتقدُّم جنوباً في اميركا الشمالية حتى تصل الى بلاد المكسيك وهناك آثار عمران بالغ — مبانٍ فخيمة من الحجر النحيت مزدانة بالنقوش البديعة من جسور وتماثيل وكتابات رمزية وافخمها كلها الهياكل والقصور المبنية على شكل مدرَّج كالهرم طول بعضها نحو ستمئة قدم وعرضهُ مئتان وخمسون قدماً . وقد رأى بعض اهل البحث آثار اربع واربعين مدينة كبيرة في بلاد واحدة وكلها تدل على انها كانت غاصَّة بالمباني الفخيمة وان سكانها من شعب واحد . وكانت مملكة المكسيك من اوسع الممالك الاميركية عمراناً لما وقعت عين الاسبانيين عليها ولذلك اخترنا وصفها ووصف تغلُّب الاسبانيين عليها ولا يتم هذا الوصف الا في عدة فصول لكن في الموضوع من الفكاهة والفائدة ما يشفع لدى القراء بطوله

بلاد المكسيك المقصودة في هذه الفصول جزء صغير من جمهورية المكسيك المعروفة الآن لم تكن مساحتها اكثر من ١٦ الف ميل مربع وهي كثيرة السهول والجبال والاودية تنبت فيها كل انواع الحبوب والاثمار وتتخللها حراج غيباء وتليها قفار محرقة وآجام فاسدة الهواء وفيها خمس بحيرات على اكبرها مدينة مكسكو ومدينة تسكوكو قصبتا الشعبين العظيمين اللذين تدل آثارهما وآثار الشعوب التي كانت قبلهما على درجة عالية من الحضارة

ومن اشهر تلك الشعوب شعب التُلْتك جاء البلاد من الجهات الشمالية في اواخر القرن السابع وكان ماهراً في الفلاحة والصناعة يستخرج المعادن و يصنع ادواتهِ منها وكانت قصبتهُ في تولا شمالي وادي المكسيك وبقيت منها مبانٍ كثيرة الى عهد الفتح الاسباني . وبقي هذا الشعب اربع مئة سنة ثم انتابتهُ سنو القحط والوباء فانقرض من البلاد . وذهب بعض المحققين حديثاً الى انهُ كان اقدم من ذلك كثيراً وانهُ انقرض من البلاد منذ عهد قديم جداً . ثم تلتهُ شعوب اخرى وآخرهم شعب الازتك والتسكوكان ونما هذا الشعب الاخير وارتقى وامتدَّت سطوتهُ في البلاد ثم غزاهُ شعب التبانك واثخن فيهِ وقتل ملكهُ وخرب عاصمتهُ تسكوكو وقام من التسكوكان بعد ذلك امير نجيب ساعدهُ الازتك اهالي المكسيك حتى استرد ملك آبائهِ وسما ببلادهِ في مراقي النجاح

وشعب الازتك اهالي المكسيك جاؤوا بلاد المكسيك من الشمال ايضاً في اوائل القرن الثالث عشر وظلُّوا قبائل رحلاً الى ان القوا عصا الترحال حول بحيرة المكسيك الكبيرة نحو سنة ١٣٢٥ للميلاد فرأوا نسراً واقفاً على غصن من الصبر وفي مخالبهِ افعى وقد بسط جناحيهِ الى الشمس فتفاءلوا بذلك خيراً وضربوا اوتاداً في الارض اقاموا عليها خصاصاً سكنوها ولا

يزال النسر والافعى شعار حكومة المكسيك الى الآن

وقوي هذا الشعب رويداً رويداً واشتهر بمهارتهِ في ابواب القتال وشدَّة بطشهِ. وحدث بعد مئة سنة ان تغلَّب شعب التبانك على شعب التسكوكان كما تقدَّم وزاد عتو الغالب على المغلوب فاستعان امير التسكوكان بالازتك اهالي المكسيك فاعانوهُ على التبانك فقهرهم وقتل ملكهم واخذ بلادهم واعطاها للازتك اهالي المكسيك. فصار في البلاد شعبان قويَّان الازتك شعب المكسيك والتسكوكان شعب التسكوكو وكان فيها ايضاً شعب ثالث صغير وهو شعب التلكوبان فتحالفت هذه الشعوب الثلاثة على الهجوم والدفاع وعلى قسمة الغنائم فيكون خمسها للتلكوبان واربعة اخماسها للازتك والتسكوكان. ودامت هذه المحالفة مئة عام لم يختلف فيها المتحالفون ولا تقاعدوا عن الغزو فبسطوا ظلهم على البلاد كلها ودانت لهم الشعوب المجاورة فاقتسموا بلادها بينهم

وعمرت عاصمة المكسيك في هذه الآونة وشيدت فيها المباني الفخيمة من القصور والهياكل وتعاقب عليها ملوك حكماء ربُّوا بالرعية واوردوها موارد الارتقاء وعرفوا كيف يستفيدون من بسالة رجالهم فكانوا يخرجون بهم غازين سنة بعد اخرى ويعودون بالاسلاب والغنائم والاسارى حتى امتدت بلادهم في اوائل القرن السادس عشر من الاوقيانوس الاتلنتيكي شرقاً الى الباسيفيكي غرباً. وهذا من الغرابة بمكان عظيم لان البلاد التي تغلَّب عليها شعب الازتك كانت كثيرة السكان وهم اهل حرب وجلاد مثلهم ولا يقلُّون عنهم في بسطة الملك وانتظام الجيش فكان شعب الازتك كالشعب الروماني من وجوه كثيرة

وكانت حكومة الازتك ملكية انتخابية فيختار الاشراف اربعة منهم في عهد كل ملك يبقون لانتخاب خلفهِ حينما يتوفى ويضاف اليهم حليفاهم ملك التسكوكان وملك التلكوبان اكراماً لهما فاذا توفي الملك انتخب هؤُلاء المنتخبون خليفةً لهُ من اخوتهِ واذا لم يكن لهُ اخوة احياء فمن ابناء اخوتهِ. ويربَّى المرشحون للملك ويهذبون ويمرنون في اساليب القتال وقواعد السياسة حتى اذا أُدليت اليهم مقاليد الملك قاموا باعبائهِ ولذلك تعاقب على سرير المكسيك ملوك اكفاءُ مدة طويلة

وكانوا يحتفلون بتنصيب الملك الجديد احتفالاً عظيماً ولكنهم لا يتوجونهُ الاَّ بعد ان يغزو ويعود بالاسرى والغنائم فيُذبح الاسرى على مذابح هيا كلهم كما سيجيء ويتوَّج الملك حينئذٍ بابهة الملك. وتاجهم كتاج الاساقفة الرومانيين مرصع بالذهب والحجارة الكريمة يضعهُ الملك على رأسهِ ويلقَّب بما معناهُ ملك الملوك

وكان هؤلاء الملوك يقيمون في قصور فخيمة فيها الغرف الكبيرة والمقاصير الرحبة حيث يجتمع رجال الدولة وارباب المشورة يعاونون الملك في قضاء مهام المملكة . ويقيم في هذه القصور ايضاً الحرس الملكي وهو من اولاد الامراء

وكان امراء المملكة على ثروة طائلة واكثرهم يمتد نسبهم الى الازتك الاولين الذين عمَّروا بلاد المكسيك ويقال انهُ كان في البلاد ثلاثون اميراً يقيمون في العاصمة بعض شهور السنة ويحكم كلٌّ منهم على نحو مئة الف نفس

وللملك وحدهُ السلطة على سن الشرائع والقوانين ولكن الحكم بها ليس لهُ بل للقضاة فانهُ كان في كل مدينة من امهات مدنهم قاضٍ يقيمهُ الملك للقضاء في الدعاوى المدنية والجنائية لا يُستأنف حكمهُ الى مجلس آخر ولا الى الملك نفسهِ ويبقى في منصبهِ مدى عمرهِ لا يعزل ولا يبدل ومَن اعتدى عليهِ فعقابهُ الموت . وفي الولايات التابعة لتلك المدينة مجالس قضائية في كل مجلس منها ثلاثة اعضاء تحكم في الدعاوى واحكامها المدنية نهائية لا تقبل الاستئناف واما الجنائية فتستأنف الى قاضي المدينة . وعندهم عدا هؤلاء قضاة صلح منتشرون في البلاد يختارهم الشعب ليحكموا في الدعاوى الجزئية . ورقباء يختارهم الشعب ايضاً ليراقبوا العيال ويروا ما اذا كانت جارية حسب قوانين البلاد

وكان نظام القضاء في بلاد التسكوكو اتمَّ منهُ في بلاد المكسيك لانهُ يقضي باجتماع القضاة كلهم مرةً كل ثمانين يوماً برئاسة الملك فيجتمعون ويحكمون في الدعاوي الكبيرة او العسرة الحل التي تعذَّر على القضاة الحكم فيها منفردين ويساعدون الملك ايضاً على قضاء مهام المملكة كانهم مجلس شورى

فاستقلال القضاة حفظ حقوق الرعية من استبداد ملوكهم . ويظهر من تاريخ الازتك ان ملوكهم كانوا يحترمون القضاء والقضاة ولا يعتدون عليهم بوجه من الوجوه وكان القضاة تحت سيطرة شديدة فاذا ثبت على احد منهم انهُ ارتشى او اتفق مع احد الخصمين فعقابهُ القتل ويحاكم في مجلس عام يحضرهُ القضاة كلهم

وتدفع رواتب القضاة من الاموال الاميرية ويلبسون لباساً خاصاً ويقيمون في دار القضاء النهار كلهُ يأتيهم غداؤهم اليها الظهر فيأكلونهُ في غرفة خاصة . وفي كل محكمة رجال لمراقبة الخصوم والمجيء بهم وصرفهم او القبض عليهم . والخصوم يترافعون من غير محامٍ فيقص كلٌّ منهم قصتهُ ويذكر ادلتهُ ويقدم شهودهُ وتقبل اليمين كالشهادة . ويكتب الكاتب ذلك كلهُ ويقدمهُ الى القاضي فيمعن نظرهُ فيهِ ويقضي بما يبدو لهُ

وقد نقل برسكوت وصف المحكمة العليا في بلاد التسكوكو عن احد المؤرخين الوطنيين قال : كان في قصر ملوك التسكوكو ساحة كبيرة يقابلها غرفتان كبيرتان يقال للواحدة منهما محكمة الله فيها عرش من الذهب مرصع بالذبل والحجارة الكريمة امامهُ كرسي عليهِ جمجمة وعلى الجمجمة زمردة كبيرة هرمية الشكل وريشة فيها حجارة كريمة وتحت الجمجمة حراب وتروس وقسيّ وجعب وسهام وعلى جدران الغرفة اسجاف منسوجة من الصوف وخيوط الذهب فيها صور ازهار واطيار بديعة المنظر وفوق العرش قبة مزدانة بالريش المنسوج في وسطها شعاع من الذهب والجواهر. ويقال للغرفة الثانية محكمة الملك فيها عرش وقبة وعلى القبة شعار الملك وهو يجلس هناك حينما يقضي في امور المملكة العادية واما اذا قضى في امر هام او اراد تأييد حكم من الاحكام الكبيرة كالحكم بالقتل فانهُ ينتقل الى محكمة الله محفوفاً بامراء مملكتهِ الاربعة عشر يمشون وراءهُ حسب مراتبهم ويجلس على عرشها ويلبس تاجهُ المرصع على رأسهِ ويمسك حربةً بيسراهُ ويضع يمينهُ على الجمجمة وينطق بالحكم

وكانت شرائع الازتك مكتوبة كلها بكتابتهم الصورية وعقاب اكثر الذنوب الكبيرة عندهم القتل فيقتلون القاتل والزاني ويقتلون السارق احياناً ويعاقبون عقاباً صارماً من يغيِّر تخم ارضهِ ومن يُقام وصياً فلا يقدّم حساباً مدققاً عن مال من أُقيم عليهِ وكذلك من ورث مالاً فبدَّدهُ. واذا سكر الحدث فعقابهُ القتل واذا سكر البالغ فعقابهُ ان تنزع منهُ رتبتهُ والقابهُ واملاكهُ . وكانوا يبيحون شراباً خفيفاً وقت الولائم الدينية لا يزال مستعملاً الى الآن

وللزواج والطلاق عندهم قانون ومجالس خاصة للحكم في مسائلهِ

وكانوا يبيحون الاستعباد والعبيد عندهم درجات اسرى الحرب وهؤلاء يذبحون ضحايا دينية . والمجرمون الذين يحكم عليهم بالاستعباد والذين يعجزون عن ايفاء الدين والذين يبيعون انفسهم لفقرهم والاولاد الذين يبيعهم آباؤُهم . ومقام العبد مثل مقام الاجير وتعقد شروط بيعهِ امام اربعة شهود ويعين ثمنهُ والاعمال التي يُطلب منهُ عملها ويباح لهُ ان يتزوج ويسكن في بيتهِ ويقتني عبيداً ولا يطالَب الاَّ بالعمل الذي ارتبط بعملهِ وقتما اشتراهُ سيدهُ واولادهُ احرار لارقَّ عليهم ولا يولد احدٌ عبداً في بلاد المكسيك . ولا يبيع السيد عبيدهُ الاَّ عند الفاقة الشديدة والغالب ان يعتق الرجل عبيدهُ اذا حضرتهُ الوفاة واذا خالف العبد ما يُطلب منهُ او كان فاسد السيرة وضع سيدهُ طوقاً في عنقهِ وقادهُ الى السوق فيباع ويحفظ للتضحية

ويقال بنوع عام ان قوانين الازتك والتسكوكان كانت صارمة جداً ولكنها تراعي نواميس الآداب احسن مراعاة

والاموال الاميرية عندهم هي دخل الاملاك الاميرية وجزية المدن والاعمال من الغلال والمصنوعات كالاثمار والصموغ والكهرباء والقرمز والكاكاو والحيوانات والطيور والخشب والجير والحصر والورق والثياب والاسلحة والحلى وسبائك الذهب . ويلبس جباة الاموال علامة خاصة ومن تأخر عن اداء ما عليهِ من الاموال الاميرية جاز بيعهُ عبداً . ويؤتى بالاموال كلها الى العاصمة وتسلم لامين بيت المال وهو بمثابة ناظر المالية وعندهُ مخازن كبيرة تخزن ما يجمع عيناً من غلات الارض وعندهُ خريطة مسهبة للبلاد كلها . واشتدَّ ظلم جباة الاموال في آخر ملك الازتك حتى عافتهم نفوس الامة وكادت تخرج عن طاعة ملوكها قبل مجيء الاسبانيين اليها فكان ذلك اكبر مسهل للفتح الاسباني

وكان بريد السلطنة منتظماً في كل انحاء البلاد فيسير السعاة بسرعة فائقة يقطع الواحد منهم ١٢ ميلاً في الساعة وتنقل الاخبار مئتي ميل في اليوم الواحد . ويستريح السعاة كل مسافة قصيرة في مراكز البريد . وكان السمك يصاد في خليج المكسيك ويؤتى بهِ الى مائدة الملك مسافة مئتي ميل في اربع وعشرين ساعة

وكان المقام الاول عندهم للحرب والجلاد . فمعبودهم الذي اليه ينتسبون اله الحرب ولا ينصبون ملكاً عليهم الاَّ من كان قائداً مجرَّباً . ومن قُتل منهم في ساحة الوغى انتقل الى السعادة الابدية حالاً في منازل الشمس . وغايتهم من الحرب اخذ الاسرى لتقديم الضحايا لمعبوداتهم فحروبهم كلها جهاد ديني واذا ارادوا الخروج للحرب عقد الملك مجلساً حربياً اجتمع فيهِ مشيروهُ ورؤَساءُ جندهِ ويرسل قبل ذلك سفراء الى البلاد التي يقصد محاربتها يطلب منها ان تدين بدين بلادهِ وتؤَدي اليهِ الجزية . ويُكرَم السفراء في كل بلد يدخلونهُ وينزلون على الرحب والسعة وينفق عليهم من بيت المال . فاذا لم تجب البلاد السفراء الى ما طلبوا صرفتهم فارغين فيعلن الملك الحرب عليها ويجمع جنودهُ وجنود البلاد الخاضعة لهُ ويسير بهم بنفسهِ

وكان عندهم رتب عسكرية ينعمون بها على من يمتاز بشجاعتهِ واقدامهِ ومن ذلك رتبة لا بدَّ منها لكل ضابط حتى يحق لهُ ان يلبس الحلي ويزين اسلحتهُ بها والاَّ بقي لباسهُ ساذجاً من نسيج الياف الصبر ولا يستثنى من ذلك احد حتى اولاد الملوك . وكان الارتقاء في المراتب العسكرية مباحاً للجميع على حدٍ سوى اذا قاموا بشروطهِ

ولباس الضباط عندهم نسيج صفيق جداً من القطن لا تخرقهُ سهامهم والقواد والرؤَساء يلبسون دروعاً من صفائح الذهب والفضة يرتدون فوقها برداء من ريش الطيور الفاخر ويضعون على رؤُوسهم خوذاً من الخشب او المعدن وبعضها من الفضة وعلى رأسها ريش يتموَّج في الهواء

فيهِ الحجارة الكريمة . وكانوا يلبسون عقوداً في رقابهم واساور في معاصمهم واقراطاً في آذانهم
ونقسم جنودهم الى فيالق في كل فيلق منها ثمانية آلاف ويقسم الفيلق الى فرق في كل فرقة اربع مئة
وللمملكة علَم كعلَم الرومانيين مطرَّز بالذهب وعليهِ شعار المملكة ولكل فرقة من الجند علَم آخر خاص بها عليهِ رسوم بديعة مصنوعة من ريش الطيور المزوَّقة
ومن ابواب حروبهم الكر والفر والهجوم بالمصاف واقامة الكمين . ولا يهتمون بقتل اعدائهم كما يهتمون باسرهم . ويعرف قدر الشجاع عندهم بعدد اسراهُ ولا يفتدى الاسير مهما كانت فديتهُ . وقوانينهم العسكرية صارمة جدًّا واقلُّ مخالفة عقابها الموت فيقتلون من خالف امر رئيسهِ ومن ترك رايتهُ ومَن هجم على العدو قبلما يؤمر بالهجوم ومن اختلس اسلاب غيرهِ . ويقال ان اثنين من اولاد امير من امراء التسكوكان اخذا اسلاب واحد من رفاقهما ثم وقعا جريحين فعالجهما ابوهما الى ان شفيا ثم قتلهما لانهما خالفا شريعة البلاد
وكان عندهم مستشفيات للمرضى وملاجئ للمنقطعين في كل مدنهم الكبيرة ويقال انها كانت احسن مما كان من نوعها في اوربا
هذه بعض مقوّمات العمران الذي وجدهُ الاسبانيون في تلك البلاد فمحقوهُ ولم يعطوا الاهالي شيئاً خيرًا منهُ كما سيجيء

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قصدتُ مدينة غلاسكو لمشاهدة معرضها ولحضور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عُقد فيها هذا العام . وقد رأيت ان اوافي قراء المقتطف بشيء مما وقفتُ عليهِ من تاريخ هذا المجمع وما رأيتهُ فيهِ في اجتماعهِ الاخير موجزًا الكلام على قدر الامكان فاقول
ان العلم يعدي كما ان الجهل يعدي فلم يكد الالمانيون يؤلفون مجمعاً علمياً لترقية العلوم والفنون في بلادهم حتى اخذ علماء الانكليز يهتمون بالجري على خطتهم . وكان في ولاية يوركشير من بلاد الانكليزية جمعية علميَّة فلسفية يرئسها القس فرنون هركورت ابو السر وليم هركورت الذي كان ناظرًا للمالية في وزارة غلادستون الاخيرة ووزارة روزبري . وكان القس هركورت هذا من رجال العلم المعدودين عندهُ معمل كيماوي للمباحث العلمية يساعدهُ فيهِ دافي وولستون المشهوران في العلوم الطبيعية والكيماوية فجاءهُ مرةً كتاب من السر داود بروستر العالم الطبيعي يقول فيهِ

" اغتنمُ هذه الفرصة للكتابة اليك عن موضوع جزيل الاهمية . في النيَّة عقد مجمع علمي لرجال العلم البريطانيين مثل المجمع الذي مضى عليهِ الآن ثماني سنوات في المانيا وقد عضدهُ اعظم ملوك اوربا . والمعدات تُعدُّ الآن للاجتماع الاول والمظنون انهُ يكون في مدينة يورك لانها في نقطة متوسطة بالنسبة الى الممالك الثلاث (انكلترا وسكتلندا وارلندا) وغرضي من الكتابة اليك الآن هو ان اعلم هل نجد في يورك مكانًا واسعًا لاجتماع جم غفير قد يزيد على مئة نفس وهل تشاركنا جمعيتكم الفلسفية وهل نجد التعضيد المطلوب من محافظ المدينة ووجوهها . والغرض الاول من مجمعنا ان يتعرَّف رجال العلم بعضهم ببعض ويحث بعضهم بعضًا على البحث في المواضيع الجديدة وتقديم ثمار العلم الى الجمهور دانية القطوف . ولا يكون لهذا المجمع مال ولا يكون لهُ املاك بل يدفع اعضاؤُهُ في كل اجتماع ما يقوم بنفقاته . فترى مما تقدم ما هو الغرض من هذا المجمع . وافضل وقت لاجتماعهِ من ١٨ يوليو الى ٢٥ منهُ "

والظاهر ان القس هركورت ساعد بروستر المساعدة المطلوبة فتم انشاء المجمع البريطاني على ان يلتئم مرةً كل سنة مدة اسبوع من الزمان . ودعي رجال العلم من كل الجمعيات العلمية للانضمام اليهِ . وكانت اساليب السفر عسرة جدًّا لان سكك الحديد لم تكن قد انتشرت في البلاد الانكليزية

وعُقد الاجتماع الاول في مدينة يورك في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٣١ وحضرهُ ٣٢٥ عضوًا والمقالة الاولى التي تليت فيهِ كانت لدلتون الكيماوي وموضوعها " تجارب في كمية الطعام الذي يأكلهُ الانسان في حال الصحة ونسبة ذلك الى ما يفرز من جسمهِ " فهي نتيجة بحث علمي عملي كثير الفائدة

ومن ذلك الاجتماع ابتدأ ما يُعرَف عند الانكليز بالبارلمنت العلمي اي اجتماع علماء البلاد وسعيهم لدى الحكومة في تسهيل سبل العلم والارتقاء وارشادها الى الطرق المؤدية الى ذلك . فقد كان الانسان يدفع نحو اربع مئة جنيه قبلما تعطيهِ الحكومة امتيازًا باختراع اخترعهُ او استنباط استنبطهُ ولا ينال ذلك الاَّ اذا أُقيمت دعوى ملفقة وحُكم لهُ بها . فطلب هذا المجمع من الحكومة ان تقلل رسم نيل الامتياز ففعلت وان تقلل ايضًا رسوم الزجاج لانها كانت فاحشة تمنع من عمل النظارات الفلكية ومن استعمال القناني لحفظ الامثلة الطبيعية فاجابت الحكومة طلبهُ . ورأى ارباب المعامل فائدتهُ فانضموا اليهِ لاعتقادهم ان العلم اكبر مساعد لهم على اتقان اعمالهم

والتأم التئامهُ الثاني في مدرسة اكسفرد فمنحت تلك المدرسة لقب دكتور في الشرائع

المدنية لبعض اعضائهِ وفي جملتهم بروستر مؤَسسهُ الاوَّل

وعقد اجتماعهُ سنة ١٨٤٠ في مدينة غلاسكو وحضرهُ ليبغ الكيماوي الالماني الشهير وخطب في فائدة الكيمياء للزراعة وشرح فائدة السماد ولا سيما زبل الطيور البحرية المعروف بالجوانو فكان لخطبتهِ شأن كبير في اصلاح الزراعة

ولما رأس دوق ارجيل هذا المجمع في مدينة غلاسكو سنة ١٨٥٥ اشار الى فائدة الكيمياء للزراعة وقال انهُ لما ظهر ان زبل الطيور سينفد قريباً لكثرة ما استعمل منهُ قامت الكيمياء وابانت فائدة السماد الصناعي الكيماوي وكيفية استحضارهِ وكان ذلك في احدى جلسات مجمع ترقية العلوم البريطاني

وبمثل ذلك كان هذا المجمع رائد العلم والمنبر الذي يقف عليهِ العلماء ويعلمون الناس ويرشدونهم الى ما يوسع العقل ويرقي الزراعة والصناعة

وسنة ١٨٥٦ وقف المستر بسمير في هذا المجمع واعلن انهُ اكتشف طريقة لتحويل الحديد الظهر الى حديد الصاج من غير وقود ولما أُعلن خبر هذا الاكتشاف قبل ان اوضحهُ صاحبهُ ظن اعضاء المجمع انهُ مخدوع او انهُ اكتشف اكتشافاً سخيفاً لا شأن لهُ ولكنهُ لم يوضح ماهيَّة اكتشافهِ حتى قام احد الثقات وهنأَهُ قائلاً ان لاكتشافهِ اعظم شأن في الدنيا. وكان كذلك لانهُ لولا هذا الاكتشاف ما رخص ثمن الحديد الى هذا الحد ولا كان انشاء سكك الحديد وكباري الحديد وكل ما يصنع من الحديد في حيز الامكان

لما وقفتُ على هذه الحقائق وامثالها من اعمال هذا المجمع قلتُ في نفسي ترى أيكون لمؤْتمر الطب المصري شأن مثل هذا الشأن في ارتقاء الديار المصرية من باب الصحة والعلاج أوَ لا يمكن ان ينشأ فيها مجمع علمي كالمجمع العلمي الشرقي الذي انشئ في بيروت ثم قضت احوال الزمان بتشتيت اعضائهِ واقفال ابوابهِ . وان أُنشئ أفيكون همُّ اعضائهِ مصروفاً الى ترجمة بعض الكلمات وتخطئة بعض الكتَّاب والاقتصار على المباحث اللغوية كما فعل المجمع العلمي المصري فقضى قبل ان ترعرع او تكون مباحثهُ عامةً وهمّ اعضائهِ مصروفة الى تقرير الحقائق العلمية التي تنور الاذهان وتفيد زراعة البلاد وصناعتها وتصلح طرق التربية والتعليم

هذا وقد ابتدأَت جلسات المجمع هذا العام في الحادي عشر من سبتمبر . وانا اكتب هذه السطور في غرفة الاستقبال وهي من الغرف الكبيرة في بناء عظيم فخيم وهو مدرسة غلاسكو الجامعة وقد زينت الغرفة لهذا الاجتماع بالاعلام والرياحين وعلى اعلامها شعار كل رجل من الرجال العظام الذين رأَسوا هذا المجمع منذ سبعين سنة الى الآن فاعتدل بها اتساع

الغرفة العظيم وارتفاعها الشاهق . وقد لقيت هذه النوبة كثيرين من الذين تعرّفت بهم في العام الماضي والذي قبلهُ فلقيت منهم كل اكرام شأنهم في اكرام الغريب . ودُعيت معهم الى الحفلات التي أُقيمت لهم في هذه المدينة وضواحيها (ووصف هنا هذه الحفلات فنشرنا وصفها في المقطم الى ان قال)

ورب قائل يقول بعد قراءة ما تقدَّم عن الحفلات والخطب والولائم ولكن ماذا يهم ذلك قراء الصحف العربية والمقيمين في بر مصر فاقول ان القصد ليس وصف الرجال والحفلات والقصور والقاعات بل ان يعلم القارئ ما يستوقف ابصار الشرقي الذي يحضر اجتماعات المجمع البريطاني ونحوهِ من المجامع العلميَّة فانهُ يرى فيها ما لم يرهُ في بلادهِ واعني بذلك الارتباط المتين بين رجال السيف ورجال القلم بين رجال السياسة ورجال العلم فلا يندر ان يكون كبير الوزراء رئيساً لمجمع علمي وكثيرًا ما يرئس اولاد الملوك واخوتهم الجمعيات العلميَّة ويشاركون العلماء في مباحثهم . وترى كل اهل السيادة والثروة منتظمين في الجمعيات العلمية او مشاركين لاعضائها في الاشتغال بالعلم والسبب الاكبر لذلك ان هؤلاء كلهم يتربون ويتهذبون في المدارس الكبيرة مع غيرهم من الطلبة فتتمكن بينهم وبين سائر الطلبة روابط الحب والوداد ويشبون على محبة العلم واكرام العلماء ويسعى الجميع معًا الى اعلاء شأن وطنهم هؤلاء بعلمهم وأُولئك بسياستهم . فما ابعد الفرق في ذلك بيننا وبينهم ومتى يجيء الزمان الذي نرى فيهِ في بلادنا شبه ما يجري في بلادهم

وقد عقد المجمع اجتماعهُ الاول العمومي في قاعة فسيحة للمجلس البلدي وسعت ثلاثة آلاف نفس وتصدَّر اولاً السر وليم ترنر الرئيس السابق وقدَّم الرئيس الحالي الاستاذ ركر الى اعضاء المجمع فوقف والقى خطبة الرئاسة (نشرناها في الجزء الماضي) ثم انقسم اعضاء المجمع الى فروعهِ المختلفة وهي (١) فرع الرياضيات والطبيعيات و (٢) فرع الكيمياء و (٣) فرع الجيولوجيا و (٤) فرع علم الحيوان و (٥) فرع الجغرافيا و (٦) فرع العلوم الاقتصادية والاحصاء و (٦) فرع الهندسة و (٧) فرع الانثروبولوجيا اي علم الانسان و (٨) فرع الفسيولوجيا و (٩) فرع علم النبات و (١٠) فرع علم التعليم وهو فرع جديد اضيف هذا العام ورئيسهُ السر جون غورست ابو المستر غورست مستشار المالية المصرية

ولكل فرع رئيس تلا خطبة في موضوع فرعهِ ثم تليت فيهِ مقالات مختلفة في مواضيع ذلك الفرع مثال ذلك فرع الكيمياء وهو الفرع الثاني تلا فيهِ رئيسهُ الاستاذ فرنكلند خطبة الرئاسة وموضوعها حالة علم الكيمياء في بلاد الانكليز في غرَّة القرن العشرين وعقبهُ جمهور من

علماء الكيمياء بمقالات مختلفة واحدة منها في قطران الفحم الحجري وما لهُ من الشأن في الصناعة وواحدة عن التغييرات الكيماوية التي تحدث في القاذورات من فعل البكتيريا بها . وواحدة عن الزرنيخ في البيرة . وواحدة عن معدن الاليومنيوم وامزجة القصدير وواحدة عن الاليومنيوم والنحاس وواحدة عن علاقة الكلور بوقوع المطر ونحو ذلك من المباحث العلميَّة والصحيَّة والصناعية

وفرع الانثروبولوجيا اي علم الانسان وهو الفرع السابع كان موضوع خطابة رئيسهِ دماغ الانسان وما لهُ من الشأن في ارتقاء النوع الانساني . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للاستاذ كليلند موضوعها غضروف الاذن الخارجة في الحيوانات ذوات المخرج الواحد ونسبة ذلك الى اذن الانسان . ومقالة للدكتور جبل في اصل غضروف العظم الركابي في الاذن الباطنة وعلاقتهِ بالعظم اللامي في اصل اللسان . ومقالة للاستاذ الكسندر مكلستر عن مندغم الفقرة العنقية الثالثة . ومقالة لمسس نينا ليرد عن جمجمة وُجدت في مسيل نهر اورول . ونحو ذلك من المقالات الخاصَّة بهذا العلم . وقس على ذلك سائر فروع المجمع فان المقالات التي تليت فيها اكثرهُ بحثهُ خاص لا يدركهُ الاَّ العلماء المشتغلون بهِ

واتفق وقوع الحادث المفجع في الولايات المتحدة الاميركية وقت اجتماع هذا المجمع وهو اعتداء احد الفوضويين على رئيسها مكنلي واطلاقهُ الرصاص عليهِ فاقرَّ اعضاء المجمع على ارسال تلغراف اليهِ هذه ترجمتهُ

" ان مجمع ترقية العلوم البريطاني المجتمع الآن في مدينة غلاسكو يعرب عن شدَّة ما اعتراهُ من الغيظ لما بلغهُ خبر الاعتداء على حياة الرئيس مكنلي وما يجد في نفسهِ من المشاركة لهُ في آلامهِ وما يرجوهُ لهُ من الشفاء السريع "

ثم ورد نعي الرئيس مكنلي قبل ان ختم المجمع اجتماعاتهِ فوقف السر جون غورست رئيس الفرع الاخير وابَّنهُ تأبيناً حسناً واعرب عن حزن الامة البريطانية التي شاركت الامة الاميركية في هذه الفاجعة . ولما كان يتكلم وقف الاعضاء منتصبين احتراماً

وهذه ترجمة القرار الذي اقرُّوا عليهِ " لقد بلغ هذا الفرع من المجمع البريطاني بالحزن الشديد موت الرئيس مكنلي وهو يثبت مشاركتهُ لعائلة الفقيد ولشعب الولايات المتحدة في هذا المصاب العائلي والوطني "

ولا بدَّ من ان يذكر المقتطف كثيرًا من الفوائد التي القاها رؤَساء هذا المجمع واعضاؤُهُ على جاري عادتهِ فيشرك اهالي المشرق في علوم اهالي المغرب

غلاسكو نجيب صروف



امزجة المعادن

قلَّما يُستعمل معدن من المعادن وحده والغالب ان يمزج معدنان او ثلاثة معاً او يُضاف من احدهما الى الآخر ولو شيء قليل جدًّا كما ترى في الذهب والفضة فانهما يمزجان بالنحاس لكي يصلبا و يصيرا يحتملان الاستعمال الطويل . ومن ثم يقال ان عيار الذهب ١٦ او ١٨ او ٢٠ الخ اي من كل اربع وعشرين قيراطاً منهُ ١٦ قيراطاً ذهباً او ١٨ او ٢٠ والباقي نحاس او فضة . وكذا يقال ان الفضة من عيار سبعين او ثمانين او تسعين اي من كل مئة درهم منها سبعون او ثمانون او تسعون درهماً فضة والبقية نحاس

والامزجة الكثيرة الاستعمال في الصنائع قوامها النحاس والزنك والقصدير ويدخل بعضها الرصاص والانتيمون . وهاك جدولاً فيهِ كثير منها مع مقادير المعادن التي تتألف منها

	نحاس	زنك	قصدير	رصاص	انتيمون
نحاس المركبات	٩٧	٣			
نحاس عجل الآلات البخارية	٨٠	٢	١٨		
نحاس صافور الآلات البخارية	٨١	٢	١٧		
اساطين الطلمبات وصماماتها	٨٨	٢	١٠		
اساطين القاطرات البخارية	٨٨	٩	٠٣		
صناديق المحاور	٢٨	٢	١٠		
الآلات الحسابية	٩٠	٢	٠٨		
صوافير الآلات البخارية	٨٠	١٨	٠٠	٢	
معدن يحتمل الفرك	٧٩	٥	٨	٨	
المسامير التي تبشَّم من طرفيها	٦٤	٢٤	٣	٩	
معدن التوابيت	١٥		٤٠	٤٥	
اساطين الطلمبات	٧	٧٢	٢١		
معدن ابيض صلب للازرار	١٠	٦	٢٠		٦٤

	نحاس	زنك	قصدير	رصاص	انتيمون
تقليد الفضة	٦٤	٣			
معدن التومباك	١٦	١	١		
نحاس اصفر لين	٦٧	٣٣		٠,٥	
معدن الدبابيس	٦٧	٢٣	٠,٥	٠,٥	
معدن الحنفيات			٨٦		١٤
مدادات الحنفيات			٨٠		٢٠

امزجة الاليومنوم

لقد كثر الآن استعمال الاليومنوم وحده ممزوجاً بغيره . ومن امزجته المشهورة مزيج فيه ٩٠ جزءا منهُ و١٠ اجزاء من القصدير وهو يلحم بسهولة ومنها مزيج من ١٠٠ جزء من النحاس الاحمر وعشرة من الاليومنوم وهو لين كالنحاس واصفر كالذهب . ومنها مزيج من ٧٠ جزءا من النحاس و٢٣ من النكل و٧ من الاليومنوم وهو ابيض كالفضة و يصقل مثلها

معادن الاجراس

معدن الاجراس مزيج من النحاس والقصدير وقد يضاف اليهما قليل من الزنك او الرصاص او الفضة لتفريع الصوت ومن اشهر معادن الاجراس ما يأتي

	نحاس	قصدير	فضة	بزموت
الاجراس الموسيقية	٨٤	١٦		
الجنك	٨٢	١٨		
اجراس البيوت	٨٠	٢٠		
الاجراس الكبيرة	٧٦	٢٤		
اجراس الساعات	٧٢	٢٦,٥٦	١,٤٤	
الاجراس البيضاء للمائدة	١٧	٨٠٣		٣
الاجراس الصغيرة	٤٠	٦٠		

ومن الامزجة المشهورة ايضاً لعمل الاجراس ما يأتي

(١) اصهر ١٠٠ جزء من النحاس الاحمر النقي تحت دقيق الفحم واضف اليها ٢٠ جزءا من القصدير وحرك المزيج جيداً فيكون منهُ معدن جيد للاجراس

(٢) امزج ٣ اجزاء من النحاس بجزء من القصدير كما تقدم واكثر الاجراس في الدنيا مصنوعة من مزيج مثل هذا

(٣) امزج ٧٢ جزءا من النحاس و ٢/١ ٢٦ من القصدير و ٢/١ جزء من الحديد فيكون من ذلك المزيج الذي يستعمل في باريس لعمل اجراس الساعات الدقاقة

والاجراس الكبيرة تصنع غالباً من ١٠٠ جزء من النحاس و ٢٠ الى ٢٥ جزءا من القصدير

صقل الحديد

خذ قطعة الحديد ونظفها جيداً وابردها بمبرد خشن ثم بمبرد ناعم حيث تريد ان تصقلها حتى ينعم سطحها جيداً ثم افركها بورق السنباذج (السنفرة) الخشن وبورق السنباذج الناعم الذي استعمل قبلاً واخيراً ضع قليلاً من الروج على مصقلة من الخشب واصقل قطعة الحديد بها . واذا كان فيها خدش فلا بدّ من ازالته قبل صقلها لئلاً تضطر ان تبردها ثانية بعد صقلها

صقل الرخام

اذا كان الرخام بلاطاً مستوياً فاجله اولاً بقلب بلاطة على أُخرى ووضع الرمل والماء بينهما فاذا كانت البلاطة كبيرة تجلى ببلاطة صغيرة تجرّ عليها ذهاباً واياباً واذا كانت البلاطة صغيرة تجرّ هي على بلاطة كبيرة ذهاباً واياباً . ويستعمل ثلاثة انواع من الرمل خشن وناعم وشديد النعومة الخشن اولاً ثم الناعم ثم الشديد النعومة . وبعد ذلك يؤتى بمصقلة من الخشب عليها وسادة من الجوخ او نحوه من الانسجة الصوفيَّة وتدهن الوسادة باكسيد القصدير وتبل بالماء وتفرك البلاطة بها ذهاباً واياباً ويصبُّ عليها الماء مرةً بعد أُخرى الى ان تصقل جيداً وتشرق كالزجاج الصقيل

واذا لم يكن سطح الرخام مستوياً يجلى ببلاطة مقعرة او محدَّبة حتى تناسب سطحهُ ثم يصقل بوسادة عليها اكسيد القصدير والماء

واذا كان الرخام صلباً جداً صقل بالسنباذج بدل اكسيد القصدير بوضع غبار السنباذج على مصاقل من الرصاص

الرخام الصناعي

(١) خذ نحاتة الرخام او الحجارة البيضاء الصلبة واسحقها سحقاً ناعماً جداً واضف الى كل رطل منها ربع رطل من ابيض الزنك (اكسيد الزنك) وثمن رطل من سمنتو بورتلند واذب

الزجاج المائي في الماء وسخّن المذوب واجبل بهِ الاجزاء المذكورة وضعهُ في القوالب اضغطهُ ضغطاً شديداً وهو سخن وضعهُ في هواء سخن جافٍ من اسبوع او عشرة ايام قبل استعمالهِ (والزجاج المائي المستعمل هنا فيهِ ٤٠ في المئة من الزجاج)

(٢) اذب الشب الابيض في ما يكفي لاذابتهِ من الماء وضع فيهِ الجبس (جبسين باريس) وامزجهُ جيداً ثم افرغهُ في القوالب واخبزهُ ويحسن ان تسحقهُ بعد خبزهِ وتجبلهُ ثانيةً وتفرغهُ في القوالب

(٣) اضف الاصباغ المطلوبة الى سمنتو بورتلند وامزجها بهِ جيداً ثم اجبلهُ بقليل من الماء واصنع منهُ اشكالاً مختلفة حسبما تريد والصقها بعضها ببعض طولاً ثم اقطعها عرضاً بمنشار فتكون الواحاً ملونة حسب الالوان التي وضعتها فيها وضع هذه الالواح في القوالب اضغطها واتركها فيها ١٢ يوماً ولا بدَّ من بلها اولاً بالماء الى ان تجف جيداً . وتصقل هذه الالواح وكل انواع البلاط الصناعي كما يصقل الرخام



نجاة المزارع

لما خطب السر وليم كروكس خطبة الرئاسة في مجمع ترقية العلوم البريطاني منذ بضع سنوات قال فيها ان آكلي القمح في الدنيا يزيد عددهم كل سنة اكثر مما تزيد مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً فلا تمضي سنوات كثيرة حتى يقل القمح عن حاجة الناس فيضطر كثيرون منهم ان يعدلوا عن اكلهِ الاَّ اذا تلافوا ذلك من الآن بتكثير غلة الارض فان متوسط غلة الفدان من الحنطة الآن اقل من ثلاثة ارادب ويمكن ان تزيد حتى تصير ستة ارادب او اكثر فتصير غلة القمح تكفي مضاعف السكان الذين يأكلون قمحاً الآن

وما قالهُ هذا العالم الطبيعي الكبير يقولهُ كل مزارع في هذا القطر فان المزارع الصغير يشتري فدان الارض الزراعية الآن بمئة جنيه او مئة وخمسين جنيهاً ويقال ان بعضهم دفع ثمن الفدان مئتي جنيه لانهُ يستطيع ان يستغلّ منهُ ما يستغلّهُ غيرهُ من فدانين او ثلاثة . وهل في ذلك اقل ريب وفدان القطن حاسب في بعض الاطيان هذا العام على اكثر من

عشرة قناطير تباع بخمسة وعشرين جنيهاً ولا تبلغ نفقاته كلها وماله الاميري خمسة جنيهات فيكون الربح من الفدان عشرين جنيهاً في السنة . ولنفرض ان سعر قنطار القطن هبط ربالبن يبق الربح من الفدان ١٥ جنيهاً فلا عجب اذا بيع بمئة وخمسين جنيهاً الى مئتي جنيه

ويزرع الآن في القطر المصري نحو مليون فدان وثلث مليون قطناً وقلما يزيد موسم القطن على ستة ملايين قنطار فيكون متوسط الفدان اربعة قناطير فاذا اتقنت زراعته الاتقان الواجب تضاعف هذا المتوسط ولنفرض انهُ زاد النصف فقط اي صار متوسط غلة الفدان ستة قناطير فيصير الموسم ثمانية ملايين قنطار على الاقل اي انهُ يزيد مليوني قنطار في السنة تساوي نحو خمسة ملايين من الجنيهات . وهي زيادة طائلة لبلاد ليس فيها عشرة ملايين من السكان

وما يقال في القطن يقال في القمح والذرة والفول فان الفرق كبير جداً بين الاطيان التي تجود زراعتها والاطيان التي لا تجود حتى لقد تبلغ غلة الفدان الواحد اثني عشر اردباً بعد ان كانت ثلاثة ارادب . وهذه الزيادة اعظم من زيادة القطن لان الاطيان التي تزرع قمحاً وذرة وفولاً كل سنة اربعة اضعاف الاطيان التي تزرع قطناً فاذا أُتقن زرعها وجادت غلتها زادت بها ثروة القطر ملايين كثيرة من الجنيهات كل سنة

ولا نعني باتقان الزراعة زيادة الحرث والري والتسميد بل وضع كل شيء من ذلك في موضعهِ لان التكثير من الحرث والري والسماد قد يضرُّ كالتقليل منها . وتجد في بعض الزراعات قطناً لا تعلو الشجرة منهُ على متر وهي مملوءة بالجوز ويحاسب الفدان منهُ على عشرة قناطير او اثني عشر قنطاراً وفي زراعات اخرى قطناً يبلغ علو الشجرة منهُ مترين ونصف متر وهي غليظة الساق كثيرة الورق قليلة الجوز لا يحاسب الفدان منها على اكثر من خمسة قناطير. والارض واحدة وقد تكون الثانية اجود من الاولى واصلح لزرع القطن ولكن المزارع قرَّب الاشجار بعضها من بعض واكثر ريها وهي غير محتاجة اليهِ فنمت كثيراً واكتفت بالاغصان والاوراق

وما يقال في القطن يقال في القمح والفول فانهما يهيفان بالغذاء الكثير ويكثر ورقهما ويقل حبهما

تربية المواشي

كتب المستر ممث مدير شركة البحيرة الزراعي مقالة في مجلة الجمعية الزراعية ابان فيها ان البقر المصرية خير من غيرها في هذا القطر للامور الثلاثة الآتية وهي

اولاً ان المواشي المصرية معتادة على اقليم البلاد وهي على احتمال الحر اقدر من المواشي التي يؤتى بها من البلدان الباردة

ثانياً انها غير متأنقة في علفها فتأكل ما تجده وتكتفي احياناً كثيرة بالقليل من العلف اذا كان شغلها قليلاً . واذا علفت جيداً اشتغلت جيداً

ثالثاً انها اليفة جداً قال وعندي ان سبب ذلك كونها جماء اي من غير قرون في الغالب فيسهل على الولد الصغير ان يقودها ويرعاها ويعتني بها ويضاف الى هذا انها تكون من صغرها مربوطة في دوّار صاحبها لقلة المراعي التي تخرج اليها

ثم بيّن ان المرعى قليل في القطر المصري فلا يمكن تربية العجول الصغيرة فيه لان الاراضي الزراعية غالية الثمن وضرائبها ثقيلة فيكون من تركها مراعي للمواشي خسارة كبيرة على صاحبها ولذلك اشار بواسطة تجمع بين الامرين وهي ان تهتم الحكومة المصرية او شركة مصرية او بعض اهل اليسار من المصريين بابتياع ارض واسعة في سورية تصلح ان تكون مراعي للمواشي ويكون فيها نبع ماء غزير وتزرع فيها اشجار ظليلة وترسل اليها نخبة البقر المصرية اناثاً وذكوراً وتربى فيها العجول حتى يصير عمرها سنتين فيؤتى بها الى القطر المصري ماشية براً . وقال انهُ يكون من ذلك ربح وافر

مستقبل القطن المصري

لم تكد الحكومة تشرع في بناء الخزان لتعميم الزراعة الصيفية في الوجه القبلي حتى تشاءم كثيرون حاسبين ان ذلك يزيد زراعة القطن كثيراً فتهبط اسعارهُ حتى تصير زراعتهُ صفقة خاسرة . لكن من يتبصَّر في الامر يجد هذا التشاؤم منقوضاً من وجهين كبيرين الاول قلة موسم القطن المصري بالنسبة الى موسم القطن الاميركي فان موسم القطن المصري يبلغ الآن نحو ستة ملايين قنطار فان زاد بانتشار الري الصيفي في الوجه القبلي حيث يمكن ان يزرع القطن فقد يبلغ الموسم ثمانية ملايين او تسعة ملايين واذا جادت الزراعة ايضاً فقد يبلغ عشرة قناطير ولكن موسم القطن الاميركي يبلغ عشرة ملايين بالة اي خمسين مليون قنطار وهو يتراوح الآن بين تسعة ملايين بالة واحد عشر مليون بالة فيكون الفرق بين اكثره واقله عشرة ملايين قنطار . فكل موسم القطر المصري لا يزيد على الفرق بين سنة الخصب وسنة المحل في اميركا . والزيادة التي يمكن ان يزيدها قليلة جداً بالنسبة الى موسم اميركا لولا ان القطن المصري يعدّ اكثر من القطن الاميركي . والامر الثاني ان الفرق كبير جداً بين القطن

المصري والقطن الاميركي في جودة الشعرة فقد قرَّر الاميركيون ان القطن المصري الذي يرد الى اميركا لهُ لمعان حريري واذا أُسح ظاهر مثل الحرير الياباني وليس في اميركا ما يماثلهُ والبالة منهُ تقوم مقام خمس بالات من القطن الاميركي الذي طول شعرتهِ بوصة وثمن

وفي اميركا قطن جيد كالقطن المصري او اجود منهُ وهو السي ايلند لكنهُ غالي الثمن جدًّا وزراعتهُ ضيقة النطاق في اميركا لا يبلغ حاصلهُ في السنة مئة الف بالة اي نصف مليون قنطار . والولايات المتحدة تأخذ من القطن المصري الآن اكثر من نصف مليون قنطار اي اكثر مما يزرع فيها من القطن السي ايلند فلا خوف من مناظرتهِ

فاذا ثبتت هاتان القضيتان وهما قلة القطن المصري وجودتهُ فلا عجب اذا بقي على مقامهِ في معامل اوربا واميركا وزادت النسبة بين سعرهِ وسعر القطن الاميركي عما هي عليهِ الآن لا سيما وان البالة منهُ تقوم مقام خمس بالات من القطن الاميركي على ما يقول الاميركيون . ثم ان قطن الوجه القبلي لا يجود مثل قطن الوجه البحري الآن ويبعد عن الظن انهُ يجود مثلهُ في المستقبل . واذا اهتمت الحكومة المصرية وارباب الزراعة المصرية الاهتمام الواجب زادوا جودة القطن المصري جودةً حتى يبقى لهُ المقام الاول بين الاقطان كلها ويزيد اقبال اصحاب المعامل عليهِ

والناس الذين يستعملون المنسوجات القطنية يزيد عددهم الآن زيادة بالغة كل سنة وهذه الزيادة اكثر من زيادة الاراضي التي تزرع قطناً فلا ينتظر ان يزيد القطن في مستقبل الازمان عن حاجة الانسان

واجرة جمع القطن في اميركا كثيرة جدًّا تبلغ ١٦ في المئة من الثمن وهي خمس الاكلاف كلها فتكون الاكلاف ثمانين في المئة من الثمن فيستحيل ان يرخص القطن الاميركي كثيرًا ويبقى منهُ شيء من الربح

خيار شنبر

قال السائح هيو لندشتن الذي زار القطر المصري سنة ١٥٨٠ للمسيح انهُ شاهد قرب دمياط اكثر من الف شجرة من شجر خيار شنبر

ونقل ابن البيطار في مفرداتهِ نقلاً عن ابي العبَّاس النباتي "ان خيار شنبر معروف مألوف بمصر واسكندرية وما والاها ومنهما يحمل الى الشام شجرهُ كقدر شجرة الجوز وورقهُ كورقهِ الاَّ انهُ اصغر قليلاً واطرافهُ حادَّة وهو اصلب من ورق الجوز وفيهِ شبهٌ من ورق الشاهبلوط

و يزهور زهرًا عجيبًا لم ترَ عيني مثلهُ جمالاً وحسناً وذلك انهُ يخرج من بين تضاعيف الورق في شهر سبتمبر وهو في عرجون طولهُ نحو ذراع يخرج في جهاتهِ الاربع عروق في طول الاصبع تنفتح اطرافها عن زهرٍ ياسميني الشكل في قدرهِ خمس ورقات في كل زهرة في نهاية الصفرة فيأتي شكل العرجون وهو متدلٍ بين تضاعيف الاغصان كانها ثريًا مسرجة . وهذا الزهر اذا آن ان يخرج الثمر يستحيل لونهُ الى البياض ويذوي و يسقط وتبرز انابيب القضيب الشنبرية على الشكل المعروف منها الطويل ومنها القصير عناقيد كعناقيد الخرنوب تتدلى كانها العصي شديدة الخضرة ثم تسودُّ اذا انتهت" . واطنب ابن البيطار في فوائدهِ كمسهل لطيف وهو كذلك

وقد كاد هذا الشجر ينقرض من القطر المصري فلم نرَهُ الاَّ في حديقة الازبكية ولا ندري لماذا اهمل الناس زرعهُ واستعاضوا عنهُ باللبخ الذي لا يفوقهُ جمال منظر ولا فيهِ ثمر يؤكل ويباع ويتداوى بهِ مثلهُ . فعسى ان يهتم احد باعادة زرعهِ

البرتقال

اخذ القطر المصري يجاري البلدان الشرقية التي على شاطىء بحر الروم في اصدار البرتقال وغيرهِ من اصناف الليمون الى الجهات الاوربية وغيرها فصدر منهُ سنة ١٩٠٠ ما قيمتهُ ١٥٨١ جنيهًا أُرسل اكثر من نصفها الى روسيا ولكن ورد اليهِ تلك السنة ما قيمتهُ ١٦٤٥٣ جنيهًا اكثرها من يافا وبعضها من مالطة . وللبرتقال تجارة واسعة في هذه الايام فيصدر من يافا الآن نحو ٣٥٠ الف صندوق كل سنة الى البلاد الانكليزية و يقال ان مساحة بساتين الليمون فيها الفا فدان

وارض مصر واقليمها مناسبان لزرع البرتقال وقد كثرت بساتينهُ فيها حديثًا فعند المسيو زرفوداكي ثلثمئة فدان مزروعة برتقالاً قرب كفر الدوار وعند منشاوي باشا بساتين واسعة منهُ قرب طنطا

والبرتقال وكل اصناف الليمون معرضة لضربة الحشرات القشرية وقد ظهرت هذه الضربة في جنائن بيروت وصيداء وطرابلس واتلفت ليمونها وخسرت اصحابها خسارة كبيرة . وقد رأيناها بالامس في جنائن الجيزة فاذا لم تبذل الهمة في استئصالها قبلما تنتشر كانت ضربةً قاضية على جنائن البرتقال

الطلمبات البخارية

نُشر تقرير اللجنة التي اقيمت لامتحان الطلمبات البخارية المستعملة في القطر المصري وقد جرى امتحانها في الربيع الماضي في الجزيرة بقرب المعرض الزراعي واشترط ان يكون قطرها ٨ بوصات وهو القدر الكثير الاستعمال في القطر المصري. واللجنة مؤلفة من بوغص باشا نوبار ومحمد بك انيس والمسيو سوتر والمستر هولت . وتبارى في هذا المضمار ثمانية من اصحاب الطلمبات

وكان الماء يرفع اربعة امتار وتدير الطلمبا آلة بخارية قوتها خمسة احصنة وقد اعتبرت مسائل كثيرة في هذه الطلمبات اخترنا اثنتين منها لانها اهمها

		الفحم المحروق في الساعة	الماء المرفوع في الساعة
طلمبه	حسبو محمد وشركاه	٣١٫٢٢ كيلو	٣٥٠ متر مكعب
«	كليتون وشتلورث	٣١٫٦٧ «	٣٤٤ « «
«	ج . غوين	٣١٫٤٦ «	٣٢٠ « «
«	ديمون	٣٣٫٤٣ «	٣٤٤ « «
«	سلزر	٣٠٫٨٨ «	٣١٤ « «
«	رستن بركتر	٣٤٫٠٤ «	٣٢٠ « «
«	غوين وشركاه	٢٦٫٥٣ «	٣٥٠ « «
«	الن والدرسن	٣٤٫٦٨ «	٣١٧ « «

فالطلمبة التي قدمها محل حسبو محمد نالت قصب السبق واعطيت مدالية الذهب

باب تدبير المنزل

شهيرات النساء

تمهيد

لا شيء ترتاح اليهِ النفس مثل مطالعة سيَر المشاهير من الرجال والنساء سواء اشتهروا بالعلم والفضل او بالبسالة والاقدام او بغير ذلك من اسباب الشهرة . وسيَر المشاهير من الرجال كثيرة مأثورة لا تخلو العربية من كتب فيها اما سير الشهيرات من النساء فقليلة متفرقة

وقد رأينا ان نختار بعضاً منها ونحلي به جيد المقتطف فننشر ترجمة امرأة مشهورة في باب تدبير المنزل في كل جزء من اجزاء المقتطف . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر هذه الترجمات سيكون عن نساء اوربيات لأن الشهيرات من نساء المشرق قليلات ولا نعرف من احوالهنَّ الاَّ شيئاً قليلاً لا يروي غليلاً

مدام سفنيه



نبدأ بسيرة هذه الشهيرة لا لانها اشهر من غيرها بل لانهُ اتَّفق ان وقع نظرنا على سيرتها اولاً حينما فكَّرنا في كتابة فصل لهذا الجزء . واكثر اعتمادنا في ما نكتبهُ عنها على كتاب "ربَّات الهيئة الاجتماعية" Queens of Society.

هي من فضليات النساء الفرنسويات اللواتي نبغن في عهد الملك لويس الرابع عشر وخلونَ من معايب ذلك العصر. بل من شموس الهيئة الاجتماعية وربات الاقلام ونوابغ الكتَّاب. ذكرها كتَّاب عصرها فقدروها قدرها واطنبوا بمدحها وحاول بعضهم الجري على خطتها في الانشاء حاسباً انشاءها من الطبقة الاولى وقال آخر انهُ قرأ مكاتيبها وهو في الهند فامتلأَت نفسهُ من الاعجاب بها واشار الى فصل من فصولها فقال ان تاشيتوس المؤرخ الروماني ومكيفلي الكاتب السياسي الايطالي لم يأتيا باحسن من ذلك . وكتب لامرتين سيرتها فقال انها بترك النثر

الفرنسوي (وبترارك شاعر ايطالي مشهور) ولها اليد الطولى في تمدين العالم وان اسمها يستحق ان يقرن باسم سقراط وهوميروس وملتون وبوسيه وفنلون

ولدت في باريس سنة ١٦٢٦ وسميت ماري ده روبين . وقتل ابوها وعمرها سنة واحدة ثم توفيت امها وعمرها ست سنوات فامست يتيمة من الوالدين وربيت عند خالها وهو رئيس دير ونشأت بارعة الجمال بوجه ابيض صبوح وشعر اشقر غزير وعينين زرقاوين مكسورتي الاجفان تتلألآن بهجةً وذكاء . وقد وصفها لافونتاين بما معناه "اذا اغمضت عينيك فاله المحبة واذا فتحتهما فامهُ" . ففتن جمالها اهالي باريس ولعب عقلها وعلمها بعقول فلاسفتها

درست اللاتينية واليونانية والايطالية والاسبانية في حداثتها وقرأت اشهر مؤلفات الادب والتاريخ وكل ما كان يعلَّم في ذلك العصر لمن كان في سنها او اكبر منها حتى اذا بلغت الخامسة عشرة من العمر أُبيح لها الدخول الى بلاط الملك لانها كانت من اسرة كريمة وهي الوارثة الوحيدة لميراث يساوي ثلثمئة الف فرنك فاجمع كل من رآها على انها بارعة الجمال تفتن العقول بذكائها ولطف حديثها وسعة معارفها شهد لها بذلك علماء ذلك العصر كما شهد غواتهُ ولا سيما بعد ان رأوها على تمام الدعة والحشمة

وللحال كثر عليها الخطَّاب من ابناء الامراء والاغنياء فلم تحسن الاختيار ولعلَّ لسان الحال يعذرها بقول مَن قال

ان الرجال صناديق مقفَلة وما مفاتيحها الاَّ التجاربُ

فاختارت مركيز ده سفنيه وهو شاب حسن الطلعة لكنهُ متهور متهتك معجب بنفسهِ فاقترن بها وعمرها سبع عشرة سنة ولم يعبأ بعقلها وفضلها وكيف يعبأ بهما وليس لهُ نصيب منهما فاختار عليها عشيقات لا يساوين حلمةً في نعلها

وكان نادي الباريسيين في ذلك العصر منزل مدام رمبوليه وهي سيدة فلورنسية الاصل لها علاقة ببيت مديشي حكام فلورنسا جاءت باريس ومعها محبة الشعر الايطالي والخلاعة الايطالية فاجتمع حولها كل محبي فنون الادب من الحكام والقضاة ومن اراد ان يحذو حذوهم ودخلت مدام ده سفنيه الى هذا النادي ولكنها لم تشارك اهلهُ الاَّ في ما ادَّعوهُ من محبة العلم والادب . وكان زوجها قد هجرها وفعل من الافعال الذميمة ما دلها على عدم اكتراثهِ لها ورأت من اعجاب الناس بجمالها وذكائها ولا سيما الكبراء منهم ونخبة رجال باريس ما يصرف غيرها من منهج الفضيلة والعفة اما هي فبقيت متمسكة بكمالها امينة لزوجها ولو اظهر الخيانة لها فنعتها اولئك البغاة بالكبر والخيلاء

ولما رأَت ان بقاء زوجها في باريس متلف لهُ اقنعتهُ ليذهب بها الى قصر لهُ اسمهُ له روشه في عمل برتني ليبعد عن باريس واشراكها وكان ذلك بعد اقترانهِ بها بسنتين . والقصر في بلاد كثيرة الضباب بعيدة عن معالم العمران وعن اسباب اللهو والسرور لكنها فضلتهُ على باريس اذا استطاعت ان تنجي زوجها من اشراك الهوان . وكان شابًّا لا يزيد عمرهُ على اربع وعشرين سنة فذهب معها واقاما في ذلك القصر ثلاث سنوات . وولد لهما ابن وابنة ولابنتها هذه كتبت مكاتيبها المشهورة

وكان زوجها ضابطًا في خدمة الملك فدعي الى باريس بعد ان اقاما في له روشه ثلاث سنوات وعاد فيها الى ما كان عليهِ قبلاً من هجر زوجتهِ واتباع اهوائهِ . وكان في باريس فتاة متهتكة اسمها نينو دولنكلو فعلق قلبهُ حبها و بذَّر عليها ثروتهُ وحاولت زوجتهُ ان تنقذهُ من هذه التهلكة فلم تستطع واضطرَّت اخيرًا ان تنفصل عنهُ وتعود الى قصر له روشه بابنها وابنتها . ولم يطل المطال حتى بلغها انهُ تبارز مع رجل آخر وجرح جرحًا بالغًا فكتبت اليهِ كتاب زوجة امينة محبَّة غفورة لكنهُ قضى نحبهُ قبل وصول الكتاب اليهِ والظاهر ان المبارزة اجلت عن قتلهِ لا عن جرحهِ فقضى وعمرهُ سبع وعشرون سنة وخلف زوجة عمرها ثلاث وعشرون وولدين طفلين

هنا انتهى الدور الاول من حياة مدام ده سفنيه . احبت رجلاً لا يستحق محبتها واغتفرت زلاتهِ وحاولت مرارًا تخليصهُ مما يقودهُ اليهِ طبعهُ لكن الطبع غلاَّب واخيرًا قُتل في سبيل امرأة اخرى لا تقابل بها لا خُلقًا ولا خَلقًا ولم يترك لزوجتهِ الامينة شيئًا تذكرهُ بهِ لكن حبها لهُ اغتفر ذلك ايضًا فتوسلت الى هذه المرأة حتى اعطتها صورتهُ وخصلة من شعرهِ وبقيت حافظة لهُ عهد الولاء حتى كانت لا ترى خصمهُ الذي قتلهُ الاَّ ويغمى عليها . وكانَ قلبها لم يكن يسع احدًا غيرهُ فلم تشرك في حبهِ احدًا لا قبل موتهِ ولا بعدهُ حتى اذا اضعفت الايام لوعة الفراق قام ولداها مقام زوجها في قلبها فكانت ارأم عليهما من كل والدة على اولادها

وكان زوجها قد بذَّر ثروتهُ وثروتها ايضًا فاضطرت ان تقتصد في نفقاتها واقامت اولاً على تعليم ولديها حتى اذا ترعرعا ورأَت ان لا بدَّ لها من العودة بهما الى باريس لان ابنها لا يرتقي ما لم يتصل ببلاط الملك عادت بهما ودخلت نوادي تلك العاصمة ارملة في زهرة صباها واوج جمالها

وكان بلاط الملك لويس الرابع عشر في منتهى مجدهِ جامعًا نخبة رجال العصر مثل كورنيل وراسين ومولير ولافونتين وبوالو هؤلاء الشعراء الذين كانت تذاكرهم وتساجلهم وتكاتبهم ومثل

ارنولد وباسكال و بوردالو وماسكارون وبوسيه من الفلاسفة والوعاظ ومثل ده رتز وموتتروز ورشفوكول والمرشال تورن و كولبر وكونده . هؤلاء كلهم كانوا اصدقاءها المعجبين بجمالها وذكائها. ومن النساء الشهيرات اللواتي صادقتها دوقة لنجفيل ومدام ده منتنون ومدام ده منتسبان وكونتس دولون ومدام ده لافايت

وكانت تناظر الحكماء منهم وتنتقد الشعراء وتمازح اهل المجون وتخرج من مجالسهم او يخرجون من مجلسها عفيفة الازار محمية الجانب كأنها الشمس تخافها النواظر وتعجز الاكف عن الدنو منها . وسمعت مواعظ اشهر وعاظ فرنسا بوسيه وبوردالو وماسكارون وفلشيه و باحثتهم فيها ولكنها لم تستفد منها قدر ما استفادت من سيرة بيت ارنولد الزهاد لانها كانت مثل غيرها من اهل عصرها تنظر الى بلاغة الوعاظ وحسن القائهم فلا يؤثر كلامهم في نفسها الا كما يؤثر الكلام البليغ في نفس سامعهِ تأثيرًا عقليًّا يعجب المرء بهِ واما سيرة الزهاد فكانت تؤثر في نفسها وعواطفها تأثيرًا ادبيًّا. الواعظ يعجب سامعوهُ بهِ ويقدرون انهُ سيرتقي بوعظهِ الى كرسي الاسقفيَّة فكانهم اعطوهُ بدل وعظهِ مدحًا واطراءً واما الزاهد صاحب السيرة الحميدة فيعلّم الناس بسيرتهِ ان يطرحوا حطام الدنيا وينظروا الى الأخرى . ويظهر مما روتهُ عن الوعاظ انهم كانوا لا يحاشون جانب الملك واهل بطانتهِ فيذكرون عيوبهم ومساوئهم ويذكرونهم بسوء المنقلب ولكن السامعين كانوا يكتفون ببلاغة الواعظ ولا يرتدعون عمَّا يردعهم عنهُ

ومما ذكرتهُ من هذا القبيل ان بوردالو واعظ بيت الملك كان يعظ مرة في كنيسة فرسايل وكان بين الحضور فنلون الشهير فنام وقت الوعظ والتفت الواعظ اليهِ ورآهُ نائمًا فصرخ بصوت جهوري قائلاً " استيقظ ايها النائم الذي يأتي الكنيسة تزلفًا الى الملك " . وكانت مدام ده سفنيه تنتقل في مكاتيبها من الكلام على بلاغة الوعاظ الى كلام على سفه ابنها وخلاعتهِ دلالة على انهُ لم يكن للوعظ شأن كبير عند اهل ذلك العصر ولولا بلاغة بوردالو ما اعجبت بهِ ولا سيما لانهُ من الجزوبت المكروهين لديها

وكانت تعجب ايضًا بكردنال ده رتز ورشفوكول وهما من اعاظم رجال ذلك العصر وبقي الاول منهما صديقًا لها ثلاثين سنة وقد قالت عنهُ مرةً ان نفسهُ اسمى من نفوس غيرهِ حتى تحسب ان آخرتهُ لا تكون مثل آخرة غيرهِ من الناس . لكنها لما انتقلت من التعميم الى التخصيص وذكرت اسباب اكرامها لهُ واطنابها بتقواهُ لم تبين من فضائلهِ شيئًا نادرًا فانها ذكرت منها انهُ اوفى ديونهُ كلها وهي مليون فرنك وانهُ كان يصلي فرضهُ كل يوم ويفطر مع سائر خدمة الدين في ايام الصيام

وصادقت اناساً يكرههم الملك ولم تخشَ بأساً ولما غضب الملك على فوكه ناظر المالية لاختلاسهِ وأُخذت اوراقهُ ونُظر فيها اذا بينها مكاتيب منها لهُ فسخط الملك عليها ايضاً لكنها لم تنفك عن صداقة فوكه ولعلها لم تكن تصدّق ما اتُّهم بهِ من الاختلاس لعلها ان الملك كان مغتاظاً منهُ لانهُ ناظرهُ في حب فتاة كان الملك يحبها . وقُبض على فوكه وحوكم في البارلمنت الفرنسوي فحكم عليهِ بالسجن مدى الحياة وحضرت مدام سفنيه محاكمتهُ متنكرة . وكانت تذكرهُ في مكاتيبها في اثناء المحاكمة كانها مهتمة بامرهِ اشد الاهتمام وكانهُ من خلّص اصدقائها . وبقيت على حبها لهُ واهتمامها بامرهِ كل مدة سجنهِ الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٦٨٠ . وكان من الذين رغبوا في الاقتران بها قبلما اقترنت بزوجها فردتهُ خائباً لانها لم تكن تحبهُ . ردتهُ في سرّائهِ ثم احبتهُ في ضرّائهِ وهذا شأنها مع كثيرين

وقضت هذه السنين في تعليم ابنها وابنتها وتهذيبهما وكان لها المقام الاول في الاندية الباريسية اندية العلماء واندية الوجهاء واندية ربات الجمال حتى كانت باريس كلها تفتقدها حينما تغيب عنها

ونشأت ابنتها بديعة الجمال مثلها حتى قال بعضهم انها اعجوبة الدهر وقال آخر انها اجمل فتاة في فرنسا . اما هي فلم تكن مغرورة بنفسها بل كتبت الى امها مرة تقول ان الناس يعبدونني حالما يرونني ولكنهم اذا عرفوني لم يعودوا يعبأون بي . والظاهر ان خُلقها لم يكن رضياً مثل خَلقها وزد على ذلك ان قلة مالها وخروج امها من رضا الملك ابعدا عنها الشبان الذين كانت امها ترغب في تزويجها بواحد منهم فاغتاظتا من ذلك وتركتا باريس ومضتا الى قصرهما له روشه واقامتا فيهِ مدة ثم عادتا الى باريس فرأى الملك الفتاة واعجب بجمالها لكن الشبان الذين من الاسر العالية بقوا مبتعدين عنها . وكانت قد بلغت التاسعة عشرة من عمرها والبنات اللواتي من طبقتها يتزوجن قبل بلوغ هذا السن . ومضت سنتان اخريان ولم يتقدم اليها طالب ممن ترغب فيهم فاضطرت ان تقبل كونت غرينان وهو كهل عمرهُ اربعون سنة وكان قد تزوج مرتين قبل ذلك . وكتبت مدام سفنيه في هذا الصدد تقول "لقد ماتت زوجتاهُ لكي يتيسر لهُ الاقتران بابنتي ثم تمَّ سعدنا بموت ابيهِ وابنهِ فزاد غناهُ وهو كريم الاخلاق ومن اسرة كريمة وهذا كل ما نطلبهُ ولذلك لبينا طلبهُ حالاً ولم نماطل حسب العادة الجارية . والظاهر ان الناس راضون بذلك وهذا ليس بالامر القليل . غناهُ وافر ومنصبهُ عالٍ ومقامهُ رفيع فماذا ننتظر اكثر من ذلك واظن اننا فزنا اخيراً ونجونا من ورطة كبيرة "

هذا كان مقام الزواج في ذلك العصر ولعلهُ لا يزال كذلك في بلدان كثيرة

وأُقيم الكونت غرينان والياً للبروفنس في جنوبي فرنسا فاضطرت زوجتهُ ان تترك امها وترافقهُ وكان فراقها مؤلماً جدًّا لامها لكنهُ دعاها الى كتابة كثير من مكاتيبها المشهورة التي اودعتها من تاريخ عصرها واحوالهِ ما لا يرى في كتاب آخر سواها ولو لم تقصد ان يراها احد غير ابنتها . وكانت ابنتها تعجب بده كادث وفلسفتهِ وتدعوهُ اباها والظاهر انها اودعت المكاتيب التي كانت تجيب بها امها اموراً كثيرة من فلسفتهِ مخالفة للدين فلما جاءت ابنتها بعدها اتلفت اكثرها حتى لا يظهر منها شيء . ويظهر مما بقي منها ومن مكاتيب امها لها انها كانت امرأَة فاضلة تفضل الفلسفة على معاشرة اهل القصوف ولو في بلاط الملك

ولم تكن مدام سفنيه تهتمُّ بابنها كاهتمامها بابنتها لانهُ لم يشبَّ على ما تريد . نعم انهُ تعلم فنون الادب وكان مغرماً بهوميروس وفرجيل وهوراس ودرس الفنون الحربية وتطوَّع لمساعدة البنادقة في انقاذ كريت من الاتراك لكنهُ لم يكد يرجع الى باريس حتى لحق الممثلات وانفق امواله عليهن ومن اللواتي علق قلبهُ حبهنَّ نينون ده لنكلو التي قُتل ابوهُ في حبها وكانت قد صارت عجوزاً في الرابعة والخمسين لكن بقيت على جمالها الفتّان . ولما رأَت امهُ اسرافهُ وتهتكهُ خافت ان يحلَّ بهِ ما حلَّ بابيهِ فبذلت جهدها في انقاذهِ خوفاً من ذلك لا من غيرهِ كما يظهر من مكاتيبها لابنتها فنجحت . ثم امتاز هذا الفتى ببسالتهِ في الحرب وتزوج بفتاة غنية من عائلة كريمة واشترى بيتاً في باريس وسار سيرة حسنة جدًّا حتى كاد يكون من الزهَّاد

وعاشت مدام سفنيه بعد زواج ابنتها ٢٧ سنة قضتها في كتابة المكاتيب اليها ولم تصادق صديقاً جديداً الاَّ كرّينلي وهو رجل ايطالي على جانب عظيم من العلم والحكمة وكان من المعجبين بها اشد الاعجاب حتى انهُ كان يتردَّد على مجلسها كل يوم . وكانت تكتب لابنتها ثلاثاً او اربعاً في الاسبوع وقد تكتب اليها كل يوم مرةً او مرتين . وبقي مجلسها غاصًّا بجلَّة القوم من العظماء والعلماء الى ان ادركتها الوفاة سنة ١٦٩٦

وتعبَّدت في اخريات ايامها مثل كثيرات من اهل عصرها فكانت تمضي الى الكنيسة مرتين في النهار وتعترف مراراً كثيرة وعذرها في ذلك على ما قالت ان النساء يحببن الكلام فاذا امتنعت المرأَة عن التكلم عن غيرها استعاضت من التكلم عن نفسها ولو بالسوء . وكانت وفاتها في حب ابنتها لانهُ بلغها انها مريضة فاسرعت اليها الى البروفنس ومرَّضتها ثلاثة اشهر نهاراً وليلاً فشفيت الابنة ولكن التعب والسهر انهكا قوى الام وكانت في السبعين من عمرها فاصيبت بالجدري وماتت بهِ . وقبرها مكاتيبها كما قال لامرتين لانها وضعت نفسها فيها . وقد طبعت هذه المكاتيب مراراً وهي تملأُ عشرة مجلدات

تربية الاطفال

مشي الطفل

صغار الحيوان تمشي غالباً حال ولادتها او بعد ولادتها بساعات قليلة واما طفل الانسان فلا يستطيع المشي الاَّ بعد ان يشتدَّ قدماهُ وكعباهُ وساقاهُ. والغالب انهُ لا يستطيع الوقوف والمشي الاَّ بعد ما يصير عمرهُ سنة من الزمان. وهو يحاول ذلك من تلقاء نفسهِ حالما تقوى قدماهُ على الوقوف والمشي ولا داعي لان يجبرهُ والداهُ على ذلك وان فعلا فالغالب انهما يضرَّانهِ لانهما يعرّضانهِ للفدع. وان تأخَّر مشيهُ فالغالب ان يكونا هما المسببين لتأخرهِ لانهُ انما يتأخر اذا انهكهما المرض والسهر وفساد الغذاء فيولد طفلهما ضعيف العظام والاعصاب

ثم ان الطفل يتدرَّج الى المشي تدرُّجاً فيحرك يديهِ ورجليهِ ما دام مستيقظاً وتحريكها يقويها ويعدها للمشي فاذا مُنع عن الحركة تعذَّر عليهِ المشي الباكر. فعلى الوالدة ان تلقي طفلها على بساط او نحوهِ وتتركهُ يلعب ويتحرَّك قدر ما يشاء فان حركاتهِ تقوي اعضاءهُ كما لا يخفى. واما حمل الطفل على الذراع دواماً فتعب لوالدتهِ او لمربيتهِ ومضرٌّ بهِ ومانع من نموهِ وتقوّيهِ. واذا كان الهواء دافئاً توضع لهُ طرّاحة او سجادة في الخلاء في مكان ظليل ويلقى عليها ليتحرك ويلعب فيسرُّ بذلك ويبقى ساعة بعد أُخرى من غير بكاء ولا سيما اذا كان معهُ اخوة صغار يلعبون بجانبهِ. ويجب ان تقضى حياة الطفل في ثلاثة امور الاكل والنوم والحركة شأن طيور السماء ووحوش البر واسماك البحر. والحركة تجلب الحياة والصحة لكل حيوان ولطفل الانسان في جملتها

تكلُّم الطفل

اذا شاءت المرأة ان يتكلَّم طفلها باكرًا فعليها ان لا تمنعهُ عن الصياح لان كل صوت يخرجهُ من فيهِ يقوي رئتيهِ واعضاء النطق فيهِ. وليس من شأن الاطفال الصمت والسكوت والسكينة وكلمة "اقعد عاقل" يجب ان لا تقال للطفل بل يحسن ان يشجَّع على الحركة والصياح والضحك بكل واسطة

وقد يتكلم الاطفال بسرعة فينقطع نفسهم حالاً ويتعذَّر عليهم النطق. فاذا رأيت طفلاً يفعل ذلك فلا تضحك عليهِ بل وقفهُ عن الكلام ودعهُ يتكلم متمهلاً والاَّ اعتاد اللعثمة وعسر عليهِ اصلاحها بعد ما يكبر

علاج الطفل

اذا اعتنينا باطفالنا الاعتناء الواجب لم يمرضوا قط واذا مرضوا فالطبيب هو الذي يعرف الدواء النافع لهم . ولكن المرأة التي اذا وقفت ساعتها اعطتها الساعاتي ليصلحها ولم تحاول هي اصلاحها بنفسها واذا انثقبت حلتها (قدرها) اعطتها النحاس ليسدها ولم تحاول سدها بيدها تراها تعالج طفلها بنفسها اذا مرض كأن علاج الاطفال اسهل من اصلاح الساعة والحلة اغلى من الطفل . ولذلك ولجهل الامهات كيفية الاعتناء بالاطفال يموت منهم العدد العديد وهم مولودون ليعيشوا لا ليموتوا والذين يعتنون باطفالهم الاعتناء الواجب لا يموت من اطفالهم نصف ما يموت من اطفال غيرهم

ازالة لطخ الحوامض

اذا انصبَّ حامض على الثياب فازال لونها امسح مكان الحامض بماء النشادر حتى يزول فعله لكن ذلك قد لا يعيد اللون الى حالهِ فادهن مكان الحامض بعد ذلك بقليل من الكلوروفورم فيعود اللون الى ما كان عليهِ اولاً . مثال ذلك ثوب من الصوف الازرق وقعت عليهِ نقطة حامض فصار فيهِ لطخة محمرة فادهنها اولاً بماء النشادر فالغالب انها تزول واذا لم تزل او اذا تغير لونها ولكن لم يعد كما كان اولاً فادهنها بالكلوروفورم فيعود كما كان

واذا كان الحامض نباتياً يلطخ النسيج كالخل وعصارة الاثمار الحامضة فاذا كان النسيج قطناً او كتاناً ابيض كفوط السفرة يغسل غسلاً بسيطاً ثم يمسح مكان اللطخ بماء الكلور واذا كان ملوناً او كان صوفاً او حريراً فيرطَّب مكان اللطخ بانملة الاصبع مبلولة بقليل من الامونيا واذا كان لون النسيج نحيفاً يجبل قليل من الطباشير المستحضر النقي بقليل من الماء ويدهن بهِ

ازالة لطخ القلويات

اذا وقعت مادة قلوية على نسيج ملون فلطخته فامزج قليلاً من الحامض الخليك النقي بكثير من الماء وادهن اللطخ بهِ الى ان يزول و يعود اللون كما كان

ازالة حبر الانيلين عن الاصابع

اغسلها بالسبيرتو القوي او اغسلها اولاً بمحلول مسحوق القصارة (كلوريد الجير) ثم بالسبيرتو



درس في الانتقاد

نعنى ببعض الكتب احياناً احتفالاً بموضوعها ونشير الى بعض حسناتها ترغيباً للقراء فيها والى بعض سيئاتها لكي ينتبه لها كتّابها فيصلحوها في طبعة تالية اذا وجدوا انتقادنا صحيحاً لكننا لا نجد منهم غالباً الا المكابرة واللوم . وقد مضى علينا الآن ست وعشرون سنة ولا نتذكر ان مؤلفاً عربياً انتقدنا كتابهُ واشرنا الى خطإٍ فيهِ ولم يقابلنا بالجفاء والتعنيف . وبالضد من ذلك مؤلفو الافرنج فاننا لم ننتقد كتاباً لاحد منهم الا قابلنا بالشكر والثناء

من ذلك اننا ذكرنا في الجزء الثامن من هذه السنة كتاباً اسمهُ كتاب المجال وجدتهُ السيدة الفاضلة مسز جبسن الانكليزية في دير جبل سينا فصورتهُ وترجمتهُ وطبعتهُ بالعربية والانكليزية وبعث الينا بنسخة منهُ فانتقدنا بعض ما جاء فيهِ من قبيل الترجمة فكتبت الينا بالامس تقول ما ترجمتهُ

" لقد تفضلتم عليَّ كثيراً بذكركم اياي وكتابي في المقتطف . وقد كنتُ غائبة في اسكتلندا حينما حضر ذلك الجزء فلم أستطع ان اراجع الاصل الذي ترجمت عنهُ لارى صحة كلمة " مجال " اما وقد عدت الآن الى بيتي فراجعت الكتاب فوجدت الكلمة فيهِ كما نقلتها تماماً وقد بعثت اليكم مع هذا البريد بصورة فوتوغرافية فيها الصفحة الاولى التي ورد فيها اسم هذا الكتاب وهي واردة في السطر الرابع ومنها ترون ما اذا كنت مصيبة او مخطئة . اما ترجمة عيد البشارة فانتم مصيبون فيها وانا مخطئة "

ثم ذكرت لنا ان حضرة اختها مسز لويس وجدت كتاباً مطرَّساً اي محيت كتابتهُ ثم كتب ثانية بخط كوفي من القرن السابع او الثامن للميلاد وبينما هي تعالجهُ بمادة كيماوية لاظهار كتابتهِ ظهر على صحيفة منهُ ١٢ سطراً بخط يوناني كبير الحروف من عهد قديم على كل صفحة منها ستة اسطر من الاصحاح الاربعين من سفر التكوين فارسلت صورة فوتوغرافية منها الى الدكتور نستل لانهُ دقيق النظر فوجد انها جزء من هكسبلا اورجنس اي النسخة التي جمع فيها ست نسخ من التوراة . وقد بعثت بتفصيل ذلك الى الاكسبوزيتوري تيمس وسينشر فيهِ في الشهر التالي . فنشكر لهذه السيدة الفاضلة عنايتها بانتقادنا لكتابها ونثني عليها وعلى حضرة اختها لبحثهما المتواصل في ما يزيد المعارف ويوسّع نطاق العلوم

رواية ريحانة النفوس

عند الاميركيين كاتب من اشهر كتّاب الروايات وابلغ الشعراء وهو طبيب ايضاً ومن اشهر الاطباء يُنقد على الزيارة الطبيّة الواحدة مئات من الريالات ويكتب في الشهر رواية فيربح منها الوفاً من الجنيهات . وقد طالعنا لهُ روايتين حديثاً فوجدناهُ ادمج في كلّ منهما موضوعاً طبياً وشرح كثيراً من احوال الطب والاطباء . وكأن صديقنا الفاضل الدكتور امين الخوري جرى هذا المجرى ايضاً فانشأ رواية فكاهية ضمنها من الفوائد الصحية والاخلاقية ما يرشد المرء الى اجتياز مسافة هذا العمر بدون ان تعثر لهُ قدم وجعل مدار كلامهِ على الطفوليَّة والزواج لارتباطهما بجميع اطوار الحياة صحة وراحة وهناء . والغرض بيّن من سبك الفوائد الصحية في قالب الرواية الفكاهية وهو تقريب الفوائد من الجمهور لانهُ يشق عليهم تناولها من الكتب الطبية . لكن شتان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليوناً من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقرّاء الكتب منهم لا يبلغون عشرة آلاف

وفي ريحانة النفوس عدا الفوائد الصحية كلام مسهب على الاخلاق تطرّق الى ما يقولهُ اصحاب فن الفراسة من دلالة اعضاء الجسم على اخلاق الانسان مثل "ان الراس الكبير يدلُّ على الاهمال والكسل والحماقة والعناد والراس الصغير فوق الجسم الضخم يدل على حدة التصوُّر والتردد في الحكم والميل الى الخمول والكسل كما يدل على شراسة الاخلاق وصعوبة الانقياد . وعلى العموم ان التحدُّب المقدَّم والخلفي من الراس يدلُّ على حدة الذهن وتوقد الفكر والنشاط وقوة التصوُّر . والتسطح والتقعير المقدمان والخلفيان فيهِ يدلاَّن على الاخلاق السهلة وصحة الروية والتوسط في القوى العقلية" . ولا يخفى اننا ننكر ذلك كلهُ كما ابنا في انتقاد كتاب الفراسة في الجزء التاسع وفي مقالة نشرناها في هذا الجزء وحسبنا دليلاً على ان ما ذكرهنا ليس قاعدةً يبنى عليها ان الراس المحدب من الامام والخلف شائع في الجنس الاوربي والزنجي وهما على طرفي نقيض في اكثر الامور العقلية . ولقد احسن حضرة المؤلف في ما ختم بهِ هذا الكلام عن الفراسة حيث قال "لقد كذب المنجمون ولو صدقوا كل هذه اوهام ولا يصدق الاَّ التجارب وليس اكثر شرّاً من التسرُّع" وحبذا لو ختم كل فقرة من فقرات كلامهِ عن الفراسة بمثل هذه العبارة لئلاَّ يرسخ الوهم في الذهن ويصعب محوهُ منهُ

لكن هذا ليس كل الفوائد الاخلاقية التي اشرنا اليها بل الرواية كلها جامعة لفوائد شتّى من وجوه اخرى . وكاننا نرى حضرة المؤلف يضرب اخماساً لاسداس حينما اراد ان يشرح

امر البكارة الى ان امتنب له ايراد الشرح المراد على اسلوب قد لا تنفر العذراء من مطالعتهِ فاجاد وافاد ولا نقول بقوله "ان المرأة انما يهمها ان تكون هي آخر من يحبها زوجها بعكس الرجل فانهُ انما يرغب في ان يكون اول من احبتهُ امرأتهُ" لكن قد يقضى عليهما ان يريا حسناً ما ليس بالحسن. اما الكلام الذي يلي فلا نتجاسر على كتابتهِ الأ الطبيب ولا ندري كيف يقابلهُ القراء ولو كانت معرفتهُ لازمة لكل احد

والرواية كثيرة الفوائد او كثيرة الدسم وقد يكون دسمها زائداً عن الفكاهة التي فيها. ولا بد من ان يستفيد منها القراء فوائد جمة فنشكر لحضرة واضعها شكراً جزيلاً ونتمنى ان يتحفنا بروايات أُخرى من هذا النوع

رواية الشهامة والحب

بقلم حضرة الاديب اسكندر افندي سعد الدمنهوري. وهي رواية ادبيَّة غراميَّة خلاصتها ان فتى احب فتاةً في هذه العاصمة ثم احبها فتىً آخر في الاسكندرية فاراد ابواها ان يزوجاها بهِ فاخبرتهُ بحبها للفتى الاول فزادت في عينهِ حباً ورفعة شأن ووقع الفتى الاول جريحاً فاعتنى بهِ الفتى الثاني الى ان شفي واقترن بها ومات الثاني غراماً. واسلوب الرواية حسن وحبذا لو اسهب فيها حضرة واضعها لان موضوعها يحتمل الاسهاب الكثير وحبذا ايضاً لو سلمت من بعض ما فيها من الخطإ اللغوي

القسطاس المستقيم

تاليف حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي وقد صحَّحهُ والتزم طبعهُ حضرة العالم الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي وقدم لهُ مقدمة في ترجمة المؤلف وعلَّق عليهِ حواشي كثيرة فسرت غامضهُ وشرحت مبهمهُ

ومما نراهُ في حد الغرابة من هذا الكتاب قول مؤلفهِ ان سائلاً سألهُ عما اذا كان يزن حقيقة المعرفة بميزان الرأي والقياس او بميزان التعليم فاجاب متنصلاً من ميزان الرأي والقياس لانهُ ميزان الشيطان. فلا نكاد نصدق ان عالماً فاضلاً كالغزالي ينفي ميزان الرأي والقياس ويعتمد على ميزان التعليم في غير المعرفة الدينيَّة ولذلك نظن ان في القسم الاول من هذا الكتاب نقصاً وانهُ حُذف منهُ ما يحصر المعرفة المقصودة هنا بالمعرفة الدينيَّة والاَّ فاذا اريد بها سائر المعارف كالزراعة والصناعة والطب وكل العلوم والفنون فالاعتماد فيها على الرأي والقياس

كالاعتماد على الحس والمشاهدة . فاذا صحَّ ذلك فميزان المعرفة عند اهل كل دين كتبهم التي يعتقدون انها منزلة من المهم وعلى هذا النحو قال الامام الغزالي لمن يناظره " اني اعرف واضع هذا الميزان ومعلّمهُ ومستعملهُ فان واضعهُ هو الله تعالى ومعلّمهُ جبريل ومستعملهُ الخليل ومحمد وسائر النبيين" . ومتى رسخ اعتقاد الانسان في نفسهِ هذا الرسوخ سهل عليهِ ان يثق ثقة تامَّة بكل ما في كتابهِ واستغنى عن كل دليل وميزان آخر

وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الترقي وهو يطلب منها

الكلم الروحانيَّة

في الحكم اليونانية

تأليف الاستاذ ابي الفرج بن هندو المتوفى سنة ٤٢٠ هجرية وقد صححهُ والتزم طبعهُ حضرة الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي . وهو جامع لكثير من حكم افلاطون وارسطوطاليس وسقراط واوميرس والاسكندر وباسيليوس الملك وفيثاغورس وبقراط وجالينوس وديمستانس وزينون وديوجانس وغيرهم . وحكم افلاطون ملأت نحو نصف الكتاب ومنها قولهُ لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدهُ فان الناس لا يسألون عن مدة العمل وانما يسألون عن جودتهِ . يستدلُّ على ادبار الملك من قصدهِ المخلصين لهُ بالسوء واستهانتهِ بمشورة ذوي الخبرة بامرهِ . الصلف وضع الرجل نفسهُ بمنزلة لا يستحقها ومطالبتهُ نفسهُ والناس بما يجب لتلك المنزلة . اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الراي واذا ضعفت انقطع الى البخت . العلم صبغ النفس وليس يشرق صبغ الشيء حتى ينظف من ادناسهِ

ومن حكم ارسطوطاليس قولهُ القليل مع قلة الهم اهنأُ من الكثير ذي التبعة . ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد . ضربة الناصح خير من تحية الشانىء . التواضع يزيد في الشرف والفخر يؤدي الى الخمول . ينبغي للعاقل ان يداري الزمان مداراة السابح للماء الجاري . المخدوع في جنب الخادع سعيد . لا فقر افقر من الجهل ولا وحشة اوحش من العجب ولا صاحب اكيس من الشورى . لا تقطع كلام مَن يحدثك فانهُ خارج عن خصال الادب . اي ملك ضيَّع الصغير من امرهِ لم يسلم من الكبير . ليست الشتيمة من اخلاق السراة . بذل الوجه للناس هو الموت الاكبر

ومن حكم سقراط قولهُ العدل امان النفس . امتحن المرء بفعلهِ لا بقولهِ . افعل الافعال

الجسيمة ولا تعدَّ المعدات الجسيمة . الجاهل من عثر بحجر مرتين . لا تكوننَّ عنايتك بان تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ . وقس على ذلك اقوال سائر الفلاسفة . وكثيرًا ما قابل بها المؤلف اقوال حكماء العرب في عرض ايرادها اتماماً للفائدة

جذيمة والزباء

اختطَّ حضرة الكاتب البليغ محمد افندي حليم (وكيل قلم محاسبة المكاتب في نظارة المعارف العمومية) خطَّةً جديدة في وضع الروايات التمثيليَّة وهو سبكها في قالب العربية الفصحى حتى كأنَّ من يسمع سجعها ونظمها يسمع مقامات الحريري او ما هو في طبقتها . فهل يفلح في ذلك او لا يفلح مسألة يكشف عنها الامتحان بعد تمثيل الرواية بضع مرات واقبال الناس عليها او ادبارهم عنها وتبقى الرواية مع ذلك مطلوبة لذاتها كاحد كتب البلاغة مثل مقامات الهمذاني والحريري واليازجي بل يرى فيها المطالع من الفكاهة واستطراد الخبر ما لا يراهُ في تلك المقامات . واذا اقبل الناس عليها وكثر النسج على منوالها كانت من ادعى الامور الى دوران العربية الفصحى على الالسنة

وقد قدَّم المؤلف لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ما حداهُ الى سبكها في قالب السجع واستطرد الى خطإ المتطفلين على هذه الصناعة والمجيدين فيها ايضاً كابن الاثير صاحب المثل السائر ومن خطَّأهم ابن الاثير من كبار الكتَّاب ثم الى احتجاب النساء وما فيهِ من مدح وذم وقال في خاتمة ذلك ان الانسان مع المحجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرهِ في نغص العيش ونكدهِ ومع المتكشفة المتعلمة يعيش عمرهُ كلهُ في هناء وسرور وصفاء وحبور

وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والامثال والمواعظ كقولهِ عن لسان عمرو بن عبد الجن لعمرو ابن عدي وقد دخل عليهِ فوجدهُ نشواناً "ما هذه يابنيَّ سيرة الصالحين التي عهد اليك جذيمة ان تسيرفينا . تصبح وتمسي مقبلاً على قيانك وغلمانك ونحن اخص خواصك تجافينا وتظلُّ عاكفاً على شرابك مع وقوف ذوي الحاجات ببابك . لا تنصف المظلوم من ظلامتهِ ولا تأخذ الظلوم بجريرتهِ وجريمتهِ . حتى ركب القوي اكتاف الضعيف واستطال الغوي على الشريف واصبح المستردف مع الرديف . وحتى كثرت الشكوى وعمَّت البلوى . فاما اقلعت عن هذه السيرة وتفرَّغت للناس في الصغيرة والكبيرة . والأفذ الآن لستُ بصاحبك بل اتركك والقي حبلك على غاربك"

وكقول ام عمرو " السنا وان اعسرنا اعساراً . حتى اكلنا الخبز قفارا خير من احتذائنا الوجي واغتذائنا الشجي . واكتحالنا السهاد واستطوائنا القتاد . ومالنا لا نقنع بالكفاف والقناعة ام العفاف . وما للنساء وتجشُّم الاسفار واقتحام الاخطار . وتكبُّد المصاعب في نيل الرغائب ومباراة الرجال في شاق الاعمال . . . . ولقد حذرتم من الجواد كبوه ومن السيف نبوه فلم لا تحذرون من المرأة صبوه وهي اذا عثرت فعثرتها لا تقال واذا زلّت فزلتها لا تغتفر بحال"

والرواية كلها على هذا النسق من السبك والانتظام فنثني على حضرة واضعها ثناء عطراً وعسى ان لا يعدى قلة بلغة الحكومة وركاكة كتّابها

اللآلىء البهيَّة في المسائل الرياضيَّة

وهو يحتوي على ٢٠٠ مسألة حسابية واجوبتها وضعهُ حضرة نصر افندي رزق من متخرجي مدرسة الاقباط الكبرى وهذه المسائل مثل زديف المسائل التي ترى في اكثر كتب الحساب العربية وغير العربية اكثرها احاجي ينضي التلميذ عقلهُ في ادراك المراد بها حتى يبرع في حلها كلها ثم يسألهُ ابوهُ عن حسبة تتعلق بغلّة اطيانهِ او امهُ عن حسبة تتعلّق بثمن امتعة ابتاعتها للبيت فلا يستطيع حلها . وعسى ان يقلع مؤلفو كتب الحساب عن الخطّة القديمة التي جروا عليها حتى الآن فيقللوا من المسائل النظرية العويصة ويكثروا من المسائل العملية المشابهة لما يعرض للانسان في معاملاتهِ اليومية

رواية الزواج السري

من تأليف اسكندر دوماس وقد ترجمت الى العربية بقلم حضرة الكاتب المجيد انطون افندي زريق الطرابلسي وهي مثل سائر روايات اسكندر دوماس آية في حسن الاختراع وايراد الغريب منها مورد القريب المألوف . مدارها على ان الغران دوق قسطنطين اخا القيصر نقولا الاول احبَّ فتاة من بنات الفلاحين واقترن بها سرًّا وولد لهُ منها ولد لكن اخاهُ نفاها الى سيبيريا واضطرهُ ان يقترن باخرى فاقترن ونسي امرأتهُ وولدهُ ثم انقذهُ ولدهُ من الموت وعرَّفهُ بنفسهِ وعفا الامبراطور عن امهِ بعد ان بقيت في المنفى سبعة عشر عاماً . والقصَّة على غاية الرقة والانسجام يستغرب قارئها ما يرى فيها من الاستبداد المنسوب الى قياصرة الروس ويود لو اسهب المؤلف او المترجم في وصف المشاق التي يعانيها المنفيون في سيبيريا . وعربيتها فصيحة قلما تظهر عليها آثار الترجمة وقد طبعت في مطبعة جريدة الايام في نيويورك



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

كتاب اصول الجبر

حضرات منشئي المقتطف الاغر

غب التحية والاحترام . اعرض ان ما لمقتطفكم الزاهر من خطارة الشأن في خدمة العلوم والآداب والمنفعة العامَّة يفرض عليَّ بيان الشكر لافساحكم فيهِ مجالاً لانتقاد كتاب سبائك التبر في اصول الجبر مؤلف العاجز فارجو ان تكرموا بنشر ما يأتي

قلتم " وحبذا لو جرى فيهِ دائماً على نسق الدكتور فانديك ... وكنا نحسب ان المقسوم عليهِ يوضع عن يمين المقسوم حيث يبتدأُ بوضع الحاصل " . ولا ارى هذا التعليل كافياً لتقييد الحاسب فلا يتخطاهُ ولو لفائدة فضلاً عن انهُ لم يتفق الكل على العمل بهِ بل نرى اختلافات عديدة في وضع المقسوم عليهِ والخارج والذي يلاحظ من النسق الحديث في الكتب الحسابية والجبرية على اختلاف لغاتها هو " ان المقسوم عليهِ يوضع عن يمين المقسوم او يسارهِ تبعاً للصورة التي تأخذ فيها العملية اقل مجال ممكن " وعلى هذا النسق جريت فكنت اضع المقسوم عليهِ اذا قلَّت اجزاؤُهُ جهة اليمين واذا كثرت جهة اليسار لان المجال عن يمين المقسوم ضائع وعن يسارهِ معمول بهِ حيث تمتد البواقي والحواصل . ولوضع المقسوم عليهِ والخارج طرق أُخرى تنطبق على هذا النسق لم اتعرض لذكرها وصورها لانها من الامور الاصطلاحية لا الجوهرية وتركت الاسهاب لما منهُ فائدة كقواعد جديدة واختصارات مفيدة لا يمكن تحصيلها الاَّ بالممارسة والاختبار

قلتم ايضاً " كذلك لو وضع المعادلات البسيطة في اوائل الكتاب الخ " غير اني ذكرت في اول الباب الثامن باب المعادلات البسيطة ذات المجهول الواحد " يمكن من شاء من الاساتذة تدريس هذا الباب وما بعدهُ اي باب المعادلات المتعددة المجاهيل قبل الباب الرابع

وما يليهِ (اي ابواب التناسب والترقية والتجذير والكميات الجذرية) وقدمت هذه الابواب تتمة للعمليات التي تطرأ على الكميات " ومن مراجعة ذلك يتضح اني راعيت في الترتيب مباحث الجبر فقدمت ما يخص الكميات ثم البحث في حلها ومكنت الاستاذ من سهولة التدريس الذي اشرتم اليهِ ترغيباً للطالب كما واني زيادة في ترغيبهِ ابنت اثناء الكلام عن الاوليات ونتائجها قبل الدخول في اساس علم الجبر صورة حل المعادلات العددية وذلك اوفى دليل على اتباعي بنوع خاص النسق الذي يرغب التلميذ

هذا ما ارجو منكم ان تكرموا بيانهِ فتضيفون بذلك مأثرة على مآثر جريدتكم النزيهة وتزيدون منة وفضلاً

الداعي

بيروت في ١٨ تشرين اول سنة ١٩٠١ جبران لبُّس

[المقتطف] كتب الينا حضرة المؤلف الفاضل يطلب رأينا في كتابهِ فابدينا رأينا فيهِ . ولم نقل ان ما جرى عليهِ خطأ وانما قلنا اننا نفضل الاسلوب الآخر عليهِ اذ قلنا "حبذا لو جرى فيهِ دائماً على اصطلاح استاذنا الدكتور فان دبك وكذلك لو وضع المعادلات البسيطة في اوائل الكتاب " . وابنا السبب الذي دعانا الى هذا التفضيل وهو مما عرفناهُ بالاختبار الطويل . وكنا ننتظر من حضرة المؤلف الفاضل اما ان يستحسن رأينا ويجري عليهِ في طبعة تالية او لا يستحسنهُ فيبقى على النسق الذي جرى عليهِ ولا يهتم باثبات الافضلية لاسلوبهِ لاننا لسنا في معرض المناظرة ولذلك لا داعي للرد على ما كتبناهُ . ولم ننشر ردَّهُ الاَّ لانهُ اشار فيهِ الى ما ذكرهُ في عرض الكتاب مما يوافق رأينا ولم تقع عيننا عليهِ حينما تكلمنا عنهُ وهو انهُ خيَّر المدرسين في تدريس " باب المعادلات البسيطة والمتعددة المجاهيل قبل الباب الرابع " ولانهُ اشار فيهِ ايضاً الى مزايا أُخرى في كتابهِ فعسى ان تعم فائدتهُ



باب المسائل

(١) العمل والجسم

عاليه بلبنان . ايليا افندي بارودي . اذا عمل رجل تسعة اشهر عملاً شاقاً فيهِ تعب للعقل والجسم معاً وعمل في الثلاثة الاشهر الباقية من السنة عملاً سهلاً ليس فيهِ تعب للجسم بل للعقل فهل من ضرر على جسم ذلك الرجل

ج اذا كان الجسم يستريح في اثناء

العمل حتى يسترد قوتهُ فلا ضرر من العمل سواء استمرَّ تسعة اشهر او السنة كلها واذا لم يسترح بل عمل عملاً متعباً متواصلاً كلَّت قواه ُ ولو كانت مدة العمل يوماً واحدًا. ثم ان الجسم الذي يتعب سريعاً من عمل ما يعتاد ذلك العمل اذا زاوله ُ حتى لا يعود يتعب منهُ سريعاً والذي لا يسترد قوتهُ بعد التعب الاَّ في ساعة من الزمان يصير يستردها في نصف ساعة او في دقائق قليلة وللعادة الشأن الاكبر في ذلك وما يقال في تعب الجسم وراحتهِ يقال في تعب العقل وراحتهِ ايضاً

(٢) موضع اللبن

ومنهُ من اي شيء يأتي لبن البقر واين منبعهُ الاصلي في جسم البقرة

ج تفرزهُ غدد الضرع من الدم فبعض اجزائهِ يصل اليها من الدم كما هو وبعضها يتكوَّن فيها تكوناً من اجزاء مأخوذة من الدم . فالدم مصدرهُ على كل حال كما هو مصدر غيرهِ من المفرزات التي تفرزها الغدد الاخرى وتأتي موادهُ الى الدم من الغذاء

(٣) ابو الركب والجبال

ومنهُ . هل المرض المسمَّى "ابو الركب" او حمى الدنج يفعل في الجبال كما يفعل في المدن

ج اذا ثبت ان هذا المرض ميكروبي الاصل وان البعوض العادي هو الذي ينقل ميكروبهُ من المريض الى السليم كما يقول البعض الآن وجب ان ينتشر حيث يكثر البعوض ويقل انتشارهُ حيث يقل البعوض. ويكثر البعوض في الاماكن التي فيها ماء راكد سواء كانت في الجبال او في المدن . الاَّ ان الماء الراكد يقل وجودهُ في الجبال لتحدُّرها فيجب ان يكون هذا المرض قليلاً فيها اذا كان انتقالهُ بواسطة البعوض

(٤) آلة الكتابة

وستر باميركا . الخواجه الياس غز .

قرأت في العدد السادس من المجلد السادس والعشرين من مقتطفكم الاغر عن آلة الكتابة بالحروف العربية وانها جاءت طبق المرام وهذا مما يسرُّ ابناء العربية عموماً ولكن يهمنا ان نعرف كم قطع ثمنها وعسى ان يكون قليلاً تسهيلاً لاقتنائها

ج يظهر لنا ان صانعها سيجعل ثمنها مثل ثمن آلات الكتابة الافرنجية التي من نوعها او اكثر قليلاً لكثرة ما أنفق عليها ولكنهُ لم يقطع ثمنها حتى الآن لان الآلات التي اوصى عليها لم يتم عملها حتى اليوم

(٥) العمر وطول القامة

ومنهُ كثيرًا ما نقرأ عن ان طوال القامة لا يعمرون طويلاً فما سبب ذلك

ج هذا غير صحيح بل هم يعمرون مثل قصار القامة بل ان متوسط عمر الشعوب الطويلة القامة اطول من متوسط عمر الشعوب القصيرة القامة اذا تشابهت احوالهم المعاشية

(٦) اصل النيازك

ومنهُ . ما هو اصل النيازك وما هو تركيبها ولماذا نراها تتساقط احياناً من السماء

ج للعلماء اقوال مختلفة في اصلها والمرجح الآن ان بعضها من نجوم تكسرت وبعضها من مواد منتشرة في الفضاء تتركب الاجرام السموية منها . وهي تدنو من الارض احياناً فتجذبها الارض اليها حتى اذا دخلت في جو الارض حميت من احتكاكها بالهواء واشتعلت ويصل بعضها الارض قبل ان يحترق واكثر مادتهِ حديد ونكل . وقد كتبنا فصولاً كثيرة في اصل النيازك في مجلدات المقتطف الماضية فعليكم بمراجعتها

(٧) الملح والمصلح

طنطا . ع . ل . نراهم يكتبون على مخازن الملح " شون مصلح " فلماذا يسمون الملح مصلحاً وما هو وجه هذه التسمية

ج ان وجه التسمية ظاهر وهو ان الملح يصلح الطعام ويمنع فسادهُ ولكننا لا نعلم لماذا اطلق عليهِ اهالي هذا القطر اسم المصلح ولم نسمع انهُ اطلق عليهِ في قطر آخر من الاقطار العربية ولا ذُكر ذلك في كتب اللغة

باب الاخبار العلمية

مجمع الطبيعيين والاطباء الالماني

هذا هو المجمع الذي انشئ مجمع ترقية العلوم البريطاني على مثالهِ وقد اجتمع هذا الصيف اجتماعهُ الثالث والسبعين في مدينة همبرج في ٢٢ سبتمبر برئاسة الاستاذ رتشرد هرتوج من مونخ . ومن الخطب الكثيرة التي تليت فيهِ خطبة عن هرز الكيماوي وخطبة عن التلقيح ابان فيها الخطيب ان التلقيح نفسهُ لا ينمي البيضة بل يساعد على دخول خواص جديدة فيها . وانقسم المجمع بعد ذلك الى اقسامهِ وهي ١١ للعلوم الطبيعية و ١٦ للعلوم الطبيَّة وسنأتي على بعض الفوائد التي ذكرت فيهِ

مطر السمك

امطرت السماء مطراً غزيراً في شهر يونيو الماضي في جنوبي كارولينا باميركا وهو المطر الذي اضرَّ زراعة القطن فيها وكان مع المطر سمك كثير وقع منهُ مئات في حقول القطن واجتمع الماء في المنخفضات بركاً وجعل السمك يسبح فيها . ولا شبهة في ان العواصف حملتهُ من بعض الانهار فوقع مع ماء المطر ولهذه النادرة امثال قليلة

البرد في اعالي الجو

صعد كثيرون بالبالون في اماكن مختلفة في الرابع من يوليو الماضي وفي غرة اغسطس فالبالون الذي صعد في تراب بقرب باريس بلغ ارتفاعهُ ١٠٢٧٠ مترًا فوجدت درجة الحرارة هناك ٥٢ تحت الصفر وكانت على الارض حينئذٍ ١٦,٥° فوق الصفر. والذي صعد في كاله بلغ ارتفاعهُ ١٠٢٦٠ مترًا ووجدت الحرارة هناك ٤٣ درجة تحت الصفر وكانت على الارض ١٦,٧°. وصعد بالون من برلين في ٣١ يوليو فبلغ ارتفاعهُ ١٣٠٤٠ مترًا ووجدت الحرارة هناك ٤٨ تحت الصفر وكانت على الارض ١٥,١° فوق الصفر. وصعد بالون من فينَّا فبلغ ارتفاعهُ ١٠٠٠٠ متر وكانت الحرارة هناك ٣٣ درجة تحت الصفر

الحر في القاهرة

نسمع من الطاعنين في السن من اهالي هذا القطر ان الحرَّ كان اشد في السنين الغابرة منهُ الآن والمطر اقل. لكن الارصاد الجوية في مرصد العباسية قرب القاهرة لا تؤيد ذلك فقد نشر الكبتن ليونس كتابًا كبيرًا فيهِ جداول الارصاد الجوية منذ ثلاثين سنة الى الآن فاذا متوسط الحرارة السنوي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد فانهُ يبلغ في شهر يوليو نحو ٢٩ درجة وهو متوسط النهار والليل ويهبط في شهر يناير الى ١٢ درجة ويتدرَّج في الصعود والهبوط هكذا يناير ١٢ درجة فبراير ١٤ مارس ١٦ ابريل ٢٠ مايو ٢٤ يونيو ٢٨ يوليو ٢٩ اغسطس ٢٨ سبتمبر ٢٥ اكتوبر ٢٣ نوفمبر ١٨ دسمبر ١٤

واشد الحر في شهر يونيو فقد بلغ متوسط الحرارة العليا فيهِ نحو ٤٢ درجة مدة خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى ١٨٩٨ وكان اشدها سنة ١٨٨٦ اذ بلغت الحرارة العظمى ٤٥,٢ ولا نزال نتذكر ذلك الحر الشديد. واعظم ما بلغهُ انخفاض الحرارة في يناير سنة ١٨٩٨ فانهُ بلغ حينئذٍ ٠,٧ — اي سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر وجلد الماء حينئذٍ وتكوَّن الصقيع في اماكن كثيرة فكان كالملح على الارض

والفرق بين اعلى درجات الحرارة واوطإها كبير جدًّا صيفًا وشتاء فيبلغ في بعض الشهور نحو ثلاثين درجة كما ترى في هذا الجدول وهو متوسط خمس عشرة سنة

	اعلى الحرارة	اوطأ الحرارة
يناير	٢٣,٢	٢,٥٨
فبراير	٢٨,١	٣,٨٤
مارس	٣٣,٥	٥,٧٩
ابريل	٣٧,٣	٨,٩٤
مايو	٤٠,٠	١١,٧١
يونيو	٤١,٩	١٦,١٤
يوليو	٣٩,٨	١٨,٦١
اغسطس	٣٨,١	١٨,٥٣

سبتمبر	٣٦,٨	١٥,٩٩
اكتوبر	٣٥,٦	١٣,٩٧
نوفمبر	٢٨,٥	٨,٥٢
دسمبر	٣٥,٣	٤,٣٨

وكذلك الفرق بين النهار والليل فان متوسطهُ يبلغ عشر درجات او اكثر وقد بلغ في شهر يونيو ١٥ درجة وهو فرق كبير جدًّا

المطر في مصر

يقول كثيرون ان المطر صار في هذه السنين اكثر ممَّا كان في السنين السابقة ويعللون ذلك بكثرة زرع الاشجار ولكن يظهر من الارصاد الجوية في معرض العباسيَّة مدة اثنتي عشرة سنة من ١٨٨٧ — ١٨٩٨ ان المطر في ضواحي القاهرة يختلف كثيرًا من سنة الى أُخرى وقد كان اقلهُ سنة ١٨٩٢ وهو ٦ مليمترات و ٧ اعشار اي ثلثي السنتيمتر واكثرهُ سنة ١٨٩٠ وهو ٥٤ مليمترًا ونحو خمسة اعشار اي نحو خمسة سنتمترات ونصف او نحو عقدتين لكن لا دليل على ان المطر متزايد ولا على انهُ متناقص ومعظم ما يبلغهُ قليل جدًّا في جنب ما يقع في غير القاهرة من المدن والبلدان

الصوت والبعوض

كتب الماجور روس مكتشف فعل البعوض في نقل الحمَّى الملارية ان البعوض تجذبهُ بعض الاصوات فاذا سمعها اجتمع حول مصدرها من تلقاء نفسهِ . وان الذي اخبرهُ بذلك كان يصوت بهذه الاصوات فيجتمع البعوض حول رأسهِ حالاً

الشاي الاخضر والاسود

بحث الاستاذ اسو من اساتذة مدرسة الزراعة في توكيو باليابان عن الفرق بين الشاي الاخضر والاسود فقال ان الشاي الاخضر هو الذي تعالج اوراقهُ بالبخار حالما تقطف والشاي الاسود هو الذي تترك اوراقهُ حتى تختمر قبلما تجفف وفي الشاي الاخضر اللون من التنين اكثر ممَّا في الشاي الاسود وان في الشاي مادة مؤكسدة فاذا احمي الى درجة ٧٧ بميزان سنتغراد وقتما يختمر اكسدت هذه المادة التنين الذي فيهِ وسوَّدت لونهُ

شأن العلماء

لما احتفل العلماء ببلوغ الاستاذ فركو السنة الثمانين من عمرهِ خطب اللورد لستر فقال ايها المعلم [1] المحترم

اتيت نائبًا عن جمعية لندن الملكية التي انت عضو شريف فيها وقد طُلب مني ان اقدم اليك خطبًا من ست من المدارس

(١) يلقب بلقب معلم من بلغ الدرجة العليا في المهارة

والجمعيات الاخرى وهي قسم الانثروبولوجيا في مجمع ترقية العلوم البريطاني ومدرسة لندن الجامعة ومدرسة ادنبرج الجامعة ومدرسة الطب والجراحة في غلاسكو وجمعية الطب والجراحة في ادنبرج ومدرسة الطب الكلية في ارلندا . وكل هذه المدارس والجمعيات تشترك في الاعتراف بقدرتك العقلية الفائقة وفي الشكر لك لاجل المنافع العظيمة التي نالها نوع الانسان منك وفي الاعجاب بكرم اخلاقك واستقامتك وشجاعتك—الصفات التي مكنتك دائماً من نصرة الحق والعدل والحرية وبلطفك الذي اكسبك محبة كل معارفك . وما ابديتهُ من الهمة والنشاط في الخطبة التي شنفت آذاننا اليوم يحقق آمالنا بانك تعيد عيد بلوغك السنة التسعين وانت متمتع بتمام الصحة والمجد وعامل في خدمة نوع الانسان بهمتك المعهودة

عجلة غريبة

كتب الينا حضرة ميخائيل افندي بشور من برج صافيتا يقول انهُ ولدت هناك عجلة لها في مقدم الفك العلوي كخرطوم الخنزير ويداها معقوفتان على كوعيهما فلا تستطيع المشي عليهما ولكل من يديها اربعة اظلاف فكفَّاها ككفي الدب من هذا القبيل ولها ثديان في اسفل بطنها وثديان آخران في اسفل صدرها ولها علامتان في جانبي رقبتها خاليتان من الشعر وقد قال النصيرية الذين رأوها انهما اثر رصاص في بقرة قبلها وصلت روحها اليها بالتقمُّص . وولدت عند رجل من النصيرية فلم يستحل ان يدخلها بيتهُ وعاشت ثلاثة ايام وماتت

المكسميت

المكسميت بارود او مادَّة كالبارود ولكنها اشد منهُ فعلاً سُميت بذلك نسبة الى المستر مكسم مخترع المدفع المسمى باسمهِ . قال انها اقوى من الديناميت خمسين في المئة . ومع شدَّة فعلها لا تنفرقع اذا ادنيت منها ناراً مشتعلة ولا اذا ثقبتها بحديد محمًّى . ولا تنفرقع الاَّ بكبسول خاص بها لا يعلم سرُّهُ فتملأُ القنابل بها وتطلق على المدرعات فاذا دخلت في حديد الدرع اشتعل الكبسول وتفرقع المكسميت في القنبلة فمزّق المدرعة تمزيقاً . وقد كتب المستر مكسم الآن انهُ لم يبقَ محلٌّ للمدرعات الكبيرة الحجم الغالية الثمن فلا بدَّ من ان تستغني الدول البحرية عنها بسفن كبيرة تضع فيها الآلات البخارية القوية حتى تسير بسرعة وتصنعها على اسلوب حتى يغوص اكثرها في الماء ولا يبقى منها ظاهراً الاَّ اعلاها ويصفح اعلاها بدرع من الحديد يقيها القنابل الصغيرة و يكون الغرض الاول منها ان تحمل كثيراً من التربيد المملوء بالمكسميت لكي تتلف بهِ سفن العدو ويكون غرض كلٍّ من الخصمين ان يتلف سفن خصمهِ

اعظم المكتشفات الحديثة والمقبلة

عدَّد بعضهم اعظم المكتشفات التي جدّت منذ اقيم معرض شيكاغو الى الآن فقال انها

(١) السفن الغوّاصة

(٢) التلغراف الاثيري اي الذي لا سلك له

(٣) التلفون تحت الماء

(٤) اشعة رنتجن

(٥) المدفع الذي مداهُ عشرون ميلاً

(٦) الاوتوموبيل

(٧) غاز الاسيتيلين

وقال انهُ ينتظر ان يتم قبل المعرض التالي الذي يقام سنة ١٩١١ ثلاثة عشر اكتشافاً او اسلوباً جديداً وهي

(١) سفن ركوب الهواء

(٢) ان يشيع الاوتوموبيل حتى يستغنى بهِ عن الخيل

(٣) نقل الافكار على اسلوب علمي

(٤) وضع التعليم على قواعد علمية ثابتة

(٥) تدفئة المدن على اساليب قليلة النفقة

(٦) اصلاح بناء المدن حتى تصير اشكالها جميلة

(٧) ابدال البوارج بالسفن الغوّاصة

(٨) تسهيل الانتقال حتى تتيسَّر السكنى في الاماكن الرحبة الطيبة الهواء

(٩) تكبير السفن البخارية حتى يصير طول السفينة الف قدم

(١٠) تعميم المحالفات بين الدول حتى لا يبقى محل للحروب

(١١) استغلال الارض على الاساليب العلمية

(١٢) الاعتراف بحقوق الانسان

(١٣) ظهور عاطفة جديدة في الناس تقضي بان يهتموا باصلاح شؤُون غيرهم

جوائز العلماء

أُعطي الاستاذ فينسن الدنماركي مكتشف فعل النور في العلاج احد عشر الف جنيه وهي جائزة من جوائز نوبل مكتشف الديناميت التي وهبها لتنشيط العلماء . وأُعطي الاستاذ باولو الروسي احد عشر الف جنيه اخرى جزاء مباحثهِ في التغذية وهي من جوائز نوبل ايضاً

محاربة البعوض

لما ثبت ان البعوض ينقل ميكروب الحمَّى بذلت الحكومة الانكليزية الهمَّة في الاماكن الكثيرة الحميات بسرَّاليون في الجنوب الغربي من افريقية لاستئصال البعوض منها وذلك بنزح البرك اوطمرها وتنظيف بيوت السكان من المياه الراكدة . وقد نظفت ٦٥٠٠ بيت حتى السابع من اكتوبر الماضي . فاذا ثبت ان البعوض يزول من تلك الاراضي الاجمة بزوال المستنقعات منها وان الحميات الملارية

تزول بزوال البعوض لم يبقَ ما يمنع الاوربيين وغيرهم من استعمار كل بقعة من افريقية فيزاحمون سكانها وقد يقرضونهم كما قرضوا سكان اميركا الشمالية

الاَّ ان بعوض الملاريا قد يوجد في مكان ولا توجد الملاريا فيهِ فقد كتب الدكتور غراسي الشهير في بحثهِ عن الملاريا والبعوض ان في مساروزا بايطاليا سهلاً واسعاً كثير الماء يزرع فيهِ الارزّ وقد كانت الملاريا كثيرة فيهِ ثم زالت منهُ من حين اخذ اصحابهُ يزرعون الارز فيهِ ولم يزل بعوض الملاريا كثيراً هناك وهو ينقل ميكروب الملاريا اذا لسع انساناً مصاباً بها ومع ذلك فالملاريا غير موجودة هناك الآن. فان كان زرع الارز في الاراضي الاجمية يزيل الملاريا منها فقد حُلَّت بهِ مسألة معضلة. ولا يخفى ان زرع الارز منتشر في القطر المصري فان كان اطباؤُهُ قد شاهدوا ما يؤيد ذلك فنرجو ان يكتبوا الينا عنهُ ولهم الفضل

اكتشاف جيولوجي مصري

حار العلماء في كيفية تولُّد ذوات الخرطوم من الحيوانات كالفيل المعروف الآن والفيل المنقرض المعروف بالمستودن فان الاحافير الجيولوجية التي كشفت الى الآن تدل على ان هذه الحيوانات وجدت بغتةً في اواسط عصر الميوسين من العصور الجيولوجية ولم تكشف احافير حيوانات اخرى تصل بينها وبين غيرها من الحيوانات التي قبلها لكن الدكتور اندرس وجد في الفيوم من القطر المصري احافير حيوان فقري مثل المستودن في الطبقات السفلى من عصر الميوسين المعروفة بالاوليغوسين وهو يختلف عن المستودن باسنانهِ ووجد تحتها طبقات فيها احافير حيوان مثل هذا ولكنهُ من ذوات الحافر. وهذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لانهُ يظهر كيفية تولد الافيال بكشف احافير اسلافها

اللغة الاخيرة

كتب العالم ولس في مجلة الفورتنيتلي ان اللغات التي يقل عدد المتكلمين بها الآن ستُهمل في آخر هذا القرن او يصير اصحابها يتكلمون لغةً اخرى معها وتعمُّ المسكونة لغة من اللغات الثلاث المشهورة الآن وهي الفرنسوية والانكليزية والالمانية اما اللغة الاسبانية واللغة الروسية فالمتكلمون بهما كثيرون ولكن المتعلمين منهم قلال والكتب فيهما قليلة فلا تستطيعان ان تناظرا لغة من اللغات الثلاث المتقدمة. ثم رجح ان اللغة الفرنسوية تغلب الانكليزية على السيادة لان اصحابها يؤلفون فيها الآن اكثر مما يؤلف الانكليز في لغتهم ويهتمون بنشرها اكثر مما يهتم الانكليز بنشر لغتهم ولا بتغيرٍ هذا

الحكم الا اذا اهتمَّ اصحاب الانكليزية بنشرها في كل البلدان الخاضعة لهم واهتموا ايضاً بنشر الكتب الجديدة وترجمة كل ما يستحق الترجمة مما يؤلف في اللغات الاخرى ورخصوا الكتب حتى جعلوها دانية القطوف من كل احد فانهم اذا فعلوا ذلك لم يختم هذا القرن حتى تصير الانكليزية لغة اكثر اوربا وكل اميركا الشمالية وافريقية والهند وشرقي اسيا وتصير لغة المعاملات في كل المسكونة

الشايين ومقرهُ في النبات

بحث الاستاذ سوزوكي الياباني عن مقر الاصل الفعَّال في الشاي وهو المعروف بالشايين فوجد انهُ غير موجود في البزر لكنهُ يتولَّد فيهِ حينما ينبت ويكون قليلاً في الجذور والاغصان وكثيراً في البراعم وعلى اكثرهِ في الاوراق الصغيرة . ومتى كبرت الاوراق قل الشايين فيها ولذلك فاوراق الشاي الصغيرة يجب ان تكون اغلى اوراقهِ ثمناً

الحكومة والزراعة

تنفق الحكومة الفرنسوية ١٥٣٠٠٠ جنيه كل سنة على المدارس الزراعية وحكومة الدنمارك ١٠٨٠٠٠ جنيه وحكومة كندا باميركا ١٥٦٠٠٠ جنيهاً

حقيقة الوراثة

يرث الحيوان اموراً كثيرة من والديهِ واسلافهما ويورثها لاولادهِ واولادهم من بعدهم . ويعلل بعض الطبيعيين ذلك بان البيضة والنطفة اللتين يتكوَّن منهما الجنين تحويان جراثيم كثيرة من كل عضوٍ من اعضاء الوالدين مع ما فيها من الصفات والمزايا وهذه الجراثيم نفسها يصل بعضها الى النطف او البيوض التي تتكوَّن من هذا الجنين حينما يبلغ اشدهُ وتنتقل الى اجنة اولادهِ وهلمَّ جرًّا الى ان ينقرض النسل . وهذا يقتضي ان تكون الجراثيم صغيرة جدًّا جدًّا حتى تسع النطفة الوفاً كثيرةً منها . قال رئيس قسم الفسيولوجيا في مجمع ترقية العلوم البريطاني " ان قطر الحويصلة الجرثومية في البيضة التي يتولَّد منها الجنين ١/٣٠ من المليمتر ولنفرض انها مكعبة الشكل وان قطر الجوهر الفرد جزء من مليون من المليمتر وان في الدقيقة من دقائق الاجسام الآلية خمسين جوهراً فرداً فيكون في الحويصلة الجرثومية ٢٥ مليون مليون دقيقة آلية . ثم ان رأس النطفة التي تتلقح بها البيضة قطرهُ ١/٢٠٠ من المليمتر فاذا فرضنا انهُ مكعب الشكل ففيهِ ٢٥ الف مليون من الدقائق الآلية وحينما يمتزج بالحويصلة الجرثومية يشرع مزيجهما في النمو لتكوين الجنين ويكون فيهِ حينئذٍ خمسة وعشرون مليون مليون وخمسة وعشرون الف مليون من الدقائق الآلية . واذا فرضنا ان نصف هذا المزيج ماء يبقى فيهِ اكثر من ١٢ مليون مليون من الدقائق الآلية " فاذا وجد

في البيضة والنطفة هذا المقدار من الدقائق الحية فلا عجب اذا احتوت صفات الوالدين ودقائقَ من كل عضو من اعضائهما . واذا كانت الحياة نوعاً من الحركة في دقائق الاجسام الحية كما يقول كثيرون من العلماء الآن فيكون في هذه الدقائق من الحركة ما يحرك العناصر التي تضاف اليها حينما تغتذي وتنمو فتحيا مثلها وهذا سرُّ الوراثة والنمو على ما هو مظنون

بالون ديمون

عاد المسيو سانتوس ديمون فصنع بالوناً جديداً ليطير بهِ حول برج ايفل وهو البالون السابع الذي صنعهُ حتى الآن وانفق على هذه البالونات خمس مئة الف فرنك فليس غرضهُ اذاً ان يربح الجائزة وهي مئة الف فرنك بل ان يتمم غرضاً في نفسهِ وهو ان يفعل فعلاً لم يسبقهُ اليهِ غيرهُ . وقد طار بهذا البالون من سان كلو يوم السبت في ١٩ اكتوبر وكانت الريح تهب بسرعة ١٢ ميلاً او اكثر فسار بهِ بسرعة ثلاثين ميلاً حتى بلغ برج ايفل وكاد يصطدم بهِ لكنهُ دار حولهُ بمهارة ادهشت الابصار وعاد ادراجهُ فبلغ محلهُ في سان كلو في ٢٩ دقيقة ونصف اي قبل الميعاد بنصف دقيقة ثم قضى دقيقة وعشر ثوانٍ حتى ادخل البالون خيمتهُ فحسبت اللجنة هذا الوقت من وقت الطيران ولذلك حرمتهُ الجائزة مع ان معطي الجائزة المسيو دوتش حسب انهُ وفى بالشروط كلها واستحق الجائزة وقدهنأهُ واعرب لهُ عن اسفهِ لان اللجنة المعينة للحكم في هذه المسألة لم تحكم لهُ ثم قدَّم لهُ ٢٥ الف فرنك اعترافاً بفوزهِ فلم يقبلها بل قال انك لو اعطيتني المئة الف الفرنك لاعطيتها انا لفقراء باريس. فاشار المسيو دوتش على اللجنة ان تغير حكمها لكنها لا تستطيع ان تفعل ذلك قبل اوائل نوفمبر لان باب المسابقة يبقى مفتوحاً الى آخر اكتوبر . وقد قال مكاتب التيمس الباريزي انهُ لو كان المسيو ديمون فرنسوي الاصل لأُعطي الجائزة حالاً واحتفلت لهُ باريس كلها احتفالاً باهراً بالرايات والانوار والازهار

القانون اسحق تيلر

يعرف كثيرون من ابناء هذه العاصمة الشيخ الجليل القانون اسحق تيلر صاحب المباحث المستفيضة في اصل حروف الهجاء ومعاني الاعلام ودلالاتها وهو من الذاهبين الى ان الدين المسيحي لا يصلح للامم الافريقية ونحوها من الشعوب التي لم ترتقِ كثيراً . وقد تعرفنا بهِ وقتما زار القطر المصري سنة ١٨٨٨ ورأينا منهُ رجلاً واسع الرواية متقداً غيرة على تأييد مذاهبهِ العلمية عالي الهمة مع كبر سنهِ لان شعرهُ كان شائباً كلهُ . توفي في الثامن عشر من اكتوبر الماضي

الواقية من الغرق

اخترع احد النمسويين جهازًا يقي من الغرق وهو صندوق صغير فيهِ مادَّة كيماوية لعلها كربيد الكلسيوم مسدود بسدادة تذوب في الماء ويتصل بهِ كيس من الكاوتشوك وقد علق رجلٌ هذا الصندوق والكيس بثيابهِ ورمى بنفسهِ في الماء فغاص فيهِ اولاً وبعد ثوانٍ قليلة طفا على وجههِ لان الماء اذاب سدادة الصندوق ودخل الى المادة الكيماوية التي فيهِ فتولَّد منها غاز ملأَ كيس الكاوتشوك وحمل الرجل وطفا بهِ على وجه الماء. وفي الصندوق صمام ينسد من نفسهِ متى تولَّد الغاز فيهِ وسيكون لهذا الاختراع شأن عظيم ونفع كبير اذا صحَّ ما روتهُ صحف الاخبار عنهُ

زحلة كبيرة

زحل جانب من الارض في جزيرة بربادوز من جزائر الاتلنتيك مساحتهُ خمس مئة فدان فانتقل بهِ خمسة وثمانون بيتاً الى البحر وامسى اربع مئة نفس بلا مأوى

مناجم الذهب في مصر

اشرنا الى هذه المناجم في مقالة وجيزة في اوائل هذا الجزء ثم قرأنا في الصحف العلمية ان الصخور التي فيها الذهب تمتد من جبل الزيت عند خليج السويس الى جبال بلاد الحبشة وعرضها عند ام روس حيث كشفت المناجم القديمة ستون ميلاً ثم تضيق حتى يصير عرضها ٣٠ ميلاً وتتسع عند الدرجة ٢٢ اي على الحد بين مصر والسودان فيصير مئتي ميل وليس العبرة بوجود الذهب فيها بل بكثرتهِ ان كان كثيرًا وسهولة استخراجهِ

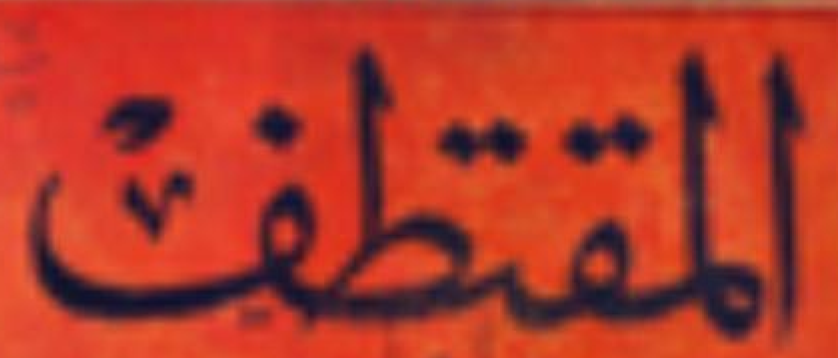
الفطر المنير

عدَّد الدكتور مكابين ٢١ نوعاً من الفطر المنير وهي تنير في الظلام لا بميكروبات منيرة فيها بل بفعل حيويّ كيماوي يحدث فيها ولا بدَّ لذلك من وجود الاكسجين ومن كون حرارة الهواء شديدة . والمظنون ان المادة المنيرة هي شيء فيها من النبات والغرض منها جذب الحشرات التي تساعد في نقل بزور الفطر وزرعها

اقدم ملوك مصر

قال الاستاذ بتري انهُ حكم مصر عشرة ملوك قبل الملك مينا المعدود اول الملوك المصريين وهؤُلاء الملوك العشرة ابتدأ حكمهم في مصر قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف وتسع مئة سنة الى اربعة آلاف وثمانمئة سنة. ومن الآثار الكثيرة التي وجدت من ايامهم اساور من الذهب وصولجان من الذهب ايضاً وهي اقدم الحلى التي وجدت حتى الآن في كل المسكونة ومنها اربعة اساور لزوجة الملك زر صنعت سنة ٤٧١٦ قبل المسيح

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد السادس والعشرين


المقتطف

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

١ دسمبر (كانون ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣١٩

لي هنغ تشنغ وزير الصين



نعى البرق من بلاد الصين وزيرها الاكبر واشهر رجال السياسة الشرقيين بلا مراء لي هنغ تشنغ . وقد يُظَنّ لاول وهلة انهُ مستسمَن وهو ذو ورم مذكور بشهرة لا يستحقّها لان حرب الصين مع اليابان فضحت ما استتر من ضعف الصين وجاء قيام البكسر فيها وتهجم الدول الاوربيَّة عليها حتى دخلوا عاصمتها عنوةً مؤيدًا لضعف سياستهِ وسياستها. ولكن ثبوت الصين امام اليابان وامام اوربا كلها وهي مثل شيخ بدين اعجزهُ الكبر والسمن عن الوقوف والحركة لاغرب من انخذالها واندحارها وبهِ يظهر دهاء وزيرها الاول وفضلهُ

وقد اطلعنا على ترجمة هذا الوزير بقلم جون رسل ينغ سفير الولايات المتحدة في بلاد الصين كتبها منذ ست سنوات فلخصنا منها ما يأتي قال

كنتُ راجعاً من اسيا سنة ١٨٧٩ برفقة الجنرال غرانت (رئيس الولايات المتحدة وقائد جيوشها في الحرب الاهلية) فذكر الرجال الذين لقيهم في تطوافهِ حول الارض ولا سيما الملوك ورجال السياسة وقال "لقيت في هذه الرحلة اربعة من العظماء بسمارك وبيكنسفيلد وغمبتا ولي هنغ تشنغ وعندي ان الاخير اعظمهم" فاعترضت عليهِ لانني كنتُ اكره سياسة بيكنسفيلد وأُعجب بغلادستون ندهِ ولكن الجنرال غرانت لم يكن يميل مع الاهواء ولا يدع هوى النفس يخرجهُ عن جادَّة الصواب ولقد بذل جهدهُ حتى لقي دوق ارجيل وجون برت وكان يكرمهما اكراماً يقرب من العبادة لانهما كانا محازبين للولايات الشمالية على الجنوبيَّة في الحرب الاميركية (اي كانا من حزبهِ) وقابل بيكنسفيلد مكرهاً واحترمهُ احتراماً عقلياً لا قلبياً لانهُ علم ان التاريخ سيبقي اسمهُ فوق اسم ارجيل و برت . وقد اعرب بيكنسفيلد عن ميلهِ الى الولايات الشمالية لا حباً باهلها بل لانهُ علم ان الفوز سيكون لها وانهُ ليس من مصلحة انكلترا ان تعادي بلاداً فائزة

ولما تعرفت بلي هنغ تشنغ سنة ١٨٧٩ كان في عنفوان قوتهِ طويل القامة مهيب الطلعة بشوش الوجه برّاق العينين يخالف وزراء المشرق في انهُ سريع الحركة كثير النشاط يصافح من يسلم عليهِ ويشد على يدهِ كما يفعل الانكليز . ويقال انهُ يغتاظ احياناً فيضطرُّ مجالسوهُ ان يهربوا من وجههِ اما انا فلم ارهُ في هذه الحال قط بل كنتُ اراهُ دائماً جامعاً بين الدعة والحزم انيس المحضر يأنس بمن يحدثهُ الاحاديث الطويلة ويقصُّ عليهِ نوادر الاخبار ولا سيما اخبار الرجال العظام . وهو واسع الاطلاع قرأ كتاب حقوق الدول الذي ألفهُ هوتن وقد ترجم الى اللغة الصينية واعطاني نسخةً منهُ مرةً وقال لي ارني اين يقول هذا المؤلف ان للعبد حقوقاً في اميركا اكثر مما للصيني . قال ذلك جواباً عن امرٍ طلبتهُ منهُ ولم يكن راضياً عن مهاجرة الصينيين الى اميركا ولا كان يود ان يحميهم فيها ولمحتُ الى ذلك تلميحاً فنظر اليَّ ضاحكاً ولم يقل شيئاً . وهذه هي المرَّة الوحيدة التي ذاكرتهُ فيها في امر المهاجرة

وهو كريم كثير التودُّد لزائريهِ يبذل جهدهُ لكي يخرجوا من مجلسهِ راضين وقد يكتشف بفراستهِ ما يريدونهُ ويعرضهُ عليهم عرضاً قبلما يطلبونهُ . ويرسل يختهُ مسافة خمسين ميلاً اكراماً لزوجات السفراء ولا ينقطع عن الشغل ولا يقنع بغير الوقوف على كل ما يجري في البلاد حتى التلغرافات التي ترد على الناس ترسل صورتها اليهِ ليطَّلع عليها واذا تعذَّر عليهِ حل شيء

فيها استدعى من أُرسلت اليهِ وطلب منهُ حلَّهُ . ولما رأى السفراء منهُ ذلك قالوا لا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد وصاروا اذا اعتاص عليهم امر يبعثون تلغرافات سرية الى امراء البحر ليكونوا على اهبة فيطَّلع على صورتها خلسةً ويتلافى الشر قبل وقوعهِ وهو يحسب انهُ غلبهم في الدهاء ولا يعلم انهُ المغلوب

وهو صيني قح لم يرفعهُ علمهُ واختبارهُ عن الاوهام التي يعتقدها قومهُ . ولم يتعلم لغةً اجنبيةً لكنهُ حفظ بعض الكلمات الانكليزية وهو يستعملها ضاحكاً خجلاً لانهُ يعلم انهُ لا يحسن استعمالها والتلفظ ولا يريد ان يخفي ذلك ويتظاهر بغير الواقع . والظاهر ان استخفاف كبراء الصين بالاجانب ولغاتهم هو الذي منعهُ من تعلُّم الانكليزية او الفرنسوية . ولم يجاهر بذلك قط لكي لا يغتاظ منهُ احد . وكرههُ لدول اوربا متأصل في نفسهِ لانهُ لا يرى منها الاَّ العدوان وقد يجاهر بملامتها ولايحاذر ولا سيما اذا ذُكرت حرب الافيون التي اثارها الانكليز على الصين وتهجُّم فرنسا على التنكين وروسيا على الولايات الشمالية . وهو لا يعبأُ بالمرسلين دعاة الديانة المسيحية واما الاطباء منهم فلهم عندهُ شأن كبير ومقام رفيع وكان يودُّ ان يدخل صناعة الطب الغربية الى بلادهِ ويقول ان الاطباء هم الذين سيفتحون الباب للمرسلين اذا كان فتحهُ ممكناً . ولا يسلّم ان المرسلين آتون لغاية دينية محضة لانهُ لا يعقل عند الصينيين ان احداً يهاجر من بلادهِ ويذهب الى بلاد بعيدة وشعوب غريبة لكي يعلّمهم ويدربهم وليس لهُ من وراء ذلك منفعة ذاتية . ويقولون ان المرسل الذي يحمل الانجيل في يدهِ هو رائد الجندي الذي يشهر السيف ويصوّب المدفع والتاجر الذي يأتي بالافيون ويكتسب الاموال وان دعاة الدين هم الذين دكوا حصون تاكو واضطروا الصينيين الى ابتياع الافيون

والافيون اكره شيء عليهِ وهو عندهُ المصيبة الكبرى على الصين لانهُ نزع احلام رجالها وحطَّهم الى ادنى دركات الذل . وهو يقول ان انكلترا اضطرتنا الى ابتياع الافيون منها اضطراراً لكي تملأَ خزائن الهند وتستطيع الانفاق على حكومتها وان الصين تدفع ثمن الافيون الذي يرد اليها اكثر مما تنقد من ثمن الحرير الذي يصدر منها . وقلتُ لهُ مرة ان زراعة الافيون آخذة في الانتشار في بلاد الصين نفسها وانهُ اذا شاء منع هذا الشر فليبدأْ ببلادهِ فقال كلاَّ بل انا اعضد الناس على زرع الافيون لكي اميت تجارة الهند بهِ ومتى ماتت وابطل الهنود زرعهُ فبامر واحد من السلطان ابطل زرعهُ من كل بلاد الصين واعيد الارض لزرع الارز والحنطة

وهو صعب المراس لا تسهل معاملتهُ لانهُ يقلّب الامور ويطيل نظرهُ فيها قبلما يبت

حكمهُ ولا يؤخذ على غرَّة ولا يخفى عليهِ شيء من مواقع الضعف في ما يُعرَض عليهِ ولا يسلّم تسليماً اعمى ولا يقبل شيئاً ما لم يزنهُ بميزان العقل ويجدهُ خالياً من كل شائبة لكنهُ صادق الوعد اذا قال قولاً لم يرجع فيهِ واذا اتفق معك على شيء قام بهِ

ولم يرَ من الاجانب احتفالاً بشأنهِ مع ما ابداهُ لهم من التودُّد كأنهم يحسبون ان لا فلاح لهم الاَّ اذا غاضبوا الوطنيين كما فعل اخوانهم في بلاد الهند مع ان الصينيين يخالفون الهنود في ذلك لان ما اعتادهُ الهنود من الذل قروناً كثيرة لم يرَ الصينيون شيئاً منهُ . فلما رأى احجام الاجانب عنهُ نفر منهم ولم يعُد يتودَّد اليهم

وقد غاظهُ اقتداء اليابانيين بالاوربيين وراقب اصلاحهم لمدارسهم واقتفاءهم خطوات الاوربيين في اصلاح جنديتهم وبحريتهم بعين الغيرة بل بعين الكراهة لانهُ من اشد الناس احتفاظاً بالعوائد القديمة وولدت فيهِ هذه الكراهة الاحتقار لليابانيين (ولعلَّهُ عدل عن رأيهِ بعد الحرب الاخيرة بين الصين واليابان والاَّ فهو شديد الغرور) ولكنها لم تحملهُ على مجانبة السلم والجنوح اليهِ ولم يقبل بمحاربة اليابان الاَّ وهو معتقد ان الصين تستطيع ان تمحو آثارها عن وجهِ البسيطة . ولما نشبت الحرب بين فرنسا والصين قبل ذلك ورغبت فرنسا الى اليابان في ان تعاونها وابت اليابان ذلك بسعي سفيرها في الصين عرف لها هذا الجميل ثم ارسلت اليابان وفداً الى الصين برئاسة الكونت ايتو لتؤكد لها صدق ودادها فرحَّب بهِ وقابلهُ بالاكرام وحسب ان سياستهُ غلبت سياسة اوربا

ذاكرتهُ مراراً في شأن هذا الوفد وذكَّرتهُ بنصيحة الجنرال غرانت الاخيرة لهُ وهي ان يخطب وداد اليابان و يبقى على تمام الوئام معها لان ذلك لازم لحفظ بلادهِ وتقدمها ونصحت لهُ ان يردَّ زيارة الوفد الياباني بنفسهِ فيمضي الى بلاد اليابان و يرى اليابانيين في بلادهم ويقف على احوالهم واكَّدت لهُ ان الميكادو (امبراطور اليابان) يكرم وفادتهُ و يرحّب بهِ فتتمكن ربط الوئام بين البلادين . وعندي انهُ لو فعل حسب نصيحتي ما وقعت الحرب بين الصين واليابان

وكان ينظر الى الولايات المتحدة الاميركية نظر الصداقة والوداد و يقول انها الحكومة الوحيدة التي لا مأرب لها في اجتياح الصين وان مصلحة الاميركيين تقضي عليهم بمصادقة الصين ولذلك لا توجس منهم شراً . وكان يتمنى ان يكون بينهُ وبيننا عهود وروابط تجارية محكمة ولو مالت كفة الربح نحونا . و باع شركة البواخر الصينية التجارية للاميركيين قائلاً اذا لم تستطع هذه البواخر ان ترفع العلَم الصيني فلا يود ان ترفع الاَّ العلَم الاميركي . وكأَنهُ لحظ اننا عدلنا عن سياستنا القديمة سياسة الاتفاق مع انكلترا في كلِّ شيء سواء كان لنا فيهِ مصلحة

او لم يكن ما دام فيهِ مصلحة لانكلترا وصرنا نوافق انكلترا على ما لنا فيهِ مصلحة فقط فسرَّهُ ذلك وصوَّب سياستنا وصار يعرض علينا كل مسألة يقع الخلاف بيننا وبينهُ فيها لنحلها بطريقة غير رسمية . ولا يقيم في بكين بل في تينتسين وهي تبعد عن بكين ثمانين ميلاً لكنهُ كان يعرف كل ما يدور في وزارة الخارجية من المذاكرات والمداولات بينها وبين السفراء ولا يبتُّ امرٌ فيها الاَّ برأيهِ واذا اعتاصت مسألة ذهب وزير الخارجية اليهِ بنفسهِ وحلَّ المشكل معهُ

ومما يمتاز بهِ الصينيون عن امم الارض اكرامهم العظيم لوالديهم حتى اذا مات احد الوالدين اضطرَّ اولادهما ان يتركوا مناصبهم كلها والقابهم ويذهبوا الى القبر ويلبسوا المسوح والرماد كل مدة المناحة . ولما كنت سفيرًا في الصين كان السفراء يتوقعون موت ام لي هنغ تشنغ لانها كانت في التسعين من عمرها وموتها يقضي عليهِ بالاستعفاء من منصبهِ والانقطاع عن الاشغال السياسيَّة

وتوفيت امهُ فترك منصبهُ واسرع اليها وتبعهُ اخوهُ وهو والي ووتشانغ فتنفس خصومهُ الصعداء وحسبوا ان الجو قد خلا لهم . واذا بارادة سنيَّة صدرت من ملك الصين تأمرهُ بترك الحداد على امهِ والرجوع الى منصبهِ بعد ثلاثة اشهر . امرٌ لا مثيل لهُ في تاريخ الصين ولكن امر الملك مقدَّس عندهم ولا بدَّ من طاعتهِ فترك القبر وعاد الى الولاية

ولما عاد كنت في شفو ورأيت يختهُ في المينا ذات يوم فوددت ان ازورهُ واعزيهُ عن وفاة امهِ وبعثت اسألهُ عما اذا كان الحداد لا يمنعهُ من مقابلتي فجاءني رئيس حرسهِ يقول انهُ يودُّ مقابلتي ويدعوني اليهِ . ولم يكن يخطر ببالي شيءٌ عن المسح والرماد حتى رأيتهُ فوجدتهُ واقفًا كالخيال لابسًا ثوبًا من اخشن ما يكون وقد امتنع عن حلق شعرهِ ومشط الذؤابة المتدلية من رأسهِ وغضون الحزن بادية في وجههِ وراحتاهُ شاحبتان كانهما ممرغتان بالرماد مع انهُ من المفرطين في نظافة ابدانهم وتنميق اثوابهم فثبت لي انهُ وهو اعظم رجل في بلاد الصين فعل ما يفعلهُ احقر رجل فيها اكرامًا لامهِ ومعتقدهِ . وقابلتهُ بعد ايام في تينتسين وكان قد خلع ثوب الحداد وعاد الى حللهِ الفاخرة

ويمتاز هذا الوزير على اكثر رجال السياسة في انهُ عصامي لاعظامي ارتقى باستحقاقهِ لا غير وهو من عائلة حقيرة تلقى الدروس في مدارس الصين وارتقى من مدرسة الى اخرى الى ان اجيز لهُ من اعلى مدارس بكين واشتهر بالشعر والفلسفة والانشاء . والانشاء ضروري لكل من يحوز رتبة عالية في تلك البلاد فارتقى في المناصب وحدثت ثورة الصين في ايامهِ ودُعي غوردون لاخمادها ويقول الصينيون انهُ هو الذي اخمدها لا غوردون واختصم الاثنان

لأن لي نكّل برؤساء الثائرين بعدما سلّموا و يقال ان غوردون تبعهُ حينئذٍ والقرد في يدهِ قاصداً قتلهُ لانهُ نكث عهدهُ لرؤساء العصاة . ثم لما خمدت سورة غيظهِ قال ان لي كان مصيباً وانهُ لو لم يضرب اعناق اولئك العصاة لضربوا عنقهُ

وزارهُ غوردون سنة ١٨٨٠ في تينتسين وكانت روسيا تهدد الصين بالحرب وكان لي راغباً في مشاهدة غوردون واستشارتهِ في هذا الخطب و يقال ان غوردون اشار عليهِ حينئذٍ ان يقوم بجنودهِ الى بكين ويخلع العائلة المالكة ويملك بدلاً منها فتزول المشاكل . فاصغى اليهِ صامتاً وكأنهُ قال في نفسهِ كيف اخون العائلة التي رقتني ورقت اخي او قال ان ملكاً ينال مُلكهُ بسيف غوردون يبقى خاضعاً لهُ كما يخضع اقيال الهند لسادتهم الانكليز

ووصل الخبر الى بطرس برج فاقام الروس واقعدهم ورفعوا الامر الى لندن وكان غلادستون يكرهُ معاداتهم فامر غوردون بالخروج من الصين حالاً

هذه خلاصة ما كتبهُ السفير الاميركي منذ ست سنوات ونزيد على ذلك ان لي هنغ تشنغ ارتقى في المناصب حتى جُعل والياً على ولاية بتشلي التي منها مدينة بكين عاصمة الصين ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية وقهرماناً للامبراطور ومديراً عاماً لتحصين السواحل الشمالية وللعمارة البحرية وعهد اليهِ في امضاء شروط الصلح مع اليابان سنة ١٨٩٥ وأُرسل مندوباً خاصاً لحضور تتويج القيصر في شهر مايو سنة ١٨٩٦ ثم شخص الى المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وكندا فاكرم الملوك والرؤساء وفادتهُ ورحب بهِ الامراء والعظماء وكان حيث يلقي عصا الترحال اكبر جاذب تندفع اليهِ افكار اهل السياسة ويتألب حولهُ مكاتبو الصحف ووكلاء الشركات البرقية لاذاعة انباء ما ينطق بهِ و يشير اليهِ في تلك العواصم الكبرى . ولم يغادر عاصمة منها الأ زار مصانعها ومعاملها وتفقد مشاهدها ومعالمها وخلف فيها اثراً من الحكمة والدهاء يؤثر عنهُ و يعجب منهُ

ولما رجع الى بلادهِ أُسند اليهِ منصب نظارة الخارجية ثم بُغي عليهِ وعزل سنة ٩٨ وفي نهايتها اقامتهُ الامبراطورة مندوباً لانشاء السدود على النهر الاصفر ثم عُين حاكماً لكنتون . ولما نكبت بلادهُ بفتنة البوكسر وساقت اوربا جيوشها الى بكين انتدب الى حل ما انعقد وتدارك ما فرط فابدى من الحرص على سلامة بلادهِ وترضي الدول المتعنتة ما ادهش العقول وحير الافكار . وجملة القول انهُ انتشل بلادهُ من ورطة قلَّ من قدر لها النجاة منها ونكّل بكثيرين من موقدي فتنة البوكسر

وقد عاش عمراً طويلاً ثمانياً وسبعين سنة وشبع من هذه الدنيا شهرةً وعزاً وغنى

الفينيقيون وعمران أوروبا

وما ذكرك الشيء الذي ليس راجعاً ... بهِ الوجد الأ خفقة من ضلالك
أما والذي حج الملبون بيتهُ ... شلالاً ومولى كل باقٍ وهالك
لئن قطع اليأس الحنين فانهُ ... رقوءٌ لتذراف الدموع السوافك

وقد يقطع اليأس الحنين الى الوطن ولكن الذكرى تجدده وهي تتجدد كل يوم اذ يحمل الينا البريد اخبار ابناء الشام المتفرقين في انحاء المسكونة حيث القوا عصا الترحال ووسعوا المتاجر وانشأوا الجرائد ابناء الفينيقيين الذين طافت سفائنهم بسواحل بحر الروم ودارت حول افريقية وبلغت الجزائر الانكليزية الذين مصَّروا المستعمرات في كل بلاد وصلوا اليها يوم لم يكن للاوربيين اسم يذكر

كتب الينا ولدنا من البلاد الانكليزية يقول زرت بيوت السوريين في منشستر فاذا هي قصور مثل بيوت الكبراء من الانكليز فيها المقاصير الكبيرة والصور الثمينة وافخر انواع الاثاث والرياش تحفُّ بها الحدائق الغناء وهم ونساؤهم واولادهم في اطوارهم وازيائهم واحاديثهم مثل جلة القوم الذين استوطنوا بلادهم . ينظر الانكليز اليهم نظر الاكفاء الى الاكفاء فيزورونهم ويضيفونهم ويدعونهم الى الحفلات الكبيرة التي لا يدخلها الا خاصتهم . جاء اللورد روبرتس القائد العام هذه المدينة فكان السوريون بين اعاظم القوم الذين قدموا اليهِ وحادثوهُ وحادثهم في شؤون مختلفة هؤلاء ابناء البلاد التي كانت تفيض اللبن والعسل في غابر الازمان روَّاد الحضارة وناشري راية العمران ولكن

اربَّ بهم ريب المنون كانما ... على الدهر فيهم ان يفرقهم نذرُ

خطب الاستاذ بويد دوكنس العلاَّمة الشهير بالامس خطبة ذكر فيها المؤثرات التي كان لها اليد الطولى في عمران البلاد الانكليزية قبل زمن التاريخ فقال ما ترجمتهُ

ان استيطان الفينيقيين سواحل بحر الروم الشرقية قبل المسيح بسبعة عشر قرناً لهُ الشأن الكبير في عمراننا فان منهم التجَّار العظام الذين نقلوا بضائع مصر واشور الى الشعوب القاطنة حول بحر الروم وانشأوا المستعمرات في كل مكان وصلوا اليهِ ومن اعظم مستعمراتهم قادس في اسبانيا انشأوها سنة ١١٠٠ قبل المسيح وقرطاجنة في افريقية انشأوها سنة ٨١٤ قبل المسيح ثم اخترقت سفنهم عباب الاوقيانوس الاتلنتيكي وضربت شمالاً ومن المرجح انهم بلغوا الجزائر

البريطانية ومعهم بضائع البلدان الواقعة على بحر الروم وعادوا بالقصدير من كورنول والذهب من ارلندا

وفي ذلك العصر كانت الشعوب النازلة حول بحر الروم قد انتظمت بعضها مع بعض واتحدت كلمتها على غزو القطر المصري فغزتهُ برًّا وبحرًا واجتاحت جانباً من الدلتا (الوجه البحري) الى ان طردها منهُ الملك منفتاح الاول

ثم ذكر الخطيب ان تجار الفينيقيين وغيرهم من الامم القاطنة في سواحل بحر الروم دخلوا اواسط اوربا بطريق تريستا ومرسيليا قبل زمن التاريخ وضربت قوافلهم فيها شرقاً وغرباً وشمالاً وكانت تعطي الاهالي الاسلحة والحلى كالسيوف والفؤوس والخناجر والاساور والمرايا والابازيم وغيرها من المصنوعات وتأخذ منهم الكهرباء التي يجلبونها من السواحل الشمالية. وقال ان ذلك كلهُ عرفهُ اهل البحث حديثاً وهو نتيجة لازمة عن المباحث الاركيولوجية التي تمت في العشرين السنة الاخيرة . وقول هذا العلاَّمة حجَّة يؤخذ بها ويعتمد عليها في هذه المباحث وامثالها

وكتب المستر افانس مكتشف آثار كريت التي وصفناها في الجزء الثالث من هذه السنة ان عمران تلك الجزيرة قديم جدًّا متَّصل بعمران سورية واسيا الصغرى وفيهِ ادلَّة كثيرة تدلُّ على انهُ نشأ عند شعب اقدم عهدًا من الآريين ومن الساميين ايضاً وان هذا الشعب كان يسكن سورية وفلسطين واسيا الصغرى منذ عهد قديم جدًّا

ولا يخفى ان تاريخ المصريين اقدم من تاريخ الفينيقيين وعمرانهم اعظم وادلتهُ اكثر واثبت . وهم وان اضاعوا من عمرهم كأُمَّة خمسة عشر قرناً كان التأخر رائدهم فيها الاَّ ان نوائب الدهر هادنتهم اخيرًا وقد هبُّوا من سباتهم الآن ولا يبعد ان يستردُّوا مجدهم السالف بعد اعوام قليلة . اما اخوانهم ابناء الشام فلا ندري الى متى يبقى النحس طالعهم وهل يصفو لهم الدهر بعد كدرهِ ما دام في قوس الرجاء منزع او تطوّح بهم نوائب الزمن فيستوطن اكثرهم البلدان التي هاجروا اليها ولا يبقى منهم في بلادهم بقيَّة تذكر

ولسنا باول من فاتهُ على رفقهِ بعض ما يطلبُ
وقد يدركُ الأمرَ غيرُ الاريبِ وقد يُصرَعُ الحُوَّلُ القُلَّبُ (١)
ولكن لها آمرٌ قادرٌ اذا حاول الامر لا يُغلَبُ

نسألهُ تعالى اصلاح الحال وحفظ البقية الباقية والرفق بعبادهِ انهُ السميع المجيب

(١) الحوَّل القلب البصير بتقليب الامور

غذاء الفضل

في سير ذويهِ وفظائع مخالفيهِ

لما كانت معالجة الاخلاق العليلة من اخصّ مفاخر الصحف الجليلة . وكان المقتطف قد صار لانتشارهِ خطيب الاصقاع أتيت بهذه المقالة انبّه بها الافكار الراقدة للجدّ في استئصال العوائد الفاسدة

ان النفس لتأنس بالاقتداء . وتبادر الى الاحتذاء . وقلَّت نفسٌ تعاف الاتباع الى الابتداع . يدلك على ذلك ما ترى لهذا العهد من تهافت الناس على المتابعة في ازياء الملابس . وتكوين المنازل . والمشاكلة في المراكب والمشابهة في الاهرة والاثاث والخروج اثناء المكالمة العربية الى المراطنة بالاعجمية اما تفاخرًا واما استرسالاً مع هذه العادة المالطية الشوهاء فتصبح تلك المفردات الأعجمية بين الجمل العربية كالرقعة الرثَّة في البرد القشيب

ولا يخفى عليك ان لكل جيلٍ ودولةٍ من العادات في الجذَل والأسى والمخاطبة والمكاتبة والسلام والوداع وازياء الثياب وهندسة الاسواق والدور شيئًا يعتوره الجيل والدولة حتى ان علماء الآثار قد يستدلُّون حيث لا يجدون كتابة بهندسة الابنية على العصر الذي بُنيت فيهِ والدولة التي كانت متسلطةً وقتئذٍ . وكفى بهذا دليلاً على ان الجيل برمّتهِ يحذو حذوًا واحدًا ملبسًا ومطعمًا وبناءً ومظهرًا وهو من اقوى البراهين واصرح الادلّة على استئناس النفس بالاتباع . ومن الادلّة الشائعة على ذلك اصطلاحنا الحديث في استقبال الكبراء بالقاء الخطب وانشاء القصائد فترى صحفنا طافحةً بنحو " ولما دخل الدار حضرة صاحب الدولة فلان او او سعادة قائم المقام او جناب المدير انبرى الخطباء والشعراء واحدًا إثر واحد يخطبون وينشدون ويثنون على ما لهُ من الايادي البيضاء " . وتراها ايضًا حافلةً بشبه " وما استقرَّ بغبطتهِ او سيادتهِ او حضرتهِ المقام حتى قدّمت لهُ القصائد والخطب وفي الختام خطب فيهم خطبةً نفيسةً رصّعها بالدعاء لحضرة صاحب الخلافة العظمى ولوكلائهِ الفخام ورجال دولتهِ العظام فقابلها الحشد بتصدية الاستحسان " الى اشباه هذه مما عاد معروفًا عند مطالعي الجرائد كافةً

وانما السرّ في ذلك كلهِ ان الاتباع مهيع بيّن يسهل على كلّ ان يسلكهُ واما الابتداع فعدولٌ عن المتعارف لا تنتهجهُ الأ قوة نفس وشهامة جنان . وما اقلّ ما يجود الزمان بمن تهديهِ لبابتهُ . وتدفعهُ شجاعتهُ الى ان يرفع لواء المناقضة وينشر بنود المخالفة لعادة سائدة في الناس مهما اخلّت بمصلحة الكافّة بل مهما جرّت عليهم الوبال اذ انهُ ينفرد حزبًا بنفسهِ ويصبح والقوم

كلهم إلبًا واحدًا عليهِ . ويكفيك هذا علةً لتملك العادات السيئة الزمن الطويل حتى في الامم التي استفحل فيها العمران وادركت الأمد الأقصى من الحضارة والتمدن فهذه المالك الاوربية على ما بلغتهُ من التبحر في كل علم وصناعة تراها من وجهٍ آخر تذلّ العقل وتحتقر القوة الناطقة وترفع عليهِ القوّة البهيمية وتحببها الى الشهوات البدنية . فمن ثمَّ توفرت في هاتيك المالك دواعي ما يجحف بالآداب من العادات المرفوضة في اصول التهذيب الممنوعة في قواعد التثقيف التي انما اليها تنازع القوّة البهيمية نزاع الصادي الى العذب الخصر . ولو أُوتيتُ من قوة الجنان ما يؤتى مصلحو عادات الأمم وحاسرو البراقع عن بصائر الشعوب لذكرت منها ما يندى لهُ جبين الأدب حياء مما وصل شيءٌ منهُ الى هذا القطر الشاميّ وضرب فيهِ خيامهُ . ذلك بما اقبل عليهِ بعض الوجهاء والاعيان ورحّب بهِ جماعة من اغنياء الزمان وكسروا على رؤوس الاشهاد القيود المقيدة عن استقبالهِ . ولم يبقَ عندهم من قوانين الاجتماع الانسانيّ ما اذا رجعوا الى انفسهم وعرضوا عليهِ صنيعهم يتبينون الزيغ عن الجادَّة . وما وراء نكبة العقل هذه الأ نكبات أخر من وداع الثروة وزوال العافية وتناقص النسل وذهاب البركة . ولا يعيد الى القوّة الناطقة ما لها من حق الايثار والتكريم الأ نفس تحارب من يخالف قويم مشربها وتناهض من يعارض صحيح مأربها ولا تبالي بانقباض كبير . ولا تحفل بخسارة كثير بل تحمل اشق المشاق ولا تحمل مداراة من اعتسف سواء السبيل . ولا تزال بالثائرين حتى تكبح جماحهم وتخفض رؤوسهم وتسوقهم للاذعان الى سلطتها نادمين

واذا علمت ذلك أيقنت بالضرورة ان أنجع غذاء للنفوس القوية والعقول الزكيَّة بل اصدق ما يهديها السبيل الى استئصال الأوهام ومحو السيء من العادات ويؤتيها عزيمة تكفل لها الظفر بمن يناصبها الحرب الزبون انما هو الائتمام بعظماء الرجال الذين خلعوا نير العادات المجحفة بالراحة المخلَّة بنظام العافية ونسخوا حنادس الجهل بتقريب أُولي العلم واقتراح التآليف النافعة عليهم وغمرهم بالاموال الطائلة ليتهيأ لهم ان يتوفروا على تلك الاشغال العقلية ويحكموها غاية الاحكام ويخرجوها وافيةً بالمرام جاعلةً المقصود على طرف الثمام

فمن هنالك حرص الناس على تدوين تراجم العلماء وكتابة سِيَر العظماء والكبراء من اصحاب الحلّ والعقد وذوي الشأن في الارض لتكون ذكرى للخالين ومنهضًا لهمم الحاضرين والآتين ومنتجعًا للخلائق الكريمة ومستزادًا للطبائع السليمة . وما اشبه سِيَر المشاهير بالتربة التي يستخلص منها كل نجم وشجر ما يساوق طبعهُ ويوافق جوهرهُ فمن تهجم بهِ نفسهُ على الاختراع يكثر من مطالعة قصص المخترعين ويسوم نفسهُ الصبر على مزاولة العمل ويدفعها لتحمل العناء

فتجرع كؤوسة المرّة واثقة بأن من وراء ذلك حلاوة الفخر ولذّة الانتظام في عداد المخترعين الذين أوجدوا في الدنيا ما لم يكن موجوداً وتبوأوا مقام مجدٍ لم تبلغهُ هِمم من عداهم . ومن يكثر من تصفُّح تراجم من اشتهروا بالاخلاص والمثابرة على العمل وتلقي مشاقهِ وتذليل صعابهِ وتمهيد عقباتهِ تنمي فيهِ تلك الخصلة الشريفة . وتبسق فيهِ على هاتيك المطالعة اغصان تلك الطبيعة الكريمة فيصير من السهل عليهِ ان يشرك في عملهِ من يستعين عليهِ بمالهِ ورأيهِ ممن يصير واياهُ شخصاً واحداً اذ يرتفع من بينهما الحسد والطمع حتى لا يخطر ببال الواحد منهما ان يؤثر نفسهُ على شريكهِ بمالٍ او جاهٍ فيكونان واحداً مشرباً واثنين عملاً وسعياً وجداً . فينفتح لهما من ابواب الكسب واسباب المجد ما كان يتعذر فتحهُ على كلّ منهما لو انفرد ورحم الله من قال "القوة بالاتحاد" وتغمَّد بالرضوان الشاعر القائل

كونوا جميعاً يا بنيَّ اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّراً واذا افترقنَ تكسرت أفرادا

ومن صبت نفسهُ الى تبوُّء منابر الخطابة كانت قراءة تراجم الخطباء نوراً يهديهِ سواء السبيل الى احكام هذه الصناعة التي تصل بالناس الى أمد لا يصل اليهِ السيف فيقرأ ترجمة الامام علي بن ابي طالب والحجاج بن يوسف ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من اكابر خطباء العرب وترجمة هوميروس اليوناني وشيشرون الروماني وبوسيه وفنيلون من فحول خطباء الافرنج فتشتدُّ عزيمتهُ على قطع تلك العقبة الكؤود في طريق من يهوى شرف الوقوف في جمع كبير من الخلق يدفعهم بكلامهِ الى ما يريدفكأنهُ قائد ويردهم عما لا يريد وكأنهم جنود يذهبون الى حيث يذهب فيقدمون ويحجمون وفق اشارتهِ

واما من طُبع على تحرير النفس من عبوديَّة العادات واطلاقها من سجون التقليدات فأخبار من أبطلوا العادات الضائرة وكسروا قيودها الثقيلة وذكر ما لقوا من المقاومة دون استئصالها تهوّن على الفطن الابي النهوض على العادات المتملكة في طباع اهل زمانهِ وتمزج ما يجد من المرارة في مناهضتها بحلاوة الامل في تخليص الناس من رقّها فلا يفتأ ينازلها ويقاتلها حتى يلد التجلُّد لهُ انصاراً فيجعلها بما لأتهم أثراً بعد عين

فهذه النارجيلة كم اهلكت من مالٍ وأحدثت من داء وأدخلت في عبودية فلو ان زيداً تصدَّى لجمع ما انفقتهُ وما تنفقهُ سورية وحدها في سبيل النارجيلة لرأى امام عينيهِ جبل ذهب . ولو ان عمراً عُني بعدّ من مات بسبب النارجيلة مصدوراً لتمثل هلكاها جمعاً كثيفاً . وأما أنها أدخلت في العبودية فهؤلاء محتكروا التنباك لا يأتمرون في تسعيرهِ الا اوامر الطمع

فيرفعون سعرهُ و يغلون ثمنهُ كما يشاؤون حتى اصبح التنباك رطل بتسعين غرشاً وما من داعية لهذا الغلاء الذي دخل في باب الغلوّ الأ طمع المحتكرين . فلو أن آفة سماوية ذهبت بنصف حاصلات التنباك ما تأدَّى حبُّ الربح باصحابهِ وتجارهِ ان يبيعوهُ رطلاً بتسعين غرشاً . وكذا لو تضاعف عدد المتسلين بالنارجيلة اللاثمين أفواه تلك الافاعي الفارغة ما غلا التنباك هذا الغلاء ولا انتهي ثمنهُ الى هذا الحدّ البعيد حتى عاد ذوو المال الجمّ والدخل المضارع اليم يئنون من هذا الغلاء بل يتأوهون من هذا البلاء . و يتبرَّمون بهذا الرقّ بل يتألمون منهُ . على انهُ انما انجرَّ اليهم بما تعوَّدوهُ من لثم أفواه تلك الافاعي . فهل من سلطة تجور على الانسان وتسومهُ ذلَّ العبوديَّة اشدّ من سلطة العادة السيئة التي تمكّنت منهُ بل التي يبلغ من جهلهِ بمصلحتهِ ان يجعلها بقوة الاستمرار من مقوّمات وجودهِ او خاصَّات كيانهِ فأين المنادون بالحريَّةِ بل أين دعاتها والمفاخرون بها وما بالهم لا يزمعون الانتصار لها ولا تأخذهم الأنفة للذود عن حياضها . اليس في وسعهم ان يهجروا النارجيلة يدَ الدهر فيتخلصوا من تكاليفها ومشاقها وينجوا من آفاتها وويلاتها

ليت شعري من ذا الذي يلزمهم بها او يكرههم عليها وكأني اسمع لسان أُولي النارجيلة وانا اكتب هذا السؤال يقول مجاوباً انما تكرهنا عليها يا صاح سلطة قاهرة وقوة قاسرة بسلطة تذلّ لها الجبابرة . وتعنو لها الاكاسرة . هي سلطة العادة وقوَّتها وان الصعلوك منَّا ليعد نفسهُ ملكاً عزيزاً وقد تناول بيدهِ تلك الافعي واخذ يقبل فاهاً عقب القهوة معتقداً ان في يدهِ صولجاناً . وكم من فقيرةٍ تقول " اقعد بلا اكل ولا اقعد بلا اركيلة " وكم من مصدور يقول " الموت ولا فراق التربيج " فان كان في نيتك حمل الناس على هجر تلك الغادة الحسناء الجامعة بين النار والماء فكانما قد سمت نفسك ان تجفف البحر او تكسف الشمس . واين قوَّتك مما تحاول ولعلّ الذي جرَّأك على ذلك انك لم تذق لذَّة النارجيلة التي لا احلي منها عند الصباح والاصيل وبعد الطعام ولا سيما في البساتين عند نفحة الربيع وهبوب النسيم العليل وما أحراك ان تتذكَّر قول الشاعر

دع عنك تعنيفي وذُقْ طعم الهوى فاذا عشقتَ فبعد ذلك عنفِ

نعم اني لواثق كما علمتَ من كلامي بأن ذوي النارجيلة هم فوق ما تقول ألا وقد ملكتهم قوة العادة . وكفت عيون بصائرهم واصبحوا عمياناً لا يهتدون طريق مصلحتهم . ولا يفرّقون بين النافع والضارّ لكن حسن النظر في سوء المصير قد رفع الغشاوة عن بصائر بعضٍ من مشاهير المولعين كانوا بالنارجيلة ففطموا انفسهم عنها واستعاضوا من الهزال سمناً ومن الشحوب نضارةً

فقد تمتع الكهول منهم بعد مقاطعة النارجيلة من العافية ونضارة الصحة بما لم يتمتعوا به في شبابهم . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ترفُّع الشواب من عذارى ومتزوّجات عن الخضوع لهذه العادة الضارّة . واحقهنّ بالذكر وجيهة بيروتية أوصلتها قوة النفس الى ان حررت بيتها من عبودية النارجيلة فأحرِ بوجهاء الناس ان يتفقوا ويحرّروا انفسهم وبيوتهم من هذا الرق فيتبعهم العوام وتستريح الآذان حينئذٍ من اصوات الشكوى من قساوة المحتكرين وليدعوهم يرفعون سعر التنباك ما شاؤوا ولسان الحال ينشدهم " وزاءٍ ارخص ما يكون اذا غلا " اقول وما حصول هذا بالامر المستحيل وان كان دون الوصول اليه مجاهدة الطباع الخاضعة لسلطة العادة . فوربك لو لم يكن بازاء الصدود عن النارجيلة والسيكارة الا لذّة التخلص من استبداد المحتكرين لكفى به كفيلاً بالمبادرة الى اتفاق الخواص والعوام على تركها والاعراض عنها . هذا وليعلم من يقدمون على استئصال هذه العادة ان اقلام الاخبار يين والمؤرخين تنشر الثناء عليهم وتبثُّ مدائحهم وتخلد ذكرهم حتى يظفروا بمجد اعاظم الرجال احياء وامواتاً

سعيد الخوري الشرتوني

عمران دمشق

« معابدها والجامع الاموي »

يرى المتفلسف في عمران المشرق ان اهلهُ قلما يحفلون بتنميق المباني العامة وتزويقها الاَّ ما كان منها تحت اسم الدين كالمعابد والمساجد والتكايا والزوايا وان تكن الديانة الاسلامية مثلاً لا تجيز الزخارف ولا تبيح اقامة مساجد تشغل ذهن الداخل اليها عن العبادة الحقَّة التي يُراد بها حضور القلب والخضوع والخشوع ولذا عُدّ من محدثات البدع رواء صنعة بناء المساجد والاسراف في الانفاق عليها وتعدُّدها لغير حاجة ماسة . فقد كان في المدينة صدر الاسلام مسجد جامع واحد فلو فُرض ان دمشق مع كثرة سكانها وما يجيء اليها كلّ جمعة من سكان القرى يزيد عشرة اضعاف سكان المدينة كان الاحرى ان يكتفي بعشرة مساجد جامعة ولكن هي الاسماء عليها يتهالك الاقوام حَرِصين وفيها يتنافس البشر غير مأمورين

ومن ثمَّ لا تسل عن اهل الاديان اذا خرب لهم مسجد او حرقت زاوية فقد تقوم قيامتهم كانما تقوّض الدين برمتهِ او أُخذ المُلك بامتهِ فيتسابق خاصتهم قبل عامتهم الى إعادة ما دثر

وتجديد ما بلي اذ يخيل لهم ان مجد الامم متوقف على إظهار شعائر دياناتها وعلى نسبة معابدها يرضى عنها صديقها ويخافها عدوّها ·

مرّت القرون ودمشق بفضل ما تقدم من الدواعي محتفظة بكيان معابدها لم تُصَب بما أُصيب بهِ سائر الآثار من الهدّ والهدم . ولابن عبد الهادي رسالة كتبها في اواخر القرن التاسع اتى فيها على ذكر القسم الاعظم من مساجد دمشق فكانت زهاء الف مسجد . هذا ولم يستقصِ اسماء كثير من المساجد في هذه الحاضرة وضاحيتها مما يناهز خمسمائة قال فناهيك ببلدة يحتوي واديها فقط على زهاء الف وخمسمائة مسجد واما ما هو محيط بعاملتها مما وراء جبالها فهو كثير للغاية

اخنى الدهر على معظم هذه المساجد الآن اما لنزوح السكان من جوارها او لتعطُّل اوقافها فضاعت الفائدة التي بُنيت لاجلها مع ان العقل والشرع يقضيان ببيع المساجد والاستعاضة عنها بمكان آخر فيما اذا قلَّ الانتفاع بها او دعت الضرورة لازالتها وما برح الناس ذهاباً مع الاهواء ودفاعاً عن الاسماء يفضلون بقاء القديم على قدمهِ كما هو الحال بعدة جوامع في حارتي النصارى واليهود وغيرهما بدمشق وخيرٌ للجامع ان يباع وتبنى بثمنهِ مدرسة من ان يخرب ويمسي مستودعاً للنجس والرجس . وكم من مصلّى بلا منارة ومنارة بلا مصلّى . ولطالما استفتي الفقهاء بهذا الشأن فراعى فريق الرأي العام في فتوياهُ وحكم آخر بالحق فشفع رأيهُ كما جرى لما أُريد بناء المأذنة الملتصقة بالبيعة المريمية في القرن الحادي عشر

في دمشق اليوم ٢٤١ مسجداً وكان بها خمس عشرة كنيسة لاهل الذمة صولحوا عليها كما نُقل عن عمر بن عبد العزيز وذُكر في تاريخ دمشق . وقد عُدّت في العهد الذي اعطاهُ خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها . اما عدد الكنائس الآن فسبع عشرة كنيسة لطوائف مختلفة ولليهود كنائس عديدة يكاد يكون لكل غنيٍّ منهم كنيس خاص في دارهِ والاماكن المشهورة بذلك تربي على عشرة

رأس معابد دمشق ورئيسها وثالث جامع في الاسلام الجامع الاموي المشهور في كل العصور الذي يباهي بهِ اهل هذه الحاضرة غيرهم من سكان البلدان و يعدونهُ من مفاخرهم ومآثرهم اخذاً بكلام الوليد في قولهِ لقد رأيتكم يا اهل دمشق تفتخرون على الناس باربع خصال بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس

شرع الوليد في بنائهِ سنة ٨٧ وفُرش بالرخام الابيض المختم بالازرق وحُلي سقفهُ وجدرانهُ بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء خُلط بها من غريب الاصبغة ما يدهش الابصار بوميضهِ

و بصيصهِ واحتفل من وراء الغاية بتنميقهِ وتجيدهِ

هذا المسجد عريق في القدم اصيل في اقامة الشعائر الدينية اتى عليهِ كما روى بعض المؤرخين ردح من الزمن وهو لمؤسسيهِ الصابئة يصلون فيهِ ثم صار في ايدي اليونانيين ثم لليهود وملوك من عبدة الاوثان ثم للنصارى ثم للمسلمين . قال سيد بليو ان مسجد قرطبة بُني على شكل مسجد دمشق كما ان مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنيّة على شكل الكنائس التي قال المؤرخ اوزيبوس احد اهالي قيصرية في سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات احواش واواوين وفساقي ومساكن للقسس بدليل ان في تلك المساجد ما كان يضعهُ البناؤون من الخافق المزوّق باشكال من حصنا منوّع الالوان . ولعلّ ما هو شائع على الالسنة من ان في هذا الجامع رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام جاء من تسمية المسيحيين لهُ باسم احد قديسهم يوحنا الدمشقي تبركاً والأ فليس في التاريخ ادنى اشارة الى ان يحيى قُتل في دمشق او بيروت او صيداء او نُقل الى احدى هذه المدن

ولما فُتحت دمشق كتب عمر الى عاملهِ ابي عُبَيْدة كتاب امان واقرّ ما بايدي النصارى اربع عشرة كنيسة واخذ منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مار يوحنا بحكم ان البلد فتحهُ خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف واخذت النصارى الامان من ابي عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على ان جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفها عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعلهُ ابو عبيدة مسجداً وكانت قد صارت اليهِ امارة الشام وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي في القبلة فينصرف النصارى الى جهة الغرب والمسلمون الى الشرق وكان لا يستطيع اهل الانجيل ان يجهروا في قراءتهِ بكنائسهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالاً للصحابة فلما اخذت اصواتهم ترفع في صلواتهم احب الوليد ان يبعدهم عن المسلمين وطفق يجتهد في استصفاء المعبد كلهِ

روى ابن عساكر ان المغيرة بن عبد الملك دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك ابن مروان فرآهُ مغموماً فقال لهُ يا امير المؤمنين ما سبيلك قال فاعرض عنهُ ثم انهُ عاودهُ فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها الى المسجد فابوا علينا وقد اقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالاً فامتنعوا. فقال لهُ المغيرة يا امير المؤمنين لا تغتمّ قد دخل خالد بن الوليد الى دمشق من الباب الشرقي بالسيف ودخل ابو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالامان فامسحهم الى ايّ موضع بلغ

السيف فان يكن لنا فيه حق اخذناه وان لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخله في الجامع. فقال له فرّجت عني فتولَّ انت ذلك . قال فتولاه فبلغت المسحة الى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة اربعة اذرع وكسّر بالذراع الفارسي فاذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد فبعث اليهم فقال هذا حق قد جعله الله عزّ وجلّ لنا لم يصل المسلمون اليه في غصب ولا ظلم فقالوا يا امير المؤمنين قد اقطعتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فان رأيت ان تتفضل به علينا. فامتنع حتى سألوه وطلبوا اليه قال فاعطاهم كنيسة حميد بن (لعلها حمديس) وكنيسة اخرى جنب سوق الخبز وكنيسة مريم وكنيسة المصلبة

ثم ان الوليد بعث الى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الاقساء والفأس على كتفه وعليه قباء سفرجلي وقد شدّ بدور قبائه اني اخاف عليك من الشاهد يا امير المؤمنين قال ويلك ما اضع فاسي الاّ في رأس الشاهد وهي صورة في اعلى الكنيسة ثم انهُ صعد فكان الوليد اولّ من وضع فأسهُ في هدم الكنيسة وسارع الناس في هدمها وكبّروا ثلاث تكبيرات

قيل ان اثني عشر الف مرخم اشتغلوا في ترخيم الاموي وان الوليد احتاج الى صناع كثيرة فكتب الى ملك الروم ان وجّه اليّ بمائتي صانع من بلادك فاني أريد ان ابني مسجداً لم يبنِ من مضى قبلي ولا من يكون بعدي مثله فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش واخربت الكنائس في بلدك وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وكنيسة السيدة وسائر آثار الروم في بلدي. فاراد ملك الروم ان يثنيهُ عن بنائه ويضعف عزمهُ فكتب اليه لئن كان ابوك فهمها فاغفلها فانها لوصمة عليه ولئن كنت فهمتها وغبت عن ابيك فانها لوصمة عليك وانا موجه اليك ما سألته فاراد ان يعمل له جواباً فجلس لهُ عقلاء الرجال في خطبة المسجد يفكرون في ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس اراهم مجتمعين حلقاً فقيل له السبب فقال يا امير المؤمنين انت جعلت اخاك سليمان القائم بامر العمارة والجواب بنص القرآن ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً . فسرّي بذلك عنهم

ولما عمر الوليد الجامع قال له بكر اولاده يا ابتِ انعبتَ من يأتي بعدك في طين اسطحته فقال يا بنيّ ترصفهُ فطلب الرصاص من سائر الآفاق فكل اتى بما عنده واتت كورة الاردن اكثرهم في ذلك وطلبوا الرصاص بكل ممكن حتى في النواويس العادية فلما نفدت مظانهُ حار الوليد في صيور امره فدلّ على امرأة من بنات اكابر دمشق ان عندها من الرصاص ما يكفي القطعة الباقية فارسل الوليد اليها يسألها بيعهُ فابت فاضعف لها ثمنهُ فابت فاعطوها عوضهُ

قصديرًا ثم حديدًا ثم فولاذًا ثم نحاسًا وما زالت تتأبى فقال له ولده أكله بفضة فقال يا بني بعدنا تؤخذ الفضة وننسب الى العجز عن اكماله فقال اعطوها زنته ذهبًا فرضيت وباعته فلما اتته ارسلت المرأة اليه المال وقالت ليعلم امير المؤمنين اسعده الله انني خرجت عن هذا الرصاص لله تعالى وانما تمسكت على امير المؤمنين حتى اعلم امره هل يأخذ ذلك مني غصبًا ويقهرني عليه ام اجتهاده لله تعالى يوصلني الى ما اريد في ثمنه وقد علمت ان همته ومراده رضا الله ورسوله. فلما وصل المال والقاصد الى الوليد عجب من ذلك وسأل هل هي عازبة ام متزوجة فقيل بل عازبة فتزوجها وعمرت بالمال المنارة التي على باب السلسلة ورصعتها بالمعادن فسميت مأذنة العروس . رواها ابن عساكر وتابعه عليها غير واحد من المؤرخين

وبالغ مؤرخو العرب في كثرة ما أُنفق على الجامع الاموي وما اظن ما قالوه من الواقع ببعيد فعن عمر بن مهاجر وكان على بيت المال للوليد بن عبد الملك انهم حسبوا ما أُنفق على الكرمة التي في قبلة المسجد فكان سبعين الف دينار وحسبوا ما أُنفق عليه كله فكان اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار . قال ابو قصي واتى الوليد حرسيه فقال يا امير المؤمنين ان اهل دمشق يتحدثون بانك انفقت الاموال في غير حقها فنادى الصلاة جامعة وخطب الناس فقال الا انه بلغني حرمي انكم تقولون ان الوليد انفق المال في غير حقها الا يا عمر بن مهاجر قم فاحضر ما قبلك من الاموال من بيت المال قال فاتت البغال تدخل بالمال وتصب في القبة على الانطاع حتى لم يبصر من بالشمال من في القبلة ولا من في القبلة من في الشمال ونصبت الموازين فوزنت الاموال فقال لصاحب الديوان احضر من قبلك ممن يأخذ رزقنا فوجدوا ثلثمائة الف الف في جميع الامصار وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين ففرح الناس وكبّروا

وكذلك بالغ السياح في وصف اعاجيبه بما يوهم ان ما قالوه اقرب الى الباطل منه الى الحق خصوصًا عند شرقي لم يزر بلاد الفرنجة لهذا العهد ولم يرَ غير بلاده المنحطة فقد روى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في وصفه ان طوله من الغرب الى الشرق مائتا خطوة وهي ثلثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وهو تكسير المسجد النبوي غير ان طوله من القبلة الى الشمال . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامت البلاطات على ثمانية وستين عمودًا منها ثمانية ارجل تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصحن واربعة ارجل مرخمة ابدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت

محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً و يستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاتهِ سعتهُ عشر خطاً وعدد قوائمهِ سبع واربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سوارٍ وسقف الجامع كلهِ من خارج الواح رصاص واعظم ما فيهِ قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد اغصّت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلاً ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كانها معلقة في الجوّ وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة



(فناء الجامع الاموي من الشرق الى الغرب)

الملونة اربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها اشعة ملوَّنة هائلة لا تبلغ العبارة تصوّرها

ومحرابهُ من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كلهُ قد قامت في وسطهِ محاريب صغار متصلة بجدارهِ تحفهُ سويريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها احمر كأنها مرجان لم يرَ شيءٌ اجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي اول مقصورة وضعت في الاسلام . ثم ذكر في فناء الجامع عجائب من الاقبية والابنية والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيهِ ما يطول وصفهُ . وللمسجد اربعة ابواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي ويُعرف بباب الناطفين — الناطقين — وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي

يعرف بباب جيرون وهو اعظمها ولهُ والغربي دهاليز متسعة يُفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها

قال وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبهُ غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صفر وقد فتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تخيلهُ الاوهام سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاول ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرَّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور بهِ الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمَّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب و يسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمى الميقاتة

وروى ابن عساكر ان المسلمين لما دخلوا دمشق وقت فتحها كان اسم باب الجامع القبلي باب الساعات لانهُ كان هناك ساعات يُعلم بها ما يمضي من النهار عليها صور عصافير وحية وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية وصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت . وانهُ كان في الجامع قبل حريقهِ طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطاين فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان في السقف طلاسم عملتها الحكماء مما يلي الحائط القبلي فمنها طلسم للسنونو لا تدخلهُ ولا تعشش فيهِ ومنها لا يدخلهُ غراب ولا فار ولا حيات ولا عقارب ولا عنكبوت ولا يركبهُ غبار ولا وسخ ولا غير ذلك

وعلى اثر هذه الساعات وهذه الطلاسم يجدر ذكر البسيط الذي اقامهُ الفلكي الشهير ابن الشاطر المتوفي سنة ٧٧٧ موقت هذا الجامع والبسيط اختراعهُ قديم ينسب لليونان الأ ان العرب زادوا عليهِ كثيراً وهو عبارة عن حجر مستطيل تعرف فيهِ بخطوطٍ واشكال الشمس في اي برج هي وفي اي درجة من ذلك البرج و يُعرف فيهِ الماضي من الشمس والباقي للزوال والماضي من الزوال ايضاً والباقي للغروب ويقال لهُ الدائر وفضل الدائر والماضي من طلوع الفجر ويعلم منهُ قوس العصر والباقي لمغيب الشفق والباقي الى الفجر الآتي وهذا الذي زادهُ الاستاذ

محمد الطنطاوي علي ابن الشاطر ورسم فيهِ شكلاً معيناً تُعلم منهُ الطالع والمطالع

تقادم العهد على بسيط ابن الشاطر فوقع فيهِ بعض فروق في الاوقات فطلب متولي الجامع وغيرهُ من العلماء الى الشيخ الطنطاوي سنة ١٢٩٤ ان يصلح ما وقع فيهِ فاصلحهُ فلما ارادوا وضعهُ في مكانهِ وقع الحجر وانشق شطرين فنسبوا ذلك الى الشيخ لحضور احد تلامذتهِ اذ ذاك فاضطر الشيخ ان يبري نفسهُ وراح الى دارهِ يصرف حولين كاملين ليعمل بسيطاً يحاكي بهِ بسيط ابن الشاطر فعملهُ على قلة الكتب لديهِ وفقدان ملكة هذا الفن لكن معاصريهِ والمعاصرة كما قيل حرمان ابوا الاَّ ان يتنقَّصوهُ و يضيعوا اتعابهُ شأنهم مع غيرهِ من رجال الجد فاشاعوا بين العامة ان بسيطهُ لا يصلح للتوقيت وها هو الآن ملقى في منارة العروس يكاد لا يُنظر اليهِ يرقب الزمن ليظهر و يعمل بهِ ويقدر فضل صاحبهِ . وقد عمل ايضاً بسيطاً ثانياً على الافق المرئي وضعهُ في جامع الدقاق بالميدان قرب باب دمشق الجنوبي

ولا عجب اذا لقي الطنطاوي ما لقي واصبح غير مقدور قدرهُ فقد امتحن ابن الشاطر في القرن الثامن بمثل ما امتحن بهِ ولم تعرف له فضيلتهُ الاَّ بعد موتهِ باعوام دمشق غامطتهُ حقهُ وآثارهُ تنشر في البلاد ولسان حالهِ يقول

لا عيب لي غير اني من ديارِكمُ وزامر الحيّ لا تُطرب مزامرهُ

نقل صاحب محاسن الشام ان ارض الجامع كانت مفروشة بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفسيفساء وان الرخام كان في جدرانهِ سبع وزرات ومن فوقهِ صفات البلاد وما فيها من العجائب وان الكعبة المشرَّفة وضع صفاتها فوق المحراب ثم فوق البلاد يميناً وشمالاً وما فيها من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلى بالذهب ورتب لهُ من الشموع ما يوقد منهُ في اماكن مختصة واصطنع في صحنهِ مجامر على اعمدة برسم البخور ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلاً ولا نهاراً حتى كان يشم روائح البخور مسيرة فرسخين (كذا) وسبك لهُ سرجاً من نحاس كل سراج يوضع فيهِ قنطار زيت وجعل على كل باب سراجاً وجعل في محراب الصحابة حجراً من بلور وقيل بل درة لا قيمة لها وكانت اذا أُطفئت المصابيح يقوم نورها مكانها (كذا) وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يسيرها اليهِ فارسلها وقيل انهُ لما رآها أمر بردّها قال ابن عساكر ثم ذهبت الايام بعد ذلك وجعل مكانهُ برنية من رخام وقد رأيتها ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيء

وروى شيخ الربوة انهُ كان يحمل من زيت نابلس الى جامع بني امية في كل سنة الف قنطار بالدمشقي وقال ايضاً انهُ يوقد فيهِ ليلة النصف من شعبان اثنا عشر الف قنديل بخمسين

قنطاراً من الزيت غير ما يوقد بالمدارس والمساجد والترب والخوانق والربط والمارستانات .
وذكر ابن بطوطة ان فوائد مستغلات الجامع ومجابيهِ نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباً في كل سنة وذكر ايضاً انهُ كان بهذا الجامع حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأون كتب الحديث على كراسي مرتفعة وقراء القرآن يقرأون بالاصوات الحسنة صباحاً ومساء وبهِ جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الالواح تنزيهاً لهُ وانما يأخذونهُ تلقيناً ومعلم الخط غير معلم القرآن

هذا اصل الجامع وبعض ما كان فيهِ من العجائب وفي تواريخ دمشق ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز في خلافتهِ ما يدهم من عهد ابي عبيدة الجراح من ان كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وان الوليد اخذ كنيستهم بغير حق قهراً فلما رأى عمر ذلك منهم دفع لهم مالاً يرضيهم بهِ حتى بلغ مائة الف فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد الفهري ان يدفع اليهم كنيستهم او يرضيهم في ذلك فلما وصل كتاب عمر الى دمشق اعظم الناس ذلك وفيهم يومئذٍ بقية من اهل الفقهِ فشاورهم محمد بن سويد فقالوا هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد اذنا فيهِ بالصلاة وجمعنا فيهِ يهدم ويعاد كنيسة فقال رجل منهم هنا مسئلة لهم كنائس عظام حول مدينتنا وهي دير مران والكنيسة بباب توما وغيرها من الكنائس ان احبوا ان نعطيهم كنيستهم فلا يبقوا حول مدينة دمشق ولا بالغوطة كنيسة الا هدمت او نبقي لهم جميع كنائسهم ويتركوا هذه ونسجل لهم بذلك سجلاً فدعاهم محمد بن سويد وعرض عليهم ذلك فقالوا امهلونا ننظر في امرنا فتركهم ثلاثاً وطلبهم فقالوا نحن نأخذ الذي عرضتهُ علينا ونكتب الى الخليفة انا قد رضينا بذلك ويسجل لنا الخليفة من قبلهِ سجلاً منشوراً بامان على ما بدمشق والغوطة من كنيسة ان تهدم او تسكن قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسرّهُ وسجل لهم بذلك واشهد شهوداً

روى ابن عساكر عن محمد بن مهاجر قال سمعت عمر بن عبد العزيز ذكر مسجد دمشق فقال رأيت اموالاً أنفقت في غير محلها فانا مستدرك ما استدركت منها فرادّهُ الى بيت المال اعمد الى هذه الفسيفساء وهو النقش المفصص والرخام فاقلعهُ وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالاً وانزع تلك البطاين فابيع جميع ذلك وادخلهُ بيت المال فبلغ اهل دمشق فاشتد عليهم فخرج اليهِ اشرافهم فيهم خالد العشري فقال لهم خالد ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم فاذنوا لهُ فلما اتوا دير سمعان (مصيف عمر بن عبد العزيز قرب مدينة حمص وبهِ قبرهُ معروف

الى الآن) استأذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليهِ فقال لهُ خالد يا امير المؤمنين بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا قال نعم فقال لهُ والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر لمن هو لأُمك الكافرة وغضب عمر ثم قال صدقت فما قولك ما ذاك لي قال لانا كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزو ففرض الرجل منا على نفسهِ ان يحمل من ارض الروم قفيزًا بالصغير من فسيفساء وهي الفصوص او ذراع في ذراع من رخام فحملهُ اهل العراق واهل حلب الى حلب ونستأجر على ما حملوا الى دمشق وتحمل اهل دمشق وما وراءهم الى دمشق فذاك قولي ما ذاك لك فسكت عمر

قال ثم جاءهُ بريديٌّ من والي مصر يخبرهُ ان قاربًا ورد عليهِ من رومية فيهِ عشرة من الروم عليهم رجل مقدم يريدون الوفود الى امير المؤمنين فكتب اليهِ ان وجههم اليَّ ووجه معهم عشرة من المسلمين عليهم رجل مقدم كلهم يحسن الرومية ولا تعلموهم بذلك حتى يحملوا اليَّ كلامهم فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم في دخول المسجد الجامع فاذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجهُ القبلة فكان اول ما استقبلوا المقام ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيًا عليهِ فحمل الى منزلهِ فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا لهُ بالرومية ما قصتك صحبتنا في طريقنا هذه ما انكرنا منك شيئًا فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال لانَّا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها فلذلك اصابني الذي رأيتم فلما قدموا على عمر اخبروهُ بما سمعوا منهُ فقال عمر اذا كان مسجد دمشق غيظًا على الكفار دعوهُ على حالهِ

وظلَّ الجامع قرونًا زاهيًا زاهرًا الى ان احترق الحريق الاول سنة ٤٦١ وبها ذهبت محاسنهُ وانقضت ايام ازدهائهِ وعجائبهِ . وثانيهِ سنة ٧٤٠ كان الاصل فيهِ من النصارى بدمشق كما قال ابن مفلح واشتهر ذلك عنهم وكُتب عليهم محضر بهِ وضُربت اعناقهم ثم حرقوا بالنار وزاد صاحب محاسن الشام ان مأذنة عيسى نُقضت وجُددت من اموال النصارى لكونهم اتهموا بحريقها باقرار بعضهم واقيمت على احسن الاشكال وهذا الحريق عمَّ جميع الجامع وما حولهُ من الدهستاني والرواقات الشرقية والمباني الشرقية وذهبت اموال الناس . وثالث حريق احرق الدهستان وسوق الوراقين والساعات ونصف المعزبة من شرقي الجامع الى بيت المقصورة سنة ٧٩٥ ايام الظاهر برقوق ثم اعيد الى ما كان عليهِ . ورابع حريق جرى سنة ٨٠٣ عند حضور تيمور لنك حرق جميعهُ واحترق المصحف العثماني الموضوع بالمقصورة وجميع ما كان بهِ من

مصاحف وربعات وكتب علم وغيرها واستمر الجامع خراباً الى ولاية شيخ الخاصكي نيابة الشام في شهور سنة ٨٠٥ فشرع في عمارته واعيد الى قريب ما كان عليهِ وخامسها سنة ٨٨٤

ولم اعثر على تاريخ يدلُّ على خراب الجامع او حرقهِ بعد هذا التاريخ الا ما كان من زلازل سنة ١١٧٣ فان قبة النسر والرواق الشمالي خربا اذ ذاك وأعيد بناؤهما من قابل ثم رم في تواريخ عدة حتى اذا كانت سنة ١٣١٠ (ربيع الثاني) سرى النار الى رصاص سطوحهِ فالتهمها كلها في اقل من ثلاث ساعات ولم يتمكن من اطفائها لعلوّ السقوف وعدم وجود مطفئات تفي بالمقصود فدثر آخر ما بقي من آثارهِ واثاثهِ ورياشهِ وبعض قطع الفسيفساء التي بقيت منذ قرون ولم تعمل بها الكوارث واخصُّ ما حرق بها مصحف كبير مكتوب بالخط الكوفي الجميل على رق الغزال كان يقال انهُ عثماني ومهما يكن من امرهِ فان عتقهُ يدلُّ على انهُ من المصاحف التي كتبت في الصدر الاول . وفقد هذا المصحف عند العقلاء اصعب من احتراق الجامع

وشرع من قابل باعادة بناء الجامع بمال جمع من اعانات الدماشقة بالتخجيل والتحبيب واحياناً بالترغيب والترهيب ومن سكان القرى المجاورة بالجبر والقهر كما هو الشأن في كل اعانة يُراد جمعها من الاهلين وما اكثر انواعها في هذه السنين . ولما رأوا ان هذا الامر يطول وهذه الهبات لا تعمر الجامع اخذوا منذ خمس سنين يتقاضون كل سنة مبلغ ٤٥٠٠ ليرة عثمانية من ضريبة اللحم التي كانت تستعين بها البلدية على اصلاح بعض الطرق والشوارع ولما خربت طرق المدينة نجز في العام الماضي بناء شطر الحرم الشرقي والهمة مبذولة لبناء الشطر الغربي وسينجز بعد سنة . وقد اعيد كل شيء الى حالهِ السابق

وكان القوم يذهبون الى ان ايجاد سوارٍ من الحجر كالسواري المحترقة من رابع المستحيلات الا ان الامر جاء على عكس ما توهموا فان احد ارباب الصنائع الدماشقة ممن بلغ منزلة الاختراع فيها واسمهُ عبد الغني الحموي صنع عجلة كبيرة لجر الاثقال والاحجار وآلة لقطع الحجر فاحضرت السواري من مقاطع المزة وقطّنا احسن من القديمة

واتصل بي ان ما أُنفق وينفق على اعادة الجامع الى سابق رونقهِ يبلغ نحو اربعين الف ليرة أُخذت كما مرَّ بك من اموال لا تصلح لبناء المساجد في عقل ولا نقل . كنت يوماً اتحدث وصديقاً لي في امر هذا المسجد فقال لي تالله لو نُشر النووي وابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم من علماء دمشق العاملين لافتوا بتحريم الصلاة فيهِ لما يرون من اتخاذ هذه الزخارف الباطلة بمال يجبى بغير حق وان الاسلام الذي جاء ليأتي على الوثنية عاد الناس اليها في القرون المتأخرة بل تجلت بابهى مظاهرها وتبرقعت ببرقع ديني واتسمت بعلائم القربى فقد صرف على المحراب فقط نحو سبعمائة ليرة

نعم دلَّ ذلك على ان في البلاد بقايا صنائع كالحياكة والنجارة والنقش والترخيم الاَّ ان هذه العناية هي اجرى بان تصرف على ما يجدي فائدة تحمد لا على ما يشبهُ التماثيل والهيا كل والنصب في محل التوحيد ولو اقتصر على الضروري من البناء لاقتصدت اموال طائلة كان يتأتى ان تشيد بها مدرسة يتخلص الناس بها من الجهالة الجهلاء ولكن المشارقة لا يعتقدون النفع فيقتتلون في نيلهِ الاَّ فيما كان منهُ تحت ستار الدين وباسم الآخرة

حقن الادوية في الاوردة

الطرق المعروفة حتى الآن التي تجتازها الادوية لتصل الى الدم خمسة وهي

اولاً طريق القناة الهضمية ولهُ مدخلان الفم والمستقيم فتجتاز الادوية المدخل الاول إما شربًا متى كانت سائلةً او ازدرادًا متى كانت جامدةً ولا تجتاز المدخل الثاني الاَّ سائلةً حقنًا ومتى انتهت الادوية الى القناة الهضمية تمتصها هذه وتدخلها الدورة الدموية

ثانيًا طريق الجلد وذلك بان يُدلك الجلد بالمراهم والسوائل الدوائية اللزجة والصبغات وما شاكلها التي تلتصق بالجلد فيمتصها

ثالثًا طريق الجهاز التنفسي الذي تجتازهُ ابخرة بعض الادوية استنشاقًا كابخرة الزئبق مثلاً في علاج الزهري

رابعًا طريق النسيج الخلوي الجلدي

خامسًا طريق العضلات

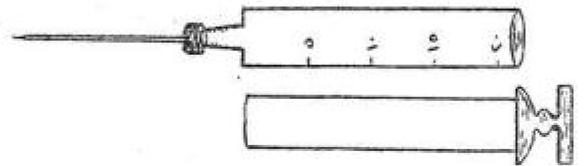
وهذان الطريقان الاخيران تجتازها الادوية سائلةً حقنًا فتمتصها الاوعية اللمفاوية التي تحت الجلد وفي العضلات وتحملها العصارة اللمفاوية الى القلب

وقد اهتدى الدكتور ابادي (Abadie) الرمدي الفرنساوي الشهير الى طريقٍ سادسٍ وهو طريق الاوردة الذي نريد الكلام عنهُ في مقالتنا هذه

فطن الدكتور ابادي منذ سنين الى امكان حقن محاليل الادوية في الاوردة غير انهُ ما زال محجمًا عن الاقدام على ذلك مترددًا خوفًا من سوء العاقبة حتى اتاهُ منذ اثني عشرة سنة مريضٌ مصابٌ بالتهابٍ قزحي زهري حادٍ يستدعي سرعة العلاج فكف عن احجامهِ وترددهِ ورأَى ان يخرج ما في حيز فكرهِ الى حيز العمل وطهَّر حقنة براقاس وحقن في الوريد القاعدي بنصف ملئها من محلولٍ معقمٍ من سيانور الزئبق بمعدل ١٠٠٠/١

فعل ذلك بيدٍ مرتجفةٍ خوفاً من عاقبةٍ وخيمةٍ غير ان المريض لم يشعر بألمٍ وقت الحقن ولم يُصَبْ بعده بعرضٍ ما يدل على انزعاجٍ او اضطراب في دورته فقوَّى ذلك عزيمة الدكتور ابادي وفي اليوم الثاني حقن المريض بنصف سنتمتر مكعب آخر من هذا المحلول وفي اليوم الثالث بدأت اعراض الالتهاب القزحي في الزوال فاستبشر الطبيب خيراً وبعد يومين عاد فحقن المريض بسنتمتر مكعب من المحلول الزئبقي اي بضعفي ما حقنهُ بهِ اولاً وما زال يحقنهُ كل يومين بهذا القدر "سنتمتر مكعب" حتى زال الالتهاب القزحي تماماً وشفي المريض

ومن ذلك الحين لم يعد الدكتور ابادي يتخذ طريقة أُخرى لعلاج الاعراض الزهرية في العين ولكنهُ لما رأَى ان لا بدَّ من تعقيم حقنة برافاس قبل استعمالها للحقن في الاوردة ثم تطهيرها بغسلها جيدًا بمحلول السليماني بعد حقن كل مريض حتى يمكن ان يحقن بها كل المرضى



المصابين بالزهري تباعاً ورأَى ان ذلك يكلف بعض العناء لما في حقنة برافاس من المواد التي لا تنظف بسهولة كقطعة الجلد التي على اسفل الاسطوانة "البستون" ومن الزوايا التي لا يصلها محلول السليماني وقت التنظيف كالتي بين انبوبة الحقنة الزجاجية والمعدن المركب على طرفيها كلف احد معامل الزجاج بان يصنع لهُ حقنةً لا يدخل في تركيبها غير الزجاج . وبعد التجارب صنع لهُ حقنةً بسيطةً سهلة التطهير والتعقيم وهي المستعملة الآن للحقن في الاوردة

وهذه الحقنة مؤلفة من قطعتين فقط كما ترى في هذا الشكل احداها انبوبة مدرَّجة سعتها سنتمتر مكعب او عشرون نقطة تنتهي عند فوهتها السفلى بضيق تركب عليهِ الابرة والثانية اسطوانة من زجاج غير مصقول الجوانب تدخل الانبوبة باحكام كلي حتى لا يبقى بينهنَّ فراغ مطلقًا بحيث انهُ متى أُدخلت في الانبوبة حتى اخرها ثم سحبت احدثت فيها فراغاً ولهذه الاسطوانة الزجاجيَّة عند اعلاها قبضة تحرك بها

فبساطة تركيب هذه الحقنة من مادةٍ واحدة وهي الزجاج وعدم وجود تعاريج في جوانبها يجعلها سهلة التنظيف الى الدرجة القصوى الامر الذي لا بدَّ منهُ للحقن في الاوردة فمتى حُقنَ بها مريضٌ يسهل ازالة الدم الذي يلوثها لانهُ لا بدَّ من دخول الدم من الوريد الى

الحقن كما سيجيء وتطيرها جيدًا بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ وذلك بان تملأ وتفرّغ ثلاثًا من ذلك المحلول

اما الابرة التي تركب على مضيق انبوبة الحقن فيلزم ان تكون من معدن البلاتين لكي لا تتلفها الحرارة لانهُ يجب احماؤها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار قبل ادخالها في الوريد

والمحلول الزئبقي الذي يحقن بهِ الدكتور ابادي مرضاهُ المصابين بالزهري مركب من

سيانور الزئبق	١ جرام
كلوريدرات الكوكايين	٢/١ "
ماء مقطَّر معقم	١٠٠ "

فيحقن من هذا المحلول كل يومين ملء حقنة كاملة اي سنتمترًا مكعبًا للكبار ونصف حقنة اي نصف سنتمتر مكعب للاحداث ويمكن الاستغناء عن كلوريدرات الكوكايين المضاف الى المحلول الزئبقي كما قال لي الدكتور ابادي الاَّ اذا اريد حقن السائل في العضلات متى تعذر الحقن في الاوردة لسبب من الاسباب فلا بدَّ من اضافتهِ لان الكوكايين يذهب الالم الذي يعقب الحقن في العضلات في بعض الاحيان

كيفية الحقنة في الوريد — تطهر اولاً الحقن الزجاجية بغسل داخلها ثلاثًا بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ ثم تملأُ بمحلول سيانور الزئبق ويغسل ذراع المريض الشمال عند مفصل المرفق حيث يظهر الوريدان القاعدي والرأسي غسلاً جيدًا اولاً بالماء والصابون ثم بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ وبعد ذلك يكلف المريض بان يضغط بيدهِ اليمنى ذراعهُ اليسرى المراد الحقن فيها فوق مفصل المرفق وبان يطوي اصابع يدهِ اليسرى بعزمٍ على راحتها ليتعذَّر سير الدم في اوردة المرفق الايسر و يظهر الوريدان القاعدي والرأسي عند طية المفصل. واذا كان المريض متُعَباً ولا يكفي الضغط بيدهِ لاظهار الوريدين لا بدَّ من ربط ذراعهِ فوق المفصل برباط ضاغط من الكاوتشوك .

وعند ما يظهر الوريدان جليًا يأخذ الطبيب الحقنة المملوءة بالسائل المراد حقنهُ وبعد ان يحمي ابرتها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار يدفع الاسطوانة قليلاً والحقنة عامودية حتى يخرج من الابرة بعض قطرات من السائل ومن ذلك فائدتان اولاً طرد فقاقيع الهواء التي تتجمع عند اعلى السائل والحقنة عمودية ثانياً تبريد الابرة بعد احمائها على اللهب ثم يضغط الطبيب بابهام يدهِ اليسرى احد الوريدين (والاوفق ان يختار الوحشي ليبتعد عن الشريان الذي تحت الوريد الانسي) تحت النقطة التي يريد ادخال ابرة الحقنة فيها وذلك ليثبت الوريد في مكانهِ فلا يزلق وقت ادخال الابرة تحت الجلد ولا يزلق الجلد عليهِ ثم يمسك الحقنة

يدهِ اليمنى لا كما يمسك المشرط او قلم الكتابة بل يجعلها افقية بين اطراف اصابعهِ الاربع السبابة والوسطى والبنصر والخنصر من اسفل والابهام من اعلى لكي يتمكن من ادخال الابرة في الوريد افقياً على قدر الامكان لانها ان دخلتهُ عمودياً فكثيراً ما تخترقهُ وتدخل في النسيج الخلوي ثم يدخل الابرة برفقٍ وتأنٍ ولكي يتحقق ان رأس الابرة اصبح داخل الوريد ولم يتعدهُ يحدث فراغاً في الحقنة وذلك بسحب العمود الزجاجي قليلاً فيدخل اذ ذاك الدم من الوريد الى الحقنة اذا كان رأس الابرة داخل الوريد واحياناً كثيرة يدخل الدم الحقنة بدون احداث فراغٍ في هذه لشدة احتقان الاوردة . واما اذا لم يدخل الدم الانبوبة بعد احداث الفراغ فيها فذلك دليل اما على ان الابرة لم تدخل الوريد البتة او انها دخلتهُ واخترقتهُ حتى تعدت فوهتها داخلهُ واذ ذاك يلزم سحب الابرة قليلاً بحيث يبقى رأسها تحت الجلد واعادة وخز الوريد واحداث الفراغ حتى يدخل الدم منهُ الى الحقنة واذ ذاك ينبه المريض الى الكف عن ضغط ذراعهِ او اذا كان على الذراع رباط ضاغط يرفع عنهُ ثم يحقن السائل ببطء ولا يلزم ان تفرغ الحقنة كلها بل يجب ان تنزع الابرة من الوريد وفي الانبوبة شيء من السائل لكي لا تدخل الوريد فقاقيع الهواء التي توجد احياناً رغماً عن كل الاحتياطات بين رأس العمود الزجاجي والسائل وبعد اخراج الابرة من الوريد يوضع عند نقطة الوخز كتلة من القطن مبلولة بمحلول السليماني و يكلف المريض بالضغط عليها بابهامهِ ثم يرفع ذراعهُ اليسرى الى الاعلى و يحرك مفصل المرفق طياً ونشراً ليسهل سير الدم في الادورة صعداً

واذا كان لا بدَّ من حقن مرضى كثيرين بحقنة واحدة يجب بعد حقن كل مريض غسل انبوبة الحقنة ثلاثاً بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ واحماء الابرة على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار لتطهرها من الدم الذي لوثها قبل ادخالها في وريد آخر . اما المريض الميسر فيمكنهُ ابتياع حقنة ليختص باستعمالها دون سواه وهي رخيصة الثمن على دقة صنعها ومتانتها

واشير على كل طبيب باتخاذ هذه الطريقة الحديثة متى كان في حاجةٍ الى علاجٍ سريعٍ فعَّال او متى تعذر عليهِ لسببٍ من الاسباب ادخال الادوية الى الجوف عن طريق الفم او المستقيم . وهذه الطريقة افضل من طريقتي الحقن تحت الجلد وفي العضلات لانها اسرع منهما فعلاً واقل الماً وهي لا تقتصر على حقن محاليل املاح الزئبق في علاج الزهري بل تشتمل كل السوائل الدوائية التي يمكن ادخالها الدورة الدموية مباشرة ولا يلزم الطبيب الاحجام خوفاً فانهُ ان اتخذ في الحقن الاحتياطات التي ذكرناها لا يلحق بالمريض ادنى ضرر . والبرهان على ذلك ان الدكتور ابادي وكل تلامذتهِ المنتشرين في جهات الارض الاربع يستعملون هذه

الطريقة العلاجية منذ اعوام طوال ولم يحدث لمرضاهم اقل انزعاج منها . وانا احقن بها اكثر من مئة مريض كل يوم في عيادة الدكتور ابادي ولم ارَ حتى الآن عرضاً مزعجاً اصاب مريضاً والغريب ان اطباء المستشفيات الكبيرة لم يفطنوا الى تعميم هذه الطريقة المفيدة الاَّ حديثاً فقد رأيت منذ ايام طبيباً خصوصياً ارسلهُ رئيس مستشفى المجاذيب لدرس هذه الطريقة في عيادة الدكتور ابادي ثم يستعملها في ذلك المستشفى . اما الحقن الزجاجية الخصوصية لحقن في الاوردة فتباع في كل مخازن العدد الجراحية ولكن اجودها يباع في مخزن موريا بباريس وهذا عنوانهُ Paul Moria 104 Brd. St. Germain

باريس الدكتور ابراهيم شدودي

الصحيح من الفراسة

دلالة الشعر — ليس الشعر من ملامح الوجه لكنهُ متصل بها ويذكرهُ اهل الفراسة لان لهُ شأناً كبيرًا في الدلالة على جمال الانسان وجنسهِ وسنهِ كما لا يخفى

رؤُوس الناس كلهم مغطاة فروتها بالشعر الاَّ ان بعضهم يصيبهم الصلع متى اكتهلوا او شاخوا ويقال ان في استراليا اقواماً متولدين بين الاستراليين والصينيين يكونون صلعاً او جلحاً من صغرهم

ويختلف لون شعر الرأس اختلافاً كبيرًا من الابيض الكتَّاني الى الاصفر الذهبي فالاشقر البني فالاسود الفاحم . وبين هذه الحدود الاربعة الوان شتى لا ضابط لها والاسود اكثرها شيوعاً فهو لون شعر المغول والملقبين سكان الصين والهند وما يليهما من البلاد شرقاً وجنوباً والزنوج سكان افريقية واستراليا وهنود اميركا سكان القارتين الشمالية والجنوبيَّة وسكان جنوبي اوربا واكثر سكان جزيرة العرب وما يليها من العراق وبلاد فارس . ويتلوهُ الاشقر وهو غالب على الشعوب الساكنة شمالي اوربا وهي من فروع الجنس الآري وعلى نسلهم في اميركا واهالي فنلندا وهم من فروع المغول

ويختلف لون الشعر عن لون العينين غالباً وباتفاقهما يُستدلُّ على صراحة النسب وباختلافهما على امتزاجهِ . فاذا كان الشعر اسود والعينان سوداوين فالابوان من شعب واحد اسود الشعر واذا كان الشعر اسود والعينان زرقاوين او الشعر اشقر والعينان سوداوين فالابوان من شعبين مختلفين احدهما اسود الشعر والعينين والثاني اشقر الشعر ازرق العينين

والاَّ فأحد اسلافهما من شعبين مختلفين

، ويظهر بالاستقراء ان شقر الشعر يقلون في الاوربيين بالتقدم من الشمال الى الجنوب وسود الشعر يزيدون كذلك بالتقدم من الشمال الى الجنوب كما ترى في هذا الجدول

	الذين شعرهم اشقر	الذين شعرهم اسود او ضارب الى السواد	بين بين
من اهالي الدنمارك	٣ في المئة	٦٨ في المئة	٢٩ في المئة
" " اسكتلندا	٣١ "	٤٥ "	٢٤ "
" " فينا	٤١ "	٣٣ "	٢٦ "
" يهود اوربا	٧٣ "	١٤ "	١٣ "
" اهالي مالطة	٧٩ "	٩ "	١٢ "

والشعوب التي لا يقتصر لون شعرها على السواد ترى اختلافاً كبيراً في الوان شعرها فاليهود وهم شعب واحد لما امتزجوا بغيرهم من الشعوب ظهر في شعرهم كل الالوان من الاسود الفاحم الى الاشقر الذهبي وقس على ذلك الفرنسويين والايطاليين والسوريين لكن الشقر في سكان الجبال اكثر منهم في سكان المدن وفي الاقاليم الشمالية اكثر منهم في الجنوبيَّة مما يدلُّ على ان لبرد الهواء علاقة ثابتة بلون الشعر وهذا الحكم يصدق ايضاً على لون البشرة ولون العينين فان بيض البشرة اكثر في الجبال وفي الاقاليم الشمالية منهم في السهول وفي الاقاليم الجنوبية . وسود العيون اكثر في المدن والاقاليم الجنوبية منهم في الجبال والاقاليم الشمالية

والاحكام المتقدمة مبنيَّة على الاحصاء والاستقراء ففي كل الف من اهالي سكسونيا مثلاً ٣٧٨ عيونهم زرق و ٣٣٤ عيونهم شهل و ٢٨٨ عيونهم سمر . ومن هؤُلاء الالف ٦٩٤ شعرهم اشقر و ٣٠٦ شعرهم اسمر اي بين الاسود والاشقر ومنهم ٩٤٠ بشرتهم بيضاء و ٦٠ بشرتهم سمراء . وكلما تقدمت جنوباً كثر سمر العيون والشعر والبشرة كما ترى من المقابلة بين الالف من اهالي سكسونيا والالف من اهالي بودابست في المجر

	لون العينين			لون الشعر		لون البشرة	
	الازرق	الاشقر	الاسمر	الاشقر	الاسمر	الابيض	الاسمر
من سكسونيا	٣٧٨	٣٣٤	٢٨٨	٦٩٤	٣٠٦	٩٤٠	٦٠
من بودابست	٢٩١	٣٩٩	٤٥٠	٥٠٩	٤٩١	٧٧٩	٢٢١

واذواق الناس مختلفة في ما يعدونهُ جميلاً او غير جميل من لون الشعر ولكنهم يكادون

يتفقون على كراهة اللون الاحمر ومحبة الاشقر الذهبي والاسود الفاحم

ويختلف طول الشعر كثيرًا فهو في الآريين والساميين طويل جدًّا حتى لقد يزيد طوله على طول الجسم . ذكر الاستاذ منيغزا انهُ يعرف امرأة حسناء من جمهورية ارجنتين شعرها اطول من جسمها عشرة سنتيمترات وانهُ رأى بنات في براغواي لو نشرنَ شعورهنَّ حول ابدانهنَّ لتغطت بها كلها لغزارتها

ولا علاقة بين غزارة الشعر وطوله ولكن بين ثخنهِ ولونهِ نسبة ما فان الشعر الاشقر اثخن في الغالب من الاسمر والاسود. وبين الصلع والجنس علاقة فانهُ كثير في الرجال ونادر في النساء

والشعر الاسود مستدير والجعد مفرطح اي اذا قطعتَ الشعر الاسود رأيت مقطعهُ دائرةً واذا قطعتَ الشعر الاجعد رأيت مقطعهُ اهليلجيًّا. وبين هذين الحدين اشكال متوسطة تقرب الى الاستدارة او الاهليلجيَّة

ويختلف ثخن شعر الراس عن ثخن شعر الوجه والبدن كما ترى في هذا الجدول

قطر شعر الطفل الرضيع	٠,٠١	من المليمتر
" الشعر الذي على شفة المرأة العليا	٠,٠٢	" "
" " " ذراع الرجل	٠,٠٣	" "
" شعر رأس المرأة	٠,٠٦	" "
" " رأس الرجل	٠,٠٨	" "
" " حاجبي الرجل	٠,١٢	" "
" " شاربيهِ	٠,٠٣	" "
" " لحيتهِ	٠,١٥	" "
" " ابطهِ	٠,١٥	" "
" هلب الخنزير	٠,٢٧	" "

ويختلف الناس كثيرًا في اهتمامهم بشعرهم ولا سيما النساء منهم وهذا الاهتمام قديم جدًّا من ايام المصريين والاشوريين الاقدمين وهو غير محصور بشعب من الشعوب ولا بعصر من العصور الاَّ ان اسلوبهُ متغير ولا سيما في هذا العصر اذ تجد المرأة الاوربية تعقص شعرها على اساليب مختلفة في النهار الواحد

واللحية والشاربان خاصة بالرجل لكنهُ في بعض الشعوب يبلغ ويكتهل من غير ان ينبت شعر لحيتهِ وشاربيهِ او ينبت لهُ شعر قليل . وقول العرب "من طالت لحيتهُ قصرت فطنتهُ" لا

دليل على صحتهِ لان اللحى تطول في احط اهالي استراليا الاصليين كما تطول في ارقى الشعوب الآرية . هذه خلاصة ما يقال في الشعر من حيث دلالتهُ على الجنس والجمال

الخيلان — شامات في الوجه تُستحسَن او تُستقبَح حسب موضعها وكونها مفردة او متعددة وكثيرًا ما تزدان صفحة الخد بالخال لانهُ يظهر بياضها وحمرتها و بضدها تتبيَّن الالوان حتى ان بعض النساء يضعن على وجناتهنَّ دوائر سودًا تبين كالخيلان اظهارًا لروائهنَّ . وقد افاض اهل الفراسة في دلالة الخال على الاخلاق بما لا طائل تحتهُ

الغضون — تظهر الغضون في الوجه والجبين إما من الشيخوخة او من تكرار الانقباض العضلي او من الهزال وقلة التغذية . واسبابها طبيعيَّة فيمكن البحث فيها علميًّا وهي غير خاصةً بالوجه والجبين بل تكون في كل اعضاء الجسم . واهمها بالذكر ما يأتي

(١) غضون الجبين العرضية اي الممتدة من صدغ الى صدغ وقلما يخلو منها جبين رجل جاز الاربعين وتكون ايضًا في جباه الاولاد اذا كانوا مصابين بالسل او البله او لين العظام

(٢) غضون الجبين العمودية اي الممتدَّة من الاعلى الى الاسفل وهي تظهر باكرًا في الرجال الذين يشتغلون الاشغال العقلية وتظهر فيهم كلهم اذا تقدموا في السن

(٣) الغضون المقوسة والمتقاطعة وتكون في وسط الجبين من اسفلهِ واذا ظهرت في الحداثة دلَّت على زيادة الالم البدني او الادبي

(٤) غضون اللحاظ وهي تنتشر من عند لحاظ العين في السنة الاربعين من العمر وما بعدها

(٥) غضون الانف العرضية او العمودية وهي تظهر وقت البلوغ او وقت الشيخوخة

والغضون تظهر في الرجال قبل النساء وهي اشد غورًا في العصبي المزاج منها في غيرهم وفي الذين انتابتهم الامراض او نحفت ابدانهم بعد سمنها فاذا سمن الانسان حينما يتقدم في السن فالغالب ان الغضون لا تظهر فيهِ حينئذٍ

هذه زبدة ما تدلُّ عليهِ ملامح الوجه المذكورة في هذا الجزء والذي قبلهُ من حيث شكلها ولونها اي انها تدلُّ على جنس صاحبها وسنهِ والشعب الذي هو منهُ ويُعَدُّ بها جميلًا او غير جميل حسبما اصطلح عليهِ الناس . ولكن لها دلالات أُخرى بحركاتها وسكناتها تُعبّر عما يخالج الضمير من راحة او تعب وحب او بغض وسرور او غيظ ونحو ذلك كما يعبر اللسان عن هذه الامور حتى يصحُّ ان نقول ان للملامح لغة تنطق بها نطقًا تراهُ العين ولو لم تسمعهُ الاذن ويرى منها شديدو الفراسة اكثر مما يرى غيرهم حتى انهم يقرأُون افكار صاحبها من النظر الى وجههِ وقد يظنون ان الملامح نفسها اي هيئتها التكوينية هي التي دلتهم على اخلاق صاحبها والحقيقة

انهم استدلوا بحركاتها ولو كانت طفيفة جدًّا لا بشكلها ولا بلونها الأ اذا كان هذا الشكل وهذا اللون ملازمين لطائفة من الناس ولها اخلاق خاصة بها او اذا تكررت حركتها على اسلوب واحد حتى ابقت لها اثرًا فيها . وسنأتي على تفصيل ذلك كلهِ في الاجزاء التالية

اصلاح نسل الانسان

لو كان موضوع هذه المقالة اصلاح نسل الحيوان كالخيل والغنم والبقر لاهتمَّ اهل الزراعة بها وقرأوها بالامعان الذي تستحقهُ . ولكن اصلاح نسل الانسان وعليهِ يتوقف ارتقاء الامم وتفوقها على غيرها يراه جمهور كبير من القراء امرًا ادًّا لا يجوز البحث فيهِ ولا تحلُّ الكتابة عنهُ . ولو زار الارض احد سكان الكواكب واخبرتهُ ان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل الغنم والبقر ولا تهتمون باصلاح نسل البشر لظنك تمزح او تهذي ولكن هذا هو الواقع ولولا الميل الفطري الى الارتقاء والحث الديني على العفة لكان نوع الانسان احط من انواع كثيرة من الحيوان

للاوربيين ولا سيما الانكليز منهم اسلوب حسن جدًّا لتخليد ذكر العلماء ونشر الحقائق العلمية بين العامة منهم وهو جمع مال يُعطى ريعهُ لمن يُنتدب لخطبة علمية يتلوها تذكارًا للعالم الذي يراد تخليد ذكرهِ . ومن هذه الخطب الخطبة التي تُتلى على ذكر الاستاذ هكسلي وقد دُعي للاولى منها الاستاذ فركو الالماني ونشرناها في حينها ودعي للثانية الدكتور فرنسيس غولتن العالم الانكليزي صاحب المباحث المستفيضة في الوراثة وآثار الانامل فخطب في التاسع والعشرين من الشهر الماضي (اكتوبر) خطبة موضوعها امكان اصلاح نسل الانسان في الاحوال الحاضرة . ويستفاد مما قالهُ في هذا الصدد ان اخلاق الناس تختلف كثيرًا ولكنها تجري في قوتها وضعفها وشيوعها وانحصارها على قانون حسابي يسمى قانون التغلُّب ومفاد هذا القانون انهُ اذا اتصف مئة نفس بخلق من الاخلاق فيكون هذا الخلق على متوسطهِ في خمسين منهم . والخمسون الباقون نصفهم فوق هذا المتوسط ونصفهم تحتهُ . واذا قسم الخمسة والعشرون الذين فوق المتوسط الى ثلاث طبقات كان ١٦ منهم في الطبقة التي تلي الوسط و ٧ في الطبقة التي فوقها و ٢ في الطبقة العليا وكذا الخمسة والعشرون الذين تحت الوسط يكون ١٦ منهم في البطقة التي تليهِ و ٧ في الطبقة التي تحتها و ٢ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل خلق من الاخلاق لا يزيدون على اثنين في المئة والمنحطون الى الدرك الاسفل فيهِ لا يزيدون على اثنين

في المئة ايضاً واكثر الناس من المتوسطين في ذلك الخلق

واذا توسعنا في الاحصاء ونظرنا في عشرة آلاف نفس لا في مئة فقط رأينا خمسة آلاف منهم في الطبقة الوسطى و ٢٥٠٠ في الطبقات التي فوقها و ٢٥٠٠ في الطبقات التي تحتها. ومن اهل الطبقات التي فوق الوسط ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في الطبقة التي فوقها و ١٨٠ في التي فوق هذه و ٣٥ في الطبقة العليا . وكذلك يكون الامر في الطبقات السفلى اي يكون ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في التي تحتها و ١٨٠ في التي تحت هذه و ٣٥ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل امر من الامور يبلغون نحو ٣ في الالف والمنحطون فيهِ انحطاطاً تاماً يبلغون ايضاً نحو ثلاثة في الالف وبقية الناس بين بين واكثرهم في الطبقة الوسطى

هذا يكون حال الناس اذا تُركوا يتوالدون من غير اعتناء خاصّ باصلاح نسلهم اي من غير ان يُغرى المرتقون منهم بالزواج وإخلاف النسل و يُعتنى باولادهم اعتناء خاصاً لحفظ صحتهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم ومن غير ان يمنع المنحطّون عن الزواج لكي يقل عددهم وينقرض نسلهم رويداً رويداً . واما اذا بُذلت العناية في ما تقدَّم من اغراء المرتقين بالزواج ومنع المنحطين عنهُ فلا بدَّ من ان تتغيَّر النسبة المذكورة آنفاً ويكثر عدد اهل المناقب ويقل عدد اهل المعايب

واذا قدِّر ثمن الاولاد بما تستفيده منهم بلادهم وامَّتهم كما يقدَّر ثمن نتاج الخيل بما يستفيده منها اصحابها وساوى طفل الابوين اللذين من الطبقة الدنيا عشرة دنانير فطفل الابوين اللذين من الطبقة العليا يساوي الف دينار او عشرة آلاف دينار كما يباع مهر المجين بخمسة دنانير ومهر الاصيل بخمسة آلاف

وهذا الحكم لا يقتصر على الرجال بل يتناول النساء ايضاً فاذا قُصِر الانتقاء على الرجال وعلى الطبقة العليا منهم وابيح لهم التزوج بمن يشاؤُون من بنات الطبقة العليا وغيرها من الطبقات التي تحتها من غير انتقاء وقسمنا مئة من نسلهم الى ثماني طبقات وجدنا في الطبقة العليا منها نحو ٤ انفس وفي الطبقة الثانية وفي التي تحتها نحو ١٠ وفي الثالثة نحو ٢١ وفي الرابعة نحو ٢٧ وفي الخامسة نحو ٢٣ وفي السادسة نحو ١٠ وفي السابعة نحو ٣ وفي الثامنة نحو ١ . واما اذا تناول الانتقاء الرجال والنساء ايضاً فتزوَّج رجال الطبقة العليا بنساء الطبقة العليا فقط جاء اولادهم من الطبقات الخمس الاول فقط لا من التي دونها . اي ان الاخلاق الموروثة في الوالدين تفعل بالنسل ولكنها لا تعيده الى الطبقات الدنيا فيكون في الطبقة العليا نحو

١٨ نفساً وفي الثانية ٢٩ وفي الثالثة ٢٩ ايضاً وفي الرابعة ١٥ وفي الخامسة ٩ انفس ولا يكون احد من اولادهم في الطبقة السادسة والسابعة والثامنة

فاذا ثبت ذلك وامتنع الذين من الطبقات الدنيا عن التزوج وإخلاف النسل زاد عدد الذين من الطبقات العليا رويداً رويداً وارتقت بهم الامم ونجت من متاعب كثيرة اذ يقل فيها الاشرار والبهال ويكثر الفضلاء والمجتهدون

الا ان المنع ليس مما يسهل امره' فلم يشر به الخطيب بل اشار بترغيب الفضلاء والفاضلات في الزواج واخلاف النسل وذلك بان ينتبه رؤساء المدارس للنابغين من طلبة العلم وطالباته الذين يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية والادبية والهمة والنشاط ويبحثوا عن اصلهم وفصلهم وما في اسلافهم من الادواء والاميال وكثرة الولد او قلته حتى اذا رأوهم من اصح الناس بنية واجودهم صحة واذكاهم عقلاً واكرمهم اخلاقاً اعطوهم شهادات ناطقة بذلك فيكون لهم الامتياز على غيرهم في الزواج

وما يرى في الاحداث من الاخلاق قد لا ينمو فيهم بتقدمهم في السن وقد تظهر فيهم اخلاق فاضلة متى اكتهلوا لا تكون فيهم في حداثتهم ولم يبحث احد حتى الآن عن نسبة الاحداث الى الكهول من حيث نمو الاخلاق ليعلم كم عدد الذين تستمر اخلاقهم الفاضلة على النمو وكم عدد الذين تزيد فيهم هذه الاخلاق او تنقص ولكن مهما يكن من ذلك فلا شبهة في ان ترغيب خيرة الناس في الزواج واخلاف النسل يفضي الى اصلاح الامة بتكثير الاخيار فيها كما ان منع الاشرار والكسالى عن التزوج يفضي الى اصلاحها بتقليل الاشرار والبهال

ومن الوسائل التي اشار بها الخطيب لترغيب الاخيار في الزواج اعطاء الاموال صداقاً لاهل الفاقة منهم وإسكانهم في بيوت جامعة شروط الصحة واكرام الذين لا يحتاجون الى المال منهم بالرتب ونحوها مما تُظهر به البلاد اكرامها لابنائها وبث التعاليم الدينية في نفوسهم لكي تزيد عفتهم ويقوى تمسكهم بالفضائل .وقدجرى الناس في كثير من البلدان المتمدنة على تأخير الزواج من باب اقتصادي لكثرة النفقات التي ينفقونها فيه وعلى اولادهم ولكن يمكن تغيير ذلك وتقليل النفقات كثيراً فلا يعود الزواج الباكر من البواهظ بل يصير من المعونات

وقد جرت البنات الاوربيات والاميركيات المتعلمات على تأخير الزواج الى السنة الثامنة والعشرين او التاسعة والعشرين من عمرهن لكي يتفرغن للدرس في المدارس العالية ومناظرة الرجال في العلوم والفنون . وعدل بعضهن عن الزواج مطلقاً واخترن العزوبة عليه لكي يخلصن من هموم البيت والاولاد . سئلت ناظرة مدرسة عالية عما يستفيده' بنات مدرستها من العلوم

بعد خروجهنَّ منها فقالت ان ثلثهنَّ يستفيد من علومهِ فائدة كبيرة وثلثهنَّ يستفيد فائدة صغيرة واما الثلث الثالث فلا يستفيد شيئاً . فقيل لها وماذا يفعل اللواتي لا يستفدن فقالت انهنَّ يتزوجنَ . وعلى هذا المنوال قلَّ عدد الراغبات في الزواج بين النابغات في العلوم

ومن رأي الخطيب انهُ اذا تزوَّج البنات باكرًا في السنة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين كان نسلهنَّ اكثر مما لو تزوجن في الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين لان العقم يحدث في سن معلوم فالتي تبكّر في زواجها تلد اكثر من التي تؤخرهُ . فاذا روعيت هذه القاعدة وأُصلحت المساكن حتى قلَّت الامراض شبَّ الاولاد اقوياء الابدان والعقول وتناسل منهم اولاد اقوياء ايضاً فتقوى بهم الامَّة و يعظم شأنها . وتدرَّج الخطيب من هذه القضايا النظرية الى قضيَّة عملية فقال ان الشعب الانكليزي ينفق كل سنة على اعمال البرا كثر من اربعة عشر مليون جنيه تذهب كلها صدقات للمساكين أفليس عندنا سبل أُخرى لمساعدة ابناء الامَّة غير هذا السبيل . اني لا اشير الى الانفاق على تعليم الشبان مع اني أرى نفسي مدفوعاً الى ذلك لما فيهِ من النفع الكبير ولكني اشير الى ما يفعلهُ بعض الاغنياء المحسنين من مد يد المساعدة الى الشبان وهم في اول عمرهم ليسهل عليهم الارتقاء . ان من يقرأُ ترجمات المشاهير يعجب من كثرة الرجال الذين ارتقوا بقليل من المساعدة وهم في اول اعمالهم . ولا اعني بهذه المساعدة ان يعتمد الشاب الفقير على الرجل الغني وتكون العلاقة بينهما علاقة المحسِن الى المحسَن اليهِ بل ان يمدَّ الغنيُّ يد المساعدة الى شاب يماثلهُ عقلاً وهمَّة ولكن لم يمضِ عليهِ زمن كافٍ لجمع الثروة مثلهُ فيكون بينهما نوع من المشاركة يفتخر بهِ كلٌّ منهما الغنيُّ يقول اني اعنتُ شابًا يستحق المعونة والشاب يقول اني استعنت برجل كريم لكي ارتقي في الاعمال واصير قادرًا على اعانة غيري . اي تكون بينهما نسبة شريفة نسبة الشريك الى شريكهِ لا نسبة مهينة نسبة المحسِن الى المحسَن اليهِ

ولا تقتصر المساعدة على الفتيان بل تتناول الفتيات ايضاً كأَن يتكرَّم المحسنون بالمال على البنات القليلات الثروة اللواتي ينتظر منهنَّ النسل المرتقي حتى يسهل عليهن التزوُّج وتربية الاولاد و يساعدن في تربية اولادهنَّ ايضاً

وابواب المساعدة واسعة لدى كبار الملاَّك وما ينفقونهُ في سبيلها رأس مال يعود عليهم بالربح الوافر فانهم اذا اختاروا اقوياء الابدان اصحاء العقول ودفعوا اليهم الاجور العالية وبنوا لهم البيوت الصحية وساعدوهم في معيشتهم زادوا صحة وهمَّة فاحسنوا خدمة املاكهم والاعتناء بها . وكيف يغفلون ذلك وهم لا يغفلونهُ في تربية مواشيهم بل يبتاعون الجيد القوي منها باغلى

الاثمان ويحسنون لهُ المأوى والعلف والخدمة فيعود ذلك عليهم بالفائدة الكبيرة

ومتى اختار الملاك اصحاء الابدان والعقول وجادوا عليهم بالاجور واسكنوهم البيوت الصحيَّة ونظروا اليهم نظر الشريك الى شريكهِ لا نظر المحسن الى المحسن اليهِ نشأ عندهم رجال يعتمدون على انفسهم ويُعتَمَد عليهم وقد ينبغ منهم اناس يرتقي بهم شأن الامَّة كلها

وختم الخطيب كلامهُ بقولهِ ان اصلاح نسل الانسان من الممكنات وان مَن يسعى في هذا السبيل فسعيهُ حميد مشكور . وهذا العمل كبير شاق ولكن غايتهُ تستحق ان يتعب لها الناس ويبذلوا الوسع في الوصول اليها . وما نيلها بالامر الممتنع لانها خاضعة لناموس الوراثة وهو على عظم شأنهِ خاضع لعقل الانسان اذا عرف ان يستخدمهُ وينتفع بهِ . وما من امَّة احوج من الامَّة الانكليزية الى اصلاح النسل لاننا انتشرنا في اقطار المسكونة وعلينا يتوقف مستقبل الملايين الكثيرة من نوع الانسان

حسناء القرية

للكاتب الاميركي واشنتون ارفنغ

كنت اطوف في داخليَّة بلاد الانكليز اروّح الخاطر والنفس من عناء الاعمال ومشاغل الاشغال ففي عصر ذات يوم القيت عصا الترحال في قرية خلعت عليها الطبيعة رداء من السكينة والعزلة والبست سكانها ثوبًا من البساطة يندر وجودهُ في القرى الواقعة على السبل العامَّة والطرق المطروقة فاتيت فندق القرية حيث تناولت شيئًا من الطعام ثم خرجت امتع الطرف بمحاسن تلك المناظر . ولم أسر طويلاً حتى بلغت الكنيسة وقد قامت بمعزل عن البيوت فاذا بها قديمة العهد تحف برجها بالمعرشات الأ اجزاء منهُ اطلَّت فوق الخضرة وقد سوَّدها تقادم العهد وكرور الزمان . وكان اول النهار ماطرًا والجوّ لا يزال محجوبًا بالغيوم المكفهرة الأ رقعة منهُ في الغرب انفرجت عنها السحب فاندفعت اشعة الشمس وراءها واضاءت اوراق الاشجار الدامعة وابتسم بها وجه الطبيعة ابتسام السكينة والهدوّ وكأن الشمس قبل الغروب تقيٌّ بارٌّ يكاد يفارق الحياة وهو يبسم على هموم العالم واحزانهِ وكأن سكينة انحلالهِ دليل على انهُ سيقوم الى المجد العتيد

فاخترت حجرًا كبيرًا جلست عليهِ وغرقت في بحر التأملات كما يفعل من كان في مثل تلك الساعة والاحوال واخذت افكر في ما مضى من العمر وما تخلَّلهُ من الحوادث وتذكرت

اصدقاء الشباب ومن منهم فارق الحياة او غادر البلاد الى آخر . يخطر للمرء من هذه التأملات التي هي احلى من السرور والذّ منهُ . وكان جرس الكنيسة في خلال ذلك يقرع قرعات متقطعة جاءت مكملة لما كنت فيهِ ثم افقت من ذهولي وفطنت الى ان الجرس انما يقرع قرعات الحزن وانهُ ينعي انتقال ساكن جديد من اهل القبور اليها

وما عتمت ان رأيت جنازة عابرة المرج ثم غابت في منعطف وكانت تظهر مرة ثم تختفي وراء السياجات وثغورها حتى مرَّت بي فاذا بساط الرحمة تحملهُ فتيات اتشحن بالبياض وامامهن عذراء تكاد تكون في السابعة عشرة تحمل اكليلاً من الازهار الناصعة البياض اشارة الى ان الفقيدة فتاة عذراء ووراء النعش والدا الميتة وهما شيخان وقورا المنظر تدل هيئتهما على انهما من الفلاحين ذوي اليسار ولحظت ان الاب يحاول اخفاء حزنهِ لكن شخوص عينيهِ وتعقد حاجبيهِ وتغضن وجههِ جميعها دلَّت على ما كان يختلج في صدرهِ اما الام فكانت مستندة الى ذراعهِ وقد كاد صدرها ينشق بما انفجر فيهِ من حزنها — حزن الوالدة الثكلى . فتبعت الجنازة الى الكنيسة ورايتهم يضعون النعش في وسطها وقد علقوا اكليل الازهار وقفازًا ابيض فوق مقعد الفقيدة حيث كانت تجلس في حياتها لاستماع الصلاة

وكلنا يعلم ما تنبههُ فينا صلاة الجنازة من الخشوع والوقار اذ ليس بين البشر من لم يسر وراء احد اعزائهِ الى القبر على ان وقعها يزداد في النفس اذا تليت فوق بقايا الطهارة الذابلة في مقتبل العمر . ولمَّا لفظ الكاهن هذه العبارة المألوفة " من التراب والى التراب تعود " انهمرت الدموع من عيون تربات الفقيدة واجتهد الاب في منازعة حزنهِ كأنهُ يتعزى بان الموتى الذين يموتون في الربّ مغبوطون لكنّ الامّ كانت ترى في ابنتها زهرة قصفت قبل اوانها وذبلت في اشدّ حلاوتها فكانت كراحيل " تبكي على اولادها ولا تريد ان تتعزّى "

ولمَّا عدت الى الفندق حدثني بعض من لقيت فيهِ بحديث الفتاة وها انا اوردهُ على بساطتهِ كما رواهُ محدثي ولا يبعد ان تكون هذه القصة واحدة من مئات مثلها

ولدت هذه الحسناء من والدين ذاقا لذة النعمة وجرعها الدهر مرارة الخسارة فربيت وحيدة تربية السذاجة القروية وتلمذت لراعي كنيسة القرية فكانت الحَمَل المحبوب في قطيعهِ وتعهد ذلك الرجل الصالح تهذيبها بمحبة واهتمام ابوين قاصدًا ان يربيها لتصير حلية لمقامها الذي وجدت فيهِ لا لان تطمع في ما فوقهُ من مراتب الحياة فاختار لها من الدروس ما ظنهُ يفي بهذه الغاية . وتعلقت نفس والديها بها فكانت تفعل ما تشاء معفاة من جميع الاعمال البيتية العادية فولَّد ذلك فيها دلالاً ورقة طبع ودماثة اخلاق جانست ما بها من لطف القوام وبهاء

الطلعة وجمال الوجه حتى ان الناظر اليها يخالها زهرة من ازهار البساتين افرخت اتفاقاً بين نباتات الحقول . وكانت ترباتها يعترفن لها بالميزة عليهنَّ في الجمال والدلال لا عن حسد او غيرة لان لطفها وعطفها وحنوها فاقت جمالها واكسبتها حبَّ الجميع

ولما كانت القرية بمعزل عمَّا حولها من البلدان ابقى اهلها على بعض التقاليد والعادات الانكليزية القديمة فكانوا يحافظون على الاعياد لا سيما نيروز مايو . والفوا في راعي كنيستهم منشطاً لهم فقد كان الرجل كلفاً بالعادات القديمة يعتقد ان من واجبات المرء زيادة افراح الحياة وتشديد اواخي السلام بين الناس فكانوا يحتفلون برعايتهِ بنيروز مايو هذا سنة فسنة فينصبون العمود ويكللونهُ بالخضرة والازهار ويزينونهُ بالرايات ثم ينتخبون ملكة النيروز من فتياتهم فترأس الحفلة وتوزع الجوائز والهدايا كما كانوا يفعلون في العصور القديمة فكانت تلك الحفلات وجمال القرية الطبيعي داعية لجذب الزوَّار والمتفرجين اليها من الجوار . وحدث ان ضابطاً فتًى كانت فرقتهُ معسكرة في تلك الناحية زار القرية ابَّان النيروز فراقهُ ما فيهِ من البساطة والرونق وسلبت لبَّهُ ملكة مايو بجمالها ولطفها (وهي حسناء القرية) وقد كلَّلوها بالازهار واتار وجهها الابتسام العذب والحياء الطاهر وتورَّدت وجنتاها ابتهاجاً وحبوراً . ولما كانت عادات المكان بسيطة استطاع الضابط ان يتعرفها ولم يمضِ ردحٌ من الزمان حتى اكتسب صداقتها وميلها اليهِ وهو يتودَّد اليها ويبدي انعطافهُ لها كما يفعل كثيرون من الضباط الشبان فيعبثون بسذاجة القرويَّات وقلوبهنَّ

لكنهُ لم يفاتحها امر الحبّ ولا اتى على ذكرهِ وانما هنالك من الطرق للافصاح عنهُ ما هو ابلغ من الكلام واسرع منهُ بلوغاً الى القلب واشد وقعاً فيهِ فاتقاد العينين ورنَّة الصوت والرقَّة التي تنبعث من كل لفظة ونظرة وحركة — هذه صور بلاغة الحبّ يشعر بها الواحد ويدركها لكنهُ يعجز عن وصفها . فلا بدع اذاً ان الفتى اكتسب قلباً خليًّا طاهراً يفيض بالعواطف . اما الفتاة فاحبتهُ وهي لا تفقهُ ما الحب ولم تقف لتسأل نفسها عن ذلك الشعور الذي انبثق في فؤادها فشغلها عن سائر الخواطر والعواطف ولم تتردَّد في النظر في عواقبهِ فاكتفت بالحاضر ولم تنظر الى المستقبل فاذا حضر حبيبها صارت كلها آذاناً وعيوناً لسماع كلامهِ والتملي من مرآهُ واذا غاب عنها عادت تتأمل فيما حدث لها في اجتماعهما الاخير وكانا يقضيان زمان اللقاء يتماشيان في الحقول والهضاب المجاورة بين الخضرة والاشجار فعلَّمها ان ترى في الطبيعة حولها جمالاً جديداً لم تكن تراهُ وحدها وهو يطرفها بالاخبار والنكات بالكلام المسبوك كلام اهل الطبقة العليا من الناس فكان كمن يتنفس في أُذنيها انفاس التخيل والشعر والحرية

وكان انعطاف هذه الفتاة اليهِ كاظهر ما يكون عليهِ الحبّ وقد يحدث ان جمال منظرهِ وبهاء بزتهِ العسكرية خلبا لبها لاول وهلة وانما الذي أسر فؤَادها مبلغهُ من التربية والمعرفة والتعليم فكان حبها لهُ يقرب من العبادة فنبَّه فيها اجتماعه بها رقَّة عواطفها واستعدادها الفطري للتخيل الشعري فاستيقظت فيها تلك العواطف للشعور بالجمال والرفعة والعظمة ولم تحفل بالبون الشاسع بينهما في المقام والغنى وانما الذي وقع في نفسها ورفع قدره في عينيها مقارنة ما شاهدتهُ فيهِ من قوَّة العقل وكمال آداب المخالطة والمعاشرة والسلوك وما اعتادتهُ من سذاجة العيشة القروية فكانت تصغي لاحاديثهِ باذنين مسحورتين وقد اغضت عينيها حياء وابتهاجاً وتورَّد خداها فاذا التفت اليهِ التفاتة الظبي النفور على سبيل الاعجاب بهِ عادت فاستردَّت لحظتها وهي تتنهد وقد صبغ وجهها الحياء شعوراً منها بتقصيرها عنهُ

وكان الفتى يهواها بقدر ما تهواه على ان حبهُ لها لم يكن خالصاً من الشوائب فانهُ طالما سمع اخوانهُ الضباط يتفاخرون باخبار حبهم لبنات القرى ووقائعهم معهنّ فرأى ان يحذو حذوهم صوناً لصيتهِ بينهم على ان ملاهي العالم وملذاتهِ لم تكن قد بردّت فؤَادهُ ولا ملأتهُ بعد بمحبة الذات فلم تكد جذوة الحبّ تمسهُ حتى اتقد جميعهُ وقبل ان يدري الفتى شيئاً عن حالهِ اذا هو يهوى فلما ادرك الحقيقة حار في امرهِ لعلمهِ ان امامهُ من الموانع ما يمنع اقترانهُ بالفتاة التي احبها فمقامهُ في الهيئة الاجتماعية وتعصب انسبائهِ من الاشراف وكونهُ عالة على والدٍ متكبر صعب المراس جميع هذه وقفت حائلاً دون اقترانهِ بالقروية ولكنّ سذاجة الفتاة وثقتها بهِ واخلاصها لهُ وطهارتها وسلامة حياتها من الشوائب ورقة لحظاتها الممزوجة بالحشمة تغلبت على افكارهِ السيئة. وسدًى حاول ان يشدّد قلبهُ بتذكار ما سمعهُ من اخبار الاشراف وقلة شفقتهم ليبرّد ما فيهِ من شريف العواطف الكريمة فلم يستطع فكان اذا اجتمع بالفتاة الفاها محجبة بطلسم تلك الطهارة العذراوية السرّية — ذلك الجوّ المقدس حيث تنهزم الافكار السيئة

وحدث في ذلك الحين ان الاوامر صدرت لفرقتهِ بالسفر الى اوروبا فتمّ بهِ اضطراب افكارهِ وظلّ بضعة ايام في قلقٍ عنيف مستمرّ فاخفى الخبر عن الفتاة الى ان دنا يوم السفر فاطلعها عليهِ اما هي فلم يكن الفراق قد خطر ببالها ففاجأ نبأه حلم سعادتها فقطعهُ ورأت فيهِ خسارةً لا تعوّض فبكت بكاء الاطفال بكاء صادراً من قلب نقي حزين فتأثر الفتى جداً فاخذ يعزيها و يطيب خاطرها ويقبل دموع الحزن من عينيها وهي لا تصدهُ لان هنالك من الساعات ما يختلط فيهِ الحزن ورقة القلب فيقدسان ملاطفة الحبّ . وكان الفتى بعدُ في حدة الشباب فلما رأى تلك الحسناء تذرف الدمع وقد القت اتكالها عليهِ وخشي ان يخسرها الى

الابد تغلبت عواطفهُ على عقلهِ فعرض عليها ان تترك والديها وتصير رفيقة عمرهِ . وكان حديث العهد في فنّ الاغواء فتمتم هذه الكلمات وقد صبغ الدم وجههُ اما الفتاة فلم تفقه مغزى قولهِ ولم تدرك سبباً لمغادرة قريتها وبيت ابيها لكنها لم تلبث ان فطنت الى قصدهِ واندفع ذلك الخاطر في نفسها كالبرق اللامع فاحرقها ونشف عينيها فارتدت مذعورة الى الوراء كمن انتصبت امامهُ افعى ثم نظرت اليهِ نظرة نفذت الى قلبهِ ولم تفه ببنت شفة بل ضمت يديها وهربت — كمن يطلب النجاة — الى بيت ابيها وعاد الضابط خجلاً تائباً ولا يعلم ما ثار في صدرهِ من الحرب التي اثارتها هواجسهُ واضطرابهُ على ان اهتمامهُ بالسفر واستعدادهُ لمبارحة تلك الديار صرفا افكارهُ في وجهة اخرى وتلا ذلك تنقلهُ في بلدان ومناظر جديدة وملذات جمة بين الرفاق والاصدقاء فاسكت هذا التنقل والتبديل صوت توبيخ ضميرهِ وتقريعهِ وخنق عواطفهُ الكريمة لكنهُ ظلَّ في وسط المعارك وفي المعسكرات والولائم تسبح افكارهُ وتعود الى تلك القرية البديعة فيتذكر الكوخ الابيض والطريق المكسوَّ بالخضرة على ضفة النهر الفضي ويتصور تلك القروية الحسناء مستندة الى ذراعهِ تصغي الى حديثهِ وقد اتقدت عيناها بالحب الخفي

وكانت الضربة التي حلَّت بالفتاة فهدمت عالم خيالها قاسية شديدة فنبئت بالاغواء والصرع وعقب ذلك ما نحوليًّا مستمرَّة — نظرت في صباح غد ذلك اليوم المشوم الى الجنود وقد اصطفوا ينتظرون الامر بالمسير ثم رأت حبيبها الخائن راكباً ركوب الظافر يجري بهِ الجواد بين نفخ الزمور وقرع الطبول وبريق الاسلحة — نظرت اليهِ آخر نظرة وقد انعكس نور الشمس عن حلتهِ وعدتهِ وحرَّك النسيم ريش خوذتهِ الى ان غاب عن عينيها فكان كرؤيا لامعة مرَّت بها وخلفت وراءها ظلاماً دامساً

ولا اسهب في قصر حكايتها بعد ذلك فانها كسائر اخبار الحبّ العقيم فصارت تطلب الخلوة وتقضي اوقاتها في التجوال حيث كانت تمشي وحبيبها قبل فراقهما وهي كالغزال المجروح تبغي البكاء والانفراد مفكرة في السهم الذي راشهُ الحزن ورماهُ في فؤادها وكانت تختار احياناً الجلوس في العشية امام كنيسة القرية وكثيراً ما سمعتها الحلاَّبات وهنَّ عائدات في المساء تغني اغاني شجية ماشيةً على مهل في اظلال الاشجار وزادت تديناً وتقوى وتعلقاً بالتعزية الالهية حتى اذا ما رآها الشيوخ والعجائز مقبلة الى الكنيسة نحيلة صفراء وعلى وجنتيها بقعتان حمراوان وقد اتشحت بوشاح الحزن المقدَّس فتحوا لها طريقاً بينهم كما لبعض اهل عالم الارواح وهزوا رؤوسهم كمن يرى العاقبة غير بعيدة

وعلمت انها سائرة في طريق القبر لكنها اعدَّتهُ مكاناً لراحتها بعد ان انقطع الوتر الفضي

الذي كان يربطها بالحياة و بعد ان لم تعد ترى سروراً في ما تحت الشمس ولم يطل زمان غيظها من حبيبها اذ لم يكن الغيظ من طبيعتها فلما اشرفت على الانحلال خطّت كتاب وداع اليهِ حشوهُ البساطة في عبارات تمسُّ اعماق القلوب فاخبرتهُ انها على حافة القبر وان سلوكهُ معها اذبل حياتها ثم وصفت ما قاستهُ من صنوف العذاب الى ان قالت "ولكني لا استطيع ان اموت بسلام ما لم ابعث اليك بغفراني وبركتي"

واخذت القوة تفارقها تدريجاً حتى لم تعد تستطيع الخروج من البيت فكانوا يجلسونها على كرسي تجاه النافذة و يحيطونها بالوسائد فتقضي النهار تتأمل ما امامها من المناظر لا تنبس بشكوى ولا تنمّ بما ينخر فؤادها من الداء المستعصي ولا تفوه باسم حبيبها لكنها كانت احياناً تسند رأسها الى صدر والدتها وتذرف الدمع السخين صامتةً . واقام والداها التعيسان على الاعتناء بزهرة آمالها الذابلة وهما يعلّلان النفس بانها تعود الى سابق نضارتها حاسبين ان تلك الحمرة التي كانت تصبغ وجنتيها بعض المرّات بشير الصحة والعافية

وفي عشية بعض الآحاد جلست بينهما ويداها في ايديهما والنسيم البليل يدخل البيت من النافذة حاملاً انفاس الازهار التي غرستها بيديها وعرشتها حول النافذة وكان والدها يقرأ لها فصلاً من التوراة يصف بطلان الامور العالمية وسرعة زوالها و يشير الى افراح السماء فاكسبها ما سمعتهُ راحة وسكينةً وكانت عيناها متجهتين الى كنيسة القرية والجرس يقرع صلاة المساء وقد سكنت الطبيعة سكوناً مقدساً خاصاً بيوم الراحة وابواها ينظران الى وجهها و يتأملانهِ بقلوب تكاد تنفطر لان المرض والحزن اللذين يسلبان الوجوه من جمالها اكسبا وجه هذه الفتاة هيئة الملائكة — حينئذٍ انحدرت دمعة من عينها الزرقاء — أفكانت تفكر في حبيبها الخائن او اتجهت افكارها الى القبر حيث علمت ان جسدها سيرقد الى الابد

و بينما هم كذلك اذا صوت وقع حوافر ثم اندفع فارس نحو البيت فترجّل تحت النافذة وللحال صاحت الفتاة وأُغمي عليها فانهُ كان حبيبها التائب فاسرع الى الغرفة وتقدَّم يريد ان يضمها الى صدرهِ لكنَّ نحول جسمها وشحوب وجهها الجميل نفذا الى اعماق قلبهِ فانطرح عند قدميها كالمجنون وافاقت الفتاة والتمست الوقوف فلم تستطعهُ ثم حاولت ان تمدَّ يدها وفتحت شفتيها كمن يريد النطق ولكن ابى اللسان ان يطيعها فحدقت بحبيبها وعلى فمها ابتسامة حلوة مملوءة بالانعطافات ثم اطبقت عينيها — الى الابد

خليل ثابت

مدينة الخرطوم

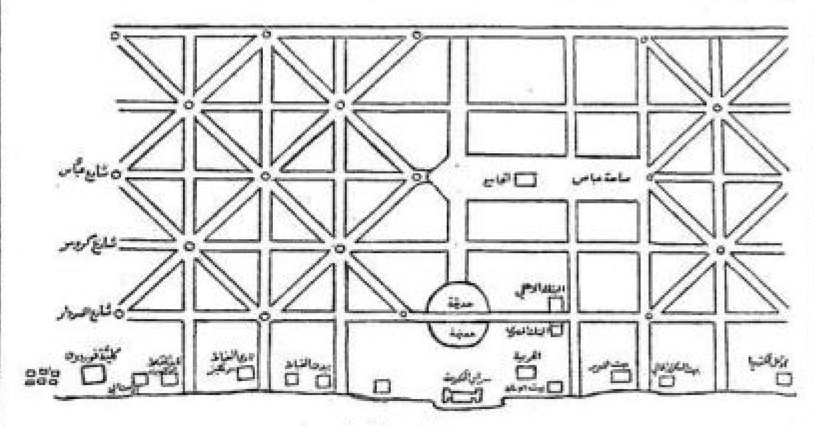
مضى على الخرطوم ست عشرة سنة كانت فيها قاعاً صفصفاً وطللاً دارساً بالياً ينعق في خرائبها البوم لا يعلم عنها العالم المتمدن شيئاً ولا يذكر اسمها الا مقروناً بما وقع فيها من الحوادث المشومة حين سُفك فيها دم البطل الانكليزي الجنرال غوردون. فتحها المهدي فذبح رجالها وسبى نساءها ودكّ ابنيتها ونقل حجارتها وما سلم من رياشها الى ام درمان فامست خرباً تكتنفها الرمال المحرقة ولم يبقَ فيها سوى بعض جدران قليلة من سراي غوردون شاهدة على ماكانت عليهِ من العزّ والمنعة وقد بقيت رغماً عن اوامر المهدي وتشديدهِ بمحو كل اثر للحكومة السابقة فكأن القضاء ابقاها اثراً لدم بطل السودان الذي سفك فيها يستنهض الام لردّها الى مجدها السابق ومحو آثار المهدوية . هكذا بقيت الخرطوم ست عشرة سنة حتى فتحها الجيش المصري بقيادة كتشنر باشا سنة ١٨٩٨

مررت بين خرائبها المتبعثرة ومشيت على رمالها المحرقة في اواخر سنة ٩٨ فلم اصدّق ان الحكومة تنوي جعلها عاصمة السودان واعادتها الى عزّها السابق بل الى اعظم منهُ فتحيي العظام وهي رميم ولم يدر في خلدي ان وحشتها ستصبح انساً ورمالها المحرقة جنات يجري من تحتها النيل فيرويها وينميها وخراباتها الدارسة قصوراً فخيمة فيقصدها من المغرب والمشرق التجار واصحاب الاموال . ولم يخطر لي ببال انني ارى فيها بعد عشرات من السنين عقائل واوانس غربيات وشرقيات يسكنّ قصورها ويخطرن بازيائهن في شوارعها ولكن حدث ذلك كلهُ في ثلاث سنوات فذكرني بقصص خاتم المارد . والمال قوة لا تبارى اذا عضدتهُ اصالة الرأي وثبات العزيمة

لا يتوهمنَّ القارئ انني اصف لهُ مدينة عظيمة كالقاهرة او الاسكندرية كلاً لان الخرطوم لا تزال في بداءتها وكل ما فيها الآن من الابنية والجنائن والتجار وارباب الاموال قليل لكنهُ يدل على انها آخذة في النمو وان نموها سيكون سريعاً

من يأتي الخرطوم في القطار يرى وهو على ستة اميال منها نقطة بيضاء في الافق تكبر رويداً رويداً حتى يصل الحلفاية فيحققها فيراها بناء فخيماً جميلاً ذا ثلاثة ادوار امامهُ من جهة النيل شجرات باسقات تظلل اكثر من مئة نفس وتحيط بهِ من الجهات الثلاث الاخرى حديقة غناء من شجر الفلفل والازهار البديعة الاشكال وتمخر امامهُ بين الحلفاية والخرطوم وام درمان البواخر الحربية والتجارية . هذا البناء سراي الخرطوم ومسكن حاكم السودان العام وعند

ما يمخر النيل عابرًا الى الخرطوم تستوقف نظرهُ ابنية اخرى مبنية بالقرميد الاحمر على الطراز الاوربي منها كبير ومنها صغير تمتدُّ على شاطيء النيل عن يمين السراي ويسارها وتكتنفها اشجار النخيل الباسقة من كل جانب — منظر يشرح الخاطر ويسرّ القلب . فمن يسار السراي مساكن نائب الحاكم العام وكثيرين من الضباط الانكليز فنادي الضباط الانكليز فنادي الضباط المصريين (لم يتم بناؤُهُ) فالاسبتالية العسكرية (لم يتم بناؤُها) وعلى بعد الف متر منها افخم واعظم بناء في الخرطوم بل قد لا يكون نظيرهُ في القاهرة في الساعة وهو كلية غوردون التي سيكون لها شأن كبير في مستقبل السودان وعلى مقربة منها ثكنات العساكر الانكليزية



رسم شوارع الخرطوم

وعن اليمين دار الحربية وهي من اجمل ابنية الخرطوم لا يفوقها في الكبر والفخامة الاَّ كلية غوردون وفيها الآن جميع دوائر الحكومة . وعن يمينها واقرب منها الى النيل بيت الامانة (لم يتم بناؤُهُ) فبيت مدير الخرطوم فبيت سكرتير السودان المالي فنزل (هوتيل) الخرطوم وكل هذه الابنية مبنية على الشاطيء الغربي من البحر الازرق من القرميد المشوي الاحمر وهي جميلة متقنة البناء حسنة الوضع طيبة الهواء

واجمل منظر لهذه الابنية شاهدتهُ من الجهة المقابلة على شاطيء النيل الشرقي في الحلفاية حيث رأيتها امامي صفًا واحدًا فاستوقفت بصري مدة كثر فيها اعجابي بها ونظرت اليها ليلاً من ذلك المكان نفسهِ فشاهدت انوارها منعكسة في مياه النيل تتلألأ على سطحهِ والنيل ساكن هادىءٌ كأنهُ ابى الحركة فقلت سبحان مغير الاحوال

اما شوارع المدينة واسواقها فقد خُطِّطت في اول سنة ١٨٩٩ ومن ذلك الحين والبناء قائم فيها على قدم وساق خصوصاً في شارع عباس وشارع كرومر حيث قد تمَّ بناء اكثر الابنية واجملها ومعظمها يخص الضباط الوطنيين ومستخدمي الحكومة واغنياء تجار السودان

اما طول الشوارع وسعتها واستقامتها فحدث عنها ولا حرج فتمر في الشارع منها ست مركبات جنباً لجنب بين الرصيفين. وكل الشوارع التي قامت فيها الابنية نظيفة واهتمام الحكومة شديد بتنفيذ كل وسائل النظافة في كل احيائها

اما تجارتها ففي تقدُّم وقد اقيم فيها بناءان جميلان للبنك الاهلي والبنك المصري يدلك ذلك على ما لارباب الاموال من الآمال في مستقبل السودان عموماً والخرطوم خصوصاً . ولا انسى جامع الخرطوم الذي يكاد يتم بناؤُهُ في ساحة واسعة في قلب المدينة فقد وقفت انظر اليهِ مدة متعجباً بجمالهِ وفخامة بنائهِ . ويحيط بالخرطوم من الجهة الجنوبية والغربية على شكل نصف دائرة ثكنات الجيش المصري وكلها في احسن المواقع الطيبة الهواء

وهواء الخرطوم جيد ويشتدُّ فيها الحرّ بين ابريل واكتوبر وكثيرًا ما تثور فيها ريح السموم في الفصل المذكور فترفع الرمال الى طبقات الجوّ وتغطي المدينة بطبقة كثيفة من الغبار فتأوي الناس حينئذ الى مخادعها وتقفل الابواب والنوافذ لكن الغبار يدخل والابواب موصدة والنوافذ مقفلة ويملأُ المخادع والاسرة . وحين تهدأُ الريح يرى الانسان منزلهُ اشبه شيء بمطحنة على كل شيء فيهِ طبقة من الغبار كثيفة

هذه هي الخرطوم الآن فكيف تصير بعد عشرين عاماً ذلك في علم العزيز الحكيم

احد قراء المقتطف

شبابنا والعمل

بحثٌ يظلُّ وان تقادمَ عهدهُ ابدًا طليًّا في الشفاه جديدا
ويدوم ذو العقل السليم مجرّدًا للنفع يطلبُ ما أُعيدَ مزيدا

سبق لي أن أثبتُّ في المجلد الثامن عشر من المقتطف مقالةً بهذا العنوان نفسهِ عرَّبتُها عن جريدةٍ اميركيةٍ وكان لها احسن وقعٍ عند كثيرين من الشبان . والآن رأيتُ ان أُضيف اليها مقالةً أُخرى ضمَّنتُها ما املاهُ عليَّ الاختبار ونبَّهني اليهِ كثيرون ممَّن عنوا بهذا الموضوع الخطير والبحث الجليل واذا صحَّ ما ارتأيتهُ فيها

كانت المدارس عرضةً لانتقادٍ جديدٍ لم يكن في الحسبان ولا خطر على بال المدرسين .
وها انا اعرضها على ذوي الالباب ولهم فيها رأيهم الموفق الى الصواب

تنبئُنا الاحصاءات الرسميَّة للمواليد والوفيات والدخل والخرج ان معظم الامم في نموٍ وتكاثرٍ والغنى على توفُّرٍ وازدياد والاعمال كلَّ يوم يزداد نطاقها امتدادًا ودائرتها اتساعًا قضاءً لما يجدُّ من الحاجيات ويحدث من التأنق في الكماليَّات ومع ذلك ترى كثيرين من الشبان في العالم عمومًا وفي شرقنا خصوصًا بطَّالين لا عمل لهم او عاملين ولكن باجرة بخسةٍ وراتب قليلٍ ان بلَّغهم الكفاف من الرزق واغناهم عن التسوُّل لم يمكنهم من اقتصاد شيءٍ يشغلون بهِ فراغ الكيس احتفاظًا بالناموس الطبيعي القائل « ان لا فراغ في الكون »

والشبان الذين نعنيهم على الخصوص بهذه المقالة هم الذين تربَّوا في المدارس العالية ونالوا نصيبًا كبيرًا من العلوم والمعارف التي تسهّل عليهم الطريق الى تعاطي اعمالٍ كثيرة وامتهان حرفٍ متنوعة . هؤلاء تجد اكثرهم على ما ذكرنا وترى الاعمال قريبة منهم وابواب النجاح غير بعيدة عنهم فيأخذك العجب من هذا التناقض وتودُّ استجلاء الحقيقة والوقوف على السبب وتظنُّ ان محادثتهم في هذا الشأن تنيلك المراد وتمكنك من معرفة علة بطالتهم وعدم نجاحهم

ولكن اذا طارحتهم السؤال لم تظفر منهم بجوابٍ يقضي لبانتك لأنهم في الغالب يشبعونك تأففًا وتذمرًا ويوشكون ان يتخموك من سماع شكوى الزمان ومعاندة الايام ولو خالفتَ عقلك وحكمت بمقتضى ما سمعتَ لقضيتَ بانَّ البطالين منهم مظلومون والعاملين مغبونون مبخوسون . ولكنك ترى ايها المطالع الكريم انَّ الحقيقة التي تنشدها في هذا البحث الخطير لا تُنفى مثل هذه السفاسف الصبيانيَّة والمخارف العجائزية . نعم إنَّ افرادًا منهم لم ينالوا استحقاقهم من المناصب ولا أُعطوا ما هم اهل له من الرواتب كما أنَّ آحادًا غيرهم خدمتهم الصدف وجرت رياح التقادير على إيثارهم فادركوا من المقامات والارزاق ما لم يقس بمقياس الاهلية ولا أُعطي على قدر الاستحقاق ولكنَّ هذين الفريقين خارجان عن مقتضى القياس وحكم الاطراد فلا يبنى عليهما وجهٌ جامع ولا استنتاج عامٌّ

واذا كانت الاعمال في الكون تتوالد وتتكاثر كالمخلوقات الحية وتزداد على مدى الايام تفرُّعاً وتشعُّباً فمن مصلحة اربابها أن يفتشوا عن العملة « بالسراج والفتيلة » ولا يُعقل أنهم يترددون في قبول من يعرض عليهم الخدمة او يتأخرون عن ترقية العامل النشيط في المنصب والاجرة لانهم ينتفعون من خدمته او ترقيته اضعاف ما ينتفع هو منهم فليسوا من المجانين حتى يرفضوا الربح او يتقاعدوا عنهُ وهم اقدر الناس على استنباط طرق تحصيله

اذاً علة البطالة وعدم نجاح كثيرين من العاملين ليست في الاعمال نفسها لانها كثيرة ولا في اربابها لانهم في احتياج دائم الى العمال وليس من مصلحتهم تعطيل اعمالهم . واذا كانت العلة ليست في الاعمال ولا في اربابها فلا بدَّ ان تكون في العمَّال انفسهم لكنَّ بعضهم او اكثرهم لا يرونها فيهم او يرون جزءا يسيراً منها وينسبون معظمها الى الاعمال وأربابها و « سوء الحظ وعدم التوفيق » وهذه المزاعم نفسها حجر عثرة في سبيل تقدمهم وحاجز حصين بينهم وبين النجاح الذي عبثاً وباطلاً يعللون نفوسهم بالحصول عليه

ولهذا الاعتقاد الراسخ في اذهانهم اسبابٌ مهيئة واسبابٌ عارضة فالاسباب الأُولى وهي منشأُ العلة ومدبُّ الداء فعلت فيهم منذ نعومة اظفارهم واعدَّتهم لفعل الاسباب العارضة التي المَّت بهم عابثةً لاعبة واناخت عليهم آكلةً شاربة. وفي هذا الكلام اجمال لا بدَّ من تفصيله

دخل هؤُلاء الشبان المدارس الابتدائية وانتقلوا منها الى المدارس العالية التي هي في مصر وسورية على اختلاف انواعها متساوية في انَّ اكثر اساتذتها ومدرسيها رجالٌ انحصرت معارفهم بفروع العلوم التي أُقيموا على تعليمها للطلبة وليس لهم اقلُّ اختبار باحوال العالم خارج ابواب المدارس فهم على جهلٍ تامٍ بالصنائع ولا يدرون شيئاً مما يتعلَّق بالامور الزراعية ولا يعلمون من التجارة وطرقها واساليبها اكثر من انها مصدرٌ من الفعل « تجر »

هذه الابواب الثلاثة — الصناعة والزراعة والتجارة — المفتوحة في العالم للكسب

والتحصيل لا يفقهُ اصحابنا المدرسون عنها حديثاً ولا يعلمون اين هي لانهم لا يرون لعينها في ابواب الصرف أثراً ولا يسمعون عنها في باب المبتدإ خبراً ولا يجدون لها في باقي العلوم الابتدائية والفروع العالية سكةً سلطانيةً تؤدّي اليها وان ألمّوا ببعض المبادىء المتعلقة بها والراجعة اليها فإلمامهم عقيم جديب ينقصهُ الاختبار · وغير خاف انَّ العلم شيءٌ وتطبيق العمل عليهِ شيءٌ آخر · ومعلومٌ ايضاً ان الطرق العملية للإثراء وجمع المال كثيرة لان جوف الارض محشوٌّ بمعادن الفضة والذهب وسطحها يتدفق بموارد الثروة والغنى لكنَّ هذه الطرق لا يحذقها الاَّ من اختطَّها بيدهِ او درَّبهُ عليها ابوهُ او شريكهُ او ربُّ عملهِ فبلغ غايتهُ منها وامتلأت خزائنهُ شبعاً وفاضت معاصرهُ مسطاراً · أما المدرسون الذين ادركتهم حرفة الادب فانهم يحمدون الله على الفقر وفراغ «الجيوب» . ولا يعرفون طريقاً لكسب المال غير رأس الشهر الذي يتوقعونهُ اكثر مما يتوقع الصائم رؤية الهلال · ولا يدركون معنى لمئات الجنيهات والوفها وملايينها سوى ما يعرض لهم من ذكرها في اثناء تعليمهم للطلبة بعض المسائل الحسابية والجبرية فكلٌّ منهم معنيٌّ بما قلتهُ مرَّةً

عجبتُ لمن مع الاولاد يقضي بتعليم الحسابِ لهم نهارَهْ
يجوز بهم مدى المليون عداً وما في جيبهِ مع ذاك بارَهْ

ومن يكون هذا شأنهم فلا عجب اذا لم يستطيعوا ان يدربوا غيرهم على معرفة طرق التحصيل المادي والاكتساب المالي ولسان حال كلٍّ منهم يقول : «لو كنتُ طبيب الهوى طبيت انا حالي»

على انهم عفا الله عنهم لا يقفون في الغالب عند حدّ الجهل بهذه الامور المهمة ويتركون التلامذة وشأنهم بل يسيئون اليهم على غير عمدٍ ويستأصلون من اذهانهم الاستعداد الفطري الذي غرستهُ فيهم يد الطبيعة لمزاولة الاعمال وممارسة أسباب الارتزاق فكأنهم — (والكلام بسرهم) لشدة حسدهم من المتموّلين لا ينقمون عليهم حتى على المال ايضاً واذ لا يستطيعون الى الانتقام منهم سبيلاً يعمدون الى تلامذتهم ويشربون قلوبهم كراهة الغنى ويمثلون امامهم كل يوم رواية الثعلب والعنقود وينشئونهم على

الزهد في هذه الدنيا الغرور والعالم الغدور ويستعينون بامثال الحكماء واقوال الشعراء والآيات التي أوحي بها من السماء على اقناعهم بانّ المال اصل كل الشرور [1] حتى لا يعود يحضر أولئك الطلبة الاغرار من الشعر الاّ ما كان من قبيل « تباً لهُ من خادع مماذق » او « رضينا قسمة الخلاق فينا » ولا يدور على السنتهم من كلام الوحي سوى « كونوا مكتفين بما عندكم » ولا يخطر ببالهم من اقوال الحكماء غير « القناعة كنز لا يفنى » ولا تجري اقلامهم في سوى موضوع « تفضيل العلم على المال »

هكذا يملي عليهم اساتذتهم فيلقون السمع وهم شهداء وينقادون الى تصديقهم ببساطة الاولاد وطاعة الاغبياء . ويظنون المال غولاً هائلاً وشيطاناً في صورة الفضة والذهب ماثلاً . ويتوهمون لقلة عقولهم انهم بالامانة وحدها او بالاعتصام بهذه الحقيقة — « المرء باصغريهِ » فقط يقضون كل حاجاتهم ويستغنون عن خاتم المارد . ولكن بعد ما يودّعون المدارس ويخرجون الى العالم ويُلقى حبلهم على غاربهم تنبهُ اعصابهم المؤثرات الخارجية الى شعور جديد لم يخطر لهم قطُّ ببال ويعلمهم الاختبار درساً مناقضاً لجميع الدروس التي تعلموها في المدارس . لما كانوا بعد تلاميذ كان اباؤُهم او أوصياؤُهم يعنون بامورهم ويقضون لهم كل حاجاتهم ويكفونهم مؤُونة الاهتمام بسوى الانصباب على تحصيل العلوم . اما الآن وقد بلغوا اشدَّهم وامتلكوا قياد انفسهم فلم يبقَ لهم من يحكُّ جلودهم غير اظفارهم

انقشعت الغشاوة المدرسية عن عيونهم وتجلى لهم العالم بجلاءهُ الحقيقي وصورتهِ الصحيحة وادركوا مبلغ الغرور الذي بلغوهُ أيام المدرسة بفضل مدرسيهم . علموا الآن يقيناً أنَّ المال ليس اصل كل الشرور كما تعلموا واستعدُّوا لان يعلّموا بل هو مصدر كل خير جارٍ على وجه الارض . مسَّت الآن حاجتهم اليهِ وشعروا بشدَّة خطاءهم يوم كانوا يحكمون في محاوراتهم المدرسية بتفضيل العلم عليهِ . لقد امتحنوا الامر بانفسهم وجرَّبوهُ مراراً فلم يستطيعوا ان يتخذوا القرطاس ملبساً ولا اليراع مأْكلاً ولا الحبر مشرباً ولا الكتب مبيتاً ومركباً . جالوا في بيروت ودمشق من بلاد الشام . وفي

---

(1) مع ان الآية تقول محبة المال لا المال نفسهُ .

الاسكندرية والقاهرة من بلاد مصر ورأوا مظاهر العمران ومجالي الغنى والثروة ووجدوا ان الاغنياء لا العلماء اصحاب الرفعة والشان والمشار اليهم بالبنان في كل زمان ومكان وتحققوا أنَّ المرء ببرديهِ لا باصغريهِ . وأنَّ الذي قالوا فيهِ قبلاً « تباً لهُ من خادع مماذق » يقول فيهِ كل انسان « لولا التقى لقلت جلّت قدرته » هذا كلهُ رأوهُ واستفادوا منهُ علماً ألمهم جداً وجرَّعهم مرارةً لا ينسونها الاَّ بحلاوة الغنى. طلبوا الغنى على طريق « الاستخدام » اذ لا مال عندهم للتجارة ولا المام لهم بزراعةٍ او صناعةٍ . فتفرقوا على ابواب الحكومة والاماكن التي تدار فيها الاعمال الكبيرة وتحتاج على الدوام الى عُمَّالٍ لهم إلمامٌ بالعلوم والمعارف وبعض اللغات الاجنبية . وعرضت عليهم اعمال متعددة الاشكال مختلفة الانواع وليس لهم من الكفاءة والقدرة على تعاطيها سوى شيءٍ صغير في ذاتهِ لكنهُ كبيرٌ جداً عندهم وهو الامانة التي توهموا لسذاجة عقولهم وقلة اختبارهم انها وحدها مفتاح الغنى وباب الثروة والسلم الوحيدة للرقيّ الى ذرى التقدُّم والنجاح ولما باشروا الاعمال التي أُقيموا عليها أعطوا أجرةً على قدر استحقاقهم لا على حسب انتظارهم فلم ترضهم لانها يسيرة بالجهد تكفي لسد احتياجاتهم الضرورية فضلاً عن كمالياتهم التي شعروا في الحال بشدة لزومها مجاراة للاغنياء في طرق الترف والترفُّه فتقاضوا مخدوميهم الزيادة وما لهم من مسوّغ سوى امانتهم وكثرة اتعابهم محتجين ان الاجرة على قدر العمل وان عملهم كثير فاجرتهم ينبغي ان تكون كثيرة لكنهم وهم يحاولون عرض ما عندهم من بضاعة المنطق نسوا ابسط قواعد النحو التي لا يذكر ارباب الاعمال غيرها ولذلك صححوا لهم المقدمة الأُولى بان اثبتوا فيها مضافاً محذوفاً وقالوا لهم ان الاجرة على قدر نتيجة العمل . ونتيجة اعمالكم قليلة فاجرتكم ينبغي ان تكون كذلك . والحق ان هذه النتيجة صحيحة ولو كرهها شباننا وهي المادة الاساسية التي بني عليها دستور الترقي والتقدم او الانحطاط والتأخر في كل عملٍ خطير تحت السماء فالترقي في الاجرة والمقام والرتبة يبنى على النتيجة الحاصلة من الشغل العقلي والصادرة عن التعب الفكري والاَّ كانت الحيوانات الاليفة المذلَّلة لخدمة الانسان في جرّ الاثقال ونقل الاحمال أولى من كل انسان بارفع منصب واعلى اجرةٍ او على الاقل كان الفعلة العاملين بقواهم الجسدية احق من شباننا

بالاجور الفاحشة والرواتب الكثيرة . هذا الفاعل يعمل في « ورشةٍ » من مطلع الشمس الى مغيبها حتى يكاد يحرق بحرّ التعب ويغرق بفيض العرق ولا يعطى من الاجرة سوى بضعة غروش بينما الناظر او المهندس يقف لا يشكو نَصَباً ولا يكابد تعباً ويعطى في يومهِ اما لا يأخذهُ ذاك في شهرهِ

هذه الحقيقة المهمة يذهل عنها شباننا وقلّما يلتفتون اليها ويرفعون عيونهم الى ارباب الاعمال انفسهم او الى الذين هم فوقهم رتبةً ورانباً ودونهم بحسب زعمهم تعباً ومشقةً ويريدون أن يُساووهم في ذلك كلهِ ولا يذكرون ما قاساهُ هؤلاء من التعب والمزاولة قبلما بلغوا الدرجة التي هم فيها الآن

وكثيراً ما يظنُّ شباننا انَّ طريق الغنى والمعالي مفروشة بالمخمل ومسوَّرة بالرياحين والازهار فيرون الذين بلغوا نهايتها وادركوا نتيجتها فيحسدونهم على حالتهم الحاضرة وتشرئبُّ اعناقهم الى مشاركتهم فيها مباشرةً دون ان تدمى لهم قدم او يخدش بنان بكُدى المشاق واشواك الاتعاب

وشرٌّ من هذا وذاك أن فريقاً منهم يؤثر البطالة على الجري بموجب الدستور النظامي الذي سبق لنا الاشارة اليهِ وفيما هم يظنون انهم ينتقمون من ارباب الاعمال واصحاب الاموال يتحول انتقامهم اليهم وينصبُّ جام كيدهم عليهم وكم جنت على اهلها براقش . وكل يوم نرى بعيوننا ونسمع بآذاننا حوادث او احاديث منقولةً عن شبَّان استسلموا للنزق والطيش والاغترار وطلّقوا الثبات والحزم والاصطبار . وآثروا البطالة على العمل مستجيرين من الرمضاء بالنار

ومن لا يعمل الاَّ ليطفر من حضيض الفقر الى يفاع الغنى وهذه الطفرة محال فلن يعمل ابد الدهر واذا كان العمل بركة للانسان فالبطالة شرٌّ لعنةٍ تحت الشمس وخير نصيحةٍ يختم بها كلامنا ان الاكتفاء بالامانة شرٌّ من الخيانة وتوقُّع زيادة الاجرة على عملٍ لم تزد نتيجتهُ ولا كثرت فائدتهُ هو السرقة بعينها . وزجر المدرسين عن بذر مثل هذه المخارف في اذهان التلاميذ من اهم الواجبات . وطريق الغنى والتقدم مفتوحة امام كل شابٍّ تدرَّع بالحزم والعزم وتذرَّع بالصبر والثبات

اسعد داغر

اكتشاف اميركا واحتلالها

تابع ما قبلهُ

ديانة اهالي المكسيك — كان الازتك منهم يقولون بالله واحد خالق للكون و يخاطبونهُ في في صلواتهم قائلين " ايها الاله الذي بهِ نحيا الحاضر في كل مكان الذي يعرف كل الافكار ويهب كل العطايا . الذي بدونهِ يصير الانسان هباءً منثورًا الاله الواحد الذي لا يُرى ولا جسم لهُ كمال الكمال والطهارة . الذي نجد تحت جناحيهِ الراحة والملجأ الامين " . وكأنهُ تعذَّر عليهم ان يتصوَّروهُ واحدًا لا شريك لهُ فاشركوا معهُ آلهة اخرى قالوا انها متسلطة على فصول السنة واعمال الانسان وهي ثلاثة عشر من الآلهة الكبار ونحو مئتين من الآلهة الصغار ولكلٍّ من هذه الآلهة يوم من السنة يعيدون لهُ فيهِ وعليها كلها إله الحرب وهو الاله الخاص بالامة المكسيكية ولذلك كانت هياكلهُ افخم الهياكل وكانت الضحايا البشرية تضحَّى على مذابحهِ في كل مدن المملكة

ومن آلهتهم ايضاً اله الهواء وهو الذي علَّم الناس الفلاحة واستخراج المعادن وسياسة البلدان . وبهِ تزهر الاشجار وتثمر وتنبت الغلال وتأتي بالحبوب واسمهُ عندهم كواتزلكوتل وقد قالوا انهُ رجل ابيض اتاهم من الجهات الشمالية الشرقية قاطعاً البحر الاتلنتيكي بقارب لهُ اجنحة (اي شراع) كالسفن الاسبانية واقام بينهم سنين كثيرة وعلمهم ديانة جديدة ونظَّم لهم حكومة عادلة وعلمهم صنائع كثيرة نافعة وكان طويل القامة واسع الجبين كبير اللحية اسود الشعر لابساً جبَّة طويلة وفوقها رداءٌ معلم بالصلبان وكان عفيفاً متقشفاً كثير الصوم والتهجد يحب السلم ويكره الحرب فاحبهُ الجميع واكرموهُ لتقواهُ وفضائلهِ واستولى الامن على البلاد في ايامهِ وكثرت خيراتها ثم اضطرَّ لسبب من الاسباب ان يترك البلاد فنزل الى خليج المكسيك وطيب قلوب الاهالي الذين حضروا لوداعهِ ووعدهم ان يعود اليهم بنفسهِ بعد قليل او يرسل اليهم واحدًا من قبلهِ عوضاً عنهُ . وكان قد صنع لنفسهِ سفينة من جلود الافاعي فسافر بها الى بلادهِ الجزيرة المقدسة عبر الاوقيانوس العظيم . واسم هذا الرسول في لغتهم كواتزلكوتل اي الحية الخضراء ومعنى الاخضر عندهم الفاخر او النفيس

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك رحَّب بهم الاهالي حاسبين انهم اتوا من قبَل هذا الرسول لانهم بيض الوجوه طوال اللحى مثلهُ وقد اتوا بسفن ذات شراع مثل السفينة التي اتى بها . فلم يصرفهم الاسبانيون عن هذا الزعم ولذلك تمكنوا من اخضاع البلاد بسهولة

وقد اختلف الباحثون في حقيقة هذا الرجل . اما الاسبانيون الاولون الذين دخلوا المكسيك فحسبوا انهُ احد المبشرين المسيحيين ذهب اليها من اوربا وقالوا انهم رأوا في ديانة اهالي المكسيك شيئاً من المشابهة الديانة المسيحية ولكنها لم تكن مقتصرة على ذلك بل كانت وثنية تعتمد على الذبائح البشرية . وقيل لهم ان هذا الرسول علَّم ديانتهُ للاهالي الاصليين وكانوا اهل علم وصناعة ثم هاجروا من البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد واستولى عليها شعب الازتك وكانت ديانتهم فاسدة قائمة بالشعائر الدموية ولم يستتم امرهم الا في اواسط القرن الرابع عشر فاقتبسوا ما بقي في البلاد من عوائد الشعب السابق وديانتهم ومزجوا ذلك بعوائدهم وديانتهم فصارت مجمع الاضداد من اللين والقسوة والفضيلة والرذيلة والعلم والجهل والتمدن والتوحش لامتزاجها من عقائد الشعب الاول وعقائد الشعب الثاني . وفي جملة عقائد الشعب الاول الاعتقاد بوجود اله واحد قدير خالق للكون ومتسلط عليهِ وهو مصدر كل خير وتحتهُ آلهة صغيرة ويقابلهُ شخص شرير وهو المسبب للشرور كلها والاعتقاد بوجود دار للثواب يقيم فيها الصالحون بعد الموت ودار اخرى للعقاب يقيم فيها الاشرار ودار متوسطة بين بين . وبأن للناس أمًّا واحدة وبها اتت الخطية الى العالم ويصورون معها حيَّة حيثما صوروها . وبأنهُ حدث في الارض طوفان عام لم ينجُ منهُ الا عائلة واحدة ونجا ايضاً قوم من الجبابرة الاشرار فبنوا هرماً عظيماً يصل رأسهُ الى السحاب ولكن الآلهة امطرت عليهم ناراً فصرفتهم عن العمل

والآراء مختلفة في حقيقة هذا الرجل واقربها الى الصواب في رأينا ما اثبتناهُ في المجلد الخامس عشر من المقتطف في الكلام على رسول المكسيك وهو انهُ المطران برفون الارلندي وانهُ زار بلاد المكسيك في اواسط القرن السادس وبقي فيها سبع سنوات وهو يبشر اهاليهم ويعلمهم ثم عاد الى بلادهِ وتوفي فيها سنة ٥٧٨ وعمرهُ اربع وتسعون سنة . ثم امتزجت تعاليمهُ بالتعاليم الوثنيَّة التي كانت في البلاد قبلهُ او دخلتها بعدهُ فصارت منها ديانة اهالي المكسيك والكلام في هذه الديانة يملأ مجلداً كبيراً فنقتصر منهُ على ما تقدم

وكانت آدابهم الدينية في الطبقة الاولى وحسبك قولهم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لانفسكم ينتقم الله لكم . وكان عندهم كثيرون من الكهنة حتى قيل انهُ كان في احد هيا كلهم خمسة آلاف كاهن . واخص اعمال الكهنة تعليم الاولاد فالصبيان يعلمهم الكهنة والبنات يعلمهنَّ الكاهنات فيتعلم الصبيان القراءة والكتابة والادارة وبعض العلوم الطبيعية وتتعلم البنات الاعمال البيتية والحياكة والتطريز . ويعتنى بآداب الفريقين اعتناءً شديداً . والعقاب صارم

جداً وقد يعاقب المذنب بالقتل فكانت الامة كلها في يد الكهنة لانهم هم الذين يربون اولادها ويهذبونهم

ونفقات الكهنة من اوقاف الهياكل وهي كبيرة كثيرة الريع وكانوا يديرونها بايديهم كما يفعل رهبان النصارى ولهم ريع آخر من تقدمات باكورات الاثمار والغلال ومن النذور الكثيرة التي ينذرها الشعب لكنهم كانوا يفضلون رهبان الاديرة وشيوخ الجوامع والتكايا في انهم يكتفون بالضروري لنفقاتهم واقامة شعائر الدين وما زاد على ذلك يوزعونهُ على الفقراء والمساكين ذلك فرض عليهم مفروض في ديانتهم

واسم الهيكل عندهم تيوكالي ومعناهُ في لغتهم بيت الله وهذا الاسم يشبه ان يكون يوناني الاصل فانهُ باليونانية ذيوكاليا . وشكل الهياكل هرمي كالاهرام المصرية المقطوعة قاعدة الواحد منها اكثر من مئة قدم في مئة قدم وارتفاعهُ اكثر من ذلك كثيراً وهو اربع طبقات او اكثر ينقص بعضها عن بعض ويصعد اليها بدرج من الخارج يدور حولها فيضطر الصاعد الى اعلاها ان يطوف حولها مراراً . وفي اعلى الهيكل برج ارتفاعهُ اربعون او خمسون قدماً فيهِ صورة المعبود الذي اقيم لهُ ذلك الهيكل وامام البرج الحجر الذي تذبح الذبائح عليهِ من الآدميين وموقدان عليهما نار دائمة . والمواقد او المذابح التي من هذا النوع كانت تعدُّ بالمئات فتنار بها شوارع المكسيك ليلاً

وكانت اعيادهم كثيرة كما تقدَّم واحتفالاتهم الدينية يشترك فيها الرجال والنساء والاولاد فيخرج النساء والاولاد باكاليل الازهار والرياحين حاملين تقدمات الاثمار والحبوب او مجامر البخور والطيوب . هذه كانت شعائر ديانة التلتك التي اضاف اليها الازتك الذبائح البشرية قبل الفتح الاسباني بنحو مئتي سنة

ومن اشهر اعيادهم عيد معبودهم تزكاتليبوكا وهو يتلو المهم الاعظم مرتبة ويسمونهُ روح العالم ويقولون انهُ شاب جميل المنظر لا يشيخ ابداً . يختارون لهُ كل سنة شاباً من الاسرى بديع المنظر معتدل القوام لا عيب فيهِ ويقيمون لهُ المعلمين يعلمونهُ ويلبسونهُ افخر الحلل ويطيبونهُ بالطيوب ويزينونهُ باجمل الازهار واطيبها عرفاً واذا سار من مكان الى آخر مشى الغلمان في خدمتهِ كأنهُ ملك رفيع الشأن وهم يسجدون لهُ لانهُ رمز الى معبودهم ويدوم ذلك احد عشر شهراً وفي الشهر الثاني عشر يزوجونهُ باربع عذارى من اجمل بناتهم ويتركونهُ معهنَّ شهراً كاملاً وهم يولمون لهُ الولائم الفاخرة حتى اذا انقضى الشهر خلعوا ثيابهُ المزوقة وساروا بهِ الى هيكل عبر البحيرة وصعدوا على درجهِ فيطرح الازهار التي كان مزداناً بها وتكسر آلات الطرب

التي تسلّى بها في اسره . حتى اذا بلغ اعلى الهيكل لقيهُ ستة من الكهنة وهم لابسون حللاً مغطاة بالكتابات الصورية وشعورهم مجدلة وجدائلها مسدولة على ظهورهم وساروا بهِ الى حجر الذبيحة وهو قطعة كبيرة من اليشب مقعرة من اعلاها فيطرحونهُ عليهِ ويمسك بهِ خمسة منهم ويشق السادس صدرهُ بموسى حادة من حجر كالصوان وينزع قلبهُ ويرفعهُ نحو الشمس ثم يطرحهُ عند قدمي المعبود الذي يعبد في ذلك الهيكل

هذه هي الوصمة الكبرى على ديانة اهالي المكسيك وتقتصر الضحايا على الاسرى الاَّ اذا اجدبت البلاد لقلة المطر فيضحون الاطفال الذين يبتاعهم الكهنة من ابناء الفقراء ويضحونهم استجلاباً لرضى معبوداتهم . ولكن قباحة هذا العمل لا تنتهي هنا بل ان الاسير الذي يضحَّى على ما تقدم يعطى لآسرهِ فيطبخونهُ ويأكلونهُ ويحتفلون بذلك احتفالاً عظيماً جداً رجالاً ونساء وهم يحسبون ذلك شرفاً كبيراً لهُ ولهم لانهُ ضُحي للمعبود وأُكل في سبيل العبادة . وكثيراً ما كانوا يفرطون في عدد الاسرى الذين يضحونهم في وقت واحد فقد قيل انهم ضحوا سنة ١٤٨٦ وقتما اتموا بناء هيكل كبير لهم الوفاً كثيرة دفعةً واحدة ووجد كورتس فاتح بلادهم ١٣٦ الف جمجمة من جماجم الضحايا التي ضُحيت فيها وكأن هذه الوصمة اقنعت اهالي اسبانيا بفساد عمران المكسيك وبانهُ يحلُّ لهم الانتقام من اهلها

وكتابة اهالي المكسيك صورية كالهيروغليف المصري وقد ضاعت قراءتها الآن . وارقامهم العددية ابسط من الارقام الرومانية ولو لم تكن بسيطة كالارقام الهندية . وكانوا يقسمون السنة الى ١٨ شهراً في كلٍّ منها ٢٠ يوماً ثم يضيفون اليها خمسة ايام حتى تنطبق على السنة الشمسية ويسمونها ايام النحوس . ويقسمون الشهر الى اربعة اسابيع في كلٍّ منها خمسة ايام آخرها يوم السوق . ومزية هذا التقسيم على التقسيم المتبع في اسيا واوربا وافريقية ان الشهور كلها متساوية واليوم من الاسبوع هو هو في كل الشهور فاليوم الاول من الشهر هو الاول من الاسبوع الاول واليوم الثاني من الشهر هو الثاني من الاسبوع الاول واليوم السادس منهُ هو الاول من الاسبوع الثاني وهكذا في كل الشهور . ففي السنة ٧٣ اسبوعاً من اسابيعهم . اما اليوم الذي يزيد كل نحو اربع سنوات فكانوا يتركونهُ ٥٢ سنة ثم يزيدون مرةً ١٢ يوماً ومرةً ١٣ يوماً يقضونها في الاعياد والولائم فكان حساب السنين عندهم ادق من الحساب الشرقي المستعمل الآن في كثير من البلدان

وكانوا يبتدئون في تواريخهم من سنة تقابل سنة ١٠٩١ للميلاد ويقسمون الزمن الى ادوار كل دور ٥٢ سنة والدور الى اربع فرق كل فرقة ١٣ سنة

وكانت معرفتهم بعلم الفلك قاصرة على التنجيم ومعرفة سبب الكسوف واوقات الاعتدالين والانقلابين وكانوا يصنعون المزاول لمعرفة ساعات النهار ويقسمون اليوم الى ١٦ ساعة تبتدئ من شروق الشمس . وهذه الامور لا تعرف الاَّ بعد رصد دقيق وحسن نظر في الامور كما لا يخفى

والفلاحة اول المعايش واقدمها كانت في درجة عالية جدًّا عند اهالي المكسيك وهي ممتزجة بمصالحهم الدينية والمدنية فلها عندهم آلهة متسلطة عليها وشهورهم مسماة بالنسبة اليها وكان يعمل بها كل احد ماعدا الاشراف والجنود – الرجال منهم يحرثون الارض ويعملون بقية الاعمال الشاقة والنساء يزرعنَ البذار ويقطفن السنابل ويعملنَ بقية الاعمال الخفيفة . واذا ضعفت الارض من توالي الزرع تركوها بورًا لتستريح وتسترد قوتها. وقد حفروا الترع الكبيرة للري ووضعوا القصاصات الصارمة على من يقطع اشجار الحراج . وبنوا الاهراء الواسعة لخزن الغلال

ومن الاشجار المثمرة التي كانوا يعتنون بزرعها الموز والكاكاو الذي تصنع منهُ الشكولاتا وهذا الاسم مكسيكي الاصل . وكانوا يزرعون الفانلاَّ و يطيبون بها اطعمتهم واشربتهم

وكان اعتمادهم الاكبر على الذرة الاميركية فكانوا يعتنون بزرعها ويتفننون في طبخها وعمل الخبز منها واستخراج السكر من عيدانها . ويتلوها الصبر فكانوا يصنعون منهُ الورق والمسكر ويستخرجون الياقًا من اوراقهِ يغزلونها وينسجونها ويطبخون من جذورهِ طعامًا طيبًا اي انهُ كان لهم منهُ طعام وشراب وكساء

وكان لهم عناية خاصَّة باستخراج المعادن كالذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس . لكنهم لم يكونوا يستعملون الحديد على كثرتهِ في بلادهم لما في سبكهِ من الصعوبة فاستعملوا بدلاً منهُ مزيجًا من النحاس والقصدير كما فعل المصريون قبلهم . وكانوا يقطعون بهِ اصلب الحجارة كالقوفا والبرفير والزمرُّد . ويسبكون الآنية من الذهب والفضة وينقشونها نقشًا بديعًا باقلام النحاس المقسَّاة بالقصدير . وكان لهم في مزج المعادن ولحمها مهارة كبيرة حتى اذا مثَّلوا الاسماك والطيور جعلوا بعض ريشها وحراشفها من الذهب وبعضها من الفضة واعترف لهم الاسبانيون بالتفوُّق عليهم في صناعة الصياغة . وكذلك كانوا ماهرين في صناعة النقش والتمثيل فترى الصور في حجارة مبانيهم منطبقة على الحقيقة اشد الانطباق

ومن بدائع مصنوعاتهم قطعة كبيرة من حجر البرفير الاحمر ثقلها نحو خمسين طنًّا اي اكثر من الف قنطار مصري اتوا بها من مكان يبعد عن عاصمتهم اميالاً كثيرة فيها الجبال والاودية والانهار الكبيرة وقد اضطروا ان يقيموا لها الجسور فوق الانهر لنقلها ووقع بها واحد من هذه الجسور فعانوا في رفعها من الماء مشقة عظيمة كما عانى الانكليز في نقل المسلَّة المصرية

الى بلادهم . ثم رسموا عليها الرسوم الهندسيَّة والفلكية مما يدلُّ على براعتهم في العلوم والفنون
وهم اول من استخرج صبغ القرمز ومن بلادهم أُتي بهِ الى أُوربا وكانوا يصبغون بهِ القطن والياف الصبر ويمزجون منسوجاتهم القطنية بصوف الارانب وغيرها من الحيوانات ويطرزونها تطريزاً بديعاً باشكال الازهار والاطيار
وابدع صنائعهم صناعة نسج الريش فان الطيور عندهم كثيرة فائقة في تزويقها وبرقشتها فكانوا ينتفون ريشها ويصنعون منهُ حللاً لم ترَ العين اجمل منها
ولم يكن عندهم نقود مضروبة لكنهم كانوا يتعاملون بالتبر يضعونهُ في ريش الطيور بمقادير موزونة ويتعاملون ايضاً بقطع القصدير مسبوكة في شكل حرف التاء الافرنجيَّة وببزر الكاكاو موضوعاً في اكياس صغيرة
وكان للتجارة عندهم مقام رفيع جدًّا فيضرب تجارهم الى البلاد القاصية ومعهم البضائع والسلع من الانسجة والمصوغات والعبيد ويأخذون معهم الهدايا الفاخرة الى رئيس البلاد التي يقصدونها للاتجار فيها ويكون مع التاجر كثيرون من الحملة لحمل البضائع ولا يزيد حمل الواحد منهم على عشرين اقة لانهُ لم يكن عندهم دواب لحمل البضائع ويكون معهُ ايضاً حرس مسلح خوفاً من الغارات واذا اعتدى عليهِ احد ولم يستطع صدَّهُ استنجد بحكومة بلادهِ فتنجدهُ بالجنود ويكون ذلك سبيلاً للفتح وامتلاك البلدان كما يفعل الاوربيون في هذا العصر
وكان للتجار مجالس خاصة تدبر امورهم ولها شأن كبير في البلاد حتى يستشيرها الملك في مهامهِ وهي تقضي بين التجار في الدعاوي المدنية والجنائية ايضاً
ولا يخفى ان احوال الامم ومنزلتها من العمران لا تبين في شيء كما تبين في احوال بيوتها ونسبة الزوج الى الزوجة ونسبة الاثنين الى اولادهما وقد كان اهالي المكسيك من هذا القبيل في درجة حسنة جدًّا . كان الزواج عندهم مكرَّماً تكريماً دينيًّا وكان الرجال يكرمون نساءهم ويعفونهنَّ من كل الاعمال الشاقة فيقتصرنَ على الاعمال البيتيَّة ونحوها مما ليس في عملهِ مشقة كبيرة كالغزل والنسج والتطريز ويشارك النساء ازواجهنَّ في كل الحفلات الدينيَّة والمدنيَّة والافراح والولائم واذا جاء الرجال والنساء وليمة وجدن الدار مزدانة لهم بالازهار ومعطَّرة بالطيوب وتقدم لهم الاباريق والمناشف لغسل ايديهم قبل الطعام ثم يقدم التبغ مطيَّباً بالمواد الطرية وسكائرهُ موضوعة في افواه من الفضة او الذبل (عظم السلاحف) . ويجلس الرجال وحدهم على المائدة والنساء وحدهنَّ وتقدَّم الوان الاطعمة واكثرها من لحم الصيد ولحم الدندو (الديك الحبشي) معالجة بالبهارات المختلفة وتتلوها الحلويات محلاَّت بسكَّر الذرة وتزين

المائدة بآنية الفضة والذهب . وكؤوسهم ومعالقهم من الفضة والذهب والذبل وشرابهم من الكاكاو المطيب بالفانلا

واذا شبعوا من الطعام قام الشبان منهم للرقص على نغم الموسيقى وبقي الكبار يشربون الى ان تلعب سؤرة الخمر برؤوسهم اما الشبان فلا يحل لهم ذلك . وتنتهي الوليمة بتفريق الحلل الفاخرة على المدعوين

هذا وسنعود الى تاريخ الفتح ومقدماتهِ ونتائجهِ وفي ذلك من الحوادث والنوادر ما يكاد يكون كالقصص الموضوعة لغرابتهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

طريقة الاستاذ شانتميس في علاج الحمى التيفوئديَّة

اجتمع مساء اليوم خلق كثير في القسم العملي من مدرسة الطب لسماع خطاب الاستاذ شانتميس في طريقة علاجهِ للحمى التيفوئدية بالمصل الذي اكتشفهُ حديثًا . ولما كان هذا الاكتشاف على جانب عظيم من الاهمية رأيت ان اقف عليهِ من مستنبطهِ مع انني في باريس متفرغ لامراض العين دون سواها وان ابعث بخلاصة خطبتهِ لتدرج في مجلة المقتطف فيطلع عليها القراء ولا سيما الاطباء منهم

بيَّن الاستاذ اهمية الطرق الجديدة في علاج بعض الامراض بانواع من المصل المقاوم لها وما نتج عن ذلك من الفوائد في هذه السنين الاخيرة وبعد ان ذكر شيئًا عن مصل رو في علاج الدفثيريا والمصل الشافي في لدغ الافاعي الذي وجدهُ احد اساتذة مدرسة ليل والمصل المضاد للطاعون واظهر باجلى بيان ما استفادهُ الانسان من هذه الاكتشافات التي تخلد ذكر

مستنبطها قال ما ملخصهُ ومن جملة الامراض التي لا تزال تفتك ببني البشر فتكاً ذريعاً رغماً عما يبذلهُ رجال الطب كل يوم في مقاومتها الحمى التيفوئدية . وقد كان هذا المرض منذ عشرين سنة افتك بنا مما هو الآن والسبب في ذلك اننا كنا اذ ذاك نجهل كيفية تفشيهِ ولكن لما عرف الباحثون ان سبب العدوى الاكبر هو ماء الشرب الملوث بمفرزات المصابين بهذا الداء اتخذ اولو الحل والعقد الاحتياطات اللازمة لجلب ماء الشرب من ينابيع نقية وايصالهِ الى المدن في انابيب لا تتخللها المياه العفنة التي تنضح من مجاري المراحيض فقلَّت اذ ذاك الاصابات بهذا الداء والفضل في ذلك عائد الى الانكليز لانهم هم اول من اثبت ان مياه الشرب كانت سبب العدوى وكثرة الاصابات . وقد كان معدَّل الوفيات بهذا المرض ٣٠ فاربعين في المئة قبل اكتشاف طريقة العلاج بالحمامات الباردة اما الآن فباستعمال هذه الطريقة هبط معدل الوفيات الى ٢٥ فما دون . غير ان هذا المعدَّل لا يزال كثيراً كما تعلمونهُ ولا تزال الاصابات بهذا الداء كثيرة رغماً عن التفات اولي الامر الى مياه الشرب . وسجلات الحكومة الرسمية اقوى برهان على ذلك . ولا سبيل هنا لسرد اعداد الوفيات الهائلة بهذا الداء في مستشفيات فرنسا فان ذلك يستغرق زمناً لا يسمح بهِ ضيق المقام فاكتفي بان اقول لكم انهُ في خلال الاثنتي عشرة سنة التي مضت منذ سنة ١٨٨٩ حدث في جيش فرنسا البري وحدهُ ٦٦ الف اصابة بالحمى التيفوئدية انتهت ٩ آلاف اصابة منها بالموت . ثم انني بحثت في احصاء الوفيات بهذا الداء في مستشفيات باريس منذ عهدٍ قريب فوجدت ان متوسطها يتراوح بين العشرين والخمس وعشرين في المئة فترون من ذلك ان هذا الداء لا يزال ثقيل الوطأة على النوع الانساني وانهُ لجدير باهل العلم بذل قصارى الجهد للوصول الى طريقة تخفف هولهُ

وقد طالما اجهدت الفكرة في خلال السنين الثلاث التي مضت للوصول الى الغرض المقصود ولكن كاد القنوط يستولي عليَّ لما صادفت من الصعوبة في بدء الامر للحصول على محلولٍ صرف من المفرزات السامة التي يفرزها ميكروب الحمى التيفوئدية . والسبب في ذلك انني كنتُ استنبت ميكروبات هذا الداء في مرقٍ معقم وابقي المستنبت زمناً طويلاً ثم آخذهُ لعمل التجارب في الحيوانات ظناً بانهُ كلما طالت مدة الاستنبات كثرت كمية المفرزات السامة في المرق والحال اني كنت اسعى الى عكس المراد لانني تحققت بعد التجارب الكثيرة ان مفرزات المكروبات السامة تبلغ اشدها في المستنبت في اليوم الخامس وانها تأخذ في الضعف من بعد ذلك اليوم وعرفت ان السبب في ضعفها تأكسدها من امتزاجها بالهواء الذي كان يملأُ جانباً من المواعين الكبيرة التي كنت اضع فيها المستنبت . وانتم تعلمون اليوم مثلي ان

الاوكسيجين هو المتلف الاقوى لمفرزات مكروب هذه الحمى . فلما تلافيت هذه الاسباب وحصلت على محلول قوي المفعول من المفرزات السامة بدأت في التجارب بحقن تلك المفرزات في دم الحيوانات وراقبت مفاعيلها ثم اهتديت الى مصل مقاومٍ لتلك المفاعيل (ولم يذكر الاستاذ شيئاً عن ذلك المصل) . ولهذا المصل فائدتان اولاهما انهُ مضاد للمكروبات نفسها وثانيتهما انهُ مضادٌّ لمفرزاتها السامة . اما اثبات الفائدة الاولى فسهل الى الغاية وذلك ان يؤخذ ارنبان ويحقن في النسيج الخلوي في اذن كلٍّ منهما كميةٌ معينةٌ من مستنبت مكروبات الحمى التيفوئدية ثم يحقن في وريد احداهما قدر من المصل الذي وجدتهُ وتهمل الاخرى فبعد مضي ساعتين على هذه التجربة تلتهب اذن كلٍّ من الارنبين حيث حقن سائل المكروبات ويتكون في ذلك الموضع سائل مصلي فاذا اخذنا جانباً من هذا السائل من اذن كلٍّ من الارنبين على حدة وبحثنا فيهِ بالمكرسكوب رأينا ان المكروبات كثيرة تكاد لا تحصى في السائل المأخوذ من الارنب التي لم تحقن بالمصل وان ليس بين تلك المكروبات سوى العدد القليل من الكريات البيضاء الآكلة الميكروبات اما السائل الذي أُخذ من اذن الارنب التي عولجت بالمصل فعدد الميكروبات فيهِ قليل جدًّا وعدد الكريات البيضاء كثير . واذا اخذنا نقطتين من المصل الالتهابي من اذني الارنبين بعد مضي اربع ساعات على التجربة وبحثنا في كلٍّ منهما على حدة وجدنا مصل الارنب التي لم تعالج قد زادت فيهِ الميكروبات عما كانت عليهِ قبل مضي ساعتين وان ليس هناك اثر للكريات البيضاء . اما مصل الارنب الثانية فلا يكاد يُرى فيهِ سوى بقايا ميكروبات ضئيلة وعدد من الكريات البيضاء وفي كل كرية آثار من بقايا الميكروبات التي هضمتها . وبعد مضي ست ساعات على التجربة لا يبقى في هذا المصل اثر للميكروبات بالكلية . اما مصل الارنب الاخرى فلا تزال الميكروبات تتكاثر فيهِ . وقد اتيتكم بخمسة ميكرسكوبات فيها مستحضرات من مصل ارنبين اجريت فيهما هذه التجربة صباح اليوم لتروا بعيونكم الفرق الواضح بين الحالتين

والفائدة الثانية من المصل الذي وجدتهُ اي مقاومتهُ لفعل مفرزات الميكروبات لاتكلّف في اثباتها سوى الاشارة الى هذين الارنبين اللذين ترونهما هنا امامي ففي صباح هذا اليوم حقنت في وريد كلٍّ منهما قدرًا من المفرزات السامة التي تكون في الحمى التيفوئدية وبعد ذلك عالجتُ احداها بالمصل الذي وجدتهُ وتركت الاخرى بلا علاج . فترون ان التي عولجت بالمصل لا تزال حية وليس في هيئتها ما يدلُّ على انزعاج او سقم وان التي لم تعالج اصبحت في حالة النزع لاحراك فيها

هذا هو فعل المصل الذي وجدتهُ بالحيوان الذي لقح بميكروب الحمى التيفوئدية اما فعلهُ بالانسان المصاب بهذه الحمَّى فاليكم بيانهُ. قد تمكنت منذ سنة من تجربة المصل في مئة مصاب بالحمى التيفوئدية في مستشفيات عديدة في باريس ولكي آكون على ثقة من فعل المصل كنت اختار للتجربة اشد الحوادث وطأَة واشدها اعراضاً وكنت مع استعمال المصل اعالج المصابين بالمغاطس الباردة ايضاً فمن المئة الذين عالجتهم بهذه الطريقة لم يمت سوى ستة ثلاثة منهم حقنوا بالمصل بعد مضي زمن طويل على ظهور الحمَّى فيهم وكانوا مصابين بانثقاب الامعاء والتهاب البريتون كما ظهر من التشريح الرمي وواحد كان مصاباً مع الحمَّى بالتهاب رئوي لعلَّهُ كان سبب الوفاة ومنهم امرأَة ضخمة الجثة اصيبت بغنغرينا والسادس حقن بعد اليوم الخامس عشر من ظهور المرض فيهِ ومات فجأَةً وربما كان سبب موتهِ نزفاً معوياً

فيظهر لكم من ذلك انهُ لولا حصول تلك المضاعفات لكان متوسط الوفيات اقل من ٦ في المئة. وقد كنت اختار اشد الاصابات وطأَة لتجربة هذا المصل واضعف المرضى جسماً والمصابين بامراض مزمنة كالسل الرئوي والزهري وما شاكل. وكان بين المرضى الذين عالجتهم بهِ نساء حوامل واسقط بعضهنَّ ولكنهنَّ شفين رغماً عن ذلك

ورب قائل يقول: انك تعالج المرضى بالمغاطس الباردة مع استعمال المصل فكيف نعلم ان كانت هذه النتائج الحسنة التي حصلت عليها مسببة عن المغاطس الباردة او عن العلاج بالمصل فاجيب على ذلك ان الحكومة انتدبتني منذ خمسة عشر يوماً للذهاب الى بعض المدن الصغيرة التي تفشت فيها الحمى التيفوئدية والوقوف على اسباب ذلك فلما انتهيت الى تلك المدن وجدت في احداها مستشفى صغيراً ليس فيهِ ما يلزم من المعدات لعلاج المصابين بالحمى التيفوئدية بالمغاطس الباردة ولما وجدت متوسط الوفيات بهذا الداء كثيراً اشرت الى طبيب المستشفى باستعمال المصل واعطيتهُ كميةً منهُ واليوم اتاني منهُ هذا الخطاب (واراناً الاستاذ الخطاب الوارد اليهِ من طبيب ذلك المستشفى) وفيهِ يقول انهُ عالج خمسة عشر مريضاً بالمصل فشفوا كلهم فيتضح لكم من ذلك ان المصل مفيد جداً ولو لم يعالج المريض بالمغاطس الباردة

فيظهر مما تقدم ان فائدة العلاج بهذا المصل لاريب فيها واظن انني ان لم ادرك الغرض المقصود تماماً فقد قطعتُ شوطاً بعيداً في الطريق المؤَدية اليهِ اما فعل المصل بالحرارة والدورة وبقية الاجهزة فارجئ الكلام عليهِ الى فرصة أُخرى. انتهى ببعض تصرف

باريس في ٩ نوفمبر ١٩٠١ الدكتور شدودي

هواجسُ ام وساوس

لواعجُ هاجت من قديمٍ بلابلي لحَتّى متى عن بثّها متقاعسُ
فإن تكُ بعدَ البحثِ ليست هواجساً حقيقيّةَ الإسنادِ فهي وساوسُ

نعم وكثيرون من قرّاء المقتطف الكرام متى اطلعوا على هذا الكلام حسبوهُ اضغاث احلام واعرضوا عنهُ بوجوهٍ باسرة. وعدّوهُ لصاحبهِ صفقةً خاسرة. وصاحبهُ يتمنّى من صميم القلبِ ولبّ الأحشاء. أن يصدقَ ظنُّ هذا الفريقِ من القرّاء. ويكون ما هجس في صدرهِ. وعجز عن شرح متنهِ وابتلاء سرّهِ. تخليطاً من مسّ الوسواس. لا اصل لهُ في الحقيقة ولا أساس

أرّقني في احدى الليالي دويّ المركبات وأطار نومي وقع الحوافر وكرّ العجلات فقلتُ في نفسي هذه احدى حسنات التمدّن الحديث. وقد ساقني هذا الفكر الى مقابلة ما كنا في الماضي عليهِ بما صرنا في الوقت الحاضر اليهِ فالتهيت بهذه المقابلة ريثما يفارقني ضيف الارق الثقيل ويستأنس النوم النافر ولم أدرِ أني استشفيتُ من داءٍ بداءٍ واستجرتُ بالنار من الرمضاء. فان هذه المقابلة جلت على عينيَّ عروس "النهضة الجديدة" التي هلّ هلالها في الربع الاخير من القرن الماضي وكان الأملُ أن يصير بدراً كاملاً في مستهلّ هذا القرن الجديد. لكنني رأيتُ هذه العروس على حداثة عهدها وصغر سنّها خشنة الملمس والصوت ومزّة المذاق او تافهة لاطعم لها على الاطلاق وقد نقصها شيءٌ كثير من رونقها السابق وجمالها الشائق فدهشتُ لهذا الانقلاب الطارىء. والتغيير المفاجىء

ثم تفرّست فيها بعين الامعان لعلي اقف على سرّ ما كان واذا بها قد اصبحت بحذافيرها من جنس الرجال — مع انّ كلمة العروس للرجل والمرأة — ولم يعد فيها للجنس اللطيف صورة ولا مثال. ولهذا فارقتها نعومة الملمس ورخامة الصوت وحلاوة الطعم وجمال الصورة وكل ما لذّ وطاب. حتى اوشكت أن تشيبَ وتهرمَ في عنفوان الصبا وشرخ الشباب. وحينئذٍ زال العجب بظهور السبب

فانّ هذه النهضة الجديدة برزت في مصر وسورية عروساً عليها من العزم طراز بديع ولها من الرونقِ ثوبٌ قشيب وفيها للجنس اللطيف — نساء الشرق — اكبر نصيب. لأنهنّ حسرنَ كالرجال عن ساعد الجدّ والاجتهاد ونهضنَ مضافرات لهم على اصلاح الشؤون وإسعادِ البلاد. وجرينَ مباريات لهم في مضمار التحصيل والاكتساب. حتى كدنَ يجلّين في ميدان انارة الأذهان وتثقيف الالباب. وان كنت في ريبٍ من هذا الكلام. فعليك

بمراجعة المقتطف وغيره من جرائد مصر والشام . فترى كم فيها للجنس اللطيف من آثار اقلام تشهد له بانهُ حاز من التهذيب المنزلة الاولى . وكان له في النهضة الجديدة اليدُ الطولى . فما الذي ثناهُ الآن . عن اطراد الجري في هذا الميدان . حتى عطلت من حلى اقلامهِ صدور الجرائد . ولم يعد يصل النهضة الجديدة من فضلهِ باقٍ عائد

هذا السؤال اطلتُ فيهِ تأملي وتفكري فلم يفتح عليَّ بجوابٍ مقنعٍ تسكن اليهِ نفسي ويرضاهُ عقلي . ولما كان اليوم التالي ضمني وبعض الاصدقاء مجلس ادبٍ فعرضت عليهم سؤالي لعلي اظفر من احدهم بجوابٍ يصيب كبد الصواب ويميط عن محيا الحقيقة حجاب الارتياب . فقال واحدٌ منهم " ان علة انقطاع بنات حوَّاء عن مباراة الرجال في حلبة الإنشاء ان انامِلهنَّ التي كان لمسُ الحرير يدميها من قديم الزمان زادت ترفاً ونعومة جرياً على ناموس النشوء والارتقاء حتى اصبحت لا تقوى في هذه الايام على تحمُّل الطف انفاس الهواء فكيف تستطيع اهتصار اليراع واجتذاب القلم . وتأمن خدشاً من القصب يسيل الدماء او جرحاً من الحديد شديد الألم "

فاجابهُ الثاني " ليس الامر كما ذكرت بل ان الجنس اللطيف عندنا مشغول في هذه الايام عن صناعة القلم بما هو اهمُّ شأناً وامسُّ حاجةً وهو استيفاء شروط التمدن الحديث التي منها ان تُعنى الفتاة او السيدة بازياء الملابس والزين المختلفة وتجهد نفسها في التظاهر بالغنى والعظمة وتترفَّع عن الاهتمام بالقصبة التي لا شأن لصاحبها بين المتمدنات وبالنتيجة لا يكون من شأنٍ لصاحبتها عند المتمدنين . فلا تَلُم بنات الشرق او نساءهُ اذا اغفلنَ صناعة التحرير والانشاء وطلَّقنَ الصحف والدفاتر . والاقلام والمحابر بل لُمِ الايام التي قضت عليهنَّ بان يتمسكنَ بالاعراضِ ويتركن الجواهر . واللبيبُ من يجاري الزمان ويداري . ويلبس لكلِ حالةٍ لبوسها كما قال بيهس الفزاري "

فقال الثالث " كلاكما مخطئٌ غير مصيب وليس للحقيقة في كلامهِ نصيب فليس المانع هذا ولا ذاك ولم يكن قط للكتابة وجود حقيقيٌّ عند الشرقيات حتى نجهد انفسنا بالبحث عن علةِ زوالها وانطماس معالمها . بلى وُجدت كما هي الآن او اكثر قليلاً ولكن على صورة عارضةٍ كان منشأها اغراضٌ في نفوس اللواتي تعمَّدنها وتحرَّين الجري عليها حتى ادركنَ منها ما صبونَ اليهِ وحينئذٍ طلَّقنَ اليراع البتات ودعونَ على شمل الورق والحبر بالتفريق والشتات وقال الدهر آمين "

وقال الرابع وقد اسرف في التحامل " ووسَّع ذمتهُ " في الاتهام " وانا ازيد على هذا باني

فحصتُ اكثر ما نُسِب الى نسائنا من المقالات في صحف سورية ومصر وامتحنتهُ على الطريقة التشريحية التي اشار بها مرة احد اطبائنا (١) البارعين فوجدتهُ طبق ما ذهب اليهِ الطبيب المذكور اي انَّ يد الرجل اسدت فيهِ والحمت وأمرجت وألجمت . ولم يكن فيهِ لبنات حوَّاء سوى شرف الانتحال . الذي اتخذنهُ ذريعة لادّعاء حقِّ المساواة بالرجال . ومتى صحَّ امرٌ مبنيٌّ على الباطل . وادّعاءٌ من حلية الحقّ عاطل "

فقال الخامس " اما وقد طال الجدال وكثر في هذه المسألة القيل والقال فلنرفعها الى حَكَمٍ يدرك منها وجه الصواب ويقدر فيها على فصل الخطاب ولا ارى من يستطيع ان يفصل الخلاف على وجه الانصاف . ويقضي بحكم لا يقبل التمييز والاستئناف . مثل حضرة الكاتب النحرير والنطاسي الشهير الدكتور شميل " . فرضي الباقون بما اقترحهُ هذا . اما انا فأُكرهتُ عليهِ بحكم الاغلبيَّة . وها قد رُفعت المسألة الى حضرة الحكم المذكور . واخاف ان يجيء حكمهُ العادل مخالفاً لما يريدهُ الجنس اللطيف والمتشيّعون لهُ الاَّ اذا سبقت احدى النساء او احد المدافعين عنهنَّ الى نقض الاسباب المتقدمة واثبات سبب آخر اوجب انقطاعهنَّ عن الانشاء . ودعا الى مخالفتهنَّ ايَّانا في طريق التقدم والارتقاء . فارتفعنَ الى اسفل وتقدمنَ الى وراء

ويسوءني القول انهُ اذا انقضى شهرٌ على صدور هذه المباحثة ولم يرد عليها دحض او دفع ولا تكرَّم حضرة الدكتور شميل بحكمهِ فيها صحَّ ما قالهُ الرابع عند الخاصّ والعام . وهي نتيجة مؤلمة عسى انها لا تصح ولو في الاحلام

القاهرة اسعد داغر

رواية جذيمة والزَّباء

لجانب المقتطف الاغر

ان يفت المرء حظهُ الماديّ من الكتابة والتأليف في بلاد غشيها ما غشيها ممَّا يفسرهُ قول المقتطف الاغر في عدد شهر نوفمبر الجاري اثناء الكلام على رواية ريحانة النفوس اذ قال " ولكن شتان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليوناً من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقراء الكتب منهم لا يبلغون عشرة آلاف " فلا يفتهُ حظهُ الادبي بعرفان ذوي

(١) اشارة الى ما كتبهُ جناب الدكتور سليم بك موصلي في الجزء السادس من سنة المقتطف السادسة

الفضل والنبل فضل عمله وتقديرهم قدرهُ بل لن يفوتهُ ذلك وفي الناس اولو بقية من ذوي الفضل والنبل — والعاقل الاديب من اذا ظفر بهذا الحظ الادبي رأى انهُ قد فاز فوزاً عظيماً واجتنى كل ثمرات اتعابهِ ووفاهُ الله اجرهُ ذلك لانهُ يجد في المحمدة خصوصاً اذا كانت خالصة من شوائب الرياء لذة معنوية او مسرَّة نفسية لا يدرك عشر معشارها امثال أُولئك الذين ينشرون بين ظهرانينا من حين الى حين مطبوعات يسمونها كتباً ومؤلفات لا فخر فيها ولا محمدة بل هي المخزيات بعينها ثم تروج بضاعتهم وتربح صفقتهم اما بحكم السمعة والصيت الكاذبين او بطبيعة ميل السواد الاعظم منا للسخرية والهزء — اقول — وعلى نسبة اقدار ذوي الفضل الذين يزنون الاعمال و يقومونها بقيمتها وتفاوتهم في درجات العلم والعرفان تتفاوت ايضاً تلك اللذة المعنوية مراتب ومنازل وتختلف بالتبعية لهم في القيمة والمقدار . واذا كان احد الكتَّاب والمؤلفين قد ظفر بالنصيب الاوفر من الحظ الادبي وفاز باعظم لذة معنوية لا تعدلها بقية الملاذ مجتمعة فانا هو ذاك بذكركم اياي وروايتي (جذيمة والزَّباء) في المقتطف الجليل — نسخة شهر نوفمبر — باحسن ما يُذكر بهِ كاتب وباجمل ما يقرظ بهِ كتاب — و يعلم الله اني حين اقدمت على وضع تلك الرواية حتى فرغتُ منها ما كنتُ لاطمع في مثل هذا الفخر وكل ذلك الفضل الذي اولانيهِ المقتطف ومنشئاهُ اللذان لو كان لغيرهما من كتاب الجرائد فضل على الناس في تنمية الملكات وتهذيب الكتابة فهما قد علما الناس السحر فلابدع اذا تقلدت هذه المنة قلادة شرف وتطوقتها طوق فخر دونهما العقيان واطواق اللؤلؤ والمرجان . اما الشكر عليها فان سكت عنهُ فعذري أني لستُ بالغاً منهُ ما أُريد فتقبلاهُ والعذر عند كرام الناس مقبول

هذا وسواءٌ افلحت باقبال الناس على تلك الرواية او لم افلح بادبارهم عنها ويكون ذنبها عند التلاوة صوغها بحيث علمتم ولدى التمثيل خلوها من دعاوي العشق والغرام فلن يقعدني ادبارهم او انصرافهم عن الحذو على مثالها والنسج على منوالها كما سنحت لي فرصة ما دام يكون نصيبي عرفان امثالكم قيمة ما نحن مع اني بفضل الله قد ظفرت ايضاً باقبال كثير من الادباء على تلاوتها اقبالاً يفوق اقبالهم على غيرها من الروايات

واسمحوا لي حفظكم الله بتصويب عبارة نقلها المقتطف الاغر من الرواية فقد كتب " ان الانسان مع الحيجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرو الخ " والصواب هو " لا يعيش اكثر من نصف عمرو الخ "

محمد حليم بالمعارف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة



جورج ساند

هي ارمنتين لوسيل اورور المعروفة باسم جورج ساند الكاتبة الفرنسوية من نوابغ الطبقة الاولى بين الكتّاب الفرنسويين . ولدت بباريس سنة ١٨٠٤ وتوفي ابوها وهي طفلة فاقامت مع جدتها لابيها وهي اصلاً ارملة الكونت هورن ابن الملك لويس الخامس عشر وابنة المارشال سا كس بن اغسطس القوي منتخب سكسونيا وملك بولندا ففي عروق جورج ساند شيء من دم الملوك وكانت تفتخر بذلك . ويقال انها ولدت في ليلة راقصة ولما أُخبر ابوها بولادتها قال لقد ولدت بين الازهار والاوتار فسيكون السعد طالعها

وكانت جدتها تقيم في قصر لها في نوهان بولاية بري في اواسط البلاد حيث المعيشة جبليَّة طبيعيَّة فنشأَت على حب الطبيعة ورسخ ذلك في نفسها رسوخاً لم تمحهُ الايام . هناك عرفت اساليب الفلاحين ودرست اخلاق الناس درساً بقي في ذاكرتها لتستحضرهُ حين الحاجة اليهِ وتدمجهُ في ما الفتهُ من الروايات

وكان لابيها مشاركة في فنون الادب و يظهر من مكاتيبهِ لها انهُ كان بارعاً في الوصف ومعرفة طبائع الناس فورثت ذلك منهُ وهي القائلة " الاخلاق موروثة في الغالب . اذا اراد القرَّاء ان يعرفوني فليعرفوا ابي " ولما توفي ابوها كفلتها جدتها على ما تقدَّم لانها انفت ان تربي

مع امها وهي من اصل وضيع دون اصل ابيها . وكان لشيخ القرية التي فيها جدتها المام ببعض العلوم لانهُ كان اصلاً رئيس دير فعني بتعليمها وهو من الذاهبين مذهب روسو في وجوب ترك الاولاد الى الطبيعة واغرائهم بحبها والتعلم منها فجرى على ذلك في تعليمها وكانت عصبية المزاج يصيبها الاغماء وترى رؤًى تتجلى لها كأنها حقائق فلم تنخدع بها بل علمت انها من هواجس الخيال

ولما بلغت الثالثة عشرة أُتي بها الى باريس ووُضعت في دير الراهبات الاوغسطينيات الانكليزيات فبقيت فيهِ سنتين لم تخرج الى خارج اسوارهِ وهو انقلاب سريع من معيشة البر والخلاء الى معيشة الدير ضمن الاسوار لكن طبعها كان سلساً يقنع بكل شيء

وسنة ١٨٢٠ اعادتها جدتها اليها فعادت الى المعيشة الخلوية الى الركوب والصيد والجولان في الحراج وبين المروج الى محادثة الفلاحين وسماع اقاصيصهم وقرأت مختلف الكتب مثل ارسطو وليبنتز ولوك وكندلياك في الفلسفة ورنه وتشيلد هرلد في الادب وتركت الزهد جانباً ورأَت ان التدين الصحيح لا يقضي بالانقطاع عن العالم ومهامهِ وبقيت على وداد صديقاتها الاوَل من راهبات الدير الذي ربيت فيهِ حتى عزمت على العودة اليهِ حينما توفيت جدتها لكن اصدقاءها صرفوها عن هذا العزم فتزوجت برجل اسمهُ ديدفان وولدت لهُ ولدين ابناً وابنة ولم يكن من ذوقها وهو ضابط ترك الجيش وانقطع الى الفلاحة فكان يهتم بارضهِ ومواشيهِ اكثر مما يهتم بزوجتهِ وولديهِ فصبرت عليهِ الى ان عيل صبرها فتركتهُ برضاهُ وتركت لهُ املاكها واخذت ابنها ومضت الى باريس تفتش عن عمل تعيش منهُ لان زوجها قطع لها ستين جنيهاً فقط في السنة فرضي دولاتوش محرر الفيغارو ان تكتب لهُ بعض المقالات فلم يبلغ كسبها في الشهر سوى خمسة عشر فرنكاً وكان في ادارة الفيغارو شاب اسمهُ جول ساندو فاتفقت معهُ على ان يؤلفا رواية فالفاها معاً ونشراها بعنوان روز وبلانش Rose et Blanche ونسباها الى جول ساند اسم اشتقاهُ من اسمهِ ثم الَّفت رواية أُخرى ولم يشأ ان يشاركها فيها فسمت نفسها فيها جورج ساند ومن ثمَّ عُرفت بهذا الاسم

وكان القرَّاء قد ملُّوا قراءة الروايات التاريخية ولم تكن روايات بلزاك الاولى من طبقة الروايات التي انشأها بعدئذٍ فلما نشرت روايتها انديانا تهافتوا عليها تهافت الجياع على القصاع لانهم رأَوا فيها غرام روسو وتصوُّر سنت بير وعظمة شاتوبريان مجموعة في صور عصرية حيَّة فرقيت الى اوج الشهرة في يوم واحد وجاءها محرر الفيغارو وكان اول من طرح نفسهُ عند قدميها واستغفرها عن عدم عرفانهِ فضلها . وجاهر العلماء باستحسانهم اسلوبها وبحث الجمهور عن اصلها وفصلها حتى عرفوا اسمها ووفوها حقها من الاكرام

وبعد شهرين نشرت قصة فالنتين فاثبتت ان فيها مبدأً فياضاً لا تنفد جدده ولا تخلق ديباجة جلبابه الاخبار الذي اخبرته بتزوجها رجلاً لا تحبه وحلاه ابدع صور الخيال المنتزعة من جمال الطبيعة ومجالي عرائسها

ثم نشرت روايتها الثالثة للي Lélie وهي في حالة من اليأس لا يعلمها الا من وقع فيها وهويت رجلاً ومضت معه الى ايطاليا ثم ندمت على ما فعلت وكأن التقادير ساقتها الى ذلك لكي تكتب ثلاث روايات عن اخبارها فيه كما كتبت روايتيها الاوليين واصفة فيهما اقتران المرأة بمن لا تهواه

وتتابعت رواياتها بعد ذلك وبعضها آخذ برقاب بعض ومالت الى مذهب الفلاسفة الموحدين القائلين بقياس العقل لا بقياس التعليم بعد ان كانت من اللواتي غلبت عليهن الوساوس

وعادت الى قصرها في نوهان فصار نادياً لرجال العلم والفضل من الكتّاب والفلاسفة وكانت مضيافة ترحّب بهم وتحلهم على الرحب والسعة ورواياتها تنشر تباعاً كأنها ينبوع غزير لا يغيض ماؤه وبقيت على التصنيف الى ان ادركتها الوفاة في السابع من شهر يونيو سنة ١٨٧٦ وجُمعت مؤلفاتها وطبعت في كتاب واحد فبلغ مئة وعشرين مجلداً

وقد ألّف الناس كتباً في انتقاد رواياتها واساليبها في الانشاء وخلاصة ما اتفقوا عليه ان مصنفاتها تنقسم الى ثلاثة اقسام حسب ادوار حياتها ففي الدور الاول كانت مستاءة من اقترانها برجل لا تحبه ولا يحبها فاعربت في رواياتها الاربع الاولى عما يخالج ضميرها ونسجتها على منوال الروايات الغرامية المشحونة بالغرائب ذاهبة فيها مذهب الكتّاب في ذلك العصر . وفي الدور الثاني كانت قد عاشرت علماء بلادها وفلاسفتها واطلعت على آراء رجال السياسة والدين فنحت في رواياتها هذا النحو فترى فيها الآراء الفلسفية والسياسية والدينية . وفي الثالث انقطعت الى المعيشة الخلوية الساذجة وعاشرت الفلاحين القرويين فضمّنت رواياتها وصف احوالهم وما فيها من بساطة المعيشة . ويضاف الى ذلك تاريخ حياتها وروايات اخرى صنفتها ولم تنهج فيها منهجاً خاصاً

وقد امتازت بخطة جديدة اختطتها لنفسها وهو انطاق الفلاحين وغيرهم من اهل السذاجة بالكلام الذي ينطقون به عادة لا بكلام العلماء ورجال السياسة . وعبارتها في ذلك وغيره بسيطة فصيحة خالية من التعقيد والركاكة . لكنها لم تفلح في اختراع القصص وتدبير الحيل لكي تتعلق نفس القارىء بما يقرأه ويرى فيه شيئاً جديداً كلما كرّر قراءته حتى قيل ان من يقرأ رواية من رواياتها لا يهتم بقراءتها مرة اخرى هذه اكثر مغامز الضعف فيها ومع ذلك

لها المقام الارفع بين كتّاب العصر

نصائح في تربية الاطفال

(١) لا تزعج الطفل بالصياح والصراخ ولا تدخل بهِ مكاناً كثر اجتماع الناس فيهِ وعلت جلبتهم لان السكينة لازمة لهُ نهاراً وليلاً

(٢) لا تنتهر الطفل ولا تزجرهُ ولا تخفهُ لان كل فعل فجائي يضرُّ بهِ فيشبُّ عصبياً سريع التأثر

(٣) لا تضرب الطفل قصاصاً لهُ وقد يجوز الضرب للولد ولكنهُ لا يجوز للطفل

(٤) ابذل جهدك في كل ما يسرّ الطفل فيشب وطبعهُ مائل الى البهجة والسرور فترضيهِ الحياة ويسرُّ والديهِ والذين يعاملونهُ

(٥) لا ترفع الطفل بذراعيهِ ولا تحاول جعلهُ يقف على قدميهِ قبلما يشتد كعباهُ وحينما يشتد كعباهُ وقدماهُ يحاول من نفسهِ الانتصاب والمشي

(٦) عوّد الطفل التغوط في اوقات مخصوصة فيصير يطلبهُ فيها فقط

نصائح للمرضع

(١) على المرضع ان لا تحمل همّاً وان تبعد عن كل اسباب الهم والغم

(٢) عليها ان تأكل اربعاً في اليوم طعاماً كافياً ومغذياً ولكنهُ ليس كثير الدسم ولتكثر من شرب اللبن واكل الاثمار الطرية الناضجة ولتقلل من شرب الشاي والقهوة وتمتنع عن شرب المسكرات على انواعها لانها تضرُّ بها وبرضيعها ويمكنها الاستغناء عنها باللبن والمآكل اللطيفة المغذية السهلة الهضم

(٣) على كل والدة ان ترضع طفلها من ثدييها الاَّ اذا منعها الطبيب عن ذلك لضعفها او انحراف صحتها . والرضاعة نافعة للام وللطفل معاً

غسل احرمة الصوف

ضع ملعقتين كبيرتين من البوركس (البورق) وقدر نصف رطل (ليبرة) من الصابون المحلول في الماء في اناء كبير من الماء البارد ومتى ذاب البوركس والصابون في الماء ضع الحرام

فيهِ واتركهُ ليلة كاملة وافركهُ جيدًا في الصباح وارفعهُ من الماء واتركهُ فوقهُ حتى ينضح الماء منهُ ثم ضعهُ في ماء نقي واغسلهُ بهِ وغيّر الماء مرتين ثم انشرهُ لينشف ولا تعصرهُ ابدًا

نزع لطخ الدم

قد تخيط المرأة شيئًا ابيض لتبيعهُ وتغرز الابرة في اصبعها فتدميها ويتلطخ المخيط بدمها فيخسر من ثمنهِ . ويمكن ان تزال عنهُ لطخ الدم بان يذاب النشاء في الماء ويوضع على اللطوخ طبقة سميكة فيزيل اثرها . او تدهن اللطوخ بمذوّب الصودا او البوتاسا ثم بمذوّب الشب الابيض

نساؤنا والانشاء

في هذا الجزء في باب المراسلة شبهة بل تهمة أُلقيت على حضرات السيدات اللواتي مارسنَ صناعة الانشاء مدةً قصيرةً ثم انقطعنَ عنها سيقرأنها ويصوّبنها او يخطئنها ولهنَّ في ذلك رأيهنَّ . وليس من غرض الكاتب الفاضل الحط من كرامتهنَّ في ما كتبهُ في باب المراسلة وانما غرضهُ حثهنَّ على مجاراة الرجال في مضمار الانشاء لان الجري فيهِ مباح لهنَّ كما هو مباح لاخوتهنَّ وازواجهن . وعلى مَ يقوم من الفرنسويين مثل مدام ده سفنيه التي اوردنا ترجمتها في الجزء الماضي وجورج ساند التي اوردنا ترجمتها في هذا الجزء ولا يقوم من الشرقيات بنات مصر والشام مؤلفات مثلهما . ولا يحق لنا ان نتوقع قيام مئات من المؤلفات عندنا كما قام عند الفرنسويين والانكليز والاميركيين ولكن يحق لنا ان تكون نسبة المؤلفات عندنا الى المؤلفين كما هي عندهم والاَّ فنساؤنا مقصرات عن مجاراة رجالنا . وهذا الحكم خاص بالمسيحيين الذين انشأوا المدارس لبناتهم كما انشأوها لبنيهم واما غيرهم من الذين يمنعون تعليم البنات او لا يهتمون بهِ كثيرًا فهذا الحكم لا يتمشى عليهم

وهذا القول لا يغير جوهر التهمة التي مفادها ان ما نشر منسوبًا الى النساء كتب اكثرهُ الرجال وانتحلهُ النساء او نُشر تحت اسمهنَّ . ولا بدَّ ان تحدد اقلام الكاتبات الفاضلات لدفعها قبل ان يبدي احد حكمهُ فيها وسنرى هل يكتبن شيئًا في دفعها او يرضين من الغنيمة بالاياب وموعدنا الجزء التالي



تقاوي القمح

لا شيء يحضي العزيمة كالمناظرة ولذلك نرى مجلة الجمعية الزراعية ومجلة نقابة اتحاد مزارعي القطر قد زادتنا فوائد من حين شرعنا في المناظرة . وفي الجزء الاخير من مجلة النقابة مقالة للمسيو اغاتون موضوعها قمح البذار واختياره وتحضيره ابان فيها ان لا بدَّ لانتقاء تقاوي القمح من استعمال آلات الفرز التي استنبطها الاوربيون لهذه الغاية قال " ومن المقرر الثابت ان قوة الانبات في النبات تتوقف في معظم احوالها على جودة البزور وشدتها . ولبيان تأثير الحبوب الكبيرة والصغيرة في الحاصلات من زيادة او نقصان عمل المسيو ديرز من اكابر الملاك الفرنسويين ومهرة مزارعيهم تجارب مفيدة في اراضيهِ ببلدة كابل التي زرتها عام ١٨٩٨ واعجبت بمحصولاتها وهي في مزارعها ومن هذه التجارب ان المسيو ديرز زرع الارض بحبوب كبيرة وصغيرة آتية من نوع واحد من انواع القمح فكانت النتيجة بالتطبيق على المكاييل ومراعاة النسبة بينها وبين المكاييل الفرنسوية كما يأتي

ان القمح الاصفر ذا السنابل المربعة كان محصول الفدان الواحد منهُ من التقاوي الكبيرة البزر ١٧ اردباً من الحب و ١٦ حملة من التبن . ومن التقاوي الصغيرة البزر ١١ اردباً من الحب و ١٠ حملات من التبن وعليهِ فالتقاوي الكبيرة البزر زاد محصولها على محصول التقاوي الصغيرة البزر ستة ارادب حباً من الفدان وست حملات تبناً

وقد اتضح لهُ من تجربة أُخرى كانت التقاوي فيها من قمح آخر ان محصول الفدان من التقاوي الكبيرة الحب كان ١٣ اردباً قمحاً و ١٤ حملة تبناً . ومن التقاوي الصغيرة الحب كان المحصول ٦ ارادب قمحاً و ٧ حملات تبناً

فاذا نظرنا الى نتيجة هاتين التجربتين تقرَّر لدينا ان المزارع الذي يهمهُ زيادة المحصول من اراضيهِ ينبغي لهُ ان لا يدع في التقاوي حبوباً صغيرة بل يقتصر على زرع الحبوب الكبيرة. واذا كان عند المزارع مقداران متساويان من القمح المعد للزرع وحبوب المقدارين متساوية حجماً واحدهما اثقل من الآخر فزرع الثقيل منهما خير من زرع الخفيف . ولثقل القمح اهمية عظيمة جداً والقمح البلدي يزن الاردب منهُ من ٣٣٠ الى ٣٤٥ رطلاً فاذا كانت حبوبهُ

وحبوب غيره متساوية الحجم فالواجب اتباع ارجحهما وزناً واذا كان امام الانسان نوعان من القمح متشابهان الاَّ انهما تختلفان في المصدر فوسيلة الوزن التي هي من ايسر الوسائل احسن واسطة لمعرفة اجودهما . والطريقة لذلك هي ان تؤخذ قبضة من احد الصنفين وينتخب منها ١٠٠ حبة تلقى في كوبة مملوءة ماء مضافاً اليهِ شيء من الملح ثم يعمل مثل ذلك بقمح الصنف الثاني وينظر بعد ذلك الى الحبوب التي تطفو على سطح الماء في الكوبتين فما كان منها اقل عدداً من الآخر كان الصنف الذي هو منهُ اثقل واجود . وللاتقاء من الوقوع في الخطاء تعاد العمليَّة مرتين او ثلاث مرات ويؤخذ بدلاً من المئة حبة مئتا حبة

زراعة الليمون

كتب المستر بونابرت مقالةً مسهبة في هذا الموضوع في مجلَّة الشركة الخديوية الزراعية نلخص منها ما يأتي

ان اشجار الفصيلة الليمونية تجود في القطر المصري وتثمر في اوقاتها ولا سيما البرتقال واليوسف افندي والليمون الحامض (الاترج) اما البرتقال فيزرع في كل انحاء القطر ولا سيما في بساتين القاهرة وهو ثلاثة اجناس البلدي واليافاوي والدموي او المالطي اما البرتقال البلدي فاكثرها انتشاراً وثمرهُ اصغر من ثمر اليافاوي واكبر من ثمر الدموي وقشرهُ رقيق وعصارهُ كثير وينضج باكرًا ومنهُ نوع شديد الحلاوة لبهُ اصفر يعرف بالبرتقال السكري

واليافاوي أُتي بهِ من يافا وهو اقل انتشاراً من البلدي واثمارهُ اكبر من اثمار البلدي والدموي وقشرتهُ سميكة خشنة وعصارهُ اقل من عصار البلدي ويتأخر نضجهُ عن نضج البلدي ولكنهُ يحفظ زمناً طويلاً بخلاف البلدي فانهُ لا يحفظ الاَّ زمناً قصيراً

والدموي او الاحمر اصغر من الجنسين السابقين والذُّ طعماً منهما ولبهُ احمر وحينما ينضج تتلوَّن قشرتهُ بلون احمر ايضاً ويتأخر نضجهُ عن غيرهِ

وينمو البرتقال في كل الاراضي ما عدا الرمليَّة ولكنهُ لا يجود الاَّ في الاراضي الشديدة الخصب العميقة التربة لكي تغور جذورهُ الطويلة فيها ولا بدَّ من ان تكون الارض كثيرة السماد

ويزرع البرتقال بزوراً او يطعَّم تطعيماً في شجر النارنج او الاترج وقد يزرع بالترقيد . اما البزور فتزرع في اواخر فصل الشتاء او ابتداء الربيع في المشاتل او في الصناديق ولا بدَّ من ان تؤخذ البزور من الاثمار مباشرةً وتزرع قبلما تجف لانها تفقد قوة الانبات اذا جفَّت وتزرع صفوفاً بين الصف والاخر ست عقد الى تسع وبين البزرة والاخرى ٣ عقد الى ٤ فتنبت

سريعاً ولا بدَّ لها من سترة تظللها من الشمس من شهر مايو الى سبتمبر وتصنع هذه السترة من خوص النخل . وينقل النبات وعمرهُ سنتان الى ارض كثيرة السماد في المشتل نفسهِ ويجعل البعد بين كل نبتة واخرى ٢٠ عقدةً او نصف متر وتترك فيها سنتين اخريين . وتنقل من هناك الى البستان الذي يراد زرعها فيهِ . ومتوسط البعد بين الشجرة والشجرة اربعة امتار لكنهُ يزيد او يقلُّ حسب خصب الارض وقلة خصبها

ولا بدَّ من الاعتناء باشجار البرتقال وقت نقلها من المشاتل لغرسها حتى لا يكسر جذرها الاوسط ولا ينزع التراب الذي بين جذورها واذا كسر جذرها الاوسط وجب بريهُ بسكين ماضية . ويوضع في كل حفرة تراب ناعم وسماد بلدي مختمر قبل غرس الشجرة فيها ثم تروى الاشجار حال غرسها

ويمكن تطعيم البرتقال في شهر مارس او في شهر اغسطس وقت بداءة الفيضان . وهو يطعَّم اما في النارنج او في الاترج (الليمون المالح او الحامض) ويفضل النارنج على الاترج لانهُ اقوى واسهل انباتاً من البزور واطول اقامةً في الارض . ولا بدَّ من ان تكون الاشجار التي يراد تطعيمها قوية عمرها ثلاث سنوات على الاقل ويتم التطعيم والشجر في المشتل ثم ينقل في السنة التالية الى البستان ويكون التطعيم في ساق الشجرة الاصلي ويحسن قطع بعض الاغصان من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها لكي يقوى البرعم الذي يراد نقلهُ والتطعيم بهِ . والبرتقال المطعَّم تنضج اثمارهُ قبل اثمار البرتقال البزري لكن اثمار البزري اجود من اثمار المطعَّم طعماً واكبر منها حجماً

وتتوقف كثرة الثمر على الخدمة . ويزهر البرتقال ويثمر من غير خدمة ولكن اذا اعتُني بخدمتهِ كثر ثمرهُ كثيراً . فلا بدَّ من حرث ارضهِ وعزقها جيداً ونزع الحشائش منها . ويجب ان لا يعمَّق الحرث الأَّ بعيداً عن الاشجار واما بقربها فلا يعمَّق لئلاَّ تنزع منها الجذور السطحية الصغيرة وهي كثيرة ولا بدَّ من حفظها . وما من شجر يستفيد من السماد اكثر من البرتقال . ويستعمل لهُ السماد البلدي (زبل المواشي) في هذه البلاد ويجب ان يكون مختمراً جيداً وهو يضاف الى الارض في شهر فبراير مرةً كل سنتين ومتى اخذت الاشجار تحمل تسمد كل سنة

ولما كان البعد كثيراً بين اشجار البرتقال وكان حملها يتأخر وجب ان تزرع الارض بينها خضراً او نباتات أُخرى كالخيار والبطاطا الحلوة والبرسيم والبنفسج لكي لا تضيع فائدتها . والعزق الذي تقتضيهِ هذه المزروعات يفيد اشجار البرتقال على شرط ان تسمد جيداً ولا بدَّ

من الاعتناء بالري ويجب ان لا يكون الماء غزيرًا في زمن الازهار

ويتفرع من اشجار البرتقال فروع كثيرة جانبية فيجب نزعها كلها ويترك للشجرة ساق واحدة لا فروع فيها الى علو خمس اقدام وتقطع هذه الفروع بسكين ماضية من جانب الساق تمامًا حتى ينمو القشر فوق القطع ويغطيهِ ومتى بلغت الاشجار اشدَّها تقطع منها الاغصان التي ظهر فيها اليبس او التي نمت على شكل غير حسن

ويبتدئ موسم البرتقال في القطر المصري من اواسط نوفمبر او اوائل دسمبر ويبقى الى ١٥ فبراير وبعضهُ يبكر عن ذلك وبعضهُ يؤخر واجودهُ من ١٥ يناير الى ١٥ فبراير واذا بلغت اثمار الشجرة ٤٠٠ برتقالة فذلك حسن في هذا القطر

ولا بدَّ من الاعتناء بالاثمار حال جمعها لكي لا تترضض ولا سيما اذا اريد نقلها من مكان الى آخر ولذلك يصعد قاطفها على سلم ويقطفها بيدهِ من الاشجار العالية ويترك جانبًا من العرق في كل ليمونة

واذا اريد شحن البرتقال الى الخارج وجب ان يقطف وهو اخضر ولكن بعد ان يتكامل نموهُ ولا داعي لان يترك على الشجرة حتى يصفر لانهُ يصفر من نفسهِ بعد قطفهِ . وينشَّف البرتقال قبل وضعهِ في الصناديق وتلف كل برتقالة منهُ بورقة وتفضَّل اقفاص الجريد على صناديق الخشب ويكون طول الصندوق منها قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدمًا ونصف قدم وعلوهُ كذلك ويجعل حاجز في وسطهِ من الجريد ايضًا ليقل هز البرتقال فيهِ . ولا بدَّ من وضع الثمر بعضهُ بجانب بعض تمامًا حتى لا يتحرك بسهولة . ومن ان يكون البرتقال الذي يوضع في الصندوق الواحد من حجم واحد ومن درجة واحدة في النضج

واذا لُفَّ البرتقال بالورق الرقيق ووضع في صندوق من الخشب صفوفًا بينها رمل حفظ زمانًا طويلاً

المزروعات المصرية

اهم المزروعات المصرية المعتمد عليها الآن القطن والقصب والقمح والشعير والذرة والبطاطس والفول والبرسيم ولا بدَّ من ان يُعرف كم يأخذ كل منها من غذاء الارض ولا سيما من عنصر النيتروجين القليل الوجود فيها والذي لا بد منهُ للمزروعات اما الفول والبرسيم فاكثر ما يأخذانهِ من هذا العنصر مستمدٌّ من الهواء ولذلك لا يفقران الارض كثيرًا وما بقي من

المزروعات تختلف نسبة ما تأخذهُ من الارض من النيتروجين وغيرهِ من العناصر الجوهرية على ما ترى في هذا الجدول

	النيتروجين	الحامض الفصفوريك	البوتاسا	الجير
القطن	٥٤	١٩	٤٠	٢٥
قصب السكر	١٢٧	٤٤	٢٩٨	٧١
القمح	٤٣	٢٣	٣٦	١٦
الشعير	٤٧	٢٣	٥٤	١١
الذرة	٦١	٣١	٦٦	١٤
البطاطس	٣٦	١٣	٤٨	٢

هذا ما تأخذهُ زراعة كل فدان بالارطال المصرية من تراب الارض وواضح من ذلك ان القصب يفقر الارض اكثر من غيرهِ من المزروعات ولذلك لا يزرع الاَّ في الارض الجيدة التي اتقنت خدمتها وكثر سمادها ويتلوهُ في ذلك الذرة والقطن. والذرة تفقر الارض اكثر من القطن ولكن يؤكل جانب منها في الارض وتبقى حبوبها في البلاد واما القطن فينزع كلهُ من الارض حطبهُ وقطنهُ وبزرهُ واكثر النيتروجين في البزر فتخسرهُ الارض كلهُ ولكن لو عصر الزيت من البزر في القطر المصري وأُطعم كسبهُ للمواشي وسمدت الارض بزبلها وحرق قشر البزر في المعامل المصرية ورُدَّ رمادهُ الى الارض لما ضاع منها شيء يذكر من النيتروجين

ومن رأي المستر فودن ان القطن يضعف كثيرًا اذا تكررت زراعتهُ في الارض الواحدة ولو لم يأخذ منها عناصر كثيرة . ويظهر لنا ان هذه المسألة لا تزال مفتوحة للبحث لاننا رأينا اراضي كثيرة زُرع فيها القطن سنة بعد سنة مرارًا ولا يزال يجود فيها جودةً فائقة الحد فعسى ان يبحث فيها احد ارباب الزراعة بحثًا مدققًا في انواع مختلفة من الارض لانهُ اذا ثبت ان زرع القطن ممكن ولو مرَّة كل سنتين من غير ضرر فمن ذلك فائدة كبيرة

القطن المصري في اميركا

رأَينا في التقرير السنوي من الديوان الزراعي في الحكومة الاميركية عن السنة الماضية ان الخواجات لاثروب وفيرتشيلد بعثا عشرين قنطارًا من بزر القطن الينوفتش الى الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ اقوى على مقاومة الادواء من السي ايلند والابلند ولذلك فمن المحتمل ان تنتشر زراعتهُ في اميركا

العلف من عيدان الذرة

اهتمَّ الاميركيون من مدة وجيزة في جعل عيدان الذرة علفاً للمواشي فوجدوا انهُ اذا صنعت آلة تكسر العيدان وتطحنها اكلتها المواشي واغتذت بها كما تغتذي بالعلف اليابس كالدريس ونحوهِ ويكون لها مزية على غيرها من العلف اليابس في انها تمتص الدبس او الدم فتصير من اجود انواع العلف. والظاهر ان الاميركيين لا يضيعون شيئاً من دم المواشي التي يذبحونها بل يجمعونهُ ويضيفونهُ الى العلف ومعلوم ان الدم من اكثر المواد غذاء لاحتوائهِ على كل المواد التي يتألف منها جسم الحيوان . والدبس مفيد ايضاً ولو قصرت فائدتهُ عن فائدة الدم وكلاهما يضاف الى دقيق عيدان الذرة فيصير بهِ علفاً مغذياً جدًّا وقد ثبت بالامتحان انهُ لا شيء مثل دقيق هذه العيدان لامتصاص الدم والدبس لاجل العلف

معرض طنطا الزراعي

فتح معرض طنطا الزراعي في ٢٥ و٢٦ اكتوبر الماضي بعد كتابة باب الزراعة في المقتطف وعرض فيهِ ٢٥٠ حيواناً من الثيران والعجول والجواميس وكانت الثيران ولا سيما ثيران الشغل منها من اجود ما عرض في معارض العاصمة . وفتح المعرض البرنس ابرهيم باشا حلمي نائب رئيس الشركة الزراعية وهذه اسماء الذين نالوا الجوائز في هذا المعرض

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ ٣ سنوات او اكثر

الاولى	السيد محمد الغنيمي	٨٠٠	غرش
الثانية	احمد بسيوني	٦٥٠	غرشاً
الثالثة	خليفه بك حناته	٥٥٠	"
الرابعة	احمد بك فريد	٤٥٠	"
الخامسة	محمد افندي حناته	٣٥٠	"
السادسة	السيد حسين القصبي	٢٥٠	"
السابعة	محمد بك ابو جازية	١٢٥	"

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ من سنة الى ثلاث سنوات

الاولى	مرسي بك ابو جازية	٧٠٠	غرش
الثانية	سيد بك ابو حسين	٥٥٠	غرشاً

الثالثة	خليفه بك رمضان	٤٥٠	غرش
الرابعة	حسن بك زايد	٣٥٠	غرشاً
الخامسة	اسماعيل حماد	٢٥٠	"
السادسة	حسن بك زايد	١٥٠	"
السابعة	حسن بك زايد	١٠٠	"

جوائز بقرة بلدية حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات

الاولى	سعيد بك ابو حسين	٦٠٠	غرشاً
الثانية	خليفه بك حنانه	٥٠٠	"
الثالثة	منصور بك ابو حسين	٤٠٠	"
الرابعة	حافظ بك منشاوي	٣٠٠	"
الخامسة	سيد بك ابو حسين	٢٠٠	"
السادسة	عبد الحميد افندي سعيد	١٢٥	"
السابعة	منصور بك ابو حسين	٧٥	"

جوائز جوز ثيران خصية للشغل

الاولى	يوسف بك ابو جازيه	٧٠٠	"
الثانية	عوض الله اسكندر	٥٥٠	"
الثالثة	احمد بك الشريف	٤٥٠	"
الرابعة	سيد بك ابو حصين	٣٥٠	"
الخامسة	الشركة الزراعية الصناعية	٢٥٠	"
السادسة	محمود بك عبد الغفار	١٥٠	"
السابعة	احمد بك الشريف	٧٥	"

جوائز جاموس يزيد عمرهُ على ٣ سنوات

الاولى	محمد بك راسم	٥٠٠	"
الثانية	سيد افندي نصر	٣٥٠	"
الثالثة	حسن بك زايد	٢٧٥	"

جوائز جاموس عمرهُ اقل من ٣ سنوات

الاولى	خليفه بك رمضان	٤٠	"

الثانية	خليفه بك رمضان	٢٧٥	غرش
الثالثة	محمد افندي حتاته	١٥٠	"

جوائز جاموسة عمرها اكثر من سنتين

الاولى	منصور بك ابو حسن	٣٥٠	"
الثانية	ابرهيم بك حسن	٢٥٠	"
الثالثة	ابو العينين جاد	١٢٥	"
شهادة درجة اولى	عيسوي بك سعيد		
شهادة درجة ثانية	شاهين بك الجنزوري		

جوائز خروف مرعز عمره اكثر من سنة

الاولى	محمد بك المرميل	٣٥٠	"
الثانية	بوغوص باشا نوبار	١٧٥	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	خليفه بك حتاته	١٠٠	"

جوائز ثلاث نعاج مرعز

الاولى	بوغوص باشا نوبار	٢٠٠	"
الثانية	خليفه بك حتاته	١٥٠	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	محمد عبد الله	١٠٠	"

جوائز خروف بلدي عمره اكثر من سنة

الاولى	سيد بك سليمان	٢٥٠	"
الثانية	خليفه بك رمضان	١٧٥	"
الثالثة	عبد الحميد افندي سيد	١٢٥	"

جوائز ثلاث نعاج بلدية

الاولى	محمد افندي طاهر	٢٠٠	"
الثانية	عبد الحميد افندي سعيد	١٥٠	"
الثالثة	محمد افندي الخولي	١٢٥	"

جوائز بغل يصلح للاشغال الزراعية ومولود في مصر

الاولى	الشركة الزراعية الصناعية	٤٠٠	غرش
الثانية	عيسوي بك سعيد	٢٠٠	"
الثالثة	ميخائيل بك رزبان	١٠٠	"

جوائز الجمال

مدالية من فضة	عيسوي عيسوي ابو راضي
مدالية من برونز	عيسوي عيسوي ابو راضي

باب التقريظ والانتقاد

الفقه والتصوُّف

مأخذ الفقه في الاسلام القرآن والحديث . وقد كان المسلمون في الصدر الاول يتفقهون بفقهِ الشارع الاعظم ثم بفقه اصحابهِ والتابعين . ولما استطارت شرار الشرور بين الاخيار والاشرار والاقرباء والاغيار هلك جمهور كبير من اهل الذكر والفتيا نخيف لعموم البلوى بالجهل ان تضيع الاحكام بموت القادرين على استخراجها ويصبح القضاه والافتاء أُلعوبة بايدي من لا خَلاق لهم من العلماء فقُيض للفقه بعد ان سكنت نأمة الفتن قليلاً واشتدت حاجات الناس الى وضع احكام يسير فيها المسلمون مع الزمن ولا يخرجون عن محور الدين رجال توفروا على حسن خدمتهِ في القرن الثاني والثالث واعتمد اهل السنَّة من بينهم مذاهب الائمة الاربعة وهم مالك والشافعي وابو حنيفة واحمد بن حنبل لاشتهارهم بالعلم والعمل واعتقاد الامة الخير فيهم . فدونوا عنهم آراءهم واحكامهم في العبادات والمعاملات وان لم يسمح هؤلاء الاعلام باخذ شيء عنهم قبل التثبت فيما ذهبوا اليهِ ليرى الباحثون بالبرهان صحة ما عزي الى متن الدين ونقل من اقوال المتسلسل فيهم وعنهم

وبعد هذا حصرت الدائرة واكتفى القوم بما دُوّن وحرر وانشأ ينقل القرن بعد القرن الى يوم الناس هذا مشفوعاً بما زاد عليهِ الفقهاء الذين جاءوا بعد من الشروح والحواشي التي ارتأوا اضافتها الى مذاهبهم بحيث اصبح المكتوب في الفقه الاسلامي يربو على مئة حمل من الاوراق ان لم اقل اكثر . وترقت الحال بالمتأخرين حتى كادوا يدثرون اقوال الائمة انفسهم

و يستعيضون عنها بتلك المطولات التي تضيع الاعمار في تعلمها وتضل عقول المستفيدين في محاراتها خصوصاً وقد أُلبست في كل زمن لباساً غير لباسها الاول وصورت بحسب اذواق الحكومات وشهواتهم. وليت المتأخرين اكتفوا بالأمهات وكفوا الناس مؤنة الاولاد المخدجة التي ولدوها فكانت مكدرة على الامة شرعة ارتقائها

وهناك بقيت فئة قليلة لم ترضَ التقيد بقول عالم من العلماء في اخذ الفقه ولما لم ترَ من العقل حصر الفضل في شخص معين اختارت فتح باب الاجتهاد وإطلاق الحرية لاهل البصر يستعملون عقولهم و يغوصون في عباب الدين فيخرجون منهُ ما هدتهم اليهِ احلامهم وافهامهم. لا سيما والائمة الاربعة وغيرهم من اهل النظر لم يأمروا بالوقوف عند الحدّ الذي وصلت اليهِ مبالغ علمهم وما اشاروا الى العمل بها الاَّ بعد عرضها على المنابع الاصلية الموثوق بها

وهذا كان شأن الحنابلة والشيعة والزيدية والخوارج والمعتزلة وقد تركوا باب الاجتهاد مفتوحاً الى ان يشاء الله لمن توفرت فيهِ شروط الاخذ من الاصل على نحو ما تقرر في كتب الفقه . وقام في القرن الثامن للهجرة الامام ابن تيمية الحراني فجدّد ما عفا من هذا الطريق واصلح ما وقع فيهِ الفقهاء من قبلهِ وفي عصرهِ من الاغلاط الشائعة ولم تساعدهُ العناية لاتمام دعوتهِ فاضطهد وقضى سجيناً في قلعة دمشق . وكان على التحقيق في الاسلام مثل لوثيروس في النصرانية الاَّ ان هذا وجد في اوربا مئات من المستعدين لقبول دعوتهِ فظهر اصلاحهُ الديني حق ظهورهِ وهذا لقي من المعاكسات ضروباً والواناً الاَّ انهُ خلّف من الآثار الممتعة ما حصل بهِ نوع من العزاء وترك من التلامذة الاعلام مثل ابن القيم وابن عروة وابن الجوزي وابن رجب وابن الزملكاني والذهبي وغيرهم . ومن العجيب في تاريخ ابن تيمية انهُ كان محبوباً جداً من ملك عصرهِ ولم يقدر ان يكف عنهُ عادية التعصب الاعمى ولوثيروس حماهُ حاكم سكسونيا مع طلب البابا لهُ في ذاك الوقت طلباً حثيثاً

وما برحت بذرة الاجتهاد تنقل من ارض الى ارض وتلقح الفكرة فيها من ذهن الى ذهن الى ان قام في القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب ودعا الناس في نجد وما والاها الى اليقين ومشى على قدم ابن حنبل وابن تيمية في بث روح الاجتهاد وقام بعدهُ الشوكاني اليماني فقال بقولهِ واجتهد برأيهِ ووضع تآليف عدة في الفقه ودعا الى الاجتهاد وعاصرهُ وتقدمهُ ايضاً كثير من العلماء في صنعاء وصعدة ثم قام في القرن الماضي حسن صديق خان ملك بهوبال وألف كتباً جمة وفيها دعوة الى الاجتهاد ولما انتشرت تآليفهُ بالطبع في الهند والاستانة انتبه كثير من نبهاء العلماء الى وجوب الاجتهاد وشاعت هذه الدعوة بعض الشيوع في مصر والشام

والعراق والهند وغيرها من بلاد الاسلام

وممن جاهر هذه الايام بالاجتهاد وتشذيب الفقه من عروقهِ الجافة صديقي الاستاذ الفاضل عبد الحميد افندي الزهراوي من نوابغ رجال سورية فقد نشر رسالة اودعها آراءهُ في الفقهِ والاجتهاد بعبارات تشف عن اقدام ومجانبة للترقيع والتقية وكتبها بقلم حرّ لا يخشى اللوائم وحبذا لو قلل فيها من الخطابيات التي تنكر عليهِ في تقرير الحقائق العلمية ولعلهُ رأى ان اكثر القوم لا يقنعهم ويؤثر في افكارهم الاَّ بمثل هذا اللسان الحادّ

وقد اضاف الى رسالتهِ الجديدة مقالة ثالثة في التصوف بيّن فيها حقيقتهُ وطرفاً من تاريخهِ تضيق هذه العجالة عن الكلام عليها وسأُفرد لها مقالة خاصة في طريد هذه المجلة

القاهرة محمد كردعلي

تقارير ديوان الزراعة السنوي

Annual Reports of the Department of Agriculture 1900.

اهدي الينا تقرير وزير الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية عن اعمال ديوان الزراعة في العام الماضي وقد قال سعادتهُ في فاتحتهِ مخاطباً رئيس الولايات المتحدة " ان الحكومة الاميركية شرعت في الانفاق على مساعدة المباحث الزراعية منذ سنة ١٨٣٩ وبلغ ما انفقتهُ حينئذٍ على هذه الغاية الف ريال ثم انشأت ديوان الزراعة سنة ١٨٦٢ وقد اتسع نطاق هذا الديوان الآن وكثرت فوائدهُ ومن اهم اغراضهِ مساعدة اهل الزراعة والبحث عما تستوردهُ البلاد من الحاصلات الزراعية لكي تهتم بانتاجهِ فيها والبحث في المكونة عن الحبوب والاثمار والخضر والبقول والقطاني التي يمكن ان تزرع في الولايات المتحدة وتفضّل على ما يزرع فيها الآن وانتاج اصناف جديدة من النبات بالتوليد والتجنيس ومساعدة دور الامتحان الزراعي في كل ما يأول الى نفع اهل الزراعة والبحث عن الاسواق الجديدة التي يمكن ان تروج فيها حاصلات البلاد

وما تنفقهُ الحكومة على ديوان الزراعة هو رأس مال تكتسب بهِ البلاد اضعاف ما تنفقهُ الحكومة فالبحث عن تقلبات الهواء صار امراً ضرورياً للتجارة واصحاب البساتين وغيرهم من اهل الزراعة . والبحث عن اللحم وخلوهِ من الامراض يأول الى حفظ الصحة العامة والى اقناع البلدان الاجنبية بجودة لحمنا وابتياعهِ منا . وهذا الديوان هو الذي ادخل زراعة البرتقال في كليفورنيا وحفظها من الآفات وهو الذي اعتنى بصناعة السكر والشاي . ومباحثهُ الباثولوجية

منعت خسائر كثيرة كانت تصيب البلاد لولاهُ . وادارة البحث عن الحشرات تفيد البلاد سنوياً اكثر من كل النفقات التي تنفقها الحكومة على ديوان الزراعة . ولهذه الادارة الفضل في ادخال زراعة التين الازميرلي الى البلاد الاميركية لانها وجدت الحشرة التي بتلقح بها هذا التين فافادت البلاد فائدة عظيمة . والبحث عن التبغ افاد البلاد ايضاً فائدة لا تقدر بالمال

ثم استطرد الوزير الى ذكر ما فعلهُ كل فرع من فروع ديوان الزراعة وقال ان فرع نشر الكتب والمنشورات الزراعية طبع ووزع في العام الماضي سبعة ملايين نسخة ولم يفِ بالحاجة وقد طبع منذ سنة ١٨٩٧ الفاً وستمئة مؤلف ووزع منها واحداً وعشرين مليون نسخة

تقرير المتحف الوطني باميركا

عن سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨

هما كتابان كبيران في الاول منهما ١٠٢١ صفحة ومئات من الصور والرسوم ومقالات مسهبة في شرح ما في ذلك المتحف الكبير . من ذلك مقالة في الحلازين وُضحت بثمانين صفحة من الصور البديعة الصنعة . ومقالة في ادوات التدخين التي كان الاميركيون الاصليون يستعملونها لتدخين التبغ وهي طويلة ملأت نحو ٣٠٠ صفحة وفيها ٢٣٧ صورة واربع خرائط ومقالة عن السهام والسنان والسكاكين ملأت ١٧٤ صفحة وفيها ٢٠٠ صورة و٥٨ صفحة مصورة

وفي الكتاب الثاني ١٢٩٤ صفحة واكثرهُ مقالة واحدة عن الافاعي ملأت نحو ١١٠٠ صفحة ووضحت بثلاثمئة وست وثلاثين صورة

تقرير الدار السمثسونية السنوي

لسنة ١٨٩٨

أُهدي الينا هذا التقرير المفيد وفيهِ ست وثلاثون مقالة من المقالات العلمية التي كتبها كبار العلماء في مواضيع مختلفة فلكيَّة وطبيعيَّة وفسيولوجيَّة وجيولوجيَّة وما اشبه مثل مقالة للسر نورمن لكير في كيمياء النجوم ومقالة للمسيو لوي والمسيو لويزو عن وجه القمر ومقالة للاستاذ لنغلي عن مذهب لاساج في الجاذبيَّة ومقالة للاستاذ دوّر عن تسييل الهيدروجين والهاليوم ومقالة عن اصل الانسان للمسيو ايجين ديبوي ومقالة عن برون سيكار للاستاذ برتلو ونحو ذلك من المواضيع العلمية المفيدة

والدار السمثسونية تملك نحو مئتي الف جنيه من هبات منشئها المستر سمثسن وغيره من الكرماء يبلغ ريعها في السنة نحو عشرة آلاف جنيه تنفقها على نشر العلوم والفنون في الولايات المتحدة الاميركية وعضد العلماء والفضلاء فتفيد البلاد فوائد تقدَّر بالملايين وهي من جملة الوسائل الكثيرة التي ارتقت بها تلك البلاد وفاقت سائر بلدان الارض غنىً وعزةً في سنين قليلة

مقدمة ابن خلدون

مقدمة ابن خلدون كتاب غني عن التعريف وقد عني بشكلهِ حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد محرري جريدة لسان الحال ثم نظر فيهِ وصحح ما احالتهُ عن اصلهِ ايدي النساخ والطبَّاع حضرة العالم المدقق واللغوي المحقق المعلم عبد الله افندي البستاني وطبع طبعاً متقناً بالشكل الكامل في مطبعة لسان الحال المعروفة بالمطبعة الادبية وجُعل ثمن النسخة منهُ خمسة فرنكات وهو ثمن زهيد في جانب ما اقتضاهُ طبعهُ على هذه الصورة من العناء الكثير

كتاب مسك الدفاتر

بقلم حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت وهو حسن الاسلوب قريب المأخذ جامع ما يحتاج اليهِ طالب هذا الفن وقد يدركهُ فيهِ من غير استاذ او بارشاد قليل . وثمنهُ عشرة غروش وهو يطلب من المكتبة العمومية في بيروت

رواية

عوامل النجاح ووسائل الاصلاح

وضع هذه الرواية حضرة الكاتب الاديب مينا افندي راغب ورصَّعها بكثير من الآيات الكتابية والابيات الحكمية والمواعظ والحكم وجعل وقائعها في هذا القطر لكي يذكر فيها العادات التي يجب الاقلاع عنها والفضائل التي يجب التمسك بها فاجاد وافاد . وحبذا لو ترك السجع واكتفى باصلاح كلام المتكلمين حتى يصير معرباً وقلَّل من الاشعار حيث لا تنتظر ممن نُسبت اليهِ فان القارئ يود ان يكون ما يقرأهُ او يسمعهُ وارداً على اسلوبهِ الطبيعي من غير تكلُّف كثير واما حيث الكلام وارد عن لسان واضع الرواية فلا بأس بافراغهِ في قالب السجع والشعر ايضاً

باب المسائل

(١) اختراع الدراجة

سان بولو بالبرازيل الخواجه ابرهيم شحاده فرح . في اي سنة اخترعت الدراجة (البسيكل) ومن هو مخترعها وهل ركوبها مفيد للصحة وموافق للاجسام في اي عمر كان

ج صنع البارون فون دراس الفرنسوي نزيل انكلترا دراجة منذ سنة ١٨١٨ وكان يركب عليها ويدفع الارض بقدميهِ فتسير بهِ ثم اهملت لتهكُّم الناس على راكبها . وسنة ١٨٤٦ صنع رجل اسكتلندي اسمهُ غاثن دلزل دراجة سميت الحصان الخشبي ولكن لم يشع استعمالها حتى سنة ١٨٦٧ حين اضاف اليها المسيو ميشو الدواستين والمقبض الذي تدار بهِ العجلة المتقدمة فشاعت كثيرًا ثم أُهمل امرها لانها كانت تتعب راكبها كثيرًا حتى سميت بما معناهُ هازة العظام (boneshaker) واخيرا اضاف اليها الانكليز اطار الكاوتشوك واصلحوا فيها اصلاحات أُخرى حتى صارت على ما هي عليهِ الآن .

وركوبها مفيد للاعمال لانهُ يغني عن المشي والانتقال بها اسرع كثيرًا من الانتقال بالمشي واقل تعبًا وتفيد الصحة لانها تروض الجسم

ولكن الافراط في ركوبها مضرٌّ جدًّا ولا سيما للمصابين بالامراض القلبيَّة . والشكل الواطئ المقبضين او الذي مقعده بعيد عن مقبضيهِ يضرُّ دائمًا من يركبهُ لانهُ يضطرهُ الى الاحديداب فلا يجوز للاولاد ان يركبوهُ

(٢) تعمير الزنوج في برازيل

ومنهُ . ما هو السر في تعمير الزنوج في هذه البلاد فان عمر احدهم وهو ساكن في عاصمة الجمهورية ١٥٠ سنة ويوجد غيرهُ كثيرون من الذين فاقوا المئة وتقول احدى المجلات البرازيليَّة ان الرجل المشار اليهِ آنفًا اكبر انسان في العالم

ج اننا لم نرَ لاحد بحثًا عن سبب تعمير الزنوج في برازيل وما من دليل على انهم يعمرون فيها اكثر مما يعمرون في غيرها . ويظهر لنا ان الناس الذين يدَّعون بكثرة المعمرين منهم هم الذين لا يدققون كثيرًا في تواريخ المواليد ففي ارلندا ٥٧٨ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في انكلترا كلها سوى ١٤٦ من الذين جازوا المئة . وفي البلغار ٣٨٨٣ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في المانيا كلها سوى ٧٨ نفسًا من الذين جازوا المئة . وادّعاء الناس انهم جازوا المئة لا يؤْخذ حجَّة الا اذا ثبت ثبوتًا ينفي كل ريب . والرجل الذي تشيرون اليهِ ذكرناهُ في الصفحه ٨٧٩ من

المجلد العشرين من المقتطف في الكلام على التعمير والعمران وقيل هناك ان عمره ١٥٠ سنة فان كان لا يزال حيًّا فقد بلغ عمره الآن ١٥٥

(٣) النمو في الصيف والشتاء

مصر . حسن افندي حسين يوسف مهندس بقلم المساحة . هل نمو جسم الانسان اكثر في فصل الصيف منهُ في فصل الشتاء وما الدليل على ذلك

ج ان نمو الجسم يكون على اكثره في فصل الخريف واوائل الشتاء ثم يقل رويدًا رويدًا حتى ينقطع في شهر ابريل ومن ثم يأخذ الجسم في النقصان فيفقد ما اكتسبهُ في فصل الشتاء ولا يبقى فيهِ الأ ما اكتسبهُ في الخريف هذا اذا كان آخذًا في النمو واما اذا كان قد بلغ شدَّهُ فيفقد كل ما اكتسبهُ. وقد اوضحنا ذلك و ذكرنا ما يظن من اسبابهِ في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

(٤) تمييز الجنين

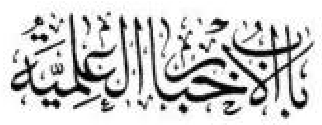
ومنهُ . هل يمكن ان يميز ما اذا كان الجنين ذكرًا او انثى في الشهر الرابع او الخامس بواسطة اشعة رنتجن التي يقال انهُ يرى بها ما في باطن الانسان

ج ان العلامات الظاهرة المميزة للذكر عن الانثى يظهر بعضها في الشهر الرابع وبعضها في الشهر السابع فلا نظن انهُ يتضح الفرق بين الذكر والانثى في الشهر الرابع او الخامس لا سيما وان ما يُرَى او يصوَّر باشعة رنتجن مما داخل جسم الانسان لا يكون واضحًا

(٥) الصلع وقصب السكر

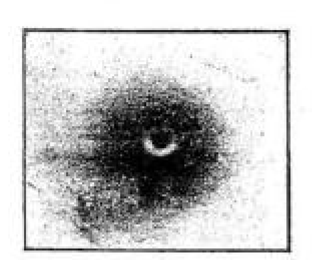
اسيوط . اسكندر افندي سيد الدمنهوري . وقفت في الجزء العاشر من مقتطف هذه السنة على آراء الدكتور باركر في داء الصلع وقد رجحتم صحتها وقلتم ان النظرية مبنية على اخراج الهواء الفاسد من الرئتين وذلك بان يتنفس الانسان شديدًا . ومعلوم ان مص قصب السكر يلجئ الانسان الى شحن رئتيهِ بالهواء فيكون داعيًا لخروج الهواء المخزون فيهما فضلاً عن انهُ ينقي الدم ويدفئ في الشتاء ويجلو الاسنان فما رأيكم في ذلك

ج اننا لم نرجح آراء الدكتور باركر بل ذكرناها على علاَّتها والحقنا بها علامات الشك المعروفة فقلنا ان كانت الصور التي نشرها منقولة عن صور فوتوغرافية وان صح هذا التعليل وهذا العلاج . "وان" للشك كما لا يخفى . وهب ان العلاج صحيح والتعليل صحيح فمصُّ القصب لا يفي بالغرض لان المراد بالتنفس الشديد التنفس الذي يخرج الهواء كلهُ من الرئتين بالزفير بعد ان تملأا بالشهيق لان معنى التنفس ادخال النفس الى الرئتين واخراجه منهما فاذا ادخل الانسان الهواء الى رئتيهِ بشدَّة اضطرَّ ان يخرجهُ منهما بشدة ايضًا فتتطهران مما فيهما وذلك لا يتم في مص القصب



باب الاخبار العلمية

كسوف الشمس الحلقي



كسفت الشمس كسوفاً حلقياً في ١١ نوفمبر ابتدأ الكسوف في القاهرة الساعة ٦ و لدقيقة ٣٠ والثانية ٧ صباحاً وصار حلقياً الساعة ٧ والدقيقة ٥١ فصارت الشمس حلقة من نور وظهرت من خلال الزجاج المدخن كسوار من النضار او من البلور المصبوغ بلون البهار . ودام الكسوف الحلقي ثماني دقائق وسبع ثوانٍ وانتهى كلهُ وخرج القمر من امام وجه الشمس الساعة التاسعة والدقيقة ٣٣ والثانية ٦ . وقد قدَّر المرصد المصري انهُ يكسف ٠،٩٥ من قطر الشمس حينما يتوسط الكسوف لكننا رأينا المكسوف اقل من ذلك كثيراً وصوَّر احد اصدقائنا الشمس بالفوتوغرافيا وهذه هي صورتها منقولة الى التونيا و يظهر فيها قطر القمر اصغر مما كنا نراهُ بالعين والحلقة الباقية من الشمس اوسع مما كنا نراهُ لانَّ نورها طفَّ على ما حولها وداخلها فاتسعت منطقتها

وقل النور كثيراً وقت انتصاف الكسوف حتى ظُنَّ الضحاءِ مساء وصارت دنانير النور في ظلال الاشجار اهلة لحلقات فاملَّة وعادت مستديرة لما انتهى الكسوف

وظهر هذا الكسوف حلقياً في جانب كبير من القطر المصري من دمياط شمالاً الى قرب المنيا جنوباً . وجاء علماءِ الرصد من اوربا الى القاهرة ورصدوا الكسوف وصوروهُ وصوَّروا طيف النور وهو مارٌّ على حد القمر ليروا هل في جوّهِ هواءٌ يمتص اشعة النور فلم يجدوا للهواء اثراً

الفحم من نفاية الخشب

رأى اهالي اسوج سبيلاً جديداً للكسب من حراجهم الكثيرة فانهم يقطعون منها الخشب و يصنعون الورق ثم يجمعون النفايات الباقية التي لا فائدة منها كالنشارة واطراف الاخشاب و يضعونها في آلة كبيرة تخرج منها المواد القطرانية وتحوّل باقيها الى صفائح من الفحم . يوضع في الآلة الواحدة تسعة آلاف طن من النشارة وفضلات الخشب فتستخرج

منها ستة آلاف طن من الفحم و٥٣٠ طنا من القطران و٣٠٠ طن من خلاَّت الكلس و٤٥ طناً من الكحول الخشب وثمن ذلك كلهِ ١١٤٨٧ جنيهاً والنفقات التي يقتضيها ٧٦٦١ جنيهاً فيكون الربح الصافي ٣٨٢٦ جنيهاً مما كان يعدُّ نفاية

هبة علمية

وعد المستر كارنجي مدينة بتسبرج باربع مئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها يعطي نصفها للدار العلمية المسماة باسمهِ ونصفها الآخر لمدرسة الصناعة اما الهبة الكبرى التي وهبها لمدارس اسكتلندا وهي مليونان من الجنيهات فيقول العلماء الآن انها لا تكفي لما يُقصد انفاقها عليهِ ولذلك يطلبون المزيد . هذا شأن الامم التي تطلب الارتقاء فما اعظم الفرق بينها وبيننا فاننا اذا تبرع احد من اغنيائنا بمئة جنيه او بألف جنيه على مشروع علمي اشبعناهُ مدحاً وتبجيلاً حتى يظن انهُ فاق ما يُطلب منهُ وبلغ في الكرم حدَّ الافراط

تلغراف مركوني في ظهر البحر

استتبَّ لسفينتين من السفن ان تتخاطبا في ظهر البحر بتلغراف مركوني والبعد بينهما سبعون ميلاً ولا موصل بينهما غير ماء البحر والاثير المنتشر في الفضاء

بالون ديمون

اقرَّت اللجنة التي فُوّض اليها الحكم في جائزة دوتش على ما ذكرنا في الجزء الماضي ان المسيو ديمون استحقها فأُعطيت لهُ وكتب اليهِ المسيو دوتش يقول " لقد سرَّني جدًّا ان اللجنة اثبتت رأيي الذي اعربت لك عنهُ مرارًا وحكمت باستحقاقك الجائزة . وارجو ان لا تقف عند هذا الحد من النجاح بل تتمكن من السير في الهواء بمهارتك وشجاعتك وهمتك " اما الجائزة وهي مئة الف فرنك فقال المسيو ديمون انهُ يعطي نصفها لفقراء باريس ويوزع النصف الباقي على الصنَّاع الذين ساعدوهُ في عمل بالونهِ

الصوت والبعوض

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض الاصوات تجذب البعوض فيحوم حول مصدرها. ثم اطلعنا على رسالة بعث بها السر جرام مكسم الى جريدة التيمس قال فيها انهُ وضع القناديل الكهربائية في ينابيع سراتوغا قرب نيويورك باميركا سنة ١٨٧٨ فجعل محرك الكهربائية يصوت صوتاً كطنين البعوض ولما دنا منهُ وجد الهواء مشحوناً بالبعوض حول الصندوق الذي فيهِ محرك الكهربائية وكلهُ من الذكور . وقد علَّل ذلك بان الصوت يشبه صوت اناث البعوض فسمعتهُ الذكور واُغرِيت بهِ

نيازك نوفمبر

لم ننبه القراء الى نيازك نوفمبر هذا العام لاننا يئسنا منها بعد ان راقبناها في العام

الماضي والذي قبله على غير جدوى . ولكن يقول الذين راقبوها في الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الشهر الماضي (نوفمبر) انها كانت كثيرة نوعاً ولا سيما في الخامس عشر فقد عدَّ بعضهم اكثر من مئة نيزك منها في اقل من خمس ساعات

علاج الحمَّى القلاعية

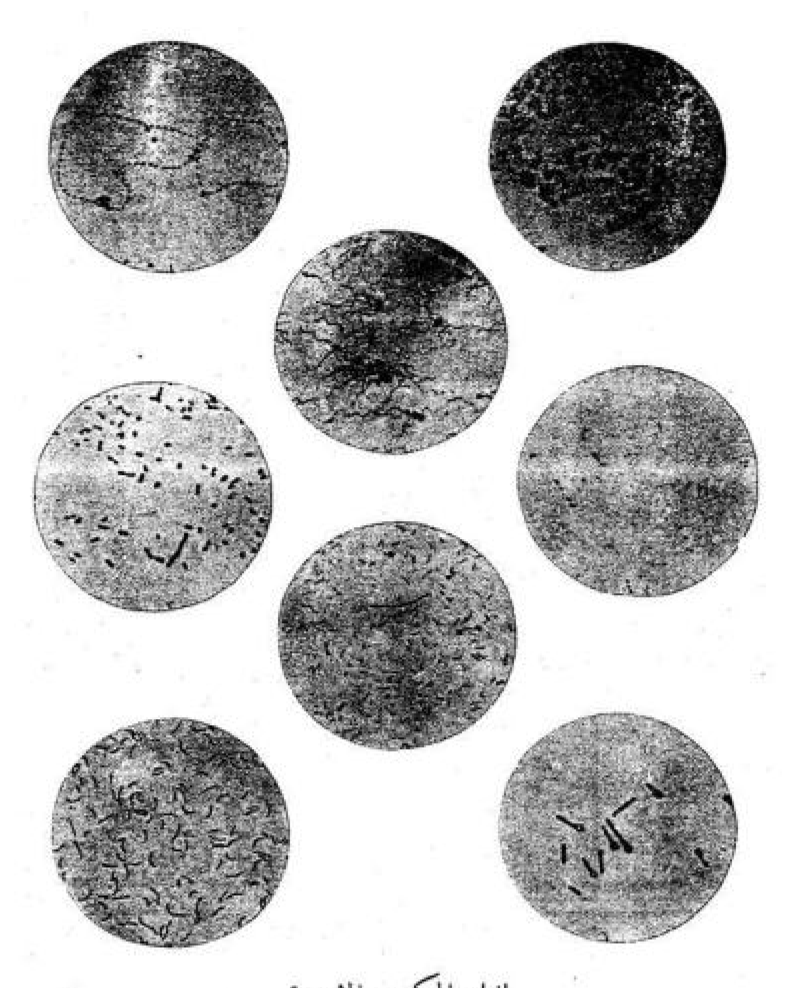
نشرت نظارة الحربية في ايطاليا منشوراً على الاطباء البيطريين تأمرهم فيه بان يعالجوا الحيوانات المصابة بالحمَّى القلاعية بحقن من مذوب بركلوريد الزيبق وملح الطعام تحقن بها في اوردتها وتؤلف الحقنة من جرام من بركلوريد الزيبق و ٧٥ جراماً من ملح الطعام ولتر من الماء . ويحقن من هذا السائل ٣٠ سنتمترًا مكعبًا في الحقنة الاولى و ٥٠ في الثانية و ٧٠ في الثالثة و ١٠٠ في الرابعة . ويقال ان كل الحيوانات التي عولجت بهذا العلاج شفيت من الحمى القلاعية

ترياق كلمت

نشرت جريدة اللانسنت الطبية رسالة جاءتها من طبيب في بلاد الهند قال فيها ما ترجمته " دعيت ليلة الثالث والعشرين من اغسطس الماضي لمشاهدة امرأة لسعتها افعى كبيرة يظن انها الصل الهندي الخبيث وقيل لي ان الافعى لسعتها الساعة السابعة مساء اي قبل وصولي اليها بساعتين ولما وصلت رأيتها قد فقدت الشعور على ما يظهر وشلَّ حلقها وبدت عليها كل علامات الانسمام بسم الصل فحقنتها بحقنة من ترياق كلمت وانا احسب ذلك من قبيل العبث لانني اعتقد انها مائتة لا محالة لكن الترياق فعل بها فعلاً عجيباً فافاقت في اقل من ربع ساعة فحقنتها بحقنة اخرى ولم يمض عليها ثلاث ساعات بعد ذلك حتى فارقتها اعراض السم وقامت سليمة "

ترعة بناما ونيكارغوى

يهتم كثيرون من الاميركيين الآن بفتح ترعة نيكارغوى للوصل بين الاوقيانوس الاتلنتيكي والباسيفيكي ويفضلونها على ترعة بناما ويهتم غيرهم باتمام ترعة بناما ويفضلونها على ترعة نيكارغوى ولكنهم يستصعبون الاتفاق مع الشركة الفرنسوية على ما لها من الاملاك والامتيازات . وقد طلبت الشركة الاميركية من الشركة الفرنسوية التساهل لها في بعض الامور فلم تجبها الى طلبها ولذلك عوَّلت على اختيار نيكارغوى . وتقدر قيمة ما عند الشركة الفرنسوية من المقتنيات وما اتمتهُ من الاعمال بعشرة ملايين من الجنيهات فاذا قبلت بهذا الثمن فالشركة الاميركية تشتريها منها على ما يظهر وثمنها فيعود الى السهام القديمة شيء من قيمتها الاصلية



انواع الميكروب المشهورة

(١) ميكروب الحمرة وهو كروي منتظم كالعقد (٢) ميكروب الصديد الاصفر ويسمّى الميكروب العنقودي لاجتماعه كالعناقيد (٣) ميكروب الطاعون وهو عصوي قصير (٤) ميكروب ذات الرئة وهو كروي وبيضوي (٥) ميكروب الكوليرا وهو هلالي الشكل (٦) ميكروب التتانوس وهو مدقي الشكل (٧) ميكروب التيفويد مكبّراً وقد احاطت به خيوط دقيقة (٨) ميكروب التيفويد وهو عصي دقيقة

ايضاح واصلاح

وقع خطأ في وضع اعداد الصفحات من صفحة ٦٧٣ الى ٧١١ فكررت هذه الارقام مرتين واوضحنا ذلك في هذا الفهرس بحرف م بحيث وجد هذا الحرف فالعدد مكرر واذا لم توجد المادة في المكان الواحد توجد في الآخر . وفي الصفحة ٤٧٤ في الحقل الثاني كتاب الف ليلة وليلة والصواب كليلة ودمنة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

فهرس المجلد السادس والعشرين



December

ديسمبر

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ — الموافق ١١ شوال سنة ١٣١٨

وفاة الملكة فكتوريا

لم تشهد الكرة الارضية حزناً عمّ قاراتها وجزائرها كما شهدت في اواخر الشهر الماضي لما نفذ القضاء الذي قضى بهِ الله على كل حي في الملكة فكتوريا بعد ان حكمت اربع مئة مليون من الناس اكثر من ستين عاماً فارتقوا في عهدها ارتقاء لا مثيل لهُ في تاريخ الانسان

ولدت هذه الملكة العظيمة في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ ورقيت الى سدة الملك في العشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٧ فتوفيت في الثانية والثمانين من عمرها والرابعة والستين من ملكها . عمر طويل قضتهُ في ما ارضى الخالق واسعد المخلوق . وانحرفت صحتها في السنة الماضية فاصابها شيء من الدسبسيا والارق وكانت تفقد قوة النطق احياناً وهي دلائل الاشتغال الكثير بمهام الملك والحزن الشديد على ما فُجعت بهِ من الترمُّل والثكل وما خُتم بهِ ملكها من هذه الحرب الترنسفالية المشومة وهي الملكة التي تشتري السلام بكل مرتخص وغالٍ

وزادت اعراض الضعف عليها في السادس عشر من يناير الماضي لكن ارادتها كانت تقوى عليها فتتجلَّد وتحادث عوَّادها . ثم اشتدَّت الاعراض في التاسع عشر من الشهر الى ان توفيت الى رحمة ربها بلا الم ولا وجع بعد ظهر الثاني والعشرين بست ساعات ونصف ساعة . وللحال طيَّر البرق نعيها الى ممالكها الوسيعة في كل اقطار المسكونة والى سائر الممالك وكان الناس كلهم قد علموا انها مريضة وان نهايتها صارت قريبة لكبر سنها وحالة ضعفها لكن ذلك لم يخفف ما اعتراهم من الحزن والوجوم لهول المصاب . وما حلَّ بالممالك الانكليزية حلَّ بغيرها من ممالك الارض فأُبطلت محافل الفرح ورُفعت شارات الحداد في كل الاقطار ووردت رسائل

التعزية على خليفتها الملك ادورد السابع وعلى حكومتهِ من كل الملوك واصحاب المقامات العالية في كل ممالك الارض . واسرع الملوك والعظماء لتشييع جنازتها والاحتفال بدفنها وفي جملتهم امبراطور المانيا وملك بلجكا وملك البرتغال وملك اليونان والغران دوق ميخائيل الروسي شقيق القيصر وولي عهد اسوج وولي عهد ايطاليا والبرنس محمد علي شقيق الجناب الخديوي وغيرهم من نواب الممالك وعظماء الامم

وابَّنتها الصحف الانكليزية وغير الانكليزية على اختلاف لغاتها ونزعاتها وافاضت في ذكر مناقبها ووصف مزايا ملكها وصدرت كلها موشحة بالسواد حتى الصحف والمجلاَّت العلمية والادبية وهي انما فعلت ما يجب عليها نحو ملكة ارتقى العلم في عصرها ارتقاء لا مثيل لهُ في كل العصور السالفة وتعزَّز شان الآداب والفضائل لانها وجدت فيها اعظم نصير لها

وقد كتبنا تاريخ حياتها منذ ثلاث سنوات وانشأنا فصلاً مسهباً وصفنا فيهِ ارتقاء بلادها في عهدها ورأينا الآن ان نعيد بعضهُ هنا لاقتضاء الموضوع ذلك وهو

"ارتقاء بلاد كبيرة كالبلاد الانكليزية عمل عظيم جدًّا يستدعي إعمال الوف من العقول الكبيرة والآراء السديدة مدة سنين كثيرة لكن هذه الآراء وتلك العقول قد تعجز عن ترقية البلاد اذا كان ملكها ظالماً غشوماً او خاملاً لا يسعى في مصلحة بلادهِ ولا يهتم باصلاح شأنها. فالملك الحكيم الذي يشارك رجالهُ في سياسة بلادهِ ويختار الاكفاء منهم لتولي خططها ويقودهم بحكمتهِ في مسالك الامن الشأن الاعظم في إنجاح البلاد وتعزيز اركانها

وغنيٌّ عن البيان ان للملكة فكتوريا اليد الطولى فيما بلغتهُ البلاد الانكليزية من الارتقاء في عهدها لانها اتصفت بكل صفات الملك الحكيم العادل المشارك لرجالهِ في كل ما يعود على بلادهِ بالخير والفلاح وارتقاء بلادها لا يتضح مقدارهُ الاَّ بالمقابلة بين حاضرها وماضيها وهذه المقابلة لا توفى حقها في اقل من مجلد كبير لكن الارتقاء عظيم وشامل لكل الاعمال والمعاملات مادية كانت او ادبية حتى تكفي الاشارة اليهِ بالايجاز اذا تعذَّر الاسهاب فنقول

جلست الملكة فكتوريا على سرير الملك والحواجز كبيرة والاسوار منيعة بين السوقة والاعيان هؤُلاء يتربعون في المناصب العالية ويتمتعون باطايب الحياة واولئك يُقصَون عنها ويمنعون من الدنو منها . نعم كانت قوانين البلاد تقضي بالمساواة وعدم المحاباة لكن كان فيها عوامل اخرى تخص النعم والمنافع بقوم دون غيرهم فكانت خدمة الحكومة مباحة للجميع ولكن لم يكن يعيَّن فيها ولا ينتفع منها الاَّ اناس مخصوصون لقيود وروابط كثيرة يقضي بها ذوو المآرب مآربهم. وكذلك قل عن حق الانتخاب والدخول في مجلس النواب وفي المدارس العالية. فقام

انصار الحق في عهد الملكة فكتوريا وقطعوا تلك القيود و يسّروا على الوضيع مجاراة الرفيع ولا يزال هذا دأبهم

وسعى العلماء والاطباء في اكتشاف اسباب الامراض والوقاية منها وساعدتهم المجالس البلدية على اتخاذ التدابير الصحية فقلّ معدَّل الوفيات وخفَّت وطأة الاوبئة فزاد عدد السكان زيادة عظيمة حتى ملأُوا الجزائر الانكليزية وهاجر اكثر من تسعة ملايين منهم لتعمير مستعمراتها الوسيعة وللانضمام الى اخوانهم في الولايات المتحدة الاميركية . وحيثما ذهبوا اخذوا معهم لغتهم وعلومهم ومبادئ الحرية والانصاف التي نشأُوا عليها وهذا سرُّ نجاحهم في مستعمراتهم فانهم لا يكتفون برفع رايتهم على البلدان التي يفتحونها بل يرتحلون اليها و يسكنون فيها و يشاركون اهلها في تعميرها

وقد زادت مستعمراتهم في هذه الاثناء زيادة لا مثيل لها في تاريخ الممالك فزادت مساحتها في بلاد الهند ٢٧٥ الف ميل مربع اي اكثر من مساحة بلاد النمسا . وفي سائر اسيا ٨٠ الف ميل مربع اي قدر مساحة بريطانيا نفسها . وفي جنوبي افريقية ٢٠٠ الف ميل مربع وفي شرقيها مليون ميل مربع . وكانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها حينما جلست الملكة على سرير الملك ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع فبلغت الآن ١١٢٥٠٠٠٠ اي زادت ٢٩٢١٠٠٠ ميل مربع في ستين سنة وكان عدد سكانها ١٦٨ مليونًا فبلغ الآن ٤٠٠ مليون وكان عدد الانكليز في جزائرهم ٢٥٧٥٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم نحو ١٥٠٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن في جزائرهم ٣٩٥٠٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم ١٠٥٠٠٠٠٠ اي زاد عددهم من ٢٧ مليونًا الى خمسين مليونًا عدا الذين هاجروا منهم الى الولايات المتحدة الاميركية . وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه ٥٠ منها من بريطانيا و ٢٥ من الهند وهو الآن ١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا و ٦٣ مليون جنيه من الهند و ٣٠ مليون جنيه من استراليا و ٨ ملايين جنيه من كندا و ٧ ملايين جنيه من بلاد الراس و ٧ ملايين من سائر المستعمرات الانكليزية وجملة ذلك ٢٢٥ مليون جنيه

واتسع نطاق التعليم والتهذيب في الممالك الانكليزية بنوع عام وفي البلاد الانكليزية الاصلية بنوع خاص فبلغ عدد تلامذتها اليوم ستة ملايين ونصف مليون وكانوا قبلاً ٢٥٠ الفًا فقط وبلغت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم عشرة ملايين جنيه وكانت لا تزيد على مليون جنيه

وزادت ثروة الامَّة الانكليزية في بلادها من الفي مليون جنيه الى عشرة آلاف مليون

وزادت اسباب الرفاهة والنعيم على اكثر من هذه النسبة وزاد المال الذي يقتصده فقراء الامة في بنوك الاقتصاد من ٢/١ ١٨ مليون جنيه الى ١٥٠ مليونًا

وكثر عدد المحسنين فبنوا ملاجئ للارامل والايتام والمنقطعين وبيوتًا صحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم. ومن هؤلاء المحسنين بيبدي الغني الاميركي الذي وهب فقراء لندن خمس مئة الف جنيه . ولما كانت الملكة شاعرة بكل ما يجري في مملكتها كما يجب ان يكون الرأس في الجسم الحي عرفت قدر هذه الهبة وكتبت اليهِ تقول

بلغ الملكة ان المستر بيبدي عزم على العودة الى اميركا وهي لا تريد ان يترك بلادها من غير ان تثبت لهُ شدة اعتبارها لعمل الشريف والهبة الفائقة هبات الملوك التي اراد بها تخفيف المصايب عن الفقراء من رعاياها المقيمين في مدينة لندن . وفي اعتقاد الملكة ان هذا العمل الشريف لا مثيل لهُ بين اعمال الناس وافضل جزاء لهُ ما يشعر بهِ عاملهُ من السرور حينما يعلم مقدار النفع العظيم الذي نفع بهِ اولئك المساكين . ولم تكن الملكة لترضى باظهار شكرها من غير ان تعطي المستر بيبدي علامة من علامات دولتها تدلُّ على اعترافها بفضلهِ العظيم وكانت تسرُّ لو منحتهُ رتبةً عاليةً او نشانًا ساميًا ولكن بلغها انهُ ممنوع من قبول ذلك بقوانين بلادهِ فلم يبقَ لها والحالة هذه سوى ان تقدم لهُ هذه السطور المعربة عما تشعر بهِ من الشكر وتطلب منهُ ان يقبل منها صورة من صورها تصوَّر لهُ خاصةً ومتى تمَّ تصويرها ترسل اليهِ الى اميركا او تعطى لهُ حينما يعود الى هذه البلاد اذ بلغها ما سرَّها وهو انهُ عازم على العودة الى هذه البلاد المديونة لهُ دينًا عظيمًا

وصُنعت الصورة حسب اشارة الملكة وهي اول مرة صنعت فيها صورتها لتهدى الى غير الملوك والصورة من الميناء على لوح من الذهب يحيط بها اطار كبير من الذهب الابريز وعليهِ التاج الملكي والملكة فيها لابسة الحلة الملكية التي فتحت بها البارلمنت وهي الحلة الملكية الوحيدة التي لبستها بعد ترمُّلها

ومنذ ثلاث سنوات احتفل اهل مدينة بيبدي باميركا بعيد مئة سنة من يوم ميلادهِ فبعثت اليهم رسالة برقية تقول فيها " ان تذكار جورج بيبدي لم يزل يتجدَّد في قلبي وقلب شعبي بالشكر الجزيل لما لهُ من المبرات المقرونة بالكرم والفضل ". فملكة مثل هذه تنهض هم المحسنين وتحيي آثارهم توجدهم من العدم وتجعل المال في ايدي الاغنياء آلة للبر والاحسان بدلاً من ان يكون آلة للشر والفساد

وابلغ من تقدُّم بلادها العقلي والمادي تقدُّمها الادبي والاجتماعي فاخصُّ ما يمتاز بهِ حكمها تعميم الحرية والمساواة حتى يشترك في خيرات ممالكها كل احد من رعاياها كبيرًا كان او صغيرًا غنيًا

او فقيراً . وكل بلاد ارتفع فيها العلم البريطاني صارت مقصداً للناس على اختلاف اجناسهم يقصدونها للارتزاق والاتجار فتساوي بينهم كانهم من رعاياها . وقد منحت كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وبلاد الراس حكومة نيابية تكاد تكون مستقلة في كل شيء بل صار النساء ينتخبن ايضاً للنيابة في بعضها ولا يبعد ان تشمل الحكومة النيابية اقسام بلاد الهند فتصير السلطنة الانكليزية كلها مجموع ولايات مستقلة تربطها رابطة الحرية الشخصية والمصلحة العمومية"

هذا ما كتبناه منذ ثلاث سنوات ولو كتبناه الآن ما حذفنا حرفاً واحداً منهُ بل زدناه تأكيداً وتثبيتاً فان عدد السكان زاد في هذه السنوات على نسبة ما زاد في السنين الماضية فبلغ في الجزائر البريطانية اكثر من اربعين مليوناً ونصف مليون وبلغ دخل الحكومة مئة وعشرين مليوناً من الجنيهات من بريطانيا واكثر من ٦٧ مليوناً من الهند وعشرة ملايين ونصف مليون من كندا وثمانية ملايين ونصف مليون من بلاد الراس. وضمت بلاد الترنسفال وبلاد اورنج الحرَّة الى الاملاك الانكليزية ولو بثمن غالٍ جداً من الدماء والاموال. وانضمت اقسام استراليا بعضها الى بعض فصارت جمهورية كبيرة مرتبطة بالبلاد الاصلية. واثبتت المستعمرات الانكليزية كلها انها مرتبطة بعضها ببعض وبالبلاد الاصلية باشتراكها كلها في الحرب الترنسفالية

وقد استاء كثيرون من هذه الحرب وودوا لو لم تكن وشمت اعداء انكلترا بما كانت تلقاه من الفشل احياناً ولكنهم لم ينكروا ما ابدتهُ من الهمة والاقدام والمقدرة التي تفوق كل ما جاء في تاريخ الاوائل والاواخر بتجييشها نحو ثلثمئة الف نفس وارسالهم الى ابعد مكان في قارَّة افريقية مع كل ما يلزم لهم من الزاد والميرة . ولم تكتفِ بالحاجيات بل ارسلت اليهم الكماليات ايضاً وبعض الاطايب التي لا يتمتع بها الناس الاَّ في بيوتهم ولم تستخدم لذلك سفينة اجنبية. ثم لما قضى الله بوفاة الملكة بادرت امم الارض كلها الى مجاملة الامة الانكليزية كما بادرت يوم الاحتفال بعيد الماس حينما بلغ حكم ملكتها ستين عاماً وقبلما نشبت نيران هذه الحرب. وما ذلك الاَّ لان مقام الملكة ومقام مملكتها عزيزان في النفوس. والجرائد الفرنسوية التي كانت تغتاب الانكليز كلما حانت لها فرصة لم يسعها الاَّ الاعجاب بمقدرتهم يوم استعرضوا اساطيلهم البحرية وقت الاحتفال بيوبيل الملكة والافاضة في وصف مناقبها لما توفاها الله الى رحمتهِ

وعاشت الملكة حتى رأت اولاد احفادها واتضح لها ان الملك يبقى في اعقابها سنين كثيرة وقد وصلت الينا صورتها مع ولي عهدها وولي عهدهِ وابن ولي ولي العهد كما ترى في الصفحة التالية

هذا وقد كان من حظ المقتطف ان نشأ في عصر هذه الملكة فاستقى من بحار العلماء الذين نشأوا في عصرها وفي بلادها واقتطف من ثمار المعارف اليانعة في الصحف العلمية انكليزية

واميركية فشارك مجلات بلادها في ارتقائها فهو يشاركها الآن ايضاً في رفع واجب العزاء الى



شعبها و يسطّر بمداد الفخر فضائلها وفواضلها لتبقى قدوةً للملوك والبنات والزوجات والامهات ما كرَّت الايام والاعوام

الملك ادورد السابع



لما استأثرت رحمة الله بالملكة فكتوريا آل تاج الملك حسب الشرائع الانكليزية الى ابنها ولي عهدها البرت ادورد برنس اوف ويلس فاختار ان يسمى ادورد السابع تاركاً اسم البرت الذي كان اسم ابيهِ لكي يبقى مفرداً في تاريخ البلاد الانكليزية كما تفرَّد ذلك الامير بفضائلهِ وسمو مداركهِ

والملك ادورد السابع كهل في الستين من عمرهِ فانهُ ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وهو ثاني اولاد الملكة فكتوريا واكبر ابنائها . درس اولاً على اربعة من كبار الاساتذة ثم درس مدة في مدرسة ادنبرج ومدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومنحهُ كلٌّ من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج لقب دكتور في الشرائع المدنية. ودرس علم القوانين واجيز لهُ فيهِ وهو مشير

(مرشال) في الجيش الانكليزي وفي الجيش الالماني ورئيس اكبر للماسونية . زار سورية ومصر سنة ١٨٦٢ ومعهُ العلاَّمة اللاهوتي الشهير الدين ستانلي واقترن بالبرنس الكسندرا بنت كرستيان التاسع ملك الدنمارك في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٦٣ ورزق منها ابنين البرنس البرت فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٢ والبرنس جورج دوق يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو وليُّ العهد الآن وثلاث بنات لويزا زوجة دوق فيف ومود زوجة البرنس كارل الدنماركي وفكتوريا

وأُصيب بالحمَّى التيفوبدية سنة ١٨٧١ فاهتمَّت الامة الانكليزية كلها بمرضهِ كأَنَّ في كل بيت منها مريضاً . ثم لما شفي اجتمع الناس في الكنائس الوفاً مؤَلفة ليشكروا الله على شفائهِ

وقلما أُنشئَ مقام خيري او عمومي في البلاد الانكليزية منذ عشرين او ثلاثين سنة الى الآن الاَّ واشترك الملك ادورد او الملكة زوجتهُ في وضع حجر زاويتهِ . وكثيراً ما كان يشترك في اظهار فضل الفضلاء وتعظيم مقام العلماء ولهُ في تلك المواقف خطب حسان تدلُّ على انهُ يقدر العلماء قدرهم . وآخر خطبة قرأناها لهُ من هذا القبيل الخطبة التي تلاها لما رُفع الستار عن تمثال هكسلي وقد نشرنا ترجمتها في الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين وهي

" ايها السادة والسيدات . اني احسب فخرًا عظيماً لي ان انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضواً منهم . ولم انسَ اني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وفضولٌ مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين "

هذا كلام الملك الذي رقي الى سدَّة الملك في بداءة هذا العام وغرة هذا القرن وقد اعرب فيهِ باجلى بيان عن ان مقام العلم رفيع في عينيهِ كما اعرب في خطبة اخرى فاه بها لما اريد انشاء تذكار للسر جون لوز عن فائدة العلم للبلاد حيث قال " انهُ يجب على البلاد الانكليزية ان تعترف علناً بالفوائد الجلّى التي استفادها علم الزراعة من هذا الرجل الفاضل لما لها من النفع العام للبلاد كلها " فلا عجب اذا استعزَّ العلم في عهدهِ كما استعزَّ في عهد امهِ

تاريخ آل معن

مرّ بي حينٌ من الدهر وانا اري نتفاً مبعثرة من تاريخ آل معن يكاد لا يتألف منها في الذهن صورة ما كانوا عليهِ من الامارة والعزة اللهمَّ الاَّ ما قرأت عنهم في اخبار الاعيان في جبل لبنان فجمعتُ ما اتصلت اليهِ يدي من التواريخ واسفت لقصوري عن الوصول الى ما تكنّ الخزائن في بلادنا من نفائس المؤلفات

فآل معن ينتسبون الى بني ربيعة الفرس بن نذار ومما قيل فيهم ان جدهم ايوب من سلالة الايوبيين ملوك بغداد وثغورها وانهُ كان فارساً مغواراً يشدُّ ازرهُ باحد عشر ابناً من الشجعان فعظم شأنهُ حتى حسدهُ قومهُ فتألبوا عليهِ واخرجوهُ من بينهم فرحل بعيالهِ وما يملكون ونزلوا ضفاف الفرات وانّسموا هنالك بالايوبيين نسبة لابيهم الباسل وكرَّ عليهم الزمن لايزيدهم الاَّ نموّاً وكثرة حتى ضاقت عليهم منازلهم فرحلوا الى الديار الحلبية وفيهم اميرهم ربيعة واقاموا ثمة حتى مات فخلفهُ على الزعامة ابنهُ الامير معن الذي صاهر الملك النعمان

وكان قبيلهُ قد صار الى المنعة والعزة وسوريا يومئذٍ غشيتها جموع الافرنج المعروفين بالصليبيين فدان لحكمهم بعض ارجائها وناهضهم الكثير من امراء البلاد واعيانها يغيرون على ما بايديهم من الاقطار فتارة يظفرون واونة يرجعون خائبين

وفي خلال هذا كان اهل حلب قد قتلوا لؤلؤا الخادم اتابك[1] ابناء الملك رضوان ووقع على اثر ذلك كثير من الخلل في البلد فاستقدموا نجم الدين ايلغازي من امراء التركمان ليملكوهُ عليهم فيذود عنهم ويحميهم من غارات الافرنج الذين كانوا قد استفحلوا في انطاكية وجوارها فجاءهم واقام يسدّد امورهم واذا بظهير الدين ابي منصور طغتكين[2] اتابك صاحب دمشق قد جاءهُ زائرًا مستنفرًا لقتال الفرنجة فتواعدا على النجدة وجاءتهما الاخبار بان الاعداء متحفزون لدمشق وحوران وانهم شرعوا يعيثون فساداً في البلاد فاتفق الاميران

---

(١) اتابك كلمة مركبة من اتا بمعنى اب وبك من القاب التعظيم المعروفة وكان لقب اتابك يمنح لمن يسلمهُ السلطان تربية اولادهِ ويدبر البلد الذي يمنحهُ ابن السلطان عادةً ثم اصبح هذا اللقب بكرور الايام حلية لاعاظم الموظفين ومنهم امير الجيوش (ابن خلكان)

(٢) كان طغتكين اتابك تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق فلما توفي تتش سنة ٤٩٧ هجرية قام بالملك بعدهُ طغتكين المذكور لانهُ كان قد تزوج بامهِ في حياتهِ وحياة ابيهِ وظلّ طغتكين مالكاً في دمشق الى ان توفي سنة ٥٢٢ هجرية فبقي الملك في عقبهِ حتى سنة ٥٤٩ هجرية حين ملكها نور الدين صاحب حلب

طغتكين وايلغازي على ان يعود طغتكين الى دمشق ويقيم فيها مثاغراً للعدو وان يذهب ايلغازي الى ماردين فيجيء منها بالمال والرجال

فان كان بنو ربيعة يومئذٍ نازلين على الفرات فقد اجابوا داعية ايلغازي وحملوا معهُ في جملة العشرين الفاً الذين زحف بهم لمنازلة انطاكية فباغتوا رجالها وغلبوهم وقتلوا منهم روجر الوصيّ على الامارة ولكنهم قبل ان سرَّهم الظفر احاط بهم جيش العدو تحت قيادة ملكهم بودوين الثاني ففتك بهم ذريعاً واضطرهم الى الفرار. وان صحت رواية الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان (جزء ١ صفحة ٢٢٢ و ٢٣٦) فان بني ربيعة وبني تنوخ كانوا في جملة القبائل العربية التي نزلت جبل العلا عند معرة النعمان وان التنوخيين انفصلوا عنهم في القرن التاسع وقصدوا لبنان واقاموا ثمة فافلحوا اما بنو ربيعة فظلوا في المعرة حتى جاء الصليبيون وامتلكوا انطاكية ورسخت قدمهم فجاء ايلغازي بجموع الترك وانضموا لبني ربيعة فحاربوا الافرنج في الجبل الاسود حتى رأَوا ان لا قبل لهم بهم فالتجأوا الى المعرة ثم سلموها وارتحلوا عنها واميرها يومئذٍ الامير معن فاضطر ان يخرج من جوار الافرنج فاتى البقاع ومنهُ قصد دمشق فاجتمع بصاحبها واستشاره فاشار عليهِ بالنزول في لبنان فوق بيروت وصيداء فارتضى الامير معن لما في ذلك من الخير لهُ ونزل في بعقلين وجوارها

وقد شهد طغتكين ورجالهُ حرب انطاكية ونتيجتها فلما عاد الى بلادهِ وقد وقر في نفسهِ مرابطة الثغور صيانة لهُ من غارات الافرنج الذين لم يفتروا عن شن الغارات على صيداء وصور والشقيف وما بينها حتى امتلكوا بعض المعاقل واوشكوا يفوزون بالبلدين صيداء وصور غير مرة لو لم يؤدِّ اهلوها المال فداء

ولكن الفداء لا يغني عن القوة فتيلاً فان بعثة نروجية نزلت يافا سنة ١١١٠ وزحفت منها لافتتاح صيداء تحت امرة بودوين فملكتها فتم للافرنج بذلك رسوخ القدم في الثغور والتفرغ للاغارة على ما وراءها

يومئذٍ استغاث طغتكين بصاحبهِ ايلغازي ليتعاونا على خضد شوكة الفائزين فلما انكسرا عند انطاكية رأَى ان يحصن بالرجال الاشداء فاوعز الى بني ربيعة او الى فئة منهم ان يرحلوا الى تخوم بلادهِ فلباهُ القوم فاتخذ لهم قطر الشوف مقاماً يستشرفون منهُ على البحر ويكونون عوناً على الاعداء

ومما اثر ابن الاثير في الكامل ان في سنة ٥١٣ هـ سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الافرنج نحو مئتي فارس من طبرية وكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فاخذهم وغنم

منهم كثيرًا وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروهُ انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فارصد جوسلين للحوق بهم مئة وخمسين فارسًا وسار بخمسين في طريق اخرى ولكنهُ ضلَّ الطريق ولحق فرسانهُ بالقوم فوقع القتال واظهر الامير الشجاعة الباهرة والتدبير الحسن فقُتل من الافرنج سبعون وأُسر اثنا عشر زعيمًا

وقد ذكر ابو الفداء هذه الرواية وقال ان اسم الامير مرَّ بن ربيعة

على ان ليس في هذه الرواية تصريح ببني معن ولكنَّ من امعن النظر يرى ان كلا القومين من بني ربيعة وان الحادثة واقعة سنة ٥١٣ هـ التي تعادل سنة ١١١٩ او سنة ١١٢٠ مسيحية وهي السنة التي ورد ان آل معن كانوا نازلين فيها في البقاع فليس بعيدًا ان تكون الرواية عنهم والله اعلم

ولقد اصاب طغتكين في مشاغرة الفرنجة من صوب الشوف لحصانة الموقع ووقوعه في سبيل القوم وقيام المرابطين فيهِ على اجهاد قوى العدو وايقافهِ منهم موقف الخائف الحذر فهم يقدرون على الاغارة على ما امتلك الفرنج من بلاد صيدا وصور وما اليهما ولا يستطيع اولئك اقتحام بلادهم لصعوبة مسالكها ووعورة جبالها

وكان قطر الشوف حتى يومئذٍ قفرًا يبابًا فلو لم يسرع طغتكين الى انزال الايوبيين فيهِ لامتلكهُ الافرنج واصبح بين ايديهم عصمًا ومعقلاً ايًا الاَّ ان سداد رأي الامير صانهُ منهم وانزل الايوبيين فيهِ منزلاً رحبًا فارتاحت اليهِ خواطرهم وسكنوا اليهِ بديلاً من المضارب والخيام لانهم كانوا حتى يومئذٍ من الرحَّل الذين يضربون في البراري والقفار ليصيبوا منتجعًا ومرعًى خصيبًا فلما وضعوا عصا الترحال ادرَّ الامير طغتكين عليهم المال تطييبًا لخواطرهم ورأوا من اهل الجوار انسًا وترحابًا فطابت نفوسهم سيما وان الامير بحتر التنوخي صاحب بلاد الغرب بعث يتودَّد اليهم و يعاقدهم الولاء ليشد بهم ازرهُ في مقاتلة الفرنجة على ما يملكون وحبب اليهم ابتناء البيوت فارتضى الامير معن بذلك فارسل الامير بحتر اليهِ البنائين والعملة فبنوا كثيرًا من الدور فتمصَّرت بلاد الشوف منذ حينئذٍ وتوارد اليها الجالية من الاقطار التي غلب الافرنج عليها فعمرت بهم وازدهرت . ولا نعلم كيف ظلوا حتى يومئذٍ على بداوتهم مع انهُ ورد انهم قضوا في المعرة وجوارها السنين الطوال . وقيل ان الامير معنًا قصد انسباءهُ آل تنوخ في عبيه فاشاروا عليهِ بسكنى الشوف . ذكر ذلك صديقي العالم المحقق الامير شكيب ارسلان في دائرة المعارف وزاد عليهِ ان اسم الشوف مشتق من شُف اي انظر اذ قالها التنوخي لصاحبهِ المعني حين اطلاَّ على بلاد الشوف

ومرّت السنون ومقام المعنيين في الشوف عزيز لبسالتهم واعتصامهم فيهِ واباءة نفوس قومهم عن الخضوع لغير زعمائهم ولانهم كانوا قد مالأوا آل شهاب حين جاءوا سنة ١١٦١ من حوران فغلبوا الفرنج على حاصبيا وملكوها فنشأت منذ يومئذ صداقة محكمة العرى بين الاسرتين ادَّت بعد حين الى المصاهرة فالاتحاد والمشاركة في القتال ضد الصليبيين

وليس في تاريخ هذه الاونة شيء من الانباء عن شؤون المعنيين الداخلية ولكن المستفاد من مؤدَّى روايات بضعة من كبار مؤرخي الفرنجة[1] الباحثين في احوال الدروز ان القوم كانوا في باديء امرهم اتخاذاً يخضعون لمشائخهم والكل يدينون للامير ويقولون بقولهِ وهو ينظر في شؤونهم بالنصفة والعدل حتى اذا قضت الاحوال لاستنفارهم الى القتال لبوا نداءه. ومما ذُكر عنهم استقلالهم في جبالهم بحيث لم يخضعوا للسلطة الاجنبية عنهم الاَّ ظاهراً لتبقى السيادة فيهم محصورة في امرائهم وهذا سر بقائهم على عزتهم مدى عصورهم الاولى في سوريا والاَّ بعدتهم وهم فئة قليلة عوامل الدسائس ولعبت بهم السياسة ادواراً لحطت بهم من عصمتهم . ألا ترى انهم ظلوا على عزتهم بين كانت البلدان الكثيرة السكان كدمشق وحلب وغيرها لا تقوى على حفظ كيانها بل تتوالى عليها تقلبات السياسة واطوار الدول

لحب الاستقلال ومخالفة مذهب السنة لمذهبهم الدرزي الذي دانوا بهِ بعد نزولهم في الشوف شدَّ اواخي الاخاء فيما بين افرادهم فصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضاً ومن تمام حظهم لقوا من مجاوريهم النصارى مثل ما كان في نفوسهم الابيَّة من المباديء فاتحدوا وناوأوا من خالفهم طويلاً

وكان سياسة امرائهم ظلَّت مدى زمانهم متجهة صوب حفظ استقلالهم ورسوخ قدمهم في العزة والمنعة على انهم يحفظون الولاء لاصحابهم وينجدون المستغيث بهم ولا يحجمون عن الثأر ممن يسيء اليهم الاَّ ان استقلالهم الداخلي لم يخرجهم عن الاذعان لمقاصد ملوك الجوار في اعدائهم فمن ذلك انهُ لما قدمت سنة ٥٩٣ هـ (سنة ١١٩٧) تجريدة صليبية تحت امرة الاسقف كونراد وكان على سلطنة دمشق الملك العادل بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين المشهور تحفز هذا الملك الباسل لملاقاة الغزاة واستغاث بابن اخيهِ الملك العزيز صاحب مصر وبغيرهِ من ملوك الجوار وزحف على يافا فخرج الافرنج من عكاء للذود عنها ولكنهم قبل ان بلغوها علموا ان الملك العادل فتحها بالسيف فاتجهوا صوب بيروت ليأخذوها وفيما هم سائرون

(1) Volney, Etat politique de la Syrie, chap. III § III et § IV.
New American Cyclopaedia (New York, 1863) Vol. VI, page 632.

لقيهم في الطريق امراء معن وتنوخ وحاربوهم وذلك لان الملك العادل كان قد اوعز اليهم ان يمسكوا الطريق على الغزاة وان يعزلوا قلاع بيروت لانها لا تقوى على المانعة بخالفهُ الامير جمال الدين التنوخي وابقى القلعة مسلحةً وزاد في حاميتها ووقف مع المعنيين في سبيل الافرنج وحاربوهم ولكنهم لم يقووا على غلبهم لكثرة جموعهم فزحف الصليبيون بعد ظفرهم على بيروت واخذوها من غير ممانعةٍ. هذي زبدة ما رواهُ الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان ولا نعرف المورد الذي استقى منهُ وانما علمنا من ابن الاثير في تاريخ سنة ٥٩٣ هـ ان الملك العادل بعث سريةً من عسكرهِ لتخريب بيروت ففعلوا ولكن منعهم اميرها من ذلك وتكفّل بحفظ القلعة فعاد عسكر المسلمين ولقوا الافرنج عند صيداء وجرت بينهم مناوشة حتى فصلهم الليل. ولم يذكر ابن الاثير شيئًا عن المعنيين وكذلك لم يذكرهم صاحب كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين. وقد غلط تشرشل بك في ايراد اسم الامير المتولي على بيروت اذ سماهُ جمال الدين مع ان اسمهُ عز الدين سامة او اسامة كما ذكرهُ ابن الاثير وصاحب الروضتين وصالح بن يحيى في تاريخ بيروت وكما دلَّ عليهِ بيتان من الشعر قيلا فيهِ لتسليمهِ بيروت من غير قتال. وكأن تشرشل لم يكن يحفل بضبط الاسماء كثيرًا اذ غلط ايضًا في اسم الملك الذي حمل بني معن على سكنى الشوف فقال هو نور الدين مع انهُ طغتكين

وفي سنة ٦٣٨ هـ خاف الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن اخيهِ الملك الصالح ايوب فسلم الافرنج صفد والشقيف ليكونوا معهُ ويعضدوهُ على ما قال ابو الفداء وحالف صاحب حمص وصاحبة حلب على مناوأة الصالح ايوب وصاحب الكرك وعاد فسلّم للافرنج القدس وعسقلان وطبرية استجلابًا لرضائهم واستدعى الخوارزمية لنجدتهِ اما الصالح ايوب فخاف المغبة وكتب على ما في اخبار الاعيان الى محمد نجم الدين التنوخي يستحثهُ على البقاء على الطاعة وان يتقدم برجالهِ لاستقبالهِ. قال تشرشل بك ان الامير نجم الدين لم يكن ليقوى على الاجهار بنواياهُ لقرب اسماعيل منهُ وكثرة انصارهِ ولذلك انضم الى جيشهِ ومعهُ بنو معن والتقى الجمعان عند عسقلان فلوى التنوخيون والمعنيون اعنة خيولهم وانحازوا الى الصالح ايوب فوقعت الكسرة على الصالح اسمعيل وحلفائهِ ثم التقعوا ثانية عند غزة سنة ٦٤٢ فانكسر الصالح اسمعيل وفي السنة الثانية اخذ المعنيون صيداء من الافرنج على ما قال تشرشل وظلّت في ايديهم او تحت ولايتهم حتى تشكلت ولايةً في اخريات ايامهم

ولقد حفظ التاريخ لآل معن وقائع جمة تدل على ما ذكرنا من خلالهم وانهم كانوا يوالون الشهابيين في السراء والضراء فمن ذلك ما رواهُ صاحب اخبار الاعيان ان في سنة ١٢٨٧

لما تملك المغول وادي التيم بالسيف وهرب منهُ الامراء الشهابيون التقاهم الامير بشير علي الى نهر الصفا ومعهُ الميرة واقام عندهم يومين الاَّ ان في هذه الرواية مظنة سهوٍ لان التتر المغول اقتحموا بر الشام تحت امرة ملكهم هولاكو في اواخر سنة ٦٥٧ هجرية على ما رواهُ ابو الفدا في تاريخهِ وهو ثقة لا ينازع في الاخبار عن عصرهِ ومصرهِ فتمت لهولاكو الغلبة على الشام في مدى تسعة شهور من سنة ٦٥٨ ثم انكسروا في رمضان من تلك السنة وفي محرم سنة ٦٥٩ وضعفت شوكتهم في البلاد حتى اضطروا الى مبارحتها ولكنهم عاودوها في السنة التالية وبلغوا حمصاً وهنالك كسرتهم جيوش الملك المنصور قلاوون وردتهم على اعقابهم فلبثوا الى سنة ٦٩٩ قاعدين عن الغارة حتى شنوها في تلك السنة فلقيهم المسلمون عند حمص وواقعوهم فانكسر المسلمون واستولى المغول على دمشق والقدس حتى غزة ولكنهم لم يلبثوا طويلاً بل نكصوا راجعين

فاذا اعتبرنا تاريخ غشيانهم وادي التيم على رواية اخبار الاعيان يكون ذلك سنة ٦٨٦ﻫ لانها تعادل سنة ١٢٨٧ التي ذكرت هنالك وفي تلك السنة لم يكن للمغول حرب في بر الشام لما مرَّ بنا من ارتدادهم من سنة ٦٨٠ الى سنة ٦٩٩ ولا نحسب الحادثة واقعةً في الغارة الثانية سنة ٦٩٩ لان العلاَّمة البطرك الدويهي يذكر في حوادث سنة ٦٨٣ وفاة الامير قرقماز الشهابي ويقول ان في عهدهِ كان دخول المغول الى وادي التيم ووقوع هذه الحرب

ولا خفاء ان المغول عاثوا في بلاد التيم فساداً واسرفوا في القتل والنهب والحريق حتى اضطر كثيرون من التيامنة ان يهجروا بلادهم الى بلاد الشوف فازدادت بهم عمارةً ونجاحاً

ومما روى الكولونل تشرشل في تاريخ لبنان (جزء ١ صفحة ٢٨٤ و٢٨٥) ان الملك الاشرف لما قضي لبانتهُ من طرد الافرنج عن سوريا اهتمَّ بكبت الدروز لمخالفتهم السنة فاوعز الى نائبهِ في دمشق اقوش الافرم ان يأمرهم ببناء المساجد في جبالهم فابوا ذلك فزحف عليهم باربعين الفاً ولقوهُ بعشرة آلاف تحت امرة احد عشر اميراً من تنوخ وممن فالتقوا عند عين صوفر ولكنهم انهزموا الى انطلياس بجوار بيروت واختبأوا في مغارةٍ لم تسترهم عن بحث الظافرين فسألوهم التسليم ولمَّا ابوهُ سدوا عليهم باب المغارة حتى ماتوا فانكسرت بذلك شوكة الدروز .

قلتُ لقد اخطأ المؤرخ في اسم الملك لان الملك الاشرف هو صلاح الدين خليل بن قلاوون وانما توفق لقطع دابر الافرنج من سوريا سنة ٦٩٠ﻫ وقتل سنة ٦٩٣ فتولى السلطنة اخوهُ الملك الناصر وعزل عنها سنة ٦٨٦ ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ وحينئذٍ ولَّي جمال الدين اقوش الافرم نيابة الشام وفي سنة ٧٠٥ سار هذا النائب على ما قال ابو الفداء بعسكر دمشق الى جبال الظنيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين الخ فكبتهم قال والبلاد جبال شاهقة بين

طرابلس ودمشق. وذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ان اقوش الافرم اغار بخمسين الفاً على كسروان فلا ندري من ايّ المصادر اخذ تشرشل سيما وان مؤرخي التنوخيين والمعنيين لم يذكروا في تلك الاونة مقتل الامراء

وكرّت الايام والقوم على حالهم المألوف الاّ ان التاريخ الذي اتصل الينا لم يحوِ من اخبارهم شيئاً يُذكر وكأني بهم ظلوا على ما عُهد فيهم من التدرب على الضرب والطعن وممارسة القتال سحابة زمانهم والاّ فلو مرّت بهم السنون وهم ساكنون الى الحراثة دائبون على السلام لانتفت من بينهم الاميال الحربية وخلدوا الى الراحة والحال انهم ظهروا في اوائل القرن الخامس عشر بما عهد فيهم من القوة ورباطة الجأش اعتبر ذلك بما رُوي من ان في سنة ١٤١٣ المعادلة لسنة ٨١٦ هجاءت سفن الافرنج واحسبها من الجنويين او البنادقة الذين كان لهم القدح المعلّى في البحر بتلك الاونة واقتربوا من الدامور فوق صيداء وخرج منها رجال اشداء شرعوا يعيثون في البلاد قتلاً واسراً فعارضهم بعض امراء الجوار الذين كانوا يتولون الدرك او يقصدون الذود عن انفسهم فلم يقووا عليهم فنهض الملك المؤيد المحمودي الخاصكي من دمشق لقتالهم فالتقاه الى البقاع الامير سيف الدين ارسلان واضافهُ في الشويفات ثلاثة ايام ولما انقضت سار فانضم اليهِ الامير قاسم الشهابي اما الامير احمد بن عثمان المعني فانهُ التقاهُ في اطراف بلادهِ وحمل اليهِ الزاد والذخيرة وصحبهُ في زحفهِ فابلى جميعهم في الفرنج بلاء حسناً حتى ردوهم على الاعقاب

ومما يذكر ان صاحب اخبار الاعيان لم يذكر لهذه الحادثة زمناً وناهيك بهِ انهُ ذكر اسم الملك" داود الجركسي " فراجعنا كل ما لدينا من التواريخ ولم نجد بين ملوك الدولة الجركسية من يسمي داود ولكننا رأينا ان الخليفة المعتضد بالله كان يسمي داود وانما لم يكن جركسيا ولم يكن هو الزاحف على الدامور واغرب من هذا ان الخواجا يوسف كتفاكو الذي كتب تاريخ معن في الجورنال ازياتيك Journal Asiatique. Mars, Avril 1864 تبع صاحب اخبار الاعيان حتى في هذا الخطاء فاورد اسم الملك داود من غير تثبتٍ

وليس في ما مرَّ بنا من اخبار المعنيين ونهوضهم للترحاب بالملك المؤيد والسير في جيشهِ او غير ذلك ما يخالف مبدأهم في الاستقلال والمحافظة عليهِ لان النجدة من خلالهم وانهم ليؤدون الطاعة ما لم تؤذن بمساس شيء من حقوق استقلالهم فانهم كانوا حراصاً عليهِ حتى انهُ ليظن [1] انهم كانوا يعاملون دول المماليك المصرية بظاهر الطاعة والمسايرة ولكنهم لا

(1) The New American Cyclo. (New York, 1868) Vol. VI page 633.

يقعدون عن حربها اذا مست الحاجة وليس هذا بعيداً لان من كان في مثل موضعهم لا يعتمد الا على قواه ويذود عن حوضهِ بملء قدرتهِ تارةً بالقوة وطوراً بالخدعة والاستكانة ولقد روى المؤرخون ما يستفاد منهُ وقوع النفرة فالحرب بين نائب السلطنة الجركسية في الشام والمعنيين قال العلامة الدويهي ان في سنة ١٥٠٥ (٩١١ هجرية) جهز نائب الشام العساكر مع جوان بك الافرنجي الدوادار الى البقاع فقتل الدوادار وقتل معهُ ثلثمائة نفر ثم جمع النائب العساكر وقصد التوجه بنفسهِ الى البقاع فمات قبل خروجهِ من دمشق ودخل على نيابة دمشق سيباي الاشرفي و بعد قليل قبض على الامير فخر الدين عثمان بن معن من اعمال صيداء اه

فالمستفاد من هذه الرواية وقوع الشحناء بين النيابة والامير وانها ادت الى الحرب فالانكسار في البقاع كما نقل الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان الا انهُ لم يذكر سبب العداء ولا كيف قبض على الامير فخر الدين وغاية ما قيل ان النائب سيباي اعتقلهُ مدة ثم اطلقهُ واعادهُ الى بلادهِ مكرماً

وكأن اعتقال الامير قد حاك في نفسهِ فابقى في صدرهِ الرغبة في الثأر من القوم الذين اهانوهُ حتى اذا وقعت الوحشة بين ساكن الجنان السلطان سليم الفاتح وبين الملك الاشرف قانصوه صاحب مصر والشام كتب نائب السلطنة في الشام الى امراء البلاد وفي جملتهم الامير فخر الدين عثمان يستفزهم الى القتال وكانت النيابة لم تزل لسيباي الاشرفي وقيل انها صارت يومئذٍ لجان برد الغزالي ولكن الارجح ان الغزالي كان يومئذٍ اميراً للجيش فجمع الامير رجالهُ وانضم الى جيش الغزالي وفيهِ خير بك نائب السلطنة في حلب وامير جيوشها ونواب دمشق وطرابلس وصفد وغيرهم وبينهم السلطان الغوري بنفسهِ وحاشيتهِ وكان الغزالي يتودد لامراء لبنان وقد اتفق مع خير بك على الانحياز الى الجيوش العثمانية فخابر السلطان سليماً واتعدوا على انهما اذا صدقا وفاز بالفتح يولي احدهما مصراً والآخر الشام ثم مال الغزاليّ الى الامراء وخابرهم فوافقهُ على ذلك الامير فخر الدين المعنيّ والامير منصور الشهابي والامير جمال الدين الارسلاني والامير عساف التركماني حتى اذا تصافّ الجيشان في مرج دابق عند حلب سنة ١٥١٦ [1] شعر الغوريّ بخيانة رجالهِ فامر الغزالي وخير بك ان يتقدما الى القتال ليعجل

---

(١) وليس سنة ١٥١٥ كما ذكر العلامة الدويهي وصاحب أخبار الاعيان ومن تابعهما والدليل على ان الموقعة كانت سنة ١٥١٦ ما ورد في La Turque, par Jouanin et Van Gaver, chap. XI, page 113. وكذلك في Creasy; Hist. of the Ott. Turks, chap. XIII page 113.

وما ذكر في الجزء العاشر من دائرة المعارف وتاريخ مصر المالكي (خط) وتحفة الناظرين للشرقاوي وتاريخ الاسحاقي والجزء الاول من تاريخ جودت باشا وغيرها

حنفهما وكان موقف خيربك في الميمنة والغزالي في الميسرة فلما اشتبك القتال فرّ القائدان بمن معهما الى السلطان سليم وظلّ الغوري وحده فأسقط في يدهِ ورأى ان نواب دمشق وطرابلس وصفد قد قُتلوا وان العسكر ولّى منهزماً فأُغمي عليهِ وهو شيخ يناهز الثانين وسقط عن الجواد ومات (في ٢٤ آب سنة ١٥١٦ الموافق ٢٥ رجب ٩٢٢) فاستولى السلطان على حلب وحماه وحمص والشام وما بينها ولحق بالمماليك الى غزة ومصر وحارب طومان باي الذي اختاروهُ سلطاناً فغلبهُ واستولى على مصر واقام فيها اياماً حتى رتب شؤونها وعاد الى سوريا سنة ١٥١٧ فرتبها وانالهُ المؤرخون لقب "فاتح ممالك العرب" وهي اذا حسبت بحساب الجمل بلغت ٩٢٣ ووفى بوعدهِ اذ ولّى خيربك على الديار المصرية والغزالي على بر الشام. ولما عاد من مصر الى الشام كتب الى امراء لبنان فحضر اليهِ الامير قرقماز المعني والاميران جمال الدين الارسلاني وعساف التركماني

فاما قرقماز فقد آثر العلامة الدويهي انهُ ابن يونس وليس في ما لدينا من التواريخ ذكرٌ لولايتهِ او لشأنهِ الاّ انّا نظنهُ من المقربين لدى نسيبهِ الامير فخر الدين الاول الذي تولّى الامارة عقيب عمهِ الامير يوسف سنة ١٤٧١ ولذلك بعث بهِ لدى السلطان الاّ ان للامير فخر الدين ابناً اسمهُ قرقماز فمن الاولى ان يكون هو الذي انفذهُ ابوهُ امتثالاً لامر السلطان. يؤيد هذا ما رُوي من ان المولى ولاَّهُ الشوف كما ولّى الامير جمال الدين على الغرب والامير عسَّافاً على كسروان لاسيما وانّا على ثقةٍ من ان الولاية لم تخرج من بيت فخر الدين لانهُ كان قد نال الحظوة لدى السلطان سليم حتى انهُ لما مثل بين يديهِ في جملة الامراء الذين انحازوا الى عسكرهِ قبَّل الارض بين يدي السلطان ودعا لهُ قائلاً. اللهمَّ ادم من اخترتهُ لملكك وجعلتهُ خليفة عهدك وسلطتهُ على عبادك وارضك وقلدتهُ سنتك وفرضك ناصر الشريعة النيرة الغراء وقائد الامة الطاهرة الظاهرة سيدنا وولّي نعمتنا امير المؤمنين الامام العادل والزكي الفاضل الذي بيدهِ ازمة الامر بادنشاهُ ادام الله بقاه وفي العز الدائم ابقاه وخلّد في الدنيا نعماه ورفع الى القيامة طالع سعدهِ وبلّغهُ مأمولهُ وقصدهُ اللهمَّ امين. فلما انتهى الامير فخر الدين من ذلك الدعاء قرّبهُ السلطان اليهِ واحبهُ وقال مثل هذا حقيق بان يُدعى سلطان البر وكان كل من تولّى الاحكام في ذلك العصر يسمى سلطاناً اه[1]

(1) هذا ما نقلهُ الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان ويغلب على الظن ان ذلك كان قبيل الزحف على مصر اي عقيب الانتصار على الغوري غيران تشرشل يقول في تاريخ لبنان (جزء ٣ صفحة ٣٢٧) ان فخر الدين لما مثل في حضرة السلطان سليم في دمشق بعد رجوعهِ من مصر نال الحظوة لديه فخلع عليهِ وجعلهُ سنجقاً على لبنان

ولا ندري لما لم يُذكر الامير منصور الشهابي صاحب وادي التيم في جملة الامراء الذين مثلوا بين يدي السلطان سليم ونالوا الولاية من نعمهِ مع انهُ كان في جملة المنحازين الى جيشهِ فكأن المؤرخ لم يفصح باسمهِ بل عناهُ في جملة عظماء البلاد الذين عبَّر عن مثولهم لدى المولى بكملة وغيرهم . اما امراء آل تنوخ فانهم لم ينالوا الحظوة لانهم كانوا من المتحيزين للملوك الجراكسة وقد كانت لهم في دولتهم العزة والمكانة فلما ادال الله منهم بالسلطنة العثمانية سقط التنوخيون من سدرة عزهم وبسطتهم وارتفع الى العلياء امراء آل معن. ولعلَّ هذا كان مغزى قول صاحب اخبار الاعيان ان بالامير فخر الدين بن عثمان غابت شمس الامارة التنوخية واشرقت شمس الامارة المعنية والاَّ فلا معنى لهذه العبارة لان فخر الدين هذا لم يكن اشهر بني معن كما قال لان اشهرهم هو فخر الدين الثاني الذي سنذكرهُ ولم يكن بفخر الدين الاول انقراض التنوخيين بل تقلُّص شيءٍ من نفوذهم لانهم عادوا فاحرزوا رضا رجال الدولة العلية حتى اننا قرأنا في اخبار الاعيان ان السلطان سليماً امر للامير شرف الدين يحيي التنوخي بالعلامة على مناشيرهِ حين جاءهُ الى دمشق ولم تغرب شمس امارتهم الا سنة ١٦٣٣ والله اعلم

وكأن الفاتح العظيم السلطان سليماً لم يرضَ بتغيير الاحوال الداخلية في مصر وسوريا تغييراً كلياً بل اكتفى بسحق قوة المماليك الجراكسة و بعد ان رتَّب مصراً على ما حسبهُ ادنى الى طاعتهِ واتى سوريا اقرَّ فيها بعض الامراء على اقطاعاتهم كما مرَّ ونظَّم سائر بلدانها تنظيماً اختلف فيهِ المؤرخون فقد قال قولناي ان السلطان سليماً قسم سوريا الى خمس ولايات جعل على كلٍ منها عاملاً بلقب باشا وقال ان هذه الولايات هي حلب ودمشق وطرابلس وصيدا وفلسطين وان ولاية صيداء هي التي دعيت بعد ذلك ولاية عكاء. وقال جول دافيد في تاريخ سوريا ان السلطان قسمها الى اربع ولايات وانها حلب وطرابلس وعكاء ودمشق ولم يذكر فلسطين والحال ان كلتا الروايتين مغلوط فيها فان من انعم النظر في تاريخ البلاد السورية قبل الفتح العثماني وبعدهُ يرى ان في زمن المماليك كانت نوابهم في كل بلدٍ من القطر السوري الاَّ ان اهمهم نائبا دمشق وحلب فلما وقع الفتح ولَّى السلطان سليم على حلب قره جه باشا وعلى حماه قاسم باشا وعلى حمص احتمان اوغلو وعلى دمشق جان برد الغزالي وعلى طرابلس ابن ادريس البدليسي وعلى بيروت وصيداء ونواحيها محمد بك قورقاز اوغلو. الاَّ ان هذا لم يدم طويلاً بل رأينا بعد الفتح انتظام الولايات كحلب والشام وغزة واما طرابلس فانتظمت ولاية سنة ١٥٧٩

من يافا الى طرابلس فكانت هذه النعمة مصدراً لعزة المعنيين ورسوخ قدمهم في امارة لبنان و باعتلائهم تقلص ظلّ الامارة التنوخية

حين ارادت الدولة ان تكبت الامراء آل عساف التركمان فجعلت ايالة طرابلس من وادي قنديل وراء اللاذقية الى المعاملتين عند جونية واما صيداء فقد لبثت تابعةً ولاية الشام حتى اواسط القرن السابع عشر حين ارادت الدولة ان تجعل الوزير قريباً من الدروز ليراقب حركاتهم وحسبنا دليلاً ما سنذكرهُ من احالة سنجقية صيداء لا لآل معن او غير واحدٍ من احزابهم

واما الضرائب فقد جعلها السلطان قسمين المال الاميري والخراج والاول على الاملاك والثاني على النصارى ولكن هذا الترتيب لم يشمل كل سوريا بل بقيت اقطاعات الامراء كانها معفاة من المال ومن الطاعة للوزراء يُستدل على هذا ليس فقط بنص بعض مؤرخي الفرنجة بل بما نُقل من ان السلطان سليماً ولّى كسروان للامير عساف التركماني وفرض عليهِ مالاً ولم يُذكر ما ضرب على غيرهِ من الامراء الذين اجتمعوا لدى المولى واقرَّهم على اقطاعاتهم ولا غرابة في استلام كسروان لانها ظلّت ملحقةً بايالة دمشق حتى ضُمت الى طرابلس

وفي خلال ذلك نبذ الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيداء والبقاعين طاعة السلطان فزحف عليهِ جان برد الغزالي والي دمشق فالتقاهُ الامير جمال الدين الارسلاني وسار معهُ لفتح صيداء. فلما اخذاها فرَّ ابن الحنش منها وعاد الظافران بها فدخلا الشوف لان الامراء آل معن اظهروا الميل لابن الحنش. ولسنا على بينةٍ من سبب هذا الانحراف عن جادة الولاء ولعلهُ كان لما وقر في نفوس المعنيين وغيرهم من امراء لبنان من الرغبة في الاستقلال عن كل سلطةٍ ولذلك قعدوا عن نجدة عسكر السلطان او انهم تظاهروا بما آخذهم فيهِ حتى استحقوا التأديب فجاءتهم عساكر الدولة وقبضت من المعنيين على الامراء زين الدين وقرقماز وعلَم الدين سليمان وعلى الامير شرف الدين يحيي التنوخي[٣] وكأن الامير فخر الدين توارى عن العيان فلم يقبض الغزالي عليهِ بل اكتفى بعزلهِ من الولاية وتفويضها للامير جمال الدين ارسلان جزاء اخلاصهِ وطاعتهِ فكان ذلك منشأ العداء بين الامير بن فخر الدين المعني وجمال الدين الارسلاني وسبباً لخروج فخر الدين بآلهِ من الحزب اليمني وصيرورتهم قيسيين

ولما قبض الغزاليّ على الامراء اخذهم معهُ الى صيداء ثم ارسلهم منها بحرًا الى صور ومنها بعثهم الى قلعة صفد فقلعة دمشق وكان السلطان سليم لم يزل في دمشق فجاءهُ اليها الامير فخر الدين يبرر نفسهُ وبنيهِ من وصمة العقوق فارتضى السلطان بذلك واقرَّهُ على ولايتهِ ولكنهُ

(٣) يذكر اخبار الاعيان هؤلاء الامراء زين الدين وقرقماز وعلم الدين سليمان من بني معن وذلك في اكثر من موضع واحد ولكنا نرتاب في صحة نسبهم ونظن زين الدين وعلم الدين سليمان من التنوخيين بدليل ما ورد عن وفاة زين الدين سنة ١٥١٩ وعن نسب علم الدين سليمان والله اعلم

لم يطلق سراح المعتقلين بل حملهم معهُ الى حلب واودعهم قلعتها حتى جاءهُ الخبر بقتل ابن الحنش فاطلقهم

وكل هذا يدل على ان السلطان لم يكن راغباً يومئذٍ في مغاضبة القوم لئلاَّ يشغبوا عليهِ وهو على وشك الرحلة عن بلادهم ولم يكن عهدهُ بالفتوح قديماً ولا تمكنت منهم ربط الطاعة والولاء والاَّ لما اكتفى من فخر الدين بالكلام المزوَّق ولا ارتضى بتسريح المعتقلين الذين ساء فيهم ظنهُ

لكن هذا الحلم زاد القوم يقيناً في منفعتهم واعقبهُ تشاغل السلطان عن سوريا جملةً حتى وافتهُ المنية وتبوأ الاريكة ابنهُ السلطان سليمان فلم يحسب لمثل هذه الشراذم حساباً بل حدثتهُ نفسهُ الابية بغزوات اهمّ خطرًا واعظم أثرًا فتمادى المعنيون في منعتهم حتى صاروا لا يعبأُون بولاة الدولة الذين يجاورونهم وكانت بلادهم في غضون ذلك الامد تزداد عمارةً بمن يلجأُ اليها من اهل الجوار

وليس خفياً ان الذين كانوا يتجردون للقتال عند الحاجة لا يقاسون بامثالهم من اهل الحضارة في هذا العصر بل انهُ كان في عرفهم تجرُّد الرجال القادرين جميعهم الى الحرب واذا اعتبرنا شؤُون تلك الايام وان كل رجلٍ يتدجج بالسلاح دائماً حتى اذا ذهب للحراثة والاعمال اليومية تبين لنا كثرة رجال الحرب الذين يجتمعون تحت راية المعنيين عند مسيس الحاجة

ولا خفاء ان من عوائد تلك الايام ان يكون للولاة والحكام ملء السلطة والحرية في اعمالهم بحيث كانوا يعملون غير معارضين فتراهم سواء كانوا من عمال الدولة المقيدين باوامرها او من الذين يحكمون بسلطتهم المخصوصة ولا قيد لهم الاَّ ظاهر الطاعة كلهم جُمَع يحاربون و يسالمون لاغراضٍ ذاتية لا ترجع الى مصلحة الدولة الحاكمة فيهم بل تتجه حروبهم الى بعضهم و يتحزب الواحد منهم ضد الآخر لغير داعيةٍ الاَّ استنجاد احد الفريقين بهِ. وعلى هذا كان المعنيون يُستصرَخون مراراً فيجردون عسكرهم ويقاتلون من استنفروا لقتالهِ ألاَّ تراهم كيف انجدوا آل سيف يوم وقع الخلاف بينهم وبين محمد آغا شعيب حاكم طرابلس سنة ١٥٢٨ .واما تحفزهم لمناوأة الدولة مجابة زمانها فظاهر من تكرار نهضتهم عليها فقد ورد في تاريخ الدولة العلية العثمانية لجوانين ان الدروز انجدوا جان برد الغزالي لما شق عصا الطاعة عقيب وفاة السلطان سليم الفاتح فكأن خلفهُ السلطان سليمان اكتفى بما نال من الظفر بالعاصي وركود الزعازع بعد اهتياجها ولم يحفل بالذين انجدوهُ

وستأتي تتمة الكلام على الامراء آل معن في الجزء التالي جرجي يني

حياة هكسلي واشغالهُ

من خطبة للورد افبري (السر جون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان (الانثربولوجيا) ببلاد الانكليز

لقد سررتُ بالدعوة من مجلس ادارتكم لتقديم الخطبة الاولى من الخطب التي تتلى تذكاراً لهكسلي لما في نفسي من الحب لهُ والاعجاب بهِ وللصداقة التي طال عهدها بيننا وليس ذلك فقط بل لانني شاركتهُ في انشاء هذا المجمع فقد كان رئيساً لجمعية علم الاخلاق فلما امتزجت مع جمعية علم الانسان وصارا مجمعاً واحداً رأينا كلنا انهُ يجب ان يكون هكسلي اول رئيس لهُ . ولم اقبل ان اكون انا الرئيس الاول الاَّ بعد ما رأينا اصرارهُ على الرفض . وتأسيس هذا المجمع هو شيء من اشياء كثيرة شاركتهُ فيها فانني وان كنت دونهُ علماً ومعرفة انتصرت مثلهُ لدارون من حين نشر كتابهُ " اصل الانواع " وبذلتُ جهدي في الدفاع عن الحقائق العلمية ومقاومة الاضاليل وتلقي الشتائم التي كانت تنهال عليهِ . ووقفت انا والسر جوزف هوكر الى جانبهِ في مناظرة اكسفرد الشهيرة سنة ١٨٦٠ وفي تلك السنة اشتركنا في تحرير مجلة التاريخ الطبيعي

واشتركت معهُ ايضاً في جمعية أُخرى صغيرة اسمها " اكس كلَب " وكان من اعضائها جورج بسك سكرتير جمعية لينيوس الطبيعية وادورد فرنكلند رئيس الجمعية الكيماوية وهرست رئيس مدرسة علم الملاحة والسر جوزف هوكر وهربرت سبنسر ووليم سبوتسود رئيس الجمعية الملكية والاستاذ تندل . أُنشئت هذه الجمعية سنة ١٨٤٤ ومضى نحو ثماني عشرة سنة قبلما مات احد منا ولكن لم يبقَ منا الآن في قيد الحياة الاَّ انا وهوكر وسبنسر . وكنا نتعشى سوية مرةً كل شهر ما عدا اشهر الصيف الثلاثة ولم نكن نقرأ مقالات ولا نعمل اعمالاً رسمية وانما كان غرضنا جمع بعض الاصدقاء الذين تربطهم رابطة الصداقة و يشتغلون في مواضيع واحدة . ولم تحلَّ هذه الجمعية ولكننا اجتمعنا آخر مرة سنة ١٨٩٣ ثم لم نجتمع بعد ذلك . وسنة ١٨٦٩ انشأنا جمعية ما وراء الطبيعيات وسيأتي الكلام عليها . ومن سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ كنت معهُ في اللجنة التي عينها دوق دفنشير للبحث في التعليم العلمي فاجتمعنا مراراً كثيرة واقررنا على امور شتَّى عُمل بها بالتدريج

وقضيت معهُ اوقات انس كثيرة في سويسرا و برتني واماكن أُخرى واخيراً كنت جالساً معهُ في المجمع البريطاني بأُكسفرد لما خطب اللورد سلسبري خطبة الرئاسة وكان قد فُرض عليهِ ان يقوم بعد الخطبة و يشكر اللورد سلسبري فاصغيت اليها وانا لا ادري ما يقول حينما

يقوم لشكرهِ. فالتفتَ اليَّ حينئذٍ واسرَّ في اذني قائلاً كم كنتُ اودُّ ان تُطرَح هذه الخطبة للبحث والمناظرة

وقد عزم من حداثة سنهِ على ان يبذل وسعهُ في كل عمل نافع وكان وسعهُ كبيرًا فاكثر من المطالعة وطالع كل كتابٍ وصلت اليهِ يدهُ من التوراة الى مقالات هملتن في الفلسفة. وكثيرًا ما كان يقضي وقت اللعب في المطالعة . وكان ميلهُ مصروفًا في اول الامر الى علم الهندسة العملية واراد ان يصير مهندسًا ثم مال الى علم الفسيولوجيا لان فيها هندسة الاجسام الحية وقال في هذا الصدد "ان الجانب الوحيد من شغلي الذي كان يلذُّ لي الاشتغال بهِ الفسيولوجيا التي هي هندسة الجسم الحي . ومع ان العلم الطبيعي كان شغلي الخاص لكنني لم اكن مولعًا بهِ فانني لم اجمع شيئًا من المجاميع الطبيعية وكان البحث عن الانواع عبئًا ثقيلاً عليَّ. وانما كنت اهتمُّ بالبحث عن بناء الاجسام وهندستها ووحدة نظامها مهما اختلفت انواعها"

وعُيِّن سنة ١٨٤٦ للبحث الطبيعي في السفينة المسماة رتلسناك التي أُرسلت الى بحار المشرق للبحث فيها فوفى بما يُطلَب منهُ واوفى حتى يُستغرَب مقدار ما اشتغلهُ في تلك الاحوال الحرجة كما قال السر ميخائيل فوستر في تأبينهِ فانهُ "اشتغل في وسط العوائق الكثيرة في مكان ضيق لا نور فيهِ طالبًا ان يكتشف اسرار الابنية الحيَّة الدقيقة بميكرسكوب ينود بنودان السفينة في حجرة حرجة لا يسمع فيها الا ضوضاء البحارة حيث لا كتب الا ما ندر ولا صديق يستشيرهُ في ما يراهُ من الغرائب الجديدة ومع ذلك جمع في تلك السنوات الاربع مقدارًا كبيرًا جدًّا من الحقائق العلميَّة الدقيقة واكثرها جديد ورسم كل ما رآهُ رسمًا دقيقًا"

والحقيقة التي لا ريب فيها ان هكسلي كان من كبار الهمم الذين يفلحون في كل عمل اخذوا فيهِ . فكان من ارباب الاقلام ولو انقطع للانشاء لكان لهُ المقام الاعلى في ديوان الادب . ولم يكن في التصوير دون ما هو في الانشاء وكل الذين سمعوا خطبهُ يذكرون كيف كان يرسم بقلم الطباشير على اللوح الاسود رسومًا تظهر كالحقيقة تمامًا وقلمهُ اطوع من بنانهِ . وكان مغرمًا بالرسم حتى اذا كنَّا جالسين في لجنة لا ينفكُّ عن رسم الرسوم الهزلية على ما امامهُ من الورق مع انهُ كان يصغي اصغاء تامًّا الى كل ما يقال. ولا شبهة في انهُ كان من ابلغ الخطباء. والخطابة موهبة عظيمة ونفعها للاساتذة كبير من غير ريب ولو قيِّض لهُ ان ينتظم في سلك رجال السياسة لكان لهُ المقام الاسمى بينهم . وعندي انهُ لو انتُخب لمجلس النوَّاب لكان من قيامهِ فيهِ نفع للبلاد لا يُقدَّر فانهُ لم يكن في مجلس النوَّاب احد امهر منهُ في فن المناظرة . وخطبهُ مثل كتبهِ في الفصاحة وحسن البيان وتزيد عليها في ان السامع يضطر ان ينظر الى

الخطيب ويمعن نظرهُ فيهِ فيرى مهابةً وبساطةً وشخصاً تعشقهُ القلوب كما تعشق معانيهُ العقول .
وخطبهُ التي كان يتلوها في ليالي الجُمَع في دار العلم الملكية كانت تضاهي خطب تندل في بلاغتها وإعجاب الناس بها وتقاطرهم لسماعها . ولم يكن كذلك في اول امرهِ بل كان فيهِ كل عيب من عيوب الخطباء على ما قال . ولما خطب خطبتهُ الاولى في دار العلم الملكية اتاهُ كتاب ينصحهُ فيهِ كاتبهُ ان لا يجرّب الخطابة مرةً أُخرى لانهُ لا يصلح لها . وخطب مرةً في علاقة الحيوان بالنبات فودّ كثيرون ان لا يُدعى للخطابة مرةً اخرى . وقد اخبرني بعد ذلك انهُ كان يقوم للخطابة فيضطرب في اول الامر ويحصر عن الكلام مرارًا ولكنهُ لا يلبث ان ينطلق عقال لسانهِ فيجري كالسيل المنهمر

ولا شبهة في ان السامعين لا يصغون الاصغاء التام الاَّ الى ما يعنى الخطيب بالقائهِ عليهم . وقد كان هكسلي يبذل جهدهُ في جعل خطبهِ مفيدة ملذَّة لسامعيهِ سواءٌ كانوا من الخاصَّة في دار العلم الملكية او من العامة في مجامع العمال . وكان المظنون ان العلم شيءٌ رفيع لا يفهمهُ جمهور الناس فقام وابان ان العلم امر جوهري وثمارهُ دانية القطوف يفكه النفس اكثر مما تفكهها القصص والروايات ومَن لا يقتفِ خطوات العلم في مكتشفاتهِ الجديدة يحرم نفسهُ اكبر لذة من ملاذ الحياة واعظم هبة من المواهب التي منحنا اياها الله لان هذه المكتشفات غريبة مدهشة تسرُّ النفس وتفكهها وتطلعها على ما في الكون الذي حولنا من الجمال الرائع والاتقان المدهش والذي نحن فيهِ كلا شيء بالنسبة اليهِ ولو عددنا لانفسنا المقام الاول فيهِ

ولكل شيءٍ وقت ولا يستطيع الانسان ان يوفي العلم حقهُ ما لم يرح نفسهُ من العناء ويجلي صدأ التعب بشيءٍ من الهزل والمزح وقد كان هكسلي كثير الهزل فكه الحديث ينطلق لسانهُ بالمزح حين لا يُنتظَر منهُ ذلك . خطب احدهم مرة في طبائع الرتيلاء وذكر انها تهجم على زوجها بعد اقترانهِ بها وتمتص دمهُ فلا يمنعها حبُّها لهُ عن فتكها بهِ فلما قام هكسلي لشكرهِ على خطبتهِ قال ان هذه الحفلة اغرب حفلات الزواج التي شهدها في حياتهِ

وعهدت اليهِ مناصب كثيرة فكان كاتباً للجمعية الملكية ثم رئيساً لها ورئيساً للجمعية الجيولوجية والجمعية الاثنولوجية واستاذاً لتشريح المقابلة من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ واميناً للمتحف البريطاني ومديرًا لمدرسة العلم الملكية ورئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني ومفتشاً لمصايد الاسماك وعضواً في مجلس ادارة مدرسة لندن الجامعة وعضواً في عشر لجان ملكية وكان يخطب في دار العلم الملكية عدا الخطب التي تقتضيها وظيفتهُ . وسنة ١٨٩٢ جُعِل عضواً في المجلس الخاص (مجلس الملكة) اعترافاً بخدمهِ الكثيرة لبلادهِ

(ثم افاض اللورد افبري في وصف اشغال هكسلي العلمية وذكر من المصطلحات والتدقيقات ما يتعذَّر فهمهُ على جمهور قرائنا وقال ان مقالاتهِ التي تليت في الجمعية الملكية تزيد على المئة وفي كلٍّ منها حقائق جديدة واستدلالات بديعة . ويتعذَّر علينا ان نترجم كل ما قالهُ في هذا الموضوع لاحتوائهِ على كثير من المصطلحات العلمية التي لم تترجم الى العربية حتى الآن وليس هذا محل ترجمتها وشرحها ولذلك نقتصر على بعض الاقوال التي نظنها اقرب تناولاً من غيرها قال)

لما وضع دارون كتابهُ في اصل الانواع لم يصرّح بان آراءهُ تشمل الانسان ولو استنتج كلُّ من اطلع عليها انها تشملهُ . لكن المجاهرة بذلك كانت تقتضي علماً واسعاً وجرأة شديدة وقد قال وركو (العالم الالماني الشهير) " ان الانسان والحيوانات الدنيا واحدة في المادة والبناء وان المشابهة الاساسية بين الانسان والحيوان معترف بها الآن عموماً " . وعندي ان هذا القول ان صدق على المانيا لا يصدق على بلادنا لان كثيرين من رجالنا ونسائنا لا يصدقون رأي دارون ولا يفهمونهُ. وهم يحسبون انهُ قال ان الانسان متسلسل من القرود المعروفة وهذا غير صحيح لان الانسان لم يتولد من الغورلاَّ ولا من الارانغ اوتانغ ولكن الانسان والغورلاَّ والارانغ اوتانغ وغيرها من القرود الشبيهة بالانسان متولدة كلها من اصل بعيد جداً . وقد قال هكسلي في هذا الصدد " يمكننا ان نحكم ان هيكل الانسان الذي كان موجوداً في عصر البليوسين (من العصور الجيولوجية) لا يفرق عن هيكل الانسان في هذا العصر اكثر مما يفرق الفرس الذي وُجد في عصر البليوسين عن الفرس الذي في هذا العصر وحينئذٍ فانسان عصر البليوسين من جنس الانسان ولو عددتموهُ نوعاً قائماً برأسهِ. ولا استغرب ان نجد هيكل هذا الانسان في عصر البليوسين وتراهُ صغير الدماغ طويل اليدين متحرك ابهام الرجل "

وقد اكثر هكسلي من المقابلة بين الانسان وبين الشمبانزي والغورلاَّ حاسباً انهما اقرب انواع القرود اليهِ وهذا هو الواقع الآن . ولكن الجبون (نوع من القرد) الذي يختلف الآن عن الانسان كثيرًا في حجمهِ واستعدادهِ للاعتراش كان من اقرب القرود الى الانسان على ما يظهر من العظام التي اكتشفها المسيو دبوى في جاوى فان نصف الثقات عدها عظام انسان والنصف الآخر عدها عظام جبون كبير . فاذا بحثنا عن اصل الانسان رأينا ان الجبون كان اقرب اليهِ من الغورلاَّ والشمبانزي . وقد قال هكسلي ايضاً ان الفرق بين انواع القرود في بناء اجسامها كبير جداً مثل الفرق بينها وبين الانسان او اكبر منهُ

وقال في مكان آخر ان احترامنا للانسان لا يقلُّ اذا عرفنا انهُ حيوان في الجسم مثل

سائر الحيوانات لانهُ هو وحدهُ قد وُهب قوة النطق وبها جمع اختبار افرادهِ منذ القرون الغابرة مما لم يستطعهُ غيرهُ من انواع الحيوان فوقف الآن فوقها كلها كأنهُ على ذروة جبل شائع يعلو عنها علوًا كبيرًا و يتجلى بما ينعكس عنهُ من النور المستمدّ من مصدر الحق الازلي "

وسنة ١٨٧٠ انتُخب عضوًا في مجلس ادارة المدارس الابتدائية بمدينة لندن فبقي فيهِ سنتين فقط لان صحتهُ لم تسمح باكثر من ذلك لكنهُ خدم مدينة لندن والبلاد كلها في هاتين السنتين خدمة لا تقدَّر وقد اشار ان يكون التعليم شاملاً الامور التالية

اولاً الرياضة البدنية والتمرين

ثانياً الاعمال البيتية على انواعها ولاسيما للبنات

ثالثاً آداب السلوك

رابعاً التعليم العقلي و يراد بهِ القراءة والكتابة والحساب ومبادىء العلوم الطبيعية والموسيقى والرسم

وكان من رأيهِ انهُ يجب على كل ولد ان لا يخرج من المدرسة الاَّ وقد صار لهُ المام بمبادىء العلوم الطبيعية بنوع عام

اما من حيث التعليم العالي فكان من رأيهِ ان لا بدَّ من تعليم العلوم الطبيعية واللغات الحديثة وان لا تترك اللغات القديمة . وقد استشرتهُ منذ سنوات كما استشرت غيرهُ عما يرتئيهِ من حيث تقسيم ساعات الدرس في الاسبوع فارتأى ان تخصص عشر ساعات في الاسبوع للغات القديمة وآدابها وعشر ساعات للغات الحديثة وآدابها و ٨ ساعات للعلوم الحسابية و ٨ ساعات للعلوم الطبيعية وساعتان للجغرافيا وساعتان للعلوم الدينية

اما انا فارى ان الوقت الذي خُصص لتعليم اللغات القديمة يضيع سدًى فان اللحم جيد طيب الطعم ولكن اذا أُطعم الانسان لحمًا صبحًا وظهرًا ومساء يومًا بعد يوم كره رائحة اللحم وطعمهُ. وكذلك الاكثار من درس اللغة اللاتينية يؤُول الى السآمة والضجر

وكثيرًا ما حثَّ على تعليم العلوم الطبيعية من الصغر وقال " ان الانسان المتعلم هو الذي تدرَّب من حداثة سنهِ حتى يصير جسمهُ آلة خاضعة لارادتهِ يفعل ما تشاء عن طيب نفس كأنهُ آلة ميكانيكية في دقة عملهِ وذهنهُ مثل آلة منطقية يشتغل اشغالهُ العقلية بالتأني والتبصر فيكون مثل آلة بخارية تصلح لكل عمل تنسج ادوق الخيوط وتطرق اكبر المراسي وعقلهُ مفعم بمعرفة حقائق الطبيعة ونواميس افعالها وقلبهُ مملوء بالحياة والنشاط واهواؤُهُ خاضعة لارادتهِ وكلهُ عبدٌ لضمير صالح مستقيم يحبُّ كل ما هو جميل في الطبيعة والصناعة ويكرهُ كل قبيح دنيء ويكرم غيرهُ كما يكرم نفسهُ "

وقال ان لا بدَّ من ان يكون التعليم عمومياً فيشمل العامَّة كما يشمل الخاصَّة لان العامة رجال ونساءٌ مثل الخاصة وقواهم وقابلياتهم غير محدودة والشعب يهلك لقلة المعرفة

وقد تشكَّى مرة من ان خدَمة الدين يهاجمونهُ دائماً و يعقبون على كل كلمة يقولها و يتركون صديقهُ تندل يقول ما يشاء . لكن الامر لم يكن كذلك دائماً فقد مضيت مع تندل سنة ١٨٧٤ الى نابلي لنرى ثوران بركان بزوف وكان احد جوانبهِ كثير التحدُّر الى الهوة التي في قلبهِ فصعدتُ الى ذلك الجانب وخاطرتُ بنفسي حتى ارى الهوة ثم عدنا من هناك . وخطب تندل خطبتهُ المشهورة في مجمع ترقية العلوم البريطاني في بلفست فكان لها دويٌّ في كل المسكونة وقرأها كثيرون وانتقدها كثيرون . وذكرت احدى الجرائد تندل وهكسلي فمدحت هكسلي وذمَّت تندل وقالت في الختام "وافضل مثال لجهل الاستاذ تندل وتهوُّرهِ وحكمة الاستاذ هكسلي وتأنيهِ انهُ في الربيع الماضي بينما حمل الغرور والجهل تندل على اقتحام فوهة بركان بزوف كان هكسلي جالساً في مجلس ادارة المدارس بمدينة لندن"

ومما يحسن سوقهُ هنا ان تندل عاد من النزهة في نابلي بالصحة والنشاط . واما هكسلي فاعتلت صحتهُ من قيامهِ في مجلس المدارس

وقد استغرب الناس من هكسلي وهو في مجلس ادارة المدارس اقرارهُ على تدريس التوراة وقد اقرَّ على ذلك كل اعضاء المجلس ما عدا ستة ثلاثة منهم من الكاثوليك وهؤلاء لم يقترعوا مع الذين طلبوا تعليم التوراة ولا مع الذين رفضوهُ . لكن هكسلي كان يكرم التوراة ويقول انها الكتاب الوحيد الذي يرى فيهِ المرء نفع الصلاح وضرر الطلاح بامثلة كثيرة ترسخ في النفوس

وقد قال في هذا الصدد "اني لا أعرف غير التوراة مقياساً عملياً لحفظ الشعور الديني الذي هو الاساس الجوهري لسلوك الانسان في هذا العصر عصر الارتباك والاضطراب في الآراء والافكار فانك اذا حذفت منها ما لا نحب ان يطلع صغارنا عليهِ تبقى مفعمة بكل ما يهذب الاخلاق ويرقي الآداب. وزد على ذلك انها قد امتزجت في الثلاثة القرون الاخيرة باشرف ما في تاريخنا وافضلهِ .ولغتها ابلغ ما عندنا والمطلع عليها وان كان دارياً لم يغادر بيتهُ قط يعلم منها عن وجود بلدان اخرى واقوام آخرين وتاريخ قديم لنوع الانسان يمتدُّ الى اقدم ما يمتدُّ اليهِ تاريخ امم العالم . واي كتاب غير التوراة يرى قارئهُ ان كل امرءٍ ذُكر في ذلك التاريخ الواسع هو مثلهُ يملأ حيزاً صغيراً جداً بين الازل والابد ويذكر بالمدح او بالذم وينال الثواب او العقاب حسبما فعل خيراً كان او شراً"

(ستأتي البقية)

الحكومة والذباب

رأى احد مستخدمي الحكومة المصرية بالامس ان يبدل رقماً برقم آخر في دفتر يبدو فرّق الحساب بسببهِ نحو مئة غرش لم تخسرها الحكومة ولا كسبها هو ولا خسرها احد ولا كسبها احد لانهُ فعل ذلك بعد نقل الحساب الى الدفاتر التي يحساب عليها فقامت عليهِ قيامة الحكومة من بوليسها ونيابتها وقضاتها وحكموا باداناتهِ ولا يبعد ان يحكموا عليهِ بالشنق او بما يقاربهُ . ونحن ورجال البوليس ورجال النيابة ورجال القضاء والمديرون والمفتشون والمستشارون والنظّار نرى القتلة كل يوم يقتلون غيرهم بعد ان يذيقوهم العذاب الواناً ولا مَن يعترض ولا مَن يطالب

وقد عنونا هذه المقالة عنواناً غريباً لا نظن ان احداً يفهم المراد منهُ غير الاطباء ولكن غموض معناه على رجال الحكومة كلهم لا يعفيهم من تبعة القتل التي نشير اليها وكيف يعفيهم وهم يهتمون بمن يحرّف حرفاً او يغير رقماً جهلاً منهُ او لغير قصد سيء ويتركون زيداً ينصب شراك الردى لمئة نفس حتى يمرض كثيرون منهم ويموتوا بعد ان يتقلبوا على فراش الضنى اياماً واشهراً

اما المعنى الذي نشير اليهِ فهو هذا : ثبت منذ مدة ان الحمّى التيفويدية التي يموت بها الوف كل سنة من سكان هذا القطر وتدخل بيوت الامراء كما تدخل اكواخ الصعاليك حاصلة من جراثيم صغيرة تكون في براز المصابين بها فاذا أُلقي برازهم في الطرق والشوارع ووقع عليها الذباب كما يقع عليها عادة علقت هذه الجراثيم بارجلهِ ثم انهُ يقع على الطعام او يقع فيهِ فتصل الجراثيم الى الطعام ويتعرّض الذين يأكلونهُ لهذه الحمى الخبيثة ويصاب بعضهم بها حتماً فيمرضون ويموت بعضهم ان لم يموتوا كلهم

واي رجل من رجال البوليس او رجال الصحة او رجال النيابة او رجال القضاء اورجال الادارة يرى الناس يرمون المبرزات ويحسب ذلك ذنباً عليهم يحاكمون عليهِ واي رجل من رجال الادارة يعلم علم اليقين ان جارهُ نصب الحبائل لاغتيال ابنهِ او اخيهِ ولا يردعهُ عن ذلك ولا يقيم عليهِ النكير . ولكن كل مَن يلقي الاقذار في الشوارع وكل من يلقيها في اي مكان كان من غير ان يصب فوقها مادة سامة تميت ما فيها من الجراثيم هو بمثابة رجل ينصب الشباك ليصيد الناس ويميتهم بعد ان يعذبهم عذاباً اليماً ورجال الصحة والادارة ينظرون اليهِ ويغضّون الطرف

والخوف من الذباب قديم فقد جاء في الحديث " اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوهُ (اي فاغسلوهُ) فان في احد جناحيهِ داء ". ولكن اثبات ذلك علمياً بالمشاهدة والامتحان حديث. وقد بحث الدكتور هورد الاميركي بحثاً مدققاً في هذا الموضوع وقال في مقالة نشرها في اول

هذا العام في مجلة العلم العامّ الاميركية انهُ لمّا نشبت الحرب الاخيرة بين اسبانيا واميركا سنة ١٨٩٨ تفشّت الحمّى التيفوئيدية بين الجنود الاميركية في اماكن كثيرة فقال كثيرون من اطباء الجيش ان سبب تفشيها الذباب لان المراحيض تكون قرب المطابخ والمطاعم في كثير من المعسكرات فتنقل الذبان جراثيم الحمى من المراحيض الى الطعام. وكتب حينئذٍ الدكتور فيدر مقالةً مسهبة في السجل الطبي موضوعها "الذباب لنشر الامراض بين الجنود" اقام فيها الادلة الكثيرة على ان الذباب ينقل جراثيم هذه الحمى وهو سبب انتشارها . وكان كثيرون من الاطباء قد ذهبوا الى مثل ذلك منذ سنة ١٨٨٨ ولكن لم يعمل بقولهم فرض خمس الجنود الاميركية بالتيفوئيد ومات كثيرون منهم بها حتى قدّروا ان اربعة اخماس الوفيات كلها كانت بهذه الحمى

والذباب انواع مختلفة كما لا يخفى ولكن الذباب الذي يرى في البيوت عادةً اكثرها انتشارًا ولا يخلو منهُ بيت ولاسيما المطابخ وبيوت الطعام واكثرهُ يتولّد من زبل الخيل لا لانهُ ينشأ منهُ كما قال الدميري وغيرهُ من علماء الحيوان بل لان الذبابة تبيض في الزبل ثم يتولد الذباب من بيضها . وقد جمع الدكتور هورد ٢٣٠٨٧ ذبابةً من البيوت والمطابخ واستقصى نوع كل ذبابة منها فوجد الذباب العادي منها ٢٢٨٠٨ اي نحو ٩٩ في المئة وهو يبيض ويتولّد في زبل الخيل عادةً لكنهُ يبيض ويتولّد ايضًا في مبرزات الناس كما ثبت لهُ بالامتحان والمشاهدة . ويحوم على المبرزات اذا كانت مطروحة قرب المنازل وفي الشوارع القذرة وقد يبيض ويتولّد فيها ايضًا وهذا شأن نوع آخر من الذباب يسمى ذباب الفاكهة وهو كثير الوقوع على المبرزات ولكنهُ غير كثير كالذباب العادي

ثم ان جراثيم الحمى التيفوئيدية توجد في مبرزات من يصاب بها قبلما يثبت انهُ مصاب بها وتوجد في مبرزاته بعد ما يشفى من الحمى بايام فتكون مقرًّا للعدوى قبل ظهور الحمى بايام ومدة ظهورها وبعد شفائها بايام حتى اذا طُرحت هذه المبرزات بقرب المنازل اجتمع الذباب عليها وحمل جراثيم العدوى منها على ارجله واجنحته ونقلها الى الطعام الذي يجتمع عليهِ او يقع فيهِ

وقد رأينا في الصيف الماضي ان الذبان قليلة جدًّا في مدينة باريس على ما كان فيها من الازدحام الفائق الحد وكثيرة جدًّا في جبال سويسرا على بعد المنازل وتفرُّق الناس فيها ولا يعلّل ذلك الَّا بأن الاشياء التي تتولد الذبان فيها لم تكن موجودة في باريس لشدَّة الاعتناء بالنظافة ولأن المراحيض كلها مقفلة لا سبيل للذبان اليها واما في جبال سويسرا فالمراحيض مكشوفة وكذلك مزارب الخيل والبقر والزبل اكوام فيها وامامها فيجد الذباب مكانًا صالحًا

لتولده وتكاثره فيتكاثر وينمو ولا سيما في ايام الحر . والظاهر ان حرارة الزبل تقيهِ برد الشتاء فيبقى من سنة الى أُخرى

ونحن في هذه العاصمة وفي كل مدن القطر المصري وقراه نشكو مرَّ الشكوى من كثرة الذباب صيفاً وشتاء ولو اقتصر ضرره على ما نشعر بهِ من القلق والضجر من كثرة وقوعهِ على البدن والطعام وادوات القراءة والكتابة لهان امره ولقلنا انهُ من جملة المتاعب التي لا تخلو بلاد منها . ولكن ضرره لا يقف عند هذا الحد بل ان الجانب الاكبر من الرمد والعمى ناتج عنهُ والجانب الاكبر من الامراض المعدية تنتقل عدواهُ بهِ

وقد اتضح مما تقدم انهُ اذا لم يوجد في بلد زبل ومبرزات مكشوفة حيث يبيض الذباب ويولد استؤصلت شأفتهُ من ذلك البلد ولو كان من اشد البلدان حرارة واكثرها ازدحاماً وان كان استئصالهُ ممكناً في مدينة كبيرة مثل باريس في اشد الشهور حرارة واكثر الاوقات ازدحاماً فعلى مَ لا يكون ممكناً في كل مدينة

ونعود الى رجال الحكومة الذين يحاسبون كل احد على كل هفوة وتراهم قائمين بالمرصاد لكل من يغير رقماً ويحرّف حرفاً ونقول لهم ان كانت القضايا المتقدمة حقائق راهنة ان كان الذباب ينشر عدوى الرمد والتيفويد والدفثيريا والكوليرا والسل واكثر الامراض المعدية وان كان يولد في زبل الخيل ومبرزات الناس وان كان تنظيف المدن من هذه الاقذار ممكناً وهو مما يستطاع حتى في اكبر المدن واكثرها ازدحاماً فعلى مَ لا تبذلون الهمة في تنظيف هذه العاصمة وغيرها من مدن القطر وعلى مَ لا تسنُّون قانوناً يعدُّ من يلقي الاقذار في الشوارع مجرماً يستحق المحاكمة كمن يتربص لقتل غيره . والى متى يحسب رجال الادارة انهم يستطيعون ان يديروا شؤُون العباد وهم لا يعلمون العلوم الطبيعية ولا يجرون على حسب ما تأمر بهِ

ثم ان مطالبة رجال الحكومة بتنظيف البلاد لا تعفي الرعية من معرفة هذه الحقائق والعمل بها . ولا ينتظر من رجال الحكومة ان يعملوا ما يطالب بهِ كل انسان في بيتهِ ودارهِ ولا هم قادرون ان ينظفوا بلداً لا يساعدهم اهلهُ على تنظيفهِ فيجب ان ترسخ الحقائق المتقدمة في اذهان الرعية قبل رسوخها في اذهان رجال الحكومة . وسقياً لبلاد يعلم رعاتها ورعيتها كل المكتشفات العلمية وكل النتائج التي وصل اليها العلم الطبيعي ويعملون بها . "والامة التي تعلم بنيها التعليم الاكثر تصير العظمى بين الامم ان لم يكن اليوم فغداً" كما قال الفيلسوف جول سيمون . ولا تفلح امة ما لم يكن وزراؤُها علماء كما قال الفيلسوف ارسطوطاليس

السير تحت الماء

جاءنا احد الادباء بالامس مرتاباً في صحة ما نشرناهُ في الجزء السادس من المجلد الماضي عن السفينة ارغونوت التي تغوص بركابها في البحر وتسير بهم فيهِ . وهو يحسب انهُ يستحيل ان تُفتح كوَّة في اسفل السفينة ولا يدخل الماء منها مع ان ما يظنهُ مستحيلاً هو من المبادىء الاولى في علم الطبيعيات لان جسمين لا يشغلان حيزاً واحداً في وقت واحد وما دام الهواء في الغرفة التي في جوف السفينة وكوَّتها من الاسفل فالماء الخارجي يمنع الهواء من الخروج منها وهذا الهواء نفسهُ يمنع الماء من الدخول اليها

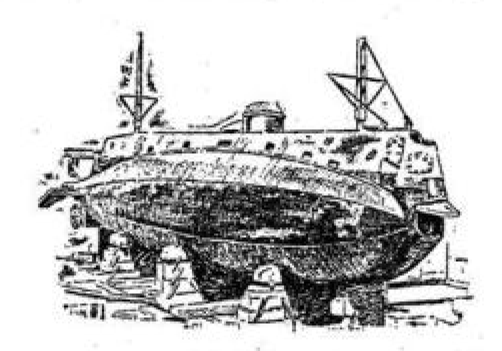
واتفق انهُ ذاكرنا في هذا الموضوع ونحن نقرأُ المقالات الضافية عن اهتمام الاوربيين بهذه السفن وحسبانها ان الدولة التي لا تبني كثيراً منها لوقاية بوارجها وسواحلها لا تستطيع ان تبقى دولة بحرية . ولم نرَ عملاً علَّق عليهِ الكتَّاب شأناً اكبر مما علقوهُ على استنباط السفن التي تجري تحت الماء ولذلك رأينا ان نشبع الكلام عليها هنا معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ برادلي الاميركي وغيرهُ من كبار الكتَّاب فنقول

نقل الاستاذ برادلي عن الكومودر كبل الذي كان يدير سفن التربيد الاميركية في الحرب بين اسبانيا واميركا "انهُ ان كان لسفن التربيد التي تجري على سطح البحر شأن في الحروب البحرية وكان الغرض الاول منها ان تبيّت البوارج التي تقصد حصر المرافىء فلسفن التربيد التي تجري تحت الماء شأن اهم من هذا القبيل لانها هي وحدها تستطيع ان تهاجم بوارج العدو نهاراً . وهي وحدها تقدر ان تدنو من بوارج العدو في نور النهار غير راهبة مدافعها ومتلفات التربيد التي حولها فتضطرها ان تولي فارَّة او ترتقب الهلاك . ولا شيء يمنع انشاء هذه السفن وسيرها تحت الماء كما ثبت بالامتحان من السفينة التي نراها الآن في هذا المرفإ (السفينة المسماة هولند باسم صانعها كما سيجيء) لانهُ قد ثبت بالامتحان انهُ يسهل غوصها في الماء وسيرها فيهِ ويمكن ابقاؤُها على اي عمق أُريد تحت وجه الماء حتى على قدم واحدة واظهار القسم الاعلى منها بضع ثوانٍ فقط فوق الماء ثم الغوص والذهاب في الماء كل مذهب"

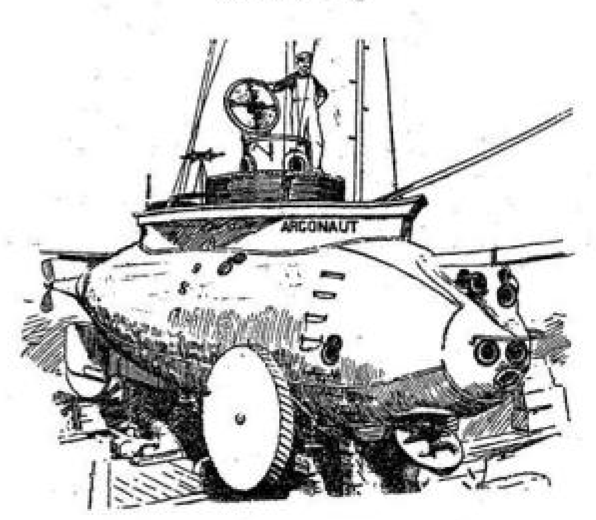
وقال الاميرال جوت في مجلس الشيوخ الاميركي "انهُ ان كان معي اسطول وكنت حاصراً بهِ مرفأً من مرافىء العدو وعلمت ان عندهُ ستاً من هذه السفن مثل الهولند اضطررت ان اترك حصر المرفإ واهرب باسطولي في عرض البحر مخافة ان يتلف كلهُ"

وكتب الضابط نبلاك الذي كان يدير احدى سفن التربيد في الحرب الاخيرة ان السفن

التي تسير تحت الماء جعلت حصر المرافىء ضرباً من المحال على المدى الذي تصل اليه تلك السفن
وقال الاميرال دوي في مجلس النواب الاميركي في ٢٣ ابريل الماضي " اني شهدت السفينة هولند بالامس وقلت حينئذٍ في نفسي ولا ازال اقول الآن انهُ لو كان عند الاسبانيين



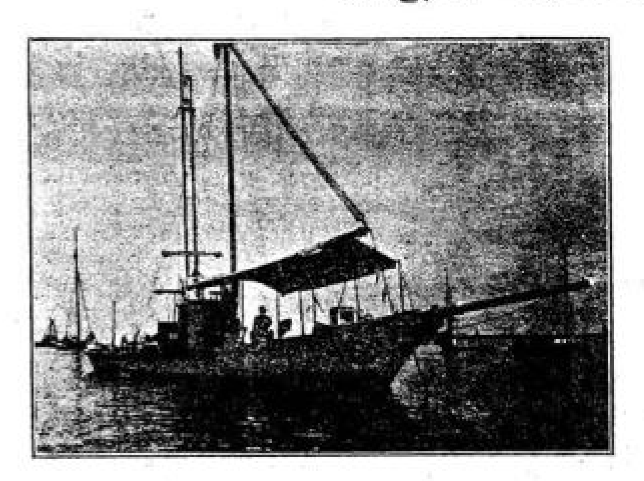
ش ١ الهولند في البر



ش ٢ الارغونوت في البر

سفينتان مثلها في منلا لما استطعت ان استولي عليها بالاسطول الذي كان معي "
وكتب الاميرال هتشبُرن في شهر يونيو الماضي " ان السفن التي تجري تحت الماء اوقى لشواطىء بلادنا من كل واسطة اخرى ممكنة "

والغوص تحت الماء قديم جدًّا وكان الغوّاصون ينزلون الى قاع البحر في ناقوس الغواصين من ايام ارسطوطاليس ولكن الناقوس والتنين وكل آلات الغوص لا يقدر احد ان يقيم فيها اكثر من دقيقتين ما لم يُرسَل الهواء النقي اليهِ ويخرَج الهواء الفاسد وهي لا تصلح للسير تحت الماء من جهة الى أُخرى ولذلك حاول كثيرون منذ ثلاثمئة سنة الى الآن بناء سفن صغيرة يحفظون فيها الهواء ويسيرون بها تحت الماء وتبارى في هذا المضمار اناس من اهالي انكلترا وفرنسا وهولندا واسبانيا واسوج ونروج وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة . وكان الاهتمام الاكبر لفرنسا والاقل لانكلترا والنجاح لاميركا



ش ٣ سفينة الارغونوت فوق الماء

في سنة ١٦٢٤ بنى رجل هولندي اسمهُ فان دربل قاربًا سار فيهِ قليلاً تحت الماء في نهر التمس بمدينة لندن لكنهُ عُدَّ ساحرًا مستخدمًا للشيطان فاجتنبهُ الناس ومات ولم يطلع احدًا على سرّهِ لانهُ كان يدَّعي انهُ اكتشف سائلاً يطهر الهواء الفاسد ويجعلهُ صالحًا للتنفس . فان كان صادقًا في دعواهُ فمن المحتمل انهُ اكتشف سائلاً يمتص الحامض الكربونيك من الهواء فيزيل منهُ ما يمنع تنفسهُ ولو استُنشق مرارًا

وفي اواخر القرن الثامن عشر صنع مهندس اسمهُ داي قاربًا يسير تحت الماء وسار بهِ في مرفإِ بليموث ببلاد الانكليز اول مرةٍ ثم غاص ثانية فقضي عليهِ . وصنع رجل اميركي قاربًا يسير تحت الماء في بداءة حرب الحرية وحاول الدنو بهِ من بارجة انكليزية فيها ٦٤ مدفعًا

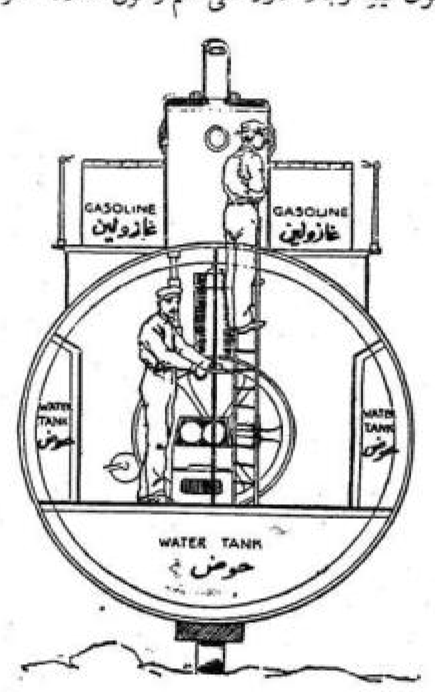
ليمكن بها تريداً ثم يطلقهُ فلم يفلح مع انهُ جرَّب ذلك ثلاث مرات واخيراً اكتشفت البارجة قاربهُ واطلقت عليهِ مدفعاً فاغرقتهُ. وسنة ۱۸۰۰ صنع فلتن ابو السفن البخارية قارباً يسير تحت الماء صنعهُ لنبوليون الاول ونسف بهِ سفينة قديمة في مرفإ برست لكن نبوليون لم يعتنِ بامرهِ فلم ينتج منهُ شيء

ولما نشبت الحرب الاهلية الاميركية سنة ۱۸۹٤ صنع اهالي الولايات الجنوبية قارباً صغيراً يسير تحت الماء نسفوا بهِ بارجة اهالي الولايات الشمالية المسماة هوزاتونيك وحمولها ۱۲٦٤ طناً فاغرقوها . قال احد ضباطها انهُ شاهد شيئاً صغيراً يتحرك على وجه الماء فاخبر رفاقهُ بذلك وكانوا عالمين ان اهالي الجنوب صنعوا قوارب تسير تحت الماء لنسف سفنهم فاوجسوا خيفة وقطعوا مرساة البارجة وحاولوا الهرب بها في عرض البحر ولكن القارب وصل اليها حالاً ووضع تريداً تحتها واطلقهُ فزلزلت الارض زلزالها وارتفعت البارجة في الجو ثم غاصت في قلب البحر وكان البحارة قد صعدوا كلهم على ظهرها وتعلقوا بحبالها فلم يغرقوا فيها وكان على مقربة منها بارجة أخرى فبعثت بالقوارب اليهم وانقذتهم . اما القارب الذي اغرق البارجة فوُجد داخلاً في ثغرة كبيرة في جنبها وهي الثغرة التي احدثها فيها التريد كأنَّ ماء البحر ادخلهُ معهُ في الثغرة لما هجم ليملأ الفراغ وكان فيهِ تسعة من البحارة فهلكوا كلهم . وقد جُرّب هذا القارب قبلاً فغرق ومات كل بحارتهِ الاَّ رئيسهم ثم نشل من العمق وعاد الرئيس اليهِ مع بحارة آخرين فقلب بهم ثانية ولم ينجُ منهم الاَّ اربعة . فقام واحد منهم واتى ببحارة آخرين فغرق بهم ثالثة ولم ينجُ منهم احد . ثم نشل من الماء وركبهُ الذين اغرقوا بهِ البارجة وهم عالمون انهم ساعون الى حتفهم بظلفهم ولكن اقتحام المخاطر في سبيل الغرض السياسي سجية عند الاوربيين والاميركيين تباع بها النفوس بيع السماح

وتوالت المخترعات والمكتشفات وصُنعت قوارب كثيرة تسير تحت الماء الى ان استتبَّ النجاح اخيراً للمستر هولند الذي صنع السفينة المسماة باسمهِ وقد اشترتها منهُ الحكومة الاميركية واوصت على ست سفن اخرى من نوعها . وصنع المستر لاك السفينة المسماة بالارغونوت التي وصفناها في الجزء السادس الماضي وقد رسمنا في صفحة سابقة صورة الهولند كما هي قبل انزالها في الماء . وهي تغوص في الماء حتى لا يبقى ظاهراً منها الاَّ انبوب صغير وفيها آلة بخارية يحرق بها الغازولين فتدفعها الى حيث يشاء الذين فيها وسيتضح ذلك من وصف الارغونوت

وسفينة الارغونوت شكلها مثل شكل الهولند تقريباً كما ترى في الشكل الثاني لكن جسمها الاسفل مخروطي الشكل كمخروطين متصلين من قاعدتيهما واما الهولند فشكلها هرمي . وللارغونوت

ثلاث عجلات تسير عليها وهي في قاع البحر واما الهولند فلا عجل لها . واذا وُضعت الارغونوت في الماء بانت كسفينة عادية كما ترى في الشكل الثالث ثم اذا اريد ان تغوص في الماء صُبَّ الماء في حياض حول جوفها كما في الشكل الرابع وهو مقطوع الارغونوت العرضي اي لو قطعت سفينة الارغونوت من اعلاها الى اسفلها قطعاً عرضياً لظهر في اعلاها الانبوب الذي ينزل منهُ الناس الى جوفها وترى فيهِ رجلاً نازلاً على سلم وحول اعلاهُ الحوض الذي يوضع فيهِ

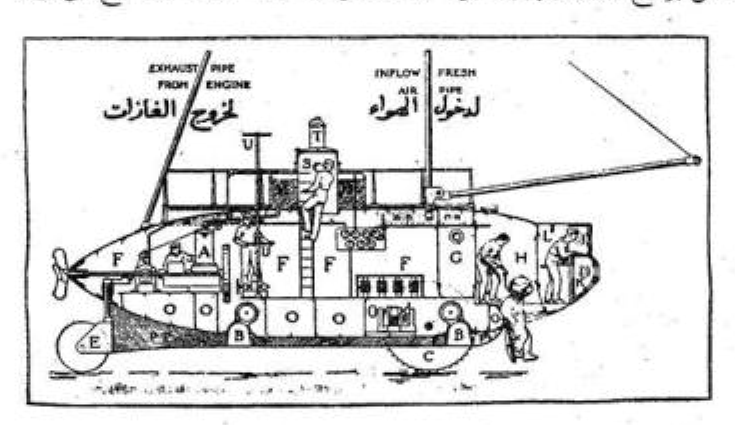


ش ٤ مقطوع الارغونوت العرضي

الغازولين للايقاد في آلتها البخارية وحول جوفها الحياض التي يصب فيها الماء بمضخة فتثقل السفينة وتغوص في الماء بمن فيها او ينزع منها الماء بالمضخة فتخف وترتفع من الماء . وبزيادة الماء وقلتهِ في هذه الحياض تهبط السفينة وتعلو الى الحد المطلوب

وترى في الشكل الخامس مقطوع الارغونوت الطولي اي اذا قطعت قطعاً طولياً من مقدمها الى مؤخرها فترى فيها انبوباً لدخول الهواء وانبوباً آخر لخروج الغازات وتحتهُ عند الحرف A الآلة البخارية التي تدور فتسير بها السفينة وترى عند الحرف H الغرفة التي فتح بابها الاسفل

ونزل منها الغوّاص في البحر وعند الحرف L غرفة اخرى فيها رجل ينظر الى البحر من كوَّة زجاجية . وقد كبرت صور الرجال لكي يظهروا ظهوراً واضحاً وهم اصغر بالنسبة الى السفينة مما رسموا هنا . وجوف الهولند مثل جوف الارغونوت تقريباً اي انهُ مشمول بحياض الماء ولكنَّ ركابهُ لا ينزلون منهُ الى البحر ولهُ دفة يديرها رجل خبير فيتحكم بوضع السفينة تحت وجه الماء. وطول الهولند ٥٤ قدماً وقوة آلتها البخارية ٤٥ حصاناً وتستطيع ان تسير بها مئة ميل على سطح البحر بما فيها من الغازولين وفيها آلات تذخر فيها القوة الكهربائية فتسير بها ثلاثين ميلاً تحت وجه الماء . وفيها ثلاث تربيدات وانبوب لقذف المواد الجهنمية فاذا اريد ان تهاجم بارجة من بوارج العدو وُجهت نحوها وغاصت في الماء وكلما سارت ميلاً رفع اعلى برجها الى



ش ٥ مقطوع الارغونوت الطولي

وجه الماء لتحكيمها في جهة البارجة لئلاَّ تكون قد حادت عنها لان الذين في الماء لا يرون شيئاً بعيداً عنهم ثم تغوّص في الماء وتسير حتى اذا صارت على مقربة من البارجة نهضت من الماء واطلقت عليها تربيداً من تربيداتها ثم غاصت في الماء وعادت من حيث اتت . وحينما يظهر رأس برجها فوق الماء لا يكون ظهورهُ الاَّ لحظة فلا يتهيأ للبارجة ان تحكم عليها مدافعها لو رأتها . ومهما كان درع البارجة ثخيناً لا يقيها تربيد الهولند . واذا علمت دولة من الدول البحرية ان عند خصيمتها قوارب مثل الهولند تغتال بوارجها على غرَّة حتى ان البارجة التي تبلغ نفقات بنائها وتجهيزها مليوناً من الجنيهات وفيها نحو الف من البحارة والجنود يطلق عليها تربيد واحد فيغرقها بمن فيها في لحظة من الزمان والقارب الواحد يستطيع ان يغرق ثلاث بوارج كبيرة في اقل من ساعة — اذا علمت تلك الدولة ذلك استحال ان تخاطر ببوارجها وتهاجم الدولة

التي عندها قوارب تسير تحت الماء. وان خاطرت يبقى الخوف مستولياً على بحارتها فلا يستطيعون ان يعملوا عملاً بحرياً

التربية والحجاب

من كتاب "المرأة الجديدة" لقاسم بك امين القاضي بمحكمة الاستئناف المصرية

لولم يكن في الحجاب عيب الا انهُ منافٍ للحرية الانسانية وانهُ صار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينة مع ان القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل — لو لم يكن في الحجاب الا هذا العيب لكفى وحده في مقتهِ وفي ان ينفر منهُ كل طبع غُرز فيهِ الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انهُ يحول بين المرأة واستكمال تربيتها

اذا تقرَّر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن أن يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ? هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ? وهل يمكن تربيتها مع الحجاب او لا بد فيها من ابطالهِ ? وهل يعمل فيها على قواعد تؤخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجَع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ?

هذه المسائل تدخل في باب التربية والحجاب وقد دار البحث والجدال فيها في العام الماضي بين كثير من الكتاب والآن نريد ان نبدي رأينا فيها على غاية من الوضوح

ففي المسألة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلأن المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تعود على الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللواتي يشاركنَ اقاربهنَّ الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأتها وتستمرَّ عليهِ من غير انقطاع والاَّ ضعفت صحتها وصارت عرضة للامراض . ذلك لان النواميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبهُ الجسم وما يفقدهُ بحيث لو اختلَّ هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهمالهِ استعمال قواهُ الجسمية ليست باقل عدداً ولا باخف ضرراً من الامراض التي تصيب من ينفق قوتهُ ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم ان ما تقاسيهِ المرأة من الآلام

والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يحتمله من النساء الا قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المتعودات على العمل البدني المتمتعات بالهواء النقي. أما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهنَّ على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهنَّ يعشنَ عليلات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكنَ فيها فقد بلغ عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة اولادها ووقايتهم من العلل . لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيه من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلأن الطبيعة قد اختارت المرأة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق وائتمنتها عليها . فهي التي تفع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً للامة بعد ان كانت اخلاقاً للعائلة كما كانت اخلاقاً للعائلة بعد ان كانت اخلاقاً للأم . هذا يدلنا على ان المرأة الصالحة هي انفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي اضرّ عليه من الرجل الفاسد . ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنست بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلي من شأن المرأة ما لا تعليه من شأن الرجل

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية . هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقته امكنهُ ان يوجه اعمالهُ الى ما يعود عليه بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

ولا تحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضاً لتعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج لتعلم مبادىء قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأة الى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد. حتى اذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمرَّ شوقها الى الحق فتتحرك دائماً اليه وتعتبر به

وأضف على ذلك انهُ ينبغي على البنت ان تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت

ولا بدَّ هنا من استلفات النظر الى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها الى الفنون الجميلة . واني على يقين من ان اغلب القراء لا يستحسنون ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار . وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى حدٍّ يأسف عليهِ كل من عرف ما لها من الفائدة في ترقية احوال الامم

هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد بيناها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً . هذه هي التربية الكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة فتعدها لأن تكون انساناً يكسب عيشهُ بنفسهِ وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة والهناء واماً صالحة لتربية اولادها

متى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكاتها العقلية تكون قد بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها فما الذي ينبغي ان تكون عليهِ بعد ذلك ؟ وكيف تعيش ؟ أتحجَّب في بيتها وتُمنع عن مخالطة الرجال أم تطلق لها الحرية في ذلك ؟ هذا هو موضوع البحث في المسألة الثانية والثالثة وسنتكلم عليهما معاً لما بينهما من الارتباط

رأى المنتقدون على تحرير المرأة اننا تطرفنا في مسألة الحجاب واننا اشرنا برفعهِ تقليداً للعادات الغربية وزعموا ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليهِ ضرر لها ولذلك ذهبوا الى وجوب استبقائهِ والمحافظة عليهِ وقالوا ان الذي حطَّ بالمرأة عن منزلتها انما هو عدم التربية فلو تربت تربية حسنة لامكنها وهي في الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام

على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او كُتب في هذا الشأن لا نزال على رأينا ولم يزدنا تكرار البحث فيهِ الاَّ وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليهِ

ولا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا الاَّ الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي التعلُّم وذلك يتم على رأيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عملهِ فيها الحصول على الشهادة الدراسية وانهُ متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها بعض ظرفاء الفرنساويين (جلد حمار) عُدَّ بالغاً في العلم والادب حد النهاية . ونحن على خلاف ما رأوا نعتقد ان التربية لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة وانما كل ما يستفيدهُ الصبي من ذلك في ايام التحصيل الأولى هو الاستعداد لتكميل عقلهِ وخلقهِ

ذلك لان الصبي في السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرهِ لا يعرف من العلم الاَّ نظريات عامة ومسائل كلية يحفظها في جمل مختصرة . ومهما كانت هذه القضايا علمية او

ادبية فلا قيمة لها الاَّ بظهورها في العمل وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي تدخل فيها او تخرج عنها وجهات نفعها وضرها . وهذه التطبيقات هي الواسطة الوحيدة في فهم القواعد على حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الاَّ الفاظاً وخيالات

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق . اذ لا شيء على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط شهواته وقهره نفسهُ ولكن لا شيء اصعب في العمل من ان يأتي ذلك بالفعل . لان قهر الانسان لهواه وجعلهُ تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة . ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينهُ وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنهِ بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتعرض لملاقاة الحوادث والتعوُّد على مغالبتها والتغلب عليها

فمزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ اعلى الدرجات وامامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط الى اسفل الدركات

والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس لأن المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم الاَّ من نوافذ الجدران او من بين استار العربة ولا تمشي الاَّ وهي كما قال الامير علي القاضي "ملتفة بكفن" لا يمكن ان تكون انساناً حياً شاعراً خبيراً باحوال الناس قادراً على ان يعيش بينهم

ولا يكفي لاخراج المرأة المصرية من هذه الحياة الصناعية التي يشكو الكل منها ان تمكث بضع سنين في المدرسة ثم تنتقل منها الى بيت تحجب فيه بقية عمرها بل يلزم ان تستمرَّ في الاعتناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة . يلزم ان نضع يدنا في يدها ونسير معها في الارض ونريها عجائب الكون ولطائف الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات الزمن الحاضر . يلزم ان تقاسمنا افكارنا وآمالنا وافراحنا وآلامنا وتحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من الاخلاق والافكار والمباحث وتفيدنا بحملنا على رعاية الحشمة والتأدب في القول

يقول معترض : " انا نراك تريد ان تحسن حال المرأة المصرية بحملها على تقليد المرأة الغربية فهلاَّ أعرت تمدننا القديم الذي كان من اصوله احتجاب النساء نظرةً وهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى اصوله لفتة عملية ترى انهُ هو المجد الصحيح الذي يجب ان تشد لهُ رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوماً ما انهُ هو نفس الكمال الذي ينشدهُ الانسان ويلتمسهُ الوجدان "

هذا الاعتراض وربما يلذ للقارىء سماعهُ لطلاوة لفظهِ وربما ينجذب اليهِ لانهُ يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق بآثار الآباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للفظ تأثيراً فينا الى حدٍ يذهلنا عن الحق. وعلينا ان نأخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا . والتعلق بالتقاليد الراسخة لا يحتاج الى التحريض والترغيب لانهُ حالة لازمة للنفس آخذة بزمامها فهي مستغرقة فيها من ذاتها وانما الذي يحتاج للتشويق والتشجيع هو التخلص من ماضٍ ضارٍ واعتناق مستقبل نافع

اذا امكننا ان نأخذ تلك الاهبة كان من اهمّ ما يجب علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليهِ ولكن لا لننسج منهُ صورة ونحتذي مثال ما كان فيهِ سواءً بسواءٍ بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناءً ننتفع بهِ اليوم وفي ما يستقبل من الزمان

ظهر الدين الاسلامي في جزيرة العرب بين قومٍ كانوا يعيشون في حال البداوة اي في ادنى الحالات الاجتماعية فاوجد بينهم رابطة ملية واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعاً نسخ ما كان عندهم من العادات المتبعة في معاملاتهم من قديم الزمان . ولما امرهم بالجهاد اخذوا يحاربون الامم الاخرى واستولوا عليها ولم يكن ذلك بامتيازهم على من جاورهم من الامم في العلوم والصنائع ولكن كان بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم كثيراً من العلوم والصنائع والفنون فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان يأتوا في ترقيتها بما شاؤُوا . وظهرت عند ذلك نهضة علمية كما هو الشان في الامم عقب كل انقلاب يجري لغاية صالحة استمرَّت مدة اربعة قرون تقريباً

على هذين الاساسين شيدت المدنية الاسلامية . الاساس الديني الذي كوَّن من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمي الذي ارتقت بهِ عقول الامة الاسلامية وآدابها الى الحد الذي كان في استطاعتها ان تصل اليهِ في ذلك العهد

ولكن لما كان العلم في تلك الاوقات في اول نشأتهِ وكانت اصولهُ ضروباً من الظنون لا يؤيد اكثرها بشيءٍ من التجارب كانت قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين فتغلب الفقهاء على رجال العلم ووضعوهم تحت مراقبتهم وزجُّوا بانفسهم في المسائل العلمية وانتقدوها . وحيث انهم لم يأتوا اليها من بابها ولم يجهدوا انفسهم في فهمها اخذوا يؤَولون الكتاب والاحاديث بتأويلات استنبطوا منها ادلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على ان ييئسوا الظن بها وما زالوا

يطعنون على رجال العلم ويرمونهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروهُ وانتهى بهم الحال الى الاعتقاد بان العلوم جميعها باطلة الاَّ العلوم الدينية . بل غالوا في دينهم وشطوا في رأيهم حتى قالوا في العلوم الدينية نفسها انها لا بد ان تقف عند حد لا يجوز لاحد ان يتجاوزهُ . فقرروا ان ما وضعهُ بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفهُ وكأنهم رأوا من قواعد الدين ان تُسدَّ ابواب فضل الله على اهلهِ اجمعين

هذا النزاع الذي قام بين اهل الدين واهل العلم ولا اقول بين الدين والعلم لم يكن خاصاً بالامم الاسلامية بل وقع كذلك عند الامم الاوربية . ولكن لما كانت هذه الامم قد ورثت علوم اليونان والرومان والعرب وكان وصول تلك العلوم اليها قرب تمام تكوينها لم تحتج اوربا الى زمن طويل في اكتشاف الاصول الحقيقية لتلك العلوم . وقد نالت منها في مائتي سنة ما لم ينلهُ غيرها في آلاف من السنين . وتوالت الاكتشافات العلمية يجر بعضها بعضاً ويرشد بعضها الى بعض . فمنها اكتشاف قوانين سير الكون وتحليل الضوء وسرعة سيرهِ وكيفية تكوُّن الاصوات وسرعتها وشكل اهتزازاتها. وعلمت ماهية الحرارة وكيفية تكوُّن الكرة الارضية وحقيقة شكلها وتكون طبقات الارض وتقادم الاعصار عليها وعلى سكانها وضروب التغييرات التي طرأت عليها والادوار التي تقلبت فيها من وقت ان كانت كتلة نارية الى ان ظهر فيها النوع الانساني بعد جميع الانواع الاخرى . ثم عرفت قوانين الحياة ووظائف الدورة الدموية والتنفس والهضم وخصائص قوى الادراك وكيف تتكوَّن خلايا الجسم وكيف تعيش وكيف تفنى . وصححت وكملت اصول الكيمياء والطبيعة

بكشف هذه الحقائق شيد العلم بناء متيناً لا يمكن لعاقل ان يفكر في ان يهدمهُ . ولهذا تغلب رجال العلم على رجال الدين في اوربا بعد النزاع والجهاد وانتهى الحال بان صار للعلم سلطة يعترف لهُ بها الناس كافة

فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناهُ فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان "نموذج الكمال البشري" يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شأنهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيَّل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية

نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تألم القراء من سماعها . لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول انهُ يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف على ظواهرهِ وخفاياهُ لانهُ يحتوي على كثير من اصول حالتنا الحاضرة ويجب عليهِ ان يعجب بهِ لانهُ عمل

انتفعت بهِ الانسانية وكملت بهِ ما كان ناقصاً منها في بعض ادوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن ان يدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية. اما من جهة العلوم فالامر ظاهر لما سبق بيانهُ . واما من جهة النظامات السياسية فلأننا مهما دققنا البحث في التاريخ لا نجد عند اهل تلك العصور ما يستحق ان يسمى نظاماً فان شكل حكومتهم كان عبارة عن خليفة او سلطان غير مقيد يحكم بواسطة موظفين غير مقيدين فكان الحاكم وعمالهُ يجرون في ادارتهم على حسب ارادتهم فان كانوا صالحين رجعوا الى اصول العدالة بقدر الامكان وان كانوا غير ذلك خرجوا عن حدود العدالة وعاملوا الناس بالعسف ولم يكن في النظام ما يردهم الى اصول الشريعة

ربما يقال ان هذا الخليفة كان يولَّى بعد ان يبايعهُ افراد الامة وان هذا يدل على ان سلطة الخليفة مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر . ونحن لا ننكر هذا ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الأ بعض دقائق هي سلطة لفظية . اما في الحقيقة فالخليفة هو وحدهُ صاحب الامر فهو الذي يعلن الحرب و يعقد الصلح ويقرّر الضرائب و يضع الاحكام ويدير مصالح الامة مستبدًا برأيهِ ولا يرى من الواجب عليهِ ان يشرك احداً في امرهِ

ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الامة اليونانية ولم يتوصلوا الى ما وصلت اليهِ الامة الرومانية من جهة وضع النظامات اللازمة لحفظ مصالح الامة وحريتها فقد كان لتلك الامم جمعيات نيابية ومجالس سياسية تشترك بها مع الحاكم في ادارة شؤونها

واغرب من هذا ان امراء المسلمين وفقهاءهم لم يفكروا في وضع قانون يبين الاعمال التي وجدوا انها تستحق العقاب ويحدد العقوبات عليها بل تركوا حق التعذير الى الحاكم يتصرَّف فيهِ كيف يشاء . مع ان بيان الجرائم وعقابها هو من اوليات اصول العدالة

ولست محتاجاً ان اقول انهم ما كانوا يعرفون شيئاً من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان هذه العلوم حديثة العهد . واذا اراد مكابر ان يتحقق من ذلك فما عليهِ الأ ان يتصفح مقدمة ابن خلدون وهو الكتاب الفرد الذي وُضع في الاصول الاجتماعية عند المسلمين يرى ان الاصول التي اعتمد عليها لا يخلو معظمها من الخطإ ويندهش على الخصوص عند ما يرى ان هذا الكتاب الذي وُضع للبحث في المسائل الاجتماعية لم تذكر فيهِ كلمة واحدة في العائلة التي هي اساس كل هيئة اجتماعية

فاذا كانت حالتهم السياسية كما ترى فما الذي يطلب منا ان نستعيرهُ منها ؟

كذلك اذا نظرنا الى حالتهم العائلية نجد انها مجردة عن كل نظام حيث كان الرجل

يكتفي في عقد زواجه بان يكون امام شاهدين و يطلق زوجته بلا سبب او باوهى الاسباب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب . كل ذلك كان واستمرَّ الي الآن على ما هو مشهور ولم يفكر احد من الحكام او الفقهاء في وضع نظام يمنع ضرر انحلال روابط العائلة . واقل ما كان يلزمهم لرفع ذلك الخلل ان يقرّروا مثلاً ان ايقاع الطلاق وعقود الزواج والرجعة لا بد ان تكون امام مامور شرعي حتى لا تبقى هذه الشؤون موضعاً للريب ومحلاً للشبهة ومثاراً للنزاع والشقاق .

اين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الاوربيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الاهلية . بل اين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع ادوارها عن اهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية ؟ فاي شيء من هذا يمكن ان يكون صالحاً لتحسين حالنا اليوم ؟

بقي علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي من جهة الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا حائزين لجميع انواع " الكمالات الاخلاقية الصحيحة " وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيه . اما من جهة اصول الأدب فالمعلوم ان المسلمين لم يأتوا العالم باصول جديدة . فقد سبق المسلمين امم كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي . واما من جهة عمل المسلمين على مقتضى تلك الاصول الادبية فالتاريخ يشهد ان كل عصر لا يخلو من الطيب والرديء والحسن والقبيح وقد وصلت الينا اخبار العرب مدونة في الكتب التاريخية والادبية فكشفت لنا الغطاء عن اخلاقهم ومعاملاتهم واطلعنا على شعرهم وامثالهم واغانيهم فما وجدنا زمناً من الازمان خالياً من الآداب الفاسدة والاخلاق الرذيلة والطبائع الدنيئة . رأينا الدولة العربية من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر ايامها ممزقة بالمنازعات الداخلية الناشئة عن التباغض والحقد وحب الذات حتى في الاوقات التي كانت فيها الدولة مشتغلة باهم الحروب مع الامم الاخرى . رأينا احد اولاد علي رضي الله عنهُ تزوج باكثر من مائة امرأة حتى التجأ والده ان ينصح الناس بان لا يزوجوهُ بناتهم . رأينا من الرجال من كان يعترض النساء في الطريق ويختلس النظر اليهنَّ من خروق الحائط . رأينا من امرائهم واعاظمهم من كان يشرب الخمر حتى لا يعي ما يقول في مجالس تحضرها الجواري وتطرب الحاضرين بنغمات الموسيقى . رأينا من شعرائهم من يستجدي العطايا و يمد يدهُ ملتمساً رزقهُ من فضلات الامراء والاغنياء ومنهم من يمدح نفسهُ ويثني عليها ويذهب في ذلك الى حد ليس

بعده الاّ الجنون او يتغزل في ولد او يهجو خصمهُ بعبارات الفحش والفاظ الوقاحة التي يستحى من تصورها فضلاً عن التفوه بها . رأينا من مؤرخيهم من يزوّر في التاريخ ومن فقهائهم من يخترع الاحاديث و يضعها لغايته الذاتية

فاي زمن من الازمان السابقة كان منزهاً عن العيوب حتى يصح ان يقال انهُ " نموذج الكمال البشري " الكمال البشري يجب ان لا نبحث عنهُ في الماضي بل ان اراد الله ان يمن بهِ على عبادهِ فلا يكون الاّ في مستقبل بعيد جداً

متى تقرَّر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتّاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المرأة من اصولها او لم يكن . وسواء صح ان النساء في ازمان خلافة بغداد او الاندلس كنَّ يحضرنَ مجالس الرجال او لم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا

ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها فليس خطأها في ذلك اكبر من خطإها في كثير من الامور الاخرى

وغني عن البيان اننا عند كلامنا على المدنية الاسلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والعادات التي يكوّن مجموعها الحالة الاجتماعية التي اختصت بها . ذلك لان عامل الدين لم يكن وحدهُ المؤثر في وجود تلك الحالة الاجتماعية فهو على ما بهِ من قوة السلطان على الاخلاق لم ينتج الاّ اثراً مناسباً لدرجة عقول وآداب الامم التي سبقت

والذي اراهُ ان تمسكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعاً لمحاربتها لانهُ ميل يجرنا الى التدني والتقهقر . ولا يوجد سبب في بقاء هذا الميل في نفوسنا الاّ شعورنا باننا ضعاف عاجزين عن انشاء حال خاصة بنا تليق بزماننا ويمكن ان تستقيم بها مصالحنا . فهو صورة من صور الاتكال على الغير كأن كلاً منا يناجي نفسهُ قائلاً لها : اتركي الفكر والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تأتي بابدع مما كان

هذا هو الداء الذي يلزم ان نبادر الى علاجهِ . وليس لهُ من دواء الاّ اننا نربي اولادنا على ان يتعرفوا شؤُون المدنية الغربية ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها واذا اتى هذا الحين ونرجو ان لا يكون بعيداً انجلت الحقيقة امام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا انهُ من المستحيل ان يتم اصلاح ما في احوالنا اذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة وان احوال الانسان مهما اختلفت وسواء كانت مادية او ادبية خاضعة لسلطة العلم . انتهى

شهادة من الهند

كان لما نشرناهُ من اقوال علماء الهند وقع عظيم عند قرَّاء المقتطف ولاسيما مقالة امير علي القاضي. ولا يزال الكتَّاب والخطباء يستشهدون بها لما حوت من الحقائق التي تجب اذاعتها في القطرين الشامي والمصري لشدَّة الحاجة اليها

وقد اطلعنا الآن على مقالة كتبها امير مستقلٌّ من امراء الهند نُشرت في مجلة القرن التاسع عشر وفيها من الحقائق ما لا بدَّ من اذاعتهِ في كل الاقطار الشرقية لكي يرى ملوكنا وامراؤنا وعلماؤنا وادباؤنا ما يرتئيهِ ويقولهُ الملوك الذين انار العلم بصائرهم وعرفوا كيف تساس الرعية سياسة توردها موارد السعادة

والكاتب هو المهرجا غايكوار امير بارودا احدى امارات الهند المستقلَّة وقد كتب بالانكليزية لانهُ عالم بها متقن لها . وسنقتطف من مقالتهِ ما تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ ويضطرنا الاختصار ان نتكلم عنهُ بضمير الغائب الاَّ حيث نترجم كلامهُ حرفياً

قال ان انحراف صحتهِ اضطرهُ ان يكثر السفر فقد رحل الى اوربا خمس مرات حتى الآن اقام فيها ثلاث سنوات ولكن اكثر اقامتهِ في قصرهِ الجديد في بارودا وقد انفق عليهِ مئتي الف جنيه . واقليم بارودا حارٌّ جدًّا لا يحتملهُ الذين يشتغلون اشغالاً عقلية شاقة فيضطر ان يخرج منها كل سنة ولو بضعة اشهر الى مكان معتدل الهواء . والناس في بلاد الهند يقصدون الاماكن الجبلية في فصل الصيف ولم يكونوا يفعلون ذلك قبل خمس عشرة سنة اما الآن فاكثروا من الاصطياف حتى يتعذَّر وجود البيوت الكافية للمصطافين . وليس في مملكة بارودا جبال فيضطر ان يمضي الى جبال حملايا او نلجرس مسافة ستة ايام

وهو يستيقظ الساعة السابعة صباحاً ويقوم بفروضهِ الدينية عن يد البراهمة ويأكل قليلاً من الخبز واللبن ويخرج للنزهة راكباً على جواد او في مركبتهِ ويعود فيطالع بعض كتب الفلسفة والتاريخ ولاسيما تاريخ اليونان والرومان ويفضل المؤرخ جبون على غيرهِ ومن الكتب التي يحب المطالعة فيها كتب تكفيل ومل وفوست وسبنسر ولهُ غرام بشكسبير وبنثام في القوانين ومابن في الشرائع القديمة . ويُستدل من هذه الكتب وهؤلاء المؤلفين على انهُ مغرم بمطالعة اشهر الكتب الانكليزية في الفلسفة والسياسة والتاريخ. ويتغدى الساعة الحادية عشرة مع اولادهِ ومن يكون عندهُ من بطانتهِ وبعض الالوان اوربي وبعضها هندي ولا تقدَّم الخمر على مائدتهِ ولا شراب آخر مسكر ولا شيءٌ مما طبخ بلحم البقر لأن شريعة البراهمة تحرّم ذلك .

ثم ينظر في اشغال مملكتهِ . وتقدَّم الاوراق اليهِ قبل النظر فيها بيومين او ثلاثة فيطَّلع عليها ويأمر بما يشاء كتابةً ويمضي اسمهُ بيدهِ غير معتمد على الخاتم . وذكر مثالاً لذلك قال : " ان الاحكام بالقتل يحكم بها قضاة المديريات وترفع الى المحكمة العليا فان ايدتها رفع الوزير اوراقها اليَّ وكتب فيها رأيهُ ورأي وكيلهِ وهو من القضاة فاذا بقيتُ في ريب استشرت قضاةً آخرين لا اقلّ من ثلاثة فيطالعون اوراق الدعوى كلها ويكتبون رأيهم في مذكرة يرفعونها اليَّ "

ويبقى مشتغلاً بمهام المملكة الى الساعة الرابعة او الخامسة فيمضي حينئذٍ الى حيث زوجتهُ وتلقَّب بالمهراني والدار التي هي فيها قسم من القصر خاص بها فيقيم هناك ساعة من الزمان ثم يخرج للنزهة راكبًا في مركبة يحيط بها خمسة وعشرون من الرمَّاحة حتى اذا خرج من باب المدينة ابقى منهم خمسة فقط معهُ . واذا قدَّم اليهِ احد عريضة وهو خارج الى النزهة اخذها منهُ وامرهُ ان يحضر اليهِ في يوم مخصوص لينظر في ظلامتهِ . وهو يجري في ادارة الاحكام على النسق الانكليزي . وكلما ذكر زوجتهُ في هذه المقالة لقَّبها بذات السمو او سمو المهراني

وكثيرًا ما يجول في بلادهِ متخفيًا ويقابل رؤساء العشائر والقرى ويذاكرهم لكي يقف على امورهم بنفسهِ . اما عن تعلمهِ الانكليزية وتعليم اولادهِ فقال ما ترجمتهُ

"لقد اقام اللورد نورثبروك المستر اليوت معلمًا لي وعمري ثلاث عشرة سنة . ويسرني انني لم أُفصَل عن عائلتي ولا فُصِل بيني وبين شعبي . وانني انظر الآن الى الطريقة التي رُبيتُ بها فارى انهُ كان يمكن ان تغيَّر قليلاً فتكون انفع لي وكان يمكن ان تطال مدة تعلمي . ولقد احسن معلمي واوصياني بتركي هنديًا ولكن الزمان قد تغير فصار عليَّ ان اربي اولادي على اسلوب آخر ولذلك ارسلتهم الى افضل المدارس الانكليزية في اتُن وباليول ليتربوا احسن تربية انكليزية . وافضلُ دينٍ يدينون بهِ محبة وطنهم فاذا دانوا بهِ كانوا من خيرة رجال الهند . وقد يهملون حينئذٍ بعض العشائر الدينية الوطنية ولكنهم لا يهملون الواجب عليهم لبلادهم وشعبهم

ولقد كان لارتحالي الى اوربا فوائد جمة فزال من ذهن قومي ما كانوا يوجسون منهُ وهو ان الانكليز يبقونني اسيرًا عندهم . وزادت رغبة شعبي في ارسال اولادهم الى اوربا للتعلم فيها . وترى هذه الرغبة في كل طبقاتهم حتى ادناها . والخدم الذين جاؤوا معي الى اوربا اول مرة يستاؤون الآن اذا لم آتِ بهم . وهناك اناس يقتصدون في نفقاتهم اليومية ولو كان دخلهم لا يزيد على جنيه في الشهر لكي تتيسَّر لهم الرحلة الى اوربا . وقد اخذ كبار المزارعين يبعثون بابنائهم الى اوربا ليتعلموا فيها . وجعل الناس كلهم يفهمون فائدة السفر وانهُ خير واسطة لكسب المعارف كما قال كتَّاب الهنود القدماء . وعندي ان كل اتصال بالاوربيين

مفيد لتقدم الهند وكل ما يمنع هذا الاتصال يؤخر نجاح البلاد . وقد حلَّ بالهند ضرر كبير في غابر الازمان من انفصالها عن سائر الممالك فجهل الهنود ما بلغهُ غيرهم من الارتقاء في مراقي العمران . ولو استطعتُ لجعلت حكومة بلاد الهند كلها تبعث كل سنة خمس مئة تلميذ الى اوربا ليدرسوا فيها العلوم والفنون والصنائع وكنت اختار هؤلاء التلامذة من نابغي الشبان ومن غيرهم لكي ينتشر العلم بين كل الطبقات والمذاهب . وعندي انهُ يحسن بامراء الهند ان يجالسوا الاوربيين في ولائمهم ولكن لا بدَّ من ان يؤخذ ذلك بالحذر اولاً لئلاً يثور التعصب الديني عليهم . فمنذ عشر سنوات لم يكن يسهل عليَّ ان افعل ما افعلهُ الآن من غير ان اعرّض نفسي للانتقاد الشديد . اي ان الملوك انفسهم لا يسلمون عندنا من الانتقاد اذا خالفوا عادات قومهم ولكن الملك الذي يعرف كيف يقود شعبهُ لا يتعذر عليهِ ان يجعلهم يرضون عنهُ ويجارونهُ"

ثم انتقد افعال الوزراء الانكليز انتقاداً لطيفاً محكماً لا نظن الاَّ انهُ يأتيهِ بفائدة كبيرة فان في بلادهِ وزيراً مقيماً من الانكليز فاذا غاب عنها سلَّم مقاليد الاحكام لوزيرهِ الوطني ولهذا الوزير المقيم فيحسن هذا الوزير التصرف او يسيئهُ حسب طبعهِ ويتعرَّض غالباً لامور لا يعنيهِ التعرُّض لها فيزيد الارتباك وتضعف سلطة المهرجا

وكانت زوجتهُ معهُ في سياحتهِ الاخيرة وزيارتهِ لمعرض باريس والظاهر انها جاءت اوربا لكي تُعمل لها عملية جراحية لم تجد طبيبة في بلاد الهند تعملها لها ولا ارادت ان يعملها طبيب . وقد كتب عنها ما ترجمتهُ

" تتمتع سموُّها هنا (اي في بلاد الانكليز) بحرية لا تتمتع بها في بارودا (اسم مملكتهِ) فانها تعيش هنا مثل غيرها من النساء الغنيات الشريفات اما في بلادنا فتحتجب حسب العادات التي اقتبسناها من المسلمين . فتقوم هناك باكراً وتقرأ الجرائد الانكليزية والهندية الى وقت الغداء وتتغدّى مع اولادها ثم تمشي ساعة او ساعتين في حديقة القصر حيث لا يراها احد من الرجال . ومن رأي سموها ان عادة الحجاب رديئة ولكنها تقول انهُ لا يستطيع احد ان يرفع الحجاب من بلاد الهند في الوقت الحاضر . وكثيرات من النساء يرغبنَ مثل سموها في رفع الحجاب ولكن الفريق الاكبر من الرجال غير المتعلمين لا يرون ذلك ولا يرغبون فيهِ ولا في تعليم النساء . اما نحن فمقتنعان بفائدة التعليم للنساء ولذلك عزمنا ان نعلم ابنتنا الوحيدة كما نعلم ابناءنا لان الامرأة المتعلمة اقدر من غير المتعلمة على إسعاد اهل بيتها وتثقيف عقولهم . ولسموها اهتمام شديد بتعليم النساء وهي لا تحسب انهُ يمكن ان يكون للمرأة في بلاد

الهند كل الحرية التي لها في اوربا ولا تظن ذلك صالحاً لها لان مقياس الحشمة رفيع جدًّا في البلاد الشرقية حتى لو لم يوجد الحجاب لبقي شيء من الانفصال بين الرجال والنساء . ومع ذلك فالحجاب عندنا خاص بالطبقات العليا اما نساء الفقراء فلا يحتجبن

وقد رأيت في اوربا اموراً كثيرة يحسن بي اقتباسها في بلادي كالتعليم الاجباري والاستقلال الاداري في الولايات وهذا استحسنهُ جدًّا وهو مثل النظام القديم الذي كان متبعاً في بلاد الهند حين كان اساس الادارة ان يدبر اهل كل بلد شؤونهم بانفسهم . ولا اوفي الحكومة الانكليزية حقها مهما مدحتها لانها اعطت الاستقلال الاداري لاستراليا وهذا امر كنا نترقبهُ في بلاد الهند كما يترقبهُ غيرنا في سائر السلطنة الانكليزية

ولقد ادهشني ما رأيتهُ في اوربا من اهتمام افراد الناس من غير الحكام بمصالح البلاد ومساعدة الفقراء ولكن يتعذر عليَّ ان اقابل بينهم و بين اهل الهند لان ليس عندنا جمهور كبير من الاغنياء المتعلمين المتهذبين من اهل الفراغ والجدة . وعندي ان ما يمتاز بهِ الانكليز من كرم الاخلاق والعزم والحزم هو نتيجة لازمة عن سمو تهذيبهم ونظام حكومتهم التي تقوي فيهم روح الاستقلال . ولا اقول ان هذا معدوم من بلاد الهند ولكني اقول انهُ يتعذر ظهورهُ ونموهُ في الاحوال الحاضرة

ومن شاء ان يعيش عزيزاً كريماً في بلاد الهند يترتب عليهِ ان لا يحاول الترفع على غيرهِ لان من يفوق غيرهُ عقلاً وذكاء يكرههُ الناس و يظنون بهِ الظنون . ولا يمهر الناس في السياسة والقيادة ما لم يروا امامهم ميداناً واسعاً لاستعمال مهارتهم . و يتعذر على اكثر الناس عندنا ان يميزوا بين الصواب والخطاء لطول ما حلَّ بهم من الجهل والفقر والاستعباد وليس عندنا احد يستطيع الانتقاد بالعلم والسداد مع ان هذا الانتقاد لازم لكل ارتقاء وطني. واود ان اكثر المدارس التجارية والصناعية في بلادي وسائر المدارس العليا التي يتهذب فيها شبان البلاد "

وقد جرى سموهُ احياناً مجرى البساطة التامة في ما رواهُ عن نفسهِ واعمالهِ حتى لقد يود القارئ لو كُتبت بعض الامور بقلم غيرهِ عنهُ كقولهِ اني تصدقت بكذا وكذا وتصدقت زوجتي بكذا . ولكننا اذا اطَّرحنا المألوف من الحشمة الكاذبة لا نجد فرقاً بين من يتكلم عن نفسهِ اذا صدق ومن يلقن غيرهُ الكلام عنهُ بل الاول اقرب الى الصواب من الثاني لانهُ يخشى المبالغة واما الثاني فتضطرهُ المجاملة الى اطراء من يذكر حسناتهِ والمبالغة فيها ولا سيما اذا كان ملكاً . وتتدفق البلاغة من قلمهِ تدفقاً في اماكن كثيرة وهو يكتب بلغة غير لغتهِ الاصلية مما يدل على وافر علمهِ وواسع فضلهِ . وسقياً لبلاد ملوكها علماء

رواية امينة

تمهيد

لمؤلفي الروايات اسلوبان مشهوران الاول الاعتماد على ذكر الغرائب التي يتوهم العامة وقوعها ولو ثبت عند الخاصة انها ضرب من المحال كما في قصص الجان والغيلان والطلاسم والرقى .ومن هذا القبيل قصة الف ليلة وليلة وكثير من الروايات الاوربية القديمة وهي تفكه القارئ غالباً ولكنها لا تفيده الأ بما يتخللها من تحسين الفضيلة والحث عليها وتقبيح الرذيلة والنهي عنها . وقد شاع هذا الاسلوب في السنين الغابرة ثم رغب الناس عنهُ اخيراً لانهم صاروا من طلاَّب الحقائق ولم تعُد تلذُّ لهم الاوهام التي يتسلى بها الصغار

والثاني ذكر الحوادث التي حدثت او يكون حدوثها ممكناً وهو على ضربين ضرب يتوخى فيهِ كاتبهُ ذكر الحوادث الماضية والثاني ذكر الحوادث الحاضرة . اما الاول فيضطر صاحبهُ ان يحرّف التاريخ ويحوّرهُ لكي يطابق غرضهُ ويوافق الاسلوب الذي اختارهُ لروايتهِ فلا ترسخ في الذهن قضية تاريخية مما ذكرهُ الاّ وهي محرَّفة او مشوبة بامور كثيرة لا صحة لها فتصير الذاكرة تخلط بين الحقيقة والوهم وبين المنقول والموضوع . وقد شاع هذا الاسلوب كثيراً منذ اوائل القرن الماضي ولكن عدل عنهُ اكثر الكتّاب حديثاً لانهم وجدوا ضررهُ في تشويش الحوادث التاريخية اكثر من نفعهِ في ذكرها . والضرب الثاني وهو ذكر الحوادث الحاضرة كما هي استدراجاً الى ذكر العادات والاخلاق واستحسان الحسن منها واستهجان القبيح حديث اشتهر بهِ كثيرون من نوابغ الكتاب مثل تولستوي بالروسية وكبلنغ بالانكليزية وزولا بالفرنسوية

وبينما نحن نفكر في وضع رواية من هذا النوع الاخير اشار علينا من اشارتهُ حكم ان نترجم رواية اميرة شرقية وضعتها باللغة الانكليزية وشرحت فيها احوال اهالي الاستانة في هذا العصر وقد اشرنا الى هذه الرواية حين صدورها وطالبنا كثيرون بنقلها الى العربية فرأينا ان نلبي الطلب الآن غير مقيدين بما كتبتهُ المؤلفة بل متصرفين فيهِ حسب مقتضى الحال

الفصل الاول

لا ازال اتذكّر اول يوم بلغت فيهِ الاستانة ونزلتُ الى البر وسمعتُ اصوات الناس وطقطقة المركبات وصفير السفن التجارية ونداء السقائين فاني لم اكن معتادةً سماع شيء من ذلك في القرية التي ربيت بها في بر الاناطول وخُيل لي ان القيامة قامت على ما كان يقصهُ علينا معلم

المدرسة . وكان البرد شديدًا لاننا كنا في بداءة فصل الشتاء ووقع المطر فبلل ثيابي وخرق الى عظمي فدنوت من محمود وسألتهُ قائلة الى اين نحن ذاهبون فقال الى بيت جدتك . ولما رأى انهُ يتعذَّر عليَّ المشي حملني على ظهرهِ وسار بي نحو ايا صوفيا

وذهلت عن نفسي بما رأيت من المناظر التي لم تقع عليها عيني من قبلُ فمن دكاكين مملوءة ثمارًا وفاكهة ومن مخازن مشحونة بالثياب والاقمشة ومن قصور كبيرة شاهقة . وقد علمتُ بعد ذلك ان الاستانة من المدن القديمة القذرة وان في اوربا مدنًا كثيرة احدث منها وانظف ولكنني حسبتها حينئذٍ فردوس النعيم

ثم قال لي محمود اننا قربنا من بيت جدتكِ فخفق فؤادي وتجدَّدت مخاوفي وكان ابي قد توفي حديثًا وهو حدَّاد فقير من اهالي الاناطول ولم يترك لي شيئًا . وقبل ان اسلم روحهُ تذكر ان حماتهُ لا تزال في قيد الحياة ولم يكن قد رآها بعد ان اخذ ابنتها واتى بها الى تلك القرية حيث ماتت بالفقر والحاجة فطلب من الفقيه معلم الاولاد ان يكتب لها كتابًا و يطلب منها ان تأخذني لاقيم عندها وعنون الكتاب الى بيت الباشا الذي كانت عندهُ مرضعًا لاولادهِ . ومضت اربعة اشهر قبلما جاء الجواب منها وكان ابي قد مات واخذني جارنا الى بيتهِ واخيرًا جاء رجل الى قريتنا قال انهُ رسول من فاطمة هانم وهو اسم جدتي ولما بلغني ذلك اسرعت لاراهُ فوجدت انهُ شيخ كبير السن شائب الشعر بشوش الوجه وسمعتهُ يقول

"مضى عليها زمان طويل في بيت الباشا وهي متكبرة على نوع ما ولكن قلبها طيب ولما وصلها مكتوب صهرها اخذت تبحث عن رجل يحضر لها بنت بنتها وبلغها انني آتٍ الى قونية لاشغال لي فيها فطلبت مني آن اتيها بها في رجوعي . وقد تأخرت في قونية اكثر مما كنت اظن". ثم التفت اليَّ وقال اهذه هي البنت. فقيل لهُ نعم فقال " تعالي يا بنتي" ومسكني بيدي ونظر في وجهي طويلاً وقال لا بد انكِ تعجبينها مع انهُ لا يعجبها احد . واخذ يتكلم على هذا النسق حتى خوَّفني منها وصرتُ أتمنى ان ابقى حيث كنت . وقام في اليوم التالي وجاء بي ولم يحدث في اثناء الطريق ما اخَّرنا عن الوصول . واخيرًا وصلنا الى بيتها ووقفنا امام بابها وانا اتمنى ان لا تكون في البيت ولكن خاب أملي لما فُتح الباب واتت خادمة وسارت بنا الى الطابقة العليا وادخلتنا غرفة فيها مقعدان و بساط وعلى احد المقعدين عجوز على رأسها منديل ابيض فلما دخلنا نهضت وسلمت على محمود ونظرت اليَّ وقالت أهذه هي البنت . وضمتني الى صدرها وجعلت تبكي

ثم التفتت الى الرجل وقالت لهُ "لا تضحك عليَّ لانني امرأة عجوز وقد مات اولادي كلهم

ولم يبقَ لي الا هذه البنت وهي مثل امها تماماً واراها الآن كأني ارى امها "

وكان عمري حينئذٍ اثنتي عشرة سنة وكنتُ شديدة الشعور بمصاب الغير فلما سمعتها تقول هذا الكلام وضعتُ ذراعيَّ حول عنقها وجعلت اقبلها وابكي فضمتني الى صدرها ثانيةً وقالت سحبينني كما احبكِ. ثم التفتت الى محمود وقالت لهُ تفضل اجلس يا محمود اغا لكي تشرب فنجان قهوة. وناولتني سيجارة وقالت لي قدميها لهُ يا امينة. ونهضتُ وحركت النار في المنقل ووضعت غلاَّية القهوة عليها والتفتت اليهِ وقالت لهُ كلهم بخير في بيتكم وقد كنت عندكم امس وجاء مكتوب من ابنك يقول فيهِ ان معلّمهُ الجديد مسرور بهِ

فقال بلا شك لانهُ في بيت صهرهِ

فقالت نعم وقد احسنت بارسالهِ اليهِ وصهرك من احسن الناس

فقال نعم الحق بيدك وكيف حال نصرالله باشا واولادهِ

فقالت كلهم بخير ولكن نافذ بك مضى الى الاناطول

فقال هذا مثل ولدك لانك ارضعتِهِ

فنظرت اليهِ باسمةً وقالت نعم وهو من احسن الشبان وقد صار عمرهُ الآن ثلاثاً وعشرين سنة واخوهُ البكر ادهم بك صار عمرهُ ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اول ولد ارضعتهُ . ولما تزوجت ابنتهم الصغرى وحيدة هانم سمحوا لي ان اسكن وحدي هنا . لما كان زوجي حيًّا كنت اقول انهُ حالما يكبر نافذ بك ويمضي الى الكتَّاب اتركهم واقيم في بيتي ولكن لما مات زوجي وتزوجت بنتي وتوظف ابني في مركب من مراكب العزيزية طلبوا مني ان ابقى في بيتهم فبقيت ثم لما صار عمر نافذ بك خمس عشرة سنة طلبتُ منهم ان يسمحوا لي ان اعود الى بيتي واعتني بابني لكن واحسرتاه مات ابني تلك السنة

فقال محمود بعد ان شرب القهوة نعم ولكني اراكِ تقيمين في بيت الباشا اكثر مما تقيمين هنا

فقالت نعم ولو اردت لبقيت عندهم دائماً ولكنني صرت عجوزاً وافضل ان ابقى وحدي في بيتي

وكانا يتكلمان وانا اسمع وقد ارتفعت منزلة جدتي في عينيَّ لما رأيت انها كانت في بيت باشا وانهم يكرمونها و يعزّونها . وكانت تتكلم كلاماً فصيحاً وتشير اشارات الكبراء ورأيت انها تفوق كل النساء اللواتي عرفتهنَّ من قبلُ

ونساء العامة في الاستانة لسنَ متعلمات اكثر من نساء القرى في بر الاناطول ولم تكن جدتي تعرف القراءة ولكن اتصالها بالطبقة العليا من الناس زماناً طويلاً هذَّب اخلاقها وجعلها تتكلم وتتصرَّف مثل افراد تلك الطبقة

ثم قالت " سآخذ امينة غداً الى بيت الباشا لان الهانم سألت عنها مراراً فترى كم تشبه امها " . ونهض محمود ليذهب فقالت لهُ على مَ انت مستعجل فقال لانني لم اذهب الى بيتي حتى الآن . فشكرتهُ على فضلهِ وودعنا وخرج . وقمت الى الشباك واطللت منهُ على الشارع الذي تحتهُ فاذا هو ضيق منعطف ثم رأيت الرجل يقرع باباً فيهِ فاذا بيتهُ بقرب بيت جدتي. ودنت جدتي مني وقالت لي لم اسمع كلامكِ حتى الآن تعالي اخبريني ما تعلمينهُ عن ابيكِ وامكِ . فجلست الى جانبها وجعلتُ اقص عليها كل ما اتذكرهُ وكيف لدغت افعى امي وهي تنزع الاعشاب من البستان وكيف كان ابي يتعب النهار كلهُ فلا يكاد يحصل القوت الضروري

فقالت يا مسكين كان يحب امكِ كثيراً ولكن لماذا لم يرسلكِ اليَّ قبل الآن . وقد عرض عليهِ الباشا ان يفتح لهُ دكاناً في غلطه هنا فلم يقبل لانهُ يفضل عيشة الجبال على عيشة المدن . ولم اكن اريد ان تذهب امكِ معهُ ولكنها كانت عنيدة وتخاصمنا ومضت مع زوجها ثم ندمتُ على ما فرط مني وكتبت اليها فلم يجبني احد ولا كنت اعرف اين انتم ومنذ سنتين اتاني مكتوب من ابيكِ ينعيها اليَّ ولكنهُ لم يذكر لي كلمة عنكِ

فقلت لها ان ابي كان يحبني لانني اشبه امي ولم يكن يريد ان يفارقني. فقالت نعم انك تشبهينها تماماً عيناك زرقاوان مثل عينيها وشعركِ اشقر مثل شعرها . وسترين اني احبكِ كما كان يحبكِ

ولقد صدقت في قولها لانها على شكاسة طبعها لم ارَ منها الا كل حب وكل دعة. وذهبنا الى بيت الباشا وكنا نقيم فيهِ احياناً شهراً او اكثر . والباشا رجل جليل القدر عظيم الشأن اعتزل المناصب العالية في كهولتهِ لانهُ يفضل الراحة على تعب البال وبقيت كلمتهُ مسموعة في دوائر الحكومة فحصَّل المناصب العالية لاولادهِ واصهارهِ . وكانت زوجتهُ على جانب كبير من الكبر والعظمة كثيرة الكرم شديدة الانتقام اذا رأت من احد حسنة جازتهُ عليها احسن جزاء واذا رأت من احد سيئة انتقمت منهُ اشد الانتقام . وهي تركية الاصل عرفت كيف تتسلط على زوجها حتى لم يتزوج ضرَّة عليها. وكانت شديدة النباهة يخشاها كل اهل البيت حتى اولادها وهم يطيعونها طاعة عمياء. ولا تزال صورتها نصب عينيَّ حتى الآن طويلة القامة نحيفة الجسم جميلة المنظر حادَّة البصر تنظر اليك فتظن انها تقرأ اعماق قلبك. تلبس لبساً بسيطاً جداً وتربط رأسها بمنديل ابيض تمكنهُ بدبوس من الماس ولا تتحلى بحلى غيره. لم تعاملني بالقسوة ولكنني كنت اخاف منها كثيراً ولا استطيع الكلام في حضرتها . وابنها البكر ادهم بك مثلها سكوت كثير الاشتغال واما ابنتها الصغرى واسمها وحيدة فكانت غاية في الانس والبشاشة

وكانت هي وزوجها في بيت ابيها وعمرها عشرون سنة بعينين سوداوين ومحيا حالق وقد احببتها حالما وقع نظري عليها ويظهر لي انها هي احبتني ايضاً وقد اهتمت بتعليمي في مدرسة قريبة من بيت ابيها وعلمتني التطريز بيدها . وكان للباشا ابنة اخرى كانت حينئذٍ غائبة مع زوجها . اما الابن الاصغر نافذ بك فكان في الاناطول مع الايه والظاهر انهُ محبوب جداً من كل اهل البيت حتى ان ادهم بك كان يتبسم كلما ذكر اسم اخيهِ مع انهُ كان عابساً في غالب الاحيان وزوجتهُ واسمها وليَّة هانم كانت تذكر اسم نافذ بك دوامًا وتقول انه روح البيت ومنذ غاب فقدوا كل بهجة(وهي امرأة بشوشة الوجه انيسة المحضر اقترن بها ادهم بك وعمرها اربع عشرة سنة ولها الآن ثلاثة اولاد مع ان عمرها تسع عشرة سنة فقط). واذا ذكرتهُ امهُ لم تخفِ حبها لهُ وعجبها بهِ وكذلك الجواري كنَّ يحلفن باسمهِ حتى صرت اودُّ ان اراهُ ولكن مضت خمس سنوات قبلما عاد الالاي الذي هو فيهِ

وليس من غرضي ان اسرد تاريخ حياتي كلها بل تاريخ مدة محدودة منها ولذلك لا اتكلم شيئاً عن هذه السنوات الخمس بل اتخطاها الى شهر مارس من السنة الخامسة منها فانهُ في ذلك الشهر اصابتني مصيبة لا اشد منها وهي ان جدتي مرضت مرضاً شديداً واضطرت ان تعود الى بيتها واعود انا معها وقالت لي حينئذٍ انها تحب بيت الباشا كثيرًا ولكنها لا تريد ان تخرج جنازتها منهُ كانها جارية من جواريهِ بل تود ان تموت في بيتها . ولما رأت الدموع في عينيَّ قالت لي لا تبكي يا حبيبتي فان الله كريم ولا بدَّ من ان يأخذكِ الباشا الى بيتهِ ولا يتركك وحدكِ . ولما رأت الدموع زادت هطولاً من عينيَّ وخنقتني الزفرات قالت لي ما ادرانا ان الله لا يمن عليَّ بالشفاء وانا لا اعتقد بهؤلاء الاطباء ولكنني اعتقد بانسان حكيم اسمهُ الشيخ موسى فاذهبي الى بيت جارنا محمود وقولي لزوجتهِ حميدة لتدلكِ على بيت هذا الشيخ فان كان الله كتب لي الحياة فلا بدَّ من ان اشفى على يدهِ

فسررت بذلك لانني طالما سمعت ان المشايخ الصلاَّح يشفون كل من كتب لهُ الله الشفاء واما من سقطت ورقتهُ من شجرة الحياة فلا يشفيهِ الاطباء ولا الصلاَّح . والشيخ يعرف ذلك فاذا كان لا امل بالشفاء لا يقبل مني نقودًا . فمضت حميدة معي الى بيت الشيخ ولاقتنا زوجتهُ عند الباب وسارت بنا اليهِ فرأيناهُ جالساً على حصيرٍ والسبحة في يدهِ فلم يلتفت الينا فقالت لي حميدة ان اعطيهُ الدراهم التي اتيتهُ بها فاعطيتها لزوجتهِ فوضعتها تحت طرف الحصير وللحال رفع رأسهُ وقال " كبرنا في السن ولكن الشجرة لا تقع طالما تصيبها الفاس قم يا عبدي وانا اقوم معك "

فلم افهم شيئاً مما قال ولكن حميدة اسرَّت في اذني قائلة ان جدتك ستشفى ثم قالت لهُ ماذا تأمرنا ان نعمل لها فقال ايتوني بمنديلها وليرتين

فسرَّت حميدة بذلك ووضعت لهُ غرشاً تحت الحصير وطلبت منهُ ان يخبرنا عن بختي فقال "هذه وردة مزهرة ولكن ستعصف بها الرياح" وعاد الى سجتهِ ولم يلتفت الينا فعدنا من حيث اتينا وانا افكر في كلامهِ ولا افقه لهُ معنى وكان عمري حينئذٍ سبع عشرة سنة وكنت انظر الى المستقبل نظر من تنتظر السعادة فيهِ لكن كلامهُ لم يكن حسب انتظاري . ولما اخبرنا جدتي بما قال هزَّت رأسها ولم تقل شيئاً ولكنها بقيت النهار كلهُ تنظر اليَّ . وارسلنا اليهِ المنديل والدراهم التي طلبها لجاءَ الينا بنفسهِ ونفخ في وجه جدتي واعطانا بخوراً لنحرق منهُ كل ليلة قبل الغروب وقنينة فيها شيء كعطر الورد فاعطتهُ جدتي خمس ليرات وليرتين اخريين لكي يكتب لي حجاباً من العين

ولم ينجع العلاج في جدتي واشتدَّ المرض عليها مدة ثلاثة ايام حتى لم تذق طعم الراحة ثم صلحت حالها قليلاً واتت حميدة لعيادتها فطلبت مني ان امضي وانام في غرفة مجاورة لغرفتها فمضيت ولكن انشغال بالي عليها حرم جفني النوم وبينما انا اطلب من الله ان يمن عليها بالشفاء سمعت حميدة تذكر اسمي فانتبهت واذا هي تقول ان كلام الشيخ موسى عن امينة مستغرب جدًّا ولا اعلم ما هو مرادهُ

فقالت جدتي يا ولدي الله يكون معها ويقيها ولولا يقيني ان الهانم تأخذها الى السراي لكنت اموت في اشد القلق

فقالت لها حميدة انكِ غير فقيرة وستتركين لها ما يكفي لاعالتها

فقالت نعم ولكن المال وحدهُ لا يكفي ولاسيما لمن كانت صغيرة وحيدة مثلها

فقالت حميدة لا تظني انها تكون وحيدة فانهُ ما دمت انا وزوجي في قيد الحياة فنحن نعتني بها وان شئتِ فعندنا من يعتني بها بعدنا

ثم سمعتها ادنت كرسيها من سرير جدتي وقالت لها ان امينة جميلة المنظر وحسنة الطباع ولا تستنكف من الشغل اعطيها لابني وسيكون هنا بعد اسبوع على الاكثر وهو الآن في بورصة وقد وعدهُ صهري ان يورثهُ بيتهُ لان ليس لهُ ولد وانا احبها مثل بنتي وزوجي يحبها ويعبدها عبادة

فلم تجبها جدتي في اول الامر مع انني انتظرت جوابها بقلب خافق واخيراً سمعتها تقول كل شيء بقضاء وقدر ولا يمكن ان احكم قبلما ارى داود فاني لم ارهُ منذ خمس سنوات فلا يمكنني

ان اجيبك الآن لا سلبًا ولا ايجابًا . حينما يأتي ارسليهِ اليَّ وان كان لم يزل كما اعهدهُ فلا مانع عندي وعسى ان ابقى حية لارى عرسهما

فقالت حميدة ان شاء الله وداود شاب تجتهد جدًّا ولا بد من ان يعجبك

فلم تجاوبها جدتي لانهُ اصابتها نوبة سعال وقمت لاعطيها دواءً مسكنًا وانقطع الحديث . لكنني بقيت افكر فيهِ ذلك اليوم واليوم التالي وانا عالمة انني لا اقدر ان احل ولا اربط بل الذي تقررهُ جدتي التزم ان اقبل بهِ مهما كان الامر هامًا عندي . وكثيرًا ما كنت اطلُّ من الشباك والتفت الى بيت جارتنا لعلي ارى هذا الشاب ولكن مضت ستة ايام ولم يحضر واشتدَّ المرض على جدتي فصرفت هذا الموضوع من ذهني . وفي اليوم السابع سمعت دقًّا على الباب فقالت لي جدتي "افتحي يا حبيبتي لابدَّ من ان يكون هذا واحدًا من السراي" وكان خدم الباشا يأتون كل يوم لعيادتها فقمت وشددت بالحبل الذي يفتح الباب وقلبي يخفق حاسبةً اني ارى امامي ابن جارتنا ولما سمعت وقع الخطى على السلَّم رجعت وقلت لجدتي انهُ رجل فقالت هذا داود لقد احسن بمجيئهِ الآن اتركيني وحدي معهُ . ندرت لاخرج قبل دخولهِ واذا انا بشاب لابس لبس ضباط الجيش وللحال انهضت جدتي رأسها وصرخت " نافذ بك ابني حبيبي الله يحفظك " ثم وضعت يديها حول عنقهِ وقبلتهُ

فجلس بجانب سريرها وقال لقد رجعتُ امس ولما اخبروني انكِ مريضة قلت ان اول واجب عليَّ هو ان اراكِ

فقالت " الله يحفظك يا حبيبي الله يكون معك لقد غمرتني بمعروفك لانك اتيت لاراك قبل موتي "

فقال " بعد عمر طويل يا دادتي[1] ان شاء الله ترضعين اولادي كما ارضعتني . اهذه ابنة بنتكِ التي اخبرتني عنها امي "

اما انا فكنت واقفة كالصنم انظر اليهِ واعجب من لطفهِ وتنازلهِ الى هذا الحد . وكان يتكلَّم باشًّا مسرورًا كأنهُ لم يفعل شيئًا غير عادي بمجيئهِ الى هذا البيت الحقير . وعجبتُ من شدةِ مشابهتهِ لابيهِ فانهُ كان مثلهُ اشهل العينين خفيف العارضين واسع الفم عريض الذقن واضح المحيا

والتفتت جدتي اليَّ وقالت لي تعالي يا امينة وقبلي يد ابن سيدنا

فدنوت منهُ وانا مطرقة الى الارض خجلاً . فنظر اليَّ مليًا وقال ما اجملها ولم يشأ ان يعطيني يدهُ لاقبلها بل قال نحن اصحاب يا امينة لاننا كلينا اولاد الدادا . والتفت الى جدتي

(1) الدادا كلمة تركية مستعملة في مصر معناها المرضع

وقال ان امينة ملكت قلوب الكل في البيت فان وحيدة ووليةوامي تكلمن عنها بالمدح والاطراء حتى أدهم نفسهُ يذكرها بالمدح

فاستغربتُ كلامهُ جدًّا ولا سيما ما قالهُ عن ادهم بك لانني كنت اراهُ مشغولاً جدًّا لا يلتفت الى احد ولم يخطر ببالي حينئذٍ انهُ يكون اكبر عضد لي في وقت الضيق

فتبسمت جدتي وقالت الله يسعدهم لقد غمرونا كلهم بمعروفهم . ولكن هات اخبرني عنك يا حبيبي كيف كان حالك في الاناطول وماذا كنت تفعل هناك

فضحك وقال لم اكن افعل شيئًا لا انا ولا الحامية كلها بل كانت عيشتنا كلها كسلاً بكسل في تلك القلعة ولذلك كنت اتمنى دائمًا ان اعود الى البيت . وقد طفنا في كل بلاد الاناطول وقابلت عزّت باشا وقد صار واليًا بدل ابيهِ بمساعي ابي

فقالت جدتي وهل رأيت سنيَّة هانم

فقال كلاَّ لان مهري لم يعين للولاية الاَّ بعد رجوعي . والآن لا بدَّ لي من الذهاب الى السر عسكرية وسأعين هناك قريبًا

فقالت جدتي أصحيح ذلك هذا خبر يسرني جدًّا

فقال نعم لان العيشة في القلاع موت احمر . ثم ودَّعها وقام ليخرج وتبعتهُ لاشيعهُ الى الباب حتى اذا وصل الى اعلى السلم قلت لهُ عن غير قصد انظن حقيقة ان لا خطر على جدتي او قلت ذلك لكي تسكن روعها

فنظر اليَّ صامتًا ووضع يدهُ على رأسي وكأن لسان حالهِ يقول لا امل بشفائها ففهمت مرادهُ من غير ان يفصح عنهُ بالكلام ولما خرج دخلت الى غرفتي وانطرحت على الارض وجعلت ابكي من كبدٍ حرَّى

وتكلمت جدتي كثيرًا تلك الليلة عن نصر الله باشا وعائلتهِ واخبرتني ان اباها كان قايجيًّا لعائلة هانم افندي وزوجها كان قايجيًّا ايضًا ولما ولد ولدها الاول عرضت عليها هانم افندي ان ترضع اولادها فاقامت عندها من ذلك الحين. ثم طلبت مني ان اعدها باني لا اخالف امرًا لهانم افندي مطلقًا فوعدتها بذلك وانا ابكي واذرف العبرات فقبلتني وقالت لي لقد حان الاجل يا بنتي ولا بدَّ من ان تعلمي ما هي وصيتي الاخيرة لكِ . اذهبي الى السراي وابقي هناك وهانم افندي تهتمُّ بك وبمستقبلكِ وما دمتِ تحت حمايتها فأنتِ بامن من كل ضيم ولكن يجب ان لا تغيظيها بشيءٍ . اواه كم اود ان يحضر داود الآن قبل وفاتي لانني لا استطيع ان اسلم بطلب امرٍ ما لم انظرهُ بعيني

وصمتت برهةً ثم قالت " اني اشعر بتعب شديد يا امينة فنادي لي حميدة لتبقى معي الليلة فخرجتُ وارسلت اطلب حميدة ولما حضرتْ كان لسان جدتي قد انعقد عن الكلام وقبل الصباح اسلمت الروح فعدتُ يتيمة كما كنتُ

ويتعذَّر عليَّ ان اصف ما حلَّ بي حينئذٍ فان موتها وقع عليَّ كصاعقة من السماء لكنني تجلدتُ قليلاً ونهضت لعلي افعل شيئًا مما يلزم لغسلها ودفنها وجاء العبيد من بيت الباشا حالاً واخذوا يجهزون كل ما يلزم لذلك ونزلتُ الى المطبخ لاشعل النار فوضعت ذراعي على حافة الشباك وغطيت وجهي بكفيَّ واعولت في البكاء وبقيت على ذلك الى ان شعرت بيد على كتفي وقائل يقول " يا مسكينة أأنتِ هنا ابن البنات لماذا تركنكِ وحدكِ ". فالتفت واذا انا بنافذ بك واقفًا امامي فلم يرفع يده عن كتفي بل ادنى مني كرسيًا بيده الاخرى اجلسني عليهِ وكان شعري قد انحلَّ وانسدل على وجهي فازاحه بيدهِ وللحال فاضت الدموع من عينيَّ فغطيت وجهي بيديَّ وعدت الى البكاء . اما هو فوقف امامي صامتاً ثم امسك يديَّ بيديهِ وقال لي لا امنعكِ عن البكاء يا امينة لاني اعرف ان البكاء نافع لكِ ولكن تعالي الى غرفة اخرى اذ لا بدَّ من مجيئهم الى هنا بعد خمس دقائق

ففهمتُ مراده لانهم كانوا عازمين ان يغسلوا جدتي هناك والتفت الى الموقد فوجدت النار مطفأة فنهضت حالاً ومسكت قطعة حطب لاشعلها لكن الدموع اعمت عينيَّ وللحال سمعت صوت تلامذة المدارس ينشدون نشيد الغسل فاتكأت على الحائط خائرة القوى

والتفت نافذ بك الى احدى الجواري وقال لها " اهتمي انتِ بتسخين الماء يا بوار " ثم دار اليَّ وقال " وانتِ يا عزيزتي اعطي المفاتيح لبوار وتعالي معي . ما هذا أأنتِ حافية أوَقفتِ حافية هنا من الصباح . تعالي اين غرفتك تعالي البسي اذ لا بدَّ لكِ من الذهاب الى بيتنا حالاً "

فلم اجبهُ بشيءٍ لان الضعف كان قد اخذ مني كل مأخذ حتى فقدت ارادتي فتبعتهُ الى باب غرفتي ووقف هناك ونادى جاريةً اخرى وقال لها ساعديها يا ماهور لكي تلبس ثيابها والتفت اليَّ ووضع يده على شعري بلطف وقال ساراكِ اليوم في بيتنا. قال ذلك ونزل ودخلتُ الغرفة مع الجارية ولم اكد اتم لبس ثيابي حتى سمعت صوت الرجال الذين اتوا ليأخذوا النعش ودخل الجواري الى غرفتي ليرين الجنازة وامسكت حميدة يدي وسارت بي الى الشباك وهي تقول التفتي اليها فان روحها الآن عند رأس النعش وهي تود ان تراكِ آخر مرة واقفة لتشييعها . ثم قالت لي بصوت منخفض انظري انظري فان نافذ بك ماشٍ في الجنازة ما اوضعهُ والذي

بجانبهِ ابني داود . فنظرت مكرهةً لانني لم اعد افكر بابنها فرأيتهُ عريض المنكبين قصير القامة
وفعل نصرالله باشا اكثر مما يطلب منهُ فاخرج الجنازة على نفقتهِ وغطَّى النعش بشال من الكشمير الابيض ومشى العبيد امامهُ بمباخر الفضة وامامهم جمع غفير من المشايخ وتلامذة المدارس . الاَّ ان منظر النعش ورائحة البخور وصوت المشايخ والتلامذة كل ذلك اثر في نفسي تأثيراً شديداً وكنت خائرة القوى من السهر والحزن فطنَّت اذناي وغبت عن الصواب وهذه اول مرة أُصبت فيها بالاغماء . ولما افقت وجدت نفسي على الديوان ورأسي متكئ على كتف وحيدة هانم فقالت لما رأتني فتحت عيني لقد احسن نافذ باستدعائي الى هنا فان هذا فوق طاقتها . قومي يا حبيبتي فقد امسى المساء ولا بدَّ لنا من الرجوع الى البيت فني لا رتب يشمككِ وائتيها يا ماهور بكاس ماء

فنظرتُ الى وحيدة هانم واذا عيناها مغرورقتان بالدموع فوضعت اليشمك على رأسي وقبلتني من صميم قلبها فلصقتُ بها كأني احسب انها الملجأُ الوحيد لي وقامت وسارت بي الى الباب وهي ماسكة بيدي وقالت " تعالي معي وحميده وبوار تبقيان هنا مع المشايخ ". فاتكات عليها ونزلت معها الى الباب ودخلنا المركبة فسارت بنا وهنا انطبق كتاب الماضي وانفتح كتاب المستقبل

ستأتي البقية

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناء بالاطفال

تمهيد

هذا موضوع لا نوفيهِ حقهُ مهما كرَّرنا الكلام فيهِ ولاسيما في هذا القطر وفي هذه العاصمة حيث يموت ثلاثة ارباع الاطفال قبلما يبلغون السنة الخامسة من عمرهم . والبلدان التي تفوق بلادنا في معرفة التدابير الصحية والعمل بها لا يموت الاَّ ثلث اطفالها قبل السنة الخامسة

ويولد الاطفال اصحاء سليمين لا علة فيهم واذا اعتُني بهم الاعتناء الواجب عاشوا كلهم على

حدٍّ سوى . فهل تدري كل والدة تحمل جنينها تسعة اشهر وتلده ُ بالالم والوجع انهُ يموت لقلة اعتنائها بهِ وجهلها التدابير الصحية اللازمة لهُ سواءٌ كانت غنية او فقيرة عالمة او جاهلة

اذا علمت كل والدة ان حياة طفلها متوقفة عليها كما ان حياة الزرع متوقفة على الزارع فان هو حرث الارض وخدمها وروى الزرع حينما يعطش نما واينع وان هو اهمل حرث الارض وخدمتها وتركهُ بغير ري جفَّ ويبس وكذلك الطفل اذا اعتنت والدتهُ بصحتهِ ورضاعتهِ عاش ونما وقوي والاَّ ضعف ومرض ومات . اذا علمت ذلك لم تترك واسطة تقي طفلها من المرض والضعف والموت لاسيما وان امراض الاطفال ناتجة عن تعريضهم لاسباب المرض فاذا لم يُعرَّضوا لها لم يمرضوا لان المرض نتيجة عن سبب وكما ان الحطب اذا وضعتهُ في النار اشتعل والسكَّر اذا وضعتهُ في الماء ذاب كذلك الطفل اذا تعرَّض لاسباب المرض والموت مرض ومات واذا لم يعرَّض لها اي اذا اعتني بهِ الاعتناء الذي يقيهِ من التعرُّض لها لم يصبهُ شيءٌ من ذلك

ومن الغريب انهُ مضى على المرأة الآن الوف من السنين وطفلها اعز شيءٍ عندها وهي مستعدة دائماً ان تفتديهُ بنفسها ومع ذلك ترى اكثر النساء يجهلنَ قوانين الصحة والوقاية . وقد الَّف الاوربيون كتباً في هذه المواضيع وكتبنا فيها فصولاً شتَّى في المقتطف ومع ذلك لا نرى بدًّا من اعادة الكتابة فيها وسنقسم الكلام الى فصول حسب اختلاف المواضيع

الفصل الاول في غسل الطفل

يرى الذين اعتنوا بتربية الاطفال ان لا بدَّ من غسلهم حالما يولدون . فيسخن الماء النقي حتى تصير حرارتهُ مثل حرارة الدم او حتى اذا غطَّت القابلة مرفقها فيهِ تشعر انهُ اسخن من يدها قليلاً وتجلس وتضع ملاءة نظيفة من الصوف الناعم على حضنها وتضع الطفل عليها ورأسهُ على يدها اليسرى ويوضع اناء الماء قرب يدها اليمنى وكذلك اسفنجة نظيفة ناعمة وقطعة ناعمة نظيفة من صوف الفلانلا وقطعة من الصابون ومنشفة ناعمة ولا بدَّ من ان يكون كل شيءٍ نظيفاً ناعماً جدًّا لان جلد الطفل رقيق لطيف لا يحتمل المسح بشيءٍ خشن . وتشرع القابلة بغسل ما حول العينين ثم تفتحهما وتغسل جفنيهما بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ الناعمة ولا بدَّ من ان يكون الماء نظيفاً نقياً والاسفنجة او قطعة الفلانلاَّ من انعم ما يكون والاَّ احمرَّت عينا الطفل وكان ضررهُ من الغسل اكثر من نفعهِ . ثم تغسل وجههُ ايضاً بالاسفنجة والماء من غير صابون واذا كان في انفهِ مخاط نزعتهُ منهُ بلطف واعتناء ويجب ان تنزع المخاط من فمهِ ايضاً بالاسفنجة او بقطعة الفلانلاَّ . ثم ترغي الصابون على الفلانلاَّ وتغسل رأسهُ وتنشفهُ حالاً وبعد ذلك تغسل بدنهُ كلهُ بالماء والصابون وكلما غسلت قسماً من بدنهِ نشفتهُ حالاً ولا سيما المفاصل

وطيات الابطين والساقين وخلف الاذنين وما بين الاصابع وكل طية من طيات جلدهِ تغسل بطرف الفلانلا وتنشف بلطف . ومتى تمَّ غسل الجسم وتنشيفهُ يرش عليهِ قليل من مسحوق الارز الناعم (البودرا) الذي لم يطيب بشيءٍ

ويغسل الطفل كذلك مرتين في النهار مرةً في الصباح ومرة في المساء ولا تكون حرارة الماء اشد من حرارة الدم. ولا يضاف اليهِ لا خمر ولا بيرا ولا شيءٌ من ذلك. ومن عادة بعض القوابل ان يعصرن ثديي الطفل ليخرج منهما لبن وهو عمل وحشي ضار وقد يضغطن يافوخهُ لكي تقترب عظامهُ بعضها الى بعض وهذا عمل ضارٌ ايضاً لان ارتخاء اليافوخ ليس ناتجاً عن بُعد عظام الراس بعضها عن بعض بل عن ان ذلك الجزء الرخو لا يكون قد صار عظماً صلباً وهو يصير عظماً صلباً مع الزمان من نفسهِ والضغط عليهِ لا يصيرهُ عظماً ولا يقرب العظام بعضها من بعض

ولا يلبس الطفل ثيابهُ حالاً بعد غسلهِ بل يترك قليلاً يحرك يديهِ ويرفس برجليهِ فان ذلك نافع لهُ ولكن يشترط ان تكون الغرفة دافئة وليس فيها مجرى هواء وان كان فيها نار يجب ان لا يكون محل الطفل قريباً منها ولا يكون رأسهُ متجهاً الى جهة النار بل رجلاهُ

ثم تلتفت القابلة او الامرأة التي تغسل الطفل الى سرتهِ وتلفها بخرقة من القماش الناعم عرضها اربع عقد وتضعها مستوية على بطنهِ حتى لا تؤلمهُ وتلفهُ بقماط من الفلانلا حتى يبقى رباط السرّة في مكانهِ ولا يتحرك . ويجب ان لا يكون هذا القماط ملفوفاً من طرفهِ لئلا يؤلم الطفل . ويجب ان لا يشد على جسم الطفل الا بما يكفي لحفظ رباط السرّة في مكانهِ. واذا كان مشدوداً اضرَّ بالطفل ضرراً شديداً وقد يكون سبباً لموتهِ

قال احد الاطباء انهُ دعي لمشاهدة طفل في حالة النزع فوجد ان التي غسلتهُ قمطتهُ وشدّت القماط حتى لم يعد يستطيع التنفس الا بالصعوبة الكثيرة فاصابتهُ نوبات كادت تقضي عليهِ فحلَّ قماطهُ وللحال انتعش وزال الخطر عنهُ

واذا كان الطفل صحيحاً سليماً قوياً ترك القماط عليهِ الى ان تقع سرتهُ ثم يزال عنهُ ويترك بعد ذلك من غير قماط . واما اذا كان ضعيفاً فلا بأس بابقاء القماط شهراً او شهرين. والغالب ان رباط السرّة يجف ويقع في اليوم الخامس بعد ولادة الطفل

واذا خيف من بروز السرة الى الخارج تقص اثنتا عشرة قطعة مستديرة من القماش الناعم الصغيرةُ منها كالقرش والكبيرة كربع الريال والبقية بين هذين الحدين وترصف الواحدة فوق الاخرى وتوضع على السرة حتى تكون الصغرى مباشرة للسرة وتمكن عليها برباط يلف حول وسط الطفل حتى تضغط السرة قليلاً وتمنع من البروز

احرار البقول والحمى

يراد باحرار البقول ما يؤكل منها من غير طبخ كالخيار والفجل والخس والبقدونس وما اشبه فان هذه النباتات تؤكل متبلة بالخل والزيت او غير متبلة. والذين يزرعونها بقرب المدن يسمدونها بالاقذار التي تخرج من المراحيض . واذا فرض ان مرض احد بالحمى التيفويدية وطرح برازهُ في المرحاض من غير تطهير كما يحدث غالباً ونزعت الاقذار وسمدت بها البقول فلا يبعد ان تلصق جراثيم الحمى التيفويدية بها وتصل الى الذين يأكلونها . ومن المحتمل ان بعض الذين يصابون بالحمى التيفويدية من العائشين عيشة صحية سبب اصابتهم اكل هذه البقول . ولا نشير ان يمتنع الناس عن اكلها ولكن ان يغسلوها جيداً قبل اكلها ان امكن فبالماء الغالي والاَّ فبكثير من الماء النقي ومعلوم ان الاهتمام بذلك منوط بربة البيت فعليها ان لا تسمح باكل هذه البقول الاَّ بعد غسلها جيداً والاَّ عرَّضت نفسها وزوجها واولادها لداء من اشد الادواء خطراً. وحبذا لو منعت الحكومة الزارعين عن تسميد البقول بسماد فيهِ شيء من الاقذار وحكمت عليهم بالعقاب الشديد ان فعلوا ذلك لكي يستأصل الشر من اصلهِ

زينة البيت

ترى في المتحف المصري في هذه العاصمة وفي غيرها من العواصم ما يستدل منهُ على الاساليب التي كان المصريون القدماء يجرون عليها في تزيين بيوتهم وتنميقها نعم ان ما بقي من ذلك مجموع من الهياكل والمدافن فقط ولكن يبعد عن الظن ان هذه الزينة لم يكن شيء منها في بيت الكبراء والاغنياء . وقد ابقت لنا الايام كثيراً من الكرامي والمقاعد والموائد وفيها من النقش والاتقان ما يدل على ان صانعيها كانوا يعرفون جمال الصناعة فترى قوائم الكرامي والمقاعد مصنوعة في شكل قوائم الاسد ببراثنهِ او الغزال باظلافهِ . وذوات الاوتار من آلات الغناء منقوشة نقشاً بديعاً ومزوقة بالوان شتى

والناظر في هذه الآثار وفي ما آل اليهِ حال المصريين بعد ذلك حتى في هذا العصر يعجب من زوال هذا الذوق ذوق الزينة والزخرفة ومحبة الجمال فانك تدخل بيت عمدة كبير من عمد هذا القطر فترى فيهِ اثاثاً فاخراً موضوعاً فيهِ كما صنعهُ الصانع الاوربي وفرشهُ الفرَّاش المصري كرامي ومقاعد وموائد وستائر من الخشب المذهَّب والحرير المقصَّب بعضها بجانب بعض على انتظام واحد تحيط بهِ العين بنظرة واحدة كأنهُ في مخزن بائع لا تنويع فيهِ ولا تبديل . والعين تسأم من نظر الشيء الواحد كما تعاف النفس اكل الطعام الواحد

ادخل حديقة ليس فيها الأ نوع واحد من الورد ولا شجر غيره او ليس فيها الأ نوع واحد من الليمون ولا شجر غيره او ليس فيها الأ نوع واحد من النرجس ولا زهر غيره فانك ترى ما فيها وتسرّ به حال رؤيته ثم تسأم عينك من رؤيته اذا لم تجد تنويعاً في ما تقع عليه واما اذا دخلت حديقة فيها من انواع الورد والنرجس وغيرهما من الازهار اشكالاً كثيرة منتظمة على طرائق شتى وبينها الادواح المختلفة الاشكال والاقدار وجدت عينك ترتاح الى ما تراه حتى لو بقيت فيها ساعات متوالية ما شعرت بسأم ولا بضجر

وهذا شأن البيت وما فيه من الاثاث فاذا كان الاثاث من نوع واحد فقط ووضع على طريقة واحدة وخلا البيت من كل زينة أُخرى ظهر كالبستان الذي فيه نوع واحد من الشجر واما اذا تفنّن واضعهُ في وضعهِ واضاف اليه ما تتم به زينة البيت في زواياه وعلى جدرانه وحول كواه ظهر كالحديقة المنمقة الخمائل والمغارس المختلفة الادواح والازهار والرياحين

ومعلوم ان تزيين البيت من اعمال المرأة وهي تتعلم ذلك من امها ومن جارتها ومن معلمتها. اما المرأة المصرية فلا امل ان تتعلم ذلك من امها ولا من جارتها لانهما لا تعلمان من اساليب تزيين البيوت غير ما تعلمهُ هي . فالمعلمة هي المطالبة بتربية هذا الذوق في البنات لا بالوصايا وحفظ القواعد لان ذلك لا يكفي ما لم يقترن بالعمل بل بمطالبة البنت وهي في المدرسة بترتيب غرفتها وغرفة المقعد وغرف المعلمات وتنويع وضع الاثاث فيها من وقت الى آخر . ويجب ان يكون ذلك قسماً من التدريس في مدارس البنات في هذا القطر ولو لم يكن في الاقطار الاوربية لان البنات يتعلمنهُ هناك في بيوتهنَّ واما هنا فلا سبيل الى تعلمهِ الآن الاَّ في المدرسة

حال المرأة في هذا القرن

اقترحت احدى المجلاَّت الاميركية على ستة من الكاتبات الشهيرات ان تكتب كلٌّ منهنَّ رايها في ما يصير اليهِ حال المرأة في القرن العشرين

فكتبت الاولى منهنَّ وهي السيدة اليصابات ستانتون ما مفادهُ ان ما يرى الآن من فساد الآداب ناتج عن امتهان المرأة فاذا أُبيح لها شرعاً وديناً ان تتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها الرجل تربت فيها عزَّة النفس وترفعت عن الدنايا واضطرَّ الرجال ان يكرموها كما يكرم بعضهم بعضاً

وكتبت الثانية وهي للي دفرو بلاك ما مفادهُ انهُ رغماً عن احتقار النساء مدة قرون كثيرة وامتهانهنَّ ظهرت مزيتهنَّ على الرجال كلما لاحت لهنَّ فرصة. فجنود اسرائيل قادتهم دبورة حينما عجز كالب عن قيادتهم وجنود فرنسا قادتهم جان دارك حينما قُهر جنرالية فرنسا . واليصابات

ملكة انكلترا وماريا تريزا ملكة النمسا وكاترين ملكة روسيا فقن الملوك الذين سبقوهن او لحقوهن .
وما من احد يجادل الآن في كفاءة المرأة واقتدارها على القيام بالاعمال التي يقوم بها الرجل وهي لا تشغل الآن منصباً مما يشغله الرجال عادة الأبعد ان يثبت انها اكفى من الرجل لذلك المنصب

وكتبت هريت سبوفرد ان ما مرّ على المرأة من عصور الاستعباد اضعف قواها واعتمادها على نفسها . ولكن الاساليب الحديثة لتعليمها وتهذيبها قد تقوي فيها مبدأ الاستقلال والاعتماد على النفس فتنتظم في سلك المخترعين والمستنبطين وتتولى الاعمال على انواعها واذا لم تقوَ على الاعمال الشاقة كما لا يقوى عليها كثيرون من الرجال فلا تتعذّر عليها الاعمال الاخرى التي لا تقتضي قوة بدنية شديدة . وقد اظهر النساء كفاءتهن لتولّي الاشغال العقلية كالطب والقضاء . وكثيراً ما اعترض على انهن لا يستطعن الحرب كأن ليس للانسان عمل آخر غير الحرب او كأن كل الرجال قادرون عليها ومع ذلك فللنساء عمل كبير في ميادين القتال لا يقلّ نفعهُ عن عمل الجنود وهو الاعتناء بالمرضى والجرحى . ثم اذا اعطيت المرأة حقها في نظام الامم تصير الحروب اقل مما هي الآن كثيراً فتكون المرأة اكبر مبطل لها

وقالت غراس غرينوود اني ارى في كبر سني تعزية لي وهي تذكُّري الزمن الذي ابتدأ فيهِ تحرير المرأة . وارى كثيرات من بنات نوعي يبذلن جهدهنَّ الآن في اتمام هذا التحرير وجعل المرأة مساوية للرجل في كل الحقوق ولكني لا ارى انهنَّ ينلن ذلك ما لم تساوَ المرأة بالرجل في نظر الدين اولاً فاذا كانت السماء للرجال والنساء على حدٍّ سوى فالدين للرجال والنساء على حدٍّ سوى ويجب ان تكون الخدمة الدينية مباحة للجميع من غير تمييز

وقالت بلنثا لوكوود ان انتظام النساء الاميركيات في سلك العمال كان نتيجة لازمة عن تعلمهنَّ . وقد صارت الاعمال تعمل الآن بآلات متقنة تقتضي عقولاً حاذقة لادارتها فناظرت المرأة الرجل في هذا المضمار وارتفع مقامها في عينيهِ وفي عيني نفسها . وصرنا الآن نعلّم البنات لا لكي يتزوجن بل لكي يعملن الاعمال اللازمة لمعيشتهنَّ وانفاقهنَّ كما نعلم الصبيان لا لكي يتزوجوا بل لكي يعملوا و يشتغلوا . وستشتدُّ المناظرة بين الرجال والنساء ولكن تبقى الاعمال الكبيرة التي تقتضي رأس مال كبير في يد الرجال مدة النصف الاول من هذا القرن . وقد فتحت ابواب الصناعات للنساء فقام منهنَّ الطبيبات والمحاميات والقسيسات ونجاحهنَّ شجع غيرهنَّ على اقتفاء خطواتهنَّ . ولم يعد يستغنى عن الطبيبة الآن في مدن كثيرة ولاسيما في بلدان المشرق . وقد انتظم النساء في سلك رجال السياسة في الولايات الجديدة من بلادنا

وسيزيد عددهنَّ سنة بعد سنة. ولقد قال لي سفير الصين في بلادنا بعد ان شاهد تقدُّم نسائنا اني لا اعجب اذا انتخب الاميركيون رئيسة لحكومتهم بدل الرئيس يوماً ما ولكن لا بدَّ من ان يصير النساء وزيرات قبل ذلك

وقالت كات وودس ان المرأة تحاول الآن مجاراة الرجل وهو اقوى منها وكل الوسائط في يدهِ لا في يدها ولكنها نالت مع ذلك نصيباً وافراً من النجاح فجلست في مجلس القضاة والمحامين وتعلمت صناعة الطب ونجحت فيها وظهر من مهارتها في ادارة الاعمال الكبيرة ما اعجب بهِ رجال السياسة ورؤساء المعامل والغالب انَّ هؤلاء النساء يظهرن في الولايات الغربية وهنَّ الآن يستخدمنَ في البنوك ومنهنَّ مديرة لاحد البنوك الكبيرة

وقد بارى النساء الرجال في ميادين الشعر والانشاء ونزعن منها الغشَّ والرياء وسينزهنها عما يقصد بهِ التوهيم والاغراء . ومفاد ذلك كلهِ ان يصلح حال الازواج والزوجات والاباء والامهات والبنين والبنات وحال العالم اجمع . انتهى بتلخيص كثير



البرسيم الحجازي

كتب المستر بونابرت من مدرسة الزراعة المصرية مقالةً مسهبة في انواع العلف المستعملة في القطر المصري اسهب فيها الكلام على البرسيم الحجازي فقال انهُ يفوق كل انواع العلف بقدمهِ وانتشار زراعتهِ وغزارة ما يحش منهُ وطول اقامتهِ في الارض وتحمّلهِ الحر والبرد والعطش . وقد وُجد برياً في بر الاناطول وجهات مختلفة من بلاد فارس وافغانستان وبلوخستان وكشمير وزراعتهُ منتشرة الآن في جنوبي فرنسا وفي ايطاليا وبلاد المجر وكل البلدان الحارة في جنوبي اوربا وكان اليونان والرومان يعرفونهُ وقد اتوا بهِ من بلاد مادي وقت حرب الفرس سنة ٤٧٠ قبل المسيح وانتشر في اوربا من بلاد اليونان وأُتي بهِ الى مصر من فرنسا

وهو نبات دائم جذرهُ طويل تغور فروعهُ في الارض الى عمق عميق يتحمل تقلبات الحرارة والبرودة والعطش الشديد لعمق جذورهِ في الارض . تنبت لهُ فروع كثيرة من قمة جذرهِ طول الفرع منها من قدم الى ثلاث اقدام والمتوسط قدمان وهي كثيرة الورق . ولعمق

جذوره في الارض يجود في الاراضي العميقة التربة التي ترابها في طبقتها السفلى غير متماسك لكي يسهل على جذوره الامتداد فيها . ولا بدَّ من ان تكون الطبقة السفلى جيدة التربة سواء كانت الطبقة العليا جيدة التربة او غير جيدة . ولا بدَّ لهُ من كثير من الجير والبوتاس ولذلك يجود اذا كانا كثيرين في الارض واحسن الاراضي لهُ الارض الرملية الخصبة التي فيها جير وطبقتها السفلى كثيرة المسام . ويجود ايضاً في الاراضي الطفالية التي طبقتها السفلى كثيرة المسام بل في الرمال التي طبقتها السفلى جيدة فيها تراب جيري

وتعد الارض لهُ بالحرث الجيد العميق والتمهيد حتى ينعم ترابها . ويزرع من ١٥ مارس الى ١٥ مايو . واصلح الاوقات لزرعهِ اواسط ابريل وهو يزرع في خطوط البعد بينها ٣٠ الى ٣٥ سنتمترًا ليسهل عزقها ويكون امتداد الخطوط شرقاً وغرباً . ومقدار التقاوي من ٣ ارباع الى كيلة ونصف للفدان ثم تغطى باليد وتروى ريّاً خفيفاً

ولا بدَّ للبرسيم من سباخ كثير ويستعمل لهُ السباخ البلدي ويوضع لهُ السباخ قبل زرع التقاوي ثم يسبخ مرةً كل سنة في شهر يناير او فبراير ويلزم للفدان من ٥٠ الى ٥٧ حمل جمل اي من ١٠ امتار مكعبة الى ١٥ مترًا من السباخ البلدي ولا بدَّ من نزع الاعشاب التي تنبت بينهُ لانهُ لا يجود في الارض ما لم تكن خالية من الاعشاب وما لم تكن محروثة جيداً وناعمة التراب ولذلك لا بدَّ لهُ من العزق مراراً عند اول زرعهِ ثم يعزق بعد كل حشة بعشرة ايام الى ١٥ يوماً

ولا بدَّ لهُ ايضاً من الري الغزير المنتظم فيروى في اول الامر مرةً كل اسبوع او عشرة ايام الى ان يحش اول مرة . ثم يروى بعد ذلك مرةً كل ١٠ ايام الى ١٥ اكتوبر اما في فصل الشتاء فلا يحتاج الى ري كثير

ويستمر البرسيم في الارض في القطر المصري ٣ سنوات او اربع سنوات ثم يقلُّ محصولهُ فتحرث الارض وينزع منها . ويمكن حشهُ مرةً كل ٣٥ او ٤٠ يوماً من ابريل الى دسمبر واما من دسمبر الى مارس فلا يحش الاَّ مرةً ولذلك يحش في السنة ٨ مرات . ولا بدَّ من حشهِ قبلما يزهر . والحش افضل من الرعي . ومقدار البرسيم الذي يحش من الفدان ٤٥ طناً انتهى ملخصاً

هذا لا يخفى ان الارض التي تصلح لزرع البرسيم الحجازي وريها وافٍ تصلح ايضاً لزرع القطن ومهما زادت غلة البرسيم الحجازي لا يزيد ايجار فدانها على ستة جنيهات اي لا تزيد قيمة غلة الفدان على سبعة جنيهات او ثمانية في السنة ولكن قيمة غلة فدان القطن تبلغ ذلك او تزيد عليهِ ويمكن زرع زراعة اخرى مع القطن. وزد على ذلك ان استعمال البرسيم الحجازي محلي لمواشي القطر المصري لا غير فلا يمكن ان يتسع نطاق زراعتهِ الاَّ بمقدار ما تمسُّ الحاجة اليهِ

المعرض الزراعي

تأخر افتتاح المعرض الزراعي هذا العام بسبب وفاة ملكة الانكليز كان ميعاد افتتاحهِ يوم الخميس في ٢٤ يناير فتأخر الى ٢٦ منهُ وزارهُ يومئذٍ الجناب الخديوي ومعهُ دولتلو البرنس ابرهيم باشا حلمي الساعة ١٠ ١/٢ قبل الظهر وطاف في اقسامهِ كلها وبقي فيهِ نحو ساعة ونصف وكان ذلك اليوم شديد العواصف والامطار ولذلك لم يزرهُ فيهِ كثيرون ثم كثر عدد الزوار في اليوم التالي وما بعدهُ

وقد اتسع نطاق المعرض هذا العام لكثرة ما عرض فيهِ من الآلات والادوات التي تستعمل في الزراعة ولاسيما آلات البخارية التي تستعمل لرفع الماء ثابتة ومتحركة مما يدار بحرق الفحم والحطب ومما يدار بحرق زيت البترول. ومن اخص ما يذكر من هذا القبيل آلة بخارية عرضها محل الن والدرسن يحرق فيها الفحم او البترول وهي تدير آلة للدراسة وعرض آلة بخارية صغيرة من نوع التربين اي انها تدور بخروج البخار منها على المبدإِ القديم الذي ذكرهُ هيرون الاسكندري قبل التاريخ المسيحي ولم يعطَ حقهُ الأَ في العام الماضي. ومن ذلك آلة بخارية عرضها محل مجان قوتها ١٥ حصاناً تدار بالبترول ومقطوعيتها ٧ لترات في الساعة وآلة اخرى تنقل القوة منها الى آلة كهربائية ومنها الى آلات اخرى تحركها بها

وعرض محل غوين آلة بخارية قوتها ١٥ حصاناً ترفع الماء خمسة امتار وتصبُّ منهُ ٢٥٠ متراً مكعباً في الساعة

وعرض محل الن والدرسن ايضاً آلة لضرب الارز تقشر ٨٠٠ اقة في اليوم وهي اختراع اميركي جديد وآلة لفرز التقاوي الكبيرة عن الصغيرة وآلة لتذرية القمح وآلة لعصر الزيت من بزرة القطن او السمسم او نحوهما وذلك ان الحبوب تمر بين اسطوانتين فتطحن ثم ترسل الى مرجل (قزان) فتليّنها الحرارة وتسير من هناك الى قسم آخر من الآلة حيث تفرغ في قوالب وترسل الى معصرة مائية فتعصرها وينصب الزيت المعصور في اناء تحتها ثم ينقى الزيت بترشحه. وقد قيل لنا ان ذلك كلهُ لا يستغرق غير خمس دقائق. وهناك آلة لصنع اقراص الكسب مما يبقى من البرزة بعد عصر الزيت فيها لتعليف الدواب والمواشي وقد عرض في هذا المحل طلبات مختلفة الاشكال وآلات لطحن الحبوب وآلة لقرط البرسيم من صنع محل مكورمك الاميركي المشهور وهي تعمل عمل ٢٤ عاملاً في اليوم اي انها تقطع برسيم ستة افدنة وآلة لفرز البنجر وغير ذلك مما يحتاج اليهِ الزارع في زراعتهِ

وعلى مقربة من محل الن والدرسن هذا محل جابي اخوان وشركاهم . وقد ارانا فيهِ حضرة

مهندسوهِ الموسيو بولاتشك وابورلوكوموبيل يوقد فيهِ زيت البترول وقوتهُ ٦ احصنة وطلمبا تصب مئتي متر مكعب في الساعة وقد نالت الجائزة الكبرى في معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ والجائزة الاولى في المعرض الزراعي هذه السنة

وعرض الخواجات ستيمان ومباردي آلات عديدة كثيرة النفع للزارعين منها آلة للدراسة كان اصحاب المحل اول من اتى بها الى هذا القطر فاقبل عليها كبار المزارعين وآلة لتفريط الذرة تفرط ٢٠٠ اردب في اليوم احضرت هذه السنة وآلة لغربلة حبوب البرسيم احضرت في السنة الماضية وقد وجه الخواجه مباردي انظارنا خصوصاً الى الطلمبات التي عرضها في محلهِ من احسن طرز انكليزي وفرنسوي ولا سيما الطلمبات الفرنسوية منها

وعرض محل الخواجا انطون قلادة وكيل شركة ميدلند آلات متعددة منها وابور لوكوموبيل نال الجائزة الاولى في السنين الماضية ومطاحن ومثاقب وطلمبات فمنح هذه السنة الجائزة الاولى الذهبية على محراث جديد وهو اخف من المحراث البلدي بنحو الثلث على ما اخبرنا ومن مزاياهُ انهُ يقلب التربة في حرث الارض الى جهة واحدة ذهاباً واياباً لوجود سلاحين فيهِ واحد للذهاب وواحد للاياب ولهُ سكين امامهُ يقطع بها جذور الاشجار اذا وجدت في طريقهِ

واراني الخواجه ارتين اتراتجيان آلة للتذرية اخترعها فنال عليها الجائزة الاولى هذه السنة وهي تذري ٤٠ اردباً من الحبوب في اليوم ويديرها رجل واحد بيدهِ على اسهل اسلوب فتخرج الحبوب مذراة بها جيداً

وعرض محل ارثور كوبل سكة حديدية زراعية وعربات لنقل التراب والرمل والسماد والحجارة والفحم وقصب السكر وعربات لنقل البضائع المختلفة ومثالاً من السكة الحديدية التي تسير بالكهربائية

وعرض محل نحمان ادوات حفر الآبار الارتوازية والآبار الحبشية واشكال طبقات الارض التي حفرت لبئر في الفيوم عمقها ٥٥ متراً

وعرض محل نيدلنجر آلات الخياطة من طرز سنجر وهي كثيرة مختلفة الانواع والاشكال فمنها آلات لخياطة الثياب على اختلاف اشكالها ولخياطة الجلد لصنع الاحذية وخياطة الجلد السميك للسروج وخياطة اكياس الخيش وعمل برانيط القش والشمسيات وخياطة الازرار على الجلد الى غير ذلك مما يظهر باجلى بيان كيف تنوب الآلات عن الانسان في هذا الزمان وكيف تعمل الآلة الواحدة في دقيقة ما لا يعملهُ عدة عمال في ساعة فلا عجب اذا رخصت اسعار المصنوعات رخصاً عظيماً عاماً فعاماً

ويلي معرض نيدلنجر معرض الكنس والرش وما فيهِ من السروج وعدد الخيل وغير ذلك من المصنوعات المتعددة الاشكال التي يصنعها صناع من الاهالي ويتقنون صنعها اتقانًا عظيمًا حتى يظنها الناظر صنع البلاد الاوربية لا صنع الديار المصرية ويلي ذلك معرض مدرسة المهندسخانة ونظارة الاشغال . وهناك يتذكر الناظر معرض باريس مما يرى امامهُ من مُثُل القناطر والمصارف والسدود والسواقي والمرشحات ومثال الانتكخانة المصرية الجديدة ومثال ديوان الاوقاف ودار التحف العربية الى غير ذلك من المصنوعات المتقنة الجميلة

وكان معرض المواشي حسنًا جدًّا تبارى فيهِ بعض ارباب الزراعة عدا دائرة الخاصة الخديوية ودائرة القصر العالي وبعض الدوائر الاخرى التي كانت تعرض فيهِ عادةً كما ترى مما يلي

بقر الوجه البحري

ثور يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ دائرة الخاصة الخديوية. والثانية ثور عرضهُ ابرهيم بك مراد. ومدالية الفضة ثور عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي. ومدالية البرنز ثور عرضهُ شعراوي بك

ثور يقل عمرهُ عن ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية. والثانية ثور آخر عرضتهُ الخاصة الخديوية. ومدالية الفضة ثور عرضهُ محمود بك حبشي ومدالية البرنز ثور عرضهُ بحري حلاوى

عجل . نال الجائزة الاولى والثانية عجلان عرضتهما الخاصة الخديوية

بقرة حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضها شواربي باشا ومدالية البرنز بقرة عرضها البرنس ابرهيم حلمي

بقرة عمرها اقل من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضتها مدرسة الزراعة . ودبلوما بقرة عرضها سجن طره

عجلة . نالت الجائزة الاولى عجلة عرضتها الدائرة الخاصة والجائزة الثانية عجلة عرضتها مدرسة الزراعة

زوج ثيران خصيَّة شغالة. نال الجائزة الاولى زوج ثيران عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي والجائزة الثانية زوج ثيران عرضهُ ابرهيم سعودي وشواربي باشا . ونشان الفضة زوج عرضهُ ابرهيم بك مراد ونشان البرنز زوج عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقر الوجه القبلي

كانت الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه القبلي مثل الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه البحري والظاهر انهُ لم يعرض من الوجه القبلي غير علي بك شعراوي فنال الجائزة الثانية ثور عرضهُ

جوائز خصوصية

احسن ثور بلدي معروض من الدرجات المتقدمة. نال الجائزة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية

احسن بقرة بلدية معروضة من الدرجات المتقدمة . نالت الجائزة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

المواشي الاجنبية

ثور يقل عمرهُ عن ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت مدالية فضة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

البقر المولدة او المجنسة

ثور عمرهُ اكثر من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ دائرة القصر العالي

ثور عمرهُ اقل من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية ومدالية البرنز ثور عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى بقرة عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي والثانية بقرة عرضتها مدرسة الزراعة ومدالية البرنز بقرة عرضها بوغوص باشا نوبار

عجلة عمرها اقل من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتها الخاصة الخديوية

عجل من سنة فما دون . نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتها الخاصة الخديوية ومدالية البرنز عجل عرضتهُ مدرسة الزراعة

المواشي المسمنة للذبح

نال مدالية الفضة المواشي التي عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي

الجواميس

جاموس عمرهُ ٣ سنوات فاكثر . نال الجائزة الاولى جاموس عرضتهُ الخاصة الخديوية والثانية جاموس عرضتهُ شركة اراضي ابي قير

عجل جاموس عمرهُ من سنة الى سنتين . نال الجائزة الاولى عجل عرضتهُ الخاصة الخديوية والثانية عجل عرضتهُ دائرة القصر العالي

جاموسة حلوب او عشار عمرها ٣ سنوات او اكثر . نالت الجائزة الاولى والثانية جاموستان للخاصة

عجلة جاموس عمرها من سنة الى ثلاث . نالت الجائزة الاولى عجلة للخاصة الخديوية

الغنم المرعز

كبش عمرهُ اكثر من سنة . نال الجائزة الاولى والثانية كبشان للخاصة . ومدالية الفضة كبش لبوغوص باشا نوبار

ثلاث نعاج عشار اومع نتاجها . نالت الجائزة الاولى نعاج للخاصة والثانية نعاج لبوغوص باشا نوبار والدبلوما نعاج لمدرسة الزراعة

الغنم البلدي

خروف عمرهُ سنة فاكثر نال الجائزة الاولى كبش لاسمعيل بك دبوس والثانية خروف لمصطفى باشا وهبي البغدادلي . ومدالية الفضة خروف لمحمود بك حبشي والدبلوما خروف لشواربي باشا

غنم برقة

خروف عمرهُ اكثر من سنة . الجائزة الاولى خروف لمدرسة الزراعة

ثلاث نعاج عشارية اومع نتاجها . الجائزة الاولى لمدرسة الزراعة

الغنم الاجنبية

نعجتان . مدالية الفضة نعجتان لبوغوص باشا نوبار

المعزى البلدي

الجائزة الثانية لتيس عرضهُ حسن ابيه

المعزى الاجنبي

جائزة اولى لتيس عرضتهُ الخاصة الخديوية وجائزة اولى لثلاث نعاج عرضتها الخاصة الخديوية وجائزة اولى ثلاثة جداء للخاصة الخديوية ايضاً

الجمال والهجن

نال الجائزة الاولى جمل لخالي فلتوس والثانية جمل لشواربي باشا ومدالية الفضة جمل لعلي بك شعراوي

الخيل

نال الجائزة الاولى فرس صالح لاعمال الزراعة عرضهُ البرنس عمر باشا طوسن والثانية فرس عرضهُ ابو زيد طنطاوي

البغال

نال الجائزة الاولى والثانية بغلان لمصلحة التنظيم ونال بغل للبرنس عمر باشا طوسن شهادة

الحمير

حمار لانتاج البغال . نال الجائزة الاولى حمار للبرنس عمر باشا طوسن والثانية حمار للدائرة الخاصة . وشهادة حمار للجنة انتاج الخيول

حمار بحري . نال الجائزة الاولى حمار للدائرة الخاصةوالثانية حمار لمس دلانوى

اتان بحرية نالت الجائزة الاولى اتان للدائرة الخاصة ستأتي البقية

ومما يؤسف عليهِ ان اهالي الوجه القبلي لم يعرضوا شيئًا من المواشي في اكثر ابواب هذا المعرض مع انهُ عُيّنت جوائز لمواشيهم كما عُيّنت جوائز لمواشي الوجه البحري

التجارب في زراعة القطن

لخص جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية التجارب التي جربت في زراعة القطن بالجيزة في السنة الماضية بالعبارات الآتية بحروفها

١ يمكن الاستفادة باستعمال الاسمخة الكيماوية

٢ ان الاسمخة الموافقة تلجيء الزرع الى سرعة النضج او بمعنى آخر تزيد في نسبة ما يحصل في اول جمعة

٣ ان سباخ نيترات الصودا يؤثر تأثيرًا مضرًّا في القطن فيضطرهُ الى النمو السريع ويوجد داخل نباتاتهِ الرطوبة و بذلك يؤخر نضجهُ

٤ ان وضع الفوصفات القابلة للذوبان في الارض على شكل الفوق فوصفات انتج نتيجة حسنة

٥ ان وضع الاسبخة البوتاسية على شكل الكاينيت تفيد الارض ولكن زيادة المحصول لا تكون بقدر الزيادة الناتجة عن الفوق فوصفات

٦ ان الفوصفات غير القابل للذوبان لا يفيد الارض كثيرًا مثل الفوصفات القابل للذوبان

٧ ان الاسمخة غير الحاوية للنتروجين اذا وضعت في اراضي ضعيفة لا تفيد فائدة تذكر

٨ ان نيترات الصودا تؤثر تأثيراً حسناً في الاراضي الضعيفة وان كان يستحسن كما ذكرنا قبلاً ان تخلط باسمدة اخرى قبل وضعها

٩ ان سباخي المواشي والبودرت يزيدان المحصول على العموم ولكن كما قلنا في مثل هذا الاوان في العام الماضي فلا يكثر من سباخ المواشي لانهُ يتلف الثمر

١٠ انهُ استنتج من وضع مقادير متساوية من البودرت بجملة طارق ان التكبيش افضلها

١١ ان الزراعة الواسعة عادت بزيادة في المحصول ونسبة عالية في محصل الجمعات الاولى

[المقتطف] حبذا لو اسهب المستر فودن في وصف هذه التجارب وذكر اوصاف الارض التي أُجريت فيها ونفقات التسميد ومقدار الفائدة منهُ بالارقام ولو ذكر ايضاً الطرق التي يمتحن بها السماد الصناعي لمعرفة ما فيهِ من المواد المفيدة كالفصفات القابل الذوبان . وحبذا لو منعت الحكومة بيع السماد ما لم يكن معهُ شهادة منها بمقدار ما فيهِ من المواد التي يتوقف فعلهُ عليها دفعاً للغش



السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠١

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويقطع تباينهُ الاعظم وهو ١٨° و٦َ شرقاً نصف الليل بين ١٩ و٢٠ الشهر ويرى في الشفق اياماً نحو ذلك الوقت . وحركتهُ مستقيمة الى نصف الليل بين ٢٥ و٢٦ الشهر وحينئذٍ يتجه غرباً الى الشمس . ويقطع نقطتهُ الصاعدة في الرابع عشر من الشهر الساعة ٨ مساء ونقطة الراس في ١٩ الشهر الساعة ١١ صباحاً

الزهرة

الزهرة نجم الصباح وهي مقتربة من الشمس وحركتها مستقيمة ويستنير ٠,٩٤٩ من قرصها في الرابع عشر من الشهر

المريخ

المريخ نجم الصباح حتى ٢٢ الشهر الساعة ٨ صباحاً حينما يمر بالاستقبال ويقطع حينئذٍ

الهاجرة نصف الليل ثم يصير نجم المساء ويبلغ نقطة الذنب في الخامس والعشرين الساعة ١٠ صباحاً . ومعلوم ان اهليلجية المريخ عظيمة جداً ولوقوعهِ في نقطة الذنب وقت الاستقبال يعسر رصدهُ فكل ما يقال عن الاكتشافات فيهِ يجب ان يؤخذ بالحذر الشديد

المشتري

المشتري نجم الصباح يقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٩ والدقيقة ٢٥ صباحاً وفي ٢٨ منهُ الساعة ٨ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

زحل

زحل نجم الصباح ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ١٠ والدقيقة ٥ صباحاً وفي الثامن والعشرين منهُ الساعة ٨ والدقيقة ٢٧ وحركتهُ مستقيمة

واورانوس يقطع عقدتهُ النازلة في الخامس عشر الساعة ٣ صباحاً ويقطع الهاجرة في الرابع عشر الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ صباحاً . ويكون نبتون على الهاجرة يومئذٍ الساعة ٨ مساء

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة		
في ٦	٠	صباحاً	يقترن بالمريخ فيقع ٩° ٥٤َ شمالية
١٥	٧	«	« بالمشتري « ٣° ٥١َ جنوبية
١٥	٩	مساء	« بزحل « ٣° ٣َ «
١٧	١١	«	« بالزهرة فتقع ٥ ٤٩َ «
٢٠	٣	«	« بعطارد فيقع ٣ ٢٩َ «

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٣	٥	٣٠	مساء	البدر
١١	٨	١٢	«	الربع الاخير
١٩	٤	٤٥	صباحاً	الهلال
٢٥	٨	٣٨	مساء	الربع الاول
٩	٩,٤		صباحاً	في الحضيض
٢١	٤,٧		مساء	في الاوج

باب التقريظ والانتقاد

خاتمة رسائل اخوان الصفا

رسائل اخوان الصفا كتاب قديم مشهور ذكرهُ الوزير جمال الدين ابو الحسن القفطي المتوفَّى سنة ٦٤٦ ه في كتابهِ تراجم الحكماء وذكر رسالة كتبها ابو حيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٣ ه وصف فيها كيف أُلفت هذه الرسائل فقال " ان زيداً بن رفاعة (وهو من معارفهِ) اقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادق بها جماعة منهم ابو سليمان محمد بن مشعر البستي وابو حسن علي هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قرّبوا بهِ الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاَّ بالفلسفة لانها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انهُ متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال — وصنَّفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميها وعمليها وسموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوها بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة . وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات. وحملتُ عدة منها الى شيخنا ابي سليمان السجستاني وعرضتها عليهِ فنظر فيها اياماً وتبحَّر طويلاً ثم ردَّها عليَّ وقال تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما أُجروا وحاموا وما وردوا وغنُّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انهم يمكنهم ان يدسُّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى والمنطق في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونهُ جدد وقد توركَّ على هذا قبل هؤلاء قوم وكانوا اعظم اقداراً وارفع اخطاراً واوسع قوى واوثق عرى فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا منهُ ما املوهُ لان الشريعة مأخوذة عن الله عزَّ وجلَّ بواسطة السفير بينهُ وبين الخلق من طريق الوحي والمناجاة وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنهُ والغوص فيهِ ولا بدَّ من التسليم المدعو اليهِ والمنبَّه عليهِ وهناك يسقط لِمَ ويبطل كيف ويزول هلاَّ ويذهب لو وليت " . انتهى ملخصاً مما ذكرهُ احمد بك زكي في رسالة مسهبة لهُ في هذا الموضوع طبعت سنة ١٣٠٨ هجرية وقد

انتبهنا اليها اتفاقاً حالما مسكنا القلم لتقريظ هذه الرسالة ويظهر منها جلياً ان ما قالهُ التوحيدي والسجستاني يؤيد ما ذكرناهُ في الجزء الماضي عند الكلام على ضرر المطابع وما نجاهر بهِ دائماً وهو ان محاولة بعض الكتّاب تعزيز القضايا العلمية بالامور الدينية والامور الدينية بالقضايا العلمية ليست من الحكمة في شيء

ورسالة اخوان الصفا التي نحن بصددها فيها وصف "تداعي الحيوانات على الانسان" لدى ملك الجان ويقال فيها ان سفينة طرحتها الرياح على جزيرة فنزل مَن فيها الى الجزيرة واستوطنوها وسخروا الحيوانات التي فيها حسبما كانوا يفعلون في بلادهم فذهب زعماء الحيوانات وخطباؤُها الى ملك الجان وشكوا اليهِ امرهم فجمع سبعين رجلاً من الذين كانوا في السفينة وتداعى الفريقان امامهُ فامر الملك اخيراً "ان تكون الحيوانات باجمعها تحت اوامر الناس ونواهيهم"

ويظهر مما ذكرهُ اخوان الصفا عن لسان الناس والبهائم انهم كانوا مطَّلعين على كتب العلم اليونانية التي تُرجمت الى العربية فاخذوا مقولاتها وتوسعوا فيها بالزيادة والنقصان ومزجوا بها آراءهم واوهامهم واضافوا اليها من الآيات والاحاديث ما ظنوهُ مؤيداً لها لكي يربطوا الشريعة بالفلسفة فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا ما املوهُ كما قال السجستاني واجاد

والرسالة مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد جداً في مطبعة دار الترقي

المرأة الجديدة

يرى المطَّلعون على تاريخ الامم ومسير العمران ان لا بدَّ لاهل الاسلام من ثورة اصلاحية مثل الثورة التي اوقد نارها لوثيروس في اوربا فيقابَل زعماء هذه الثورة بالتكفير والحرمان كما قوبل لوثيروس وانصارهُ ولكن الاصلاح الذي ينادون بهِ يفوز فوزاً مبيناً فوق ما قدَّروهُ لهُ ويسير في منهاج اصح من المنهاج الذي وضعوهُ . واذا صحَّ هذا الرأي فيكون صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وصاحب مقالة النساء في الاسلام وصاحب جريدة المنار من زعماء هذه الثورة الاصلاحية وتكون الثمرة الاولى التي يجنونها تكفيرهم او حرمانهم لكن يلتف حولهم كثيرون من العقلاء الذين يغارون على امتهم واوطانهم ويناضلون ويساجلون الى ان يستتبَّ لهم الفوز اخيراً

وكتاب "المرأة الجديدة" اصغر حجماً من كتاب تحرير المرأة واقل مادةً لكن فصولهُ اكثر انسجاماً من فصول ذاك على ما يظهر لنا واقوى ادلةً . وقد اطلق مؤلفهُ العنان لقلمهِ فجاهر

بغرضهِ كلهِ من اول سطر خطَّهُ فيهِ قال " المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث" يجمع في ثماني كلمات زبدة الكتاب وزبدة آرائهِ فيهِ وترك خصومهُ وخصوم العمران الاوربي يتقوَّلون ما شاؤوا . ثم فصَّل هذا القول المجمل في المقدّمة وزادهُ تفصيلاً وايضاحاً في الفصول الخمسة التي تلتها فقال في المقدّمة انهُ بدأ ظهور المرأة الجديدة " في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلّصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات وسلّمتهُ قيادة نفسهِ ورسمت لهُ الطريق التي يجب ان يسلكها . ذلك حيث اخذ العلم يبحث في كل شيء وينتقد كل رأي ولا يسلم بمقال الاَّ اذا قام الدليل على ما فيهِ من المنفعة العامة وانتهى بهِ السعي الى ان ابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف ووضع دستوراً للملوك والحكام واعتق الجنس الاسود من الرق ثم اكمل عملهُ بان نسخ معظم ما كان الرجال يرونهُ من مزاياهم التي يفضلون بها النساء ولا يسمحون لهنَّ بان يساويهم في شيء منها " . ومفاد ذلك ما اثبتهُ في السطر الاول من المقدمة وهو " ان المرأة الجديدة ثمرة من ثمرات التمدُّن الحديث " كالآلة البخارية والتلغراف والتلفون ولا شأن في وجودها لمزايا الامم الشمالية المتطلّبة الحرية ولا للديانة المسيحية التي جعلت قديساتها كثيرات مثل قديسيها وكاد بسطاؤها يعبدون العذراء المباركة كما يعبدون ابنها . ولا شبهة في ان المكتشفات العلمية خلصت العقل من سلطة الاوهام فابطل سلطة رجال الكنيسة والغى امتيازات الاشراف وكان لذلك الشأن الاكبر في ارتقاء الامم الاوربية رجالاً ونساء ولكن لا ينكر ايضاً ان امم الشمال اطلب للحرية من غيرها وان الديانة المسيحية مهّدت السبيل لهذه الحرية ولهذا الارتقاء العقلي

وذكر في الفصل الاول كلاماً مختصراً عن حال المرأة في العصور الاولى ثم عند اليونان والرومان والعرب وانتقل بغتةً الى حالها في اوربا واميركا الآن ولخَّص ذلك بقولهِ " عاشت المرأة حرَّةً في العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعتُرِف للمرأة بشيء من الحق ولكن خضعت لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة . وتساوت بالرجل في جميع الحقوق . اربعة احوال يقابلها اربعة ادوار من تاريخ التمدن في العالم " . ثم قال ان المرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث اي انها معترف لها بشيء من الحق ولكنها خاضعة لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها. وان ذلك من توابع الاستبداد السياسي الذي يخضعنا ونخضع لهُ

واسهب في هذا الفصل والفصول التالية في الشروح الفلسفية والقضايا النظرية وتطبيق ذلك على حال النساء في هذه البلاد والبلدان الاوربية والاميركية وانصف النساء الاوربيات ودفع عنهنَّ ما يرميهنَّ بهِ بعض السفهاء الذين ذهبوا الى اوربا ولم يعاشروا من اهلها سوى المومسات وبعض الكتَّاب الذين يبنون العلالي والقصور على احصاء اخطأُوا في قراءتهِ وفهمهِ ثم ابى عليهم تشيُّعهم الذميم ان يصلحوا خطاءَهم . وبلغ منهُ حب الانصاف والانتصاف مبلغهُ في الفصل الخامس الذي نشرنا نحو ثلثهِ في هذا الجزء من المقتطف وهو ابلغ فصول الكتاب واقواها حجة واوضحها دليلاً بل هو القسم العملي منهُ الذي يجب الجري عليهِ . وقد جاهر فيهِ بما يتعذَّر على غيرهِ المجاهرة بهِ فقال " ان المدنية الاسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتَّاب الذين وصفوها بما يحبُّون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وانها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ولا نستغرب انها اخطأَت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأْنها فليس خطأُها في ذلك اكبر من خطإِها في كثير من الامور الاخرى ... وان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشدهُ الامهات من الغناء لتنويم الاطفال "

واننا ننصح لكل اديب يغار على خير وطنهِ ويسعى الى اصلاحهِ ان يطالع هذا الفصل بالامعان فانهُ يجد فيهِ الدليل المقنع على وجوب تعليم المرأة ومنع كل ما يضعف قواها الادبية والعقلية والبدنية

وقد كان لهذا الكتاب وقع عظيم عند جمهور الفضلاء والادباء في هذا القطر فكتب كثيرون منهم يقرظونهُ ويشكرون مؤلفهُ على ما بذلهُ من الهمة في وضعهِ ونشرهِ من ذلك ما كتب بهِ اليهِ عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار قال

عزيزي قاسم بك

قرأْت مع التأمل كتابكم الثاني " المرأَة الجديدة " فرأَيتكم قد اصبتم فيهِ موضع العلة من الامة واحسنتم التشخيص ودللتم على انجع الدواء وأَيدتم باجمل اسلوب ما ذهبتم اليهِ في كتابكم الاول " تحرير المرأَة " من ان العائلة لا يمكن ان تكون وسطاً صالحاً لنماء الفضيلة ولا تتقدم الهيئة الاجتماعية في بلادنا تقدماً حقيقياً من دون تربية المرأَة على الفضيلة والعلم وان هذه التربية لا تتم مع وجود الحجاب كما هو معروف الآن

ويسرُّني ان اقاسمكم الاعتقاد بصحة هذا الرأْي والرغبة في تحقيقهِ وان اهنئكم على النباهة في الالتفات اليهِ والبراعة في تصويرهِ والبلاغة في التعبير عنهُ والشجاعة في نشرهِ والثبات في تأْييدهِ والادب في الدفاع عنهُ

واؤمل ان تعبكم في الفكر والتأليف والنصح لا يضيع سدًى وان هذه البذرة التي وضعتموها تثمر الثمرة المقصودة لكم فتنتظم حال العائلة وتبلغ الامة من الكمال ما يتمناهُ كل محب لخيرها

نعم ان هذا يحتاج الى زمان طويل ولكنهُ يقصر بمشيئة الله اذا دامت عنايتكم بعهده وساعدكم عليهِ امثالكم من الفضلاء

وانكم وان لم تجدوا في الزمن الحالي كثيرًا من الانصار فسيكون لكم المستقبل كلهُ من الاعوان يشكركم اهلهُ كلما شعروا بسعادة منزلية او وجدوا اثرًا للفضيلة في الهيئة الاجتماعية

اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم مصطفى فهمي

والمقتطف يكرّر لحضرة المؤلف ما قالهُ الوزير الحكيم رئيس النظار في خاتمة كتابهِ "اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم"

سمير العائلات

من آثار النهضة العلمية الحديثة الاكثار من نشر الكتب المفيدة علمية وادبية ترجمةً وتأليفًا وتلخيصًا وهي على درجات مختلفة من الفصاحة في العبارة والانسجام في الشرح والتدقيق في المعنى حسب اختلاف المترجمين والمؤلفين والمصنفين وتضلعهم من المواضيع التي يكتبون فيها

وسمير العائلات كتاب حسن في بابهِ قصد مؤلفهُ بث العلوم الدقيقة من حيث طبائع الحيوان في قوالب الحكايات والاحدوثات القريبة المنال السهلة المأخذ ففرض عائلة مصرية من زوج وزوجة وابن وابنة كانت تجتمع في حلقة البيت ويشرح الابن لاختهِ ما يتعلمهُ في المدرسة من حيث تركيب جسم الانسان . ثم فرض عائلة أُخرى قصّت الام فيها على اولادها اخبارًا من طبائع القرود وقس على ذلك طبائع الدب والاسد وهلمَّ جرًّا . وسبيل العلم ليس سهلاً الى هذا الحد ولكن القصص والنوادر التي في هذا الكتاب تسلي وتفيد ولا سيما لانها موشحة بكثير من الصور ومكتوبة على اسلوب قريب المأخذ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكرًا جزيلاً

رواية وردة

وردة اسم رواية الفها الدكتور جورج ايبرس الالماني وترجمت الى كثير من اللغات الاوربية . وقد قرأناها بالانكليزية منذ نيف وعشر سنوات وترجمت الى العربية في ادارة المقتطف ولم نشأ ان نطبعها قبلما نستأذن مؤلفها في نشرها بالعربية . والظاهر ان حضرة محمد افندي مسعود سبقنا الى استئذانهِ فانهُ ترجمها ونشرها وقد اهدى الينا الجزء الاول منها وهو مكتوب بلغة فصيحة مثل كل نفثات قلمهِ فنشكرهُ على ما اتحف بهِ اللغة العربية

تاريخ الانشقاق

اشرنا الى هذا الكتاب حين صدور الجزء الاول منهُ وقد صدر منهُ الجزء الثالث الآن مدبجاً بقلم حضرة مؤلفهِ الفاضل الارشمندريتي جراسيموس مسرَّة رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية . وهو يبتدئ بتاريخ ما كان بين الكنيسة الشرقية والغربية من العلاقات بعد حروب الصليبيين اي من سنة ١٢٦٠ فما بعد حتى فتح القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وما حدث في هذه المدة من المجامع وما جرى من السعي لاعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والغربية وذهاب هذا السعي باطلاً . ويلي ذلك خاتمة ذكر فيها ملخص تاريخ الكنيسة الشرقية من بعد فتح القسطنطينية الى الآن . وبعجبنا منهُ ما ذكرهُ المؤلف من معاملة السلطان محمد الفاتح لبطريرك القسطنطينية فانهُ " دعاهُ الى الغداء على مائدتهِ واستقبلهُ بكل ترحاب ومنحهُ امتيازات كثيرة وسلمهُ عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم ثم رافقهُ الى دار البلاط وكان فيهِ جواد من الجياد السلطانية عليهِ عدة ملكية فاركبهُ عليهِ وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوهُ الى كنيسة الرسل واعطاهُ حرساً خاصاً ولم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الاَّ اجراها بل زاد عليها " ويلي ذلك تفصيل الامتيازات التي منحهُ اياها

والتاريخ كبير مسهب وحبذا لو كان تاريخاً للاتحاد لا للانشقاق





زبيب كليفورنيا

ذكرنا غير مرة ان اهالي كليفورنيا احدى ولايات اميركا اخذوا يناظرون بلدان المشرق ولا سيما الاقطار السورية في ما كان يعدُّ من مزايا هذه البلدان فزرعوا العنب والتين والليمون وعصروا الخمر وصنعوا الزبيب على اشكالهِ ووردت محصولات بلادهم الى الولايات الشرقية من اميركا بل الى اوربا وزاحمت البضائع السورية فيها . وقد رأينا الآن وصف كيفية تيبيسهم للعنب وعمل الزبيب منهُ فترجمناها في ما يلي لكي يرى ابناء المشرق كيف يمكن ان ترخص الحاصلات والمصنوعات ولو غلت اجور الصناع كثيراً

في كاليفورنيا بلد اسمهُ فرسنو سكانهُ عشرون الفاً ويكونون فيهِ وقت قطاف العنب ٤٥ الفاً يعملون من الصباح الى المساء في قطف العنب وتجفيفهِ . ويبتدئ اصحاب الكروم من اول فصل الشتاء في قضبها من عند الارض ويظلُّون يعتنون بها ويذرُّون الكبريت عليها لدفع الحشرات عنها الى اوائل شهر يونيو . واذا كانو ماهرين في ذلك مهارة بعض الكرَّامين في سويسرا فلا عجب اذا امتلأت كرومهم بعناقيد العنب حتى لا يبقى في قضبانها مكان لنمو الورق كما شاهدنا ذلك عياناً في الصيف الماضي فاننا عددنا في القضيب الذي طولهُ متر عشرة عناقيد او اكثر. لكن الزارع الاميركي يهتم بكبر العناقيد اكثر مما يهتم بكثرتها ولذلك يقطع منها كل العناقيد الصغيرة التي تضعف غيرها

وقد وُجد بالاختبار ان كل ثلاثة ارطال ونصف رطل من العنب يكون منها رطل من الزبيب . وتبلغ غلَّة الفدان خمسة اطنان من العنب او طناً وربع طن من الزبيب (والطن اثنان وعشرون قنطاراً مصرياً او نحو ثمانمئة اقة) . ومقدار السكر في الزبيب من ٢٥ في المئة الى ٢٨ في المئة

ويبتدئ قطاف العنب في تلك البلاد في اواخر اغسطس (آب) وهناك ٤٢ الف فدان مزروعة كروماً ويلزم لكل فدان رجل وهو يمسك العناقيد باعناقها من غير ان يلمس الحب بيدهِ ويضعها في اطباق طول الطبق منها ثلاث اقدام وعرضهُ قدمان ويسع ست اقات وتوضع الاطباق في الكروم مائلة الى جهة الشمس وتترك فيها ستة ايام الى ثمانية وتقلب العناقيد بان يوضع طبق فارغ على طبق العنب ويقلب فتنقلب العناقيد الى الطبق الفارغ . ويبقى العنب في الشمس عشرة ايام الى اثني عشر يوماً ثم ينقل الى مكان التعريق وفيهِ صناديق اكبر من الاطباق عمق الواحد منها شبر فتوضع ورقة في قاع الصندوق وفوقها طبقة من عناقيد العنب ثم ورقة وفوقها طبقة من العناقيد وهلمَّ جرّاً حتى يمتلئ الصندوق وتنقل الصناديق الى غرفة مظلمة نقية الهواء ولكنها مقفلة الكوى ويوضع بعضها فوق بعض وتترك في تلك الغرفة ١٥ الى ٢٠ يوماً حتى تعرق جيداً اي حتى تنتشر الرطوبة التي فيها بين كل اجزائها ولا يبقى جزء منها ليناً وجزء صلباً بل تلين كلها على حدٍ سواء

وترفع عناقيد الزبيب من هذه الصناديق لتوضع في الصناديق التي تباع فيها فيقع منها حبوب كثيرة وقت رفعها فتجمع هذه الحبوب وتنزع العيدان منها وتقسم الى اربعة اقسام حسب جرمها . وعندهم آلات ميكانيكية لتعريب الزبيب ونزع العيدان منهُ ويوكل النساء والبنات بوضع الزبيب في صناديق صغيرة يسع الصندوق منها عشرين رطلاً (نحو سبع اقات)

الى هذا الحد يكون الزبيب الاميركي كالزبيب السوري تقريباً ولا فرق بينهما الاَّ في ان الزبيب السوري يرش بقليل من ماء الرماد والزيت لكي يبقى ليناً ولا يختمر ولكن الاميركيين زادوا على ذلك منذ اربع سنوات ان صنعوا آلات تنزع العجم من الزبيب فانهم يجففون الزبيب اولاً على حرارة ١٤٠ درجة مدة خمس ساعات ثم يبردونهُ تبريداً شديداً وينظفونهُ جيداً ببرشات كبيرة يمر بينها ثم ينقلونهُ الى غرفة حرارتها ١٣٠ درجة ويبسط فيها على نسيج من الاسلاك المعدنية فيلين ويجود طعمهُ جداً وينقل الى آلة نزع العجم (البزر) منهُ فيمر اولاً بين اساطين من الكاوتشوك فتنسطح كل حبة منهُ ويظهر العجم فيها تحت قشرتها ناتئاً منها ثم يمر بين اساطين فيها ابر دقيقة تمسك العجم وتنزعهُ منها وتطرحهُ في جهة اخرى فيخرج الزبيب خالياً من العجم. والآلة الواحدة تنزع العجم من اثني عشر طناً في اليوم. وتبقى حبوب الزبيب سليمة بعد خروج العجم منها حتى لا يكاد يظهر الثقب الذي خرج العجم منهُ. ثم يوضع الزبيب في صناديق صغيرة من الورق يسع الصندوق رطلاً منهُ

قصر القطن

اسلوب جديد

استنبط الاستاذ غوشلن الالماني اسلوباً جديداً لقصر القطن وغيره من الالياف النباتية وهو ان يوضع القطن في مغطس فيهِ ١٠٠ لتر من الماء و ١٠ كيلوغرامات من الجير (الكلس) و ٥٠ كيلوغراماً من بي كبرتيد الصودا ثم يعرَّض لفعل البخار ساعة من الزمان او ساعتين تحت ضغط قليل ويغسل بالماء ويجفف. ويمكن اغلاء القطن في المغطس بضع ساعات بدلاً من تعريضهِ لفعل البخار. ويقال ان هذا الاسلوب افضل من اسلوب القصر بالهيبوكلوريت ولا يتلف بهِ شيء من الالياف

اظهار الكتابة الممحاة

اذا محيت الكتابة عن القرطاس بحكها عنها سهل اظهارها ثانية بطريقة استنبطها حديثاً رجل هولندي وهي ان يذاب درهم من نيترات الفضة في عشرة دراهم من الماء ويدهن بهِ الورق محل الكتابة المحكوكة وحولها ويوضع في نور الشمس قليلاً فيسود الورق وتظهر الكتابة عليهِ اقل سواداً منهُ. كانهُ يبقى في الورق من دقائق الحبر ما يؤخر انحلال الفضة واسودادها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سكان المريخ

امبابه . اسكندر افندي نبيه اكثر بعض علماء الفلك من القول الآن بان كوكب المريخ مسكون حتى يقال انهم حاولوا جهد استطاعتهم استنباط واسطة للتكلم مع سكانهِ . فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فمن اين اتى سكانهُ

ج القول بان كوكب المريخ مسكون او قد يكون مسكوناً قديم ذكرناهُ منذ اكثر من خمس عشرة سنة كما قلنا في الجزء الماضي ولكن القول الحديث الذي تشيرون اليهِ لم يقل بهِ الا عالم واحد كما ابنا في الجزء الماضي . ويظهر لنا انهُ واهم في حكمهِ ولذلك ازدرتهُ الجرائد العلمية ولم نرَ اشارة اليهِ في ما وصل الينا منها حتى الآن الا في السينتفك اميركان وسنذكر ما قالتهُ في باب الاخبار العلمية وهو منطبق على ما سبقنا فذكرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف

(٢) رفع حجارة الاهرام

ومنهُ . اية آلة استخدمها قدماء المصريين لرفع حجارة الاهرام الى هذا الارتفاع العظيم

ج يرجح الآن انهم استعملوا عتلة كالشادوف او كالقبان وكانوا يرفعون الحجارة بها من مدماك الى الذي فوقهُ على التوالي فيربط الحجر بالحبال ويعلق بطرف عمود من الخشب معلق بثلاث اخشاب قائمة كما يعلق القبان ويشد بهِ الرجال من الطرف الآخر فيرتفع الحجر ويدار العمود حتى يصير الحجر فوق المدماك التالي فيبنى فيهِ او ينقل الى الذي فوقهُ كما نقل اليهِ

(٣) قرطاجنة

ومنهُ . من اول من عمَّر قرطاجنة بعد ما دمرها الرومان وما تاريخها بعد ذلك

ج عمَّرها كايوس غراشوس سنة ١٢٢ قبل المسيح بعث اليها ستة آلاف من الرومانيين فانشأوا مدينة يونونيا ولكنها لم تفلح وسنة ٢٩ قبل المسيح بعث اغسطس قيصر اناساً آخرين لتعميرها فافلحوا وعمرت البلاد حتى ناظرت الاسكندرية في مملكة الرومان على ما ذكر هيروديان وبلغت اوج مجدها في القرن الثالث

وعقد فيها كثير من المجامع المسيحية . وغزاها جنسرك الفندالي سنة ٤٣٩ وصارت كرسي مملكة الفندال في افريقية الى سنة ٥٣٣ . وغزاها عبدالله بن سعيد بامر الخليفة عثمان ففتحها وقتل واليها سنة ١٦ للهجرة ثم خربها حسان بن النعمان الغساني في خلافة عبدالله بن مروان سنة ٧٤

(٤) من سمى تونس

ومنهُ . مَن سماها باسمها الحالي تونس ولماذا سُمّيت كذلك

ج لم نقف في كل المظان الافرنجية التي عندنا على كلام شافٍ في اصل هذه التسمية لكن العرب يقولون في كتبهم ان المسلمين سموها تونس لانهم لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ويأنسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها وقيل كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيستأنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس وقيل كان اسم الراهب صاحب الصومعة تونس وبهِ سميت

---

(٥) اكرام يوم الخميس

امبابه . سمعان افندي عوض . يكرم المسيحيون يوم الاحد واليهود يوم السبت والمسلمون يوم الجمعة فهل من امة اخرى تكرم يوم الخميس

ج نعم يكرمهُ الدروز

(٦) راحة المعادن

ومنهُ . زعم البعض ان المعادن تستريح وقد جرَّب احد الحلاقين ذلك في موسى فزاد مضاؤهُ فما سبب ذلك والمعادن ليست حسَّاسة حتى تحسَّ بالتعب ولا هي نامية

ج قرأنا ذلك قبلاً وذكرناهُ في المقتطف ولم يتجلَ لنا سببهُ . ومن المؤكد ان دقائق المعادن متماسكة بما بينها من قوة الجذب . وفعل هذه القوة بالدقائق السطحية اقل منهُ في غيرها لان الدقائق السطحية تكون مجذوبة من خمس جهات لا من ست جهات مثل غيرها من الدقائق التي تحتها واذا كان الجسم رقيقاً جداً مثل حد الموسى فالدقائق التي على حدهِ تكون الجهات السائبة منها اوسع من الجهات الخاضعة لفعل الجذب فيحتمل ان تتبخر وتطير من نفسها اذا طال عليها الزمان واذا طارت ابقت الحد الذي تحتها ادق مما كان وهي فيهِ

---

(٧) شهب نوفمبر

بيروت . امين افندي ابرهيم غبريل . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما انتظر الفلكيون وهل كان سقوطها عمومياً

ج لم تتساقط في الميعاد المنتظر ولكن تساقط بعضها قبل ذلك وشوهد في استراليا كما ترون في الجزء الماضي والمظنون الآن انها ربما تتساقط سنة ١٩٠٢

(٨) المزاج الصفراوي والسل

ومنهُ . ارى ان الذين يصابون بداء

السل يكونون غالبًا من ذوي المزاج الصفراوي فهل لمرض السل تسلط على هذا المزاج اكثر من غيره

ج لم نرَ نحن ذلك ولا بلغنا ان احدًا قال به. والمتواتر ان اصحاب المزاج الصفراوي يكونون معرضين لامراض الكبد وامراض المسالك الهضمية والعلل الباسورية العادية

(٩) تحريم الخمر

مصر. عبد العزيز افندي عزّت اللبودي

ما هو السبب في تحريم شرب الخمر

ج لم يحرَّم شرب الخمر في ما نعلم ولكن أُمر الناس باجتنابها لعلة لا تخفى على احد وهي ان الخمر تسكر وتضرُّ شاربها وتمنعهُ عن القيام بما يطلب منهُ وهو سكران ولا فائدة منها توازي ضررها

(١٠) سبب البرق

ومنهُ. ما هو البرق وما سبب ظهوره في اوقات غير معلومة

ج اذا التفتم الى الترامواي الكهربائي رأيتم انهُ يتولد منهُ شرار مضيء احيانًا عند ملتقى عجله بقضبان الحديد التي تحتها وعند ملتقى بكرة القضيب الممتد منهُ الى الاعلى بالسلك الذي فوقهُ وهذا الشرار لا يتولد والعجل متصل بالقضبان التي تحتهُ والبكرة متصلة بالسلك الذي فوقها بل يتولد حينما ينفصل العجل عن القضبان انفصالاً قليلاً بالتراب ونحوه وحينما تنفصل بكرة القضيب عن السلك انفصالاً قليلاً لان التيار الكهربائي اذا جرى على جسم متصل وانفصل ذلك الجسم الى قسمين انفصالاً ضيقًا فقد يثب المجرى الكهربائي من احد قسميهِ الى الآخر بعنف شديد و يظهر شرارة ساطعة النور. وعلى هذا النمط تتولد الكهربائية احيانًا في غيمتين متقابلتين غير متصلتين فتثب من احداها الى الاخرى وهذا هو البرق. وقد يكون هذا الفعل الكهربائي بين الغيم والارض. ومعلوم ان ظهورهُ يتوقف على تولد الكهربائية في الارض والجو وتولدها يتوقف على الحرارة والبرودة وتولد البخار ومرور الرياح وغير ذلك من الاسباب التي لم تنتظم في ارضنا حتى الآن فلا تجري في ادوار محدودة

(١١) ماهية الرعد

ومنهُ. ما هو الرعد

ج حينما تثب الكهربائية من غيمة الى اخرى او من غيمة الى الارض ويحدث البرق تتولد حرارة شديدة تمدّد الهواء بسرعة فيحدث من تمدده الرعد

(١٢) ماهية السحاب

ومنهُ. ما هو السحاب وسبب سيره

ج هو دقائق صغيرة جدًّا من الماء تصعد بخارًا بالحرارة كالبخار الذي يصعد من الماء الغالي وتتكاثف في الجو لشدَّة البرد فيه فتصير سحابًا وتسير من مكان الى آخر لان الرياح تسوقها

(١٢) ماهية المطر

ومنهُ . ما هو المطر وما سبب نزوله في جهات دون غيرها

ج هو دقائق البخار التي في السحاب يتصل بعضها ببعض فتكبر وبعجز الهواء عن حملها فتقع مطرًا ويحدث ذلك حيث يتفق وجود البخار الكثير في الجو ووجود هواء بارد يكثفهُ . وربما دعت الحال ايضاً الى وجود كهربائية توصل بين دقائق البخار . وقد كتبنا فصولاً كثيرة في البرق والرعد والصاعقة والسحاب والمطر في المجلدات الماضية فعليكم بمراجعتها او بمراجعة كتاب الظواهر الجوية



الانباء من المريخ

قلنا في الجزء الماضي ان العالم نقولا تسلا الذي اهتمَّ بمخاطبة سكان المريخ قوي عليهِ سلطان الخيال في هذه الايام وان القول بان سكان المريخ اشاروا الينا فرض بعيد جدًّا لا مسوّغ لهُ . ثم جاءتنا جريدة السينتفك اميركان الصادرة من اميركا في ١٩ يناير الماضي فرأينا فيها ما ترجمتهُ " قال احد الثقات انهُ قرُب الوقت الذي تخاطب بهِ مع سكان الكواكب ولا سيما سكان المريخ " وتختلف قيمة هذا القول باختلاف عقول الذين يسمعونهُ والظاهر انهُ لما كان نقولا تسلا يمتحن التلغراف الاثيري في مكان مرتفع جدًّا عن سطح البحر (بولاية كولورادو) تمكن من توليد مجرى كهربائي " قوتهُ مثل قوة مئة الف حصان " وشرارة كهربائية " طولها مئة قدم " وحصر المجرى الكهربائي ولو كانت قوتهُ " خمسين مليون فولط " . ومع ان الكهربائية التي لديهِ كانت بالغة " خمسين مليونًا " في قوتها لم تصرفهُ عن الانتباه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سببًا في الشمس ولا في شيء يعرفهُ على كرة الارض وبعد ان فكَّر في هذا الامر طويلاً " اقتنع اقتناعاً يقرب من اليقين العلمي ان اصل هذه الحركات من الكواكب السيارة " . وحبذا لو علمنا طرق الاستدلال التي استدلَّ بها على ان هذه الحركات الغريبة التي لم يعرف لها سببًا تقنع اقتناعًا يقرب من اليقين العلمي على انها ارسلت الى ارضنا من الكواكب السيارة بل من المريخ اذ ودَّ سكانهُ ان يخاطبونا بها. وقد قال السنيور مركوني ان هذه الانفعال

التي اثرت هذا التأثير الغريب في مخيلة المستر تسلا حاصلة من كهربائية الجو . وقال السر نورمن لُكير ان كانت الاشارات الكهربائية ارسلت الينا من المريخ فعلامَ ينحصر ظهورها في ولاية كولورادو باميركا ولا تشعر بها كل المراصد المغنطيسية في الدنيا " . انتهى

وقد اوردت جريدة السينتفك اميركان هذا الكلام بصورة التهكم على العالم تقولا تسلا ثم استطردت فقالت " اما كون بعض السيارات مسكونًا فامر ممكن وليس في ما نعرفهُ الآن من نواميس الكهربائية ما يوجب القول بانهُ يستحيل علينا في مستقبل الايام ارسال الاشارات الكهربائية الى السيارات او الى غيرها من نجوم السماء . ولكن الاستدلال على ان ذلك صار امرًا واقعيًا لا تكفي لهُ الافعال الطفيفة التي شوهدت على جبل في كولورادو ولم يعرف سببها "

وعادت السينتفك اميركان الى هذا الموضوع في عددها الذي صدر في ٢٦ يناير فقالت ان المسيو كاميل فلاماريون الفلكي الفرنسوي لا يصدق ان سكان المريخ يحاولون الاشارة الى ارضنا . وعندهُ ان الانوار او النتوات التي ظهرت في بحر اكاريوم انما هي انعكاس نور الشمس وهي تغيب عن الغيوم فوق ذلك البحر

العلم والحكومة

اجتمع بالامس جماعة من علماء الاميركيين في مدينة بلتيمور باميركا وبحثوا في علاقة الحكومة بالعلماء فقال احدهم الاستاذ اسبورن "ان الباحث في ميزانية الحكومة يرى انها تنفق اكثر اموالها على امور لا بدَّ لها منها لان بها قوامها كرواتب الموظفين ونفقات الحربية والبحرية . وهذه النفقات من قبيل الاموال الهالكة تُقضى بها حاجة وقتية فتثمر او لا تُثمر حسب نوعها . وتنفق بعض اموالها على ما منهُ نفع كبير في المستقبل كالذي يغرس شجرة اليوم لكي يجني ثمارها بعد اعوام كثيرة وهي الاموال التي تنفقها على العلم والتعليم . قال الاستاذ هملتز 'ان رجال العلم يشتغلون لاجل الامة كلها ليجمعوا من المعارف العلمية ما ترتقي به الاعمال الصناعية وتزيد الثروة وتنعم الحياة وتصلح الروابط السياسية والاجتماعية وتسمو الآداب والفضائل . ونحن واثقون ان كل ما يزيد معارفنا بقوى الطبيعة او قوى العقل يستحق ان يُطلب لذاته ولا بدَّ من ان تجنى منهُ الثمار الكثيرة وهي تجنى غالبًا من حيث لا تنتظر'

والدول التي تنفق على العلم والتعليم اكثر من غيرها هي المانيا وفرنسا واميركا وانكلترا فالمانيا تنفق اكثر من غيرها وانكلترا اقل من غيرها مع ان ما تنفقهُ على بناء بارجة واحدة من بوارجها يكفي لانشاء اربع مدارس من المدارس العلمية الصناعية وما ذلك الَّا لقصر نظرها في العواقب "

وتكلَّم بقية العلماء على هذا النحو وذلك في بلاد اهلها اشد الناس سخاء على انشاء المدارس وترقية العلوم والفنون . ونحن في هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية يُطلَب منا ان نجاري الاوربيين والاميركيين في العلوم والفنون ولاسند لنا لا من الحكومة ولا من الامة

ساعة عجيبة

صنع احد الاميركيين ساعة عجيبة تدلُّ على الساعات والدقائق والايام والشهور والسنين واليوم من الاسبوع ومن السنة واوجه القمر وفصول السنة وتدق الساعات وتضرب لحناً موسيقياً كل ساعة من ست انغام وتحرك آلة بخارية صغيرة وآلة كهربائية موضوعتين فيها. وفيها تماثيل جنود يخرجون الحاناً كل ربع ساعة ومنشار ينشر الخشب ويرميهِ في بركة ماء فيها كثير من الضفادع والسلاحف والحلازين. وادوات هذه الساعة مكشوفة كلها للعيان وهي تدوَّر من خمسة اماكن مختلفة وبعض تروسها يدور ستمئة دورة في الدقيقة وبعضها يدور دورة واحدة كل عشرة آلاف سنة وفيها ما يدل على السنة الكبيس فتزيد بهِ يوماً من نفسها. وارتفاعها كلها نحو تسع اقدام وعرضها نحو ثلاث اقدام

اكبر السفن الشراعية

يظهر ان غلاء الفحم الحجري دعا اصحاب السفن الى بناء السفن الشراعية الكبيرة وهم يبنون الآن سفينة محمولها ثمانية آلاف وخمس مئة طن اي انها ستكون اكبر من اكبر السفن البخارية الموجودة الآن بالفي طن . ومعلوم ان السفينة الشراعية لا تضطر ان تحمل فحماً لها فتحمل من الوسق اكثر مما تستطيع حملهُ السفن البخارية وتكون اجرة نقل البضائع بها قليلة جداً فاذا نُقل الفحم الحجري من اميركا الى هذا القطر بسفينة شراعية قلت نفقات نقلهِ كثيراً ورخص ثمنهُ

تلفون بوبن

استنبط الدكتور بوبن الاميركي اسلوباً جديداً تنقل بهِ الكهربائية على الاسلاك المعدنية ولا يضيع منها الاَّ قليل جداً بالنسبة الى ما كان يضيع منها قبلاً فانهُ يصل منها باسلوبهِ جزء من اربعين جزءا واما بالاسلوب العادي فلا يصل الاَّ جزء من مئتين وخمسين الف جزء ولذلك صار مد التلفون بين كل البلدان ممكناً مهما كانت بعيدة بعضها عن بعض. وقد ابتاعت منهُ شركة التلفون والتلغراف الاميركية امتياز هذا الاختراع بخمس مئة الف ريال اي بمئة الف جنيه مصري

تمثال ثمين

وجد تمثال يوناني من النحاس في ضواحي بمباي بايطاليا طولهُ نحو اربع اقدام يظن انهُ صُنع في القرن الخامس قبل المسيح وقد قُدِّر ثمنهُ بعشرين الف جنيه

تذكار تيخو براهي

تهتم جمعية العلوم الملكية في بلاد اسوج بدعوة علماء الفلك الى الاحتفال بمرور ثلاثمئة سنة على وفاة تيخو براهي ابي علم الفلك العملي وذلك في ٢٤ اكتوبر الاتي . فهل من جماعة في صدرهم نخوة عربية يهتمون باحياء ذكر البتاني الذي يلقب ببطليموس العرب او غيره من مشاهير العلماء الذين يحق لنا المباهاة بهم

اكبر آبار البترول

حُفرت بئر جديدة لزيت البترول بقرب بومنت احدى مدن تكساس باميركا يخرج منها كل يوم ما يملأُ خمسة وعشرين الف برميل من زيت البترول . واغزر الآبار الروسية لا يخرج منها اكثر مما يملأُ ثمانية عشر الف برميل . ويخرج الزيت من البئر الاميركية في شكل عمود قطره ست عقد وعلوهُ مئتا قدم وقد رخص ثمن الزيت الاميركي بسبب هذه البئر

خرط اعمدة الصوَّان

من يرى عمود السواري في الاسكندرية او المسلاَّت المصرية في المطرية ولقصر يعجب بصبر المصريين القدماء الذين قطعوها ونحتوها وجلوها وصقلوها وقضوا في ذلك اياماً طويلة . ومَن يظن ان ابناء هذا العصر يقصرون عن شأو المتقدمين فانساً صنَّاع الاوربيين والاميركيين بصنَّاع المصريين يخطئ خطأً كبيرًا فان صنَّاع الاوربيين والاميركيين الذين سخَّروا الحديد والبخار والكهربائية يستطيع الرجل منهم ان يعمل في ساعة من الزمان ما لم يكن يستطيعهُ مئة عامل في اسبوع . وقد قرأنا الآن في السينتفك اميركان ان الاميركيين صنعوا مخرطة كبيرة يخرطون بها عمود الصوان (الغرانيت) الذي طولهُ ٥٤ قدماً وقطرهُ ٦ اقدام وثقلهُ ١٦٠ طناً ويكون ثقل القطعة التي يخرط منها هذا العمود ٣١٠ اطنان فترفعها المخرطة وتديرها وتخرطها خرطاً بعد ان تهذّب حروفها ثم تجلوها وتصقلها وتتم ذلك كلهُ في ستة اسابيع . وتدور هذه المخرطة بآلة بخارية قوتها خمسون حصاناً

ضمان حياة الملوك

طلب الملك اسكندر ملك السرب من بعض شركات سوكرته الحياة ان تضمن حياتهُ على مبلغ مليوني ريال فرفضت شركة منها ذلك لان حياة الملوك في خطر من الفوضويين وقد خسرت هذه الشركة بقتل ملك ايطاليا ستمئة الف ريال

محاجر كرارا

ابتاع رجل اميركي محاجر الرخام الابيض الجميل في كرارا بايطاليا وهو عازم ان يستعمل الاساليب الاميركية لقطع الرخام منها فتقل نفقاتهُ و يرخص ثمنهُ

الذهب في الطين

في نيوسَوْث وايلس باستراليا نهران يطميان كل سنة فيعاني الناس المشاق في تطهيرها ونزع الطين منها ونقلهِ الى البحر وطرحهِ فيهِ واتفق لاحد العمال ان صوَّل بعض هذا الطين فوجد فيهِ شيئاً من التبر فاخبر اولي الشأن بذلك فوجدوهُ مصيباً ومن ثم جعلوا يصولون هذا الطين قبل نقلهِ الى البحر ويقال انهم يجدون فيهِ من الذهب ما يفي بنفقات التطهير كلها

الفحم والصناعة

اكثر الروسيون من انشاء المعامل الصناعية تمثلاً بغيرهم من الاوربيين والفحم الحجري قليل في بلادهم او لا يستخرج منهُ شيء كثير فاشتدت حاجتهم الى الفحم حالاً واخذوا الآن يجلبونهُ من اميركا فتبلغ اجرة شحن الطن اليهم نحو ٨٥ غرشاً او اكثر . وهذا نصيب كل بلاد تحاول انشاء المعامل الصناعية وليس فيها حياة المعامل وهي الفحم الحجري

كنوز المغول

نريد بكنوز المغول كتباً يونانية ورومانية نهبها المغول من الممالك الغربية لما غزوها وعادوا بها الى بلادهم وقد وجدتها الجنود الروسية الآن في مقدن فاوفدت الحكومة الروسية جماعة من علمائها للنظر فيها وينتظر ان توجد فيها كتب ثمينة جداً لم يستفد منها المغول شيئاً

منزل فيهِ ثلاثون طبقة

عزم احد الاميركيين ان يبني منزلاً في مدينة نيو يورك يكون فيهِ ثلاثون طبقة الواحدة فوق الاخرى فيكون اعلى منازل تلك المدينة والغرض من ذلك الاقتصاد في الارض

النور الكهربائي والبصر

من المسائل الهامة جداً مسألة النور الكهربائي وهل يضر بالعين و يضعف البصر . وقد مضى علينا الآن ثلاث سنوات ونحن نستعملهُ كل ليلة ولا نستعمل غيرهُ ولم نشعر باقل تعب في عيوننا ولا باضطراب في بصرنا ولا سمعنا احداً يشكو منهُ . ثم انا رأينا الآن ان لجنة مدرسة هيدلبرج الجامعة قرَّرت بعد البحث الدقيق ان النور الكهربائي ونور الغاز الذي يحمي شبكة اور لا يضران بالبصر واشارت باستعمال النور الكهربائي في كل المباني العمومية

تجارة القطر في العام الماضي

بلغت تجارة القطر المصري من صادر ووارد في العام الماضي بحسب تقدير الجمارك المصرية ثلاثين مليوناً و ٥٥٩ الف جنيه و ٧٤ جنيهاً عدا طرود البوسطة وقيمتها نحو ٣٢٠ الف جنيه فزادت قيمة الصادر عمَّا كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ مليوناً و٤١٥ الفاً و ١٨٩ جنيهاً وقيمة الوارد مليونين و٥٨٤ الفاً و ٩٨٤ جنيهاً . وزيادة الوارد شاملة كل

شيء تقريباً فالحيوانات وما يستخرج منها زادت قيمتها ٢٩٣ الف جنيه والحبوب والدقيق والاثمار المقددة زادت قيمتها ٥١١ الف جنيه والسكر والطيوب والبن زادت قيمتها ٨٣ الف جنيه والخمور والزيوت زادت قيمتها ١٨٩ الف جنيه والخشب والفحم والمصنوعات الخشبية زادت قيمتها ٣١٢ الف جنيه . والمنسوجات على انواعها زادت قيمتها اكثر من ٧٠٠ الف جنيه وزاد الحديد وحده نحو ٣٠٠ الف جنيه والآلات الرافعة نحو ١٣٣ الف جنيه . وبعض هذه الزيادة من غلاء الاسعار وبعضها من زيادة المقطوعية

اما الصادرات فالزيادة الكبرى فيها في ثمن القطن فقد زاد وحده مليوناً و ٤٤٠ الف جنيه وبزرة القطن فقد زادت ٣٢٢ الف جنيه وزادت قيمة الدبغ ٥٩ الف جنيه والصمغ العربي ٦٣ الف جنيه ولكن نقصت قيمة الفول ٢١٥ الف جنيه . وقد نقصت قيمة اكثر الصادرات الاخرى ولولا الزيادة في ثمن القطن لكانت السنة الماضية من اكبر السنين خسائر على القطر المصري لان الفرق بين قيمة الصادر والوارد وهو مليونان ٧٥٦ الف جنيه لا يوازي ربا الدين الذي تدفعهُ الحكومة المصرية لاوربا اما سنة ١٨٩٩ فكان الفرق بين قيمة صادراتها وقيمة وارداتها اربعة ملايين ١٢٦ الف جنيه اي ما يفي بربا دينها واذا كانت سنتنا هذه مثل السنة الماضية استنزفت اوربا الثروة القليلة المجموعة في القطر المصري

الالمان في فلسطين

يهتم الالمانيون الآن بانشاء مدرسة لعلم العاديات في القدس الشريف وقد نالت جمعية فلسطين الالمانية الرخصة من الباب العالي لمسح البلاد التي شرقي الاردن ومنحتها الحكومة الالمانية ١٢٥٠ جنيهاً لهذا العمل وعدى ان يكون قصدها من ذلك علمياً محضاً

الرخام تحت الضغط

بحث الاستاذ فرنك ادمس الاميركي عن فعل الضغط الشديد بالرخام فصنع اساطين من الرخام صقلها جداً ووضعها في انابيب من الحديد مثل انابيب المدافع حتى تملأها تماماً ثم ضغط عليها ضغطاً شديداً جداً يبلغ نحو مئة طن على كل عقدة مربعة وابقى الضغط عليها عدة اشهر متوالية فتمددت جوانبها من شدة الضغط ونفخت الانابيب التي هي فيها ولما شقت الانابيب وُجدت الاساطين متغيرة الشكل والقوام اي ان صلابتها صارت نصف ما كانت عليهِ . ثم ضغط غيرها هذا الضغط وهي محماة الى الدرجة ٤٠٠ بميزان سنتغراد فتغير شكلها ولكن بقيت صلابتها على حالها . وكذلك ضغطها وادخل فيها ماء العقدة منهُ مضغوطة ٤٦٠ رطلاً فتغير شكلها وبقيت على صلابتها الاولى

فاتضح من ذلك ان صخور باطن الارض المضغوطة وفيها ماء او حرارة شديدة لا يقلل الضغط صلابتها ولو كانت متبلورة الدقائق كالرخام

اصلاح التبغ

لما منعت الحكومة المصرية زرع التبغ في القطر المصري كانت حجتها الكبرى ان التبغ المصري لا يصلح للاصدار الى الخارج لانهُ غير جيد واذا ابيحت زراعتهُ فغلة الفي فدان تكفي القطر المصري ولكن الناس لا يكتفون بزرع الفي فدان فيزرعون اكثر منها فاذا زرعوا اربعة آلاف فدان فلاهم يستطيعون ان يصدروا غلة الالفين الآخرين ولاهم يستطيعون ان يبيعوها في البلاد. ثم ان الحكومة تكتسب الآن مليون جنيه من جمرك التبغ فاذا فرضت هذا المال على الاطيان التي تزرع تبغاً لزمها ان تفرض على الفدان خمس مئة جنيه فاذا اصابت زراعتهُ آفة ما خرب بيت صاحبهِ

ويظهر لنا من بعض التجارب التي جُرّبت في وادي كُنكُتِكت باميركا انهُ يمكن اصلاح التبغ حتى يصير من اجود الانواع بقليل من العناية وذلك بان تظلّل الاراضي التي يزرع فيها بمظلات من الخيش توضع على نحو عشر اقدام فوق الارض . فاذا كان ذلك يصلح التبغ المصري حقيقةً حتى يصير مثل اجود انواع التبغ التركي واباحت الحكومة المصرية زراعتهُ وجعلت مال الفدان مئتي جنيه فلا يبعد ان يزرع الناس عشرة آلاف فدان تستعمل غلة الفي فدان منها في القطر المصري ويصدر ما بقي الى اوربا فتربح البلاد ربحاً كبيراً جداً ويتضاعف دخل الحكومة من التبغ

عناصر الهواء

انبأنا غير مرة ان الدكتور رمسي والدكتور ترفرس اكتشفا عنصراً جديداً في الهواء وهو الارغون ثم اكتشفا عنصرين آخرين سمياهما الكربتون والنيون واستدلاَّ على وجود عنصرين غيرهما سمياهما المتارغون والكسنون وقد جمعا الآن مقداراً كافياً من الكربتون والكسنون فوجدا انهما يشبهان الارغون والهاليوم ووزن الكربتون الجوهري ٨٢ ووزن الكسنون ١٢٨ واوزان هذه العناصر المكتشفة جديداً هكذا الهاليوم ٤ . النيون ٢٠ الارغون ٤٠ الكربتون ٨٢ الكسنون ١٢٨ وخواصها الطبيعية توافق اوزانها الجوهرية

عود الى مخاطبة المريخ

جاءتنا مجلة العلم العام الاميركية بعد طبع ما تقدَّم في اول الاخبار في هذا الجزء فرأينا فيها كلاماً مسهباً عن دعوى المستر تسلا وقد تهكمت عليهِ وقالت انهُ شط عن مسالك العلماء كما وصفناهُ في الجزء الماضي من المقتطف. وهاك ترجمة بعض ما قالتهُ في هذا

الصدد " نشر المستر تسلا مقالة طويلة في جريدة السنتشري الصادرة في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ضمنها بعض الامور الكهربائية وقضايا فلسفية واجتماعية خلط فيها خلطاً وبناها على آراء سداها الجهل ولحمتها الخطأ والدعوى . ونُشرت مقالة في جريدة الشمس (الاميركية) في ٣ يناير توصف فيها اشغال المستر تسلا في كولورادو ويقال فيها انهُ يرمي الى ثلاثة اغراض الاول نقل القوة من غير اسلاك معدنية والثاني اصلاح طريقة ارسال التلغرافات تحت البحر . وهذان الغرضان تجاريان ونتمنى لهُ النجاح فيهما ومتى نجح نسمع عن نجاحهِ من ديوان الامتيازات واذا اوصلت تجاربهُ فيهما الى ما تزيد بهِ معارف الناس استحق شكرنا الجزيل ولا يبخل عليهِ احد بهِ . واما الغرض الثالث فيقول انهُ يتضمن التسلط على القوى الكهربائية ومتى تمَّ بحثهُ فيهِ يعلنهُ للجمهور اما الآن فقد انتبه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سبباً في الشمس ولا في شيء يعرفهُ على كرة الارض فحسب انها اشارات الينا من سكان المريخ او غيرهِ من الكواكب السيَّارة البالغة عشرين او خمسة وعشرين عدًّا . والظاهر ان المستر تسلا يريد ان يشتهر اسمهُ في الجرائد اليومية . وكل احد يسرُّ اذا ثبت ان سكان المريخ يشيرون الينا ولكن المستر تسلا لم يقم شبه دليل على صحة دعواهُ وهي ليست من العلم في شيء. وتجاربهُ الكهربائية غرضها تجاري فتقاس بنتائجها التجارية . واما آراؤهُ فطائشة لا يعتدُّ بها وفلسفتهُ مشحونة بالجهل فلا قيمة لها " انتهى

هذا ما ذكرتهُ مجلة تعدُّ الاولى بين المجلات العلمية الاميركية . وقد ذكرنا في صدر الاخبار العلمية ما قالتهُ جريدة السينتفك اميركان وقول هاتين الجريدتين حجة قاطعة على فساد كل ما زعمهُ تسلا وغيرهُ من المصدقين قولهُ

الاحتفال بعيد الجلوس

احتفل سكان القطر المصري عموماً وسكان العاصمة خصوصاً بعيد جلوس الجناب العالي على سدَّة الخديوية المصرية ليلة الثامن من شهر يناير وتألفت لذلك لجنة في العاصمة رأسها عطوفتلو عبد القادر باشا حلمي وانضمَّ اليها كثيرون من وجوه العاصمة وسائر مدن القطر وجعلت شرط الاشتراك فيها ان يدفع الطالب اكثر من عشرة جنيهات واعتبرت اصحاب الجرائد المصرية من اعضائها الاكراميين ورؤساء الجمعيات الخيرية من اعضائها العاملين . واقامت معالم الزينة في حديقة الازبكية وسار موكب من تلامذة المدارس بالانوار مع موسيقى الجيش المصري وموسيقى سجن الاحداث من شارع وجه البركة ومر امام نزل شبرد ونزل الكنتيننتال ودار في ساحة الاوبرا

ثم سار الموكب في شارع عابدين الى ان وصل الى سراي عابدين فوقف هناك امام باب التشريفات الكبرى وصدحت الموسيق حينئذٍ بالسلام الخديوي ورتل التلامذة نشيدهم المخصوص ثم دار الموكب على نفسهِ وعاد في شارع عابدين حتى قرب من حديقة الازبكية فانقسم قسمين دخلاها من الباب الغربي والجنوبي حتى اذا التقيا عند قنطرة البحيرة طافا حولها وابتدأت الالعاب النارية

وكانت اللجنة قد زينت الحديقة زينة باهرة وضربت فيها السرادقات الفخيمة اعلاها سرادق الجناب الخديوي ويتلوهُ سرادق البرنسات والنظار وقناصل الدول الجنرالية ثم سرادق الوجوه والاعيان ونظمت فيها الانوار الكثيرة ولاسيما الانوار الكهربائية الساطعة ونصبت عن يمين البحيرة ثلاث قناطر شبيهة بقناطر السدود في الصعيد يتدفق منها الماء وقد البستها الانوار حللاً بهية

وحضر الجناب الخديوي التمثيل في الاوبرا الخديوية وهو من جملة مظاهر الاحتفال وحضر دولة اخيهِ البرنس محمد علي مجالي الزينة في حديقة الازبكية. وقد غصت الحديقة بكبار القطر المصري والنزلاء فيهِ وفي مقدمتهم مختار باشا الغازي وبطرس باشا غالي ومظلوم باشا وعباني باشا والمستر غورست والمستر متشل وكان رئيس اللجنة واعضاؤُها يقابلون الجماهير بالانس والاكرام

البعوض والملاريا

ذكرنا في الصفحة ٤٦٨ من المجلد الخامس والعشرين ان الدكتور لو والدكتور سامبون مضيا الى آجام رومية في شهر يونيو الماضي وسكنا في البيت الذي اشار الدكتور مانسون ان يبنى فيها وتوضع الناموسيات حول اسرَّتهِ فتمنع دخول البعوض الى من ينام فيها وانهما كانا لا يزالان سليمين حتى ذلك الحين. وقد قرأنا الآن انهما عادا الى مدينة لندن سليمين بعد ان قضيا الصيف والخريف هناك مع ان الحمى الملارية اشتدَّت اشتداداً غير عادي هذه السنة حتى انهُ مرض بها خمسة عشر من ستة عشر رجلاً من رجال الشرطة مضوا الى هناك واقاموا ليلة واحدة

قتلى الضواري وقتلى الافاعي

قتلت الضواري ٢٩٦٦ نفساً في بلاد الهند سنة ١٨٩٩ و٨٩٩ من هؤُلاء قتلتهم الفهود و٣٣٨ قتلتهم الذئاب و٣٢٧ قتلتهم النمور والباقون قتلتهم الادباب والافيال والضباع التماسيح وما اشبه. اما الافاعي فقتلت وحدها ٢٤٦٢١ نفساً اكثرهم من سكان بنغالا لان السيل فيها يطرد الافاعي من المنخفضات الى الاراضي العالية التي فيها مساكن الناس . غير ان الضواري افترست تلك السنة ٩٨٢٣٨ من البقر. والافاعي قتلت ٩٤٤٩ رأساً فقط . فالضواري افتك

بالمواشي منها بالناس . والافاعي افتك بالناس منها بالمواشي

مضار النمل الابيض

اخبرنا القادمون من اعالي السودان ان النمل الابيض هناك لا يبقي على شيء حتى انهُ ليأكل الثياب والاحذية وقد ضاقت الحكومة المصرية بهِ ذرعاً لانهُ ينخر اعمدة التلغراف و يأكلها حتى اضطرّت اخيرًا ان تنصب اعمدة من الحديد او تطلي اعمدة الخشب بدهان يبعد النمل عنها . والظاهر ان ضربة النمل الابيض منتشرة في كل افريقية من اصوان الى الترنسفال وقد قرأنا شهادات كثيرة على فائدة الدهان المشار اليهِ آنفاً وانهُ يقي الخشب من النمل الابيض ومن الرطوبة ايضاً ويمنع دخل الرطوبة في المباني كلها سواء كانت من القرميد او من الحجر وعليهِ فقد انحلَّت مسألة من اغوص المسائل وهي حفظ الخشب في البلدان التي يكثر فيها هذا النمل

السر جون افانس

انسنا بلقاء العلاَّمة المفضال السر جون افانس رئيس جمعية علم النقود وسكرتير جمعية لندن الجيولوجية وهو من مشاهير علماء الانكليز رأس مجمع ترقية العلوم البريطاني لما التأم في كندا سنة ١٨٩٨ والجمعية الجيولوجية وبقي اميناً لصندوق الجمعية الملكية الانكليزية عشرين سنة من ١٨٧٨ الى ١٨٩٨ ولهُ من المؤلفات كتاب في النقود البريطانية القديمة وكتاب في ادوات الطران القديمة وكتاب في ادوات البرنز القديمة وهو على كبر سنهِ (فانهُ في الثامنة والسبعين من عمرهِ) انيس الوجه كبير الهمة كانهُ شاب في مقتبل العمر . قدم العاصمة مع زوجتهِ لادي افانس وذهب الى اصوان ثم سافر قاصداً اثينا فكريت حيث ابنهُ يبحث في آثار تلك الجزيرة

مسز لوس ومسز جبسن

وانسنا ايضاً بلقاء العالمتين الفاضلتين مسز لوس ومسز جبسن قدمتا القطر المصري لدرس اللغة القبطية والبحث عن آثار الاقباط وكتبهم القديمة وهي همة علية لهما تذكر لتشكر

هبات اميركية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان الدكتور بيرسنس اعطى مدرسة كلورادو الكلية خمسين الف ريال ومدرسة فورث وسترن ثلاثين الف ريال ووهب مدرسة اخرى مئتي الف ريال وتبلغ هباتهُ كلها للمدارس ثلاثة ملايين من الريالات اي ستمئة الف جنيه

مؤتمر السل

يعقد مؤتمر البحث في مرض السل في مدينة لندن من ٢٢ يوليو المقبل الى ٢٦ منهُ وهو ثلاثة اقسام الاول اداري ورئيسهُ السر هربرت مكسول والثاني طبي ورئيسهُ السر

دغلس بول والثالث باثولوجي وبكتيريولوجي ورئيسهُ الاستاذ سمس وودهد والرابع يطري (عن سل الحيوانات) ورئيسهُ السر جورج برون . وقد دعيت الحكومات كلها في اوربا واسيا واميركا لارسال النوّاب اليهِ . والغرض منهُ البحث عن الوسائل التي يمكن استعمالها لدفع هذا الداء الفتاك

الاستاذ بوتان

توفي الاستاذ بوتان الطبيب الفرنسوي الشهير صاحب المباحث الدقيقة في امراض القلب والخطب المفيدة في الطب الكلينيكي . وهو من اكبر الثقات في علم الفسيولوجيا كما انهُ من اكبر الثقات في علم الطب وقد استنبط آلة لقياس الضغط الشرياني (سفيغمومتر) من ادق ما صُنع من نوعها ولهُ البحث المستفاض في استقصاء الامراض بواسطة ضرب القلب وكان عضواً في اكادمية باريس الطبية وفي اكادمية العلوم وتوفي في الخامسة والسبعين من عمرهِ

ناووس بديع

كل من شاهد الناووس البديع الذي أُخرج من مدينة صيداء وارسل الى الاستانة شهد انهُ ابدع ما صنعهُ الصناع قديماً وحديثاً . والظاهر انهُ قسم للمتحف السلطاني في الاستانة ان تكون فيهِ ابدع مصنوعات الناس فقد قرأْنا الآن انهُ وجد ناووس آخر مثلهُ قرب مدينة قونية في اسيا الصغرى وهو من الرخام وعليهِ نقوش كثيرة تمثل ازهاراً وحيوانات وصور اناس وثقلهُ نحو ثلاثين طناً اي نحو ٣٢ الف اقة وسينقل الى الاستانة ويوضع في دار التحف

شهيد العلم

مضى الدكتور درهم والدكتور ميرس في شهر يونيو الماضي الى الاماكن التي تكثر فيها الحمَّى الصفراء في برازيل للبحث عنها وعن علاج لها فاصيبا بهذه الحمى ومات الثاني منها بها في العشرين من شهر يناير الماضي

مدرسة شيكاغو

وهب المستر ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليوناً ونصف مليون من الريالات اي ثلثمئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها البالغة نحو مليونين من الجنيهات ووهبها ليون مندل ٢٥ الف ريال فوق هباتهِ السابقة لها

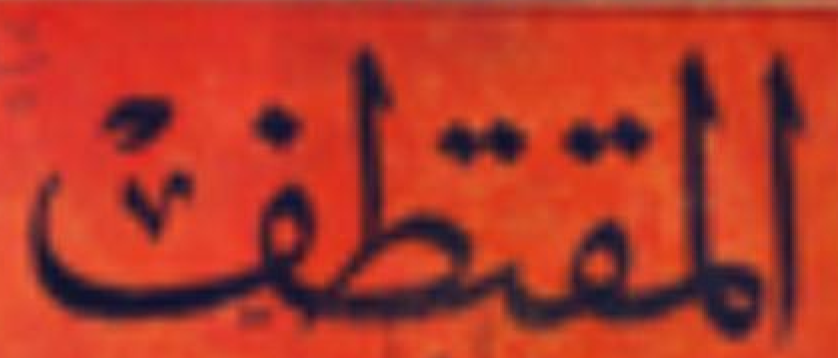
نجوم الثريَّا

ترى العين في الثريَّا ستة نجوم او سبعة ولكن العين الفلكية رأَت فيها بآلة الفوتوغراف في مرصد هارفرد ٣٩٧٢ نجماً

عدد النيازك

ظهر بالحساب ان الرجم التي تسقط على الارض يومياً وهي كبيرة حتى ترى كأَنها نجوم ساقطة من السماء او نيازك يبلغ عددها عشرين مليوناً

فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين



December 1930 — ديسمبر ١٩٣٠

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٠ ذي القعدة سنة ١٣١٨

ڤردي VERDI



الامة جسم حي تولد وتنمو وتبلغ الفتوَّة والكهولة والشيخوخة والهرم مثل جسم الانسان والحيوان وفيها اعضاء رئيسة لا بدَّ لها منها لنموها وارتقائها وفيها اعضاء أُخرى نسبتها الى الاعضاء الرئيسة نسبة الفضلة الى العمدة فتقطع ولا يؤَثر قطعها في حياة الامة ونموها . والاعضاء الرئيسة هي نوابغ الامة في العلم والعرفان في السياسة والادارة في الاختراع والابتكار في ما يقوي الامة ويرقيها ويوسع عليها موارد الرزق ويثقف عقولها ويرقي آدابها ويدمث اخلاقها ويبهج نفوسها . ومن هؤلاء النوابغ الذين تفاخر بهم الامة الايطالية غيرها من امم الارض السنيور ڤردي المعروف في القطر المصري برواية عائدة التي أنشأ الحانها للاوبرة الخديوية خاصةً فارتقى بها مقامهُ الى اوج موقعي الموسيقى وذاع اسمهُ في الخافقين . ولكرم اسمعيل باشا

الخديوي الاسبق اليد الطولى في شهرة هذا الرجل لان القرائح لا تُذكى بشيء كما تذكى اذا وجدت من يقدرها قدرها. ولا ندري هل اكتشف اسمعيل باشا قريحة فردي بنفسهِ فاذكى نارها او اغراهُ غيرهُ بدفع المال له فدفعهُ ارضاءً للغير لا شاكياً ولا شاكراً على جاري عادتهِ من قطع السنة الطامعين فيهِ بكل ما لديهِ من الصلاة ليخلص من لجاجتهم. والرأي الثاني هو الاوجه عندنا لانهُ لم يكتشف بين ابناء بلادهِ قريحة واحدة فيذكيها وهي لم تخلُ من القرائح

ولد فردي في التاسع من اكتوبر سنة ١٨١٣ فتوفي في الثامنة والثمانين . عمرابتدا بالفقر المدقع وتوسط بالشهرة الفائقة وختم بالغنى وجلالة القدر واعمال البر والاحسان ومسقط رأسهِ قرية رنكول على سبعة عشر ميلاً من بارما . وفي السنة التالية من ولادتهِ كانت ايطاليا ميداناً لجنود الدول المتحدة على فرنسا فعاثت فيها ولجأ نساء قريتهِ الى الكنيسة فكسر الجنود ابوابها ودخلوها ولم يعفوا عن ولد ولا عن امرأة الا ان امهُ حملتهُ وصعدت بهِ الى قبة الجرس واختفت هناك فلم يرها احد

وسمع فردي رجلاً يلعب على الكمنجه وهو ولد صغير فتنبهت قريحتهُ الموسيقية والحَّ على ابيهِ حتى اشترى لهُ ربابةً صغيرة جعل ينقر عليها ساعةً بعد ساعة من غير ملل . وكان في قرية ابيهِ رجل يلعب على ارغن الكنيسة فعلمهُ المبادىء التي عرفها ولم يحل عليهِ الحول حتى وجد انهُ صار يعرف مثلهُ فلم يعد عندهُ شيء آخر يعلمهُ اياهُ

وكان ابو فردي على غاية من الفقر ولهُ في قريتهِ دكان صغير كان يجلب ما يبيعهُ فيهِ من بلدة بوستو من بدال اسمهُ بارزي فرضي هذا الرجل ان يضع فردي عندهُ صانعاً وكان يميل الى الموسيقى فسرَّ بما رآهُ منهُ وساعدهُ على تعلمها . ولما صار عمر فردي عشر سنوات اختير للعب على الارغن في كنيسة قريتهِ وجعلت اجرتهُ نحو مئة واربعين غرشاً في السنة

وكان يطمع في وضع الانغام للروايات الشعرية وعلم ان ذلك لا يتم لهُ ما لم يقرإِ الموسيقى على اهلها فلجأ الى البدال بارزي فقرضهُ ما يحتاج اليهِ من النقود ومضى بها الى ميلان ليتعلم في مدرسة الموسيقى فلم يرَ منهُ اساتذتها ما يدل على نجابتهِ فرفضوهُ . فجعل يدرس الفن على رجل اسمهُ لافنجا . وبعد سنتين توفي الرجل الذي يلعب على الارغن في كنيسة بوستو حيث معلمهُ البدَّال فاختير لها وكان يحب ابنة بوستو فاقترن بها سنة ١٨٣٦

ووضع انغام الرواية المسماة اوبرتو سنة ١٨٣٨ ومضى بها الى ميلان . وكانت جمعية حب الموسيقى عازمة على انشاد منظومة لهيدن وغاب المدير الذي يقود اللاعبين فطلبت من فردي ان يقوم مقامهُ فادهش السامعين بمهارتهِ فعين مديراً للموسيقى فيها

وبعد عناء كثير مُثلت رواية اوبرتو سنة ١٨٣٩ فنجحت نجاحا عظيماً وكان مرلي يدير الاوبرة في ميلان وفينَّا فطلب منهُ ان يضع لهُ انغام ثلاث روايات شعرية من نوع الاوبرة وهو يدفع لهُ عن كل واحدة ١٣٤ جنيهاً ونصف الربح من بيع ما يطابع منها . فوقع هذا الطلب منهُ وقوع المطر من الارض العطشانة لانهُ كان قد عجز عن دفع اجرة بيتهِ وعزم ان يقترض من حميهِ عشرة جنيهات فطلب من مرلي ان يدفع اليهِ جانباً من الاجرة سلفاً فلم يقبل فاسقط في يدهِ وضاقت الدنيا في عينيهِ ولم يعرف كيف يجد اجرة بيتهِ حتى مرض من جراء ذلك لكن زوجتهُ بادرت الى معونتهِ وجمعت ما عندها من الحلى ومضت ورهنتها عند صراف واتتهُ بالنقود ليدفع اجرة البيت . قال فردي بعد ذلك "ولا اعلم كيف سهل عليها رهن حلاها ولكن فعلها هذا اثَّر في اعماق نفسي فعزمت ان لا يهدأ لي بال حتى استفك الرهن"

والمصايب لا تأتي فرادى فمرض ولداهُ وزوجتهُ وتوفوا في اقل من ثلاثة اشهر وهاك ما قالهُ في هذا الصدد "مرض ابني في شهر ابريل (سنة ١٨٤٠) ولم يعرف الطبيب علتهُ فزاد ضعفاً الى ان مات على ذراعي والدتهِ فانصدع فؤادها ثم مرضت اختهُ وقضت نحبها حالاً ولم يأتِ شهر يونيو حتى مرضت زوجتي بالحمى الدماغية وفي التاسع عشر من ذلك الشهر حملت الجثة الثالثة من بيتي وامسيت وحيداً شريداً . في اقل من ثلاثة اشهر خرج من بيتي ثلاثة وهم كل الذين احبهم في هذه الدنيا"

ووضع انغام رواية بعد بضعة اشهر فلم يستحسنها احد والظاهر ان حزنهُ على زوجتهِ وولديهِ الوحيدين بلبل بالهُ فلم يحسن الايقاع فاسقط في يدهِ وعزم ان لا يوقع نغماً آخر لكن قريحتهُ عادت فانتعشت واستردَّت مضاءها فوضع انغام رواية نبوخذنصر سنة ١٨٤١ ومثلت في شهر مارس التالي فاطلعت نجمهُ في سعد السعود . وهاك ما قالهُ عنها "هنا ابتدأ نجاحي في الموسيقى فان رواية نبوخذنصر وضعت انغامها في طالع سعد لان المصاعب التي حالت اولاً دون نجاحها تحوَّلت الى معينات لها . وكان ذلك بعد ان صبرت على مضض الفقر والقنوط زماناً طويلاً وضحك عليَّ كل اصحاب المطابع وطردني ممثلو الروايات وضعف قلبي وخارت قواي ولم اثبت على عزمي الأعناداً حتى سمح لي ان اجرب رواية نبوخذنصر في مشهد لاسكالا بميلان . وكان العمال يصلحون المشهد وجعل المغنون يغنون على اقبح ما يكون ولكنهم لم يتقدموا في الغناء كثيراً حتى ترك العمَّال اعمالهم واصغوا الى صوت الموسيقى كأنهم في كنيسة حتى اذا تمَّ فصل الغناء اندفعوا يصفقون وينادون برافو برافو ڤيف إل ميسترو (اي احسنت احسنت ليعش رب الفن) فعلمتُ حينئذٍ ان المستقبل لي

وتلت هذه الرواية روايات اخرى الى ان وضع انغام رواية عائدة ومثلت في الاوبرة الخديوية اول مرة سنة ١٨٧١ ثم في كل مشاهد التمثيل في اوربا واميركا الاّ في مشهد بيروت بالمانيا حيث تمثل روايات وغنر. وارتقى بها اسم فردي حالاً الى الطبقة العليا بين ارباب الموسيقى رأينا هذه الرواية تمثل مراراً في الاوبرة الخديوية وسمعنا ما فيها من الموسيقى الشجية وقد كنا نحتقر الديانة الوثنية ونزدري خزعبلات كهنتها وكاهناتها ونستخف عقول اصحابها ولا ندري ما يحملهم فيها على التدين والتقوى حتى شاهدنا فصول هذه الرواية وسمعنا انغامها الشجية ورأينا كاهناتها يكدن يذبن خشوعاً ويذبن الجماد بالحانهنَّ واصوات المعازف التي تعزف معهنَّ وتمتزج حركاتهنَّ بانغامهنَّ امتزاج الخمر بالماء والراح بالروح فانجلى لنا سرٌّ غامض ورأينا سلطة الموسيقى على العقول وعلمنا انها كانت الركن الاول من اركان العبادة. وسواء كان الغناء قد بلغ هذا المبلغ في هياكل المصريين او لم يبلغهُ ولا بلغ ما يدانيهِ فلا شبهة انهُ كان يؤثر في نفوسهم هو وخشوع كهنتهم وكاهناتهم تأثيراً يخلب العقول ويجذب النفوس الى التدين والتقوى. ولم نكد نفرغ من كتابة هذه السطور حتى جاءنا بريد اوربا بمجلة القرن التاسع عشر وفيها مقالة عن فردي بقلم تلميذهِ ادورد جريج النروجي ذكر فيها رواية عائدة ووفاها حقها من الوصف حيث قال ما ترجمتهُ

" ووقف فردي عن الايقاع والتلحين مدة ثم انشأ انغام عائدة سنة ١٨٧١. انشأها فاعجب وابدع. اذا سألني سائل مأخذ مَن اخذ فردي فيها عجزت عن الجواب لانها مبتكرة واقفة وحدها على قمة الفن في كل العصور. نعم ان ارباب الفن المحدثين في فرنسا والمانيا افادوهُ ولكن فائدتهُ منهم كانت مقصورة على تنبيههِ لا غير. عائدة تحفة يتيمة افرغ فيها قريحتهُ الخاصة بهِ واضاف اليها احسن ما بلغهُ فن الموسيقى في هذا العصر فامتزج فيها فردي الايطالي وفردي الاوربي ولذلك بدت انغامها لابسة حلة عامة يدركها كل واحد ففازت بالنجاح في كل الدنيا لانها تتكلم بلغة الناس كلهم (اي الموسيقى العامة) ولذلك لا نضطر ان نرجع الى ايطاليا لفهمها. وانغامها وموافقاتها وتوقيع المعازف بعضها مع بعض كل ذلك يستحق الاعجاب ويزاد عليهِ الصبغة المصرية التي للرواية لا لان فردي درس التاريخ المصري درساً دقيقاً فاستخلص منهُ انغام الرواية بل لان مخيلتهُ نقلتهُ الى وادي النيل فاستنبط ما ينطبق على احوال المكان والزمان حتى ان مَن يرى بداءة الفصل الثالث منها مثلاً ويسمع انغامهُ يظن نفسهُ في ليلة ليلاء على ضفة النيل"

ووضع انغام اوتلو بعد ست عشرة سنة فارتقى بها الى اوج مجدهِ ولم ينحط عنهُ بقية عمرهِ ووضع بعدها انغام الفلستاف سنة ١٨٩٣ قال المستر ستر تفيلد في وصف هاتين الروايتين.

" انهُ يتعذَّر عليَّ ان لا اغالي في وصفها لان اعجابي بهما يقرب من العبادة . ولم يجمع الناس كلهم على مدح رواية كما اجمعوا على مدح الفلستاف وهو ان ودَّع الدنيا بها ودَّعها باسماً مسروراً "

وكما ان الخطباء لا يفلحون ما لم يكن فيهم ميل الى الثورة والانتقاض على الحالة التي فيها بلادهم كذلك ارباب فن الغناء لا يختلبون الالباب ما لم يميلوا هذا الميل . ومن امثلة ذلك ما رأيناهُ في هذه العاصمة لما تغنَّى عبدو افندي الحمولي بالصوت الذي مطلعهُ " عشنا وشفنا العجب " فانهُ حكَّ بهِ حزازات في الصدور فارتاحت اليهِ النفوس ايَّ ارتياح . وهكذا كان شأن فردي فانهُ لما نشأ كانت بلاد لمبرديا في يد النمسويين وكان سكانها الايطاليون ناقمين عليهم راغبين في الثورة لخلع نيرهم بجاههم على حسب اهوائهم وضمَّن اوبراتهِ امیالاً ثورویة فانتعشت بهِ نفوسهم وجعلوا يحيونهُ في المشاهد وينادون ليحيَ فردي . وفي اسمهِ Verdi خمسة احرف مثل الاحرف الاوَّل في هذه العبارة Victor Emmanuel Re D'Italia. فكأنهم كانوا ينادون ليحيَ فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا . فزادت شهرتهُ عند الايطاليين وعلا مقامهُ في نفوسهم . وضمَّن كثيراً من رواياتهِ الحض على الثورة وطلب الاستقلال فلم تكن تمثَّل الاَّ وينتهي تمثيلها بثورة في الخواطر ومظاهرات بطلب الاستقلال واذا اعترض رجال الشحنة النمسويون قال الايطاليون انما نحن نباهي بفردي وندعو باسمهِ . حتى اذا تحرَّرت ايطاليا كلها جُعل عضواً في مجلس النواب لاشتراكهِ في تحرير بلادهِ

وانهالت الثروة على فردي بعد الفقر المدقع فان اسمعيل باشا اعطاهُ مئة وخمسين الف فرنك لما الف لهُ انغام عائدة وكل الذين مثَّلوها في اوربا واميركا دفعوا لهُ شيئاً كجزية وقس على ذلك اوبراتهِ الاخرى فانهُ ربح منها كلها ربحاً وافراً لكنهُ بقي على بساطة المعيشة وانفق امواله في الاعمال النافعة لبلادهِ وامتهِ فانشأ مستشفى سنة ١٨٨٨ وداراً للعجزة من رجال الموسيقى تسع ستين رجلاً واربعين امرأة يقيمون فيها آكلين شاربين . وتزوج ثانية سنة ١٨٥١ بامرأة مشهورة بالغناء . وبيتهُ في سنت اغاتا متحف للصور البديعة والكتب النادرة

ومن النوادر الكثيرة التي تظهر بساطتهُ واستقامتهُ ان رجلاً اراد ان يسمع اوبرة من اوبراتهِ فقصد المشهد الذي تُغنَّى فيهِ وكان بعيداً عنهُ فدفع اجرة السفر ولم يسرَّ بسماعها . فقصد المشهد ثانية وسمعها فلم تعجبهُ فكتب الى فردي يشكو من ذلك ويقول لهُ انني دفعت كذا وكذا على سماع الاوبرة الفلانية فاضعت مالي سدى . فكتب فردي الى وكيلهِ يقول ادفع اليهِ كل ما دفعهُ ما عدا ثمن الاكل وخذ عليهِ صكاً انهُ ما عاد يطالبني بشيء اذا سمع اوبرة من اوبراتي ولم تعجبهُ . وتوفي في السابع والعشرين من يناير الماضي فاسفت عليهِ ايطاليا

والعالم اجمع ووردت تلغرافات التعزية على عائلتهِ من ملك ايطاليا بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن بيت الملك ومن السنيور غالو بالنيابة عن الحكومة الايطالية ومن دون بروسبر و كولونا بالنيابة عن رومية . وجاء في تلغراف الملك انهُ "مشارك لعائلة الفقيد في الحزن الشديد على فقيدها ومشارك لايطاليا وللعالم اجمع في الاكرام لذكر فردي الخالد والاعجاب بهِ في الساعة التي خسرت فيها الامة الايطالية بفقدهِ خسارة لا اعظم منها ولا مثيل لها" . واجتمع مجلس الشيوخ اجتماعاً خاصاً وقرَّر ان يحتفل بجنازتهِ على نفقة الحكومة ويرسل مندوبون من المجلس لحضور الجنازة وينصب لهُ تمثال في المجلس يبقى اثرًا خالدًا لهُ فيهِ . وأُقفلت المشاهد والملاهي والمدارس والمخازن في ميلان احتراماً لهُ ووضعت شارات الحداد على البيوت . ولما اجتمع مجلس النواب قام الرئيس وناظر المعارف وسبعة من زعماء الاحزاب المختلفة وابنوهُ احسن تأبين وقرَّر المجلس باجماع الآراء وضع شارات الحداد في المجلس سبعة ايام وتعزية مدينتي بستو وميلان عن فقدهِ ثم فضوا المجلس دلالة على الحداد

هكذا تكرم اوربا نوابغها ولو كانوا من المغنين وهكذا تذكى نار القرائح وتشحذ مواضي الهمم فلا عجب اذا اتقدت الغيرة في فؤاد كل رجل وكل امرأة وسعى كل احد ليكون عظيماً في قومهِ

النور الكهربائي الجديد

انتقدنا على المستر تسلا في الجزء الماضي من المقتطف ادّعاءهُ مخاطبة سكان المريخ او مخاطبتهم ايانا باشارات كهربائية لكن ذلك لا يغمط من فضل الرجل ولا يدلُّ على ان مباحثهُ الاخرى عقيمة مثل هذا المبحث فقد نقلت السينتفك اميركان الآن رسالة نشرها في الشمس الاميركية (نيويورك صَن) ادَّعى فيها انهُ اتَّصل الى اكتشاف قنديل كهربائي ينير نورًا ساطعاً مثل نور الشمس وليس لهُ الاَّ سلك واحد وهاك ترجمة رسالتهِ

ان هذا القنديل هو نتيجة بحثي المستمر منذ ابتدأت في التجارب امام الجمعيات العلمية في هذه البلاد وفي غيرها . وقد تغلَّبت على مصاعب كثيرة لكي اجعلهُ سهل الاستعمال واجعل من عملهِ ربحاً لعامليهِ . ومن جملة هذه المصاعب الحصول على اهتزازات كهربائية سريعة جدًّا على اسلوب بسيط قليل النفقة . وقد تسنَّى لي ذلك وتدلُّ النتائج التي نجحت لي حتى الآن ان هذا النور الجديد سيكون اقل نفقة من النور الكهربائي المستعمل الآن وزد على ذلك انهُ يمتاز عن كل طرق الاستصباح صحيًّا وهو اقرب الانوار كلها الى نور الشمس على ما يظهر لي

والقناديل التي تستعمل لهذا النور انابيب من الزجاج تلوى على اساليب مختلفة حسبما يراد والغالب اني الويها حتى يكون منها شكل قائم الزوايا وحتى تكون مساحة سطح الانبوب الذي في القنديل الواحد ثلاثة عقدة مربعة الى اربع مئة عقدة (نحو الفي سنتمتر مربع الى الفين وخمس مئة) وعلى طرفي هذا الانبوب قشرة معدنية وحلقة يعلق بها في السلك الذي تجري عليه الكهربائية. وفي الانبوب غازات ملطفة الى درجة معلومة عندي عينتها بعد التجارب الكثيرة

وهاك الطريقة التي تنار بها هذه القناديل: يوضع في البيت آلة تحول المجرى الكهربائي العادي الى مجرى سريع الاهتزازات وهذه الاهتزازات السريعة تؤثر في الغشاء المعدني الذي على طرفي انبوب القنديل فيهتز الغاز الذي فيه اهتزازًا سريعًا يحدث منهُ نور ساطع من غير ان يحدث منهُ حرارة كثيرة اي يتحول اكثر فعل الاهتزاز الى نور لا الى حرارة على غير ما يحدث في النور الكهربائي العادي. ولذلك ثلاثة اسباب الاول ان هذه الحركة اهتزازات سريعة جدًّا (اي انها من اهتزازات النور لا من اهتزازات الحرارة لان اهتزازات النور اسرع من اهتزازات الحرارة) والثاني ان الجسم المنير هنا هو غاز لطيف جدًّا فيشع النور من غير ان يزول منهُ شيء والثالث صغر دقائق الغاز المنير الذي في الانبوب فتحرك بسهولة حركات سريعة ولا تحرك الحركات البطيئة حركات الحرارة

ومن مزايا هذا القنديل ايضًا انهُ يبقى على حاله دائمًا فلا يقف ولا تدعو الحال الى ابداله بغيره لانهُ لا يحترق منهُ شيء. وعندي قناديل استعملتها منذ عدة سنوات وحتى الآن لم تزل على حالها. وقوة كلّ منها نحو خمسين شمعة ويمكنني ان اصنع القنديل حتى يكون نورهُ اضعف من ذلك او اقوى كثيرًا كما اشاء. ومن خصائص هذا النور انهُ لا يرى في النهار الا قليلاً واما في الليل فينير البيت به نورًا ساطعًا حتى اذا اعتادتهُ العين صارت ترى النور الكهربائي العادي او نور الغاز المكثف بشبكة اور متعبًا للبصر جدًّا وذلك دليل قاطع على ان النور الكهربائي ونور الغاز متعبان للبصر ولو لم نشعر بهذا التعب الآن لاننا لا نقابلهُ بغيره

ورأيت ان هذا النور يشبه نور الشمس في كل خواصه ولذلك ارجو ان استعمالهُ في المساكن يكون مفيدًا جدًّا كأنهُ نور الشمس فان لنور الشمس فائدة شفائية لا تنكر وهذا النور يقوم مقامهُ تمامًا فتنار البيوت به ليلاً كما تنار بالشمس نهارًا ولا تعود جراثيم الامراض تنمو فيها. ويمكن استعمالهُ لشفاء الامراض الميكروبية كالسل ونحوه بتعرض المريض لهُ دوامًا (اي انهُ يعرض لنور الشمس نهارًا ولهذا النور ليلاً). وقد وجدت بالاختبار انهُ يسكن الاعصاب وانا انسب ذلك الى فعله بشبكية العين. وهو يصلح البصر ايضًا كما يصلحهُ نور الشمس ويولد

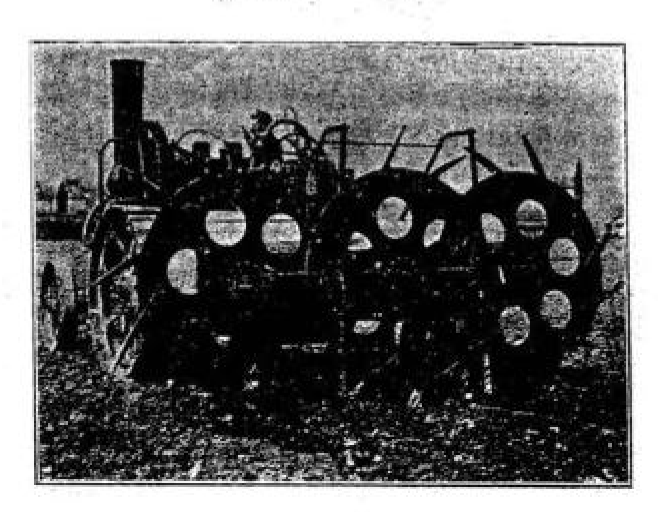
الاوزون في الهواء الى الحد المطلوب فاذا اريد تكثير الاوزون في المستشفيات لتطهير هوائها استطاع الطبيب ان يولد منهُ المقدار الذي يحتاج اليهِ ثم يوقف تولُّدهُ حينما يشاء

والقناديل رخيصة الثمن جدًّا لانها غير مفرَّغة من الهواء وغاية ما ينظر اليهِ فيها مقدار القوة التي تُنفَق بها. وحتى الآن لا اقدر ان احدد مقدار النفقة اللازمة لهذه القوة ولكني اقول انهُ يتولَّد من كمية معلومة من الكهربائية نورٌ من نوري اكثر مما يتولد منها عادةً. وجل الاعتماد على المحرّك الذي اخترعتهُ فيوضع هذا المحرك في مكان مناسب في اسفل البيت وتوصل اليهِ الكهربائية كما توصل عادة الى البيوت فيغير حركة تموجاتها ويجعلها سريعة جدًّا ثم تنتقل منهُ بالاسلاك العادية الى القناديل الكهربائية المشار اليها آنفاً ويكفي ان يكون لكل قنديل او مجموع من القناديل سلك بدل السلكين. ويمكن ان ينار القنديل من غير اسلاك مطلقاً. وهذا الامر الاخير هو غرضي الاهم فاني ساعٍ لاجعل المصابيح الكهربائية تنير من نفسها حيثما وضعت فتصير تنقل من مكان الى آخر كما تنقل مصابيح البترول والكهربائية تصل اليها في الخلاء من غير موصل معدني. ومتى تمَّ اتقان المحرّك الذي اشرت اليهِ نكون قد بلغنا غايةً ما نتمناهُ وهو ايجاد نور خالٍ من الحرارة. وانا استطيع الآن ان انير البيوت بمصابيح كهربائية لا اسلاك لها ولكنني لا ارى ان ينتشر استعمال هذه المصابيح قبلما يتم كل ما اقصدهُ لها من الاتقان. انتهى

ويظهر لنا من وصف الاستاذ تسلا هذا ومما قرأناهُ عن وصف تجاربهِ المختلفة ان المحرك الذي استنبطهُ لإسراع التموجات الكهربائية يفعل الفعل الذي ادعاهُ لهُ وانهُ يستطيع حقيقةً ان ينير المنازل بقناديل كهربائية غير متصلة بسلك معدني كما قال هنا وانهُ سيكون لمحركهِ هذا شأن كبير في نقل الكهربائية وتغيير خواصها. ومن يستطيع ان يضع حدًّا لنتائج العقول وغرائب الطبيعة. ولا بدَّ من ان ترحّب المجلاَّت العلمية باختراع تسلا هذا وتمدحهُ عليهِ كما لامتهُ على تسرُّعهِ في ما ادعاهُ من مخاطبة سكان المريخ لنا بالاشارات الكهربائية. ولومها لهُ لم يكن مبنيًّا على ان مخاطبة سكان المريخ لنا ضرب من المحال بل على ان كل ما عُلم حتى الآن من امر المريخ لا يدل اقل دلالة على ان فيهِ سكاناً يحاولون مخاطبتنا

وقد قال احد العلماء منذ عهد غير بعيد انهُ يستحيل علينا ان نعرف ماهية العناصر التي في كواكب السماء ولم يمضِ على قولهِ سنون كثيرة حتى كُشف الحل الطيفي وصرنا نعرف بهِ عناصر الكواكب كما نعرف عناصر الخبز الذي نأكلهُ والماء الذي نشربهُ فما ادرانا انهُ لا يكشف ناموس جديد او اسلوب جديد نعرف بهِ كل ما يحدث في كواكب السماء من الاعمال والافعال فيصير عقل الانسان قادراً على ادراك كل ما يحدث في هذا الكون قريباً كان منهُ او بعيداً.

المحراث النوباري



من حين شرع المصريون القدماء في حرث الارض بعود اعقف الى الآن لم يحاول احد ان يغير اسلوب الحرث في ما نعلم بل سار اتقان المحاريث على اسلوب واحد تقريباً وهو شق الارض وقلبها في جهة سير السكة فيها . والظاهر ان صاحب السعادة بوغوص باشا نوبار جرى مجرى اكثر المخترعين العظام فغادر الطريق المطروق واختطّ لنفسهِ طريقاً جديداً فصنع محراثاً ذا ثلاثة تروس فيها سكاكين كثيرة على محيطها تخرط الارض وتثيرها كأنها تعزقها عزقاً وحركتها عمودية على الجهة التي يسير فيها المحراث اي اذا سار المحراث من الغرب الى الشرق دارت التروس من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال وشقت الارض واثارت ترابها بسكاكينها الكثيرة . وقد نقلنا هذا الرسم عن صورة فوتوغرافية اهداها المخترع الينا وفيهِ صورة الآلة البخارية ولها اربع عجلات واسعة جداً تسير عليها بسهولة في الاراضي الزراعية ولو كان ترابها ناعماً وهذهِ الآلة تدير الاتراس الثلاثة المتصلة بها فتدير الترس المتوسط في جهة عقارب الساعة وتدير الترسين الآخرين في الجهة المقابلة

وفي الخامس عشر من الشهر الماضي دعا المخترع جمهوراً من وجوه العاصمة لرؤية هذا المحراث في اطيانهِ بشبرا واعدَّ لهم قطاراً خاصاً ينقلهم اليها فلبى الدعوة اصحاب الدولة البرنس

ابرهيم باشا والبرنس فؤاد باشا والبرنس عزيز بك ومختار باشا الغازي ورياض باشا وناظر الاشغال والمعارف وناظر الخارجية وناظر الحربية ووكلاء الدول ورؤساء مصالح الحكومة وكثيرون من وجوه العاصمة وكبار اهل الزراعة . ولما وصلوا كان مهندسا الحراث وعملاؤهُ قد استعدوا لتجربتهِ فسيراهُ بقوة البخار فسار وجعل يحرث الارض حرثًا جيدًا في عرض قصبة حتى اذا سار نحو مئتي متر رفعت التروس الثلاثة بلوالب ترفع بها وادير الحراث كلهُ وعاد يحرث الارض راجعًا كما حرثها ذاهبًا

وقد سُرَّ المدعوون سرورًا عظيمًا لما رأوهُ يحرث الارض وهو سائر امامهم وهم سائرون وراءهُ . واخبرنا سعادة مخترعهِ انهُ يقدر حرثهُ من ستة افدنة الى ثمانية في اليوم وان عمل محراث حجمهُ كحجمهِ وقوتهُ ثمانية احصنة مثل قوتهِ يقتضي الف جنيه على الاكثر و ٨٠٠ جنيه على الاقل . وقد حسب المزارعون الخبيرون ان نفقتهُ تبلغ ٢٥ فرنكًا الى ٣٠ فرنكًا في اليوم فتكون نفقة حرث الفدان بهِ كنفقة حرثهِ بالبقر ولكن الحرث بهِ مرة واحدة مثل الحرث بالبقر مرتين ولذلك فنفقة الحرث بهِ نصف نفقة الحرث بالمحراث العادي

الاَّ انهُ يعوز هذا الحراث اصلاح جوهري ادركهُ الذين شاهدوا الحرث بهِ كما ادركهُ سعادة مخترعهِ قبلهم وهو انهُ تبقى قدةٌ من الارض غير محروثة بين كل ترسين وقد عزم المخترع ان يضيف اليهِ ترسين صغيرين يحرثان ما لا تصل اليهِ اسنان الاتراس الثلاثة . ويظن بعض المزارعين ان التربة التي تحرث بهِ لا تعرَّض للهواء ونور الشمس كالتربة التي تُحرَث بالمحاريث المعتادة لكن هذا الظن لا يعلم صوابهُ من خطائهِ الاَّ بعد طول التجربة والامتحان . وقد سمعنا جماعة من كبار المزارعين يقولون انهم سيصبرون سنة حتى يتحققوا نتيجة الحرث بهِ ثم يقتنونهُ اذا وجدوا النتيجة حسنة لانهُ يغنيهم عن مشقة عظيمة ونفقة غير قليلة . واما اصحاب الاطيان القليلة فلا يكاد يؤمل انهم يعوّلون عليهِ في حرث اطيانهم الاَّ اذا اشترك جماعة منهم في محراث واحد او اذا اقتناهُ واحد وحرث بهِ اطيان غيرهِ بالاجرة

وقد اثنى الجميع احسن ثناء على سعادة المخترع ودخلوا السرادق الذي اعدهُ لهم فتناولوا المرطبات وعادوا يتحدثون بمزايا هذا الاختراع ويباهون ببراعة المخترع ويتمنون ان يكثر في الشرق امثالهُ من اصحاب الهمم الذين لا تقعدهم الثروة عن الجد والكد ولا يلهيهم اليسار عن الاختراع في الصناعة والاستنباط في الزراعة . وعسى ان نوافي القراء قريبًا بما يدلُّ على نجاح هذا الحراث واقبال الكثيرين على استعمالهِ

حياة هكسلي واشغاله

من خطبة للورد افبري (السر جون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان (الانثربولوجيا) ببلاد الانكليز

(تابع ما قبله)

ومما يستحق الالتفات في حياة هكسلي اهتمامه بالمباحث التي وراء الطبيعة فلما أُنشئت جمعية ما وراء الطبيعة سنة ١٨٦٩ ارتاب اعضاؤها في هل يدعون هكسلي وتندل للانضمام اليها وارسلوا المستر نولس (محرر مجلة القرن التاسع عشر) اليَّ يستشيرونني في الامر فقلت اني احسب اقصاءهما عنا بسبب آرائهما مبطلاً لحرية البحث ويتعذَّر علينا ان نضع حدًّا فاصلاً بين الآراء التي تجيز لاصحابها الانتظام في سلكنا والآراء التي تمنع اصحابها من هذا الانتظام مع ان كلَّ انسان حرٌّ في رأيهِ وجمعيتنا لم تقيد آراء الناس . وهكسلي وتندل تخالفان في الرأي للبعض منا ولكن لا يمكن ان يعبِّرا عن رأيهما تعبيرًا يغيظ احدًا

وكان في هذه الجمعية نحو اربعين عضوًا وبينهم طمسن ورئيس اساقفة يورك واسقف غلوستر وديّن ستنلي وديّن الفُرد من زعماء الكنيسة الانكليزية . والكردينال منغ والاب دالجرنس والمستر ورد من زعماء الكنيسة الرومانية . وغلادستون ودوق ارجيل ولورد شربروك والسر غرانت دف والمستر مورلي من رجال السياسة . ومرتينو وتنيسن وبرونغ وفردرك هريسن ولسلي ستفنس وغيرهم من رجال الانشاء فلا عجب اذا توقعتُ اعظم الفوائد من هذه الجمعية . وقد حدث فيها ما ادهشني فاننا حرنا اولاً في من نجعلهُ اول رئيس علينا لاختلاف مذاهبنا دينًا وفلسفةً واخيرًا قرَّ القرار على جعلي الرئيس الاول فاذهلني ذلك جدًّا لانني لم اكن انتظرهُ . وكانت حرية البحث مطلقة تمام الاطلاق ولكننا كنا نبحث بالصداقة والمحبة . وكان هكسلي من اقدرنا على البحث والجدال

كنا نتغدَّى معًا ثم يقرأُ واحد من الاعضاء مقالةً في موضوع ما ويدور البحث فيها واخيرًا يقف صاحب المقالة ويلخص البحث ويرد على ما اعترض بهِ عليهِ . وقدم هكسلي مقالات كثيرة لهذه الجمعية وكنا نسرُّ بمناظراتهِ فيها لانهُ كان فائقًا في شدَّة العارضة وقوة الحجَّة

(وهنا فصَّل الخطيب كيف فنَّد هكسلي فلسفة ده كارت التي يزعم فيها ان الحيوانات آلات ميكانيكية لا غير) وكان من نتائج هذه الجمعية وضع هكسلي لكلمة الاغنستك اي اللاادري . قال " لما بلغتُ اشدي وجعلتُ اسأَل نفسي أَموحّد انا ام مشرك أمادي ام روحي امعتنق للدين المسيحي ام غير معتنق لدين من الاديان وجدت انهُ كلما زاد علمي وبحثي اعتاص عليَّ ان اجيب عما تقدَّم

واخيرًا وجدتُ اني لستُ موحّدًا ولا مشركاً ولا ماديًا ولا روحيًا ولا مقيدًا بمذهب من المذاهب الدينية لان الشيء الوحيد الذي يتفق فيهِ الصلاّح من اهل هذه المذاهب هو الشيء الذي اخالفهم فيهِ فانهم يثقون انهم يعرفون بعض الاشياء معرفة اكيدة و يعرفون غاية الوجود. وانا اعلم من نفسي اني لا اعرف هذه الاشياء التي يدعون معرفتها معرفة اكيدة ولا اعرف غاية الوجود. وكان كل واحد تقريبًا من اعضاء جمعيتنا ينتسب الى مذهب من المذاهب الاَّ انا فلم تكن لي نسبة فشعرت شعور الثعلب الذي قُطع ذنبهُ وجاء اخواتهِ الثعالب وهنَّ يجررنَ ذيولهنَّ عجبًا وتيهًا وهو ابتر بينهنَّ ولذلك اعملت فكري واخترعت اللاادرية (اغنستك) لكي انتسب الى مذهب مثل غيري معارضًا بهِ مذهب الغنستك الذين كانوا يدَّعون انهم يعرفون كثيرًا عن كل شيء مما اجهلهُ انا . واستغنمت اول فرصة وحلَّيت اسمي بهذا اللقب لكي يظهر ان لي ذيلاً مثل غيري من الثعالب "

واكد هكسلي انهُ ليس من معتقدي القدَر ولا من الماديين ولا من المعطّلين . قال "لست من معتقدي القدر لان القدر او الاضطرار صيغة منطقية لا اساس لها في العالم المادي. ولا انا من الماديين لانني لا اقدر ان أتصوَّر وجود المادة من غير وجود عقل يكيف صورة وجودها ولا من المعطلين لان مسألة العلة الاولى من المسائل التي لا تدركها عقولنا القاصرة على ما أرى "

وكثيرًا ما يقول علماء الكلام (اللاهوتيون) قولاً مفادهُ ان الانسان يستطيع ان يؤمن بصحة ما لا يفهمهُ كأن الايمان امرٌ خاضع للارادة وكأن من يؤمن بما لا يقدر ان يقيم الادلة على صحتهِ يحسب ايمانهُ بهِ فضيلة لهُ. وانهُ اذا ذُكر لك امر فلا بدَّ من ان تصدقهُ او تكذبهُ ولا وسط بينهما . اما هكسلي فقال كما يقول اكثر رجال العلم انهُ لا يستطيع ان يعتقد صحة شيء ما لم يرَ دليلاً واضحًا على صحتهِ . نعم ان المرء قد يسلم بصحة شيء من غير ان يعلم كيفيتهُ ولكن يستحيل عليهِ ان يعتقد بصحة ما لا يفهمهُ ولذلك يبقى في حالة متوسطة بين الاعتقاد والانكار

والايمان يعتمد على العمل اكثر مما يعتمد على القول فاذا كان الانسان لا يفعل حسبما يؤمن فهو غير مؤمن . ومثال الايمان المقترن بالعمل ان اهالي فيجي يؤمنون بالبعث (القيامة) و يقولون ان الانسان يُبعَث كما مات فاذا مات شابًا بُعث شابًا واذا مات شيخًا بعث شيخًا واذا مات هرمًا بعث هرمًا واذا مات قويًا بعث قويًا واذا مات اطرش بعث اطرش و يفعلون حسبما يؤمنون فيجعل كل واحد منهم اقاربهُ يقتلونهُ وهو في عنفوان قوتهِ حتى لا يموت ضعيفًا فيبعث ضعيفًا . وقد

قال الدكتور ولكس انهُ لم يرَ في مدنهم الكبيرة احداً عمرهُ اكثر من اربعين سنة . هذا هو ايمان راسخ في النفس وايقان ثابت بالمعاد

ويظهر معتقد هكسلي من ثلاثة ابيات كتبتها زوجتهُ على رمسهِ وهي

Be not afraid, ye wailing hearts, that weep,
For still He giveth His beloved sleep,
And if an endless sleep He wills—so best.

ومعنى هذه الابيات " لا تخافي ايتها القلوب الباكية المنتحبة لانهُ (اي الله) يعطي حبيبهُ نوماً واذا اراد ان يكون هذا النوم ابدياً فذلك هو الاحسن "

وهذا اعتراف صريح بوجود الخالق اما المعاد فالذي ينكرهُ هو الذي يعيش عيشة مدلولها ان ليس وراء هذه الحياة حياة اخرى او كما قال بكستر في كتابهِ " راحة القديسين " هو من يدَّعي انهُ مؤْمن بالسماء ويفعل كأَنهُ يفضل راحة السماء على نار جهنم ولكنهُ لا يفضلها على الملاذ الارضية

ثم ان هكسلي لم يكن من غير ايمان محدود فقد قال اني لستُ من الذين يقولون ان كل الاشياء تنعل معاً للخير (أُپتمست) ولكني واثق ان الحكم الالهيَّ عادل تمام العدل . وكلما زدت اختباراً باحوال الناس اتضح لي ان الشرير لا يفلح والصدّيق لا يضام

وقد احسن السر وليم فوار حيث قال " انهُ اذا اريد بالتديُّن التسليم بالتعاليم والرسوم التي في مذهب من المذاهب الدينية فهكسلي لم يكن متديناً ولكن ما من احد عاشرهُ الاَّ ورأَى انهُ يحترم اشد الاحترام كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسرّ كل ما صيتهُ حسن ويكره اشد الكره كل ما يناقض ذلك . وقال اللورد شفتسبري ان هكسلي حدَّد الفضيلة فقال " علموا الولد الحكمة فذلك هو الفضيلة "

والخلاف الحقيقي ليس بين العلم والدين بل بين العلم والخرافات . فعدم الاعتقاد برحمة الله هو الذي قاد الى انشاء ديوان التفتيش وفعل الفظائع المنسوبة اليهِ . وقد بقي الاعتقاد بالسحر باسطاً ستار الظلم فوق الديانة المسيحية مدة القرون الوسطى وما بعدها الى عصرنا هذا تقريباً واعتقدهُ اناس من الصلاَّح مثل ولسلي . والعلم هو الذي ازاح هذا الستار فالبلاد التي لا يزال العلم فيها متأخراً الدينُ فيها غامضٌ والبلاد التي تقدَّم العلم فيها تقدَّم الدين ايضاً وفُصل بينهُ وبين الخرافات . ولكن لم يُعترف بخدمة العلم الاعتراف الواجب حتى الآن

وقد يظن كثيرون منا ان هكسلي تطرف في ارتيابهِ فان بعض ما ارتاب في صحتهِ عليهِ ادلة كثيرة تؤيدهُ اكثر مما ظن . اما انا فاقول انهُ لم يستخف بشيءٍ من هذه الامور بل بحث عنها

بهمة واخلاص راغباً في الوصول الى حقيقتها . ويسرُّني ان اقول ان الجميع اعترفوا له بذلك .
ولم يكن معادياً للدين ولو خالف خدَمتهُ في امور جوهرية لان اهل العلم يختلفون في امور
كثيرة وهم يفتشون عن الحقائق ولكن لا يقال عن احد منهم انهُ معادٍ للعلم

الاَّ ان كثيرين من رجال الدين يعدُّون من يخالفهم في معتقدهم معادياً لدينهم ومن
يشك فيهِ كافرًا او معطلاً . ولذلك رأيناهم بالغوا في كرم الاخلاق لما ابَّنوا هكسلي وذكروه
بالاكرام ولو حسبوه خصماً عنيداً

قالت جريدة العالم المسيحي عند وفاته "لو كان الرأي الشائع في الكنيسة لما كان هكسلي
شاباً من حيث نشوء التوراة كما هو الآن لما رأينا الكنائس تنذهل من رأي دارون وتقاومهُ ولكان
اعظم تلامذة دارون تمتع منذ ثلاثين سنة بما تمتع بهِ قُبيل وفاتهِ من الاكرام والثقة والحب" .
ولما قام رئيس الجمعية الملكية السابق والحاضر وابَّنا هكسلي التفت كلٌّ منهما الى معتقدهِ الديني
فقال الاول وهو لورد كلفن " اذا اريد بالتدين بذل الجهد في عمل الصلاح فمن يستحق لقب
التدين اكثر من هكسلي" . ولما اراد الثاني وهو لورد لستر ان يصف استقامة هكسلي العقلية
اشار الى انهُ كان " صدّيقاً قلبهُ مملوءٌ بالحنو والشفقة وديانتهُ فعل الصلاح "

وقد كان هكسلي رجلاً عظيماً وكان ايضاً صالحاً شجاعاً . ولم يستطع المجاهرة بآرائهِ الاَّ لانهُ
كان شجاعاً ولو راعى مصلحتهُ الذاتية ما فعل ذلك ونحن مدينون لهُ بما نتمتع بهِ الآن من
حرية القول

وكان يشتد حنقهُ اذا رأى احداً اساء الى غيرهِ او رأى احداً اخدع غيره او رأى احداً
يتهن الحق . والتمثال الذي نُصب لهُ في متحف التاريخ الطبيعي يمثلهُ وهو في حالة الحنق . —
الحنق العادل الفاضل ولكنهُ لم يكن كذلك غالباً ولا كان كذلك وهو يدرّس ولا وهو بين
اصدقائهِ فانهُ كان من اودع الناس واظرفهم وارقهم قلباً

وقد كان غرضهُ من اشغالهِ كلها على ما قال — ان تزيد المعارف الطبيعية وان تستعمل
الاساليب العلمية في البحث عن المسائل العمومية . وكان في معيشتهِ البيتية مثالاً للحب والدعة
فكان متعلقاً باولادهِ وكانوا متعلقين بهِ وقد قال في ذلك ان محبة اولادنا تنعش نفوسنا في
شيخوختنا اكثر مما تنعشنا حرارة الشمس

ولا اريد ان اختم هذه الكلمات ما لم اشر الى زوجتهِ مسز هكسلي التي قال عنها ابنها انها
كانت "عونهُ وعضدهُ اربعين سنة تساعدهُ بمشورتها وقت الجهاد وبانسها وقت الشدَّة . وهي
المنتقد الذي كان لانتقادهِ المقام الاعلى في عينيهِ ولمدحهِ المنزلة الاسمى في نفسهِ وكان اهتمامهُ

الاول موجهاً اليها وفكره الاخير محصوراً فيها وهي الشخص المتحد بنفسهِ اتحاداً يتخذ قدوة للاخلاص والحب المتبادلين"

وكان لهُ غايتان يسعى اليهما الاولى نشر العلم والثانية اصلاح حال العامة لكي يرتقوا من الحالة التعيسة التي يُرى اكثرهم فيها. قال وليس لي رغبة شديدة في الشهرة بعد الموت ولكن اذا كان لا بدَّ من ذكري بشيء بعد موتي فاريد ان أُذكر كرجل بذل جهده لمساعدة الناس

وقد اجتمعنا هنا الآن اكراماً لذكر هذا الرجل لا لمجرَّد حبنا لهُ ولا لمجرَّد اعترافنا بانهُ كان عالماً كبيراً بل ايضاً لانهُ كان قدوة لنا كلنا كرجل بذل كل ما في وسعهِ لنفع غيرهِ

آثار كريت

لم تكد جزيرة كريت تنقه من داء الثورة وفساد الاحكام حتى اقبل العلماء الاوربيون اليها ينقبون عن عاديَّاتها وفي جملتهم المستر ارثر افانس بن السرجون افانس. وقد بعث الينا بخلاصة نقبهِ في العام الماضي فاذا هو قد وجد من الآثار ما تنجلي بهِ امور كثيرة من غوامض التاريخ وكان من حظهِ ان وقع على آثار قصر عظيم حفظت من انياب الدهر وتخريب الناس على اسلوب عجيب مدة تنيف على ثلاثة آلاف عام. وكانت هذا الآثار قريبة من وجه الارض تغطيها طبقة رقيقة من التراب فحالما نزع التراب عنها ظهرت تحتهُ دور فسيحة وسراديب طويلة وغرف واسعة ومخازن مملوءة بالجرار والخوابي وبينها الغرفة التي كان فيها عرش الملك والغرفة كان يجتمع فيها ديوان مشورتهِ. والعرش من المرمر الشفاف (الالبستر) ولعلهُ نفس العرش الذي جلس عليهِ مينوس[1] ونطق بشرائعهِ وعليهِ نقوش كثيرة من المقنطرات المحددة. وعلى جدان هذه الغرفة وفي ارضها وارض الاروقة المتصلة بها صور كثيرة تزري بالصور اليونانية التي وجدت في مسيني. ووجد هناك صورة شاب يوناني ومنهُ يظهر شكل اول شعب مرتقٍ سكن اوربا واوجد عمرانها وصور اخرى كثيرة وبينها صور نساء يتحدثن وجدت في دور القصر وفي اروقتهِ. وينبوعاً ميزابهُ من المرمر في شكل لبوة عيناها من الميناوكأساً من الالبستر في شكل بوق من ابواق البحر وسراجاً من حجر البرفير قائماً على مسرجة في

(1) هو ملك كريت الذي يقال في خرافات اليونان انه استلم الشريعة من الههم زفس (اي المشتري). ويقال فيها ايضاً انهُ وجد ملكان بهذا الاسم الاول ابن زفس واوربا والثاني حفيد الاول وهو الذي استلم الشريعة من زفس. فهذا القصر هو قصر كنوسس الذي كان مينوس ساكناً فيهِ

شكل النيلوفر المصري تحيط بهِ اوراق بديعة النقش جميلة المنظر

والظاهر ان الاتصال كان مستمرًّا بين كريت ومصر منذ عهد قديم جدًّا كما يبين من الآثار التي وُجدت في انقاض هذا القصر فقد وجد في الدار الشرقية منهُ تمثال مصري صُنع نحو سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وتحتهُ آثار كثيرة من العصر الحجري سمكها نحو عشرين قدماً

ويظهر من آثار اخرى ان هذا القصر كان معبداً للمشتري اله الكريتيين ذي الفاس المزدوجة ومسكناً لملوكهم الاقدمين الذين كانوا فيها قبل عصر التاريخ وهو اللغز الذي كثر ذكرهُ في الاحاديث القديمة كما يستدل من سراديبهِ الكثيرة ومن تماثيل الثيران البارزة من جدرانهِ والزوايا والاعمدة المزدانة بالفاس المزدوجة (لابرس ومنها اسم لابرنث اي لغز) وقد بناهُ ديدالوس ممثلاً بهِ اللغز المصري الذي كان مبنياً على شاطىء بحيرة مورس في الفيوم

وهذه الآثار على كثرتها وعظم شأنها لا تقابل باثر آخر وجد في انقاض هذا القصر وهو سجلات الملوك القدماء مكتوبة على صفائح من الاجر بنوعين من الخط الواحد صوري والثاني خطي وهذه الصفائح موضوعة في نواويس من الخزف والخشب والجبس ومختوم عليها بختوم من الخزف . والكتابة الصورية منها مثل الخط الهيروغليفي المصري . والكتابة الخطية خطوط قائمة متوسطة بين الخط الفينيقي والاوربي ولا بدَّ من ان تقرأ يوماً ما فتكشف عن امور كثيرة في تاريخ الاقدمين

ووجد في الجهات الجنوبية والغربية من هذا القصر كثير من الكؤوس من النوع الكريتي القديم الكثير الالوان ووجد ايضاً انقاض معابد صغيرة من ذوات العُمُد مثل المعابد التي كانت شائعة في فينيقية وفلسطين على ساحل بحر الروم

واتصل النقب الى كهف سكرو الذي يقول الرومان ان معبودهم الاعلى ربي فيهِ وهو طفل. وهناك اقترن المشتري باوربا على زعمهم ومن هناك استلم مينوس الشريعة كما استلمها موسى على جبل سينا . وكان باب الكهف مسدوداً بصخر كبير وقع فيهِ فلما ازيل منهُ وُجد فيهِ كثير من الكؤوس والموائد والادوات من البرنز والعظم والحديد والتماثيل الخزفية وكلها مما كان الكريتيون يقدمونهُ لمعبودهم . وداخل الكهف بركة كبيرة واعمدة مدلاة من السقف وفي الطين الراسب في قاع البركة كثير من التماثيل النحاسية والحجارة الكريمة . هذا هو الكهف الذي يقال ان مينوس خرج منهُ ومعهُ الشريعة وادعى ان المشتري اعطاهُ اياها فيهِ

والهمة مبذولة الآن لجمع المال الكافي لاتمام النقب في قصر مينوس لان ما نقب منهُ لا يزيد على نصفهِ

تاريخ آل معن

(تابع ما قبله)

غير ان الدولة اذا امهلت المخالفين حيناً فما ذلك الا كظماً للغيظ وتحيناً للفرص حتى اذا رأت يدها طائلةً اقتصّت من المعتدين وجاءت بهم الى طاعتها فما مرّت على المعنيين الاعوام الطويلة حتى نبغ في جوارهم بيت كاد يضارعهم قوةً واقتداراً ذلك انهم لما اسعفوا آل سيفا بلغ زعيم هؤلاء يوسف باشا الى منصَّة الولاية على طرابلس واصبح وزيراً خطيراً سنة ١٥٧٩ ومناظراً للمعنيين شديد الحول قويّ المكانة وكان الامير فخر الدين قد مات سنة ١٥٤٤ وخلفهُ ابنهُ الامير قرقماز يجرى على خطة ابيهِ

الا ان يوسف باشا سيفا عُزل عن طرابلس وكان واليها سنة ١٥٨٤ جعفر باشا الطواشي فانزوى يوسف باشا بآلهِ في منزلهِ بعكار وفي خلال ذلك نُهبت الخزينة السلطانية بمرورها في جون عكار وهي محمولة الى استانبول فلما عُرضت الواقعة على الدولة العلية رأى ولاة الامر ان ليوسف باشا يداً في نهبها لانهُ معزول ولوقوع الجناية في جوارهِ فصدر الامر لجعفر باشا الطواشي ان يخرج بعسكرهِ فيقتص من يوسف باشا وآلهِ فتجهز جعفر باشا وخرج الى عكار واحرقها واكتسح بلادها وفرَّ يوسف باشا من وجههِ

وكان في مصر يومئذٍ والٍ حزوم يُقال لهُ ابرهيم باشا وللسلطان مراد الثالث فيهِ ملء الثقة بحيث اجاز لهُ المجيء من مصر والمرور بطريقهِ على سوريا بجماعةٍ من العسكر المصري واذ كان السلطان ممتعضاً من امراء البلاد امرهُ ان يرى في الشؤون الجارية وان يقتص من الذين يفسدون هنالك وعززهُ بالاوامر السلطانية لعمال الدولة في الشام وقبرس ان يجدوهُ بمن لديهم من العسكر السلطاني فخرج ابرهيم باشا المذكور من مصر وبدأت العساكر تنضم اليهِ وكان آل سيفا الذين فتك جعفر باشا بهم ارادوا ان يرفعوا التهمة عن انفسهم فدسوا اليهِ ان الذين نهبوا الخزينة هم الامراء محمد العساف التركماني ومحمد جمال الدين والامير منذر التنوخي (١) وجماعة من وجوه الدروز واعيانهم فصدّق الباشا الوشاية واتخذها ذريعةً لكبت الامراء الذين مرّت بهم السنون ولم يذعنوا وجاء فخيم في مرج عرجموش او عرموش تحت زحلة ومع انهُ لم يذكر احد من الامراء المعنيين بين المتهمين بعث ابرهيم باشا يطلب من الامير قرقماز المعني والي

(١) مع ان الخواجا كتافاكو قد ترجم الى الافرنسية معظم ما في اخبار الاعيان من تاريخ آل معن نراهُ اخطأ في كتابة اسم سيف الدين اذ دعاهُ سعد الدين (جورنال ازياتيك اذار ونيسان ١٨٦٤ صفحة ٢٧٣)

الشوف ان يقبض على الجناة وان يقدّم خرجاً لعسكره ثم تقدّم وامسك على الدروز طريق البحر كأنهُ حصرهم في بلادهم فلما علم الامراء المذكورون باتجاه التهمة اليهم ذهبوا الى مخيم الباشا ولحق بهم عديدٌ من كبراء الدروز وعقالهم فاعتقلهم جميعاً وقتل منهم نحواً من خمسمائة رجل وحمل الامراء اسارى اما الامير قرقماز فخاف المغبة ولم يرَ ان يقف في وجه العسكر السلطاني سيما وان رجالهُ قد تفرقوا وان عداهُ كثروا ففرَّ واختبأ في مغارة نيرون تحت جزين فاعتراهُ من جراء ذلك مرضٌ اودى بهِ . ومع ان وشاية يوسف باشا بالامراء لم تُذكر الاَّ في تاريخ خطيٍّ للمرحوم نوفل نوفل فاننا نحسبها اقرب الى التصديق لما فيها من رفع التهمة عن عاتقهِ والقائها على سواهُ ولما نعهدهُ من بغضاء يوسف باشا آل عساف وآل معن ولما يُفترض من التنافس بين العظماء ويخال لنا ان هذه الرواية تفضل سواها مما اطلعنا عليهِ في تاريخ العلاَّمة الدويهي وما نُقل عن ابن سباط وما ذكر المحبي واخبار الاعيان لكننا لا نوافق المؤرخ نوفل افندي على ان الشكوى اتجهت ضد القيسيين والاَّ لم يكن لمحمد العساف نصيب في الاتهام لانهُ يمني والله اعلم

روى المحبي ان الباشا قتل ونهب واحرق واخذ من الدروز اموالاً جمَّة وقال فولناي ان ابرهيم باشا ابلى بلاءً حسناً في الدروز والموارنة واذ وقع الخلف بين الزعماء اخذ منهم نحو مليون من القروش وضرب عليهم مالاً استقرَّ عليهم

ورأى الباشا ان الدروز يدينون لاعيانهم وان هؤلاء الاعيان كثارٌ وبقاؤهم على كثرتهم مخلٌّ بمسؤوليتهم لدى الدولة فامران يكونوا جميعهم تحت ولاء الامير الذي تصادق الدولة على امارتهِ فيهم فيصبح الامير مسؤولاً لدى ولاة الامر بسياسة الامة واداء المال فادّت وحدة الحاكم الى توحيد الامة واتجاه خواطرها الى عضد الامير ولم يبقَ بين الدروز في الشوف حزبان قيسي ويمني ومذ اجتمعت الآراء على الوحدة اتجهت القوى المتفرقة الى مناوأة الدولة ونوابها غير ان تلك المناوأة لم تبقَ على حالها الاول العلني بل سدّت ظواهر الطاعة بواطن العداء فكانت من نتائجها حوادث القرن السابع عشر

ولما قضى ابرهيم باشا من الدروز وطرهُ اخذ الامراء المعتقلين وسار بهم الى طرابلس ثم ركب البحر منها الى القسطنطينية فدخلها بابهةٍ عظيمة وحاز القبول لدى المولى حتى حباهُ شرف المصاهرة ثم انعم عليهِ بمسند الصدارة العظمى

وفي خلال ذلك نال الامراء المعتقلون نعمة المثول لدى السلطان وهنالك برروا انفسهم من وصمة الوشاة فحازوا نعمة العفو عنهم وعادوا بعد ان انعم على الامير جمال الدين الارسلاني بولاية الغرب وعلى الامير منذر التنوخي بولاية الشوف بدلاً من الامير قرقماز المعني المتوفى

وكان الامير قرقماز زوج الاميرة نسب شقيقة الامير منذر التنوخي ولهُ منها ولدان الامير فخر الدين والامير يونس وكانا صغيرين حين مات ابوهما نخافت امهما شرّ الدعاية بهما فعهدت بتخبئهما الى الحاج كيوان الماروني فسار بهما الى كسروان وخبأهما عند سركيس الخازن في بلون لانهُ كان معروفاً بالامانة وهو قيسيٌّ ولا يُظن بهِ الاقدام على تخبئتهما في بلادٍ يحكمها آل عسّاف اليمنيون

فلبث الغلامان عند آل الخازن ست سنين يتلقيان مبادئ التربية الفاضلة وفي نهايتها هدأت القلاقل وسكن الاضطراب فاوعز الامير سيف الدين التنوخي الى حفظة الاميرين ان يظهراها ويجيء بهما اليهِ وقد اختلف الرواة في الموضع الذي كان سيف الدين فيهِ حين استقدمهما فقد روى العلاّمة الدويهي ان الامير كان بدارهِ في الشوف فاحضرهما اليهِ وفي نهاية السنة السادسة رجع الى عبيه ولكن اخبار الاعيان يقول ان سيف الدين استدعى الاميرين الى عبيه حتى اذا بلغا اشدهما ولاّهما الشوف واسم اكبرهما فخر الدين وفي الرواية ايضاً غموض آخر من جهة السنين الست فان عبارة المؤرخين تختلف في مؤداها بين ان يكون الاميران الصغيران قد قضياها في مخبئهما ثم ظهرا او ان يكونا قد اختبأا وظهرا عند خالهما وفي نهاية المدة توليا

بقي ان نبحث في شأن خالهما فان الذي كان معتقلاً هو الامير منذر وهو الذي اخذ الولاية بامر السلطان مراد فكيف قام اخوهُ سيف الدين[٢] بها وسكن الشوف وادار الاحكام حتى سلّمها لابني اختهِ مع بقاء الامير منذر حياً الى اواخر الربع الاول من القرن السابع عشر

والمستفاد من انباء القوم انهم كانوا اذا خلت الامارة من صاحبها يجتمع الاعيان والوجوه ويختارون من البيت الاميري رشيداً يولونهُ امورهم ثم يلتمسون لهُ الامر من الدولة فكان الامير سيف الدين جمع كبراء الدروز فاختاروا فخر الدين اميراً الاّ انا لا نعلم ما اذا كان قد فاز لاول امرهِ بمصادقة الدولة او ظلَّ بلا مصادقةٍ حتى مرَّ مراد باشا والي الشام بصيداء سنة ١٥٩٢ فامرهُ على الولاية اذ جعلهُ سنجقاً على ما قال المحبي والسنجق او الصنجق بالسين او بالصاد كلمة تركية معناها اللواء وهي في عرف الدولة العلية عبارة عن الامارة على قطرٍ وهي اكبر من البيرق اي الراية التي كان يجتمع اليها رجال المقاطعة وكل اصحاب الرايات ينضوون

(٢) يستفاد من رواية اخبار الاعيان ان محمد جمال الدين من آل ارسلان ولكن ذاك بينهُ و بين يوسف باشا سيفا صداقة وولاء واما قول العلاّمة الدويهي انهُ ابن عم الامير منذر التنوخي فلعلهُ يقصد انهُ ابن عمهِ لان منذرًا كان صهرًا لمحمد

تحت اللواء. وللسنجق شعار ضفيرة واحدة من الشعر يُقال لها التوغ ولامير الامراء ضفيرتان اي توغان وللوزير ثلاث فالسنجق اذاً عبارة عن الامارة ولعل منها اطلق اسم سنجق او لواء على ما يحكم المتصرفون في بلاد الدولة العلية لهذا العهد (يستفاد هذا من الجزء الاول من تاريخ جودت باشا)

اما زمن العهد بالامارة لفخر الدين فلم نعثر على رواية صريحة بشأنهِ ولكنا نستنتج ذلك تخميناً ربما يقارب الصواب فقد ذكر المحبي في ترجمة الامير انهُ ولد سنة ٨٨٠ هـ بدليل يتبين من الشعر اوردها لمولدهِ والتاريخ فيها قولهُ (فخر دين هلاّ) وسنة ٩٨٠ هـ تعادل سنة ١٥٧٢ م فلما مات ابوهُ الامير قرقماس سنة ١٥٨٤ كان عمر فخر الدين اثنتي عشرة سنةً واذ ورد انهُ قضى ست سنوات قبل ان تولَّى يكون ابتداء ولايتهِ سنة ١٥٩٠ وعمرهُ يومئذٍ ثماني عشرة سنةً وليس غريباً ان يتولى الاحكام في هذا السن

الاَّ ان احمد بن محمد الخالدي الصفدي يقول في تاريخ فخر الدين ان ولايتهُ كانت سنة ١٠١١ هـ (تعادل سنة ١٦٠٢) والحال انهُ يستفاد من الوقائع الجمة ومن روايات المؤرخين ان ولاية الامير كانت قبل ذلك بزمنٍ طويل يقارب الاثنتي عشرة سنةً وحسبنا على ذلك ثبتاً ان مراد باشا لما اتى والياً على الشام لقي من الامير حفاوةً فاقرَّهُ على امارتهِ وجعلهُ سنجقاً سنة ١٠٠١ هـ فكأن الخالدي اراد تاريخ سنة تثبيت الامير من الوالي فزاد الناسخ العشرة غلطاً والله اعلم

وكانت عادة الامراء ان يتخذوا لهم مدبرين من اهل الحصافة والامانة فاختار فخر الدين ابرهيم الخازن مدبراً واتخذ اخاهُ رباحاً دهقاناً جزاء عنايتهما بهِ حين كان مستتراً عندهما فكان ذلك ابتداء وجاهة آل الخازن الذين نالوا عند الامراء المكانة العليا بصداقتهم وامانتهم واعتماد الامير فخر الدين على الشيخ ابرهيم واخيهِ واتخاذهِ الشيخ يونس بن سليمان حُبَيْش من الخدم المقربين اليهِ دليل حسن سياستهِ في اجتذاب النصارى باستخدام اعاظمهم

وكأن فخر الدين قصد في سياستهِ منذ تولى الاحكام ان يثأر لابيهِ من الذين ادَّت بهم اعمالهم الى موتهِ فوضع نصب عينيهِ مناوأة رجال الدولة العلية ومناصبهم العداء فعلاً ولكن بظاهرٍ مموَّه بالطاعة الا انهُ رأى ان دون بلوغ الغاية عقاباً لا يستطاع تجاوزها الاَّ اذا شدَّ اواخي الاخاء مع مجاوريهِ فحالف الامير علي بن منصور الشهابي فكان يستعين بهِ في مناوأة الحكام

ولا غرابة في ان يبقى على الظاهر المموَّه بالطاعة لان لا قبل لهُ بالمقاومة العلنية ولعل سياسة الوجهين هي التي دفعتهُ الى غزو العربان الذين كانوا نازلين في بلاد بعلبك وصور وعكاء وكبتهم كما روى بعض مؤرخي الفرنجة فارضى بذلك رجال الدولة العلية والاهلين

وربما كان هذه مغزى قول المحبي انهُ غزا الجون ثلاثاً ولم يظفر من صاحبها احمد بن طرباي الحارثي بطائل وكذلك ما قال بهِ من العدوان بين فخر الدين والامير منصور المعروف بابن الفريخ صاحب البقاع الذي قتلهُ مراد باشا والي الشام باغراء فخر الدين

وما رسخت قدم فخر الدين في امارة الشوف حتى حدثتهُ نفسهُ بالطموح الى المزيد من العزة والسودد وجاءت الظروف موافقة لامانيهِ اذ ان العدوان الذي وقع بين آل سيفا وآل عساف تمادى فادّى الى مقتل الامير محمد آخر العسافيين في موقعة المسيلحة بين طرابلس والبترون فبقيت على اثر ذلك ولاية كسروان غرضاً لتنازع الاضداد فسعى يوسف باشا سيفا بالتوصل اليها ذلك انهُ تزوج ارملة الامير محمد واستولى على مخلفاتهِ الأ ان حكمهُ في كسروان لم يرد بهِ نصٌ صريح وانما استفدناهُ من رواية المحبي عن مقتل الامير منصور الفريخ وان مراد باشا لما قتلهُ بامر الدولة العلية امر الامير فخر الدين بالقبض على اولادهِ العشرة واكبرهم قرقماز المشهور بالظلم والقسوة فسار الامير اليهِ الى بوارج ولكنهُ فرَّ منها ملتجئاً الى يوسف باشا سيفا في كسروان فكتب فخر الدين يخبر مراد باشا بذلك فاجاز لهُ الزحف على كسروان فاوشك الاميران يدهمها ولكنهُ لما علم بان يوسف باشا ابى قبول قرقماز صرف عسكرهُ وذهب راجعاً وبهذه الرواية ثبت تولي يوسف باشا سيفا على كسروان فعلاً

الأ ان ارتداد فخر الدين عن كسروان لم يكن ليقلّ عن مطامعهِ فيها بل حدثتهُ نفسهُ بالاستيلاء عليها وعلى بيروت المنضمة اليها ولم يرَ من سبيل الى ذلك الأ بمحاربة يوسف باشا فزحف الفريقان سنة ١٥٩٨ او سنة ١٥٩٩ وتواقعا عند نهر الكلب فانكسر يوسف باشا بعد ان قتل ابن اخيهِ الامير علي وتشتت جمعهُ فتولى الامير فخر الدين بيروت وكسروان . ولعلّ ما ذكرهُ فولناي ولامرتين من ان الامير طرد الاغا من بيروت انما قصدا بهِ الاشارة الى وكيل يوسف باشا فيها والأ فليس لدينا ما نعرف منهُ من هو ذلك الاغا المشار اليهِ ولا كيف ضُمت بيروت الى كسروان وعهدنا بها من توابع دمشق فصيداء اما فخر الدين فبعد ان تولى كسروان وبيروت سنة واحدة تركهما ليوسف باشا باختيارهِ ولا ندري لذلك سبباً . غير ان تخلي الامير عن ولايتهما لم يقطع اسباب الشحناء بينهُ وبين يوسف باشا بل ظلّت النفوس منقبضةً ومساعي الفيئتين متجهةً لمناوأة بعضهما الأ ترى ان يوسف باشا ارسل سنة ١٦٠٠ بعضاً من رجالهِ فقتلوا مقدمي جاج الاربعة لانهم من حزب فخر الدين ومنح القاتلين مقدمية بلاد جبيل وكان الحرافشة من حزب المعنيين ولهم ولاية بعلبك ولعلّ ذلك ما حمل فولناي ولامرتين على حسبان بعلبك من ولاية فخر الدين الأ ان يكونا قد ارادا بلوغ امارتهُ اليها حين عمّت كل

البلاد بامر الدولة العلية فلما رأى الامير موسى الحرفوش ان يوسف باشا يناوئ فخر الدين كتَّب رجالهُ وزحف على بلاد بشرّي بينما كان رجالها في الساحل فنهبها وعاد مثقلاً بغنائمها فلما علم يوسف باشا بما فعل الحرافشة في بلادهِ جمع عسكرهُ وزحف على بعلبك ففرَّ اهلوها واثخن في البلاد قتلاً وجرحاً وعاث حرقاً ونهباً وملك القلعة بعد ان حصرها خمسين يوماً وقتل رعد بن نبعة الذي كان قد قتل ابن اخيهِ يوم نهر الكلب ثمَّ امَّن الاهلين وعاد ظافراً

واللبيب يرى ان هذه الوقائع كانت من باب مناوأة العدوين على انها وامثالها ما لبثت ان تزايدت حتى تحفز الفريقان للحرب ثانية سنة ١٦٠٥ حين التقى العسكران في جونيه واقتتلا فانهزم يوسف باشا واستولى فخر الدين على كسروان وضمها الى ولايتهِ وجعل عليها يوسف المسلماني حاكماً واخذ بيروت وسلمها للامير منذر التنوخي وكأن استفحال امر فخر الدين وامتداد احكامهِ وكثرة حلفائهِ وانصارهِ صوَّرت لهُ مناوأة عمال الدولة العظام فاصبح يقدم على مناصبة الواحد ومناصرة الآخر غير متهيّبٍ ما وراء ذلك من الالمام بشأن الدولة السائدة اعتبر ذلك بما ظهر لنا من الحادثة التالية

فقد ورد في اخبار الاعيان ان في سنة ١٦٠٥ سار نصوح باشا والي حلب الى مدينة كلس بنحو عشرة آلاف مقاتل ومعهُ الامير فخر الدين المعني فبرزوا اليهِ بمثلها فانكسر ورجع الامير فخر الدين برجالهِ الى البلاد انتهى. والحال ان المحبي يذكران في سنة ١٠١٢ هجرية (المعادلة لسنة ١٦٠٣ مسيحية) تولى نصوح باشا ولاية حلب وكان بعض العسكر الشامي يذهب كل سنة نفرٌ منهُ الى حلب فينددبون منهم سرداراً عليهم ويستخدمون في المدينة فلما اشتدَّ ساعدهم ظلموا وجاروا سيما طواغيهم واقرب اليهم كبراء البلد وحاصروهم فازدادوا صلفاً وامتلكوا القرى والضياع فقلَّت من جراء اعمالهم اموال السلطنة وضعفت حال الاهالي حتى صاروا كالارقاء لهم فلما تولى نصوح باشا وكان قويّ النفس شديد البأس استفدح خطبهم وسعى في رفع ايديهم واجلائهم عن البلاد فاستنجد عليهم حسين باشا جانبلاذ حاكم كلس واوقعهم في حلب وفازا باجلائهم عنها الى حماه فاعرضوا لباب الدولة يشكون من الوزير وبعثوا يستصرخون بالامير فخر الدين المعني واحزابهِ كالامير علي الشهابي والامير موسى الحرفوش ثم حشدوا عسكراً غفيراً من حمص وحماه وفي اثناء ذلك ورد الى الشام امر الدولة العلية يحظر فيهِ على الجند الشامي المسير على حلب لقتال واليها وحاكم كلس وانهم اذا خرجوا اليها يكونون مغضوباً عليهم مستحقين للعقوبة والنكال من قبل السلطان فارسل والي الشام اليهم احد اعيان الشام ليردهم فما ارتدوا ولكنهم قصدوا حلباً وافسدوا في جوارها وجوار كلس حتى انقعوا ولم يصبروا بل ولوا الادبار منهزمين ولحق نصوح

باشا بهم الى دمشق فلما صار على مقربة منها طلب نحواً من ثلاثين رجلاً ليحصل ما في عهدتهم من المال السلطاني الذي اخذوه من حلب فامتنعوا عليهِ وتحصن نفر منهم في القلعة و بعثوا يستنجدون بفخر الدين و بموسى الحرفوش واحمد شهاب وغيرهم فاجتمع القوم الاَّ الامير فخر الدين فانهُ تخلف عن نجدتهم فالمستفاد من هذه الرواية ان العسكر الشامي استنصر بالامير فخر الدين وانصارهِ مرتين ففي المرة الاولى لم يذكر اباء فخر الدين صراحة وانما قال المحبي انهم الحوا على الاميرين المعني والشهابي في السفر معهم واخذ ثأرهم فسافر قبلهم امير بعلبك موسى الحرفوش وفي المرة الثانية تصريح باباء فخر الدين وذهاب الباقين الاَّ انهُ يؤخذ من الرواية المحكى عنها ان الامراء اجتمعوا لنجدة عسكرها وان واليها مصطفى باشا عاد بالشهابي والحرفوش اليها بعد رجوع نصوح باشا عنها

وكل هذه الرواية على طولها لا تدل على ما اراد صاحب اخبار الاعيان ولعلهُ اراد الاشارة الى وجود فخر الدين في موقعة كلس التي شبت عقيب هذه الحرب بين نصوح باشا وحسين باشا وسببها ان حسين باشا انجد والي حلب حتى انالهُ الظفر على الجند فعظمت نفس نصوح باشا ان يحسب الظفر عائد الفخر لحسين باشا فطعن عليهِ وقال بعزمهِ على ضرب عنقهِ فانقلب الوداد عداء وذهب حسين باشا الى كلس مغاضباً فاراد نصوح باشا ان يفاجئهُ بالقتال ولكن شعر حسين باشا وقابلهُ فانكسر نصوح بعد ان قُتل معظم عسكرهِ ودخل حلباً منهزماً ثم شرع يجمع عسكراً لتجديد القتال فجاءهُ امر السردار سنان باشا ابن جغاله باحالة الولاية الحلبية لعهدة حسين باشا فامتنع من التسليم وحصرهُ حسين باشا في حلب حتى اضطرهُ الى الخروج اليهِ مستأمناً والسفر برجالهِ الى الاستانة

وليس في هذه الرواية ذكرٌ لفخر الدين ولا لاحدٍ من انصارهِ فلا نخال ان لهُ يداً في موقعة كلس لان نصوح باشا اقترب من الشام وارتدَّ عنها وفخر الدين في بلادهِ و بلغ حلباً ثم زحف منها الى كلس ليباغت حسين باشا فمن اين جاء النبأ لفخر الدين بنجدة الواحد او الآخر على انهُ لو صحت الرواية لكان الاولى حسبان فخر الدين في جملة انصار حسين باشا وليس من اعدائهِ لانهُ ظهر من الوقائع الآتي ذكرها ان بين بني معن والجانبلاديين وداداً واتفاقاً يعسر ان نجعل منشأها خلاف وقتال

وان صدقت رواية اخبار الاعيان فليس بعيداً ان يكون فخر الدين قد اجاب داعية نصوح باشا عند ما استفزهُ لقتال الجند الشامي لانهُ كان يظهر الطاعة لولاة الامر فلما تم فتح حلب ووقعت حادثة حسين باشا خرج معهُ الى كلس وحضر الموقعة منجداً لصاحبها والاَّ لو كان

باقياً على ولاء نصوح باشا لما استنجده الجند الشامي عليهِ فابى فان صدق هذا الظن كان مسلكهُ هذا موافقاً لمرضاة الدولة العلية لانهُ حارب مع نصوح باشا حين طاعتهِ وحاربهُ حين خالف امر الوزير سنان باشا الاَّ ان مثل هذه الطاعة لم تكن من خلق الامير والاَّ لاعتاص علينا تفسير عملهِ حين زوَّد العصاة درويش الرومي حاكم صفد وعبد الحليم اليازجي وجماعتهما الذين حاربهم العسكر الشامي وهزمهم فروا في بلاد فخر الدين فاكرمهم بالزاد ولو كان مخلصاً لقبض عليهم وكفى الدولة مؤونة ارصاد البعوث السلطانية لكبتهم واقتناص زعيمهم عبد الحليم

غير ان لاحمد الخالدي الصفدي رواية تخالف ما نقلناهُ ذلك ان الجند الشامي لما ارتدَّ مقهوراً الى دمشق استنصر بالامير فخر الدين ليزيل عنهُ عار الانكسار قال فجمع الامير لهم غالب الامراء من اولاد العرب وتوجه بهم الى بلاد حلب ووقع الحرب وحمي الوطيس على مدينة يقال لها كلس وكان العسكران كثيفين وقد اصطفا صفين كل صفٍ عشرة آلاف او يزيدون فانهزم عسكر الشاميين انتهى. فهذه الرواية اذا صحت اثبتت شيئاً مما تخيلناهُ من مغزى كلام اخبار الاعيان اي ان فخر الدين كان من انصار نصوح باشا وانهُ واقع الشاميين عند كلس فكسرهم لكن يعارض هذا وجود الشهابيين والحرافشة بين عسكر الشام وتصريح الخالدي بوجود الامير على انا لانبتُّ في هذه الروايات حكماً لخلو الوطاب من ثبتٍ يصح الاسترسال اليهِ

ناهيك ان فخر الدين اظهر العداء للدولة في حادثة علي جانبلاذ وحكاية ذلك ان حسين باشا لما رسخت قدمهُ في نيابة حلب بامر الوزير سنان باشا كان المشار اليهِ سرداراً على العساكر المرصودة لحرب العجم فصدر امر الوزير لحسين باشا ان يلحق بهِ فتلكأ عن الاجابة حتى اذا بلغ سنان باشا مواقف العدو وارتدَّ عنهُ مكسوراً امتعض من قعود حسين باشا عن نصرتهِ وهو يحسبهُ من صنائعهِ فضلاً عن كونهِ من ولاة الدولة المفروض عليهم الذود عنها فاضمر لهُ السوء وفيما هو راجعٌ الى البلاد التقى بحسين باشا في وان متمهلاً في زحفهِ يريد ان يظهر الامتثال وهو لا يقصدهُ فبطش الوزير بهِ وكان حسين باشا قد استخلف على حلب ابن اخيهِ الامير علي فلما علم هذا بمقتل عمهِ جمع من السكبان نحواً من عشرة آلاف وشرع يعيث بهم في البلاد مستبداً في حلب ما شاءت اهواؤهُ فبعث يوسف باشا سيفا والي طرابلس يعرض على الدولة التنكيل بعلي جانبلاذ اذا عينتهُ الدولة سرداراً على الجيش السلطاني فصدرت لهُ الاوامر بذلك فبعث يطلب العساكر من الشام وضواحيها فاحتشدوا عند حماه ولما جاء علي جانبلاذ وقع المصاف فلم يقوَ يوسف باشا على الثبات طويلاً بل انكسر عسكرهُ وفرَّ باربعة رجال ليس الاَّ واستولى الامير علي على مخيم يوسف باشا وعسكرهِ وغنم غنائم وافرة جرجي ينّي

رواية امينة

الفصل الثاني

الفصل الربيع والشمس مشرقة وقد اكتنفت اشعتها البيوت المقابلة لنا على الضفة الاخرى من البسفور كأنّ ناراً اضطرمت في جوانبها . وتنفّست الامواج بين الرصافة والجسر كأنها زفرات الدة ولهانة. وصفا اديم السماء حتى كنتُ ارى الثلج يكلّل هامة جبل اولمبس. وانعكس النور عن برج البنات فخلتهُ بلوراً صافياً . وقُرعت الاجراس في السفن الراسية امامنا دلالةً على اذان الظهر ورأيت البحارة يذهبون ويجيئون وانا واقفة امامهم كسلى لا عمل لي ولا اشعر بهمّة للعمل . وقد مضت ايام منذ توفيت جدتي نخفّ ما كنتُ اشعر بهِ من الحزن عليها والوحشة من الانتقال الى حالة لم آلفها. ولقيت من كل احد فوق ما انتظرت من الاكرام فان هانم افندي عاملتني مثل ابنتها والباشا كان ينظر اليّ نظر الحنو والشفقة وبنتهُ وكنّتهُ اظهرتا لي كل حب وتودُّد اما ابناهُ فادهم بك لم يكن يكلمني الاّ نادراً واذا كلّمني فبوداعة ولطف ونافذ بك كان اكبر صديق لي من حين رآني في بيت جدّتي ولم تفتر مودتهُ قط

وبينما انا جالسة امام البسفور وعيناي تجولان في ما امامي سمعتُ صوتاً يناديني قائلاً تقول لكِ امي لتأتي وتساعدي الجواري في كي الثياب لانها كثيرة وتخشى ان لا يتمّ كيّها اليوم . فنهضتُ ومضيت الى الغرفة التي فيها الجواري حتى اذا بلغتُ بابها سمعتُ واحداً يضحك فعرفت من هو وصبغت وجهي حمرة الخجل وكان الدم يصعد الى راسي كلما سمعت صوتهُ وصار ذلك عادةً تنتابني وقد حاولتُ التغلّب عليها بكل جهدي فلم استطع. كان نافذ بك هناك جالساً على حافة الشباك وهو يمزح مع الجواري فلما دخلتُ قام ودنا مني وقال " ماذا اتى بك الى هنا فقد دخلتُ الرواق منذ خمس دقائق ورأيتك جالسةً فيهِ فلم اشأ ان ازعجكِ بل تركتكِ واتيتُ الى هنا. أأتيتِ لتكوي كلاّ كلاّ ". واخذَ المكواة من يدي وهو يقول "ألاَ ترين انها حامية جداً وقد كنتِ تشكين من الصداع هذا الصباح ". فنظرتُ اليهِ نظر الشكر وقلت نعم ولكن الصداع كان خفيفاً وقد زال الآن. فقال كيفما كان الحال فالوقوف امام النار يضرُّكِ تعالي الى البستان وانظري ما اجمل هذا النهار. فقلتُ اني لا استطيع ذلك لان هانم افندي ارسلتني الى هنا لاساعد البنات. ولما قلت ذلك ردّ اليّ المكواة ودار الى الشباك وهو يصفر والتفتُ اليهِ فوقعت عيني على عينهِ وللحال صبغت وجهي حمرة الخجل واضطررت ان انحني فوق سل الثياب كأني افتش عن قطعة اخرجها لاكويها والحقيقة اني كنت اريد ان استر وجهي . وسمعت حينئذٍ

واحدة تقول لعنة الله على هذه المكاوي ورمت المكواة من يدها فاخطأت رأسي قليلاً . ورأيت ان التي فعلت ذلك هي بوار وكان الشرر يتطاير من عينيها ونهض نافذ بك مسرعاً وقال لها أجننتِ ما هذا الفعل يا بوار . فرشقتهُ بعينيها ودارت الى النار ولم تفهُ بكلمة . ووقفت انا حيرى لا اعلم سبب غيظها ولا معنى ما يتغامز بهِ الجواري حولي . والظاهر ان نافذ بك حار في امرهِ ايضاً فمشي اولاً نحوها ثم عاد اليَّ وقال لي هل اصابتكِ فقلت كلاَّ فقال أمتأكدة انت فقلت ومن ادرى مني بنفسي . فتبسم على جاري عادتهِ وقال خفت ان تخفي ذلك لكي تدافعي عنها . فقلت انها لم تفعل هذا عمداً . فلم يجب بشيءٍ بل اتكأ على طرف المائدة التي كنا نكوي عليها والتفت اليَّ بعد بضع دقائق وقال لقد ترقيت ولم تهنئيني واخذت وظيفة جديدة في السر عسكرية . فقلت له ولم استطع ان اخفي سروري ان هذا الخبر يسر هانم افندي لانها كانت تود ذلك كثيراً . وقالت شيستا وكانت واقفة امامي "وهو يسرُّنا كلنا وستبقى هنا يا بك افندي فقال نعم وهذا بفضل ابي فان مَن له اب مثله تأتيهِ المناصب عفواً من غير تعب . ولا بدَّ من ان كثيرين كانوا ينتظرون هذا المنصب وهم احق بهِ مني وقد انتظروهُ سنين كثيرة فنلتهُ انا على غير استحقاق . فنظرت اليهِ لما قال ذلك وعندي انهُ ليس في العسكرية كلها مَن هو احق منهُ بالمناصب العالية فرأيتهُ ينظر اليَّ وقال لي ارى انكِ توافقينني على ما قلت نعم اني كسلان ولا اصلح لشيءٍ ولكن لو رفضت هذا المنصب بدعوى اني غير اهل لهُ لعدَّ الناس ذلك مني تصنعاً وتظاهراً بالضعة . فاعترضتهُ قائلة اني لم اعنِ ذلك ولا خطر ببالي هذا الخاطر . فقال اذاً ماذا تعنين فانكِ نظرتِ اليَّ نظر المستحسن لكلامي فاخبريني ماذا كان يدور في بالكِ حينئذٍ . فبقيت صامتة وقالت لهُ كنجه جارية ادهم بك اليك عن البنت بك افندي ولا ادري كيف نقدر ان نتم شغلنا وانت واقف هنا

فقال مَن يمنعكِ عن الشغل والشغل لا يمنع الكلام . ثم دنا مني وكلمني بصوت منخفض قائلاً قولي لي ما هو فكركِ فيَّ . وللحال شعرت بواحدة مرَّت بجانبي فالتفت واذا بوار قد خرجت من الغرفة والحنق ملء عينيها ودفعت الباب وراءها حتى كادت تكسره . فوقفت حيرى لا ادري سبب غيظها مني وقلت في نفسي تُرى ماذا فعلت حتى غضبت عليَّ وباي شيءٍ اسأت اليها وقد كانت تعزني كثيراً في حياة جدتي . ولمس نافذ بك يدي وقال لي بماذا انتِ تفكرين بوار سريعة الغضب والظاهر ان هذا اليوم من ايام بؤسها ونحن قد اعتدنا ان نرى ذلك منها اما انتِ فلم تعتادي ولكني ورأس ابي لا ادعها تنشّ خلقها فيكِ

فقلت على مَ تنشّ خلقها فيَّ وما هو ذنبي عندها .

فقال لا ذنب . ثم اخرج ساعتهُ من جيبهِ وقال صارت الساعة واحدة ولا بدَّ من ذهابي الآن . اشتغلن يا بنات وماعدتُ ازعجكنَّ . ولم يكد يخرج من الباب حتى اغرب الجواري في الضحك

وقالت ماهور وهي جارية متقدمة في السن لها في بيت الباشا عشرون سنة يا مسكينة اني اشفق عليها . فقالت لها كنجه اما انا فلا اشفق عليها واخاف انها تؤذي هذه البنت المسكينة . فقالت مريم جارية وحيدة هانم مَن هي البنت المسكينة ثم نظرت اليَّ وقالت لا اظن انها جنَّت الى هذا الحد . وقالت بندزار وهي خزندار السراي لقد أخطأ نافذ بك الى بوار وكان يجب عليهِ ان يتزوجها بعد ان انتظرتهُ هذه السنين . فاجابتها مريم قائلة كيف تقولين انها انتظرتهُ فانهم اشتروها تحت التجربة لان نافذ بك قال مرةً انهُ يفضل ان يتزوج جركسية وقال لامهِ انها جميلة ولكنهُ لا يقرر فكرهُ حتى يعود من الاناطول وقد عاد الآن فلم تعجبهُ وهي جارية مثلنا ويجب ان تشتغل شغل الجواري وانا اكره كل مَن تتخطى حدودها

فانجلى لي الامر قليلاً وقلت لها أعن بوار تتكلمين . فقالت مريم نعم أما بلغكِ ذلك قبل الآن فقلت كلاَّ ولم اسمع انهم اشتروها لنافذ بك . فقالت شيستا نعم اشتروها لهُ وقد مضى عليها الآن خمس سنوات وهي تتعلم لتصير هانماً ولكن خاب املها . ووضعت كنجه اصبعها على فمها وطلبت منا ان نسكت لان بوار آتية . ودخلت بوار حينئذٍ وصمت الجواري فنظرت اليها مشفقة عليها لانهُ لا اصعب من الفشل بعد الامل . وكانت ثورة الغضب قد خمدت لكن كان في عينيها ما يحذر الجواري من الكلام معها فاخذت تكوي الثياب الى ان فرغت وهي لا تفوه بكلمة والجواري حولها يتكلمن همساً ويتغامزن ثم اخذت ثياب نافذ بك وخرجت وحملتُ انا وكنجه السل الذي فيهِ ثياب ولية هانم واخذناهُ وصعدنا بهِ الى غرفتها ورتبنا الثياب في الخزائن وكنا نعمل صامتتين ثم قالت لي كنجه ياليت نافذ بك يتركك وشأنكِ . فقلت لها ماذا تعنين وعلت وجهي حمرة الخجل . فقالت لا شيء لانني اعلم انهُ انما يمزح معكِ فانكِ ابنة مربيتهِ وقد رآكِ يتيمة فشفق عليكِ وهذا شيء معقول لكن بوار غارت منكِ ولا سيما بعد ان خاب املها. فقلت لها لماذا تغار مني أتظنين انها تحسب نافذ بك يفضلني عليها. فقالت نعم هذا الذي اظنهُ ولا ادري كيف دخل هذا الفكر رأسها ولكن دعينا من هذا الموضوع الآن وهلمَّ ننزل.

فنزلت معها وانا افكر في كلامها وفي ما رأيتهُ من نافذ بك فانهُ كان ينظر اليَّ نظر مَن يهمهُ امري ويتكلم معي ويمزح على غير ما يفعلهُ مع بقية الجواري وكنت اعلم ذلك منهُ واسرُّ بهِ ولكنني لم اكن افسرهُ الاَّ بانهُ يشفق عليَّ ويعاملني باللطف لان اللطف من طبعهِ . وحتى

تلك الساعة لم اكن اظن انهُ يعني غير ذلك . وحاولت ان انسى ما رأيتهُ من بوار فلم استطع واخذ فؤادي يخفق مع ان عقلي كان يقول لي ان ظنونها في غير محلها . واخيرًا اخذتُ عودًا بيدي وخرجت الى الحديقة وحاولت اللعب عليهِ لانني كنت قد شرعت اتعلم اللعب على العود فوقع من يدي وغصت في بحار الافكار واتضح لي حينئذٍ ان نافذ بك كان يظهر من الاهتمام بامري ما يحمل على الظن بان ذلك غير ناتج عن مجرد الشفقة عليَّ . وتذكَّرتُ حينئذٍ شدة ميلهِ اليَّ واعتنائهِ بي ولما فكرتُ في كيف تنظر بوار الى ذلك صعد الدم الى رأسي فكاد يشعل وجنتيَّ . وحتى تلك الساعة كنتُ اسرُّ بما اراهُ منهُ من غير ان اقدّر لهُ معنًى اما وقد رأيت ما رأيت من بوار وسمعت ما سمعت عنها فداخلني ريب في نفسي وقلت قد يكون قاصدًا شيئًا آخر ولكن يستحيل عليهِ ان يفكر بالاقتران بي. وحاولت قرع الاوتار باناملي فلم استطع وللحال انفتح باب الحديقة من ورائي ودخل نافذ بك وهو يتبسم وجلس بجانبي واتكأ على العشب وقال لي ماذا تفعلين هنا أتلعبين على العود . هذا احسن من كي الثياب ولقد احسنتِ بالمجيء الى هنا قبلما تتعبين

فقلت " اتممنا كي الثياب كلها " . وهذه اول مرة شعرت فيها باني اكره ان اقيم معهُ وحدنا . اما هو فلم يكن فكرهُ مثل فكري على ما يظهر لانهُ قطع غصنًا من الريحان وجعل يلعب بهِ ثم قال لي اسمعي يا امينة لا اريد ان اراكِ تشتغلين مع هؤلاء الجواري لانك لستِ جارية واظن انهُ لا بدَّ من ان اخبر امي بذلك . فقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ لا تخبرها لانني احبُّ الشغل ولو كنتَ تعلم مقدار فضل امك عليَّ ومقدار ما اشعر بهِ من الشكر لها ومقدار رغبتي في مرضاتها لعلمتَ انني مستعدة انْ افعل كل ما تطلبهُ مني مهما كان شاقًا . فتبسم وقال اذًا لا اخبرها ولكن انتِ عديني بان لا تتعبي نفسكِ لانني لا اراكِ قويةً قادرة على الشغل الشاق فقلتُ كلاَّ بل انا قوية ولو كنت تراني نحيفة صفراء ولم امرض في حياتي

فلم يجبني بل وضع عرق الريحان امام انفي وقال لي ما معنى الريحان في لغة المحبة . فاضطربت لما قال لي ذلك وقلتُ لا اعلم هذه اللغة ونهضتُ لاذهب فقال لماذا تذهبين ماعدتُ اكلمكِ في ذلك ابقي هنا فان المكان جميل جدًا وانت محتاجة الى الراحة اجلسي وامسك بيدي واضطرني الى الجلوس واخذ كتاب الموسيقى مني ونظر الى اللحن الذي كان مفتوحًا عندهُ وقال لي هل تعلمتِ هذا اللحن فقلتُ اني آخذة في تعلمهِ . وخطرت ببالي بوار حينئذٍ وخفتُ ان تأتي وتراني كذلك ولم ارَ من اللياقة ان اقوم واتركهُ غضبًا عنهُ . ثم قال العبيهِ امامي لارى كيف تلعبينهُ فمسكت العود واخذتُ العب وللحال انقطع وتر من اوتارهِ فاخذهُ مني ليصلحهُ

وقال لي انكِ لا تتكلمين عن الحب ولكنكِ تغنين بهِ فكيف ذلك . فقلت اذًا لا اغني . فقال كلا كلا وقد رجعت عن قولي ها قد اصلحت الوتر فدوزنيهِ لانني انا لا اقدر ان العب على عود دونهُ غيري . فاخذت العود من يدهِ ونهض هو ووقف امامي وقد احنى رأسهُ ناظرًا اليَّ فصعد الدم الى وجهي لان عينيهِ كانتا مملوءتين بدلائل الحب والشفقة وبينما انا ادوزن العود انفتح باب الحديقة ودخل ادهم بك ولما وقع نظري عليهِ نهضت على قدميَّ اجلالاً لهُ وزاد اضطرابي لانني شعرت ان حمرة الخجل صبغت وجهي وعنقي

ونظر ادهم بك الى نافذ بك وقال لهُ لماذا لم تبقَ في السلاملك فان ابي ليس هنا وقد اقمت مع يوسف باشا اكثر من ساعة وانا مشغول جدًا

فقال نافذ بك ان مسايرة يوسف باشا تزهق الروح ولكن لو عرفت انك مشغول لجلست معهُ . والحق اقول لك انني اتيت الى هنا هربًا منهُ وانت اكثر مني صبرًا

فاجابهُ ادهم بك لستُ اكثر صبرًا ولكني اقل حبًّا لنفسي وانت تعلم اني مشغول وكان يمكنك ان تأتي وتقوم مقامي وذلك خير لك من قيامك هنا

وقد اندهشت انا ونافذ بك من كلام ادهم بك لاننا لم نعهد منهُ مثل ذلك . وقال لهُ نافذ بك ان كان كلام يوسف باشا يغيظني كما اغاظك فقد احسنتُ بهربي منهُ . فلم يجبهُ بشيء بل دار وجههُ وسار نحو البيت . واخذ نافذ بك بيدي وقال لي هلمَّ نذهب نحن ايضًا فاطعت امرهُ وانا مضطربة مشغولة البال كمن اقترف ذنبًا كبيرًا ولكنهُ وقف ولم يمشِ ونظر الى البحر وكانت الشمس قد مالت الى المغيب ونزلت وراء الآكام فاشرت اليها لكنهُ هز كتفيهِ وقال لي لا شغل لكِ فلماذا انتِ مستعجلة ثم تقدم الى السور الذي يفصل بين الحديقة والرصافة وازاح اغصان الياسمين المشتبكة بين درابزينهِ وقال لي هلمَّ ننظر الى البحر وكان لا يزال ماسكًا يدي بيدهِ فوقفت بجانبهِ مكرهة وانا اودُّ ان يتركني لاعود الى البيت . فنظر الى البحر قليلاً ثم قال هوذا ابي فنظرت واذا قائق نصر الله باشا يمخر البحر مسرعًا فقلت لهُ ألست ذاهبًا لتلاقي اباك . فقال ضاحكًا ما اشد رغبتك في البعد عني كلا لست ذاهبًا لملاقاتهِ . فوقفت صامتة لا ادري ما اقول اما هو فقال لي ما جرى لك يا امينة حتى اراكِ متغيرة عليَّ . فنظرت اليهِ متعجبة وقلتُ ماذا تعني يا مولاي . فقال اراكِ منزعجة من وقوفي معكِ هل قال لكِ احد شيئًا فانكِ لم تكوني كذلك قبلاً . فلم اجبهُ ولكن صعد الدم الى وجهي وصرت أتمنى ان تشتدَّ الظلمة لكي لا يراني . اما هو فنظر في وجهي مليًّا وقال لا بدَّ من ان يكونوا قد قالوا لكِ شيئًا فاخبريني ماذا قالوا لكِ . وكان يتكلم بلهجة الغيظ ولكنني

لم أُجبهُ ولا رأيت ان اخبره شيئاً عن بوار ثم خطر لي ان كل من يرانا حينئذٍ على تلك الصورة يظن ما ظننته بوار فحاولت نزع يدي من يدهِ ولكني لم استطع فقلت دعني اذهب قبل ان تسأل عني هانم افندي . فقال دعيها تسأل لا اتركك قبل ان تخبريني ما قالتهُ لك بوار. فسررت لان الموضوع تحوّل على هذه الصورة وقلت له لم تقل لي شيئاً وما عساها ان تقول وانا اشفق عليها

فقال على مَ تشفقين عليها وماذا جرى لها

فلم اجبهُ ووددت ان اخفي من وجههِ لكي لا اجيبهُ على هذا السؤال لكنهُ لم يعدهُ بل قال الحق في يدك يجب ان تمضي لكنهُ لم يترك يدي . فقلت له كيف امضي وانت لا تتركني. قلت ذلك ونظرت في وجههِ فرأيتهُ ينظر اليَّ وقبل ان افهم مرادهُ انحنى وقبَّل وجهي وللحال سمعنا صوت ادهم بك يناديهِ ويقول ابي على المائدة وانت تعلم انهُ يكره الانتظار افلا تريد ان تتعشى . فترك يدي واسرع نحو اخيهِ واتكأت انا على السور وقد غطيتُ وجهي بيدي وكدت اذوب خجلاً من نفسي . وقلت كيف يتجاسر على ذلك وانا لست جارية من جواريهِ ولا بدَّ من ان اكون قد جرأتهُ على هذا العمل والاَّ ما تجاسر عليهِ . ثم راجعت نفسي فرأيت انني لم افعل شيئاً كان يمكن ان لا افعلهُ ولم يكن في طاقتي ان اتخلَّص منهُ من غير ان اخلَّ بشروط الحشمة والاكرام له كابن للسيدة التي انا مستظلَّة بظلها. واخيراً آليت على نفسي ان لا اقابلهُ ابداً الاَّ في حضرة امهِ حيث لا يستطيع ان يتطاول عليَّ مهما كان شأنهُ

ومضيت تلك الليلة الى الغرفة التي يجلس فيها سيدات البيت وجلست بجانب هانم افندي وكانت ولية هانم تخيط ثياباً لابنتها فساعدتها فيها . ثم سمعنا صوت الاولاد في الرواق فقالت وحيدة هانم لقد تعشَّى ابي وقام عمي ان يأتوا حالاً لاكلم ادهم فيقنع ابي بارسال جودت الى مدرسة في باريس

فقالت هانم افندي انا لا استصوب هذا الرأي ولا استحسن ان يرسل الاولاد الى مدارس الكفار وهم صغار فيضيعوا دينهم وان كان ادهم يريد ان يبقى ابنكِ هنا فليس من الصواب ان تقنعيهُ بارسالهِ الى باريس

ولم اسمع جواب وليَّة هانم وللحال انفتح الباب ودخل نصرالله باشا وصهرهُ علي بك زوج وحيدة هانم والتفتا الينا وقالا اين ادهم ونافذ فانهما تركانا منذ ربع ساعة ودنت وليَّة من نصرالله باشا وقبلت يدهُ وهي تقول لم يأتيا الى هنا ولا اعلم اين ذهبا وما من احد يسلينا في السهرات غيرها. فضحك علي بك وقال لها أصرتا عندكِ صفراً ولكن هوذا ادهم بك تعالـــ

يا اخي فان زوجتك كانت تشكو الآن من غيابك وتقول ان لا احد يسلي غيرك

ونظرتُ الى ادهم بك خجلة لانني كنت اخاف ان يكون قد رآنا في البستان ووقفت لهُ اكراماً لما دنا مني فوضع يدهُ على كتفي وطلب مني ان اجلس في مكاني وقال لعلي بك لقد اخطأت فان حضوري وغيابي سيان عند السيدات ولكنهن افتقدن نافذاً . فضحكت ولية هانم وقالت لزوجها ما ذلك الاَّ لانك لا تجتهد تجعلنا نفتقدك في غيابك اما نافذ بك فانهُ يسلينا كلنا . فتبسَّم ادهم بك وقال وهذا لا يغيظني لانني مهما اجتهدت لا يمكنني ان اقوم مقامهُ . فلم تجبهُ وكنت اراها تخجل دائماً كلما تكلمت معهُ . ودار الحديث على مواضيع شتى ثم جاء نافذ بك ورأيتهُ عابساً على غير عادتهِ ودنا من امهِ وقبَّلها ثم عاد ووقف بجانب ابيهِ وقال لهُ هل قرأت الجرائد افندم او اقرأها لك . فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة لانهُ لم يعتد منهُ ذلك وقال لهُ مالك والجرائد اذهب سامر البنات . فجلس في مكانهِ وكان يحاول ان لا تقع عينهُ عليَّ ثم قال لابيهِ لقد عزمت الآن ان اعقل سمعتك امس تذكر حساباً تريد ان يراجعهُ احد لك فدعني اراجعهُ . فقال ابوهُ اذا كان الامر كذلك فالدفاتر في مكتبتي . فنهض واتى بها وراجع الحسابات الى ان اتمها ثم نظر الى ساعتهِ وقال صارت الساعة العاشرة فاذهبُ الآن وامشي قليلاً على الرصيف الى وقت النوم ثم ودَّعنا وخرج

فقالت ولية هانم بعد خروجهِ ماذا جرى لنافذ بك فاني اراهُ متغيراً قالت ذلك ناظرةً الى نصرالله باشا . فضحك وهزَّ كتفيهِ وقال لا ادري وان كان مغتاظاً من احد فلا يكون مني لانكِ رأيتِ كيف عرض خدمتهُ عليَّ فلا بدَّ ان يكون السبب من غيري. فقالت ولية هانم على كل حال ليس السبب مني لانني لم اختلف معهُ في حياتي . فقال علي بك يا بختهُ ويا ليتني كنت مثلهُ

وقمت حينئذٍ لامضي الى غرفتي لانني كنت اشعر بشيء من التعب ودنوت من الباشا وقبلت يدهُ فوضع يدهُ على كتفي ونظر في وجهي وقال لماذا انتِ محمرَّة بهذا المقدار ماجرى لكِ . فزاد خجلي وادرت وجهي وانا اتمنى ان لا يراني احد فوقعت عيني على عين ادهم بك فرأيتهُ ينظر اليَّ نظر الاهتمام لكنهُ لم يقل شيئاً . فخرجت ومضيت الى غرفتي

الفصل الثالث

ولم يحضر نافذ بك في اليوم التالي وقال لنا علي بك انهُ تغدَّى في المدينة وسيقضي المساء هناك . ثم صار هذا دأبهُ فلم نعد نراهُ في دار الحريم الاَّ نادراً فكان يقضي نهارهُ في السر عسكرية ويتعشى خارجاً واذا تعشى في البيت خرج بعد العشاء ومضى الى بيرا. وكانت اختهُ

وامرأة اخيهِ تشكوان من ذلك وقالت امرأة اخيهِ ان اللوم كلهُ على بلاد الاناطول لانها غيرت طبعهُ وجعلتهُ مثل زوجها

ثم صرنا نسمع عنهُ قصصاً غريبة وقالت لي كنجه ان ادهم بك اخبر امهُ بان نافذ بك يعاشر اناساً يثلمون صيتهُ. ثم سمعنا انهُ صار يقامر وخسر اموالاً كثيرة وهذا الخبر اخبرتني اياهُ شيستا وقالت انها سمعتهُ من ادهم بك وعلي بك. فساءني هذا الخبر جداً وقلت في نفسي ترى ما يقول الباشا عنهُ. وفي اليوم الذي سمعتهُ فيهِ كنت واقفةً امام الشباك فرأيت قايقةً آتياً بهِ وكانت مريم بجانبي فقالت لي هذا نافذ بك وقد امر الباشا ان يُرسل اليهِ حالما يحضر. فقلت لها اين الباشا الآن فقالت في السلاملك

ولم اعد اسمع عنهُ شيئاً ذلك اليوم لاننا لم نسمع في دار الحريم عمَّا دار بينهُ وبين أبيهِ في السلاملك. ولكني رأيت ادهم بك في المساء فاذا هو عابس الوجه اكثر من ذي قبل. ولم يكتب على جاري عادتهِ بل اخذ كتاباً وجلس امام الشباك كأنهُ يريد القراءة مع انهُ كان بعيداً عن النور فلا يستطيع ان يرى ليقرأ. وكذلك نصر الله باشا بقي صامتاً اكثر الوقت وكان بيدهِ صحيفة من صحف الاخبار تغطي وجههُ عنا. ومرَّ المساء وكل احد صامت عبوس حتى ولية هانم جلست تنقر على قيثارها كأنها لا تقصد اللعب بل التسلية. اما هانم افندي فجلست على ديوانها على جاري عادتها وهو اشبه بعرش ملكي منهُ بديوان بسيط وسيكارتها في يدها الواحدة والسبحة في يدها الاخرى. وجلست بجانبها على طرَّاحة وامامي مصباح وكنت اطرّز لها لحافاً من الحرير بخيوط القصب كانت عازمة ان ترسلهُ الى ابنتها وكنت اراها تنظر الى ادهم بك من وقت الى آخر نظر الاهتمام. وفيما نحن كذلك سمعنا واحداً يضحك في الدار فعرفنا كلنا انهُ نافذ بك وللحال دخل وتقدَّم الى امهِ وقبَّل يدها ووجهها على جاري عادتهِ ثم جلس بجانب ابيهِ والتفت اليهِ بعد قليل وقال لهُ صدر الامر لبعض الضباط من فرقتي بالذهاب الى اليمن حالاً ولم يمضِ علينا خمسة اشهر من حين اتينا من الاناطول فهل ذلك من العدل

فقال نصر الله باشا اما انت فلا تخف فانك ما دمت في اركان الحرب فلا يرسلونك. فقال ولكن اذا ساعدتني يرسلونني. فنظر اليهِ ابوهُ مستغرباً وقال اتريد ان تمضي الى اليمن. وللحال تركت ولية القيثار وقالت هذا شيء لا يصير نينا[1] بك افندي وحيدة قولوا كلمة فقد مضى شهران وهو بكدَّرنا والآن يريد ان يذهب الى اليمن

فقالت هانم افندي هذا شيء لا يصير وكيف تمضي الى اليمن وانت تعلم ان هواءها ارداً

(١) هذا نداء لخالتها وزوجها وابنة عمها ومعنى نينا ام

هواه في كل السلطنة والآن فصل الصيف حين تفشو الكوليرا فيها فلماذا تريد ان تذهب اليها

فقال نصر الله باشا الذهاب اليها خير من المقامرة ولكنهُ اذا كان لا يريد ان يذهب فلا ارسلهُ غصباً عنهُ

ونظرتُ انا الى نافذ بك فرأيتهُ جالساً ويدهُ تحجب وجههُ عني وكنت اودُّ ان لا يذهب ولكن لم يكن لي صوت في الجماعة . وقامت هانم افندي وتقدمت من زوجها وقالت لهُ لا يمكن ان اسلم بذهابهِ وانت تعلم ما حلَّ بي في مدة غيابهِ في الاناطول فكيف يكون حالي اذا ذهب الى اليمن فلا يقسُ قلبك عليهِ لانهُ مهما كان ذنبهُ فهو لا يستدعي ارسالهُ الى حيث تكون منيتهُ

فقال لها نافذ بك ولكن انا نفسي اريد الذهاب الى اليمن وانا الذي طلب منهُ ان يسعى لي في الذهاب اليها أليس الامر كذلك يا ابي . فهزَّ نصرالله باشا كتفيهِ وقال لا اريد ان اكون مسؤولاً امام امك . نعم انهُ ليس هناك اقل خطر ولكن الهواء قد لا يناسبك ولا اريد ان يقع اللوم كلهُ عليَّ

فوقف نافذ بك بجانب امهِ ووضع رأسهُ على كتفها وقال صدقيني يا اماه انهُ ليس هناك اقل خطر او اقل شيء يشغل البال وقد ذهب ثلاثة من رفاقي وعادوا بالامس وقالوا ان الحر محتمل جداً . وهي اربعة اشهر فقط اسمعي ما يقال في الجريدة وفتح الجريدة ليقرأ لها فخطفتها من يدهِ وقالت لهُ لا اريد ان اسمع ولا اريد ان تفقد مركزك في السر عسكرية بقلة العقل.

فتبسم نصرالله باشا وقال لابنهِ اليك عن هذا الموضوع فان امك لا تسلم ابداً ولم يخطر ببالي قط انك لا تستطيع ان تقاوم التجربة الاَّ بالهرب منها الى اقاصي الارض

فقالت هانم افندي ما هي هذه التجربة . واحمرَّ وجه نافذ بك ونظر الى اخيهِ نظر من يطلب منهُ كتم امرهِ

فقال نصرالله باشا الدوران في بيرا وترك ولية في البيت تقلق رأسنا بالسؤال عنهُ. هات رقعة الشطرنج يانافذ وتعال نلعب دقاً

وكانت رقعة الشطرنج وراء ادهم بك فلما ذهب نافذ بك ليأتي بها رأيتهُ همس في اذنهِ شيئاً فاجابهُ ادهم بك بهز كتفيهِ ولما عاد بالرقعة قال لامرأة اخيهِ تعالي ياولية والعبي لنا شيئاً ووحيدة تغني لانهُ يجب ان تسلوني قليلاً اذا اردتم ان ابقى في البيت. ثم بسط رقعة الشطرنج ورتب البياذق عليها وجعل يلعب مع ابيهِ واخذت ولية تنقر على القيثار ووحيدة تغني وكنت اقول في نفسي ترى ما جرى لنافذ بك ولماذا يريد ان يترك بيت ابيهِ . ولم يمضِ الاَّ ربع ساعة حتى دفع نصرالله باشا رقعة الشطرنج من امامهِ وقال لكنتهِ وبنتهِ انكما تغنيان غصباً

عنكما ونافذ يلعب من غير عقل . قوموا نادوا البنات ليأتوا و يرقصوا لنا قليلاً وانتِ يا امينة قومي والبسي وشاركي البنات في الرقص . فقمت اطاعةً لامره وخرجت من الغرفة فتبعني نافذ بك ونادى بوار وقال لها قولي للبنات ان ابي يريدهنَّ ان يأتين و يرقصنَ ثم التفت اليَّ وقال لي أأنتِ ايضاً آتية لترقصي . فقلت له نعم ألم تسمع ما قال الباشا . فقال ما اتى بي الى هنا يا ليتني بقيت في الاناطول الى ما بعد زواجك . فلم اشأ ان افكر في معنى كلامهِ بل قلت لهُ حالاً على كل حال انا مسرورة لانك غير ذاهب الى اليمن . فابرقت اسرّتهُ وقال أصحيح ذلك أكان ذهابي يسوءُك . فقلت يسوء كل احد بلا شك . وقد استاءت ولية هانم جداً لانك غبت هذه الايام

فقال وانت أكنتِ تودين ان لا اغيب وهل سألتِ نفسكِ عن سبب غيابي . ولم تكن لي فرصة لاجيبهُ لان الباب انفتح حينئذٍ وخرج ادهم بك ونظر الى اخيهِ نظر الغيظ فعاد نافذ بك الى الغرفةوصعد ادهم بك الى الطبقة العليا وتبعتهُ ومضيت الى غرفتي لاغير ثيابي . وكان كلام نافذ بك لا يزال يرنُّ في اذنيَّ ولم تبقَ عندي شبهة في انهُ يميل اليَّ ولكني قلت في نفسي انهُ خاطر خطر لهُ ويزول من نفسهِ سريعاً لانهُ يستحيل ان يحبني وانا دونهُ بمراحل ولم ارَ شيئاً صريحاً في كلامهِ يدلُّ على حبهِ لي . ثم عدتُ الى نفسي فرأيت انني كنتُ كاسفة البال النهار كلهُ ولما قال انهُ عازم على الذهاب الى اليمن شعرت كأن حجراً ثقيلاً ارتمى عليَّ حتى ضاق صدري . فقلت ترى لو كان الكلام على ذهاب ادهم بك أكنت اشعر بما شعرت بهِ واتضح لي حينئذٍ ما لا استطيع انكارهُ وهو انني احب نافذ بك سواء كان يحبني او لم يكن يحبني . ولما تمثلت هذه الحقيقة امام عينيَّ غطيت وجهي بيديَّ واخذت ابكي من كبد حرَّى لانني خجلت من نفسي لكثرة ما كنت اسمع من التكلم بالازدراء على من تُتهم بحب رجل حتى ان الزوجة لا تستحلُّ ان تقول انها تحب زوجها فكيف شأن البنت التي مثلي . ثم عدت ابرّر نفسي وقلت هذا ليس حباً بل هو شعور بالشكر لهُ ولعائلتهِ على اعتنائهم بي ولكنني لم اقتنع بذلك وظهر لي اني فتحت للحب قلبي فتملك مني فعدتُ ألوم نفسي وقلت ماذا تقول النساء عني اذا عرفنَ امري وكأني رأيتهنَّ امامي ينظرنَ اليَّ شزراً ويزدرينني وللحال سمعت نقر آلات الغناء وكنت اودُّ ان ابقى حيث انا ولكنني لم اتجاسر على مخالفة امر الباشا فقمت ولبست حالاً ونزلت فرأيت المغنيات جالسات في طرف الغرفة والراقصات يرقصنَ في وسطها و بوار واقفة ترقص وحدها . وكنت احسبها من اجمل النساء ولكني لم أرَ من جمالها الرائع مقدار ما رأيت حينئذٍ فانها كانت لابسة قميصاً من الملس الرقيق وعلى خصرها شال

من الكشمير يتدلى على سراويل من المخمل وشعرها مسدول على كتفيها يكاد يصل الى قدميها وهي ترقص رقصاً بديعاً وتحرك حركات فتانة حتى كدت احسدها على ما هي فيه ولكن هذا الخاطر لم يخامر نفسي حتى زال منها حالاً . وكان نصر الله باشا جالساً على الديوان بجانب زوجته وادهم بك واقفاً متكئاً على كرسي ولية هانم . ووحيدة جالسة تلاعب ابنها وزوجها واقفاً يتكلم مع ادهم بك بقرب الشباك فلما دخلت قال لي نافذ بك ما اطول ما غبتِ فقد ظننا انك عدلت عن المجيء . واشار اليَّ نصر الله باشا لارقص مع بوار فدنوتُ منها ورقصنا قليلاً وانا خجلة من نفسي ثم مسكت الدف لادور على الحاضرين واجمع منهم الجبوة على جاري العادة فشعرت كأن ناراً في وجهي. ورأت هانم افندي مني ذلك فقالت لي مالكِ يا امينة فهل تعبتِ من الرقص فحاولتُ مجاوبتها ولم استطع وادنيت الدف من ادهم بك فرمى فيه جنيهاً من غير ان ينظر اليَّ ودنوتُ من علي بك فقال يظهر لي انكِ تخجلين من الاستعطاء يا بنتي فعسى ان لا تفعلي ذلك الأ في اللعب. فضحكت وكنت اشعر بمودّة علي بك لي واراهُ دائماً بشوش الوجه معي من حين رأيته اول مرة وقلت لهُ اني لا اخجل من الاستعطاء منك لاني عالمة انك لا تعطيني شيئاً. فقال اخطأتِ اخطأتِ خذي ليس معي غير هذا الجنيه ولكن لا تدعي بوار تأتي الى هنا قولي لي لماذا اراها مقلوبة الوجه اليوم . فالتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليَّ شزراً فقلت في نفسي لعلها تغار ايضاً مني لان علي بك يكلمني ودرت الى نافذ بك فرأيتهُ هو ايضاً ينظر اليَّ فزاد خجلي وادرت وجهي حالاً فقلت لعلي بك لا ادري سبب غيظها ولكن انظر ما اجملها . فقال جميلة او غير جميلة انا لا اطيقها ويا تعس نافذ بك ان تزوّج بها . فقلت لهُ اتظن انهُ يتزوّج بها فقال لا اعلم ولا هو يعلم على ما يظهر لي . كانت تعجبهُ قبل ذهابه الى الاناطول وقد صمم نيتهُ على ان لا يتزوج واحدة لم يرَها ولذلك لا يقدر ان يتزوّج الأ جارية . ثم قال انظري فقد عيل صبر البنات اسرعي حالاً واعطيهنَّ الدراهم والأ ظننَّ انك عازمة ان تأخذيها فدرت اليهنَّ وخرجنا كلنا من الغرفة وصعدت الى غرفتي وانا اسأل نفسي مرةً بعد مرة ترُى هل ما اراهُ من نافذ بك هو حبٌّ لي او انهُ يعاملني كما عامل بوار

وايقظتني الجواري في اليوم التالي باكراً لنمضي الى المصيف وننظفهُ لان نصر الله باشا كان عازماً على الانتقال اليه بعد ثلاثة ايام فقمت ولبست حالاً ونزلت فوجدت الجواري كلهنَّ لابسات وولية هانم تلبس يشمكها لتذهب معنا ونافذ بك واقف امامها ينزع النقاب عن وجهها كلما وضعتهُ ويضحك ويمزح فمضيت الى الرواق ولما رآني ترك امرأة اخيه واتى اليَّ عابساً واتكأ على درابزون الرواق ولم يكلمني فدرت لادخل البيت فقال الى اين انتِ ذاهبة لماذا تهربين مني

دائماً كاني من احط الناس ارجو ان تجتهدي وتحسني ظنكِ بي الى ان تري مني ما يريبك .
فان ادهم بك غير معصوم ويجب ان لا تصدقي كل ما يقولهُ عني حتى يثبت لكِ صدقهُ

فاستغربت كلامهُ وقلت لهُ انهُ لم يخطر ببالي قط انك كما تصف نفسك ولا قال لي ادهم بك شيئاً عنك ولماذا يقول لي وما هو الداعي ليكلمني عنك

فقال ما هو الداعي . ألم يحذركِ مني

فقلت كلاَّ كلاَّ ولماذا يحذرني واي ضرر كنتَ تقصدلي

فتهلَّل وجههُ قليلاً ثم قال ان لم يكن قد حذَّركِ مني فلماذا اراكِ تجتنبينني. وكأنهُ رأى ان حمرة الخجل علت وجهي فتبسم واتكأ على الرواق وقال هل قلت لكِ ماذا ظننتكِ البارحة فقلت كلاَّ .فقال ظننتكِ ساحرة ويا حبذا لو كنتِ ساحرة فتسهلي عليَّ ما يحيق بي من المصاعب ولما قال العبارة الاخيرة عبس وجههُ ثم تبسم قليلاً وقال اراكِ ذاهبة مع الجواري الآن فلا تُتعبي نفسكِ ولا ارى من العدل ذهابك معهنَّ لانك لست جارية

فتبسمتُ وقلت لهُ لماذا لا اتعب اتظن اني لو كنت باقية في قريتي كنت اجلس بلا عمل . فقال كلاَّ ولكن كنت تتزوجين وتشتغلين لنفسكِ وبيتكِ وربما كان ذلك افضل لكِ ولي

فتجاهلتُ معنى كلامهِ وقلت ان قريتنا جميلة جدًّا هل رأيتها قط. فقال لا اعلم .اين هي . قلت اسمها قش اغاج وهي تحت قوجه طاغ. فقال نعم كنت هناك ونمت ليلة في القرية لما كانت فرقتي في ايدين . فقلت لهُ متى كان ذلك فقال منذ سنتين نمت في بيت شيخ وهو معلم المدرسة هناك . فقلت هو الشيخ سليمان ولو عرف من انت واني عندكم لسرَّ بذلك كثيراً يا حبذا لو امكنني ان اكتب اليهِ . فقال عليَّ لا تكتبين اكتبي وانا ارسل المكتوب الى صديق لي في ايدين فيرسلهُ اليهِ . فتهلل وجهي وشكرتهُ على فضلهِ . فدار عني وقال يا حبذا لو كنت كما تظنين ووضع يدهُ على رأسي ثم رفعها وقال هوذا الجواري ولا بدَّ من ذهابكِ . فتركتهُ ومشيت معهنَّ وانا افكر بالشيخ سليمان ومقدار سروره حينما يقرأ مكتوبي

وخرجنا بعد الظهر الى حديقة المصيف لنستنشق الهواء قبل رجوعنا الى المدينة وتقدَّمت اليَّ بوار وكلمتني بلطف قائلة سنترك المدينة قريباً ألا تريدين ان تمضي وتري حميدة قبل مجيئنا الى هنا . فقلت لها كيف لا اريد ولكن هل تسمح لي هانم افندي

فقالت لا شبهة في انها تسمح وانا استأذنها لكِ ولكن يجب ان تأخذيني معكِ ايضاً . فقلت لها حتماً والهانم لا تسمح لي بالذهاب وحدي . وقالت كنجه ألا يمكن ان يذهب اربع او خمس منا فانهُ مضى زمان طويل منذ خرجنا من البيت . فرمقتها بوار شزراً وقالت كلاَّ فانكِ

الآن الخزندار ومن يهتم بالصناديق في غيابك وقالت شيستا اما انا فلا شغل لي خذيني معكِ يا امينة . فقالت بوار كلاّ كلاّ لان هانم افندي لا تريد ان نخرج كلنا من البيت معاً لئلاّ يحسدها الناس . فقالت لها شيستا لا تغضبي ولا تنفري وان كان لكِ مقاصد خفية فما احد منا يصرفكِ عنها اذهبي وحدكِ مع السلامة. فقالت لها بوار اليكِ عن هذا الكلام الفارغ ان شئتِ ان تأتي معنا فتعالي فقالت شيستا كلاّ لا اريد ومن لا يرى انك لا تريدين ان نذهب معكِ . فلم تجبها بوار بشيء بل سارت في طريقها وضحك الجواري والتفتت شيستا اليَّ وقالت الى اين هي ذاهبة . فقلت لها لا اعلم ولكنني اظنها ذاهبة الى بيت حميدة . فقالت مريم كلاّ ولكنها ذاهبة الى الشيخ المنجم لكي تكتب عنده حجاباً. فقلت لمن الحجاب ألها ام لي فقالت لها لكي يحبها نافذ بك. فقالت لها كنجه اصبتِ اصبتِ ولا شيء يبرد خلقها غير ذلك . وقالت لي شيستا أتعرفين منجماً . فقلت نعم . فقالت اين يسكن وهل اخبركِ عن بختكِ فاخبرتها ما اعلمهُ عنهُ . وعادت بوار ونحن نتكلم ثم اتت ولية هانم وسمعتني اقص ما قالهُ لي الشيخ فقالت اظنهُ يعني ان واحداً يطلبكِ فترفضينهُ من هو هذا يا ترى ولماذا ترفضينهُ . فقالت مريم كيف ترفضهُ وهل الامر حسب ارادتها فان هانم افندي وحدها تحل وتربط في هذه المسألة . فقالت ولية هانم نعم واظن ان الامر تقرَّر الآن ولكن اظن ان امينة لا ترضى بهِ. فقالت بندزار كيف لا ترضى بهِ ويجب ان تشكر ربها لانها وجدت من يتزوجها. فقالت شيستا ان بندزار تتكلَّم عن نفسها بالله عليكِ يا ولية هانم قولي لهانم افندي ان تجد عريساً لبندزار . فاحمرَّ وجه بندزار ولم تتكلَّم وقالت ولية هانم كلكنَّ تطلبن هذا الطلب ولكن هانم افندي احكم من ان تفعل مرضاتكنَّ . ثم ما معنى كلام هذا الشيخ ان لم يكن كما فهمتهُ

فقالت كنجه ربما مرادهُ ان رجلاً عظيماً مثل نافذ بك يطلبها فترفضهُ. فذعرت بوار لما سمعت هذا الكلام وادرت انا وجهي لاخفي ما شعرت بهِ وضحكت كنجه وقالت انا امزح وقد حان الوقت لنذهب ولا بدَّ من الذهاب الآن لنلحق القارب . وكانت تنظر اليَّ ونحن راجعات لترى تأثير كلامها فيَّ ولكنها لم تقل لي شيئاً. ثم اتت الى غرفتي في المساء وقالت لي اتعلمين يا امينة ان ادهم بك تخاصم مع نافذ بك .فقلت لها لماذا تخاصما فقالت هذا شيء يسوءنا كلنا فانني انا كنت جارية ادهم بك قبلما تزوَّج ولذلك يتكلم امامي ولا يخفي عني شيئاً وامس اشتدَّ الخصام بينهُ وبين نافذ بك . فقلت لها ولكن على اي شيء اختصما . فقالت اظن انك ستتعبين يا امينة ولا ادري ما تقولــــ هانم افندي . فقلت لها بالله عليك اخبريني السبب . فقالت اما عرفتِ السبب الآن ان كنتِ لم تعرفيهِ فانت بلهاء كيف يحبك رجل وانتِ لا

تعرفين ذلك . فان نافذ بك يريد ان يقترن بكِ هذا ما قالهُ لاخيهِ البارحة

فقلت " أيريد ان يقترن بي " . فقالت نعم يقترن بكِ والظاهر انهُ احبك من اول ما رآكِ وزاد حبهُ لكِ رويداً رويداً وقد قبَّلكِ مرة في الحديقة ورآهُ ادهم بك ولامهُ لوماً شديداً لانهُ ان كان لا يستطيع ان يقترن بكِ فليس من الشهامة ان يعاملكِ هذه المعاملة. والظاهر ان نافذ بك صوَّب رأي اخيهِ وحاول ان ينساكِ فتعلَّق المقامرة

ولما قالت ذلك غطيت وجهي بيدي وانجلى لي معنى الكلام الذي سمعتهُ منها . ثم قلتُ لها ماذا قالوا البارحة فقالت لما اخبر نصر الله باشا ابنهُ ادهم بك عن ديون اخيهِ اشار ادهم بك الى قصتك من طرْف خفي ملتمساً عذراً لاخيهِ . ثم لما تكلم نصر الله باشا مع نافذ بك قال كلمتين يفهم منهما ان القصة بلغتهُ فاغتاظ نافذ بك من اخيهِ وقال لهُ امس انهُ سيقترن بكِ وذلك خير من الاقتران بجارية

فقلت لها انهُ يمزح ولا بدَّ لان الامر ضرب من المحال . فقالت لا ادري فان نافذ بك لم يكن يمزح حينئذٍ وانتِ لا تعلمين عنادهُ اذا قاومهُ احد. وكان يجب على ادهم بك ان لا يشدّد اللوم عليهِ كما فعل . وامس تكلم معهُ بلهجة كادت تشعلهُ واخيراً قال لهُ نافذ بك اعلم اغابك[1] اني بذلت كل جهدي لكي أتجنب هذه المشاكل التي لا بدَّ منها اذا بقيتُ مصرّاً على عزمي وحاولت ان اترك هذه البلاد مطلقاً وكان يمكنني ان اتجنب هذه الفتاة اكراماً لابي ولكني لا احتمل لومك كلما تكلمت معها كلمة . هذا علي بك يتكلم معها ساعة بعد ساعة ولا احد يقول لهُ كلمة . وحتى الآن لا اعلم انها تحبني ولكن ان كانت تحبني فانا اقترن وهذا ختام الكلام

فقلت لها وماذا قال ادهم بك . فقالت قال لهُ هل تدري مقدار الكرب الذي تسببهُ لها فان امي تتركك وشأنك ولكنها تنتقم منها وهي ابنة يتيمة لا ناصر لها ولا مجير. والرجل الذي يعرّض ابنة مثلها لاشد انواع الانتقام ارضاء لاهوائهِ يستحق ان يجلد حتى الموت وانا اجلدهُ بيدي ولو كان اخي. وهمَّ نافذ بك بالجواب ولكن دخلت ولية هانم حينئذٍ وافترقا. والآن اعلمي يا حبيبتي ان قول ادهم بك صدق كلهُ فان الهانم لا تقول كلمة لابنها ولكنها تصب غضبها ونقمتها على رأسكِ مدَّعية انك سحرتِ ابنها وحينما افكر في ما يمكن ان تفعل بك يقشعر بدني وانتِ لا تعرفينها كما اعرفها انا ولم تريها حتى الآن غضبى . ويمكن ان اقص عليك قصصاً عن افعالها تشيب رأسك . واقول لك بالاختصار انهُ لولا نصر الله باشا ما كان احد منا يبقى هنا بل كنا نهرب كلنا. اما مسألتك فلا اظن الباشا يتعرّض لها فاقبلي بمحبتي وتجنبي نافذ بك على قدر طاقتك

(١) لقب الاخ الاكبر

فقلت لها سأفعل حسب مشورتك وأؤكد لكِ يا حبيبتي ان كل ما جرى لم يكن باختياري. فقالت نعم انا اعرف ذلك ولكن لا احد يبررك بل الجميع من هانم افندي فنازلاً يقولون انكِ اغريتهِ وفتنتهِ وحبذا لو انتهت الامور عند هذا الحد

فسألتها ماذا قال الباشا لما سمع هذه القصة . فقالت لا اعلم ولكن لاشبهة عندي في انهُ لا يوافق على اقتران نافذ بك بكِ . والآن لا بدَّ من ذهابي . وقامت لتذهب ثم قالت ترى هل سمعت بوار بهذه القصة . لكنها عادت فقالت حتماً لم تسمع ولو سمعت ما كانت تطلب منك لتقضي معها غداً كوني على حذر منها فانها اكبر عدوٍّ لك . ثم قبلتني وذهبت فقمت الى سريري وانا غائصة في بحار اليأس فاني كنت احب نافذ بك ولو لم يخطر ببالي قط انهُ يطلب الاقتران بي . وقد زاد اعجابي بهِ الآن حتى صرت اعبدهُ فقد كنت احسبهُ من اكرم الناس فصرت اراهُ شهماً لا مثيل لهُ بين الرجال . وقلت ماذا فعلتُ لهُ حتى انكر نفسهُ لاجلي . ثم تقدمت الى حيث المرآة ورأيت وجهي وقلت اني لست اجمل من بوار ولكنهُ يحبني يحبني حتى يترك اباهُ وامهُ لاجلي . وهذا الفكر سرَّني ولكنني لم اغترَّ بهِ لانني كنت اعلم ان اقترانهُ بي ضرب من المحال ولابدَّ من ان ابذل جهدي لاصرفهُ عن عزمهِ . وتذكرتُ حينئذٍ الوعد الذي وعدت جدتي بهِ وهو ان لا اخالف هانم افندي في شيءٍ فقلت كيف اخالفها الآن واعصي امرها ولقد صدقت كنجه في انهم يحسبون الحق كلهُ عليَّ . ولما امعنت نظري في ما يمكن ان يجرَّ اليهِ امري ضاقت الدنيا في عيني فانطرحت على سريري وجعلت ابكي وانتحب وانادي جدتي واقول لها لماذا تركتني لماذا تركتني يا جدتي الحنونة . وللحال سمعت صوت الاذان فاصغت اليهِ وطلبت من الله ان يساعدني فسكن روعي قليلاً وقمت الى الشباك واتكأت عليهِ فرأيت علي بك ونافذ بك يمشيان في الممشى تحتهُ لان العادات التركية تقضي على الاولاد ان لا يدخنوا التبغ في حضرة والديهم فخرجا ليدخنا خارجاً وسمعتُ علي بك يقول لنافذ بك "لا يمكنك ان تقترن بامينة وارى ادهم بك مصيباً في ما قالهُ لك". ولم اسمع جواب نافذ بك لانهما ابعدا عني في مشيهما ولكنني سمعتهُ يقول حينما رجعا "لو تركني وشأني لكنت اجتهدت حتى اسلوها ولكنهُ جاءني بالتوبيخ والتقريع وحملني تبعة كل ما يمكن ان يحلَّ بها بسببي فارضاءً لهُ اجتهدت ان اسلوها حالاً فكانت النتيجة انني صرت افتكر بها اضعاف ما كنت افتكر قبلاً"

ولما سمعت هذا الكلام اردت ان اقفل الشباك لكي لا اسمع اكثر فرأيتهما قد جلسا تحتهُ ولما وقع نظري عليهما سمعت واحداً يمشي آتياً نحوهما واذا بهما قد طرحا السيكارتين من يديهما ونهضا واقفين . وكان هذا نصر الله باشا فقال لهما لماذا انتما هنا . ما الطف هذا النسيم

اسمع يا نافذ مات ابن يوسف باشا أَتقدر ان تذهب غداً وتسير في جنازتهِ فانا مشغول جدًّا وادهم لا يقدر ان يصل الى ابوب سلطان في الوقت لانهُ يتأخر في خروجهِ من المكتب

فقال نافذ بك نعم افندم اذا اردت

فقال نعم يا ولدي فان يوسف باشا صديق لنا ولا اريد ان يفتكر اننا نسيناهُ

فاقفلت الشباك وانطرحت في سريري وحاولت ان انسى كل ما سمعتهُ

(ستأتي البقية)

معرض باريس العام

الباب الخامس عشر في سائر الصناعات

في هذا الباب تسعة فصول تختلف معروضاتها مما ثمنهُ مليمات قليلة الى ما ثمنهُ ملايين من الفرنكات كيف لا وقد عُرضت فيها اللعب والدُمَى واقلام الكتابة وعرضت ايضاً الساعات الثمينة والجواهر الكريمة وكل ما تتفنَّن الصاغة والجوهريون في صوغهِ وترصيعهِ

الفصل الاول منها في صنائع الورَّاق والكتَّاب. وقد يُظنُّ لاول وهلة ان هذا الفصل ضيق النطاق لان صناعة القلم من اضيق المعايش لكن الامر عند الاوربيين على غير ما هو عند الشرقيين. وقد كانت صناعة الوراقة والكتابة في بلاد المشرق قبلما عرفت الامم الشمالية شيئاً عنهما لكن بلغ تقدمهما عندنا حدَّهُ منذ نحو سبع مئة سنة ثم لم يزد عليهِ واما عندهم فبلغتا مبلغاً يفوق ما يتصوَّرهُ اهالي المشرق ولا غرابة في ذلك فان من عمرت دواوينهم بارباب الاقلام واتسعت متاجرهم حتى عمّت الخافقين وبسم لهم وجه الزمان مئات من الاعوام وكاشفتهم الطبيعة باسرارها وساعدتهم العناية على كبح جماح الظالمين من ملوكهم وتقييدهم بقيود الدستور والشورى لحريُّون بان ترتقي الصناعات في يدهم وتبلغ اوج مجدها

ولقد ادرك الاوربيون حقيقةً طبيعية يجري عليها كل مخلوق حتى الجماد ولا يخالفها الاَّ كتَّابنا وهي اختيار اسهل السبل واقلها مقاومةً. فترى الماء يجري في طريقهِ حتى يجد ما يعيقهُ فيقف ويختار طريقاً آخر يسهل عليهِ الجري فيهِ. والريح تهب حتى اذا وجدت جداراً قائماً في طريقها حادت عنهُ وكذا عقل الانسان فانهُ ينبو عما يعتاص عليهِ ويرتاح الى ما يستسهلهُ لكنَّ كتَّابنا حفظهم الله لم يكتفوا باختيار كل غريب شارد من الالفاظ بل زادوا الطين بلَّة ان علقوا الحروف والكلمات في الكتابة والطبع حتى تجد العين اكبر مشقة في قراءة ما ترى كما يجد

العقل اكبر مشقة في فهم معناهُ . اما الاوربيون والاميركيون فجعلوا حروف مطابعهم واضحة مفصولة بعضها عن بعض لكي لا تجد العين اقل صعوبة في استجلائها ثم استنبطوا آلة للخط تكتب الحروف مفصولة واضحة كأنها مطبوعة طبعاً والكتابة بها اسرع كثيراً من الكتابة بالقلم اقتصاداً في الوقت وفي القوة العقلية . واستنبطوا وسائل كثيرة لنسخ النسخ الكثيرة مما يكتبون باسرع ما يكون من الوقت. وقد بحثت بين آلات الكتابة لعلي اجد بينها آلة للخط العربي فلم اجد لكني رأيت من آلات النسخ ما يمكن استعمالهُ في العربية. وقد دهشت مما رأيتهُ من الاثاث والرياش في امثلة مكاتب التجار والمحامين وما يلزم لها من ادوات الكتابة واجناس الحبر والاقلام. وهناك معرض تاريخي للكتابة وما يتعلق بها من اقدم عهدها الى الآن . واكثر العارضين في هذا الفصل من النساء لا من الرجال كأنهنَّ عزمنَ ان يحتكرن صناعة طالما امتاز الرجال بها وجعلوها مرقاة الى السيادة

وعُرضت في الفصل الثاني من فصول هذا الباب السكاكين والمواسي واقلام الحفر والنقش وما اشبه والغرض من عرضها صناعي كما هو تجاري فانك ترى بينها سكاكين قديمة مقابضها الذهب او العاج منقوشة مرصعة افرغ الصنّاع فيها مهارتهم ومثلوا بها الاشكال البشرية والحيوانات المختلفة وتفننوا في نقشها على اساليب شتى. وبعضها قديم من القرن الماضي والذي قبلهُ الى القرن السادس عشر وقلما يتخطاه الاوربيون اذا عرضوا بدائع صناعتهم . ولا ندري ما يقولونهُ عن ابناء المشرق ابناء مصر والشام والعراق وفارس حينما يستخرجون بدائع الصناعة من مدافن اسلافهم فيرون بينها الخناجر المرصّعة والقلائد المنسَّقة والثياب الموشّاة ثم يلتفتون الينا فيروننا لا نصنع سكيناً ولا ابرة وما نصوغهُ وننسجهُ بسيط في صنعهِ ليس عليهِ لمحة من الجمال الاَّ عند من يستحسن الغريب الساذج ولو كان من اعمال الزنوج .لكن ابناء المشرق الاقصى لم يحلّ بهم ما حلَّ بابناء المشرق الادنى من هذا القبيل فبقيت مصنوعاتهم في المكان الاعلى من الدقّة وحسن الصنعة. لان في عبادة الاصنام وعمل الصور والتماثيل وزخرفة الهياكل والمعابد مما يرغّب الصناع في اتقان التصوير والتمثيل وسائر الفنون اليدية. وفي النهي عن ذلك كلهِ ما يميت اصول الصناعة وشواهد هذا كثيرة لا محل لسردها هنا ولذلك اقتصرت الصناعة العربية على رسم الخطوط والزوايا والاقواس وكان ملوك العرب اذا ارادوا النقش والزخرفة يجلبون الصنّاع من الروم فلا يتقنون لهم عملاً الاَّ كما يتقن الاسير لآسره والعبد لسيدهِ فماتت الفنون في البلاد التي نشأت فيها

وعُرضت في الفصل الثالث المصوغات من ذهب وفضة منائر ومزاهر وكؤُوس واباريق

وكل ما يصاغ من الحجرين الكريمين مما هو دقيق الصنعة لكنهُ قبيح الصورة كالتماثيل التي على بعض المصوغات من معمل سنر بباريس فان فيها الغيلان والتنانين . الى ما جمع بين الجمال والدقة كمصوغات ميرس سوهن النمسوي فان فيها من تماثيل العذارى والولدان والازهار والاثمار ما جُمع فيهِ الحسن كلهُ . او الى ما جمع فيهِ الجمال والدقة والتفنن والنفع كما في مصوغات محل تفني الاميركي فانَّا رأينا منها ما يملأُ بيتًا كبيرًا من الآنية الفضية والذهبية من صحاف ومزاهر واباريق مختلفة الاشكال والاقدار وبعضها من البلور الطبيعي وقد افرغ ونقش نقشًا بديعًا ومن ذلك الكاس المعروفة بكاس ادمس وهي من الذهب الاميركي ارتفاعها نحو نصف متر مرصعة بكثير من الحجارة الكريمة التي توجد في اميركا ويمثّل فيها نبات القطن من حين ظهورهِ الى ان يخرج القطن من كنافجهِ وتمدّ السبائخ منهُ . الى ما توسط بين هذه الاشكال الثلاثة كالمصوغات الانكليزية التي صاغتها شركة الصاغة الانكليزية فانها ادخلت في مصنوعاتها تماثيل جامعة بين الجمال والغرابة فترى فيها افراس البحر خارجة من الاصداف وقد صارت قوائمها زعانف كزعانف الحيتان. والدلافين شائلة باذنابها كالعقارب وعيونها غائرة تحت اصداغها. وعرائس البحر تحمل المنائر على عواتقها وتتهلل بولادة الانهار وايلوس اله الريح عند اليونان ينفخ بالصور ونبتون اله البحر يصعد منهُ وغير ذلك مما شرحهُ مسطور في الخرافات اليونانية وللاوربيين ولع شديد بتخيلهِ والعود اليهِ مرةً بعد أُخرى

واذا قلنا الذهب والفضة تصوَّرنا حالاً لونيهما الاصفر والابيض وصقالهما البرَّاق لكن الصنَّاع الاوربيين والاميركيين سئموا رؤية هذين اللونين المألوفين فلونوا الحجرين الكريمين بالوان شتَّى فترى الذهب مخضرًّا او مسودًّا والفضة سوداء او رمادية وكلهُ من باب طلب الغريب والبعد عن المألوف او من باب مراعاة النظير لان هذه الالوان يراعى فيها احيانًا ما يراد تمثيلهُ بالذهب والفضة من صور الناس والحيوانات والاسماك والاطيار والازهار والاثمار الى غير ذلك

ولم يكتفِ الصاغة بعرض مصنوعاتهم بل عرضوا مصنوعات بعض القدماء او ما يماثلها ومن ذلك الكاس الارلندية المعروفة بكاس ارداغ وهي مصوغة من الذهب والفضة منذ القرن العاشر للميلاد اي منذ تسع مئة سنة

وللفرنسويين النصيب الاكبر من هذا الفضل كما لهم من غيرهِ وقد ابدعوا في تلوين الذهب والفضة وتمثيل الناس والملائكة وعرضوا كثيرًا من مصوغاتهم القديمة من القرن السادس عشر فما بعدهُ

والفصل الرابع من فصول هذا الباب للحلي والجواهر . اين عقود الجمان وقلائد العقيان اين قرطا مارية وجواهر كليوباترا مما عرضهُ الاوربيون والاميركيون في هذا الباب . رأينا فيهِ عقداً واحداً من الدر فيهِ ست واربعون يتيمة تامة الاستدارة كالبندق حجماً ثمنها تسعون الفاً من الجنيهات فثمن اللؤلؤة الواحدة منها الفا جنيه . وهناك ماسة كالجوزة الكبيرة منصوبة على سلك دقيق يدور بها دواماً ليرى الوقوف وجوهها كلها من غير ان يدوروا حولها وامامها ثلاثة من رجال الشرطة مسلحون لحراستها . وعُرِض ما لا يقع تحت حصر من انواع الحلى من الاكاليل والعقود والقلائد والاقراط والسلاسل والدبابيس وهي مرصعة بافخر انواع الماس والياقوت والزمرد والفيروز وكل حجر كريم مما حجمهُ كالبيضة فنازلاً الى ما لا تكاد العين تراهُ لصغرهِ ولا يظهر الاَّ لاجتماعهِ مع غيرهِ . ومما لونهُ عاديٌّ الى ما خالف اللون العادي وتشكل باشكال شتى فترى هناك الماس الابيض والاسود وكل الدرجات التي بين هذين الحدين والماس القرنفلي والبنفسجي والمصفرّ والمخضرّ والمزرقّ . وترى الياقوت المعروف بدم الحمام وغيرهُ مما يزيدهُ صفاء او كدرة . واللؤلؤ الابيض والاصفر والرمادي والاسود وهو على اشكال شتى كروي وبيضي وكمثري وغير ذلك مما يطول شرحهُ

ولا مشاحة في ان منظر تلك الحلى جميل جداً سواء نُظر اليها من حيث جمالها الطبيعي والصناعي او من حيث تفنُّن الصنَّاع في نظمها وتنسيقها . ولا بدَّ من ان يخطر على بال المرء خواطر كثيرة حين يراها ككثرة الماس واللؤلؤ وقلة الفوائد من هذين الجوهرين الكريمين . وغنى الجوهريين المفرط لان الواحد منهم قد يعرض من الحلى ما ثمنهُ ملايين كثيرة من الفرنكات . والفرق الشاسع بين طبقات الناس بين مَن تحلي رأسها باكليل ثمنهُ مئة الف جنيه وعنقها بقلادة ثمنها مئتا الف جنيه وبين مَن ترتدي اخلاقاً لا تستر عريها وتسلق المندباء لصبيتها فلا تجد كفافهم منها

ولم يقتصر العارضون على عرض الحلى والجواهر في قسم الانفاليد بل عرضوا كثيراً منها في شان دو مارس وفي قصور الدول المختلفة كما تقدَّم في الكلام على معروضات اللؤلؤ في قصر الحراج والصيد وكما سيجيء في الكلام على قصور الدول والمستعمرات

وان لم يستفد المرء من رؤية الحلى استفاد من رؤية المكان الذي تقطع فيهِ الحجارة الكريمة وتجلى وتصقل وتصاغ وهو هناك على يسار الداخل الى معرض الانفاليد وقد رأينا فيهِ حصى الياقوت والماس لا جمال لها ولا بريق فيها يأخذها الصانع ويلدقها بشيءٍ يمسكهُ بيدهِ ويضعها على ترس رشَّ عليهِ السنباذج او غبار الماس ويديرهُ دوراناً سريعاً جداً حتى لا تراهُ

العين دائرًا لشدَّة سرعتهِ والمدير لهُ الكهربائية التي صارت الآن خادمةً لكل الصنائع فيجلى ويصقل ويظهر نورهُ وبريقهُ

وكما عُرضت الجواهر الصحيحة عُرضت الجواهر الكاذبة وهذه لا تفرق عن تلك منظرًا مهما عظم الفرق بينهما قيمةً فالماسة التي ثمنها مئة الف جنيه تقلَّد بزجاجة او بلّورة ثمنها جنيهان او ثلاثة. واذا اريد بالجواهر مجرَّد الزينة فلا فرق بين الاثنتين ولذلك ترى كثيرات من النساء يضعن حلاهنَّ الصحيحة في خزائن الحديد مخافة ان تسرق ويتحلّين بحلى مثلها كاذبة بخسة الثمن وذلك وحدهُ كافٍ للحط من قيمة الجواهر ولكن من يستطيع ان يقاوم العادة والزي ما دام اصحاب المناجم ومعامل الصياغة يعضدونها

والفصل الذي بعد هذا فصل الساعات ومعروضاتهُ اكثر المعروضات عددًا ولا غرابة في ذلك لان الساعة من لوازم العمران وصنّاعها يتفننون فيها دوامًا حجمًا وشكلًا ووضعًا وانتظامًا. ولا شيء تظهر فيهِ مهارة الصانع ودقة اليد وتدقيق الآلات كما تظهر في عمل الساعة ولواليها وزنبلكاتها. ولم يكتفِ الصناع بعرض الساعات المختلفة الاشكال والاقدار مما يوضع في ابراج الكنائس والمباني العمومية ويقرع اجراسًا موسيقية كبيرة عند حلول كل ساعة ونصف ساعة وربع ساعة الى ما يوضع في فصِّ الخاتم ولا يزيد على فلقة الحمصة حجمًا. ومما صنع من الخشب والحديد الى ما صنع من الذهب ورُصِّع بالماس والياقوت — لم يكتفوا بذلك بل عرضوا الآلات التي تصنع بها ادوات الساعات المختلفة وعرضوا الوفًا والوف الوف من هذه الادوات فترى اللوالب مما لا يكاد يرى بالعين لصغرهِ الى ما هو في غلظ الابهام والزنبلكات مما هو ادق من الشعرة الى ما هو اغلظ من الذراع وهي كثيرة جدًّا ولا سيما الصغير منها كأنَّ المراد بيعها بالاردبّ

ولم يكتفوا بعرض الساعات الحديثة بل عرضوا مجاميع كثيرة من الساعات القديمة منها مجموعة فيها ستون ساعة ثمنها اثناعشر الف جنيه وهي من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر. وعرضوا ايضًا كثيرًا من الساعات الرملية والكرونومترات والساعات الفلكية والكهربائية والهوائية والمائية والآلات التي يقاس بها السير والوقت الموسيقي وما اشبه. ويظهر الفرق في دقة الساعات واحكام صنعتها من ان آلات ساعة الجيب يختلف ثمنها من ريال واحد الى مئتي جنيه. وعرضوا ايضًا اشكالًا كثيرة من الساعات الدقّاقة التي تعمد في البيوت مما هو بسيط يُقصد بهِ الدلالة على الوقت لاغير الى ما هو في منتهى الزينة والزخرفة تحيط بهِ تماثيل الملائكة والعذارى من الخشب او الحديد او النحاس او الفضة او الذهب وحولهُ وتحتهُ اعمدة وعضائد من المرمر او المعدن الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

الفصل السادس في المصنوعات من البرنز والحديد المسبوك والمطروق ويليهِ ثلاثة فصول الواحد في الادوات الجلدية كالسيور والمناطق والصناديق وما صنع من العيدان كالسلال والجوَن والاسفاط ومن الحلب والليف كالبرشات والمماسح . والثاني في ما يُصنع من الصمغ الهندي والكتابرخا . وما يحتاج اليهِ في السفر من الصناديق والسروج والاسرَّة . والثالث في الدُمى واللعَب وما اشبه . وقد تبارت امم الارض في هذه المصنوعات كلها كما تبارت في سائر ابواب المعرض وفصولهِ وتفنن الصنَّاع في عمل التماثيل ووجدوا سبيلاً جديدًا للتفنن لم يخطر على بال اليونان والرومان ولا على بال المصريين والبابليين وهو قبض المصابيح الكهربائية فقد كان صنَّاع التماثيل يضعون في يد التمثال سهمًا او قوسًا او رمحًا او نجمًا او بوقًا او مشعلاً فصاروا يضعون في يدهِ غصنًا ازهارهُ او اثمارهُ مصابيح كهربائية مختلفة الاشكال والالوان او يوقفونهُ في ظل اشجار من النحاس اثمارها المصابيح الكهربائية وصار لهم في ذلك اساليب شتى يضيق المقام عن وصفها

وعرض الروس واهالي اليابان من مسبوكات البرنز والحديد ما لا يقلُّ جمالاً واتقانًا عن مصنوعات الفرنسويين والايطاليين والبلجيكيين. ولا ندري كيف استتبَّ لهم ان يسبكوا الحديد حتى يخرج من القوالب صقيلاً يظهر فيهِ الشعر على دقتهِ . ولكن الصناعة ملك مشاع لا يشتهر بها قوم دون غيرهم . وقد كنت ارى تماثيل البرونز وافكر في تمثال الملك يبي رع الثالث من ملوك الدولة السادسة التي حكمت القطر المصري منذ خمسة آلاف سنة فاكثروهو الآن في المتحف المصري بالجيزة واقول في نفسي انهُ لو بقي سكان القطر المصري محتفظين بما كان لهم منذ خمسة آلاف سنة من البراعة في الصناعة وزادوا براعةً واتقانًا ولو شيئًا قليلاً كل مئة سنة ما كان احد من امم العالم يباريهم الآن ولكن غيرَ الدهر ونوائب الايام حوَّلت حالهم وقوَّضت اركان مجدهم فهل يحلُّ باوربا في مستقبل الازمان ما حل ببلدان المشرق فتتقوض اركان عمرانها وتمسي معالمهُ اثرًا بعد عين او ان في عمرانها من الاصول الراسخة ما يكفل بحفظهِ ما دامت صالحة لسكن الانسان . هذه مسألة يحسن البحث فيها وكأَنَّ الباب التالي من ابواب هذا المعرض وهو الباب السادس عشر فتح لحلها فان مدارهُ على المسائل الاجتماعية التي اذا أُهملت من بلاد اسرع الخراب والدمار اليها واذا أُعطيت حقَّها من الرعاية والاعتناء سهلت مداواة العلل التي تنتاب عمرانها من وقت الى آخر . وقد ظهر لي من النظر في معروضاتهِ ان فضلاء الاوربيين والاميركيين باذلون اقصى الجهد في مداواة علل العمران ونزع سوس الفساد منهُ وتعهدهِ بالعلاج الذي يكفل لهُ البقاء والنمو كما سأُوضحهُ في الفصل التالي

جوائز الشعراء

انتقاد

لو جئنا نقابل حالة الشعراء في عصر الامويين والعباسيين بحالة شعراء هذا الزمان لوجدنا داعياً كبيراً للعجب ومتطرَّقاً فسيحاً للشكوك والريب وانتقدنا على المؤرخين الذين نقلوا الينا شؤون اولئك ووفرة جوائزهم واتّهمناهم بحب المغالاة وعدم التثبت في تحرير الاخبار ونقل الحكايات. وقد وقع مثل هذا لصديقي الفاضل خليل افندي ثابت في ما كتبهُ تحت عنوان "مدائح الشعراء وعطايا الامراء" في جزء دسمبر من المقتطف الاغر. فانهُ اتى بتلك المنقولات ووضعها تحت محك التنظير ثم رازها بنظر المقابلة فتعامى عليهِ تصديقها وأبت لديهِ الاَّ نبوًّا عن حوزة الاحتمال. على انهُ لا يسوغ لنا ان نُسقط النقل الاَّ اذا تعارض مع العقل بصورةٍ يتعذر فيها التأويل وعندي (ان كان لي عندٌ) ان النقول التي انتهت الينا عن جوائز الشعراء ليست بعيدةً عن القبول ولا متراميةً عن حيز الامكان. واليك ما اجيءُ بهِ ذائداً عن استقامة النقلة ورامياً من وراء حرمة المؤرخين الاَّ قليلاً

(١) لكلّ زمان دولة. انك لتأخذك الدهشة والعجب ويذهب بك الاستغراب كل مذهب عند ما تقرأ عن عمر بن الخطاب وهو يلتحف بمرقعتهِ البالية ويستتر ببرقع الظلام ويخرج طائفاً في احياء المدينة ليعثر على امرأةٍ مُعدمة وصبيتها حولها يضورون جوعاً فيذهب الى انبار الدقيق ويحمل منهُ على ظهرهِ عدلاً يأتيها بهِ ثم يكل اليها امر عجنهِ واصلاحهِ ويجلس يوقد النار حانياً عليها والدخان ينبعث من خلال لحيتهِ ولا ينصرف عنها الاَّ وقد شبع صبيتها وهجعوا. يفعل هذا في الليل وهو في النهار يعقد الالوية لامراء يحملون بجنودهم على ايوان كسرى فيزعزعون اركانهُ. ويكرّون على قيصر في معاقلهِ فيضعضعون عمرانهُ. على حين لم تكن تنتهي اليهِ الاَّ اخبار النصر المبين وبشائر الفتح العزيز

وانت لو نظرت حالهُ هذه بما عليهِ ملوك هذا الزمان من الاثرة والانفة وكثرة الحجاب على الابواب مع ما يظهرون فيهِ من عظمة الملك وهيبة السلطان وهم دون مبلغهِ عزَّةً وبأساً لما شككت في ان لكلّ زمان دولة وان الاحكام تتبدَّل بتبدل الازمان

كذلك لو رأيت اليوم رجلاً مرفعاً لهُ سيف المعاش بارزاً في بزَّةٍ حسنةٍ ومحفوفاً بانفس الاثاث والرياش ثمَّ سألت عن حالهِ وصناعتهِ فقيل لك انهُ شاعر لما رضيت لهُ بكنهِ هذه المنزلة ولا صدَّقت ان الشعر يُتخذ باباً للكسب وحرفةً للارتزاق. على انهُ كان في العصور

المتراخية مرتزقاً ليناً وموردًا سائغاً يأتيهِ كلٌّ من تميَّز بحسن البيان وفصاحة اللسان ويصدر عنهُ منعم الاردان باعطيات الامراء والاعيان

وبينا نرى شعراء هذا الزمان يربأون بانفسهم عن التزلف الى الاغنياء بمدائحهم نرى شعراء امس يجتمعون في ابواب الملوك وارباب الثروة يستأذنون بالدخول عليهم ليعرضوا ما جادت بهِ قرائحهم من المدائح ويلتمسو الصلات التي عليها معوَّلهم في العيش وبها يستقيم أَوَدهم في سبيل الاجتراح

(٣) سخاء العرب. وقد كان لهم في هذه الخلة المنزلة التي لا تُطال وبلغوا بها الشأو الذي لا يُدرك حتى اصبحت محلَّ فخرهم ومظهر مباهاتهم . اوغلوا فيها حتى لم يدعوا لسائر الحامد في جنبها مستقرًّا رحيباً فزينوا بذكرها اشعارهم وعمَّروا باسمائها انديتهم وصارت عندهم محيّا المآثر وواسطة عقد المفاخر. ولا آخذ على نفسي الآن إفراد حوادثهم في الكرم طُرفةً طارفة فان ذلك لما تضيق بهِ المجلدات الضخمة ولسنا بحاجةٍ اليهِ مع كثرة ورودهِ في اساطيرهم. فقد كان فيهم من يمسي على إتراب ويصبح على متربة تراهُ اليوم ذا ثروةٍ طائلة وخزائن مفعمة بالمال ثم غدًا تلقاهُ فارغ الجيب صفر اليدين يلتمس لنفسهِ ولعيالهِ قوتاً . فكم ممسٍ وجرذان بيتهِ تمشي على التراب اصبح وهي تثب وثوب الاسود وكم كريمٍ اثرى تارةً واملق أُخرى فتعاقبت عليهِ الحالتان في حياتهِ عشراتٍ من المرات وجملة اخبارهم في هذا الصدد تدلنا على ان مكانتهم في الندى لا يساورهم فيها احد ولا ينكر عليهم علوَّ كعبهم في البذل الاَّ من كابر وعند

وكأني بمعترض يقول ان حكاياتهم في الكرم لا يركن اليها اذ هي اقاصيص موضوعة ليس فيها من الصدق الاَّ كالنواة من الشجر. غالى في نقلها الراوون او لفَّقها المولعون بادهاش الناس وارباكهم بالخوارق والغرائب كما هي فطرة المتكلم ان يتهلَّل عند ما يرى سامعهُ حيران ذاهلاً فيحتال ليجعل حديثهُ فوق ما عرفهُ الناس بمحسوساتهم ليتسنَّى لهُ استفزاز عقولهم ووضعها موضع التعجب والارتباك

اقول هذا كلام وجيهٌ لولا ما فيهِ من المغامز فلو كان حب المغالاة بعث رواة العرب الى وضع ما نقلوا او الى الزيادة فيهِ لحد المسخ والتشويه لكان يبعث غيرهم من رواة الامم الى مثلهِ او الى ما يقاربهُ . ولدينا اخبار كثير من شعوب الارض في فجر حضاراتهم وبعد ان استبحر عمرانهم فنكاد لا نجد شيئاً من هذا القبيل. ولا سبق لمفتخري غيرهم ان اكثروا من ذكر السخاء والبذل ولا لمادح غير ناطق بالضاد ان جعل بسط الكف مدارًا للمدح والاطراء. وقد اخبرني بعضهم انهُ يوجد في اساطير الفرس شيءٌ من هذا القبيل الاَّ انهُ قليل بجنب ما للعرب فيهِ

الكرم من خلال البداوة في كل امة وبلاد وبما ان العرب انتقلوا من البداوة الى الحضارة المرتقية انتقالاً فجائياً بقيت فيهم بقية من تلك الصفة وظهرت اكثر مما ظهرت في غيرهم من امم الارض . وكلما ارتقى التمدن ثبتت مبدأ الاستقلال في النفوس وعرف الخلق ان ليس للانسان الاَّ ما سعى وانهُ لا تزر وازرة وزر اخرى. وبالمدنية تتعين الاجور على قدر الاعمال ولا تساق الثروة لاحدٍ الاَّ بعد العناء والنصب. وفوق ذلك ان العرب ايام دولتهم لم يتجشموا كبير عناء في تحصيل المال ولا تكلفوا المشاقّ في اجتنائهِ واحتشادهِ فقد كانت تأتيهم الجزى من ابعد المطارح وتحمل اليهم اتاوات الملوك الاعزّة فيستولون عليها مغنماً بارداً

ومن اخذ البلاد بغير حربٍ يهون عليهِ تسليم البلادِ

فلا استغراب اذا رأيناهم يهبونها بعضهم بعضاً ويرخصونها في سبيل احياء الذكر وتخليد الاثر لا سيما بذلهم اياها في اثابة الشعراء وهي كانت من اسمى مراميهم واكفل الوجوه لنيل ما يتشوَّفون اليهِ من بعد الصيت . ونظرٌ غير طويل يكشف لنا ان الغنى في يومهم لم يكن ليبق طويلاً في الاعقاب بل كانت الثروة سريعة التنقل من واحدٍ الى آخر وهذا غير ما نراهُ اليوم وقد انتشر بيننا مبدأ الاقتصاد وغير ما نعرفهُ عن بيوت الشرف في اوروبا التي في بعضها ثبت الإثراء في الاعقاب بضعة قرون ومنهم من لا يزال يتقلب في العيش الخضال منذ انبلاج فجر تمدنهم الى يومنا هذا. وقد كان العرب يفخرون بتبديد الثروة وعتق المال و يسمون ذلك كرماً يماجدون بهِ و يشارفون اما نحن اليوم فنسميهِ بعرف الاقتصاد تبذيراً وسوء قيام على ما في الحوزة. وللماوردي في السخاء كلامٌ جليل اثبتهُ في كتاب ادب الدنيا والدين لا بأس من مراجعتهِ هناك

(٣) رهبتهم من الشعراء . كانوا يرهبونهم ويحذرون جانبهم خوفاً من هجائهم وتقبيح الاحدوثة منهم فقد كان الشعراء لسان الامة تسير ابيات القدح والفضيحة منهم مسير الظلام ويتناشدها الاقوام في سترهم فتحط كثيراً من قدر المغار عليهِ في نفوس الناس . وما كان اسرع الشعراء الى تشويه وجه البخيل بكل قافيةٍ شرود وما احسن شعر الحماسة بهذا المعنى

اذا انت أعطيت الغنى ثمَّ لم تجُدْ بفضل الغنى أُلفيت مالك حامدُ
وجُلّلتَ عاراً لا يزال يشبّهُ سباب الرجال نثرهم والقصائدُ
وقلَّ غناء عنك مالٌ جمعتهُ اذا صار ميراثاً وورّاك لاحدُ

وعندما وفدت ليلى الاخيلية على الحجاج امر احد غلمانهِ أن اذهب بها واقطع لسانها يريد صلتها ولما هجا المتنبي ضبّة رجع خال المهجو فاتك الاسدي على ابن اختهِ باللوم وقال لهُ كان يجب ان لا تجعل عليك لشاعرٍ سبيلاً

وحينما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليهِ الشعراء فدخل اليهِ عدي بن ارطاة وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة . فقال عمر ويحك يا عدي ما لي وللشعراء . قال عدي اصلح الله الامير ان رسول الله قد امتُدح واعطى ولك بالرسول اسوة حسنة . قال عمر وكيف كان ذلك. قال امتدحهُ العباس بن مرداس السلمي فاعطاهُ حلة فقطع بها لسانهُ. فاذن عمر لجرير فدخل عليهِ ومدحهُ ولم يكن لدى الخليفة سوى مئة درهم فاعطاهُ اياها

ومثلها مانقلهُ الحريري ان عروة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك فقال لهُ هشام ألست القائل

لقد علمتُ وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى لهُ فيعنّيني تطلّبهُ ولو قعدت اتاني لا يعنّيني

واراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق . فقال عروة يا امير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولاردَّ وافدك خائباً لقد بالغتَ في الوعظ واذكرتني ما انسانيهِ الدهر. قال هذا وخرج الى راحلتهِ فركبها وتوجه من فورهِ قافلاً الى الحجاز . فلما كان الليل ذكرهُ هشام وهو على فراشهِ وقال انهُ شاعرٌ ولا آمن ما يقول فلما اصبح اتبعهُ برسول يحمل اليهِ ألفي دينار فاخذها وقال للرسول ابلغ امير المؤمنين اني سعيت فاكديت ورجعت الى بيتي فاتاني رزقي . وقد قال بعض المحدثين

لعمرك انما الشعراء قوم جديرٌ ان يُهابوا في العبادِ
وليس لمن يعاديهم مفرٌّ ألستَ تراهمُ في كل وادِ

(٤) رغبتهم في المدح . لا اعلم ما هي الاسباب التي افضت بالعرب الى التهالك على حب المدح والاطراء حتى ان واحدهم كان يتقاضى الناس مدحهُ كانهُ حق من جملة حقوقهِ المقرَّرة عليهم واذا ذكرهُ المادح بما فيهِ فقط نقم عليهِ اعتدالهُ وحسبهُ باخساً اياهُ اشياءهُ . نعم ان حب المدح شيمة من شيم النفوس الأ ان المبالغة الظاهر كذبها احرى بان تحمل على محمل التمويه والاستهزاء منها على محمل المدح والتجلة

حكى ابن خلكان قال اجتمع الشعراء في مجلس المستعين فقال لهم لست اقبل الأ ممن يقول فيَّ مثل قول البحتري في المتوكل

لو انَّ مشتاقاً يكلف فوق ما في وسعهِ لسعى اليك المنبرُ

فقال احمد بن عيسى هاك ما اقول وانشد

ولو ان بُردَ المصطفى اذ لبستهُ يَظُنُّ لظنَّ البُردُ أنك صاحبُهُ

وقال وقد أُعطيتهُ ولبستهُ نعم هذه اعطافهُ ومناكبُهْ

فقال لهُ المستعين هذه سبعة آلاف دينار اذَّخرها للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمتُ حيًّا . ونقلوا ان النفور الذي استحكم بين الصاحب ابن عباد والمتنبي نشأ عن ان ابا الطيب ضنَّ بشعرهِ عن مدح الصاحب فاستاء هذا منهُ واخذ يترصد هفواتهِ ويطعن على مواضع الضعف من ابياتهِ . وكان سيف الدولة كثير الاهتزاز بالشعر الجيد المقول فيهِ فاستعاد ابا الطيب قصيدتهُ التي مطلعها " على قدْر اهل العزم تأتي العزائم " عشرات من المرَّات على ما فيها من المبالغة والمغالاة . وحكى الثعالبي ان الصاحب مُدح مرَّة بقصيدة فكان مقبلاً على الشاعر بمجامعهِ حسن الاصغاء الى انشادهِ مستعيداً اكثر ابياتهِ مظهراً من السرور والاهتزاز شيئاً كثيراً حتى زحف عن دستهِ طرباً . وقد كانوا يحسبون المدح خيراً من الذهب والثناء الطيب اغلى من الجواهر وصلة الشعراء المادحين فريضة واجبة . من ذلك انهُ وفد اعرابيٌّ على امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب وقال ان لي اليك حاجة يمنعني الحياء من ذكرها فقال عليٌّ خطها في الارض فكتب " اني فقير " فقال عليٌّ يا قنبر اكسُهُ حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليُحيي ذكر صاحبهِ كالغيث يُحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في عُرفٍ بدأْت بهِ كلُّ امرىءٍ سوف يُجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زدهُ مئة دينار فقال يا امير المؤمنين لو فرَّقتها في المسلمين لاصلحت من شأنهم فقال علي صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله يقول اشكروا لمن اثنى عليكم. وقال الحسن يوماً لعبد الله بن جعفر انك قد اسرفت في بذل المال فقال ان الله عزَّ وجلَّ عودني ان يتفضَّل عليَّ وعودتهُ ان اتفضل على عبادهِ فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عني فضلهُ . وامتدحهُ نُصيب يوماً فامر لهُ بخيل واثاث ودنانير فقال لهُ رجل اتعطي مثل هذا الاسود كلَّ هذا المال فقال ان كان اسود فان ثناهُ ابيض ولقد استحقَّ بما قال اكثر مما نال وهل اعطيناهُ الاَّ ثياباً تبلى ومالاً يفنى اما هو فقد اعطانا مديحاً يبقى وثناء يُروى . اما في هذا الزمان فيليق بنا ان نتمثل بقول ابن الرومي

ذهب الذين تهزُّهم مدَّاحهم هزَّ الكماة عواليَ المرَّانِ

وليس ذلك فقط بل ربما انتُقِضَ على الشاعر المادح بالاستهزاء والامتهان فعاد وهو يرضى من الغنيمة بالاياب

(٥) شرود القوافي . وهذا ايضاً كان داعياً لإعناب الشعراء اذا عنبوا وقاضياً

باسترضائهم اذا غضبوا . فلم تكن الابيات الجيدة تسقط من فم الشاعر حتى تخطفها الآذان وتحتويها الاذهان فتدور على الالسنة ويتناقلها الحداة والركبان ويطير بها ذكر الممدوح في الآفاق حتى يعرفهُ من جهلهُ مكتسياً بما جلاهُ بهِ الشاعر من الصفات الباهرة والمآثر الزاهرة . قال عليّ بن الجهم في المتوكل

ولكنَّ احسانَ الخليفة جعفرٍ دعاني الى ما قلت فيهِ من الشعرِ
فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرِّ والبحرِ

ومثلهُ قول المتنبي في سيف الدولة

ولي فيك ما لم يقل قائلٌ وما لم يَسِرْ قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشرَّد السائرا تُ لا يختصصنَ من الارض دارا
اذا سِرنَ من مِقوَلٍ مرَّةً وثبنَ الجبالَ وخُضنَ البحارا

واخلق بمن كانت هذه منزلة اشعارهم ان تدرَّ عليهم صلات الامراء وتساق اليهم جوائز الكبراء الطامعين بالصيت البعيد الراسخ والراغبين في تشييد الشرف الباذخ

وقد كان للادب سوقٌ ينفق فيها رخيصهُ فضلاً عن غاليهِ اذ لم تكن الهمم مصروفةً الى شيءٍ من علوم اليوم . واليك ما فعلهُ هشام اذ كتب الى عاملهِ في العراق ان ادفع الى حماد الراوية خمس مئة دينار وجملاً مهريًا وسيّر معهُ من يوصلهُ اليَّ في اثني عشرة ليلة فلما وصل حماد الى الشام وسلم على امير المؤمنين قال لهُ أتدري فيمَ بعثتُ اليك اجاب لا قال بعثت اليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا اعرف قائلهُ قال حماد وما هو قال

ودعوا للصبوح يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها ابريقُ

فاخبرهُ حماد بصاحبهِ وانشدهُ باقي القصيدة فاجازهُ وردَّهُ الى العراق

اما القول بان الرواة التقطوا الوقائع الجزئية وبالغوا في تقدير جوائزها ترغيباً باجازة الشعراء وتشويقاً لاستدراج الحمد والثناء فهو غير عارٍ عن الشبهة لانهم في نقلهم اوردوا الغثَّ والسمين وجاؤوا بذكر الجواد والضنين فلم يأنفوا من نقل الخبر عن الجوائز الصغيرة ولا اغفلوا ذكر الشعراء الذين لم يوصلوا بشعرهم. وهذه الاعطيات البالغة والصلات الفاحشة ليست كثيرة في اساطير العرب بالنسبة الى المدة المستغرقة وعدد الامراء المنسوبة اليهم . انما نحن نراها مدوَّنة في كتابٍ واحد ونقرأ عشراتٍ منها في ساعة واحدة فنزعم انها جرت متوالية بدون فترات بينها. مع انهُ لم ينقل عن ملك واحد او عن امير واحد بذل مثل هذه الصلات الكبيرة اكثر من بضع مراتٍ في حياتهِ بينما نرى الفريق الاكبر من الممدوحين أغفل ذكرهم في هذا الباب

وما ذلك الاَّ لانهم لم يأتوا فيهِ شيئاً يذكر

ويظهر عدم استنكاف الرواة من نقل اخبار المقتصدين انهم دوَّنوا كثيرًا من الحوادث التي طوى الشاعر فيها المسافات وعاد بخفَّي حنين . من ذلك حادثة ابن زريق البغدادي المشهورة ومنها ان المنصور الملقب بالدوانقي لقيهُ رجل في طريق الحج يحدو له طامعاً بصلتهِ فحدا كثيرًا الى ان قال

اغرُّ بين الحاجبين نورهُ   يزينهُ حياؤهُ وخيرهُ
ومسكهُ يشوبهُ كافورهُ   اذا تغدَّى رُفعت ستورهُ

فطرب المنصور حتى ضرب برجلهِ المحمل ثم قال ياربيع اعطهِ نصف درهم فقال الحادي نصف درهم يا امير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لي بثلثين الف درهم فقال المنصور تأخذ من بيت مال المسلمين ثلثين الف درهم يا ربيع وكّل بهِ من يستخلص منهُ هذا المال. وقال المتنبي يوماً لرجلٍ مدحهُ كم املت منا على مدحك قال عشرة دنانير فقال لهُ والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة لما اعطيتك دانقاً واحدًا . وعندما مدح المتنبي عليَّ ابن منصور الحاجب بقصيدتهِ التي اولها " بابي الشموس الجانحات غواربا " لم يعطهِ عليها الاَّ دينارًا واحدًا ولذلك لُقبت بالدينارية . وكان احد الخلفاء اذا جاءهُ مادح يكل بهِ بعد الانشاد من يأخذهُ الى المسجد ليصلي مئة ركعة او اكثر حتى قال لهُ بعضهم من ابيات

فانعم لي بكسر الصادِ منها   فتصبح والصلاة هي الصِلاتُ

ثم ان من اختار السخاء منهم كان عليهِ ان يقتفي خطوات سابقيهِ ويستنَّ بسنتهم فيبلغ درجتهم في الكرم او يزيد عليها ولو فرضنا ان اساطير اسلافهم موضوعة او مبالغ فيها فلا يسع المتحدّي الاَّ العمل بها على ظاهرها وكما انتهت اليهِ والاَّ فيصبح تحدّيهِ تمويهاً وهذا مما لا يسلّمهُ العقل وان تكرَّر اعطاء القليل والجهر بالكثير لايمتدُّ بهِ الامر حتى يفتضح ويصير حكم هذه الاعطيات واخبارها حكم " الشوبشة " التي اشار اليها حضرة الكاتب خليل افندي لا ينقلها احدٌ ولا ينظر اليها الاَّ بعين الازدراء

ومن امثلة التحدّي طرفة كافي الكفاة الصاحب بن عباد وقد دخل عليهِ شاعر يقول من قصيدة

كسوتَ المقيمين والزائرين   كسًى لم يخلْ مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في   ضروبٍ من الخزّ الاَّ انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن بن زائدة ان رجلاً قال لهُ احملني ايها الامير فامر لهُ بفرس وناقة وبغل وحمار وجارية ثم قال لهُ لو علمت ان الله تعالى خلق مركوبًا غير هذه

لحملتك عليه وها نحن قد امرنا لك من الخزّ بجبة وقميص ودراعة وعامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخزّ لاعطيناكهُ . هذا ولم يكن الواهبون ومجيزو الشعراء الأ من الملوك والامراء وهبات الملوك ملوك الهبات ولا تكبرها عليهم ونحن نرى اليوم اصحاب الثروة في اوروبا يهبون الوف الجنيهات لدور العلم والاختراع او لفائدة الصناعة او للاحسان الى الفقراء وكانت اثابة الشعراء في عيونهم اجلّ من الهبات العلمية في عيون الاوروبيين . نعم ان غاية هؤلاء اسمى ومطلبهم اشرف مما رمى اليهِ اولئك انما لكل زمانٍ دولة . وان قلنا لماذا كان الشعراء في بعض الاحايين في ضيقٍ من معاشهم مع غزارة مرتزقهم نجيب ان الشعراء ايضاً كانوا اسخياء ومبذرين يُوصلون ويصلون ومن كان منهم ممسكاً مثل المتنبي وابي العتاهية مات عن ثروةٍ وافرة

اما الفكاهة التي ختم بها جناب الكاتب مقالتهُ بخصوص وزير العجم فعندنا في اساطير العرب ما يكون واياها على طرفي نقيض وذلك ان سيف الدولة ضرب دنانير سماها دنانير الصلات في الواحد منها عشرة مثاقيل ذهب اي ان واحدها يساوي الف غرش تقريباً نقش اسمهُ وصورتهُ على وجهيها وكان يصل الشعراء منها وفيها يقول ابو الفرج

ابدع من هذه الدنانير لم يجرِ قديماً بخاطر الكرمِ
فقد غدت باسمهِ وصورتهِ في دهرنا عوذةً من العدمِ

وقد سمعت ان الموسيو مورتز الالماني مدير المكتبة الخديوية اثناء سياحتهِ بالخريف الماضي في سوريا عثر على واحدٍ من هذه الدنانير فاذا بهِ كما ذكرهُ المؤرخون

ولا ينكر ان قبض الصلات ايام فساد القيمين على المال كان اصعب من نطق الامير بها وربما أمر الممدوح لشاعرٍ بصلة ثم لم يُدفع لهُ منها الأ القليل وما ذلك لان الامير يرجع عما وهب بل لان وكلاء المال يمنعون الشاعر حقهُ فلا يفون بامر الممدوح ومثل هذا كثير الوقوع في هذه الايام عند بعض الملوك مما نسمع بهِ كلّ يوم . ولعلّ معناً تخوّف مطلهم فقال اجعلها عاجلة يا امير المؤمنين ومن ذلك خاف جرير عند ما قال لعمر بن عبد العزيز

اني لارجو منك نفعاً عاجلاً والنفس مولعةٌ بحبّ العاجل

ولا باس برأي الكاتب الفاضل خليل افندي اذا كان معتدلاً فينبذ بموجبهِ ما كان من هذه الاقاصيص نائياً عن العقل وبعيداً عن الامكان وهو القليل النادر

فارس الخوري

جنازة ملكة الانكليز

ذكرنا في الجزء الماضي نعيَ هذه الملكة الجليلة وطرَفاً من تاريخها وكلاماً وجيزاً عن ارتقاء بلادها في عهدها . وقد رأينا ان نشفع ذلك الآن بوصف ما كان من الاحتفال بدفنها وما شهد بهِ اكبر رجال الدين في البلاد الانكليزية وقت الصلاة عليها لان فيهِ عبرةً لملوك الارض وكشفاً لسر النجاح الذي نجحهُ شعبها في عصرها فنقول

توفيت الملكة في قصر اسبُرْن بجزيرة ويط وهي جزيرة صغيرة جنوبي البلاد الانكليزية فتُركت فيها الى غرَّة فبراير حتى تمَّ الاستعداد للاحتفال بدفنها ووصل الملوك والامراء الذين وفدوا من الاقطار الشاسعة لتشييع موكب الجنازة . وفي غرة فبراير وضع النعش على مركبة مدفع تجرُّها ثمانية من الجياد وأُلقي عليهِ الرداء الذي ارتدتهُ حين مُسِحها ووضع عليهِ الصولجان وكانت جواهرهُ تتألق في شعاع الشمس لان السماء صحت في ذلك اليوم على خلاف العادة و بزغت اشعتها تلطف برد الشتاء . ومشى وراء النعش ابنها الملك ادورد السابع واخوهُ دوق كنوت وابن بنتها امبراطور المانيا ووراءهم ولي عهد المانيا وعمهُ البرنس هنري والبرنس كرستيان ودوق سكس كوبرج والبرنس ارثر بن دوق كنوت والبرنس تشارلس الدنماركي والبرنس لويس باتنبرج . ووراءهم الملكة الكسندرا وثمان من الاميرات مشين ثلاثاً ثلاثاً ثم الحرس الملكي وحاشية الملك والامبراطور . حتى اذا وصل النعش الى مرفإِ كوس في تلك الجزيرة نُقل الى اليخت البرتا ووضع تحت قبة من المخمل الارجواني نصبت لهُ فيهِ وكان البحر رهواً كأن امواجهُ هجعت هيبةً ووقاراً . وسار اليخت الساعة الثالثة بعد الظهر بين صفوف البوارج الانكليزية والاجنبية التي اجتمعت هناك لتحيتهِ في سيرهِ بينها لان الملكة رغبت في ان يكون الاحتفال بدفنها بريًّا وبحريًّا معاً . وكانت البوارج تقابلهُ باطلاق المدافع والانغام الموسيقية المحزنة وهو يسير بينها وئيدًا وامامهُ ثمانٍ من طرَّادات التربيد ووراءهُ اليخت فكتوريا والبرت يقلُّ الملك والامبراطور وغيرهما من الحزانى الذين من بيت الملك الى ان بلغ مرفأ بورتسموث فقابلتهُ السفن التي فيهِ والحصون التي حولهُ باطلاق المدافع . وكان اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب قد حضروا هم ونساؤهم باربعة قطارات خاصة ونزلوا في سفينتين وقفتا بهم بين البوارج التي مرَّ اليخت بينها . وبات النعش في اليخت تلك الليلة

وفي صباح اليوم التالي وهو الثاني من فبراير صُلِّي على النعش في اليخت وانزل الى البر وأُتي بهِ الى مدينة لندن في قطار ملكي ودخلها من محطة فكتوريا وسير بهِ فيها بين ملايين كثيرة

من شعبها الاسف على وفاتها . ويقال انهُ لم يجتمع حشد مثل ذلك الحشد في زمن من ازمان الدهر ولا في مدينة لندن اكبر مدائن الارض لكن الجماهير وقفت على الجانبين خاشعة كأنَّ على رؤُوسها الطير فلم يحدث شيء يخل بالنظام . وبلغ الموكب غاية ما يتصوَّرهُ العقل من العظمة والفخامة والمهابة والجلال فسار في مقدمتهِ عدد عظيم من الجنود الانكليزية من كل انواعها وصفوفها من المشاة والفرسان والمدفعية وهي اكثر من خمسين نوعاً مختلفاً ثم جمهور من قواد الجيش ووراءهم الجنرال السر رتشرد هريسن والجنرال السر افلن وود ووراءهما القائد العام لورد روبرتس ثم اجواق الموسيقى وكبار رجال البلاط وحاشية الملكة ثم النعش حولهُ فرق الحرس الخاص ووراءهُ اللواء الملكي ثم الملك وعن يمينهِ امبراطور المانيا وعن يسارهِ دوق كنوت ووراءهم ملك البرتغال وملك اليونان ثم دوق هس والبرنس كرستيان والبرنس هنري الروسي وثلاثة وثلاثون اميرًا ساروا ثلاثة ثلاثة ثم مركبة الملكة وبناتها ومركبة ملك البلجيك وبنات الملكة المتوفاة واربع مركبات اخرى لغيرهنَّ من الاميرات حتى اذا بلغ هذا الموكب محطة بادنجتون كان بانتظارهِ قطار الملكة الخاص الذي صُنع لها وقت يوبيلها الاخير سنة ١٨٩٧ فوضع النعش على منصة في مركبة الملكة وركبهُ الملك والامبراطور وسائر المشيعين فسار بهم الى قصر وندزور حتى اذا بلغ المحطة سار الموكب على الترتيب المتقدم فسار اولاً الحرس الخاص واركان الحرب وقائد الجيش العام ثم النعش يحفُّ بهِ الحرس ووراءهُ الملك والامبراطور ودوق كنوت وملك البرتغال وملك اليونان والامراء الذين اشرنا اليهم قبلاً ثم سفراء الدول التي لم يحضر امراؤها الاحتفال وقد ساروا على هذا الترتيب سفير تركيا اولاً ثم سفير فرنسا فالولايات المتحدة الاميركية فاسبانيا فايران وهلمَّ جرًّا

ووضع النعش في كنيسة القصر على منصة مجلَّلة بالارجوان وقام بصلاة الجنازة رئيس اساقفة كنتربري واسقف ونشستر ثم وقف المنادي وقال لقد اقتضت مشيئة الله القدير ان تأخذ من هذه الحياة الزائلة الى رحمتها الالهية المرحومة الملكة فكتوريا الفائقة العظمة والسمو ملكة المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى وارلندا بنعمة الله حامية الايمان امبراطورة الهند فلنطلب باتضاع من العزَّة الالهية ان تنعم بالعمر الطويل والصحة والكرامة وكل سعادة زمنيَّة على ملكنا القدير العظيم ادورد الذي صار الآن بنعمة الله ملك المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى وارلندا حامي الايمان امبراطور الهند . ليحيَ الملك

ثم رتَّل المرتلون طوبى للاموات وأُعطيت البركة . وهكذا تمَّ الاحتفال الرسمي بجنازة الملكة . ويوم الاثنين في الرابع من الشهر نقل التابوت باحتفال عظيم سار فيهِ الملك والملكة

والامبراطور وغيرهم من الامراء الى المدفن الذي دفن فيهِ زوج الملكة وهو بناء كبير في شكل صليب تعلوهُ قبة مثمنة وقد كتب على اساسهِ بالانكليزية ما ترجمتهُ " انشأت الملكة فكتوريا اساس هذا البناء تذكاراً تقوياً لزوجها العظيم الصالح الذي دفنتهُ هنا في ١٥ مارس سنة ١٨٦٢ طوبى للذين يرقدون في الرب " . وفوق الباب لوح من النحاس كتبت فيهِ باللاتينية انها تودُّ ان تدفن هناك

وداخل المدفن كنيسة صغيرة كانت مزدانة بالازهار البيضاء والمجوف الارجوانية فاقيمت الخدمة الدينية فيها ووضعت الجثة في المكان المعد لها وعاد الذين جاؤوا معها من غير احتفال وهطلت الامطار حينئذٍ ووقعت الثلوج واشتدَّ الظلام رويداً رويداً . في ذلك المدفن دفن الانكليز امهم وملكتهم وستبقى انظارهم متجهة اليهِ ابد الدهر لان فيهِ رفات من عرفت كيف تسوس شعبها وتوردهُ موارد الفلاح

وقد اشترك المسيحيون عموماً والبروتستانت منهم خصوصاً في تجنيز الملكة في كل اقطار المسكونة وابَّنها الوعاظ في الكنائس وعدَّدوا فضائلها وفواضلها وحثوا شعبهم على الاقتداء بها وشاركهم الاسرائيليون في ذلك وذكر اكبر ايمة الدين المسيحي عند الشعب الانكليزي وهو رئيس اساقفة كنتربري كلاماً في تأبينها يحسن ايرادهُ هنا قال

كلنا يعلم ان جمهوراً عظيماً من الناس يقولون ان وجود الملك الدستوري ضرب من المحال لانهُ اذا كان هناك مشيئتان — مشيئة الملك ومشيئة الرعية فلا بدَّ من اختلافهما في امر من الامور كما هو طبع البشر وليس فوقهما مشيئة ثالثة توفق بينهما عند وقوع ذلك الاختلاف فحينئذٍ اذا غلبت مشيئة الملك الدستوري مشيئة رعيتهِ فهو ملك مطلق لا ملك دستوري لانهُ يتعرَّض لحرية شعبهِ ويجري على غير مشيئتهم . واذا غلبت مشيئة الرعية مشيئة الملك كان الملك كالانسان بلا ارادة او كالاسم بلا مسمَّى فهو ملك اسماً ولا شيء فعلاً . على ان المرحومة الملكة فكتوريا حلت هذا المشكل حلاً جلياً واعلمت الناس كيف يكون الملك الدستوري لانها جعلت همها معرفة كل امر يهم رعاياها والعلم بكل ما ينفع شعبها و يعود بالخير عليهم فكانت تتعب النهار والليل لتعرف كل ما يتعلق بهم وما يضرهم وما ينفعهم . ومتى احاطت علماً بذلك كلهِ تبني رأيها على علمها هذا في كل امر يعرض عليها

ثم انها كانت تعلم ان شعبها حرٌّ وان حريتهم هذه تقتضي ان يسوسهم الذين انتخبوهم هم لسياستهم وان الوزراء الذين يجرون كل ما يقرُّ الرأي على اجرائهِ هم النائبون عنهم . فكانت كلما عرض امر من الامور تستعد لهُ في البحث عن نفعهِ وضررهِ والاحاطة بوجوه الصواب

والخطاء فيهِ ثم تبدي رأيها فيهِ لوزرائها مقروناً بمشورتها . وتفصح لهم عن ذلك كلهِ بكلام جلي قوي الحجة حتى يفهموا مشورتها والباعث لها عليها وتباحثهم وتجادلهم في المسائل بانية اقوالها على معارفها وعلى رغبتها في خير رعيتها وتجتهد في اقناعهم بصحة رأيها وقبول مشورتها اذا اختلف رأيها عن رأيهم ولكنها لا تتعدى في ذلك كلهِ حدًّا من الحدود المعينة لها في دستور بلادها . فاذا لم تستطع اقناعهم بقبول رأيها اذعنت لرأيهم مراعية في ذلك خير رعيتها لاعتقادها انهُ خير للرعية ان يحكمها و يسوسها الذين انتخبتهم الرعية نفسها لسياستها وتدبير امورها ولانها كانت تعتقد انهُ ولو كان رأيها صواباً ورأي وزرائها خطاء فخير للرعية ان يكون الرأي النافذ الرأي المطابق لحريتها اي رأي الذين اختارتهم الرعية نواباً ووكلاء عنها لا الرأي الذي يكون في مسألة من المسائل انفع لرعاياها ولكنهُ غير مطابق لشروط حريتهم . وكانت تعتقد انهُ خير للرعية اذا وقع خطاء ان يكون وقوعهُ من الوزراء نوابها لا من الشخص المالك عليها

فحرية رعيتها كانت دائماً نصب عينيها وكانت مقدسة محترمة عندها ولذلك كانت تسلم للذين اقامتهم الرعية نواباً ولو كانت مقتنعة بان رأيهم خطاء تقديماً لحرية الرعية على كل ما سواها لعلمها ان الامة الحرة تسوس نفسها بنفسها في آخر الامر احسن مما يسوسها اعقل انسان في العالم . وان هذه الحرية هي مصدر كل نجاح حقيقي وكل ربح ونفع صحيح . وان هذه الحرية قنية ثمينة قد تفضي الى خطاء في السياسة احياناً والى عواقب وخيمة احياناً اخرى ولكنها تبقى افضل كثيراً من القسر والاكراه ولو على الخير والنفع في مسألة من المسائل

فكان ملكها بذلك داخل حدود الدستور تُصدِق وزراءها دائماً وتفصح لهم عن آرائها وتصرح لهم بما تفضلهُ على غيرهِ ولكنها تراعي حرية رعيتها فوق ذلك كلهِ . فهذا مقام الملك الدستوري الحقيقي وقد ثبت جليًّا انهُ واقعي حقيقي خلافاً للذين يقولون انهُ محال

فقد حلت تلك المشكلة وعلمت رجال السياسة فائدة الملك الدستوري . وطالما رأى وزراؤها انها كانت اقدر منهم على ادراك مصير الامور بزكانتها . ومهما كان الملك الدستوري قويًّا حكيماً عظيماً لا يستطيع ان يستوفي شروط السلطة ما لم يحترم حرية الذين يتسلط عليهم ويتولاهم حسبما يشاؤون لكي تحفظ لهم حريتهم . انتهى

هذا وقد كان لنعي الملكة الوقع الاليم في القطر المصري فاقبل الجناب الخديوي على الوكالة البريطانية للقيام بالتعزية واوفد دولة اخيهِ البرنس محمد علي الى البلاد الانكليزية نائباً عنهُ واقيمت الصلوات في كنائس البروتستانت والاقباط واليهود فحضرها جناب اللورد كرومر ونظار الحكومة المصرية

باب الزراعة

المعرض الزراعي

(تابع المعروضات التي نالت الجوائز)

الدجاج وسائر الطيور الداجنة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج البلدي نال الجائزة الاولى قفص عرضهُ خليل باشا فوزي والثانية قفص عرضتهُ مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الهندي . الجائزة الثانية المستر لوري

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الفيومي . الجائزة الاولى مس دلانوي والثانية مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الاوربي المربَّى في مصر . مدالية الفضة المستر برنتش والبرنس عمر باشا طوسن . ومدالية البرنز المستر لوري ومدالية اخرى المسيو جلبرتي

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج المولَّد . مدالية الفضة المستر شنز ومدالية البرنز المستر برنتش والدبلوما مدرسة الزراعة

قفص فيهِ ثلاث بطات بلدية ذكر وانثيان. الجائزة الثانية البرنس عمر باشا طوسن

قفص فيهِ ثلاث بطات مولدة . الجائزة الاولى البرنس عمر باشا طوسن والثانية بوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الرومي الابيض . الجائزة الثانية خليل باشا فوزي وبوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الدجاج الرومي الاسود . الدبلوما بوغوص باشا نوبار

قفص فيهِ ديك وفرختان من الوز البلدي . شهادة المدح البرنس عمر باشا طوسن وخليل باشا فوزي

سبت فيهِ ١٢ بيضة . الجائزة الاولى الدكتور ورنوك والثانية بوغوص باشا نوبار

سبت فيهِ ١٢ بيضة من بيض الدجاج الرومي . شهادة المدح بوغوص باشا نوبار

سبت فيهِ ١٢ بيضة من بيض الوز . الجائزة الاولى الدكتور ورنوك وشهادة المدح خليل باشا فوزي

قفص فيهِ اربع حمامات بلدية ذكر وثلاث اناث . الجائزة الثانية مدرسة الزراعة وشهادة المدح مدرسة الزراعة ايضاً

قفص فيهِ اربع حمامات اجنبية مربّاة في مصر . الجائزة الاولى المسيو جلبرتي والثانية المسيو لوري وشهادة المدح المستر كارتون ده فيار

قفص فيهِ اربع حمامات مولدة ذكر وثلاث اناث . الجائزة الثانية مس دلانوي

قفص فيهِ ثلاث ارانب اوربية او مصرية مولدة . الجائزة الاولى مس دلانوي والثانية البرنس عمر باشا طوسن وشهادة المدح المستر كارتون ده فيار

واعطيت مدالية الفضة للبرنس عمر باشا طوسن لان مجموع ما عرضهُ في هذا القسم من المعرض كان احسن مما عرضهُ غيرهُ

الحبوب

قمح اسمر بحيري . الجائزة الاولى البرنس عمر باشا طوسن والثانية مدام اغويان باشا والدبلوما جرجس تكلا ومحمد عيسى

قمح اسمر صعيدي . الجائزة الاولى خليل بك لطفي و رزق الله ميشاكي وطلبه بك سعودي . والثانية علي صالح . والدبلوما البرنس عمر باشا طوسن

قمح ابيض . الجائزة الاولى خليل بك لطفي وراتب باشا وامين بك الشمسي وحسن افندي شادي وعلي بك شعراوي وعلي باشا حلمي والجائزة الثانية رياض باشا واحمد بك حلمي وبوغوص باشا نوبار

الشعير البلدي . الجائزة الاولى مدام اغويان باشا والثانية علي بك الشواربي ومحمد بك خليل ورياض باشا ودائرة القصر العالي ومحمد بك حبشي والدبلوما سيف النصر بك طنطاوي ومحمد سعيد الكبير

شعير اوربي مزروع في مصر . الجائزة الاولى مدرسة الزراعة ومدام اغويان باشا ومحمد الشنواني . والدبلوما مدرسة الزراعة ومدام اغويان باشا

فول بحيري . الجائزة الاولى رياض باشا وخليل بك علي والثانية دائرة القصر العالي والشركة الزراعية الصناعية . والدبلوما محمد عيسى وشهادة المدح محمد الشنواني

فول صعيدي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة واحمد بك حمدي والثانية طلبه بك سعودي وعلي بك الشعراوي والدبلوما احمد بك دلا وشهادة المدح احمد محمد حكيم

فول رومي . الدبلوما امين بك الشمسي وشهادة المدح مدام اغويان باشا

الذرة الشامية . الجائزة الاولى امين بك الشمسي والبرنس عمر طوسن والثانية احمد بك حمدي ورياض باشا والدبلوما اصلان صفدون وسعيد بك ايوب وخليفة بك علي وبوغوص باشا نوبار وحسين بك سعيد ومحمد سعيد الكبير . وشهادة المدح احمد بك دلاً وعبد اللطيف سعودي وحسين بك عابدين ودائرة القصر العالي وتفتيش الوادي وخليل باشا فوزي

الذرة الاجنبية المزروعة في مصر . الجائزة الاولى البرنس عمر طوسن والثانية بوغوص باشا نوبار والدبلوما شعبان شعبان ورمضان شعبان

الذرة البلدية . الجائزة الاولى علي بك الشعراوي واحمد بك حمدي والثانية علي افندي محمد وابو زيد طنطاوي . والدبلوما سيف النصر بك طنطاوي وموسى افندي محمد علي . وشهادة المدح محمد عيسى

الارز السلطاني . الجائزة الثانية مهدي افندي نمر

الارز السبعيني . الجائزة الاولى عبد اللطيف سعودي والثانية بوغوص باشا نوبار

سائر انواع الارز . الجائزة الاولى ابو زيد طنطاوي واحمد بك دلاً والثانية سيف النصر بك طنطاوي وطلبه بك سعودي . والدبلوما تفتيش الوادي

العدس البحيري . الجائزة الاولى محمد سعيد الكبير

العدس الصعيدي . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية جرجس تكلا

الفول السوداني . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد والثانية امين بك الشمسي والدبلوما تفتيش الوادي . وشهادة المدح مدرسة الزراعة

بزر الكتان . الجائزة الاولى امين بك الشمسي والثانية ابو زيد طنطاوي والدبلوما علي صالح

السمسم الابيض . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد والثانية تفتيش الوادي

السمسم الاسمر . الجائزة الاولى ابرهيم بك مراد ومحمد الشنواني والثانية تفتيش الوادي وبوغوص باشا نوبار وعلي صالح . والدبلوما مدرسة الزراعة والبرنس عمر طوسن

الحلبة . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية طلبه بك سعودي والدبلوما ميخائيل فلتاووس وسيف النصر بك طنطاوي وشهادة المدح عبد الحكيم محمد ونخله رزق الله

حب البرسيم البعلي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة وعلي بك شعراوي والثانية يونان يوسف

حب البرسيم المسقاوي . الجائزة الاولى الدائرة الخاصة وسيف النصر بك طنطاوي ورياض باشا واحمد بك ابو الفتوح والثانية علي بك شعراوي ومدام اغوبيان باشا ومدرسة الزراعة والجمعية الزراعية الصناعية وبشاي ابرهيم . والدبلوما دائرة القصر العالي واحمد بك دلاً ومحمد

سعيد الكبير ومحمد بك الحبشي

الحمص . الجائزة الاولى محمد سعيد الكبير

الترمس . الجائزة الاولى علي بك شعراوي والثانية محمد سعيد الكبير وابرهيم بك مراد

القطن الميت عفيف

الغربية . كفر الزيات . الجائزة الاولى ابرهيم بك حلمي والثانية ابرهيم بك بهايه وحسن بك كامل

" طنطا والسنطة . الجائزة الاولى اغوبيان باشا

" زفتى ومت بره . الجائزة الثانية مصطفى باشا فهمي ودائرة البرنس جميل طوسن

" المحلة الكبرى وطلخه وسمنود . الجائزة الاولى يارد اخوان

" شربين وبلقاس . شهادة المدح احمد بك ابو الفتوح

المنوفية . جوار كفر الزيات . الجائزة الاولى شرف الدين جنازي والثانية عبدالغفار بك

الشرقية . مينا القمح وبلبيس . الجائزة الاولى البرنس ابرهيم حلمي والثانية البرنسس فاركه هانم وشركة الزراعة والصناعة

" هيها والزقازيق . الجائزة الثانية البرنسس خديجه هانم والبرنس حسن ودائرة القصر العالي والبرنسس حميده هانم

البحيرة . دمنهور وايتاي البارود . الجائزة الاولى دائرة القصر العالي والثانية محمد بك الحبشي

" النجيلة وناحية تكلا الجائزة الثانية خليفه بك محمود

الدقهلية . المنصورة وميت سمنود والبحر الصغير . الجائزة الاولى المسيو لوزاتو والمسيو اندريزاتي والثانية الخواجات جريس . وجائزة اولى ايضاً لاحمد بك عفيف وثانية لمحمد بك نافع

الدقهلية . السنبلاوين الجائزة الاولى صالح بك

القليوبية . طوخ وقليوب وبنها والبراج والجيزة . الجائزة الاولى المسيو قسطوبولو والثانية البرنس جميل طوسن وخليل باشا فوزي

القطن الاشموني

الفيوم . الجائزة الاولى خليل بك لطفي والثانية ابو زيد طنطاوي والثالثة احمد بك حمدي والدبلوما احمد الروبي

المنيا . الجائزة الاولى بشرى ميخائيل والثانية علي بك شعراوي والثالثة سلطان باشا

القطن العبامي

الغربية . الاولى محمد بك راسم والثانية البرنس كمال الدين واغوبيان باشا

المنوفية . الاولى ابرهيم باشا حلمي والبرنسس خديجه هانم والثانية دائرة القصر العالي

البحيرة . الاولى دائرة القصر العالي والثانية البرنس حسين باشا كامل

القليوبية . الثانية الدائرة الخاصة وبوغوص باشا نوبار

قطن ينوفتش

الغربية . الاولى الدائرة الخاصة ومحمد بك سدلي والثانية راتب باشا والبرنسس فاطمة هانم والثالثة شركة الزراعة والصناعة والشركة العقارية

الشرقية . الاولى دائرة القصر العالي . والثانية البرنسس فاركه هانم والثالثة البرنس ابرهيم باشا حلمي

البحيرة . الاولى البرنس حسين باشا كامل والثانية دائرة القصر العالي

السكر وقصب السكر

القصب الاحمر . الاولى فرج حسين وعلي بك شعراوي والثانية يونان يوسف

القصب الابيض . الاولى فرج حسين والثانية جرجس تكلا

القصب البلدي . الاولى علي بك شعراوي

سائر المعروضات

البنجر . الاولى ابرهيم حلمي والثانية محمد وصيل

البطاطس . الاولى يولي بك والثانية حسن الشناوي

بطاطس للتصدير . الاولى يولي بك

البصل . الاولى محمد سعيد الكبير ورمضان شعبان

الطماطم . الاولى محمد عيسى والثانية حسن الشناوي

الزبدة الطرية . الاولى مدرسة الزراعة

الزبدة المملحة . الاولى مدرسة الزراعة

السمن . الاولى خليل باشا فوزي

العسل . الاولى خليل باشا فوزي

الصوف . الدائرة الخاصة

البلح . الاولى جان ايزاكاليدس والثانية ابرهيم مشراق

الحنا . الاولى مهدي نمر

السمار . الاولى وزرعبد الله وتفتيش الوادي والثانية محمد عمر

ريش النعام . الدبلوما شركة تربية النعام بالمطرية

درس من المعرض الزراعي

نشرنا في هذا الجزء والجزء السابق ما اتصل بنا من ذكر الجوائز والمداليات التي حُكم بها في المعرض الزراعي للعارضين حسب حكم المحكمين . وتختلف المعروضات كثيرًا في نوعها كالثيران والجواميس والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال والحمير والدجاج والحبوب من قمح وشعير وفول وعدس وحمص وغيرها من المزروعات كالقطن والكتان والقصب و يظهر لنا من امعان النظر فيها امور كثيرة لا يخلو ذكرها من الفائدة وهي

✧ اولاً ✧ ان الجوائز ليست على نسبة النفع . فان الجوائز تختلف قيمتها من الف غرش الى ٢٥ غرشاً لكن ما قدرت لهُ الجائزة الكبرى ليس من انفع المعروضات التي يجب بذل الهمة لترغيب اهل الزراعة في اصلاحها ولا الذي اعطي الجائزة الصغرى من اصغر المعروضات فان الجائزة الكبرى وهي الف غرش لزوج من الثيران الخصية . وقد استحق هذا الجوز الجائزة التي عينت لهُ ولكن فائدتهُ تقتصر على صاحبهِ فلا يمكن ان يبقى نسلهُ في البلاد لانهُ خصي ولا فيهِ ما يعلّم اهل الزراعة كيف يربون ثيرانهم حتى تكون مثلهُ . نعم ان البلاد محتاجة اشد الاحتياج الى الثيران القوية الصالحة للزراعة ولكن لو اعطيت هذه الجائزة لمن يؤلف رسالة في كيفية تربية الثيران حتى تكون صالحة للاعمال الزراعية الشاقة او لمن يربي ثورًا طلوقاً يجود بهِ نوع الثيران لكان ذلك انفع للبلاد

والقفص الذي فيهِ ثلاث وزات بلدية جائزتهُ الاولى ٥٠ غرشاً والثانية خمسة وعشرون غرشاً والوز غير لازم لاهل الزراعة لزوم الثيران ولكن هذه الوزات اذا كانت تفضل على كل ما عرض من الوز من حيث غزارة لحمها و كثرة بيضها امكن توليد الوز من بيضها فيصير في البلاد صنف من الوز جيد اللحم كثير البيض فيكون منهُ طعام كثير الغذاء قليل النفقة . واشد ما يحتاج اليهِ اهالي القطر المصري الغذاء اللحمي الكثير المواد النيتروجينية

وكانت جائزتا الذرة الشامية مئة غرش وخمسين غرشاً مع ان الذرة الشامية طعام جانب كبير من سكان هذا القطر حتى لما امرت الحكومة بتأخير زرع الذرة في العام الماضي

علت شكوى اهل الزراعة الى عنان السماء. فاذا تمكن احد ان يجد تقاوي تزيد بهاغلة الفدان اردباً افاد البلاد فائدة تقدَّر بعشرات الالوف من الجنيهات . وقس على ذلك القمح والفول والشعير والبرسيم والقطن والكتَّان فان مَن يتوصَّل الى ايجاد صنف منها يفوق الاصناف المعروفة يستحق ان يجازى اكبر جزاء وهو في هذا القطر احق بالرتب والنياشين من كل من يعطى رتبة فيهِ ونشاناً

❖ ثانياً ❖ ان الذين تباروا في هذا المضمار هم من كل طبقات الناس من الجناب الخديوي فنازلاً الى زارع البصل والثوم . فترى اسم الجناب الخديوي او دائرة الخاصَّة الخديوية مذكوراً مراراً كثيرة ولا سيما في عرض المواشي الكبيرة وكذلك اسماء بعض الامراء من العائلة الخديوية وكبراء القطر مثل رياض باشا ومصطفى باشا وهبي وبوغوص باشا نوبار واغوبيان باشا وغيرهم . واحياناً ينال الجائزة الاولى واحد من عامَّة الناس والثانية واحد من الكبراء دلالةً على ان المحكّمين نظروا الى المعروضات نفسها لا الى عارضيها لكن ذلك قليل والغالب ان الذين نالوا الجوائز هم كبراء القطر اصحاب الزراعات الكبيرة

❖ ثالثاً ❖ ان اكثر العارضين كانوا من الوجه البحري ولم يعرض من الوجه القبلي الاَّ قليلون مع ان المعرض عام للجميع على حدٍّ سوى وليس بعد المسافة بسبب كبير لقلة العارضين من الوجه القبلي لان سكة الحديد قرَّبت المسافات

❖ رابعاً ❖ ان الاقباط اقل اهتماماً بالمعرض من كل سكان هذا القطر فنالوا اقل ما يكون من الجوائز مع ان اطيانهم تزيد على عشر اطيان القطر ولعلَّ السبب الاكبر لذلك كون اكثرهم في الوجه القبلي

❖ خامساً ❖ ان مدرسة الزراعة لم تفق معروضاتها معروضات غيرها فانهُ كثيراً ما اخذ غيرها الجائزة الاولى واخذت هي الجائزة الثانية وذلك على غير ما ينتظر منها

❖ سادساً ❖ ان الوقت الذي يُقام فيهِ المعرض الزراعي عادة ليس من اصلح الاوقات كما ثبت هذا العام لانهُ اذا وقع فيهِ المطر او عصفت الرياح الشديدة زال كثير من رونقهِ ونفعهِ فاماً ان يقدَّم شهراً او شهرين او يؤخر شهراً او شهرين

❖ سابعاً ❖ لا بدَّ من انشاء مبانٍ للمواشي والآلات خوفاً من وقوع الامطار وعصف الرياح واشتداد الحر لان ذلك كلهُ محتمل الوقوع من اوائل الخريف الى اواخر الربيع

هذا ولا بدَّ في الختام من اسداء الشكر الوافر الى عمدة الشركة الزراعية وحضرة سكرتيرها المستر فودن على ما بذل من الهمَّة في ترتيب المعرض واتقانهِ والى الحكومة المصرية لجودها بالمال عليهِ

تقاوي قصب السكر

رأينا في نشرة الزراعة التي تنشر في جزائر الهند الغربية خلاصة تجارب كثيرة جُرِبت في زراعة قصب السكر وفي جملتها تجارب في زرع القصب من الثلث الاسفل من القضيب ومن الثلث المتوسط ومن الثلث الاعلى . وقد كررت هذه التجارب زماناً طويلاً فكان القصب المزروع من الثلث الاسفل تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاسفل . والقصب المزروع من الثلث الاوسط تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاوسط وكذا القصب المزروع من الثلث الاعلى تؤخذ التقاوي منهُ من ثلثهِ الاعلى ودام الحال على هذا المنوال سنين كثيرة فكانت النتيجة ان غلة القصب المزروع من العقد السفلى ومن العقد الوسطى ومن العقد العليا متشابهة ولذلك لا فرق سواء اخذت التقاوي من اعلى القضيب او من وسطهِ او من اسفلهِ

القصب الكبير والقصب الصغير

جُرِبت تجارب أُخرى ليعلم اي العيدان اصلح الكبيرة ام الصغيرة فاختيرت ثلاث قطع متماثلة من الارض وزرعت الاولى من القصب الكبير العيدان والثانية من القصب المتوسط العيدان والثالثة من القصب الصغير العيدان . واعيدت التجربة سبع مرات وكان القصب يبقى في الارض سنتين كل مرة فجملة السنوات اربع عشرة سنة فكانت النتيجة ان متوسط غلة الفدان من القصب الكبير بلغت ثلاثين طناً وثلث طن ومن القصب الصغير نحو ٢٦ طناً وكمية السكر في الطن الواحد واحدة في النوعين وعليهِ فزرع العيدان الكبيرة افيد كثيراً من زرع العيدان الصغيرة

غذاء القصب

ثبت بالامتحان في بلاد جاوى ان كلاً من الحديد والمغنيسيا والجير والحامض الفصفوريك والبوتاسا والنيتروجين ضروري لقصب السكر واذا خلت الارض من مادة من هذه المواد يبس القصب حالاً . واذا قلَّت فيها مادة من هذه المواد عمَّا يلزم لنمو القصب ضعف وتأخر نموهُ ولا سيما اذا قلَّ النيتروجين . واذا قلَّ الحديد تجعدت الاوراق واصفرَّت ودقت الجذور كثيراً واذا اضيف الحديد الى الارض اخضرَّت الاوراق حالاً وغلظت الجذور . وهذه المواد توجد في كل الاراضي التي يزرع القصب فيها ولكن مقدارها فيها يختلف بعض الاختلاف فالبوتاسا تكون في الارض السوداء اكثر من سبعة اعشار في المئة وفي الارض الخفيفة نحو اربعة اعشار في المئة والمغنيسيا تكون في الارض السوداء واحداً ونحو اربعة اعشار في المئة وفي الارض الخفيفة نحو ثمانية اعشار في المئة فقط



عمل الجبن

لقد استغربنا جدًّا عدم استحقاق احد لجائزة في المعرض الزراعي الماضي على الجبن كأنَّ اللبن المصري لا يصلح لعمل الجبن او كأنَّ صنَّاعهُ يخجلون من عرضهِ . والحقيقة ان صناعة الجبن مهمة جدًّا في هذا القطر ويجب ان تهتم الشركة الزراعية بتعزيزها بكل الوسائط . وقد اطَّلعنا على مقالة كبيرة الفائدة في الجبن وعملهِ للاستاذ كون من اساتذة مدرسة الوسليين الجامعة باميركا فرأينا ان نعربها لما فيها من الفوائد قال الكاتب

يقول الكيماويون ان الجبن من ارخص الاطعمة واكثرها غذاء . وقيمتهُ الغذائية اكثر من قيمة اللحم وثمنهُ اقل من ثمن اللحم . ولكن النظر الى الجبن من وجه كيماوي محض لا يدلُّ على كل فائدة الجبن في الطعام فان الجبن لا يؤكل لاجل ما فيهِ من الغذاء بل لاجل لذة طعمهِ . ويقول الفسيولوجيون ان لا فائدة غذائية من لذَّة الطعم وان الغذاء هو من المواد المغذية نفسها ولكنهم يقولون ايضاً ان الجسم لا يغتذي من المواد المغذية ما لم تكن طيبة الطعم فاذا اطعمتهُ زلال البيض لا غير لم يستطع ان يقتات بهِ مدة اسبوع كامل او لم يستطع ان يقتات بما يكفيهِ منهُ فالطعم ضروري مثل الغذاء لانهُ يطيب الطعام ويسيغهُ ويهيج الغدد لافراز المفرزات التي تعين على هضم الطعام فيهضم ويغتذي الجسم منهُ . وما الغرض من صناعة الطبخ واضافة البهارات والتوابل الى الطعام الاَّ إجادة طعم الطعام حتى تستطيبهُ النفس ومن هذا القبيل غلاء بعض الاطعمة النادرة فان الناس يغالون بها لطيب طعمها ولما ينالهم من الفائدة من اكلها: فالطعم الطيب ضروري للطعام ولكن ضرورتهُ ليست ذاتية والاَّ لكان كل طعم طيب ضروريًّا ومفيدًا لكل احد على حدٍّ سوى والحال ان ما يستطيبهُ زيد قد لا يستطيبهُ عمرو فما يكون مفيدًا للاول قد لا يكون مفيدًا للثاني . ويقال ان الايطاليين يستطيبون الثوم والمكسيكيين يستطيبون الفلفل قدر ما يستطيب الانكليز التابلاً في المبرَّدات وهذه المواد الثلاثة المختلفة اشد الاختلاف في طعومها تقوي الشهية للطعام وتحرك اعضاء الهضم على حدٍّ سوى

فالفائدة الاولى من الجبن هي لذة طعمهِ ولذلك ترى الفقير يضع قطعة صغيرة منهُ في لقمتهِ فيتهلل وجههُ وتبرق اسرتهُ كأنهُ يأكل أفخر المآكل واطيبها . اي ان فائدة الجبن الكبرى تقوم بالطعم الذي لا يلتفت اليهِ الكيماوي في تحليلهِ ولا يعتدُّ بهِ الفسيولوجي في بحثهِ

ولا يحسب لهُ فائدة غذائية . ومعلوم ان الجبن يغذي ايضاً بنفسهِ فهو طيب ومغذٍ في وقت واحد ولكن اهميتهُ في الطعام لا تتوقف على ما فيهِ من الغذاء بل على ما فيهِ من طيب الطعم

وهنا يليق بنا البحث عن سبب ما في الجبن من الطعوم. فان الجبن الجديد خالٍ من الطعوم التي يمتاز بها الجبن عادة اي من الطعوم الجبنية . ويصنع الجبن من اللبن بترسيب المادة الجبنية منهُ بواسطة الانفحة كما هو معروف او بواسطة ترك اللبن حتى يحمض كما في الجبن القلنكي . وتؤخذ المادة الجبنية بعد عصر المصل منها وتلف بخرق او توضع في قالب حتى يصير منها قرص الجبن. لكن هذا الجبن يكون خالياً من الطعم الجبني الخاص ولا يظهر فيهِ هذا الطعم الأَ بعد ما ينضج ونضجهُ قد يتمُّ في ايام وقد لا يتم الاَّ في اشهر او في سنتين او سنين والغالب ان انواع الجبن المختلفة تصنع من نوع واحد من اللبن ولكنها تعرَّض لاساليب مختلفة من النضج فتختلف طعوم الجبن باختلاف الاساليب التي يعالج بها وقت نضجهِ . واذا اردنا ان نعرف اسبابها وجب ان نبحث عنها في الاساليب التي تستعمل لانضاج الجبن

ونضج الجبن عمل مزدوج فهو من الوجه الواحد كيماوي لان بهِ يتغير تركيب الجبن الكيماوي و يصير اسهل هضماً مما كان قبلاً وسببهُ الاكبر مادة خميرية موجودة في اللبن نفسهِ طبعاً ولا يهمنا البحث عنها الآن لان طعوم الجبن لا تتوقف عليها بل على فواعل اخرى حية من نوع النباتات الدنيئة تنمو في الجبن وعليهِ وتقوم اساليب انضاجهِ بتقوية بعض هذه النباتات واضعاف بعضها

والجبن نوعان كبيران لين وصلب والغالب ان النباتات التي ينضج بها الجبن اللين هي من نوع العفن والتي ينضج بها الجبن الصلب من نوع البكتيريا . ويصنع الجبن اللين هكذا : يجبن اللبن بالانفحة ويقص بالسكاكين حتى يتحلب المصل منهُ او يفرغ في القوالب رأساً ويكون في القوالب ثقوب في جوانبها وقاع فوق قاع فيهِ قش حتى يخرج المصل منها فيجمد الجبن في القالب و يتشكل بشكلهِ . ويكون في اول امرهِ ليناً جداً فيقلب من وقت الى آخر مدة يومين او ثلاثة و يشتد قوامهُ حينئذٍ حتى يسهل رفعهُ باليد و ينقل حينئذٍ الى القبو الذي ينضج فيهِ الجبن . ويختلف هذا الاسلوب في تفاصيلهِ اختلافاً كثيراً فقد يوضع الجبن على حصير خاصٍ من القش او يلفُّ بنوع خاص من القش مما استعمل في معامل الجبن مراراً كثيرة حتى امتلأ ببزور العفن . ثم يوضع في مكان هواؤهُ رطب بارد يتمو العفن فيهِ فينمو سريعاً و يغطي وجههُ. وقد تستعمل وسائط مختلفة لاسراع نمو العفن مثال ذلك ان يصنع نوع خاص من الخبز و يترك حتى يعلوهُ العفن ثم يسحق سحقاً ناعماً و يمزج بالجبن حال وضعهِ في القالب

ويثقب الجبن ثقوباً صغيرة لكي يدخلهُ الهواء ويسهل نمو العفن فيهِ وهذه الطريقة مستعملة في جبن ركفورت لكن الغالب ان يعتمد صانعو الجبن على الحصر التي يلقونهُ بها . ثم ان انواع العفن مختلفة واشهرها العفن الازرق العادي ولكن الجبن لا ينضج غالباً ما لم تفعل بهِ انواع مختلفة من العفن معاً

وتولُّد العفن في الجبن ليس خاتمة نضجهِ بل بداءتها . ويمنع نموهُ بالملح الكثير الذي يذر على الجبن وبغسل وجههِ فلا يبقى لهُ سبيل الى النمو الاَّ في قلبهِ . ولا بدَّ من نقل الجبن الى الاقبية التي ينضج فيها وهي اما مبانٍ باردة رطبة او كهوف في قلب الجبال . وقد تتوقف جودة الجبن على نوع الكهف الذي ينضج فيهِ . ودرجة الحرارة واحدة في هذه الاماكن وهواؤها رطب غالباً ولذلك يستمرُّ فعل الانضاج فيها على مدار السنة . واذا كان لهذه الاماكن درجات مختلفة من الحرارة اختلف نوع الفطر الذي ينمو فيها او اختلفت سرعة نموهِ واختلف طعم الجبن باختلافها

ومتى وُضع الجبن في هذه الاماكن يقلُّ نمو العفن فيهِ او يبطل وتنمو بدلاً منهُ انواع مختلفة من البكتيريا ويكون الجبن قد صار قلوياً بنمو العفن فيهِ فيسهل نمو البكتيريا حينئذٍ واذا كانت الحرارة شديدة فالبكتيريا تحل الجبن سريعاً وتفسدهُ فينتن ولكن اذا كانت الحرارة معتدلة او واطئة كما هي في هذه الاماكن وقف فعل البكتيريا ولم يحصل الفساد المذكور . ويتولَّد في الجبن مركبات كيماوية جديدة من تولُّد البكتيريا فيهِ وهي التي تسبب طعمهُ الطيب فيباع حينئذٍ ويوكل قبلما يزيد فعل البكتيريا فيهِ عن هذا الحد

ويبقى الجبن طرياً بعد ارسالهِ الى السوق ويبقى الانحلال جارياً فيهِ فلا يكون صالحاً للاكل الاَّ زماناً قصيراً واذا طال عليهِ الزمن فسد كلهُ . وقبل ذلك يكون طعمهُ قوياً يستطيبهُ بعض الناس جداً

هذا هو الاسلوب العام لعمل الجبن اللين . لكن صناعهُ يختلفون كثيراً في تفاصيل عملهِ وينوّعون هذا الاسلوب حسب نوع اللبن وحسب كون القشدة باقية فيهِ كلها او منزوعاً بعضها منهُ وحسب اساليب التجبين المختلفة ومقدار الملح ودرجات الحرارة والرطوبة في المكان الذي ينضج فيهِ فانهُ ينتج من ذلك كلهِ تولُّد انواع مختلفة من العفن والبكتيريا وينتج منها طعوم مختلفة . ولا تحصل النتيجة المطلوبة الاَّ اذا كان في معمل الجبن انواع العفن والبكتيريا اللازمة وهنا المجال الواسع لعلم الميكروبات والمباحث الميكرسكوبية

والنوع الثاني الجبن الصلب وهو اقل طعماً من الجبن اللين وقوالبهُ اكبر من قوالب الجبن

اللبن غالباً ويبقى زمناً طويلاً من غير ان يفسد ولذلك يسهل نقلهُ من بلاد الى أُخرى

والفرق بين عمل الجبن اللين والجبن الصلب قليل جداً فان الجبن الصلب يجبن مثل الجبن اللين ولكن يضغط عليهِ بعد ذلك شديداً وقد يسخن الى الدرجة ١١٠ بميزان فارنهيت بعد تجبينهِ كما يفعل اهالي سويسرا فيتغير قوامهُ ويصير فيهِ شيء من المرونة . ويكون الضغط عليهِ خفيفاً في اول الامر ثم يزاد رويداً رويداً فيندمج وتقترب دقائقهُ بعضها من بعض حتى يعسر على نبات العفن النمو فيهِ

ولا بدَّ من ان ينضج الجبن الصلب كما ينضج الجبن اللين لكي تتولد فيهِ الطعوم الطيبة ومدة نضجهِ اطول وهو ابطأ من نضج الجبن اللين . فيوضع في بيوت او كهوف حيث يقلُّ اختلاف الحرارة او تعدَّل الحرارة بالصناعة ويترك اسابيع او اشهراً فيحل بهِ فعل كيماوي بطيء من انواع الخمير الكيماوية والآلية التي فيهِ ويتولد فيهِ الطعم الخاص بهِ

وليس للعفن يد في الجبن الصلب كما لهُ في الجبن اللين لان الملح يمنعهُ ويبقى الفعل الاكبر للبكتيريا . وقد ثبت بالامتحان ان البكتيريا تنمو بكثرة في هذا الجبن مدة نضجهِ وان بعض انواع البكتيريا يولد في اللبن طعوماً مثل طعوم الجبن الناضج وان الوسائل التي تبطل نمو البكتيريا تبطل تكوُّن هذه الطعوم في الجبن . وقد عرف عاملو الجبن الفلمنكي المشهور كيفية اسراع نضجهِ بزرع انواع من البكتيريا في اللبن الذي يصنع منهُ . وهذا الزرع شائع في ثلث الجبن الذي يصنع في هولندا فان الصنَّاع يضيفون اليهِ المصل الكثير البكتيريا لكن علماء البكتيريا لم يتفقوا حتى الآن على اي الميكروبات ينضج الجبن لان مدة النضج طويلة يتولد فيها انواع مختلفة من الميكروبات فلا يُعلَم ايها هو الفاعل الاكبر في نضجهِ "

ثم شرح الكاتب فائدة البحث البكتيريولوجي في هذا الموضوع لكي يتيسَّر على الاميركيين تقليد الجبن السويسري والجبن الفلمنكي ونحوهما من الانواع التي لا تصنع حتى الآن الاَّ في بلادها . وحبذا لو ترصَّد احد سكان لبنان نتائج العلم البكتيريولوجي في هذا الشان عساهُ يجد اسلوباً لتقليد انواع الجبن الغالية الثمن فان في لبنان وما حولهُ من البلاد اماكن كثيرة تصلح لعمل الجبن كما تصلح جبال سويسرا وبلاد هولندا

عيدان الفصفور

يقسم عمل عيدان الفصفور الى اربعة اقسام الاول تشقيق الخشب وعمل العيدان الدقيقة منهُ والثاني غط العيدان في البارافين الذائب او الكبريت الذائب والثالث تحضير المزيج الذي

يشتعل بالفرك وغط العيدان فيهِ والرابع عمل الصناديق الصغيرة التي توضع العيدان فيها .
وقد رأينا هذه الاعمال كلها في بلدة صغيرة في سويسرا وهاك وصفها بالايجاز

العمل الاول شق الخشب . يقطع الخشب قطعاً طول القطعة منها نحو ٣٥ سنتمترًا وينزع قشره ويوضع على مخرطة ويدار فيها امام سكين حادَّة فينقشر بها كانهُ درج ملفوف والسكين تقطعهُ فيصير صفيحة رقيقة ثخنها ثخن العيدان التي تصنع منها. وتقطع هذه الصفيحة على طولها سبع قدد فيكون عرض كل قدَّة منها خمسة سنتيمترات اي طول عود الفصفور وتوضع هذه القدد بعضها فوق بعض وتقطع بقاطع كقاطع الورق فيقطع بالآلة الواحدة مليون عود في اليوم . ثم توضع العيدان في براويز صفوفاً صفوفاً تمكن بها من طرف وتبقى سائبة من الطرف الآخر ويكون في البرواز منها نحو ثلاثة آلاف عود

ومتى وضعت العيدان في البراويز تغط اطرافها في البارافين المصهور او في الكبريت المصهور ليلصق عليها من البارافين او من الكبريت ما يشتعل من الفصفور اولاً ويشعل الخشب . ثم يؤتى بها الى المزيج الذي فيهِ فصفور . والغالب انهُ يركَّب من جزء من الفصفور وثمانية اجزاء من كلورات البوتاسا واربعة اجزاء من الغراء وجزئين من الطباشير وثمانية اجزاء من الزجاج المسحوق سحقاً ناعماً جدًّا . وقد يبدل كلورات البوتاسا بنيترات البوتاسا فيكون للعيدان صوت شديد حين اشتعالها ويوضع هذا المزيج على لوح من الحديد يسخنهُ والبخار قليلاً حتى يبقى مائعاً . والمزيج المستعمل في فرنسا يصنع من ثلاثة اجزاء من الفصفور وجزئين من اكسيد الرصاص الثاني وجزئين من الرمل وثلاثة من الغراء

وقد لا يوضع الفصفور في المزيج الذي تطلى بهِ رؤُوس العيدان بل في المزيج الذي يطلى بهِ جانب الصندوق حيث يفرك العود . وحينئذٍ يصنع المزيج الذي تطلى بهِ رؤُوس العيدان من خمسة اجزاء من كلورات البوتاسا وجزئين من كبريتيد الانتيمون وجزء من الغراء ولهم تراكيب أُخرى اشهرها هذه الاربعة

	الاول	الثاني	الثالث	الرابع
كلوريد البوتاسيوم	٢٠٠٠ جزء	٢٠٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠
اكسيد الرصاص الثاني	١٢٥٠ "	٢١٥٠		
اكسيد الرصاص الاحمر	٢٥٠٠ "	٢٥٠٠	٢٠٠٠	٤٠٠٠
كبريتيد الانتيمون الثالث	١٢٥٠ "	١٢٥٠	١٣٠٠	٣٠٠٠
كرومات البوتاسيوم	١٣١٨ "		٠٧٥٠	١٥٠٠

صمغ عربي	۰٦٧۰	"	٦٧۰۰	٦٧۰۰	۰٦٧۰
بارافين	۰۲٥۰	"	۰۲٥۰		

ويفرك البارافين بالانتيمون اولاً في التركيب الاول والثاني ثم تمزج بهِ بقية الاجزاء وهذه التراكيب تشتعل بسهولة وتشعل الخشب سريعاً

اما الفصفور فيكون في المزيج الذي يدهن بهِ الصندوق وهو يركب من تسعة اجزاء من الفصفور الامورفي وسبعة اجزاء من كبريتت الحديد المسحوق سحقاً ناعماً وثلاثة اجزاء من الزجاج المسحوق وجزء من الغراء او الصمغ وما يكفي من الماء او يصنع من خمسة اجزاء من الفصفور الامورفي واربعة اجزاء من كبريتيد الانتيمون وجزئين ونصف من الغراء

ولعمل الصناديق آلة بديعة تصنعها باسرع من لمح البصر وتلصق الورق بها ويتعذَّر على الانسان ان يتصوَّرها من غير ان يراها

عيدان الفصفور المعطَّرة

وقد يكون لعيدان الفصفور رائحة طيبة وتصنع هذه العيدان بنقعها اولاً في الحامض الستياريك ثم تغط في المزيج الفصفوري وهو يصنع من ثلاثة اجزاء من الفصفور ونصف جزء من صمغ الكثيراء وثلاثة من الماء وجزئين من الرمل الناعم وجزئين من اكسيد الرصاص الاحمر. وبعد ما يجف هذا المزيج عليها تغط في مذوب صمغي عطر مصنوع من اربعة اجزاء من البخور الجاوي (البنزوين) مذابة في عشرة اجزاء من السبيرتو الذي درجتهُ ٤۰ بميزان بومه

بعض الخمور النادرة

خمر العسل

اضف ثمانية ارطال من الماء الى رطلين من العسل واغلِ المزيج ساعةً من الزمان وانت تنزع الزبد عنهُ ومتى برد اضف اليهِ قليلاً من خميرة البيرا واتركهُ حتى يختمر. ويحسن ان تضع فيهِ خرقةً فيها قليل من الافاويه مثل الزنجبيل وكبش القرنفل فيصفو السائل بعد شهر ويكون خمراً طيبة

خمر البرتقال

اغلِ ٤۰ رطلاً من السكر ربع ساعة في مئة رطل من الماء واعصر ۷٥ برتقالة وصفِّ عصيرها وامزجهُ بقشرها واضف اليهِ الماء والسكر بعد ان يبرد الماء وتصير حرارتهُ ۸٥ بميزان

فارنهيت . وضع المزيج في برميل وحركهُ مدة ثلاثة ايام او اربعة ثم سدهُ جيداً وضعهُ في قبو بارد واتركهُ فيهِ ستة اشهر فيصير العصير خمر البرتقال

خمر البرتقال والليمون الحامض

اذب ستة ارطال ونصف رطل من السكر في اثني عشر رطلاً من الماء على حرارة ١٠٥ بميزان فارنهيت واضف الى المذوب عصير خمس ليمونات وملعقة من خميرة البيرا واترك المزيج حتى يختمر مدة ٤٨ ساعة وامرت قشر الليمونات الخمس وقشر خمس وعشرين برتقالة برطل من السكر واضف ذلك الى العصير المختمر ثم اضف اليهِ عصير الخمس والعشرين برتقالة ودع المزيج يختمر مدة ٤٨ ساعة ثم صبهُ في برميل واضف اليهِ رطلاً من الخمر وسدَّ البرميل واتركهُ ستة اشهر

خمر الزبيب

اخبرتنا سيدتان انكليزيتان انهما رأتا الرهبان يصنعون الخمر من الزبيب في دير الانبا بولا قرب البحر الاحمر ولم تقفا على تفصيل الاسلوب الذي يصنعونهُ بهِ اما الاوربيون فيصنعون الخمر من الزبيب هكذا . يضاف ستة ارطال ونصف رطل من الزبيب الى عشرين رطلاً من الماء ورطلين من السكر وتسع اواقٍ من زبدة الطرطير وما يكفي من خميرة البيرة لكي يبتدئ الاختمار في المزيج . ويمكن ان يستغنى عن خميرة البيرة اذا اريد شرب هذه الخمر سريعاً

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البشاشة

خطبة للسيدة شفيقة مسيحه احدى تلميذات الصف المنتهي بمدرسة اسيوط العالية

ايها السادة والسيدات . قد وقفت امام قوم ينهم من اذا انبرى لا يبارى واذا جرى لا يجارى . ينهم رجال الخطابة وابطال الكتابة اذ قد دعاني الواجب ودعوتهُ حكم وطاعتهُ غنم . فلبيت مع علمي بوعورة المجال ونزارة المقال . وقد انتقيت البشاشة موضوعاً لي حتى اذا كبا جواد فكري استعين بما سطرتهُ يد الانسانية على محياكم من آيات الانس والسماحة

صادقي . جبحت النفوس من بدء نشأتها الى طلب ما ترتاح اليهِ وتأنس بهِ . وكثر تفنن الناس في اساليب السعادة المزعومة. فلم يقفوا عند حد وتجاوزوا في طرقهم الحصر والعد . فكل من وجد مقصداً قريباً قصد او مورداً عذباً ورد . ومع ذلك لم يتمتعوا بما املوهُ ولا طابت نفوسهم بما اخترعوهُ بل ذهب سعيهم شتاتاً اذ نسوا ان نعيم الجنان لا يدعو الى سرور الانسان إلاَّ اذا زانهُ وجه نضير وكلهُ ابتسام السمير . فانهُ لم تكشف لآدم بهجة الازهار إلاَّ بعد ان اشرقت شمس حواء وبدون رقة الفاظها لم يستطب ترنيم الاطيار ولا لطف الهواء . فلا تطمع ايها الانسان في وجود واسطة تخفف الاتعاب وتزيل الاوصاب إلاَّ بانسان نظيرك تكلل بسماحة الوجه وبشاشة المحيا . فان البشاشة علة سرور الناس وسعادة الجلاس للايناس . بها تصير القفار نعيماً وبدونها تمسي الجنان جحيماً . هي عنوان الرضى ومرآة تعكس نور الاخلاص وكثيرًا ما تغني عن الكلام فتترجم عما يكنهُ الضمير من المروءة وشريف العواطف

والآن اوجه التفاتكم الى لزوم البشاشة في دائرتين عظيمتين . اولاهما العائلة وهي اساس الهيئات ومنشأ الفضيلة ودار السعادة وجنة المسرات الحقيقية . فاذا سقيت هذه البذار بماء البشاشة استغنى الناس عن الجلوس في القهاوي والحانات التي يقصدونها حينما لا تتيسر لهم موجدات السرور . فيا ايتها السيدات اللواتي يهمهن امر ازواجهنَّ واولادهنَّ ويخشَين عليهم من ان تجرهم القهوة الى الحان والحان الى القمار والقمار الى العار اجعلن بيوتكنَّ محل الاناسة واتخذن من البشاشة حتى يحب رجالكنَّ معاشرتكنَّ ويؤثروا الاقامة في البيوت . وإلاَّ فخسارتكنَّ لا تعوض . وليس هذا الامر خاصاً بكنَّ فقط بل بالرجال ايضاً . اذ يجب على الرجل ان يجعل بيتهُ في ذروة السعادة حتى تشرق عليهِ شمس الصفاء والحبور قبلما تشرق على غيرهِ وتغيب عنهُ بعدما تغيب عن غيرهِ . وويل لمن يبني بيتهُ في وادي الهموم فلا تبارحهُ ظلمات الغموم

كل ربة بيت تحب ان ترى بيتها مملوءا من الاثاث الفاخر من الابسطة والكراسي والموائد والصور والتحف الثمينة مما أُتقن صنعهُ وغلا ثمنهُ . ولا حدَّ لزينة البيوت فقد ينفق الواحد الالوف ويبقى يظن بيتهُ دون بيوت كثيرين . ولكن ربة البيت الحكيمة تستطيع ان تزين بيتها وموائدها بزينة بديعة بلا نفقة يعجب لها كل من يراها . وقد يظن اني اقصد الزينة الطبيعية بالازهار والرياحين . فهي تبهج عين الرائي فينشرح لها صدرهُ . نعم ولكن هذه زينة يلزم تجديدها كل يوم او بضعة ايام غير ان للبيت زينة اخرى تفوق كل زينة ألا وهي انس اصحابهِ وطلاقة وجوههم ولطف حديثهم . فكم من بيت يدخلهُ الانسان ويخرج منهُ مسرور الخاطر كأنهُ تمتع بمشاهدة اجمل المتنزهات . وما ذلك إلاَّ لانهُ رأى من انس اهل البيت ما شرح صدرهُ

وطيب نفسهُ. وطلاقة الوجه ملكة يربو عليها الصغار ايضاً فتظهر فيهم كباراً وتجتذب قلوب الناس اليهم. وهنا محل الانتقال من الهيئة العائلية الى الدائرة الاوسع التي فيها البشاشة الزم وانفع

التفتوا معي لحظة لنتأمل في بعض الهيئات ولنبدأ بالهيئة العلمية مثلاً. اي المربين انجح في جذب قلوب الناس واقدر على امتلاكها وجعلها في الحالة التي يريدونها. لا شك انهم المتصفون باللطف وسماحة الاخلاق. اعطني معلماً بشوشاً فاريك اياهُ محبوباً من تلامذتهِ ناجحاً في عملهِ قادراً ان ينال منهم باللطف ما لا يقدر عليهِ غيرهُ بالعنف. بل سل المتعلمين انفسهم اي الدروس احب اليكم فيجيبوا ان درجة ميلنا لكل درس تقاس بدرجة ميلنا الى مُدرسهِ. ولنأتِ الى دائرة الاعمال الاخرى. مَن هو التاجر الكثير الاصدقاء القادر ان يجذب الناس الى محلهِ فيقبلوا ما يفرض من الاثمان. ومن هو الحاكم المتعلقة بهِ نفوس الرعية فتخضع الرقاب لسلطان لطفهِ لا لسلطان سيفهِ ويتغنَّى الكاتبون والخاطبون بمدحهِ. ومن هو الرئيس المالك قلوب عمالهِ فيطيعونهُ ويخدمونهُ حباً لا كرهاً. ومن هو الصديق الذي تدوم صداقتهُ فلا يخشى نكبات الزمان ومقاطعة الاخوان. بل مَن هو الذي حالفتهُ السعادة واحبهُ الملا باجماع. هو من زانتهُ البشاشة وكلهُ روح اللطف والسماحة

والبشاشة قد تكون اكتسابية فتنشأ عن حسن التربية منذ الطفولية لانهُ اذا كانت الحيوانات البرية والكواسر الوحشية قابلة للتهذيب منذ نشأتها فكم باحري يكون النوع الانساني الذي هو اكثر استعداداً للتربية والتهذيب. وان كانت المعاشرات الردية تفسد الاخلاق الجيدة فكهذا تكون المعاشرات الجيدة مصلحة للاخلاق الردية. وبقدار ما يكون المربي بشوشاً يكون المربَّى. ولا يخفاكم ان المبادئ الاساسية والطرق القويمة بهذا الشان معظمها منوط بالسيدات الفاضلات اذ انهنَّ اصل التربية الصالحة ومصدر السعادة الحقيقية. وعليهِ فيقتضي لجميعهنَّ التسربل بهذه المزية التي هي من اول المبادئ الرئيسية اللازمة للملا عموماً وللسيدات خصوصاً. والسيدات كما يكنَّ نقمة اذا أُهملنَ يكنَّ بركة اذا تهذبنَ وحزنَ اوصاف البشاشة الحقيقية باكملها

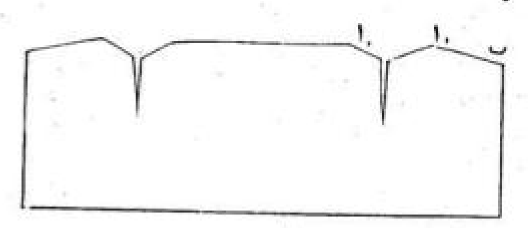
وفي الختام اسأل الله ان يطيل ايامكم ويعيد عليكم وعلينا امثال هذا اليوم اياماً كثيرة وسنيناً عديدة متسربلين بكل صحة وسرور ما ترنمت الورقاء وزهت بنجومها السماء في ظل ركن امتنا وولي نعمتنا خديوينا المعظم ورجال حكومتهِ الفخام وسعادة مديرنا الهمام احمد حشمت باشا وكل من شرف هذا المقام

آمينَ آمين لا ارضى بواحدةٍ حتى ازيدَ عليها الفَ امينا

الاعتناء بالاطفال

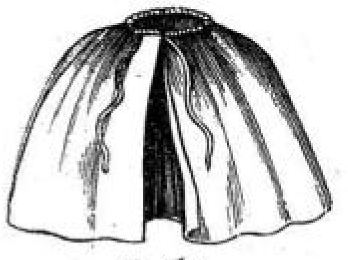
(تابع ما قبله)

اكثر الثياب التي تخاط للاطفال لا تصلح لهم اما لانها لا تغطي الصدر والعنق جيدًا او لانها تضيق على اليدين وتمنع حركتهما او لانهُ لا يمكن الباسها للطفل ما لم يقلب ظهرًا على بطن مرارًا او لانها طويلة جدًّا او ثقيلة جدًّا . هذا من حيث الثياب التي يصنعها الاوربيون لاطفالهم اما نساء هذه البلاد فيبسطن بدن الطفل ويلففنهُ بقماط ويلففن رأسهُ ايضاً ويتركن يديهِ ورجليهِ عارية . والنساء في سورية يلبسنهُ ثيابًا ناعمة ويلففنهُ بقماط كلهُ حتى يصير كالموميا المصرية



(شكل ١)

ويجب ان تخاط ثياب الطفل حتى تغطي بدنهُ كلهُ على السواء ويكون ثقلها كلهُ على عظام كتفيهِ وحتى يمكن الباسها لهُ من غير ان يقلب مرارًا وتكون خفيفة وقصيرة حتى يسهل عليهِ تحريك اعضائهِ كلها . ترى في الشكل ١ صورة قطعة من القماش تفصل وتخاط فيكون منها قميص يغطي جسم الطفل ولا يضغط عليهِ . ويمكن ان يلبس دائمًا قمصانًا مثلهُ حتى يبلغ عمرهُ ستة اشهر

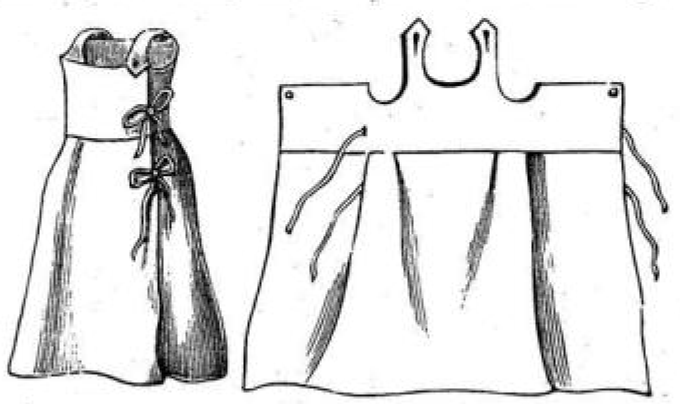


(شكل ٢)

وطول هذه القطعة نحو سبعين سنتيمترًا وعرضها نحو ٢٥ سنتيمترًا ولا تخاط الا حيث الحرفان ا ا وما يقابلهما على الجهة الاخرى ويثنى اعلى هذا القميص ويدخل فيهِ شريط دقيق

ويزم به ويخرج من قبل طرفيهِ فاذا زمَّ بهِ صار كما ترى في الشكل الثاني ووقع طرفاهُ احدهما فوق الآخر ويخرج ذراعا الطفل من شقين فيهِ

ويلبس الطفل تحت القميص تنورة (غونلا) من الفلانلاّ طول صدرها ثمانية سنتمترات وعرضهُ ٦٠ سنتمترًا ولهُ علاقتان طول كل علاقة منهما ١١ سنتمترًا وعرضها نحو اربعة سنتيمترات في المكان الاعرض منها والبعد بينهما سبعة سنتيمترات الى ثمانية ولهما عروتان تزران بزرين . وطول التنورة نفسها من اعلى الى اسفل ٤٥ سنتيمترًا وعرضها من الطرف الواحد الى الطرف الآخر ٨٠ سنتمترًا وهي مبسوطة كالشكل الثالث ومضمومة كالشكل الرابع فتغطي الصدر والظهر وتترك الذراعين مكشوفين حرَّين وتشدُّ بانشوطتين كما ترى في



(شكل ٤) (شكل ٣)

الشكل الرابع . ويلبس الطفل القميص اولاً ثم التنورة وفوق ذلك بذلة (فسطانًا) مفتوحة من الامام تشدُّ بالعرى من الامام كما تشدُّ التنورة من الجنب ولا يزيد طول البذلة والتنورة عن قدمي الطفل اكثر من ٢٥ الى ٣٠ سنتمترًا

ويلبس الطفل ايضًا جوربين من الصوف الناعم فيصير لباسهُ من قميص وتنورة وبذلة طويلة وجوربين لا غير. ويشير الاوربيون ان لا يغطي رأسهُ بشيءٍ ويحتمل ان تكون العادة الجارية في بلادنا وهي تغطية الراس وكشف القدمين صالحة كالعادة الاوربية ولا يمكن البت في اي العادتين اصلح

وهذه الثياب يُلبسها الطفل وهو ملقًى على بطنهِ ثم يُقلب على ظهرهِ وتربط عراها ويتم ذلك بسرعة ومن غير ازعاجهِ. ولا بدَّ من ان تكون ثيابهُ كلها واسعة لا تضيق على عضوٍ من اعضائهِ

ولا يجوز ان يغرز فيها دبوس لان الدبوس قد يشك في بدنهِ وتكون نتائجهِ وخيمة جدًّا

ولا بدَّ لكل طفل من ست قمصان وتنورتين واربع بذلات و ١٢ حفاضاً وبرنصين . ويمكَّن الحفاض بسير وعروة لا بدبوس ولا يجوز تبطين الحفاض بالشمع لكي لا يخرقهُ البول فتحفظ الرطوبة على جسم الطفل بل يجب ان يكون سميكاً ناعماً يمتص البول كلهُ ويبدل بغيرهِ كلما تبلَّل

ويبدل قميص الطفل والثوب الذي يأتي بهِ وقت نومهِ مرتين في الاسبوع على الاقل وتبدل التنورة والبذلة مرتين في الاسبوع ايضاً وتُبدَل الحفاضات حالما تتبلل. واذا ترك الحفاض مبللاً ساعة من الزمان تقرَّح جلد الطفل بين طيأتهِ والمهُ جدًّا . واذا ابتلَّ الحفاض لا يستعمل ثانيةً الاَّ بعد غسلهِ وتنشيفهِ وحالما يبتل ينزع ويمسح بدن الطفل تحتهُ باسفنجة مبلولة بالماء النقي. ويعوَّد الطفل بعد الشهر السادس حتى يكون بغير حفاض وذلك بالعرض عليهِ كل ساعتين

علموا البنات الطبخ والعجن

طالعت في مقتطف يناير مقالة لفاضلة من قارئات المقتطف اعترضت فيها على تعليم البنات الطبخ والعجن في مدرسة الاميركان وقالت ان هذا التعليم يجب ان يكون خاصًّا بالخادمات والعائلات الفقيرة الى ان قالت " اما العائلة التي تقدر ان تنفق على بناتها في المدارس العالية فلا تضطر المرأة التي فيها ان تعجن وتعالج طعامها بيدها ولذا فلا لزوم لتعليمها الطبخ والعجن " فاستغربت مقالها اكثر من استغرابها للخطب التي حثت على تعليم البنات الطبخ والعجن وبالتأمل في الامثلة التي اوردتها لم اجد فيها ما يثبت هذا الرأي الجديد لان اصحاب الحرف المتنوعة التي ذكرتها لم يتركوا حرفة الزراعة التي كانت عامَّة لهم ولغيرهم كما قالت الاَّ بعد ان تحققوا نجاحهم في الحرف التي قصدوها . وكم في المئة من النساء المتعلمات في بلادنا اشتغلنَ في امور اخرى ونجحنَ . او لم ترَ حضرتها ان القليلات اللواتي يحترفنَ حرفة التعليم لا يلبثنَ فيها الاَّ الى حين زواجهنَّ . أو لا تقدر ربة البيت الاَّ ان توفر اجرة الطبَّاخة . نعم ان كانت من الكسالى اللواتي يفتكرنَ ان الموده والتعليم لا يقومان الاَّ بالتقاعد واكثار الخادمات فهذه لا توفر شيئاً ولكن ان كانت من المجتهدات المقتصدات فانها توفّر ايضاً اجرة مرضعة وخادمة اخرى وزد على ذلك شفقتها على ما يدها بخلاف ما اذا كانت تسلم للخادمة التي لا يضرها اذا نفد كل ما في البيت . وكان الاولى بحضرة المناظرة ان تجتهد اولاً في اقناع اخواتها اللواتي احترفنَ حرفة التعليم بالاستمرار على مهنتهنَّ ثم اذا افلحت تنهاهنَّ عن تعليم الطبخ والنفخ

ولم يترك الناس نسج ملبوساتهم بايديهم الأ بعد ان تمكنوا لانفسهم مكسباً من جهة اخرى اوفر من اجرة النسج باليد فكم بالاولى لا يليق بهم ان يتركوا الطبخ قبل ان يتعلموا غيره ؟ وماذا يضرُّ البنات لو تعلمنَ الطبخ والعجن ثم احترفنَ حرفةً أخرى ألم تسمع حضرة الكاتبة عن سراة الاوربيين لا سيما العائلة المالكة في المانيا كيف انهم يحترفون حرفاً هم في غنًى عنها

وهل يليق ان تكون الخادمة في البيت عارفة بامورهِ اكثر من سيدتها وهل تستطيع ربة البيت ان تصلح خطأ الخادمة وهي تجهل امور بيتها

ثم اني لا اوافق حضرة الكاتبة في جزمها ان التعليم في المدارس العالية خاص ببنات الاغنياء لان الاغنياء قلما يعلمون بناتهنَّ وكثيرات من بنات الفقراء المضطرات الى الطبخ والعجن تعلمنَ في المدارس العالية وتزوجنَ فاذا لم يكنَّ قد تعلمنَ الطبخ والعجن والغسل وباقي لوازم البيت في المدرسة فماذا كنَّ يعملنَ في بيوتهنَّ

ولا محل لما قالتهُ حضرة الكاتبة من امكان تعليم هذه الامور في البيت الاَّ اذا قصرت مدة التعليم فتحرم البنت من فوائد كثيرة وزد على ذلك ان تعليم تدبير المنزل الذي منهُ الطبخ والعجن لا بدَّ ان يكون مؤسساً على اصول وقواعد قلَّ ان تجدها التلميذة في بيت امها التي هي في الغالب من الجاهلات.

نعم نود كثيرًا ان يصل البنات عندنا الى ما ذكرتهُ حضرة الكاتبة من احتراف المحاماة والطب والتجارة والصناعة وبالاخص التعليم ولكن لا يظهر ان الاستعداد لهذه الدرجة يكون بترك علم تدبير المنزل . ونعلم ان الحاجة ماسة الى معلمات ولكن علم الطبخ والنفخ لا يمنع السيدات من ان يكنَّ معلمات . ولا ترضى امرأة عاقلة ان تترك مزاولة الطبخ والعجن قبل ان تحترف حرفةً تغنيها عنهما فكم بالحري لا ترضى ان تجهلها قبل الحصول على غيرها

المراغه سليمان ميخائيل

نصائح يجب اتباعها في غرفة المريض

(١) يجب ان لا يكون الضوءُ مقابلاً لوجه المريض لان الشعاع يؤلمهُ

(٢) يجب ان تطهَّر الغرفة دوامًا من جراثيم المرض وتوضع المواد المطهرة في آنية تحت سرير المريض وان يجدَّد هواؤُها مرتين في اليوم

(٣) يجب ان تحفظ حرارة الغرفة على درجة معتدلة وان يتخللها الهواء الجديد دائمًا

(٤) يجب ان ينفض الفراش والوسائد من وقت الى آخر بشرط ان لا يقلق المريض

(٥) تجنب كل حركة قرب فراش المريض

(٦) الصحاف والكؤوس والملاعق التي يستعملها المريض يجب ان تكون على غاية النظافة لئلاً يشمئز منها

(٧) لا بدَّ من ان يغلى الماء قبلما يشربهُ المريض واذا كان كثير العطش يسقى الماء فاترًا

(٨) لا بدَّ من تحديد الاوقات التي يطعم فيها المريض ولا يعطى الطعام في غيرها

(٩) لا يقطع الامل من شفاء المريض ما دام فيهِ رمق على حد ما قال الشاعر

لا ييأسنَّ مريض من سلامتهِ ما دام في جسمهِ شيءٌ من الرمقِ

استراليا ودبع ابو رزق



السيَّارات وحركاتها في شهر مارس ١٩٠١

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء حتى السابع من الشهر الساعة ٥ مساء حينما يقطع اقترانهُ الاسفل ثم يصير نجم الصباح و يسرع الى غربي الشمس و يثبت في العشرين من الشهر الساعة ٥ صباحًا وقبل ذلك تكون حركتهُ متقهقرة ثم تصير مستقيمة . ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في اول الشهر الساعة ٥ مساء وعقدتهُ النازلة في ٢٦منهُ الساعة ٥ صباحًا و يقترن بالزهرة في ١٣الشهر الساعة ٩ صباحًا

الزهرة

الزهرة نجم الصباح وهي مقتربة من الشمس وحركتها مستقيمة وتقطع نقطة الذنب في الخامس من الشهر الساعة ٨ مساء وعرضها الشمسي الاعظم جنوبًا في الثامن والعشرين الساعة ٤ صباحًا وفي الخامس عشر من الشهر يستنير ٠,٩٨ من قرصها

المريخ

المريخ نجم المساء ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ١١ والدقيقة ٤٣مساء وفي ٣١ منهُ

الساعة ٩ والدقيقة ١٢ مساء وحركتهُ متقهقرة

المشتري

المشتري نجم المساء ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٧ والدقيقة ٥٧ صباحاً وفي ٣١ منهُ الساعة ٦ والدقيقة ١٥ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

زحل

زحل نجم الصباح و يقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٨ والدقيقة ٣٢ صباحاً وفي ٣١ منهُ الساعة ٦ والدقيقة ٣٢ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

واورانوس في التربيع الغربي في ٨ الشهر الساعة ٤ صباحاً . ونبتون في التربيع الشرقي في ١٧ الشهر الساعة ٨ مساء

اقترانات القمر

يوم	ساعة					
في ٤	الظهر	يقترن بالمريخ فيقع على	٩°	٥٣َ	شماليهُ
« ١٥	١ صباحاً	« بالمشتري « «	٣°	٢٥َ	جنوبيهُ
« ١٥	١١ «	« بزحل « «	٣°	٢٦َ	«
« ١٩	٨ «	« بعطارد « «	٣°	٤٧َ	«
« ٢٠	١ «	« بالزهرة فتقع «	٦°	٣١َ	«
« ٣١	٥ «	« بالمريخ فيقع «	٨°	٦َ	شماليهُ

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
١٥	١٠	٤	صباحاً	البدر
١٣	٣	٦	مساء	الربع الاخير
٢٠	٢	٥٣	«	الهلال
٢٧	٦	٣٩	صباحاً	الربع الاول
٩	١		«	في الحضيض
٢١	١٢		مساء	في الاوج

باب التقريظ والانتقاد

طبائع الاستبداد

متى اشتدَّت العلّة على المريض واتضحت لم يتعذَّر على الطبيب تشخيصها ووصف العلاج لها وكذا اذا اشتدَّ داء الامم لم تتعذَّر على الحكيم معرفتهُ والاشارة بالدواء الشافي لهُ . وغير خافٍ ما اعترى الامم الشرقية من الادواء التي افسدت عمرانها ونخرت عظامها حتى باتت الملايين منها خاضعة لبعض الاوربيين واشرف غيرها على الخضوع . وقد بحث كثيرون عن علة هذا الداء الدفين وفي جملتهم حكيم شرقي زار هذا القطر في الصيف الماضي ونشر في بعض الصحف ابحاثاً علمية سياسية في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد قال انهُ " غير قاصد بها ظالماً بعينهِ ولا حكومة مخصَّصة وانما اراد بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين عسى يعرف الشرقيون انهم هم المتسببون لما هم فيهِ فلا يعتبون على الاغيار ولا على الاقدار وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة يستدركون شأنهم قبل الممات " ثم جمع تلك الابحاث في كتاب واضاف اليها بعض زيادات وجعلها هدية للناشئة العربية

وقد قدَّم لهذه الابحاث مقدمة ذكر فيها مَن ألَّف في فنون السياسة من الاقدمين ولم يذكر اليونانيين كافلاطون وزنوفون وارسطوطاليس مع ان لهم الباع الطولى فيها واستطرد الى ذكر الكتَّاب المحدثين ودعاهم الى المسابقة في خير خدمة ينيرون بها افكار اخوانهم الشرقيين ولا سيما العرب منهم وهي البحث عن داء الشرق ودوائهِ . ولم يكلفهم عملاً لم يعملهُ هو فبحث ونقَّب وقال ان داء الشرق الاستبداد والاستعباد وبحث في طبيعة الاستبداد وتأثيرهِ في الدين والعلم والمجد والمال والاخلاق والترقي والتربية . وكيف يمكن التخلص منهُ

وقال في الكلام على هذا الموضوع الاخير . ان الاستبداد لا يقاوَم بالشدَّة انما يقاوَم بالحكمة والتدريج . والوسيلة الوحيدة لقطع دابرهِ هو ترقي الامة في الادراك والاحساس وهذا لا يتأتى الا بالتعليم والتحميس . ثم قال انهُ يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ما يستبدل بهِ . ولا بد من تعيين المطلب تعييناً واضحاً موافقاً لرأي الكل او لرأي الاكثرية التي هي فوق الثلاثة ارباع عدداً او قوة بأس والاَّ فلا يتم الامر ولذلك يجب تعيين الغاية بصراحة واخلاص واشهارها بين الناس والسعي في اقناعهم واستحصال رضائهم بها . ويلي ذلك شرح مسهب . والكتاب كلهُ على هذا النسق والغاية منهُ ظاهرة لا تخفى على احد من قارئيهِ

رواية ثورة الهند

هي رواية تاريخية توصف فيها الفتنة التي ثارها الهنود على الانكليز سنة ١٨٥٧ ترجمها من الفارسية حضرة الميرزا يوسف خان المستوفي الاشتياقي ابن اعتصام دفتر والظاهر ان الاصل الفارسي مترجم من لغة اوربية . واسلوب الرواية حسن ووقائعها مفجعة وعربيتها تفتقر الى شيء من التنقيح والتهذيب وهي مع ذلك فوق ما ينتظر من كاتب فارسي في هذا العصر الذي ضعف فيهِ شأن العربية حتى بين ابنائها

رواية صفاء الوداد

اصل هذه الرواية انكليزي واسمها بالانكليزية Which loved him best وهي مشهورة جدًّا وقد نقلها الى العربية احد سراة اللبنانيين ولم يذكر اسمهُ فيها اقتداء بمؤلفها الاصلي الذي اغفل ذكر اسمهِ . وقد فاز المترجم بافراغ الرواية في قالب عربي ودبَّج فصولها برقيق الاشعار حتى لولا عجمة اسمائها لظنها القارئ عربية الوضع . وحبذا لو رضي المترجم بتعريب بعض الكلمات الاوربية التي صارت اكثر شيوعاً مما تترجم بهِ مثال ذلك قولهُ في الصفحة ١١ "ضفرت كارمين شعرها ولبست ثوباً ناصعاً ووضعت في قبعتها زهرة" فان كلمة قبعة غير حسنة في هذا المكان تصرف الذهن الى كلمة قبوعة وعندنا ان كلمة برنيطة خير منها من كل وجه . وقولهُ في الصفحة ١٤ "يا آنسة ارسل" فان الكلمة التي استعذبتها ارسل هي مس ارسل ولو كتبت هذه الرواية بالفرنسوية او اليونانية او الروسية لوضعت فيها "مس ارسل" لان كلمة مس هي المقصودة بالذات الا ان هذه الشوائب القليلة لا تغضُّ من قدر الترجمة ولا من اسلوب الرواية وحسن تنسيقها. ولما فتحناها لنرى موضوعها وعبارتها قبل تقريظها ولم نكن قد قرأناها بالانكليزية لم يسعنا بعد قراءة الفصل الاول منها الا ان قرأنا الذي يليهِ ثم ما بعدهُ الى ان قرأناها كلها في جلسة واحدة فاذا هي تصف ما تمتاز بهِ المرأة من الحب الصادق والغيرة الشديدة ابلغ وصف . وقد ابدع واضعها في اختراع حوادثها فجعلها كلها مما يمكن وقوعهُ كل يوم ولو كانت من اغرب الحوادث واشدها وقعاً في النفوس كما احسن المترجم في جعل عباراتها العربية سلسة قريبة المأخذ . وهي تباع في مكتبة المطبعة الادبية في بيروت لمديرها سليم بك صالح نصر

التساهل الديني

مضت السنون ونحن نرقب ما يكون من فعل الحضارة الاميركية باخواننا السوريين الذين

هاجروا الى تلك البلاد النائية واتجروا فيها وعاشروا اهلها وتعلموا لغتهم . ونحن نسمع عنهم ما يسيء وما يسرّ ونقرأ من نفثات اقلامهم ما يعذب وما يمرّ ونتوقع دائماً غلبة الخير على الشر والصلاح على الطلاح وبقاء الاصلح في عراك هذه الحياة ونودّ ان يوفقوا الى اصلاح داء دفين من ادواء المشرق وهو داء التحزّب الديني الذي قسم المشارقة بعضهم على بعض فاضعفهم واضرّهم الى ان وصلت الينا نسخة من هذه الخطبة فاذا بصاحبها الكريم امين افندي ريحاني عرف الداء والدواء ووصفهما على اسلوب بديع تصوّبهُ العقول وتطرب لهُ النفوس . وقد تليت هذه الخطبة في احتفال جمعية الشبان المارونيين في نيو يورك باميركا ولا بدَّ من ان يكون الحضور قد استحسنوا كل ما قالهُ الخطيب ووافقوهُ عليهِ . فان عملوا بهِ هم وسائر الجالية السورية وابلغوا صوتهم الى سواحل الشام وهضاب لبنان حتى تردّد صداهُ من آكامهِ وقلوب سكانهِ فيكون لامين افندي ريحاني فضل على بلادهِ يذكرهُ لهُ ابناؤُها على تمادي الايام

براءة الانجيل من فساد التأويل

لحضرة الارشمندريتي خريسطفورس جباره اهتمام شديد بالتوفيق بين اصحاب الاديان اليهودية والمسيحية والاسلامية وقد كتب في ذلك كتباً ورسائل شتَّى وغايتهُ من احمد الغايات لان الاختلاف الديني من الاسباب الكثيرة التي اضعفت بلدان المشرق وهو يرى ان التوفيق بين اصحاب هذه الاديان ممكن وعندهُ ان السبيل الى ذلك فهم بعض الآيات في التوراة والانجيل والقرآن على غير ما يفهمها اصحابها فيزول ما بينهم من الخلاف ولو بقي كلٌّ على دينهِ . ولا شبهة في ان التوفيق بين الناس حسن جدًّا ولكننا لا نراهُ سهلاً كما يراهُ حضرة كاتب هذه الرسالة ولا نرى السبيل الذي طرقهُ مؤَدياً اليهِ

المجلة الصحية

تبحث هذه المجلة في المواضيع الصحية بنوع عام كالطب المنزلي والتدابير الصحية الخصوصية في حالتي الصحة والمرض . رئيس تحريرها حضرة الدكتور اديب زيات ومديرها حضرة الصيدلاني الشهير نجيب افندي غناجه وقد رأينا في الجزء الاول منها مقالات ونبذاً كثيرة مفيدة في التدخين والرضاعة والقشف وعلاجهِ وتنظيف الفم والاسنان والطب المنزلي وما اشبه وفوائدها كثيرة وعبارتها سهلة قريبة المأخذ فنثني على حضرة مديرها ومحررها ونتمنى لها النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) جون بول

المراغة . سليمان افندي ميخائيل . لماذا يطلق الناس على الانكليز اسم جون بول

ج سبب ذلك ان واحداً من علمائهم المشهورين بالهزل ألّف كتاباً سنة ١٧١٢ سماه "تاريخ جون بول" وكنّى فيه عن امم المملكة حنّة ملكة الانكليز باسم مسز بول وعن كنيسة انكلترا باسم ام جون بول عن الامة الاسكتسية باسم بغ اخت جون بول فاطلق اسم جون بول على الشعب الانكليزي كعلم جنسي له

(٢) امراض الوهم

ومنهُ . ما هي الامراض التي يشفيها الوهم بواسطة الدجالين

ج هي الامراض الوهمية والوظيفية اي الحاصلة عن خلل في وظيفة بعض الاعضاء مثل من يتوهم ان عنقهُ من الزجاج او انهُ مصاب بخفقان في قلبهِ ولا خفقان فيهِ او انهُ يرى امامهُ اشباحاً لا وجود لها في الخارج ومثل من يعجز عن المشي لاعتقال عصبي في رجليهِ ومن يعجز عن النطق لاعتقال عصبي في لسانهِ وليس بهما علّة في بناء الاعصاب التي تحرك الرجلين ولا في بناء الاعصاب المتسلطة على اعضاء النطق . فان هذه الادواء وامثالها يمكن ان تزال بالوهم والتدجيل

(٣) نقل الم اللسع

ومنهُ . هل يسري حكم الشفاء الوهمي على نقل الم اللسعة من الملسوع الى غيرهِ فقد قرَّر لنا كثيرون انهم شاهدوا احد الناس ينقل الم لسعة العقرب من الملسوع الى من يريد من الناس بواسطة عزيمة يتلوها وايدوا قولهم بشهادة آخرين والجميع ثقة وكلهم قالوا رأينا بعيوننا فلا يستطيع الانسان ان يكذبهم فكيف ذلك

ج اذا كان الامر مألوفاً او من نوع المألوف كفى لاثباتهِ شهادة شاهد واحد ولو كان كاذباً مثل ان يقول قائل رأيت زيداً استغل" ثمانية قناطير من القطن من فدان واحد . فان حصول هذا الامر مالوف او من نوع المألوف فيصدَّق ولو كان المخبر بهِ غير

صادق. واذا كان غير مألوف وبعيداً عن المألوف ولكنهُ لا يناقض اخبار الناس بوجهٍ ما وجب لاثباتهِ شهود عدول معروفون بالصدق مثل ان يقول قائل رأيت زيداً استغلَّ عشرين قنطاراً من القطن من فدان واحد فلا يُصدَّق قولهُ الاَّ اذا كان ممن يوثق بهِ تمام الثقة او اذا ايَّد قولهُ اناس من الثقات. واذا كان غير مألوف ومناقضاً لاخبار الناس في كل العصور كأن يقول قائل زرعت تينة فاثمرت برتقالاً وركبت حماراً فاستحال تحتي جملاً لم نصدقهُ ولو كان من اكبر الثقات ووافقهُ على قولهِ جمهور غفير من الثقات ايضاً بل قلنا انهم مخدوعون خدعهم مشعوذ او خُيل لهم او اصيبوا بخلل في عقولهم لان فرض هذه الفروض كلها اقرب الى الاحتمال من اثمار التينة برتقالاً وصيرورة الحمار جملاً. ومن هذا القبيل انتقال سم العقرب من شخص الى آخر بالعزائم فانهُ مخالف لاخبار الناس في كل العصور ومناقض لما يُعلم من نواميس المادة هذا اذا كان الملسوع والذي انتقل اليهِ الالم سليمي العقل مثل سائر الناس واما اذا كان عقلاهما مختلين فيحتمل ان ينقطع شعور الاول بالالم وسم العقرب في بدنهِ ويشعر الثاني بهِ ولا سمَّ فيهِ

(٤) انفاس السكان

ومنهُ. أصحيح ان انفاس السكان تقوي جدران المساكن فقد قلنا للذين ادَّعوا هذه الدعوى لعلَّ ذلك من اعتناء السكان بمساكنهم وتنظيفها وترميمها فقالوا كلاَّ فان انفاسهم تقويها ولو لم يعتنوا بها فكيف ذلك

ج انتم المصيبون ولا ندري كيف يعتقد اهالي هذا القطر اعتقاداً مثل هذا وهم يرون الهياكل القديمة المهجورة ثابتة منذ الوف من الاعوام والبيوت التي سكنها هم وآباؤهم لا تقيم خمسين عاماً

---

(٥) الغاية من خلق الانسان

بيروت. احد تلامذة المدرسة الكلية الاميركية. ما هي غاية الله من خلقهِ الانسان

ج نتذكر اننا قرأنا منذ ثلاثين سنة او حواليها كتاباً للاسقف هوتلي المنطقي المشهور يقول فيهِ ان لا بدَّ لله من غاية في خلقهِ الانسان وان هذه الغاية لا تقل عن ان يكرم الانسانُ الله ويعبده. واتخذ ذلك قضية اولية وبنى عليها وجوب الوحي. وهذا رأي رجال الدين عموماً اما رجال العلم اي العلم الطبيعي فيقول جمهورهم كما قال هكسلي لا ندري مقاصد الله ولكن نرى من تاريخ المخلوقات الحية العائشة على الارض والباقية آثارها فيها انها آخذة في الارتقاء رويداً رويداً كما ان نوع الانسان آخذ في الارتقاء ايضاً فكأنَّ الغاية من وجود المخلوقات ان ترتقي وتزيد ارتقاء قرناً بعد قرن ودوراً بعد

آخر . ولم يرَ العلم الطبيعي حتى الآن سبيلاً للاستدلال على ما يكون بعد ذلك . اما ما تشيرون اليهِ من الغلط المطبعي الذي يقع في المقتطف فسنزيد اهتماماً بمنعهِ

(٦) ماهية العقل

الشرابية بمصر. عبد العزيز افندي عزَّت اللبودي. ما هو العقل

ج ماهية العقل غير معلومة والذي يُعلَم من امرهِ انهُ غير مادي اي ليس لهُ خواص المادة كالتحيز والثقل فلا يملأ مكاناً محدوداً ولا يزن ثقلاً معلوماً ولا يُرَى ولا يُلمَس ولا يُشَم ولا يذاق ولا يتخطى بعضهُ بعضاً. وهو مع امتيازهِ التام عن المادة لا نعلمهُ منفصلاً عنها فالانسان الحي جسم وعقل معاً وكل افعال العقل متصلة بافعال المجموع العصبي. فالعقل غير المادة ولكننا نعرف المادة تجرُّدة من العقل ولا نعرف العقل تجرداً عن المادَّة

(٧) سبب اسوداد الزنوج

ومنهُ . قد علمنا ان آدم وحواء كان لون جسميهما ابيض فما هو السبب في سواد سكان السودان

ج كيف علمتم ان لون آدم وحواء كان ابيض وكيف يمكن لانسان ان يعلم شيئاً لم يقع تحت حواسهِ ولا حواس كل الذين اتصلت بهِ اخبارهم. ولكن يمكن وضع سؤالكم في قالب آخر وهو هل الناس كلهم من اصل واحد وان كانوا كذلك فلماذا بعضهم بيض الابدان وبعضهم سود الابدان . ويقال في الجواب عن القسم الاول من هذا السؤال ان المرجح عند اهل العلم الطبيعي ان الناس كلهم من اصل واحد لوجود مشابهة تامة في بناء اجسامهم لا ترى في حيوانين من نوعين مختلفين ولكن هذا الحكم مرجح فقط وغير محقق لانهُ يحتمل ان يكون الناس من اصول مختلفة اي ان يكون بعضهم نتج من ارتقاء حيوان في افريقية وبعضهم نتج من ارتقاء حيوان في اسيا. غير ان هذا لا يحلُّ ما سألتموهُ من جهة اختلاف اللون بل يبعد حدوثهُ درجة من درجات الارتقاء فعوضاً عن ان يكون اختلاف اللون حدث بعد ان صار الانسان انساناً يكون قد حدث قبل ذلك ولا بدَّ لهُ في الحالين من سبب . اما السبب فهو اختلاف فعل نور الشمس في البلدان الاستوائية عنهُ في البلدان البعيدة عنها ويتضح لكم ذلك من ان العرب الذين استوطنوا بلاد السودان منذ بضعة قرون صاروا سود الابدان مثل السودانيين

(٨) اسم السودان وسكانه

ومنهُ . من سمَّى السودان بهذا الاسم ومن اول من عمَّرهُ بعد الطوفان

ج ان السودان سميت كذلك بحذف المضاف وابقاء المضاف اليهِ اي ان اصل التسمية بلاد السودان سماها كذلك

جغرافيو العرب في القرون الوسطى . اما زمن الطوفان فلم يصل العلم حتى الآن الى تحديدهِ ولكن لا شبهة في ان الجنس الحامي سكن بلاد السودان قبل الجنس السامي وقبل زمن التاريخ والجنس السامي هو العرب الذين دخلوا بلاد السودان قليلاً قليلاً في العصور الغابرة ثم دخلوها كثيرًا بعد ما دخلت في حوزة المسلمين. والجنس الحامي والجنس السامي دخيلان في بلاد السودان وسكانها الزنوج الاصليون اقدم منهما كثيرًا ولا يعلم من اين اتوها

---

(٩) سبب الارق وعلاجهُ

مصر . احد المشتركين ما هي مسببات الارق وما علاجهُ

ج الارق عرَض لامرض ومعالجتهُ تقتضي اولاً البحث عن سببهِ فاذا علم ازيل او عولج واذا لم يعلم عولج الارق نفسهُ بالمنومات والمسكنات اذا كان الدماغ متعبًا من كثرة الاشغال او كان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطربًا بامر يهيجهُ . ومما يحسن الاعتماد عليهِ استنشاق الهواء النقي قبل النوم والرياضة البدنية وشرب فنجان من اللبن السخن قبل النوم او من مرق اللحم السخن . اما معالجة المرض المسبب للارق فيعتمد فيها على الطبيب ولا يجوز شرب دواء الاَّ بامرهِ

(١٠) حبر الختم

المنصورة . بطرس افندي فرح . كيف يصنع الحبر الملون الذي يختم بهِ

ج اذا اضيف قليل من الجليسرين الى حبر الانيلين الاعتيادي صار صالحاً لأن يختم بهِ . وهاكم وصفة حسنة اذيبوا ١٦ قمحة من الانيلين الازرق او البنفسجي او الاحمر في ثمانين قمحة من الماء الغالي المقطر واضيفوا الى المذوَّب سبع قمحات من الجليسرين وثلاث قمحات من الشراب (شراب السكر) وحرّكوا المزيج جيدًا قبل استعمالهِ

---

(١١) المخ والحرف

امبابه . سليمان افندي عوض روى بعض نطس الاطباء ان المخ والمخيخ يتقلبان طبقاً لاحكام الحرف التي يتعاطاها الانسان فالمشغف بالشطرنج يلبس مخهُ ومخيخهُ حلّة شطرنجية (اي مربعات) . واطباء الاسنان ثغرًا مفغورًا فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ والذي رواهُ ليس من نطاس الاطباء بل من الدجالين

(١٢) نفع البيرة

ومنهُ . زعم عضو من مجلس البارلمان يناهز الثمانين وتلوح عليهِ سمة العافية ان طول العمر والقوى البدنية والعقلية تكتسب من الادمان على شرب البيره فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولو كان صحيحاً لكان اكثر

الذين يشربون البيرة طوال الاعمار او كان اكثر طوال الاعمار من شاربي البيرة . ولا علاقة بين شرب البيرا وطول العمر

(١٣) عمر الانسان

ومنهُ . هل عمر الانسان محدود او غير محدود

نظن انكم تريدون هل اليوم الذي يموت فيهِ الانسان معين من قبل ولادتهِ حتى اذا قدّر لهُ ان يموت في اليوم الرابع من ولادتهِ مثلاً فلا يمكن لواسطة من الوسائط الطبية او غيرها ان تطيل عمرهُ ساعة عن ذلك واذا قدر لهُ ان يموت في آخر السنة الثانية من عمرهِ فلا يمكن لواسطة من الوسائط ان تطيل عمرهُ سنة اخرى او يوماً آخر فان كان هذا هو مرادكم فالجواب عليهِ ان علم البشر واختبارهم يثبتان ان العمر غير محدود ولذلك يتعلم الناس علم الطب ويفتشون عن اسباب الامراض والادوية التي تشفي منها و يقولون ان الله خلق لكل داء دواء وان الترس يقي من السهم والطعم يقي من الجدري والمصل يشفي من الدفثيريا وان الناس الذين يتقون اسباب المنايا يعمرون عمرًا طويلاً . ولكن اذا اردتم بكون عمر الانسان محدودًا انهُ لا يفوت ثمانين سنة الا نادرًا واندر من ذلك ان يفوت المئة او المئة والعشر فهو محدود في الانسان وفي غيرهِ من انواع الحيوان و يظهر بالاستقراء ان عمر الحيوان يبلغ خمسة اضعاف المدة التي يبلغ فيها الحيوان اشدهُ فالحيوان الذي يبلغ اشدهُ في سنة يعيش خمس سنوات والحيوان الذي يبلغ اشدهُ في اربع سنوات يعيش عشرين سنة . والحيوان الذي يبلغ اشدهُ في ١٥ سنة يعيش ٧٥ سنة هذا بوجه التقريب

---

(١٤) موت العقارب في قرية ادفا

سوهاج . الخواجه جبره تاوضوروس . في مديرية جرجا قرية اسمها ادفا أخذ اليها بعض الوجهاء عقربًا حية داخل زجاجة فما وصلت اليها حتى ماتت . وجرَّب كثيرون ذلك فكانت النتيجة كما ذكر . ويقال ان السر في ذلك اوراق قديمة مكتوبة مدفونة تحت عتبة كنيسة . وقد اخرجها اهالي البلدة قديمًا فانتشرت العقارب فيما بينهم فاعادوها الى مركزها سريعًا فامتنعت وماتت فما رأيكم في ذلك وهل لهذه الاوراق قوة على منع العقارب او لمنعها سبب آخر

ج يقال ان احد ملوك الانكليز دخل الجمعية العلمية الملكية مرةً وقال لاعضائها لماذا اذا وضعنا سمكة في عشرة ارطال من الماء لا يزيد ثقل الماء بمقدار ثقل السمكة ولو لم ينصب شيء منهُ . فاخذ العلماء يفرضون الاسباب لذلك و يشرحون ويفصلون واخيرًا قال واحد منهم هلمَّ نمتحن الامر فاخذوا اناء فيهِ ماء ثقلهُ خمسة ارطال مثلاً ووضعوا فيهِ عشرة ارطال من

الماء فصار ثقل الاناء والماء خمسة عشر رطلاً ثم وضعوا سمكة في الماء فصار ثقل الاناء والماء والسمكة ١٦ رطلاً وذهبت تعاليل العلماء وشروحهم ادراج الرياح. ولو جربتم نقل العقارب الى القرية باناء مكشوف حتى يدخل اليها الهواء لوجدتم انها تعيش فيهِ وان ماتت هناك فيكون لموتها سبب طبيعي كأن يأكلها حيوان يفترس العقارب او تبتلى بداء مميت

(١٥) لغة اولاد نوح

امبابه. اسكندر افندي نبيه. ماهي اللغة التي كان يتكلم بها اولاد نوح قبل تبلبل الالسن

ج لا نعلم. لانهُ يتعذَّر رد اللغات المعروفة الى اصل واحد. والظاهر ان الناس تكلموا اولاً لغة قليلة الكلمات جدًّا ثم تدرجوا في ادراك المعاني ووضع الالفاظ مدة قرون كثيرة فضاع الاصل الاول كلهُ



النجم الجديد

ظهر نجم جديد في صورة فرساوس رُئي اولاً في الحادي والعشرين من فبراير وكان من القدر الثالث تقريباً ونورهُ ابيض الى الزرقة وفي الساعة السادسة والدقيقة ٥٨ من اليوم التالي بوقت غرنوتش الاوسط صار المع من الدبران وفي الساعة الثامنة صار لامعاً مثل الشعرى الغميصاء ومشابهاً لها لوناً . وفي ٢٣ فبراير الساعة ٨ والدقيقة ١٠ حتى صار المع من العيوق . وبقي المع من الدبران حتى الخامس والعشرين من الشهر والمع قليلاً من العيُّوق

وقد شاهد الاستاذ بكرنغ الاميركي هذا النجم في ١٩ فبراير فكان نورهُ اصعف من نور نجم من القدَر الحادي عشر فصار في ٢٢ منهُ المع من العيُّوق اي زاد اشراقهُ عشرة آلاف ضعف في اربعة ايام. وهو المع نجم جديد رآهُ الناس منذ سنة ١٦٠٤ . ومن اليوم الخامس والعشرين فما بعد اخذ نورهُ يضعف وصار في السابع والعشرين من الشهر بين القدَر الاوَّل والثاني وصار لونهُ ضارباً الى الحمرة بعد ان كان ضارباً الى الزرقة عند اول اكتشافهِ

اقدم الآثار المصرية

ادرجنا في اوائل هذا الجزء وصف الآثار القديمة التي كُشفت في جزيرة كريت وهي آثار القصر الذي كان يسكنهُ الملك مينوس سانّ الشرائع اليونانية القديمة والكهف الذي ادَّعى ان معبودهم المشتري سلّمها لهُ فيهِ.

وقد بلغنا حينئذٍ انهُ كُشفت آثار اقدم منها العرابة المدفونة بصعيد مصر ووصفها لنا الذين رأوها مرأى العين من السيَّاح وهي آثار مينا الملك الاول من الملوك المصريين وبعض الملوك الذين تلوهُ فآثرنا تأخير ذكرها الى ان نطّلع على وصفها باقلام مكتشفيها وتمَّ لنا ذلك قبل صدور هذا الجزء فاطَّلعنا على وصفها بقلم الاستاذ بتري المكتشف الشهير فنقلنا منهُ ما يلي من رسالة بعث بها الى جريدة التيمس

ان الآثار المشار اليها تمتد مدة اربع مئة سنة من حين شرع سكان هذا القطر في الكتابة الهيروغليفية وكانت على غاية البساطة والسذاجة الى ان اتقنوها تمام الاتقان. ويظهر من هذه الآثار انهم كانوا قد اتقنوا ايضاً فن الصياغة والترصيع ونقش العاج وذلك منذ اكثر من ٦٥٠٠ سنة

والآثار الدالة على الملك مينا وسلفائهِ التي وُجدت من دسمبر الماضي الى اوائل شهر مارس فيها ثلاثون كتابة ورسمًا على الحجر والعاج وفيها اسماء ثلاثة ملوك وهم نرمر وكا واسم ملك آخر في اسمهِ رسم سمكة وفيها اسمان آخران وهما دت وسام يحتمل انهما اسما ملكين. ووجد من المصنوعات التي صنعت في عهد الملك مينا قطع من اربعة صفائح من العاج عليها صور وكتابات وعلى واحدة منها صورة ضحية بشرية ومعها قطعة كبيرة من الذهب عليها اسم الملك مينا نفسهِ

ومن اغرب الآثار التي وجدت ذراع زوجة الملك زر خليفة مينا ولم تزل بلفائفها والظاهر ان واحداً من ناهبي قبرها قطعها واخفاها عن رفاقهِ في حفرة لكي يعود اليها ثم لم يعُد وعليها اربعة اساور في احدها اشكال رأس الصقر الملكي منظومة معاً وهي ١٣ رأساً من الذهب بينها ١٤ رأساً من الفيروز. والاسوار الثاني خرز لولبي من الذهب واللازورد والثالث خرز مخصور من الجمشت والذهب على التوالي وعروتهُ من الذهب والفيروز. والرابع في وسطهِ قطعة كبيرة من الذهب في شكل زهرة وعلى جانبيها خرز من الجمشت والفيروز يحيط بها جدائل من خيوط الذهب. ويستدلُّ من هذه الاساور على ان صناعة الصياغة كانت بالغة مبلغاً عظيماً من الاتقان في عهد الدولة الاولى من الدول المصرية وهي اقدم من التي وجدت في دهشور بالفي سنة وكانت تلك اقدم ما وجد من نوعها حتى الآن. وقد دخل ناهبو القبور هذا القبر اربع مرات بعد ان خُبئت هذه الذراع فيهِ فلم يعثروا عليها

ووجد اربعون قطعة مكتوبة من العاج والحجر من عهد هذا الملك واسدان من العاج ووجد ناووسهُ مكسراً فضمت قطعهُ بعضها الى بعض

ووجد اثنتا عشرة قطعة عاج من عهد الملك دن وهو الخامس من الدولة الاولى

وبينها مقبض مطار (خيط البنّاء) . ووجد ايضاً رسمهُ وهو يصارع فرساً من افراس النهر ويطعن برمحهِ تمساحاً . وعشرون قبراً من عهدهِ ووجد فيها كثير من القسي والسهام

ووجد لحد الملك برابسن من ملوك الدولة الثانية وهو من المرمر الذي يجلب من جبل سينا وقبر خليفتهِ خاسخموي وفيهِ صولجان من العقيق الاحمر بين قطعهِ خواتم من الذهب طولهُ سبعون سنتمترًا لكن طرفهُ الاسفل مفقود فقد كان اطول من ذلك . ووجد ايضاً سبعة آنية من الحجر اغطيتها من الذهب واسواران من الذهب وعشرون اناء من النحاس وآنية كثيرة من البرنز وفؤوس وسكاكين من النحاس واناء من المرمر

هذا ما خلفهُ اللصوص الذين نهبوا هذه المدافن مرارًا قديماً وحديثاً ولا يعلم الاَّ الله ما كان فيها من التحف والكنوز

وقد وعد الاستاذ بتري بعرض كثير من هذه التحف في لندن ولا ندري كيف جاز لهُ ان يأخذها من هذا القطر وهي وحيدة في نوعها

الاستاذ اليشع غراي

لا يأتي فصل الشتاء حتى يمدَّ ملاك الموت منجلهُ لحصد الشيوخ فيأخذ كبار العلماء كما يأخذ عامة الناس . ومن الذين قضى عليهم في اواخر يناير الماضي الاستاذ اليشع غراي الاميركي صاحب المكتشفات الكثيرة في الكهربائية . ولد سنة ١٨٣٥ وتعلَّم النجارة عند نجار وكان يغتنم دقائق الفراغ ويدرس فيها العلوم الطبيعية ولما صار عمرهُ ٢١ سنة مضى الى مدرسة اوبرلن الكلية ولما اتمَّ دروسهُ جُعل استاذًا فيها . واهتمَّ بالآلات الكهربائية فاخترع مخترعات كثيرة في التلغراف والتلفون اشهرها التلغراف الذي تنقل بهِ الكتابة من مكان الي آخر بصورتها . ولما حضرتهُ الوفاة كان يمتحن اسلوباً جديداً لنقل الانباء تحت الماء بالاجراس الكهربائية فبرد ومرض ومات

واشهر ما يذكر بهِ اسمهُ اختراع التلفون فانهُ اودع دار الامتياز الاميركية رسم تلفونهِ في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٦ وبعد ساعات قليلة جاء المخترع بل واودع تلك الدار رسم تلفون آخر ثم اتقن بل تليفونهُ قبل غراي فحُكم لهُ بالاسبقية وفُصل الخلاف بينهما بان أُنشئت شركة للتلفون اشترت حق الامتياز من الاثنين . ويقال ان احد المستخدمين في دار الامتياز افشى سر غراي لبل وصدَّق غراي هذا القول سواء كان صادقاً او غير صادق فتنغص بهِ عيشهُ . واعترفت الحكومة الفرنسوية بفضلهِ فاعطتهُ نشان لجيون دونر ورأس مؤتمر الكهربائيين في معرض شيكاغو العام . ولهُ كتاب بسيط في الكهربائية . وكانت وفاتهُ في الحادي والعشرين من شهر يناير الماضي

الاستاذ بتنكفر

الجاني على هذا الاستاذ الكبير ليس برد الشتاء كالاستاذ غراي بل ضيق النفس من شدَّة الالم . وهو شيخ علماء الصحيين في المانيا ولد سنة ١٨١٨ وبهِ اشتهرت مدرسة مونخ التي كان استاذاً فيها ولهُ الراي المنسوب اليهِ في اصل الامراض الوبائية كالكوليرا ونحوها ولهُ رسائل كثيرة في المواضيع الصحية منها عشرون رسالة في الكوليرا اشهرها الرسالة التي شرح فيها رأيهُ المشهور وهو ان انتشار الكوليرا والتيفويد يتوقف على الماء الذي تحت وجه الارض فاذا هبط سطح هذا الماء انتشر هذان الوباءان . ورأيهُ هذا غير صحيح كما لا يخفى ولكنهُ افاد كثيرًا في اصلاح ماء الشرب واتقاء الكوليرا والتيفويد حتى صارت مدينة مونخ وما جاورها من اصلح المدن بعد ان كانت من افسدها هواء واكثرها امراضاً وحسنت الصحة في كثيرين من العواصم الاوربية باصلاح مائها

وكتب ايضاً في اصلاح الكنف والتدابير الصحية اللازمة للسفن ونسبة الهواء الى الملابس والمساكن والارض . وكان يهتم بالمباحث الكيماوية المتعلقة بحفظ الصحة ولهُ الاسلوب المنسوب اليهِ لمعرفة مقدار الحامض الكربونيك في الهواء

اصيب بداء عياء في اخريات ايامهِ ولما رأى ان حيل الاطباء نفدت ولا امل بتخفيف آلامهِ ولا يرجى منهُ نفع بعد ذلك لنوع الانسان صرم حبل حياتهِ برصاصة اراحتهُ من هذا الالم في العاشر من شهر فبراير

خسارة لا تعوَّض

شبَّت النار في دار الباثولوجية بمدينة برلين فاحرقت مجموعة الاستاذ وركو وهي اثمن المجموعات الباثولوجية والانثربولوجية

جيولوجية وادي النيل

نشر المستر بدنل من قلم المساحة الجيولوجية وصفاً موجزًا لجيولوجية وادي النيل ارتأى فيهِ ان وادي النيل تكوَّن في عصر البليوسين الاسفل بخسوف الارض ثم رسبت الرواسب فيهِ في عصر البليوسين وارتفع فارتدَّ البحر عنهُ وصار حلقة من البحيرات العذبة . وفي عصر البلستوسين جرى النيل في هذه البحيرات وخدَّد طريقهُ فيها الى البحر بعد ان خرق الرواسب التي رسبت منهُ فيها

نشان لافوازيه

قتل الفرنسويون لافوازيه في ثورتهم ثم كفَّروا عن ذنبهم بان اقاموا لهُ في العام الماضي تمثالاً من اعظم التماثيل التي اقيمت لاحد من رجال العلم وهم ينوون الآن ان يصنعوا نشاناً باسمهِ يهدونهُ سنة بعد سنة الى الذين يفوقون غيرهم في المكتشفات الكيماوية

التلغراف الاثيري

نجح الاستاذ مركوني في ارسال الانباء البرقية بتلغرافهِ الاثيري مسافة مئتي ميل وكانت انباؤهُ تسير ذهاباً واياباً في وقت واحد من غير ان يعترض بعضها بعضاً . ويقال ان الاستاذ نقولا تسلا يحاول الآن ارسال هذه الانباء بين اوربا واميركا بواسطة الالة التي استنبطها لاسراع التموجات الكهربائية

هبات علميَّة اميركيَّة

وهب المسترجون ارتشبلد مدرسة سيراقس الجامعة ٤٠٠ الف ريال مشترطاً ان يهبها غيرهُ مقدار ذلك . ووهب المستر كارنجي مدرسة ايوى العليا الجامعة ٢٢٥ الف ريال لانشاء مكتبة فيها . ومدرسة اورورا الكلية ٥٠ الف ريال

معرض الصور

كتب الينا حضرة المصوّر البارع سليم افندي حداد يصف معرض الصور الحادي عشر الذي فتح في هذه العاصمة في الرابع عشر من شهر فبراير الماضي قال

"امتاز هذا المعرض عما سواهُ من المعارض في امر واحد يجدر التنبيه اليهِ وهو ليس زيادة الاتقان او التحسين في الصور المعروضة كما قد يتبادر الى الذهن فان الخواجات رالي وكلي وفيليبوتو وروسي وفورشلا وكوسلر وروجرس باشا وبولاد الذين اعتادوا ان يعرضوا صورهم لم يعرضوا شيئاً احسن مما كانوا يعرضونهُ قبلاً فان صورهم لا تزال على حالها بل وجه الامتياز في زيادة عدد العارضين . وهنا اذكر اخص هؤلاء المستجدين فمنهم لافرن صاحب الصور الثلاث الكبيرة واحسنها صورة اخيهِ الموضوعة تجاه الباب تماماً فهي احسن صور الاشخاص بل الوحيدة المتقنة بينها. ثم جاستة وصورهُ شرقية وقد اجاد جداً في صورة المغاربة وقت صلاة الغروب فان الوانها على غاية التناسب وسماءها نيرة تمثل غروب الشمس والوان الابنية والاشخاص باردة ومغشاة بالنور الرمادي الضعيف الذي يظهر بعد غروب الشمس في يوم صافي الاديم رطب الهواء وهي من اجمل صور المعرض ويكاد الناظر اليها يخال نفسهُ متمتعاً بمنظر الحقيقة لا الخيال و يشعر بتأثير الهواء وسكون الطبيعة في مثل تلك الساعة من النهار . ومنهم المستر بروكبانك ولهُ منظران متقنان ولا سيما في ما يتعلق بتأثير الهواء والوان الابعاد . والسنيور منيلا وصورهُ تخيلية رسم فيها النوق في الصحراء وابا الهول . والسنيور توسكاني والمسيو جالينه والمستر موريصن ولهُ رسمان متقنان والمسيو ميشاله وصورهُ فريدة في بابها وقد اظهر فيها تأثير النور الاحمر وانعكاس الالوان على الاشخاص ولهُ صورة صغيرة متقنة لاحد اصدقائهِ

ومما يوجب السرور زيادة عدد السيدات

المصورات واخص بالذكر منهنَّ مدام فورونوف فانها اجادت في تصوير الفاكهة ومدام دي بروك وتصويرها الازهار اكثر اتقاناً للصنعة من تصويرها الاشخاص ومداموازيل بوسكوفيتز ومداموازيل ايرام ومدام ويلد ومس وود

هذا ما بدا لي ان اوردهُ عن معرض هذه السنة وعسى ان يكون المعرض القادم اوسع نطاقاً واكثر اتقاناً في صوره وان يلقى من الجمهور ولا سيما مستوطني هذا القطر اقبالاً وتنشيطاً فان هذا الفن الجميل يرتقي بزيادة الملاحظة والانتقاد واقبال الناس عليهِ ومعرفتهم قيمتهُ في تزيين البيوت وترقية الذوق "

ونزيد على ذلك ان حضرة الكاتب عرض صورة صغيرة زيتية رسم فيها منظرًا مصريًّا مما يشاهد كل يوم في مدن هذا القطر رجالاً ونساء واولادًا سائرين في شارع كأنهم استبضعوا من مدينة وهم عائدون الى بيوتهم فالبسهم لباس الفلاحين ورسم على وجوههم سيماء السعي والاهتمام حتى يخيل لمن ينظر اليهم انهُ يسمعهم يتكلمون ويراهم يجدُّون في سيرهم مخافة ان يفوتهم القطار او يمسي عليهم المساء قبلما يصلون الى بيوتهم. وقد بيعت هذه الصورة حالما عرضت . وعسى ان نرى من قلمهِ صورًا كثيرة من نوعها في المعرض التالي

وصور كسلر والي تخالف صور جاسته فان صورها تكاد تكون فوتوغرافية ملونة لدقتها ونعومتها وصورهُ خشنة كأنها مصنوعة بالطين لا بالدهان لكن اذا ابعد عنها الرائي ظهر لهُ انها تفوق صورها تخيلاً وجمالاً وانطباقاً على الحقيقة ويقال ان صورهُ بيعت كلها قبلما عرضت

نيازك نوفمبر

كتب مدير مرصد تورنتو بكندا انهُ شاهد وقوع النيازك في ١٥ نوفمبر الماضي وكانت كثيرة جدًّا حتى امتلأ بها الجو وشاهدها في الليلة التالية ايضاً وبقيت تتساقط الى الصباح وذُعر الناس منها وظنوا انهُ دنا انقضاء العالم

سكان المانيا

ظهر بالاحصاء الاخير الذي تمَّ في شهر دسمبر الماضي ان سكان المانيا كانوا ٥٢٢٧٩٩٠١ سنة ١٨٩٥ فبلغوا ٥٦٤٥٠٠١٤ سنة ١٩٠٠ . والذكور منهم ٢٧٧٣١٠٦٧ والاناث ٢٨٦١٣٩٤٧. وفي بروسيا وحدها اكثر من ٣٤ مليوناً وفي بافاريا ٦ ملايين . وفي مدينة برلين ١٨٨٤١٥١

ربح بعض المخترعات

جاء في مجلة العصر الاميركية ان مخترع المثقب اللولبي ربح من اختراعهِ اكثر من مليون ريال وكان قبل ذلك فقيرًا جدًّا حتى اضطرَّ ان يسير من فيلادلفيا الى وشنطون ماشياً على قدميهِ . ومخترع قطعة النحاس التي توضع على رأس احذية الاولاد ربح من

اختراعهِ مليوني ريال . ومخترع الآلة التي تلف بها الستائر فوق الشبابيك يربح مئة الف ريال من اختراعهِ في السنة . ومخترع الاداة الصغيرة التي تعين على ادخال الخيط في سم الابرة يربح عشرة آلاف ريال في السنة ومخترع القلم الذي حبره فيهِ يربح منهُ مئة الف ريال في السنة

نياشين المعرض

بلغ عدد النياشين الذهبية والفضية التي منحت للعارضين في معرض باريس مبلغاً عظيماً جدًّا حتى رأت الحكومة الفرنسوية ان تبدلها بنياشين من النحاس ولا تعطي نيشان الذهب او الفضة لمستحقهِ الا اذا دفع ثمن معدنهِ

آلة جديدة للطيران

صنع رجل اسكتلندي اسمهُ دافدصن آلة للطيران لها جناحان وذنب مثل الطائر وفي طرف الجناحين لوالب كاللوالب التي تدفع الماء في السفن البخارية . وهذه الآلة تصعد في الهواء وتسير فيهِ على الاسلوب الذي يطير بهِ الطائر تماماً لانهُ يصعد في الهواء بتصفيق جناحيهِ ويسير فيهِ بالزلق عليها صعوداً او نزولاً . فاذا دارت اللوالب التي في طرفي الجناحين رفعت آلة الطيران الى الاعلى لكن ميل جناحيها يجعلها تزلق زلقاً وتسير في سطح متوسط بين الاعلى والامام . وقد عزم المخترع ان يصنع آلة ثقلها عشرة اطنان ويكون طولها ٦٠ قدماً وعرضها من طرف الجناح الواحد الى طرف الجناح الآخر ١٢٠ قدماً ويكون في قلبها آلة بخارية ومكان لخمسين راكباً فتطير بهم كما يطير الطائر تماماً وتنزل حيث يشاؤون

اكبر آبار البترول

ثبت الآن ان البترول الخارج من البئر الاميركية التي ذكرناها في الجزء الماضي لا يصلح للانارة لكنهُ يصلح وقوداً . والمظنون الآن ان الوقود في القرن العشرين سيكون اكثرهُ من زيت البترول

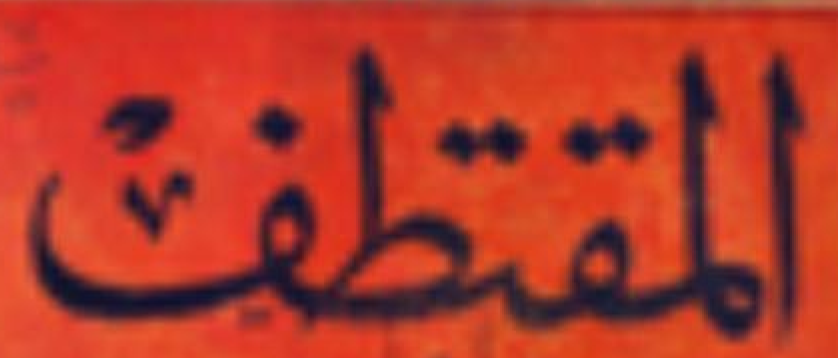
خسارة المعرض

لم تزد خسارة معرض باريس على ثمانين الف جنيه فقد كان دخلهُ ٤٥٨٠٠٠٠ ونفقاتهُ ٤٦٦٠٠٠٠ جنيه لكن الشركات الخصوصية خسرت بهِ خسارة كبيرة

اقدم موميا مصرية

وجد في القطر المصري موميا رجل طولهُ ٥ اقدام و ٩ عقد وعلى رأسهِ شعر اشقر وهو بارز الصدغين صغير الراحتين والقدمين دلالة على انهُ من جنس مرتقٍ جدًّا . ومن رأي العلماء الذين رأوهُ انهُ من سكان مصر الاولين الذين تغلب عليهم الدخلاء من اسيا قبل المسيح بنحو ثمانية آلاف سنة وامتزجوا بهم فصار منهم الجنس المصري . وجد هذا الرجل مدفوناً في صخر رملي وحولهُ قطع الظران والخزف ونُقل الى المتحف البريطاني في مدينة لندن

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين



December 1930

ديسمبر ١٩٣٠

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٢ ذي الحجة سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

الفصل السادس عشر في مصالح الجمهور

اشرت في الفصل السابق الى علل العمران التي يحاول فضلاء الاوربيين مداواتها . وقد انشأ مديرو المعرض قصرًا نخبًا لذلك ليجتمع فيهِ علماء الارض ويعرضوا ما استعملوهُ من الوسائل لمداواة علل العمران ونفع الجمهور — لحفظ الاطفال واشراك العمال في ربح اصحاب الاعمال وتأليف الشركات الصناعية والزراعية ومد يد المعونة الى الفلاحين ووقاية العمال من مضارّ المعامل وبناء البيوت الصحية لهم وتعليمهم وتعليم اولادهم واعداد ما يلزم لهم من التدابير الصحية ونحو ذلك مما يتصل بهذه المواضيع

وعرضت الدول المختلفة ومجالسها البلدية شرح الوسائل التي تستخدمها في هذه السبل وخرائط كثيرة واحصاءات عديدة وكتبًا شتى وجرائد وسجلات يظهر منها مقدار ما تمّ لها من النجاح وما لا تزال مفتقرة اليهِ

وقد زرت هذا القصر قبلما زرت اكثر مباني المعرض وزرتهُ ثانية بعد ان شاهدتُ اكثرها وخرجت منهُ كاسف البال لان كل ما رأيتهُ في القصور الاخرى من نتائج الصناعة والزراعة يمكن ان يقلَّد او يشترى بالمال واما ما فيهِ من الوسائل والاساليب فلا يشترى وقلّما ينفع فيهِ التقليد والتمثيل. فاذا لم نستطع ان نصنع آلة بخارية مثل الآلات التي صنعها الفرنسويون او الاميركيون او الالمان والبلجيون او غيرهم لم يتعذر علينا ان نشتري منهم واحدة منها . واذا تعذَّر علينا ان نصنع نظارة فلكية مثل النظارات الفرنسوية او الالمانية لم يتعذَّر علينا ان نبتاع واحدة منها . ولا يتعذر علينا ان نجلب مطبعة من المطابع التي تطبع خمسين الف نسخة في

الساعة ونشتري انفس الكتب ونطالعها ونتعلم ما فيها كما يتعلمهُ الاوربيون والاميركيون . ولكن اذا اتينا الى الوسائل التي تستعملها الحكومات والمجالس البلدية والجمعيات العلمية والادبية لترقية الامة وحفظ عمرانها ونزع شرور الفساد منهُ وقفنا امام "علق كريم لا يباع ولا يعار" امام نظام محكم الحلق ينتظم فيهِ أُلوف من كبار العقول اهل الحنكة والدراية والعفة والتفاني في خدمة الامة . نظام لا نستطيع نقلهُ الى بلادنا ولا النسج على منوالهِ ما لم تصر حكومتنا مثل حكوماتهم ورجالنا مثل رجالهم وهمتنا مثل همتهم . وهذا شأوٌ لا ندركهُ الاَّ بعد سنوات كثيرة ولو سعينا اليهِ سعياً حثيثاً وهو الفارق الاكبر بين المدنية الاوربية الحاضرة وبين مدنية العرب والروم واليونان والمصريين والاشوريين فان تاريخ تلك الامم يكاد يكون تاريخ ملوكها وامرائها وحروبها وغزواتها اما مصالح الجمهور فكانت مهملة متروكة الى احوال المكان وغيِّر الزمان اذا افلح الملوك في الغزو والنهب كثر رزق الرعية وانغمست في الترف واذا اجدبت الارض وقلت الخيرات ماتت الرعية جوعاً واذا دخل البلاد وباء انتشر فيها انتشار النار في الهشيم فيموت بهِ ربع السكان او ثلثهم او نصفهم ولذلك كان يمرُّ القرن بعد القرن ولا يزيد عدد الأُمة بل قد ينقص . اعتبرْ ذلك بسكان هذا القطر فانهم كانوا وقت الفتح نحو ثمانية ملايين من النفوس ومرَّ عليهم الف ومئتا سنة لم يزيدوا فيها بل نقصوا رويداً رويداً الى ان بلغوا مليونين من النفوس في اوائل القرن الماضي ثم لما صلحت امورهم في هذه السنين الاخيرة صارت زيادتهم السنوية نحو ثلاثة في المئة وصار الوباء الجارف اذا دخل قطرهم لا يستطيع ان يفتك بمئة من سكانهِ ولو بقي فيهِ شهوراً كثيرة

لكن ما نراهُ من الاصلاح في احوال هذا القطر مستعارٌ اكثرهُ والقائمون بهِ من غير اهلهِ في الغالب ولا يتيسر الآن لاهلهِ ولا لغيرهم من اهل المشرق ان يستنبطوا الاساليب التي استنبطها الاوربيون لمداواة ادواء الحضارة ولا ان يحسنوا استعمالها لو اقتبسوها من غيرهم وليس من مصلحتهم ان يكونوا معتمدين على الاوربيين القائمين بها

وفي هذا القصر بهو كبير اجتمع فيهِ نوَّاب الجمعيات العلمية المختلفة وبحثوا في كل موضوع من مواضيع العلوم والفنون والمعارف على انواعها كأنهُ معرض عرضوا فيهِ ثمار العقول وبنات الافكار لكي يستفيد كل احد منهم مما اكتشفهُ غيرهُ او استنبطهُ او وقف عليهِ . ولا ندري كيف وسع الوقت المؤتمرات العديدة التي اجتمعت فيهِ ولا تيسر لنا حضور اجتماع من اجتماعاتها لاننا وصلنا باريس بعد انفضاض اكثرها ولكننا لقينا كثيرين من اعضائها في ليلة حافلة احياها البرنس رولند نبوليون وهم من اكبر علماء اوربا واميركا وبعض علماء الهند وكثيرات من شهيرات النساء وبعضهم متطرف

في آرائهِ شأن كثيرين من الذين يبحثون في موضوع واحد و يطيلون النظر فيهِ ولكن اكثرهم من جلَّة علماء الارض ولذلك لا يستغرب اجتناء الفوائد الجلى من مجتمعاتهم

الفصل السابع عشر في الاستعمار والمستعمرات

انكلترا اوسع الدول مستعمرات وانجحها استعماراً فان مساحة مستعمراتها والممالك الخاضعة لها نحو احد عشر مليون ميل مربع وعدد سكانها اكثر من ٣٥ مليوناً من النفوس وتتلوها فرنسا فقد بلغت مساحة مستعمراتها الآن ثلاثة ملايين ومئتي الف ميل مربع اي ما يقارب مساحة اوربا كلها وعدد سكانها خمسون مليوناً ثم هولندا ومساحة مستعمراتها نحو ٧٥٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو ٣٣ مليوناً وتأتي بعدهنَّ المانيا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية

وقد تبارت هذه الدول في عرض ما في مستعمراتها من الثروة الطبيعية والاعمال الصناعية كأن الشركات التي انفقت على معارضها غرضها الاول ترغيب الناس في ابتياع اسهمها سواء كانت زراعية او صناعية او تجارية وغرض رجال الحكومة الذين عرضوا المعروضات " الرسمية " ان يقنعوا ابناء بلادهم انهم قاموا بما يُطلَب منهم ولم يأخذوا اجورهم سدًى . ومهما يكن من هذه الاغراض فلا شبهة في ان المعروضات الرسمية التي ابانت بها هذه الدول عن حال مستعمراتها تشهد لها انها مهتمة شديد الاهتمام بنشر اساليب الحضارة ومساعدة رعاياها على استثمار خيرات الارض ومساعدة اهالي المستعمرات انفسهم على ما يصلح حالهم ويخفف عليهم مشاق الحياة واطلاق يد العلماء في البحث والتنقيب عن المتحجرات والعاديات والجماد والنبات والحيوان والعادات والاخلاق وغير ذلك مما لا يخلو البحث فيهِ من فائدة علمية

والقول الشائع ان فرنسا غير مفلحة في مستعمراتها ولكنها ابانت في ما عرضتهُ في هذا الفصل ان الفلاح قرين اعمالها في كل مستعمراتها حتى جزيرة مدغسكر احدثهنَّ استعماراً فانها بنت لها بناء كبيراً خارج التروكادرو على نسق قصور الملوك الوطنيين في مدغسكر وبنت حولهُ اكواخاً كثيرة اسكنت فيها اناساً من المدغسكريين انفسهم حتى تظهر كيفية معيشتهم في بلادهم وعرضت في هذا القصر ما لا يحيط بهِ وصف مما يستدل بهِ على غنى تلك الجزيرة ووفرة خيراتها وانواع تربتها وتاريخ اهلها وعاداتهم واخلاقهم فترى فيهِ ثياب ملوكها وملكاتها وحلاهم وتيجانهم وآنيتهم الذهبية والفضية . ولا يُعلَم كم من هذه الاشياء صنعهُ اهالي مدغسكر انفسهم وكم منها صنعهُ الاوربيون المستوطنون عندهم او جلبوهُ لهم من اوربا وباعوهم اياهُ باستقلالهم لكن يظهر من انواع الاسلحة المعروضة ان بعضها من عمل اهالي مدغسكر وانهم كانوا على شيء من الصناعة قبل ان امتلكت فرنسا بلادهم او دخلها الاوربيون ويؤيد ذلك اصنام

الخشب المعروضة فان بعضها حسن عليهِ لمحة من الاتقان ولو كان اكثرها في منتهى الشناعة

ويظهر اهتمام الفرنسويين الشديد بهذه الجزيرة من بحث علمائهم في كل ما يتعلق بتاريخها الطبيعي فترى هناك امثلة كثيرة من حيواناتها ولاسيما قرودها الكثيرة والسلاحف الكبيرة التي كانت عائشة فيها وانقرضت منها الآن والكركدن الصغير الذي انقرض منها ايضاً والطائر المسمى ايبورنس الذي كان معاصراً للانسان ثم انقرض منها وقد عُرضت بيضة كبيرة من بيضهِ قطرها الاطول نحو ٣٥ سنتمترًا . والحشرات على انواعها والاصداف والاسماك والعشائش المنسوجة نسجًا ومصنوعات الاهالي واساليب انتقالهم في المحفات وعلى الثيران . والمنسوجات الحريرية والقطنية وهي كثيرة الانواع تضاهي المنسوجات الاوربية في اختلاف اشكالها وتنوّع ألوانها . بينها منسوجات حرير العناكب وقد عُرضت هذه العناكب وحريرها وهو اصفر ذهبي لامع ومنسوجاته متينة وغطاء السرير المعروض هناك لم ينسج من حريرها على ما شاع بل من حرير دودة اكبر من دود الحرير العادي عرضت هناك ايضاً . والظاهر ان اكثر هذه المصنوعات صنعها الاوربيون النازلون في الجزيرة ولم يكن سكانها الأ صناعاً عندهم . وعُرضت ايضاً حاصلات البلاد من الكاوتشوك والبن (وبعض انواعهِ كبير الحب كالفول) والصمغ العربي والكوبال والشمع والخشب والجلد والبطاطس وثمر شجر الخبز وهو كبير خشن اخضر اللون. والمنجو والرمان والصبر والشاي والزعفران والقرفة والفانلاّ والكاكو والفول السوداني والارز والقمح والذرة والصبر والاناناس والموز والليمون

والظاهر ان الذهب كثير في تلك الجزيرة فقد أُستخرج منهُ من سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٨٩٩ ما تزيد قيمتهُ على خمسة ملايين من الفرنكات

وقد اشرت قبلاً الى مناظر مدغسكر التي عرضت في هذا البناء وهي صور كبيرة تظهر فيها تلك البلاد بحورها وبرورها وسهولها وحزونها وجبالها ووهادها ومدنها وقراها ومواقع الحرب التي آثارها الفرنسويون على اهلها فملكوا بها جزيرتهم واسروا ملكتهم. والصور من نوع البنوراما وقد احسن صناعها رسمها والقاء النور والظل عليها حتى يحسب من رآها انهُ رأى جزيرة مدغسكر وضرب في ارجائها وشاهد معارك القتال فيها وما تقلّب عليها من الشؤون منذ عشر سنوات الى الآن

واجاد الفرنسويون في معارض تونس والجزائر والسنغال ودهومي والنيغر وانام والتنكين كما اجادوا في معرض مدغسكر حتى لقد تغني مشاهدة هذه المعارض عن الرحلة الى تلك البلدان القاصية وعرضوا صورًا كلية للبلاد التي قصدوها فالناظر في معرض الجزائر مثلاً يرى امثلة

المباني الفاخرة في تلك البلاد وازياء الناس وطرق معيشتهم وحاصلات حقولهم ومعادن ارضهم وما استفادوهُ من استيلاء الفرنسويين عليهم . لكن الشرقيَّ يأسف لان الوطنيين من اهالي تلك البلاد لم يجاروا الفرنسويين في عرض ما يدلُّ على ارتقائهم الادبي والمادي بل عرضوا اموراً دنيئة سمجة كالرقص والخلاعة ومصنوعاتٍ حقيرةً زرية ما كان اغناهم عن عرضها. وكأنَّ العارضين خدعوا اخوانهم الذين حضروا بهم الى عاصمة فرنسا فلم يوفوهم اجورهم وكثيراً ما كنتُ اراهم يتخاصمون ويتشاتمون وقال لي بعض التونسيين والجزائريين انهم كانوا يبيتون احياناً على الطوى ليس لهم ما يقوتهم

وكما ادخل الفرنسويون حسنات العمران الاوربي الى مستعمراتهم ادخلوا اليها سيآتهِ كالسكر والقمار والتهتُّك. ولو لم يثبت من تاريخ الانسان ان الصلاح يغلب على الطلاح اخيراً لخيف من غلبة السيآت على الحسنات وانقراض السكان من هذه المستعمرات

ومعارض المستعمرات الانكليزية لا يظهر فيها ان الانكليز يهتمون بالبحث النظري قدر الفرنسويين ولكن لا شبهة في انهم يهتمون مثلهم او اكثر منهم بالبحث العملي بالمعدانة والفلاحة والصناعة والتجارة . ففي معرض استراليا ما لا يحصى من شذور الذهب وحجارتهِ وفيهِ هرَم كبير يمثل ما استخرجوهُ من الذهب من تلك البلاد وهو من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٩ ستة عشر مليوناً و ٤٧٩ الفاً و ٣٨٣ جنيهاً واستخرجوا سنة ١٨٩٩ وحدها ٨٧٥ ٦٤٣ ١ اوقية تساوي ٧٢٨ ٢٤٦ ٦ جنيهاً. واكبر شذرة من شذور الذهب الاسترالي المعروضة هناك طولها نحو ٢٠ سنتمتراً وعرضها كذلك وسمكها نحو ١٠ سنتمترات ووزنها ٤١٣ اوقية وقيمة ذهبها ١٣٤٨ جنيهاً . ويقال انهُ وجد في حفرة واحدة نحو سبعين رطلاً من التبر

ومن معروضات استراليا اللؤلؤ ومنهُ تسعة حبوب كبيرة في شكل صليب . والفحم الحجري وانواع الرخام والخشب الملون. وحسبُ استراليا وحسب الانكليز معمريها ان عدد سكانها منهم يبلغ الآن نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة سبعين مليوناً من الجنيهات وقيمة وارداتهم ستين مليوناً ودخل حكومتهم السنوي نحو سبعة وعشرين مليوناً من الجنيهات اي ان دخل حكومة استراليا نحو ضعفي دخل الحكومة العثمانية مع ان سكان استراليا نحو عشر سكان البلاد العثمانية . ولم يتفق لامة من امم الارض ان عمَّرت بلاداً كما عمَّر الانكليز كندا واستراليا وزيلندا الجديدة ونحو ذلك من البلدان التي نزلوها فلا عجب اذا فاخروا الامم في ذلك واعترف لهم الجميع انهم اقدر الناس على الاستعمار

العلاج بالحرارة

يندر ان يُستنبط شيءٌ جديد ليس لهُ اصل قديم حتى قال حكيم اليهود لا جديد تحت الشمس. ومن هذا القبيل علاج الادواء بالحرارة لا بالكي والوسم بل بتعريض الجسم لهواء حارّ جدًّا تزيد حرارتهُ على حرارة الماء الغالي فان قدماء الرومان كانوا يعالجون بعض الادواء بوضع اصحابها في حمامات حامية حتى تعرق ابدانهم وتلين عضلاتهم وقد كان عدد المستحمين في حمامات كراكلا خمسة وعشرين الف نفس كل يوم يتعرون و يستلقون على البلاط السخن ويتدثرون و يتضمخون بالطيب ويفركون بهِ ابدانهم حتى تلين اعضاؤهم . لكن حرارة الحمامات مهما اشتدَّت لا تبلغ درجة غليان الماء بل تبقى دونها كثيرًا

ولا يخفى ان الحرارة هي المقصودة بالذات من اللزق والحراريق والخردليات وما تستعملهُ العجائز احيانًا من وضع رغيف سخن على مكان الالم او صرَّة ملح مسخَّن على الاذن المألومة . لكن القدماء لم يصلوا الى ما وصل اليهِ ابناء هذا العصر من استعمال الحرارة الشديدة التي تبلغ ثلثمئة او اربع مئة درجة بميزان فارنهيت من غير ان يُسلَق الجسم او يُحرَق . وطريقة المحدثين التي شاعت في العام الماضي وهذا العام ان يُصنَع اناءٌ يسع الجسم كلهُ او بعض اعضائهِ ويبطَّن بالاسبستوس ويحمى باشعال الغاز تحتهُ فيسخن كثيرًا و يسخن الهواء الذي فيهِ ويدثَّر الانسان او العضو الذي يُراد معالجتهُ بالحرارة ويوضع في هذا الاناء فيسخن رويدًا رويدًا الى ان تعلو الحرارة فوق درجة غليان الماء كما يعلم من ثرمومتر خارج من الاناء ولا يشعر الجسم ولا العضو بالالم بل تفعل الحرارة بهِ فعلاً مخدِّرًا مسكنًا وتمتص الابخرة منهُ وتورّد الدم اليهِ وتفعل بهِ فعلاً صحيًّا كما سيجيءُ

وهذه الطريقة العلاجية تستعمل الآن في اشهر مدن اميركا في نيويورك وفيلادلفيا وشيكاغو وفي اشهر مدن المانيا ويراد استعمالها ايضًا في مدينة لندن . وقد قرأنا رسالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور نيومن الالماني ظهرت في الثلاثين من شهر مارس في مجلة اللانست الطبية قال فيها انهُ عالج كثيرين بالحرارة الشديدة فشفاهم وقد عولج بها في مستشفى لندسباد بيادن بادن الف نفس فاحتملوا كلهم الحرارة الشديدة . وذكر عشرة منهم شفوا من عرق النسا وتسعة شفوا من النقرس الروماتزمي او المعيب (Arthritis deformans) وواحدة شفيت من تصلُّب الجلد (Scleroderma) وواحدة شفيت من الاذيما المخاطية (Myxœdema)

ومن الذين شفوا من المعرق النسا رجل كان المهُ شديدًا جدًّا لا يستطيع المشي ولا الوقوف ولا

النوم عولج على اساليب كثيرة فلم ينجع فيهِ علاج واخيرًا عولج بالحرارة على ما تقدّم مدة شهرين فشفي شفاءً تامًا ومضى عليهِ الآن سبعة اشهر وهو يتعاطى اعمالهُ على جاري عادتهِ

ومنهم امرأة أُصيبت بألم عرق النسا وظُنَّ اولاً انها مصابة بالتهاب مفصل الورك وعولجت لذلك ثلاثة اشهر ولم تستفد شيئًا ثم ثبت انها مصابة بالم عرق النسا فعولجت بالحرارة اربعة اسابيع فشفيت تمامًا

ومنهم رجل كسر عنق عظم ساقهِ فضمرت واصيب بالم شديد في عرق النسا وبقي اشهرًا لا يستطيع المشي فعولج بالحرارة وشفي وهو يمشي الآن من غير ألم

ومنهم امرأة كانت تشكو من الم عرق النسا في فخذيها أُرسلت الى الدكتور نيومن بعد ان لزمت فراشها ستة اشهر ظنًا انها مصابة بلين العظام Osteo-malacia وكانت لا تستطيع تحريك رجليها ولا حوضها . ثم شخّص انها مصابة بالم عرق النسا وعولجت بالحرارة وبعد ستة اسابيع تركت المستشفى وهي تمشي بسهولة لكنها بقيت تتوكأ على عصًا

وامرأة اخرى كانت ركبتها يابسة وساقها منثنية وكانت متألمة المًا شديدًا في المفصل الحرقفي العجزي الايسر وفي الاربية ولا تستطيع المشي الاَّ محدودبة حتى تكاد تنثني على نفسها فعولجت بالحرارة وشفيت تمامًا وصارت تمشي منتصبة

ومريض آخر كان مصابًا بالم عرق النسا في فخذهِ الايسر وبضمور في عضلات الالية والم في الاعصاب الالوية والمفصل العجزي والحرقفي العجزي ولم يكن يستطيع ان يحرك كتفهُ اليمنى الاَّ بصعوبة فعولج بالحرارة وشفي تمامًا

ومن الذين شفوا من النقرس المعيب مريض كان يشكو من يبس كتفيهِ ولا يستطيع ان يرفع ذراعيهِ ويبس رسغهُ الايسر وورمت ركبتاهُ وكعابهُ ويبست اصابعهُ فحمل الى المستشفى حملاً لانهُ لم يكن يستطيع المشي وعولج فيهِ بالحرارة فشفي تمامًا وهو الآن يمشي ويكتب ويرفع يديهِ فوق رأسهِ ولا يشعر باقل الم

ومنهم امرأة كانت مصابة بالنقرس المعيب في يديها ومفاصل اصابعها منذ اربع سنوات فعولجت بالحرارة ولم يزل رسغها الايمن يابسًا قليلاً ولكن زال الورم من اصابعها وصارت تحركها بسهولة وتكتب وتحبك على جاري عادتها

ومنهم مريض اصيب بالانفلونزا فتولد منها فيهِ نقرس معيب بقي سنتين اصيبت بهِ ركبتاهُ وكعابهُ ويداهُ فلم يعد يستطيع ان يعمل اقل عمل فعولج بالحرارة وشفي وصار يمشي ويحرك يديهِ بسهولة وزال الورم والالم

ومنهم مريض آخر كان مصاباً بالنقرس المعيب في ركبتيهِ فدخل المستشفى سنة ١٨٩٩ ولم يكن يستطيع المشي مطلقاً فخرج منهُ يمشي على عكاز ثم عاد اليهِ سنة ١٩٠٠ وعولج فيهِ ثانية فخرج منهُ صحيحاً

ومن الذين كانوا مصابين بتصلُّب الجلد Scleroderma امرأة عمرها ٤٦ سنة مضى عليها ست سنوات مصابة بهذا الداء لسبب غير معروف وكان التصلُّب في بطنها وصدرها وظهرها ورجليها من ركبتيها الى قدميها ويديها وذراعيها وبلغ اشدَّهُ في يديها حتى لم يعد يمكن تحريك جلدها وافترقت اصابعها والتوت حتى صارت كمخالب الطير وبانت كفاها كانهما من الحجر ولم يعد المشي ميسوراً لها وكانت تتألم الماً مبرحاً كلما ارادت تحريك جسمها ولا سيما ليلاً . وبقي جلدها يحس ولكنهُ لم يكن يعرق ابدًا . وبقي قلبها سليماً وكذلك رئتاها ولكن كان منظرها منظر الخوف والكآبة والكرب الشديد . وامتدَّ الداء الى وجهها فتغيَّرت سحنتها وقبح منظرها . فعالجها الدكتور نيومن بالحرارة فخفت آلامها وشرع جلدها يتحرَّك واخذت تعرق وصارت اصابع يديها تتحرك وتدنو بعضها من بعض ثم سهل عليها المشي وبعد اربعة اسابيع تركت المستشفى ثم عادت اليهِ في ١١ اكتوبر الماضي وقالت ان فعل الشفاء مستمرٌّ في جسمها وقد بدت الطلاقة في وجهها بعد الانقباض وصارت تمشي وتقوم وتقعد من غير الم

ومن الذين كانوا مصابين بالايذيما المخاطية Myxœdema امرأة عمرها ٣٤ سنة سُممت بالغاز سنة ١٨٩٨ ثم اعترتها الايذيما المخاطية من اسفل ظهرها الى ركبتيها وأُرسلت الى الدكتور نيومن وكانت مصابة بفقر الدم صغيرة النفس تبكي لاقل سبب ولم تكد تستطيع المشي وكان جلدها غليظاً جدًّا اصفر عجينياً لا يتحرك فعالجها اولاً بتنشيقها الاكسجين وبالحمامات حتى اذا صلحت حالها قليلاً عالجها بالحرارة فرقَّ جلدها وصار يتحرَّك بسهولة وزادت قوتها وبشَّ وجهها ثم صارت تمشي وذهبت ثلاثة اميال ماشية في ارض ترتفع ستمئة قدم

ونشرت مجلة الستراند صور الآلات التي يوضع فيها الجسم ويحمَى بالغاز المشتعل حتى تعلو حرارتها رويداً رويداً . وهي اما كبيرة تسع الجسم كلهُ الى حد الرأس او صغيرة شكلها كشكل العضو الذي يراد علاجهُ فيها . وقد قال الدكاترة لندوزي ودجرين وكريتيان من اطباء باريس ان الحرارة من درجة ٢٠٠ الى ٢٥٠ بميزان فارنهيت شفت من النقرس والروماتزم المزمن . ويقال انهُ اذا بلغت الحرارة ١٥٠ درجة لم يشعر المصاب بشيء من الالم واذا بلغت ١٨٠ درجة شعر بوخز كوخز الابر وعند الدرجة ٢٠٠ يشعر بخدر وسبات ومن ثم الى الدرجة ٢٨٠ يشعر بلذة لا بالم وقد تدعو الحال ان تزاد الحرارة الى الدرجة ٤٠٠ ولا بدَّ حينئذٍ من ان يوضع الثلج على رأس المصاب ويسقى ماء الثلج رويداً رويداً لان دمهُ يغلي عند الدرجة ٣٥٠

غرائب العلم

من خطبة لحضرة نجيب افندي بستاني رئيس محكمة قضاء المتن بلبنان تلاها في احتفال مدرسة شمس البر في بيروت

سادتي وسيداتي

لقد شاقني ما اقرأهُ كل يوم في كتب الغربيين ومجلاتهم من الحديث المستفيض عن اسرار العلوم وما ينجم عن استقرائها من الفوائد الى اختيار هذا الموضوع الجليل راجياً ان يشفع بي اليكم حداثة عهدي في مزاولة هذا الفنّ على خطارتهِ وقلة المامي بتفاريعهِ مع انهُ يستلزم سعة الاطلاع و بعد النظر فاقول . ان الايام لم تزل تريناً من غرائب العلم وعجائب الاكتشاف ما تندهش بهِ العقول الزكيّة ويستغربهُ العلماء بل ينكرهُ كثير من الفضلاء حتى عدَّ بعضها من المعجزات وخوارق العادات الى ان عمَّ الاعتقاد بنشإِها العلمي كالتليفون والتلغراف بدون سلك والفونوغراف والسينماتوغراف واشعة رنتجن والفوروفون وهو احدثها اختراعاً . ولا يذهب عليكم ان العلماء قد استيقظوا منذ اقدم القدم الى ممارسة بعض الاسرار العلمية كالسحر والصرع والشعوذة والعرافة واظهار الاشباح والخيالات فضلاً عمَّا سمت اليهِ نفوسهم من الادّعاء بمحادثة ارواح الاموات ومكالمة المعبودات مما تخفت لهُ سماء العلم فاحدث في قلوب الناس واذهانهم اثراً مذكوراً فظنَّ قومٌ انهُ رجسٌ من عمل الارواح الخفيّة فاذاقوا دعاتهُ مرَّ العذاب واعتقدهُ آخرون بما انطلى عليهم من خبث هؤلاء ودهائهم مما سألمُّ بهِ في معرض البحث عن تفاريع هذا الامر ناقلاً اليكم الخبر على علاتهِ مبيناً مزاعم العلماء كاشفاً ستر التعمية عن بعض اعمالهم وآرائهم وانا واياكم سواء في انكار ما يستهجن من كل ذلك واستحسان ما يسلم بهِ العقل فإنَّ من العلم لسحراً

وقد اخترت ان اروي لكم من كل ذلك حديثاً مستطاباً عن غرائب العلوم السرية كالتلباثي وهو الشعور عن بعد وظهور المحتضرين وانتقال الافكار والنوم العصبي والرؤيا الشاقة حجاب الخفاء عن حوادث المستقبل ومحادثة ارواح الموتى والارواح القارعة . مورداً على كلّ منها بعض ما وقعت عليهِ من الامثلة الكثيرة في كتب الباحثين عن اسرار النفس الضاربين في بيداء الوهم آخذاً باهداب البحث عن كل فرع من فروع هذا المأخذ الخطير بما لا يتجاوز حدَّ التعريف مبتدءاً بظهور المشرفين على الموت مما يدخل في باب الشعور عن بعد

ذلك بان يقع على شعور المرء تأثيرٌ خفي يمثل لهُ حادثاً يقع على بعدٍ شاسع عنهُ كأن يرى

وهو في بيروت ما يدل على حادثة تقع في باريس او اميركا وهو ما يسميهِ الافرنج بتلباثي كما مر. وقد رأيت بعد طول التدبر ان الحوادث التي سأوردها على مسامعكم لا تخلو على مكان بعضها من المبالغة والغلو وتشوه البعض الآخر منها عن محض اتفاقٍ مما يجعلها قريبة الى العقل لكثرة حدوثها بين البشر. من ذلك حادثة جرت في بيت الجنرال بارمنتيه في شلستادت الواقعة على نهر الرين في ليلة شديدة الحرّ وكان الباب بين غرفة الاستقبال وغرفة النوم قد ترك مفتوحاً ونافذتا غرفة الاستقبال كذلك تركتا مفتوحتين وقيدت مصاريعهما لئلاَّ يحركها الهواء وكان والد الجنرال بارمنتيه ووالدتهُ نائمين فشعرت والدتهُ بحركة رفعت السرير من الاسفل الى الاعلى فاستيقظت مذعورة وأيقظت زوجها وبينا هي تقص عليهِ الخبر اهتز السرير شديداً للمرة الثانية فأوقد زوجها مصباحاً وتفقَّد الغرف وعاد قائلاً لها ليسكن جأشكِ فان الارض زلزلت وما لبث ان اضطجع حتى تحرَّك السرير وصارت ضوضاء قوية في غرفة الاستقبال كانما قد تصادم مصراعا النافذتين وانكسر الزجاج فقام وزوجتهُ وتفقدا الغرفة فوجدا النافذتين مفتوحتين والمصاريع موثقة والزجاج سالماً فتحققا ان ما سمعاهُ كان وهماً فاستولى على والدة الجنرال من جراء ذلك خوف شديد فقالت لزوجها لقد أُصبت باحد من ذوي قرباي او احبابي وما هذا الاَّ انذارٌ خفيٌّ ولم يمضِ على ذلك ايامٌ قليلة حتى بلغها خبر وفاة رابتها في ڤينا في تلك الليلة عينها وكانت لشدَّة ولعها بها قد أسفت وهي تحتضر لعدم تمكنها من وداع تلميذتها المحبوبة

وروى الفلكيّ فلاماريون حادثة جرت لصديقٍ لهُ في مدينة روان سنة ١٨٩٦ هي بمكانٍ عظيم من الغرابة قال كان لصديقي موريس صديقة تُدعى هيلانة ترعرعت واياهُ في مهدِ الصداقة والحب فحكم عليهما الزمان بالافتراق فذهبت هيلانة الى باريس وقد استحفظت موريس صورتها ليذكرها كلما رآها في غرفتهِ فاضرَّ هواء باريس بهيلانة وانهك البعاد جسمها فانحلهُ واعتراها داء السل فجزع موريس لذلك واخذ يراقب سير الداء ويراسلها وتراسلهُ الى ان كتبت اليهِ ذات يوم انها مستدرجةٌ الى الشفاء فقال ان الشفاء ممكن وما على الله شيءٌ عسير. وفي تالي ذلك اليوم اي في السادس عشر من نيسان (ابريل) جاش بالهُ النهار بطولهِ متوجساً ان يكون ما اشارت اليهِ من الشفاء ناشئاً عن تعلق المسلولين بحبال الآمال فدخل غرفتهُ جزعاً وجلس في كرسيهِ محدقاً الى صورة تلك الصديقة غريقاً في بحار الافكار والآمال فرأى اجفانها تختلج في الصورة وشفتيها تتحركان كأنها تخاطبهُ ثم سمع صوتاً أدهشهُ فاذا ناقوس الساعة يطنُّ الساعة الثامنة فظن انهُ في حلم فسح عينيهِ معاوداً النظر الى الصورة فرآها ثانية قد فتحت عينيها شديداً ثم اطبقتهما وحركت شفتيها وتنهدت فذعر مما رأى وتوسَّد لينام فأرق

ونحو الساعة العاشرة قُرِع باب غرفتهِ بعنفٍ فناولوهُ رسالةً برقية تنبئهُ بان هيلانة ماتت الساعة الثامنة فبكّر من الغد الى باريس فاخبروهُ ان هيلانة لم تفتر عن ذكرهِ دقيقة واحدة وانها قالت قبيل وفاتها بدقائق لا شك ان صديقي موريس ينظر الآن الى صورتي راجياً لي الشفاء.

وقد قرأت نحو مائة وثمانين حادثة مثل هذه ولا يُعقل ان تكون بجملتها صادرة عن محض الصدفة والاتفاق كما يزعمهُ البعض ولا بدّ من تأثير خفيٍ يُدرك عند حدوثهِ فقط فان مثل هذه الحوادث يُدركها المراقبُ البصيرُ ولا يقوى احد على احداثها . واكثر بعض العلماء على انها خارجة عن حد الاوهام واضغاث الاحلام ناشئة عن شعور النفس بما يقع على بُعد عنها حينما تكون مهيأة لقبول مثل هذا التأثير باستقرارها على امرٍ معلوم واشتغالها بهِ دون سواهُ وهو قريب الى الصواب ان لم يكن حقيقياً فان من النفس الى النفس سبيلاً

ثم اننا اذا اعتبرنا ما تقدَّم فقد تمثلت لنا قوة سرية لم تزل مجهولة تصدر عن المرء وتؤثر في من كان بعيداً عنهُ من امثالهِ . وليس مراد العلماء ان النفس الحية هي التي تنفصل عن الجسد مندفعةً نحو الشخص الذي تؤثر فيهِ فانما يظنون ان هناك شيئاً من الاشعاع او اهتزاز الهواء بحيث تصدر عنهُ امواجٌ تصدم الدماغ فتوهمهُ حصول حادثٍ معلوم كما ان الاشياء التي نراها لا ندرك وجودها بالحسّ بها فعلاً بل بانتقال صورها الى الدماغ . والرأي الغالب على ان نفس المشرفِ على الموت تؤثر عن بعدٍ في نفس غيرهِ من الاحياء بطريق الدماغ وما يتراءى لهذا من انتقال الاشياء من مكانٍ الى مكان وما يتمثل لهُ من الاشباح والخيلات وما يقع على سمعهِ من الاصوات كلها اوهام تتعاقب في دماغهِ وهو في تلك الحالة . ولم يرَ العلماء في ذلك شيئاً من وراء العقل فاننا اذا اخذنا آلتين موسيقيتين وضربنا على اوتار احداها احدث اهتزازها اهتزازاً لأوتار الاخرى ولو بعيدةً عنها لان تموجات الصوت ينقلها الهواء بصورة خفية . أوَليس الفونوغراف ينقل اهتزازات الصوت من بلادٍ الى بلاد فيردّد على اسماعنا الكلام والانغام . أولسنا ونحن على بعد ملايين من الاميال عن بعض الاجرام السماوية نتمكن من تصويرها بواسطة اشعة النور . أليست اشعة رنتجن تخترق الاجسام الجامدة وتكشف لنا ما وراءها من صور الاشياء . أليس الدماغ مرجع كل ما نشعر بهِ من فرح او ترح او ألم ومع ذلك فنحن نظن ان الالم محصور في العضو الذي يقع عليهِ الفعل . فلو احترقت يد انسانٍ لظن الالم محصوراً في يدهِ او كُسرت رجلهُ فالامر كذلك مع اننا لو قطعنا الاعصاب الواصلة ذلك العضو بالدماغ لما شعر باحتراق يدهِ وانكسار رجلهِ لانقطاع خط الصلة بينهما وبين الدماغ موطن كل شعور . واغرب من هذا ان الشعور بوجود الذراع مثلاً لا يترتب على وجودها فقط فان كثيرين من

فاقدي الذراع الواحدة او الرجل الواحدة يشعرون بها كما لو كانت لم تزل موجودة فاذا قرس البرد حاولوا سترها تحوّطاً فان جندياً اطارت كرات المدافع رجله كان اذا جاء الشتاء يشعر بآلام في رجلهِ المفقودة ولاسيما اذا جن الليل وارخى الظلام ستاره

ويقال ان جندياً من جنود نابوليون الاول فقد رجليهِ في الذود عن بلادهِ واستبدلها برجلين من خشب ثم احسَّ ببرد شديد في رجليهِ المفقودتين فاشعل ناراً وادناها منها ليصطلي فاشتعلتا ومات ضحية هذا الوهم . وبالجملة فان تولد الافكار واشتراكها انما ينشأان عن اهتزاز الدماغ وما يتفرّع عنهُ من اهتزاز المجموع العصبي . ويذهب العلماء في ايضاح ذلك الى مقابلتهِ باهتزاز وترٍ موسيقي . فان كلَّ جزء صغير من اجزائهِ يهتز على حدتهِ وكذلك الدماغ اذا اهتزت ألياف جزء منهُ بتأثير فكر فيها فلربما اهتزت الالياف المجاورة لها ايضاً فينشأ عن ذلك اشتراك في الافكار الحاصلة . وعليهِ فكل حركةٍ في الفكر يقابلها حركةٌ في الدماغ وهو ما حمل دعاة العلوم السرية على الاعتقاد بالشعور عن بعدٍ. ولا يسعني المقام أن اورد جميع الامثلة والبراهين التي يذكرها هؤلاء في كتبهم فاكتفي بما تقدم مضيفاً اليهِ ان التأثير الذهني اذا كان بالغ الشدة فتل بقوة ما يحدثهُ من الاهتزاز الشديد في الدماغ كما ان اعتقاد المرء انهُ مريض او مكسور اليد او مصدور او مشرف على الموت كافٍ لانشاء الشعور بالالم في ذلك العضو واحياناً لاحداث الموت

ويزعم هؤلاء ان اصدق دليلٍ على التأثير الذهني او انتقال الفكر من دماغ انسان الى دماغ انسانٍ آخر انما هو ما يرى في حوادث النوم العصبي مما لا يبقى معهُ محل للريبة والالتباس من ذلك ما حدث في مدينة تنسي بفرنسا في ٩ كانون ثاني سنة ١٨٨٦ الغابرة للاستاذ ستانسلاس غيطا والدكتور امبرواز ليبو فانهما عقدا اجتماعاً في بيت هذا الاخير حضره كثيرون واستقدما آنسة تدعى لويز وبعد ان أُنيمت نوماً عصبياً أُمرت ان تجاوب على الاسئلة التي يتصوّرها الدكتور ليبو في ذهنهِ دون ان يتفوّه بكلمةٍ او يشير الى شيء فوضع الدكتور يدهُ على جبينها هنيهة وتصوّر في فكرهِ السؤال الآتي " متى يتم شفاؤُكِ " فاجابت بصوتٍ سمعهُ من حضر " قريباً ان شاء الله " فأُمرت حينئذٍ أن تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الدكتور ليبو فاعادتهُ بحرفهِ وعقب هذا دنا منها الاستاذ غيطا وبعد ان وضع يدهُ على جبينها تصوّر في ذهنهِ السؤال الآتي " اتعودين الاسبوع القادم " فاجابت " ربما " فأُمرت ان تعيد السؤال الذي قرأتهُ في فكر الاستاذ فاعادتهُ هكذا " أتاتي انت الاسبوع القادم " فكانها اخطأت في قراءة كلمة واحدة فقط . ثم عمد الدكتور ليبو الى ورقةٍ ورقم عليها هذه العبارة

"إن لويز اذا استفاقت رأت برنيطتها السوداء حمراء" فاطلع الحضور على العبارة ثم جلس الاستاذ غيطا والدكتور ليبو امامها وهي لم تزل نائمة ووضعا ايديهما على جبينها وهما يفتكران في العبارة المارّ بيانها فلما افاقت وقع نظرها للحال على البرنيطة فقالت ضاحكة "قد بدلتم برنيطتي بما هو في شكلها وحجمها فلن ارضَ بذلك فاتركوا المزح وادفعوا اليّ برنيطتي" وبعد جدالٍ طويل سئلت عما تجدهُ من الفرق بين الاثنتين فقالت "أليس لكم عيون أليست هذه حمراء وبرنيطتي سوداء" ولم تزل تخبط في الاوهام حتى قال لها الدكتور ليبو ان البرنيطة ستعود الى لونها وتناولها بيديهِ ونفخ بفمهِ عليها بما اوهمها انها عادت سوداء فتناولتها شاكرة

اما النوم العصبي المعروف بالهبنوتزم فقد اكتشفهُ الدكتور جمس برايد سنة ١٨٤١ وقديماً كانوا يخلطونهُ بالمغنطيسية الحيوانية وما جاءت بهِ من الغرائب في الاعصر الخالية لعهد كاغليوسترو وفاريا ومسمَر وغيرهم ذلك بان يتسلط المنوّم على النائم بقوة الارادة والنظر والاصوات المرتفعة فيصبح وهو على هذه الحالة طوع ارادة المنوّم يأتمر بامرهِ وينتهي بنهيهِ فيوهمهُ الماء القراح خمراً والحجارة ناراً والهواء ارواحاً وينطقهُ ما يريد ولذلك تكوّن افكار النائم صدًى لافكار المنوّم فيتحدان فكراً ورأياً وعملاً . وايضاحاً لذلك أروي لكم حديثاً للدكتور فيلبس عما وقع لهُ في تونس سنة ١٨٥٣ فانهُ دُعي لإنامة رجل امام جماعة من الادباء فاختار لذلك رجلاً عصبي المزاج وأنامهُ النوم العصبي وناولهُ حجراً بارداً وكان قد الهمهُ بقوة الذهن انهُ انما ناولهُ جمرة محرقة فانقبضت عضلات وجههِ لشدة الالم وصار يتناقلها بيديهِ كمن قد احرقتهُ حرارتها ثم ناولهُ كاساً من الماء القراح والهمهُ انهُ خمرٌ فما لبث ان شرب منها حتى بدت عليهِ امائر السكر وصار يخطر في مشيتهِ ويهتزُّ ويتبختر كالنشوان

ومن غرائب ما صنعهُ الدكتور شاركو في باريس إبان قيامهِ على معالجة المصابين بالامراض العصبية الحادة وداء النقطة والهستيريا وسائر الامراض الدماغية انهُ كان يوقع الواحد منهم في سباتٍ بتوجيه النور الكهربائي على عينيهِ او بقرع ناقوس قرب اذنيهِ . وقد شهد جمهور الباريسيين عدة حفلات اتخذها لتلك الغاية فكان يحدث النوم السباتي بتصويب النور الكهربائي على عيني المريض فلا يأتي عليهِ دقائق قليلة حتى يجمد نظرهُ وترتخي اعضاؤُهُ بحيث يتمكن المنوّم من تغيير وضعها فتتغير لذلك هيئة وجهِ النائم فاذا رُفعت يداهُ الى فمهِ كمن يقبّل شيئاً ابتسم ثغرهُ واذا رُفعتا الى الامام كمن يدافع عن نفسهِ ظهرت امارات الغضب عليهِ . وقد احدث شاركو ببراعتهِ في هذا الفن اثراً مذكوراً في نفوس الفرنساويين بما وصل اليهِ طولهُ من احداث الشخوص تارةً والسبات أُخرى ذلك بانهُ اوقع النور الكهربائي على عيني انسانٍ فأنامهُ نوماً

سباتيًا فاصبحت اعضاؤهُ جميعها خاضعةً لارادتهِ فرفع رجل النائم وأمرهُ ان يبقيها مرفوعةً فبقيت ما شاء وكذلك يدهُ وباقي اعضائهِ ثم صوَّب النور نحو احدى عينيهِ فقط فاضحى نصف جسدهِ في سباتٍ والنصف الآخر في شخوص بما اصار النصف الاول خاضعاً لاوامر شاركو واخرج النصف الثاني عن سلطتهِ والعكس بالعكس. وقد استعان هو وزملاؤهُ بالنوم العصبي في معالجة الامراض العصبية واستعاضوا بهِ عن الكلوروفورم في الجراحة ذلك اذا كان المريض عصبيّ المزاج متهيئًا الانفعال والقبول يتأثر لاقل حادث وقصَّروا عن تنويم من كان قويّ البنية جيد الصحة من ذوي الامزجة الاخرى

ومن اغرب ما يذكر عن حالة النائمين على نحو ما تقدم انهم لا يعدمون الرشد والادراك فيعقلون ما يسمعون ويفعلون ما يؤمرون بهِ ويكتبون اسماءهم وبعض الاجوبة التي يريدها الطبيب مما سيأتي ذكرهُ في تتمة هذا البحث لانهم يسمعون صوت الطبيب عند ما يأمرهم بأن يأتوا حركةً او عملاً معلومًا ولضعفِ ارادتهم واعتلال صحتهم يستمكن منهم حكم العادة مما يثبت ان النوم العصبي لا يزيد على ما قدمنا والاَّ لم يكن المرء مسؤُولاً عن اعمالهِ وساغ لكثيرين من المجرمين ان يدَّعوا العذر في ما يجترمون

واما محادثة ارواح الموتى فقد شغلت اذهان فريق من العلماء منذ اقدم القِدَم فزاولوها باساليب وطرق غريبة وابتنوا لمشايعيهم المنتديات يختلفون اليها في مواقيت معلومة لممارسة هذه الطريقة يفتتحون الحفلات بصلوات يتلونها استعطافًا للارواح السابحة في الافلاك الحائمة حول الارض . ومن معتقد هؤُلاء ان للنفس جسدين جسدًا ماديًا وجسدًا بخاريًا شفافًا وان هذا الجسد البخاري الشفاف ينفصل احيانًا عن الجسد المادي فتتكاثف اجزاؤهُ الدقيقة ويظهر للعيان بشكل خيال وان النفس انما تنفصل بالموت عند الجسد المادي وترتدي الجسد البخاري فتطوف العالم تحادث الاحياء وتعاونهم على ادراك رغائبهم . ومن مزاعمهم انَّ ما يحدث من الغرائب انما يصدر عنها على ان محادثة هذه الارواح الخالدة انما تجري بشفاعة الوسطاء ممن حصلوا بطول المزاولة وبرقة مزاجهم العصبيّ السريع الانفعال على الملكة الراسخة في هذا الفن وهم ايضًا خاضعون لسلطة اساتذة الفن الذين يلكونهم بشيءٍ من النوم العصبي

واليكم تفصيل محادثةٍ جرت في لندن سنة ١٨٩٨ في بيت المستر هوجسن فانهُ استقدم اليهِ وسيطًا يدعى بايبر مشهورًا بمحادثة الارواح ليستعين بهِ بعد نظرهِ على مخاطبة صديقٍ لهُ يدعى بلهام كان قد أخذ على نفسهِ ان يظهر لهُ بعد الموت ويأتيهُ بالخبر الصادق والقول الفصل عن اسرار العوالم الروحية فانتبذ هوجسن احدى زوايا الغرفة وجلس والدبلهام بجانبهِ وامامهما

الاستاذ فنوت وجلس الوسيط امام مائدةٍ في منتصف الغرفة وبعد ان شخص طرفةً من الزمن واختلجت اعضاؤهُ سألهُ الاستاذ عما انكشف لهُ من وراء حجاب الغيب فاجاب انهُ يتكلم بلسان روح جورج بلهام المشوق الى عناق والده فسألهُ والدهُ بلسان الاستاذ فنوت ان يذكر الامور الخطيرة التي وقعت لهُ في حياتهِ فذكر شيئًا منها بلسان الوسيط وأتى على وصف غرفتهِ وتحديد ما يجاور دار والدهِ من البيوت والرياض فدفع الاستاذ الى الوسيط قلمًا وقرطاسًا فصارت يدهُ تكتب ما ينزل عليهِ من حديث الروح جوابًا على خطاب والدهِ فكتب العبارات الآتي تعريبها "لقد استيقظت الآن لادراك ما في الخلود من الحقائق فاحسبني كنت لاول الامر في ظلام حالك بما استولى عليَّ من هول الموقف في عالم الارواح وسيكون من همي ان اراكم واحادثكم حينًا بعد حين فانني اسمع ما تقولون واصواتكم تقع على مسمعي كاصوات الدفوف واما صوتي فيكاد سمعكم لا يدركهُ لضعفهِ وانخفاضهِ" كل ذلك والوسيط يرقم العبارات بسرعة غريبة وعيناهُ تنظران الى الاعالي فلما فرغ من الكتابة وقع القلم من يدهِ وتدلت فقال والد بلهام مخاطبًا روح ولدهِ "يا بنيَّ أَذهشتَ اذ نظرت نفسك حيًّا بعد الموت" فاختلجت يد الوسيط ثم عادت وتناولت القلم ورقمت الجواب الآتي "ادهشني ذلك ولاسيما اني لم اكن اعتقد بالحياة الآتية بل حسبت ذلك فوق ادراك البشر فاننا معاشر الارواح اذا انفصلنا عن الجسد المادي ارتدينا الجسد البخاري الشفاف" وهنا سكت الروح عن الكلام. ولقد قدمنا ان محادثة الارواح ضربٌ من النوم العصبي فلا حاجة الى الاعادة

اما ظهور الارواح فلا يسمح لي ضيق المقام ان اذكر حوادثهُ تفصيلاً لان كثيرين من علماء هذا الفن يتوسلون الى اظهار الاجساد البخارية الشفافة بطرق الشعوذة والتمويه يتخذون المرايا وانعكاس النور سبيلاً الى تمثيل جسد الاسكندر او ارسطو او ابقراط وسواهم من الفلاسفة والمشاهير انما بقي عليَّ ان أُلمَّ بمحادثة الارواح القارعة والموائد الدوارة . اما هذه فقد عمَّ استعمالها واستأنس الجميع باسرارها فانما هي عبارة عن مائدة مستديرة ذات عمود واحد ينتهي بثلاث ارجلٍ تسهيلاً للحركة يحدق بها ثلاثة او اربعة او اكثر من الناس يضعون اطراف اناملهم عليها ويشخصون برهة من الزمن فلا تلبث ان تتحرك فيرفعون اياديهم عنها فتدور على ارجلها متقدمة الى الامام ويعلم الجميع ان هذه الحركة تنشأ في الغالب عن فعل فاعلٍ يدفع المائدة بخفة فتدور على نحو ما تقدم وكثيرًا ما يكون الفاعل وسيطًا يجلس بين هؤلاء ويفعل ذلك بامر الاستاذ لما لهُ من السلطة عليهِ كما يحصل في النوم العصبي وقد اسلفت ان لمزاولي هذا الفن منتدياتٍ وهياكل وصلوات فاذا اجتمعوا لمحادثة الارواح تلا الاستاذ

الصلاة الآتية " نسأل الله القادر ان يبعث الينا بالارواح الصالحة هدًى واستصلاحاً ويقصي عنا الارواح الخبيثة فيقينا حبائل مكرها وتجاربها وان يرشدنا بنوره " — الى ان يقول — " ايتها الارواح الصالحة ارشدينا سواء السبيل وانفي عن اذهاننا حبَّ الذات والكبرياء والحسد لنتجاوز عمن اساء الينا من امثالنا "

وقد حار الناس في اواسط القرن التاسع عشر في امر الارواح القارعة وفي ما أتى الوسطاء في محادثتها فلقبوهم بالعجائبيين ولم يصلوا بعد طول البحث وزيادة التدقيق الى رفع براقع التمويه عما استنبط هؤُلاء من الحيل لستر اعمالهم وممن نبغ في الفن عقيلة فوكس وابنتاها نحو سنة ١٨٥٢ في الولايات المتحدة فقد أتينَ اعمالاً طار ذكرها في الآفاق فكثر تحدث الناس بهنَّ واكثروا لهنَّ من العطاء والرفد وبالجملة فانهنَّ كنَّ يحادثن الارواح فتجيب عن اسئلتهنَّ باصوات تقع على اسماع من حضر كقرع الابواب فان ايجاباً قرع الباب او المائدة او غيرها من اثاث البيت ثلاثاً وان سلباً صمتت الارواح . ومما يتخلل هذه المحادثات اصوات خفية اشبه بضرب الدفوف الصغيرة مما اخذ بافكار الناس واوهمهم ان وراء ذلك سرًّا لا تدركهُ الا الارواح الهائمة في الفضاء الى ان اتصل الدكتور شيف الى كشف هذا المعمَّى بحضرة المجمع العلمي بباريس فاثبت ان تلك الاصوات انما تصدر عن جسد الوسيط يحدثها بتحريك عضلة من عضلات جسده بصورة خفية بقبض ربلة الساق ودفعها على عظم الساق تباعاً فتحدث اصواتاً كقرع الابواب او ضرب الدفوف ومثلها فلكة الركبة اذا دفعت الى الامام ثم أُعيدت ولاسيما ان مقدرة بعض الناس على تحريك بعض عضلات الذراع والاوراك وفلكة الركبة على هذا النمط ثابتة عند الاطباء . ولما شاع ذلك وذاع دعا قومٌ من الاطباء ابنتي فوكس الى حفلة وراقبوا حركة فلكة الركبة على نحو ما تقدَّم فتحققوا صدق الدكتور شيف وهكذا كشفوا نقاب الوهم عن اذهان الناس جميعاً

اما الرؤيا فهي ما يتراءى للمرء في نومهِ من الصور او يتصوَّر حدوثهُ من الحوادث فانها تتعاقب في ذهنهِ باسرع من لمح البصر يكاد يشهد منها في ثانية ما يقتضي اياماً وشهوراً اما منشأُ اكثرها فعن اخلاطٍ في معدة النائم او انزعاجٍ في وضع جسمهِ او ضيقٍ في تنفسهِ او مماسة جسمٍ غريبٍ لاعضائهِ وما يعتريهِ احياناً من عطشٍ او جوعٍ او بردٍ او مرضٍ فانها كلها تحدث تأثيراً في فكرهِ لان اشتغال الفكر في اليقظة بامرٍ معلومٍ واستقرار النفس بكليتها عليهِ انما يحدث اثراً في الدماغ والمجموع العصبي يستمرُّ في حال النوم ويتفرع عنهُ افكار اخرى لم تكن في الذهن ولا في الحسبان فقد يتفق ان يتحقق بعضها في اليقظة بعد الرؤيا بايام مما لم

يقع حتى الآن تحت الحصر الاَّ انهُ بمكانٍ عظيم من الغرابة من ذلك رؤيا زوجة يوليوس قيصر فانها حلمت بقتل زوجها ونصحت لهُ ان يجتنب الخطر المحدق بهِ فلم يعبأ بكلامها فمات مقتولاً ورؤيا قارون اذ حلم ان ابنهُ آتيس لا يموت الاَّ قتلاً فاصابهُ سهمٌ قتلهُ اذ كان يصيد . واغرب من هذا ما وقع للموسيقي الشهير ترتيني فانهُ قصَّر في اليقظة عن تأليف احد اصواتهِ الشهيرة فادركهُ النعاس وهو في الجهد والعناء فاتاهُ ابليس في نومهِ وقال لهُ " ان سلطتني على نفسك اسمعتك ما شئت من الاصوات وفرَّجت كُربتك " فاجابهُ ترتيني الى ذلك فأخذ ابليس القيثار واسمعهُ الصوت الذي لم يقتدر عليهِ فاستيقظ ترتيني ورقم للحال ما سمع في نومهِ فاذا هو الصوت الذي يريدهُ . وقد ذكر ڤولتير انهُ حلم ليلة بعدة ابيات من المنريات قصيدتهِ المشهورة . والامثال على ذلك كثيرة لا يسعنا المقام تعدادها . ومما يزعمهُ فلاماريون ان الفكر لا ينام تماماً وان استولى عليهِ فتور اي ان عملهُ قد يكون اذ ذاك محصوراً في ذاتهِ لا تشعر النفس بهِ ولا يرسم منهُ شيء على لوح الذهن وان المرء لا يذكر من احلامهِ الاَّ النزر اليسير مما يكون قد احدث اثراً عظيماً في نفسهِ وقد لا يذكر هذا ايضاً كما انهُ لا يذكر من الافكار التي تتعاقب في ذهنهِ وهو في اليقظة الاَّ ما يكون اثرهُ باقياً في مخيلتهِ فاننا اذا ايقظنا انساناً مستغرقاً في نومهِ قام وحدثنا بامورٍ وافكارٍ قد تكون متضاربةً وقد تكون منسوقةً بما يسند الدليل على ان عمل الفكر يستمرّ في حالة النوم ايضاً وخالفهُ في ذلك كثيرون من نُطس الاطباء . ونحن نرى ان مثل هذه الاحوال يتعذَّر تمحيصها وتنقيتها مما يشوبها من داخلة الريبة والغموض . هذا ما وقفت عليهِ في هذا الباب من خطرات افكار العلماء وزبدة آراء الفضلاء رويتهُ لكم على مكان بعضهِ من الغرابة والله اعلم بمكنونات الامور . انتهى

رواية امينة

الفصل الرابع

ونهضتُ في الصباح بعد ليل لم اذق فيهِ طعم الكرى واخذت أَلبس ثيابي وفتح الباب ودخلت بوار وقالت اذنت لنا الهانم ان نزور بيت حميدة فالبسي حالاً وهلمي معي. قالت ذلك وخرجت مسرعةً . فسررت بهذا الخبر لانني كنت اودُّ الخروج من البيت وقبل ان لبست يشمكي دخلت وحيدة هانم وقالت بلغني انكِ ذاهبة فاتيت لاساعدك اجلسي لكي اضع لكِ اليشمك . ثم جعلت ترتب شعري ووضعت اليشمك على رأسي وشكلتهُ على حسب ذوقها

وقالت لي لا اخفي عليكِ يا امينة ان داود بن حميدة استأذن امي في ان يكتب كتابهُ عليكِ ثم لما قالت بوار امس انكِ ذاهبة اليوم الى هناك اخبرت امي ابي بذلك وسألتهُ عما اذا كان ذهابكِ الى هناك لائقاً . فقال ان لا مانع من ذهابكِ لانهُ لم يُكتب كتابكِ حتى الآن . وستخبر بوار حميدة ان الكتاب يكتب في الاسبوع القادم

فقلتُ مضطربة " أيكتب كتابي "

فقالت نعم ولماذا خفتِ فان هذه هي مشيئة جدتك وقد اتفقت هي وحميدة على ذلك

فوضعت رأسي على يدي ولم أفه بكلمة وكنت اعلم اني لا اقدر ان اقول شيئاً لا سلباً ولا ايجاباً ولكن كانت حواسي كلها نافرة وانا اقول في نفسي كيف اقترن برجل وانا احب آخر

ولما رأت وحيدة هانم مني ذلك قالت لي بالله عليكِ لا تظهري هذا النفور امام احد لئلاَّ يظن انكِ لا تريدين ان يكتب كتابكِ عليهِ فيكثر القال والقيل . ارفعي رأسكِ ودعيني اصلح شعركِ ثانية ولا تعملي مثل المجانين ولا بدَّ لكِ من الزواج فان لم تسرَّ حميدة بمنظركِ فلا يمكن ان ترضيها بعد ذلك

ثم اوقفتني امام المرآة ونفشت شعري قليلاً ووضعت عليهِ عزيزية وردية ثم وضعت اليشمك وكانت حمرة الخجل قد صبغت وجنتيَّ فلم يسعني الاَّ ان اعترف لنفسي باني كنت يومئذٍ جميلة المنظر ثم عقدت نطاقي وألبستني الفرجية ودخلت بوار حينئذٍ فتركتني وحيدة هانم معها

وخرجنا من البيت سوية وسرنا حتى بلغنا السلاملك وكان المماليك مجتمعين هناك فكلم واحد منهم بوار بالشركسية فلم تجبهُ فقال بالتركية مازحاً انسيتِ لغتك يا حبيبتي وما عدتِ تتنازلين لمخاطبة رجل مثلي . فقال لهُ آخر وكنت سمعت انهُ ابن عمها " الحق في يدها لماذا تخاطبنا ونافذ بك امام عينيها — متى تصيرين كنة الباشا يا عزيزة "

فقالت لهُ " حينما تصير انت صهره ولكن دعنا من المزل يا شاكر آغا وتعال معي الآن ان امكن " . فقال لا اظن ذلك ممكناً لان الباشا لم يخرج حتى الآن ولكنني سأتبعكِ بعد خروجهِ فالى اين انتِ ذاهبة . فقالت الى اجيا صوفيا وننتظرك على الجسر . فقال نعم وهوذا مركبة الباشا فاسرعا من هنا

فخرجنا وسرنا وقلت لبوار لماذا طلبتِ من هذا الرجل ان يتبعنا . فقالت وما هو الضرر من ذلك فهو ابن عمي ويحق لي ان اتكلم معهُ. فقلت ولكن انا لا يحق لي . فقالت بالله عليك ماذا تفعلين في قريتكِ ألا تكلمين الرجال

فلم اجبها بشيء ولكنني شعرت بنفسي اننا لم نحسن في الكلام معهُ . وكنت اعلم ان

الجواري يمكن هؤلاء المماليك كما لاحت لهنّ فرصة ويشعرنَ بقرابة تربطهنّ بهم لانهم كلهم من بلاد واحدة . وبقينا ماشيتين الى ان بلغنا الجسر وبعد قليل وصل الينا شاكر آغا ومشى معنا وكانت بوار تكلمهُ بالشركسية وذكرا اسم نافذ بك مرارًا فانشغل بالي من جرَّاء ذلك لانني حسبتها تخبره بما خامر ذهنها من حبهِ لي . ثم عادا الى التكلم بالتركية . فقال لها لا اقدر ان ارشدك الى احد ولكن قيل لي ان واحدة كانت تسكن في آت ميدان . فقلت لها ماذا تريدين . فقالت مرادي ان امضي الى امرأة ساحرة ويقول شاكر آغا ان في آت ميدان عرَّافة ساحرة ثم التفتت اليهِ وقالت أبعيد المكان من هنا . فقال كلاَّ بل هو قريب جدًا قرب السر عسكرية ثم قال لي ما قولكِ يا امينة هانم . فقلت كما تريد بوار . ولم اكن اريد ان نذهب الى هناك ولكن تعذَّر عليَّ ان ابدي رأيي . وظهر لي ان شاكر آغا يعرف الطريق الى العرَّافة جيدًا مع انهُ ادَّعى انهُ لا يعرفها حتى اذا بلغنا باب بيتها قرع الباب بعصاهُ ففتح لنا وأُدخلنا الى غرفة العرافة واذا هي جالسة امام منقل فلما وقع نظرها علينا نهضت وطرحت قليلاً من البخور في النار . واسرَّت بوار في اذني قائلةً اطلبي منها ان تخبرك عن بختك اولاً فانفضت رأسي وانا اقول في نفسي انها ان كانت عرَّافة افشت من سري ما لا اريد افشاءهُ وان لم تكن فلا فائدة من كلامها . فتقدمت بوار اليها وقالت لا اريد ان تبصري لي بختي ولكن ان تساعديني في امر اخبرك بهِ سرًّا . ثم مشت معها وابعدتا عنا وعادت بوار بعد قليل وجعلت تكلم شاكر آغا بالشركسية . وفهمت حينئذٍ ان بوار طلبت من العرَّافة ان تكتب لها عوذة لكي يحبها نافذ بك فاسفتُ جدًّا لانني اتيت معها ولكنني عدت ولمت نفسي على ذلك وقلت خير لهُ ان يحبها ويقترن بها لانهُ لا يغيظ احدًا اذا فعل ذلك اما انا فلا امل لي بهِ على الاطلاق ولا بدَّ لي من احتمال بعادهِ بالصبر مهما كان مرًّا . وعادت العرَّافة وبيدها ورقة ملفوفة وقالت لبوار اطمروا الورقة الحمراء تحت عتبة غرفتهِ لكي يمشي من فوقها . فذعرت بوار من ذلك وقالت لها ان تخفض صوتها تخفضتهُ واعطتها ورقة بيضاء وقالت لها عنها شيئًا لم اسمعهُ واعطتها بوار جنيهين وانصرفنا من بيتها

ولما خرجنا اعطت بوار الورقتين لشاكر آغا فاخذهما منها ومضى وسرت انا معها الى بيت حميدة فاستقبلتنا بمزيد الترحاب وانفردت بوار بحميدة وابلغتها وصية الهانم وكنت اعرف مؤدَّاها وقد سلمتُ امري للاقدار ورأيت شيئًا من السلوى في المقابلة التي قابلتني بها حميدة وزوجها فانهما قابلاني كوالدين حنونين ذكَّراني بابي وامي . وقلتُ في نفسي انهُ اذا امكنني ان اسلو نافذ بك عشت معهما عيشة الرضى والسرور . ولم ارَ داود في البيت لان اباهُ اخبرهُ بمجيئنا

فبقي في السوق . ثم اشارت علينا حميدة ان نذهب الى النزهة بعد الظهر فلما خرجنا من البيت كان داود جالساً في قهوة قريبة فمشى وراءنا لحراستنا . والتفتُّ اليهِ مراراً فرأيتهُ بشوش الوجه مثل ابيهِ لكنهُ عريض الحاجبين حتى اذا بلغنا الجسر نادى امهُ وقال لها اننا ان كنا نريد الذهاب الى ايوب سلطان فيمكنهُ ان ينزلنا في قارب من هناك فسرَّت بوار بذلك ونزلنا في قارب وقطعنا الى الجهة الاخرى من البسفور الى ايوب سلطان وكنت كلما التفت اليهِ اراهُ ناظراً اليَّ

ومررنا بين القبور في ايوب سلطان وكان الحر شديداً جداً فاخترت بقعة فيها حشيش وجلست فيها لاستريح. وكان الازدحام شديداً في المقبرة ورأيت بين الناس كثيرين من ذوي المقامات العليا على غير المعتاد فاخذت اسلي نفسي بقراءة ما على القبور من الكتابة ثم جعلت افكر في ما آل اليهِ امري وبينما انا غائصة في بحار الافكار سمعت صوتاً مألوفاً فالتفت واذا نافذ بك ماشٍ مع ياورٍ من ياورية السلطان وللحال خطر ببالي ما سمعتهُ البارحة عن موت ابن يوسف باشا ومجيءِ نافذ بك في جنازتهِ بالنيابة عن ابيهِ. وكنت اعلم اني لم اجنِ ذنباً بمجيئي الى هذا المكان ولكنني لم ارد ان نتقابل فيهِ فقمت بعد ما مرَّ والتفت الى بوار وحميدة فلم ارهما ولكنني رأيت داود واقفاً على بضع خطوات مني متكئاً على شجرة والظاهر انهُ كان يحرسني .وكنت اعلم انهُ لا يليق بي ان اكلمهُ ولكن قضت الضرورة عليَّ وقلت انهُ يعلم ذلك و يغتفرهُ فتقدمت اليهِ وقلت لهُ اين امك و بوار . فقال لا اعلم اتريدين ان نتبعهما . فقلت نعم لان نافذ بك هنا والاحسن ان لا يرانا فقال اذاً اذهب وادعوهما فهل يغتاظ اذا رآك هنا. فقلت اظنهُ لا يريد ان يرى جاريتهُ هنا

فلم يفهم كلامي جيداً على ما ظهر لي ولكنهُ فهم اني اريد ان يدعو امهُ وبوار فدار وقال لا اعلم اين ذهبتا ولكنني امضي وافتش عنهما قال ذلك ودار ومضى وسمعت حينئذٍ واحداً يناديني باسمي فالتفت واذا نافذ بك ورائي والغيظ في وجههِ فقال لي من هذا الرجل ولماذا انتِ هنا فقلت لهُ ان امك سمحت لنا بالذهاب الى بيت حميدة ثم اتينا الى هنا للنزهة . فقال ولكنكِ لم تجيبيني عن سؤالي الاول وهو من هذا الرجل الذي كنتِ تتكلمين معهُ

فقلت هو داود بن حميدة وقد ارسلتهُ ليفتش عن امهِ و بوار

فقال لماذا بعدتِ عنهما وكيف تمشين وحدكِ مع رجل بلغت الوقاحة منهُ ان طلب الاقتران بكِ

فلم اجبهُ لأنَّ كلامهُ اغاظني جداً ولم اكن انتظر ان يكلمني بمثل هذا الكلام مهما كان فضل والديهِ عليَّ كبيراً لاني لست جارية من جواريهما

ولما رأى اني لم اجبهُ قال أتريدين ان تقولي لي انكِ تعرفين ابن البقال هذا من زمان طويل وانهُ طلب الاقتران بكِ برضاكِ

ولما سمعت منهُ هذا الكلام ورأيت ما فيهِ من الكبر والخيلاءِ اخذتني الانفة وقلت لهُ ان كان هو ابن بقال فانا ابنة حداد

فقال مزدريًا احسنتِ ويسرّني انكِ عرفتِ مقامكِ ولكن ما دمتِ في دارنا يجب عليكِ ان تعرفي شروط اللياقة فلا يناسب سمعتكِ ان يقال انكِ كنتِ تتكلمين مع حبيبكِ وحدكما في مثل هذا المكان

فلجمتُ لساني عن اجابتهِ ووقف هو صامتًا برهةً ثم قال كنت اظنكِ افضل من هؤلاء الشركسيات فاخطأت ولذلك ارجو ان تنسي كل ما اطلعتكِ عليهِ. ثم ادار وجههُ عني وقد آلمني قولهُ ألمًا انطق لساني غضبًا عني فقلت لهُ "لا حقَّ لك يا مولاي ان تكلمني بمثل هذا الكلام اما من جهة ما تطلب مني ان أنساهُ فانا افعل حسب طلبك عن طيب نفس لان ما اطلعتني عليهِ قد آلمني اكثر مما سرّني"

ولم التفت الى وجههِ حينما قلتُ هذا القول ولذلك لا أعلم ما كان تأثير كلامي فيهِ ووصلت حميدة وبوار حينئذٍ وجعلت حميدة تسلم عليهِ فلم يلتفت اليها بل امر بوار ان تعود الى البيت حالاً لان الشمس كادت تغيب ولا تصل الى البيت قبل العتمة . فمشينا وكانت بوار وحميدة تتأسفان لانهُ التقى بنا هناك اما انا فكنت لا أعي على شيءٍ لفرط ما حلَّ بي من الغيظ والكرب ونزلنا في قايق حتى اذا وصلنا الى قباطاش شكرت بوار داود وافترقنا ونظر اليَّ داود نظر المستفحص ليعلم سبب اضطرابي فتجلدت على قدر طاقتي وكاد وجهي يحترق من الخجل

ومرَّ بنا نافذ بك بقايقهِ ونحن في البوغاز وكان في قائقهِ اربعة رجال يجدفون فوصل الى البيت قبلنا فلما دخلنا اوقف بوار وقال لها رأيتك في الصباح قرب السرعسكرية مع شاكر اغا ثم رأيتك في المساء مع داود في ايوب سلطان فهل تظنين انني اسكت عنكِ وانت جارية من جواري ابي

ولما قال ذلك امتقع وجه بوار وارتخت مفاصلها حتى كاد يغمى عليها فاستندت يدها على كرسي وقالت يا سيدي وكأنها قصدت ان تنكر ذهاب شاكر آغا معنا فقال لها نافذ بك اياكِ والكذب فاني سألت شاكرًا عنكِ فاخبرني لماذا ذهبتِ والى اين ذهبتِ . وانتِ تعلمين اني اذا اخبرتُ امي ضربتكِ حتى الموت . ولكن الذنب ليس كلهُ عليكِ ولذلك لا اخبر امي واياكِ والذهاب مع امينة مرة اخرى اذا ارادت ان تذهب الى العرافين ليكتبوا لها عوذ المحبة

فقال علي بك اني اشفق عليهم لانهم يحسبون انهم سائرون في طريق التمدن وان هذا هو الاقتداء بالافرنج

وقال نصرالله باشا لقد اصاب ادهم ولا اعني بذلك انهُ يجب ان نرجع الى الوراء ونتمثل باسلافنا الذين كانوا منذ تسعين سنة ولكن لا ارى احتقار لغتنا وامتنا من التمدُّن في شيءٍ

فقال علي بك . ثم ان لغتنا نفسها لم تبقَ على ما كانت عليهِ بل اتسعت وتهذبت ألا ترون انهُ لم يكن فيها كلمة "شرَف" فأُوجدت فيها وشاع استعمالها

فقال نافذ بك متهكماً كان معناها موجوداً ولفظها مفقوداً اما الآن فوُجد اللفظ وفقد المعنى

فالتفت اليهِ ادهم بك وقال لهُ ما شاء الله هذا تغيير جديد في نافذ والظاهر انهُ سيترك حزبهُ وينضم الى حزبنا

فقال نافذ بك كلاَّ لا اريد الانضمام الى هذا ولا الى ذاك لاني لا افهم ما هي مطالبها وقد رأيت كثيرين من حزب تركيا الفتاة يتزلفون الى الترك القدماء ورأيت كثيرين من الترك القدماء يبعثون اولادهم الى اوربا لكي يربوا على الاخلاق الاوربية ثم يعودون عليهم باللائمة لانهم لم يبقوا مثل اسلافهم يبصقون على كل مسيحي ويحسبون الحكومة الدستورية خراباً للبلاد

فتهلَّل وجه علي بك وقال نشكر الله صار نافذ بك يبحث في السياسة . ولم اكن اعلم من اي حزب انت فهلمَّ اخبرنا ما هو رأيك في الاحوال الحاضرة

فانغض نافذ بك رأسهُ ولم يجب بشيءٍ . وقالت ولية هانم ان نافذ بك غير راضٍ عن شيءٍ منذ شهر من الزمان فلا ترسلوهُ الى الاناطول مرةً اخرى لان القصاص يقع علينا اخيراً

فالتفت نصرالله باشا اليهِ وقال اراك يا نافذ كأنك مريض فهل كان الحر شديداً في ايوب سلطان

فاجاب نعم كان شديداً جداً وبقينا هناك ثلاث ساعات ازهقت ارواحنا لان قبو المقبرة انصدع فاضطررنا ان نصلحهُ قبل الدفن فيهِ

فقالت امهُ اظنك كنت واقفاً في الشمس ويظهر لي كأنك مصاب بصداع في رأسك يا ولدي

فقال لها ما بي شيءٌ يا امي كوني مطمئنة وما هو الاَّ تعب يسير يزول بالراحة . فقالت عسى ان يكون الامر كذلك ولكن يظهر على وجهك انك مريض

ولما قام ليذهب نظرتُ اليهِ فاذا وجههُ كالتراب وحول عينيهِ دائرتان سوداوان فنسيت كل ما بدا لي منهُ من الاساءة واخذت لكن الفضة ودنوت منهُ عازمة ان اكون البادئة في الصلح فنظر اليَّ وقال لا تتعبي نفسكِ ونادى الجارية مريم وقال لها خذي اللكن

منها . فاعطيتها اياهُ وسرت الى الشباك لاخفي ما جال في عينيَّ من الدموع وانا اقول في نفسي ما عاد يحسبني اهلاً لشيء ولا لخدمتهِ

وشغلنا في اليوم التالي بالحزم والرزم وخرجت في العشيَّة الى الحديقة فرأيت فيها ادهم بك ونافذ بك وكان نافذ بك قد اخذ يوسف ابن اخيهِ ووضعهُ على شجرة وهو طفل رضيع ووقفت امهُ ولية هانم امامهُ تتوسل اليهِ ان ينزلهُ لئلاَّ يقع . ولما وصلتُ دار والتفتَ اليَّ فبان لي كانهُ مريض فانهُ كان غائر العينين احمر الوجنتين مقطب الجبين ولما وقعت عينهُ على عيني حوَّل نظرهُ عني مغتاظاً وقال لامرأة اخيهِ سأترك الولد حيث هو لانهُ يجب ان يتعلم ان يبقى وحدهُ.
فقالت ليس على الشجرة بالله عليك انزلهُ والاَّ وقع خذيهِ منهُ يا امينة فانهُ يسمع منكِ

فوقفتُ حيرى لا ادري ما افعل لكن نافذ بك لم يتركني في حيرتي بل انزل الولد حالاً ووضعهُ على الارض وجلس بجانبهِ وقال لامهِ اطمئني عليهِ ولا ادري ما يريبكِ مني كأن لي ثاراً عليهِ حتى تخجنّي اذا مسكتهُ خمس دقائق

فقالت ما حيلتي وانت تنسى ان يديهِ ورجليهِ ليست من حديد ولا اريد الاَّ ان تتزوج لأرى كيف تعامل اولادك

فقال ديري لي العروس وانا اتزوَّج اكراماً لخاطركِ

فقالت ما لنا وللهزل لماذا لا تقول لامك لتدبر لك عروساً فقد حان الوقت

فقال قولي لها عن لساني ولكني اخاف انها لا تأخذ على نفسها هذا الامر الشاق . وقد كتبتُ مرةً قائمة الاوصاف التي اتطلبها في زوجتي واطلعت وحيدة عليها

فقالت وحيدة لم تطلعني انا لان ليس لي الشرف ان اؤتمن على اسرارك ولكني اظنك اطلعت امينة عليها

وخفت ان تكون عنت شيئاً بهذا الكلام فنظرتُ اليها ولما لم ارَ منها اقل اشارة نظرتُ اليهِ وكان مستلقياً على الارض ويداهُ تحت رأسهِ والطفل جالس بجانبهِ يلعب بساعتهِ والظاهر ان كلام اختهِ جعلهُ يظن ما ظننتُ انا فنظر اليها مستفسراً ثم قال لا فرق عندي في مَن اطّلع عليها اولاً وانا مستعدٌّ ان اتلوها عليكِ الآن اذا شئتِ . فقالت افعل اكراماً لخاطري فقال يجب اولاً ان تكون جميلة جميلة مثل — والتفت الى مَن حولهُ ليرى بمن يشبهها ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ثم قال مثل ولية لاني لا ارى لماذا تكون امرأة اخي اجمل من امرأتي

فضحكت وحيدة وقالت اشكري صهرك ياولية اما انا فلا أُعدُّ بين الجميلات . مسكين بك افندي فان ذوقهُ لا يعتدُّ بهِ

فقال كلاَّ ولو كنتُ مكانهما كنتُ أُقدِم على الاقتران ببنت نصر الله باشا ولاسيما بعد ان رأى ما رأى من اغا بك ومني

فقالت لهُ لماذا وما هو عيبك

فقال أَلا ترين ما بي من العناد فلا بدَّ من ان يكون فيكِ بعض ما فيَّ واذا كنتُ على ما اقول فلا يحسن ان اقترن بامرأة عنيدة بل لا بدَّ من ان تكون امرأتي مثل المرأة التي يحكى عنها في القصص انها تنتظر زوجها في الباب والخبز والماء في يدها

فقالت ولية والعصا في اليد الاخرى لكي يأكل ويشرب ثم يضرب فان كان الامر كذلك يا حبيبي فلا عجب اذا كانت امك تستعفي من تدبير الزوجة لك وارجو ان تعفيني من القيام مقامها

فقال احسنتِ وهذا يريحني منكِ ومنها . وانتَ يا ابني الله يعطيك العافية

وكان الطفل قد اخذ يرجح الساعة بسلسلتها ثم ضرب بها ساق الشجرة

فصرخت ولية هانم ماذا فعل ماذا فعل هل كسرها فجعهُ الله لماذا اعطيتهُ اياها

فقال هل اقدر على ابنكِ وهو ابن والديهِ نعم كسرها قولي لزوجك ان يشتري لي ساعةً بدلاً منها

واخذ الساعة من الطفل فوضع الطفل اصبعهُ في فيهِ وتهيأ للبكاء فقال لهُ كلاَّ كلاَّ خذ الساعة والف ساعة لا تسمعنا صوتك لان رأسي يكاد ينشق

فالتفتت وحيدة اليَّ وقالت لي لا احد يقدر ان يسكت هذا الولد غيركِ . فتقدَّمت لآخذهُ من يدهِ وقبل ان وصلت اليهِ نهض على قدميهِ ودنا من اخيهِ واعطاهُ الطفل قائلاً انت اقدر من غيرك على تسكيت الناس . فاخذهُ ادهم بك منهُ واعطاهُ لزوجتهِ وقال لها لا تسليهِ اياها اذا اردتِ ان يبقى سليمًا ونشكر الله لان نافذًا يمل من لعبهِ ويتركها سريعاً . فقال نافذ بك نعم ولكنهُ لا يكسر قلوبها ولا ارجلها . فالتفت ادهم بك اليَّ ولم يقل شيئًا ثم جلس بجانب امهِ وقال لها ايمكننا ان نذهب غدًا . فقالت " نعم ولا بدَّ من الذهاب غدًا فان نافذًا مريض ولو انكر ذلك والتغيير يفيدهُ " . والظاهر ان نافذ بك لم يستطع الوقوف فجلس حالاً ولكنهُ قال لامهِ لست مريضًا كما تظنين نعم اني اشعر بشيء من الصداع ولكنني غير مريض اما اذا اردتِ انتِ وابي ان تصرَّا على كوني مريضًا فلكما ذلك

فقالت نعم وقد لحظ ابوك منك ذلك البارحة وقال انك ستمرض . فقال اشكر فضلهُ وعسى ان يبقى ينظر اليَّ هذا النظر فلا يعاملني كما عاملني اخيرًا

فقالت لهُ ولية لقد ذكَّرتني الآن فقل لنا ماذا قلت لهُ

فقال لم اقل شيئاً بل وقفت امامهُ مصاباً بالخرس لاني أحكم من ان اتجاسر على مجاوبتهِ فقالت اذاً ماذا قال لك هو . فقال قال لي اني مجنون فلم يفدني شيئاً جديداً لاني علمت ذلك من نفسي والآن ما لنا ولهذا الحديث هلمَّ الى السلاملك اغابك فقد حان وقت العشاء

ولما سارا التفتت وحيدة هانم اليَّ وقالت لي ماذا جرى لهُ يا امينة . فقلت لها ما حضرني من الجواب بصوت منخفض فاكتفت بهِ ولم تعد تسألني ومن ثم لم يعد نافذ بك يكلمني ولا يلتفت اليَّ

الفصل الخامس

في اليوم التالي بعد وصولنا الى المصيف اضطرَّ نافذ بك ان يسلّم بانهُ مريض واشتدَّت الحمى عليهِ واستُدعي الطبيب فقال ان الحمى دماغية ورجح ان سببها وقوفهُ في الشمس زماناً طويلاً في ايوب سلطان . فانقلب السرور الى غم واضطرت هانم افندي ووحيدة هانم وولية هانم ان يلازمنَ غرفتهُ نهاراً وليلاً . وكأَن هانم افندي آلت على نفسها ان تنقذ ابنها من هذا المرض ولو فدتهُ بنفسها فجلست امام سريرهِ لا تطرف لها عين ولا تنزل لها دمعة وزاد اكرامي لها لما رأيتها ساهرة على ابنها وبيتها معاً تدير العبيد والخدم كانهنَّ ساعةً في يدها . وكاد قلبي ينصدع حزناً وغمًّا ولكني لم اكن لاعبأ بما حلَّ بي لان قيامي على جدتي وهي مريضة علمني تمريض المرضى وجعل لي شيئاً من النفع . وغاب نافذ بك عن وعيهِ حالاً ولكن خدمتي لهُ كانت تريحهُ جداً ولما رأت هانم افندي ذلك لم تعد تسمح لي بالخروج من غرفتهِ فشكرت الله على ذلك والاَّ لجننت

مَن جلس بجانب مريض عزيز لديهِ يعدُّ الساعات والدقائق و يرى علامات الصحة والمرض والقوة والضعف تتناوب امام عينيهِ و يشعر كأن ملاك الموت يرفرف فوق عزيزهِ وهو يحاول ابعادهُ عنهُ بكلتا يديهِ يعلم الحالة التي كنت فيها والكرب الذي كنت فيهِ يوماً بعد يوم الى ان قال الطبيب انهُ جاز الخطر

ومضت ايام البحران كلها ولم يلفظ اسمي مرة ولا اشار اليَّ ولو اشارة لكن ذلك لم يؤلمني ولا كان لي وقت لافكر فيهِ

وذات ليلة صلحت حالهُ حتى اقنعنا هانم افندي بان تمضي الى غرفتها وتنام ولو ساعة من الزمان . فرضيت وتركتني بجانب سريرهِ لانها لا تركن الى الجواري . ومضت ربع ساعة وانا انظر اليهِ واسأل نفسي ترى هل كُتبت لهُ السلامة واذا بادهم بك قد دخل ولما احتفزت لاقف لهُ اشار اليَّ ان أبقى جالسة ووقف ينظر الى اخيهِ وكان قد صار جلداً وعظماً وكأنهُ كان مثلي قليل الامل بشفائهِ . وتحرَّك نافذ بك حينئذٍ وفتح عينيهِ ونظر اليَّ ولم ينظر الى اخيهِ

وهذه اول مرة رأيتهُ نظر اليَّ وعرفني ثم قال لي يا امينة يا حبيبتي أأنتِ هنا اظنني مضى عليَّ زمان طويل وانا مريض تعالي الى هنا تعالي ودعيني الثم وجنتيكِ . تحيرت في امري لكن ادهم بك نظر اليَّ وقال قومي اكراماً لخاطري قومي لاننا لا نستطيع ان نخالفهُ الآن والاّ عرَّضنا حياتهُ للخطر . فقمت مكرهة وادنيت وجهي منهُ وانا اكاد اذوب خجلاً وشعرت كأن شفتيهِ متقدتان وكأني ارتكبت جريمة لا تغتفر . اما هو فتبسم اولاً ثم عبس وقال ألم تخاصم نعم ولكنني نسيت السبب نسيت السبب . كم مضى عليَّ وانا مريض اغا بك . فدنا ادهم بك منهُ وجعل يمهد وسادتهُ وقال لهُ مضت مدة طويلة توجب عليك الراحة التامة والآن يجب ان تنام ولا تتكلم . فقال امرك واغمض عينيهِ . فدار ادهم بك اليَّ وقال " نجا من الخطر ان شاء الله وانت سبب نجاتهِ يا عزيزتي ولكني ارى علامات التعب الشديد عليكِ فاين البقية " . وقد استغربت هذا التودُّد لاني لم اعتدهُ منهُ وقلت لهُ ان هانم افندي مضت لتنام . فقال سأبعث وحيدة واما انتِ فانكِ محتاجة الى النوم ايضاً . وبعد قليل دخلت وحيدة واضطرتني ان اخرج وانام فخرجت ومضيت الى غرفتي عن طيب نفس لانني شعرت بالحاجة الشديدة الى الراحة وقلت في نفسي انهُ لا يمكنني ان ابقى على خدمتهِ ما لم استرح

وحاولت النهوض في الصباح فلم استطع لاني كنت مصابة بصداع شديد واخبرتني كنجه ان الطبيب حضر وقال ان نافذ بك نجا من الخطر وانهُ صار في حالة النقه فعزمت ان ابقى في سريري ذلك اليوم لانني رأيت انهُ يسهل الاستغناء عني فبقيت النهار كلهُ وشعرت في المساء بشيء من الراحة فنهضت ومضيت الى غرفة نافذ بك فرأيتهُ نائماً وجلست بجانب هانم افندي ولم اكد اجلس حتى ضمتني الى صدرها وقبلتني فاستغربت ذلك منها وقلت في نفسي ماذا جرى حتى عطفت عليَّ الآن . وبعد دقائق قليلة فتح نافذ بك عينيهِ ونظر الى امهِ ولما رآني الى جانبها دار وجههُ ودخلت ولية هانم حينئذٍ ووقفت فوق رأسهِ وقالت لهُ اراك احسن كثيراً فقال نعم ولكني ضعيف جداً اين اغا بك ولم يكد يتم كلامهُ حتى دخل ادهم بك ودنا منهُ وقبل ان يكلمهُ التفت اليَّ وقال اظنكِ كنتِ مريضة من كثرة التعب والتفت نافذ بك اليَّ ايضاً وقال لماذا تتعبونها . فقالت لهُ ولية هانم كانت تمرّضك كل هذه المدة ولولاها ما كنت ادري ماذا كانت امك تفعل . فقالت هانم افندي نعم وليس بيننا من هي امهر منها في التمريض ومع اهتمامها الشديد بك لم يضع رشدها مثلنا . فلم يقل شيئاً بل التفت الى اخيهِ وطلب منهُ ان يقرأ لهُ فامسك ادهم بك صحيفة وجعل يقرأ فاغمض عينيهِ ثم فتحهما ونظر اليَّ كأنهُ لم يكن يسمع شيئاً . وحينئذٍ دخل نصر الله باشا وعلي بك فقال نافذ بك لاخيهِ كفاك

يا اخي فاني اشعر بالنعاس وانتِ يا امي اذهبي ونامي ولا داعي لان يبقى عندي الاَّ جارية من الجواري فقالت هانم افندي ان امينة تبقى هنا لانها استراحت النهار كلهُ . فقال بل هي محتاجة الى الراحة مثلي . فدار اليَّ نصر الله باشا بعين ملؤها الشفقة وقال لي لقد صدق نافذ نادوا بوار لتبقى هنا فاني لا ارى لماذا لا تخدم سيدها . فقال نافذ بك نعم وانا لا ارى لماذا لم تخدمني من اول الامر وليس من العدل ان تتعب امينة وكيف نخلص من عتب حميدة اذا رأتها هنا

ولما قال ذلك زال اصفرار وجهي وشعرت كأن الدم كاد يطفر منهُ ونظر ادهم بك اليَّ واحدقت الابصار كلها بي ونظرت هانم افندي الى ابنها نظر التوبيخ . فقال ما عدتُ اقول شيئاً ولكني لا اريد ان تقتل نفسها لاجلي اذهبي يا امينة الى سريركِ والاَّ مرضتِ واُضطر حينئذٍ ان امرّضكِ كما مرضتِني وفاءَ لمعروفكِ وانا لا استطيع ذلك مثلكِ

فخرجتُ من غرفتهِ ومضيت الى غرفتي ورميت نفسي على الديوان وقلت لقد استجاب الله دعائي فقد طلبتُ منهُ ان يحوّل قلبهُ عني نحوّلهُ فلماذا استاه من ذلك . ولكن عواطفي غلبت عقلي فاستولى اليأس عليَّ

ومضت بضعة ايام بعد ذلك لم ارهُ فيها وحدي لانهُ كان قد نقه وصارت العائلة تجتمع في غرفتهِ غالباً وكان يجتنب الكلام معي ولحظتْ ذلك ولية هانم فقالت لهُ ذات يوم " اهكذا تظهر شكرك لامينة فانكَ من حين شفيت لم تكلمها عشر كلمات كانك مغتاظ منها لانها مرّضتك " . ولحسن الحظ لم يكن احد في غرفتهِ غيرنا لان هانم افندي ووحيدة هانم كانتا قد مضتا الى غرفة الاستقبال لمقابلة بعض الزوار وكان نافذ بك يقرأُ في كتاب لما قالت ولية هانم هذا القول فرفع عينيهِ وقال لقد اخطأتِ فاني غير مغتاظ منها ولا منكر فضلها عليَّ

فقالت اذًا لماذا لا تكلمها ولماذا لا تتكلمان كلاكما على جاري عادتكما كانكما صرتما غريبين فقلْ لي ماذا جرى بينكما هل تخاصمتما

وكان متكئاً على مقعد امام الشباك ويداهُ تحت رأسهِ فقال لها اليكِ عن الهزل فان امينة ليست خادمة عندنا ولا لنا سلطة عليها بل هي غريبة هنا فبأي حق اخاصمها

فقالت لهُ ألا تخجل من نفسك كيف تقول انها غريبة وما معنى هذا القول . فقال لماذا اخجل ولم ارد ان اقول سوى انهُ ليس لي علاقة بها تجيز الخصام او غير الخصام

فقالت نعم يجب ان تخجل من هذا الكلام الجارح . اليكِ عنهُ يا امينة يا حبيبتي ولا تعبئي بكلامهِ واظن انهُ جن حتى يتكلم بمثل هذا الكلام بعد كل ما بذلتهِ من العناية بهِ

فلم اعد استطيع الصبر وقمتُ لاخرج وسمعتهُ وانا خارجة يقول ان كانت قد اعتنت بي

بهذا المقدار فليس ذلك مما تمدحون عليهِ لاني كنتُ اظن اني اعزُّ عليكم من ان تتركوني حتى لا يبقى من يعتني بي غيرها ولماذا لم تستأجروا لي ممرضة تمرّضني فانها كانت تمرضني مثلها

فخرجت وغلقت الباب ورائي واسرعت الى الحديقة وانا اكاد اتميز غيظاً . نعم اني كنت نزيلة عليهم ومحتاجة اليهم ولكنهُ هو آخر من ظننت انهُ يمكن ان يذكرني بذلك . فضاقت الدنيا في عينيَّ وغلبتني العبرات فجعلت ابكي من كبد مقروحة واذا انا بادهم بك وعلي بك قد دخلا الحديقة واقتربا مني فقال لي ادهم بك ما جرى لكِ ما سبب هذا البكاء يا بنتي . فقلت لا شيء ونهضت وحاولت مسح دموعي . فقال هل قالت امي لكِ شيئاً فقلت كلاَّ فقال اذا وحيدة فقلت كلاَّ فقال بهية فقلت كلاَّ فصمت قليلاً ثم قال اذاً نافذ

وكان في صوتهِ شيء افاض الدموع من عينيَّ غصباً عني ولكني غطيت وجهي بيديَّ فوضع يدهُ على كتفي وقال يا مسكينة اخاف ان يكون نافذ اغاظك بالكلام لاني رأيتُ انهُ تغيَّر عليكِ من يوم مضيتِ الى بيت حميدة فهل يمكنكِ ان تخبريني السبب

فقلت اني لا اعرف سبباً . ولما رأيت انهُ رقَّ لحالي تشجعت وقلت لهُ ألا يُسْمَح لي ان امضي الى بيت حميدة واقيم عندها بضعة ايام

فنظر اليَّ مستغرباً ثم قال اخاف ان يكون ذلك غير ممكن لاسباب ولكن لماذا تريدين ان تتركينا يا امينة هل رأيتِ منا شيئاً يغيظكِ . فقلت كلاَّ يا مولاي . فقال اذاً تريدين ان تبعدي عن نافذ فاخبريني هل التقيتِ بهِ ذلك اليوم . فقلت "نعم". وكنت اتمنى ان تنزل عليَّ صاعقة او تثور زلزلة او زوبعة او يحدث حادث ما يمنعهُ من السؤال ويمنعني من الجواب

فقال هل قلتِ لهُ شيئاً اغاظهُ . فقلت كلاَّ . فقال لماذا اغتاظ منكِ اذاً . فلم اجبهُ . فقال لي اسمعي يا امينة انا مثل ابيكِ فلا تخفي عني شيئاً لعلي استطيع ان اساعدكِ . فهل اوضح لك ما قالهُ ابي لهُ وهو ان يقاوم التجربة من غير ان يهرب منها . فصعد الدم الى وجهي حينئذٍ لاني رأيتهُ اقترب من الموضوع الذي كنت اريد ان يبعد عنهُ وقلتُ لهُ كلاَّ يا مولاي . فقال ولكن انتِ فهمتِ ذلك فهل هذا سبب نفورهِ . فقلت كلاَّ — نعم — لا اعلم حقيقةً ولكنهُ اغتاظ لاني ذهبت الى ايوب سلطان

فقال مع من ذهبتِ الى هناك ولماذا

فقلت ذهبنا نتنزه هناك انا وبوار وحميدة وتبعنا داود بن حميدة كحارس لنا . فقال لا حرج عليكِ في ذلك ان كانت امي قد سمحت لكِ وقد احسن داود بذهابهِ معكما فهل ذلك غاظ نافذاً . فقلت انهُ اغتاظ لانهُ رآني اتكلم مع داود . ولما قلت ذلك شعرت كأنني اخطأت

بهذا الاقرار وانتظرت ان يعود عليَّ باللوم كما عاد اخوهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل نظر اليَّ طويلاً ثم قال لقد احسنتِ ولا ارى ضرراً من كلامكِ مع داود. وهذا احسن شيء لكِ انا ذاهب الآن لاقنع نافذاً بان لاحق له ليستاء منكِ

واردت ان اوقفهُ عن الذهاب ولكنهُ ذهب قبلما افقت من الدهشة التي اعترتني حالما سمعت كلامهُ . وقد قام في نفسي انهُ سيقع الخلاف بين الاخوين بسببي مرةً اخرى و بينما انا واقفة افكر في ذلك سمعت واحداً يضحك فالتفت واذا علي بك ورائي يضحك عليَّ وقد نسيت انهُ هناك فقال تعالي يا امينة لا تخافي ما عاد خصامهما ممكناً لان نافذاً على ما تعلمين من الضعف الآن . فنظرت اليهِ مدهوشة ثم قال لي لا امهر من ادهم بك في اكتشاف الاسرار ولكنهُ لا يلبث ان يكتشفها حتى يسيء فهمها ويستنتج منها نتائج غير صحيحة

فلم اجبهُ لان قلبي لم يكن فاضياً لهذا الكلام وسرت نحو البيت ودخلت الرواق وجلستُ فيهِ افكر في امري وفي طريقة انجو بها من هذه المشاكل فلم ارَ غير الاقتران بداود وهذا كنت انفر منهُ بكليتي . ومرَّت ساعة من الزمان وانا غائصة في بحار الافكار ثم جاء بعض الزوار فسرت بهم الى غرفة الاستقبال ودخلت غرفة نافذ بك لانادي هانم افندي فرأيتهُ نائماً على المعقد وامهُ جالسة بجانبهِ فلما اخبرتها بمجيء الزوار قامت واشارت اليَّ ان اجلس مكانها فجلست وانا اتمنى ان يأتي احد غيري قبلما يستيقظ لكي لا يراني بجانبهِ لاني كنت مغتاظة جداً من الكلام القارص الذي اسمعني اياهُ في الصباح . ولم يسعني الاَّ ان انظر الى وجههِ وهو نائم وكان اصفر نحيفاً غائر العينين واحدى يديهِ على رأسهِ والاخرى ملقاة بجانبهِ على المعقد ووراءهُ ستارة من المخمل الازرق يظهر وجههُ عليها كأنهُ وجه ميت لا وجه حي . فلما تأملتهُ اغرورقت عيناي بالدموع ووددت ان امسك يديهِ بيدي واغسلهما بدموعي وقلت في نفسي يا الهي كم احبهُ وكم تألم بسببي . وفتح عينيهِ حينئذٍ ونظر اليَّ فنهضتُ مضطربة وقلت لهُ ان امك امرتني ان ابقى هنا فان اردتَ ادعو لك شخصاً آخر. فلم يجبني ولم يرفع نظرهُ عني ثم تبسَّم وقال عبثاً عبثاً. اذا كان بقاؤُك هنا لا يزعجكِ فلا تدعي احداً ولكني ارجو منكِ ان تزيحي هذه الستارة لاني اكره الظلمة . وكانت الستارة وراءهُ ولا بدَّ لي من ان انحني فوقهُ حينما ازيحها فانحنيت فنظر اليَّ ملياً وقال لي ارى انك كنت تبكين وقد قال لي ادهم بك انهُ رآكِ في الحديقة فاخبرتهِ ان كلامي ساءكِ جداً فسامحيني عن كل ما صدر مني

وخرج هذا الكلام منهُ تكلفاً كانهُ امرٌ واجب عليهِ قضاؤُهُ. وازحتُ الستارة ووقفتُ امامهُ وقد علتني حمرة الخجل وقلت لهُ لا ذنب اسامحك عليهِ . وقبل ان اتم كلامي قال لي لا تخافي ان

اتعبكِ ايضاً واری الآن انهُ لم یكن يحق لي ان استاء مما ظننتُ انهُ يحق لي ان استاء منهُ فارجو ان تنسي ما مضى وتسامحيني اذا استطعت فنعود الى صداقتنا القديمة . ولما قال ذلك اعطاني يدهُ لاصافحهُ فظننت انهُ اعطاني اياها لالثمها على جاري العادة ولما هممتُ بذلك اخذها مني وقال اني اكره هذه العادة ولا افهم كيف تلثم المرأة يد الرجل ولكن خذي هذه المروحة وروّحي لي لان الحرّ شديد ازهق روحي

فجلست اروّح لهُ وانا افكر في كيف استطاع ادهم بك ان ينقل اليهِ كل هذه الاخبار وكنت انظر من الشباك الذي وراءهُ الى البيوت التي على الضفة الاخرى اما هو فبقيت عيناهُ شاخصتين اليَّ . ثم قال تُرى هل يريد هؤلاء الزوار ان يتعشوا هنا . فقلت في نفسي اذا استثقل قيامي معهُ وقلت لهُ هل تريد ان ادعو ولية هانم فقال كلاَّ وقد اقامت معي الصباح كلهُ ولا يجوز ان نتعبها ايضاً . ولكن اين علي بك فقلت رأيت قائقهُ ذاهباً الآن بهِ ولكن ادهم بك هنا فهل ادعوهُ . فقال كلاَّ كلاَّ فقد سمعتُ منهُ ما يكفيني شهرًا الاَّ اذا كنتِ قد شكوتِ اليهِ شكوى جديدة لم يبلغنيها حتى الآن

فنظرتُ اليهِ نظر الانفة والترفع فضحك وقال لا بدَّ من ان اطلب السماح منكِ مرةً اخرى . لماذا لا اقدر ان اقول كلمة من غير ان اغيظكِ . هاتي ناوليني هذا الكتاب حتى اقرأ فتستريحي مني . فاعطيتهُ الكتاب وكان شغل ولية هانم هناك فاخذتهُ وجعلت اطرز فيهِ ولم تمضِ دقيقة حتى طرح الكتاب من يدهِ وقال لا استطيع ان اقرأ لان رأسي يكاد ينصدع . مَن عندنا الآن فقلتُ زوجة يوسف باشا . فقال اما حان لها ان تنتهي زيارتها فقلت اتى زوّار غيرها فقد رأيت الآن قائقاً آخر . فقال ما شاء الله الزوار بالافواج . فقلت انهنَّ اتينَ لعيادتك والسؤال عنك فقال شكرًا لافضالهنَّ ولاسيما لانهنَّ لم يرينني في عمرهنَّ . فقلت بلى رأينك مرارًا من الشبابيك ولو لم ترهنَّ . فقال هذه الرؤية لا تكفي لمجيئهنَّ في هذا الحر

ولم يكن في حديثنا حالی فصمتُ وصمت برهةً ثم تناول ساعتهُ وفتحها وقال متأففاً لم نزل في الساعة الرابعة وكنت اظنها الساعة السادسة ترى كم يوم يجب ان ابقى مطروحاً هنا مثل الكلب هل خرج الباشا . فقلت لا اظن فهل تريد ان اناديهُ لك . فقال اتظنين انهُ يليق ان اناديهُ ليأتي ويسليني . فقلت ولكن ألا تستطيع ان تسألهُ عن امر من الامور مهمة . فقال ماذا اسألهُ ونظر اليَّ باسماً فلم استطع الاَّ ان اضحك وضحك هو ايضاً وقال اني استغرب كيف يودُّ كلٌّ منا ان يتخلص من الآخر لماذا ذلك يا امينة اجلسي واسمعي ما اقولهُ لك . فجلستُ

وانا اود ان تدخل هانم افندي لاخلص من حرج هذا الموقف. ولما خطر ببالي ذلك صعد الدم الى رأسي. فقال ماذا جرى لكِ الآن وبماذا انتِ تفكرين لا تخافي فاني صرت احاذر ان اقول لك كلمة مخافة ما القاهُ من التعنيف من ادهم بك. والظاهر انكِ جعلتهِ موضع سركِ اتوسل اليكِ ان لا تغتاظي مني الآن فتشكي امركِ اليهِ لاني احب ان اخسر كل خسارة ولا اسمع تعنيفهُ مرة اخرى

فقلت لهُ كيف تعاملني هذه المعاملة وكيف تستحلُّ ذلك أتصدّق ان ادهم بك قال لك كلمة بطلبي او برضاي

فقال لماذا شكوت اليهِ امركِ اذًا وقلتِ انكِ ترغبين في الخروج من بيتنا لكي تخلصي مني لاني صرت اضطهدكِ واسيء معاملتكِ من حين رأيتكِ مع داود في ابوب سلطان غيرة منهُ

فبهتُّ من كلامهِ وكدتُ لا استطيع جوابًا لاستغرابي كيف حرّف كلامي واخيرًا قلتُ لهُ هل اخبرك ادهم بك اني انا قلت لهُ ذلك

فقال اتنكرين هذا القول وربما تنكرين ايضًا انكِ قلتِ لهُ انكِ تحبين داود كفى كفى يا امينة ما عدتُ الجئكِ ان تشكي اليهِ شيئًا وارجو اني ان اسأت اليكِ بعد الآن لا تشكيني الى ادهم بك بل الى الشخص الوحيد الذي اعترف لهُ بالسلطة عليَّ في هذا البيت. نعم ان نصائح الاخ لاخيهِ حسنة مقبولة ولكنها قد تفرغ في قالب تنفر منهُ النفس. واريد ان ينبهني الى نقائصي رجل خالي الغرض لا ناقة لهُ في المسألة ولا جمل حتى لا يكون حكمهُ عليَّ مشوبًا باغراضهِ الذاتية. فلو لامني ابي وقال لي اني تصرفتُ معكِ تصرفًا مخلاً بالادب لقبلت لومهُ وحسبت انهُ ابدى لي ما يعتقدهُ تمامًا سواءٌ كان مخطئًا فيهِ او مصيبًا لاني اعلم انهُ خالي الغرض واما ادهم بك فلا

ولما سمعت منهُ هذا الكلام اسودّت الدنيا في عينيَّ وقلت لهُ والغيظ ملء فؤادي أتظن ان ادهم بك لا يرى ما يراهُ كل احد أوَبي حاجة ان اشرح لهُ هذه الامور

فزاد غيظهُ وقال أإلى هذا الحد. لم يخطر ببالي قط اني كنتُ مكروهًا في عينيكِ قبل الشهر الاخير واظن ان غيري ايضًا كان مغشوشًا مثلي

وهنا طفح الكيل ولم اعد استطيع الكلام فغطيت وجهي بيديَّ وخنقتني العبرات فصرت ابكي كالطفل لان كل كلمة من كلامهِ جرحت قلبي كسهم مسنون. وحاولت ان املك نفسي لئلاَّ يشمت بي فلم استطع واخيرًا شعرت بيد وُضعت على يدي ورفعتها عن وجهي ففتحت عينيَّ ورأيتهُ واقفًا امامي وهو اصفر الوجه ويدهُ تكاد تحترق فقلت في نفسي لا بدَّ من ان يكون

كلام ادهم بك وكلامي قد اعادا اليهِ الحمى فصرختُ وانا اشهق ارجعْ الى مكانك بالله عليك ارجعْ الى مكانك والاَّ عاودتك الحمى وحسبتُ اني انا السبب ووقع اللوم كلهُ عليَّ. فتبسم وقال كلاَّ كلاَّ انا هو السبب وقد اخطأت اليكِ فسامحيني ولا تبكي

وحاولتُ ان اعيدهُ الى مكانهِ ونهضتُ لاخرج من غرفتهِ فقال اطيعك بشرط ان تبقي هنا وعاد الى المقعد وبقيتْ يدهُ ممسكة يدي وجلس واجلسني بجانبهِ وجعل يرفع شعري عن وجهي بيدهِ الأُخرى وكانت يداهُ ترتجفان. فقلت لهُ ستعاودك الحمى حتماً واكون انا المسببة لك في ذلك

فقال كلاَّ لا تخافي لا يمكن ان تعاودني الحمى لاني عازم ان لا امرض ايضاً ولكنني لم اظن اني ضعيف بهذا المقدار والظاهر ان الوقوف اتعبني. والآن قولي لي الحق هل قلتِ لادهم بك انكِ تحبين داود

فاجبتهُ "كلاَّ لم اقل لهُ ذلك فهل قال لك اني قلتهُ لهُ". وقد صرَّحت لهُ بذلك لان خوفي من انتكاسهِ الجأني الى التصريح بهِ مع علمي بما سيترتَّب عليهِ. فقال لم يقل لي ذلك صريحاً ولكن هذا كان معنى كلامهِ فاخبريني الآن أصحيح ما فهمتهُ منهُ

فلم اجبهُ واراد ان يعيد سؤَالهُ ثم توقَّف وترك يدي من يدهِ وقال لي اجلسي امامي فقمت وجلست على الكرسي امامهُ ولم أكد اجلس حتى فُتح الباب ودخلت هانم افندي وتبعها زوجها والتفت الى نافذ بك ولما وقعت عينهُ عليهِ عبس وقال لهُ ماذا فعلت بنفسك. ونهض نافذ وقبَّل يد ابيهِ فقال لهُ ابوهُ ها قد عاودتك الحمى

واضطرب فؤَادي لما قال نصرالله باشا ذلك فضحك نافذ بك وقال كل الحق على امي لانها تركتني ساعتين ولم تترك عندي الاَّ امينة وهي لا تستطيع ان تزجرني. فنظرت امهُ اليَّ وقالت لي كيف تغاضيت عنهُ يا امينة. فاجابها نصرالله باشا قائلاً ان نافذاً ليس طفلاً ولاهو جاهل مصلحة نفسهِ فاذا اراد ان يجنَّ فهذه البنت لا تستطيع منعهُ قومي يا امينة وامضي الى غرفتك لاني ارى علامات التعب على وجهك ولا بدَّ لكِ من الراحة وانت يا نافذ نم في مكانك وسارسل الآن واستدعي الطبيب. قال ذلك وخرج من الغرفة فخرجتُ وراءهُ وقد غلبني الخجل والاضطراب. ووقف في المشي والتفت اليَّ كأنهُ يريد ان يكلمني فخفق فؤَادي لاني كنت اعلم انهُ عارف بقصتي من اولها الى آخرها لكنهُ لم يفعل بل سار في طريقهِ وصعدتُ الى غرفتي وانا اسأل نفسي ماذا افعل لاخلص من هذه المشاكل والمتاعب

التبزير ودود الحرير



المسيو برته Berthet

لتربية دود الحرير شأن كبير في البلدان الشرقية ولا سيما الاقطار السورية ومن المحتمل ان يصير لها شأن كبير في القطر المصري ايضاً بعد زمن غير بعيد لان الذين شرعوا في زرع التوت وتربية الدود في هذا القطر تكللت اعمالهم بالنجاح وسيتسع نطاقها رويداً رويداً . واهم ما يُنظر اليهِ في تربية دود الحرير بعد الضربات التي توالت عليهِ ان يكون بزره سليماً من كل مرض ويكون من اصل جيد حتى ينتج منهُ من الحرير ما منهُ ربح كافٍ من حيث كميتهُ ونوعهُ.

ولذلك لم يعد مربو الدود يستخرجون البزر من دودهم بل صاروا يبتاعونهُ من اناس يهتمون بانتقاء الشرانق خالية من الامراض واستخراج البزر من فراشها ومن ثمَّ يذهب بعض السوريين الى فرنسا كل سنة لهذه الغاية او يختارون الشرانق ويفحصونها فحصاً ميكروسكوبياً دقيقاً قبل استخراج البزر من فراشها

وقد رأينا في جرنال التجارة الفرنسوي مقالة عن المسيو برته Berthet صاحب معامل استخراج البزر فلخصنا منها ما يلي لما فيهِ من الفائدة

"لا يجود دود الحرير ما لم يكن البزر الذي يتولد منهُ مستخرجاً من دود خالٍ من الامراض الفطرية أُحسنت تربيتهُ وانتُقي من نوع جيد من انواع الدود

ولا شبهة في ان اكتشاف باستور لامراض الدود والفحص عنها بالميكروسكوب نافع جدًّا ولكن خلو البزر من الامراض التي تعلم بالفحص الميكروسكوبي لا يكفي وحده ولا بدَّ من ان يكون البزر مستخرجاً من دود جيد أُحسنت تربيتهُ. وهذا الامر دعا المسيو برته لانشاء اماكن يربى فيها الدود ويستخرج البزر منهُ وقد شرع في ذلك منذ سنة ١٨٦٨ وانشأ شركة لهذا الغرض ولم يمضِ وقت طويل حتى اشتهرا هذه الشركة ونجحت اعمالها وعظمت فائدتها

وقد اختار المسيو برته وشركاؤُه اماكن مختلفة على ساحل بحر الروم جامعة للشروط اللازمة لتربية الدود واصلاحهِ من حيث طلاقة الهواء واعتدال الحرارة والرطوبة وعدم تغيرهما السريع وجودة ورق التوت الذي ينمو فيها . ولكل شرط من هذه الشروط شأن كبير في جودة الدود والحرير . وعندهم نحو الفي نفس يشتغلون بتربية دود الحرير في هذه الاماكن التي خصتها الطبيعة بمزايا كثيرة وهم تختارون من اذكى الناس واشدهم اعتناء وكل واحد منهم يربي ثلاثين غراماً من البزر فقط لكي يسهل عليهِ الاعتناء بها وتبلغ الشرانق التي تنتج من ذلك ثمانين الف كيلوغرام في السنة

ويؤتى بالشرانق الى معامل التبزير وتفحص اولاً فحصاً ابتدائياً بالنظر والجس حتى اذا وُجدت صالحة أُخذ منها مقدار معلوم وفُحصت جيزانهُ فحصاً ميكروسكوبياً فاذا وجدت خالية من الامراض اختيرت بقية الشرانق للتبزير والغالب ان يطرح من الشرانق ثلثها او ربعها فيستعمل للحل وما بقي منها يستعمل للتبزير

وقد بلغ موسمهم سنة ١٨٩٩ ثمانين الف كيلوغرام من الشرانق فاختير منها ٥٥ الف كيلوغرام للتبزير تخرج من كل كيلوغرام ٣ اواقي من البزر وبلغ البزر المستخرج سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٥٠ الف اوقية . وجملة ما يستخرج في معامل التبزير في فرنسا كلها مليون اوقية فيكون المستخرج في معامل برته وحدها سبع ما يستخرج في فرنسا كلها

ولبيت برته ١٤ معملاً للتبزير في جهات مختلفة من فرنسا ولهُ ايضاً معمل للتبزير في لبنان ومعمل في جزيرة قبرص ومعمل في بورصه وقد انشأ الآن معملين جديدين في فرنسا ينتظر ان يبزر فيهما كل سنة ٥٠٠٠٠ اوقية فيصير ما يبزرهُ في السنة مئتي الف اوقية

وقد ذهب واحد من رؤسائهِ الى تركستان وانشأ فيها معملاً للتبزير فيهِ الآن عشرة ميكروسكوبات يفحص بها الدود والبزر

والمعامل كلها قائمة في احسن الاماكن التي يمكن اختيارها للتبزير من حيث جودة الهواء واعتدال الحر والبرد والرطوبة وفيها نحو ثلاثة آلاف عامل ويزورهم المسيو برته وشركاؤُه من وقت

الى آخر يراقبون اعمالهم لكي لا يقع منهم اقل خلل او قصور عالمين ان نجاح هذا البيت يتوقف على حفظ مالهم من الاسم والشهرة

والبزر الذي يستخرج في معامل برته وشركائهِ هو من نوع مخصوص من الدود ثبت بالتجارب ان شرانقهُ اجود من شرانق غيرهِ واكثر منها حريرًا واغلى منها ثمنًا وقد نجحوا في حفظ هذا النوع من الدود سالمًا من الآفات ومن الامتزاج بغيرهِ من الانواع الدنيا واجادوهُ بالانتقاء المتوالي وحسن التربية . وقد شهد لهم الذين استعملوا بزرهم شهادات كثيرة

والبضائع الواردة الى سورية يؤخذ عليها ٨ في المئة رسم الجمرك ولكن البزر الوارد من محل برته يؤخذ على الاوقية منهُ اكثر مما يؤخذ على الاوقية من غيرهِ لان عمال الجمرك يثمنونهُ باغلى مما يثمنون بهِ غيرهُ وما ذلك الا لانهم عرفوا بالاختبار ان الناس يغالون بهِ ويحسبونهُ اثمن من غيرهِ وكفى بذلك شهادة لهُ

ويرسل هذا البزر الآن الى كل الاماكن التي يربى فيها دود الحرير في تركيا وبلاد اليونان واسبانيا وايطاليا وبلغاريا والسرب والقوقاس وايران وتركستان وبخارا" . انتهى بتصرف قليل

وقد عرض المسيو برته شرانقهُ في معرض باريس الاخير فنال جائزة الشرف الكبرى . هذا ما قرأناهُ وما اتصل بنا من امر هذا الرجل وجودة بزرهِ وعسى الذين جربوا هذا البزر في سورية يكون اختبارهم مؤيدًا لما ذكرناهُ

السفر الى القطب الجنوبي

الضاربون في الاقطار الشمالية لاكتشاف القطب الشمالي اكثر عددًا من الضاربين في الاقطار الجنوبية لاكتشاف القطب الجنوبي ولو لم يكونوا اشد منهم جرأةً . ويمتاز اولئك عن هؤلاء بان القطب الشمالي قريب من المعمور فاكتشافهُ قد يكون من ورائهِ فائدة تجارية باكتشاف طريق قريب بين المشرق والمغرب اذا صحت الظنون وكان حولهُ بحر لا يجمد في كثير من شهور السنة عدا الفائدة الجغرافية والفائدة العلمية من الارصاد الكهربائية والمغنطيسية والجوية والجيولوجية . واما اكتشاف القطب الجنوبي ففائدتهُ علمية محضة لا فائدة تجارية من ورائهِ . هذا هو الامر الظاهر الذي يجاهر بهِ متجشمو المشاق في الذهاب الى القطبين والذين يساعدونهم بالاموال ولكن وراء هذا الامر الظاهر امرًا آخر اظهر منهُ ولو لم يجاهر بهِ احد وهو ان رؤساء

هذه الرحلات مثل نسن وبورشغرفنك وغيرهما يتوخون ايضاً الشهرة الادبية والربح المالي معاً لان اصحاب الصحف وناشري الكتب يوفونهم الدرهم ديناراً فلا يرجع سائح من سياحتهِ حتى تنشر اخبارهُ في الصحف و يطبع كتاب رحلتهِ مراراً كأنهُ تاجر بضاعتهُ غرائب الاخبار عن غرائب البحار

وقد نشرنا في ما مضى تفصيل رحلتين الى القطب الشمالي وهما رحلة نسن ورحلة دوق ابروزي وعثرنا الآن على تفصيل رحلتين الى القطب الجنوبي فآثرنا تلخيصهما لما فيهما من الغرائب المدهشة لكي لا ترجح كفة على كفة

الاولى رحلة ده جرلاك

الذين مضوا الى القطب الجنوبي من اهالي البلجيك كان غرضهم الاول المكتشفات الجغرافية وهذه هي اول مرة مهّد فيها السبيل لرجال العلم ان يبلغوا تلك الاقطار واول مرة وصل فيها اهل السياحة الى بحار الثلج الجنوبية منذ خمسين سنة الى الآن وشتّوا فيها

ومدير هذه الرحلة ادريان ده جرلاك وقد قام بنفقاتها حكومة البلجيك واناس من اهاليها واكثر اعضائها من اهالي البلجيك ايضاً ومن النروجيين واخذوا معهم الدكتور كوك الاميركي كاتب السطور التالية جرّاحاً وانثربولوجياً وفوتوغرافياً . وجورج لكوانت البلجي للارصاد الفلكية والمغنطيسية واميل ركوفتزا الروماني وهو عالم بعلم الحيوان والنبات وهنري اركتوسكي الروسي وهو عالم بالجيولوجيا والمتيورولوجيا ورسم البحر . فالرحلة علمية جغرافية والسفينة التي ساروا فيها نروجية محمولها مئتان وخمسون طناً فاصلحوها وسموها بلجيكا . قال الدكتور كوك واصفاً سفرهُ فيها وما لقيهُ هو ورفاقهُ من المشاق : لقيت السفينة في ريو جنايرو (ببلاد برازيل) فنزلت فيها واشتدَّ علينا الدوار مدَّة سيرنا في الاقاليم الحارَّة الى ان بلغنا الاقاليم الباردة في بتاغونيا (عند الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية) واخذنا ما يلزم لنا من الفحم والزاد من هناك وسرنا شرقاً في خليج بيغل عازمين ان نسير بعد ذلك جنوباً الى ان نبلغ ابعد ما يمكن الوصول اليهِ وكانت جزائر ماليجي تحيط بنا على الجانبين وقد غطتها الحراج الغبياء ودنا نصف الليل وكان الشفق لا يزال مشرقاً يتدفق نورهُ على صفائح الجمد المنتشرة امامنا و ينير قنن الجزائر بنور لؤلئي بهي فيعكس شكلها من مرآة الماءِ حتى يخال الرائي ان الجبال ممتدة من عنان السماء الى جوف الارض . ومخرت بنا السفينة امام الخلجان فكنا نراها تتعاقب تباعاً ونحن نمعن النظر فيها عسى ان نرى اثراً لبني آدم حتى اذا بلغنا هضاباً متصلة قيل لنا ان فيها شيئاً قائماً لا يبعد ان يكون بيتاً فاتجهت النظارات اليهِ وبينما نحن نرقبهُ شعرنا كأن

السفينة وقفت عن السير بغتةً فاستغربنا ذلك ولم نعلم سببهُ واندفعت الآلة البخارية على اشد قوتها فلم تستطع ان تدفع السفينة من مكانها قيد باع وسبرنا غور البحر فوجدنا اننا ارتطمنا بدبْر(١) في البحر ولكنَّ السفينة علت فوقهُ رويداً رويداً حتى لم نشعر الأَوهي واقفة عليهِ لا تتحرك. وانتظرنا حينئذٍ ان يعلو ماء البحر بالمد فيرفع السفينة لكنهُ هبط بالجزر وتركها واقفة تترنح كالسكرى ثم مالت على احد جانبيها حتى كادت تنقلب فجعلنا نسندها بروافد الخشب فتنقصف كالقش. وتبينَّا المرتفع الذي رأيناهُ على الشاطئ بيتاً ولم يكن الأَ ساعة زمانية حتى اقبل علينا جماعة من سكانهِ وهم هنود نزل بهم هناك رجل اسمهُ بردجس لرعاية الغنم ثم جاء هذا الرجل ومعهُ رجالهُ كلهم وتعاونوا هم والبحارة على تخفيف السفينة بانزال الشحن منها ولم يكادوا يفرغون قاربين او ثلاثة حتى عصفت الرياح وتعالت الامواج وفصلت بيننا وبين السفينة وجعلت وصولنا اليها ضرباً من المحال وزاد نودانها واضطرابها حتى قطعنا الرجاء من نجاتها وبينما نحن ننظر اليها آسفين هجمت عليها موجة كبيرة فرفعتها من مقرها ودفعتها الى العمق فبلغتهُ سليمة وانحلَّ قيدها وسارت بها العاصفة بمن فيها حتى اختفت عن الانظار وراء رأس في الجزيرة لكن البحر سكن بعد قليل وعادت الينا في اليوم التالي ولم يكن بها ضرر يذكر

وقمنا من هناك وسرنا شرقاً الى جزيرة ستاتن فاخذنا منها كفافنا من الماء القراح وودعنا آثار الانسان وسلمنا انفسنا الى مجاهل البحار وكان ذلك في الثالث عشر من يناير سنة ١٨٩٨ وبقينا سنة وشهرين ونصف شهر في عالم جديد منقطع عن عالم الاحياء تمام الانقطاع فثارت الحرب الاسبانية ووضعت اوزارها وتجسمت مسألة دريفوس وانحلَّت عراها ونحن لا نعلم شيئاً من امرها كأنَّا في دنيا اخرى

عمق البحر — وكان من اول اغراضنا سبر اغوار البحر من طرف اميركا الجنوبية الى ابعد ما يمكننا الوصول اليهِ لأنَّ تلك الاغوار لم تسبر قبل ذلك ورأينا في اول الامر ان سبرها ضرب من المحال اذ لا بدَّ من البقاء في كل بقعة نرمي فيها المرجاس ثلاث ساعات او اربعاً لكن اتفق لنا ان كان البحر رهواً فتمكنا من سبر اغوار كثيرة استدللنا منها ان جنوبي اميركا الجنوبية منفصل تمام الانفصال عن الانحاء القطبية لان البحر بينهما عميق جداً ويزيد عمقهُ بغتةً حتى يبلغ ثلاثة عشر الف قدم

جبال الجليد — والتقينا باول جبل من جبال الجليد التي تسير في عرض البحر كالسفن السيَّارة في التاسع عشر من يناير وصعدنا كلنا الى ضهر السفينة نرقبهُ ونود ان يبقى بعيداً عنا

(١) قطعة تغلظ في البحر كالجزيرة يعلوها الماء وينضب عنها

وبعيدين عنهُ . وكان الجو قاتماً مغبرًّا لكن هامة جبل الجليد كانت مكللة بغمامة بيضاء تعلو وتسفل فوقهُ فتكشفهُ تارةً وتحجبهُ أُخرى . وظلت السفينة تبتعد عنهُ الى ان غاب عن الابصار . واطبق علينا ليل بهيم مدلهم لا نجم فيهِ ولا قمر واسودَّ ماء البحر حتى كأنهُ النقس فسهرنا الليل كلهُ لئلاَّ يبيتنا جبل آخر من جبال الجليد فيطبق علينا على غرَّة . واشتدَّ البرد تلك الليلة حتى ايقنا اننا مصيبون الجمد قريباً لكن لم يكن الامر كذلك . وكانت طيور البحر كثيرة تتبع السفينة وتملأ الفضاء بصراخها والحيتان الضخمة تسير طولاً وعرضاً وتدفع الماء من خياشيمها فيعلو في الجوّ كالصواريخ وطلع النهار ولم تطلع الشمس وبقي الجو قاتماً مكفهرًّا الى الظهيرة وحينئذٍ اذابت اشعة الشمس سحابة الجمد التي كانت تخيم علينا و بزغت من خلالها فاشرق وجه البحر ودلتنا الدلائل على اننا مصيبون برًّا بعد زمن غير طويل فامسك كلٌّ منا نظارتهُ يدوو يرقب الافق الى ان كانت الساعة الثالثة بعد الظهر فاذا نحن بمرتفعات بعيدة عنا جدًّا كانها قطع السحاب فوق الافق فلما قربنا منها وجدنا انها الطرف الجنوبي من جزائر شتلند وعرفنا منها جزيرة لفنستون وجزيرة سمث وحاولنا الدنو منها لعلنا نراها جيدًا قبلما يحالك الظلام لكن تعذَّر علينا ذلك لانهُ لم تكد الشمس تغيب حتى عصفت الريح من الشمال الشرقي ومعها ضباب كثيف حالك اسودَّ بهِ الجو

جزائر شتلند — والجزائر الكبيرة هنا تحيط بها جزائر صغيرة يختلف اليها القطا والبنغوين والغَلّ وغيرها من طيور البحر . وفي الجزائر الكبيرة ولا سيما جزيرة لفنستون آكام مستديرة الرؤُوس يغطيها الثلج جوانبها جرداء وبينها اودية فيها انهار الجليد تمتدُّ منها في البحر ثم تتمزَّق فتتكوَّن منها جبال الجليد . وكان الساحل خالياً من الثلج حينئذٍ ولم نرَ عليهِ شيئاً من النبات ولكننا علمنا بعدئذٍ ان فيهِ كثيرًا من الطحالب والاشنان

وهذه الجزائر كثيرة تبلغ مئة عدًّا وطول ساحلها نحو الف ميل وكلهُ مما يمكن بلوغ السفن اليهِ وفيهِ كثير من المرافئ الامينة ومع ذلك لم تمتلكهُ دولة من الدول ولا اهتمَّ احد بارسال السكان اليهِ. وحبذا لوامتلكت بلادنا (اميركا) هذه الجزائر واقامت فيها منارةً ووضعت فيها شيئاً من المؤونة للبحارة الذين تتكسر بهم السفن في هذه الجهات كل سنة وهم يقصدون الصيد فيها

وامسى المساء في العشرين من يناير واشتدَّ القتام فزاد خوفنا من جبال الجليد لاننا دنونا من البر واصبح الصباح والضباب يملأ الجو ومررنا بكثير من جبال الجليد الصغيرة و بينما نحن نحاول الابتعاد عنها اصطدمت السفينة بصخر تحت الماء اصطداماً عنيفاً جدًّا كاد يقطع اوصالها ثم ارتفع الضباب فرأينا البحر حولنا مملوءا بالصخور السوداء وصدمت السفينة صخرين آخرين

لكنها بقيت سائرة وخرجت من بين الصخور سالمة ثم رأينا جبال الجليد دنت من تلك الصخور واصطدمت بها فتكسرت وتبعثرت وخفنا ان يصيبنا ما اصابها

وفي ظهيرة الحادي والعشرين صحا الجوُّ وبان الافق فرأينا صخر الشراع واضحاً عن بعد وهو صخر كبير في عرض البحر يرى عن بعد كسفينة ناشرة شراعها طولهُ الف قدم وعرضهُ خمس مئة وارتفاعهُ اربع مئة وجوانبهُ قائمة كجدران البيت لا موقف فيها لطائر ولم نكد نجتازهُ حتى تغير الهواء واظلم الجوُّ واسودَّ الماء ووثبت طيور البنغوين من البحر واسرعت نحو البر منذرة بقرب النوء

وثار النوء في الثاني والعشرين من الشهر فجعلت الامواج تتقاذف السفينة كأنها كرة تتقاذفها الصوالج وتشحط احياناً وتجري فوق ظهرها فتجرف ما عليهِ من الامتعة وعصفت الرياح فصرنا نسمع لها قصيفاً كقصيف المدافع . وعند العصر كنت انا ورجل آخر على برج السفينة نرقب شيئاً في الافق بالنظارة فسمعنا صرخة شديدة اقشعرَّ لها بدني فالتفتنا كلانا ولم نرَ ما يدلُّ على مصدر الصوت وظنَّ رفيقي انهُ وقع عطب في الآلة البخارية فاسرع اليها اما انا فاسرعت الى مؤَخر السفينة ونظرت الى البحر فرأيت رجلاً يغالب الامواج وهو من بحارتنا واسمهُ ونكل وساعدتهُ التقادير حتى بلغ حبل المقياس المتدلي من السفينة فامسك بهِ وجعلت انا أَلفهُ والحبل يزلق من يدهِ الى ان بلغ الدوَّامة فامسك بها بكلتا يديهِ مسكة الموت لكن حبلها لم يكن ليحتملهُ لو حاولنا انتشالهُ بهِ ولا كان في الامكان انزال قارب اليهِ لشدَّة العواصف واضطراب البحر ولأن الامواج كانت تلعب بالسفينة لعب الطفل بالكرة . وتبرع رجل آخر ان ينزل اليهِ و يربط حبلاً متيناً حول وسطهِ لننشلهُ بهِ وكان الرجال كلهم قد صعدوا الى ظهر السفينة فربطناهُ بحبل وانزلناهُ الى البحر وماؤُهُ يكاد يجمد لشدة بردهِ فاستقبلتهُ الامواج واطبقت عليهِ حتى حسبنا انهُ غرق لكنهُ عاد الى وجه الماء وبذل جهدهُ ليدنو من ونكل ويربطهُ بالحبل فلم يستطع والظاهر ان البرد غلب على ونكل فافلت حبل المقياس من يديهِ وغاص في الماء ولم نعد نرى لهُ اثرًا مع اننا اوقفنا السفينة ساعة من الزمان

وتقشع الضباب قبل مغيب الشمس فرأينا امامنا حائطاً من الجليد ارتفاعهُ خمسون مترًا يمتدُّ شرقاً وغرباً الى حد ما يصل البصر فابقينا السفينة على اربعة اميال منهُ وسرنا امامهُ شرقاً ولم نبعد كثيرًا حتى رأينا تحت الجليد خطاً اتضح لنا اخيرًا انهُ صخور ورأينا عند حده الشرقي كثيرًا من الرؤُوس البركانية ولم يكن الاَّ قليل حتى صمت آذاننا باصوات الملايين الكثيرة من طائر البنغوين . فاقمنا هناك تلك الليلة وقمنا في الصباح لنقطع البوغاز الفاصل بين جنوبي

جزائر شتلند والاراضي القطبية ولم ينقشع الضباب كما املنا ورأينا كثيراً من جبال الجليد الطافية في البحر وهي قائمة الجوانب مقطوعة الرأس ينعكس عنها نور ازرق واخضر لكن الضباب كان يحجب الوانها احياناً كثيرة . وكنا نسير بين عاملين الابتهاج بجمال لونها وعظيم حجمها والخوف من الاصطدام بها اذا اشتد حلك الضباب

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا ضباباً ابيض في الافق الجنوبي وبعد قليل ظهر لنا حد اليابسة يمتد الى ابعد ما يصل اليهِ مدى البصر شرقاً وغرباً وكان الضباب يغطي اعاليها وفيها نور بديع تمتاز بهِ الاصقاع الجنوبية على غيرها . ولما زاد اقترابنا منها رأينا انها كثيرة المرتفعات والمنخفضات والرؤُوس والخلجان والجليد يغطيها كلها وكان خليج من خلجانها واسعاً جداً حتى ظنناه بوغازاً وحاولنا العبور منهُ جنوباً وكان عن يميننا جبل يعلو عن سطح البحر نحو الفي قدم تحيط بهِ آكام كثيرة تمتد من اعلاه الى شاطىء البحر وحدها المتصل بالبحر جدار قائم من الجليد ارتفاعهُ نحو مئة وعشرين قدماً والخليج الى الغرب منهُ ووراءه جبال أُخرى يغطيها الثلج الدائم والى الشرق جزائر صغيرة قاحلة اكثرها خالٍ من الثلج ووراء ذلك في الجهة الجنوبية الشرقية بر فسيح ابيض اللون فوجهنا السفينة اليهِ لنعلم حقيقتهُ ونحن نسير الهوينا مخافة ان نصطدم بصخر او دبر كما اصطدمنا قبلاً . ولما صارت الساعة العاشرة ليلاً دنونا من البر فانزلنا قارباً تهافتنا عليهِ وكلٌّ منا يود ان يكون الاول في النزول على البر القطبي . وكان منظر ما حولنا غريباً لم نشهد مثلهُ في الاصقاع الشمالية كأن الهواء والماء والسحب توشحت كلها بالمدهشات . وكانت الشمس طالعة فوق الافق ولو كان الوقت نصف الليل لا يحجبها عنا الاَّ الجبل الذي تقدَّم ذكرهُ ومع ذلك كان الجو مظلماً اما ماء البحر فكان فيهِ شيء من النور الاخضر حتى كنا نستطيع ان نقرأ بهِ الكتابة الكبيرة الحروف . ولما دنونا من البر وجدنا فيهِ من النور ما يكفي للتصوير الفوتوغرافي اما الجو فكان لا يزال اسود قاتماً وكان وجه البحر صقيلاً كالمرآة والهواء ساكناً لا حركة فيهِ وكأن محركات الطبيعة تركت الجماد واقتصرت على الحيوان فكانت طيور البحر تملأُ الفضاء باصواتها والحيتان والقطوظ تثير البحر بالماء المندفع من خياشيمها وتصمُّ الآذان بصراخ اطفالها

فنزلنا في جون صغير وكان اركتوسكي الجيولوجي اول من وطئ البحر منا ومطرقتهُ في يدهِ وجرابهُ على كتفهِ لكي يكسر الصخور ويجمع منها الامثلة الجيولوجية وتبعهُ راكوفتزا لجمع امثلة التاريخ الطبيعي من حيوان ونبات ونزلت انا وجرلاك بعدهما نزلنا على الصخور والجليد بين عصابة من طير البنغوين فلم ترحب بنا بل اجتمعت حولنا تدفعنا عن بلادها بمناقيرها . وكنا نود ان نقيم على هذه الجزيرة مدة لكن امواج البحر كانت عنيفة عند الشاطىء فخفنا ان تكسر قاربنا

ولذلك عدنا اليهِ وابعدنا عن البر قليلاً واكتفينا بما نراهُ منهُ بالنظارات وبقي اركتوسكي وركوفتزا فيهِ لجمع امثلة الحي والجماد وكنا نسمع صوت الاول وهو يكسر الصخور بمطرقتهِ واصوات البنغوين وهي تتألب حول الثاني تحاول ابعادهُ عنها . ثم عدنا الى البر لنأتي بهما فاجتمعت طيور البنغوين علينا واوسعتنا نقداً بمناقرها وحامت طيور الغَلّ والكروات فوق رؤُوسنا الاولى تضربنا بقوادمها والثانية تمدُّ اعناقها الينا تستطلع اسرارنا و بلغ الخبر نمور البحر فاجتمعت حولنا تغطُّ وتكشر انيابها وعيونها تجول في اوقابها كالمصابيح

وعدنا الى السفينة واطلقناها البخار فسارت بنا جنوباً سيراً بطيئاً واتسع الخليج امامنا ونحن نسير فيهِ وفي الساعة الخامسة صباحاً علت الشمس فوق قنن الجبال ففاضت اشعتها على ما حولنا من البر والبحر سكبت عليهِ وعلينا جام الراحة والاطمئنان ورأينا انفسنا في متسع من البحر يبعد اثني عشر ميلاً عن اقرب الجزائر الينا ولم نعد نرى الطيور عليها لبعدها عنا فشعرنا بوحدة لم نشعر بمثلها قبلاً وكنا نرى الدلائل على وجود الخلجان جنوباً وغرباً لكننا لم نتبينها جيداً لان البركان بعيداً عنا وظهر لنا كانهُ فضاء من البلور لا حدَّ لهُ سنأتي البقية

نزول الثلج وحياة الانسان

للشاعر الاميركي وليم برايانت (Bryant.)

١

من طرفكَ الذاكي اعرني نَظرهْ وقفْ معي تجاهَ تلكَ البَحرهْ
تلبَّدتْ من فوقها الغيومُ والماء فيها راكدٌ بهيمُ
والثلجُ من تلكَ الرُكامِ الجامدهْ بناتهُ واحدةً فواحدهْ
واجفةً تهبطُ نحو الماء لتختفي في البَحرة السوداء

٢

تخرجُ بالمئات والالوفِ من خلفِ ذاك البرقعِ الكثيفِ
ويعضها كحائرٍ لا يهتدي والبعضُ بنقضُ انقضاضَ البَردِ
والكلُّ مهما اختلفتْ في الطرُقِ في ظلمة الاعماقِ طراً تلتقي
بالرغم عنها عند الالتقاء تحلُّ في البُحَيرةِ السوداء

٣

نجوم ثلج أنتجتها السُّحُبُ كأنها لولا التواني شُهُبُ
او رُجُم صبّتْ من المجرَّة على بني الدنيا تشدُّ الكرَّة
تلعبُ دورَ العمر في الهواء مسرعة الى سكونِ الماء
والماء يخفيها على السواء بجوفهِ في البحرةِ السوداء

٤

مولودةٌ من كُوَمِ الربدِ[1] هابطةٌ كالطائرِ المصيدِ
تنزلُ في مسلكها الخفّاقِ مُشغلةً بالضمِّ والعناقِ
كأنها زوجان او خِدنانِ تقطعُ حبل العُمر بالتداني
وكلٌّ معشوقٍ وذي وَلاء يضيع في البحيرة السوداء

٥

انظر اليها كيف زاد العَدَدُ حتى غدا كالعِهنِ منها الجَلَدُ
يهزم بعضًا بعضُها وتُقدِمُ وذاك ممَّا خلقهُ منهزمُ
عجبتُ من سباقها لتُدفنا كأنها تعشق سرعة الفنا
تنحطُّ من مراتب العلياء للموتِ في البحيرة السوداء

٦

الدمعُ من عينيكَ يجري وانا اقرأُ منهُ الآنَ معنًى مُحزِنَا
يُبكيكَ أن فارقكَ الخلاّنُ بسرعةٍ كأنهم ما كانوا
كقِطَعِ الثلج التي تراها ثم كسوءِ الطاير لا نلقاها
على التوالي وبلا ارتضاء تُزَجُّ في البحيرة السوداء

٧

ها قد تولّى السُّحُبَ افتراقُ والماء يكسو وجههُ إشراقُ
ومن وراء الغيم شقَّ النورُ فانتشر الصفاء والحبورُ
وقطعُ الثلج التي كنا نرى تجري الى الضريح جريًا منكرا
اضحت بها اشقَّ من الضياء كواكبًا في المجرة الزهراء

فارس الخوري

(1) السحاب اربق ماؤهُ

تاريخ آل معن

(تابع ما قبلهُ)

وعلم الامير فخر الدين ان الاسطول العثماني قادمٌ عليهِ بقيادة محمد باشا وان اميرهُ انفذ الى صيدا عشرة سفائن بامرة يحيي باشا ليرصد طريق البحر فلا يفرّ الامير بحرًا فللحال نهض الى نهر صيدا واجتمع بيحيي باشا وشكا اليهِ من تحامل الحافظ عليهِ مع انهُ عرض عليهِ[1] واحدًا وخمسين الف ذهب سلفًا عن السنة التالية . ثم ان الامير قدَّم للباشا هديةً واستكتب اهل صيدا عريضةً وارسلها مع رجلين من اخصائهِ لمحمد باشا امير البحر فلما وصل الوفد الى الباشا سر بذلك وامَّن الامير والوفد وبعد ايامٍ اقلعت السفن العثمانية من ميناء صيدا وقدم مركبان فرنساويان ومركب هولاندي

وكان الامير في خلال ولايتهِ على بيروت قد تعرَّف بالبنادقة الذين كانوا يتنابونها للتجارة في الاحايين وشرع يراسل حكومتهم عن يدهم وكانت هذه الحكومة من اعداء الدولة العلية الاَّ في تلك الاونة فانهُ كان بين الدولتين هدنة وتواد ومن الغريب ان يقع في ابانها مثل هذه المخابرات على ان فخر الدين بنى من الاماني صروحًا عالية حاسبًا ان المساعدات الاجنبية تنيلهُ رغائب نفسهِ ولذلك لما رأى الجيوش السلطانية زاحفةً عليهِ وانس من انصارهِ القعود عن نجدتهِ عزم على السفر الى اوروبا اما فرارًا من العسكر واما التماسًا للنجدة الموعودة وكان الحاج كيوان الماروني قد اشار عليهِ بالسفر فأبى ولكنهُ لما استأذنهُ بسفر نسائهِ وامتعتهِ واذن لهُ استاجر احد المركبين الفرنسيين الموجودين في صيداء وانزلهنَّ فيهِ ثم ارتضى الامير بالسفر بعد اذ استقدم اخاهُ الامير يونس الى الدامور وكذلك الاميرين منذرًا وناصر الدين التنوخيين ومشائخ البلاد وآل الخازن وغيرهم من الوجوه واستنهضهم لنصرتهِ فابوا جميعًا فرأى انهُ مخذول ولا امل لهُ بنصرة حلفائهِ فعاد حينئذٍ الى صيداء وعهد بالامارة الى اخيهِ الامير يونس على ان يقيم في دير القمر فخرج اليها برجالهِ واخصاء اخيهِ وسكانهِ . ولكن فولناي ولامرتين يقولان انهُ استناب ابنهُ عليًا ولا نرى لذلك سندًا لان عليًا كان يومئذٍ في حوران . ولما تمت اهبة الامير استاجر المركب الفرنسيّ الاخر والمركب الهولاندي كلاًّ منهما بخمسة آلاف ذهب ونزل باحدى نسائهِ وبماليكهِ وغلمانهِ البالغين خمسين نفرًا ونزل الحاج كيوان في المركب الاخر فلما

(١) وفي رواية الخالدي الصفدي ان هذا القدر من المال كان للامير على خزينة الشام لانهُ كان قد دفعهُ سلفًا

علم الربان الهولاندي بان اجرة المركب الفرنسي كاجرة مركبهِ طلب مضاعفة الاجور فاداها الامير ثم طلب خمسة الاف اخرى كان الامير قد اخذها منهُ جريمةً فقبضها (٢) ولم يبقَ مع الامير حين سفرهِ الاَّ خمسة وعشرون الفاً ذهباً ثم اقلعت السفن من صيداء وقيل ان الامير سافر من بيروت

وبلغ الامير ايطاليا ونزل برَّها واختلف الرواة في اسم الموضع فمن قائل انهُ نزل في فلورنسا ومن مخبرٍ انهُ في توسكانا وروى غيرهما في ليكورن بحيث لو اطلع غير الخبير على هذه الروايات في مصادرها لاحتار ولم يدرِ ايها يعتمد والحق ان فخر الدين كان على صلةٍ مع آل مديسي Médici امراء فلورنسا وكان هؤلاء قد اتسع في تلك الاونة نطاق امارتهم فعمَّ كل بلاد توسكانا وفازوا بصداقة البابا بيوس الخامس على تلقبهم بكران دوك توسكانا فاتخذ احدهم فردينندو الاول ليكورن مرفأً للسفن المتجرة مع الشرق فما عتمت المدينة ان كبرت وازدهرت. فالاقوال المتضاربة ظاهرًا صحيحة والمرجح ان فخر الدين نزل البر في ليكورن ولكنهُ اقام في بيزا المنضمة الى تلك الامارة وذلك بامر الكران دوك والكران دوك هذا هو كوزمو الثاني (الذي حكم من سنة ١٦٠٩ الى سنة ١٦٢١) وقد رحَّب بالامير وكذلك رحَّبت بهِ امهُ وأُخلي لهُ قصرٌ فسيح وأُجريت لهُ الرواتب البالغة بنحو الفي سكوت في السنة ثم ارسل الكران دوك بعضاً من عظماء البلاد يسلمون عليهِ ويستخبرونهُ عن شؤونهِ فالحوا عليهِ بالسؤال كثيرًا ولكنهُ تحفظ منهم واجابهم مقتضباً فما سألوهُ عن عدد العسكر الذي يستطيع ان يجدهم بهِ اذا قصدوا بلادهُ فاجابهم انهُ يومئذٍ بين ايديهم ولا يستطيع جواباً فقالوا اذا لم يكن ممكناً لاهل لبنان ان يجدوهم فهل يبيعونهم زادًا فقال لهم انكم عارفون بقوة المسلمين وحول العثمانيين فان كنتم قادرين على غلبة قواتهم فانتم في غنىً عن الاعتماد على معونة الغرباء في تموينكم فسألوهُ كم من العسكر يجتمع تحت لوائك في بلادك فقال لما كنت والياً على لبنان كنت احشد عشرين الفاً غير الذين يقيمون في بلادهم اما الان فاني لسوء الحظ لا احكم الاَّ على نفسي

قلت اذا صحت هذه الرواية فانها تدل على اباء فخر الدين ان يكون آلةً في ايدي الاجانب يسعى لهم في غرضهم وصحتها تناقض الراوية القائلة بما سبق لهُ من مخابرتهم للاعتضاد بهم لانهُ لو كانت نفسهُ تحدثهُ بمثل هاتيك المطامع لما ابى الانتفاع بها حين صارت وشيكة الوقوع فكأَن سفرهُ الى هاتيك الديار لم يكن الاَّ فرارًا من العسكر السلطاني وبطشهِ وانما التجأ الى القوم الذين كان يحسن الى تجارهم المقيمين في بلادهِ بالحماية والعضد وليس غريباً ان

(٢) وفي رواية الخالدي ان المال كان قد اخذ عطاء من القنصل المسمى كروانا

يسعى القوم في استنصاره على الدولة لما هو معروف من عدائهم لها ولذلك يحكى انهُ لم يمضِ الاَّ بضعة ايام على محادثتهِ حتى تقلَّص ظلُّ الترحاب بهِ وقلَّت كمية المال المرتب لهُ حتى اصبح محتاجاً الى رهن مجوهرات امرأتهِ للانفاق على بيتهِ مع انهُ اقام في بيزا يعيش عيشةً بسيطة خاليةً من الترف لكنهُ لم يكن مهملاً ومع ذلك فقد تولاَّهُ الملل والضجر لاسيما وقد انقطعت صلاتهُ مع الكران دوك او كادت

اما تاريخ هذه الرحلة ففيهِ خلاف بين الكتبة لكن المرجح وقوعها سنة ١٦١٢ لان ذلك قول جلةٍ من العلماء الاعلام كالبطريرك الدويهي والمطران يوسف الدبس والمرحوم البستاني واحتذاهم صاحب تاريخ كسروان وانما خالفهم الخالدي الصفدي واخبار الاعيان والمسيو دريس صاحب التاريخ العام (Dreyes; Chronologie Universelle) فانهم ارخوا ذلك سنة ١٦١٣ واما الكولونل تشرشل فقد ارخهُ في ٢٥ اكتوبر (١ ت) سنة ١٦١٤ فتأمل

ولما ذاع خبر وصول الامير الى اوربا استلفت الانظار اليهِ واسترعى السماع لكلامهِ وشرع الناس يتساءلون عن شأنهِ وعن وطنهِ وامتهِ ومنشئها وانبرى الباحثون لذلك ينقبون عن الوقائع التاريخية والاشخاص ولا يهتدون وتراهم يخبطون خبط عشواء في اعتبار الدرزية من الفرق الاسلامية والنصرانية فما قالوهُ انهم بقية شرذمةٍ من الصليبيين حاسبين ان اولئك التجأوا الى الجبال العصم وانهم ظلوا محاربة ايامهم يعادون اصحاب البلاد فكان هذا القول على غثهِ مقبولاً لدى فخر الدين ليبقى لهُ ما فاز بهِ من التفات الافرنج واحتفائهم بهِ وما علق بهِ املهُ من النصرة السياسية فادعى انهُ من سلالة آل لورين وساعدهُ الحظ ان بعضاً من الذين تهمهم الرسالات الدينية او التجارية في سورية صدّقوا مدعاهُ ليفوزوا منهُ باستمرار حمايتهِ وعنايتهِ بهم اذا عاد الى وطنهِ حاكماً وتمادوا فشرعوا يقيمون الادلة على صحة قولهم حتى قال قومٌ منهم ان كلمة دروز مشتقة من دري Dreux وهو اسم احد امراء الصليبيين زاعمين ان جماعة من الصليبيين الفرنسويين تحت امرة الكونت دري نزلوا تلك البلاد فنسبت الجماعة لزعيمها وعرفت بهِ. ثم ان صاحب اخبار الاعيان يحسب المعنيين من المسلمين وكذلك يحسبهم الكولونل تشرشل في كتابيهِ تاريخ لبنان وتاريخ الموارنة والدروز على ان معظم المؤرخين الذين قرأنا مؤلفاتهم عنهم يحسبونهم من الدروز وقد صرح بذلك المحبي والمرادي والبستاني الاَّ ان المحبي يقول في صدر ترجمة فخر الدين ان بعضاً من حفدتهِ قال لهُ ان فخر الدين كان يقول ان اصل آبائنا من الاكراد سكنوا هذه البلاد فاطلق عليهم الدروز باعتبار المجاورة لا انهم منهم قال وهذا ايضاً غير ثابت الخ . قلت لو صحَّ عند المسلمين السنيين ان بني معن كانوا

منهم لما تبرأ الامير حسين بن فخر الدين من الدرزية حيث لبث في الاستانة بعد مقتل ابيهِ كما روى المرادي في ترجمتهِ

واما قول حفيد فخر الدين للمحبي ان اصلهم من الاكراد ففيهِ نظرٌ لان القوم كانوا يتفاخرون بنسبهم العربي وانهم من بني ربيعة ناهيك ان شاعرًا معاصرًا لفخر الدين اسمهُ محمد الطالوي كان قد مرَّ على صيداء ومدح الامير ثم اخذ الامير مملوك الشاعر فكتب ذلك الى والي دمشق شريف باشا قصيدةً يشكو فيها ويتظلم من فعلة الامير وفي القصيدة هذا البيت

ماذا لقي في ثغر صيدا من دروزيٍ غويِ

ثم ان سفر فخر الدين الى اوربا لم يطفئ جمرة الحرب بل عاد ابنهُ من حوران لنجدة بلادهِ لان احمد بك احطَّ على قلعة شقيف ارنون وحصرها طويلاً وكانت النجدات تتوارد على عسكرهِ من انحاء البلاد حتى حصروا بلاد الامير يونس المعني فاشار عليهِ قومهُ ان يرسل امهُ الى الباشا في طلب الامان والتسليم فارسلها وصحبها بخمسة وعشرين الف غرش واربعة من الخيول العراب هديةً وبعث معها ثلاثين رجلاً من عظماء البلاد وفي غضون ذلك علم بمراسلات سكانهِ والباشا فخرج من دير القمر وكان حسين باشا سيفا مرابطاً في الدامور فلما علم بخروج الامير وعسكرهِ من دير القمر قصدها ليحرقها الاَّ ان ام الامير كانت قد بلغت مخيم الوزير وقدمت لهُ الخيول والمال فرحَّب بها واجاب ملتمسها بان عفا عن ابنها وخلع عليها ولكنهُ اشترط ان يؤدي لهُ مئة الف قرش نصفها فداء عن حرق الشوف والنصف الآخر لكف القتال وابقاء القلاع فارتضت بذلك وظلت عندهُ رهينةً فامر بالانكفاء عن الحرب واطلق الامان لآل معن وارسل بعض اخصائهِ يبشر الامير يونس بما حاز من العفو وان يسعى بتدبير المال

والظاهر من رواية العلاّمة الدويهي ان مجيء ام الامير للمخابرة بالصلح كان بطلب الباشا اجابةً لالتماس الامير يونس لانهُ رأى البلاد اصبحت عرضةً للحرق والسلب الاَّ ان المحبي يقول انهُ انما ارتضى بنزولها اليهِ لما علم ان فخر الدين قد سافر الى اوروبا وانها لما مثلت لديهِ قالت لهُ نحن ما ضبطنا بلدًا بغير اذن السلطان ولا انكسر عندنا مال وانها اعطتهُ مئة الف للسلطان وخمسين الفًا للوزير ومثلها لهُ

ولما وقع الصلح عاد الباشا الى دمشق والرهائن معهُ وما لبث الامير يونس ان برَّ بوعدهِ وجمع المال المطلوب وارسلهُ الى الباشا صحبة الشيخ احمد العكس من دروز حفة حلب فدفع الرسول ثمانين الفًا وهرب من الشام بالعشرين الالف الباقية فطلبها الباشا من الامير فاعتذر

عن اداثها ثانية بما كان من فعلة ابن العكس فلم يرتض بذلك بل ركب للقتال وسار حتى قب الياس فارسل الامير اليهِ مبلغاً واعتذر عن الباقي فابى الباشا الامهال وتوافدت اليهِ العساكر ومن جملتهم الامير احمد الشهابي مع ان الباشا كان قد نكبهُ بعشرة آلاف غرش فسرَّ بهِ ووعدهُ بولاية حاصبيا وسائر وادي التيم فلما علم اخوهُ الامير علي بذلك جمع رجالهُ وانضم الى عسكر الامير يونس وارسل ابنهُ بشرذمة من الرجال لنجدة الامير علي بن فخر الدين في قلعة بانياس اما الباشا فارسل الشيخ مظفراً برجالٍ من اتباعهِ الى الباروك فلقيهم المعنيون وحاربوهم فكسروهم وردوهم على الاعقاب خائبين واقام الامير يونس في الباروك متوقعاً هجوم الباشا عليهِ بكل قوتهِ الا ان الباشا كان قد دسَّ لاهل الشوف الخروج عن ولاء الامير والالتجاء اليهِ فيلقون خيراً فاجابهُ بعضهم الى ما اراد فخاف الامير يونس من مغبة الانحراف عنهُ وذهب من الباروك الى بانياس وقدم الباشا فدخل دير القمر واثخن فيها قتلاً ونهباً واحرق منازل المعنيين وارسل الشيخ مظفراً الى عبيهِ فاسر الامير ناصر الدين التنوخي وجاء بهِ الى الباشا فاكرمهُ وولاهُ الشوف واما المعنيون فاحتشدوا في مرج بسري وجاءهم عسكر الباشا ولما التقوا انكسر جيش الباشا فارسل المعنيون يبشرون الامير يونساً بظفرهم و يطلبون مدداً و كذلك بعث الباشا يستقدم حسين باشا سيفا من الدامور فجاء ووقع المصاف وكانت عدة رجال الشوف اربعمائة واما عسكر الباشا فعشرون الفاً فانكسر الشوفيون وولوا الادبار وفي طريقهم التقوا بنجدة اميرهم فعاد بهم الى بانياس وانصرف الامير علي الى بلادهِ وتشتت اهل الشوف في وادي التيم وخلا الجو لجيش الباشا فشرع يعيث في الشوف فساداً من قتلٍ وسلبٍ وحرق ثم قصد قلعة شقيف نيرون فلم يقوَ عليها فتركها وعاد الى دمشق وفي طريقهِ اليها اتمَّ خراب البلاد . ولقد ذكر العلامة الدويهي ان سبب رجوع الباشا عن تتبع نصرهِ ما علمهُ من مقتل الصدر الاعظم نصوح باشا فخاف وسرَّح العرب ونكص راجعاً ولا نعلم موضع هذا السبب من الصحة لان هذه الحرب وقعت سنة ١٦١٢ ولم يكن امدها طويلاً ليتجاوز السنة والمعهود ان مقتل نصوح باشا كان في ١٢ او ١٣ رمضان سنة ١٠٢٣ هـ المعادلة سنة ١٦١٤ على ما يستفاد من المحبي ومن تاريخ تركيا لجوانين وفان كاثر

ولما رجع احمد باشا الى دمشق عاد الامير يونس الى دير القمر واقام فيها لانهُ كان قد اتخذها مركزاً للولاية منذ فوض اليهِ اخوهُ الامارة فانتقل من بعقلين اليها

ولما عزل احمد باشا الحافظ سنة ١٦١٣ عن الشام وعين محمد باشا جركس ارسل متسلمهُ وامرهُ ان ينادي بالامان و يرد جميع النازحين فضمن بلاد الشوف للشيخ يوسف المسلماني من

اعوان بني معن فارسل اليهِ الامير يونس الشيخ ابا نادر الخازن والشيخ ابا ظاهر حبيش ليسعفاهُ في عد الاشجار واستيفاء المال ولما وصل محمد باشا الى حلب اطلق سراح ام الامير فخر الدين ومن معها من الرهائن التي ابقاها احمد باشا عندهُ حين مصالحتهِ الاولى وعفا محمد باشا عن الامير فخر الدين وأمنهُ ليعود الى بلادهِ فارسل الامير يونس كتاب الامان الى اخيهِ

وكان فخر الدين احب الوقوف على شؤون بلادهِ فارسل رسلاً اليها مع جماعة من سياح الافرنج فوصلت الرسل ونزلوا ضيوفاً على اخيهِ الامير يونس في دير القمر ثم تفقدوا القلاع وعادوا بالجواب من الامير يونس ومعهم الشيخ خاطر الخازن وخمسون رجلاً من الشوف

وبينما كان في بيزا زارهُ قنصل فرنسا وقدَّم لهُ رسالةً من الملك لويس الثالث عشر يدعوهُ بها الى بلاطهِ ويعرض عليهِ التوسط لهُ لدى السلطان ليعفو عنهُ فيرجع الى قومهِ آمناً فاجاب متلطفاً بالاعتذار عن قبول الدعوة

وكانت مملكة اسبانيا في ذلك الحين متسلطةً على بعض ارجاء ايطاليا ومن جملتها مسينا فاراد ملكها فيليب الثالث ان يضيف الامير فخر الدين فأمر عاملهُ في مسينا ان يكتب الى كران دوك توسكانا ملتمساً منهُ ان يبعث الامير الى بلادهِ ضيفاً على حكومتها وفي رواية تشرشل ان الكران دوك طلبهُ ذات يومٍ الى حديقة القصر فذهب اليها مع شيخ الاسلام نصر الدين فرأى الدوك يتمشى مع رئيس وزراء ملك نابولي فلما اجتمعوا اطلعهُ الكران دوك على كتاب من الملك فيليب الثالث يدعوهُ بهِ لزيارتهِ في مدريد ويعدهُ اذا صار مسيحياً ان يُعطى امارة اعظم من امارة لبنان فاجاب الامير شاكراً احسان ملك اسبانيا وعنايتهُ بهِ ولكنهُ قال اني لم آتِ الى هذه الديار لعلةٍ دينية ولا لاطلب حكومة ولكني جئت ملتجئاً ثم قال للكران دوك انك ظللتني بحمايتك واغدقت عليَّ نعمك ولذلك اصبحت في منةٍ زائدة لفضلك فان شئت ان ابقى هنا فاني مطيع لامرك وان شئت ان ترجعني الى وطني سررت جداً اه . الاَّ ان روايةً أُخرى تقول ان الكران دوك خيرهُ في الذهاب الى مسينا او في البقاء في بيزا فقبل الدعوة ترويحاً للنفس فاعطاهُ الكران دوك سلسلةً من ذهب واعدَّ لهُ مركباً فسافر بعيالهِ والشيخ خاطر الخازن وبقي الحاج كيوان في توسكانا ولما بلغ الامير مسينا استقبلهُ واليها الاسباني بالايناس والترحاب واقام عندهُ مكرَّماً في قصرٍ عظيم أُعد لهُ

وبعد حينٍ استأذنهُ فخر الدين في الذهاب الى بلادهِ ليطلع على شؤونها فأذن لهُ وسيرهُ ببعض غليونهِ فلما اقترب من صور ارسل الشيخ خاطر الخازن ليجيء باخيهِ يونس الى قرب الدامور واتفق معهُ على اطلاق البارود في الجو علامةً لوجودهم لكي يقترب منهم فيرام فذهب

الشيخ خاطر واجتمع في دير بسيم برجل من جماعة اخيهِ ابي نادر واستخبرهُ عن حال البلاد وسألهُ عن والي صفد فاجابهُ انهُ الامير يونس كأنهُ لم يعلم انهُ الامير عليّ او اخطأ الناقل في الرواية وانهُ استتاب عليها الشيخ ابا نادر ومن ثمَّ ذهب ابو خاطر الى دير القمر واخبر الامير يونس فركب ومعهُ كثيرون من عظماء الشوف الى الدامور واعطوا العلامة فاقترب مركب الامير من البر وشرع الناس يذهبون اليهِ للسلام على فخر الدين والتمسوا منهُ النزول الى البر فابى الربان ذلك كأنهُ كان محظوراً عليهِ ان يسمح بهِ ولما قضى الامير من الاجتماع وطرهُ سافر فمرَّ على مالطة فرحب بهِ واليها واهلوها ترحاباً عظيماً وحيوهُ باطلاق المدافع ثم عاد الى بلرمو في ايطاليا

جرجي يني

عمران دمشق

تمهيد

التأليف في هذه الديار ضربٌ من شاق الأعمال لا يُعانيهِ الاَّ من يُدانيهِ لضعف مادة العلم وكساد بضاعة الفضيلة وتباين المشارب والمذاهب وشدَّة الضغط والتعسُّف بحيث يضطر في الغالب من يجرأُ عليهِ الى التقية يستعملها فيما يكتب على حين أنهُ لا تقيَّة في العلم ولا خشية من التصريح بالحق الاَّ في اقطار يُحظر فيها كلُّ شيءٍ خلا التمويه والتدليس

لي صديق من حملة العلم اوعز اليَّ ان أُنشئ رسالة أُلمُّ فيها بما تقلَّب على دمشق الفيحاء من كُثرٍ وقُلٍّ وعلم وجهل فامتثلتُ امرهُ وانا أُحاذر ان تنطبق عليَّ بالقول والفعل جملةٌ فاهَ بها احد كتاب الفرنسيس وقد أَلَّف كتاباً وهو في الخامسة والعشرين من عمرهِ "إن هذا السنَّ يستسهل العقل فيهِ حلَّ المشكلات ويأخذ الاشياء بظواهرها ويحلُّ الخيال منهُ محلَّ النقد والتنقيب ويعتقد المرء في الامور بغير قيد وهو سنٌّ لو انصف اهلوهُ ما كتبوا ولا أَلَّفوا"

واذ شرعتُ في العمل تيسَّر لي رغم المصاعب من مخطوط الأَسفار ومطبوعها ما لم اتوقع الحصول عليهِ فاستأنستُ ببعض واقتبست من آخر ومما طالعتهُ من المخطوط جانب من تاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ والضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ والكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي المتوفى سنة ١٠٦١ ومختصر الدارس في تواريخ المدارس للعلموي والاصل للنعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ ومحاسن الشام للبدري وحوادث دمشق اليومية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ لابن بدير وكتاب ثمار المقاصد في ذكر

المساجد ليوسف بن عبد الهادي كتبهُ سنة ٨٨٣ وتاريخ في ١٤٠ صحيفة متوسطة القطع ناقص كرّاسًا من الاول ارّخ فيهِ مؤلفهُ منذ ابتداء العالم الى زمن قايتباي الجركسي سنة ٨٧٢ وعليهِ حواشٍ بقلم محمد الاكمل بن مفلح المتوفى سنة ١٠١١ واظنهُ مختصرًا من تاريخ ابن عساكر مع زيادة في آخرهِ

وطالعت من المطبوع طرفًا من تاريخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وتاريخ الكامل لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٠ وتاريخ المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ وتاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وكتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة المتوفى سنة ٧٢٧ وجغرافية ابي الفدا المتوفى سنة ٧٤٣ وجغرافية المقدسي ومسالك الممالك للاصطخري والمسالك والممالك لابن خرداذبه ومعجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ وازهار الروضتين في اخبار الدولتين لابي شامة المتوفى سنة ٦٦٥ وعيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ وتاريخ ابن خلّكان المتوفى سنة ٦٨١ وذيلهُ لابن الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ وخلاصة الاثر في تراجم اهل القرن الحادي عشر للمحبي المتوفى سنة ١١١١ وسلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي المتوفى سنة ١٢٣٢ وخلاصة تاريخ العرب للمستشرق سيديليو المولود سنة ١٨٠٨م وروضة المناظر لابن الشحنة المتوفى سنة ٨١٥ واخبار الدول للقرماني المتوفى سنة ١٠١٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ وتاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري المتوفى سنة ١٢٥٠ وقطف الزهور ليوحنا ابكاريوس وتاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد وتاريخ سورية لجرجي يني والروضة الغنّاء لنعمان القساطلي والكامل للمبرّد المتوفى سنة ٢٨٥ ورحلة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٧ وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري المتوفى سنة ٧٤٩ وجهان نما لكاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٢ ورحلة المستشرق فولني المتوفى سنة ١٨٢٠ وغيرها من الرحلات والتقاويم والكتب الجغرافية والتاريخية المطبوعة بالافرنسية والتركية.

هذه هي مآخذي ولقائل ان يقول مالك وللتعنّي في تصفح كل هذه الصحائف من اجل وضع رسالة في تاريخ مدينة واحدة . ولو حقق لعلم ان هذا الاحتفال وان جلّ لا يُعدُّ شيئًا في جانب ما يُقاسيهِ الغربيون من الإمعان في التنقيب والتنقير وإغراق النظر في المبحث الصغير فضلاً عن الكبير . وكم من غربيّ صرف شطرًا من حياتهِ في تأليف كُتيّب دون ان تعتريهُ ملة وسآمة وكم من شرقيّ بدأ في عمل فعاودهُ ما رُكز في طباع الشرقيين من قلة الثبات فوقف في منتصف الطريق وربما انقطع في اوّلهِ وما ذاك الاّ من انحلال الروابط وقلة الوسائط

ولعلّ الناظر في هذا الوجيز يلاحظ معي ان سلسلة التاريخ انقطعت في اكثر القرون

خصوصاً في المتوسط منها فنازلاً وذلك لارتفاع العلم النافع من بين اظهرنا وعموم البلوى بالجهل المركب حتى زهد الناس في فن التاريخ وحسبوهُ اقاصيص خرافية لُفقت للمستضعفين وباليتهُ راج بينهم رواج كتب المجون والاضاليل

كُتبت بعض تواريخ في هذه القرون لكن الغرض والعوض اعميا اصحابها فلم يُدونوا الاَّ ما يرتضيهِ الكبراء ويُحظي بالزُّلفى ممن انتسبوا اليهِ . ومَن لنا بمؤرخ عالم عاقل كالجبرتي الذي ارَّخ حوادث مصر في اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن الثالث عشر نستقي من موردهِ فان الحال في سورية كانت سواء والقطر المصري ولكن اخبارهُ حُفظت وضاعت اخبارنا وما ذاك الاَّ لأن من تسمَّوا بالعلماء تجافوا مؤخرًا عن خدمة هذا الفن بعد ان كان اساطين الرجال في غابر الزمن متولين امرهُ يقتطعون سُويعات من اوقاتهم العزيزة لينقلوا الاخبار مخافة ان تعبث بها الاغمار وتخفيها يد الاشرار من اجل ذلك خلَّف اكثرهم في فهارس مصنفاتهم تواريخ باعها المتأخرون منا بالمجان فغادرت ربوعنا غير آسفة اذ أحلها الاغيار محلَّ الاعتبار وامسينا نقرأ في تراجم الاسلاف اسماء زهاء الف وخمسمائة كتاب في التاريخ ثم اذا عددنا ما في الايدي منها لا نراهُ يربو على الخمسين تاريخاً

هذا وقد ادمجتُ اثناء الكلام على عمران دمشق طرفاً من اخبار الدول التي تعاقبت على هذه الحاضرة لاني رأيتني مضطرًا الى ذلك بقين انَّ حال البلاد متعلق بسياستها تعلق الارواح بالاشباح واغتفرت هذا الاستطراد لنفسي علماً بان من لا تروقهُ انباء عاصمة عظيمة قديمة يقرأ على الاقلّ إجمالاً عن تاريخ الاسلام قد يحصل منهُ على اثير يغنيهِ عن كثير

ولا اقول انني راعيت فيما كتبت الزمان والمكان بل اثبتُّ كل ما ينبغي لمؤرخ ان يذكرهُ واخترت في الاحايين التلميح بدل التصريح لجلاء الكلام على من يتدبر السياق والسباق . واعتمدت على التاريخ الهجري في اكثر الروايات اذ لم احتج الى تغييرهِ كما اني لم أغير التاريخ الميلادي . وجريت على اسلوب مؤرخي الفرنجة في تقسيمهم عمر العالم الى ثلاثة اقسام القرون القديمة والقرون المتوسطة والقرون الحديثة ويبتدئ الاول منذ عُرف التاريخ الى سنة ٣٩٥م ابَّان انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها رومة ويوصلهُ بعضهم الى سنة ٤٧٦ حين انقرضت تلك المملكة بتاتاً . والقرون المتوسطة تبتدئ من انتهاء القرون القديمة الى ان فتح السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣م و٨٥٧هـ والقرون الحديثة تبتدئ من استيلاء الفاتح على هذه العاصمة الى حدوث الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ وما بعد ذلك يُدعى بالتاريخ العصري

وتوخيت الاختصار ما امكن لجاءت هذه العجالة ما ترى لا ما يجب ان ترى والنية معقودة ان فُسح في الاجل ان اعيد فيها النظر ثانياً ازيد وانقص ريثما تتم للنفس امنية تسعى الى ادراكها من التمحيص والتعديل. وعسى ان لا يكون نصيبي من ذلك نصيب من يحاول تطبيق القضايا العلمية على الاصول الدينية . ورجائي ان افوز باجر من يضمّ الموزّع ويلأم صدع المهزّع وان يتفضل رصفائي في خدمة العلم بما يعنّ لهم من الملاحظات مشفوعة بالتدقيق في الاستقراء لتقابل مني بالمنة والثناء

(١) عمران دمشق في القرون القديمة

بالطمع والجهل كثرت شرور البشر فبُدّلت الارض غير الارض وبفقدهما استبحر عُمران وسعد انسان . قال احد علماء الافرنج كانت محبة الذات في ابان اعتدالها مبدأ سعادة وعنوان كمال فلما اصبحت عمياء مختلة استحالت سمًّا زعافاً وغدا الطمع وهو ابن الجهل واليفهُ داعياً الى الشرور كلها التي دمّرت الارض

وما من قانونٍ الهيّ او وضعيّ الاّ وعرّف الخلق طرق الخير والشر ودلهم على حدائق الازهار ومتالف الوعر بيد انّ الارض لا تعمر باسبابها الطبيعية ما لم تشفع بالصناعية فقد غصت بلادنا مثلاً بخصب دائم وماء دافق وريح طيبة وفصول معتدلة فما اغنت غناءها بجانب ما كانت تستند اليهِ في رُقيها من عدل وعلم فلما دالت دولتهما تنكر عمرانها وتفرّق سكانها

بالطمع والجهل تداعت اسوار نينوى والجنان المعلقة ببابل وقصور تدمر ومعابد بعلبك وصروح القدس ودثرت اساطيل صور ومعامل صيداء وملاحة ارواد وآثار غزة وعسقلان وبصرى وجرش وعمّان وبادت الزهراء والحمراء وانقرضت الخضراء والشقراء وتقوّضت الحدباء والزوراء وادبرت الشهباء والفيحاء

بالطمع والجهل جرى ما جرى لتلك الحواضر وفقد ما تفاخر بهِ الارض من ناطق وصامت وعجماوات وجمادات وتعطلت هاتيك المرافئ التي طالما اقلعت منها سفن الفينيقيين واليهود وابحرت في شواطئ شبه جزيرة العرب ماخرة العباب الى الخليج الفارسيّ والبحر الهنديّ لتقلّ من عمان والبحرين نواتج القارّتين الاسيوية والافريقية من تبر وذهب وفضة ولؤلؤ واحجار كريمة وشال وعطور وبخور وصبر وعاج ومسك وعود وطواويس وقرود . ومن تلك الموانئ كانت تسير المراكب المصرية والسورية لتوزع اوساقها على سواحل البحر المتوسط على حين انك لا تسمع بمثل هذه الحركة التجارية اليوم الاّ في مرامي اوربا واميركا منها واليها ذاهبة جائية

لا جرم ان المتفلسف في طبائع الاكوان يعلق الاسباب على مسبباتها فاذا رأى عمراناً بين امة حكم انهُ كان بعدل وحرية او وحدة دينية او وطنية او سيف وحكمة او حسن قيام على تجارة وزراعة وصناعة واذا شهد العكس نسبهُ الى سوء ادارة وفساد اخلاق او ظلم وشقاق او حروب متتابعة ودول متعاقبة وجدالات اهلية . وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون

وبعدُ فقد كانت دمشق الفيحاء مصر الشام وامّ مدنها وعروس المشرق لوقوعها في مركز تنتهي اليهِ السيارة المشرقية الى الافق المغربي وقد عظم شأنها بين المدن الحافلة العريقة في القدم الباقية في لوح الوجود فروى تاريخ القرون المتوسطة عن عظمتها السالفة عجائب ما كان المرء ليخالها الاَّ مبالغاً فيها لو لم تشهد بها الآثار والاخبار. وبلتْ كسائر الامصار الحلو والمرّ من صروف الدهر فنالت حظها من بهاء ورفعة وانحطاط وضعة وأربتْ شقوتها على سعادتها فعدت ايامها السود كثيرة في جنب ايامها الغرّ المحجلة

واختلفت الروايات في سبب تسميتها واصل بانيها بحيث اتسع مجال القول للوضاعين والقصاصين واقوالهم في الباب متخالفة ولا اختلاف علماء الطبيعة في عمر الارض والصحيح الذي ينبغي ان يعوّل عليهِ انّ التاريخ القديم غامض للغاية اللهمَّ الاَّ ما جاء من طريق معاصرينا من مؤرخي الفرنجة الذين يستدلونَ على الحوادث بآثار لا تقبل الانكار

ولقد قسم العارفون بايام الناس تاريخ دمشق الى ستة ادوار كما يقسم علماء الجيولوجيا طبقات الارض الى ستة اقسام في الغالب ايضاً فكانت مستقلة نحو ١٤٥٠ سنة وبسط البابليون والفرس ايديهم عليها ٤١٧ سنة وظلَّت بها حكومة اليونان السلوقيين ٢٤٧ سنة وحكمها الرومان ٦٩٩ سنة وسادها العرب المسلمون ٤٤١ سنة وتملكها الاتراك العثمانيون منذ سنة ٩٢٢ هـ

وما من اثر يدلُّ على كيفية حكومتها ايام استقلالها وعمرانها في تلك العصور المظلمة . واذ سقطت مراراً في ايدي اليهود صيَّروها عاصمة سورية ولذا تكرر اسمها في سفر التكوين تحت اسم آرام وحكمها ملوك وردت اسماء بعضهم في التوراة لكن تصعب معرفة ازمانهم واحوالهم

ودخلت دمشق في حوزة ملك اشور سنة ٧٤٠ ق . م فقاست ما قاستهُ مملكة اشور من شقاء ونعاء ولم تكن هذه الحكومة في سورية مضرة بالتجارة والثروة مع ما عُرفت بهِ من القسوة والهمجية. وخضعت دمشق للفرس نحو ثلثمائة سنة ولما لم تكن حكومتهم تحسن الاستعمار انحط عمرانها وظلَّت نحو الف سنة تتسكع في بيداء الصغار وتتردى في مهاوي الدمار واقلُّ اعمال الفرس فيها كما في تاريخ سورية حمل اهلها على الجلاء الى بلاد مادي وسكنى الاشوريين فيها

ولما نشب القتال بين داريوس ملك الفرس وهو صاحب سورية اذ ذاك وبين الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق . م تقهقر جيش داريوس وانهزم الى ما وراء الفرات فاستولى الاسكندر على سورية وفلسطين ونصب احد رجاله والياً على دمشق والبقاع ولم يروِ التاريخ عن دمشق شيئاً على عهد هذا الفاتح العظيم وقد كانت البلاد تنقاد اليهِ عفواً صفواً وتمشي امورها زهواً رهواً حتى اذا هلك انقسمت مملكتهُ بين اربعة من قوادهِ فكانت سورية لسلوقس منذ عام ٣١٢ ق . م . وكانت الدولة السلوقية دولة حرب وشقاق فارتفع الامن في ظلها وفسد النظام واصبحت سورية باجمعها حوالي سنة ٨٧ ق . م على شفا جرف هارٍ من الاخطار اذ كانت رومية تطالبها ببسط نفوذها عليها ومصر تحاربها لتضمها اليها والفرس يجتاحون البلاد بأسهم وشدة مراسهم حتى قررت لهم السيادة الادبية عليها ولا تسل عما مُنيت بهِ البلاد اوانئذٍ من ضعف الحال والرجال . ولاضطراب حبل المملكة السلوقية امتدت يد ملك ارمينية الى سورية وحكمها ١٤ عاماً الى ان جاءها الرومان سنة ٦٥ ق . م واستخلصوها منهُ . ويقول اغلب اهل السير من الافرنج ان الدولة الرومانية كفلت السوريين بالعدل فاحسنت كفالتهم مع ما كانت عليهِ في داخليتها من المشاغب والمتاعب حتى اذا شاخت دولتهم وغدا ملوكها لا يفكرون الاَّ في نيل تاج الملك ولو ملوَّثاً بزعفران الدماء وقصاراهم ان يعيشوا في قصورهم مترفين وفي شهواتهم منغمسين يحرسهم الحجاب وتتسرَّب الى خزائنهم اموال الجبايات انقلبت الحال الى اتعس مما كانت عليهِ من قبل . وبالنظر لتجافي هؤلاء الملوك عن التبصر في احوال رعاياهم كان اكثرهم يُقتلون غيلة بيد قوادهم او جندهم او شعبهم فراراً من سوء ادارةٍ افقدت أُمتهم ومجاوريها الحرية والعدل . وعلى هذا امست دمشق بل قطرها في حمإٍ مسنون من الرق شأن كلّ مغلوب على امرهِ لا يعرف اهلها غير الذلة والمسكنة يُضاف اليهما ما يتأصل في اهل كلّ قُطر ينصبغ بصبغة الحكومة المتغلبة من مكر ونفاق وفساد في العادات والاخلاق

هذا طرف من حال الفيحاء قبل الاسلام وقد خضعت للرومان مدة استيلائهم على سورية وما دار في خلدها الانتقاض عليهم . واذ كانت انطاكية عاصمة البلاد لم تلحق دمشق شأوها في العظمة والشهرة بل تخلفت عما يؤهلها اليهِ مركزها الطبيعي وان تكن خلفت تدمر بعد سقوطها في عمران لم يبقَ منهُ الآن سوى احجارٍ مبعثرة ونواويس مكسرة تدلُّ مع هذا على فخامة سلطانها واستبحار عمرانها واسماء رواها التاريخ فغابت عن العيان مسمياتها بتة كالبناء العجيب المسمى بالبريص وفيهِ يقول حسان

يسقونَ من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

وقال وعلة الجرمي

فما لحم الغراب لنــا بزادٍ ولا سرطان انهار البريصِ

قال ياقوت وهذان البيتان يدلان على ان البريص اسم الغوطة باجمعها الا تراه نسب الانهار الى البريص وكذلك حسان فانهُ يقول يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص. على ان المسعودي يقول ان هذا البناء كان موجوداً في سنة ٣٣٢ هـ في وسط المدينة وكان يجري فيهِ الخمر في قديم الزمان وقد ذكرتهُ الشعراء في مدحها لملوك غسَّان من مأرب وغيرهم

(٣) عمران دمشق في القرون المتوسطة

جاء المسلمون لفتح دمشق عام ١٤ هـ وكانت مختلة بحروب لم تنتعش بعد من عوارضها معتلة بامراض بادية للفاتح اعراضها وبعد حصار نازلها خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة فاسرع اهل البلد الى ابي عبيدة بن الجراح و يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وكان كل واحدٍ منهم على ربع الجيش فسألوهم الامان فأمنوهم وفتحوا لهم الباب فدخل هؤلاء من ثلاثة ابواب ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم وكتبوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ بخبر الفتح فاجراها كلها صلحاً

وهنا لا بأس بايراد طرف من احوال الدولة الاموية التي اتخذت هذه المدينة عاصمة جديدة للاسلام خصوصاً وانها كانت مبدأ دور ثانٍ لهذه الامة باحداثها اموراً اوجبت انقلاباً عظيماً اهمهُ تغير وضع الامامة و بالاشارة الى طور الدور الاول يتجلي الفرق فاقول:

الاسلام جامعة عظمى لمصالح الناس دعا اليها الرسول العربي عليهِ الصلاة والسلام فكان فيهِ هادياً ومهيمناً فلما توفاهُ الله شعر رؤساء الامة بوجوب اقامة خليفة يخلفهُ في بث الدعوة وتوطيد الجامعة . وبعد خلاف نصبوا بالاتفاق اصلحهم لهذا الشأن ابا بكر الصديق اماماً وخليفة وهو في سيرتهِ المثلى على ما يعرفهُ من شمَّ ريح التاريخ وكان من اجتهادهِ في حب المصلحة العامة ان انتخب خليفة يخلفهُ فعهد الى عمَر بن الخطاب وهو على ما هو من التوفر على اعلاء الكلمة فقد لا يوجد جاهل بتلك السيرة العمَرية

وعرف عمر ان نصب الامام من حقوق الجماعة فلم يغصبهم اياها حتى انهُ لما طعن قيل لهُ يا امير المؤمنين لو استخلفت فقال " لو كان ابو عبيدة حياً لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعتُ نبيك يقول انهُ امين هذه الامة ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حياً لاستخلفتهُ وقلت لربي ان سألني سمعت نبيك يقول ان سالماً شديد الحب لله تعالى " . الى ان قال " عليكم هؤلاء الرهط وهم عليٌّ بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص

والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً " الى آخر ما تواتر في قصة الشورى

ولما انتخب رؤساء الصحابة عثمان بن عفان تطاول بنو امية الى غرض كان يحيك في صدورهم واعني به الرئاسة العظمى على المسلمين كافة وذلك لانهم راجعوا تاريخهم فعلموا انهم كانوا في جاهليتهم رؤساء وحب الرئاسة كما يعهده علماء الاخلاق خلة ينزع اليها كل من كان له قديم يرجع اليه وتنمو جرثومتها في الناشئين في مهادها حتى اذا اضاء لهم برق مشوا في سبيلها حثيثاً شأن الأمويين في خلافة عثمان فانهم ظنوا الامر امرهم لا امر الامة وطمعوا في الولايات والاعطيات حتى نقم عليهم من نقم وكان من التألب على عثمان ما اشتهر امره وبقتله انفرجت على المسلمين ثغرة ما سدت ولن تسد

ولما ولي الشام معاوية بن ابي سفيان مُقدَّم بني امية اتخذ دمشق قاعدة لامارته لاسباب منها انها كانت متوسطة بين البلاد غزيرة الخيرات للجند ملائمة لابهة الملك وعظمة السلطان . ثم اخذ في تسخيرها لامره وتمهيدها لذريته وتربية اهلها على الطاعة للرؤساء والاستسلام للامراء حشدها باهل عصبيته واستمال قلوب جند الشام وهم العرب المعنيون بقول المؤرخين اهل الشام لا اهلها الاصليون من الروم فان هؤلاء ما كان لهم في المسألة ناقة ولا جمل . وعلى اثر ذلك قام معاوية يطالب بدم الخليفة الثالث فكان ما كان من امر وقعتي الجمل وصفين وقيام الخوارج وتشتت الكلمة بتلك العصبيات على نحو ما رواه الطبري وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين المعتدلين

ومن البديهي ان الحضارة بنت الترف والترف ابن الغنى والغنى من طبيعة الملك وملك بني أمية كان يمتد من اقاصي جبال حملايا في الشرق الى اداني جبال الألب وسط فرنسا في الغرب وحضارتهم كانت نسخة منقولة عن الفرس والروم لان الحضارة تنتقل في الغالب من الدول السالفة الى الدول الخالفة . وقد طفح التاريخ بادلة تثبت انغماس بني امية في الترف انغماساً لم يعهده العرب الفاتحون

سار عمر بن الخطاب الى الشام اربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل والرابعة على حمار فخرج معاوية للقائه وشارات الأبهة تحفه وترفه فلما تقابلا تأثر عمر من هذا البذخ ونظر شزراً الى معاوية قائلاً أكسروية يا معاوية . وفي رواية ابن عبد ربه عن يزيد عن ابيه قال إن عمر بن الخطاب لما قدم الشام ومعه عبد الرحمن بن عوف تلقاهما معاوية في موكب ثقيل فجاوز عمر حتى أخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل اليه فاعرض عمر عنه فجعل يمشي الى جنبه راجلاً فقال له عبد الرحمن بن عوف اتعبت الرجل فاقبل عليه عمر فقال يامعاوية انت صاحب الموكب آنفاً مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك . قال نعم يا امير المؤمنين .

قال ولِمَ ذاك قال لأنَّا في بلد لا نمتنع فيهِ من جواسيس العدوّ ولا بدَّ لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان امرتني بذلك اقمتُ عليهِ وان نهيتني عنهُ انتهيتُ فقال لئن كان الذي تقولهُ حقاً فانهُ رأي اريب وان كان باطلاً فانها خدعة اديب وما آمرك بهِ ولا انهاك عنهُ .

وذكر المبرّد ان معاوية قدم على عمر بن الخطاب من الشام وهو أبضُّ الناس فضرب عمر بيدهِ على عضدهِ فاقلع عن مثل الشراب او مثل الشراك فقال هذا واللهِ لتشاغلك بالحمامات وذوو الحاجات تُقطع انفسهم حسرات على بابك . وروى ابن الاثير ان عمر لما قدم الجابية من قرى دمشق وهي ناحية بالجولان كان اول مَن لقيهُ يزيد وابو عبيدة ثم خالد عليهم الديباج والحرير فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما اسرع ما رجعتم عن رأيكم اياي تستقبلون في هذا الزي وانما شبعتم منذ سنين وباللهِ لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلتُ بكم غيركم. فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامعة وان علينا السلاح قال فنعم اذن وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل كانهما لم يتحركا

هكذا كان الخلفاء الراشدون يعاملون عمالهم ليربأوا بهم عن موارد الترف والسرف في حين كانوا باول النشوء وصدر الفتح . ومن المسلَّم ان معاوية كان من السياسة والحلم على جانب واجمع ثقات المؤرخين على انهُ ما فتئ يستميل رجالات قريش اليهِ منذ جرى في شغاف قلبهِ حب الإمارة وقوي فيه عرق الامل بنيلها . وممن مالأهُ على تحقيق رغائبهِ عمرو بن العاص قريبهُ وعاملهُ على مصر والمغيرة بن شعبة عاملهُ على الكوفة وهما الداهيتان اللذان يقول فيهما الحسن البصري — كما في السيوطي — انهما افسدا امر هذه الامة لاحتيال الاول برفع المصاحف يوم صِفّين وتقرير التحكيم ولأن الثاني كان من الداعين لاخذ البيعة ليزيد فاوعز معاوية سرّاً الى ولاة الامصار ان يوفدوا الوفود اليهِ يزينون لهُ اعطاء العهد لابنهِ حتى استوثق لهُ اكثر الناس وبايعوه والسيوف مصلّتة على رقاب كبار الصحابة وقت اخذ البيعة كيلا ينبسوا بحلوة ولا مرّة فتسلسل الملك في اعقابهِ سنَّة قيصر وكسرى بل كما قال عبد الرحمن بن ابي بكر سنة هرقل كلما مات هرقل قام هرقل

ولما قُضي على اهل الشام ان يكونوا بعدُ جيشَ بني أمية الخاص يقاتلون بهِ من يناوئهم في القاصية والدانية لم يكن نصيب بلادهم من العمران كنصيبهم من خدمة الاغراض . ومن جملة وصايا معاوية ليزيد قولهُ انظر اهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فان رابك من عدوّك شيء فانتصر بهم فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم

لاجرم ان ملك بني أُمية على الجدّ في قطع شأفة الخارجين عليهِ لم يدم سوى احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر او الف ومئة شهر تعاقب عليهِ اربعة عشر ملكاً كلهم متشابهون في مسلكهم الاَّ قليلاً دَعْ عنك افضلهم واعقلهم واعدلهم عمر بن عبد العزيز فانهُ لما شرع يتمكن من هدم ما بني من القواعد ليقوم باصلاح حقيقي دسَّ اليهِ بعض أُسرتهِ من سقاهُ السم فذهب حميد الاثر ولم يلِ الخلافة سوى ٢٩ شهراً

تبين مما تقدم ان الدولة الأُموية لم تتفرغ للعمران لانصراف وجهتها الى الفتوح وبث الدعوة وكبح جماح الخوارج والقدرية والازارقة والصفرية وغيرهم ممن

مضوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً تحوم عليهم طيرٌ وقوعُ

قال احد حكماء السياسة لا سلطان الاَّ بالرجال ولا رجال الاَّ بالمال ولا مال الاَّ بعمارة ولا عمارة الاَّ بعدل فعمران هذه الحاضرة على عهد تلك الدولة فضلاً عن انهُ نُقل عمن قبلهم نقلاً اعتورهُ القلب والابدال لم يكن في الدرجة التي يزعمها بعضهم اللهمَّ الاَّ ما كان من قصورهم ومصايفهم في الضاحية التي يتعذَّر الآن تحديد مراكزها لان بني العباس لما اخذوا الملك من بني أُمية هدّوا قصورهم كما نبشوا قبورهم

وقد انبثت قصور الامويين بجوار جامعهم الذي بناهُ الوليد بن عبد الملك ذاك المولع بتشييد القصور المجّدة والصروح الممرَّدة وهو صاحب البلاط الغريب . اما الخضراء وهي بلاط معاوية فقد كانت في الحيّ المعروف اليوم بمصبغة الخضراء من احقر احياء المدينة تكون عن شمال الداخل الى الجامع من باب جيرُون اي الباب الشرقي المدعى اليوم بباب النوفرة لوجود فوَّارة بقربهِ منذ مئات من السنين يؤيد ذلك ما رواهُ المبرَّد في كاملهِ من ابيات في بنت معاوية قال في مطلعها

صاح حيّا الالهُ اهلاً وداراً عند اصل القناة من جيرونِ
عن يساري اذا دخلت من البا ب وان كنت خارجاً فيميني

وذكر ابن خلكان ان دار سليمان بن عبد الملك كانت موضع سقاية جيرون وذكر القرماني ان عمر بن عبد العزيز لم يسكن في دار الخلافة بباب الخضراء وسكن شمالي جامع دمشق بمكان يعرف اليوم بخانقاه الشميصاتية وقال ايضاً كانت دار هشام بن عبد الملك عند سوق الخواصين مكان تربة نور الدين الشهيد وقيل في الكلاَّسة . وروى ابن عساكر ان دار مسلمة بن هشام وكانت معروفة بدار اماجور متصلة بالجامع من ناحية باب البريد ملاصقة دار ابي الدرداء

(ستأتي البقية) محمد كرد علي

كلام كارنجي عن نفسهِ



نشر المقتطف في اوائل العام الماضي مقالة وجيزة فيها طرف من ترجمة هذا المحسن الشهير والغني الكبير وقد رأيتُ الآن مقالة وجيزة من قلمهِ نفسهِ وصف فيها احوالهُ في صباهُ وكيفية ارتقائهِ واكتسابهِ الاموال الطائلة فرأيت ان اترجمها افادة للشبان من قرَّاء المقتطف لما فيها مما ينهض الهمم ويقوي العزائم قال:

"اضطررت لحسن حظي ان اعمل عملاً نافعاً لي ولغيري وانا صغير السن جدًّا لاني كنت بكر والديَّ وكانا فقيرين . وكان ابي حائكاً من اهالي اسكتلندا وكانت احوالهُ حسنة نوعاً لما ولدتُ كان عندهُ اربعة انوال من الانوال التي ينسج بها النسيج المعرَّق المعروف بالدمشقي وعندهُ صنَّاع ينسجون بها وذلك قبل استعمال البخار في معامل النسج . وكان التجَّار يقدمون الغزل للحاكة فيحيك هؤلاء لهم ما يطلبونهُ منهم

"ولما اتسع نطاق المعامل الكبيرة ضعف شأن الحاكة الصغار الذين يحيكون بايديهم وكان ابي من جملة الذين اضرَّ بهم ذلك فدخل البيت ذات يوم وهو يقول انهُ لم يبقَ عندهُ

شغل لانهُ اخذ المنسوجات التي نسجها الى التاجر فاخذها التاجر منهُ وقال لهُ انهُ ما عاد يمكنهُ ان يعطيهُ شيئًا آخر لينسجهُ لهُ . وهذا اول امر مهم ادركتهُ في حياتي

"ودارت المذاكرة في بيتنا على بيع الانوال الاربعة والمهاجرة الى اميركا وبقي والداي يتذاكران في ذلك اياماً واخيرًا قرَّ القرار على بيعها واتباع اقاربنا الذين سبقونا الى بتسبرج باميركا . فهاجرنا ووصلنا مدينة اليغاني ابي وامي وانا واخي . ودخل ابي عاملاً في معمل من معامل القطن وجُعلت انا صانعاً فيهِ وجُعلت اجرتي خمسة شلنات في الاسبوع وكان عمري اثني عشر سنة وهناك ابتدأ استعدادي لمعاطاة الاعمال

"وقد تعاملتُ بعد ذلك بمبالغ كبيرة من المال ومرَّت في يدي ملايين كثيرة ولكن السرور الذي شملني حينما قبضت اجرتي الاولى يفوق كل سرور شملني بعدهُ من كسب المال لانها كانت اجرة حقيقية لتعب شديد تعبتهُ تعبر لولا الغرض الذي كنت ارمي اليهِ والجزاء الذي كنت انتظرهُ لحق لي ان اسميهُ استعبادًا

"ولم يطل عليَّ المطال حتى رآني رجل اسكتلندي رقيق القلب يعرف بعض اقاربي فرثى لحالي وكان عندهُ معمل غزل فاخذني الى معملهِ واستخدمني وقادًا للآلة البخارية فاستصعبت هذا العمل جدًّا لانني كنت اخشى ان تزيد الحرارة فتنشق الآلة وتنسف المعمل كلهُ نسفاً واشغل بالي بهِ حتى كنت استيقظ ليلاً فارى نفسي جالسًا في فراشي افكر في مقياس الآلة البخارية

"وبعد سنة انتقلت الى مكتب التلغراف في بتسبرج ساعيًا لتوزيع الرسائل التلغرافية على اصحابها وكان عمري اربع عشرة سنة وكأني انتقلت الى عالم جديد

"والاولاد الذين يوزعون التلغرافات يطمعون في ان يصيروا من العُمَّال الذين يدقون الاشارات التلغرافية على مفتاح الآلة ولذلك تراهم يبكّرون الى المكتب قبل العمال ويتمرَّنون على استعمال مفتاح التلغراف ويخاطب بعضهم بعضاً من مكتب الى آخر فحذوتُ حذوهم وتعلمتُ استعمال مفتاح التلغراف . وذات يوم كنت واقفاً امام الآلة قبل مجيء العمال فاخذ مفتاحها يضرب باشارة برقية من فيلادلفيا وهي خبر وفاة فتجاسرت واخذت الخبر بنفسي وسلمتهُ للكاتب قبل مجيء العامل ومن ثمَّ صار العُمَّال يكلفونني لاقوم مقامهم اذا غابوا

"وكنت حادَّ السمع فتعلمتُ حالاً ان افهم الاشارات التلغرافية من مجرَّد سمعها وكان ذلك نادرًا جدًّا في اميركا لا يستطيعهُ الاَّ اثنان فقط في كل الولايات المتحدة على ما اظن وللحال انتبه رؤساني اليَّ وجعلوني من العمال وقطعوا لي راتباً حسبتهُ عظيماً جدًّا وهو خمسة

جنيهات في الشهر او ستون جنيهاً في السنة . وتمَّ خط سكة الحديد الواصل الى بتسبرج وكان مديره الفهامة توما سكوت يأتي الى مكتب التلغراف مراراً كثيرة ليكلم رئيسهُ المدير العام في التونا فعرفني . ثم لما مدَّت تلك السكة الحديدية العظيمة خطاً تلغرافياً خاصاً بها استخدمني كاتباً لهُ وعاملاً لتلغرافهِ فانتقلت من مصلحة التلغراف الى مصلحة سكة الحديد . وارتفع راتبي دفعةً واحدة من خمسة جنيهات في الشهر الى سبعة جنيهات فحسبت ذلك طفرة كبيرة غير منتظرة

" وكان المستر سكوت اكرم الناس اخلاقاً واشدهم عطفاً عليَّ فقال لي ذات يوم " هل تستطيع ان تأتي بمئة جنيه لاشتري لك بها اسهماً " . وللحال انتبهت فيَّ ملكة الكسب وقلت في نفسي انهُ ان كان رئيسي قد تنازل لمعاملة معي فقد فتحت العناية في وجهي باباً لا يليق بي سده فقلت لهُ نعم يا مولاي اظن اني استطيع

" فقال حسناً هات الدراهم فان رجلاً توفي وعندهُ عشرة اسهم من اسهم شركة ادمس اكسبرس اريد ان تشتريها

" فوقعت في حيص بيص لاننا لم نكن نملك مئة جنيه ولكني كنت واثقاً بأن امي تدبر المال كيفما كان الحال وكنا قد ابتعنا بيتاً صغيراً نسكن فيهِ كان يساوي مئة وستين جنيهاً على ما اتذكر فاجتمعتُ بابي وامي تلك الليلة وتداولنا في الامر ملياً واخيراً قرَّ قرارنا على رهن بيتنا فرهناهُ واخذت مئة الجنيه ودفعتها ثمن العشرة الاسهم ولكن لم يعرف احد ان ابي وامي رهنا بيتهما لكي يعطيا ابنهما رأس مال. ولما وُزّع علينا الربح الشهري استغربناهُ كانا لاننا لم نعتد قبض شيء غير اجرة عملنا

" وحدث بعد مدة ان فلاَّحاً على وجههِ سمات الصدق والامانة دنا مني وانا راكب في سكة الحديد وقال لي بلغني انك مستخدم في شركة سكة الحديد واريد ان اريك شيئاً . واخرج من كيس صغير معهُ مثالــــ مركبات النوم الاولى . هذا هو المستر ودرف مستنبط مركبات النوم التي عُمّمت بعدئذٍ الى مركبات بلمن . فلما وقع نظري عليهِ رأيت فائدتهُ حالاً وطلبت منهُ ان يأتي الى التونا في الاسبوع التالي

" ولما رأى المستر سكوت هذا المثالـــ ادرك فائدتهُ حالاً واتفق مع المخترع على تجربة مركبتين في سكة بنسلفانيا وعرض المستر ودرف سهماً عليَّ فاشتركت معهُ حالاً ولكنني لم اعلم من اين آتي بالمال المطلوب وكان ثمن المركبتين اقساطاً شهرية وخصني من القسط الاول ٤٤ جنيهاً ولم يكن معي منها شيء فحرت في امري ثم خطر ببالي ان استدين المال من البنك

الذي هناك فمضيت وقابلت مديرهُ وطلبت منهُ ان يدينني المال المطلوب وتعهَّدت ان اوفيهُ بدفع ثلاثة جنيهات كل شهر من اجرتي الشهرية فبشَّ في وجهي وقال لي لا بأس عليك يا ابني وقرضني المال المطلوب وحينئذٍ امضيت اول تحويل وانا مفتخر بنفسي حاسبٌ انني صرت من رجال الاشغال . نعم امضيت اول تحويل وقبلهُ البنك مني وهذا هو سرُّ افتخاري لان كل احد يستطيع ان يمضي تحويلاً ولكن ليس كل احد يستطيع ان يجد بنكاً يقبل تحويلهُ

"ووفر الربح من مركبات النوم فدفعنا منهُ الاقساط الباقية ومن هذه المركبات ربحت اول ربح كبير

"وبعد قليل جُعلتُ مديراً لفرع بتسبرج من فروع سكة الحديد . وكانت كباري (جسور) سكك الحديد من الخشب كلها ورأيت شركة بنسلفانيا تمتحن كبرياً من الحديد المدبوك فقام في نفسي ان كباري الخشب لا تصلح في المستقبل لسكك الحديد وللحال انشأت شركة في بتسبرج لعمل كباري الحديد . وكان سهمي منها ٢٥٠ جنيهاً ولم يكن هذا المال معي لكن البنك قرضني اياهُ وشرعنا في العمل فنجحنا نجاحاً عظيماً جداً وبنت شركتنا اول كبري حديد على نهر اوهايو وكان اتساعهُ ٣٠٠ قدم ثم بنت كباري كثيرة بعدهُ

"هذه بداءة انشائي لمعامل الحديد وكنت استعمل ما اربحهُ من المعمل الواحد في بناء معمل آخر وهلمَّ جرًّا"

هذا ما كتبهُ المستر كارنجي عن نفسهِ . وقد نقل المقتطف عنهُ في اوائل العام الماضي ان ثروتهُ تقدَّر الآن بنحو اربعين مليوناً من الجنيهات ودخلهُ السنوي منها يبلغ مليونين من الجنيهات اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهاً . وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيا انيس المحضر كانهُ شاب في السادسة عشرة . لم يورثهُ والداهُ شيئاً من المال ولكنهما اورثاهُ صحة جيدة واخلاقاً رضية وآداباً رائعة فتراهُ ممتلئاً صحة ونشاطاً لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ . وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تُملُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء

واعظم ما امتاز بهِ كرمهُ الحاتمي على ما ينفع الناس فقد تصدَّق في السنوات العشرين الاخيرة باكثر من ستة ملايين من الجنيهات . وآخر شيءٍ تصدَّق بهِ مليون جنيه تدفع معاشات للعجزة من العمال في معاملهِ ومليونان ونصف مليون جنيه لانشاء مكاتب عمومية في كثير من المدن

نجيب صروف

جحيم الضواري

لا شيء يرعب الوحش الضاري كالنار اذا اشتعلت في ما يجاوره فترى الضاربين في القفار التي يخشون فتك ضواريها يضرمون النار حولهم فيتقيها الاسد والنمر والفهد وكل الضواري. واذا اشتعلت النار في غابة اوغوطة كما يحدث مراراً كثيرة في اميركا واستراليا نفر منها كل ما فيها من انواع الحيوان وداس بعضهُ بعضاً كانهُ أُصيب بجنة هذا ومجال الهرب متسع امامهُ فكيف اذا كان في حظيرة مسوَّرة لا منفذ لهُ منها او اذا كان في اقفاص تحيط بها قضبان الحديد لا غرو اذا جنَّ حقيقة قبل ان يسلم انفاسهُ

حدث ذلك على صورة تقشعرُّ لها الابدان في الثامن من شهر فبراير الماضي في مدينة بلتيمور من الولايات المتحدة الاميركية في حظيرة الحيوانات المعروفة بحظيرة بوستوك وهي أكبر حظائر الضواري التي تنقل من مكان الى آخر لاجل الفرجة فهلك فيها خمسون اسداً وعشرة نمورة واحد عشر دباً وسبعة فهود وستة عشر ذئباً وخمسة وخمسون سعداناً وعشرون كلباً وستة نسور وثلاثة شواهين وسبعون طائراً من نوادر الطير وخمسون من الافاعي وغيرها من الزحافات ونعامتان وخمسة قناقر وغير ذلك من الضواري والكواسر والسوام اربع مئة حيوان او تزيد

كتب بعضهم وكان على مرأى من النار ان جهنم فغرت فاها لابتلاع هذه الوحوش فلاقت منيتها جزعة مضطربة وهي تزأر وتعوي وتصيح وتصرخ وتئن وتبكي وتتواثب وتتصارع ويمزق بعضها بعضاً

والحظيرة اكبر حظائر اميركا والظاهر ان سلكاً من اسلاك النور الكهربائي لم يكن مفصولاً عن السلك الموازي لهُ فحميا واحرقا خشب السقف فامتدت النار حالاً في الحظيرة كلها امتدادها في الهشيم لانها مبنية من الخشب تغطيها الواح رقيقة من الحديد. وحدث ذلك بعد خروج آخر واحد من المشاهدين بنحو خمس دقائق فلم يصب احد منهم بمكروه . لكن شاعت الاخبار حالاً ان الضواري هربت من الحظيرة وتفرقت في انحاء المدينة تفترس اهاليها فساد الرعب وعمَّ الاضطراب والحقيقة ان الضواري لاقت حتفها في الحظيرة والذي نجا منها بقي مذهولاً لا يستطيع هرباً . فان احد المدرّبين اخذ يفتح اقفال الاقفاص عساهُ ينجي بعضها وهو لا يدري لحمقهِ انها تفتك بالناس اذا خرجت بينهم فرآهُ المدير المستر بوستوك وشفاهُ من هذا الجنون وكان قد اخرج اسداً افريقياً ودباً قطبياً فلم يخطر لهما الاَّ ان يتواثبا ويتصارعا ولو

عقلا لتيسَّر لها الفرار واوقعا الرعب في المدينة كلها فزأر الاسد ووثب على الدب ووقف الدب على رجليهِ والتقاهُ بين ذراعيهِ وضمهُ الى صدرهِ وفغر الاسد فاهُ وقبض على عنق الدب ورفع الدب احدي قدميهِ وضربهُ بمخالبها ليبقر بطنهُ وا تمى الاثنان على الارض وجعلا يتمرَّغان ويخاران ويزأران وقبل ان يتم لاحدهما الغلب على الآخر مدَّت النار لسانها والتهمتهما .
وخرج غيرهما من الضواري وغير الضواري لكنها وقفت حيرى الى ان وصلت اليها النار والتهمتها

وكان بين الاسود اسد كبير اسمهُ بروتس وهو الذي ربتهُ السيدة بينكا وكانت تدخل رأسها في فيهِ فلما وصل اللهب اليهِ وقف على قدميهِ وفغر فاهُ كما يفغرهُ حينما كانت تدخل رأسها فيهِ وجعل يزأر باعلى صوتهِ كانهُ يناديها لتاتي لنجدتهِ ولما رأى ان لا منجد لهُ ولا معين جعل يهرُّ كالكلب واخيرًا ضاقت بهِ الدنيا فوثب على قضبان الحديد التي حول قفصهِ وحاول كسرها فلواها ثم حاول نهشها بانيابهِ والدم يتدفَّق من فيهِ الى ان اندلع لسان النار اليهِ واخمد انفاسهُ

ومنها الاسد المسمَّى ولس وهو الذي افلت مرةً في مدينة نيويورك ودخل اسطبلاً وافترس فرسًا وبقي هناك ايامًا قبل ان تمكن اصحابهُ من القبض عليهِ وقد افترس خمسة رجال من حين وقع في قبضة الانسان ولا يعلم الاَّ الله كم افترس قبل ذلك اما الآن فشوتهُ النار شيًّا .

وكان بين الاسود لبوة افريقية لها شبلان فحاولت انقاذها من النار جهدها ولما لم ترَ لها سبيلاً ضمتهما الى صدرها وغطتهما بذراعيها . شفقة الوالدة ولو من الضواري ووُجدت عظامها مع عظامهما رميمًا

ومن الضواري فهد اميركي اسود اسمهُ خرطوش وفهدة هندية مخططة اسمها صافو كان بينهما حاجز سخيف من الخشب فلما اضطرمت النار وثبت صافو على الحاجز ومزقتهُ كانهُ ورق ودخلت عرين خرطوش فظن انها هي سبب النار فالتقاها بانيابهِ ومخالبهِ واشتدَّ بينهما الصراع وعلا زئيرهما حتى سمع فوق زفير النار عن بُعْد شاسع. وبلغتهما النيران وهما متعانقان عناق الموت

وخرجت سبعة اسود من عرينها الى الساحة الوسطى وجعلت تثب لعلها تحلّق فوق الحاجز الذي يحيط بها وارتفاعهُ عشرون قدمًا فلا تبلغ اعلاهُ بل تقع في النيران ثم تثب ثانية وهي تزأر زئيرًا يصمُّ الآذان الى ان هلكت كلها

ووصلت النار الى الجاموس الافريقي وهو ضخم الجثة كثير الشحم واللحم فشوتهُ شيًّا ووُجد ولسانهُ مندلع من فيهِ كانهُ راية اليأس

وكسَّرت النار الالواح الزجاج التي على وجه مغاير الافاعي فانهضتها الحرارة وزادت نشاطها فقامت البوَّاه الافريقية تسعى في دار المشهد سعيًا حثيثًا تطلب النجاة ولا تجدها وتبعها التنين

المندي وجاءت وراءها ذوات الاجراس والاحناش والاصلال لكن النار ابطلت سعيها وشوتها الواحدة بعد الاخرى فتلوَّت ويبست واشتعلت . وصبرت البواة على النار زماناً طويلاً الى ان عيل صبرها وسلَّمت للاقدار . ويقال ان بعض السوام انتحرت انتحاراً لما لم ترَ لها من النار مناصاً

وكان بين الاسود اسد اسمهُ برنس وهو من اكبر الاسود التي وقعت في اسر الانسان . والظاهر انهُ رأى من اول الامر ان لا مناص لهُ فلم يقلق ولا حاول الهرب بل ربض في عرينهِ واضعاً كفيهِ على لبوتهِ كأنهُ يحاول وقايتها واقاما على ذلك الى ان خمدت انفاسها . وكان بينها ثلاثة اسود اخرى عاشت بعضها مع بعض سنين كثيرة على الصفاء فلما دنت النار منها غلب غيظها على عقلها فتواثبت وتصارعت ومزَّق بعضها بعضاً قبل ان اكتنفتها النيران

وكان في قفص ثمانية ادباب قطبية وصلت الى الحظيرة منذ ثلاثة اسابيع فقط من الاصقاع المتجمدة حيث كانت تلعب وتمرح على الجمد فراعتها النار وحرارتها وحاولت تكسير القفص الذي هي فيهِ لكن النار اراحتها من الجهاد حالاً

وقابل بعضهم مدام بينكا مربية الاسد برونس الذي كانت تدخل رأسها في فيهِ وسألها عما تريد ان تفعل فاجابتهُ والدموع ملء عينيها لا ادري ولا انا افكر في ذلك الآن ولكنني ما عدت ادخل عرين اسد في حياتي ولا عدت ارى اسداً وقد كان عندي هنا اربعة اسود كبيرة وثلاثة اشبال والاشبال ولدت في هذه البلاد واما الاسود فلم يولد منها في الاسر الا واحد والثلاثة الباقية أُتي بها من جنوبي افريقية وانا التي ذللتها وعلمتها وكان في الحظيرة اسود اخرى من بلاد النوبة ولكنني لم اكن التفت اليها . وقد مضى على الاسود الاربعة سبع سنوات وهي معي وانني كنت متعلقة بكل واحد منها . ولما اردت ادخالها الى اقفاصها بعد المشهد الاخير ابت ان تطيع امري حتى اضطررت ان الجأ الى الشدَّة ثم لما دخلت ودخلتُ معها جعلتْ تحاول منعي من الخروج بحركاتها وكأنها كانت تتوسل اليَّ بعينيها حتى ابقى معها ودنت مني لبوة كانت شديدة النفار وسمحت لي ان اضع يدي حول عنقها ولم تكن تسمح لي بذلك قبلاً ولا ادري الآن هل شمت النار في بداءة اشتعالها فخافت وجعلت تتوسل اليَّ لابقى معها او ادركت ما ستصير اليهِ بقوةٍ في نفسها لا ندري بها . وقد اثر فيَّ ما اظهرتهُ لي من التودُّد واخبرت زوجي بهِ قبلما عرفنا باشتعال النار . ولم اكد البس ثيابي لاخرج الى السوق حتى سمعنا ان النار شبت في المشهد ولم يكد زوجي ينجو منها

وتمكن رجال المشهد من انقاذ بعض الحيوانات الكبيرة فانقذوا فيلة وحمارَين وثوراً وبعض الجمال . وما بقي من الحيوانات ذهب كلهُ فريسة النار

الاحياء القديمة



لعلماء الطبيعة ابحاث دقيقة ومشاحنات كثيرة قصد تحديد الزمن الذي ظهر فيهِ الحيوان على وجه البسيطة . وهم لا يطمعون ان يحددوهُ بالايام والسنين ولا ان يثبتوا ما تعلمناهُ ونحن اطفال من ان الارض وما فيها من حيوان ونبات وُجدت في ستة ايام من ايامنا منذ نحو ستة آلاف سنة . فان تاريخ فراعنة مصر يمتدُّ الى اكثر من ذلك والحجارة التي بنوا بها اهرامهم منذ اكثر من ستة آلاف عام مؤلفة من اصداف وبقايا حيوانات عاشت في الارض وماتت

قبل ان وُجد الانسان فيها بالوف والوف الوف من السنين

ومهما اختلفت اقوال العلماء في عمر الارض وتحديد الزمن الذي وجد فيهِ الحيوان لا تختلف في ان الارض وُجدت وصارت صالحة لسكناه منذ الوف والوف الوف من السنين حتى ان اقلّ تقدير يجعل عمرها من حين بردت وصارت صالحة لمعيشتهِ عشرين مليوناً من السنين . وسواء ثبت ذلك على تمادي الايام او كُشفت ادلة جديدة تنفيهِ وتثبت ان زمن وجود الحيوان على الارض قريب جدًّا لا يتجاوز عشرين الف سنة او حواليها فالادلَّة عديدة على انهُ كان في الارض حيوانات كثيرة انقرضت منها الآن وصارت اثرًا بعد عين وكان فيها حيوانات اخرى معاصرة للحيوانات التي انقرضت ولم يزل نوعها في الارض حتى الآن

انظر الى الصورة الوهميَّة التي في صدر هذه المقالة فقد جمع فيها المصور حيوانات انقرضت عن وجه البسيطة منذ عهد بعيد جدًّا وحيوانات اخرى انقرضت منذ عهد قريب وحيوانات تكاد تنقرض وحيوانات قد لا تنقرض الاَّ بعد عصور كثيرة . ففي اعلاها طائران في شكل الخفاش من النوع الذي وصفهُ الاستاذ مارش الاميركي سنة ١٨٨٢ من الاحافير القديمة التي وجدت في باڤاريا سنة ١٨٧٣ وقال ان ذنبهُ ينتهي بملوَق عريض كالمجداف . وتحتهما طائران آخران من نوع الزحافات المجنحة وهما كبيرا الرأس والفم والاسنان كانهما من التماسيح . في كل يد من ايديها اصبع طويلة ينتشر بينها وبين ذنب الحيوان غشاء جلدي كغشاء الخفاش ليطير بهِ . وعظام هذه الحيوانات مجوفة مثل عظام الطير ليسهل عليها الطيران

وعلى منظر الى اليسار من هذه الوحوش الطائرة طائر حقيقي كالنعامة لعلهُ من النوع المسنن المنقار الذي وصفهُ الاستاذ مارش ايضاً وقال ان ارتفاعهُ خمس اقدام الى ست . ولا شبهة في ان اجتماع الاسنان والاجنحة في هذه الحيوانات دعت اليهِ شدَّة الزحام كأن الحيوانات كثرت في بلاد ضيقة تحيط بها البحار وتعذَّر على بعضها السعي على الاقدام او الهرب من الاعداء عدواً او سباحة فلجأت الى الانتقال في الهواء ولعلها بدأت تسبح وتثب في الماء كالسمك الطيَّار او تقفز من شجرة الى أُخرى كالسناجيب الطيَّارة فتولَّد لها غشاء بين ايديها وابدانها اتسع رويداً رويداً بالاستعمال والوراثة وبقاء الاصلح حتى صار كافياً لحملها في الهواء

وتحت الوحوش الطائرة بحر خضمٌّ يجري فيهِ حوت يقذف الماء من خياشيمهِ كما تقذفهُ الحيتان في هذه الايام اي انهُ يفغر فاهُ ويعبُّ الماء وما فيهِ من السمك ثم يطبقهُ ويعصر الماء فيخرج من ثقوبهِ ويبقى السمك فيهِ . والحوت من الحيوانات القديمة التي لم تنقرض من البحار حتى الآن وقد لا تنقرض منها الاَّ بعد زمن طويل جدًّا . والى جانبهِ الحيوان المعروف

بالبليوساوروس وهو يمتاز بصغر رأسهِ وطول عنقهِ واتساع زعانفهِ التي يستعملها كالمجاذيف في الماء وقد عاش هذا الحيوان في البحار القديمة القليلة الغور وانقرض في العصور الجيولوجية

والى يسار الصورة شجرة عالية كالنارجيل وعلى ساقها قرد يصعد عليها وآثار القرود اقدم في الارض من آثار الانسان ولكنها غير شديدة التوغل في القدم فابعد ما وُجدت فيهِ عصر الميوسين والبليوسين ولم تزل القرود كثيرة في الارض ويبعد ان تنقرض منها قريباً وفوق الافيال حيوان قائم على رجليهِ وعجزهِ ليتناول اغصان الشجرة ولعلهُ من النوع المسمى مغاثاريوم وهو اكبر من الكركدن . وُجد هيكل من هياكلهِ طولهُ ١٨ قدماً وقصبة ساقهِ اغلظ من قصبة ساق الفيل ثلاثة اضعاف وعظام ذنبهِ غليظة متينة حتى يستند عليهِ اذا اراد النهوض وهو من الحيوانات التي بقيت الى الدور الرباعي ثم انقرضت فيهِ

والافيال امرها معروف والمرسومة هنا اكثرها من الافيال القديمة الكبيرة التي انقرضت في عصر الانسان ولم تزل آثار بعضها في سيبيريا . والحيوان الذي تحت الشمالي منها من اقدم ذوات الثدي من الحيوانات المنقرضة وهو اصل الكركدن والفرس والجمل والخنزير

هذه بعض طوائف الحيوان التي نشأت في الارض وعاشت فيها ادهاراً كثيرة تسرح وتمرح في برها وبحرها وهوائها ومائها قبل ان وجد الانسان فيها

المشد (الكرسه) ومضارهُ

تتخذ المرأة أجهزة او البسة تستعين بها على الظهور بمظهر جميل يختلف باختلاف العادات والزي والزمان . ومنها شيء تتخذهُ لقدها ليس من انواع الالبسة في شيء انما هو الى الآلات اقرب منهُ الى الكسوة . وهو المشد اي الكرسه المعروف عندنا على ما صار عليهِ اكثر انواعهِ في عهدنا هذا . فهو آلة تعدّل القد بل هو ضرب من الصدار او النطاق ذو شكل معلوم يتخذ لصنعهِ من المواد ما يجمع بين الصلابة والمرونة فيكون منهُ للخصر بل لما توسط من قامة الانسان باسرهِ قالب ذو شكل معلوم تتطاول النساء الى التشكل بهِ لانهُ يهيئ لبعض القدود اشكالاً ليست على شيء من الشبه للقد الذي يكتنفهُ . فالمشدُّ عند الغربيين ومن اخذ اخذهم من الشرقيين في جملة ما يلبسهُ النساء مما لا يقي من برد او يدرأ لظى الحر وليس مما يتخذ للتستر انما هو على ما سبق القول اقرب الى الآلات منهُ الى الكسوة يُغيّر بهِ ظاهر البدن ويكيّف القد اشكالاً وهو عبارة عن قدد تقد من عظم الحوت (البلين) او تصنع من الفولاذ مسطحة

دقيقة مستطيلة تجمع على نمط معلوم بين شقتين من الكتان محكمتي النسج شديدتين متينتين وقد قدّر كلٌّ منهما وفصل على شكل معين فيجعل قطعة منهُ الى كل من جانبي البدن بين الورك والابط و يصل بين القطعتين من جهة الظهر ببريم او شريط اذا شُدَّ طرفاهُ قرَّب بين القطعتين وتتصل القطعتان مما يلي الصدر بازرار او أبازيم او ما شاكلها فتبالغ المرأة في شد الشريط او تعتدل فيهِ طبقاً لما تطلب وعلى ما تريد

وللنساء اهواء متباينة في ما يتخذن من المشدات فمنهن من ترضى بالقطن نسيجاً لهُ اذا تيسَّر لها ذلك ومنهن من تطلب الكتان ومنهن من تأنف الكتان تأنقاً او ترفعاً ولا ترضى لهُ سوى الديباج بديلاً او الاطلس او المتموّج من الحرير تزينهُ بانواع الزركشة والزخارف من مخرَّم ومطرَّز أو تؤثر ما كان نسيجهُ مسترخياً كبير الحلق عليهِ وشيٌ اشكالاً بصور النبات او ضروب من النقل او الترقيم او التدبيج او خليط من كل ذلك . وقد يبلغ ببعضهن التأنق ان يتطلبن الديبغ من الماعز بدلاً من النسيج طلباً للرونة واللين

اما اصل المشد (الكرسه) فالمعروف عنهُ انهُ فرنسوي واسمهُ عندهم عبارة عن تصغير اسم الجسم في لغتهم . ولا دليل من النقل يدل على اول العهد بهِ دلالةً ثابتة . ومما يُعرف عنهُ أنهُ كان لاول امرهِ شقة من النسيج عليها صفائح خشبية يُشد بها الوسط ثم كبروهُ فاشتملوا بهِ الصدر والظهر والوركين وجعلوا لهُ في اعلاهُ سيبتين من الكتان او غيرهِ من الانسجة يلقونهما على الكتفين فتحملانهِ ولهُ في صدرهِ بريم او شريط يشدهُ. فما لبثوا أن نبذوا صفائح الخشب وهم يغيرون ويبدلون فتدرَّجوا فيها الى القدد يقدونها من عظم الحوت ثم اتخذوها من الفولاذ . ثم نقلوا الشريط في القرن السابع عشر للميلاد من صدر المشد الى ظهرهِ . واتخذوا لهُ في ذلك العهد ايضاً قدداً صلبةً من الفولاذ او غيرهِ يجعلون منها اثنتين الى ما يلي صدر البدن طلباً للصلابة والقوة فيهِ ثم تبين لهم ان القدد الصلبة مما يتعذر على النساء احتمالهُ والثبات تحت ضغطهِ ورأوا ايضاً ان ما على الاكتاف من سبائبهِ جعلهُ عليها وقراً يهدُّ قواها . فاضطروا الى اتخاذ القدد الصلبة صغيرة ما امكن وضربوا عن سبائب الاكتاف صفحاً الى ان كان لهم مثل ما نراهُ الآن من انواع المشد

هذا ولم يغفل المنتقدون امر المشد وما يترتب من الاخطار العظيمة على الافراط في الاعتماد عليهِ وفي شد الوسط بهِ . وممن شدَّد النكير عليهن في هذا المعنى من الفلاسفة وذوي الآراء الثقات مونتاني وجان جاك روسو وكروفيلي و بوتيه وغيرهم. والحق يقال ان مضار المشد والافراط في شد الوسط بهِ خصوصاً مما يقضي علينا بتدبر امرهِ والاعتدال في الشد المذكور

اي اعتدال . فمن ذلك ما يترتب عليهِ من الضرر البليغ لذوي بعض العلل ولمن كان لهُ في مزاجهِ وبنيتهِ ما يسهل سبيلها اليهِ من مثل التدرن الرئوي وتمدد القلب وما شاكلها . ثم ان من النساء نساء يبالغن في شد خصورهنَّ بمشدنا الحديث بل يشددن ما تحت الخصر مع الاضلاع والصدر والظهر فيؤثر ضغطهُ في اسفل الصدر ويجهد اعضاء التنفس التي تعرف بالجهاز التنفسي بما يصيبها من الزيادة والسرعة في عملها . ثم ان ضغطهُ على المعدة يقف في سبيل حركتها التي تمتد بها الى الجهة الوحشية من البدن (اي الى الامام) وهي حركة يتطلبها انتظام الهضم ضرورة . فاذا امتنعت على المعدة كان امتناعها عثرةً في سبيل الهضم

ولقد شاهدنا في وليمة غادة من صحيحات الجسم لها من السمانة نصيب وافر وقد دفعتها السمانة الى التصلب في شدّ وسطها طلباً للتخصُّر ففازت ببعض ما تريد وجمعت علاوة على ما تريد معظم سمانتها الى ما يلي العنق والكتفين والوركين . فلم تلبث ان ضاق صدرها واضطربت بجملتها تطلب القيام منتصبة وقد اعياها الجلوس لوقوف المشد في سبيل معدتها فاوقف بعض حركاتها فاذا وقفت أُتيح لها ان ترفع بعض الضغط عن معدتها او ان تخففهُ فتتحرك حركة تزيل عنها ما استحوذ عليها من الضنك او بعضهُ . ولكل ذلك آثار من الضرر في الاعضاء البدنية تعد السلامة من عواقبها غنيمة

اما فعلهُ في الكبد فهو انهُ يشوهها تشويهاً لا يرجى لها منهُ شفاء . فهو يقف في سبيل عملها ويمنعها من القيام بما فرض عليها من واجب الخدمة للبدن وتهبط بجملتها عن موقعها الطبيعي الى موقع تحتهُ مما يشغلهُ غيرها من الاعضاء فتدفعها ايضاً ويضغط بعضها البعض الآخر وتهبط الامعاء برمتها فتضغط على ما في الحوض من الاعضاء واخصها الرحم فلا تلبث مع استمرار الضغط عليها ان تنحرف الى غير مركزها او تهبط وكل ذلك مما يترتب عليهِ من العلل في الحمل والولادة ما تتعذر ملافاتهُ احياناً . ومثل ذلك ما ينشأ عن الضغط على المبيضين وعواقبهُ وخيمة طالما بدت وقت الطمث

ثم ان من النساء من تألف لبس المشد والمبالغة في شد وسطها بهِ فتستزيد من الشد اضطراراً كل يوم ولو اصابها من انحراف المزاج ما يتواتر عليها انواعاً من مثل آلام المعدة والآلام في اعصاب البطن في ما بين الصدر والحوض واسترخت اعضاؤُها وقواها . ولا يلبث ان يكون من عواقب شدها وضغطهِ ومثابرتها على الاستزادة منهُ سبب سابق يعقبهُ ما سبقت الاشارة اليهِ من العلل والآفات وتشويه الاعضاء وتقصيرها عن القيام بوظائفها قياماً يضمن صحة البدن ويصونها

والآن نقف عند الاثدي وقفة المتبصر الحكيم نتأملها وننظر في آثار المشد فيها ونفكر في ما يصيبها من آفاتهِ وما يعرّضها لهُ من الاخطار فمن المقرر ان سطح الثديين الظاهر (تحت طبقات المشد والكسوة على كل حال) اذا ضغط واذا رُفعا بل دُفعا قسرًا الى ما فوقهما استرخيا وتهدّلا على مثل ما يحل بهما اذا تدليا مطاوعة لثقلهما ولم يكن لهما ما يسندهما . ثم ان الجذب والضغط اذا وقعا بالثدي هزل وانحل فاضمحل او كاد يضمحل لذلك كان المشد آفة على الاثدي ثم اذا اجتمعت اليهِ بعض الاسباب مما لا محل لايرادهِ هنا قصرت المرأة عن الارضاع اذا اضطرت اليهِ او رغبت فيهِ وطالما قصرت النساء من ذوات اليسر او الثروة الطائلة عن ارضاع فلذات اكبادهن للسبب المذكور

واختم بحثي هذا الوجيز بايراد ما ثبت او كاد يثبتهُ الاختبار من النصح الواجب لمن يشد اهم اجزاء البدن فاقول . يحسن بالفتاة ان تمتنع عن شد وسطها الى ان تتجاوز سن البلوغ واذا رغبت في المشد تسند بهِ بعض اعضائها فليكن حجمهُ صغيرًا ما امكن فتختار منهُ ما كان عبارة من نطاق او حزام عريض لا ما كان كالدرع من الحديد وافضلهُ ما حاكى في اشكالهِ وتركيبهِ النطاقات او الاحزمة التي اتخذها نساء اليونان ايام باركليس فهي لا تستمرّ على ضغط الاعضاء البدنية

واعود فاقول ان صحة الابدان ووقايتها وحفظها تقتضي الاقتصار من المشدات على ما كان ليناً مرناً يناسب اعضاء البدن وتقطيعها كل المناسبة من حيث الشكل والحجم ولا يتجاوز الحد ارتفاعاً ولا يصيب مما اسفل الخصر الا الجزء اليسير ويشدّ شدًّا غاية في الاعتدال فيكون منهُ للفتاة ما تعدّل بهِ قدّها تعديلاً اذا حسبت ان لا بدَّ لها منهُ وما تختصر بهِ بعض التختصر متى بلغت سن الرشد او البلوغ ويكون منهُ لمن استحوذت السمانة عليها منهنّ ما يقيها بعض ما تطلب من سند بعض اعضائها واشتمالها به ولا يشوّهها او يؤذيها

الدكتور
توفيق صوصه

ضرر الفلانليت

الفلانلت نسج قطني يشبه الفلانلا في قلة اندماجهِ تخاط منهُ قمصان النوم للصغار لانهُ لين يدفئ البدن . لكنهُ سريع الاشتعال اذا اخذت فيهِ النار اشتعل كلهُ سريعاً بلهب ازرق كانهُ السبيرتو حتى يتعذر اطفاؤُهُ . وقد تكرَّرت حوادث الاطفال الذين اشتعلت قمصانهم على هذه الصورة فاوردتهم حتفهم . فيجب ان يتقي الذين يلبسون الفلانلت النار ولو كانوا بعيدين عنها لانها اذا اخذت في ثيابهم لم يقهم منها واقٍ

الرياضة للرجال والنساء

وهي خطبة خطبتها حضرة الفاضلة الدكتورة انيسة صيبعة في النادي الشرقي في ٨ مارس

سيداتي الفاضلات وسادتي الكرام

لا شك ان الخطابة والكلام ارتجالاً من المواهب الخصوصية التي تحلى بها البعض فقط وساعدتهم الاحوال على اظهارها في الجمعيات العلمية والمنتديات الادبية والمحافل السياسية . ولذلك لا ينتظر من كل من رقي منبرًا ان يأتي بآيات بينات ولا ان يصفق له السامعون استحسانًا . ومعرفتي هذه هي التي جعلتني في احتفالٍ سابق لهذا النادي ان لا اجيب طلب سعادة رئيسهِ وبعض اعضائهِ الكرام حين طلبوا مني الكلام في هذا الموقف الخطير . على ان اللسان لابد وان ينشط من عقالهِ عند ذكر الامور التي تستحق المديح والثناء الجميل . فالارض التي وهبها سعادة سكاكيني باشا لتعد للالعاب الرياضية وحاجتنا الكبرى الى ترويض اجسامنا جعلتاني انسى اهمالي للغتي العربية مدة سنوات متوالية في البلاد الاوربية وان اقدم على التشرف بالمثول امامكم الآن معتمدةً على كرم اخلاقكم فاقول

ان الرياضة الجسدية المعتدلة هي التي تحسن الدورة الدموية المتوقف عليها غذاء انسجة الجسم الانساني والمرء مدفوع بحكم الطبيعة اليها لانهُ مأمور بالسعي وراء الكسب والارتزاق كما هو مشاهد في اهل البداوة الذين يطوون النجاد والوهاد وراء مواشيهم ولكن لما امتدت الحضارة ايسر بعض الناس وتسهلت لهم وسائط الترف والرفاهية فقللوا من الرياضة بالانتقال من مكان الى مكان واستبدلوها مع الزمن بالعاب شتى كما يشهد تاريخ اليونان والرومان وغيرهم من الامم المتقدمة وجعلوا للذي يمتاز عن غيرهِ جوائز ثمينة واكاليل ظفر يكللون بها هامة المنتصر

ولست بمطيلة الشرح في هذا الموضوع اذ هو تحصيل حاصل فلنأتِ الى حالتنا الحاضرة وفيها ما يغنينا الآن عن الالتفات الى الماضي والتشوف الى معرفة المستقبل

فالرياضة يجب ان تكون في المحلات الفسيحة الارجاء الواسعة المجال حيث الهواء نقي جاف ليحصل المرء على الفائدة المطلوبة اذ اول تأثير للرياضة تحريك الدم في الخلايا فيحمل ما يجد فيها من الفضلات الى الجانب الايمن من القلب حيث توصلهُ الشرايين الرئوية الى الرئتين فيطهر بفعل الاكسجين الذي تستنشقهُ مع الهواء ويرجع الى الجانب الايسر من القلب نقيًا

خالياً من الشوائب صالحاً لان تحتملهُ الشرايين الى سائر اعضاء الجسم وانسجتهِ ليقوم بغذائها
وقلة الحركة تأتي بضد ما ذكر اذ يبقى الدم الفاسد في محلهِ فتتغذى الانسجة من هذا الغذاء غير الملائم وتضعف من يوم الى آخر ويصح ان يقال في الدم ما قيل في الماء "ويمكث الماء يبقى آسناً". وهذا هو السبب في ما نشاهدهُ من الفرق العظيم بين سكان الجبال والبراري واهل المدن اجمالاً. فالاولون تبدو على محياهم دلائل الصحة والعافية وكل حركة يأتونها يرى من خلالها القوة والنشاط بيد ان الآخرين تقعدهم اشغالهم التجارية او الكتابية او غيرها عن الحركة وتبدو عليهم علامات الكبر قبل اولئك. ولقد ادرك اهل الحضارة هذا الامر فصاروا يتسابقون الى الالعاب الرياضية ويباهون بها حتى الاغنياء. ومن درس عيشة الانكليز وعوائدهم عرف ان سرَّ تقدمهم ومقدرتهم على القيام باعظم الاعمال اساسهُ ما يشبُّون عليهِ من العيشة الخشنة فلا تكاد تشرق شمس في بلادهم حتى تروهم يصعدون الجبال ويهبطون الى الاودية ويزحفون على الثلج ويكثرون من الرياضة حتى التي تلقي حياتهم في الخطر احياناً. وهذه التربية هي التي تدفع البعض من اغنيائهم حين يملكون قياد انفسهم ان يهجروا الاهل والاوطان ويقصدوا اواسط افريقية او الهند لصيد الوحوش الضارية كالاسد والضبع والفيل وما شاكل ذلك

مهلاً سيداتي وسادتي لا تقولوا انني تطرفت بذكر انواع الرياضة فما ذكرتهُ عن الانكليز ضروري لكل فرد منهم لحفظ كيانهم كأمة عظيمة اما نحن فلا حاجة بنا كافراد الآن الاَّ الى الرياضة المعتدلة اللازمة لحفظ قوانا وتجديدها وتحسين صحتنا وهي موضوع الكلام

وهذه الرياضة يجب ان يبتدئ الطفل بها وهو رضيع وذلك ان تلاحظ والدتهُ سهولة حركاتهِ وتعريضهُ للشمس والهواء وتغيير هواء الغرفة التي ينام فيها كما اقتضت الحاجة وان لا يضغط عضو من اعضائهِ مطلقاً بل يترك ينمو نموهُ الطبيعي ومتى بلغ سن الصبا وأُرسل الى المدارس يجب على معلميهِ ان يحببوا اليهِ الرياضة ويجبروهُ عليها باحسن الوسائط ويطرحوا عنهم الوهم القديم بالافتخار بالاولاد الذين لا يهتمون الاَّ بكتبهم وواجباتهم المدرسية لان هذه الامور لا تثمر في الولد حين يشب الاَّ الخمول ومعها يكون عقل المرء محدوداً مهما كان مجتهداً وجسمهُ نحيلاً مهما كانت بنيتهُ الاصلية قوية. ولا اظن اني أُخطئ اذا قلت ان الحركة في الولد دليل على قوى حيوية زائدة يصرفها في الالعاب الرياضية فتعينهُ على تجديد قواهُ العقلية. وبالطبع ان من شبَّ على خلق شاب عليهِ فحين يخرج التلامذة من مدارسهم ويذهب كل في جهة لعمل الاعمال المختلفة فالذين اعتادوا منهم الرياضة يحافظون عليها

والشغل من حيث هو رياضة . فالنجار والحداد مثلاً تظهر نتيجة صنعتهما على ايديهما القوية الكبيرة والفلاّح الذي يضرب بالفاس تظهر النتيجة عليهِ بغلظ عضلات ساعديهِ والعسكري الذي يعتاد الوقوف مستقيماً باتساع صدرهِ واما الكاتب فاذا اقتصر على صناعتهِ مستخدماً كان او تاجراً او سياسياً او عالماً فقد كُتبت علامات الضعف على وجهِهِ وعضلاتهِ اجمالاً . ولذلك كان من الواجب ان لا يكتفي احد بنوع واحد من الرياضة التي تعود بالنفع على عضوٍ خاص من اعضاء الجسم بل ان يستعمل انواعها المختلفة ليشترك بنفعها الصدر واليدين والرجلين وبقية الاعضاء . ولقد احسنت اغلب المدارس فعلاً وخصوصاً في اوربا باختيارها الطرق المؤدية الى هذه الغاية . ولو اردت تعداد الالعاب المختلفة المصطلح عليها لضاق بي المقام ولذلك ارجع الى الارض التي وهبها سعادة الرئيس فهل يسهل ايجاد وسائط عديدة تقوم بالغاية المقصودة فيمكن ان يعد بها محل للعب " اللون تنس " وآخر " للكروكاه " وآخر للاخشاب المتوازية المقوية للسواعد والموسعة للصدر وغير ذلك من الالعاب التي يصادق عليها حضرات الاعضاء الكرام والتي اجمع الناس على حسن نتائجها الصحية

وهنا اقول انهُ لا يبرح من الذهن ان حاجة الاجسام الى الرياضة تختلف درجتها باختلاف قوة اصحابها فالشاب القوي البنية مثلاً لا يقدر ان يجاريهُ الضعيف ولا الفتاة التي ربيت على الرفاهة وقلة الحركة . على انني استدرك فاقول ان الاجتماع في محل عمومي لهذه الغاية اذا كان مقروناً بالارادة والعزم على العمل فلا بدَّ وان يدعو الجميع من نساء ورجال واولاد الى الاشتراك بهذه الالعاب والانتفاع منها جسدياً عدا عن كون الاجتماع نفسهِ ينتج فوائد ادبية كثيرة اكتفي بالتلميح اليها

قلت ما قلت واخشى ان تظنوا اني موجهة الكلام الى السادة فقط دون السيدات مع اني اعتقد ان الرياضة ألزم مبدئياً لهنَّ مما هي للرجال . فرغماً عن زمن مضى وكان بعضهنَّ يعتقد فيهِ انهنَّ ارفع من ان يأتينَ بحركة او عملٍ ما نرى كثيرات قد تركنَ هذه الاوهام وقمنَ يجارينَ الرجال في ميدان الاعمال ويعملنَ ما في وسعهنَّ لتقوية اجسامهنَّ مدركات ان عليهنَّ تتوقف سعادة الاطفال في الحياة من حيث الصحة وعالمات " ان العقل السليم في الجسم السليم " فلم يعدنَ يكتفين بملازمة البيوت وركوب العربات والاقلال من الحركة بل شاركنَ الرجال في اكثر انواع الرياضة ونعم ما فعلنَ

وعلى ذكر الرياضة اذكر ان الثياب اللازمة لها يجب ان تكون واسعة لتسهل معها الحركة وبالتالي التنفس الذي عليهِ يتوقف الانتفاع من الرياضة وليدور الدم الدورة الطبيعية من غير ان

يلق ضاغطاً او عثرة في سبيله . ومن زار معرض باريس في السنة الفائتة او احد المتاحف الشهيرة وعاين التماثيل القديمة كتمثال الزهرة الهة الجمال او ديانا الهة الصيد او غيرهما ورأى تناسب اعضائها علم بداهةً ان ذلك لا يتأتى الاَّ عن اعتياد المعيشة القانونية الصحية واعطاء الجسم الحرية الرياضية الكافية

وقبل الختام ألتمس عذراً من حضرات السادة الافاضل واطلب منهم ان يعيروني اذناً صاغية فيذكروا وهم يهتمون باصلاح هذه الارض واعدادها ان فريقاً كبيراً يسمونهُ هم الجنس اللطيف في حاجة الى هذه الارض مثلهم فلا يدعهم نشاطهم يتصرفون في هذه المسألة بما هو مشهور عن الجنس النشيط من حب الاثرة والاستقلال وان لم يرشقوني بالسنة حداد قلت ما اشتهر عنهم من حب الذات !! حبذا لو سبقت وقلت هذه الكلمة بغير هذه اللغة لانني كثيراً ما رأيت لفظة egoism ; egotism ترد عند الافرنج مرادفة للجنس النشيط او تابعة لهُ او متبوعة بهِ !! والامل ان لا يحولوا نشاطهم الى لومي وتعنيفي على ذلك فاني لست الاَّ ناقلة لما اشاهدهُ واسمعهُ وناقل الكفر ليس بكافر !!

وقبل الختام ايضاً اطلب من حضرات السيدات ان يوجهنَّ انظارهنَّ معي الى هذا الامر الجلل فنحن ولا شك متفقون على ان نساء غيرنا من الامم المتمدنة قد سبقتنا بمراحل في امر الاهتمام بالرياضة الجسدية والاعتناء بالصحة فكنَّ اهلاً للقيام باحمال هذه الحياة ومشاقها وترحمَّ اولادهنَّ عليهنَّ لما اورثنهم من الصحة والقوة اذ الصحة اعظم ثروة للرجل وأعظم جمال للمرأة كما يتبين لمن يتأمل في الامر قليلاً . ولا بدَّ لمن يقدم من بلاد اعتادت نساؤها الحركة والعمل ان يعجب من عيشتنا الخاملة وتأثيرها في الصحة والهيئة اجمالاً ولا اظنكم تحسبونني ابالغ اذا قلت ان المرأة الغربية تناهز الخمسين من عمرها ولوائح الصبا بادية عليها وهي تعد نفسها قادرة على القيام باي عمل اعتادت عملهُ في العشرين من عمرها . فاين حالها من حال التي لا تدرك الثلاثين منا حتى تبدأ تذكر الضعف والعجز وعدم المقدرة على المشي ونحو ذلك . هذا اذا كانت قد سلمت من بعض الامراض العصبية حقيقة كانت او وهمية

اذا ذكرتُ لحضراتكم ما شاهدتهُ من عيشة المرأة الانكليزية فربما ظننتم انني ابسط لكم عيشة النساء الطبيبات فتقولون ان كل امرأة لم توجد لتكون طبيبة حتى تعيش هذه العيشة . اقول دعونا من الطبيبات فلنتركهنَّ وشأنهنَّ . ولننظر الى حالة امرأة من الطبقة الوسطى التي هي قوام الامة الانكليزية . فهذه المرأة تركب الخيل والدراجات والقطارات والترامواي وتمشي على قدميها في يوم واحد وهي مع ذلك تهتم بامر بيتها وتلاحظ ترتيبهُ في الامور الكلية والجزئية

فلا تفوتها ملاحظة زوجها واولادها وخدمها ثم انها تكون عضواً في كثير من الجمعيات العلمية والأدبية والخيرية وتضطر ان تخص جانباً مهماً من وقتها وقوتها بتلك الجمعيات وتجدها مع ذلك كله قوية البنية طلقة المحيا سعيدة في حياتها ومركزاً تنبعث منهُ السعادة الى الذين حولها . واري الأولى بي ان اصور لحضراتكم المرأة الانكليزية بقصة تخطر على بالي الآن وبها اختم الكلام

دعتني احدى السيدات لاقضي عندها اسبوعاً من الزمن في قرية تعد من اجمل القرى في اسكتلندا وذلك بعد ان اجتزت امتحاني الطبي الثاني وهو يعد من أصعب الامتحانات حتى جرت العادة ان اهالي التلامذة والتلميذات الذين يقدمون عليهِ واصدقاءهم يتذكرونهم خصوصاً حينئذٍ ويهيئون الوسائط لبسطهم وانشراحهم بعد اجتيازهم ذلك الامتحان . وكانت هذه السيدة قد تعرفت ببعض اعضاء عائلتنا في الاسكندرية فاحبت ان تهتم بامري حتى لا اشعر بالوحدة ووحشة الغربة في تلك الفرصة . فلبيت دعوتها مسرورة وكنت لم اشاهدها قبل ذلك فصرت اتصورها والقطار سائر بي وافكر في امرها وفي ما عسى ان تكون عليهِ فلما وصلت الى بيتها رأيت حديقة غناء حاوية الازهار على انواعها ولما اجلت نظري فيها عجبت من ترتيبها وتنسيقها ودهشت من لطافة الذوق في ترتيب الوان الازهار فيها وقلت هذا فعل سيدة في مقتبل العمر اذ لا بدَّ لها من ملاحظة هذه الجنينة ولو سلمتها الى عدة من الجنائنية ولكن خاب ظني واضمحلت تصوراتي لما رأيت صاحبة البيت آتية لاستقبالي وهي لابسة البذلة التي تلبسها مدة العمل في الجنينة وهي لم تكلفها غير جنيه واحد على ما اخبرتني بعدئذٍ وعلى رأسها قبعة من الجوخ كالتي يلبسها الاولاد وبيدها مقص لو كان بيدي الآن لعافت السيدات منظرهُ لكبرهِ وغلاظتهِ

هذه السيدة تجاوز الخمس والستين من العمر وهي تعمل في جنينتها نحو ثلاث ساعات او اربع يومياً وليس عندها من يعتني بجنينتها غيرها مع انها من ذوي الوجاهة والثروة . وهي عائشة وحدها لان اشغال اولادها ووظائفهم قضت عليهم بسكن مصر والهند

وقد ادهشني ما جمعتهُ هذه السيدة في بيتها من نفائس المصنوعات الشرقية من بسط وسجادات وطنافس وتطريز قديم وحديث مما يتعذر وقوع النظر على مثلهِ في احدى المدن الشرقية ولو قضيت الاشهر في التفتيش عنهُ . ولكل قطعة منها تاريخ عندها وقد اصلحتها ورفأتها ورقعتها فحفظت بذلك رونقها وجمالها

فهذه قصتي وهذه افكاري ابنتها لحضراتكم موجزة قدر الامكان فان لم يكن كلامي قد اورثكم الملل فحسبي ذلك منة وكفى



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

التوفيق بين اصحاب الاديان

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

اني اشكر فضلكم على ما تكرمتم بهِ في مقتطفكم الاغر (الجزء الثالث من هذه السنة) من مدحكم مشروع التوفيق بين اصحاب الاديان واستحسانكم الغاية ولكن ختمتم الكلام بقولكم انكم لا ترون التوفيق سهلاً ولا ترون السبيل الذي طرقتهُ مؤدياً اليهِ . فاسمحوا لي بايراد عبارة وجيزة للايضاح

اولاً . ان كل سعيي انما كان في اظهار الوفاق الكائن فعلاً بين الانجيل والقرآن كما يوجد بين التوراة والانجيل انما سوء التفاهم في بعض آيات قلائل جداً واحدة في القرآن وتسع في الانجيل اوهم وجود تضاد بينهما وشقاق علا صياحهُ كل هذه القرون في كل الآفاق

فلو فُهِمَت هذه الآيات العشر بحسب القرائن وروح الاسفار المأخوذة منها وعموم الكتب المنزلة لزال كل خلاف جوهري كما زال لديَّ في برهة وجيزة جداً بلا مرشد اصلاً سوى طلب الحق باخلاص . ولا اظن ذلك صعباً على احد يطلب الحق باخلاص تام لا سيما بعد ما بيّنتُ صريحاً في ما نشرتهُ حتى الآن كل وجوه الوفاق بين الانجيل والقرآن الشريفين . ثم انهُ لا يصحُّ الاعتماد على مجرد التباس وهمي في بعض آيات ولو ضادَّ النص الصريح في اكثر من الفي آية في العهد الجديد فضلاً عن آي كل اسفار العهد القديم وصريح نصوص القرآن العزيز

ثانياً . لو خصصتم حضرتكم وسائر اصحاب المجلات الاخرى جزءا صغيراً منها لهذا الموضوع لنوَّرتم كل انسان في علاقاتهِ مع اهل السماء والارض ومع نفسهِ واهلهِ ودللتموهُ على

سعادة الدارين . لانكم بلا مساعدة نور الدين ربما تعالجون داء فيجدّ ادواء غيره اضرّ منهُ

ثالثاً . ألا تستحسنون وجوب ابانة السبل المؤدية للتقارب بين الناس في جوهر الدين وعرفان الصواب فيهِ بما ان الدين هو اشد رباط في الدنيا واثبت وافضل واعم في كل العلاقات الانسانية

رابعاً . ان الكلام في الدين ليس من خصائص رؤساء الدين او خدّامهِ وحدهم بل هو من واجبات كل عالم او متنور في الدين . وقد استحسنتم آراء حضرة الفاضل امين افندي ريحاني مع ان ابانة حقائق الدين واظهار اصحها اسهل واقرب تناولاً من التساهل الديني المطلوب واقل ضرراً واحسن عاقبةً وارضى لله وللقلوب لاننا اذا لم نكترث للتضاد الديني والادبي فقد نخلو اخيراً من كل اعتقاد بوحي او آخرة او حياة ابدية ونبعد عن الآداب الحقيقية . نعم المعاملة بالحسنى هي من اوامر كل دين ولكن الضلال والكفر والتضاد في الدين مكروهة في كل دين فكيف يمكن التوافق والتساعد القلبي . فإما يلزم ترك الدين بالمرَّة او يلزم عرفان الصواب فيهِ وهذا صار سهلاً الآن ويمكن اظهارهُ ونشرهُ للعموم نظراً لاتساع المعارف وكثرة وسائط النشر ورغبة الجمهور في المعرفة الارشمندريت

خريسطفورس جباره

[المقتطف] يريد حضرة الكاتب منا ان نخصص جانباً من المقتطف للتوفيق بين الناس ديناً اي لاقناعهم بان اديانهم متفقة ولو اختلفوا هم في فهم كتبها . وهذا نفعلهُ نحن دائماً على اسلوب غير الاسلوب الذي ينتدبنا اليهِ وهو نشر المعارف التي تنير العقل فان العقول اذا استنارت لا تعود تختلف في ما لا اختلاف فيهِ كما أنها لا تختلف مثلاً في ان النار تحرق الخشب والكينا تشفي من البرداء ومربع الوتر من مثلث قائم الزاوية يعدل مربعي ساقيهِ ولله در المعري حيث قال

جاءت احاديثُ ان صحَّت فان لها شأناً والاَّ ففيها ضعف اسنادِ
فشاورِ العقل واترك غيرهُ هدراً فالعقل خير مشيرٍ ضمهُ النادي

واذا استنارت العقول لم يتعذَّر عليها اكتشاف الاتفاق بين القضايا التي تنظر فيها ولو لم يكن الاتفاق واضح الظهور ولهذا قلما نرى اختلافاً في امر جوهري بين علماء الرياضيات والطبيعيات وان وجد فيكون في التعليل والتفسير لا في الاصول والقواعد المقررة . هذا من حيث ما يمكن للبشر ان يتفقوا او يختلفوا فيهِ من تلقاء انفسهم وبحسب ارشاد عقولهم . ويقول اهل الاديان ان هناك اموراً اخرى لا تقاس بقياس العقل والعلم ولا ترسخ في النفس

بالحجة والدليل لا " باقوال حكمة بشرية " بل بفعل روحي يشهد للارواح . فهذه الامور لا يحققها البحث العلمي ولا يزيدها النشر في المجلات انتشاراً

ترقية المرأة

سيدي منشئ المقتطف الزاهر

صدر كتاب المرأة الجديدة بعد تحرير المرأة فنتجت عنهُ حركة في الافكار واختلاف في الآراء . ولما كان المقتطف الأنور هو المجلة الاجتماعية في الشرق فهو احق بالبحث في هذه المسألة التي ترتبط بالهيئة العمرانية في الشرق عموماً

لعمر الحق ان المرأة المصرية ليست في رق الأرق الجهل . وتأخر العائلات المصرية على الغالب والتقصير في تربية الناشئة ناتج في الكثير من جهل النساء فالواجب على الذين يفتكرون الآن في تحرير المرأة ان يبحثوا في طرق تعليمها وبث المبادىء القويمة فيها . فالعلم هو النور الذي يمشي وراءهُ الانسان في هذه الحياة

ولنترك الحجاب وشأنهُ لانهُ من الامور الدينية او من الامور المتأصلة في النفوس لا يرفعهُ مجرد البحث واقامة البراهين العقلية او النقلية فالناس مقتنعون بضرورتهِ ولزومهِ وحكمهُ صريح في الكتاب فلا داعي ولا نفع في الاجتهاد في رفعهِ بعد ثلاثة عشر قرناً

فان كان غرض من امضوا السنين الطوال في جمع الادلة والبراهين على رفع الحجاب هو تحرير المرأة فليحرروها من رق الجهل رق حياة النفس والروح في الظلمات وليجتهدوا في انشاء جمعية عمومية في القاهرة (تنتشر فروعها في ما بعد في جميع الاقاليم) غرضها تعليم المرأة فان تأسست الجمعية وثبتت ولا اخالها الا ثابتة وطيدة باذن الله بعد هذه الحركة ومدّت لها يد المساعدة وانشأت مدارس لتعليم البنات حقيقة تعليماً نافعاً بحسب احتياجات العائلات المصرية نشأت امرأة جديدة في مصر وراء حجاب العفة والنزاهة وصفات الكمال تعرف ما لها وما عليها وتؤدي وظيفتها كما ينبغي ان تؤدى فترتاح العائلات ولا تنسى ما بعد ذلك من الهناء في المعيشة وتربية الناشئة والصرف في ما ينبغي لا تبذير ولا تقتير

هذه هي سعادة المرأة او سعادة الرجل والمرأة معاً

فمن يسعى في ذلك سعياً حقيقياً بغيرة وهمة ثابتة حق لهُ اعظم الشكر في مستقبل الايام وعظيم الفخر الآن في ترقية الهية الاجتماعية المصرية وان عاش ورأى ما يثمره تعميم تعليم البنات فعندها لا يشير الا بتعميم الجمعيات لتعليم الناشئات وهذا منتهى الخير في هذه الحياة الدنيا والآخرة والسلام

المنصوره في ١٧ فبراير سنة ١٩٠١ رمضان احمد

علموا البنات ما يحتجن اليهِ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لا اكتب هذه السطور قصد الردّ على ما كتبهُ حضرة الاديب سليمان افندي ميخائيل في الجزء السابق من المقتطف بل ايضاحاً لامرٍ تمسُّ الحاجة اليهِ شديد المساس وهو ماذا يجب ان نعلّم بناتنا في المدارس . فان الذين انشأوا المدارس للصبيان ساروا فيها على غير هدى سنين كثيرة ثم عادوا الآن الى الاختيار والانتقاء فكان الاوربيون يقون الشاب عشر سنوات يدرس اللاتينية واليونانية وهم يعلمون انهُ سيكون تاجراً او مهندساً لا يحتاج الى شيء مما قضى زهرة العمر في تعلمهِ . واهالي هذا القطر والقطر السوري كانوا يقضون السنوات الطوال في درس الصرف والنحو والبيان متوناً وشروحاً وحواشي ويحسبون ذلك العلم كلهُ . ولا يزال كثيرون من الاوربيين يقضون السنين في درس الجبر والهندسة والرياضيات العليا وهم يستعدون لدرس الطب مثلاً حيث لا يحتاجون الى غير قواعد الحساب الاربع الاصلية

واذا اردنا ان نعلّم بناتنا ما يحتجن اليهِ فقط وجب اولاً ان نقسم البنات الى اقسام حسب درجتهنَّ في الحياة لان ما تحتاج اليهِ ابنة الوزير لا تحتاج اليهِ ابنة الفلاح وما تحتاج اليهِ ابنة الفلاح لا تحتاج اليهِ ابنة التاجر وهلمَّ جرّاً

ومن العلوم ما يحتاج اليهِ كل احد فقيراً كان او غنياً رجلاً كان او امرأةً كالقراءة والكتابة ومبادىء الحساب والجغرافية وعلم الصحة وعلم وظائف الاعضاء وقوانين المعاملات العمومية فيجب ان يتعلمهُ الجميع على حدٍّ سوى . ومنها ما تحتاج اليهِ البنات اللواتي يرغبنَ في التعليم كقواعد اللغة وعلم التعليم . ومنها ما تحتاج اليهِ بنات الاغنياء كالموسيقى والرسم والتصوير والتاريخ . ولا بدَّ لكل البنات من ان يتعلمنَ علم تدبير المنزل من غير استثناء

بقي علم الطبخ . والبنات من حيث هذا العلم على ثلاثة اقسام كبيرة بنات الاغنياء اللواتي لا يطبخنَ بايديهنَّ ولا مانع يمنعهنَّ من تعلم علم الطبخ بل من وتعلمهِ فائدة لمنَّ ولكن ازواجهنَّ لا يريدون ان يروهنَّ في المطابخ بل يفضل الرجل منهم ان يرى زوجتهُ تلعب على البيانو او تصور صورةً جميلةً ولو دفع اجرة طبَّاخين او ثلاثة فيصير تعلمها لعلم الطبخ من باب العبث ان لم تمارسهُ

وبنات الاواسط اللواتي لا ينتظر ان يصرن طبَّاخات عند غيرهنَّ وهؤلاء لاحاجة بهنَّ الى اتقان صناعة الطبخ كما يتقنها طبَّاخو الفنادق والقصور لان غاية ما ينتظر منهنَّ ان يطبخنَ

ما يحتجنَ اليهِ من الطعام في بيوتهنَّ او يساعدن الطباخات اللواتي يستأجرنهن وذلك كلهُ بسيط تتعلمهُ البنتُ من امها وتتعلمهُ الخادم البربري في شهرين من الزمان اذا كان نبيهاً . واذا وُجد في البلاد مدارس للطبخ فلا بأس بذهاب هؤلاء البنات اليها والقيام فيها شهرًا او شهرين لمشاهدة اساليب الطبخ التي تستعمل فيها والتمرُّن عليها بالعمل

وبنات الفقراء وهؤلاء إما ان يتعلمنَ ليصرنَ طباخات او لا . فان كان الاول فلا بدَّ لهنَّ من ان يتعلمنَ علم الطبخ في مدرسة خاصة بهِ وان كان الثاني فالغالب ان فقر والديهنَّ يمنعهنَّ من التعلُّم في المدارس العالية واذا تكرَّم عليهنَّ احد فدفع اجرة تعليمهنَّ او كان في المدارس العالية مال من اهل البر لتعليم بنات الفقراء مجاناً وكان لهنَّ نصيب من ذلك فرأيي عليهنَّ ان لا يُضعنَ وقت احراز العلم في التمرُّن على الطبخ بل يقضينهُ في تعلُّم علم التعليم لان مقام المعلمة ارقى كثيرًا من مقام الطبَّاخة وفائدتها لنوع الانسان اعظم جداً من فائدة الطباخة. اما الطبخ البسيط الذي تحتاج اليهِ المرأَة الفقيرة في بيتها فلا يستدعي علماً في المدارس بل يكفي ما تتعلمهُ من امها وجاراتها وما يرشدها اليهِ عقلها او ما تطالعهُ في كتب الطبخ

وجملة القول ان تعلم البنات يجب ان يكون بحسب ما يحتجنَ اليهِ لا ان يكون جزافاً من غير قصد ولا تقدير لان الحياة قصيرة والواجبات كثيرة ومن تضع وقتها في تعلُّم ما لا تحتاج اليهِ لا تجد وقتاً آخر لتعلُّم ما تحتاج اليهِ

احدى قارئات المقتطف

باب الهدايا والتقاريظ

دائرة المعارف

يندر ان يؤلف كتاب في اللغة العربية في هذا العصر يخلّد بهِ اسم مؤلفهِ واندر من ذلك ان يؤلف كتاب يخلّد بهِ اسم عائلة كبيرة ككتاب دائرة المعارف الذي شرع فيهِ المرحوم بطرس البستاني الخالد الذكر والاثر وانجز ابنهُ المرحوم سليم البستاني جانباً منهُ ووقع لاخويهِ نجيب افندي ونسيب افندي ولابن عمهما سليمان افندي بستاني ان يتموهُ. وقد تأهلوا كلهم لاتمامهِ بالدرس والبحث والتنقيب ولا سيما سليمان افندي الذي ترجم اشعار هوميروس الى العربية ونظمها وشرحها فيها

وقد صدر الآن الجزء الحادي عشر من الدائرة مبتدئاً بكلمة صلبة ومنتهياً بكلمة عثمانية . وورد فيه بين هذين الحدين مئات من المواد المشروحة شرحاً مسهباً مما لا يعثر عليهِ الأ في دائرة المعارف او في خزانة كتب كبيرة فالكلام على الصلبة وهم جيل من البدو يملأ اربع صفحات كبيرة بقلم سليمان افندي بستاني ولهُ بحث خاص في هذا الموضوع نشرهُ في المجلد الثاني عشر من المقتطف . والكلام على الصليبيين يملأ تسع صفحات كبيرة والكلام على الصين يملأ ٢١ صفحة وعلى الطاعون تسع صفحات وعلى الطائر ١١ صفحة وعلى الطباعة ١١ صفحة ايضاً وعلى الطب ٢٠ صفحة وهلم جرّا

وقد امتازت دائرة المعارف على كل الكتب الاوربية التي من نوعها بما تضمنتهُ من ترجمات الاعلام العربية وتاريخ ممالك العرب وآدابهم فاذا امكن عارفي اللغات الاوربية كالانكليزية او الفرنسوية ان يستغنوا عنها بالانسكلوبيذيات الافرنجية في العلوم والفنون والتواريخ الاوربية لا يستطيعون ان يستغنوا عنها في شيءٍ مما يتعلق بتاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وترجمات رجالهم . ومن هذا القبيل تاريخ بني طغتكين ولاة الشام في القرن السادس وطغرل بك السلجوقي والملك الظاهر بيبرس والشيخ ظاهر العُمَر والملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب مصر والشام والملك العادل اتابك والملك العادل اخو صلاح الدين وبنو عبَّاد وعبد الغني النابلسي وغيرهم من الاعلام المشهورة

والشرح مسهب في التواريخ والعلوم الحديثة ايضاً كما يظهر من الكلام على الطير والطيف الشمسي والدولة العثمانية وطرق الحديد والطب والطباعة والطاووس والضفدع . وهو موضح بصور كثيرة في متنهِ وفي مجموعة من الصور البديعة ملحقة بهِ

وجملة القول ان حضرات العلماء الافاضل سليمان افندي ونجيب افندي ونسيب افندي البستاني لم يدَّخروا وسعاً في جعل هذا الجزء مثل الاجزاء السابقة او اكبر منها فائدة . وان دائرة المعارف كتاب نفيس لا تستغني عنهُ مكتبة شرقية

فن الصوت والموسيقى

الموسيقى او علم الايقاع علم اعتنت بهِ كل الامم الكبيرة قديماً وحديثاً فكان لهُ مقام رفيع عند المصريين والكلدان واليونان والفرس والروم والعرب وعند اهالي الهند والصين ولهُ الآن المقام الاعلى عند الاوربيين . وقد نقلهُ العرب عن اليونان مع ما نقلوا من التعاليم ووضعوا فيهِ مصنفات . ووسع المحدثون من الاوربيين هذا العلم ووضعوا لهُ قيوداً جديدة يسهل

ربط الانغام بها . ويسرُّنا ان احد النابغين من المصريين حضرة رزق الله افندي شحاته وضع فيهِ كتاباً بالعربية بعد ان اختبر تدريسهُ سبع سنوات وطالع اهم المؤلفات الاوربية الحديثة وقد طبع هذا الكتاب طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة المقتطف وهو يطلب من مكاتب حضرات المرسلين الاميركيين

المرأة في الاسلام

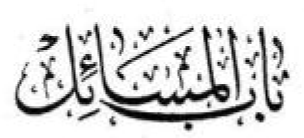
يرث الولد الاستعداد الجسمي والعقلي من امهِ كما يرثهُ من ابيهِ وتربيتهُ رضيعاً وطفلاً وفتى موكولة الى امهِ لا الى ابيهِ فاذا تناظرت امتان في ميدان هذه الحياة وكانت القوى الجسمية والعقلية بالغةً اشدَّها من النمو والتهذيب في رجال الامة الواحدة ونسائها ايضاً وبالغة اشدَّها في رجال الامة الثانية دون نسائها فلا بدَّ من ان يسبق اولادُ الامة الاولى اولادَ الامة الثانية في ميدان الحياة

ثم ان الجسم والعقل لا يبلغان اشدَّهما من النمو والارتقاء الاَّ بالتعليم والتمرين وقرن العلم بالعمل ومعاملة الناس ومعاركة الدهر وهذا يصدق على النساء كما يصدق على الرجال

ولعلَّ هذا الامر هو الذي دعا بعض فضلاء المشرق في بلاد الهند وفي القطر المصري الى المجاهرة بوجوب تعليم النساء وبوجوب رفع الحجاب من نساء الخاصة واشراكهنَّ في الاعمال كما يشترك فيها نساء العامة . ولم يقفوا عند كتابة المقالات المتفرقة في المجلات وصحف الاخبار ولا اكتفوا بتأليف الكتب بل وضع احد ادباء هذا القطر ابرهيم بك رمزي مجلَّة علميَّة تهذيبيَّة سمَّاها المرأة في الاسلام وجعل موضوعها البحث في ترقية شأن النساء فعسى ان تفي بالغرض المقصود منها وتجيء بالنفع المطلوب

تتمة البيان في تاريخ الافغان

للسيد جمال الدين الافغاني شأن كبير عند مريديهِ حتى لقد كانوا يلقبونهُ بمهبط اسرار الحكمة وفيلسوف الاسلام والمسلمين . وسواءٌ كان كما يقولون او لم يكن فلا شبهة في انهُ كان من اعرف الناس بتاريخ بلادهِ وما تقلَّب عليها من الشؤُون السياسية ولذلك يرحّب ابناء المشرق بكتاب وضعهُ في تاريخها . وقد اسهب في وصف الحروب التي ثارت بين الانكليز والافغان وخذل فيها الانكليز مراراً والحق ذلك بفصل مسهب في بيان الشعوب المختلفة الساكنة في افغانستان واخلاقها وعاداتها ومذاهبها وكيفية حكومة البلاد وهو افضل فصول الكتاب . وقد التزم طبعهُ حضرة الاديب علي افندي يوسف الكريدلي محرر جريدة العلم العثماني



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) اكبر حيوانات البحر

دنديط. سعد الدين افندي نافع. ارجو ان تفيدونا عن طول اكبر حيوان في البحر ووزنهِ وعمرهِ

ج الحيتان اكبر الحيوانات البحرية وقد ذكر العالم ود في كتابهِ عن الحيوان حوتاً طولهُ ٩٥ قدماً انكليزية وعرض ذنبهِ ٢٢ قدماً ونصف قدم وكان ثقل هذا الحوت ١٥٠ طناً وذكر غيرهُ حوتاً طولهُ ١٢٢ قدماً. وعمر الحوت غير معروف

(٢) الحشرات القشرية

طنطا. الخواجه سليم قطيني. وجدنا على بعض الاشجار دويبة صغيرة وقد اضرَّت بالاشجار ضرراً شديداً فارسلنا اليكم عوداً عليهِ منها فما هو نوعها وما هو علاجها

ج نراها من الحشرات القشرية ولعلها من النوع المسمى Aspidiotus Harrisii اما علاجها فقضب الاشجار حتى لا يبقى منها الاَّ اغصان قليلة او لا يبقى الاَّ ساقها ومسحها بمستحلب زيت البترول وقد فصلنا كيفية عملهِ واستعمالهِ في الصفحة ٣٧٩ من المجلد العشرين من المقتطف (ووضع عدد الصفحة هناك ١٧٩ خطاء)

(٣) سكان المريخ

الخواجه رشيد ابو ريحان. بمدينة جكسن بميزوري في الولايات المتحدة. ذكرتم ما يظنهُ العلماء من وجود سكان في المريخ فهل يمكن ان تفيدونا عن جنسهم وهل هم من جنس البشر

ج ان وجود السكان في المريخ من الامور المحتملة لان حالتهُ الطبيعية تسمح بان يكون مسكوناً وهذا كل ما يُعلم من امرهِ من هذا القبيل. اما جنس هؤلاء السكان فلا يعلم وليس لدى البشر حتى الآن واسطة يعلمون بها نوع سكان الكواكب ولكن لا يستحيل ان توجد واسطة يعلم بها ما اذا كانت السيارات مسكونة او غير مسكونة ونوع سكانها لاسيما وان مَن يبحث عن سكانها يثاب على بحثهِ فان احدى السيدات تركت مالاً لمن يثبت انها مسكونة

(٤) الملائكة الساقطة

ومنهُ . يقال ان ثلاثة اجواق من الملائكة سقطت من السماء جوق منها بقي بين السماء والارض وجوق وصل الى الارض وجوق نزل تحت الارض فهل من عالم فوق الارض وعالم تحت الارض

ج ان هذه الاقوال غير مؤسسة على اساس علمي اي لا اساس لها بين معلومات البشر التي علموها بالحس والمشاهدة والاستدلال . والارض كرة كالبرتقالة معلقة في الفضاء تدور على نفسها وتدور حول الشمس وليس حولها ما يقال لهُ فوق وما يقال لهُ تحت حقيقةً وانما نحن سكان الارض نعني بكلمة فوق ما كان فوق رؤوسنا اذا كنا واقفين على الارض وبكلمة تحت ما كان تحت اقدامنا فالفوق يعم كل ما يحيط بالارض من كل الجهات والتحت يختص بما تحت اقدامنا من الكرة الارضية . وما نشير اليهِ بكلمة فوق نهاراً مما حول الارض نشير اليهِ بكلمة تحت ليلاً كما يظهر باقل تأمل

(٥) دوران الارض

ومنهُ . أصحيح ما يزعمهُ العلماء من ان الارض تدور وان الكواكب والشمس والقمر راكزة لا تدور

ج الذي يقولهُ العلماء ويثبتونهُ بادلة كثيرة مقنعة لا سبيل معها للريب هو ان الارض كرة كبيرة تدور على نفسها دورة كاملة كل اربع وعشرين ساعة وتدور حول الشمس دورة كاملة كل سنة . والشمس اكبر من الارض كثيراً وهي في مركز النظام الشمسي الذي هو الارض والزهرة وعطارد والمريخ وزحل والمشتري واورانوس ونبتون وهذه السيارات تدور كلها حول الشمس والشمس ثابتة بالنسبة الى هذه السيارات ولكنها تحملها وتدور معها في هذا الفضاء الواسع حول مركز آخر بعيد جدًّا . اما النجوم الاخرى التي في السماء فنراها تدور حول الارض لا لانها تدور حولها حقيقة بل لان الارض تدور بنا على محورها فلا نشعر بدورانها لكبرها بل نشعر بدوران النجوم الى الجهة المقابلة . والارض تدور من الغرب الى الشرق ولذلك نرى النجوم تدور من الشرق الى الغرب كما اذا كنتم سائرين في قطار سكة الحديد من الغرب الى الشرق فانكم قد لا تشعرون بسيرهِ بل تشعرون كأن الارض التي بجانب القطار تسير من الشرق الى الغرب

(٦) شهب نوفمبر

بيروت . احد المشتركين . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما زعم الفلكيون وهل كان سقوطها عمومياً وغزيراً

ج ذكرنا في الجزء الماضي ان مدير مرصد تورنتو بكندا شاهد تساقطها في ١٥

نوفمبر الماضي وكانت كثيرة جدًّا امتلأ بها الجو وشاهدها ايضاً في الليلة التالية وبقيت تساقط الى الصباح وذعر الناس منها وظنوا انهُ دنا انقضاء العالم . فان كان ما انبأ بهِ هذا المدير صحيحاً فقد سقطت شهب نوفمبر في حينها ولو لم ترَ في كل البلدان . ومعلوم ان الشهب القريبة من الارض لا ترى في اماكن كثيرة في وقت واحد وان ما يرى منها ليلاً في اميركا لا يرى في اوربا في الوقت نفسهِ لان الوقت يكون نهاراً فيها ولكن تورنتو قريبة من مدن كثيرة اميركية كبفلو وهملتون والبعد بينها وبين نيويورك غير شاسع لا يبلغ ٣٥٠ ميلاً فيستغرب عدم رؤْيتها فيها الاَّ اذا كانت قريبة من الارض جدًّا

(٧) اعمار القدماء

ومنهُ . جاء في التوراة ان القدماء كانوا يعيشون نحو الف سنة فهل كانت سنتهم اقصر من سنتنا او كان الواحد منهم يعمّر عشرة اضعاف ما يعمرهُ الواحد منا الآن

ج ان حقيقة ذلك غير معلومة وللعلماء التفسير اقوال مختلفة فيهِ ويميل اكثرهم الى ان السنين المشار اليها مثل سنينا تماماً والناس الذين يقال انهم عاشوا مئات من السنين قد عاشوا كذلك حقيقة حسب نص التوراة الصريح

(٨) شهر فبراير

المنيا . يعقوب افندي دوغان . قرأت في جريدة انكليزية ان شهر فبراير سيكون ٢٨ يوماً مدة خمسين سنة من ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ فهل ذلك صحيح

ج . كلاَّ ولكن يقال ان قيصر الروس ارتأى ان يبقى فبراير ٢٨ يوماً في السنين الكبيسة بالحساب الشرقي الى ان يزول الفرق بين الحساب الشرقي والغربي وهو يزول في ٥٢ سنة اذا فعل ذلك

(٩) السنة الكبيس

ومنهُ . لماذا كان شهر فبراير في السنة الماضية ٢٨ يوماً مع ان سنة ١٩٠٠ تقسم على ٤ بدون باقٍ

ج . لانها تقسم ايضاً على ١٠٠ بدون باقٍ ولو كانت تقسم على ٤٠٠ بدون باقٍ لعادت كبيسة فان القاعدة في الحساب الغربي هي ان السنة تحسب كبيسة اي يحسب شهر فبراير فيها ٢٩ يوماً اذا كانت تقسم على ٤ ولكنها لا تقسم على مئة واذا كانت تقسم على مئة تحسب عادية بشرط ان لا تقسم على ٤٠٠ فسنة ١٥٠٠ عادية ولو كانت تقسم على ٤ بدون باقٍ لانها تقسم ايضاً على مئة ولا تقسم على ٤٠٠ وسنة ١٦٠٠ تحسب كبيسة مع انها تقسم على ١٠٠ لانها تقسم ايضاً على ٤٠٠ وسنة ١٧٠٠ عادية وكذا سنة ١٨٠٠ و ١٩٠٠ هذا في الحساب الغربي اما في الحساب الشرقي فيحسب فبراير ٢٩ يوماً في كل سنة تقسم على ٤ وقد جعل الفرق بين الحساب الغربي

والشرقي ١٠ ايام في عهد البابا غريغوريوس سنة ١٥٨٢ . وفي سنة ١٦٠٠ بقي الفرق على حالهِ لان الشرقيين حسبوا تلك السنة كبيسة لانقسامها على ٤ والغربيين حسبوها كبيسة ايضاً لانها تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٧٠٠ زاد الفرق يوماً فصار ١١ يوماً لان الشرقيين حسبوها كبيسة واما الغربيون فحسبوها عادية لانها تقسم على ١٠٠ ولا تقسم على ٤٠٠ . وسنة ١٨٠٠ زاد الفرق يوماً آخر فصار ١٢ يوماً للسبب المتقدم ذكرهُ وكذا سنة ١٩٠٠ زاد الفرق يوماً ثالثاً فصار ١٣ يوماً ويبقى الفرق ١٣ يوماً سنة ٢٠٠٠ ويصير ١٤ يوماً ٢١٠٠ وهلمَّ جرًّا

(١٠) كروجر

القناطر الخيرية . محمد افندي فهمي . لما قام كروجر من لورنزوموكيز لِمَ لم يأسرهُ الانكليز أوَلم تعدَّ هولندا حقوق الحيادة بنقلهِ في سفينتها الحربية

ج اذا فرَّ احد المتحاربين الى بلاد دولة على الحياد حُمي في بلاد تلك الدولة ولم يجز لخصمهِ ان يقبض عليهِ فيها . وكروجر هرب اولاً الى املاك البرتغال فاضطر الانكليز ان يمتنعوا عن اتباعهِ اليها ونزل منها في البارجة الهولندية وحكم البارجة حكم املاك الدولة الاجنبية لا يجوز انتهاك حرمتها

(١١) غرينلندا

ومنهُ . هل كانت جزيرة غرينلاند مأهولة وقت اكتشافها وكيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي

ج لا بدَّ من انكم تريدون "بوقت اكتشافها" وقت اكتشفها الاوربيون والاَّ فان اردتم وقت اكتشفها الناس اول مرة فجوابهُ بديهي انها لم تكن مأهولة اما وقت اكتشفها الاوربيون فكانت مأهولة بسكانها الاسكيمو والمرجح انهم جاؤُها من اسيا او انهم من هنود اميركا تبعوا مجرى الانهار الشمالية حتى وصلوا غرينلندا او رحلوا شمالاً من امام شعب اقوى منهم حتى وصلوا الى اطراف اميركا الشمالية وعبروا الى غرينلندا . ولا يعلم كيف كان حال سكانها قبل التاريخ الميلادي ولا يظهر لنا انهُ سكنها احد حينئذٍ ولم يعلم شيءٌ من امرهم الاَّ منذ عهد قريب

(١٢) سبات طويل

طنا . احمد افندي رزق . روى البصير في العدد ١٠٧٠ الصادر في ١٣ مارس الحالي ان رجلاً في اوستراليا ارتكب جريمة القتل وبينما كانت المحكمة تتهيأ للحكم عليهِ نام ولبث نائماً من نوفمبر سنة ١٨٩٦ حتى استيقظ في يناير سنة ١٩٠١ ولم يدرِ من جنايتهِ شيئاً . وحيث ان العقل يرتاب في صحة هذه الرواية فارجو ابداء رأيكم فيها

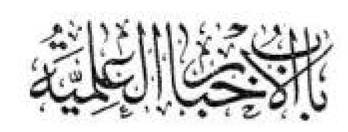
ج يظهر لنا ان الرجل المشار اليهِ اصابهُ شيءٌ من البحران فبقي يأكل ويشرب ولكنهُ لا ينتبه الى شيءٍ فخفضت حياتهُ الى ان

استيقظت قواهُ العقلية او زال الخلل من دماغهِ فعاد يدرك كما كان قبل ان اصابهُ البحران

(١٢) اصغر ممالك اوربا

مصر . محمد افندي عمر . هل من مملكة في اوربا دخلها السنوي اقل من ٣٠٠ الف جنيه

ج . ان مملكة سان مارينو او جمهورية سان مارينو سكانها نحو ثمانية آلاف نفس فقط ولا نعلم كم دخل حكومتها بالتحقيق ولكننا لا نظن انهُ اكثر من عشرة آلاف جنيه . وامارة الجبل الاسود دخل حكومتها السنوي ستون الف جنيه



هيكل فينيقي

يتنازع الممالك الاوربية ورجالها يكابدون المشاق وينفقون النفقات الطائلة لاكتشاف آثار الاولين نرى هذه الآثار تنكشف عفواً لابناء سورية فلا يعتنون الا باعطائها لحكومتهم من ذلك ما قرأناهُ في جرائد بيروت وهو انهُ كُشف هيكل عظيم في جوار صيداء في بستان على ضفاف نهر الاولي . والهيكل فينيقي مبني بحجارة عاتية طول الحجر منها نحو عشر اذرع وفيهِ كثير من التماثيل وكتابة يقال فيها ان الهيكل بني للاله عمون . والبستان الذي فيهِ الهيكل لسعادة نسيب بك جنبلاط فاهداهُ بما وجد فيهِ الى الحكومة العثمانية

النجم الجديد

ذكرنا اكتشاف هذا النجم في الجزء الماضي وقد ثبت بعد ذلك من مراجعة صور السماء الفوتوغرافية انهُ لم يكن ظاهراً في ١٩ فبراير الماضي او كان اصغر من القدر الحادي عشر . وبعد ذلك فاق الشعرى العبور والدبران والعيوق في لمعانهِ ثم ضعف نورهُ رويداً رويداً حتى بلغ القدر الثالث ثم اختفى عن العيان

واول نجم جديد انتبه لهُ الناس وذكروهُ في تواريخهم ظهر سنة ١٣٤ قبل المسيح . ومن ذلك الحين الى الآن انتبهوا الى ١٩ نجماً جديداً ثلاثة عشر منها رُئيت في القرن الماضي وستة من هذه في السنوات العشر الاخيرة منهُ فلو اهتمَّ الناس برصد الافلاك في القرون الغابرة كما اهتموا برصدها في القرن الماضي وفي السنوات العشر الاخيرة منهُ لرأوا نجماً جديداً كل سنة او سنتين . ثم ان ما يرى بالعين من النجوم لا يبلغ جزءا من عشرة

آلاف جزء من النجوم التي ترى بالتلسكوب الكبير فاذا كانت النجوم الجديدة تزيد على هذه النسبة ايضاً فقد ظهر منها الوف كثيرة في هذه العشرين قرناً

والنجم الجديد يظهر للعيان بغتةً ويزيد اشراقهُ سريعاً ثم يقلُّ رويداً رويداً الى ان يختفي ثانيةً. وقد فرض العلماء فروضاً مختلفة تعليلاً لظهور النجوم الجديدة لكنهم لم يجدوا حتى الآن فرضاً تعلّل بهِ كل ظواهرها

اللبن والميكروبات

بحث الدكتوران فلاجسا وارتونا في مدرسة رومية الجامعة عن وجود الميكروبات في اللبن وعن فعل النور والحرارة بها فوجدا ان نور الشمس لا يميت الاَّ الميكروبات التي تعيش على سطح اللبن فلا يكون لها ما يقيها من نور الشمس ووجدا ان ميكروب الدفثيريا يعيش في اللبن ويولّد فيهِ مادتهُ السامة ولكن لا يكون سمّهُ فيهِ اقوى من سمّهِ لو ربي في سائل آخر. ووجدا ايضاً انهُ اذا سخن اللبن الى الدرجة ٦٠ او ٧٠ او ٨٠ بميزان سنتغراد لم تكن الحرارة كافية لقتل ميكروب السل منهُ اذا كان فيهِ

الكسوف المقبل

ستكسف الشمس كسوفاً تامّاً في ١٨ مايو المقبل يبتدئ الكسوف في الجنوب الغربي من مدغسكر ويسير شمالاً فشرقاً ويقطع الاوقيانوس الهندي ويمرُّ في موريتوس وسمطرة وبورنيو وجزائر سلبس وغينيا الجديدة. ومدة الاختفاء التام في موريتوس نحو ٣ دقائق و ٥٠ ثانية وفي ارخبيل ملقا ست دقائق ونصف دقيقة

المطر الدموي

امطرت السماء مطراً احمر كالدم في اوائل شهر مارس في ايطاليا وشمالي افريقية وكتب بعضهم من مدينة بلرمو بايطاليا في ١٠ مارس يقول تكاثفت الغيوم فوق المدينة منذ البارحة وكان الجو احمر داكناً وعصفت الجنوب عصفاً شديداً ووقع المطر نقطاً حمراء كالدم. ويعلل ذلك بغبار احمر من صحراء افريقية اثارتهُ العواصف ومزجت بهِ ماء المطر. ووقع هذا الغبار في نابلي ايضاً حملتهُ العواصف من صحراء افريقية

وكتب الاستاذ جد في جريدة ناتشر ان آثار المطر الدموي بلغت مدينة همبرج في المانيا وشلسوغ هولستين دلالة على كثرة الغبار الذي حملتهُ العواصف من افريقية. وبعث الدكتور ركر اليهِ بقليل من هذا الغبار جمعهُ عن مائدة رخام في فندق بايطاليا فبحث فيهِ بالميكرسكوب فاذا اكثرهُ مواد غير آلية وقطع من الكوارتز بينها كثير من الذرات النباتية التي تعيش في الماء القراح

وجمع الاستاذ ركر الغبار عن موائد في

صقلية قائمة على سطح الفندق الذي كان فيهِ ووزنهُ فوجد وزنهُ نحو غرام على ١٠ مساحتهُ نحو خمس اقدام مربعة فاذا فرضنا ان ما وقع على ايطاليا كلها هو على هذه النسبة بلغ وزنهُ ستمئة مليون كيلوغرام او ستمئة الف طن او خمسة اطنان ونصف على كل ما مساحتهُ ميل مربع

قبر بقراط

يقال انهُ كشف قبر بقراط ابي الطب في لارسا بتساليا وقد اهتمت الحكومة اليونانية بذلك شديد الاهتمام وبعثت لجنة الى هناك لتعمل بما تراهُ لازماً لحفظ هذا القبر

تمييز دم الانسان

كشفت طريقة جديدة يميزبها دم الانسان عن دماء كل الحيوانات ما عدا دم القرد وذلك بان يحل قليل من دم الانسان ويحقن بهِ ارنب ثم يضاف قليل من دمها الى قليل من محلول الدم المشتبه فيهِ فان كان من دم انسان تعكر حالاً ورسب منهُ راسب وان كان من دم حيوان آخر لم يتعكر ولا رسب منهُ راسب . ودم القرد يتعكر كما يتعكر دم الانسان ولكنهُ لا يتعكر حالاً كما يتعكر دم الانسان فيكون ذلك فارقاً بينهما

كتب مصر في اميركا

بلغ نصيب المدارس الاميركية الجامعة ١١٨ درجاً من الدروج المصرية القديمة المكتوبة على ورق البردي مما وُجد في القطر المصري حديثاً خصَّ مدرسة يال الجامعة ١٦ درجاً منها فيها اجزاء من كتاب افلاطون في الحكومة الجمهورية كتبت قبل المسيح بنحو مئة سنة واجزاء من رواية شعرية مفقودة . ووجد في نصيب مدرسة هرفرد الجامعة جانب من رسالة مار بولس الى اهالي رومية وجانب من اشعار الومان شاعر اسبرطه الذي كان سنة ٦٥١ قبل المسيح . وفي نصيب مدرسة كولمبيا تاريخ زنوفون المسمى بالهلينيكا وهو تاريخ بلاد اليونان مدة ٤٩ سنة وكتاب مرسل الى ملك مكدونية . وفي نصيب مدرسة جونس هبكنس ملخصات من تيسيديدس وديموستنس . وفي نصيب مدرسة برنستن قطعة من هيرودوتس من القرن الثاني وصك من عهد نيرون . وفي نصيب مدرسة فسار صك دين بثلاثة آلاف درهم ومقدار الربا ٨ في المئة وهو من القرن الثالث . وجملة الدروج ١١٨ كما تقدم واكثرها مما وجد في البهنسة

حفظ الصوت بالفونوغراف

نال الشهير اديصن امتيازاً من الحكومة الاميركية لعمل اساطين من الفضة تحفظ فيها العلامات التي تحدث الصوت بالفونوغراف الى ما شاء الله . وذلك ان تؤخذ هذه العلامات على اسطوانة الشمع اولاً ثم توضع اسطوانة الشمع في اناء فارغ من الهواء بين قطبين من الذهب وتمر بينهما شرارة كهربائية

فيلبس الشمع غشاء رقيقاً من الذهب ثم يلبَس الذهب بقشرة سميكة من النحاس بالترسيب الكهربائي ويذاب الشمع ويرسَّب مكانهُ طبقة سميكة من الفضة بالترسيب الكهربائي ايضاً ويذاب النحاس فتبقى الفضة وعليها غشاوة الذهب وفيها العلامات التي كانت في اسطوانة النحاس . وتحفظ كذلك الى ماء شاء الله لا يؤثر فيها الحر ولا البرد ولا الاستعمال المتكرر

ملهل الاحصائي

توفي ميخائل ملهل الاحصائي الشهير في مدينة لندن . وهو اكبر علماء الاحصاء واوسعهم بحثاً وادقهم نتائج وقد قدَّر عدد سكان الولايات المتحدة قبلما أُحصي اخيرًا فكان الفرق بين تقديرهِ والاحصاء ٩٥ الفاً لا غير

مؤتمر السل

سيلتئم مؤتمر كبير في مدينة لندن في ٢٢ يوليو المقبل للبحث في خير الوسائط التي يمكن استعمالها لاتقاء السل وشفائهِ واستئصالهِ ويحضرهُ مندوبون من كل اقطار المسكونة و يفتحهُ ملك الانكليز بنفسهِ

السكلوبيذيا الصينية

في المجلد الكبير من المقتطف نحو نصف مليون كلمة وعند الصينيين دائرة للمعارف (سكلوبيذيا) فيها ٣٦٦٩٩٢٠٠٠ كلمة اي انها تساوي اكثر من سبع مئة مجلد من مجلدات المقتطف وقد حُرق هذا الكتاب العظيم مدة حصار السفارات الاجنبية في باكين وليس حرقهُ بالخسارة الوحيدة التي خسرتها بلاد الصين اشباعاً لمطامع الاوربيين

مصل التيفويد

نشرت الجرائد الطبية النمسوية ان طبيباً اكتشف مصلاً يشفي من التيفويد ولا يعالج بهِ المريض حقناً بل شرباً

السمك المدفون

كتب بعضهم من جزيرة زيلندا الجديدة يصف نوعاً من السمك يغور في الارض في اواخر فصل الشتاء ويصنع لنفسهِ كفناً غروياً يلتف بهِ وينام الى فصل الشتاء التالي وهو صغير طول السمكة منهُ نحو اصبع . واذا أُخرج من الارض في اوائل فصل الشتاء لم يظهر عليهِ شيء من دلائل الحياة ولكنهُ اذا وُضع في الماء طرح الكفن الذي يحيط بهِ فوقع في قاع الماء واخذ هو يسبح فيهِ مثل غيرهِ من السمك

دواء الحمى القلاعية

اعلن الدكتور جار في اكادمية الطب بباريس انهُ اكتشف دواء للحمى القلاعية التي تميت الغنم شفى بهِ الفاً وخمس مئة رأس في مدة سنتين وهو محلول مركز من الحامض الكروميك النقي تكوى بهِ الجروح كياً وفعلهُ سريع جدًّا

ايصال باريس برومية

تمدّ اسلاك التليفون الآن بين باريس ورومية وسيتخاطب اهالي هاتين العاصمتين في الصيف المقبل والبعد بينهما اضعاف البعد بين القاهرة والاسكندرية ولكن شتان بين همة الناس هناك وهمتهم هنا

اكبر صورة فوتوغرافية

صنعت صورة فوتوغرافية في مدينة شيكاغو على لوح طوله ثماني اقدام وعرضهُ اربع اقدام ونصف قدم ويقال انها اكبر صورة فوتوغرافية صُنعت حتى الآن

النور والعلاج

قرأ الدكتور غارنول رسالة في اكادمية العلوم بباريس عن فعل النور الشافي وذكر انهُ عالج كثيرين بالنور الساطع فشفاهم من امراض مختلفة وانهُ انتبه الى ذلك مما ذكرهُ المسيو تروفه وهو ان عاملاً مصاباً بالروماتزم اقام ٤٨ ساعة بقرب نور كهربائي ساطع فشفي من مرضهِ ثم ظهر ان الذين يحمون المعادن بالكهربائية يشفون من النقرس والروماتزم. وقال انهُ اذا جمع النور من قنديل قوتهُ مثل قوة ٥٠ شمعة على مصاب بالروماتزم او بالزكام المزمن او بالصمم شفي او استفاد كثيراً

رخص الاكسجين

اشار الاستاذ بكته من اساتذة مدرسة جنيفا الجامعة باسلوب جديد لاستحضار الاكسجين بكثرة وبقليل من النفقة حتى ان الآلة البخارية التي قوتها ٥٠٠ حصان يستحضر بها خمس مئة الف قدم مكعبة في اليوم وذلك بتبريد الهواء في اناء يحيط بهِ الهواء السائل فينفصل اكسجين الهواء عن نيتروجينهِ وينزل الاكسجين الى اسفل الاناء ويبقى النيتروجين في اعلاهُ لان الاكسجين اثقل من النيتروجين

الماء لباريس من سويسرا

يهتم المهندسون الفرنسويون في جلب الماء الى مدينتهم من بحيرة جنيفا ويقال ان نفقات جر الماء من جنيفا الى باريس لا تقل عن اربعين مليون جنيه

الآلة البخارية الشمسيَّة

اهتم المخترعون منذ زمان طويل باستنباط آلة بخارية تأتيها الحرارة من الشمس مباشرة ولا يخفى انهُ اذا جمعت اشعة الشمس بعدسية محدبة او بمرآة مقعرة كان في محترقها حرارة شديدة جداً تذيب الحديد والصوان. فقد صنع احد الفرنسويين مرآة قطرها اربع اقدام فصهرت حرارة الشمس المجتمعة بها قطعة من الحديد في ست عشرة ثانية. وصنع رجل انكليزي بلورة قطرها ثلاث اقدام صهرت قطعةً من الحديد في ثلاث ثوانٍ واذابت حصاة من الصوان في دقيقة من الزمان. ومعلوم ان المرآة التي قطرها ثلاث اقدام لا

تزيد مساحة سطحها على سبع اقدام مربعة فما قولك لو صنعت مرآة مقعرة مساحتها مئات من الاقدام لا غرو انها تذيب الحديد في اقل من طرفة عين

غير ان ما بقي في دائرة الامتحان في كل البلدان يخرج الى دائرة العمل في اميركا بلاد الغرائب فقد رأينا في السينتفك اميركان الآن صورة مرآة كبيرة مقعرة مؤلفة من مرايا كثيرة صنعت في كليفورنيا واوصلت بآلة كالساعة تديرها من الشرق الى الغرب حتى تبقى مواجهة للشمس قطرها عشرة امتار مؤلفة من ٧٨٨ مرآة صغيرة مجموعة بعضها مع بعض على سطح واحد مقعر حتى تجمع اشعة الشمس المعكوسة عنها على اناء اسطواني كبير طوله خمسة امتار وفيهِ مئة جالون من الماء . اذا اديرت هذه المرآة الى الشمس لا تمضي عليها ساعة حتى يغلي الماء فيها ويشتد ضغط البخار فيدير آلة بخارية ترفع الماء من بئر عميقة ومقدار الماء الذي ترفعهُ ١٤٠٠ جالون في الدقيقة فهي مثل آلة بخارية بقوة عشر رؤُوس خيل . ولا يبعد ان نرى مثل هذه الآلة في القطر المصري وفي بلاد السودان حيث تبقى الشمس ظاهرة اكثر ايام السنة

ذات الرئة ومصل الدفثيريا

اعلن الدكتور تلامون من اطباء مستشفى بشات في باريس انهُ عالج ذات الرئة بالمصل المضاد للدفثيريا فنجح في علاجها

نوع جديد من الغنم

اكتُشف نوع جديد من الغنم في كلنديك شمالي اميركا الشمالية رأسهُ وعنقهُ وصدرهُ وبطنهُ وباطن يديهِ بيضاء كلها كالثلج وما بقي من جسمهِ رمادي اسمر

السل والنور المحلول

استعمل احد اطباء اميركا النور المحلول لمعالجة المسلولين ويقال انهُ نجح في ذلك كثيرًا فيسقي المسلول زيت السمك والزرنيخ ليقوي جسمهُ ويحل النور الكهربائي من قنديل بقوة ١٥٠٠٠ شمعة ويلقيهِ عليهِ من خلال زجاج ازرق

ارتفاع بحيرة لوط

يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع رويدًا رويدًا بفعل بركاني وسطح البحيرة آخذ في الاتساع

جريدة تليفونية

سبق اهالي بودابست عاصمة المجر غيرهم الى انشاء جريدة تليفونية اي ارسال الاخبار بالتلفون الى المشتركين وقد شرعوا في ذلك منذ سنة ١٨٩٣ والاشتراك في هذه الجريدة التليفونية خمسة عشر غرشًا في الشهر وترسل الاخبار الى المشتركين من الساعة ٨ صباحًا الى الساعة ١١ مساء وقد كثر انتشارها الآن وشاع استعمالها في ضواحي المدينة ايضًا

الهيدروجين في الهواء

ثبت الآن ان الهيدروجين كثير في الهواء يبلغ نصف الحامض الكربونيك الذي فيهِ اي انهُ نحو جزء من عشرة آلاف جزء جرماً ولم يعلم ذلك قبل الآن لصعوبة اكتشافهِ في هذا المقدار الكبير من الهواء . والظاهر ان مقدار الهيدروجين ثابت في الهواء ومن المحتمل انهُ يذهب من جو الارض و يبعد عنها في الفضاء لخفتهِ فيأتي هيدورجين آخر من الارض ليقوم مقامهُ ويبقى مقدارهُ ثابتاً في الهواء

الطعام النباتي

وهب بعضهم مدينة برلين ٢٥ الف جنيه لتنشئ بها ملجأً للايتام مشترطاً ان تقصر طعامهم فيهِ على المواد النباتية فرفضت هبتهُ لعلمها انها تضرُّ الايتام بذلك اكثر مما تنفعهم

عمر السكير

اثبت الدكتور دانا الاميركي ان السكير لا يعيش اكثر من ١٥ سنة بعد ادمانهِ للمسكرات . وجسم الانسان لا يحتمل اكثر من ثلاثة آلاف سكرة

شذور عن مجلة الطبيب

صدرت الارادة السنية بتجديد اعفاء الآلات الزراعية من رسوم الجمرك عشر سنوات اخرى في كل الممالك العثمانية

وجد احد قرويي اليونان ان محلول الملح يتلف جراثيم مرض الكرمة المعروف بالبروتوسيون . وقد جرَّب دهن العنقود الجديد عند اول عقدهِ بمحلول الملح فكان يسلم منهُ تسعون في المئة

اكتشف زيت البترول في جهات الموصل ويقال انهُ اجود من البترول الوارد من باطوم

تقرَّر في مجلس شورى الدولة العثمانية ان تعفى اشجار الزيتون والخرنوب والبندق من العشور عشرة اعوام من تاريخ استثمارها

منح ورثة المرحوم جواد باشا المتحف السلطاني مكتبة والدهم وفيها ٧٧٠٠ مجلد . فعين لها دائرة مخصوصة سميت مكتبة جواد باشا

عزم ناظم باشا والي الشام على انشاء مدرسة للقوابل فيها واستأذن الباب العالي في ذلك فاذن لهُ

عزمت الحكومة العثمانية على انشاء خمسة معامل لاستخراج طعم الجدري في الشام والبصرة وارضروم ومناستر وبتليس على نسق معمل الاستانة وقدرت نفقات كل معمل بثلاثة آلاف جنيه

فتح في مكتب كلخانة الطبي مجال جديد لدرس اللغة الالمانية وقد دخل في صفوف الدارسين ٢٠ طبيباً عسكريًا من الحائزين على رتبة ملازم

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين



December

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السادس والعشرين

١ مايو (آيار) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٢ محرم سنة ١٣١٨

تقرير اللورد كرومر

عن احوال مصر سنة ١٩٠٠

من فيكونت كرومر الى مركيز لنسدون

اني أعتذر عمَّا تجدونهُ من التطويل في تقريري هذا الذي ارفعهُ الى فخامتكم عن احوال الحكومة المصرية سنة ١٩٠٠ . ولو كتبتهُ لابناء وطني وحدهم لامكنني اختصارهُ ولكن لا يخفى ان التقارير التي رفعتها الى اسلافكم في نظارة الخارجيَّة كانت تترجم الى العربيَّة وتنشر في القطر المصري . وهي تكاد تكون السبيل الوحيد لايقاف المصريين على بعض المسائل التي يهمُّهم الوقوف على حقيقتها بالتدقيق والتفصيل سنة بعد سنة . ولما كان القطر المصري آخذاً في الارتقاء فالمسائل التي يهتم بها سكانهُ او فريق منهم آخذة في الازدياد ايضاً ولذلك رأَيتُ ان اسهب في امور كثيرة تكاد اهميتها تكون خاصَّةً بالقطر المصري . اما احوال السودان فلها تقرير خاص بها

حسابات سنة ١٩٠٠

قدّر ايراد الحكومة لسنة ١٩٠٠ ١٠١٦٤٠٠٠ جنيهًا مصريًا ووافق اعضاء صندوق الدين على منح الحكومة ٢١٦٠٠٠ ج . م [1] مقابل ما كان ينتظر من رفع الضرائب عن بعض الاطيان بسبب انخفاض النيل فصار تقدير الايراد كلهِ ١٠٣٨٠٠٠٠ ج . م وقُدِرت

(١) يراد بالحرفين ج . م في ما يلي الجنيه المصري و بالحرف ج الجنيه الانكليزي

مصروفات الحكومة ٠٠٠ ٣٨٠ ١٠ ج . م اي مثل ايراداتها

وبلغ ايراد صندوق الدين ٢١٦٠٠٠

ولما خُتمت السنة بلغ الايراد ٤٤٧٠٠٠ ١١
ومنحة صندوق الدين ٠٠٢١٦٠٠٠

والجملة ١١٦٦٣٠٠٠ ج م

وبلغت المصروفات ١١١٠٤٠٠٠ ج م

فالزيادة في المصروفات ٠٠٥٥٩٠٠٠ ج م

وهذه النتيجة حسنة جدًّا لان ايراد الحكومة قدّر مثل نفقاتها وقتما رُبطت الميزانية فزاد على المصروفات ٥٥٩٠٠٠ ج م . وكان الايراد العادي ٤٤٧٠٠٠ ١١ ج م وقد كان في العام السابق ٢٠٠٠٠٠ ١١ ج م فزاد ايراد العام الماضي عن ايراد العام الذي سبقهُ ٢٤٧٠٠٠ ج م رغماً عن انخفاض النيل انخفاضاً غير عادي . ثم ان ايراد سنة ١٨٩٩ كان اكثر من ايراد كل سنة سبقتها

المال الاحتياطي العمومي

بلغ المال الاحتياطي العمومي ٣٥٢٣٠٠٠ ج م في ختام سنة ١٨٩٩ . واضيف اليهِ مبلغ ١٠٤٠٠٠ ج م . في خلال سنة ١٩٠٠ وأُنفق منهُ على اعمال عمومية مختلفة مبلغ ١٠٩٨٠٠٠ ج م . فكان الباقي منهُ ٣٥٢٩٠٠٠ ج م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ ومن هذا المبلغ مبلغ ٢٣٤٢٠٠٠ وعد صندوق الدين بانفاقهِ على بعض الاعمال ومبلغ ١١٨٧٠٠٠ لم يعد بانفاقهِ على شيءٍ

المال الاحتياطي الخصوصي

المال الاحتياطي الخصوصي تحت تصرُّف الحكومة المصرية كلهُ . وقد بلغ هذا المال نحو ٢٤٣٠٠٠ ج م في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ عدا مبلغ ٥٧٠٠٠ ج . م وعدت الحكومة بانفاقهِ ولم يكن قد أُنفق . وبلغ ٨٠٩٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ ومن ذلك مبلغ ٥٠٠٠٠ ج . م وعدت بانفاقهِ ولم ينفق بعدُ

توفيرات التحويل

بلغت التوفيرات من تحويل الدين ٣٥٦٥٠٠٠ ج . م حتى ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ اشترى بها صندوق الدين اوراقاً مالية[1] الاَّ مبلغاً صغيرًا منها بقي نقودًا . وقد بلغت هذه

(١) هذه قيمة الاوراق لما اشتريت لا القيمة التي بلغتها بعدئذٍ

التوفيرات ٤٠٠٢٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ فزادت ٤٣٧٠٠٠ ج . م في خلال سنة ١٩٠٠

الدين المصري

بلغ الدين المصري ١٠٣٠٤٩٠٠٠ جنيهاً انكليزياً في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩ وفي صندوق الدين منهُ مبلغ ٧٤٩٤٠٠٠ ج[٢] فيكون في يد الجمهور منهُ ٩٥٥٥٥٠٠٠ ج

واستهلك من الدين المضمون ودين الدومين ودين الدائرة ٣٣٥٠٠٠ ج في خلال سنة ١٩٠٠

وفي ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ كانت القيمة الاصلية للدين كلهِ ١٠٢٧١٤٠٠٠ ج وكان منها في صندوق الدين ٧٢٧٣٠٠٠ فالباقي في يد الجمهور ٩٥٤٤١٠٠٠ ج

مربوط الميزانية لسنة ١٩٠١

مضى زمن طويل والذين تناط بهم ادارة المالية المصرية بوجه من الوجوه يشكون مرَّ الشكوى من انهم يرون ما تمسُّ الحاجة الى اصلاحهِ من كل جهة وهم مضطرون ان يرفضوا انفاق الاموال التي لا بدَّ منها لاصلاحهِ . وحسبي ان اقول لاهل الغيرة والحمية من الموظفين في مصالح الحكومة المختلفة الذين لم يد في اصلاح مصر والذين كانت تضعف عزائمهم حينما يرون انفسهم عاجزين عن اصلاح ما لا بدَّ من اصلاحهِ ان لجنة التحقيق التي كنتُ عضواً فيها منذ اثنتين وعشرين سنة لا غير وضعت اساساً لما اشارت بهِ مفادهُ ان نظام الحكومة المصرية يحتاج ان يوضع كلهُ جديداً وقالت " انهُ ليس في الحكومة الآن شيءٌ مما يجب ان يكون " . ولم تُبذَل الهمَّة في الاصلاح الَّا بعد عدة سنوات من كتابة هذا القول وبقينا مدَّةً قبل ان امنَّا كل خوف من افلاس الحكومة . ثم كان لا بدَّ من اصلاح مالية الحكومة قبل اصلاح غيرها . ولم يكن محل لزيادة مصروفات دوائرها في غير الضروري قبل تخفيف عبء الضرائب . والذين طال اختبارهم الاحوال المصرية مثلي لا يعجبون مما ظهر من البطء في تدبير الاموال اللازمة لما تمَّ من الاصلاح بل يعجبون مما ظهر من السرعة في تدبير هذه الاموال

ولا يخفى ان المصريين كثيراً ما لا يرون لزوم تغيير شيءٍ الَّا بعد ان يروا فائدة تغييرهِ وان كانوا يسرُّون بالاصلاح بعد حدوثهِ ويعترفون حينئذٍ بفائدتهِ . وكلهم يفضل تخفيف الضرائب على اي اصلاح كان مهما كان مرغوباً فيهِ . وهذا الحكم يكاد يكون عامًّا ولا

(٢) الجنيه المذكور هنا انكليزي

بدَّ للحكومة في بلاد مثل مصر ان تبق سابقة للرأي العام والاَّ لم يتمَّ شيءٌ من الارتقاء. ولكن ليس من الحكمة ولا من الصواب ان تبق الحكومة سابقة كثيرًا للرأي العام فتجري على اساليب لا يستحسنها الشعب الاَّ بعد زمن طويل . وكذلك يجب ان لا يبرح من الذهن ان اموراً كثيرة في النظام المصري القديم التي يراها الاوربيون خطأً فاضحًا لا تظهر للمصريين الاَّ عيوبًا طفيفة

وكلما كانت الميزانية الجديدة تربط في السنوات الاخيرة كان الذين تناط بهم ادارة مالية البلاد يحكمون بما يلزم من الاصلاحات المالية وبما يحتاج اليهِ كل فرع من فروع الحكومة من زيادة المصروفات لمصالح لا بدَّ منها. ولكن لما رُبطت الميزانية لسنة ١٩٠٠ لم يقدروا ان يحكموا بشيءٍ لا من حيث الاصلاحات المالية ولا من حيث زيادة النفقات .وظهر كأَنَّ انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ الى حد لم يعهد لهُ مثيل سيوقف الاصلاح ولو الى حين . ولكن يسرُّني ان اقول ان ميزانية سنة ١٩٠١ رُبطت والاحوال اصلح كثيرًا اذ قد اتضح ان التقدُّم في الاصلاح المالي وفي توفير المال اللازم للمصالح المختلفة تحسينًا للنظام الاداري صار من الممكنات

فصارت الملاحة في النيل حرَّة مطلقة ووضعت ادارة السجون على اساس يرضي كل احد وسأتكلَّم على هذين الموضوعين بالتفصيل في ما يلي

ودُبِّر المال لاصلاحات اخرى صغيرة غير هذين الاصلاحين اللذين لهما اهمية خاصةٌ . فاعطيت نظارة المعارف ٧٠٠ج.م راتبًا لاستاذ يدرّس التشريح في مدرسة الطب وزيد المال الممنوح للكتاتيب ٥٠٠ج.م وزيدت مصروفات الحكومة ٢٩٠٠ج.م في السنة بسبب ارجاع مديرية اصوان الى القطر المصري من حيث ادارتها . وزيدت ميزانية مصلحة الصحة ٥٨٠٠ج.م وأُعدَّت المعدات اللازمة لتعيين مفتشي صحة اوربيين في القاهرة وبورت سعيد والسويس وزيد اقل راتب للاطباء الوطنيين والمفتشين في مصلحة الصحة من ٧٢ج.م الى ٩٦ج.م في السنة . واضيف الى مصلحة منع تجارة الرقيق ١٢٠٠ج.م لكي تستطيع مقاومة النخاسة في السودان . وزيدت ميزانية نظارة الحقانية ١١٥٠٠ج.م لازدياد اعمالها. وزيدت ميزانية نظارة الاشغال العمومية ٣٠٠٠ج.م لاجل الكنس في شوارع العاصمة و ٥٠٠٠ج.م للاسراع في اعمال فك الزمام و ٤٢٠٠ج.م لانشاء اربع مجالس بلدية في اربع مدن من مدن المديريات بعد ان طلب اهاليها ذلك ولجَّ مجلس شورى القوانين في قبول طلبهم . واعطيت مصلحة البوستة ٥٤٠٠ج.م لكي تستطيع ان تقوم بما زاد من اعمالها المتزايدة دوامًا و ١٤٠٠ج.م لانشاء بنوك الاقتصاد في مصلحة البوسطة. وزيدت ميزانية المواني والفنارات

٢٢٠٠ ج . م . واعدّت ٦٠٠٠٠ ج . م لدفع فائدة الدين الممتاز الجديد الذي يراد بهِ اصلاح سكك الحديد وتجديدها

وقد ذكر المستر غورست في مذكرتهِ المطبوعة حديثاً عن ميزانية هذه السنة تفصيلات اخرى عن زيادة المصروفات

وجعلت الميزانية بعد كل هذه الزيادات المختلفة هكذا

الايرادات	١٠٧٠٠٠٠٠ ج . م
المصروفات	١٠٦٣٦٠٠٠ " "
زيادة الايرادات	٠٠٠٦٤٠٠٠ " "

ويدخل في المصروفات

اولاً	٦٣٠٠٠ ج . م	لاستهلاك الدين
ثانياً	٢٦٥٠٠٠ "	المبلغ الذي يضاف الى وفر تحويل الدين
ثالثاً	٢٦٩٠٠٠ "	حصة صندوق الدين من الزيادة السنوية

وقد وضعت الميزانية بما جرت بهِ العادة من الاعتناء ولا شبهة في ان الزيادة تكون اكثر مما قدّرت بهِ

ويدخل في تقدير الايرادات ٢١٦٠٠٠ ج . م اعطيت من الاحتياطي العمومي فاذا طرح هذا المبلغ من ميزانية الايرادات بقي ١٠٤٨٤٠٠٠ ج . م

السودان

للسودان تقرير خاص بهِ كما تقدَّم فاقتصر هنا على ذكر ما تحملتهُ الخزينة المصرية بسبب احتلال السودان . فقد زادت النفقات التي تحملتها الخزينة المصرية لادارة السودان الملكية من ١٣٤٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ الى ١٩٤٠٠٠ سنة ١٩٠١ وقلّت النفقات الحربية ٦٠٠٠٠ ج . م فبقيت المصروفات المطلوبة من الخزينة المصرية ٤١٧٠٠٠ ج . م كما كانت في العام الماضي

ولا شبهة في ان هذا الحمل ثقيل . وعندي ان اغرب ما في استرجاع السودان سهولة حمل المالية المصرية لهذا العبء الثقيل من غير ان ترزح تحتهُ وذلك دليل من اعظم الادلة على ان الطبيعة خصّت القطر المصري بمزية لاسترجاع قوتهِ بسرعة فائقة

ولا يظهر الآن انهُ يوجد سبيل قريب لتخفيف هذا الحمل عن عاتق المالية المصرية تخفيفاً

محسوساً. اما الفوائد التي تجنيها مصر عوضاً عن هذه الاموال الطائلة فلا يمكن تقديرها كلها بالارقام وهي مع ذلك فوائد حقيقية

فقد نجا القطر المصري مما كان يخشاهُ من غزو الدراويش لهُ. وزال كل خوف من عبثهم بماء النيل وهو حياة مصر . ومُهد السبيل للبحث عن انشاء اعمال تعود باكبر نفع على سكان وادي النيل في البلاد التي كانت في يد الدراويش وفُتح الباب للتجارة ولا بدَّ من انها تنفع القطر المصري اجمالاً وتزيد اتساعاً مع الزمان . ولم تبقَ حاجة الى استخدام عدد كبير من الجيش المصري . فخفف حمل الجندية من الآن . واخيراً زال العار من ترك بلاد كبيرة تعود الى البربرية بعد ما كانت في يد الحكومة المصرية وهذا امرٌ يعترف بهِ المصريون على ما ارجو واعتقد كما يعترف بهِ اهل بلادي الذين ساعدوهم في استرجاع السودان —

ولقد رأيت في الملاحظات التي ابداها مجلس شورى القوانين على تقدير الميزانية للسنة الحاضرة ان المجلس يصادق على مصروفات السودان لانهُ يحسبهُ جزءا من البلاد المصرية وهذا الرأي صحيح في جوهرهِ ولكن حكومة السودان جارية على مقتضى الاتفاق الذي عقد بين بريطانيا العظمى ومصر وأُمضي في ١٩ ينابر سنة ١٨٩٩ . ولعل بعض اعضاء مجلس شورى القوانين لا يعلم مؤداهُ فاغتنم هذه الفرصة لاظهر انهُ لم يُقصد من هذا الاتفاق هضم حقوق مصر الشرعية بل غرض واضعيهِ الجوهري هو اولاً انشاء حكومة صالحة في بلاد السودان وثانياً تخليص السودان من مشاكل الامتيازات الدولية التي نراها في مصر . واظن انهُ لا يخفى على اعضاء المجلس مقدار المتاعب التي يمكن ان تؤدي تلك المشاكل اليها

ورأيت ايضاً ان اعضاء مجلس شورى القوانين طلبوا ان يطلعوا على تفاصيل ايرادات السودان ومصروفاتهِ في المستقبل . فليس هناك ما يمنع اطلاعهم على هذه التفاصيل ولذلك أُرسلت اليهم ميزانية السنة الحالية

الملاحة في النيل

كان في نظام المالية المصرية امور كثيرة على غاية الخطإِ ولكن لم يكن بينها ما لا ارى لهُ مسوغاً قط مثل رسوم الكباري اي الرسوم التي تدفعها المراكب التي تسير في النيل حينما تمر من تحت كبري قائم عليهِ . فان ضرر ذلك لم يقتصر على تكليف التجار دفع اجرة المسير في سبيل مهدتهُ لهم الطبيعة عفواً بل ان الكباري التي تنفع الذين يعبرون عليها تعيق السفن التي تمر تحتها لانها تضطرها كلها ما عدا القوارب الصغيرة ان تنتظر فتح الكبري في ساعات معلومة كل

يوم حتى تسير في طريقها . اما النظام المصري فيعفي الذين يعبرون على الكباري من كل رسم ويضطر الذين يمرون من تحتها الى دفع الرسوم الثقيلة مع انها تعيقهم عن المرور

ولهذا الامر الغريب سببان الاول ان تقاضي الرسوم الفاحشة من عدد قليل من المراكب التي تمر تحت الكباري اسهل من تقاضي رسوم طفيفة من كل من يمر عليها . والثاني ان سكك الحديد موازية للنيل في اماكن كثيرة بسبب شكل البلاد فخيف ان يقل ايراد سكك الحديد اذا اطلق سبيل الملاحة في النيل . والثاني اهم السببين . فأبقيت رسوم الكباري حرصاً على ايرادها ومنعاً للنقص في ايراد سكك الحديد

فكل الذين اطلعوا على نظام المالية المصرية عرفوا مضار ذلك وقد اشار اليه اللورد نورثبروك منذ سنة ١٨٨٥ واشار ايضاً بالغاء رسوم الكباري ولكن احوال الخزينة المصرية لم تسمح بذلك الأ منذ عهد قريب. فقد أُمعن النظر في هذا النظام منذ سنتين او ثلاث فرأت مصلحة السكة الحديد انها غير قادرة على القيام بكل ما يطلب منها لنقل تجارة البلاد الدائمة الازدياد . واشارت غرف التجارة في الاسكندرية بازالة كل عائق في سبيل الملاحة في النيل واصابت في ما اشارت به

فلما رُبطت الميزانية لسنة ١٨٩٩ أُلغي رسم كبري قصر النيل في القاهرة ويقدر ايراده السنوي بمبلغ ١٨٠٠٠ ج . م . وكان المنتظر ان تلغى رسوم سائر الكباري سنة ١٩٠٠ ولكن انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ اجّل هذا الاصلاح اضطراراً مع شدة الرغبة فيه

ويسرّني ان اقول انهُ لما اريد وضع الميزانية لسنة ١٩٠١ وُجد ان الغاء الرسوم صار ممكناً عن كل الكباري والاهوسة ويقدَّر ما تخسره الخزينة من ذلك بمبلغ ٤٦٠٠٠ ج . م وما ينقصهُ ايراد مصلحة السكة الحديد بسبب اطلاق السبيل للملاحة في النيل بمبلغ ٨٤٠٠٠ ج . م فدُبر المال لسد هذا النقص . اما تأثير الملاحة في ايراد مصلحة سكك الحديد فالمرجح انهُ لا يظهر كلهُ الأ بعد مضي مدة من الزمن وعندي انهُ ان نقص ايرادها فنقصهُ لا يكون كثيراً

فقد اصبحت الملاحة في النيل حرّة الآن . وكل ما يطلب من اصحاب السفن رسم صغير على تسجيل سفنهم لان حفظ الامن العام يقتضي ذلك . فاستفادت الزراعة والتجارة فائدة عظيمة بذلك وزال عيب بيّن من ادارة البلاد المالية

خلاصة احوال المالية

تلخص احوال المالية المصرية على ما كانت عليهِ في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ بما يأتي

ان الايرادات العادية بلغت ١١٤٤٧٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ رغماً عن انخفاض النيل

سنة ١٨٩٩ اي انها زادت ٢٤٧٠٠٠ ج . م عما كانت عليهِ في السنة السابقة والايرادات زادت على المصروفات ٥٥٩٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠

ورصيد المال الاحتياطي العمومي بلغ ٣٥٢٩٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ من ذلك ٢٣٤٢٠٠٠ ج . م يراد صرفها على اعمال مختلفة . ورصيد المال الاحتياطي الخصوصي بلغ ٧٥٩٠٠٠ ج.م بعد طرح ٥٠٠٠٠ ج . م قرَّ القرار على صرفها ولم تصرف بعدُ

والوفر الناتج من تحويل الدين الممتاز بلغ ٤٠٠٢٠٠٠ ج . م الى آخر سنة ١٨٩٩

والدين المصري بلغ ١٠٢٧١٤٠٠٠ جنيهًا انكليزيًا منها في صندوق الدين اسهم قيمتها الاصلية ٧٢٧٣٠٠٠ ج فيبقى في يد الجمهور ما قيمتهُ الاصلية ٩٥٤٤١٠٠٠ جنيهًا انكليزيًا

وايرادات سنة ١٩٠١ تقدَّر بمبلغ ١٠٧٠٠٠٠٠ ج.م والمصروفات بمبلغ ١٠٦٣٦٠٠٠ ج.م فتزيد الايرادات ٦٤٠٠٠ ج . م والمرجح ان الزيادة تكون اكثر من ذلك

ويقال بالاجمال عن المالية المصرية منذ ابتداء الاحتلال سنة ١٨٨٢ انهُ في السنوات الاربع الاولى اي من غرة ١٨٨٣ الى ختام ١٨٨٦ زادت المصروفات على الايرادات ٢٦٠٦٠٠٠ ج . م وفي السنوات الاربع عشرة التالية اي من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٩٠٠ زادت الايرادات على المصروفات ٩٩٨٦٠٠٠ ج . م عدا ما تجاوزت الحكومة عنهُ لتخفيف الضرائب وما صرفتهُ على الاعمال العمومية وعلى السودان

ديون الفلاَّحين

اشرتُ في كثير من تقاريري السابقة الى الوسائل التي اتُّخذت اخيرًا ليتمكَّن الفلاَّحون بها من استدانة النقود بربًا معتدل . والظاهر ان البعض اهتمُّوا بهذا الامر خارج القطر المصري ايضًا فبحث فيهِ الجرائد الاوربية وسُئلتُ عن نتيجة الاسلوب الذي جرينا عليهِ من جهات شتَّى بعُد بعضها عن بعض كزيلاندا الجديدة وبلاد البوسنه

فيحسن بي ان اوضح الاسلوب المتَّبع في مصر من هذا القبيل ولو اعدت كثيرًا ممَّا ذكرتهُ في تقاريري السابقة

لحل هذا المشكل اسلوبان يكادان لا يتغيران في كل البلدان التي يكون فلاحوها متأخرين ولكن لا مناص من معاملتهم على حسب الاصول المتبعة بين الدائن والمدبون في كل البلدان المتمدنة

الاسلوب الاول هو سن القوانين التي تقي الفلاَّح عاقبة تبذيرهِ وجهلهِ واسرافهِ . وهذه

القوانين تمنعهُ من الاستدانة بالربا على اوجه شتى

والاسلوب الثاني هو عدم سن القوانين الواقية للفلاح والاستعاضة عنها بتسهيل الاستدانة عليهِ برباً معتدل بحيث يتيسر للذين استدانوا من المرابين برباً فاحش ان يستبدلوا دينهم بدين معتدل الربا وللذين لم يقعوا في ضيقة مالية ان لا يقعوا فيها بل يبقوا في سعة . وليس غرضي ان ابحث عن منافع هذين الاسلوبين ومضارها وانما اقول ان الاسلوب الثاني اختير في مصر دون الاسلوب الاول

وهذا الاسلوب الثاني غير جديد بل ان البنوك العقارية انشئت له في بلدان كثيرة منذ زمان طويل . وفي القاهرة بنك من هذا القبيل اسمهُ البنك العقاري المصري انشئ منذ سنين . وقد ابنت في تقاريري السالفة ان هذا البنك لم يحلّ القضية التي نحن بصددها ولو كان قد افاد كثيراً من وجوه شتى . لان اقل مبلغ يدينهُ هو مئة جنيه وذلك يزيد غالباً عما يستدينهُ الفلاح المصري

اما مزية الاسلوب المصري فهي في كيفية العمل بهِ على ما يظهر لي من امرهِ . ومعلوم ان الاهمية الكبرى في هذه الامور هي في كيفية العمل

ثم ان ادانة المال للفلاحين اما ان تكون من الحكومة او من بنك من البنوك

. اما الدين من الحكومة فموانعهُ في مصر كثيرة لان الحكومة لا تستطيع ان تعطي المال المطلوب بسهولة من جهة ولانهُ لا وقت عند رجالها للجولان في قرى الفلاحين والبحث عن الذين يحتاجون الى الدين من جهة اخرى . بل لو كان عندهم وقت لذلك فليس من الصواب ان يفعلوهُ وزد على ذلك انهم لا يرجون منهُ شيئاً يرغبهم في الاعتناء بهِ فيحسبون انهم فعلوا كل ما يجب عليهم فعلهُ متى اعلنوا انهم مستعدون لاقراض الاموال التي تطلب منهم في اماكن معينة واوقات مخصوصة على شروط معلومة . فمثل هذا الاسلوب لا يفيد في القطر المصري ولا يمنع الفلاحين من ان يستدينوا المال بالربا الفاحش الذي قد يبلغ الاربعين في المئة على ما جرت بهِ عادتهم ولو قرأوا اعلاناً في قريتهم بانهم يجدون على اميال قليلة منهم من يدينهم المال بعشرة في المئة لا غير على شروط كثيراً ما يجهلونها . فلا غنى اذ ذاك عن تدبير عملاء امناء يقصدون الذين يريدون ان يستدينوا ويشرحوا لهم فوائد الاسلوب الجديد . وقد بدأت الحكومة المصرية بذلك من نفسها ففي سنة ١٨٩٦ اقرضت بعض الفلاحين عشرة آلاف جنيه فاوفوها ما استدانوهُ (انظر تقريري عن مصر سنة ١٨٩٧) ولكن ثبت حينئذٍ انهُ اذا اريد التوسُّع في اقراض الفلاحين فلا بدَّ من الالتجاء الى البنوك

على ان الاستدانة من البنوك ليست بالامر السهل بل الصعوبة الكبرى في مصر انهُ ليس فيها بنك ذو وكلاء يحصلون الديون الكثيرة القليلة القيمة مع رباها في مواعيدها من مستدينين كثيري العدد ولا يمكن تعيين هؤلاء الوكلاء لما نحن بصددهِ لان نفقاتهم كثيرة فيضطر البنك ان يزيد الربا لكي يسد تلك النفقات ويبقى لهُ ربح معتدل بعدها وهذا وحدهُ كافٍ لاحباط المسعى

فلهذا أُشير باسلوب تحصل بهِ الفائدة المطلوبة ويمنع الضرر وذلك بان يتولى البنك المسألة المالية فيقدم الاموال المطلوبة ويكون كل ربحها لهُ وكل خسارتها عليهِ ولا يكون للحكومة دخل في ذلك بل البنك هو الذي يدين المال على يد وكلائهِ فيعين وكيلاً في كل مركز يطلب الناس ان يستدينوا المال فيهِ فيأخذ واحداً في المئة عمولة في السنة على كل مبلغ يُستدان منهُ ويقام على هؤلاء الوكلاء مفتش عام انكليزي (وهو المستر سكوت دلغليش[1].) واريد تنبيه الاذهان بنوع خاص الى هذا الامر الاخير لانهُ جوهري في هذا الاسلوب. فالنجاح الذي ظهر حتى الآن سببهُ الاكبر ان المستر سكوت دلغليش يتردد على القرى التي جرت فيها هذه الاعمال وهو يحسن العربية ويعرف عادات الفلاحين ولذلك يستطيع ان يدير الوكلاء بما يعود بالنفع على البنك وعلى المستدينين منهُ وان يشرح للمستدينين كل ما يتعلق بالدين

ولا مدخل للحكومة الا حينما يحين وقت استيفاء الدين فان الصرافين يجمعون الاموال المستحقة للبنك وهم يجمعون الاموال الاميرية فتتوفر على البنك نفقات استيفاء الديون

ويدان المال بفائدة ١٠ في المئة في السنة يعطى واحد منها عمولة للوكيل والتسعة الباقية ثلاثة منها لنفقات البنك وستة ربح صافٍ لهُ ولكن لا بدَّ من ان يطرح منهُ بعض الديون التي يتعذَّر تقاضيها

هذا هو الاسلوب . اما نتائجهُ فكانت حتى الآن كما يأتي

في سنة ١٨٩٩ جرى العمل بهِ في مركز واحد فقط وهو مركز بلبيس فاستدان ٢٤٥٠ نفساً ٣١٥٠٠ ج . م

وسنة ١٩٠٠ جرى العمل بهِ في عشرة مراكز ثم اتسع نطاقهُ حديثاً حتى عمَّ الوجه البحري ففي سنة ١٩٠٠ استدان ٩٥٠٠ نفس ١٣٧٧٨١ ج . م وقد استدان ٦٢١٣ نفساً منهم ٣٦٢١٦ ج.م على شرط ان يوفوها في مدة سنة والباقون وهم ٣٢٨٧ نفساً استدانوا ١٠١٥٦٥ ج.م لكي يوفوها في خمس سنوات وهؤلاء كانوا مديونين قبلاً يدفعون رباً فاحشاً فاوفوا ديونهم

(١) زادت الاعمال فعين مفتش انكليزي آخر حديثاً

بما استدانوهُ من البنك. والدين الذي كان مستحقاً سنة ١٩٠٠ ومقدارهُ ٢٨١٢٢ من ٥٠٣٥ نفساً أُوفي كلهُ وهذا مما يسرني ذكرهُ كثيراً

والبنك مستعد الآن ان يدين الى حد ٢٥٠٠٠٠ ج.م ولا يستطيع ان يدين اكثر من ذلك ما لم يزد رأس مالهِ وانا واثق ان حال الاسواق المالية لا بد من ان تحسن تحسناً يسمح بزيادة رأس مالهِ

وللسر الون بالمر رغبة شديدة في نجاح هذا المشروع وقد كتب اليَّ يقول

" لا شبهة في اننا نجحنا في هذا الامتحان فأفدنا الوفاً من الفلاحين وفرجنا كربهم فان اعطاءنا المبالغ القليلة من المال برباً معتدل جعل المرابين يخفضون قيمة الربا في المراكز التي قرضنا فيها الفلاحين فافدناهم من هذه الجهة ايضاً. وكان في احد المراكز مراب كبير فلما شرعنا في معاملة الفلاحين ترك المركز ومضى .وحاولنا تدبير وكيل في مركز آخر فلم نستطع لان كل المنظورين فيهِ تقريباً من المرابين فاضطررنا ان نأتي بوكيل من مكان آخر فلقي مشقة عظيمة في اول الامر لكن اخذ الاهالي الآن يرون فائدة التعامل مع البنك "

وقد قلتُ في العام الماضي ان هذا المشروع لا يزال في معرض الامتحان وهذا رأيي حتى الآن وسيمضي وقت طويل قبلما يحق لنا ان نقول انهُ جاز طور الامتحان . والخطر الاكبر من ان الفلاحين يرون انفسهم قد نجوا من ثقل الربا الفاحش فينفقون ما يبقى معهم من دخلهم على امور تورطهم في ديون أُخرى . والمرجح ان البعض منهم يفعلون ذلك ولكن يبعد عن الظن ان هذا يكون شأن الاكثرين . وكل ما يقال في ذلك الآن انما هو من قبيل الظن . ولا يعلم الاَّ بعد الاختبار الطويل ما اذا كان فلاحو مصر يقلعون عن عادة الاسراف التي اعتادوها ويعتصمون بحبل الاقتصاد بعد ان علموا ما لهم وما عليهم وصارت الضرائب تتقاضى منهم بالقسط وصاروا يتصرفون باملاكهم تصرُّف المالك بملكهِ . ورأيي المبني على اختباري الطويل في هذه البلاد انهُ اذا توفرت اسباب الاقتصاد للفلاح المصري ظهر اكثر اقتصاداً من الفلاح الانكليزي على الراجح واقل اقتصاداً من الفلاح الفرنسوي الذي من طبقتهِ . ويؤيد رأيي هذا ما كتب بهِ اليَّ السر الون بالمر وهو " لا دليل على ان الفلاحين الذين اوفوا ديون المرابين الفاحشة الربا يميلون الى ان يستدينوا اموالاً اخرى غير ما استدانوهُ من البنك بدليل ايفائهم ما يطلب منهم للبنك في حينهِ "

فالامر واضح مما تقدم ان هذا العمل المهم يستحق ان يمتحن ايضاً مدةً اطول

وقبل ان اختم الكلام على هذا الموضوع اذكر اموراً تتضح منها اساليب المرابين وفوائد

الاسلوب الذي جرى عليهِ البنك . ولقد سمعت مرارًا ان عشرة في المئة ربًا فاحش يكتفي بهِ المرابون احيانًا كثيرة . لكني قلت في ما تقدم ان هذا الاسلوب لا يسهل العمل بهِ ما لم يُستخدم لهُ وكلاء امناء والوكيل الامين لا يرضى بالشيء القليل . ولا اظن ان ستة في المئة ربًا كثير ولا سيما اذا اضفنا اليها الديون الموالك . وفوق ذلك فاني ارتاب في ان الفلاحين يستطيعون ان يستدينوا مالاً من غير البنك بعشرة في المئة بل ان المرابي الذي يدَّعي انهُ جعل الربا عشرة في المئة يحسبهُ على اسلوب يصيّره اكثر من ذلك كثيرًا لانهُ يقدر الربا على المبلغ الاصلي كلهِ ولو اوفيتْ اقساط منهُ سنة بعد سنة كما يظهر من المثال التالي وقد فرض فيهِ الاسلوب الذي يجري عليهِ البنك والاسلوب الذي يجري عليهِ المرابون غالبًا .

لنفرض ان البنك سلَّف ١٠٠ ج . م على خمس سنوات بربا ١٠ في المئة فتكون الاقساط السنوية هكذا

	راس المال	الربا	المجموع
السنة الاولى	٢٠ ج . م	١٠ ج . م	٣٠ ج . م
« الثانية	٢٠ «	٨ «	٢٨ «
« الثالثة	٢٠ «	٦ «	٢٦ «
« الرابعة	٢٠ «	٤ «	٢٤ «
« الخامسة	٢٠ «	٢ «	٢٢ «
المجموع	١٠٠	٣٠	١٣٠

فكأَنَّ المديون دفع ثلاثين جنيهًا في خلال خمس سنوات لاجل استعمالهِ الدراهم التي استدانها من البنك

اما المرابي فيقسم المبلغ وفائدتهُ خمسة اقساط متساوية كل قسط منها ٣٠ ج . م ومجموعها ١٥٠ جنيهًا فكأَن المديون دفع لهُ ٥٠ جنيهًا ربًا . وعليهِ فدفع الفلاحين ٣٠ جنيهًا فقط للبنك بمثابة دفعهم ٦ في المئة ربًا للمرابي . ولا اظن ان احدًا يدينهم بهذا الربا القليل

وكثيرًا ما تُكتَب الصكوك (الكمبيالات) بين الدائن والمديون على اسلوب يجعل ايفاءها قبل ميعادها ضربًا من المحال فلا يستطيع المديون ان يوفيها بمال يستدينهُ من البنك كأَن يكون المال المدان ١٠٠ جنيه والمدة عشر سنوات فيقسَّط المبلغ عشرة اقساط كل قسط منها ٢٠ جنيهًا فاذا اوفى المديون قسطين في سنتين اي ٤٠ جنيهًا نصفها ربى ونصفها من اصل الدين فقد يُظَن انهُ لم يبقَ عليهِ من الاصل سوى ٨٠ جنيهًا فاذا اوفاها خلص من الدين

لكن ليس الامر كذلك بل يضطران يدفع كل الفرق بين ٢٠٠ جنيه والاربعين جنيهاً التي اوفاها اي ١٦٠ جنيهاً وانما يطرح من ذلك رباً بمعدل ٧ في المئة لا غير . فمن استدان على هذا الاسلوب لايستفيد من ايفاء دينهِ بمال يأخذهُ من البنك

بنوك التوفير في مصلحة البوسطة

حان الوقت لان يُمتحن انشاء هذه البنوك في مصلحة البوسطة المصرية لان المال قد توفَّر في يد الاهالي وستنشأ هذه البنوك اولاً في المدن والبنادر الكبيرة واذا نجحت وُسِّع نطاقها في البلاد كلها . واكبر مبلغ يودعهُ فيها الشخص الواحد ٢٠٠ ج . م ويكون الربا ٢/١ ٢ في المئة سنوياً . فتشترى بالنقود المودعة اوراق من اوراق الدين المصري وما زاد من فائدة هذه الاوراق على الفائدة التي تدفعها البنوك ينفق على ادارتها ومن المحتمل ان هذه الزيادة لا تكفي لادارة البنوك

وقد امتُحنت بنوك الاقتصاد في بلاد الهند فوفت بالمراد فكانت قبل سنة ١٨٨٢ في عواصم الولايات الثلاث (بنغالا ومدراس وبمباي) وفي خزائن الحكومة وبلغ المال المودع فيها حينئذٍ ثلاثين مليون ربيَّة . ثم نقلت الى مصلحة البوسطة فتغير حالها سريعاً " ففي اول الامر هبط المال المودع فيها الى ٢٧٩٦٩٣٠ ربية ولكن الجمهور رأى حالاً سهولة التعامل مع مصلحة البوسطة فبلغ المال المودع فيها ٩٤٢٨٠٠٤٠ ربية سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ "[1] ففاقت النتيجة ما كان ينتظر حسبما اتذكر وسيظهر المستقبل ما اذا كانت بنوك الاقتصاد تنجح في مصر نجاحها في بلاد الهند . واذا لم تنجح فخسارة الحكومة طفيفة جداً في جنب الفوائد الناتجة عنها للبلاد كلها لو نجحت ولذلك لم يكن ما يوجب التردُّد في امتحانها فعين لادارتها ١٤٠٠ ج . م في الميزانية وسيفتح اول بنك منها في غرة مارس

الدومين

لم تتم حسابات الدومين لسنة ١٩٠٠ حتى الآن ويؤكَّدان الايراد زاد فيها على النفقات ٤٤٠٠٠ ج . م

وقد باع الدومين في غضون السنة ١٨٣٢٦ فداناً بمبلغ ٢٦٧٠٠٠ ج . م فزاد ثمنها ٢١ في المئة عن الثمن الاسامي . وتبلغ مساحة الاطيان الباقية ١٧٨٦٤٦ فداناً يقدَّر ثمنها ٣٤٤٩٠٠٠ ج . م (تعادل ٣٥٣٥٠٠٠ جنيه انكليزي)

---

(١) احصاء بلاد الهند الانكليزية مالياً وتجارياً سنة ١٨٩٩

وكان مقدار دين الدومين اولاً ٨٥٠٠٠٠٠ ج فلم يبقَ منهُ سوى ٢٨٩٨٠٠٠ ج وهذا المبلغ يتضمن ٤١٧٠٠٠ ج ثمن اطيان بيعت وقُسط ثمنها اقساطاً فلم يبقَ من الدين اذاً سوى ٢٤٨١٠٠٠ ج

ومن المرجح انهُ حينما يُوفى الدين كلهُ يبقى عند الحكومة اطيان قيمتها مليون جنيه

وقد جرَّبت ادارة الدومين زرع القمح الهندي في السنة الماضية ايضاً فزرعت بهِ ١٥٥ فداناً من ٦٨٠٠ فدان زرعتها قمحاً فبلغت غلة الفدان من القمح الهندي ٣٦ بشلاً وغلة الفدان من القمح البلدي ٢٨ بشلاً وكان سعر القمح الهندي اغلى قليلاً من سعر القمح البلدي

الدائرة السنية

قُدّرت ميزانية الايراد والمصروفات للعام الماضي هكذا

الايراد	١٤٨٧٠٠٠ ج . م مذا
المصروفات	١٠٩٨٠٠٠
زيادة الايراد	٠٣٨٩٠٠٠

وبلغ ربا الدين على معدل ٤ في المئة ٢٤٠٠٠٠ ج . م والوفر من تحويل الدين ٤٢٠٠٠ وهو يدفع الى صندوق الدين فيبقى من زيادة الايراد ١٠٧٠٠٠ ج . م

واستُخرج في العام الماضي ٦٥٣٢٢ طناً من السكر بيعت بمبلغ ٦٨٩٠٠٠ ج . م

واوفي من الدين ٤٦٠٠٠ ج في خلال السنة الماضية وتبلغ قيمة الدين الاصلية الآن ٦١١٧٠٠٠ ج

وقبضت الدائرة في خلال السنة الماضية ٤٣٠٠٠ ج . م من ثمن اطيان باعتها وستقبض من ديوان الاوقاف ٧٧٠٠٠ ج . م ايضاً فيصير المقبوض من ثمن الاطيان المباعة ١٢٠٠٠٠ ج . م وهذا المال لا يمكن انفاقهُ الاَّ في استهلاك الدين

وقد كتب كروكشنك باشا يقول

"ينتظر ان يكون الايراد حسناً سنة ١٩٠١ رغماً عن هبوط ثمن السكر في الاسواق الاميركية والاوربية فان اصلاح آلات معامل السكر والآلات الرافعة الذي ابتدأ في العام الماضي تمَّ قبل الشروع في موسم العصر (ابتدأ هذا الموسم في ٢٦ دسمبر سنة ١٩٠٠) والنتيجة حسنة جداً حتى الآن فان مقدار السكر في المئة هو اكثر مما كان في مثل هذا الوقت في السنين الماضية وقد اقتصد في عدد الموظفين فالرواتب التي كانت ١١٩١٠٠ ج . م سنة

١٨٩٩ لا تزيد على ٧٤٤٥٦ ج . م سنة ١٩٠١ . والمنتظر ان صافي الايراد من سنة ١٩٠١ لا يقل عن صافي الايراد من سنة ١٩٠٠ "

سكك الحديد

بلغ صافي الايراد من سكك الحديد في العام الماضي نحو ١٢٤٣٠٠٠ ج . م يقابله ١١٩٥٠٠٠ سنة ١٨٩٩ اي زاد ٤٨٠٠٠ ج . م

ولقد كثر الانتقاد حديثاً على مصلحة سكك الحديد المصرية . ولا غرابة في ذلك فقد ابنت انا وغيري مراراً كثيرة ان نظام هذه المصلحة مختل من اصله

وبعث اليَّ الماجور جونستن رئيس مجلس سكة الحديد بتقرير مسهب عن اعمال المصلحة في العام الماضي فرأيت ان انتقي بعض فصوله واثبتها هنا لاهميتها قال

" لقد كان في الامكان ان تكون نفقات هذه السكك ٤٥ في المئة فقط من ايرادها كله منذ عشر سنوات او خمس عشرة سنة . وقد مضت عدة سنوات الآن والنفقات لا تزيد على ذلك حسب الظاهر لان بعضها كان يحال على الحسابات المعلقة والاعتمادات الخصوصية ولان المصلحة كانت تمتنع عن انفاق نفقات اخرى لا بدَّ منها لبقاء السكة ولوازمها في حال الانتظام وبالغت في ذلك حتى ان من لا يعرف احوال المصلحة حق المعرفة لا يمكنهُ ان يدرك حرج المركز الذي صارت فيه . وقد نضطرُّ في بحر السنتين التاليتين ان نمنع نقل البضائع على بعض الخطوط لكي نجددها لان قضبانها وكباريها وقاطراتها ومركباتها وعرباتها تتلف الآن بالسرعة التي ترم فيها او تبدل بغيرها ان لم يكن باسرع من ذلك

"واذا التفتنا الى ما اجريناهُ من الاصلاح في غضون السنة نجد ان التأثير الاكبر كان لجلب مئتي عربة اميركية محمول كل منها ٣٠ طناً طلبها سلفي فكانت الفائدة منها فوق ما قدرتُ فزالت الشكوى من قلة العربات او كادت . وبعض السبب في ذلك ان الحاجة نفسها الى النقل لم تكن شديدة هذا العام كما كانت قبلاً وبعضهُ اصلاح فروع اخرى من فروع المصلحة ولكن اكثرهُ من وجود هذه المركبات فانها واسعة وخفيفة فتعي كثيراً من البضائع لاتساعها وتجرُّ القاطرات منها اكثر مما تجرُّ من غيرها عشرين في المئة لخفتها . وقد انتقد البعض هذه العربات شديداً ولا بدَّ لي من القول ان فيها كثيراً من العيوب الصغيرة ولكن يُردُّ على كل انتقاد انها تصنع على اسلوب خاص وذلك في معملين فقط واحد في انكلترا وواحد في اميركا والمعمل الانكليزي يقتصر على صنع العربات الكبيرة التي يفضلها مهندسو

الانكليز واثمانها غالية وهذا المعمل مشغول جدًّا لا يستطيع ان يلبي طلبنا بسرعة . والمعمل الاميركي يصنع العربات الخفيفة الرخيصة وهي تفي بالمراد وهو يسرع في عملها . ولسوء حظنا كان هذا المعمل آخذًا في تغيير ادارتهِ لما قُدّم اليهِ طلبنا فتأخر عن الشروع في عملها ثم اسرع فيهِ جدًّا وقد غرّمناهُ غرامة طائلة لاجل تأخرهِ لكن ذلك لم يمنع وقوع عيوب كثيرة في العربات بسبب السرعة في عملها. وقد تعبنا كثيرًا في مداواة هذه العيوب ورأينا ان بعض المزايا ضُحّيت في سبيل تخفيف العربات وقد تكون اهمية هذه المزايا قليلة في اميركا ولكنها كثيرة في هذا القطر غير ان هذه العيوب كلها لا توازي الفائدة الكبيرة التي حصلنا عليها من جلب عربات واسعة رخيصة الثمن في وقت قريب . ويظهر من ذلك ان هذه العربات وفت بغرضنا وقد تعلمنا منها ان نتلافى خللها في العربات التي طلبناها بعدها

"وقد زاد التدقيق في قيام القطرات البطيئة ووصولها بقليل من التغيير في مواعيدها . اما القطرات السريعة فلا تزال على غير ما يرام لان قواطرنا لا تفي بالمراد . وقد وصلت ٣٢ قاطرة جديدة وهي تستعمل الآن باسرع ما يمكن وستصل ٢٢ قاطرة اخرى قريباً . لكنَّ كثيرًا من القواطر التي عندنا مما صُنع في معامل بلجكا يكاد يتكسر من كثرة الاستعمال وقلة الترميم ولو أُتقن صنع هذه القواطر من اول الامر لامكن ان تحتمل اكثر كثيرًا مما تحملت . ولابدَّ لنا من ان نجلب قواطر اخرى كثيرة حالاً . وهذا مما يسوءنا جدًّا اذ الافضل لنا ان نمتحن القواطر التي جلبناها قبلما نجلب غيرها

"وطلبنا ايضاً كثيرًا من المركبات والعربات لان الحاجة ماسة اليها . وسنحتاج الى مركبات اخرى ولكن ما طلبناهُ منها الآن يسدُّ الحاجة الوقتية . اما العربات فحينما يصل ما طلبناهُ منها نصير في غنىً عن طلب غيرها الى ان تزيد صادرات القطر بعد انشاء الخزان واتساع نطاق الزراعة . وقد طلبنا المركبات والعربات من معمل غسوي لان سعرهُ كان ارخص من غيرهِ في العربات اما المركبات فكان سعر معمل اشبري الانكليزي ارخص من غيرهِ فطلبناها منهُ اولاً لكنهُ حذف طلب الضمانة المالية من الشروط فبعثت اليهِ تلغرافاً اطلب منهُ ان يبدل الضمان المالي بشيءٍ آخر فابى فاضطررت ان اطلب المركبات من غيرهِ . ولا بدَّ لنا من طلب ضمان ما لانهُ من العبث مطالبة متعهد في مصر وهو لا يملك شيئاً في ما تصل اليهِ سلطة المحاكم المصرية . ولا اظن اننا نستطيع ان نداعي المتعهدين في المحاكم الانكليزية ونحن في مصلحة اجنبية . ثم ان طلب هذا الضمان منهم لا غبن فيهِ عليهم لانهم يستطيعون ان يحاكمونا في المحاكم المختلطة اذا ابقيناهُ عندنا لغير سبب . واظن مع هذا ان شرط الضمان

والغرامة ثقيل جدًّا في شروطنا ولذلك اخذت في تعديلهِ . ونحن مستعدون لقبول ما يقوم مقام الضمان المالي مما يشير بهِ المتعهدون. واذا اخذنا غرامة فانما نقدرها على حسب الخسارة التي تحملناها او الخلل الذي وقع بسبب تأخر المتعهد ولا نأخذ كل الغرامة المذكورة في شروط التعهد لان المذكور في الشروط هو اقصى غرامة نتقاضاها . وكل تأخر نرى لهُ سببًا قانونيًّا نتغاضى عنهُ . وقد غرَّمت كثيرين في السنة الماضية حيثما كنت اتحقق ان المتعهد لم يقدّم ما تعهد بهِ في الاجل المعين إما ليقتصد في اجرة النقل او ليبدّئ غيرنا علينا او لتصل اليهِ المواد رخيصة . وقد عاملتُ متعهدًا انكليزيًّا بشيء من الصرامة لانهُ ابى ان يقدم ما تعهد بتقديمهِ زاعمًا انهُ لم يمعن نظرهُ في مثالنا قبل تقديم الطلب (مع ان المثال كان في لندن حيث يستطيع ان يراهُ) ولذلك لا يستطيع ان يقدّم المطلوب بالثمن الذي حدَّدهُ

"وقد اوصينا في السنة الماضية على ثلاثين قاطرة ومن المرجح اننا سنوصي على ثلاثين قاطرة سنويًّا على مدة سنوات لتقوم مقام القواطر التي تلفت من كثرة الاستعمال ولتفي بما يستدعيهِ اتساع التجارة . وكانت الطلبات الاميركية اصلح من غيرها من كل وجه ولكن الاميركيين لا يصنعون القواطر على حسب رسومنا فاوصينا محل نيلسن ودريد بغلاسكو على عشر قواطر لان سعرهُ كان ارخص من كل سعر اوربي غيرهِ حسب رسم رسمهُ مهندس القواطر عندنا ونحن نحسبهُ صالحًا جدًّا لقطرات الركاب الثقيلة وقد يكون صالحًا ايضًا لقطرات البضائع السريعة الخفيفة وهو مثل القواطر التي استعملت في سكة الحديد الشرقية ببلاد الانكليز منذ ١٥ سنة ووجد انها غير صالحة للاكسبرس السريع ولكنها صالحة لقطرات البضائع السريعة . وميعاد تسليم هذه القواطر بعيد جدًّا حتى لقد نضطر ان نوصي على قواطر غيرها من اميركا قبلما تصل لكن بلغني ان المعمل باذل جهدهُ ليسلمنا اياها قبل الميعاد المحدَّد في التعهد

"واوصي معمل بلجي سنة ١٨٩٩ على عشرين قاطرة فتمت ونحن آخذون في استعمالها وهي مصنوعة حسب رسم المستر ترفثك وراقب رجل ثقة عملها حينما كانت تصنع في المعمل . وهي من النوع الذي وُجد صالحًا جدًّا في سكة الحديد الشرقية ببلاد الانكليز للخطوط الجانبية والفروع في قطرات الركاب والبضائع وقد فُرجت بها ضيقتنا"

السكة بين قنا واصوان

ان القسم الضيق من هذه السكة بين لقصر واصوان كان في بداءة سنة ١٩٠٠ في حالة يرثى لها بسبب التقتير على حفظهِ وقلة المراقبة عليهِ ولا سيما على قواطرهِ . فاقيم لهُ مفتش انكليزي وأُطلقت يدهُ في اصلاحهِ فزاد التدقيق فيهِ وأُصلحت مركباتهُ واضيف اليهِ كثير من العربات

الاميركية التي محمول كل منها ٣٠ طناً . وينتظر ان يزيد نقل البضائع على اثر ذلك . والآن ينفق كل دخل هذا الخط على تشغيلهِ وحفظهِ . وما يدفع الى الشركة التي انشأتهُ يؤتى بهِ من مصادر اخرى . وقد طُلب من اعضاء صندوق الدين ٩٠٠٠٠ ج م لاصلاحهِ فاذا أُصلح صارت نفقاتهُ نحو ستين في المئة من ايرادهِ ولا ينتظر منهُ اكثر من ذلك نظراً لفقر البلاد التي تعتمد عليهِ (لان فيها قفاراً شاسعة) ولمناظرة الملاحة في النيل لهُ

السكك الحديدية الزراعية

لما اعطت الحكومة امتياز السكك الحديدية الزراعية ضمنت ان يكون صافي ايرادها من كل كيلو ٣٦ ج . م وقضت بان لا تزيد نفقات التشغيل كلها على ٦٠ في المئة من الايراد كلهِ . وحُسب حينئذٍ ان ما ضمنتهُ الحكومة يساوي ٣ في المئة من الاكلاف الاصلية المقدَّرة بالف ومئتي جنيه مصري لكل كيلومتر . فاذا بلغ ايراد السكة ٩٠ جنيهاً عن كل كيلو متر بطل ضمان الحكومة لانهُ اذا طرح منهُ ٥٤ جنيهاً (وهي نفقات التشغيل على معدل ٦٠ في المئة) يبقى ٣٦ جنيهاً . واذا زاد ايراد الكيلومتر عن ٢٢٥ جنيهاً قسمت الزيادة بين الحكومة والشركات صاحبة الخطوط مناصفة

وهانذا اذكر بعض التفاصيل عن احوال هذه السكك الحاضرة

مدَّ حتى الآن ٩٢٤ كيلو متراً (٥٧٤,٥ ميلاً) من السكك الضيقة وهي تستعمل الآن

وكانت الامتيازات اولاً لسبع مئة وواحد وستين كيلومتراً (٤٧٣ ميلاً) ثم وجدت الشركات ان لا بدَّ لها من ان تطيل خطوطها اكثر مما قدّر لها اولاً

ولما ابتدأت سنة ١٩٠٠ كان في القطر اربع شركات مستقلة شركة سكة حديد الدلتا الضيقة وشركة سكة المنصورة والمطرية وشركة سكة الحديد الشرقية الضيقة وشركة الفيوم . وفي شهر دسمبر الماضي امتزجت شركة الدلتا وشركة الشرقية

ومُدَّ مع هذه الخطوط ٣٨٦ ميلاً من اسلاك التلغراف والتلفون

وحيث تتقاطع خطوط هذه الشركات مع سكة الحكومة فالشركات تحفر لها طريقاً تحت سكة الحكومة او تقيم لها طريقاً فوقها وقد كاد ذلك يكون عاماً ونفقاتهُ كثيرة ولكن فوائدهُ للسكك الضيقة كثيرة ايضاً فيسهل بهِ تشغيلها ويزول خطر الاصطدام

وكانت نفقات انشاء هذه السكك هكذا

الخط بين المنصورة والمطرية ٢٢٨٥ ج . م للكيلومتر

سكة الحديد الشرقية ١٥٥٠ " " "

" حديد الدلتا ١٠٩٢ " " "

اما نفقات الكيلومتر في سكة الفيوم فلا يمكن الحصول عليها حتى الآن

واقل اجرة يدفعها الركاب على هذه الخطوط

سكة المنصورة والمطرية ٤ اعشار البني في الميل[1]

" الحديد الشرقية ٦ " " "

" حديد الدلتا ٤٥ في المئة من البني " "

" " الفيوم ٥٥ " " " " "

وعدد الركاب الذين يستعملون هذه السكك يفوق ما قدر له ومتوسطه في السكك الثلاث الاولى ٤٢٠٠ راكب لكل كيلومتر في السنة

اما البضائع فلا ينقل منها حتى الآن قدر ما كان ينتظر لان مجال هذه الخطوط قصير جداً والنقل على الجمال والحمير والقوارب يناظرها مناظرة شديدة ولكن نقل البضائع بها على ازدياد سنة بعد سنة. وقد جعلت لنقل السباخ اجرة رخيصة جدا ثمانية اعشار البنسي للطن عن كل كيلومتر ونقلت شركة الدلتا ٤٠٠٠٠ طن من السباخ سنة ١٩٠٠ واجرة النقل في ما سوى ذلك مثل اجرة النقل العادية في سكة الحكومة

ومن المرجح ان هذه السكك ستصير تربح ربحاً معتدلاً في سنوات قليلة من ٤ الى ٢/١ ٤ في المئة بالنسبة الى رأس مالها وغاية ما تحتاج اليه العناية وحسن الادارة ليعتاد الفلاحون استعمالها . وقد علمت في هذه الاثناء ان شركة الفيوم مرتبكة مالياً وهذا ساءني بنوع خاص لان ادارتها وطنية محضة

ولا شبهة في ان هذه السكك كبيرة الفائدة للبلاد الزراعية فلم تبقَ جهة في الوجه البحري الاَّ وقد صار الوصول اليها ممكناً بسكة الحديد وقلَّت نفقات نقل القطن وغيره من الحاصلات كثيراً وزاد ثمن الارض المجاورة لهذه السكك بعد انشائها زيادة كبيرة

السكك الزراعية

أُنفق ٤٨٠٠٠ ج . م في السنة الماضية على انشاء سكك زراعية جديدة فانشئ منها ما طوله ٢٠٥ كيلومترات فصار طول السكك الزراعية كلها في القطر المصري ٢٥٠٠ كيلومتر

(١) (اي نحو غرش صاغ عن كل ستة اميال . المقتطف)

التلغراف

بلغ ايراد مصلحة التلغراف ٦٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ يقابل ذلك ٥٩٠٠٠ ج . م سنة ١٨٩٩ . وبقيت المصروفات كما كانت سنة ١٨٩٩ اي ٤٤٠٠٠ ج . م أنفق منها ٤٠٠٠ جنيه على تلغرافات سكك الحديد فيكون ما انفق على التلغرافات العمومية التي بلغت اجرتها ٦٥٠٠٠ ج . م ٤٠٠٠٠ ج . م فقط وهذا دليل على ان ادارة هذه المصلحة تراعي جانب الاقتصاد الواجب . وقد بلغ عدد التلغرافات التي دُفعت اجرتها في السنتين الماضيتين ما في هذا الجدول

التلغرافات العربية	٦٠١٩٨٠	٦٧٨٤٩٦
" الافرنجية	٥٢٠٢٧٤	٦١١٧٨٤
والجملة	١١٢٢٢٥٤	١٢٩٠٢٨٠

فبلغت الزيادة في عدد التلغرافات ١٦٨٠٠٠ . وبلغت شكاوى الاهالي سنة ١٩٠٠ واحداً وتسعة اعشار في كل ١٠٠٠٠ رسالة تلغرافية وكانت سنة ١٨٩٩ اثنين في كل ١٠٠٠٠ رسالة

والظاهر ان الجمهور راغب في التلغرافات المستعجلة التي قيمتها ثلاثة اضعاف القيمة العادية فقد أُرسل منها ٩٣٠٠٠ تلغراف في السنة الماضية

وبلغني ان الاشجار التي زرعت لتؤخذ منها اعمدة التلغراف كما ذكرت في تقريري الماضي نامية نموًّا حسناً

واعطى صندوق الدين ١٢٠٠٠ ج . م لانشاء خط تلفون بين القاهرة والاسكندرية وسيشرع في مدهِ حالما تهيأ المعدات اللازمة لهُ

مينا الاسكندرية

لا شبهة في ان مينا الاسكندرية لا يفي بما يرى من الازدياد في تجارة البلاد ما لم تعمل فيهِ اعمال اخرى كثيرة . والامر على غاية من الاهمية فلا احاول البحث فيهِ بالتفصيل في هذا التقرير ولكني اقتبس الفقرة التالية من تقرير قدمهُ اليَّ الماجور جونستن قال

"من المرجح اننا نضطر الى انفاق نفقات طائلة هذه السنة فان التجار يقولون ان لا بدَّ من توسيع الرصيف كثيراً . ومن المحتمل انهُ يمكن الاستغناء عن كثير من هذا التوسيع باستعمال الآلات المتقنة . وقد تمَّ شيء من هذا الغرض بوضع نواقل الفحم التي اوصى عليها الماجور جروارد سنة

١٨٩٩[1] وستكون مستعدة للعمل في مايو او يونيو على ما انتظر . وقد قال لي واحد من اخبر صانعي آلات الرفع انهُ ما من معمل انكليزي يستطيع ان يصنع آلات لنقل الفحم تقارب هذه الآلات في سرعة حركتها ومقدار ما تنقلهُ . وانا ابحث الآن عن جلب الروافع الكهربائية وعن توسيع الرصيف . وقد تمَّ التوسيع الذي قرَّ القرار عليهِ قبلاً ولكن الجزء الذي وُسّع لم يستعمل حتى الآن كما يجب ان يستعمل اذ لا بدَّ من تركهِ مدةً حتى يستريح بناؤه

وقد وصلتنا رافعة كبيرة مما يطفو على وجه الماء قوية جداً ترفع اربعين طناً ونحن آخذون في تركيب آلاتها وهي من محل فلمنغ وفرغوسن بغلاسكو"

الحوض التجاري

الحاجة ماسّة منذ زمن طويل الى انشاء حوض تجاري في الاسكندرية . وقد شرعت شركة الوابورات الخديوية في انشاء حوض طولهُ ٥٢٠ قدماً وعرضهُ ٥٨ قدماً وعمقهُ ٢٣ قدماً وسيتم في اربع سنوات ابتداء من ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٠ حسب الاتفاق بين الحكومة المصرية والشركة

الفنارات (المنائر)

بلغ الايراد من رسوم الفنارات في العام الماضي ٨٥٠٠٠ ج . م يقابلهُ ٨٨٧٠٠ ج . م سنة ١٨٩٩ فكان فيهِ نقص اكثر من ٣٠٠٠ ج . م ومن اسباب هذا النقص ان سفناً كثيرة عبرت الكنال من قبل حكومات مختلفة لاجل حرب الصين وهي معفاة من الرسوم حسب الاتفاق الحاضر

ودخل الاسكندرية ٥٣٧ سفينة من المدخل الجديد بين شروق الشمس وغروبها . ولم يحدث لها الا حادث واحد سببهُ الاهمال على ما بلغني . وانقذت السفينة التي حدث لها هذا الحادث حالاً من غير ضرر فلم تسدّ المدخل

ومما يذكر في هذا الصدد انهُ ثارت عاصفة علت بها امواج البحر الاحمر جداً ولطمت فنار ديدالوس الذي فيهِ فجرفت مستودع البتروليوم وانبوبهُ وقلقلت اساس الفنار لكن حفظتهُ واسماؤهم وليم بروك وصموئيل سبير وجونس كورنس خاطروا بانفسهم وخلصوا من البترويوم ما كفى الفنار ثمانية ايام الى ان اتاهم المدد

(1) اتي بها من اميركا

تعديل الضرائب

جرى العمل في تعديل الضرائب سنة ١٩٠٠ على النسق الذي وُضع لهُ. وتم في مديريتي الشرقية والبحيرة وكان قد ابتدأ فيهما اولاً . وتقدَّم كثيرًا في الغربية وشرعت اللجان في الجيزة وينتظر اتمام هاتين المديريتين في سنة ١٩٠١

ولما انتهت سنة ١٨٩٩ كانت اللجان قد عدَّلت ضرائب ٣٧٩ بلدًا من بلدان الشرقية والبحيرة . وكانت اللجان الابتدائية منها قد اتمت عملها في ١٠٠ بلد اخرى ولكن لم تكن مدة الاعتراض وهي ثلاثون يومًا قد انقضت. وتمَّ في سنة ١٩٠٠ تعديل الضرائب في البلدان الباقية وهي ١٩٧ بلدًا بلغت مساحة اطيانها ٢٦٢٥٠٠ فدان . وشرعت اللجان في الغربية في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولما انتهت السنة كانت قد اتمت ٣١٠ بلدان فيها ١٦٣ ٣٧٢ فدانًا . وانقضت مدة الاعتراض في ٤٣ بلدًا من هذه البلدان . وبلغت مساحة كل الاطيان التي عدلت ضرائبها سنة ١٩٠٠ في المديريات الثلاث ٦٦٣ ٦٣٤ فدانًا اي كان المتوسط اكثر من ٥٢٠٠ فدان في الشهر

وها نتيجة التعديل في المديريتين اللتين تمَّ العمل فيهما

	الاطيان التي عدلت ضرائبها	الضريبة الحالية	الضريبة الجديدة	الزيادة
في الشرقية	٤٢٧٢٠٠ فدان	٣٩٩٥٨٨ ج م	٤٣٣٦٨٩ ج م	٣٤١٠١ ج م
« البحيرة	٣٨٤١٠٣ «	٣٤٦٤٢٨ « «	٣٩٤٥٨٩ « «	٤٨١٦١ « «

والزيادة في المديريتين ٨٢٢٦٢ ج م

ويعمل بهذا التعديل من ابتداء سنة ١٩٠٥ حسب نص المادة السادسة من الدكرتو الصادر في ٥ مايو سنة ١٨٩٩

ومما يسرُّ ان عدد المعترضين على هذا التعديل لا يزالُ قليلاً فمن ٣٦٣ بلدًا في الشرقية وردت الاعتراضات من ١٧٢ بلدًا . ومن ٣١٣ بلدًا في البحيرة وردت الاعتراضات من ١٢٥ بلدًا وجملة الاعتراضات ٨١٢ اعتراضًا رفضت اللجنة الاستئنافية التي تقدَّم لها ٣٠٥ اعتراضات منها. ومضت مدة الاعتراض على ٢٦٧ بلدًا من بلدان الغربية التي عدلت ضرائبها فلم يعترض منها سوى ١٠٢

وقد نشرت اعمال اللجان حتى تبلغ كل احد فكانت التقديرات الاخيرة عن كل حوض في البحيرة والشرقية تنشر في ملحق بالجريدة الرسمية وفي البلدان نفسها ولم يكد احد يعترض عليها .

ولذلك استمرَّ التعديل والاعتراض عليهِ قليل وجمهور اصحاب الاطيان راضٍ عنهُ على ما يظهر

نقود الورق

بلغت قيمة نقود الورق التي تتداولها ايدي الناس ١٠٠٠٠٠ ج.م في ختام سنة ١٩٠٠ وكانت ٦٠٠٠٠ ج.م في ختام سنة ١٨٩٩ ولكن كان متوسط نقود الورق المتداولة واحداً في السنتين ولا بد من زمن طويل قبلما يكثر الجمهور من التعامل بهذه النقود

الملح

ابنت في تقريري الماضي انهُ سيناط بيع الملح بشركة مخصوصة وان المستر موكر الذي كان مديراً عاماً لمصلحة الملح عين مديراً عاماً لهذه الشركة. ويظهر من مقابلة الايراد بالنفقات بين سنتي ١٨٩٨[1] و١٩٠٠ ان الايراد زاد من ١٩٤٠٠٠ الى ٢٠٧٠٠٠ ج.م فبلغت الزيادة ١٣٠٠٠ ج.م. وزاد الملح المباع ٢٠٧١ طناً فانهُ كان ٤٦٦٢٠ فبلغ ٤٨٦٩١ طناً

وتمتد اعمال هذه الشركة من الاسكندرية الى وادي حلفا مسافة ١٠٠٠ ميل ومما يستحق الالتفات ان ثمن كل الملح الذي يباع في هذه البلاد الواسعة يقبضهُ اناس وطنيون تحت ادارة اربعة مفتشين فقط من الانكليز

مصايد الاسماك

شرحتُ في تقاريري الماضية ان كل السمك الذي كان يصاد من بحيرة المنزلة قبل سنة ١٨٩٧ كان ملكاً للحكومة ويباع بالمزاد ويأخذ الصيادون اربعين في المئة من الثمن والباقي وهو ستون في المئة يدفع الى خزينة الحكومة. وكان هذا النظام فاسداً في مبدإِهِ كانت نفقاتهُ كثيرة ومساوئهُ عديدة فأُلغي وأُبدل بنظام آخر وهو ان تعطى رخص لقوارب صيد السمك وابطلت الادارة الكثيرة النفقات التي كانت تدير النظام السابق. ومن ثم ابتدأت صناعة الصيد تنمو وتنجح وكان عدد القوارب التي رُخص لها ٩٣٧ قارباً سنة ١٨٩٧ فبلغت ١٠٣٢ سنة ١٨٩٩ و ١١٣٧ سنة ١٩٠٠ وقدر اولاً ان ايراد الحكومة سيقل كثيراً بهذا الاصلاح ولكن كاد ايراد العام الماضي يبلغ صافي ما كان يبلغهُ الايراد قبلما غير النظام السابق. وخفض الرسم على نوع من القوارب في العام الماضي ومع ذلك زاد الايراد ١٨٠٠ ج.م عما كان سنة ١٨٩٩

---

(١) اما سنة ١٨٩٩ فهي السنة التي انتقلت فيها هذه المصلحة. والارقام المذكورة هنا لا تنطبق على ما في الميزانية لانه حينما اريد مقابلة الايرادات ترك ايراد بعض الاشياء التي لم تدخل ضمن التنازل للشركة وهو نحو ٥٠٠٠ ج.م في السنة

وقد المعت الى هذا الموضوع لانهُ دلَّ على ان ابدال نظام مالي فاسد بنظام اصلح منهُ تكون نتيجتهُ النفع غالبًا ولو ادَّى الى شيءٍ من التعب الوقتي

التجارة والجمارك

في الجدول التالي قيمة تجارة القطر المصري سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٠

	١٨٩٩	١٩٠٠	الزيادة سنة ١٩٠٠
الواردات	١١ ٤٤٣ ٠٠٠	١٤ ١١٣ ٠٠٠	٣ ٦٧٠ ٠٠٠
الصادرات	١٥ ٣٥١ ٠٠٠	١٦ ٧٦٦ ٠٠٠	١ ٤١٥ ٠٠٠
المجموع	٢٦ ٧٩٣ ٠٠٠	٣٠ ٨٧٨ ٠٠٠	٤ ٠٨٥ ٠٠٠

وهذا اعظم ما بلغتهُ هذه الارقام في سنة من السنين الماضية

والزيادة في قيمة الواردات ناتج اكثرها من اتساع التجارة ولكن بعضها ناتج من زيادة توريد الحبوب بسبب انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ الذي ظهر اكثر تأثيره سنة ١٩٠٠ و بعضها من زيادة رسوم الشحن وبعضها من اصلاح اسلوب التثمين في الجمارك

والبضاعة الوحيدة التي قلَّ الوارد منها من البضائع المهمة هي الصابون فقد قلَّ الوارد منهُ في السنة الماضية ٢١ في المئة عما كان عليهِ متوسط السنوات الخمس السابقة وسبب ذلك انشاء المصابن في القطر

ويظهر من الجدول التالي المواد التي كانت الزيادة الكبرى فيها وما ورد منها سنة ١٩٠٠ ومتوسط ما ورد منها في السنوات الخمس السابقة

	متوسط سنوات من ١٨٩٥ — ١٨٩٩		الوارد سنة ١٩٠٠	الزيادة في المئة
السمنتو	١٤٥٥٠	برميل	٤٢٥٤٠٠	١٩٣
السكر	٤٤٥٥٠	قنطارًا	١١٦٦٤٠	١٦٢
الزبدة	٢٨٦٠٠٠	كيلو	١٥٨٧٠٠٠	٩٣
الزيت	٨٧٠٠٠٠	"	١٦٤٧٠٠٠	٨٩
السمسم	٣٧٦٠	طنًا	٦٣٦٢	٧٣
المنسوجات القطنية	٦٧٢٤٠٠٠٠	مترًا	١١٧٤٧٠٠٠	٧٤
" "	١٧٣٢١٠٠٠	كيلو	١٩١٠٣٠٠٠	١٠

الشاي	١٠٢٥٠٠	كيلو	١٦٧٣٠٠	٦٣
الارز	٢٠٧١١	طناً	٣٠٤٨	٤٧
الشعير	٩٨١٩	«	١٥٢٦٠	٥٥
اللحم المملح	٨٠٠٥٠	كيلو	١١٦٢٠٠٠	٤٥

وقد زاد الوارد من السمنتو بسبب خزان اصوان وغيره من المباني العمومية التي تنشأ الآن

والسكر يرد الى القطر من روسيا والنمسا لان الوارد منهما رخيص جداً

والسمسم يستعمل اكثره لعمل الحلويات وقد زادت مقطوعيتها كثيراً في السنوات الاخيرة

اما المنسوجات القطنية فلا شبهة في ان اعادة تجارة السودان هي السبب لبعض زيادتها

ومما يستحق الالتفات ان الطلب كثير في السودان للشمع والسكر والشاي وقد بلغت قيمة الشمع الوارد الى القطر المصري ٣٧٦٠٠ ج.م سنة ١٩٠٠ وكانت ٢٦٩٠٠ ج.م سنة ١٨٩٩

وزيادة الشعير والارز ناتجة عن زيادة المقطوعية وعن قلة المحصول بسبب هبوط النيل

وزاد ايضاً الوارد من البترولیوم وانشئت له الحياض في السويس والاسكندرية لكي يجلب بمقادير كبيرة فجلب منه كذلك ٩٨٩٢ طناً سنة ١٩٠٠

وزادت قيمة الآلات الواردة ٤٠ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة وقيمة الحديد والصلب (الفولاذ) المصنوعين ٧١ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة وسبب ذلك زيادة الاسعار وزيادة الوارد. وبلغت قيمة الخشب الوارد في العام الماضي ٦٧٨٢٠٠ ج.م اي زادت ٥ ½ في المئة عن قيمة الخشب الذي ورد سنة ١٨٩٩ و ٢٦ في المئة عن متوسط قيمة الخشب الذي ورد في السنوات الخمس السابقة

ويظهر من الجدول التالي كم في المئة من الواردات يرد من البلدان المختلفة المذكورة فيه

من بريطانيا واملاكها	٤٥,٣	في المئة
« تركيا	١٣,٢	« «
« فرنسا	٠٩,٥	« «
« النمسا	٠٦,٣	« «
« ايطاليا	٠٤,٩	« «
« روسيا	٠٤,٥	« «
« بلجكا	٠٣,٦	« «
« المانيا	٠٣,٦	« «

من سائر البلدان ١٫٩٠ « «

وبلغت قيمة النقود التي وردت سنة ١٩٠٠ اربعة ملايين و ٦٠٠ ١١٤ ج . م فهي تزيد ١٣ في المئة على المتوسط السنوي من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وبلغت قيمة النقود الصادرة ٢٦٠٢٨٠٠ وهي تزيد ٣١ في المئة عن متوسط السنوات الخمس السابقة

وبلغ التبغ الوارد في العام الماضي ١٠٠ ٧٨٧ ٥ كيلو يقابلها ٥٠٠ ٢٩٤ ٥ كيلو وردت سنة ١٨٩٩ والتنباك الوارد في العام الماضي ٤٠٠ ٣٢٨ كيلو يقابلها ٠٠٠ ٣٢٦ سنة ١٨٩٩

والتبغ الصادر سكاير بلغ ٤٤٦٩٠٠ كيلو سنة ١٩٠٠ يقابلها ٠٠٠ ٣٨٥ كيلو سنة ١٨٩٩

وكان في مخازن الحكومة بالاسكندرية ٨٣٠٠٣ بالات من التبغ في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠ و ٢٨٨ ٧٧ بالة في ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٩

واذا طرحنا التبغ الخارج من القطر سكاير من التبغ الوارد بقي من الوارد ما يعادل رطلاً ونصفاً (ليبرة و ٦ اواقي) لكل نفس من السكان ويقال ان هذا المقدار قليل جداً بالنسبة الى ما يدخنهُ الناس عادة . ولا شبهة في ان الخمس مئة الف كيلو من التبغ البلدي الباقية في القطر مما كان يزرع فيهِ تؤثر في واردات التبغ لانها تمزج بالتبغ الاجنبي في استحضار الانواع الرخيصة الثمن . وينتظر ان ينفد هذا التبغ القديم كلهُ في قليل من السنوات

وبلغ الصادر من القطن في العام الماضي ٢٢٠ ٤١٨ ٥ قنطاراً بلغ ثمنها ٠٠٠ ٠٣٩ ١٣ ج . م اي نقص مقدارهُ ١٩ في المئة وزاد ثمنهُ ١٢٫٤ في المئة عما كان سنة ١٨٩٩

وقد نقص المقدار بسبب نقص الموسم سنة ١٩٠٠ وزاد الثمن بسبب زيادة الاسعار التي غلبت منذ بداءة موسم القطن لسنة ١٩٠٠

وزاد الصادر من بزرة القطن ٦٠٠ ١٢٨ اردب في مقدارهِ و ١٠٠ ٣٢٣ ج . م في ثمنهِ وسبب زيادة المقدار ان ٥٢ في المئة من موسم سنة ١٨٩٩ الجيد صدرت سنة ١٩٠٠ وسبب زيادة الثمن تحسُّن الاسعار

وبلغت قيمة الصادر من البصل ٨٠٠ ١٥٢ ج . م اي انها قلَّت ٣٣ في المئة عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٩ بسبب انخفاض النيل لان كثيراً من السواحل التي تزرع بصلاً لم يغمرها ماؤُهُ

وبسبب انخفاض النيل قلَّت قيمة السكر الصادر ٥٠٠ ٥٧٥ ج . م او ١٣ في المئة وقيمة الفول الصادر ٠٠٠ ٢٠٥ ج . م عما كانتا عليهِ سنة ١٨٩٩ . لكن زادت كمية البيض الصادر من ٠٠٠ ٧٦١ ٣٩ سنة ١٨٩٩ الى ٠٠٠ ٦٥٠ ٧٧ سنة ١٩٠٠

وصدر من الصمغ العربي سنة ١٩٠٠ ما قيمتهُ ٩٣٨٠٠ ج . م وسنة ١٨٩٩ ما قيمتهُ ٣٠٦٠٠ ج .م وقد نتجت هذه الزيادة من احياء تجارة السودان

و يظهر من الجدول التالي كم في المئة تأخذ البلدان المختلفة من البضائع الصادرة من القطر المصري

بريطانيا العظمى واملاكها	٧ر٥٥	في المئة
فرنسا	٥ر٨	" "
روسيا	٢ر٧	" "
اميركا	٢ر٦	" "
المانيا	٣ر٥	" "
النمسا	٨ر٣	" "
ايطاليا	٦ر٣	" "
تركيا	٧ر١	" "
بلجكا	٧ر٠	" "
سائر البلدان	٣ر٧	" "
والجملة	٠ر١٠٠	

وفي الجدول التالي مقدار عوائد الجمارك في العام الماضي والذي قبلهُ

	١٨٩٩	١٩٠٠	الزيادة في سنة ١٩٠٠
عوائد الواردات	٨٦٥٩٥٥ ج . م	١٠٨١٠٩٧ ج . م	٢١٥١٤٢ ج . م
" الصادرات	١٤٩٤٤٤ " "	١٦٤١١٤ " "	٠١٤٦٧٠ " "
" تبغ وتنباك وسيكار	١٠٦٨٢٨٢ (١) " "	١١٥٩٨٨١ (١) " "	٠٩١٥٩٩ " "
ايرادات مختلفة	٩٠٩٨	١٢٨٨٣	٣٧٨٥
المجموع	٢٠٩٢٧٧٩	٢٤١١٩٧٥	٣٢٥١٩٦

و يظهر من ذلك ان ايراد العام الماضي فاق كثيرًا ايراد العام الذي قبلهُ

(١) صافي الايراد بعد طرح ٦١٣ ٢٧ ج ٠ م مرتجعة عن السكاير الصادرة في سنة ١٨٩٩ و٦٦٥ ٤٢ ج٠م سنة ١٩٠٠

مصلحة البوسطة

يظهر ايراد مصلحة البوسطة ونفقاتها في العامين الماضيين من الجدول التالي

	١٨٩٩	١٩٠٠
الايراد	١٢٩٨٧٤ ج . م	١٣٥٠٠٠ ج . م
المصروفات	١٠٨٠٩٦ " "	١٠٨٢٩٣ " "
صافي الايراد	٢١٧٧٨	٠٢٦٧٠٧ " "

ويظهر من ذلك ان الايراد زاد ٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ عما كان عليهِ سنة ١٨٩٩ واما المصروفات فبقيت على حالها

وتمَّ في مصلحة البوسطة في العام الماضي اصلاحات صغيرة نافعة من ذلك ان اجرة الطرود التي لا يزيد ثقلها على ٣ كيلوغرامات أُنقصت من خمسة غروش الى اربعة وانقص الرسم على المراسلات والطرود المؤمن عليها خمسين في المئة . وتبودل ارسال الطرود مع الولايات المتحدة الاميركية

وقد مضى الآن عشر سنوات منذ خفضت رسوم البوسطة المصرية تخفيضاً عظيماً وهذا الزمن كافٍ لبناء الحكم في نتائج هذا التخفيض . والنتائج مدهشة تستحق الالتفات فقد زاد عدد المراسلات من ٠٠٠ ٧٨٣ ٧ سنة ١٨٨٩ الى ٠٠٠ ٥٧٩ ١٥ سنة ١٨٩٩ . وزاد عدد مكاتب البوسطة من ٣٩٣ الى ٨٨٧ وقيمة التحاويل التي نقلتها البوسطة من ٠٠٠ ٢١٢ ١ ج.م الى ٠٠٠ ٣٣٤ ٢ .وكان متوسط صافي ايراد البوسطة السنوي من سنة ١٨٨٥ الى سنة ١٨٨٩ خمسة وعشرين الف جنيه وقد تقدَّم سابقاً ان صافي ايراد سنة ١٩٠٠ كان ٧٠٠ ٢٦ ج . م فلم ينقص صافي الايراد بتنقيص الاجرة بل زاد لزيادة المراسلات

ادارة الاوقاف

كانت نتيجة حسابات الاوقاف في العام الماضي كما يلي تقريباً

الايراد	٢٣٠٠٠٠ ج . م
المصروفات	١٩٠٠٠٠
الزيادة	٤٠٠٠٠

وبلغ المال الاحتياطي الخاص بديوان الاوقاف ١٤٨٠٠٠ ج . م في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٠

وأُنفق في السنوات الاربع الماضية ٤٧٠٠٠ ج . م على بناء الجوامع وترميمها و ٦٠٠٠ ج . م على التدابير الصحية فيها وجدد بناء تكية طرة المقامة للعجزة والمنقطعين فانفق على تجديدها ٦٥٠٠ ج . م

والاموال التي تنفق على حفظ الجوامع وعلى المدارس والفقراء وهي الاغراض التي قصدها الواقفون زادت في السنوات الاربع الماضية بنحو ٢٢٠٠٠ ج . م

ومن اضر مساوىء النظام القديم ان المستحقين في الوقف كانوا يلقون اشد المصاعب في الحصول على ما يحق لهم . وقد عولج هذا الخلل الآن علاجاً يزيلهُ

كتب اليَّ هراري باشا مدير الحسابات العام في الحكومة المصرية الذي لهُ اليد الطولى في ما تمَّ من الاصلاح حديثاً في ديوان الاوقاف يقول

" تمتاز سنة ١٩٠٠ باننا تقدمنا خطوة اخرى في سبيل النجاح . وارجو انهُ يأتي اليوم الذي تنتج فيهِ النتائج المنتظرة من اساليب الاصلاح المدخلة بالتدريج في ادارة الاوقاف ولا يقتضي ذلك الاَّ المواظبة والزمن الكافي لان ما تأصَّل من المساوىء بطول الزمن لا يمكن محوهُ دفعة واحدة ولاسيما في ادارة كادارة الاوقاف مقيدة بقيود خاصة بها "

الري

رأيت المذكرة التي بعث بها اليَّ السر وليم غارستن عن الري مما تفيد مطالعتهُ جدًّا فادمجتها في تقريري هذا واقول قبل ذلك تمهيداً لها ان النجاح النسبي الذي نجحهُ القطر المصري بالغ جدًّا اذا نسبناهُ كلهُ الى حال من الاحوال او الى سعي احد من الذين انيطت بهم ادارة البلاد في السنين الاخيرة . ولكن من البيّن ان المال اساس الاصلاح في كل امر تقريباً . واقول ولا اخشى لومة لائم انهُ لولا مهندسو الري الفضلاء الذين خدموا الحكومة المصرية في السنين السبع عشرة الاخيرة ما استطاع احد مهما كان ماهراً في التدابير المالية ان يصلح حال الخزينة المصرية ويجعلها قادرة على ايفاء ما يطلب منها من الربا والانفاق على مطالب الاصلاح التي تمسُّ الحاجة اليها . وما نراهُ الآن من النجاح المادي في هذا القطر زُرع بزرهُ منذ ١٨٨٤ ففي تلك السنة سُمح لمصلحة الري بمليون جنيه رغماً عمَّا كانت فيهِ الحكومة من الضيق المالي . ولم تقف اعمال الاصلاح من ذلك الحين ولكن فوائد الاعمال التي عملها رجال الري لم تظهر نتائجها باعظم ممَّا ظهرت بهِ في العام الماضي حين انخفض النيل انخفاضاً لا مثيل لهُ في تاريخهِ ومع ذلك نجا القطن وبلغت غلتهُ ما كان يستحيل ان تبلغهُ منذ بضع سنوات ولو كان الفيضان على احسنهِ وما ذلك الاَّ لشدَّة العناية بتوزيع المياه . ويسرُّني ان الذين يهمهم امر القطن

المصري اعترفوا بفضل السر ولم غارستن ورجاله وهذا ما يعترف بهِ ايضاً المالكون والمزارعون في القطر المصري من كل الدرجات والطبقات . واجهل فلاّح في هذا القطر يعرف فائدة المياه و يشكر الذين يجرونها الى اطيانهِ بغزارة . ولما اشتدت المضاربات في القطن مدة الربيع الماضي وكانت الاخبار تنشر عن محل الموسم في طول البلاد وعرضها كان صغار المزارعين في البلاد كلها يعربون عن ثقتهم التامة بان مهندسي الانكليز ينقذونهم من هذه الورطة و ينجونهم من الفاقة بل من الموت جوعاً وهذا مما يسرُّ ذكرهُ و يطيب نشرهُ

وعندي امر آخر جدير بالذكر وهو اني على قلة ما اعرفهُ من اعمال المضاربات في مصر والاسكندرية بلغني من امرها في الربيع الماضي ما اراني ان الناس افرطوا فيها على غير هدًى فخربت بيوت كثيرين وامسى غيرهم على شفا الافلاس . ولم يبرح من بالي انهُ في السنوات الاولى التي اقمتها في مصر ساءت احوال السكان في هاتين المدينتين بالمضاربة بل بالمقامرة في السندات المصرية . وظهر في العام الماضي كأنهُ اصابهم ما اصابهم حينئذٍ من المضاربات بالقطن . وامتدت العدوى الى كل طبقات الناس فقد بلغني ان كثيرين من المستخدمين في الحكومة المصرية اشتركوا في المضاربات ومنهم من الخسارة القليلة لا تبقي لهُ شيئاً وهذا أمرٌ هامٌ من حيث المصلحة العامة لان خسارتهم قد تحملهم على ان يطرقوا للكسب طرقاً غير محللة . وذاع عن النيل اخبار من اغرب ما يكون وتخرّص كثيرون في ما يكون عليهِ النيل وموسم القطن. واكثر ما انبأوا بهِ كان من قبيل اللغو الذي لا قيمة لهُ . وكلما حدث اقل تغير في حال النيل مما لا شأن لهُ في عين مهندس الري الخبير كان البعض يشيعون اخبارهُ ويبالغون في نتائجهِ ليؤثروا في سعر القطن ولو وقتياً

ولا يخطر ببالي انني استطيع ان امنع تكرار هذه الاشياء باقوال اقولها لان من اعتاد المقامرة لا يصرفهُ النصح عنها مهما كثر لكني عشت بين المصريين سنين كثيرة وانا ارثي لهم من صميم الفؤاد فلا اقدر الاّ ان ابذل جهدي في صرفهم عن عمل اعتقد انهُ يضرُّ بالكثيرين منهم ضرراً شديداً . واظنني افهم طباع المصريين بعض الشيء فان لم اكن مخطئاً في حكمي فجمهورهم اذا تباروا مع الحاذقين من الاوربيين الذين اعتادوا اشغال البورصة فخسارتهم ارجح من ربحهم . واذا كان تحذيري لهم بكلمة اقولها يصرف ولو البعض منهم عمّا يجرُّ عليهم وعلى بيوتهم الخراب والدمار ما داموا يتعاطون اعمالاً لا خبرة لهم بها واكثرهم تعوزهم الصفات اللازمة للنجاح فيها فذلك حسبي

وبناء على ما تقدم اقول علانية انهُ لا يوجد الآن على الارجح ستة اشخاص يعلمون

الامور التي يبنى عليها حكم له شيء من القيمة في ما يكون عليهِ حال النيل في سنة من السنين وقد حصلوا على المعارف الفنية الدقيقة جداً اللازمة لمثل ذلك قبلما يستنتجون نتائج صحيحة من الامور المشار اليها حينما يعلمونها . وزد على ذلك ان هؤلاء الاشخاص القليلي العدد الذين اجتمع فيهم ما يندر اجتماعه جداً من المعرفة والمهارة هم اول من يعترف انهم مع كل ما امتازوا بهِ من المعرفة والمهارة لا يستطيعون ان ينبئوا بالمستقبل انباء خالياً من الخطإ. وتراهم يظهرون من الريب في حكمهم ما يناقض الثقة التي يبديها كثيرون من الذين هم اقل منهم اهلية لابداء رأي له شيء من القيمة

ويرجى اتمام خزاني اصوان واسيوط قبل فيضان سنة ١٩٠٢ . وحينئذٍ نكون على ثقة من كفاءة الماء الصيفي لكل الوجه البحري ولجانب من الوجه القبلي فتزول نقطة شك من تقادير المضاربين . اما سنة ١٩٠١ فالظاهر ان النيل سيجري فيها مجراه في سنة ١٨٧٧ التي كان الفيضان فيها واطئاً . والمناسيب الآن (٢٢ يناير) اعلى مما كانت عليهِ سنة ١٩٠٠ في مثل هذا الوقت . وقد انقذ رجال الري موسم القطن سنة ١٩٠٠ فلا ارى سبباً للشك في انهم ينجحون في انقاذهِ سنة ١٩٠١ رغماً عما يرى من احوال النيل التي هي غير موافقة على نوع ما

وازيد على ذلك انهُ يصعب الحكم في اي الامور بل اي الانباء عن المستقبل يجب ان يُنشر رسمياً او يمنع نشره رسمياً من هذا القبيل . فاذا قيل شيء كان الخطر من ان يؤوَّل بعض ما قيل تأويلاً لم يقصده القائل قط لغرض في نفس المؤول . واذا لم يقل شيء فالمرجح ان تخفى بذلك امور مهمة او تذاع اشاعات فيها قليل من الصواب وكثير من الخطاء فيصدقها الجمهور . ولعلَّ هذا الامر الاخير اشد البليتين ولذلك عزمت ان ادمج في تقريري هذا الملاحظات التي كتبها السر وليم غارستن عن الهبوط المتوالي في منسوب بحيرة فكتوريا نينزا لا لانني ارى في ما ابانهُ السر وليم غارستن من الحقائق سبباً للقلق الشديد بل لانهُ يرجح ان تنشر اشاعات غير صحيحة متعلقة بمنسوب تلك البحيرة فيحسن ان يقف الجمهور على حقيقة الحال . واحذّر من استنتاج اية نتيجة كانت من كلام السر وليم غارستن غير ما صرَّح بهِ في كلامهِ . واذ قد تمهَّد ذلك آتي بالخلاصة التالية من مذكرة السر وليم غارستن

ايراد النيل

" لقد ثبت ان خوف الناس من حال النيل في آخر سنة ١٨٩٩ الخوف الذي اشترك فيهِ اهالي القطر كلهم كان في محلهِ لان الايراد الصيفي سنة ١٩٠٠ كان اوطأ ما ذكر في تاريخ النيل ولا غرابة في ذلك لان الفيضان الواطئ كثيراً تعقبهُ قلة الايراد في الصيف التالي .

فقد كان الفيضان واطئاً سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٨٨ . وكان الايراد الصيفي قليلاً جداً سنة ١٨٧٨ و ١٨٨٩ ولما كان فيضان سنة ١٨٩٩ اوطأ من فيضان سنة ١٨٧٧ او سنة ١٨٨٨ فالماء الصيفي في سنة ١٩٠٠ كان اقل من الماء الصيفي سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٩

"وهذه مناسيب الماء في اصوان في السنوات الثلاث المشار اليها

السنة	اوطأ منسوب اصوان ذراع	قيراط	الارتفاع فوق سطح البحر المتوسط امتاراً
١٨٧٨	+ ٠	٦	٨٤,٢٩
١٨٨٩	+ ٠	١١	٨٤,٤٠
١٩٠٠	— ٠	٤	٨٤,٠٧

"ويظهر من هذا الجدول ان الماء هبط ٤ قراريط تحت الصفر بمقياس اصوان سنة ١٩٠٠ وكان منسوبهُ اوطأ ٣٣ سنتمترًا من اوطإِ منسوب سنة ١٨٨٩ و ٢٢ سنتمترًا من اوطإِ منسوب سنة ١٨٧٨ . وبلغ المنسوب ٨٤,٠٧ في الخامس عشر والسادس عشر والسادس والعشرين من شهر مايو فكان اوطأ من متوسط اوطإِ المناسيب في عشرين سنة بنحو متر

" وعلا الفيضان سريعاً في اول الامر فاملنا ان يكون جيداً لكنهُ هبط في سبتمبر تحت المتوسط كثيرًا وبقي كذلك حتى آخر السنة

"فكان لا بدَّ من ان يقوم رجال الري ويبذلوا كل ما في وسعهم لتلافي الضرر ولاسيما في الوجه البحري ويستعملوا وسائط غير عادية لانقاذ موسم القطن فاقيم سدان وقتيان من التراب في فرعي رشيد ودمياط منعاً لماء البحر من الصعود فيهما

"ووضعت جداول خصوصية للمناوبات وكانت فترات البطالة تطول بانخفاض النيل وازدياد الحاجة الى الماء . وحُذّر اصحاب الاطيان من زرع الارز وأُخبروا ان الماء يخصص كلهُ لري القطن لكي ينجو اكثر ما يمكن ان ينجو منهُ . واعتُني بموازنة افواه الرياحات الآخذة من فوق القناطر الخيرية لكي تقسم المياه فيها بالقسط حتى يمكن ارواء الاطيان كلها على السواء

"ونُشر امر خديوي خصوصي ينهى عن زرع الذرة الى ان ترى نظارة الاشغال ان زرعها صار ممكناً من غير ان يلحق الضرر بزراعة القطن

"واديرت طلمبات العطف على فرع رشيد من ١٥ مايو الى ١٦ اغسطس واقيمت طلمبات وقتية عند قبريط على الضفة الشرقية من فرع رشيد اديرت من ١٩ يونيو الى ٢٩ يوليو

"واخيرًا عيناً فريقاً كبيرًا من المستخدمين لمراقبة سير المناوبات وايقاف الآلات الرافعة

في المواعيد التي يجب ان نقف فيها

"فنجحت هذه الوسائط ونجا موسم القطن ونقدّره شركة الحاصيل في الاسكندرية بخمسة ملايين قنطار وربع مليون وكان يمكن ان يكون اكثر من ذلك كثيرًا لو لم يبرد الهواء بردًا غير عاديّ في سبتمبر مصحوبًا بالضباب فقلّ المحصول بسبب ذلك . وجاء موسم الذرة جيدًا رغمًا عن التأخر في زرعهِ . اما موسم الارز فتلف ولم يكن مناص من ذلك لان الماء لم يكن ليكفي القطن والارز . وموسم القطن اثمن كثيرًا من موسم الارز فضُحي الثاني لحفظ الاول ولكن اصحاب الاراضي التي تزرع ارزًا اكثروا من زرع القطن فاستعاضوا بهِ عن خسارتهم

"وقد كان محصول القطن في السنين الثلاث التي كان فيضانها واطئًا جدًّا كما يُرى في هذا الجدول

سنة ١٨٧٨	١٦٨٤٠٠٠	قنطار
" ١٨٨٩	٣٢٠٠٠٠٠	"
" ١٩٠٠	٥٢٥٠٠٠٠	"

"والموسم الاخير يقدَّر كذلك تقديرًا كما تقدَّم اما مقداره الحقيقي فلا يعلم حتى الآن . وقد تقدم ان النيل كان سنة ١٩٠٠ اوطأ كثيرًا مما كان سنة ١٨٨٩ واوطأ ايضًا مما كان سنة ١٨٧٨

"وتعب رجال الري تعبًا شديدًا وشاركهم في هذا التعب كل مستخدمي الري في المراكز واحترم الناس قوانين مصلحة الري اكثر مما كانوا يحترمونها قبلاً وجُعل عمدة كل بلد مسئولاً عما يزرع في بلدهِ من الذرة حيث لا يباح زرعها

"وقد اعربت شركة المحاصيل العمومية في الاسكندرية وغرفة التجارة الانكليزية في القطر المصري عن اعترافهما بنجاح الوسائل التي اتخذتها مصلحة الري وكتبتا تشكرانها على ذلك . وزاد ما كسبهُ ارباب الاطيان بغلاء الاسعار في الشهور الاخيرة من سنة ١٩٠٠ عمَّا خسروهُ بقلة المحصول

المناوبات على الترع

"وُضعت جداول المناوبات حتى تطول ايام البطالة كلما قل ايراد الماء . وجعلت ايام عمالة الآلات ستة في كل قسم وبقي ذلك كل مدة المناوبات اما ايام البطالة بينها فاختلفت حسب حالة النيل فكانت في الاول ١٢ يومًا ثم زادت حتى بلغت ٢٢ يومًا اي ان القطن كان يروى

مرةً كل ١٨ يوماً في اول الامر واخيراً صار يروي مرةً كل ٢٨ يوماً . ولا شبهة في ان المناوبة الاخيرة صارمة جدًّا وما كنا نلجأ اليها لولا الاضطرار . ولولاها ما نجا الموسم . وعرف الناس ذلك فلم يحاولوا مخالفة هذا القانون الاَّ نادرًا

مقاسات بحيرة فكتوريا نيانزا

" تصل المقاسات الآن بالاضطراد من اوغندا الى مصر عن وقوع الامطار يومياً وعن مناسيب البحيرة وجرت المقاسات الاولى من غرة يونيو سنة ١٨٩٦ الى آخر يوليو سنة ١٨٩٧ وذلك قبل الثورة التي ثارت هناك ثم بدئ بالمقاسات ثانية من غرة سبتمبر سنة ١٨٩٨ وامتدَّت الى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ . ولا يمكننا لسوء الحظ ان نقابل بين المقاسات في هاتين المدتين لان المقاييس التي وضعت بعد الثورة ليست نفس المقاييس التي كانت قبلها . فعندنا مقاسات ٢٦ شهرًا لنبني عليها ما يمكن بناؤهُ من الآراء . وهذا لا يكفي ولاسيما لاننا لا نزال نجهل اموراً كثيرة مهمة تؤثر في علاقة الامطار الاستوائية ومناسيب البحيرات التي في الاقاليم الاستوائية بالماء الوارد في النيل . وليس عندنا شيءٌ من المعلومات عن اهم هذه البحيرات وهي بحيرة البرت نيانزا

"وهذا مما يؤسف عليهِ جدًّا لان هذه البحيرة التي تنصبُّ فيها مياه بلاد فسيحة جدًّا وتمرُّ في طرفها الشمالي المياه الآتية من بحيرة فكتوريا هي اهم الخزانات التي تمدُّ البحر الابيض . ويرجى ان تبذل الوسائل قريباً لوضع المقاييس في بحيرة البرت ومراقبتها بالاضطراد فيكون من ذلك فائدة لمصر لا تقدَّر

"ويستفاد مما لدينا من المعلومات الامور التالية ولعلَّها لا تخلو من فائدة عمومية

" يوجد الآن مرقبان على جانبي بحيرة فكتوريا واحد في بورت اليس او انتبي وواحد في بورت فكتوريا او اوغوي لكن قياس المطر في انتبي لم يُشرَع فيهِ الاَّ في شهر ابريل سنة ١٩٠٠ ولذلك لا يمكن مقابلة المقاسات في المرقبين في السنة كلها

" ويستدل من مقياس اوغوي انهُ وقع في السنة كلها ٤٦٫٢٨ عقدة (بوصة) من المطر في اثني عشر شهرًا تنتهي في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٠ وكانت الايام الماطرة ١٣١ يوماً وكانت العواصف تعصف اما بعد الظهر او في الليل . وشهر فبراير اكثر الشهور مطرًا وشهر يوليو اكثرها جفافاً فقد وقع ٦٫٤٥ عقدة في شهر فبراير و ١٫٥٦ في شهر يوليو . والمدة التي يكثر فيها وقوع المطر من نوفمبر الى مايو فقد وقع في هذه الاشهر الستة ٣٠٫٧٣ عقدة وفي الاشهر الستة الباقية ١٥٫٥٥ عقدة

"وكان المطر في انتبي على الجانب الآخر من البحيرة اغزر مما هو في اوغوي فبلغ ما وقع منهُ بين ابريل ونوفمبر ٣٩ و٣٦ عقدة مع انهُ كان في اوغوي ٥٩ و٢٠ عقدة

"ويمكن الاستدلال على مناسيب سطح البحيرة من المقاسات التي جاءتنا من المرقبين وينتج منها ما يأتي وهو

" ان منسوب سطح البحيرة تغير قدماً و ٧ عقد من غرة يناير سنة ١٨٩٦ الى ٣١ يوليو سنة ١٨٩٧ . وكان اوطأ منسوب في اكتوبر سنة ١٨٩٦ واعلى منسوب في يناير سنة ١٨٩٦

ثم اعيدت المراقبة بعد خمود الثورة سنة ١٨٩٨ فتغير النسوب قدمين وعقدة في انتبي وقدمين و ٧ عقد في اوغوي وذلك من غرة سبتمبر سنة ١٨٩٨ الى ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٠ فكان اعلى منسوب في دسمبر سنة ١٨٩٨ واوطأ منسوب في اكتوبر سنة ١٩٠٠

" ويستدل من ذلك ان منسوب البحيرة يكون على اوطإهِ في اكتوبر اي في آخر فصل القيظ وعلى اعلاه في دسمبر او يناير . ويستدل منهُ ايضاً ان منسوب البحيرة كان آخذاً في الهبوط المتوالي في السنوات الثلاث الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

	بورت اليس او انتبي		بورت فكتوريا او اوغوي	
	قدم	عقدة	قدم	عقدة
منسوب البحيرة في ١ اكتوبر سنة ١٨٩٨	٣	٢	٣	٢ ١/٢
" " " " ١٨٩٩	٢	٦ ١/٢	٢	٢
" " " " ١٩٠	١	٧	١	١

"ومن المحتمل ان هبوط المناسيب ناتج بعضهُ عن هبوط قاع النهر حيث يخرج من البحيرة ولكن الارجح انهُ ناتج من قلة وقوع المطر على بلاد واسعة فان الاخبار كلها متفقة والسياح الذين ضربوا في تلك البلاد متفقون على ان القيظ الشديد استولى على جانب كبير من اواسط افريقية في السنتين الماضيتين وقد امتد هذا القيظ شمالاً حتى بلغ السودان المصري

" وقد يظهر ان فيضان سنة ١٩٠١ سيكون ضعيفاً اذا كانت هذه الارقام صحيحة ولكن استنتاج هذه النتيجة ليس من الحكمة في شيء لأن قياس هبوط المطر لم يُشرع فيهِ الاَّ منذ عهد قريب جداً ولذلك لا يمكن ان يضاهى بالسنين السابقة . ولا نزال قاصرين جداً في معرفة العوامل الكثيرة التي تتحد معاً وتسبب فيضان البحر الابيض

" واخيراً ان لبحيرة البرت نينزا شأناً كبيراً جداً في مقدار الماء الجاري في النيل ولم يحاول احد حتى الآن جمع المعلومات عنها . فيحسن والحالة هذه ان يبتدأ باسرع ما يمكن

في تقييد مناسيبها ومقاسات المطر الذي يقع فيها

مقاييس السودان

"وضعت المقاييس للنيل في الرصيرص وسنار والبحر الازرق . ويوجد مقياس في الناصر على نهر السبت. وترسل مقاسات مقاييس البحر الازرق والخرطوم وبربر الى القاهرة بالتلغراف في زمن الفيضان فقط فتساعد مصلحة الري كثيراً في معرفة ما يصل اليه ارتفاع النيل في مصر

السد في بحر الجبل

"ازيل القسم الاكبر من السد سنة ١٩٠٠ وصارت السفن تسير من الخرطوم الى الرجاف في اعالي النيل

"وقام رجال الماجور بيك من الخرطوم في السادس عشر من دسمبر سنة ١٨٩٩ وتمكنوا من فتح بحر الجبل في ٢٧ مارس بعد ان ازالوا ١٤ قطعة من السد ومن هذه القطع ما طوله ميل وسمكهُ من ١٥ قدماً الى ٢٠ . وكان مجرى النهر مسدوداً بها تماماً من اعلاهُ والماء يجري من تحتها بسرعة فائقة . وقد ثبت من مشاهدة السد عياناً انهُ ليس كما كان يُظنّ فقد كان يظن انهُ اعشاب مشتبكة معاً طافية على وجه الماء تغور فيهِ بضع اقدام فثبت انهُ في الاكثر نباتات بالية من جذور البردي والتراب مثل البيت في قوامهِ وهو مندمج من ضغط مجرى الماء لهُ حتى يستطيع الناس ان يمشوا عليهِ في كل مكان بل تستطيع الافيال ان تعبر عليهِ في بعض الاماكن . ووُجد ان افضل اسلوب لازالتهِ ان يقطع قطعاً مربعة طول القطعة منها عشر اقدام وعرضها عشر اقدام وتجرّ قطعةً قطعةً بسلاسل وحبال من السلك مربوطة الى المدفعيات

"ومما يقضي بالعجب مقدار العمل الذي عملهُ الماجور بيك ورجالهُ ولا سيما في بلاد فاسدة الهواء بعيدة عن السكان يعسر ايصال الزاد اليها . ولم يزل السد في قسمين من بحر الجبل الواحد يبتدئ على ١٤٠ ميلاً من بحيرة نو وطولهُ نحو ٢٥ ميلاً والثاني على ٥٢ ميلاً منهُ وطولهُ نحو ٣ اميال . وقد تحوَّل النيل في هذين المكانين عن مجراهُ الاصلي وجرى في مجريين آخرين اولها سلسلة البحيرات القريبة القاع. ولما ظهر ان فصل المطر قد ابتدأ حينما بلغ رجال الماجور بيك هاتين القطعتين وصار مسير السفن ممكناً رأينا ان نترك هاتين القطعتين فلا ننزع السدود منهما سنة ١٩٠٠ بل نتركهما الى فرصة أخرى . ولم نرَ انهما صدَّا الملاحة في غضون السنة الماضية صدًّا يعتدُّ بهِ . لكن عاد السد الى النهر في بعض الجهات الشمالية حيث ازيل

قبلاً . والقطعة المعروفة بالعدد ١٠ على ٧٠ ميلاً جنوبي بحيرة نو انسدّت غير مرة وهي اشد ما في بحر الجبل خطراً . وقد كنا راجعين من هناك في ١٠ ابريل فوجدنا النهر مسدوداً تماماً وطول السد فيهِ اكثر من ١٥٠٠ قدم وسمكهُ عند طرف المجرى ١٥ قدماً واقتضى نزعهُ عمل ثلاثة ايام متوالية قبلما استطاعت البواخر التي كانت فوقهُ ان تمر . ولولا مدفعية تحتهُ اهتمت بنزعهِ لبقيت تلك البواخر اكثر من ذلك كثيراً لانهُ قد يستحيل نزع السد من طرفهِ الاعلى . ثم انسدَّ هذا الجزء من النهر في ١٠ مايو واقتضى نزع السد منهُ ٣٢ يوماً . وانسدَّ ايضاً في ٢٢ اغسطس وبقي مسدوداً اربعة ايام

" ولا بدَّ من ان يراقَب هذا المجرى مراقبة دائمة ولا سيما في اول فصل المطر وفي آخرهِ حينما تكثر العواصف

" اما الدواء الفعَّال الذي يمنع انسداد النهر في المستقبل فلا يُعرَف الاَّ بعد درس احوالهِ درساً مدققاً والوقوف على امور من حيث مجرى النهر وتصريف ماء الفيضان اكثر كثيراً مما امكن الوقوف عليهِ حتى الآن

" ولم يحن الوقت ليُشار بشيء فعَّال ومن رأي البعض ان يجرَّب دق الاوتاد على جانبي المجرى في السنة التالية حيث هو اشدُّ تعرُّضاً للاسداد

" وبلغ المال الذي دفعتهُ نظارة الاشغال العمومية لحكومة السودان وأُنفق على نزع السد ١٠٠١٢ ج . م اكثرها ثمن زاد ومكافآت واجرة عمال ومهمات

" اما ما استفادتهُ مصر من نزع السد في العام الماضي فما يصعب الحكم فيهِ . ومن المحقق انهُ كلما كان ينزع جزء من السد كان منسوب المستنقعات التي على جانبيهِ يهبط دلالة على ان مياهها كانت تعود الى النهر وتجري فيهِ الى البحر الابيض . وثبت ذلك بالمقياس الذي اقيم في محلة الماجوريبك الاولى فانهُ كان يدل على ارتفاع في سطح الماء كلما فُتح سدٌّ من السدود . وكان هذا الارتفاع وقتياً في الاسابيع الاولى فيعود سطح النهر الى حالهِ حينما تفرغ المستنقعات التي تصب فيهِ واخيراً صار الارتفاع مستمرًّا . ولكن يستحيل علينا الآن ان نعلم كم منهُ كان ناتجاً عن نزع السدود وكم منهُ نتج عن الامطار الجنوبية التي تقع في ذلك الحين لان معارفنا لا تزال قليلة جدًّا من هذا القبيل وكذلك يصعب علينا ان نعلم كم من هذه المياه وصل الخرطوم وكم منها ضاع بالتبخُّر في مجاري البحر الابيض الواسعة

" ونُزع القسم الاول من السد في ٤ يناير وتمَّ نزع الاقسام كلها وهي اربعة عشر في ٢٧ مارس ودام التقلُّب في منسوب الماء بين ارتفاع وانخفاض حتى السابع عشر من الشهر ومن

ثم صار الارتفاع مستمرًا ولكن مقياس الخرطوم استمرَّ على الهبوط الى الثلاثين من شهر مارس

"وفي شهر ابريل جعل منسوب الماء في الخرطوم يعلو و يهبط دواليك وكان في آخر الشهر اعلى منهُ في اوله ٦ سنتمترات لا غير ومن اول مايو جعل الماء يرتفع بمقياس الخرطوم ارتفاعًا مستمرًا ولم يؤثر فيهِ انسداد بحر الجبل مدة ٣٣ يومًا ابتداءً من ١٠ مايو . ويظهر من ذلك ان انصباب ماء المستنقعات في النهر قبل ١٧ مارس لم يؤثر في منسوب الماء في الخرطوم وبقي ارتفاع الماء في الخرطوم طفيفًا جدًّا حتى آخر ابريل ومعلوم ان منسوب الماء في الخرطوم متوقف على البحر الازرق كما هو متوقف على البحر الابيض

" ومن رأيي المبني على ما شاهدتهُ بنفسي من امر السد ان نزعهُ منع هبوط منسوب النيل بما اضيف اليهِ من المياه الجانبية ولولا ذلك لهبط المنسوب حتمًا

" واني ارتاب في كونهِ فعل اكثر من ذلك لان الماء القليل الذي جرى الى النهر بنزع السد ضاع فيهِ لاتساعهِ اذ لا بدَّ من ان يمتلئ مسيلهُ قبلما يظهر ارتفاع محسوس في مقدار التصرُّف عند الخرطوم . ولكن هذا اي منع هبوط النيل افاد القطر المصري فائدة لا ريب فيها وهو يستحق ما أُنفق عليهِ من النفقات ولو لم يكن منهُ نفع آخر . ثم اذا اضفنا الى ذلك ما يستفيدهُ السودان من فتح طريق الملاحة في النيل كلهِ وجدنا ان النتائج تفوق النفقات كثيرًا "

الشراقي

المعت في تقريري السابق الى اسلوب جديد في اخذ الضرائب عن الاطيان المسماة هنا بالشراقي اي التي تزرع حينما يكون النيل عاديًا ولكنها تبقى بغير ري اذا كان النيل مخفضًا انخفاضًا غير عادي فلا تزرع حينئذٍ . ولا اعتذر عن الاسهاب القليل في هذا الموضوع لان حكومات المشرق تعتمد في ايرادها على ضرائب الاطيان فكل تغيير يؤثر في الاصول المرعية لجمع هذه الضرائب يكون لهُ من الاهمية مالا يقدر على البلاد الذي حدث فيها

ويقال بنوع اجمالي عام ان المبدأ المتبع في بلدان المغرب لوضع الضرائب على الاطيان هو ان توضع عليها ضريبة معتدلة يدفعها الفلاح من غير زيادة ولا نقصان سواءٌ جادت الارض او محلت . واذا لم تأتِ بغلّة قط فلا يكون ذلك سببًا لاعفائهِ من الضرائب الاَّ في احوال نادرة جدًّا

واما المبدأُ الشرقي فيختلف عنهُ . والمتبع في بلدان المشرق ان جابي الخراج يأخذ من المال قدر ما يستطيع حتى لا يبقى للفلاح في سنة الخصب الاَّ ما يسدُّ رمقهُ . لكن حكومات المشرق

تعفي الفلاح من الضرائب كلها او بعضها اذا محلت ارضهُ رغماً عنهُ وكان هذا شأن الحكومة الرومانية ايضاً كما اعتقد . وما هو جارٍ الآن من نزع الملك من مالكهِ اذا عجز عن ايفاء مالهِ امر محدّث على ما ارى . وكانت الضرائب ثقيلة في الغالب ولكنها كانت تتغير حسب احوال الزمان

والاسلوب الغربي عادل ثابت قانوني والشرقي جائر متغير غير قانوني ولكنهُ يمتاز بانهُ يمكن تحويلهُ حسب احوال الزمان والمكان . ولا يُعلَم حقيقةً ماذا يفضلهُ الفلاح الشرقي — وهو صاحب الشأن الاول في هذا الامر — أعدل الاسلوب الواحد وثبوتهُ ام جور الاسلوب الثاني وتغيرهُ . ولطالما تعب رجال الادارة والمالية من الاوربيين في ايجاد اسلوب جامع لحسنات هذين الاسلوبين خالٍ من سيآتهما ليجروا عليهِ في البلدان الشرقية التي انيطت بهم اداراتها

وقد جرت العادة في القطر المصري ان تعفى الاطيان الشراقي من الضرائب . وهي عادة قديمة وكان اتباعها من الحكمة . ولكن اذا زرعت الاطيان لم تكن تعفى من الضرائب مهما كانت حالها ومهما تكلف صاحبها لزرعها وريها . وبقي ذلك جارياً حتى العام الماضي وغاية ما كانت الحكومة تتنازل عنهُ حينئذٍ نصف ضرائب الاطيان التي يرويها ماء الفيضان عادة اذا قصَّر عن اروائها في سنة من السنين ورويت بآلات رافعة . وكانت النتيجة ان الفلاح لا يحاول ارواء اطيانهِ اذا لم يصل اليها ماء الفيضان لان الضريبة كلها او نصفها تستغرق ما يكتسبهُ من اطيانهِ حينئذٍ فيفضّل ان يتركها بغير زرع ويعمل عملاً آخر

وسنة ١٨٩٩ — ١٩٠٠ جرت الحكومة على اسلوب جديد فاعلنت الجمهور ان الاطيان التي يقصر ماء الفيضان عن اروائها تعفى من الضرائب تلك السنة ولو زرعت ورويت من الآبار

فنجح هذا الاسلوب وأعفيت ٤٤١٩٢ فداناً من الضرائب مع انها كانت مزروعة . واكثر هذه الاطيان لصغار المزارعين الفقراء فكانت الفائدة من هذا الاعفاء كبيرةً لهم . ولو اخذت الحكومة ضريبةً على هذه الاطيان لبلغ ما اخذتهُ ١٥٠٠٠ ج . م لكنها لم تخسر هذا المال اذ المرجح ان هؤلاء المزارعين ما كانوا ليزرعوا اكثر هذه الاطيان لو لم تعفها الحكومة من الضرائب . ومزية هذا الاسلوب المالي الجديد انهُ يفيد كثيرين من صغار المزارعين ولا تخسر بهِ خزينة الحكومة فسُرَّ بهِ الجمهور وسيُعمَل بهِ دائماً في المستقبل

ويحسن بي قبل ترك هذا الموضوع ان اذكر مقدار الشراقي التي تخلَّفت في السنين الاخيرة حينما كان الفيضان يأتي واطئاً جداً وهي

السنة	شراقي كاملة	نصف شراقي	الضرائب المرفوعة عنها
١٨٧٨	٨٠٠٠٠٠ فدان	٠٠	٨٠٢٠٠٠ ج ٠ م
١٨٨٨	٢٧٩٦٠٠ "	١٠٩٨٠٠ فدان	٣٤٢٥٣٧ " "
١٨٩١	٠٠٧٨٣٠ "	٠٠٠٢٠٣ "	٠٠٦٥٣٢ " "
١٨٩٣	٠٠٧٠٥٩ "	٠٠٢٠٤١ "	٠٠٦٣٦٩ " "
١٨٩٧	٠١٣٧٠٤ "	٠٠٣٤٤٩ "	٠١١٥٦٤ " "
١٨٩٩	٤٢٠١١٩[1] "	٠٨١٣٩٤ "	٢٠٣٠٩٨ " "

وكانت سنة ١٨٩٩ من حيث الفيضان اردأ من سنة ١٨٧٨ ولكن لم يبقَ بغير ري سنة ١٨٩٩ سوى ٢٤٠١١٩ فداناً ورويت ٨١٩٤ فداناً رياً غير تام يقابل ذلك ٨٠٠٠٠٠ فدان بقيت بغير ري سنة ١٨٧٨ . وتنازلت الحكومة سنة ١٨٩٩ عن ٢٠٣٠٠٠ ج . م واما سنة ١٨٧٨ فاضطرت ان تتنازل عن ٨٠٢٠٠٠ ج . م وهذا مما يستحق الالتفات . واذا بحثنا عما زادت به خيرات الارض لم يسهل علينا ان نقول بالتدقيق كم منها ينسب الى اصلاح الري وكم منها ينسب الى غيره من الاسباب ولكن ليس الامر كذلك في المسألة التي نحن في صددها فان قلة الاطيان التي تتخلف شراقي في السنين التي يقصر فيها الفيضان ناتجة كلها عن مهارة رجال الري في نظارة الاشغال العمومية لا عن سبب آخر

خزَّانات النيل

كتب السر وليم غارستن ما يأتي

"ان كان انخفاض النيل قد اضرَّ بزراعة القطر المصري فقد افاد في انشاء خزَّان اصوان وخزان اسيوط . فقد تقدَّمت الاعمال في هذين الخزانين حتى اننا نثق بانهما يكونان تامين في فيضان سنة ١٩٠٢ اي قبل الميعاد بسنة . هذا اذا لم يحدث حادث غير منتظر يؤخر الاعمال فيهما . واهم ما تمَّ في خزَّان اصوان في العام الماضي انشاء اساسات السد في الفروع الثلاثة المعروفة بالباب الكبير والباب الصغير وباب الهرون فاقيمت سدود وقتية من الحجر حول هذه الفروع الثلاثة ونزع الماء منها بالطلبات ولكن وجدت الصخور السفلى فيها دون الصخور السطحية صلابةً فدعت الحال الى تعميق الحفر كثيراً ٤٩ قدماً و٥ عقد في الباب الكبير

(1) عدا ١٦١٧٨ من الاطيان الاميرية رفع مالها او نقص

و٣٦ قدماً و٣ عقد في الباب الصغير تحت سطح الشلال اي زيد العمق عما قدر له ٤٠ قدماً في الاول و ٣٠ قدماً في الثاني

"وطول سد الخزان ٢٠٠٠ متر وضع اساس ١٧٠٠ متر منها في سنة ١٩٠٠ و بلغ ارتفاع البناء الذي تمّ فوقهُ ٤ امتار فوق اوطإ منسوب الماء

"وجرى العمل في ١٣٠ عيناً من العيون وهي ١٨٠ وبُطنت ٢٠ عيناً منها بالحديد الظهر ولم يبقَ من اساس السد الا اساس الفرع الغربي . وتمّ في سنة ١٩٠٠ اساس الاهوسة وجدران اثنين منها ودعت الحال الى تعميق اساس الهويس الاول لرداءة صخره

"وتم في السنة الماضية ١٥٠٠٠٠ متر مكعب من البناء و ٥٠٠٠٠ متر مكعب في الحفر في الصخر

"وبلغت نفقات ما تم من السد ١٠٠٠٠٠٠ ج . م ومن ذلك ٦٥٠٠٠٠ ج . م انفقت سنة ١٩٠٠ وأعطي المقاولون ٤٤٠٠٠٠ ج . م لاجل اعمال ابتدائية ومواد وما اشبه

"وبلغ متوسط عدد العمال ١١١٤ من الاوربيين و٧٠٢٦ من الوطنيين والجملة ٨١٤٠

"وتقدم العمل في خزان اسيوط سنة ١٩٠٠ وسيكون طول قناطره ٨٣٣ متراً فوضع الاساس لمئتين واربعين متراً منها وتم اساس الهويس سنة ١٨٩٩ وكذلك تم سنة ١٩٠٠ من الفرش ما طوله ٤٥٢ متراً وأُعليت بغلات احدى وستين عيناً من العيون الى ما فوق منسوب الماء الصيفي . وأُريد اتمام العمل على عرض النهر كله ما دام الماء منخفضاً جداً ولكن المياه تغلبت على سد التراب الذي حول البناء وغمرته فدعت الحال الى توقيف العمل . وبقي من الفرش ٢٠ متراً لم تُمس و ٢١ متراً تحت العيون لم تتم تماماً . وبلغ مقدار ما تمّ من البناء والخرسانة حتى الآن ١٠٨٦٨٢ متراً مكعباً تمّ منها ٧١٤٤١ متراً مكعباً سنة ١٩٠٠ . وبلغ ما أُنفق حتى الآن ٥٥٨٤٥٨ ج . م وذلك يشمل الاعمال التمهيدية والادوات وثمن الاراضي . وبلغ الحفر والردم ١١١٠٦٣٠ متراً مكعباً واستعمل ١٧٥١٣٣٢ كيساً من الرمل وغرز في الارض ١٩٣٤ متراً طولاً من اوتاد الحديد الظهر . واستخدم في العمل ٣٨١ عاملاً من الاوربيين و بلغ عدد العمال الوطنيين حينما كانت تمسُّ الحاجة ١٢٥٠٠

"وقد خسرت الاشغال العمومية واعمال الخزانات بنوع خاص خسارة عظيمة بموت المستر ولسُن مدير الخزانات العام فانهُ كان مهندساً من الطبقة الاولى وكان محبوباً مكرَّماً من كل الذين يعرفونهُ [1]

"واشتغل فريق خاص السنة كلها في اعداد الرسوم اللازمة للاعمال التي يقتضيها تحويل

(١) وانا اشاركهُ في ما قالهُ عنهُ

اطيان كثيرة في الوجه القبلي من ري الحياض الى الري الصيفي ولا بدَّ من ان تتم هذه الاعمال وقت اتمام خزان اصوان حتى يُستفاد من زيادة المياه بهِ الفائدة المطلوبة . وقد اعطى صندوق الدين اعتماداً لهذه الاعمال مقدارهُ ٠٠٠ ٣٧٥ ج . م يصرف سنة ١٩٠١ "

وقدَّر اولاً ان نفقات خزاني اصوان واسيوط تبلغ مليوني جنيه . وكنتُ اميل حينئذٍ الى الظن بان النفقات تكون اكثر من ذلك نظراً الى كبر العمل فجاء الامر على حسب ما ظننت . والحق يقال ان تقدير النفقات كان صعباً جداً ولم يكن في الامكان ان يُعلم مقدار ما يجب ان يعمَّق الاساس في اصوان قبل الوصول الى صخر صلد . و يظهر مما قالهُ السر وليم غارستن في ما تقدَّم ان عمق الاساس زاد ثلاثين او اربعين قدماً عمَّا قدّر لهُ

ولا استطيع ان اقول الآن كم تزيد النفقات عمَّا قُدّر لها اولاً ولكن لا شبهة في ان هذا العمل يستحق النفقات التي تنفق عليهِ مهما بلغت لان فوائدهُ للبلاد لا يُبالَغ مهما قيل فيها . وكل من يرى هذه الاعمال يعجب بها ولو لم يكن على شيء من الخبرة في علم الهندسة والبناء ومهما زادت النفقات فلا ترتبك بها الخزينة المصرية . فان انشاء الخزان كان من المشاكل المالية كما هو من المشاكل الهندسية ولكن السهولة التي وُجدت بها الاموال الزائدة المطلوبة هذه السنة تشهد بالمهارة لمستر غورست في ادارة المالية المصرية

مساحة اماكن الشلالات

تقدَّم العمل في انشاء الخزانين تقدماً يأْذن بالبحث عن احوال النيل حتى اذا بقيت حاجة الى زيادة الماء يكون عند نظارة الاشغال العمومية ما يلزم من المعلومات لاعداد مشروع او اكثر من المشروعات التي تفي بالمراد . ومن اول ما يلزم لذلك البحث المدقق في وادي النيل جنوبي وادي حلفا حيث توجد الشلالات . وقد يقرُّ القرار على ان انشاء خزان آخر ليس بافضل ما يزيد بهِ ايراد الماء الصيفي بل الاولى ان يزاد بتعديل مخارج الماء من البحيرات الاستوائية و بحيرات بلاد الحبش او بفتح بحر الجبل او بعمل آخر كبير من هذا القبيل ولكن ليس من الحكمة ان يُقرَّ على قرار قبلما تُعرَف احوال النيل كلهِ تماماً . والعمل الحاضر تمهيديٌّ من هذه الجهة وفوائدهُ كثيرة من حيث معرفة احوال النيل والتحكم فيهِ ولو اتضح منهُ ان لا سبيل لانشاء خزان آخر

و يراد الآن مسح الجهات التي فيها الشلالات ومعرفة مناسيب وادي النيل وسيمضي مع المساحين مهندس جيولوجي . وعُيِّن لنفقات السنة الاولى ٢٠٠ ٤ ج . م . و يقدَّر ان هذا

العمل يقتضي ثلاث سنوات حتى يبلغ راس الشلال الثالث

القناطر الخيرية

انشئ الجبسان تحت القناطر الخيرية فتمّ اساسهما ولم يبقَ منهما الا إعلاء رأسيهما الى الحد الاخير الذي يراد اعلاؤهما اليهِ . وطول حبس فرع رشيد ٥٠٠ متر وقد شُرع فيهِ وأُتمّ سنة ١٩٠٠ وذلك مما يحق للماجور برون ورفيقهِ المستر بروك ان يفتخرا بهِ . وقد كان الشروع فيهِ في دسمبر سنة ١٨٩٩ فتم قبل فيضان سنة ١٩٠٠ اي في اواسط يوليو . وبلغ ما أُنفق على هذين الجبسين حتى الآن ٤٢١٠٠٠ ج . م أُنفق من ذلك ١٧٩٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ ولهذين الجبسين اليد الطولى في انقاذ موسم القطن سنة ١٩٠٠ فبواسطتهما امكن رفع منسوب الماء فوق القناطر الخيرية والاستفادة من الفيضان الى حدٍّ ما كانت القناطر الخيرية لتقوى عليهِ لولاهما لانهما خففا ضغط الماء عنها

قناطر زفتة

اذا تمّت هذه القناطر كانت تتمةً لخزاني اصوان واسيوط ويراد بها التحكُّم في توزيع المياه شمالي القناطر الخيرية لان الرياحات الآخذة من فوقها طويلة جداً لا تكفي لايصال الماء الى اطراف الوجه البحري الشمالية وقت قلتهِ

وستكون هذه القناطر من نوع الحبس مثل سد اسيوط يرتفع بها منسوب النيل ٣ امتار وقد قدرت نفقات عملها ٤٥٠٠٠٠ ج . م . منح صندوق الدين ٨٦٠٠٠ ج . م منها لاجل اعداد المواد اللازمة سنة ١٩٠١ وينتظر ان يتم هذا العمل حينما يتم الخزان

العونة

خرج ١٨١٦٦ رجلاً سنة ١٩٠٠ لحراسة جسور النيل مدة ١٠٠ يوم . وهذا العدد يزيد ١٠٧٧٨ عن عدد مَن خرج للعونة سنة ١٨٩٩ لان فيضان سنة ١٨٩٩ كان اوطأ ما ذُكر في تاريخ النيل . وخرج في الوجه البحري حينئذٍ اقل من ١٠٠٠ نفس

وخيف مرةً من ان فيضان سنة ١٩٠٠ يكون عالياً جداً ولما ثبت انهُ لا يكون كذلك كان انفار العونة قد خرجوا واقاموا على الجسور . فان النيل علا باكراً واسرع في فيضانهِ وظهر في اغسطس انهُ سيجري على القاعدة العامة وهي ان الفيضان الواطئ جداً يعقبهُ فيضان عالٍ

جدًا ولذلك دُعي رجال العونة ابكر مما كانوا يدعون عادةً فكثر عددهم ولا يحتمل ان يقع هذا الخطأ مرةً أخرى لان مقاسات الخرطوم عن سنة ١٩٠٠ معروفة كلها الآن فيعلم منها في المستقبل كيف يكون الفيضان ولم يكن ذلك ممكنًا في العام الماضي

وقد ابنت مرارًا ان خروج الناس لحفظ الجسور الآن لا يقاس بما كان يحدث قبل بضع سنوات حين كانت الترع تطهر بالسخرة . وحفظ جسور النيل الآن لا يكلف الناس مشقة عظيمة ولكن تسخيرهم لا يسلم من الاعتراض مهما كان سببهُ . واذ قد تمَّ الآن ما هو اهم منهُ من المسائل الخطيرة لاق ان ينظر فيهِ لعلهُ حان الزمن لالغاء آخر اثر من آثار نظام فاسد

وفي الغاء العونة تمامًا مصاعب مالية وادارية والبحث جارٍ فيهِ بالدقة ولا يمكنني ان اقول حتى الآن هل يمكن الغاؤها تمامًا او لا يمكن ولكن يحتمل ان يُحَلَّ هذا المشكل باقامة عصابات من العمال في اماكن مختلفة على جسور النيل والوصل بينهم بالتلفون فانهُ يحتمل ان يكون من وراء ذلك اقتصاد كثير في العمل

المصارف

أُنفق نحو ٢١٤٠٠٠ ج . م على اعمال المصارف في السنة الماضية حفر بها ١٩٣ كيلو مترًا من المصارف الجديدة واصلح ١١٦ كيلو مترًا من المصارف القديمة

وقد بلغ ما حفر من المصارف الجديدة في السنوات الاربع الماضية ٩٣٨ كيلو مترًا وما اصلح ٩١٨ كيلو مترًا والفضل في ذلك لصندوق الدين الذي جاد بالاموال اللازمة . وقد بلغ ما انفق على هذه المصارف في السنوات الاربع الاخيرة ٩٢٨٠٠٠ ج . م

وما يرى الآن من السهولة في جمع الاموال الاميرية سببهُ الاكبر الانفاق على المصارف وقد ارتفع ثمن الاطيان التي انتفعت بها كثيرًا

مصارف الاسكندرية

نيط عمل المصارف في الاسكندرية بمحل ايطالي من المقاولين المشهورين فاقتصر عملهُ في سنة ١٩٠٠ على اعداد المعدات اللازمة وينتظر ان يشرع في عمل جدار الرصيف الجديد سنة ١٩٠١ فيشمل مساحة كبيرة مما يغمرهُ ماء البحر الآن وتصب البواليع وراءها . وهذه الاعمال تحت ادارة مجلس الاسكندرية البلدي

ماء الاسكندرية

اشرت عند الكلام على ماء الاسكندرية في تقريري السابق الى الاهتمام بثقب الارض

شمالي مديرية البحيرة . حتى اذا وُجد الماء الغزير هناك حفرت فيهِ آبار واقيمت فوقها طلمبات تخرج الماء منها وترسلهُ الى الاسكندرية في انابيب من الحديد فيكتفى بهِ عن انشاء مرشحات كبيرة كثيرة النفقة مما يقتضيهِ كل مشروع من شأنهِ جرّ الماء الى المدينة من ترعة المحمودية فنقبت الارض ولكن وجد ماؤها مشوبًا بالملح فلم يبقَ سبيل الاَّ الرجوع الى ماء الترعة. ويُرى الآن ان يُرفع الماء منها بالآلات الرافعة الى حياض كبيرة ثم يجري في انابيب من الحديد الظهر الى المرشحات . ولم يتم تفصيل هذا المشروع حتى الآن والمرجح ان نفقاتهِ تبلغ ١٠٠٠٠٠ ج٠م

ماء طنطا

تمَّ توزيع الماء في طنطا ولكن لا تزال الصعوبة شديدة في جعل الاهالي يقلعون عن اوهامهم ويشربون الماء النقي بدل الماء القذر الذي يستقونهُ من الترعة . والسبب الاكبر لذلك ان السقائين الذين ينقلون الماء الى البيوت في كل مدن مصر يفضلون غالبًا اخذ الماء من الترعة حيث يستقونهُ مجانًا على اخذهِ من الشركة اذ يضطرون ان يدفعوا لها ثمنًا قليلاً عن كل قربة فيشيعون عن مائها اشاعات غير موافقة يصدقها البسطاء من السكان . ولا بدَّ من ان تزول هذه الاوهام مع الزمان . وقد كانت الشركة تخسر اولاً اما في العام الماضي فعادل دخلها نفقاتها

وقد وزّعت ٢٦٧٥٠٨ مترًا مكعبًا من الماء سنة ١٩٠٠ اخذت الحكومة منها ٤٨٨٠ مترًا وما بقي وهو ٢٠٨٣٠٥ اخذهُ السكان واضيف ٣٠٠٠ متر من الانابيب الى ما مُدَّ منها في الشوارع و ٨٠٠٠ متر الى ما مدَّ منها في البيوت وانشئ ١٢ مستقى لبيع الماء و ٤ مستقيات يوزع منها الماء مجانًا و ١٩٧ حنفية لاطفاء النار اطفئ بها ٣٠ نارًا شبَّت في طنطا سنة ١٩٠٠

وللخواجات سوارس وشركائهم منشئي هذا العمل فضل كبير لاجل الهمَّة التي بذلوها لاتمامهِ والصبر الذي تدرَّعوا بهِ في التغلُّب على ما لقوهُ من المصاعب والمقاومات . وعسى ان يكلل سعيهم بما يستحقهُ من الربح المالي

شوارع القاهرة

اتجهت الانظار حديثًا الى حالة شوارع العاصمة . ولا استطيع ان ابحث بالاسهاب في تقرير مثل هذا عن موضوع اهميتهُ محلية ولكنني اشير الى الامور الجوهرية التي يجب ان ينظر فيها وابين بالاختصار المصاعب التي تقف في طريق الاصلاح . ولا شبهة في انهُ تمَّ تحسن

كثير في غضون السنة الماضية او السنتين الماضيتين بهمة المستر ارنلد بري . ولا شبهة ايضاً في انهُ يجب ان يعمل شيءٌ كثير ايضاً قبلما يقال ان شوارع القاهرة من حيث الكنس والتبليط والتنوير صارت في حالة راضية

وتبلغ مساحة الشوارع في القاهرة ٢٧٨١٧٤٢ متراً مربعاً المرصوف منها بالحصى ١٣٦١٠٢٤ متراً مربعاً وما بقي شوارع غير مستوية وجدت منذ مئات من السنين

ونفقات رصف الشوارع اقل مما هي في كل مكان فانها ١٧ جنيهاً وربع جنيه لكل الف متر مربع وفي المدن الاوربية من ٣٢ جنيهاً الى ٣٤ جنيهاً. والمانع من رصف الشوارع كلها في القاهرة قلة وجود النقود اللازمة فان رصف الشوارع غير المرصوفة يقتضي على ما بلغني ٣٠٠٠٠٠ ج . م ثم يقتضي ترميها ٥٠٠٠٠ ج . م كل سنة

والتجارب جارية الآن في الاسفلت المنضغط فان نظارة الاشغال تنظر في مشروع مآلهُ رصف الشوارع المهمة بهِ لانهُ ابقى على الاستعمال من الحصى ولو كانت نفقات الرصف بهِ اكثر من نفقات الرصف بالحصى . ومن المحتمل ان يُوصل بهِ الى حل هذه المشكلة وهي زيادة الشوارع المرصوفة من غير زيادة في النفقات السنوية

ومسألة كنس الشوارع مالية من جهة وادارية من اخرى فان السكان يطرحون فضلات بيوتهم في الشوارع يومياً فلا يسهل تنظيف الشوارع ما لم يمنعوا من ذلك ومصلحة الكنس والرش لا تستطيع منعهم

و ١٧٠٨٥٤٥ متراً مربعاً من شوارع مساحتها ٢٧٨١٧٤٢ تكنس وترش مرتين كل يوم فهي ٦١ في المئة من الشوارع كلها ولا يتم ذلك الاَّ بالاقتصاد الكثير الدقيق . واضيف الى ميزانية مصلحة الكنس والرش ٣٠٠٠ ج . م في خريف ١٩٠٠ لكي يسهل عليها رفع الفضلات من احياء الوطنيين مرةً كل اربعة ايام وهذا الاصلاح يخفف الضرر ولو لم يزلهُ فان الوطنيين يطرحون فضلات بيوتهم يومياً في الشوارع ويستعملون كثيراً من هذه الشوارع كالمراحيض ومصلحة الكنس والرش عاجزة عن منعهم . وهم في الاحوال الحاضرة إما ان يفعلوا ذلك او يتركوا الاقذار والفضلات في بيوتهم

ويطرح من البيوت يومياً ما يزن ٩٠٠ طن ترفع منها مصلحة الكنس والرش ٣٥٦ طناً كل يوم وخدمة الحمامات ٢٢٦ طناً وما بقي يترك في الشوارع

ولا بدَّ من ان يبقى جانب كبير من المدينة قرارةً للاقذار الى ان ينشأ فيها كلها مراحيض عمومية ويدبَّر المال اللازم لتنظيف الشوارع كلها مرةً في اليوم على الاقل

امطرت السماء يوماً في فبراير سنة ١٩٠٠ فاضطر عمّال مصلحة الكنس والرش ان يبذلوا جهدهم اربعة ايام بلياليها حتى نظفوا الشوارع وقد رفعوا منها ١٢٥٢٨ طناً من الماء والطين . ولدى الحكومة مشروع عن نزح شوارع القاهرة نزحاً سطحياً وهي تنظر فيهِ الآن[1]

وفي الشوارع ٣١٧١ مصباحاً من مصابيح الغاز وهي نصف ما تحتاج اليهِ وتبلغ نفقاتها ٢١٤٤٠ ج . م سنوياً

وقد شاع استعمال النور الكهربائي كثيراً في غضون السنة الماضية ففي ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٩٩ كانت المصابيح الكهربائية كلها مساوية لثلاثة وثلاثين الفاً وخمس مئة مصباح كلٌّ منها مثل ثماني شمعات وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٠ بلغ عدد المصابيح ٤٨٠٠٠ اي انها زادت ٤٣ في المئة . وقد اخذ اهل الثروة من المصريين في اضاءة منازلهم بالنور الكهربائي . ووضعت الاسلاك الكبرى والثانوية تحت الارض

واقول اخيراً ان عدد الذين ينتقلون بمركبات الترامواي الكهربائي يبلغ الآن ٤٠٠٠٠ يومياً وقد كان ٢٧٠٠٠ سنة ١٨٩٩ اي ان صبعة في المئة من السكان ينتقلون بالترامواي فلا شبهة في انهُ وفى بحاجة من حاجات الجمهور الكبرى . وطول الخطوط التي تجري عليها المركبات الآن ٣٥٦٠٠ متراً ولا يزال ١٥٠٠٠ متراً منها خطاً مفرداً . وقد فتح خط الخليج وهو يصل بين اهم شوارع الوطنيين واكثرها ازدحاماً وفتح كذلك الخط الذي يصل بين كبري قصر النيل والاهرام

مراقبة الآلات البخارية

صادقت المحاكم المختلطة على قانون اعطاء الرخص بالآلات البخارية من كل الانواع بعد ان حوّرتهُ نظارة الاشغال العمومية . فان القانون الاول كان مشحوناً بالمتناقضات وكانت مخالفتهُ سهلة لان موادهُ مبهمة يعسر تفسيرها غالباً فزادت سلطة قسم الهندسة بالمصادقة عليهِ وصار من الممكن منع اصحاب الآلات البخارية من تشغيلها اذا كانت في حالة يخشى منها على الجمهور . وقد نجحت مراقبة الآلات سنة ١٩٠٠ بنوع عام . وطُلب ١٥٣ رخصة فاعطيت ٨٩ رخصة . وذهب المفتشون ٢٠٩ مرات لتفتيش الآلات البخارية فوجدوا مئة آلة وآلة منها في حالة غير راضية

وقد صلحت حال الآلات عموماً واخذ اصحابها يرون ما يجب عليهم من الاقتصار على احماء القزانات الى حد لا يخشى معهُ الضرر . ولم ينفجر الاَّ قزان واحد سنة ١٩٠٠

(١) وقع مطر غزير بعد كتابة ما تقدَّم فدلَّ على شدَّة الحاجة الى هذه المصارف

مساحة الاطيان

تقدمت اعمال المساحة كثيرًا في العام الماضي وستتم مساحة مديرية الجيزة والغربية في آخر سنة ١٩٠١ . وشُرع في مسح الفيوم وهي المديرية الاولى التي سبق فيها قياس المثلثات المساحة العادية . وقياس المثلثات جارٍ الآن في الدقهلية والقليوبية ويعاد الى استخراج المساحات بالتفصيل في سنة ١٩٠٢

اما المساحة العادية فتتم الآن باسرع مما كانت تتمّ به قبلاً لزيادة خبرة المساحين

وبيع من الخرائط سنة ١٩٠٠ مضاعف ما بيع سنة ١٨٩٩ واكثر الشارين من اصحاب الاطيان القليلة الذين يودون ان يكون عندهم رسم املاكهم

الارصاد الجوية

أُصلح مرصد العباسية اصلاحًا عامًا في السنة الماضية والآلات المتيورولوجية ترصد بها الاحداث الجوية الآن رصدًا مطّردًا

وتقع كرة الوقت في بورت سعيد الظهر كل يوم بمجرىً كهربائي يرسل من مرصد العباسية والمنتظر ان كرة القاهرة وكرة الاسكندرية تصيران كذلك في اوائل سنة ١٩٠١

وجُعل الوقت المدني للقطر المصري كله الدرجة ٣٠ شرقي غرينوتش بدلاً من استعمال اوقات مختلفة في اماكن مختلفة

وتؤخذ الارصاد الجوية الآن في ثمانية مراكز بين الاسكندرية وام درمان . وترسل اخبارها بالتلغراف الى القاهرة الساعة ٨ صباحًا فتطبع وتنشر . وتم الاتفاق حديثًا على تبادل هذه الانباء البرقية الساعة الثامنة صباحًا كل يوم بين الاسكندرية ومالطة وبرندزي وتريستة واثينا وتنشر هذه التلغرافات في مينا الاسكندرية ومينا بورت سعيد لفائدة الجمهور

وتطبع الارصاد الجوية كل شهر وتنشر . وستنشر قريبًا نتائج اعمال مرصد العباسية اما الارصاد التي كتبت سنة ١٨٩٩ ومتوسط ارصاد الثلاثين سنة الماضية فقد طُبعت وستنشر قريبًا

وتقيد الايام الماطرة ومقدار المطر بالتقريب في الرصيرص وفشودا وود مدني وكسلا لان ليس فيها مقاييس مدققة للمطر حتى الآن واما ام درمان ففيها كل الادوات اللازمة للارصاد الجوية ولا يمضي وقت طويل قبلما تقام مراصد للاحداث الجوية في اماكن مختلفة على البحر الازرق والابيض

وقد دُبّر المال اللازم لنقل مرصد العباسية الى حلوان على ١٥ ميلاً من القاهرة وسيشرع في البناء في اوائل سنة ١٩٠١

وارسلت مقاييس الحرارة الى مشرع الرق في مديرية بحر الغزال لكي تراقب هناك يومياً

المساحة الجيولوجية

اشتغل المسّاحون الجيولوجيون في جمع نتائج السنوات الثلاث الماضية . وستنشر قريباً التقارير عن الخارجة والداخلة والفرافرة من الواحات وقد أُعدّت خمسة تقارير أُخرى للطبع والعمل جارٍ في رسم الخرائط وسينشر بعضها قريباً

وبنى الآن متحف جيولوجي والمرجح انهُ يتمّ قبل آخر السنة وقد بلغ ما أُنفق عليهِ حتى آخر السنة الماضية ٢٧٠٠ ج . م

الجيش والبوليس

غُيّرت شروط الانتظام في الجيش والبوليس تغييرًا مهمًّا في ختام السنة الماضية فان الخدمة العسكرية تُطلَب من كل مصري حينما يبلغ التاسعة عشرة من عُمرهِ ولا يستثنى من ذلك الاَّ من استثناهُ القانون لاسباب خصوصية لكن لا يستنتج من ذلك ان المصريين كلهم ينتظمون في الجيش لان الذين يبلغون سن القرعة كل سنة هم اكثر كثيرًا من الذين تدعو الحال الى تجنيدهم

وكانت الخدمة العسكرية خمس عشرة سنة مقسومة هكذا

ست سنوات في الجيش العامل (النظام)

خمس سنوات في البوليس او فرع آخر من فروع الحكومة

خمس سنوات في الاحتياطي (الرديف)

فلما استتبّ الامن في السودان صار في الامكان تقليل الجيش المصري ٥٥٠٠ من الضباط وصف الضباط والانفار ولذلك أُنقصت مدة الخدمة وجعلت عشر سنوات خمساً منها في الجيش العامل وخمساً في البوليس او الرديف وقد سُرَّ المصريون عموماً بتقليل مدة الخدمة العسكرية

الجنايات

زادت الجنايات زيادة قليلة سنة ١٩٠٠ عما كانت عليهِ سنة ١٨٩٩ وذلك مما يوجب البحث الدقيق فقد كان عدد الجنايات في السنوات الاربع الماضية كما يرى في هذا الجدول

السنة	القتل	السرقات بظروف	جنايات اخرى	المجموع
١٨٩٧	٤٣٠	٣٧٨	٦١٦	١٤٢٤
١٨٩٨	٤١٤	٣٤٤	٥٨٤	١٣٤٢
١٨٩٩	٢٧١	٢٦٠	٦٢٠	١٢٥١
١٩٠٠	٤١٩	٢٩٣	٧٨٥	١٣٨٩

ويظهر من ذلك ان الجنايات الكبيرة قلَّت رويدًا رويدًا من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٨٩٩ ثم زاد مجموع الجنايات سنة ١٩٠٠ عما كان سنة ١٨٩٩ مع انهُ بقي اقل مما كان سنة ١٨٩٧ وسنة ١٨٩٨ واكثر الزيادة في حوادث القتل والسرقة بظروف . وفي ما سوى ذلك فالجنايات اقل مما كانت في السنين السابقة ·

والظاهر ان عدد الجنايات قلَّ كثيرًا على غير المعتاد سنة ١٨٩٩ لاسباب يعسر ايضاحها . ولم يرجح في بداءة سنة ١٩٠٠ ان تستمرَّ هذه القلة ولو كانت الاحوال كلها على ما يرام

ولا يُعلَم سبب عام لكثرة حوادث القتل . ومما يذكر بالاسف ان هذه الحوادث كثيرة في مصر اكثر منها في شمالي اوربا ولكن بلغني انها اقل في مصر منها في ايطاليا فانها هنا ٤ لكل مئة الف من السكان واما في ايطاليا فستة لكل مئة الف

واسباب القتل في القطر المصري هي في الغالب الاخذ بالثار والعداوة والدفاع عن العرض . فان البدو وسكان الوجه القبلي يرتأُون غالبًا انهُ يجوز لهم بل يجب عليهم ان يقتصوا بيدهم من كل من يثلم عرض ابنة من بناتهم او امرأة من نسائهم . ولذلك فالزيادة التي ظهرت في العام الماضي في حوادث القتل ما هي الاَّ امرٌ عرضيٌّ حدث لاسباب عرضية

اما كثرة حوادث السرقة بظروف فادعى الى إعمال الفكرة اذ يحتمل انها تدلُّ على وجود سبب عامّ يدعو الى ازدياد الجنايات . ولكن حوادث السرقة باكراه التي كانت عصابات اللصوص ترتكبها وكانت شائعة في القطر المصري قلَّت في العام الماضي على حسب ما قلت قبلاً كما يُرى في هذا الجدول

١٨٩٨	٢١	حادثة
١٨٩٩	١٧	"
١٩٠٠	١٢	"

وقد بلغت هذه الحوادث ٥١ سنة ١٨٩٦ فقلتها في العام الماضي مما يسرُّ ذكرهُ

اما الجنح فكان عددها في السنوات الاربع الماضية على ما يُرى في هذا الجدول

السنة	سرقة	اعتداء	باقي الانواع	المجموع
١٨٩٧	١١ ٨٠٣	١٣ ٨٣٢	١١ ٢٧٤	٣٦ ٩٠٩
١٨٩٨	١٢ ٦٧١	١٤ ١٦٠	١٠ ٩٢٩	٣٧ ٧٦٠
١٨٩٩	١٢ ٤٩٦	١٥ ٤٦٤	١١ ٧٥٣	٣٩ ٧١٣
١٩٠٠	١٣ ٧٧٨	١٨ ٣٣٨	١٢٥٧٥	٤٤ ٦٩١

ولا اظن انهُ يعلَّق شأن كبير على ازدياد عدد السرقات وبقية انواع الجنح فان هذا الازدياد ناتج على الارجح من ان المصريين صاروا يلجأون الآن الى المحاكم اكثر مما كانوا يلجأون اليها قبلاً . ثم ان البوليس زاد انتباهاً فلم يعد يغفل ما يراهُ من الحوادث

اما حوادث السرقات البسيطة فاختلفت كثيرًا في هذه السنوات الاربع فزادت ٨٦٨ في سنة ١٨٩٨ عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٧ ونقصت ١٧٥ سنة ١٨٩٩ عما كانت عليهِ سنة ١٨٩٨ ثم زادت ١١٠٧ سنة ١٩٠٠ عمَّا كانت عليهِ سنة ١٨٩٨

فاذا اعتبرنا ذلك واعتبرنا ايضاً ما تقدَّم من ازدياد عدد السرقات بظروف على ما ذُكر قبلاً ترجَّح وجود سبب عام دعا الى زيادة هذه الجريمة سنة ١٩٠٠ واظنهُ قلة المحصول بسبب انخفاض النيل سنة ١٨٩٩ . فانهُ بقي ٢٥٠٠٠٠ فدان من غير زرع رغماً عما بذلهُ رجال الري من الهمة والعناية وبقاؤها كذلك لا بدَّ من ان يلحق الفاقة بكثيرين ولو رُفعت الضرائب عنها ووجد سبيل لتشغيل كثيرين من الفقراء في اسيوط واصوان . والفقر والحاجة يسهلان ارتكاب الجرائم ولا سيما السرقة

وقد قال المستر كوربت النائب العمومي في الحكومة المصرية بعد ان راجع هذه الحوادث ما يأتي " وبنوع عام لا اظن ان الزيادة في عدد الجنايات والجنح في هذه السنة يدعو الى انشغال البال " وارى انهُ مصيب في ما استنتجهُ . فان كنت مصيباً في نسبتي هذه الزيادة حديثاً الى سبب وقتي فيُرجى ان يكون ما حدث وقتياً ايضاً وان عدد الجنايات يقلُّ هذه السنة

ومما يذكر في هذا الصدد ان دس السم للمواشي (وهو جريمة شائعة في بلدان المشرق) شائع في القطر المصري ايضاً . وقد بلغني ان نظارة الداخلية تنظر الآن في زيادة المراقبة على بيع السموم سواء باعها الوطنيون او الاوربيون

السجون

وُجد السبيل لخطوة مهمة في اصلاح السجون وهذا مما يسرُّني ذكرهُ . فقد كان العيب

الاكبر في السجون المصرية ضيقها فان ازدحام المسجونين في السجون الضيقة يدعو الى تفشي الامراض بينهم كما لا يخفى على من يلتفت الى هذا الموضوع . وكان معدَّل الوفيات في السجون المصرية في السنوات العشر قبل سنة ١٩٠٠ اكثر مما يجب ان يكون وكان السلُّ يفتك بكثيرين وهو مسبب عن الازدحام وفساد الهواء على ما بلغني . وقد وسعت السجون رويدًا رويدًا في السنوات الاخيرة ولكنها لم توسع بالسرعة المطلوبة لقلة المال ولكن أُنفق على توسيعها ٣٥٠٠٠ ج . م سنة ١٩٠٠ فبلغ ما أُنفق في السنوات الثلاث الاخيرة ٨٨٠٠٠ ج .م . وابيح لمصلحة السجون ان تنفق ٣٠٠٠٠ ج . م في السنة الحاضرة وهي تبني الآن سبعة سجون جديدة وقد وضعت المسجونين في ستٍّ منها منذ السنة الماضية . وظهرت نتيجة ذلك حالاً فقلَّ معدَّل الوفيات من ٣١ في الالف سنة ١٨٩٩ الى ٢٣ في الالف . ولا يكاد احد يرتاب في ان معدَّل الوفيات يقلُّ ايضاً اذا أُنقذ المسجونون من نتائج النظام القديم . كتب كولس باشا يقول " لقد وُسعت السجون حتى لم يبقَ شيء من الازدحام في السجون المركزية الكبيرة ولا يعلم مقدار الاصلاح الذي نتج عن بناء هذه السجون الجديدة الاَّ الذين عرفوا السجون المصرية القديمة . وسينسى كل احد بعد زمن قصير ان السجون القديمة كانت موجودة "

ومن العيوب الكبيرة ايضاً ان كثيرين من المسجونين كانوا يأكلون طعاماً يأتيهم به ذووهم . ولا يخفى ما يُعترَض به على هذا الاسلوب ومن ذلك انهُ يجعل انقياد المسجونين صعباً ان لم يكن محالاً . ومن الواضح ان الحكومة مضطرة الى اطعام المسجونين كلهم ولكن قلَّة المال اضطرتها ان ترجئ ذلك الى فرصة اخرى

وفي سجون القطر المصري المركزية ٦٣٠٠ مسجون تبلغ نفقات طعامهم اكثر من ٢٥٠٠٠ ج . م في السنة . ولمَّا وُضعت الميزانية لهذه السنة عُين فيها ١٨٠٠٠ ج . م لطعامهم وينتظر ان يكتسبوا بعملهم ٧٠٠٠ ج . م فيفي ذلك بنفقات طعامهم وهذه اول مرة أُطعم فيها المسجونون كلهم على نفقة الحكومة

ونقح قانون عقوبات المسجونين فان القانون القديم الذي سنَّ سنة ١٨٨٤ كان ناقصاً جدًّا وقد عدِّل من وقت الى آخر باوامر مختصرة او بقرارات وزارية لكن هذه التعديلات ولا سيما الاخيرة منها اوقعت بعض الاشكال . واعترض رجال الحقانية على نظارة الداخلية لوضعها اوامر لا مسوّغ لها في القانون

اما القانون الجديد فنظرت فيهِ لجنة مختلطة عدة اشهر وقد بقي فيهِ كثير من القانون الاهلي الفرنسوي وادخلت فيهِ تغييرات كثيرة مبنية على قانون السجون الانكليزي والهندي

فكانت النتيجة انهُ صار اسهل استعمالاً من القانون الاول وحدّدت فيهِ المسأولية تحديدًا جليًا

واتبع القانون الهندي في تقسيم المجرمين الى محبوسين ومسجونين فالذين يحكم عليهم بالحبس لا يشغلون الأ الاشغال التي تقتضيها خدمة السجن

وفي تقرير المستر مكلريث عن احوال القضاء في العام الماضي تفصيل اوسع عن التغييرات التي أُدخلت في هذا القانون

واذا قلنا ان اصلاح السجون قد تمَّ تماماً نكون قد بالغنا في ذلك ولكن من المؤكد ان ادارة السجون صارت اصلح كثيرًا مما كانت حتى الآن وقد تدعو الحال الى اصلاحات اخرى صغيرة ولكن كل المساوىء الفاضحة التي كانت في النظام القديم قد زالت الآن

سجن الاحداث

سجن الاحداث في القاهرة على ما يرام من كل وجه وادارتهُ تعود بالمدح على كولس باشا والمستر بوب المدير الذي يقيم فيهِ ويقضي وقتهُ كلهُ في تهذيب احداثهِ . وهو اشبه بمدرسة منهُ بسجن يتعلم فيهِ الاولاد القراءة والكتابة والحساب ويمرَّنون على الحركات العسكرية وعلى النظافة التامة . وقد اضيف اليهِ اماكن يعلم الاحداث فيها بعض الصنائع البسيطة وأُنشئت منهم فرقةموسيقية . واذا مضى على الاحداث بضعة اشهر لاختبارهم ابيح لهم الخروج من السجن في فسحات يقيمون فيها خارجاً نصف يوم فلم يسيئوا استعمال هذه الفسحات الأ مرة واحدة . وابيح لاربعة وخمسين ولدًا منهم في العام الماضي الى يمضوا الى بيوتهم وهذه اول مرة ابيح لهم ذلك والذين بيوتهم بعيدة دفعوا اجرة سكة الحديد ولما انتهت مدة المسامحة عادوا كلهم من تلقاء انفسهم

ويعطى كل ولد مليماً كل يوم واذا احسن سلوكهُ زيد راتبهُ حتى يبلغ اربعة مليمات في اليوم ويسمح لهُ بان يصرف ما يكتسبهُ واما النصف الآخر فيحفظ لهُ ويعطاهُ حينما يخرج من السجن

واحداث المصريين نبهاء والمرجح انهم انبهُ من اكثر الاحداث الاوربيين الذين من سنهم وقيادهم سهل وكذلك جريهم على مقتضى الحال ولذلك لا يستغرب انهم استفادوا كثيرًا مما لقوهُ من التهذيب والتدريب في سجن الاحداث . ولكن لا يمكن بت الحكم في نجاح هذا العمل الأ بعد ان يُعلَم مصير الذين اتموا مدة اقامتهم في هذا السجن وخرجوا منهُ . وقد خرج منهُ حتى الآن ٣٩ ولدًا ويقال ان ٢٨ منهم سائرون سيرًا حسنًا وخمسة عادوا الى السجن

ثلاثة منهم لاجل الخصام واثنان لاجل السرقة . ولا يعلم حال الستة الباقين

ولا يدخل سجن الاحداث الآن الأ الذين حُكم عليهم لكن كولس باشا يرجو ان يوسع سلطة القانون حتى يشمل الاولاد المتشردين الذين يجولون الآن في شوارع المدن الكبيرة

الحشيش

تمَّ اصلاح كبير في العام الماضي في مصلحة خفر السواحل لمنع ادخال الحشيش على قدر الامكان

وبلغ مقدار الحشيش الذي ضُبط في العام الماضي غربي الاسكندرية ٨٠١٣ كيلوغراماً (٨ اطنان) ضبط ٤٣٥٤ كيلوغراماً منها وهي منقولة في الصحراء الى النيل وقبضت جوَّالات خفر السواحل على باخرة وسكونة فيهما ٣٦٥٩ كيلوغراماً

وينتظر انشاء محطة لخفر السواحل هذا العام في السلوم على ٢٤٠ ميلاً غربي الاسكندرية عند الحد بين القطر المصري وطرابلس الغرب وحينئذٍ ينشأ حرس من الهجانة فتتم سلسلة الخفر بين الاسكندرية وآخر حدود القطر المصري غرباً

وقد عينت نظارة الداخلية ومصلحة خفر السواحل لجنة مختلطة للبحث في مسألة قبائل البدو النازلين في صحراء ليبية وعليهم الاعتماد الاكبر في تهريب الحشيش وحملهم على مساعدة الحكومة في منع التهريب فجُعل عشرة من اشهر رجالهم مشايخ وأُعطوا بعض السلطة ويرجى ان تشتد الروابط بذلك بين البدو ومصلحة خفر السواحل لمنع التهريب

ومما يستحق الذكر ان الذين دلُّوا على آخر كميتين من الحشيش صودرتا في الصحراء هم من هؤلاء البدو

وبلغ كل الحشيش الذي ضبطتهُ مصلحة خفر السواحل في العام الماضي في القطر المصري كلهِ ١٣٥٥٥ كيلوغراماً والذي ضبطهُ البوليس ١٥٦٦ كيلوغراماً والذي ضبط في الجمارك ٥٠٤ كيلوغرامات والمجموع ١٥٦٢٥ كيلوغراماً فهو يزيد كثيراً عمَّا ضبط سنة ١٨٩٩ ومقدارهُ ٦٤٧٢ كيلوغراماً و يزيد ٥ اطنان عما ضبط في اي سنة من السنين السابقة

و يظهر من احصاء الدكتور ورنوك ان الذين دخلوا مستشفى المجاذيب في العباسية والحشيش سبب جنونهم عددهم آخذ في التناقص ولو قليلاً . ففي سنة ١٨٩٨ كانوا ٢٨,٣ في المئة من كل الذين دخلوا المستشفى فصاروا ٢٧,٥ في المئة سنة ١٨٩٩ و٢٥,٣ في المئة سنة ١٩٠٠

وقال الدكتور ورنوك ان النقص في عددهم اكثر مما يظهر من هذه الارقام لان بعض الذين داؤهم مزمن من فعل الحشيش قد أُخرجوا من المستشفى لكي يسع غيرهم من الذين في حالة ذات خطر ثم أُعيد بعض الذين أُخرجوا لانهُ تعذر حفظهم في بيوتهم

فمن ٥٠٦ من الذكور الذين دخلوا المستشفى سنة ١٩٠٠ كان ٤١ جنونهم مزمن ناتج من فعل الحشيش يقابل ذلك ٢١ من ٤٥٤ دخلوا المستشفى سنة ١٨٩٩

وسهل عمل البوليس بقانون جديد صادقت عليهِ المحاكم المختلطة فانهُ لم يكن يستطيع اقفال قهوة من قهاوي الحشيش ما لم يُحكَم على صاحبها ثلاثاً في سنة اشهر اما الآن فيمكن ان يحكم على صاحبها بحبس سبعة ايام ويغرَّم الى حد جنيه ويمكن اقفال كل محل عمومي سمح صاحبهُ باستعمال الحشيش فيهِ اقفالاً وقتياً واذا أُقفل كذلك ثلاث مرات او ثبت ان صاحبهُ باع الحشيش او قدمهُ لغيرهِ امكن اقفالهُ اقفالاً دائماً . وهذا قوى عزائم البوليس على القيام بما يطلب منهُ فحكم بالغرامة على ١١٤٩ شخصاً سنة ١٩٠٠ ولم يحكم الاَّ على ٩٠٢ سنة ١٨٩٩ واقفل ٩٧٥ محلاً سنة ١٩٠٠ ولم يقفل سوى ٣١٠ سنة ١٨٩٩. ولا يكاد يرجى ان يمنع استعمال الحشيش في القطر المصري منعاً تاماً لاسباب ذكرتها في تقاريري السالفة ولكن الوسائل التي استخدمت لتقليل استعمالهِ صارت الآن افعل كثيراً مما كانت قبلاً . ونتائجها تعود بالمدح على البوليس

الحج

يهتمُّ سكان القطر المصري المسلمون اهتماماً شديداً بكل ما يتعلق بالحج لاسباب لا تخفى على احد . ويهتم غيرهم بهِ ايضاً في هذا القطر وفي غيرهِ من الاقطار لانهم يودون ان يعود الحجاج من الحجاز وليس معهم شيء من عدوى الامراض المعدية ولذلك يحسن بي ان اسهب الكلام في هذا الموضوع ولو قليلاً

لم تتعرَّض الحكومة المصرية لامور الحجاج الاَّ حديثاً فكانوا يمضون الى مكة ويعودون منها كما يشاؤُون خاضعين لقوانين مجلس الصحة والكورنتينات . ولا شبهة في انهم كانوا يلاقون اشد المشاق احياناً كثيرة . وكانت الحكومة تضطر كل سنة في ختام زمن الحج ان ترسل بعض بواخرها الى جدة لترجع كثيرين من الحجاج الوطنيين الذين لا يستطيعون ان يدفعوا اجرة رجوعهم . فلما باعت بواخرها في اوائل سنة ١٨٩٨ رأت ان لا بدَّ لها من النظر في امر الحجاج فاقرَّت اولاً على انهُ لا يباح لاحد ان يذهب الى الحج ما لم يكن معهُ جواز من الحكومة ولا يعطى هذا الجواز الاَّ اذا دفع ١٥٦ غرشاً صاغاً مئة غرش منها لطعامهِ وشرابهِ مدة اقامتهِ

في محجر الطور وخمسين غرشاً رسوم الكورنتينا والباقي وهو ستة غروش نفقات انزاله . واقرّت ثانياً على انهُ لا يجوز لاحد ان يسافر بحراً قاصداً الحج ما لم يكن معهُ تذكرة ذهاب واياب . الاّ ان البعض اعطوا تذاكر ذهاب واياب من غير ان يكونوا قادرين عن ارجاع الحجاج الذين سافروا بهم ولذلك خطت الحكومة خطوة اخرى سنة ١٨٩٩ واشترطت على طالبي الحج ان لا يسافروا الاَّ في الوابورات التي يقدر اصحابها ان يضمنوا للحكومة انهم يرجعون الحجاج الذين ذهبوا بهم

ونتج من ذلك كلهِ ان عدد الحجاج الذين اضطرت الحكومة الى ارجاعهم على نفقاتها صاروا اثنين في المئة فقط من عدد الحجاج كلهم بعد ان كانوا ثلاثين في المئة . وصارت الحكومة تنفق عليهم من دراهمهم التي دفعوها وقت اخذهم جواز السفر فنجا جمهور المموّلين من ضريبة ثقيلة واستفاد الحجاج انفسهم من هذا التغيير

ومن جهة أُخرى لم تكن الحكومة تهتمُّ بامر الحجاج بعد وصولهم الى السويس ونزولهم الى البر لكنها رأت ان حفظ الصحة العمومية يدعو الى تغيير ذلك ففي سنة ١٨٩٩ طلبت اسماء كل الحجاج الراجعين وعنواناتهم وبعثت بها الى رجال الصحة في البلاد التي هم منها . وكان عدد الحجاج الذين عادوا حينئذٍ بطريق السويس ٦٢٣٧ فعرفت منازلهم كلهم ما عدا ٢٨٩ حاجًّا والمرجح ان اكثر هؤلاء الذين لم تعرف منازلهم مضوا الى الاسكندرية حالاً وسافروا منها الى خارج القطر المصري . ويحتمل ان بعض العنوانات لم يكن صحيحاً . قال الدكتور كرسول الضابط الصحي في بورت سعيد " ان هذا الاسلوب وفى بالمراد جيداً مع انهُ كان في دور الامتحان وكانت الشكوى منهُ قليلة جداً "

واقول اخيراً ان التدابير المتخذة لايواء الحجاج واطعامهم في الطور قد أُصلحت كثيراً اصلاحاً لا داعي لتفصيلهِ هنا . والهمة مبذولة لاصلاح ما بقي من التدابير . والآن التفت الى مسألة تسفير الحجاج بحراً

شركة البواخر الخديوية

لم توفَّق شركة البواخر الخديوية من حين انشائها سنة ١٨٩٨ فقد فقدت ثلاثاً من بواخرها . ولا حاجة بي الى الكلام على الاسباب المتعلقة بذلك اذ قد عُيّن مجلس بحري للبحث عن غرق كل سفينة منها . ولكن غرق هذه السفن وجَّه الانظار الى ما يجب ان يكون من المراقبة على سفن الشركات التي من هذا القبيل

وشركة البواخر الخديوية انكليزية وبواخرها ترفع العلَم البريطاني ولكنها لا تدخل الموانئ البريطانية فلا يسري عليها قانون سفن التجار . ومن المصلحة العامة ان تكون بواخر هذه الشركة تحت شيء من المراقبة القانونية اذا كان في شرائع البلاد ما ينطبق على ذلك . والشركة لا تأبى هذه المراقبة لانها تستفيد من ازدياد ثقة الجمهور بها اذا علموا انها خاضعة لقوانين تكفل حسن ادارتها . ولما كان قانون سفن التجار غير معمول بهِ هنا فلا بدَّ للحكومة المصرية من ان تسن قانوناً يقوم مقامهُ لكن في تنفيذ هذا القانون على كل الشركات الاجنبية من المصاعب ما لا يمكن التغلُّب عليهِ . وقد قلتُ مراراً قبل الآن ان الحكومة المصرية لا تستطيع ان تسن قانوناً يعمل بهِ في مثل هذه الحال

وبناء على ذلك دعت الضرورة الى اسلوب لا يندر استخدامهُ في القطر المصري لحل هذه المشاكل وهو بلوغ الغرض او ما يقاربهُ بوسائط لا تدعو الى سن قوانين ليس في طاقة الحكومة تنفيذها على الاجانب . وهذا الاسلوب قلَّما ينيل الحكومة اكثر من جزء مما تتوخاهُ لكن احوال المسألة التي نحن في صددها سهلت على الحكومة تدبير امر مكفول النجاح تقريباً

اكثر عمل الشركة الخديوية نقل الحجاج فلما جنحت باخرتها " الشرقية " على شعب في خليج السويس اتضح ان نقل الحجاج بحرًا يقتضي ان يكون لهُ قانون ما . وبان ان الفائدة تشمل الحجاج والشركة ايضاً اذا وضعت الحكومة قانوناً لنقل الحجاج في المستقبل من مقتضاهُ مراقبة السفن ومعرفة صلاحيتها لسفر البحر ووجود المكان الكافي فيها لمن تنقلهم من الحجاج. وليس في طاقة الحكومة ان تجبر الشركة الخديوية اوغيرها من شركات البواخر على العمل بقوانينها ولكن في طاقتها ان تمنع الحجاج من السفر في غير البواخر التي يقبل اصحابها بشروط الحكومة من تلقاء انفسهم

فتذاكرت الحكومة مع مديري شركة البواخر الخديوية وتم الاتفاق على ما يأتي ملخصاً وهو

لا يُسمَح للحجاج المصريين في المستقبل ان يسافروا الاَّ في سفن الشركة التي تقنع الحكومة بانها تستطيع ان تستخدم اربع سفن على الاقل كل شهر

يقاس ما تسعهُ كل سفينة تحت نظر وكالة سفن لويد وتعطى كل سفينة شهادة يكتب فيها ما هو اكبر عدد يسمح لها بحملهِ من الحجاج

ويذكر في الشهادة ان السفينة في حالة صالحة جدًا للسفر وان فيها كل ما يلزم من القوارب واجهزة النجاة من الغرق وما اشبه

ووضعت قوانين مدققة من جهة اعطاء الماء مجاناً للحجاج واخذ مقدار كافٍ من

البقساط . ولم يغفل امر الخدمة الطبية بل أُعطي حقهُ من الانتباه

ويكتب على جوانب السفينة عدد الحجاج الذين يُسمح لها بحملهم بحروف كبيرة وتفتش كل سفينة تفتيشاً تاماً قبل قيامها يفتشها معتمدون من قبل الحكومة حتى يثبت لهم ان كل شيء فيها على تمام المراد وان الحجاج الذين فيها ليسوا اكثر من العدد المسموح لها به واتُّخذت التدابير لحمل ما يكفي الحجاج من الماء اذا اقاموا اياماً في ينبع منتظرين سفينة تنقلهم الى الطور . ولا بدَّ من ان يكون في كل سفينة موظف على الاقل يتكلم العربية

وجُعل أعلى ثمن لتذكرة الذهاب والاياب ٥ جنيهات مصرية ووضعت الشركة ٢٠٠٠ ج . م تأميناً على انها تنقل الحجاج المصريين على موجب الشروط المتقدمة واذا خالفت شرطاً من شروط هذا الاتفاق نزعت منها رخصة السفينة التي خالفت الشرط او نُزعت منها رخص السفن كلها

وقد اعترض مجلس شورى القوانين على هذه الشروط لانها تقيّد حرية الحجاج واشار ان تطلق الحرية لهم حتى يذهبوا و يعودوا كما يشاءون ولكن الحكومة ذاكرت في ذلك لجنة من اعضاء المجلس فاقتنعت اللجنة بصحة راي الحكومة وهو ان القانون الجديد يعود بالنفع على الحجاج

ولم يقبل بهذا القانون حتى الآن الاَّ شركة البواخر الخديوية وسيبقى تسفير الحجاج مقصوراً عليها الى ان تناظرها شركة اخرى . ولكن نظام المراقبة الذي يقتضيهِ القانون الجديد يجب ان يسهل للحجاج اتمام سفرهم بما لم ينالوهُ قبلاً من الراحة والامن ولو لم توجد شركة اخرى لمناظرة الشركة الحاضرة

واتمام هذا الترتيب الجديد يعود بالمدح على المستر متشل مستشار نظارة الداخلية الذي جرت المذاكرة معهُ فيهِ . ثم ان مديري شركة البواخر الخديوية اظهروا استعدادهم التام للعمل حسب رغائب الحكومة

الرقيق

كتب اليَّ الكبتن مكردو الذي يدير مصلحة منع تجارة الرقيق يقول . "يمكن ان يقال عن ثقة ان النخاسة بطلت فعلاً . فمنذ حدثت حادثة الشرقية التي نُظرت في محكمة القاهرة سنة ١٨٩٩ لم تجرِ الاَّ محاكمة اخرى في حادثة خطف حدثت في الاقصر . ولا شبهة في ان اشتهار حادثة الشرقية كان لهُ وقع عظيم وتأثير مفيد في كل الوجه البحري ويظهر انهُ افضى

الآن للناس ان الاتفاق الجديد والقوانين الموضوعة في هذا الشأن لا يستطيع احد ان يخالفها من غير ان يعاقب »

ويسرني ان اقرر ان مصلحة منع تجارة الرقيق نجحت حديثًا في سواكن نجاحًا يستحق الالتفات فان هناك قبيلة صغيرة من الرشايدة تسكن محافظة سواكن وهي مشهورة من قديم الزمان بالنخاسة . وقد حوكم شيخ من اكبر مشايخها واسمهُ مرشود لاجل ابتياع الرقيق وبيعهِ وحُكم عليهِ بالسجن سبع سنوات فكانت النتيجة ان الجانب الاكبر من الرشايدة الذين كانوا يسكنون شمالي سواكن هاجروا الى الاملاك الايطالية وقد بلغني انهُ لم يبقَ سوى اربعين من هذه القبيلة ضمن الحدود السودانية

وقد أُعدّت المعدات اللازمة لتمكين هذه المصلحة من توسيع نطاق اعمالها الى السودان . فيقيم مفتش انكليزي في الخرطوم ويطوف فريق من خفر الهجانة بين بربر وكسلا ويقيم فريق آخر في سواكن يطوف في البلاد التي بينها وبين كسلا اي يتصل نطاق الخفر في كل السودان الشرقي . وارجو ان هذه الوسيلة تميت النخاسة في تلك الجهات

وقد بلغ عدد الذين أُعتقوا في القطر المصري في العام الماضي ٣٣٠ وهم

	ذكور	اناث	المجموع
سودانيون	٩٠	٢١٢	٣٠٢
احباش	٢	١٧	١٩
شراكسة	٠٠	٩	٩
والجملة	٩٢	٢٣٨	٣٣٠

اي انهم ينقصون ٦٦ عمّن عتقوا سنة ١٨٩٩ . ولا شبهة في ان عدد الارقاء الباقين في مصر قليل جدًّا . وكثيرًا ما اسمع الشكوى من صعوبة وجود الخدَم للبيوت وقد اشار البعض مرارًا بانشاء مدرسة في القاهرة لتعليم تدبير المنزل . وهذا الامر يستحق امعان النظر ولكني لم ادرسهُ حتى الآن درسًا يكفي لابداء رأيي فيهِ

المجالس البلدية

أُنشئت المجالس البلدية الآن في اكثر البنادر . وهي لم تزل في دور الامتحان لانهُ لا ينتظر ان المبدأ الذي من مقتضاهُ ان يحكم الناس انفسهم بانفسهم يُغرس في القطر المصري ويثمر اثمارًا صالحة دفعةً واحدة

وقد اتت النتائج احياناً على غير المراد في الإنفاق على الاعمال التي تقتضي مراقبة فنية وبُذرت الاموال تبذيراً بعض الاحيان . والآن تبحث نظارة الداخلية ونظارة الاشغال العمومية عن الاساليب التي يمكن ان تزاد بها المراقبة الوافية بالغرض

ولكن المستر بنتشنغ مدير مصلحة الصحة العام كتب يقول

" من جال في الوجه القبلي والوجه البحري لا يسعهُ الاَّ الاعجاب بما يرى من الاصلاح الكثير في المدن التي فيها مجالس بلدية من حيث النظافة والرُّواء . والفضل في ذلك للمديرين واعضاء المجالس البلدية الذين يهتمُّون باصلاح مدنهم وقد وصلوا الى هذه النتيجة بالقليل من المال الذي انفقوهُ عليها . واشير بنوع خاص الى مدينة الفيوم التي كانت من حيث الصحة من اقبح المدن المصرية فان بلاليع جوامعها وبيوتها كانت تصبُّ في بحر يوسف وهو المصدر الوحيد الذي يستقي منهُ الاهالي . فسدَّت هذه المجاري كلها واقيمت الجدران والدرابزونات على طول النهر منعاً للناس من القاء الاقذار فيهِ .

" وفُتحت الشوارع الواسعة في وسط الاحياء المزدحمة ورُصف كثير منها ونتج من ذلك ان جادت الصحة كثيراً . وكانت وافدات الحمى الراجعة تحدث دواماً في مدينة الفيوم وحولها اما الآن فصار حدوثها نادراً "

ووُضع النور الكهربائي في مدينة المنصورة والعمل جارٍ الآن في انشاء المصارف لشوارعها

وقد شرعت تسعة من البنادر في رصف شوارعها وفي خمسة غيرها بضعة كيلومترات من الشوارع المرصوفة والمبلطة ويُنظَر الآن في مشروع لانارة بعض هذه البنادر بالنور الكهربائي

ولا ارى مانعاً يمنع الاستمرار على انشاء هذه المجالس البلدية وقد يحسن ان تزاد سلطتها بعض الشيء . واما من يظن انهُ يمكن الجري في الاحوال الحاضرة على حسب الاصول المتبعة في المجالس البلدية التي تناط بها امور البلد من غير ضرر يلحق جمهور السكان — من يظن ذلك فهو مغترٌّ ولكن ما دامت هذه المجالس على حالها فالخطأ الطفيف الذي يقع منها تكفّر عنهُ الفوائد الحاصلة من ترغيب الاهالي في ادارة شؤُونهم بانفسهم

المصلحة الطبية

عولج في العام الماضي ٢٣٢٧٦ نفساً في المستشفيات العمومية و٣٦١ نفساً في مستشفى الامراض المعدية بالعباسية يقابل ذلك ٢٢٨٩٥ عولجوا في العام الذي قبلهُ في المستشفيات العمومية و٤٩٤ في مستشفى الامراض المعدية . وبلغ عدد الذين عولجوا في مستشفى قصر العيني وحدهُ ٢٤٦١٦ في العيادة الطبية

وفي سنة ۱۸۹۱ كان عدد الذين عولجوا في مستشفيات الحكومة ١٥٣٧١ فقط . ومما يحسن ذكره ان نفور الناس من مستشفيات الحكومة قد زال كلهُ الآن تقريباً وصار الاهالي يعترفون بفوائد المستشفيات

وفتحت اجزاخانة في ادفو واخرى في كورسكو وأُرسل الى بعض المدن صناديق فيها من الآلات الجراحية والعقاقير الطبية ما تمس الحاجة اليهِ اذا حدث حادث فجائي . ويرجى ان يعطى صندوق من هذه الصناديق لكل طبيب من اطباء الصحة حينما يوجد المال الكافي لذلك

وقد تم مستشفى اسيوط في بداءة السنة وفتح ثانيةً وبُدِئ في مستشفى المنيا في بداءة سنة ۱۹۰۰ ويكاد يتم الآن

ويبنى الآن قسم للنساء متصل بمستشفى الاسكندرية لكي يكنَّ فيهِ وحدهنَّ

والمال الذي سمح بهِ صندوق الدين للزيادة والتغيير في مستشفى بورت سعيد لم ينفق كلهُ سنة ۱۹۰۰ لانهُ لم يستحسن الشروع في البناء وقتما كان الوباء فاشياً فيها ولكن سيشرع في العمل الآن حالاً

ويبنى الآن في القصر العيني ملجأٌ للقطاء جُمع المال لهُ بالاكتتاب العمومي وقد قارب التمام وسيفتح في شهر مايو المقبل او حواليهِ

وانشئ مستشفيان صغيران للامراض المعدية في بنها ودمنهور

واقيم مكان جديد للتطهير المزيل للعدوى في القاهرة واماكن اصغر منهُ في بنها ودمنهور واسيوط والمنيا وشبين الكوم فصار في اكثر بنادر القطر ادوات للتطهير واناس مدربون على استعمالها

ويؤتى بالماء النقي الى مستشفى الزقازيق والى مستشفى المنصورة بطلمبتين من بئرين عميقتين

الطاعون

الحقت بهذا التقرير مذكرة من المستر بنتشنغ اوضح فيها الوسائل التي جرى العمل بها في السنة الماضية لمنع انتشار الوباء . وما ابداهُ المستر بنتشنغ ورجالهُ من المهارة وحسن التدبير في مقاومة الوباء الخفيف الذي ظهر في الاسكندرية في الصيف الماضي يعود عليهم بالثناء الوافر

التطعيم

طُعم ۳۹۳۰۰۰ في السنة الماضية يقابل ذلك ۲٥۷۰۰۰ طُعموا سنة ۱۸۹۹ وكثر الطلب كثرة غير عادية على معمل التطعيم الذي يديرهُ النشيط المستر برنتش

وفشا الجدري في القاهرة في العام الماضي ولكنهُ أُوقف حالاً باعادة تطعيم كثيرين من السكان . قال المستر بنتشنغ في صدد ذلك " اني لا ابالغ مهما مدحت الاطباء الوطنيين على الهمَّة التي بذلوها لتطعيم الناس "

وبلغت حوادث الجدري التي أُعلمت بها مصلحة الصحة ٢٩٨ كان منها ٢٤٢ بين الوطنيين و٥٦ بين الاجانب . وسكان القاهرة نحو ٦٧٧٠٠٠ نفس والاجانب منهم ٣٥٠٠٠ نفس فقط ويظهر من ذلك ان الذين اصيبوا بالجدري من الوطنيين اقل من الذين اصيبوا من الاجانب بالنسبة الى عددهم وفي ذلك يقول المستر بنتشنغ " ان ما بدا من قلة انتشار الجدري بين الوطنيين يمكن ان ينسب الى ان التطعيم صار الآن اعمَّ بين الوطنيين منهُ بين الاجانب وهو اجباري على الوطنيين والاجانب معاً ولكنَّ كثيرين من الاجانب لا يتطعمون ويتعذَّر على رجال الصحة ان يجبروهم على ذلك لان مواليدهم تسجل في قنصلياتهم وقلما ترسل اسماؤهم الى مصلحة الصحة واذا أُرسلت استحال غالباً ان يعلم اين مقرهم . فما دام الاجانب يتعدون قانون التطعيم الاجباري تبقى مصر معرَّضة لانتشار الجدري فيها

التدابير الصحية في القرى

أُقفل في السنة الماضية ٢٠٨ جبَّانات كانت في اواسط المدن والقرى واختيرت اماكن غيرها خارج المدن لتكون جبَّانات

وابدلت ميضآت ١٧٤٤ جامعاً من جوامع القرى بحنفيَّات حتى يستطيع كل احد ان يتوضأ بماء نقي . وتم ذلك في الوجه القبلي على غاية السرعة حتى لم يبقَ من الميضآت القديمة الاَّ ما ندر

وكتب المستر بنتشنغ عن حالة البرك التي في جوار كل قرية من قرى الفلاحين ما يأتي

" لو وجدت الحكومة سبيلاً لردم البرك الآسنة الماء التي قلَّما تخلو قرية منها لجادت الصحة كثيرًا . وهي الحفر التي يُصنع منها الطوب لبناء البيوت فيرشح اليها الماء وتختمر فيها المواد الآلية في فصل الصيف وتفسد الهواء بما ينتشر فيهِ من ابخرتها السامة . واولاد القرى يلعبون حول هذه البرك والنساء يغسلن الثياب فيها والمواشي تشرب منها فتصاب بمرض في حلقها يميتها غالباً . والمرجح ان السكان يصابون من شرب مائها بالدود الصغير المسمَّى Anchylostoma doudenalis اي الاعوج الفم الاثني عشري الذي يسبب الانيميا المتقدمة وهي مرض منتشر جدًّا بين فلاحي مصر يموت بهِ كثيرون والمصابون بهِ كثار جدًّا "

مستشفى المجاذيب

أُنفق على مستشفى المجاذيب في العباسية في العام الماضي ٢٥٠٠ ج . م . وزيدت ارض المستشفى حتى بلغت ١٧ فدانًا ونصف فدان فيصيب كل واحد من الذين فيهِ جزءٌ من ثلاثة عشر جزءًا من الفدان وبلغني انهُ يصيب الواحد في بيمارستانات انكلترا عشر فدان وفي بيمارستانات المانيا ربع فدان . وقد بني قسم جديد يسع ثلاثين مجنونًا من المجانين المتعبين تخفّ الازدحام في القسم القديم الذي يوضع فيهِ هؤُلاء المجانين . وبُني مكان واسع للنوم وثماني غرف منفصلة للمتوهبين

ويسرُّني ان اقول انهُ تمَّ الاتفاق على ان المجرمين المختلي الشعور يسلَّمون لادارة السجون ويوضعون في طرة . وهذا يقلّل الازدحام نوعًا في مستشفى المجاذيب ولا يبقى سبيل لامتزاج المجرمين بغير المجرمين لما في ذلك من المضار

ولا شبهة في ان الوسائل الحاضرة لا تفي بالمراد مع ما تمَّ فيها من الاصلاح . والحاجة ماسّة الى مستشفى آخر للمجانين وارجو ان توجد الاموال اللازمة لاقامتهِ قريبًا

طاعون المواشي

كتب المستر بنتشنغ في هذا الموضوع الهام ما يأتي . "لم تحدث حادثة في القطر المصري من هذا الوباء سنة ١٩٠٠ مع انهُ ظهر في كثير من مديريات السودان الى الشمال والجنوب من الخرطوم . وظهورهُ في السودان هامٌ جدًّا لما بينهُ وبين القطر المصري من الاتصال وقد ظهر في مواشي مركزي واد بشاري وشبلوكة وفي مديرية بربر ولم يفتك بمواشي السودان كما فتك في جنوبي افريقية وسبب ذلك انهُ كان منتشرًا في السودان منذ عدة سنين فصار في المواشي التي في السودان الآن — وهي من نسل المواشي التي مرضت بهِ وشفيت — شيءٌ من المناعة المكتسبة . ثم ان شدّة الحرارة وشدّة الجفاف في هواء السودان تضعفان فعل الوباء

" وأُتي بكمية اخرى من المصل المضاد لطاعون المواشي من حكومة الراس في السنة الماضية أُرسل بعضها الى السودان وترك الباقي في القاهرة ليستعمل حين الحاجة اليهِ . وأُتي بالمصل ايضًا من دار الميجين بالاستانة وهو شديد الفعل ولكن قوة المناعة فيهِ اقل منها في المصل الوارد من حكومة الراس وقد قرَّر الماجور غرفث الطبيب البيطري الاول في الجيش المصري

ان المعالجة بالمصل نافعة جداً حتى ان الاهالي انفسهم ادركوا نفعها فصاروا يأتون بمواشيهم من تلقاء انفسهم و يطلبون ان تعالج بهِ

" واذا نفد ما عندنا من هذا المصل استحال علينا ان نأتي بغيرهِ الآن من الراس ولذلك رأينا من الحكمة ان يكون عندنا المعمل والادوات اللازمة لاستحضار المصل خوفاً من ان تمسَّ الحاجة اليهِ بغتةً فبني المعمل في الحلفاية واقيم ما يلزم لايواء المواشي . والادوات اللازمة لاستحضار المصل صارت في مخازن القاهرة وسيشرع في استحضارهِ حالاً اذا دعت الحاجة اليهِ

" وقد وقفنا في اوغسطس الماضي على رأي الاستاذ كول في طاعون المواشي المنتشر في السودان والوسائل التي يحسبها اصلح من غيرها لمقاومتهِ هناك ولمنعهِ من الامتداد شمالاً الى مصر . ولهذا الاستاذ خبرة واسعة في طاعون المواشي الذي عمَّ جنوبي افريقية سنة ١٨٩٦ و١٨٩٧ و١٨٩٨ . وقد وضع هو والاستاذ تُرنر طريقة نجحت مدة انتشارهِ هناك وهي حقن المواشي بدم المواشي المطعونة وبالمصل المضاد لطاعون المواشي في وقت واحد . فنجا بذلك ٦٦ في المئة من المواشي حيث استعمل هذا العلاج

" وأُعلنت حكومة السودان في السنة الماضية عن ٤٦٨ حادثة من طاعون المواشي يقابل ذلك ٨٥٠ حادثة أُعلنت بها سنة ١٨٩٩ . ومن المحتمل ان مواشي اخرى اصيبت بهِ ولم تعلن بها الحكومة

" واستُعملت الوسائل الواقية مدى السنة وبذلت حكومة السودان جهدها لمنع ارسال المواشي الى الجهات الشمالية لئلاً تنتقل العدوى بها الى مصر "

جلب البقر والغنم

بلغ عدد البقر التي جُلبت في العام الماضي ١٦٠٠٠ يقابل ذلك ١٨٠٠ جُلبت سنة ١٨٩٩
وبلغ عدد الغنم المجلوبة ٨٥٠٠٠ يقابل ذلك ٦٥٠٠٠ جُلبت سنة ١٨٩٩

وسبب زيادة البقر المجلوبة سنة ١٩٠٠ انهُ تمَّت حظائر الكورنتينا في الاسكندرية وأُعيد جلب البقر من سورية ولكنها تذبح في الميناء الذي تدخل منهُ

والمواشي والقطعان التي تأتي عن طريق الاسكندرية تؤكل كلها تقريباً فيها لان الحر لا يسمح بنقل لحمها الى القاهرة او غيرها من مدن الوجه البحري الاَّ في فصل الشتاء

والقانون الذي يمنع ادخال المواشي من سورية حيَّةً لا يزال مرعياً . ولا شبهة في ان هذا المنع الذي دعت الضرورة اليهِ وقاية لمواشي القطر المصري من المرض رفع ثمن المواشي وثمن

اللحم في مصر . وقد وصل الدكتور مكنزي ناظر مدرسة الزراعة الى النتائج التالية بعد البحث المدقق وهي

(١) ارتفع ثمن مواشي الشغل في السنين الاخيرة (خمسين في المئة على الاقل)

(٢) ارتفع ثمن لحم البقر ايضاً

(٣) زاد عدد الحيوانات التي تذبح

(٤) زاد عدد ما يجلب منها

الكَلَب

هذا جدول ما حدث من حوادث الكَلَب في السنوات الخمس الاخيرة

السنة	حوادث في الحيوانات	حوادث في الناس
١٨٩٦	٦	٤
١٨٩٧	٣	٥
١٨٩٨	١١	٣
١٨٩٩	١٠	٩
١٩٠٠	١٩	١٠

ويظهر من ذلك ان هذا الداء آخذ في الازدياد ولو قليلاً . وقد عالج الدكتور طونين مئة واربعين شخصاً في مستشفى الكلب الايطالي سنة ١٩٠٠ بقابل ذلك ثمانية وثمانون شخصاً عالجهم سنة ١٨٩٩

وكتب المستر بتشنغ ان هذا المستشفى " افاد القطر فائدة عظيمة في السنتين الاخيرتين "

القضاء

نشر المستر مكلريث المستشار القضائي في الحكومة المصرية تقريراً وافياً عن اعمال القضاء وفروعه المختلفة في العام الماضي . ولذلك اقتصر على الاشارة الى بعض الامور المهمة فقط

ظهر نقص مستمر مدة السنوات الماضية في القضايا المدنية التي تنظر في المحاكم الاهلية فبعد ان كان عددها ٣٤٦٧ سنة ١٨٩١ هبط الى نحو ١١٠٠ سنة ١٨٩٦ و١٨٩٧ ولذلك سببان الاول رسوم القضايا في المحاكم الاهلية والثاني تحويل القضايا احتيالاً الى المحاكم المختلطة وقد عُدّلت رسوم القضايا الآن وجاء قانون الاختصاص الذي اشرت اليه في تقريري السابق مانعاً للتحيُّل في نقل القضايا من المحاكم الاهلية الى المحاكم المختلطة ولذلك اخذت القضايا

المدنية التي ترفع الى المحاكم الاهلية تزيد عدداً فصار عددها ١٥٤٣ سنة ١٨٩٩ و ١٦١٠ سنة ١٩٠٠

وقالت لجنة المراقبة "ان اكثر القضايا التي فحصت هذه السنة ظهر فيها ان احكام المحاكم الجزئية اصح واكثر انطباقاً على احكام القانون مما كانت قبلاً كما يظهر من كثرة القضايا التي ايدها الاستئناف . ويقال مثل ذلك عن احكام المحاكم الابتدائية حيث عدد ما ايدتهُ محكمة الاستئناف منها بلغ ٦٨ في المئة سنة ١٩٠٠ وكان ٦٣ في المئة سنة ١٨٩٩" وهذا مما يسرُّني ذكرهُ بنوع خاص لان قضاة المحاكم الابتدائية والمحاكم الجزئية كلهم تقريباً من المصريين

ولا يزال العمل جارياً في تنقيح قانون العقوبات وقد نجح كثيراً في يدي المستر برنيات وهو كفوء لذلك . والغرض من هذا التنقيح يكاد يكون محصوراً في ازالة المصاعب التي تنشأ من تطبيق المبادىء العامة بسبب النقص في وضع هذا القانون . ومن المرجح ان يحوَّر تحويرات جوهرية مثل ان يوضع فيهِ قصاص الجلد للمجرمين من الاحداث كما اشرت في السنة الماضية

المحاكم المختلطة

اما من جهة المحاكم المختلطة فاكتفي بالاشارة الى اصلاح اداري حدث فيها . فقد كانت الاموال المحجوزة فيها والتي أُودعت فيها بسبب المرافعات وما اشبه تبقى من غير ربح وهذا خللٌ من باب اداري وعرضةٌ للانتقاد . وقد تمَّ الاتفاق الآن بينها وبين البنك الاهلي على ان هذه الاموال تودع في البنك وهو يدفع عنها رباً ٣ في المئة سنوياً ما دام المبلغ لا يزيد على ١٥٠٠٠٠ ج . م وما زاد على ذلك يدفع عنهُ ٢ في المئة . وحالما تمَّ هذا الاتفاق اودعت المحاكم المختلطة في البنك ٢٢٨٨١٥ ج . م ثم اودعت فيهِ مبالغ اخرى فوقها وقد ارتبط البنك بان يدفع ما تطلبهُ منهُ المحاكم المختلطة حالما تطلبهُ الى حد ١٠٠٠٠ ج . م وان زاد على ذلك اضطرت ان تعطيهُ فرصة خمسة ايام . اما الربا الذي يدفعهُ البنك فيذهب ثلثاه منهُ لصاحب المال يضاف الى رأس المال وما بقي يقوم بالنفقات اللازمة لذلك

القضاة في البلاد والقرى

ذكرت في تقريري الاخير ان بعض العمد خُوّلوا سلطة قضائية للحكم في القضايا المدنية الشخصية التي لا تزيد قيمة المبالغ فيها على مئة غرش لكي يخف الضغط عن المحاكم الجزئية وانتدبت نظارة الحقانية جنسن باشا ليتعهد فعل النظام الجديد في القطر كلهِ فقرَّر عنهُ تقريراً حسناً سنة ١٨٩٩ وتقريراً احسن منهُ سنة ١٩٠٠ وأستنتج من تقرير المستر مكاربث وتقرير

جنسن باشا ان تحويل العمد سلطة قضائية قد يخلو من الضرر قال جنسن باشا
" رأيت ان ابيّن الامر التالي نقضاً لما اراه من الشك في سلطة العمد وفائدتهم . فان الفرق كبير بين عمدة بلد فيهِ نحو خمسة آلاف نفس وبين جمهور الفلاحين كما هو كبير بين رجل من اعيان الانكليز وجمهور العمال الذين يعملون في ارضهِ وما حولها . واذا كان للمجد الموروث شيء من الشان والسلطة فلكبار المزارعين في هذا القطر مقام رفيع مثل غيرهم من كبار المزارعين في سائر البلدان . وهذا يكفي للدفاع عن هذا الاسلوب لا سيما وكلامنا في مصر وفي مصلحة المصريين "

وكان في اول الامر اسباب كافية للشك في نجاح هذا الامر اي اعطاء السلطة القضائية للعمد تمنع من التوسع فيهِ . لكن اسباب الشك قد زالت على ما ارى فانهُ زيادةً عما شهد بهِ جنسن باشا ولشهادتهِ شأن كبير لم ترفع اليَّ عرائض يشكو اصحابها من ان العمد اساؤوا استعمال سلطتهم القضائية . وقال المستر مكلريث " انهُ لم يرد على نظارة الحقانية اقلُّ شكوى من حكم حكمهُ عمدة من العمد على ما اعلم " وهذا لا يدلُّ دلالةً قاطعةً على صحة هذا الاسلوب وعلى ان اعمال العمد تراقب المراقبة الكافية ولكنهُ يستحق النظر حتماً . وقد اثبت لي الاختبار الطويل في هذا القطر انهُ اذا وجد ضرر من فرع من فروع الادارة فالغالب ان الذين وقع بهم هذا الضرر يرفعون عرائض الشكوى الى الوكالة البريطانية

وهذا الاصلاح صحيح مبدئياً وهو يجعل فريقاً مهماً من المصريين يهتمون بادارة شؤونهم بانفسهم ويسهل السبيل لتوزيع السلطة القضائية وهذا التوزيع نافع جداً لذاتهِ ولذلك يجب الاستمرار على هذا الاصلاح . وقد يحسن التوسُّع في اعطاء هذه السلطة ولكن بالحذر ايضاً

قومسيونات الاشقياء

ابنت مراراً كثيرة قبل الآن انهُ لا بدَّ من التأني في ادخال الاصلاح الى ما كان من البلدان مثل مصر والسودان . والآن اذكر امراً يدلُّ اوضح دلالة على قلة الجدوى من نزع الاساليب القديمة الضارَّة وابدالها بالاساليب الحديثة النافعة قبلما تتغير الاحوال تغيراً يضمن شيئاً من النجاح للاساليب الحديثة

اول شيء عمل بعد الاحتلال سنة ١٨٨٢ الغاء الكرباج وتلاهُ انشاء المحاكم على النسق الاوربي . والامران لذاتهما من افضل ما يكون ولكنهما كانا متقدمين على ما تقتضيهِ حال البلاد حينئذٍ فانها كانت محكومة بالكرباج منذ قرون وانشاء المحاكم المفيدة لا يكون الاَّ بعد

ان تستعد البلاد لهُ على مرور الزمن ولذلك لا يُستغرَب من ان الانتقال من الفوضى الى القانون كان صعباً بل كان كثير الخطر حيث زال الحكم الاستبدادي قبل ان رسخت سلطة القانون في النفوس فكثرت الجنايات في البلاد حتى فاقت الحد . ولذلك انشأ نوبار باشا قومسيونات الاشقياء سنة ١٨٨٤ وكأنهُ وضع البلاد تحت الحكم العرفي . وكان لذلك نتيجتان الواحدة اعادة الكرباج ولو قليلاً والثانية توقيف عمل المحاكم الاهلية فان كل القضايا الجنائية كانت ترفع الى قومسيونات الاشقياء . ومضت مدة قبلما درى ولاة الامر في القاهرة بالاساليب التي كانت تعتمد عليها هذه القومسيونات . ثم لما تعين المسيو لوجرل نائباً عمومياً ظهر ان اقبح المساوىء كانت تُفعَل باسم القضاء . وأُلغيت هذه القومسيونات سنة ١٨٨٩ وبعد قليل عين السر جون سكوت مستشاراً قضائياً ومن ثمَّ ابتدأ العدل يوضع موضعهُ في الاحكام

ومن ذلك الحين كنت اشعر دائماً ان بقاء الناس الذين حكمت عليهم القومسيونات الملغاة في السجن وصمة على القضاء في مصر لكن مسألتهم كانت كثيرة التعقيد فلم يكن يخامرني ريب في ان كثيرين منهم حُكم عليهم بالعقاب من غير دليل كافٍ ولكن البعض منهم ايضاً كانوا من كبار المجرمين الذين يستحقون ما حكم بهِ عليهم . ويصعب اعادة النظر في قضية كل واحد منهم على حدتهِ . واخيراً اخذ المستر موريس على نفسهِ البحث الذي اجراهُ بمهارة وروية . والخلاصة التالية من تقريرهِ تكفي للدلالة على اعمال تلك القومسيونات قال

" ان الدكرتو الخديوي الذي أُنشئت بموجبهِ هذه القومسيونات اوجب عليها الاسراع في عملها من غير انقطاع واباح لها الجري على غير ما يفرضهُ قانون تحقيق الجنايات ولكن لم يُقصَد بهِ ان يحرم المتهم من حق تبرئة نفسهِ . غير انهُ يظهر من القرائن ان ولاة الامر كانوا يرتأون حينئذٍ انهُ اذا وقعت الجناية فلا بدَّ من القبض على احد ومعاقبتهِ . والاسلوب الذي كان يقبض بهِ على الناس ليعاقبوا لم يكن على ما يرام . ولم ابحث الاَّ في بعض القضايا ولكني وجدت في كثير منها استعمال الوسائل غير المشروعة للحصول على اقرار المتهمين

" ولم اجد في ١٢٦ قضية بحثتُ فيها ما يشير الى شهادة شهود النفي كأن لا شأن لشهادتهم . ومن قُبض عليهِ وأُتي بهِ الى امام قومسيون من تلك القومسيونات قلَّ الامل باطلاق سبيلهِ على ما يظهر . وقد استغربتُ جداً انهُ لم يُذكَر في مصلحة المتهم الاَّ انكارهُ التهمة ولم يُذكَر شيء عن انهُ استشهد بشهود نفي . فسألت الذين اقتنعت بعد درس اوراق قضاياهم درساً مدققاً انهُ حُكم عليهم ظلماً -- سألتهم عن ذلك فاجابني كل واحد منهم انهم قالوا وقت المحاكمة ان عندهم شهوداً على براءتهم ولكن لم يسمع احد قولهم بل قيل لهم ان كلام اللص

الواحد ليس افضل من كلام اللص الآخروان من يشهد ببراءتهم فهو شريك لهم الخ . بل كان اذا ثبتت الجناية على احد — اما لان المجني عليهِ عرفهُ بنفسهِ او لان المسلوب مثلاً وُجد عنده واتهم غيرهُ معهُ يعاقَب هذا ايضاً عقاباً صارماً . واخبرني بعض المحكوم عليهم اموراً تفتت الاكباد عمَّا قاسوهُ من العذاب لما اتُّهموا وسُجنوا لكي يقروا بما اتُّهموا بهِ . وغنيٌّ عن البيان انهم كانوا يقرون تخلُّصاً من التعذيب . وكل مَن فحص التحقيقات الابتدائية يرى ذلك واضحاً . وكنت دائماً اسأل هؤلاء عمَّا اذا كان عندهم شهود يثبتون براءتهم . فكانوا يذكرون لي اسماء شهودهم مع انهُ مضى على اكثرهم في السجن اثنا عشر سنة الى اربع عشرة سنة وكنت اذا رأيت موجباً للبحث عن صحة قولهم ابحث فاجدهُ صحيحاً "

وازيد على ذلك انهُ اتضح من بحث المستر موريس ان نظارة الداخلية اغضت عن استعمال التعذيب لحمل المتهمين على الاقرار مدة هذه القومسيونات [1] وشجعتهُ ايضاً

ولما شرع المستر موريس في هذا البحث كان في السجن ١٠٩ ممَّن حكمت عليهم قومسيونات الاشقياء . وقد قال عن ٥٢ منهم انهُ لا يرى وجهاً للاعتراض على ما حُكم بهِ عليهم ومات خمسة في السجن والباقون أُطلق سبيلهم . واختم هذا الفصل باني آسف اسفاً شديداً لان هذا البحث لم يُشرَع فيهِ قبل الآن

اصلاح المحاكم الشرعية

ان اللجنة التي عينت للنظر في اصلاح المحاكم الشرعية واشرت اليها في تقريري السابق توقفت بسبب مرض القاضي الاكبر مرضاً يسوءني ان اقول انهُ انتهى بوفاتهِ وانا اكتب هذا التقرير

والنجاح مستمر في تنظيم هذه المحاكم ففي محكمة مصر الكبرى تمَّ تسجيل ٨٦٥٤ قضية وبُوِّبت وجعل لها فهرس ليسهل الوصول اليها وكذلك تمَّ تسجيل ٤٦٦١ قضية في محكمة الاسكندرية وتسجيل كثير من القضايا في البنادر الكبيرة . قال المستر مكريث " ولم نزل بعيدين عن اتمام هذا العمل الشاق وهو ايجاد النظام حيث ساد التشويش في دفترخانات سبع عشرة محكمة من محاكم مصر المركزية ولكن العمل جارٍ بهمة وانتظام . ونحن واثقون باتمامهِ اخيراً "

---

(١) حدث ذلك على اثر استعفاء نوبار باشا سنة ١٨٨٨

التعليم

اشار مجلس شورى القوانين حديثاً (وليس ذلك بالمرة الاولى) الى حاجة البلاد من حيث التعليم . ولا حاجة بي الى اقول باني سررت جداً بما ابداهُ اعضاؤ مجلس الشورى من الاهتمام بهذا الامر الهام وباني اوافق قلبياً على كل ما يبذلونهُ هم وغيرهم لاصلاح التعليم وتوسيع نطاقهِ في البلاد

وقد يفيد ان ابدي رأيي في ما هي الوجهات التي يحسن ان تتجه فيها هم الناس من هذا القبيل على ما يظهر لي

ينظر كثيرون من الناشئة المصرية المتعلمة الى الاستخدام في وظائف الحكومة كغاية لهم . وقد ذكرت انواع الوظائف الملكية في تقريري عن سنة ١٨٩٨ وقلت انهُ كان فيها حينئذٍ ١٠٦٠٠ من المصريين (١)

ولا شبهة في انهُ لو اقتصر الامر على مراعاة ما تحتاج اليهِ الادارة وما تدعو اليهِ مصلحة المموّلين لكان الاصلح الاقلال من عدد المستخدمين الصغار والزيادة في رواتب كثيرين من الباقين منهم ولكن ذلك ليس في النية لانهُ يعود بالمتاعب على كثيرين من الذين لا يستحقون ذلك وعلى عيالهم . وقد تزيد الشكوى منهُ على الفوائد المترتبة عليهِ ويُحسب مروقاً من العادات المقرَّرة لا موجب لهُ ويستدعي الاعتداء على حقوق يمكن عدها مكتسبة ولو لم تكن شرعية

فليس في النية منع ما في عدد المستخدمين المصريين من الزيادة ولا ذلك لازم ولا مرغوب فيهِ ولكن لا شبهة في ان الميل الارجح في ما يرى في البلاد من سرعة التقدم والعمران هو الى تقليل الحاجة الى المستخدمين من بعض الطبقات لا الى تكثيرها . ويظهر صدق هذا القول باقل نظر

والذين امعنوا نظرهم في احوال البلاد السابقة رأوا جلياً ان الحكومة اضطرَّت لاستخدام عدد كبير من الموظفين بسبب ما كان فيها من الخلل . وينتج من ذلك حتماً انهُ اذا أُزيل هذا الخلل وصلحت الادارة رويداً رويداً لم تبقَ حاجة الى كثرة المستخدمين . واني اذكر الامثلة التالية لايضاح مرادي

ان املاك الدومين والدائرة السنية امرها معلوم لدى سكان هذا القطر . ولا يمضي وقت طويل حتى تزول الادارتان اللتان تتولاهما الآن . ولا يخفى ان بيع هذه الاملاك التي كانت

(١) كان عدد الاوربيين حينئذٍ في الوظائف الملكية ١٢٧٠ والانكليز منهم ٤٥٥

لاسمعيل باشا هو خيرٌ محض لسكان هذا القطر عموماً ولكن بيعها يقتضي رفت كثيرين من المستخدمين الذين كانوا في خدمةٍ لولا عيوب الحكومة السابقة ما وُجدت . وكذلك الغاء رسوم الكباري التي كانت تدفعها المراكب الجارية في النيل وما ترتب على تغيير نظام مصايد الاسماك ومصلحة الملح حسبما ذكرت في هذا التقرير وتقاريري السابقة كل ذلك عاد بالنفع على السكان كلهم ولكنهُ دعا الى رفت كثيرين من المستخدمين الذين كان لا بدَّ منهم في الاحوال السابقة المبنية على خلل في النظام المالي . ويمكن ذكر امثلة اخرى من هذا القبيل . وعليهِ تجري الحكومة على خطة جديدة اي وقوفها موقف المؤتمن على مال الاهالي واجتنابها الاكثار من المستخدمين لكي لا يثقل الحمل على المموّلين لا بدَّ من ان ينتج منهما تعب لبعض الناس

الاَّ ان هذه الحالة لا تخلو من النفع للشبان المصريين ولآبائهم الذين يهمهم مستقبل ابنائهم . فان اقوالي السابقة تنطبق بنوع خاص على الذين معارفهم عامةٌ لا خاصةٌ وهم يطلبون خدمة ايًّا كانت في وظائف الحكومة المختلفة التي من مقتضاها ان يعمل المستخدم جالساً في مكانهِ . ولكن المرجح ان البلاد ستحتاج كثيراً الى المحامين والمهندسين والاطباء والخبيرين بفن الزراعة والمهندسين الكهربائيين ونحوهم من الذين معارفهم خاصة وكل هذه الحرف يعيش الانسان بها من غير ان يكون موظفاً في الحكومة . وما سأشير اليهِ مما يتعلق بالمدرسة الزراعية وبمدرسة المهندسخانة يقوّي الآمال و يشدّد العزائم و يظهر منهُ ان عدد الذين معارفهم خاصة اقلُّ مما تحتاج اليهِ البلاد الآن وان التلامذة الذين درسوا في هاتين المدرستين وجدوا وظائف لهم من غير مشقة

وهذه الامور جعلتني استنتج ان لا بدَّ من ازدياد الاهتمام بامر التعليم الصناعي . وكان كلامي حتى الآن موجهاً الى علم الحقوق والطب وما اشبه من الصناعات العليا ولكن لا يسعني الاَّ ان ارى مجالاً واسعاً لغيرها من الصناعات التي هي دونها فان جانباً كبيراً من الصنَّاع العاملين في مصر الآن من الاجانب . والمقاولون الذين يبنون خزانات النيل اضطروا ان يأتوا بكثيرين من الايطاليين الماهرين في قطع الحجارة ونحتها لانهُ ليس في مصر من يقوم مقامهم . ثم ان فتح السودان فتح باباً واسعاً للصنَّاع المصريين ولما زرت الخرطوم اخيراً عجبت من انهُ لا يوجد الآن هناك رجل واحد من السكان السودانيين قادر على نشر لوح من الخشب او بناء حائط من الطوب

ومن رأيي ان البلاد في حاجة الى تكثير المدارس الصناعية . وقد ذاكرتُ حديثاً اناساً مختلفين من الثقات في هذا الموضوع فوجدتهم يستحسنون الاهتمام بالتعليم الصناعي في البلاد .

وارجو ان لا يترك الاهتمام بذلك والشروع فيهِ للحكومة وحدها بل يشاركها فيهِ وجهاء البلاد اذا وُضع لهُ مشروع يمكن العمل بهِ . والمدارس التي اشير اليها وارغب في ان اراها هي التي يُعلَّم فيها القراءة والكتابة والحساب باللغة العربية مع الالتفات الى الرياضة البدنية ويكون الغرض الاهم منها تعليم الصنائع على حسب الاساليب الجديدة بشرط ان تكون بسيطة لا تقتضي آلات كثيرة

ومهما كان نوع التعليم ومهما كانت المدارس التي تنشأ لهُ فلا بدَّ من بذل الجهد لجعل التلامذة يقومون بجانب من نفقات تعليمهم . ولا اظن انهُ يمكن ان يقوموا بكل هذه النفقات . وقيامهم بالنفقات كلها او بعضها لا يطلَب من وجه مالي فقط بل من وجوه اخرى لا تقلُّ اهمية عن الوجه المالي

ولا اريد ان اقول كلمة يظهر منها اني اودُّ اضعاف التعليم مهما كان نوعهُ ولكن لا بدَّ لي من القول ان التعليم المجاني يخرج من المدارس شبانًا لو بقوا في الدرجات التي ولدوا فيها وتعلموا حرفةً شريفة عملوا بها لرأوا انفسهم اسعد حالاً وانفع لبلادهم من ان يتعلموا ولا يروا امامهم سبيلاً للمعيشة والارتقاء الاَّ بالانتظام في خدمة الحكومة

ويسرُّني ان اقول ان نظارة المعارف العمومية رأت مضار التعليم المجاني وقد حاولت تلافيها منذ سنوات ففي سنة ١٨٧٩ كان الذين يتعلمون مجانًا لا اقلَّ من ٩٥ في المئة من التلامذة الذين يتعلمون في مدارس الحكومة . وفي السنة الماضية كان التلامذة الذين يدفعون اجرة التعليم ٢/١ ٩٨ في المئة في المدارس الابتدائية العليا و ٨٦ في المئة في المدارس الثانوية وارجو ان يستمرَّ هذا الامر حتى يبطل التعليم المجاني تمامًا او لا يبقى منهُ الاَّ شيء قليل جدًّا

وتعليم البنات اهم في غايتهِ من التعليم الصناعي وهنا ايضًا اطلب المساعدة من كل مصري غيور على مصلحة وطنهِ . ولا استطيع ان المَّ هنا بكل اطراف هذا الموضوع المهم ولكني اقول قولاً مبنيًا على اختبار ثلاثين سنة عاملتُ فيها الشرقيين وصادقتهم ان بلاد المشرق لا تتقدم ما لم تتغير منزلة المرأة فيها تغيرًا تدريجيًا والتعليم جزء من هذه المسألة ولو كان الجزء المهم منها . وسأبين ان تعليم البنات المصريات ابتدأ بداءة حسنة ولكن لا بدَّ من ان يمرَّ زمن طويل قبلما تنتج منهُ نتائج كبيرة عامة

واخيرًا اعرب لاعضاء مجلس شورى القوانين عن اني اوافقهم قلبيًا على وجوب بذل الجهد لترقية التعليم في المدارس الاهلية . وسافصل ما تمَّ من هذا القبيل واشير قبلاً الى مسألة مهمة مبدئيًا وهي

من الشواذ الكثيرة في هذا القطر بل من اغربها ان الشبان المصريين يهتمون الآن بعتلم اللغة الانكليزية اكثر مما يهتمُّ الانكليز بتعليمهم اياها . وسبب ذلك واضح وهو ان المصريين عموماً يحسبون ان حصولهم على وظائف الحكومة يكون اسهل عليهم وهم يعرفون الانكليزية منهُ وهم يجهلونها . والمرجح انهم مصيبون في ذلك الى حد محدود . اما الانكليز الذين يعرفون احوال المصريين وما يحتاجون اليهِ فينظرون الى هذه المسألة من وجه تعليمي ولا رغبة لهم في جعل البلاد انكليزية بل يودون الاقتصار من تعليم الانكليزية والفرنسوية على ما تمسُّ اليهِ الحاجة ويفيد المصريين انفسهم . ولا يضلهم الراي السطحي وهو ان درس الفرنسوية او الانكليزية يتضمن ايجاد الاميال السياسية لان هذا الرأي خطأ في الغالب على ما ارى . ولا يسرُّهم ما يرون من ازدياد فريق يفشل كثيرون منهُ اذا لم يجدوا لهم وظائف في الحكومة فتعلو شكواهم وهم لو عملوا اعمالاً اخرى في الوقت الذي يقضونهُ في درس اللغات لكان ذلك ادعى لنجاحهم على الارجح

ويظهر من آخر احصاء ان الذين يتعلمون لغات اجنبية في المدارس التي تحت ادارة نظارة المعارف العمومية ٥٨٣٥ ذكوراً واناثاً ومن هؤلاء ٤٩٨٤ اي ٨٥ في المئة يتعلمون اللغة الانكليزية

ولا بدَّ من تعليم هؤلاء بلغة اجنبية ومن اسباب ذلك انهُ ليس في العربية كتب للتعليم في بعض العلوم التي يتعلمها التلامذة . ولكن التوسُّع فيهِ وراء هذا الحد غير محمود العاقبة ولذلك احذّر بكل جهدي من جعل اللغات الاجنبية مما يعلَّم في الكتاتيب . ويجب ان يبقى التعليم فيها كما هو الآن باللغة العربية وحدها

وخلاصة القول في هذا الموضوع ان اجتهاد الذين يهمُّهم امر التعليم في هذا القطر يجب ان يكون مصروفاً بنوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعي وتوسيع نطاقهِ والى تعليم البنات وترقية التعليم الابتدائي بواسطة الكتاتيب حتى يرتفع مقياس المعرفة في البلاد كلها . ولا يخفى ان الاحصاء الاخير دلَّ على ان ٨٩٫٥ في المئة من ذكور المصريين و ٩٩٫٧ في المئة من اناثهم لا يعرفون القراءة والكتابة

تعليم البنات

حدث تغيير عظيم في الرأي المصري العام في السنوات الاخيرة من حيث تعليم البنات . ولقد كان من رأيي دائماً ان مقدار اهتمام الناس بهذا الموضوع من اصدق الادلة على ان

التقدُّم الادبي الموقوف اكثرهُ على سعي اهل البلاد لانفسهم يمكن ان يجاري التقدُّم المادي الذي هو اشد منهُ انتفاعاً بالوسائط الخارجية . ولا نبالغ اذا قلنا ان المصريين عموماً لم يكونوا يبالون بتعليم البنات منذ سنوات قليلة بل كثيراً ما كانوا يقاومونهُ . وحاولت مراراً ان اجعل بعض اولي الامر يهتمون بهِ فلم افلح الاَّ قليلاً ولكنني كنت ارجو دائماً انهُ اذا بُدئ في تعليمهنَّ ظهرت الرغبة فيهِ بنوع عام فجاء الامر على اكثر ما كنت اتوقع كما يُرى من عدد تلميذات المدارس التابعة لنظارة المعارف او الموضوعة تحت مراقبتها وهو

في كتاتيب المعارف	٦٤٣	بنتاً
" " خصوصية تحت مراقبة النظارة	٩٩٧	"
" مدارس الحكومة الابتدائية العالية	٢٢٠	"
" المدارس الخصوصية الابتدائية العالية تحت مراقبة نظارة المعارف	١٦٧	"
" قسم المعلمات في المدرسة السنية	٠٠٤	"
" مدرسة الممرضات والقوابل	٠١٩	"
والجملة	٢٠٥٠	

وهذا العدد اقل من القليل بالنسبة الى عدد البنات في القطر المصري ولكن يمكن ان تنسب قلتهُ الى قلة المدارس كما يمكن ان تنسب الى عدم الرغبة في ارسال البنات اليها حيث توجد . ولكنهُ مع ذلك يستحق الالتفات لانهُ دليل على ان التعصب ضد تعليم البنات قد زعزعت اركانهُ الآن بنوع عام

وفي العام الماضي تقدَّم سبع عشرة بنتاً للامتحان الابتدائي وهو للصبيان والبنات على حدٍ سوى فنال خمس منهنَّ الشهادة . وقد بلغني ان واحدة منهنَّ كانت السابعة عشرة بين ٧١٢ نالوا هذه الشهادة

ولم تتعلم امرأة مصرية حتى الآن صناعة التعليم مع ان تعليم البنات في مصر يستدعي ان يكون اكثرهُ على يد معلمات . لكن نجاح بعض البنات في العام الماضي في اخذ الشهادة الابتدائية سوَّغ لنظارة المعارف ان تجتهد في انشاء فرقة تتعلم علم التعليم فانشأتها في المدرسة السنية ودخلها اربع من البنات اللواتي احرزن الشهادة الابتدائية

الكتاتيب

ان اعطاء الكتاتيب اعانة مالية على شرط ان تتعهدها نظارة المعارف وتراقب التعليم فيها

قد نجح نجاحاً تاماً كما يظهر من ازدياد عدد الكتاتيب التي قبلت بشروط نظارة المعارف . فان عدد الكتاتيب في القطر المصري حسب الاحصاء الاخير ٩٤٠٤ وقد طلب ٤٨٣ كتاباً منها في السنة الماضية هذه الاعانة مع مراقبة نظارة المعارف فاجيب طلب ٢٤٦ كتاباً منها وهذا العدد يزيد عما كان في الاعوام السابقة

ومعلوم ان ٤٨٣ كتاباً عدد قليل بالنسبة الى ٩٤٠٤ ولكن العدد وحده ليس مقياساً لتأثير الاعانة في الكتاتيب الاهلية . ومما يذكر في هذا الصدد وهو اهم من زيادة عدد الكتاتيب الطالبة مراقبة الحكومة ان الآباء يفضلون تعليم اولادهم في المدارس التي تحت مراقبة الحكومة ويستدل على ذلك اولاً بزيادة عدد طالبي الدخول في مدارس الحكومة والطالبون في كثير من الاحوال يزيدون عما تسعهُ المدارس وثانياً باقفال المدارس التي لم تعترف بها نظارة المعارف

وبلغت الاعانة في السنة الماضية كل المال المعين لذلك وهو ١٠٠٠ ج . م وكان هذا المال ٧١٦ ج . م سنة ١٨٩٩ و٤٩١ ج . م سنة ١٨٩٨ . وقد زيد ٥٠٠ ج . م اخرى في ميزانية سنة ١٩٠١ لكي يتسع نطاق هذا المشروع فصارت الاعانة السنوية ١٥٠٠ ج . م

ثم ان ٨٦ مدرسة اخرى فيها ١٤٥ معلماً و ٣٩٦٦ متعلماً (٣٣٢٣ تلميذاً و ٦٤٣ تلميذة) كانت تحت مراقبة نظارة المعارف في العام الماضي عدا الاربع مئة والثلاثة والثمانين كتاباً . وكل الكتاتيب التي تحت ادارة نظارة المعارف او تحت مراقبتها بلغت في العام الماضي ٥٦٩ فيها ١٦٢٨١ تلميذاً . ويتوقف نجاح هذه الكتاتيب وتقدمها على المال فكلما صلحت حال المالية المصرية زيد المال المعين لمساعدتها

مدارس المعلمين

ان حاجة القطر المصري الى المعلمين ولا سيما المعلمين الوطنيين الذين يعلمون اللغة الانكليزية تزيد كثيراً على عدد من يخرج من مدارس المعلمين . ثم ان ادخال التعليم الى السودان سيزيد الحاجة الى المعلمين ايضاً . ولم يدخل في العام الماضي في قسم المعلمين الوطنيين الذين يتعلمون الانكليزية في المدرسة التوفيقية سوى ثلاثة فصار عدد كل التلامذة فيهِ عشرة . والمدرسة الاخرى التي فيها قسم لتعليم المعلمين هي مدرسة الناصرية والمتعلمون فيهِ يتخرَّجون في تعليم اللغة العربية وما يعلَّم بها في المدارس الابتدائية والثانوية وكان عدد من فيهِ ٦٠ طالباً . والتلامذة في هذين القسمين يتعلمون مجاناً ويُعطَون شيئاً من المساعدة المالية . ولا سبيل غير هذا لترغيب

الشاب المصري الذي يبدو شهادة الدروس الثانوية في التعليم لان الذين يبدم هذه الشهادة عددهم قليل جداً والمرغبات لهم في الوظائف الاخرى اقوى كثيراً

مدرسة الحقوق

اقتبس هنا الكلام الآتي من تقرير المستر مكلريث عن هذه المدرسة قال

"رأست لجنة الامتحان السنوي في شهر يونيو الماضي حسب العادة فسرَّتني نتيجتهُ بوجهٍ عام

" وكانت درجة الكفاءة لاكثر تلامذة السنة الرابعة كما كانت قبلاً تقريباً وهم قلما يمتازون في ما حصلوهُ نوعاً ودرجة . ولا يلام اساتذة المدرسة على ما يرى في التلامذة من قلة ما يميزهم بعضهم عن بعض لان ليس في اسلوب التعليم الفرنسوي وما جرى مجراهُ ما يدعو الى هذا الامتياز كما اشار الى ذلك المستر باركلي منذ مدة في مقالة نشرت في جزء ابريل من مجلة جمعية مقارنة القوانين موضوعها "تعليم الحقوق في فرنسا" اثبت فيها افضلية الاسلوب الانكليزي (او عدم الاسلوب) من هذا القبيل لانهُ يجعل التلميذ يعتمد على نفسهِ ويحاول الامتياز عن غيرهِ . ويزيد الاسلوب الفرنسوي تأثيراً اذا دخل المدارس الشرقية واتصل بما اعتادهُ الشرقيون من الاساليب الفكرية. وقد اشرت الى ذلك في تقريري عن امتحان مدرسة الحقوق سنة ١٨٩٨ ولكني عالم ان ما اشرتُ بهِ حينئذٍ من مزج التعليم النظري بكثير من التعليم العملي لا يخلو من المصاعب الخاصة بهذا القطر ومع ذلك فقد يحسن ان يزاد التعليم العملي ايضاً"

وانا لست اهلاً للكلام على موضوع كهذا مثل المستر مكلريث ولكني اختبرتُ من طباع المصريين واطوارهم ما يسوّغ لي ان ابدي ما اعتقدهُ وهو ان المستر مكلريث اصاب كبد الحقيقة واشار الى امر يستحق اشد الانتباه في تعليم الحقوق وغير الحقوق في هذه البلاد فانهُ يجب ان يُرحب بكل ما يمنع الشاب المصري من ان يكون آلة صماء او بكل ما يجعلهُ يتوخى الامتياز كما قال المستر مكلريث

والظاهر ان القسم الانكليزي الذي اضيف الى مدرسة الحقوق حديثاً جارٍ على ما يرام وفيهِ الآن ثلاثة مدرسين من الانكليز وقد يضاف اليهم واحد او اثنان قريباً

والبناء الذي فيهِ مدرسة الحقوق غير صالح لها وسيبدأ بانشاء بناء جديد لها قريباً

مدرسة الصناعة

في مصر مدرسة واحدة مهمة للفنون الصناعية وهي في بولاق . ومنذ سنوات قليلة كان

كل تلامذتها يتعلمون مجاناً ولم يكونوا يعرفون مبادئ العلوم ثم طلب فريق من التلامذة المتعلمين الدخول اليها ولكن لا يزال التلامذة المجانيون ثلثي التلامذة كلهم

ومنذ سنة ١٨٩٦ اشترط على التلامذة الطالبين الدخول الى هذه المدرسة ان يكونوا قد درسوا الدروس التي تؤهلهم لدخول المدارس الثانوية وعُمل بهذا الشرط رويداً رويداً وكان في المدرسة ٣٣١ طالباً في العام الماضي والذين نالوا منهم الشهادة الابتدائية قبل الدخول اليها ٢٠٦ . ولا يقبل في فرقة التلغراف الا التلامذة الذين في يدهم الشهادة الابتدائية وكل الذين عُينوا في مصلحة التلغرافات المصرية منذ سنة ١٨٩٦ وعددهم ١٤٥ درسوا في هذه المدرسة . وقد جعلت مصلحة التلغرافات الحصول على الشهادة الابتدائية قبل الحصول على الشهادة الفنية شرطاً لازماً بناء على المبدإ المقرر وهو ان التعليم العالي الخاص يجب ان يؤسس على التعليم الابتدائي العام . وزيد عدد الطلبة في فرقة التلغراف في العام الماضي من ٥٠ تلميذاً الى ٦٠ تلميذاً وذلك بطلب مصلحة التلغرافات وزيد ايضاً فرع لتعليم الهندسة الكهربائية بطلب مصلحة سكة الحديد حتى يتعلم الشبان المصريون ما يؤهلهم لهذا العمل في تلك المصلحة

وطلب اصحاب المعامل والورش المختلفة في القطر كلهِ في العام الماضي من ناظر هذه المدرسة تلامذةً اتموا دروسهم فيها اكثر مما طلبوا منهُ في اي سنة اخرى من السنين السابقة فلم يقدر ان يلبي طلبهم كلهم . والتلامذة الذين اتموا دروسهم في العام الماضي وعددهم ٨٣ استخدموا كلهم برواتب مختلفة من ٣٦ جنيهاً في السنة الى ١٢٠ جنيهاً . والذين يأخذون الرواتب العليا استخدموا في غير مصالح الحكومة . وبلغ عدد الذين اتموا دروسهم منذ سنة ١٨٨٩ سبعمائة واثنين وتسعين تلميذاً وقد استخدموا كلهم من غير استثناء في وظائف مختلفة كما ترى

في مصلحة سكة الحديد والتلغراف	٤٠٧
في نظارة الاشغال العمومية	٠٨٢
في غيرها من المصالح الاميرية	١٢٦
في غير المصالح الاميرية	١٧٧
والجملة	٧٩٢

وقد اتسع نطاق هذه المدرسة حتى لم يعد البناء الذي هي فيهِ كافياً لها ومصلحة سكة الحديد تحتاج اليهِ لتوسيع عنابرها المتصلة بهِ ولذلك اختارت لها نظارة المعارف مكاناً في العباسية ويرجى ان يبنى لها بناءٌ فيهِ قريباً

مدرسة الزراعة

الرغبة شديدة في مدرسة الزراعة وفائدتها كبيرة للبلاد وعدد التلامذة ابناء اصحاب الاطيان الذين يطلبون الدخول اليها على ازدياد مستمر

وفيها الآن ٥٤ تلميذاً ٣٤ منهم مصريون و٢٠ اوربيون وقد نال شهادتها في العام الماضي تسعة (٧ مصريون و ٢ من اليونان) وذهب احد اليونانيين الى مدرسة ادنبرج ليتم دروسهُ فيها والثمانية الباقون وجدوا وظائف توظفوا فيها

ومما يسرُّ في امر هذه المدرسة ان الذين يتخرجون فيها لا يعتمدون على الحكومة في تحصيل معيشتهم فان كثيرين من التلامذة الذين اشرت اليهم دخلوا في خدمة اناس من كبار المزارعين . و يطلب من المدرسة الآن من هؤلاء الشبان اكثر مما تستطيع ان تخرّج

مدرسة المهندسخانة

يسرُّني ان اقول ان ادواء هذه المدرسة التي اشرتُ اليها قبلاً قد عولجت ووضعت لائحة جديدة لدروسها وضعتها لجنة رأْسها المرحوم المستر ولسون الذي كان مديراً عاماً للخزانات

قال المستر دانلوب " ان التلامذة الذين كانوا يدخلون هذه المدرسة كانت تدفع اليهم الرواتب اغراء لهم بالدرس فيها لكن هذا الاسلوب أُلغي في العام الماضي ودخلها التلامذة من غير ان يدفع اليهم شيء وهذا من علامات الارتقاء" . ولقد احسنت نظارة المعارف بابطالها اسلوب التعليم المجاني الذي كان عاماً تقريباً ومع ذلك لم تقلَّ رغبة الناس في هذه المدرسة بل زادت وزاد عدد الطلبة رويداً رويداً كما يظهر من الارقام التالية

سنة	١٨٩٧	١٦	طالباً
"	١٨٩٨	٢٧	"
"	١٧٩٩	٤٣	"
"	١٩٠٠	٥٠	"

مدرسة الطب

اشرت في تقريري الماضي الى ان الحاجة ماسَّة الى استاذ كفء لتعليم التشريح في مدرسة الطب . وقد اختير هذا الاستاذ الآن . و يظهر من الامتحانات الاخيرة ان تلامذتها يحصلون بنوع عام على ما يرضي من المعرفة وقد اعطيت الدبلوما الطبية في العام الماضي لثمانية من

التلامذة الذين جازوا الامتحان المطلوب . ودخل المدرسة ١٥ تلميذاً جديداً . وقد أُلغي حديثاً ما كان يعطاهُ التلامذة من الرواتب كما أُلغي في المهندسخانة

ثم ان القطر المصري وبلاد السودان في حاجة شديدة الى مدرسة لعلم الطب البيطري

الجمعية الزراعية

يهتمُّ المصريون كلهم بالزراعة من اعلاهم الى ادناهم اكثر مما يهتمون باي موضوع آخر على الارجح ولذلك لا عجب اذا نجحت الجمعية الزراعية التي أُنشئت منذ سنتين برئاسة البرنس حسين باشا كامل نجاحاً تاماً . وقد انضمَّ اليها ٢٦٩ عضواً في غضون السنة الماضية فصار عدد اعضائها ٧٠٨

وانا واثق ان مجلة هذه الجمعية تقرأ و يستفاد منها وهي توزعها على الاعضاء مجاناً ووزعت ايضاً من وقت الى آخر كراريس تبحث عن دود القطن وسوس الحبوب ونحو ذلك من المواضيع

وقد نجح المعرض الزراعي الذي فُتح في الاسبوع الاخير من شهر يناير الماضي نجاحاً تاماً رغماً عن شدة العواصف والامطار . واعجبني اهتمام الذين عرضوا الآلات الزراعية من الانكليز فانهم اكثر من غيرهم من الامم الاخرى على ما يظهر والآلات التي بيعت كثيرة جداً . ومن المحتمل ان اهل الزراعة من المصريين ميالون الى استعمال الاساليب الجديدة اذا رأوا انها موافقة حقيقةً لمطالب بلادهم وهذا يخالف ما يقال عنهم غالباً من انهم غير ميالين الى ذلك . واشير على صانعي الآلات من البريطانيين ان يدرسوا مطالب هذه البلاد جيداً . و يسرُّني انهم يفعلون ذلك الآن على ما يظهر من حيث الآلات التي الكلام عليها

وقد اخذت الجمعية على نفسها انتقاء تقاوي القطن وتوزيعهُ على فقراء الفلاحين فوزعت نحو ثمانية آلاف اردب جمع ثمنها مع الضرائب . وهي تعطي التقاوي لكبار المزارعين بالثمن نقداً

وزاد الترغيب في استعمال السماد منذ أُنشئت هذه الجمعية . وقد طلبت من الحكومة ان يعفى السماد الوارد الى القطر المصري من رسوم الجمارك فاجابتها الحكومة الى طلبها وعفتهُ مدة خمس سنوات . وكانت النتيجة ان اتسعت تجارة نيترات الصودا ونحوها من المواد

ومما اذكرهُ في هذا الصدد ان ٤٠٠٠ فدان زُرعت بنجراً في العام الماضي وقد بلغني ان مقدار السكر في البنجر المزروع في القطر المصري اكثر من مقدارهِ في البنجر المزروع في غيرهِ من البلدان لكن مقدار غلة الفدان ليس على ما يرام . ومن المحتمل ان ما عُلم بالاختبار حتى الآن يدعو الى اختيار اساليب اخرى لزراعتهِ فاذا نجحت التجارب اخيراً ترجح ان يزيد مقدار السكر الصادر من هذا القطر

جمعية الرفق بالحيوان

يسوءُني ان اقول ان مجموع الاشتراكات والهبات لهذه الجمعية قلَّ ١٢٠ جنيهاً سنة ١٩٠٠ عما كان سنة ١٨٩٩ وقد أُحييت ليلة سنة ١٨٩٩ اعطي دخلها للجمعية فبلغ ٢٠٠ ج . م ولكن لم تحيَ ليلة مثلها سنة ١٩٠٠ . ومع ذلك ظهر من حساب السنة الماضية ان الدخل زاد على النفقات ١٥ ج . م وهذا يعود بالمدح على المستر هيلر سكرتير الشرف في الجمعية وامين صندوقها

واعمال الجمعية جارية في اكبر مدن القطر ومدارها الشفقة والفائدة . ويُرجَى ان تجد من تعضيد الجمهور ما يدعو الى استمرارها على العمل او ما يوسع نطاقها ايضاً ان امكن . واخشى من ان الرفق بالحيوانات قليل جداً في غير المدن الكبيرة . قال المستر هيلر في تقريره عن السنة الماضية

"يُطلَب منا دواماً ان نلتفت الى حال الحيوانات في المديريات وقلة الرفق بها ويصعب تنفيذ لائحة الحيوانات في غير القاهرة ولكن الهمة مبذولة لتوسيع نطاق الجمعية على قدر الامكان"

ولا تزال جمعية الاسكندرية جارية في عملها جرياً حسناً مع قلة وسائلها

حديقة الحيوانات

بُذل الاهتمام في العام الماضي بحيوانات وادي النيل كما بذل في العام الذي قبلهُ وعُرض منها في السادس من اكتوبر الماضي ٦٧٠ حيواناً من ١٦٩ نوعاً يقابلها ٤٧٣ حيواناً من ١٣٢ نوعاً عُرضت في ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٨ . واهم ما أُتي بهِ الى الحديقة حديثاً زرافة اهداها اللورد كتشنر واوركس ابيض من الخرطوم اهداهُ السر رجينلد ونجت

وكان اكثر عمل المستخدمين في العام الماضي في اصلاح الاقفاص او اعادة بنائها وبُني بيت للفيل ورُسم رسم جديد لبناء مكان للاسد

وقد زاد اقبال الناس على الحديقة فدخلها ٢٩٦ ٤٤ نفساً سنة ١٩٠٠ يقابل ذلك ٥٦٧ ٤٣ دخلوها سنة ١٨٩٩

البحث عن اسماك النيل

امتدَّ نطاق البحث عن اسماك النيل في اوائل السنة حتى بلغ ابا حمد . ويبحث المستر لوت الآن عن اسماك البحر الابيض وهو ثقة في هذا الفن وقد اختارهُ علماء المتحف البريطاني لهذا

البحث . وطبعت صور كثيرة وجمعت المواد لرسم رسوم اخرى . وكانت الخسارة عظيمة بموت الدكتور جون اندرسن الذي كان لمشورتهِ الفائدة الكبرى لما اشتهر بهِ من سعة المعارف وهو الذي اشار بهذا البحث

الآثار المصرية

كان النجاح عظيماً في كل فروع مصلحة الآثار المصرية بادارة المسيو مسبرو البالغة تمام الكفاءة. ومن ذلك تعيين مفتشين انكليزيين فان تعينهما افاد كثيراً في حفظ الآثار من زيادة التلف والتخريب في الوجه البحري والقبلي

وتمّ الاتفاق مع نظارة الداخلية على ان يعطى العمد وضباط البوليس بعض السلطة على اماكن الآثار التي في بلدانهم وقد بانت الحاجة الى ذلك منذ زمن طويل . ومما يسرُّ ذكرهُ ما قرَّرهُ المسيو مسبرو وهو انهُ ظهر لهذا الامر نتائج حسنة فحوكم اناس كثيرون وحُكم عليهم لانهم حفروا عن الآثار من غير رخصة او سرقوا او اتلفوا بعض الآثار

والعمل جارٍ في الكرنك فان احد عشر عموداً من اعمدة البهو الكبير سقطت مدة الفيضان سنة ١٨٩٩ كما لا يخفى. واوشكت ستة اخرى على السقوط فنزعت حجارة هذه الاعمدة ودُعم غيرها مما يخشى سقوطهُ او رُمم وذلك بادارة المسيو لغرين والمسيو اهرلخ اللذين اتما هذا العمل بمهارة عظيمة ونزعت الانقاض ووضعت عليها علامات تدلُّ على نسبة بعضها الى بعض حتى يسهل اعادتها الى اماكنها اذا اريد ان تبنى هذه الاعمدة ثانية

وقد بلغني عن ثقة ان ما بقي من هذا الاثر الجليل لا بدَّ وان يتعرَّض للتلف كما هبط الماء الذي تحت وجه الارض . ولا شبهة في ان هذا الخطر يقل اذا أُنفقت الاموال الطائلة على تلافيهِ ولكن يُرتاب في ان الانفاق مهما بلغ يمكن ان يمنع ذلك منعاً تاماً لان قواعد الاعمدة ضعيفة والارض غير ثابتة وعلى كل عمود ثقل عظيم من السقف الذي فوقهُ وحجارة الاعمدة مبنية من غير طين ولا رابط آخر يربطها بعضها ببعض

ووضعت الاغلاق لابواب المدافن المهمة في طيبة . وأُصلح مدفن امنوفس الثاني وتركت جثتهُ في مكانها حتى يراها الزوَّار فيهِ. وينظر المسيو مسبرو الآن في طريقة لانارة هذه المدافن بالكهربائية حتى لا تشعل فيها الشموع بعد الآن فتتلف ما على جدرانها من النقوش

ونظفت مدافن سقارة التي اخرج المسيو لورت حديثاً ما كان فيها من الردم حتى تسهل رؤيتها . وجرى هذا العمل في هرم اوناس لاظهار مدافن فراعنة منف فكشفت خرائب المعبد

الذي كان في المدفن وقبور العائلة الملكية ووجد في واحد منها حلي وقطع من الذهب والمينا وهي الآن في متحف الجيزة

واستمرَّ العمل في بناء المتحف الجديد في السنة الماضية وتمَّ سقفهُ وواجهتهُ ماعدا صفائح الرخام والنقوش البارزة . وتمَّ ايضاً تشييدهُ بالجبس من الخارج وتشييد جانب كبير منهُ من الداخل وأُتي بعمال مخصوصين من البندقية لرصف ارضهِ بالفسيفساء

ومُدَّت سكة حديدية وقتية تصل المتحف الجديد بمتحف الجيزة لكي يسهل نقل القطع الكبيرة الثقيلة من الثاني الى الاول

وينتظر اتمام البناء الجديد واعدادهُ لنقل العاديَّات اليهِ في آخر السنة الحاضرة وارجو ان يحقق ذلك . ومتى وضعت هذه التحف الفائقة الثمن في دار لا تفعل بها النار اطمأنَّ بال كل مَن هو مسؤُول عن حكومة مصر بوجه من الوجوه

وقد بلغت الاموال التي أُنفقت على بناء المتحف الجديد ١٦٩٠٠٠ ج . م حتى آخر سنة ١٩٠٠ أُنفق منها في العام الماضي ٣٧٠٠٠ ج . م وستكون النفقات كلها اكثر كثيراً مما قُدِّر لها ولكنها ليست زائدة اذا نظرنا الى حجم البناء واهميتهِ اقول ذلك وانا لا ادَّعي شيئاً من المعرفة الفنية في هذا الموضوع

وحُوِّر الاسلوب الذي وُضع اولاً لانشاء فهرس ما في المتحف من الآثار قصد الاسراع في اتمامهِ وطُبع منهُ ثلاثة مجلدات وتنقح الآن ثلاثة أُخرى لكي تطبع . وتعدُّ سبعة مجلدات اخرى، وسترسل الى المطبعة في هذه السنة . ويظهر من ذلك ان العمل الذي شرع فيهِ رجال المتحف عظيم وقد تمَّ منهُ جانب كبير ولا بدَّ من ان تمرَّ مدة قبلما يتم كلهُ . ونفقات هذا الفهرس اكثر مما قُدِّرت وقد سمح اعضاء صندوق الدين بمبلغ آخر من المال لاتمامهِ

حفظ الآثار العربية والقبطية

استمرَّ العمل في السنة الماضية لحفظ الآثار العربية القديمة في القاهرة ولترميم بعضها وقد شمل خمسة عشر جامعاً ومدفناً واهم الترميمات في جامع المرداني وفي قصر الشمع

وابتيعت الاكواخ التي كانت مبنية حول بعض المباني القديمة وهُدِمت

وبلغت النفقات ٧٢٠٠ ج . م دفع ديوان الاوقاف ٣٢٠٠ ج . م منها . وقد وهب صندوق الدين هذه المصلحة ٢٠٠٠٠ ج . م منذ بضع سنوات فلم يبقَ منها الآن سوى ٥٣٠٠ ج . م . وعينت لجنة حفظ الآثار ٢٠٠٠ ج . م للكنائس القبطية ولكثير منها فائدة

كبيرة جدا من حيث التاريخ وعلم الآثار . واشترطت في انفاق هذا المال ان الاقباط ينفقون مبلغاً آخر معهُ ويسرُّني ان اقول ان بطريرك الاقباط رضي الآن بان ينفق ٢٥٠ ج . م كل سنة على حفظ الآثار القبطية

وتم بناء المتحف العربي الى اعلى الطبقة الاولى . ويحتمل ان يتم هذا البناء ويعدَّ لوضع الآثار فيهِ في آخر السنة . وقد بقي كثير من النقش الخارجي واتمام ما كان كذلك بطيء . وبلغ ما أُنفق عليهِ حتى آخر السنة الماضية ٣٤٠٠٠ ج . م انفق منها في السنة الماضية ١٤٠٠٠ ج . م

واعطت الحكومة لجنة حفظ الآثار ٥٣٥ فداناً من الاراضي الاميرية يبلغ ريعها السنوي ٢٠٥٠ ج . م لاجل نفقات هذا المتحف السنوية

الخاتمة

لا استطيع ان اختم هذا التقرير من غير ان اعرب عن املي وثقتي ان زيارة سمو الخديوي لانكلترا وما ابداهُ كل طوائف السكان في هذا القطر من عواطف الحب والاسى عند وفاة الملكة يمكّنان عرى الصداقة والوداد التي تربط الآن ابناء وطني بابناء مصر باشدّ مما كانت تربطهم قبلاً . ومن المحقق انهُ كلما مرَّت سنة على الاحتلال زاد الموظفون في الحكومة المصرية من الانكليز معرفةً بلغة الاهالي واخلاقهم وعاداتهم وخبرةً بما تحتاج اليهِ ادارة البلاد . وأثق من الجهة الاخرى اني غير مخطىء في قولي اذا قلت ان المصريين انفسهم يزدادون اقتناعاً سنة بعد سنة ان كل انكليزي موظف في مصر لم يوظف فيها الا اعتماداً على ان خدمتهُ نافعة لهم . ومصالح الانكليز ومصالح المصريين متفقة لا تناقض بينها بوجه من الوجوه . والحكومة الانكليزية والامة الانكليزية تهتمان بامر لهُ الشأن الاكبر عند المصريين وهو صلاح حكومة مصر ونجاح اهلها (الامضاء) كرومر

استدراك

لتقرير اللورد كرومر السنوي شأن كبير عند سكان هذا القطر لانهُ تاريخ تذكر فيهِ زبدة ما جرى في البلاد وحكومتها وما عُقدت النية على اجرائهِ . وقد طلب الينا كثيرون من فضلاء هذا القطر ان ننشرهُ لهم في المقتطف لكي يسهل عليهم الرجوع اليهِ كلما مسَّت الحاجة ويُحفَظ بهِ تاريخ بلادهم عاماً بعد عام . فاجبنا الطلب . واضطررنا ان نراعي مصطلحات الحكومة

المصرية في تعريبهِ ولو كان في ذلك من التسامح ما فيهِ لكي لا تفوت الفائدة احدًا من القرَّاء
اما قراء المقتطف في الشام والعراق وتونس والجزائر والهند وسائر البلدان التي استوطنها ابناء اللغة العربية فلا نظنهم الا راضين عن نشر هذا التقرير في المقتطف لانهم يرقبون القطر المصري بعين الاخاء ويودون ان يعرفوا ما يأول اليهِ حال ابنائهِ في زمن الاحتلال
وقد ألحق اللورد كرومر بتقريرهِ مذكرةً في الطاعون لمدير مصلحة الصحة وتقريرًا مسهبًا عن السودان لحاكم السودان العام وسردار الجيش المصري وسنترجمهما وننشرهما في الجزء التالي





تقويم المؤيد

هذا كتاب كثير الفوائد الفهُ حضرة الكاتب المجيد محمد افندي مسعود. وقولنا "كثير الفوائد" لا يفي بوصفهِ اذ اعتدنا ان نصف بهِ كتبًا لا تذكر فوائدها ازاء فوائدهِ . ومن هذه الفوائد عروض كثير من المدن الشرقية واطوالها بالنسبة الى باريس . ويا حبذا لو ذُكر الطول بالنسبة الى غرينوتش فان الاكثرين عليهِ الآن . ويليهِ فصل في حظ الانسان بمواقيت ميلادهِ لا محل لهُ في هذا التقويم المفيد لانهُ من خرافات العجائز . وبعدهُ فصل مسهب من تاريخ مصر القديم ذُكرت فيهِ زبدتهُ في اربع عشرة صفحة . ثم اسماء البابوات وتواريخ توليهم ويليهِ خلاصة جغرافية واخبار جغرافية وكلام على الممالك والملوك وفيهِ صورهم مصغرة . وفوائد شتى عن سكة الحديد والبريد والمقاييس والموازين والمكتشفات الحديثة وغذاء الانسان وتركيب جسمهِ وآداب المعاشرة وتدبير المنزل واخبار الحرب وحوادث مصر سنة ١٨٩٩ وكلمات كثيرة بالعربية والايطالية والانكليزية والفرنسوية وفوائد زراعية ثم التقويم نفسهُ وهو صفحات قليلة ذكر فيها التاريخ القمري والغربي والقبطي والشرقي والعبراني واوقات العشاء والفجر والشروق والظهر والعصر وفي ذيل كل صفحة بيت حكمي حري بالحفظ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

التقويم الازهري

هذا تقويم خاصٌ بما وضع لهُ من ذكر ايام السنة الهجرية وما يقابلها من التواريخ الغربية والقبطية واوقات شروق القمر والعشاء والفجر وشروق الشمس والظهر والعصر وضعهُ حضرة محمد محمد افندي الاسطنهاوي . والتوقيت يختلف فيهِ قليلاً عمَّا في التقويم الاول كما ترى في الاوقات التالية وهي لليوم الاول من محرم بالساعات والدقائق

	الفجر	الشروق	الظهر	العصر
تقويم المؤيد	٩ ٢٧	١٠ ٥٩	٥ ٢٩	٩ ٥
تقويم الازهر	٩ ٢٩	١١	٥ ٣٠	٩ ٦

وقال صاحب تقويم الازهر انهُ قسم بلدان القطر المصري الى خمسة اقسام حسب عروضها وذكر الاوقات الشرعية لكل قسم منها على حدتهِ فجعل من القسم الاول مصر والقليوبية وبنها وشبين الكوم ومنوف والفيوم وزفتي وعيون موسى وغيرها من البلدان مما ساوى عرضهُ ٢٩ درجة و٤٠ دقيقة الى ٣٠° و٤٠َ من شمال خط الاستواء ويدخل في هذا القسم مدينة طرابلس الغرب ومدينة الجوف بنجد ومدينة شيراز بالعجم والغويط بالشام ومدينة لاسا بالصين . وفي القسم الثاني الاسكندرية ورشيد وكفر الدوار ودمنهور ودسوق الخ وفي الثالث ببا والفشن ومغاغه وبني مزار ومطاي وهلمَّ جرًّا

ويلحق بهذه النتيجة تكهُّن عن حوادث السنة الحاضرة مكتوب بعبارة مبهمة كعبارات المنجمين كقولهِ " بشرى لاهل العصر بذهاب الاعادي من مصر بعدسه من الشهر فهناك يظهر الطاووس همتهُ العلية وينبذ الخداعات الوهمية والمشتري ناظر اليهِ والزهرة بين يديهِ وزحل حسامهُ الغدار على الاعادي الشواذ " ثم استدرك على ذلك بقولهِ " هذا ولا زلت معتقدًا ان هذا التنجيم تارة يخطىء وتارة يصيب والغالب الاول "

التحفة المصرية
لطلاَّب اللغة الانكليزية

ألَّف هذا الكتاب حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس وكيل مكتبة الاميركان بمصر لتعليم اللغة الانكليزية بالعربية وبدأهُ بتمارين بسيطة ومفردات كثيرة تليها تصاريف الافعال وجمل بسيطة فمركبة ومصطلحات انكليزية . وفسَّر بعضها بما يقابلهُ من اقوال العامة

فقال مثلاً "سكران طينه" "وما يملاش العين" "وعايش سلنقة" "ودايرفي الخبص" "وعيّط لما انفلق" ونحو ذلك مما لم يحاول الكتّاب حتى الآن ادخاله في اللغة المعربة ويلي ذلك امثال انكليزية وما يقابلها من الامثال العربية وفي هذه ايضاً جمع العامي مع الفصيح فقال "في العجلة الندامة" "وللضرورة احكام" وقال "لا تقل فول حتى يصير في المكيول" "والميت كلب والجنازة حافلة" "وافتكرنا القط جانا نقط". ثم امثلة من المكاتيب والسفاتج ونحوها وحبذا لو الحق الكلمات العامية والامثال العامة بما يقابلها في العربية الفصحى

زفرات القلوب

وهي مجموع ما رُثي بهِ فقيد العلم والفضل المرحوم الاستاذ ميخائيل مرهج

المعلم الاول الذي يربي الاطفال الشان الاكبر في ارتقاء الامم . ولقد اخطأ اكثر المشارقة في احتقارهم صناعة التعليم ومعلمي الاولاد وفي انتدابهم اليها العميان ومن لا عمل له بدلاً من ان يكلوها الى اكبر حكمائهم وفلاسفتهم و يجعلوا اجرة المعلم مثل اجرة الوزير . وطالما رأينا بلداً يمتاز عن غيره بكثرة النابغين من ابنائهِ ثم اذا بحثنا عن اسباب ذلك رأينا اكبرها وجود معلم فاضل في ذلك البلد علّم ابناءهُ هذّب اخلاقهم وثقف عقولهم وبث في نفوسهم الرغبة في طلب المعالي والابتعاد عن الدنايا . ومن هؤلاء المعلمين الذين لهم الفضل الاول على كثيرين من الشبان السوريين المرحوم المعلم ميخائيل مرهج عرفناهُ منذ سنة ١٨٦٤ وهو يدرّس الحساب في مدرسة الروم الكبرى بسوق الغرب ثم انتقل الى مدرسة عبيه واقام فيها مدة وجيزة يدرّس بعض العلوم وذهب الى الجديدة مدينة مرج عيون واقام فيها ٣٢ سنة يعلم الصغار و يرشد الكبار ويحل المشاكل . وقد رأينا من تلامذتهِ اطباء ومحامين وتجاراً ومعلمين وكلهم معترف بفضلهِ . ولقد احسن تلامذتهُ واصدقاؤهُ بما ابنوهُ بهِ وبجمع اقوالهم واقوال الجرائد في كراسة تبقى ذكراً لهُ ومحرضاً على اقتفاء خطواتهِ

الروايات المصرية

لقد احسن حضرة الاديب يعقوب افندي الجمال في طبع هذه الروايات ونشرها كما احسن حضرة الكاتب المجيد والمنشىء المتفنن خليل افندي الجاويش في تعريبها وحبذا لو اقتصر على تعريب المعاني الافرنجية التي وضعها المؤلف ولم يزدها من المبالغات العربية والمترادفات اللغوية وعسى ان يختار غير الروايات الغرامية وغير الروايات التي فيها وصف الجرائم فاننا في غنىً عن هذه وتلك ويكتفي بالروايات التي تصف احوال الناس العادية وتفيد في تهذيب الاخلاق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دليل الشام

القاهرة . صادق افندي جرجس . حنين

هل لكم ان تتفضلوا بارشادنا الى احسن دليل عربي او انكليزي للمسافر في جبل لبنان وبلاد الشام واحسن خريطة جغرافية لتلك الجهات

ج لم نرَ دليلاً عربياً لجبل لبنان وبلاد الشام حتى الآن . وفي الانكليزية كتب كثيرة تفي بالمراد منها كتاب الدكتور طمسن وهو مجلدان وكتاب الدكتور روبنصن وهو ثلاثة مجلدات لكنهما كبيران واكثر ما فيهما عن فلسطين ومنها دليل لبدكر مثل سائر ادلتهِ دقيق الحرف كثير المادَّة . وقد طبع المرسلون الاميركيون خريطة كبيرة لسورية وهي اوسع ما رأيناهُ في العربية

(٢) كاجليوسترو

ومنهُ . هل لكم ان تتكرموا بنشر ترجمة كاجليوستر لاننا قرأنا كلاماً كثيراً عن عجائبهِ وقواهُ في التنويم المغنطيسي وتأثيرهِ المهم في الماسونية والادوار التي لعبها في الثورة الفرنسوية الكبرى قرأنا ذلك كلهُ في روايات دوماس التي اختلط فيها التاريخ بالخيال فلم يتيسر لنا تمييز الحد الذي تنتهي اليهِ الحقيقة ويبتدئ عندهُ وضع الرواية

ج لا نرى محلاً الآن لنشر ترجمة هذا الخدَّاع بالتفصيل وانما نقتصر على القول انهُ ولد في بالرمو بايطاليا سنة ١٧٤٣ وهرب من المدرسة وعمرهُ ١٣ سنة ودخل ديراً للرهبان وجُعل مساعداً اصيدلاني فتعلَّم شيئاً من الكيمياء وتركيب الادوية بنى عليهِ كثيراً من اخاديعهِ . وكان يقرأُ للرهبان وهم يأكلون ويقص عليهم القصص المجونية فطرد من الدير وتبرأ منهُ ذووهُ فجعل يزوّر اوراق المشاهد وسرق واحداً من اقاربهِ وقتل آخر فسُجن وحوكم ولكنهُ نجا من العقاب لخلل في شهادة الشهود . واستعان بصائغ على كشف كنز واخذ منهُ ستين اوقية من الذهب ومضى بهِ الى المغارة التي ادعى ان الكنز فيها فلما

وصلاها هجم على الصائغ ستة في زي الابالسة كان كاجليوسترو قد اعدَّهم لذلك واوسعوا الصائغ ضرباً وتركوهُ بين حيٍّ وميت وهرب كاجليوسترو من ايطاليا مخافة ان ينتقم الصائغ منهُ وطاف في بلاد اليونان ومصر وبلاد العرب وفارس وعاد الى رودس وتعلَّم فيها الكيمياء من رجل يوناني اسمهُ التوتاس ثم مضى الى مالطة ونابلي وروميه والبندقية وتزوج في رومية بفتاة بديعة الجمال شاركتهُ في خداعهِ ونصبت حبائل جمالها شراكاً فكانت تسبي عقول الناس وزوجها يختلس اموالهم . وادَّعى زوجها انهُ طبيب ومنجم وكيماوي وفيلسوف ومستخدم للشياطين . وطاف في المانيا مدَّعياً انهُ اكتشف الاكسير الذي يطيل الحياة ويمنع الشيخوخة وادَّعت زوجتهُ انها شيخة في الستين من عمرها ولها ابن كهل وهو امير بحر في الاسطول الهولندي ولكنها بقيت في ريعان الصبا باكسير زوجها وادَّعى هو انهُ ناهز المئة والخمسين من عمرهِ

ووصل الى بطرس برج ودخل بلاط الملكة كاترينا لكن اخاديعهُ لم تخفَ عليها وعلى طبيبها وهو اسكتلندي الاصل فاضطرَّ كاجليوسترو ان يعود من روسيا بخفي حنين

وعاد الى باريس واشترك في مسألة عقد الماس المشهورة وسُجن في الباستيل ثم أُطلق سبيلهُ ومضى الى انكلترا وكانت شمس خداعهِ قد مالت الى المغيب فلم يفلح فيها بل أُودع السجن مدةً ورجع الى فرنسا وضرب في اوربا الى ان بلغ رومية فقُبض عليهِ فيها وحكم عليهِ بالسجن المؤبد ومات في السجن سنة ١٧٩٥

(٣) اكتشاف القطب الشمالي

القناطر الخيرية محمد افندي فهمي . منذ اتجهت اذهان الغربيين الى اكتشاف القطب الشمالي حتى الآن فقدوا ٤٠٠ من علمائهم و ٢٠٠ من سفنهم و ٢٥ مليوناً من الاصفر الرنان وكل ذلك لم يثنِ عزائمهم ولم يقفل خزائنهم فمتى يجدون تلك الضالَّة المنشودة

ج يظهر مما بلغتهُ البعثات الاخيرة ان اكتشاف القطب الشمالي صار قريباً جدًّا ولا يبعد ان يصل قاصدوهُ اليهِ بعد عام او عامين . ولا يلام الاوربيون والاميركيون على هذه الهمم ولو وضعت في غير موضعها لان الحياة جهاد كلها والفخر بالطلب لا بالجلب

(٤) المواسم والاعياد

ومنهُ . للمواسم والاعياد منافع ومضار فايهما اعظم المنافع او المضار .

ج ان الحكم في هذه المسألة ليس بالامر السهل وقد يتعذر وضع حكم عام يتمشى على كل المواسم والاعياد . ولكن يقال بنوع عام ان امور الناس خاضعة لنواميس طبيعية تقتضي ان لا يوجد شيء الأ وتدعو الحال الى وجودهِ ولا يستمرَّ في الوجود الأ ومنهُ نفع ما ولا يزول من الوجود الأ ويصير زوالهُ

انفع من بقائهِ . فما دامت المواسم والاعياد موجودة مرعية فوجودها دليل على ان منافعها اكثر من مضارها ومتى صارت مضارها اكثر من منافعها يشرع الناس في الشكوى منها وللغائها الى ان تبطل كلها وقد يتأخر ابطالها زماناً طويلاً لقلة الشعور بالمضار ولو كانت كثيرة . ثم ان منافعها قد تختص بفئة من الناس وتكون منها معيشتهم فيحتفظون بها ويدافعون عنها جهدهم الى ان تقوى الشكوى من مضارها ومنهم ويتغلَّب رأْي الجمهور على رأيهم او تفضل مصلحتهُ على مصلحتهم

(٥) دواء الفقر

واقد . ا ج . ق هل من دواء للفقر غير الاجتهاد والاقتصاد والقناعة فان اجتهاد الفقير ضياع في الغالب وكيف يقتصد ودخلهُ لا يقوم بنفقاتهِ . والقناعة معنى فلسفي لا يزيد دراهم الفقير درهماً وكيف يقنع من لا يملك شيئاً

الجواب ان حكمكم الاول غير صحيح لان اجتهاد الفقير غير ضائع اللهم اذا بذلهُ في وجههِ فانك اذا اردت الذهاب من القاهرة الى الاسكندرية وسرت جنوباً لا تصل الى الاسكندرية بل الى اسيوط ولكن اذا سرت شمالاً في طريق الاسكندرية وصلت اليها وكذا اجتهاد الناس لا يجدي الاَّ اذا كان في طريقهِ . ومن الامور المتعارفة ان اصحاب الاعمال يفتشون عن العمَّال المجتهدين فلا يجدونهم والكسالى يفتشون عن الاعمال فلا يجدونها . ومتى اجتهد الفقير استطاع ان يكتسب ما يزيد على كفافهِ فيستتب لهُ الاقتصاد في هذا الزائد وبذلك يعالج داء الفقر . والقناعة خلق يحلي مرارة الفقر والاَّ فغصصهُ مرة لا تطاق

(٦) اظافر البغال

ومنهُ ما السبب في تأْثير اظافر البغال في الحمل واحداثها للعقم

الجواب هذا من الخرافات التي لا تستحق البحث واذا اثبت القائلون بهِ صحتهُ بالتجارب الكثيرة الموثوق بصدقها كما يجرب العلماء ما يقولون بهِ في الناس والحيوانات ساغ البحث عن سببهِ . اما الروايات الكثيرة التي تروى من هذا القبيل فلا يصدقها عاقل ولا يؤْخذ بها في محكمة قضائية فاذا ادَّعت امرأَة ان جارتها دسَّت لها ظفر بغل في طعامها فاسقطت حملها او صيرتها عاقراً لم يأْخذ القضاة بقولها ولاحسبوهُ مستحقاً للتحقيق

(٧) الاجل المحدود

ومنهُ اجبتم في العدد السابق في باب المسائل صفحة ٢٨٠ ان الاجل غير محدود ولو لم يكن كذلك لما وجد علم الطب والعلاج . وهذا القول منافٍ لما جاءت بهِ الكتب المنزلة فكيف توفقون بين قولكم وبين ما جاءت بهِ

الجواب انا بنينا القول الذي تشيرون

اليهِ على علم البشر واختبارهم. والحقائق العلمية التي من هذا القبيل اذا خالفت ما في الكتب المنزلة فتأويل الكتب المنزلة اولى من انكار الحقائق العلمية على ما قالهُ الامام الغزالي في تهافت الفلاسفة

(٨) مدائح الشعراء

ومنهُ . ما قولكم في ما جاء بهِ حضرة النبيه الذي اصاب كبد الحقيقة فارس افندي الخوري في ما اتى بهِ في العدد السابق عن الذود عما عُزي الى المؤرخين في امر الشعراء أفلم يقل الحق ولماذا لم تصدقوا عليهِ كعادتكم حينما يظهر الحق في المراسلة والمناظرة

ج ان كان المتناظران قد وقفا عند هذا الحد فيكونان قد تركا الحكم للجمهور. اما نحن فلم نقم انفسنا للحكم بين متناظرين قط. ولم نكن لنبدي رأْينا في مسألة الأَ اذا سئلنا عنها او كانت المناظرة معنا

(٩) رجل أكول

ومنهُ . ما تقولون في رجل يستطيع ان يأْكل عجل جاموس صغير وعشرين اقة من الارز المطبوخ دفعةً واحدة وهو مستعد ان يراهن كل مَن يراهنهُ على ذلك

ج لا نقول شيئاً ولكننا نطلب من الله ان يبعدهُ عنا . وحبذا لو سمحتم لنا بذكر اسمكم حتى يكاتبكم في ذلك الذين لا يصدقونهُ او الذين يرغبون في المراهنة

(١٠) تحديد العمر

امبابه . سمعان افندي عوض . يظهر لي ان التوراة حدَّدت عمر الانسان ١٢٠ سنة ولكن احدى الجرائد ذكرت ان رجلاً روسياً عاش ١٥٠ سنة وان رجلاً آخر مات في تفليس وعمرهُ ١٢٨ سنة فكيف نقض هؤُلاء سنة الله

ج اذا ثبت لنا امرٌ ثبوتاً لا ريب فيهِ حق لنا ان نرفض ما يناقضهُ او ان نؤَولهُ حتى تزول المناقضة . ولا نعلم ما هي الادلة على ان احد هذين الرجلين عاش ١٥٠ سنة والآخر عاش ١٢٨ لان كثيرين ادَّعوا هذه الدعوى ثم لم تثبت دعواهم لدى البحث وهب انها ثبتت فتأويل ما في التوراة سهل وقد اوَّلهُ المفسرون بان المراد بايام الانسان هناك المدة الباقية الى الطوفان وهي التي بنى فيها نوح الفلك. وعليكم بمراجعة كتب التفاسير في هذه المسألة وامثالها لان المقتطف لم يوضع لها

(١١) الف ليلة وليلة

امبابه . اسكندر افندي نبيه . من وضع كتاب الف ليلة وليلة والى اية لغة تُرجم اولاً ومن نقلهُ الى الافرنسية وكذا الى الانكليزية والالمانية والروسية

ج وضعهُ الهنود وتُرجم اولاً الى الفارسية كما هو مذكور في مقدمتهِ والباب

الذي يليها . ولا ندري ما تستفيدون انتم او غيركم من معرفة اسماء المترجمين وهل تفي الفائدة بالتعب في البحث والتنقيب عن اسمائهم

(١٣) بلاد الواق واق

ومنهُ . اين جزر واق واق ومن هم سكانها

ج قال ابن خلدون انها شرقي بلاد سفالة في الجزء السابع من الاقليم الاول . ورسمها الشريف الادريسي قبالة بلاد الصين جنوباً في طرف الارض الشرقي كما ترى في خريطتهِ التي رسمناها في الصفحة ٥٨١ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف . ولا نعلم هل اراد كتَّاب العرب بهذا الاسم مسمَّى بعينهِ او جاروا القصَّاصين في ما وضعوهُ . واكثر ما ذكروهُ عن تلك البلدان القاصية مبهم قلَّما يستفاد منهُ شيء . فلا نستطيع ان نذكر شيئاً عن سكانها لاسيما واننا لا نعلم ما هو المراد بها

(١٤) كبريت الحديد

حمص . محمد افندي سعيد بن خالد الحكيم . اننا مرسلون الى حضرتكم نوعاً من انواع المعدن نرجو ان تتكرموا بفحصهِ وتخبرونا عن حقيقتهِ

ج المعدن الذي وصلنا مركب من الحديد والكبريت وليس منهُ اقل فائدة الاَّ حيث تبنى المعامل لعمل الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) فانهُ يمكن استخراج الحامض الكبريتيك منهُ حينئذٍ



آثار بعلبك

قلعة بعلبك اعظم الآثار القديمة الباقية في بلاد الشام وهي هيكلان قديمان وحصن عربي متصل بهما ومبانٍ أُخرى قريبة منها وصفناها في المجلد الثالث من المقتطف وربما عدنا الى وصفها بالاسهاب بعد زمن قصير . والظاهر ان علماء العاديات من الالمان اشفقوا ان يبقى كثير من تلك الآثار محجوباً عن الانظار فاستأذنوا الحكومة العثمانية في النقب عنها فاذنت لهم . ويظهر من رسالة كتبت من بعلبك في ٢٠ من شهر ابريل الماضي الى جريدة الاحوال في بيروت ان هؤلاء العلماء نزعوا الردم من الهيكل الكبير فظهر في جوانب بهوهِ المسدَّس مخادع الكهنة ومواقف الاصنام تتقدمها اعمدة من الحجر السماقي وظهر في وسط البهو حوض عظيم مسدَّس حفافيهِ ثلاث درجات يظن ان اعمدة سماقية كانت قائمة عليها . وظهرت محاريب البهو الكبير ومواقف الاصنام التي فيهِ كما كانت في القديم . ووجد

فيهِ كثير من الكتابات اللاتينية . وظهرت كنيسة الامبراطور قسطنطين التي بناها في وسط البهو وبان انها تحوَّلت حماماً في القرون الوسطى . ووجد الناقبون في ارضها قطعاً من الفسيفساء البديعة الصنعة فنزعوها منها لئلاَّ يتلفها الغوغاء . ومما هو حريٌّ بالذكر انهم اكتشفوا حوضاً عظيماً يبلغ عرضهُ عشرين متراً ولا يعلم طولهُ حتى الآن ولا ان كان مفرداً او في البهو حوض آخر يقابلهُ . وارتفاع جدرانهِ نحو متر وهي انصاف دوائر وزوايا عليها تماثيل بارزة في صور ملائكة مجنحة بايديها اغصان فيها الازهار والاثمار بينها رؤُوس الهة ومنها صورة اناء فيهِ اعشاب والى جانبيهِ تنينان مجنحان رأساهما في الاناء ثم رؤُوس اسود وغيرها من الضواري وكل ذلك محفوظ احسن حفظ

وشرع المهندسان الالمانيان منذ شهرين ينقبان عن هيكل الزهرة خارج القلعة فوجدا انهُ كان مبنيًّا على دكة مركبة من انصاف دوائر على احدها كتابة يونانية مسبوكة في قالب شعري . انتهى ملخصاً

سبب المطر الدموي

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان من هطول المطر الدموي في اوربا وما يظن من ان سببهُ غبار احمر حملتهُ العواصف من افريقية ومزجت بهِ ماء المطر فاحمرَّ . الاَّ ان الدكتور ومل محرر مجلة الاحداث الجوية الانكليزية يقول انهُ رأى في حوض كبير نباتاً مائيًّا نما فيهِ بعد وقوع المطر الدموي وهو قريب من نوع النبات الذي يحمرُّ بهِ الثلج ولا يُعهد وقوعهُ مع ماء المطر الاَّ نادراً واذا عصفت عاصفة فوق بركة كبيرة فيها من هذا النبات فقد تحملهُ مع مائها كما تحمل السمك والضفادع فيحمر ماؤُها بهِ ويقع المطر منها احمر دمويًّا . لكن المرجح ان لا علاقة بين هذا النبات والمطر الدموي الاخير

جسم الانسان والميكروب

يولد الطفل وجسمهُ خالٍ من الميكروبات ولكنهُ لا يكاد يتنفس الهواء ويلامس جسمهُ الماء حتى تهجم عليهِ هذه الاعداء وتتخذ بدنهُ مسكناً لها ظاهرهُ وباطنهُ . قال الدكتور متشنيكوف في خطبة تلاها حديثاً انهُ لا يمضي على الطفل اربع ساعات من حين يولد حتى تكثر الميكروبات في بدنهِ وتصل الى امعائهِ فانها تقع على جسمهِ من الهواء وتصل اليهِ من الماء وتنمو وتتكاثر في مسام جلدهِ وعلى اغشيتهِ المخاطية في فيهِ وانفهِ وعينيهِ ولولا الدموع التي تغسل العينين منها دواماً لكثرت فيهما كثيراً

وقد عدَّ الدكتور ملر الالماني اكثر من ثلاثين نوعاً مختلفاً من انواع الميكروبات التي تسكن فم الانسان بعضها لا يوجد في غيرهِ وبعضها ينتقل من الفم الى المعدة والامعاء .

ووُجد في المعدة حتى الآن ثلاثون نوعاً مختلفاً من الميكروبات واكثرها خاص بالمعدة لا يوجد في غيرها من اعضاء الهضم . والميكروبات كثيرة في الامعاء الدقاق واكثر منها في الامعاء الغلاظ وقد عدُّوا من انواعها في الامعاء الغلاظ اربعة واربعين نوعاً . وتوجد في الامعاء الغلاظ منذ اليوم الاول بعد الولادة ثم تكثر كثيراً بعد الفطام . فجسم الانسان وطن للميكروبات وانواعها قليلة فيهِ ستون او سبعون نوعاً مختلفاً ولكن آحادها كثيرة جداً تعدُّ بالملايين . ولو درى ذلك الاقدمون لقالوا الانسان عالم كبير في عالم اكبر منهُ حقيقة

فائدة الميكروبات

من الميكروبات ما هو ضارٌ حتماً كميكروب الكوليرا والسل والطاعون ومنها ما هو غير ضار او ما هو نافع ومن ذلك الميكروبات الكثيرة التي توجد في فم الانسان عادةً فلا يخفى ان جروح الفم تشفى سريعاً من نفسها وسبب ذلك في ما ذكرهُ الدكتور متشنيكوف ان هذه الميكروبات تهيج الخلايا التي حول الجرح فتكثر كريات الدم البيضاء الواردة اليها وهي تنظف الجرح من الانسجة الميتة وتسرع برءهُ . والمظنون ان ميكروبات الامعاء تقاوم الميكروبات المرضية ولولا ذلك لاصيب اكثر الناس بالكوليرا وقت انتشارها

لكن الميكروبات ليست جزءا من الجسم ولا مصلحتها مرتبطة بمصلحتهِ فهي تجاملهُ وتداريهِ ما دام سليماً قوياً واما اذا ضعف بمرض اصابهُ كالبول السكري ونحوهِ لم تعُد ترعى لهُ حرمة فتكثر فيهِ الدمامل والخراريج من الميكروبات التي فيهِ لا من غيرها ولا تعود تدافع عنهُ كما كانت تدافع وهو في قوتهِ بل قد تتعدى طورها وتخرق امعاءهُ وتتصل الى غيرها من الاعضاء فتتلفها . ولعلها سبب ما يحدث احياناً كثيرة من الصداع والاعياء والآلام العصبية بل من الامراض العقلية

ضرر مضادات الفساد

يراد بمضادات الفساد ما يستعملهُ الجراحون لمنع العفونة مثل الحامض الكربوليك ومحلول السليماني . وقد قال الدكتور متشنيكوف ان الاطباء صاروا يميلون الآن الى الاقلال من استعمالها لانها تضعف دقائق الجسم الحي حينما تضعف الميكروبات وصاروا يمنعون الميكروبات بالوسائط الميكانكية كالربط والغسل وقد يكتفون بغسل الجرح وترطيبهِ

اناس بلا معدة

وصفنا في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف امرأة نزعت معدتها لسرطان اصابها فيها وبقيت حية ترزق . والظاهر ان الاطباء اقدموا على هذه العملية بعد ذلك فصار عدد الناس الذين نزعت معدهم ولا يزالون في قيد الحياة اربعة . وقد ذكر الدكتور ككولا انهُ

نزع ثلثي الامعاء الدقاق من غير ضرر . ونزع غيره اكثر المعى الغليظ وجانباً من الامعاء الدقاق . ويستفاد من ذلك ان القليل من معدة الانسان وامعائهِ يكفيهِ في احوال الحياة الحاضرة حيث يأكل الاطعمة الكثيرة الغذاء السهلة الهضم . فالمعدة والامعاء من الاعضاء القديمة التي كانت الحاجة ماسة اليها في عهد البداوة وستضعف رويداً رويداً كما ضعفت الاسنان

الماشي الدوارة

في النية فتح سرب طويل في مدينة باريس على الجانب الايمن من السين يمرّ تحت شارع الاوبرا وشارع سباستوبول والرفولي ويكون طوله ستة اميال توضع فيهِ اربع مماشٍ مثل الماشي التي كانت في المعرض احدها ثابت والثاني يسير بسرعة متر ونصف في الثانية والثالث بسرعة ثلاثة امتار والرابع بسرعة خمسة امتار فيمشي عليها الناس ويقطعون مسافة طويلة في مدة قصيرة ولا سيما الممشى الاخير منها فان الماشي عليهِ يقطع الكيلو متر في ثلاث دقائق من الزمان . وتدار هذه الماشي بالكهربائية

القوارب الغوّاصة

اقتنع رجال الحكومة الانكليزية بفائدة القوارب الغوّاصة اي التي تغوص في الماء وتجري تحت سطحهِ على ما وصفناها وصورناها في الاجزاء الماضية وهم يبنون الآن خمسة قوارب طول كل منها نحو عشرين متراً وتفريغهُ ١٢٠ طناً . واذا سار تحت الماء فالقوة التي تسيِّرهُ الكهربائية من بطريات خزنت فيها فيسير بها سبعة اميال بحرية في الساعة ويبقى سائراً اربع ساعات حتى اذا وصل الى بارجة العدو اطلق الطربيد تحتها وعاد ادراجهُ

فتك البعوض

يموت في ايطاليا خمسة عشر الف نفس كل سنة بالحمى الملارية ومات في بلاد الهند خمسة ملايين نفس في سنة واحدة بهذه الحمى . ولعلَّ موتاها في المسكونة كلها لا يقلون عن خمسة عشر مليوناً في السنة عدا الذين يمرضون ويشفون وتضيع الشهور من عمرهم سدًى . هذا كلهُ من فعل البعوض فاين منهُ ما قيل ان البعوضة تدمي مقلة الاسد

المذنب الجديد

ورد تلغراف من سدني باستراليا انهُ رُئي فيها مذنب جديد صباح الثالث والعشرين من شهر ابريل قرب الدبران وجاء من بيرو باميركا انهُ رُئي فيها في ٢ مايو الساعة ٦ والدقيقة ٤٨ مساء وكان صعودهُ المستقيم ثلاث ساعات و٣٠ دقيقة وميلهُ درجة جنوباً . ومن مدينة الراس ان شوهد فيها في ٤ مايو

الساعة ٦ والدقيقة ٢٩ وكان صعوده المستقيم ثلاث ساعات و٥٤ دقيقة و٢٩ ثانية وميله ١٨ دقيقة و٢٧ ثانية جنوباً وهو يسير الى الجهة الشمالية الغربية وحركته اليومية ١٤ دقيقة غرباً في الصعود المستقيم و١٣ دقيقة في الميل

الغاز المنير

استخرج المسيو كوري غازاً منيراً من عنصر الراديوم اذا وضع في اناء انار في الظلام اشهراً متوالية

اشعة رنتجن بلا كهربائية

اكتشف المسيو تودون انهُ اذا وضعت صفائح المعدن في الطرف البنفسجي من الطيف صدرت منها اشعة مثل اشعة رنتجن

حفظ الفراء بالبرد

شاعت الآن طريقة جديدة لحفظ الفراء ونحوها زمن الصيف وهي ان توضع في اماكن مبرَّدة الى درجة الثلج فتحفظ من العث ولا تدعو الحال الى وضع العقاقير القوية الرائحة معها ولا الى مسحها ونفضها مرة بعد أُخرى واتلاف صوفها

سم البيرا

اتضح الآن ان ما يحدث من اعراض السم للذين يشربون البيرا يزيد عما يكون فيها من الزرنيخ فسببهُ لا يقتصر على فعل الزرنيخ بل لهُ سبب آخر وهو السلينيوم الذي قلما يخلو منهُ الحامض الكبريتيك المستعمل لتحويل السكر في عمل البيرا . والسم موجود في البيرا على الحالين مهما كان سببهُ

هيدروجين الهواء

ذكرنا في الجزء الماضي انهُ اكتشف في الهواء مقدار كبير من الهيدروجين وهو في الهواء القريب من سطح الارض نحو جزء من عشرة آلاف جزء ويقال الآن ان مقدارهُ يكثر كثيراً بالارتفاع عن سطح الارض حتى يصير ٩٥ في المئة من الهواء على ارتفاع ٦٠ ميلاً . ولعلَّ بردهُ الشديد يمنع اشتعالهُ هناك والاَّ لاشعلتهُ النيازك التي تشتعل فيهِ

النور والحرير

بحث المسيو فلامريون عن فعل النور بدود الحرير فوجد ان النور الابيض يزيد مقدار الحرير فيكون على اكثرهِ وان النور الازرق يزيد عدد الذكور والنور الاحمر والبرتقالي يزيدان عدد البيض

اكبر حجارة الغرانيت

قطع الاميركيون حجراً من الغرانيت المندمج طولهُ ٦٨ قدماً وعرضهُ ٢٠ قدماً وعمقهُ ١٤ قدماً فهو اكبر من حجر الحبلى في بعلبك لان مساحتهُ المكعبة ١٩٠٤٠ قدماً

ومساحة حجر الحبلى ١٢٩٢٢ قدماً وثقل الحجر الاميركي ١٤٠٠ طن اما حجر الحبلى فلا يزيد ثقلهُ على ٥٠٠ طن . الاَّ ان الحجر الاميركي لم يترك على حالهِ بل قطع قطعاً صغيرة وزن القطعة منها خمسة اطنان لتبنى بهِ منارة

الفحم الصناعي

في بعض الاجام مواد نباتية بالية تجتمع بعضها مع بعض وتصير طبقات سميكة ويقال ان جانباً كبيرًا من سد النيل منها . وقد استتبَّ لاحد الالمانيين الآن ان طحن هذه المواد واضاف اليها بعض المواد الكيماوية وصنع منها اقراصاً تشتعل كما يشتعل الفحم الحجري وحرارتها اشد من حرارتهِ ورمادها اقل من رمادهِ

مدرعات يابان

عزمت بلاد يابان ان تبني مدرعاتها في بلادها وتصنع لها دروع الصلب فيها ايضاً وهي تبني الآن دار صنعة كبيرة لذلك لتصنع فيها اكبر البوارج المدرعة

كنوز مصر

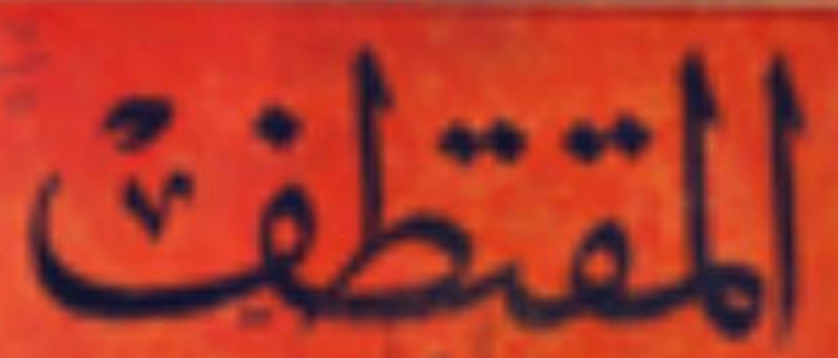
ذكرنا في الجزء الماضي دروج البردي التي اهديت الى المدارس الجامعة في اميركا مما وجد في خرائب البهنسة وقد قرأنا الآن ان جمعية النقب في مصر اهدت دروجاً أُخرى وُجدت في اماكن أُخرى غير البهنسة من ذلك رُجَع يستدل منها على كيفية جمع الضرائب سنة ١٩٦ للميلاد . وشهادة ولادة لطفل ولد لرجل اسمهُ اسخيراس وزوجتهِ إسار بون وتاريخها يقابل سنة ١٥٠ للميلاد ووصل من مسجل الاملاك واسمهُ ممبوس لرجلين اسماها ديوس وهيرودس عن عوائد بيتهما وتاريخهُ يقابل سنة ١٣١ للميلاد . وعريضة من امرأة اسمها بطُلارس تقول فيها ان اطيانها لم تروَ فلا تستطيع دفع الضرائب عنها وتاريخها يقابل سنة ١٤٣

الاوتوموبيل في الجزائر

ركب اثنان من الفرنسويين اوتوموبيلاً وطافا بهِ في بلاد الجزائر فسارا مسافة ٨٥٠ ميلاً وكثيرًا ما كانا يسيران بهِ في طرق لا يسير فيها الناس الاَّ مشاةً . ويظهر من ذلك ومما نراهُ من امر الاوتوموبيل ومما نقرأهُ عنهُ انهُ سيقوم مقام مركبات الخيل حتماً بعد زمن غير بعيد للركوب وللنقل ايضاً

اكبر الحجارة النيزكية

قيس الحجر النيزكي الذي وقع في بلاد برازيل منذ مدة فوجد طول قاعدتهِ ٥٦ قدماً وعلوهُ ٨٥ قدماً ولم يذكر عرض قاعدتهِ ولا شكلهُ ولكن اذا فرضناهُ مخروطاً مربع القاعدة فثقلهُ اكثر من ثلاثين الف طن


المقتطف

المقتطف

الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ صفر سنة ١٣١٩

الكونت تولستوي الروسي



هذا عنوان مقالة نشرناها عن الكونت تولستوي في الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر من المقتطف الصادر في غرة يناير سنة ١٨٨٨ لخصنا فيها خبر زيارة زارهُ اياها كاتب اميركي شهير اسمهُ جورج كنان . ولم يكن اسم تولستوي مشهوراً في هذه الديار فاوجزنا المقال على قدر الامكان لقلة مَن كان يعنى بهِ حينئذٍ . اما وقد كثر ذكرهُ الآن في التلغرافات

السياسية والصحف اليومية ولا سيما بعد ان حرمتهُ الكنيسة الروسية وخيف من استفحال الثورة في بلاد الروس بسببهِ فرأينا ان نعود الى حديث المستر كنان فنثبتهُ برمتهِ ونضيف اليهِ ما نتم بهِ الفائدة من اقوال كبار الكتاب حتى يرى القارئ من هو الكونت تولستوي وكيف يعيش وكيف يفكر لا سيما وان لهُ سلطة لا مثيل لها على عقول الملايين من شعوب الروس ولأنهُ يعد في الطبقة الاولى بين كتَّاب هذا العصر. قال المستر كنان :

زرت الكاتب الروسي الكونت ليو تولستوي في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٨٦ عزمت على زيارتهِ قبل ذلك بنحو سنة من الزمان وانا في مناجم سيبيريا واعداً بذلك جمهوراً من مريديهِ الذين حكم عليهم بالاشغال الشاقة مدى العمر في تلك المناجم . وكنت قد حُمّلتُ ان احمل نسخة من روايتهِ المعروفة "بالاعتراف" الى سيدة حكم عليها بالاشغال الشاقة اثني عشرة سنة لذنب سياسي. والرواية ممنوعة من بلاد الروس والنسخة المشار اليها مخطوطة خطاً ولا ادري كيف سلمت من عيون الرقباء ووصلت الى شرقي سيبيريا حيث أُتمنتُ عليها. والمراقبة شديدة في بلاد الروس على الكتب الممنوعة فيفتش رجال الحكومة كل صندوق وسفط ومتاع فوصول هذه النسخة الى شرقي البلاد دليل قاطع على ان المراقبة لا تجدي نفعاً ولا تصدُّ الافكار الحرَّة عن الانتشار ما دامت النفوس متشوقة اليها وان الحكومة تعجز عن منع ما تأبى انتشارهُ حتى بين الذين في سجونها لان النسخة المشار اليها سارت في بلاد الروس خمسة آلاف ميل رغماً عن انفها

اخذت هذه النسخة وفي اقل من ثلاثة اشهر تعرفت بالسيدة التي أُرسلت اليها وبغيرها من المنفيين الى سيبيريا وهم اما من معارف الكونت تولستوي واصدقائهِ او من الذين كانوا يكاتبونهُ . وقد رغبوا اليَّ كلهم ان ازورهُ بعد عودتي الى اوربا واصف لهُ احوالهم وما يعانيهِ المنفيون الى تلك الاصقاع الشاسعة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة فيها لجرائم سياسية أُخذوا بها . وظهر لي انهم كانوا يحسبونهُ من المحتمين بامرهم القائلين بقولهم بناء على ما رأوهُ من منع الحكومة لكتبهِ وحسبوا انهُ اذا وُصفت لهُ حالهم زاد جرأة على التنديد بالحكومة والضرب على يدها واثار افكار الجمهور عليها وانقلب من النصح والانذار الى التعيير والتهديد بل الى المقاومة الفعلية . لكنهم كانوا في خطاء مبين من هذا القبيل لانهم لو رأوا كتبهُ الحديثة وطالعوها لعلموا انها انما حرمت ومنعت لما فيها مما ينكرهُ عليهِ رجال الدين لا ما ينكرهُ عليهِ رجال السياسة. وان اساس معتقدهِ وفلسفتهِ ان لا يُقاوَم الشر بالشر. ولما طلبوا اليَّ ان اصف لهُ ما رأيتهُ من سوء الادارة في سيبيريا وكيف يمتهن المنفيون فيها قصُّوا عليَّ قصة الصوم الذي يلجأ اليهِ المنفيون احياناً فيمتنعون عن الطعام الى ان يموتوا او يخفّف رجال الحكومة عذابهم

واعطوني رسالة يوصف فيها ما حلَّ باربع نساء من المنفيات الى سجن اركوتسك احداهنَّ اخت العالم فورنتسوف وكلهنَّ من المتعلمات المتهذبات وطلبوا مني ان احمل هذه الرسالة الى الكونت تولستوي ومن ثمَّ عزمت على زيارتهِ كما تقدَّم

ومرَّت الشهور قبلما تيسرت لي العودة الى موسكو فلما وصلتها بلغني ان الكونت غادرها ومضى الى املاكهِ قرب مدينة تولا حيث يصطاف فمضيت اليها ولما نزلت في محطة سكة الحديد ناديت سائق مركبة وقلت لهُ أتعرف الكونت تولستوي فتبسم وابرقت اسرتهُ وقال كيف لا اعرفهُ ومن لا يعرفهُ في هذا المكان وهو في يسنايا بوليانا الآن ولا يبعد بيتهُ عنا سوى خمسة عشر فرستاً (١)

فقلت لهُ وهل في يسنايا بوليانا فندق انزل فيهِ . فقال كلاَّ ولكن ما لك وللفندق لماذا لا تنزل عند الكونت فانهُ رجل مضياف انيس المحضر يشتغل في ارضهِ مثل عامة الناس ويسرُّ بنزولك عليهِ ضيفاً

فحرت في امري لانني لم استسهل الذهاب اليهِ طالباً النزول في بيتهِ ولكنني لم اجد سبيلاً آخر فقلت هي الضرورة حكمت بذلك وللضرورات احكام

وركبت المركبة وكانت الساعة العاشرة وسار بي السائق وقد هبَّ نسيم الصباح فعطَّر الارجاء حتى اذا بلغنا قنة رابية وراء المدينة اطللت على ما حولي من الآكام الخضراء والحراج المحدقة بها وما يليها من الاودية والقرى المنتشرة فيها ولم ارَ في الارض سوراً ولا سياجاً يفصل بين الحقول وكانت الازهار منتشرة على جانبي الطريق من الاقحوان والشقيق والخردل البري وازهار النفل تعطر الهواء باريجها والفراش يتطاير بينها كانهُ سكر من رائحة اريجها قبل ان يهتدي اليها . وهنا وهنالك رجال من الفلاَّحين جالسين على الارض يكسرون الحصى لرصف الطريق ونساء مشمرات الذيول راجعات من المدينة بما ابتعنهُ منها وقد وضعنهُ في اكياس على اكتافهنَّ . ولما مررنا على نحو عشرة فرستات من تولا اذا نحن بمنظر تمتاز بهِ بلاد الروس على غيرها سرب من النساء جالسات الى جانب الطريق تحت شجرات باسقات يأكلنَ خبزهنَّ الاسمر وقد اضرمنَ النار وصنعنَ الشاي اداماً وشراباً منعشاً لقواهنَّ فلما وصلنا اليهنَّ نهضنَ وتناولنَ عصيهنَّ وربطنَ اباريق الشاي وفناجينهُ بمناطقهنَّ ووضعنَ اكياسهنَّ على اكتافهنَّ ومشينَ امامنا وفي اقدامهنَّ خفاف مصنوعة من العيدان وقد علا الغبار ثيابهنَّ وهنَّ قاصدات الزيارة الى دير تروانسكاي على ٤٥ ميلاً من موسكو وقد قصدنهُ من بلاد شاسعة ولهنَّ اسابيع يسرنَ ماشيات لا يخلعن ثيابهنَّ ولا ينمنَ في فراش ولا يأكلنَ غير الطعام السخيف يبلّهنَّ

(١) الفرست الميل الروسي وهو ٣٥٠٠ قدم او نحو ثلثي الميل الانكليزي

المطر ويشوين المجير الى ان يصلنَ الى الدير ويغفّرن وجوههن بارضهِ ويشربنَ من ماء بئرهِ . وترى فرق الزوار في شهري يونيو ويوليو في كل بلاد الروس قاصدةً ديرًا من الاديرة او مزارًا من المزارات اوضاربة الى ما هو ابعد من ذلك الى بيت المقدس في بلاد الشام

واشتدَّ الحرُّ وكانت الطريق بيضاء فانعكس الوهج عنها وكاد يبهر عينيَّ وبينما انا افكر ان اسأل السائق عما اذا كنَّا لا نزال بعيدين عن دار الكونت دار بالمركبة في طريق جانبي يمرُّ في الحراج وقال " نا كونتس ديخلي " اي عدنا وصلنا . فالتفت الى ما حولي وانا اتوقع ان ارى قصرًا فخيمًا يليق باشهر كتَّاب الروس وبامبرغني من امرائهم فلم ارَ الاَّ اكواخًا حقيرة على نحو ميل من الطريق فقلت لهُ اين دار الكونت فقال هناك في وسط الغاب ولا تستطيع ان تراها الاَّ حينما تصل اليها وهوذا باب الروض . فالتفتُّ واذا عمودان قديمان من الاجر وهما قائمتا الباب وعلى مقربة منهما اثار بركة قديمة ولا شيء آخر يدل على اننا بلغنا روضًا يخص رجلاً من الاغنياء . وكانت الاعشاب نامية تحت الاشجار دليل الاهمال . ولم نكد نسير مئتي متر حتى دارت بنا الطريق الى اليمن ووقفت المركبة بغتةً امام بيت ساذج البناء ابيض الجدران فيهِ طبقتان تحيط بهِ الاشجار لا تراهُ اذا ابعدتَ عنهُ اكثر من ثلاثين او اربعين مترًا . ويصعب على المرء ان يتصوَّر بيتًا ابسط منهُ لا شرفات لهُ ولا اروقة ولا افاريز ولا شيءٌ من زخارف البناء . بابهُ بسيط جدًّا لم احسبهُ مدخل البيت بل بابًا سريًّا لصغرهِ فلم اجسر على قرعهِ لئلاَّ يكون باب المطبخ وامامهُ ساحة ممهَّدة للعب والى جانبها مقعد عليهِ سيدة جالسة تقرأ وعلى رأسها برنيطة كبيرة كالمظلة تقيها من الشمس فمضيت اليها وبدأت بالاعتذار لانني اقلقتها ثم سألتها عما اذا كان الكونت في البيت فقالت اظنهُ في البيت وطلبت مني ان اتبعها فدخلتُ من هذا الباب الى غرفة صغيرة واوعزت اليَّ ان اجلس فيها ودارت الى باب آخر ونادت الكونت باللغة الانكليزية قائلة أانتَ هنا فاجابها نعم . فقالت هنا خواجه (جنتلمان) يريد ان يراك . قالت ذلك وخرجت وعادت الى الساحة وجلست حيث كانت جالسة . وللحال سمعت صوت كرسي يحرَّك وتقدَّم الكونت ووقف في الباب بين غرفتهِ والغرفة التي كنت فيها . وقد سمعت كثيرًا عن انهُ يلبس على غاية السذاجة ورأيت صورًا فوتوغرافية من صورهِ وهو بثياب الفلاحين ولذلك لم اكن انتظر ان ارى رجلاً بثياب فاخرة الاَّ اني لم انتظر ان اراهُ في الحالة التي رأيتها فيها حينئذٍ

كان الحرُّ شديدًا في ذلك اليوم والظاهر انهُ عاد حينئذٍ من الحقول والعمل فيها بثيابهِ التي قابلني بها وهي سراويل واسع مما يلبسهُ فلاَّحو الروس وقميص ابيض لا طوق لهُ وهذا كل ما كان على بدنهِ . وهو طويل القامة غليظ العضل لوَّحت الشمس وجههُ وطال شعرهُ ففرقهُ

من بين عينيهِ كالنساء . تدلُّ هيئتهُ على القوة والاستقلال والاعتماد على النفس ولا يلوح على وجههِ انهُ من رجال العلم والفلسفة بل انهُ من رجال الاعمال اهل العزيمة والحزم الذين يقتحمون المخاطر ويخوضون الاهوال غير مخسبين للعواقب . عيناهُ صغيرتان براقتان تحت حاجبين كثيفين وانفهُ كبير واسع المنخرين وشفتاهُ غليظتان منطبقتان . وما يظهر من وجههِ وذقنهِ تحت لحيتهِ الطويلة يدل على القوَّة والرجولية

قال تولستوي في احد كتبهِ ان امهُ اضطرت وهو في السادسة من عمرهِ ان تعترف بانهُ قبيح المنظر ثم قال "تخطر ببالي حينئذٍ ان الشخص الذي انفهُ واسع مثل انفي وشفتاهُ غليظتان مثل شفتيَّ وعيناهُ صغيرتان مثل عينيَّ لا لذَّة لهُ في الحياة وطلبتُ من الله ان يصنع اعجوبةً ويجعلني جميل المنظر فأُعطي كل ما املكهُ وما يمكن ان املكهُ بدل وجه جميل" . ولكن في وجههِ كما بان لي حينئذٍ شيئًا افضل واسمى من الحسن الظاهر وهو القوة الادبية والعقلية والطبيعية فان هذه القوى الثلاث تلوح عليهِ مرتسمة فيهِ

وقف في الباب امامي كانهُ لم ينتظر ان يرى رجلاً غريبًا ولكن لم يطل وقوفهُ بل تقدَّم اليَّ حالاً ويداهُ مبسوطتان ولم اكد اخبرهُ من انا حتى رحب بي وبشَّ في وجهي وهشَّ وقال انهُ مسرور جدًّا بزيارتي لهُ ولاسيما لانني اميركي . فقلت لهُ اني زرتهُ انجازًا لوعد وعدتُ بهِ بعض اصدقائهِ ومريديهِ في سيبيريا ورغبة في مشاهدة الرجل الذي طالعتُ كتبهُ فسررت بها جدًّا

فقال واي الكتب طالعت من كتبي . فقلت كل رواياتك كالحرب والسلم وحنة كرانينا والقوزاق . فقال أرأيت شيئًا من كتبي الحديثة . فقلت كلاَّ لانها نشرت بعد ذهابي الى سيبيريا . فقال اذًا لا تعرفني ولكن لا باس سأُعرفك بنفسي

وحينئذٍ دخل سائق المركبة الذي جاء بي دخل بثيابهِ الرثة فلما وقعت عين الكونت عليهِ نهض وصافحهُ كما صافحني كانهُ من اعز اصدقائهِ وسأَلهُ مسائل شتى عن اهلهِ وعن مدينة تولا وما فيها من الاخبار . ولم اكن عارفًا حينئذٍ بآرائهِ الاجتماعية فاستغربت جدًّا ان ارى اميرًا روسيًا غنيًا وكاتبًا من اشهر كتَّاب الارض يرحب بسائق مسكين ويحادثهُ كانهُ احد اصدقائهِ لكن هذا الحادث كان بداءة حوادث كثيرة ادهشتني وجعلت زيارتي لهُ مما لا يبرح تذكارهُ من ذهني . وسأَلهُ السائق ايضًا عن سلامة الكونتس زوجتهِ وسلامة اولادهِ وانصرف فالتفت اليَّ بعد انصرافهِ وطلب الي اعذرهُ لحظة ثم دخل الغرفة التي خرج منها

والغرفة التي كنت فيها صغيرة حائطان من حيطانها الاربعة ابيضان مشيدان بالجبس وفي الحائط الثالث فرن يغطيهِ الاجر المدهون والرابع حاجز من الخشب الابيض يفصل بينها

وبين غرفة الكونت وفيهِ الباب الذي خرج منهُ وليس فيها سوى ثلاثة كراسي ومعقد قديم مغطى بالجلد ومائدة صغيرة لا غطاء عليها وفي الحائط ثلاثة قرون من قرون الايائل على احدها برنيطة وقميص ابيض وفي زاوية وراء المعقد تمثال نصفيّ من المرمر وفي الغرفة ايضاً صورتان لدكنس وشكسبير من الصور المطبوعة طبعاً فليس فيها شيء من دلائل الثروة

وعاد الكونت قبلما وسعني الوقت لامعن نظري في ما حولي وهو يتمنطق بمنطقة سوداء فوق رداء رمادي ارتدى بهِ حينئذٍ وجلس اليَّ وجعل يسألني عن سياحتي في سيبيريا فاخذت اصف لهُ حال الولاة في تلك البلاد وما يقاسيهِ المنفيون اليها من الشدائد فاصغى اليَّ ولكنهُ لم يبدِ الاستغراب مما كنت اقصهُ عليهِ كانهُ اعتاد سماع امثالهِ بل حدثني هو ايضاً بمثل الاحاديث التي قصصتها عليهِ مما يدل على انهُ كان عارفاً بما يجري في سيبيريا من افعال الظلم والجور والقسوة البربرية وقد ارتأى فيها رأياً لا يحول عنهُ فسألتهُ عما اذا كان لا يستحل مقاومة مثل هذه المظالم

فقال ان ذلك يتوقف على ما تعني بالمقاومة فاذا عنيت بها المقاومة الادبية مثل الحث على الرفق بالرعايا واظهار عاقبة الجور فهذه المقاومة محللة عندي واذا عنيت بالمقاومة اخذ الامور بالشدة والعنف اي مقاومة الشر بالشر فهذا ليس من رأيي في حال من الاحوال

ثم ابان ما يرتئيهِ من واجبات الانسان كعضو من اعضاء المجتمع الانساني على ما ذكرها في كتابهِ المعنون "دياني" وفي غيرهِ من الكتب والرسائل التي الفها ونشرها حديثاً. واسهب في الكلام على ان الشر لا يقاوم بالشر وكان كلامهُ فصيحاً بليغاً وحججهُ واضحة دامغة وقال اننا اذا استعملنا العنف لمقاومة الظلم لم نستفد شيئاً بل زدنا المظالم لان العنف نفسهُ نوع من الظلم وهؤلاء المنفيون الذين ذكرتهم لي قد قاوموا الشر بالشر فكانت نتيجة مقاومتهم الفشل واراقة الدماء واتساع نطاق الشر والبغض والشقاء فلم تزل الشرور التي قصدوا ازالتها بل اضيفت اليها شرور اخرى لم تكن موجودة وما هذا بالسبيل لانتشار ملكوت الله في الارض

ولا اتذكر الآن كل الادلة والحجج التي ذكرها وعزز بها رأيهُ ولكنني اتذكر جيداً انهُ كان يكلمني ببلاغة نادرة المثال واقوال تدل على اقتناع قائلها بها فاثر ذلك في نفسي تأثيراً عميقاً . ولم تكن هذه الآراء جديدة عندي بل قد اعتدت سماعها واستماع ادلة اصحابها في بطرس برج وموسكو وتفر وقازان ولكنها لم تؤثر في نفسي كما اثرت حينئذٍ حينما فاه بها وايدها بكل دلائل الاقناع وكان وجههُ وعيناه اكبر مؤيد لها

واصغيت الى كلامهِ مدةً من غير اعتراض واخيراً اردت ان اتخلص من سلطة منطقهِ فاخذت اسألهُ مسائل تضطرهُ الى التخصيص بعد هذا التعميم فانهُ يسهل على المرء ان يقول

بنوع عام لا تقاوموا الشر بالشر ولكن اذا قلتَ لهُ ما قولكَ لو رأيت رجلاً هجم على امك والسكين في يدهِ ويكاد يذبحها بها أكنت تتركهُ لكي لا تقاوم الشر بالشر لغيّر رأيهُ او نوّعهُ اما الكونت فلم يغير رأيهُ بل بقي يقول قولاً واحداً . وقصصتُ عليهِ قصصاً كثيرة مما بلغني عن افعال الجور والقسوة والتوحش في سيبيريا وكنت اقول لهُ في آخر كل قصة لو شاهدتَ هذا الامر بنفسك ايها الكونت اما كنت تقاومهُ بالعنف فكان يجيب كلاّ . فقلتُ لهُ لو رأيتَ لصّاً عامداً الى قتل رجل بريءٍ ولم ترَ سبيلاً لخلاص الرجل الاّ بقتل اللص أفما كنت تقتلهُ . فقال لو رأيت دبّاً هاجماً على رجل لافتراسهِ لما تأخرت لحظة عن قتل الدب واما الانسان فلا يحلُّ لي قتلهُ . وحينئذٍ حضرتني القصة الآتية وهي ليست افظع من غيرها من القصص التي سردتها لهُ ولكن فيها ما يثير الشهامة والنخوة فقلت لهُ

منذ اربع سنوات اتُّهمتْ فتاة روسية بانها اشتركت في ثورة على الدولة وكانت من المتعلمات المتهذبات العائشات بالراحة والترفُّه . فأُلقي القبض عليها وطرِحت في السجن سنة من الزمان ثم حُكم عليها بالنفي فقيدت مع كثيرين من المحكوم عليهم بالنفي رجالاً ونساء الى شرقي سيبيريا . وانت تعلم مقدار ما قاستهُ مدة سفرها في مركبة مشحونة بالهوام والاقذار ومعها نفر من الجند وهي مضطرة ان تقضي حاجات الطبيعة على مرأًى منهم يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر . ولما بلغوا بها مدينة كراسنويارسك طلب منها والي المدينة ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين فابت بناء على ان المنفيين لاسباب سياسية لا يُجبرون على لبس ثياب المجرمين والاّ لكانت أُجبرت على لبس هذه الثياب من بداءة سفرها من موسكو . فابى الوالي الاّ ان تخلع ثيابها وتلبس ثياب المجرمين واصرّت هي على الرفض لاسباب لا اعلمها ولكن هب ان ليس لها سبب آخر الاّ قذارة تلك الثياب وما فيها من القمل لكفى بها سبباً لرفضها فامر الوالي الجنود ان يجردوها من ثيابها غصباً . فجعل الجنود يجردونها وهي تمانعهم وتنادي وتستغيث ولا مجيب ولا مغيث حتى تجرَّح بدنها وتضرَّجت بالدماء . وفي الآخر تغلبوا عليها وجردوها من ثيابها كلها والبسوها ثوب المجرمين . فهب ايها الكونت انك كنت في ذلك المحضر وهذه الفتاة العفيفة الطاهرة تبكي وتستغيث بك وتطرح نفسها على قدميك والجنود القساة يجردونها من ثيابها بالقوة والعنف حتى وقفت بينهم عارية لا يغطي بدنها غير دمها ودموعها بل هبْ انها ابنتك وقد عوملت هذه المعاملة الفظيعة أفما كنت تغيثها ولو اضطررت الى استعمال السلاح

فسكت والدموع ملء عينيهِ كانهُ يرى تلك الفتاة تبكي وتستغيث بهِ ولا قدرة لهُ على اغاثتها . ثم قال أتعلم يقيناً ان هذه الحادثة حدثت كما رويتها لي . فقلت انني لم اشاهدها

لعيني ولكنني سمعت وصفها من شاهدين عدلين من الذين شاهدوها . فصمت برهة ثم قال وفي هذه الحال ايضاً لا ارى وجهاً لاستعمال القوة . هب ان الوالي الذي امر بتجريد هذه الفتاة شرس الطباع فاسد الاخلاق أفلا ترجح انهُ كان يظن انهُ عامل بامر الحكومة المكلف بطاعتها فاذا عارضتهُ في عملهِ فانك تقيم نفسك حكماً عليهِ واذا قاومتهُ بالقوة فانك تزيد الشرَّ شرًّا . ثم انك لا تفلح في مقاومتك ما لم تقاوم الجنود وهؤُلاء مأمورون غير آمرين وليس في وسعهم مخالفة ما أُمروا بهِ ولا تفلح في مقاومتهم ما لم تقتل اثنين او ثلاثة منهم او تجرحهم جراحاً تمنعهم من اجراء ما أُمروا بهِ . أفمن العدل ان تقتل او تجرح هؤُلاء الجنود وهم وحدهم الابرياء بين كل المشتركين في هذا المنكر . ثم هب انك قتلت اثنين او ثلاثة من الجنود فانك لا تنجي الفتاة اذ لا بدَّ من ان يتكاثر الجنود ويجردوها من ثيابها ولكنك تكون قد وسَّعت نطاق العداوة والشقاء فان لكل واحد من الجنود الذين تقتلهم عائلةً تتوقف معيشتها عليهِ فيصيبها من الضر والبلاء بقتلك لهُ ما لا يقدَّر وصفهُ فيكثر الضر بفعلك ويعم اشخاصاً كثيرين بعد ان كان محصورًا في شخص واحد فليس هذا بالسبيل لانتشار السلام والوئام في الدنيا

وحينئذٍ اتضح لي كيف يعزّز رأْيهُ فلم اعد اجادلهُ فيهِ ولو كنت اعلم فسادهُ من وجه اجتماعي . ودُعينا الى الطعام فصعدنا الى المائدة وهي في غرفة واسعة في الدور الثاني وهذا الدور ساذج ايضاً في بنائهِ واثاثهِ كالدور الاسفل ارضهُ عارية لا شيءَ عليها واثاثهُ قديم ساذج وعلى كواهُ ستائر بيضاء وعلى جدرانهِ قليل من الصور الزيتية لعلها صور اسلافهِ الذين عاشوا في القرن الماضي

ولقيت على المائدة عائلة الكونت زوجتهُ وهي امرأة مهيبة الطلعة سوداء العينين والشعر تدلُّ هيئتها على انها كانت في صباها من الجميلات وابنتهُ البكر وقدامتْ درستْ حديثاً في احدى مدارس روسيا الجامعة وابنتهُ الكبرى وهي في نحو العشرين من عمرها وابنتين اخريين من اولاد اخيهِ واربعة اولاد آخرين . وكان هناك شاب بثياب مزخرفة من ثياب الفلاحين كأنهُ اراد ان يتمثل بالكونت في لبس ثيابهم وسيدتان متوسطتا السن لعلهما من صديقات الكونت المتشيعات لفلسفتهِ . فجلسنا نأكل ونتفكه بالحديث الطيب وكان الكونت اكثرنا جذلاً ولما قمنا عن المائدة امسك منشفةً مطرَّزة وقال انها اتتهُ هدية من احدى نساء الفلاحين وانهُ يريد ان يبيعها بالمزاد و يعطيها ثمنها لانها فقيرة جدًّا فاخذنا نتزايد في ثمنها ونحن نضحك واخيرًا قصَّر الجميع في المزايدة الاَّ ابنهُ وانا فابلغتها ربالين فقال الكونت هذا غاية ما تساويهِ ولذلك بعتكها فاعترض ابنهُ عليهِ وطلب ان يستمرَّ المزاد عسى الثمن يرتفع كثيرًا فابى قائلاً ان المنشفة لهُ ولهُ ان يبيعها بالثمن الذي يرضاهُ فاظهر ابنهُ انهُ قبل ولو على غير رضاهُ وانفضَّ الجمع فرحين ضاحكين . ستأتي البقية

مستقبل الصين

ديانة الصينيين

يدين الصينيون بمذاهب مختلفة وعقائد متفرقة ولكنها في الواقع ترجع عندهم الى ثلاث ديانات الديانة الطاوية والديانة البوذية ومذهب كنفوشيوس حكيم الصين الاكبر. وتنفرد اديانهم عن غيرها بان كل دين في الارض ينفي سواه ولا يقبل المشاركة واذا دخل قلب امرئ طرد كل اعتقاد خارج عنهُ فلا يلتقي في قلب مؤمنٍ ساكنان وان اديان اهل الصين لا يطرد بعضها بعضاً ولا ينقض اخيرٌ اوّل بل تراها تمتزج وتتحد وتساكن في قلوب مؤمنيها فيمكن ان يكون الانسان طاوياً وبوذياً وتابعاً لكنفوشيوس في آنٍ واحد . وكأنها في هذا تحتمل شبهاً من امر الطرق وللطرق المثل الاعلى فقد يعهد ان يكون الرجل شاذلياً ثم يأخذ طريقةً قادريةً او رفاعية او نقشبندية او غير ذلك ولا ينفي ذلك بعضهُ بعضاً لان جميعها ضمن دائرة الشريعة تؤدي الى مرامٍ واحد ومرمىً واحد وهو الاخلاص في ذات الله

على ان الغالب على عقول اهل الصين الاعتقاد بمظاهر الكون ومجالي الطبيعة وهو اساس دينهم فهم يرون في جميع الحركات الطبيعية من عواصف وزلازل وامطار ورياح ونوافخ برد ولوافح قيظ اختلاجات ارواح كامنة في الطبيعة كمون الماء في العود او النار في الجلمود . وعندهم ان كل ما يقع عليهِ نظرك من شجرٍ وحجرٍ وسهل وجبل وبحرٍ ونهرٍ وغير ذلك انما هو تجاويف واحناء استجنَّت بها ارواح واستكنَّت فيها جِنَّان تحرك ضمنها . فكل مادة تحركت فانما اختلج في داخلها الجن الكامن فيها . زعموا وان فوق هذا العالم الادنى عالماً علوياً من الجان والروح يملأ الفضاء ذاهباً جائياً وان الانسان نفسهُ فيهِ جزءٌ من الألهانية ولكن بدرجة منحطة ونصيب يسير منها فاحتاج لضعفهِ ان يتقي غضب الارواح الالهية بما يقدمهُ من القرابين والضحايا وان يدرأ من دون نقمتها بدخان البخور وريح القتار لأن هذه الارواح على قسمين منها ما هو صالح ومنها ما هو شرّير وكل من الفريقين يعمل على شاكلتهِ

وقد امعن الصينيون في القول بالارواح المستكنَّة والجنَّان المستجنَّة حتى رتَّبوها عوالم وفصلوها افخاذاً وقبائل وجعلوها طبقات متفاوتة فقيل ان تيان اي السماء هو المحيط بالارض والمنبث روحهُ في جميع اجزاء الطبيعة ينيرها باشعتهِ ويمدّ عليها جناح حرارتهِ . وهو الاله الاكبر وشيخ الجماعة ويسمى شانغتي وقد بحث كثير من علماء الافرنجة في اصل هذه الكلمة

فعلموا ان اصل معناها " النهار " واجتهد بعضهم في اظهار نسبة بينها وبين لفظ الجلالة عندنا توصلاً الى اثبات الوحدة في الاصل . وذهب بعض مرسلي الدين المسيحي في الصين الى ان شانغتي هذا هو الاله المعبود عند الساميين . وقيل ان بعض الباحثين عثر في كتب الصين على جميع العقائد النصرانية وزعم هايل ريموزا انهُ وجد اسم " يهوه " في كتاب " السلوك والفضيلة " من كتب الصين وردَّ غيرهم هذه المزاعم قائلاً انها اشبه بالخرافات وانها بعيدة التأويل صعبة المسلك وان هؤلاء لا يتبعون الاَّ الظن وان ديانة الصينيين مستقلة بذاتها نبتت ونمت في عقول الصينيين ومخيَّلاتهم

ومن مزاعم علماء الصين ان للوجود علتين يديران حركاتهِ اولاهما يانغ وهي العلة المذكورة وتمثلها الشمس وايام ولايتها فصول القيظ من السنة وهي علة الخير والمير وبها حياة الزرع والضرع والانسان والنبات وكل نامٍ . والثانية يين وهي العلة المؤنثة ويمثلها القمر وايام ادارتها للارض فصول البرد . فالعلتان تتعاقبان على تخت الولاية وهذه الثانية هي علة الشرّ واثرها بريد الشؤم ورائد الهلاك . فالحرارة عندهم هي الحياة والبرودة هي الموت . وما اقرب ذلك للطب بل واللغة العربية فانهم قالوا بَرَدَ الرجل يبرد بردًا مات قال صاحب اللسان وهو صحيح في الاشتقاق لانهُ عدم حرارة الروح . وفي حديث عمر فهبرهُ بالسيف حتى برد اي مات . قال الصينيون وبامتزاج هذين العنصرين الشمس والقمر يلد كل شيء وينمو كل شيء

ومن ظنونهم ان ارواح الموتى هائمة في الفضاء تطوف ببيوت الاحياء ولا تزال تؤثر في احوالهم المعاشية وتعمل في مصاير امورهم . ويقولون بثلاث انفس في الانسان الواحد الروح العقلية ومركزها الدماغ والروح الحسية ومقرها الصدر والروح المادية ومحلها البطن . فاذا مات الانسان او على رأيهم بَرَد سكنت الروح الاولى مواطن التذكار وسكنت الثانية القبر وافلتت الثالثة بلا قيد فكانت ذات خطر جسيم وشرّ مستوبَل . وربما حاولت المجاز الى اجسام أُخر وربما تهافتت على استار الاجساد تهددها بالاختراق . واذا قصر اهل هذه الروح في العبادة كانت عليهم وبالاً واشد الارواح خطرًا ارواح الاطفال لأنها كانت ناقصة عند الانفصال والغالب عليها الطيش كما لا يخفى فجدير ان لا تؤمن غوائلها ولا يُسترسل الى نواحيها . ولهذا جرت العادة بايقاد العود عند مداخل البيوت حجابًا على الابواب من دون هذه الارواح

ومما يهمُّ الصينيَّ كثيرًا اختيار مدفنهِ والتحري في امر المقابر فان روح الميت بزعمهم ان كانت متأثرة من شيء انتقمت من اهلها ولو كانوا ابرارًا فجرت لهم النكبات والمصائب لم يشفع لهم برّهم ولا نفعتهم تقواهم . ألا وان الارواح ترفرف مثل الغمام المتولي وتذهب مثل الضباب

المولي فلاجل تسهيل طروق اخيارها وسد الطرق والثنيّات على اشرارها لزم التأنق في بناء القبور والبيوت واتقان فتح السكك وحفر الترع ونحت المعادن وإمهاء الآبار . واذا حصلت بعد هذا كلهِ عظائم وامور أُنحي باللوائم على معلمي الديانة ومرشدي سبلها الذين لم يعلموا جيداً اسباب التدارك ووسائل الانقاء وهم معذورون في هذا العجز لأن التعنت ظاهر من حركاتها .
وكثيراً ما تضطر الحكومة الى ردم آبار وحفر لان الاهالي شكت من اضرارها بالمزروعات لكونها اصبحت مأوى للارواح الخبيثة وافسدت بذلك الزرع والضرع . بل ربما قامت الدعاوى وتكوّنت الخصومات بين الجيران بسبب تغيير وقع في هيئة الارض فحدث منهُ مسرب للارواح لم يكن من قبل اذ قلما تظهر حفرة في ارض الا جاءت روح واندسّت فيها فصارت رصداً على ما حواليها . وعليهِ يلزم ان يكون هناك ربّان سماويٌّ ماهر يدير سكان تلك السفينة الجوّية حسبما تقتضيهِ المصلحة ويتقي عواصف اهوائها بصنوف الحيل و يسيرها ما امكن نحو الخير ولذلك قد يبنون الابراج و يغرسون الاشجار وقاية من الارواح الخبيثة فكم جنّة هي جُنة وكم بستان هو صوان .

وريح الشمال هي الهابة بالارواح الشريرة حال كون الريح الجنوبية هي ريح الصالحين فاليمين افضل من الشمال في كل الدنيا . ثم ان لطيف المخنيات والالواء والمنعطفات المتعرّجة تدر يمناً والاودية والانهار كلها منازل الارواح الصالحة بخلاف المتعرجات البتراء والاشكال المنقطعة والخطوط المستقيمة الذاهبة صدّاً فانها ملجأ لأرواح ليس عندها شيء من الاستقامة . واليُمن كل اليمن في الحركات الملتوية ليّاً خفيفاً كحركة الريح او الماء . ويقال لهذا المذهب فنغ شوي اي الماء والهواء واصحابهُ يُعنون باستعطاف الارواح المائية والهوائية . وفي الحق انهُ مذهب هوائيّ وان عليهِ رقة الماء غير انهُ ينطبق على قوانين الصحة فاهلهُ يحمدون رأي الاطباء من الانكليز في الولوع بغرس الاشجار تنقية للهواء واستدراراً لاخلاف السحاب وفي مقابلة ذلك يكرهون المهندسين عملة الخطوط وحفَرة الحفائر . وكان من جملة اسباب منع السكك الحديدية في الصين تخوّف الاهالي من خطوطها وهذه الخرافات حالة كونها ليست بديانة الصين الرسمية فإن لها عند عامة الصين شأناً عظيماً يفوق الرسميّ والشبيه بالرسميّ .
وهذا غير عجيب لانهُ لا يوجد بقعة على وجه الارض الا وعامة اهلها متمسكون من الدين بالخرافات ومهملون اللباب . فإن العامة لاعقل لهم ودين المرء على قدر عقلهِ . ومن المرويّ عنهُ صلى الله عليهِ وسلم " الدين العقل فمن لا عقل لهُ لا دين لهُ " . ولقد تمسك الصينيون بهذه الاباطيل وهذه المضحكات ونبذوا اقوال لاوتز مؤسس ديانتهم على ما فيها من التوجه

الى الحقيقة وانكار هذه الارواح الهائمة في الفضاء الحائمة فوق رؤوس الاحياء . وعنده ان الكون المنظور ليس سوى مظهر العلة السامية التي تدرك ولا تدرك واسمها طاو اي طريق النجاة

ثم افسد الكهنة هذه الديانة كما افسد غيرهم غيرها وخلطوها بالسحر والطلسمات ونزلوا بها الى حضيض الفتيشية وقالوا بالموائد الدائرة والارواح النجسة والتنجيم والعرافة والكهانة وما اشبه ذلك من سفاسف الاقوال . وعضوا على هذه الامور بالنواجذ . فالحكومة لا تزال تحترم هذا المذهب محافظة على رضى العامة العمياء . وهي تجري على رئيسهِ الذي يزعم انهُ من سلالة لاوتز رزقاً سنوياً وهو يوزع في الآفاق الصينية نوعاً من التمائم والتعاويذ في قراطيس خضر وحمر لاجل ان يتقي بها الناس الشرور والآفات

وحيث كما قدمنا غلب على ظن الصينيين انهم محفوفون من كل الجهات بالارواح والجنّان كانوا يسعون ابداً في اتقاء غضبهم وصرف صواعق نقمهم بقضبان القرابين وبالصلوات والنذور وجرت العادة ان يقوم بذلك عندهم رئيس العشيرة او العترة او شيخ البلد او مقدَّم القوم فهو ينوب في هذا الامر عن الباقين . ولا يفيد هذا وجود واسطة عندهم بين العابد والمعبود وان هناك فئة من الكهنة لهم وحدهم حق التقديس كلاّ . وانما اعتقدوا كون الالهة انفسها طبقات بعضها فوق بعض ولاجل مراعاة النظير جعلوا الامة طبقات ايضاً وناطوا بكل طبقة من الامة معاملة طبقة من الالهة فالكبير عامل للكبير والاوسط للاوسط والاصغر للاصغر وللسلطان الامتياز بتقديم القربان للاله " السماء " وللارض والجبال التسعة والانهار الصينية العظمى ولا حق لامراء الصين التطاولُ الى مخاطبة هذه الطبقة فقد اختصت بها المخاطبات السلطانية وانما يقرّبون لطبقة ادنى من تلك وللجانّ الساكن في المحل كما ان العامة يعكفون على الحجر والشجر والحشائش وسائر الخسائس . ولما كانت الديانة عندهم من جملة دوائر الحكومة فالحكومة هي التي ترتّب هذه المراتب وتسن قوانين للتديُّن وسائر الشعائر

ولقد عهِدَت في الصين الضحايا البشرية من جملة القربات لكن غالب هذا الاصطلاح كان عند امة المغول وكان كثير من اتباع الملوك يدفنون انفسهم مع الملك المتوفى ولما مات هوانغتي قبل المسيح بنحو قرنين نزل معهُ الى القبر كثير من نسائهِ وحرسهِ ودفن عشرة آلاف رجل من الاحياء حول ضريحهِ وكان لم يزل اثر لهذه العادة الباطلة في بعض الاصقاع النائية من الصين وكثير من النساء يلقين باطفالهنَّ في الانهر قربةً وزلفى للالهة فبلغ احد الولاة عن بعض الآباء والامهات انهم يفعلون هذا الفعل الفظيع فامر بالقائهم جميعاً في نهر الكيانغ فكان جزاؤهُ من جنس عملهم . وقد عزي الفضل لكنفوشيوس ومريديهِ في ابطال هذه

المنازع الذميمة في العبادة ولكن لاشك انها كانت قد ضعفت من قبل كنفوشيوس وانما هو نسخها تماماً على ان الحكيم شديد الاستمساك بالعوائد الدينية القديمة ما عدا هذه العادة بل الدين كلهُ عندهُ عبارة عن حفظ القديم . ولم يكن لخوارق الطبيعة والمعجزات والوحي شأن عند كنفوشيوس بل هو بعيد عنها كلها ومن جملة اقوالهِ "كيف يمكننا ان نعلم ما يجري في السماء ونحن نجهل حقيقة ما هو واقع على الارض " ويروى انهُ قال لاحد تلاميذهِ وقد سألهُ عن الآخرة " انت لم تعلم الى الآن كيف تعيش في هذه الدنيا فكيف تسأل عما تصير اليهِ بعد موتك " . وما كانت مقالة كنفوشيوس الاَّ عبارة عن واجبات الانسان نحو آبائهِ وابنائهِ وبني جلدتهِ ودولتهِ وان الديانة يجب ان تهمهُ من جهة كونها من جملة اوضاع الدولة . وكان من اهل الاعتدال في افكارهِ والقصد في مشيهِ والحشمة في سلوكهِ والسذاجة في احوالهِ الخاصة حتى استحق من محاب قومهِ وحرماتهم ما صيَّرهُ اول انسانٍ عندهم . ولو سألت عن دين كنفوشيوس لم تجدهُ سوى محبة اتباعهِ لهُ فكأَن اتباعهُ ينظرون الى قول الامام عليّ رضي الله عنهُ " محبة العلماء دينٌ يُدان بهِ "

ومع شدة شغف القوم بكنفوشيوس واجلالهم لقدرهِ وتواتر القرون بعد القرون على ذكرٍ مقدَّس واحدوثةٍ فائقة وحب زائد وجلالة مؤثَّلة لم يرفعوهُ الى صف الآلهة ولا نسبوا اليهِ معجزة ولا خارقاً لطبيعة . وكان مضى على وفاتهِ اربعمائة سنة عند ما اطلقوا عليهِ لقب كونغ بمثابة دوق عند الافرنج ثم مضت اربعة قرون اخرى حتى لُقّب بالمقدس الاول ولم يُعلن عندهم انهُ اقدس واحكم وافضل شارع على وجه الارض الاَّ في دولة مينغ المتأخرة

وترى في جميع بلاد الصين مشاهد لكنفوشيوس يتنابها الذين لا تتهيأ لهم زيارة قبرهِ الحقيقيّ فيقال ان لهُ الفاً وستَّ مئة هيكل. ولما امر الامبراطور هوانغتي بحرق كتب الاولين حسداً وبغياً وكان من جملتها كتاب الشوكينغ الذي جمعهُ كنفوشيوس بلغ عدد الذين احرقوا انفسهم وراء هذا الكتاب اربعمائة وستين رجلاً . فليتأمل البشر في عقول البشر

ومن الاديان السائدة في الصين الديانة البوذية ولم تبعد هذه عن اصلها بمقدار الديانة الطاوية ولكنها بالنظر لكونها بدأَت في الصين غريبةً لم تخلُ من كونها اختلطت بكثير من عقائد الصينيين مثل قضايا الارواح والجنان والاصداء والهام فقد لقيت البوذية لدن اول دخولها من كهنة الطاوية واتباع الحكيم مقاومة شديدة فتسامح لهم دعاتها من الهنود بكثير من عقائدهم ورخصوا لهم على ادخال ذلك في البوذية فكثرت اتباع هذه الديانة وعرفها سلطان الصين بعد دخولها الى تلك البلاد بثلاثة قرون . وكيفية ما تساهل بهِ البوذيون مع الصينيين

انهم جعلوا لهم ارواح الرياح والمياه واعاظم الرجال وغير ذلك من جملة مقامات بوذا فاوجدوا في مذهبهم ما يفي باغراض الجميع . فاهل العلم والعرفان يعجبهم من مذهب بوذا مناهجهُ العقلية والعامة يميلون اليهِ لما فيهِ من الاحتفالات والزيارات والطواف وما يمنيهم اياه من انتهاء شقائهم في الدار الآخرة . والكتب المتداولة من مذهب بوذا في الصين ليست هي الكتب الشائعة عند المغول وعند اهل التبت بل الكتب الملائمة لذوق الصينيين المنطبقة على مشاربهم . وسبحان الله فكأن الدين يتلوَّن بلون البلاد التي يدخلها تلوّن الشراب بلون الاناء . واحب كتب بوذا الى الصينيين كتاب " النيلوفر الابيض " وهو مجموع مواعظ وتعازي وجمل رقيقة. واحب فرق البوذية عندهم فرقة (كوانين) وهي امرأة كانت من تلاميذ بوذا لم يكن فيهم امرأة غيرها وقد آل امرها في الآخر الى ان صارت الهة الرحمة وهي ملجأ الامهات العُقم وموئل النواتية الذين تثور عليهم العواصف . وهم يصورونها والطفل بين ذراعيها

وكان معظم استفحال مذهب بوذا بين القرن السادس والقرن الحادي عشر للمسيح وفي هذه البرهة بلغ التحمّس بهذه الديانة مبلغهُ وترجم من السنسكريت الى الصيني لا اقل من ١٥٠٠ كتاب وبنيت لبوذا الهياكل والابراج في كل ديار الصين . وهياكلهم طبقات خمس او سبع او تسع او احدى عشرة او ثلاث عشرة لأن اديان الشرق كاديان الغرب تؤثر العدد بالمفرد على الزوج ولهذه الهياكل الاجراس والنواقيس كما للكنائس . وفي الغالب يوجهون ابوابها الى الجنوب الا اذا كان ثمة جبل او نهر فتوجه نحو الجبل او النهر. والشعائر الدينية هي القرابين والاناشيد والركوع والسجود والطواف واذا طافوا انشدوا على التوالي أُومي توفو أي بوذا

على ان هذا التحمّس بمذهب بوذا قد خمدت جذوتهُ في ديار الصين وتداعى اكثر تلك الهياكل الى الخراب فهي خاوية على عروشها وقد زهدت الحكومة الصينية فيهِ وصرفت انظار الناس عنهُ بقدر ما استطاعت ولكنهُ لا يزال ذا تبع كثير تحت تلك السماء وقد يجمعونهُ كما قلنا الى مذهب طاو والى طريقة كنفوشيوس لأن كثيرين من اهل الصين يقولون " الاديان الثلاثة دين واحد " . وطالما اشترك كهنة المذاهب الثلاثة في اقامة الشعائر الدينية كانهم خدمة دين واحد وهم يقولون ان مذهب كنفوشيوس يتكفل لهم بعلم آدابهم ومذهب طاو يحفظ كيانهم ومذهب بوذا باعلاء درجة افكارهم

وانما كان مركز الديانة البوذية ومضرب عسلتها بلاد التبت فان " لاسا " قاعدة هذه البلاد هي " رومة " البوذية وقبلة جميع اتباع بوذا من جميع آفاق الصين واليها يحج وفودهم واليها تهوى افئدتهم ويسمونها " كرسي الله " والمغول يقولون " الحرم المؤبد " وفيها المحل

المسمى بجبل بوذا وفيها عشرون الف راهب ومعظم شغل سكانها العبادة فمتى مالت الشمس للمغيب ترك الناس جميع ما هم فيهِ وتجمَّعوا على السطوح وفي الساحات والجواد جماهير يصلّون و يسجون فارتفعت لذلك الاصوات من جميع انحاء المدينة

ومن جملة الاديان المعروفة في الصين الديانة اليهودية واتباعها قليلون وكثير من الصينيين يظنونهم فرقة من اهل الاسلام ويسمونهم المسلمين الزُرق لان احبارهم يلبسون قلانس زرقاء ويحتذون نعالاً زرقاء ويقال لهم ايضاً "مقطعو العروق" بسبب عادتهم ذبح الشياه لاجل طعامهم . وكانوا في الماضي اوفر عدداً من اليوم فكان منهم في باكين ونانكين وينغبو فلم يبقَ منهم الا شرذمة في كيفون قاعدة هونان والسبب في ذلك ان الجم الغفير منهم دخلوا في الاسلام ومنهم من صبا الى ديانات الصينيين والباقون منهم على الموسوية لا يتكلمون الاَّ بالصيني واحبارهم اصبحوا لا يعرفون من العبرية الاَّ قليلاً وهم يزعمون انهم طرقوا الصين من قبل المسيح بقرنين الى ما بعده بقرنين اما سيّاح الاوربيين فيظنون جلاءهم الى هناك على اثر خراب البيت المقدس وانقراض ملكهم فيهِ . ولما دخل اليهود الاوربيون بينهم بقصد تعليمهم وجدوهم يجهلون بالمرة اصلهم ولغتهم بل وجدوهم كما قال احد سياح الانكليز في تقرير للجمعية اليهودية الانكليزية سنة ١٨٧٩ "قد ولّوا وجوههم شطري مكة والمدينة"

ومن الاديان التي عرفها اهل الصين من عهد بعيد الديانة النصرانية فقد كان في بلاد الصين من النساطرة امم لا تكاد تحصى كثرة تشهد بذلك التواريخ وتنطق الآثار وسنة ١٦٢٨ عثر على حجر بقرب سنغان فو عليهِ كتابة تفيد ان داعياً سوريًّا اسمهُ اولبون دخل بلاد الصين سنة ٦٣٥ ومعهُ التصاوير والكتب المقدسة ولثلاث سنوات من وصولهِ حصل على الاذن ببناء كنيسة في سنغان ثم انتشرت هذه الديانة وصار لها اتباع في جميع الولايات ونكب اهلها خصوصاً في القرن السابع ولم يمنع ذلك ازديادهم ولما دخل ماركو بولو السائح الايطاليّ وجد منهم طوائف وافرة خصوصاً في الجهات الشمالية . وقال ابن بطوطة عند ذكر مدينة الخنساء العظمى وكونها ست مدن كبار "ان المدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك" ومن هنا تعلم وجود النصارى هناك في ذلك العهد

ولا يخفى ان النصرانية دخلت في دولة جنكيز خان امير الايغور والخطا والمغول . وجنكيز نفسهُ وإن لم يتنصر فقد كان محباً للنصارى مكرماً لهم وقال ابو الفرج الملطيّ في مختصر الدول: وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان معمَّدًا مؤمناً بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جنيقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسنا يقين كيوك خان ووالدتهِ

واهل بيتهِ بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحية وارتفع شأن الطوائف المنتمية الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن والتزم الخاص والعام من المغول ان يقولوا في السلام (برخمر) وهو لفظ سرياني معناهُ بارك مالكي

ثم تلاشت النسطورية من الصين ودخل جميع اتباعها من او يغور وتتر وطوائف اخرى في الاسلام . ومؤرخو الاوربيين يظنون وقوع ذلك لعهد تمرلنك قال اليزه ركلوس ونظن ان ذرية هؤلاء النساطرة هم الدونغان المسلمون الذين كادوا يسقطون عرش مملكة الصين في ثورتهم الاخيرة . على انهُ ما غاب مذهب نسطور من هناك حتى تجدد للنصارى على يد الكثلكة شأن في الصين ففي القرن الثالث عشر صار مونتكورفينو مطراناً على باكين وشاد هناك الكنائس .
وسنة ١٥٨١ دخل راهب يسوعي اسمهُ روغجيرو وتبعهُ دعاة أُخر واستمالوا بجهدهم وحسن مدخلهم كثيرين من رجال الدولة والكبراء الى الديانة المسيحية قال بعضهم ان هؤلاء بحسن سياستهم تنكبوا طريق الطعن في اديان الصين القديمة خشية تنفير الناس منهم فجاء الرهبان الدومينيكيون في القرن السابع عشر وخطأُوا الاولين في سياستهم فنشأت عن ذلك مناظرة في الدعوة وجاءت براءة من البابا اكليمنضوس الحادي عشر سنة ١٧١٥ مؤيدة لطريقة الدومينيكيين . هذا ما رواهُ بعضهم والعهدة فيهِ على راويهِ . ولما جرى منع النصارى الجدد من ممارسة شعائر الصين القديمة ضعف شأن التنصير بالنسبة الى الاول وسنة ١٨٧٦ كان دعاة الكاثوليكية نحو ثلاثمائة ومعهم جم من نصارى الصينيين انفسهم وقُدّر اتباعهم لذلك العهد بخمسمائة الف نسمة وان عدد المتنصرة يزداد كل عام نحو الفين واكثر ما يقع التنصير في المجاعات فان الدعاة يأخذون مئات من الاطفال ويربونهم في حجر الدين المسيحي فينشأُون نصارى

واما الدعوة البروتستانية فجاءت متأخرة اذ لم تكن معروفة قبل سنة ١٨٤٢ وانحصرت اعمالها في المواني الخمسة التي فتحتها للتجارة معاهدة نانكين . ومن سنة ١٨٦٠ فصاعداً وصلت الدعوة الى سائر الجهات ما عدا التبت والتركستان الشرقي وقد وطئ دعاة المذهب البروتستاني بلاد المغول ومندشوريا وبنوا عشرين بيمارستاناً وثلاثمائة وخمسين مدرسة فيها سبعة آلاف وخمسمائة طالب . وكان عدد بروتستان الصين منذ نحو عشرين سنة خمسين الف نسمة وقد ازدادوا الآن زيادة مهمة ولكن يقول بعض السياح ان حرب الافيون اضرت بنجاح الدعوة لأن اكثر مرسلي هذه الفرقة هم من الانكليز وحرب الافيون كرَّهت الانكليز الى الصينيين وبالاجمال تجد تجار الاوربيين يضرون بفوز ديانة الاوربيين ولذلك يحترز الدعاة من

مخالطة ابناء جلدتهم لمتنصرة الصينيين حرصاً على اخلاقهم وللتباين الواقع بين قواعد الدين المسيحي" وافعال الجالية الى هناك من اهلهِ واذا اردت ان تعرف ذلك فانظر الى الامر الامبراطوري" الصادر مرة في جريدة باكين الرسمية بشأن الاوربيين وهو "ان فئتين من الاجانب تدَّعيان اصلاح امور الصين احداهما تأمرنا بمحبة القريب كانفسنا والثانية تعلّمنا كيفية قتلهِ من مسافة بعيدة بدون حرج علينا وتبيعنا بنادقها المتقنة لكيفية القتل"

هذا وقد زعم بعضهم ان منشأ فتنة البوكسر الاخيرة التي آلت الى الحرب الحاضرة هو من امعان المرسلين في بث دعوتهم وقد شوهد ان الذين اضطُهدوا ونُكبوا في هذه الفتنة اكثر من الجميع هم الصينيون المتنصرون والصحيح ان هذا هو من جملة اسباب الثورة وليس كلها.

هذا ما عنَّ لنا ذكرهُ بشأن الاديان المختلفة في الصين على وجه الاختصار وقد ابقينا الكلام على الاسلام الى المرة الآتية شكيب ارسلان

عمران دمشق

في خلافة بني العباس

انتقل الملك الى بني العباس سنة ١٣٢ هـ فلم يميزوا بغداد عن دمشق في شيء الاَّ ان طبيعة الملك وقرب دار السلام من خراسان منبعث دولتهم ومنبثق دعوتهم دعياهم الى اختيارها على علاَّتها عاصمة لسلطانهم على انهم كانوا يعدُّون البلاد كلها لهم لا فرق بين دار ملكهم واصغر قرية منهُ . ولذا عرفت دمشق في ايامهم طعم العدل وذاقت حلاوة العمران حتى كان المسافر بينها وبين بغداد يقطع المساوف تحت ظلال الاشجار آمناً في سِربهِ

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يحنّون الى دمشق طلباً للصحة وحب المنظر منهم المأمون فانهُ اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكرهِ بدير مرّان وبنى القبَّة التي في اعلا الجبل وصيَّرها مرقباً يُوقد في اعلاها النار لكي ينظر الى ما في عسكرهِ فاذا جنَّ عليهِ الليل كان ضوءها الى ثنيَّة العُقاب(١) والى جبل الثلج

(١) قال ياقوت وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطأها القاصد من دمشق الى حمص قال احمد بن يحيى بن جابر وغيرهُ من اهل السير سار خالد بن الوليد من العراق حتى اتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم ثم سار الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المطلة على غوطة دمشق فوقف عليها ساعة ناشرًا رايته وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليهِ وسلم فكانت تسمى العقاب علماً لها ويقال انها سميت ثنية العقاب لعقاب من الطير كان ساقطاً عليها بعشهِ وفراخهِ

اما هذه المناور فقد كانت تستعمل في بلادنا قديمًا اعلامًا بحركات الاعداء . جاء في كتاب التعريف انها تستعمل للاعلام بحركات التتار اذا قصدوا البلاد للدخول لحرب او لاغارة . ولما يرفع من هذه النيران او يدخن من هذا الدخان ادلة تعرف فيها اختلاف حالات رؤية العدو والمخبر بهِ باختلاف حالاتها تارةً في العدو وتارةً في غير ذلك . وقد أُرصد في كلّ منوَّر الديادب (جمع ديدبان وهو الرقيب) والنظارة لرؤية ما وراءهم وايراه ما امامهم ولهم على ذلك رواتب مقرَّرة لا تزال دارَّة فمنذ اصلح الله بين الفئتين قلَّ بذلك الاحتفال . والمناور المذكورة تكون تارة على رؤُوس الجبال وتارة تكون في ابنية عالية ومواضعها نعرف بها اكثر السفَّارة وهي من اقصى ثغور الاسلام كالبيرة الى حضرة السلطان بقلعة الجبل حتى ان المتجدد بها عشاء كان يُعلم بها بُكرةً

ثم عدَّد مناور الطرق فقال ويرفع النار في القريتين فيرى بالعُطنة ويرفع فيها فيرى في ثنية العقاب ويرفع فيها فيرى بمأذنة العروس ويرفع فيها لما حولها انذارًا للرعاية وضمًّا للاطراف ويرفع حول دمشق بالجبل المطلّ على برزة فيرى بالمانع ويرفع بهِ فيرى بتل قرية الكتيبة . وختم بقولهِ اعلم ان من جميع ما ذكرناهُ مناور تتشعب الى ما خرج عن جادَّة الطريق الى البلاد الآخذة على جنب جنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا اما هذه المناور الآن فرسوم قد عفت وجسوم اكل شعل النار ارواحها فانطفت

وبهذا ترى ان القبة القائمة انقاضها اليوم في قمة جبل قاسيون المشار اليها في كلام صاحب التعريف والمعروفة اليوم بقبة النصران لم تكن من بناء العباسيين فقبتهم كانت مكانها ثم خربت وتجدَّد غيرها وما يقال عن قبة النصر واستخدامها منارة فيما مضى يصح ان يقال عن قبة السيار المسامتة لها من الشق الآخر من الجبل

اما القناة التي جرَّ بها ماء قرية منين لمعسكر المأمون بدير مرَّان وهو اليوم حدائق صبَّار وآس فهي من اهم الامثلة في العمران على عهد هذه الدولة لان المسافة بين منين ودير مرَّان لا تقلّ عن ثلاث ساعات يتخللها كثير من الوهاد والنجاد والشعاب والعقاب . وما من اثر يدلّ على القناة الا ما كان من بقايا مجرى نهر في سفح الجبل بادٍ للعيان على ان طوارئ الحدثان عفَت القريب عهدهُ من الآثار فما بالك بما مضى عليهِ زهاء الف سنة والناس قد نسوا تاريخ اجدادهم وتخطيط بلادهم حتى لو قلنا لهم ان المأمون بنى مرصدًا فلكيًّا في جبل قاسيون لرصد الاجرام السماوية والاحداث الفلكية وان الوغ بك التتري بنى مرصدًا بدمشق ايضًا منذ ستة قرون لاستغربوا ذلك منا ولو جئناهم عليهِ بالشواهد التاريخية

قلت ان بني العباس وخصوصاً الخلفاء الأول منهم كانوا يجلّون قدر دمشق ويعرفون لها مركزها بين البلاد حتى ان الخليفة المتوكل عزم على المقام بها ونقل دواوين الملك اليها ولو لم يستوبئها ويستثقل ماءها على ما قيل لما رحل عنها . وكان خروج المتوكل من دمشق الى سُرَّ مَن رأى سنة ثلاث واربعين ومائتين . ويُظن ان السرّ في عدوله عما قصد له هو ما كان مستحكماً بين العراقيين والشاميين من الاحقاد القديمة التي من آثارها نسبة المعاير والمعايب للبلاد التي يسكنها كل من الفريقين ولا يبعد ان خروجه كان تسكيناً لثائرة الفتن الداخلية بينهُ وبين رعيتهِ وحاشيتهِ اذ لم يكن المتوكل ممن تمدح سيرتهُ وسريرتهُ . وفي خروجهِ من بغداد يقول المهلبي من ابيات

اظنُّ الشام يشمت بالعراقِ اذا عزم الامام على انطلاقِ
فان تدعِ العراق وساكنيها فقد تُبلى المليحة بالطلاقِ

ويؤخذ مما قالهُ المسعودي ان المتوكل لما نزل بدمشق ابى ان ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع من بخار مياهها فنزل قصر المأمون وذلك بين داريا ودمشق على ساعة من المدينة في اعالي الارض وهذا الموضع بدمشق يُشرف على المدينة واكثر الغوطة وكان يعرف بقصر المأمون الى سنة ٣٣٢ ويقول السيوطي ان القصر بني للمتوكل وكيفما كان فان القصر اخنت عليهِ حادثات العصر واصبحنا ولا خَبرعنهُ ولا خُبر . وللبحتري من قصيدة يمدح المتوكل في دخولهِ الفيحاء ويصفها

امّا دمشق فقد ابدتْ محاسنها وقد وَفى لك مُطريها بما وَعدا
اذا اردتَ ملأتَ العين من بلدٍ مستحسن وزمانٍ يشبهُ البلدا
يُمسي السحاب على اجبالها فِرَقاً ويُصبح النَّبت في صحرائها بَدَدا
فلست تُبصر الاّ واكفاً خضِلاً ويانعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئتهِ او الربيع دنا من بعدما بَعُدا

ولما ضعفت الدولة العباسية اصاب الفيحاء ما اصاب غيرها من الانحطاط لاسيما في اواسط حياتها ابّان انتشر ملوك الطوائف واستبدوا بالاطراف واخذ الخلفاء لضعف عصبيتهم يستظهرون بالموالي والمصطنعين من الترك والفرس والديلم ففي خلافة الراضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة ولم يكن الوزير ينظر في شيءٍ من الامور كما روى ابن الاثير انما كان ابن رائق وكاتبهُ ينظران فيها جميعاً وكذلك كلُّ من تولى امرة الامراء بعدهُ وصارت الاموال تحمل الى خزائنهم فيتصرَّفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الاموال

وتغلب اصحاب الاطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقَ للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم

واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وبيدوشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية في يد ابي القاسم القائم بامر الله بن المهدي العلوي وهو الثاني منهم و يلقب باميرالمؤمنين والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي

وفي خلال هذه المدة قويت شوكة القرامطة فاستولوا على الشام مراراً واعملوا السيف في اهلها وملأوا ايديهم من الغنائم والنهب فقد ذكر المؤرخون ان القرامطة اخذوا دمشق فصالحهم اهلها على مال دفعوه اليهم ولكن بعد ان نهبوا وسفكوا وكذلك سنة سبع وخمسين وثلثمائة وفي رواية ايضاً سنة ٣٦٠ . وكذلك حدثت بها فتن الاسماعيلية وغيرهم من الخوارج

وبعد ان تسلط بنو طولون حكام مصر للدولة العباسية على دمشق ٧٢ سنة استولى عليها الفاطميون سنة ٣٥٨ والحقوها بمصر وبقيت سورية تابعة لهم ١٧٣ سنة حتى جاءت الدولة السلجوقية التركمانية و بسطت يدها على البلاد . وكانت الدولة الفاطمية دولة تلوّن في المشرب وتلاعب بالامة وكثرت الفتن في ايامها وخرجت الشام عن حكمها ثم عادت اليها ومع هذا فقد اجتهد الفاطميون في ترقية التجارة والصنائع والزراعة وبنوا كما قال سيديليو المساجد الفاخرة ومرصداً لابن يونس مثل ما كان للفلكيين في المملكة العباسية وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيله حتى ساوى دخل المملكة السنوي دخل المملكة العباسية زمن الرشيد وفاقت مدارس القاهرة رونقاً على المدارس البغدادية بعد ذهاب ملك بني بويه الذين عُرفوا بخدمتهم للعلم وكان الحاكم بامر الله على فساد اخلاقهِ وسوء ادارتهِ يحترم العلماء و يشوقهم باحسانهِ الى احياء العلوم (فما كان ينفيهم ولا يطردهم)

ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٢ لما استولى بجور على دمشق باسم الفاطميين ان هذا البلد كان قد خرّبهُ العرب واهل العيث والفساد وانتقل اهلهُ الى اعمال حمص فعمرت وكثر اهلها والغلات فيها ووقع الغلاء والقحط بدمشق فحمل بجور الاقوات من حمص اليها وتردد الناس في حمل الغلات وحفظ الطرق وحماها لكنهُ ظلم وقتل وصلب واخذ المال

وسنة ٣٦٣ وما بعدها جرت فتنٌ في دمشق وقت رجوعها الى المعز فخربت المنازل وانقطعت

المواد وانسدت المسالك وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد

وظلَّ السلجوقيون بدمشق حتى سنة ٦٦١ ايام قرضهم التتار وكان ابتداء دولتهم سنة ٤٣٢ وانقراضها سنة ٦٨٧ . ولم اقف على تاريخ ينطق بحال الفيحاء على عهد تلك الدولة التركية التي قامت الدولة العثمانية على انقاضها والعهد ان ملوكها كانوا على جانب من التدين والميل لراحة البلاد والسعي لسعادتها حتى صار يُضرب المثل بملوكهم الاول وقد حكموا آسيا الصغرى وارمينية وبلاد الكرج واتخذوا مدينة قونية عاصمة ملكهم

وجاء التتار دمشق مرارًا وعاملوها بما عاملوا بهِ سائر البلاد على ما رُكِزَ في غرائزهم من القتل والنهب والسبي ففي سنة ٦٥٨ استولوا عليها وسائر الشام الى غزة عقيب استيلاء هولاكو سلطانهم على بغداد وقتل المستعصم سنة ٦٥٦ واستقرت شحائنهم بها بالامان ونهبوا جميع ما فيها وخربوا اسوارها حتى اخرجهم منها الملك الظاهر بيبرس البندقداري

ويؤخذ من كلام الذهبي وابن خلدون وغيرهما ان غازان من احفاد هولاكو التتري دخل دمشق سنة ٦٩٩ ثم ارتجع عنها بعد ان بذل لهُ اهلها مالاً عظيماً وكذلك سنة ٧٠٢ جاء التتار بجموعهم الى بلاد المسلمين صحبة نائب غازان فانحاز الجند الشاميّ الى دمشق وتوجهَ الجند المصريّ نحو الشام واجتمعوا بمرج الصفر وتجاوز التتار دمشق ونزلوا "شقحب" وتراءى الجمعان ووقع القتال فانكسر التتار فولوا على ادبارهم يتبعهم المسلمون وافنوهم قتلا واسرًا وغرق في الفرات غالب من هرب من التتار

وسنة ٧٧٨ جاء جموع التتار فنزلوا بالمدرسة العادلية اكبر مدارس الشافعية بدمشق فأُحرقت ونُصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع بني امية فاحرقوهُ فاعيد عملهُ وكان المغول يحرسونهُ . قال ابن خلدون وانتهكوا حرمة المسجد بكل محرَّم من غير استثناء وهدم ما كان حول القلعة من المساكن والمدارس والابنية ودار السعادة وأُهين القضاة والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة وفحش القتل والسبي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم انجلوا عنها

واتفق ثقات المؤرخين ان دمشق شهدت اسعد ايامها على عهد الفاتحين العظيمين الملكين العادلين نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين يوسف بن ايوب لانهما من رجال الافعال لا الاقوال شعارهما العدل بين البرية ودثارهما الحنان على الرعية وقد امتدَّ العمران على عهدهما امتداد الشؤبوب وكثر العلماء والادباء في دولتيهما كثرة يتعذَّر ان تحصل عليها امة في قرنين مع ان حكمهما لم يطل اكثر من ٣٩ سنة وكل مدة بني ايوب ورأسهم صلاح الدين لم تكن

سوى ثمانين سنة تعاقب فيها عشرة اشخاص منهم امرأة واحدة وآخرهم الملك الاشرف موسى

هذا والرجلان مشتغلان بدفع الصليبيين عن سورية التي كانت سواحلها كلها بايديهم في غضون ذلك ولا تسل عن مواطنهما في الجلاد وايامهما المشهورة في الاعداء فقد استهوت العالمين حتى اشترك في تردادها وتعدادها الكافة. ولئن جرت الفتوحات العظيمة على يد الملك الناصر صلاح الدين فان لنور الدين الفضل اذ هو المؤسس والفارس وصلاح الدين بنى وجنى مع ان نور الدين تركيٌّ الاصل والجنس وصلاح الدين كرديٌّ ولكن هي التربية والتعليم اذا حسنا يستوي في الفناء الاصفر والاحمر والابيض والاسود إلاَّ قليلاً. وما حصر الفضل قط في عربيّ ولا تركيّ ولا جركسيّ ولا كرديّ ولا فارسيّ بل ولا ارمنيّ ولاروميّ ولا انكليزيّ ولا المانيّ ولا افرنسيّ

وكان الصليبيون موقنين بانهم اذا فتحوا دمشق رسخت اقدامهم في سورية ولذلك اغاروا عليها المرّة بعد المرّة فرجعوا عنها مخذولين حتى اذا كان عام ٥٤٣ هـ حاصروها زمناً بقيادة الملك كونراد الالماني ولويس السابع الفرنساوي وبودوين الثالث ملك اورشليم فلم يقدروا عليها لحصانة سورها واستماتة المدافعين وتحمسهم . فنشب القتال بين الفرنجة والمسلمين في سهل المزة وتتابعت الامداد على هؤلاء فكسروا الفرنجة ولحق فلّهم بالساحل بعد ان قطعوا اشجار البساتين للتحصن بها وافسدوها رشقاً بالنشاب وحذفاً بالاحجار واحرقوا الربوة والقبة المهدوية . ولابي الحكم الاندلسي قصيدة وصف بها جيش الفرنجة في مُخيَّمهِ ومعتركهِ ومجلدهِ ومنهزمهِ وصفاً يقرب من طريقة الافرنج اليوم قال في مطلعها

بشطيّ نهر داريا امور ما توآتينا
واقوام رأوا سفك الـ ـدما في جلّقٍ دينا
اتانا مائتا الف عديداً او يزيدونا
فبعضهمُ من أندلس وبعض من فلسطينا
ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبنينا
اذا ابصرتهم ابصر تَ اقواماً مجانينا
ولكن حرّقوا في عا جل الحال البساتينا
وجازوا المرج والتعـ ـديل ايضاً والميادينا
تخالهمُ وقد ركبوا قطائرها حرازينا
وبين خيامهم ضموا الـ ـخنازيرَ والقرابينا

وما اطمع الفرنجة في افتتاح دمشق الاَّ رخاوة صاحبها مجير الدين محمد بن بوري بن طغتكين فتابعوا الغارة على اعمالهِ واكثروا الفتك برجالهِ حتى جعلوا على اهل دمشق قطيعة كلّ سنة فكان رسولهم يجيء الى المدينة فيجبيها . وفي الروضتين ان نور الدين زنكي لم يسمُ الى اخذ دمشق الا لمعاضدة اهلها للفرنجة واستنصارهم بهم ولما استولى عليها سنة ٥٤٩ ضبط امورها كسائر بلادهِ وحصَّن سورها وقلعتها وبنى بها المدارس والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها ومنع فيها المغارم والمظالم وعاقب على شرب الخمر ووقف وقوفاً على المرضى ومعلمي الخط والقرآن ومنع من بيع الخمر في جميع بلادهِ ووقف الكتب الكثيرة واطلق المكوس والضرائب الى ما شاكل ذلك من الاسباب التي كانت مبدأ سعد الفيحاء وتربعها في ذرى العلياء فغدا الدماشقة على عهدهِ وعهد خلفهِ الملك الناصر من حسن التربية والحمية الحقيقية بمكان . والناس تبع لامامهم في الخير والشرّ

نعم زَخَرَ عمرانها اذ كان نور الدين وصلاح الدين لا يأخذان المال الاَّ من وجههِ ولا يصرفانهِ الاَّ في سبلهِ كأَنهما درسا فن الاقتصاد كاحسن ملك اوربي . قال ابن الاثير طالعتُ سير الملوك المتقدمين فلم أرَ فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرة نور الدين ولا اكثر تحرياً منهُ للعدل فانهُ كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرَّف الاَّ في الذي يخصهُ من ملك كان لهُ قد اشتراهُ من سهمهِ من الغنيمة ومن الاموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليهِ زوجتهُ من الضائقة فاعطاها ثلاث دكاكين في حمص كانت لهُ يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً فلما استقلتها قال ليس لي الاَّ هذا وجميع ما بيدي انا فيهِ خازن للمسلمين لا اخونهم فيهِ ولا اخوض نار جهنم لاجلك . هذه كل املاك نور الدين وارداتها وهذا كلامهُ لاقرب الناس اليهِ فقسهُ مع غيره

اما صلاح الدين فقد اتفق مؤرخو الخافقين على انهُ اكمل الناس رأياً وعقلاً وحسن سياسة وضنَّ الزمان بمثلهِ ملكاً يميل لخير الامة ويرغب عن الزخارف والرخاء التي تقوض اركان الممالك وتدكُّ معالم الامم حتى انهُ لما مات لم يكن في خزانتهِ سوى درهمات لا تسمن ولا تغني من جوع

ولئن نجم بين اسرة صلاح الدين ومن خلفهم في منصة الملك نواجم الشقاق من جرَّاء الاستئثار بالحكم واستبد كل منهم بطرف من المملكة او بلد منها اخذهُ على سبيل الاقطاع وسمى نفسهُ ملكاً فانهم مشوا على قدم نور الدين وصلاح الدين في خدمة البلاد وتخليص السواحل من ايدي الفرنجة . ولم يبرح معنى الوحدة بحالهِ الى ما بعد القرن السابع لأنَّ الحاكم

والمحكوم بقيت فيهما بقية من معرفة واجبهما كما هو الحال عند الغربيين اليوم فكان الحاكم اذا اراد ان يشتطّ في الطلب على الرعايا يوقفونهُ عند حدّ ويخطون لهُ دائرةً لا يتعداها ومثل ذلك قل عن المحكوم فقد كان اذا طمع الى ما ليس من شأنهِ يعاملهُ حاكمهُ بالحسنى ويربأ بهِ عن أتيانِ الباطل بمعنى ان الحاكم لم يكن مستبدًا بامرهِ يصرّفهُ كما يشاء عليهِ ان يقول وعلى المحكوم ان يفعل منقادًا كالابلهِ ويدعو بملء فيهِ لآمرهِ وناهيهِ مهما بلغ منهُ الشقاء

من اجل ذلك احتفظت دمشق بمركزها وان تكن نزلت بعض درجات عن المكانة التي انتهت اليها في الدولتين النورية والصلاحية . ومما يشعر باستبحار العمران ما ورد من ان الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات والوقائع مع التتار والافرنج المتوفى سنة ٦٧٦ ملّك من المسلمين دمشق وبعلبك وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وزلبيا وتل باشر وصهيون وبلاطيش ونرزية وحصون الاسماعيلية والشوبك والكرك وشيزر والبيرة وكانت كلها من الحواضر العامرة واليوم اصبح معظمها ضياعًا جرداء مرداء لا كلأ فيها ولا ماء بل مأوى اللصوص يخيفها الخراب

وغير خاف ان العمران في كل الامم والبلاد يكون بحسب الادوار المتقلبة عليها وميل الحكام . تفتر حركتهُ وتسكن نأمتهُ حينًا ثم تتجدد غضاضتهُ وتعود اليهِ حياتهُ . ذكر المؤرخون ان الملك الاشرف بن قلاوون الصالحي الجالس على تخت الملك سنة تسع وثمانين وستمائة مع ما اشتهر عنهُ من الفتوحات وقلة المظالم والمغارم وميلهِ للشام واهلهِ كان مغرًى بالهدم فهدم اماكن بلا داعٍ وفيهِ يقول علاء الدين الوداعي معتذرًا عنهُ لما امر بهدم الاماكن المجاورة للميدان بدمشق ووزع عمارتهُ على الامراء

إنْ أمرَ السلطان في جِلّقٍ بهدم ما جاور ميدانهُ
فانهُ قد غار لما رأى غير بيوت الله جيرانهُ

ولعلّ غيرهُ من الملوك حذوا حذوهُ في الهدم فلاهم يريدون ان يروا آثار غيرهم في الوجود ولا هم يستطيعون تقليدها فتأخذهم الغيرة والنعرة ويخربون بيوتهم بايديهم

وما وقف شقاء هذه الحاضرة عند جائحة الصليبيين وغزات التتار الاولى وغيرهم من الخوارج واهل الدعارة بل جاءها تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ بخيلهِ ورجلهِ وارسل رسلاً من قبلهِ صاحبها فقتلهم خلافًا للسنة المتبعة من ان الرسل لا تقتل عادة ولو كان بين المتحاربين حرب البسوس . قال ابن الشحنة حضر قاصد تيمورلنك فقتلهُ نائب دمشق قبل ان يسمع كلامهُ وبئسما فعل فلما أُهين تيمور بقتل رسلهِ ضيق الخناق على المدينة وهمَّ ان لا ينجلي عنها حتى يفتحها ويجعل

عاليها سافلها واعزّة اهلها اذلة واذ اسلمته طوعاً او كرهاً دخلها جيشهُ وانحى عليها ضرباً وقتلاً وتعذيباً وسلباً وسبياً وحرقاً وتخريباً . وقد بالغ مؤرخو دمشق وحلب في وصف فعالهِ واشبعوا الكلام على ذلك في رسائل خاصة . ولاشتهار حوادثهِ مبلغ المعرفة اكتفيت بالالماع اليها مع التنبيه الى ان اخبار هذه الوقعة لا تؤخذ الأ عن مؤرخ غير متحزب لفئة كابن خلدون واضرابهِ ممن شهدوها او كانوا احياء فنقلت اليهم وكتبوها بتثبت وتفحص . وليقلع من الاذهان ما يلهج بهِ بعضهم من انَّ كل خراب في هذه البلاد منشأوهُ تيمورلنك وان كان حدث بعدهُ باعوام عدة

هذا وقد حكم دمشق في هذه المدة دولتان احداها الدولة التركية بمصر والشام وعدد ملوكها اربعة وعشرون ومدة حكمهم مائة واربع وستون سنة واولهم الملك المعز عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح حاجي بن اشرف شعبان . واما الدولة الجركسية بمصر والشام فكان ابتداؤها سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقراضها سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة على يد العثمانيين وعددهم ثلاثة وعشرون نفراً اولهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم قانصوه الغوري

وهاتان الدولتان التركية والجركسية وان كانتا دون من تقدمهما في الادارة الاَّ انهما تفضلان كثيراً من الدول بحسنات ملوكهما وضبطهما البلاد ضبطاً حسناً . ومن حسناتهما ان اهل الحل والعقد منهما كانوا ينصاعون لنصائح حملة العلم رغبة او رهبة . وكم ذكر التاريخ اخباراً من تحكّم العلماء النصحاء على الامراء الاقوياء تحكماً لا يقبلهُ آحاد الناس من اعاظمهم فضلاً عن ملك من احد المتعلقين بخدمتهِ . وهذا ما دعا لان تكون مصر والشام حافلة بصنوف العلم وحفَدتهِ وجرى آل عثمان وخصوصاً محمد الفاتح على مثال مجاوريهِ في تكثير سواد العلماء في بلادهِ

على انهُ حدث في أُخريات الدولة الجركسية ما يحدث للمالك عند انقراضها فيكون سبباً لاعضال داء في احناء صدرها لا يبرأُ الاَّ بقيام دولة فتية الشباب تخلفها مكانها محمد كرد علي

العمي يبصرون

اذا ذُكرت جريدة اللانست الطبية الانكليزية وأُسند اليها قول قالتهُ او كلام نشرتهُ وعزتهُ الى احد الاطباء المشهورين واستفتحت بهِ جزءاً من اجزائها اصغى اليها القراء عالمين انهم يسمعون كلام ثقة في موضوع هو اعلم بهِ من غيرهِ ولولا ذلك ما تجاسرنا على وضع هذا العنوان لهذه المقالة لئلا يتهمنا القراء بالغلو ان لم يتهمونا بتصديق الخرافات

وموضوع المقالة خطبة للدكتور تشارلس بل تيلر جرّاح مستشفى طب العيون بمدينة نتنهام في بلاد الانكليز تلاها امام الجمعية الطبية الجراحية في تلك المدينة وصدَّرت بها جريدة اللانست عددها الصادر في ٢٧ ابريل الماضي . وقد انصف الخطيب نفسهُ والعلم الصحيح حيث جعل عنوان خطبتهِ ما ترجمتهُ " المعالجة التي تنجح احيانًا في شفاء العمى الذي يظهرانهُ لا يقبل الشفاء " (The sometimes successful treetment of cases of apparently incurable blindness).

وليس من قصدنا ان نترجم خطبة الخطيب كلها على ما فيها من الفوائد الجمة ولا ان نثبت كل ما ذكرهُ من التعاليل الطبية بل ان نقتصر على ذكر اساليب العلاج التي عالج بها بعض العميان فردَّ اليهم البصر . وقد قسم اساليب العلاج التي استعملها الى اربعة اقسام الاول الكهربائية على اختلاف انواعها . والثاني الادوية الزيبقية بجرعات كبيرة وحدها او مع غيرها من الادوية . والثالث المحوّلات كالفصد والحجامة والعلق (الدود) والحراريق . والرابع معالجة كل مصاب بما يناسب حالهُ من العمليات الجراحية والوسائل العلاجية . وقد ابقينا الكلام بصيغة المتكلم ولو اختصرناهُ كثيرًا وتصرفنا فيهِ بتقديم وتأخير قال

من الذين عالجتهم بالاسلوب الاول رجل عمرهُ ٣٥ سنة أُرسل الى نتنهام ليتعلَّم صناعةً في ملجإِ العميان فانهُ عمي على اثر التهاب في العصب البصري ولما رأيتهُ كان سواد عينيهِ ابيض ولم يكن يميز بين نور النهار وظلمة الليل وقد عولج بكل وسائط العلاج العادية فلم تنجع فيهِ لكني اقنعت ذويهِ ان يأتوني بهِ مرةً او مرتين كل يوم وعالجتهُ بمجرًى من الكهربائية قوي جدًّا قدر ما يحتمل فلم يظهر فيهِ فرق في بادىء الامر فاستنتجت ان شفاءهُ ضرب من المحال لكنني عزمت ان استمرَّ على معالجتهِ مدة أُخرى فظهر فيهِ شيء من دلائل النجاح رأى النور اولاً وميزهُ عن الظلمة ثم زاد جلاء بصرهِ رويدًا رويدًا يومًا بعد يوم الى ان صار يمشي وحدهُ من غير دليل واخيرًا انجلى بصرهُ تمامًا وعاد الى عملهِ الذي كان يعمل بهِ قبلما عمي وهو يقرأُ الآن صحف الاخبار ويرى عن قرب وعن بعد تمام الرؤْية وقد مضى عليهِ كذلك اثنتا عشرة سنة

والكهربائية تعيد الى الاعصاب والاعضاء عمومًا قوتها اذا كانت قد ضعفت ولا شيء يقوم مقامها في ذلك ولا سيما اذا كان الضعف ناتجًا عن الانفلونزا او الدفثيريا او البول السكري او التيفوس او التيفويد او الحميات الروماتزمية . فانها قوية محللة وهي آخر واسطة يُلجأُ اليها اذا ضُمر العصب البصري او ضعف البصر إِما من الشيخوخة او من الامراض المنهكة او من شرب المسكرات وتدخين التبغ

وقد استفاد كثيرون من الذين عالجتهم بها وحدها او مع غيرها من الوسائل ومنهم اناس كانوا مصابين بالهستيريا او العمى المسبَّب عن شلل الشبكية او ضعف البصر الناتج عن فقر الدم او ضمور العصب البصري الناتج عن التيفويد او غيرها من الامراض المنهكة. ولا يسعني الوقت الآن لزيادة الاسهاب في هذا الباب فانتقل الى الاسلوب الثاني

وهو العلاج بجرعات كبيرة من الزيبق (بيّن اولاً ان الزيبق نفسهُ لا يضرُّ ولو كانت جرعاتهُ كبيرة الاَّ بعض الذين خصُّوا بمزاج يؤَثر فيهِ الزيبق كثيرًا الى ان قال)

وههنا صورة فتاة عمرها ١٥ سنة تأخذ الزيبق منذ اربع سنوات. لما رأيتها اولاً كانت عمياء لا تبصر شيئًا من التهاب القزحية والقرنية ولم تكن حدقتاها ظاهرتين وقد عالجها كثيرون من مشاهير الاطباء وحكموا انها لا تشفى لكنها شفيت تمامًا بالزيبق وجادت صحتها ايضًا

ومن الذين شفيتهم بهِ ايضًا رجل من الاعيان كان اولاً قصير البصر ثم اصيب بالالتهاب المشيمي القزحي تبعهُ انسكاب في الرطوبة الزجاجية فاظلمت عيناه حتى تعذَّر ادخال النور اليهما وانارة باطنهما بهِ وعولج بجرعات صغيرة من الزيبق وحكم اشهر الاطباء انهُ لا يشفى. فعالجتهُ بالكهربائية وبجرعات كبيرة من الزيبق والدلك والبيلوكربين والمحوّلات فلم يمضِ عليهِ شهر من الزمان حتى شفي تمامًا وبقي صحيح البصر الى حين وفاتهِ بعد عدة سنوات.

وقد عالجت ثلاثة آخرين مرضهم مثل مرضهِ فشفوا مثلهُ احدهم من محرري الجرائد المشهورين والثاني تاجر معروف والثالث ممثلة من الممثلات الشهيرات وحينما رأيتها كان قد مضى عليها سنتان وهي عمياء وظهر لي بعد معالجتها ان في عصبها البصري ضمورًا كثيرًا فلم تشفَ تمامًا لكن شفاءها كفى لعودها الى التمثيل

ويستعمل الزئبق حبوبًا (الحبوب الزرقاء) ومرهمًا وبخارًا وحقنًا تحت الجلد. ويلزم غالبًا اضافة المورفيا الى الحبوب ويعطى معها البيلوكربين وجرعتهُ نصف قمحة من الداخل او يحقن تحت الجلد بعشر قمحة الى ربع قمحة

اما المحولات فافضلها الفصد (واسهب هنا في فوائد الفصد ولام الاطباء لاقلالهم منهُ وقال انهُ لا علاج غيرهُ ينجي من الموت في بعض الاحوال المرضية. وربما عدنا الى ذكر كلامهِ في هذا الموضوع في فرصة أخرى ثم قال) اذا كانت العين رمداء تعذَّر علينا الآن اقناع احد باستخراج الدم ولكنني شفيت واحدًا حالاً بوضع سبعين علقة (دودة) على صدغهِ.

ومن المحولات ما يفيد مثل استخراج الدم وذلك بتحويل الفعل العصبي من جهة الى اخرى مثل الخردليات والحراريق والكي بالحمصة واكياس الثلج واكياس الماء السخن والتنطيل ونحو

ذلك . واني اوضح ما اريد ببعض الامثلة : اذا اصابت انساناً صدمة من ادخال القثاطير توقف بولهُ وسُمَّ دمهُ من جرَّاء ذلك الاَّ اذا حوّلتَ انتباههُ من كليتيهِ الى جلدهِ . واذا خافت ابنة نحيفة الجسم خوفاً شديداً فقد يصيبها خفقان القلب وجحوظ العينين ان لم يحوَّل انتباهها حالاً الى شيء آخر . واذا كان انسان مصاباً بالربو وجاءتهُ النوبة وهو على ظهر فرس وجمح الفرس بهِ حينئذٍ زالت عنهُ نوبة الربو لان انتباههُ يتحوَّل كلهُ الى جموح الفرس . واذا كانت امرأة مصابة بشلل النصف السفلي من جسمها وسمعتْ واحداً يقول النار النار نهضت على قدميها حالاً وخرجت مسرعة ولو مضى عليها اشهر بل سنين كسيحة لا تستطيع المشي . والمصابون بالصرع (داء النقطة) لا تصيبهم نوباتهُ وهم راكبون على الخيل . وكلنا يعلم ان الاضطراب الشديد ينشف الريق والحس الديني يزيل الم النار ورؤية طبيب الاسنان تزيل الم الضرس

لما انتشرت الدودة التي تأكل بنجر السكر في المانيا وخيف من انها تفسد زراعتهُ كلها انقذهُ الاستاذ كوهن منها بزرعهِ لها نباتاً آخر بجانبهِ تحوَّلت اليهِ فنجا منها البنجر. فاذا خيف على عضو من اعضاء الجسد ان يتلف من الالتهاب استطعنا ان ننقذهُ بتحويل الالتهاب الى عضوٍ آخر لا يضرُّ التهابهُ فيتحول الفعل العصبي اليهِ ولا تستطيع الطبيعة ان تقوم بالتهابين في وقت واحد فاذا اشتدَّ الواحد ضعف الآخر . واذا خيف على البصر من التهاب اعضاء العين فاي سبيل لنجاتها اسهل واسلم من ان تحدث تهيجاً او مصرفاً في النقرة (قفا العنق) او الصدغ او الساعد او مكان آخر . ولا يخفى عليكم ان المستر بوت كان يشفي الفالج بالخلال والكي ونحوهما على جانبي العمود الفقري (سلسلة الظهر) وان المصابين بالحمى الصديدية ينقذون منها بتكوين خراجات صناعية فيهم في النسيج الخلوي في الالية او الظهر او الساق . واثبتُ ما في صناعة الطب ان حدوث الالتهاب او الصديد في مكان يبطل حدوثهُ في مكان آخر ويجففهُ لان الطبيعة لا تستطيع ان تقوم بالاثنين معاً فاذا قوَّينا الواحد ضعف الآخر . وهذا المبدأ كان اسلافنا يعرفونهُ ويعملون بهِ اكثر مما نعرفهُ نحن او نعمل بهِ

الاسلوب الرابع وهو اذا عالجتَ المصاب بتحويل انتباه اعصابهِ بالحمامات والمحوّلات والمهيجات فاقطع السبب المرضي كالسكَّر والحامض الاوريك بالغذاء والفصد واقطع السبب الخاص بالمرض كالنقرس والروماتزم والسفلس بالعلاجات الخاصة ثم الجأ الى العمليات الجراحية التي تقتضيها حال كل مصاب على حدتهِ كعمل حدقة صناعية واستخراج المتحصلات الالتهابية واستخراج البلورية نفسها اذا لزم الامر وقطع الاربطة فانهُ بمثل ذلك قد يعاد البصر حيث قطع الامل من عودهِ . وهنا مثال على ذلك امرأة من سكان لندن عمرها ٢٧ سنة اصيبت منذ عشر

سنوات بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها وتردَّد عليها هذا الالتهاب مرة بعد أُخرى ومنذ اربع سنوات سدَّت اللمفا حدقتيها . وعالجها اشهر اطباء العيون وعملوا لها اربع عمليات عمليتين في كل عين فلم تستفد شيئاً على ما يظهر ولم تعد ترى شيئاً وكان الم عينيها شديداً فقر القرار على نزع عينها اليسرى وسلَّمت هي باستخراج عينها اولاً ثم رفضتهُ بتاتاً قبل استخراجها واتت اليَّ وكان الالتهاب شديداً في عينيها فعالجتها بالحمصة (بالكي) وجرعات كبيرة من الزيبق فدرَّ لعابها شديداً حتى اتعبها ولكنهُ اراح عينيها ولما زال تعب الالتهاب كلهُ وحسبتُ انني ازلت القسم الجوهري من دائها ازلت جانباً من اللمفا والقزحية التي فسدت من عينها اليمنى فوجدت البلورية مظلمة كما تكون غالباً في هذه الحال فعملت لها عملية القدح (اي عملية الكتركتا) حسبما تقتضيهِ الصناعة وتركت فيها حدقة رجوت انها تكفيها للرؤية لكن اللمفا سدَّتها حالاً فصنعت لها حدقة ثانية فانسدَّت ايضاً ثم صنعت حدقة ثالثة فنجحت . وقد صار بصر هذه السيدة على ما يرام بعد ان بقيت عمياء اربع سنوات . وهنا كتاب منها وصفت لي بهِ سرورها بما شاهدتهُ من الزينات يوم رجوع المتطوعين الى مدينة لندن

وقد تسألونني ماذا جرى لعينها اليسرى التي حكم اطباء العيون بنزعها فاجيب انني اجريت فيها العمليات التي اجريتها في اختها اليمنى فشفيت مثلها وقد كتبت اليَّ تقول ما نصهُ "صرت ارى جيداً بعيني اليسرى"

وهنا حادثة اخرى تظهر فيها فائدة الإقدام . هذا الشاب اصيب في العشرين من عمرهِ بالالتهاب المشيمي القزحي وعالجهُ اشهر اطباء العيون في اكبر مستشفيات العيون ثلاث سنوات واخيراً اصيبت عيناهُ بالكتركتا ولما رأيتهُ كانت حدقتاها بيضاوين كاللبن وقلما كان يفرق بين النور والظلمة فعالجتهُ بالكهربائية والزيبقيات والمعرّقات والمحوّلات ولما صلحت حالهُ وصار عمل العملية ممكناً استخرجت البلوريتان من عينيهِ . وعيناهُ الآن على غاية الصحة كما ترون وقد عاد الى معاطاة اعمالهِ

ومن ذلك امرأة عميت وعمرها ٢٢ سنة وعولجت اربع سنوات من غير جدوى عالجها كثيرون من اطباء العيون واخيراً اشاروا عليها ان تقيم في ملجإ العميان وحكموا بانها لا تشفى ولما رأيتها اول مرَّة كانت حدقتاها منقبضتين لاصقتين بمحفظتي العدسيتين تسدهما مادة كلسية وكانتا لينتين جداً تحت الضغط فعالجتها بالعلاج الذي تستدعيهِ بنيتها وبالكهربائية حتى اذا صلحت حالها استخرجت المادة الكلسية من عينيها فعاد بصرها سليماً وهنا مكاتيب منها كتبتها لي لا استطيع ان اخط احسن منها

فلو تُرِك هؤلاء الناس من غير علاج لقضوا في عمى البصر سنين كثيرة او لماتوا عمياً . وهنا ما يؤيد ذلك امرأة جاءت تستشيرني في نتهام وعمرها ستون سنة مضى عليها كفيفة ثلاثون سنة ولدت في اثنائها ثلاثة اولاد لم ترَ احداً منهم . اصيبت وهي في الثلاثين من عمرها بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها كلتيهما وشفيت من هذا الالتهاب بالمعالجة لكن بقي منهُ اثرٌ في عينيها . ثم عاودها فزاد ضعف عينيها الى ان كفَّ بصرها تماماً وهي على ثروة طائلة فمضت الى بلدان اوربا تستشير اشهر اطباء العيون فيها وبقيت على ذلك الى ان اتت اليَّ وكانت حدقتا عينيها قد صارتا نقطتين صغيرتين تسدهما الملفا سداً تاماً فاستخرجت البلوريتين وصنعت لها حدقة صناعية في عينها اليسرى وهي الآن تقرأ وتكتب بسهولة

وهنا رجل آخر لما رأيتهُ كان قد مضى عليهِ اربعون سنة وهو اعمى فوجدت حدقتي عينيهِ مسدودتين بمادَّة كلسيَّة فازلتها منهما وصنعت لهُ حدقة صناعية في عينهِ اليسرى وهو يرى بها الآن جيداً و يقرأ ويكتب و يجول مثل غيرهِ من المبصرين

هذه خلاصة الخطبة وكأنَّ الخطيب احيا بها صناعة العرب في طب العيون كما سنبينهُ في فرصة اخرى واثبت ما كان يعوّل عليهِ الاطباء والدجالون في هذا القطر والقطر السوري كما يتذكرهُ الكهول

الطاعون

مذكرة للمستر بنتشنغ مدير مصلحة الصحة ملحقة بتقرير اللورد كرومر

اول اشارة عن حدوث الطاعون في بورت سعيد بلغت ادارة الصحة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠ وفي اليوم التالي قام المستر غراهم الى بورت سعيد ومعهُ الدكتور بتر بكتيريولوجي المصلحة للبحث عن الحادثة المشتبه بها واتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الوباء اذا ثبت ان الحادثة منهُ . وزال كل شك بفتح الرمَّة وبالبحث بكتيريولوجيّاً في حادثة أُخرى كانت في المستشفى الاميري فثبت ان المرض هو الطاعون الدبلي بعينهِ ثم ثبت انهُ حدثت حوادث اخرى قبل هاتين الحادثتين كما سيجيء

والاثنان المشار اليهما كانا يسكنان غرفاً في البناء الكبير الذي فيهِ الالدرادو وراء شارع التجارة على مقربة من الرصيف احدهما يوناني والآخر سوري . ووجد لدى البحث ان امرأة توفيت في ذلك البناء في ٢٩ ابريل باعراض اتضح الآن انها اعراض الطاعون وقيل ايضاً

ان ايطاليًا مات بمثل هذه الاعراض في ٢٧ ابريل في بيت قريب من ذلك البناء ويونانيًا توفي في ٢٣ ابريل وكان ساكنًا في حي العرب ويونانيًا آخر توفي في ٢٠ ابريل وكان ساكنًا قرب الالدرادو . وقد شخص الاطباء الاوربيون الذين عالجوهم انهم ماتوا بالانفلونزا المصحوبة بالفلغمون او الانفلونزا المصحوبة بالتهاب سحايا الدماغ ولكن ثبت بالبحث حينئذٍ ان مرضهم كان الطاعون وانهم ماتوا به ولذلك فالطاعون ظهر في بورت سعيد من قبل ذلك الحين ثم ثبت ان يونانيًا مات في الطاعون في حي الافرنج في ٥ ابريل وعلمت حوادث اخرى قبلها حتى شهر مارس يظهر من وصفها ما يدعو الى الترجيح بانها كانت من الطاعون . ثم ان سرعة انتشار الوباء في الاسبوع الاول من شهر مايو وظهوره في كل اقسام حي الوطنيين يدلان على انهُ كان في المدينة قبل ان بلغ خبره ادارة الصحة بزمن طويل

كتب المستر غراهم ما يأتي

" لما وصلتُ الى بورت سعيد كان قد دخل المستشفى اثنان من حي العرب وفي اليوم التالي (وهو ٢ مايو) أُخبرنا عن اثنين آخرين في جهتين مختلفتين من احياء الوطنيين . وفي ٣ مايو توفي شخص بالطاعون في حي العرب وحدثت حادثة اخرى في اليوم الخامس . وفي اليوم السادس دخل المستشفى وطنيان واوربي وفي اليوم السابع اصيب وطني من حي الوطنيين

" فثبت حالاً ان العدوى منتشرة في المدينة كلها وان امامنا وافدةً لها هاتان الصفتان

" الاولى انها الطاعون الدبلي نفسهُ

" والثانية انها منتشرة انتشارًا كليًا في كل القسم الوطني من المدينة وانتشارًا جزئيًا في القسم الاوربي

" ولذلك رأينا ان لا بد لنا من اطباء واناس خبيرين بعملية التطهير وجمهور من العمال يقسم فرقًا ويوزَّع في احياء المدينة لاجراء التدابير اللازمة لمقاومة الوباء التي اجريناها في الاسكندرية وهؤلاء لم نجدهم في بورت سعيد فاتينا من الاسكندرية باناس خبيرين بالتطهير وباناس يديرون العمل واستخدمنا عمالاً من بورت سعيد

" وفصلنا جانبًا كبيرًا من المستشفى الاميري وخصصناهُ بالمصابين من الوطنيين . اما الاوربيون المصابون فعولجوا كلهم ما عدا اربعة في المستشفى الاميري في قسم الامراض المعدية الى ان أُعدت مستشفياتهم الخصوصية . وقد اصبنا في ما عملنا لاننا وجدناهُ اسهل من إعداد بناء خاص بعيد عن المدينة

" ورأينا في اول الامر ان الاهالي يكرهون ان يؤخذ مرضاهم الى المستشفى وقد قاوموا

عمّال الحكومة اكثر من مرة واتلفوا امتعة الحكومة واضروا احياناً برجالها . وقد أُزيلت هذه الكراهة بان طُلب من وجوه المدينة فعينوا فرقاً من العوّاد حسب درجات الاهالي وكانت كل فرقة تزور المستشفى وترى المصابين الذين قاربوا الشفاء فيخبروها بما لقوا من حسن المعاملة والخدمة حتى ترجع وتخبر اقاربهم بذلك . وكانت النتيجة ان كثيرين جاءوا بعد ذلك من انفسهم ودخلوا المستشفى وان البعض اخبروا الحكومة عن مصابين اصيبوا من عيالهم

" والذين خالطوا المصابين كانوا يعزلون في ابنية كبيرة كل فريق منهم على حدته لا يختلط الرجال بالنساء ولا عائلة منهم باخرى ويبقون تحت المراقبة ستة ايام يقدَّم لهم فيها الطعام الجيد والذين كانوا منهم من العمّال المكتسبين دُفعت اليهم اجور بدل منعهم من العمل . ولم يظهر الوباء الاَّ في اثنين منهم وكان ظهوره قبل آخر اليوم الثاني من عزلهم ولذلك غيرنا طريقة العزل حينما قلَّ قلق الناس وقلَّ الخوف من انتشار الوباء بهربهم من مكان الى آخر فصرنا نسمح للعائلة التي خالطت المصاب بان تطهر هي وامتعتها كلها ويبقى نساؤها واولادها في البيت ويعرض رجالها المتسببون انفسهم مرتين في اليوم على طبيب القسم الذي هم فيهِ

" وظلت الحوادث تحدث في كل شهر مايو ولكننا بقينا مالكين ناصية الوباء . وزادت حوادثهُ في اوائل شهر يونيو لانهُ ظهرت حوادث جديدة في حي العرب وفي اكواخ مجتمعة قرب معمل الغاز . واستمرَّ الوباء في هذه الاكواخ استمراراً الجأ مصلحة الصحة الى هدمها وبناء غيرها في مكان صحي فهدمت وكانت من الخشب ونُقل خشبها الى مكان غربي حي العرب وبنيت فيهِ . وخيف اولاً من ان جراثيم العدوى تكون لاصقة بهذه المواد فيظهر الوباء في الاكواخ التي تبنى منها ولذلك جمع العمال كل ما وقع منها من الحطام وقت هدمها وحرقوهُ . وبقوا تحت المراقبة وغسلت ايديهم واقدامهم بالمطهرات . ولم يظهر الوباء في هذه الاكواخ بعد ذلك ولا ظهر في العمال الذين هدموها

" اما اصل العدوى وطريق وصولها الى بورت سعيد فلا يعلمان تماماً لانهُ لم تقم ادلة قاطعة على ذلك . ولكن هذه المدينة معرَّضة تمام التعرُّض للوباء حتى يُتعجب من عدم دخولهِ اليها قبل ذلك الحين فانها واقعة بين المشرق والمغرب والسفن الآتية من البلدان الموبوءة تصل اليها كل يوم واهاليها من وطنيين واوربيين يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع هذه السفن بالبيع والشراء فمن الغريب انها بقيت سليمة من الوباء مدة طويلة

" وايضاحاً لذلك نقول ان سكانها الوطنيين اكثرهم من الفحامين الذين يحملون الفحم الى السفن المارَّة بمدينتهم فهم في اتصال دائم مع السفن الآتية من الموانئ الموبوءة . وتأخذ

السفن منها كثيرين من الوقّادين وتمضي شرقاً ثم تعود بهم وقد تقف في طريقها في موانئ موبوءة او يدخلها اناس مصابون بالوباء . ونوتية قوارب المؤونة وعددهم كثير جداً يجرون مع كل السفن الواردة على بورت سعيد من غير تمييز . ولا يخفى ان العدوى قد تكمن في مكان مهما شددت المراقبة الصحية فيمكن نقلها من السفن الى البر بالفحامين او الوقادين او نوتية قوارب المؤونة وعليهِ لا يجد الوباء اقل صعوبة في دخولهِ هذه المدينة

" ثم ان بورت سعيد كانت في أوائل العام متصلة بسورية وآسيا الصغرى والبحر الاسود وجزائر اليونان وأُعلن رسمياً وجود الوباء في السواحل السورية بعد ذلك . فمن المحتمل ان العدوى بلغت بورت سعيد من مكان اقرب اليها من الهند

"ولكن ان كانت هذه الظنون لا تغني فتيلاً اذا لم توجد الادلة القاطعة فالبحث عن الطرق التي يمكن ان تدخل بها العدوى لا يخلو من النفع . وتعيين طبيب في بورت سعيد وتسجيل اسماء الداخلين قد يفيدان في تقليل الخطر بازدياد المراقبة . واذا عُمل بمآل المذكرة المرفوعة في ٢٨ اغسطس وهو مراقبة الوقادين امكن منع دخول العدوى بهم

" وتبقى مسألة الفحامين وهي مسألة كثيرة المصاعب ولكن يرجى ان يوجد اسلوب يقلل الضرر الذي يمكن ان ينتج منهم على قدر الامكان

" اما مسألة فعل الجرذان في نقل العدوى فلم تجد ثبتاً جديداً في ما شوهد في بورت سعيد . فقد وُجدت الجرذان الميتة من الطاعون في جانب من المدينة ولم يظهر الوباء فيهِ . ووجدت جرذان مطعونة في اماكن أُخرى من المدينة وظهر فيها الطاعون بعدئذ

" ويظهر انهُ قد بولغ كثيراً في ما تفعلهُ الجرذان والأولى ان تعدَّ في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب لها شأن كبير في تولُّد الوباء ونقلهِ ونشرهِ

"ومما يدلُّ على كيفية حصول العدوى وفائدة النظافة حادثة شيخ الحراقين فان وظيفتهُ مراقبة الذين يحرقون الحطام والمواد الفاسدة وكان عندهُ دائماً برميل من مزيلات العدوى ليغسل بهِ يديهِ وقدميهِ وايادي رفاقهِ واقدامهم وأُعطي حذاء لكي يحتذي بهِ ففضَّل المشي حافياً قائلاً انهُ اسهل عليهِ . وفي السابع عشر من مايو ترك عملهُ الظهر ووُجد في المساء فاقداً الشعور فنُقل الى المستشفى وبهِ طعنة كبيرة ثم مات من الطاعون الدبلي دلالة على ان العدوى وصلتهُ من بعض المواد الملطخة التي اتي بها لتحرق

" واصيب في بورت سعيد ٩٢ بالطاعون أُتي بخمسة وسبعين منهم الى المستشفى ووجد ١٧ موتى خارج المستشفى ومات من الذين دخلوا المستشفى ٢١ اي مات ٢٨ في المئة من الذين عولجوا واذا

اضفنا اليهم الذين وجدوا موتى خارج المستشفى اي لم يعالجوا بلغ عدد الوفيات ١٤ في المئة

« واذا اخرجنا من عدد هؤلاء كل الذين ماتوا من قصور القلب عن قضاء وظيفته قلّ عدد الوفيات من الطاعون نفسهِ كثيرًا جدًّا فان كثيرين ماتوا وهم في دور النقه لانهم جلسوا او مشوا او عملوا عملاً آخر طفيفاً شعروا انهم قادرون على عمله

« اما من حيث المنازل التي يقيم فيها المطعونون فوُجد ان اكواخ القصب والحصر مثل الاكواخ التي يقيم فيها المصطافون في رأس البر تقام بسرعة وبقليل من النفقة وهي وافية بالغرض يوضع فيها المطعونون و يعالجون في ايام القيظ واذا اشتدّ الحرّ سهل وضع سقف آخر لها فوق سقفها تخفيفاً للحر . واذا وقع المطر واشتدّ البرد امكن تبطينها بالطين والقش

«والاكواخ التي اقمناها في بورت سعيد استعملناها للاوربيين الذين ضاق عنهم المستشفى الاميري الى ان تمّ مستشفى اليونان ومستشفى الطليان

« وقد جرَّبنا جانباً من المصل الواقي الذي صُنع في القاهرة حسب اسلوب هفكن وطعمنا بهِ بعض المصابين في المستشفى وبعض المطهرين ولكن لم نستطع ان نصل الى نتيجة قطعية لاسباب معلومة ولم يطلب احد ان يطعّم بهِ من تلقاء نفسهِ »

وابيح للاهالي ان يتركوا المدينة ويذهبوا الى حيث يشاؤُون ولم يوضع حولها نطاق صحي ولكن روقب الذين ساروا منها في القوارب بطريق بحيرة المنزلة الى دمياط والمطرية وغيرهما من المدن التي على شاطىءِ البحيرة اعتقاد ان الناس الذين يهاجرون المدينة وبهم الوباء يفضلون هذا الطريق على سكة الحديد مخافة ان يكشف امرهم

وكل الذين وصلوا الى دمياط والمطرية من بورت سعيد كانوا يراقبون طبياً يُغسَلون وتطهّر ثيابهم ويبقون في بيوتهم تحت المراقبة سبعة ايام فكشفت عدة حوادث مشتبه فيها في دمياط ولكن لم يوجد ميكروب الطاعون الاَّ في واحدة منها ويحتمل ان غيرها كان من الطاعون ايضاً ولكن الطعنات كانت قد تقيحت فيستحيل اكتشاف الميكروب فيها . ولم يسمح لاحد ان يسافر في بحيرة المنزلة من بورت سعيد الاَّ الى دمياط والمطرية

ثم اقيمت نقطة طبية في كبوتي على بحيرة المنزلة قرب بورت سعيد لمنع من فيهم اعراض مشتبه فيها من السفر

وراقب اطباء الصحة الناس مراقبة دقيقة في كل مديريات الوجه البحري . وقد بلغ مصلحة الصحة خبر اناس كثيرين مشتبه فيهم من اماكن مختلفة ولكن الفحص البكتيريولوجي لم يثبت وجود الطاعون في احد منهم

وعانى رجال الصحة المشاق في بورت سعيد وقام عليهم الغوغاء مرة او مرتين ولكن لم يحدث من ذلك ضرر كثير . وكان اشد المقاومة من الاوربيين لا من الوطنيين . واهالي بورت سعيد يعتمدون في معيشتهم على الاتجار مع السفن المارَّة بهم فقلَّت اعمالهم مدة الوباء لانهُ لم يسمح لاحد من الركاب ان ينزل في مدينتهم حينئذٍ . فحسبوا ان خسارتهم مسبَّبة عن رجال الصحة لا عن الحجر الصحي الذي وضعتهُ البلدان الاخرى على السفن الواقفة في بورت سعيد . وزاد جهلهم لحقيقة الحال بالمقالات التي كانت تنشر في الجرائد المحلية ويهان بها رجال الصحة ويُهزأ بهم

الاسكندرية — لم يحدث في الاسكندرية حادثة مشتبه فيها حتى ٧ مايو اذ ماتت امرأة في حي القرموص وثبت من رمتها انها ماتت بالطاعون . وكانت هذه المرأة من جامعي الخرق وفي الحي الذي وجدت فيهِ ميتة مخازن كثيرة للخرق . ثم حدثت حوادث اخرى في ذلك الحي بينها فترات قصيرة وحدثت حوادث اخرى في احياء اخرى والفترات بينها قصيرة حتى لم يكد يبقى حي من احياء المدينة لم تحدث فيهِ حادثة او حادثتان . الاَّ ان الوسائط الفعالة كانت تستأصل شأفة الوباء حالاً . وقد بقي الوباء في المدينة زمناً طويلاً ولكنهُ لم يبلغ مبلغاً عظيماً وسبب ذلك ان كل حادثة كانت تُتبع جيدًا ويعزل كل مَن اتصل بها ويجرى التطهير على اتم ما يكون

وبلغت الحوادث كلها من ٨ مايو الى ١٣ نوفمبر وقت آخر حادثة أُعلمت بها مصلحة الصحة ٣٨ حادثة انتهى ٢٠ منها بالموت

وحالما عُلمت الحادثة الاولى أُجريت التدابير الصحية التي وفت بالمراد في العام السابق ولا يزال كثير منها جاريًا وسيبقى جاريًا السنة كلها سواء ظهر الطاعون او لم يظهر مثل مراقبة الركَّاب الآتين من موانئ البحر المتوسط ومراقبة كل الفنادق الحقيرة والقهوات

ويصعب علينا ان نحقق ما اذا كان الطاعون قد ظهر في الاسكندرية سنة ١٩٠٠ من عدوى بلغتها جديدًا او من عدوى كانت كامنة فيها

ولا يخفى ان بين الاسكندرية وازمير وبيروت ونحوها من الموانئ تجارة واسعة . وأُعلن وجود الطاعون في ازمير بعدما أُعلن وجودهُ في بورت سعيد بزمن قصير بين اليونانيين . والاخبار الواردة من ازمير في هذا الشأن قليلة موجزة ومع ذلك عُلم منها انهُ حدثت عدة حوادث اخيرًا في جوارها من مرض معدٍ لهُ اعراض رئوية قتَّالة وقد شخص اطباء الصحة هناك انهُ الانفلونزا الخبيثة . الاَّ ان وصف هذه الحوادث يدل على انها مثل الطاعون الرئوي لاسيما وان تشخيصها لم يؤيَّد بالفحص البكتيريولوجي . وقد ذُكر قبلاً ان الاطباء في بورت سعيد

شخصوا الحوادث الاولى التي شاهدوها من حوادث الطاعون بالانفلونزا الدماغية والانفلونزا المصحوبة بالفلغمون

وكل الوسائل التي رآها رجال الصحة لازمة استعملت في الاسكندرية من غير تعب ولكن ما دام الوباء موجوداً في موانئ كثيرة شرقي القطر المصري وغربيهُ فلا يبعد ان يظهر فيهِ من وقت الى آخر ولو ثبت نجاح الوسائل التي استخدمت في الاسكندرية و بورت سعيد سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٠ ولذلك احسنت الحكومة الخديوية بمنحها مبلغاً من المال هذه السنة لينفق على الوسائل الواقية من الوباء لانهُ اذا عُرفت الحادثة الاولى التي تحدث في مدينة من مدن القطر المصري البحرية واتخذت الوسائل اللازمة حالاً فلا اظن ان الوباء ينتشر بعد ذلك انتشاراً كثيراً

واستلفتُ انظار فخامتكم في ختام هذا التقرير الى الاعمال العظيمة التي قام المستر غرام والماجور غارنر والدكتور بتر والدكتور غوتشلك لاستئصال الوباء في بورت سعيد والاسكندرية خدمة للحكومة الخديوية (الامضا) ه . ه بنتشنغ

رواية أمينة

الفصل السادس

جاء شهر رمضان . الصوم نهاراً والولائم ليلاً . تزاور الاصدقاء والخلان ومخرت السفن في البوغاز تقلُّ الشبان وهم يغنون و يطربون والهوانم يرقبنهم من وراء الشبابيك ويرشقنهم بالازهار والرياحين . واوقدت المصابيح الكثيرة في حوانيت بيرا . وتوالت الليالي الراقصة في شكلي بعد ان كان منذ سنوات قليلة من اقل الاحياء عمارةً . هذه المراقص قذًى في عيون الهوانم لانهنَّ محرومات من الذهاب اليها ولان كثيرين من الشبان عكفوا عليها وتركوا عادتهم القديمة الذهاب في القوارب ونشد اناشيد الحب والغرام

ظهرت مجالي الزينة في كل القصور ما عدا قصر نصرالله باشا لان نافذ بك لم يكن قد تعافى . شفي من مرضهِ وذهب الى السرعسكرية مرتين ولكنهُ كان لا يزال ضعيفاً جدًّا لا يستطيع الخروج ليلاً

كانت الليلة الثالثة من رمضان وكان الحرُّ شديداً فلم نكد ننهض عن الطعام حتى خرجنا الى الحديقة ووضعت المصابيح في الرواق فاتانا من نورها ما يكفي ليرى بعضنا بعضاً .

وخرج نصر الله باشا وادهم بك لزيارة اصدقائهم ومضى علي بك الى بيرا وكان سلوك نافذ بك قد تغير في الاسبوعين الاخيرين فجعل يكلمني كلام الصديق الى الصديق وكان تصرفهُ هذا وسطاً بين الحالتين السابقتين حالة التودد الشديد والنفور الشديد. والظاهر ان شيطانهُ تغلب عليهِ تلك الليلة فجعل يتصدى لي ولحت وحيدة هانم منهُ ذلك فزجرتهُ وقالت اليك عن هذه المسكينة واسمع قصة عادلة نثر. وكانت هذه المرأة تحكي لنا حكاية طويلة ووقفت عن الكلام حينئذٍ. فقال لها ما لكِ وقفتِ عن الكلام يا اماه انسيتِ عمن كنتِ تتكلمين عن الرجل الذي هجم على خمس مئة وحدهُ وعسى ان يغلبهم. فقالت نعم باذن الله فانهُ مؤمن وهم كفار ما قولك في ذلك. فقال لا شيء ولكن يظهر انهُ لم يبقَ بيننا احد من المؤمنين لاننا لا نرى احداً يهجم على خمس مئة وحدهُ ويتغلب عليهم. ولا شبهة في ان الرجل من اسلافنا كان يساوي عشرة منا

ولما قال ذلك ادارت شيستا وجهها كانها استاءت من كلامهِ ووضعت بهية ابنة وحيدة هانم ذراعيها حول عنقهِ وقالت لهُ اني لا احب هذه الحكايات لان مس آمي تقول انها مضرَّة

وكانت مس آمي هذه معلمة تأتي ثلاث مرات في الاسبوع وتعلم الاولاد الانكليزية والفرنسوية فقال لها كيف عرفتِ هل سمعتْ هذه الحكايات منها. فاجابتهُ كلاَّ ولكن جودت حكاها لها فقالت لا يليق بالاولاد ان يسمعوا هذه الحكايات وحكينا لها حكايات امينة فاستحسنتها وقالت هذه حسنة جداً

فالتفت اليَّ وقال لي اسمعتِ يا امينة ما قالتهُ مس آمي فهي لا تحسب غيرك اهلاً لقص قصص يقبلها ذوقها فاسمعينا هذه القصص

فقلت لهُ ان قصصي لا تحكى الاَّ للصغار. فقال اذاً عدّيني منهم لاني مثل بهية لا احب حكايات عادلة نثر. ثم التفت اليها وقال لها دعينا من هذه الخرافات يا اماه وتعالي ابصري لنا بختنا ان كانت الاصداف معك

فقال الجواري احسنتَ يا نافذ بك تعالي ابصري لنا بختنا وابتدئي بهانم افندي

فضحكت هانم افندي وقالت ما لكم وبختي فاني عجوز ولكن اعطوني صدفة لارى بها بخت شخص آخر. فقال نافذ بك عرفتُ من تقصدين فلا يهمني ما يكون بختي تعالوا يا اولاد قد حرمتكم من الحكاية ولا بدَّ لي من ان اعوّضكم شيئاً آخر تعالوا نذهب لنصطاد البومة التي اقلقت امي البارحة فاننا اذا تركناها تبني عشها في الكشك حسبت امي ذلك دليل الشؤم. وهي الآن في اعلى البرج فوق التلة

فنهض الاولاد كلهم وقالوا لهُ هيَّا بنا يا عمَّاهُ . فصرخت ولية هانم اتمضون في الظلام لا تأخذهم في هذه الظلمة لئلاَّ تلسعهم حية او عقرب . فقال لها سكني روعك فاني لم أرَ والدة اشد منك قلقاً على اولادها . انظري الى وحيدة فانها لم تقل شيئاً ولم تخف على ولديها . فقالت وحيدة لا خوف على الصبيان ولكن بهية تخاف جدًّا فلا تأخذها معك . فقالت بهية لا اخاف اذا ذهبت امينة معي قولي لها يا امي لتذهب معي . فقالت امها كلاَّ لا تستطيع ان تذهب معكِ اذ لا بدَّ لكم من المرور في السلاملك وامينة لا تستطيع ان تمر بين الرجال . فقال جودت ألا تستطيع ان تغطي رأسها . وقال محسن بن علي بك الاكبر لماذا لا تأتون كلكم ألا يمكنهم ان يأتوا يا عماهُ . فقالت ولية هانم ياحبذا ولكن ذلك ضرب من المحال . فقال نافذ بك لا ارى ما يمنع ذهابنا كلنا اذهبْ يا جودت وقل للرجال ان يبعدوا من هناك . فقالت لهُ امهُ لعلَّ اباك يعترض على ذلك . فقال لها ان اعترض فانا اتحمل اللوم كلهُ . ونحن الآن في رمضان وكل احد يخرج من بيتهِ ليلاً ولسنا قاصدين الاَّ ان نمشي في ارضنا تعالي يا امي ولا تمنعي الاولاد من سرور ليلة . وامسك بيدها وانهضها ووضع شالاً على كتفيها وقال لها غطي بهِ رأسكِ ان خفتِ ان يراكِ احد . فقالت أانا ايضاً ألا يمكنكم ان تذهبوا بدوني . فقال كلاَّ أتظنين اننا نذهب ونتركك وحدكِ هو ذا ابي ما تقول افندم فان مرادي ان اذهب مع الاولاد والبنات الى اعلى التلَّة وامي تظن انك لا تستحسن ذلك (وكان نصر الله باشا قد دخل حينئذٍ) فقال لماذا لا استحسنهُ ولكن لماذا لم تختاروا ليلة انور من هذه الليلة فان الظلمة حالكة تحت الاشجار . فقالت ولية هانم وهذا هو المقصود حتى نضحك على مَن يخاف . فقال اذهبوا اذًا وسأتبعكم حالما اظن انهُ ينقطع ورود الزوار وضعوا المصابيح في الكشك وخذوا القانون معكم وسأقول للخدم ليأخذوا لنا العشاء الى هناك فنبقى الى المدفع الاخير . لا تضعوا اليشامك ولكن اخبروا الرجال ليبعدوا من الطريق

كان مصيف نصرالله باشا مثل سائر القصور على البوسفور ووراءهُ تلَّة عالية في اعلاها كشك فيهِ غرفة كبيرة للاستقبال وغرفة للمائدة واخرى للمنامة . وكان ادهم بك ينزلهُ احياناً حينما تأتي عائلة نصرالله باشا لقضاء فصل الصيف هنا وقد وضع فيهِ اثاثاً فاخراً لم يجرِ فيهِ على الاسلوب التركي الحديث المعروف بالاسلوب الافرنكي وهو صمد المقاعد والكراسي الى جدران الغرف ووضع مائدة مذهبة في الوسط بل عاد الى الاسلوب التركي القديم ونوَّعهُ قليلاً حتى يوافق الذوق الاوربي المهذَّب فوضع فيهِ الارائك الوثيرة والستائر اللطيفة الالوان والكراسي المختلفة الاشكال وزرع حولهُ الازهار والرياحين والاشجار الغبياء

فصعدنا في التلة وامامنا عبدان معهما المصابيح الى ان بلغنا اعلاها وهناك خيمة كبيرة فدخلتها هانم افندي وجلست فيها واخذ جودت مصباحاً بيده وصعد الى اعلى البرج ليطير البومة . فلما طارت اطلق نافذ بك بندقيتهُ عليها فاخطأَها ولم يطلق عليها طلقاً اخر بل قال دعوها تذهب اذ ليس الغرض قتلها بل منعها من ان تعشش هنا ولن تعود الى هذا المكان ثانية. والآن ماذا تريدون ان تفعل يا اولاد فقال لهُ محسن خذنا الى البستان فقال لهُ احسنت ولكن لا احد يجاسر ان يذهب معك في هذا الظلام فقالت ولية هانم انا اذهب وتذهب معنا امينة ايضاً ألا تذهبين يا حبيبة فالتفت نافذ بك اليَّ وقال ألا تخافين من العفاريت والغيلان والافاعي فان كنتِ لا تخافين فتعالي معنا

فسرتُ معهم وكان البستان على الجانب التالي من التلة وهو مملوءٌ باشجار الفاكهة والظاهر انهُ كان قبل ذلك حديقة غناء لان في وسطهِ صخراً كبيراً مجوَّفاً كمغارة وفيهِ ينبوع صغير يجري الماء منهُ الى بركة وراءهُ . وبقينا سائرين الى ان بلغنا باب البستان ففتحهُ نافذ بك ودخلنا وسرنا فيهِ ونحن في ظلام دامس لان الاشجار كانت قريبة بعضها من بعض . وسار ولدا ولية هانم بجانبها يجرانها جرًّا وهي تصرخ كلما داست رجلها على عود او غصن . ومشيتُ انا وراءها ونافذ بك الى جانبي ويدهُ قريبة من يدي ليساعدني اذا عثرت او زلت قدمي او ليبعد اغصان الشجر المعترضة في طريقي

واخيراً وصلنا الى الصخر واراد جودت ومحسن ان يصعدا عليهِ فمنعهما نافذ بك وقال لهما ان صعدتما وزلَّت بكما اقدامكما وقعتما ودققتما عنقيكما اوغرقتما في البركة على الجانب الآخر ولكن تعاليا الى داخل الصخر فان فيهِ مكاناً تعشش فيهِ الطيور . فقال محسن نعم نعم ومسك المصباح بيدهِ ودخل وجرَّ امهُ وراءهُ وتبعهُ بقية الاولاد وبقي نافذ بك خارجاً ونظر اليَّ وقال اتريدين ان تتبعي الاولاد او تبقي هنا . ونظرتُ فرأيت الظلام دامساً في جوف الصخر فخفت قليلاً وقلت بل افضل الذهاب الى البركة على الجانب الآخر . فسرنا كلانا حتى بلغناها وكانت الارض حولها بساطاً من الاعشاب والازهار تظللها شجرة كبيرة ممتدة الاغصان وكان السكوت تاماً لا يسمع الاَّ صوت ولية هانم وهي تصرخ مع الاولاد

فضحك نافذ بك لما سمع صراخها وقال ما اجن اباها حتى زوجها برجل اكبر منها كثيراً

فقلت لهُ ولماذا فعل ذلك وكيف تزوَّج بها ادهم بك وهو كهل وهي في الرابعة عشرة من عمرها

فقال ان اباها جُعل والياً على ولاية بعيدة في بر الاناطول حيث يمكن ان يبقى عشرين

سنة وتعذَّر عليهِ ان يزوجها هناك فلما خطبها ادهم اليهِ لم يرَ وجهاً لردهِ بل سُرَّ بذلك كثيراً .
اما ادهم فلم يخطبها لانهُ عرفها فاعجبتهُ بل لان امهُ اختارتها لهُ

فقلتُ ولمْ يندم على ذلك لان كلاً منهما يحب الآخر حباً شديداً

فقال نعم ولكن ادهم لا ينظر اليها كزوجتهِ بل كابنتهِ وبدالها مثل ابنة مدللة وهي تنظر اليهِ بالخوف والرهبة كانهُ شخص يُخشى ولا يُفهم كما كنت انظر الى كتبي العربية وانا فتى

فقلتُ ولكنك صرتَ تفهم تلك الكتب لما كبرت

فقال أتريدين انها تصير تفهمهُ مع الزمان امَّا انا فلا احب ان اتزوَّج بامرأة اعيش معها احدى عشرة سنة قبلما يزول خوفها مني

فقلت " ولكنك لست مثل ادهم بك " . وآخذتُ نفسي على ما قلت فصمتُّ حالاً

فقال كلاً لستُ مثلهُ اتظنين ان زوجتي لا تخاف مني فان كنتِ تعتقدين فيَّ هذا الاعتقاد فلماذا صرتِ تنفرين مني حديثاً قولي لي يا امينة قولي لي الحق هل تحبين داود

فلم اجبهُ . فقام ودنا مني وقال اسمعي يا امينة انتِ تعلمين حبي لكِ واني اريد ان اتزوَّج بكِ . فان كنتِ تقولين انك تفضلين رجلاً آخر عليَّ فلا حق لي عليكِ بل اتركك وشأنكِ ولكن لا بدَّ لي من ان اسمع ذلك من فيكِ

فقلت لهُ هذا ضرب من المحال وانتَ تعلم انهُ لا يمكن ان يكتب كتابي عليك

فقال لماذا ذلك ألانك تحبين آخر . ستأتي وحيدة يوم الخميس والآن الاثنين ولا يمكن ان ادعكِ تمضين معها ما لم اعلم انكِ تفعلين ذلك بارادتكِ ومن تلقاء نفسكِ . لا تظني اني اريد ان اخدعكِ او اني لا اعرف رزانة عقلكِ حتى احسب ان مقامي يغريكِ بما لا ترغبين فيهِ . حسبتُ مرةً انكِ صرتِ تميلين اليَّ فلما رأيتكِ تتكلمين مع داود توهمت انكِ تضحكين عليَّ واخذ مني الغيظ كل مأخذ ولكن زال مني هذا الوهم بعد ذلك . والآن لا اصدق انكِ تخدعينني . وقد اكون خادعاً نفسي وحاسباً انكِ تحبينني ولستِ كذلك فان كنتِ تحبين ذلك الشاب فقولي لي وانا اتخلَّى عنكِ مهما نالني من ذلك ولكن ان كنتِ لا تحبينهُ كما ارجو الآن فلا شيء يمكن ان يحول دون اقتراني بكِ

فلم اجبهُ بل بقيتُ ساكتة ودنت اصوات الاولاد منا ورأيناهم آتين والمصباح معهم فقال لي اجيبيني يا امينة قولي لي هل تحبين داود

فقلت لهُ كلاً ومع ذلك لا يمكنني ان اقترن بك اتظن انني اقبل باقتران تقاومهُ عائلتك كلها فلم يجبني بلسانهِ بل امسكني بيديهِ وضمني الى صدرهِ . فاخذت اتوسَّل اليهِ ليتركني

قائلة انك تعلم يقيناً ان اقتراننا ضرب من المحال . فقال كلاَّ . ولكنهُ تركني لان ولية هانم كانت قد اقتربت منا وقال ساكلم امي بذلك الليلة

ووصلت ولية هانم الينا وقالت ما اكسلكما لماذا لم تدخلا معنا الى الغار قد انبسطنا غاية الانبساط

فقال لها نافذ بك هذا الذي يسرنا اما انا فقد كبرت عن تخريب العشاش هلمَّ نرجع اذ لا بدَّ من ان تكون امي قد استطالت غيابنا الآن

فرجعنا ووجدنا الجواري يلعبن تحت الشجر وهانم افندي في الخيمة ومعها عادلة تنر تقص عليها بعض الاخبار ووقف نافذ بك بجانب الباب وذهب الاولاد ليلعبوا مع الجواري واتت وحيدة هانم وجلست معنا وقالت لعادلة عمَّن تتكلمين . فقالت عن ابنة محمود باشا فانها احبت واحدًا من الحرَّاس الشراكسة وكان ابوها يريد تزويجها بابن عمها واشتدَّ الخصام بسبب ذلك . وقد تكاتبت هي والشركسي ووُجدت مكاتيبهُ عندها فطار عقل ابيها وامها ولو كان ابن باشا لكان الامر محتملاً ولكنهُ شركسي دونها بمراحل

فضحك نافذ بك حتى استلقى على ظهرهِ وصرخت وحيدة هانم قائلة وما ضرَّهُ ان كان شركسياً فان اناساً كثيرين اشرف من محمود باشا زوجوا بناتهم للشراكسة . ان تزوجنا رجلاً اوطأ منا رتبةً لا نحط الى مرتبتهِ بل نرفعهُ الى مرتبتنا

فادركت المرأة خطأها واستدركتهُ قائلة اصبتِ يا عيني ولكن ألا ترين انها كانت مخطوبة لابن عمها

فقالت هانم افندي نعم وهذا فرق كبير . اما وحيدة هانم فبقيت مغتاظة وقالت ان كانت البنت لا تريدهُ وجب ان يزوجوها بالرجل الذي تريدهُ . اما انا فاظن ان الحرَّاس الشراكسة افضل من اولاد الباشوات بما لا يقدَّر وقد احسنت هذه الفتاة بحبها واحدًا منهم

فقال نافذ بك احسنتِ يا وحيدة ولو كان علي بك هنا لطار بكِ فرحاً

فقالت عادلة ان علي بك من افضل الرجال ولم أرَ رجلاً اجمل منهُ طلعةً الله يبقيكِ لهُ ويبقيهِ لكِ

فقال لها نافذ بك خفّفي عنك يا اماه فقد سامحتك وحيدة لا سيا وان علي بك ليس فيهِ شيء من طباع الشراكسة ولا اظن ان احدًا يقول انهُ شركسي لانهُ من افضل الناس واطيبهم قلباً

فالتفتت ولية هانم اليَّ وقالت لي اسمعي كيف يطري زوجها لا بدَّ من انهُ قاصد ان

يطلب منها خدمة مهمًا والاّ ما تملقها هذا التملق

فتضاحكتُ لاني كنت اعلم مرادهُ وعزمت ان احاول صرفهُ عن عزمهِ فنهضتُ وخرجت واشرت اليهِ وانا خارجة فادرك مرادي وتبعني وسرنا الى الكشك ووقفنا امام الشباك فقال لي ماذا تريدين . ولكن اياكِ وان تحاولي صرفي عن عزمي اذ لا بدَّ لي من ان اقترن بكِ ولو قام عليَّ الثقلان

فحرت في امري لكنني قلتُ لهُ انك تعلم كما اعلم انا ان الباشا وهانم افندي وادهم بك وكل اهلك يعارضونك في ذلك وانا نفسي لا استحق ان اكون زوجةً لك لانني ابنة مسكينة فما دمتَ تفتكر بي تكون عرضة للازدراء و يظن كل احد انك فقدتَ عقلك

فتبسم وقال نعم هذا هو الصواب وقد فقدتُ عقلي . مَن كان يتغنَّى بمثل ذلك امس اليس انتِ . ولما رأى اني اريد ان اتكلم قال لي اليكِ عن الكلام فاني احبكِ ولا بدَّ من ان اقترن بكِ ومتى اقترنت بكِ يصمت كل لسان ولا يعود احد يقول شيئًا

قال ذلك وادنى رأسي من كتفهِ ووضعهُ عليهِ فتركتهُ لحظة ثم تصوَّر لي حرج هذا الموقف فانهضتهُ وقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال دعنا من المزاح يا نافذ بك افتكر بنفسك وبامك هل تجسر ان تغيظها . ولما قلت ذلك عبس فغيَّرتُ لهجتي وقلتُ لهُ انك تحب اباك فهل يمكن ان تفعل شيئًا يخجل منهُ

فنظر اليَّ عابسًا وقال لا تقولي هذه الكلمة مرة أُخرى لماذا يخجل ابي اذا اقترنتُ بكِ الستِ ابنة عفيفة طاهرة

فقلتُ ولكني ابنة حداد فانا دونك بمراحل . فقال كلاَّ لستِ دوني فاني انا وابي لا نعرف ماذا كان اصل جدنا وربما كان كنَّاسًا وهل يمكن ان نخجل من اقتراني بكِ اكثر مما نخجل من اقتراني ببوار وقد كان ابوها لصًّا ان لم يكن قاطع طريق وسفَّاك دماء

فقلت ولكنها شركسية . فقال انعم واكرم شركسية محتالة أَبهذه تشبهين فتاة لا ادب لها ولا حشمة ولا عقل لا يهمها من الدنيا الاَّ ان تقترن برجل فتخلص من العبودية واذا بعناها غدًا تحتال على اول رجل تراهُ ليشتريها ويتزوج بها . صدقيني يا امينة اني افضل الموت على الاقتران بشركسية ولو لم ارك

فجعلتُ اتوسل اليهِ ليتركني ثم التفتُّ الى باب الغرفة واذا بوار واقفة فيهِ وعيناها تقدحان شررًا . ولمَّا وقعت عيني على عينها ادارت وجهها وخرجت مسرعة ورأيت حينئذٍ انها اكبر عدو لي وان الانتقام في عينيها . والظاهر ان وجهي امتقع حينئذٍ ورأى نافذ بك ذلك وادار

وجهةُ الى الباب وقال لي ماذا جرى ولماذا انتِ مضطربة

فقلتُ لهُ بالله عليك دعني اذهب دعني اذهب فقد عرف كل احد الآن بما دار بيننا بالله عليك قل انك كنت تمزح معي كنتَ تضحك عليَّ

فقال ولماذا اقول ذلك لماذا اقول قولاً يعود باللوم عليكِ ولو مثقال ذرة . كلاَّ بل اقول الحق . الليلة أُخبر امي بما صممتُ عليهِ . أتظنين انني رجل ضعيف العزم لا شهامة لي ولا مروَّة حتى اخاف من اقل مقاومة واتركك وحدك

فقلت ان نصرالله باشا يستاء من ذلك حتماً . ولقد احزنتهُ كثيراً هذه السنة فكيف تستطيع ان تغيظهُ ايضاً . انتَ تعلم انهُ لا يسلّم بذلك وانك لا تستطيع ان تفعل شيئاً على غير مرضاتهِ . ولهُ السلطة المطلقة عليك وهو من احسن الآباء وافضلهم واشرفهم فكيف تستطيع ان تعصاهُ فان امركَ بان تعدل عن عزمك أفلا تضطر ان تطيعهُ

فقال كلاَّ . نعم يجب عليَّ ان اطيعهُ واكرمهُ ولا احد يقول انني خالفت لهُ امراً حتى الآن ولكنهُ اذا ابى ان يسلم باقتراني بكِ لم يجب علي ان اطيعهُ لان سلطتهُ عليَّ لا تصل الى هذا الحد ولا تمنع القاضي من كتابة عقد الزيجة

فقلتُ لهُ ولكن ألا تتألم حينما تشعر انك آلمتهُ الى هذا الحد

فاطرق الى الارض وقال نعم ولا اظن ان ذلك يكون سهلاً عليَّ لان للعادة حكماً شديداً وقد اعتدت ان اطيعهُ من غير سؤال فلا يسهل عليَّ ان اخالف لهُ امراً ولكن لا بدَّ من ذلك يا عزيزتي ولا شيء يفصلنا بعد الآن لا اب ولا ام ولا اخ ولا اخت

فقلت ولكن ان كنتُ انا ارفض ذلك فهل تجرُّني الى امام القاضي غصباً عني

فعبس ونظر اليَّ نظر الاستفسار ثم تبسم وقال نعم ان لم تذكري لي سبباً مقنعاً غير هذا السبب . قولي انكِ تحبين آخر فاتركك ولكنكِ لا تحبين احداً كفى كفى . نعم اذا رفضتِ فانا اجركِ الى امام القاضي غصباً عنكِ

وقد سمعتُ كلماتهِ الاخيرة ولو لم اكن مصغية اليهِ لانني كنت اسمع وقع الخطى في الرواق وقبل ان استطيع تخليص يديَّ من يديهِ وقفت هانم افندي في الباب وقفت كالصنم لا حراك بها قامة طويلة وعينان براقتان ووجه ممتقع فرأيت ان قد حانت الساعة التي كنت اخشاها ووقفتُ وقفة العاصية امام المرأة التي اقسمتُ ان لا اعصي لها امراً

وتقدَّم نافذ بك مسرعاً ووقف امامي كأنهُ يريد ان يحجبني من نظرامهِ ومن نار الغضب المتقدة في عينيها . وقال لها احسنتِ يا اماهُ بمجيئكِ الآن لان لي كلاماً اريد ان اقولهُ لكِ .

لكنها لم تصغ الى كلامهِ بل دخلت من الباب ودخلت وراءها وحيدة هانم وتبعها الجواري كلهنَّ . ورأيت دلائل الانفة والكبر على وجه وحيدة هانم والخوف والشفقة على وجه ولية هانم وتوقُّع المكروه على وجوه الجواري وكان قلبي يخفق ومفاصلي ترتجف خوفًا ومن يلومني على ذلك . من لم يعش في الحريم لا يعلم ما لربّة المنزل من السلطة المطلقة كل الذين فيهِ يخافونها ويتقون غضبها لان في يدها الحياة والموت . وكنت قد تعلمت ان انظر الى هانم افندي كصاحبة السلطة المطلقة التي لا تنازع في امرها فلما رأيتها تقترب مني والشر في وجهها ارتخت مفاصلي وخارت قواي

ووقف نافذ بك بيني وبينها وقال لها اليكِ عنها يا اماه ووجّهي كلامكِ اليَّ

فصرخت ابعدْ من وجهي ولا تقل شيئًا لانّي لا اصغي الى احد حتى اقاصها كما تستحق . ثم التفتت اليَّ وقالت "من انتِ حتى تتجاسري ان ترقي ابني وتسحريهِ فقد اخبرتني بوار بكل ما جرى" . وارادت ان تقبض عليَّ بيدها فمنعها نافذبك وقال لها ان مسستِ هذه البنت بيدك فوحق رأس ابي لا تعودي تري وجهي

فشمخت بانفها وقالت أإلى هذا الحد أصرتَ تأمر وتنهى ولكنك احمق ولا تعلم انها سحرتك وطمرت العوذة التي اتت بها من الساحر تحت باب غرفتك . واراك تضحك كانك لا تصدق ذلك وانا نفسي لم اصدقهُ حتى رأيت العوذة بعيني واذا راجعت حسابك رأيت انكَ مرضت بعد ما وضعت لك العوذة بيوم واحد فحِد من طريقي ولا بدَّ من ان انتقم منها

فقال لها كلاَّ لا يمكنك ان تفعلي ذلك لانني مصمم على الاقتران بها

فهزأت بهِ وقالت اتقترن بها اجننتَ . ثم نظرت اليَّ وقالت هذه هي بغيتك ولكن لا بدَّ من قتلكِ أتظنين اني اسلم بان يقترن اسم ابني باسم ابنة حداد

فقال لها نافذ بك اليكِ عن هذا الكلام يا اماهُ فاني ساقترن بها كيفما كان الحال فوقفتْ صامتة واتكأت على كرسي كان هناك

وناديتُ نافذ بك لاكلمهُ وحالما لفظت اسمهُ صرخت بي قائلةً اياكِ ان تقولي لهُ شيئًا امامي ولا يخطر ببالك انكِ تنجين من يدي وستعلمين قريبًا انهُ كان خيرًا لكِ ان تموتي قبل ان تقيسي نفسكِ بي

فقال لها نافذ بك هذا تفعلينهُ مع جواريكِ لانهنَّ لكِ واما هذه الفتاة فان مسستِ شعرةً من رأسها فوحق تربة اجدادي

وقبل ان يتم كلامهُ رأيت ان الحرق كاد يتسع على الراقع فاسرعت الى هانم افندي

وانطرحت على قدميها وقلت لها لا تسمعي له يا مولاتي لانهُ لا يدري ما يقول وسيرى غداً ان ما يقصده ضرب من المحال

فاصغت اليَّ اولاً ثم انحنت وامسكت شعري ولفت ضفائرهُ على يدها ولا ادري ماذا كانت عازمة ان تفعل بي ولكن نافذ بك اسرع اليها حالاً وامسك يدها بيديهِ القويتين وحلَّ شعري عنها وابعدني وقال لي اجنتِ ألا ترين انها تقتلكِ اذا دنوتِ منها

وتقدمت وحيدة هانم حينئذٍ وقالت له ألا تخجل يا نافذ ان تمد يدك الى امك اجننت حتى تفعل ذلك اتظن ان ابي يسمح لك ان تتزوَّج هذه البنت فتلحق العار بنا كلنا

فقال لها العار كل العار ان لا اتزوَّج بها بعد ان جرى ما جرى

ولما كان يتكلم التفتُّ الى الباب فرأيت نصر الله باشا وادهم بك وتقدَّم نصر الله باشا وهو عابس الوجه والتفتت اليهِ هانم افندي وقالت له انظر فان امينة سحرت ابنك وهو يريد الآن ان يتزوَّج بها وقد اعتدى عليَّ بسببها وكاد يكسر يدي لانني اردت قصاصها فهل تقبل بذلك

فالتفتُّ الى نافذ بك فرأيت وجههُ اصفر كوجوه الاموات وقد اطبق فاه وضغط على اسنانهِ كانهُ علم ان قد وقعت الواقعة ولا بدَّ من النضال

فقال نصر الله باشا لا يصلح هذا الوقت للبحث في هذه المسألة ثم التفت الى نافذ بك وقال له ان كنت لم تجن تماماً فاطلب السماح من امك واتبعني ولا بدَّ من النظر في هذه المسألة الليلة

فتقدَّم نافذ بك واخذ يد امهِ وقبلها وقال لها ان كنتُ قد اسأتُ الادب فسامحيني ولكن هذا لا يغير نسبتي الى امينة فلا بدَّ من اقتراني بها ودار ليخرج من الباب وقبلما خرج التفت الى ادهم بك واشار اليَّ ففهم ادهم بك مرادهُ واشار اليَّ وقال بصوت جهوري تعالي يا امينة اتبعيني لآخذكِ الى غرفتك

والتفتت اليهِ هانم افندي ولكنها لم تجسر على الكلام معهُ لانها كانت تعلم انهُ اقوى منها ومدَّ ادهم بك يدهُ وامسك بيدي فسرت معهُ وسار نصر الله باشا ونافذ بك امامنا وكنت اقول في نفسي ترى هل هو مغتاظ مني كما اغتاظت امهُ واختهُ وهل صدَّق ما قالتهُ بوار ولعلهُ لم يمنع امهُ عن قتلي الاَّ لانهُ شفق عليَّ وكره ان يرى القوي يفتك بالضعيف. وتصوَّرتُ هيئة امهِ وهي قابضة على شعري فارتجفت مفاصلي كلها وكنا قد بلغنا السلاملك واخذنا نرتقي السلم الموصل الى باب الحريم

فقال اراكِ لا تستطيعين الصعود ولا غرابة في ذلك بعد ان جرى ما جرى قال ذلك ورفعني بين يديهِ كانني طفلة. فاستغربت هذه الشفقة وهذا الحنو منهُ ونظرت الى وجههِ في

نور المصابيح المعلقة في الرواق فرأيتهُ شاحباً كوجوه الاموات . وكانت الدموع تجول في عينيَّ تحاول الهطول والغيظ يمنعها فلما رأيت حنوَّهُ هطلت سخية فلم يكلمني بل فتح باب غرفتي وقال لي جزِّئي لتستريحي فانك محتاجة الى الراحة ولا تخافي من شيء الليلة ولكن ان احتجتِ اليَّ فناديني فابادر اليكِ حالاً

واردت ان اشكرهُ ولكنهُ اغلق الباب قبل ان اقول كلمة ومضى . ولما سمعت وقع خطاه على السلم وضعت المفتاح في القفل من الداخل واقفلتهُ مرتين واستلقيت على سريري وانا افكر في ما آل اليهِ امري (ستأتي البقية)

آلات الطيران

قلَّ من لم يرَ البالون من قراء المقتطف يملأُ غازاً خفيفاً وتُعلق بهِ سلة كبيرة يجلس فيها رجل او رجلان او اكثر فيصعد في الهواء ويجري فيهِ حسبما تسوقهُ الرياح الى ان يتعب راكبوهُ فيخرجوا بعض الغاز منهُ او الى ان يخرج منهُ الغاز من نفسهِ فيثقل ويهبط رويداً رويداً حتى يبلغ الارض اينما اتفق اراد راكبوهُ ذلك او لم يريدوا على سهل او جبل او نهر او بحيرة او شجرة او يقع في البحر الخضم

وقد تنوعت اشكال البالون كثيراً من حين استنباطهِ الى الآن فكان كروياً ثم كمثريًّا ثم مغزليًّا ثم مستطيلاً مستدقاً من احد رأسيهِ او من الرأسين معاً

واحدث هذه البالونات واكبرها وانجحها بالون الكونت فون زبلن وقد وصفناهُ في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وهو كبير جدًّا طولهُ ٤١٦ قدماً وقطرهُ ٣٨ قدماً يعلق بهِ قارب كبير يركبهُ الناس فهو سفينة هوائية تجري في الهواء كما تجري السفن في الماء . وقد بلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ٤٨٠ متراً في الدقيقة او نحو ٣٠ كيلو متراً في الساعة لكن هذا الحجم الكبير وما يقتضيهِ من النفقات الكثيرة على قلة الجدوى منهُ او على قلة الربح التجاري يمنعان شيوعهُ شيوعاً تجاريًّا لاسيما وان الرياح تغير سرعتهُ وقد توقف حركتهُ فلا يمكن الاعتماد عليهِ دائماً ولا يغني عن غيرهِ من وسائل النقل

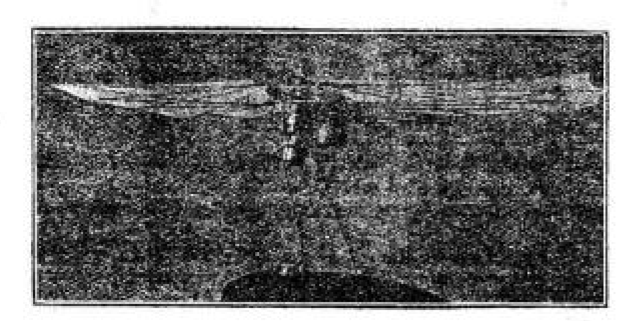
ومن البالونات التي جرِّبت مراراً وثبت انها تدار في الهواء حسبما يشاء من يصعد فيها بالون دنيلوسكي الرومي فان لهُ جناحين كبيرين يدار بهما كيفما شاء المدير

ومن هذا القبيل بالون المسيو ديبون طولهُ ٦٥ قدماً وقطرهُ ٢٥ قدماً وهو مستدق من

طرفيهِ ولهُ دفة وسطح مائل يداران بآلة بخارية صغيرة فيديران البالون كيفما شاء المدير وقد طار بهِ صانعهُ ودار حول برج ايفل

وصنع فردرك هرت بالوناً مستطيلاً كالسيكار الافرنجي لهُ على جانبيهِ اذرع كاذرع مطحنة الهواء تدار بآلة بخارية فيسير بها الى الامام او الى الوراء

ولما كان الكونت زبلن يصنع بالونهُ صنع المستر ميرس بالوناً صغيراً اوصل بهِ لولباً كلولب السفن البخارية ودفة واجنحة واطلق عليهِ اسم الطيارة الغازية وطار بهِ اكثر من مئة مرة في ولايات اميركا . وعندهُ ان الناس يستطيعون ان يطيروا بهذه الطيارة ويقطعوا الابعاد الشاسعة من غير ان يتعرضوا لشيء من المخاطر . وهذا اقصى ما وصل اليهِ البالون حتى الآن



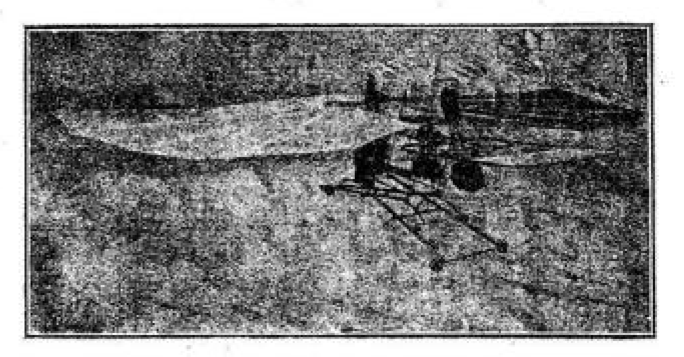
شكل (١)

الاَّ ان الذين يحاولون ركوب الهواء والسير فيهِ كما يسيرون في الماء لم يقتصروا على عمل البالون اي على عمل جسم اخف من الهواء يعوم بهم فيهِ بخفتهِ بل حاولوا الجري في الهواء بقوة دفعهِ ورد الفعل الحادث من ذلك اي انهم حاولوا التمثل بالطيور في ركوب الهواء كما حاول اصحاب البالون التمثل بالسمك وهو يعوم في الماء

ومحاولة الطيران بالآلات ذوات الاجنحة اقدم من محاولتهِ بالبالون وآخر من نجح فيهِ وكان نجاحهُ قاضياً عليهِ ليلنثل الالماني وقد وصفنا آلتهُ وصورناها وصورناهُ طائراً بها في الجزء الاخير من المجلد الثامن عشر من المقتطف . وفي التاسع من اغسطس سنة ١٨٩٦ مضى الى القرية التي كان يمارس الطيران فوق كثبانها وكانت الريح تهبُّ بسرعة ستة امتار في الثانية فلبس الاجنحة ذات الطبقتين وطار مسافة قصيرة ونزل سالماً ثم طار ثانيةً ونزل حتى كاد يبلغ اسفل التل الذي طار عنهُ واذا بريح عصفت شديداً ورفعتهُ ثلاثين متراً وذلك امرٌ عاديٌّ

حدث له مراراً ولكنهُ وقف هذه المرَّة عادم الحركة فسقط على ام رأسهِ فاقد الشعور وفاضت روحه تلك الليلة وهو في السابعة والاربعين من عمرهِ

لكن طالبي الشهرة باقتحام الاخطار لم يثبط عزائمهم ما حلَّ بالينثل ولا اقتصروا على حل مسألة الطيران من وجه فكانهي اجابةً لرغبةٍ في النفس بل اهتمَّ بعضهم بحلها من باب علمي مثل الاستاذ لنغلي الاميركي الذي حاول صنع آلة تتحرك حركات الطائر وتطير مثلهُ ولو لم تشبههُ شكلاً واستتبَّ له ذلك. وآخر من صنع آلة من هذا القبيل رجل اسمهُ هفمان تمتاز آلتهُ على كل ما تقدمها بان لها اربع ارجل ذات بكر تنتصب عليها كالحيوان وتجري على عجلها جرياً كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة حتى اذا حانت الفرصة المناسبة للطيران رفع من في الآلة هذه الارجل فوقف معلقاً بين الارض والسماء كما ترى في الشكل الثاني ويحاول



شكل (٢)

حينئذٍ الهبوط بآلتهِ الى الارض لكن الهواء يقاوم نزول الآلة فيهِ لاتساع جناحيها. وتكفي مقاومة الهواء لحمل الآلة ودفعها الى الاعلى وهي تتحرك لتهبط الى الامام فتسير كما يسير الطائر والطيَّارة . وفيها دفة ولولب لتعديل حركاتها واتجاهها

والمرجح ان هذه الآلة اصلح للطيران من آلة للينثل وسنرى ما يكون من امرها ولكن هب انها وفت بالغرض تماماً وصار كل احد يستطيع ان يركب آلة مثلها ويطير في الهواء يبقى استعمالها خاصاً ببعض المخاطرين بانفسهم او الذين لا يتوخون من ركوبها الا الفكاهة والنزهة . ولا تتم الفائدة الا اذا وُجدت آلة تجمع بين البالون والاجنحة حتى تحمل الحمل الثقيل وتسير بهِ اينما شاء راكبها وقد تبقى مع ذلك معرضة للخاطر من عصف الرياح

القلب الكسير

لواشنتون ارفن الكاتب الاميركي

من الناس من اذا جاز سنّ الصبوة سنّ الاحلام والآمال وانغمس في ملذات الحياة وافراحها ولهوها بردت عواطفهُ وشابت فيهزأُ باحاديث الحب واخبار المحبين و يعدها من روايات المؤلفين وغلوّ الشعراء وتخرصات الكتاب لكنني رجل قضيت العمر في درس اخلاق البشر فما ازددت الاَّ اعتقادًا بخطإِ من يرى هذا الرأي فقد تنبئك الظواهر بخمود العواطف وتطمر هموم الحياة نار الصدور في رماد المشقات ويتبرقع الوجه بحجاب من التصنع في الكلام والاشارات والابتسام بحسبما تفرضهُ رسوم التمدن الحاضر لكنَّ النار لا تزال مخبوَّة في الفؤَاد حتى اذا ما اتقدت جذوتها تأججت فاندلع لهيبها وحرق ما حولها . فانا مؤمن بالله الحب الاعمى مسلم بتعاليمهِ اعترف بوجود القلوب الكسيرة واعتقد بالموت الناتج عن الحب العقيم

واقول ان مرض الحبّ في الرجال يندر ان يكون وخيم العاقبة على انهُ كثير الشيوع في النساء كبير المضارّ وكم من فتاة حسناء اودى بها فاودعها البلى في نضارة العمر وزهرة الصبا

خلق الرجل نزوعًا الى العلا وحب الرفعة طماعًا في المجد والغنى والشهرة فهو مدفوع ابدَ الدهر باخلاقهِ وطبيعتهِ الى التمرّس بالآفات ومصارعة الدهر وعراك الايام فما الحبُّ لهُ سوى زينة يتخذها لشبابهِ او صوت يتغنى بهِ بين فصول رواية الحياة التي يمثلها لان الشهرة مطلبهُ والغنى لذتهُ ولان غايتهُ رفعة المقام والتسلط على بني جنسهِ بما يحرزهُ من القوة والثروة

اما المرأة فحياتها سلسلة من الحبّ وعالمها قلبها فاذا طلبت الرفعة والسيادة ففيهِ واذا تولتها المطامع فالى كنوزهِ فالحبّ تجر نفسها وفي بحرهِ يمخر قلبها فاذا انكسرت السفينة ذبلت آمالها وانمحت حياتها وانكسر فؤادها وما ادراك ما انكسار القلوب

وقد رأيت اله الحب يجور على الرجل فيذيقهُ صنوف العذاب والشقاء ويجرحهُ جروحًا بليغة قد يطول زمان الاستشفاء منها وتعدمهُ الهناء ردحًا من الزمان لكنهُ خلق قوي شديد فيتغلب على هواجسهِ وقلقهِ بما ينخرط فيهِ من اعمال الحياة او بجهادهِ في تيارها او بما يكرعهُ من ضروب الملذات والمسرّات حتى اذا ما استحال عليهِ البقاء في ارضٍ اصابتهُ فيها السهام ارتحل عنها راكبًا جناحَي النعامة الى حيث يلقى لنفسهِ الراحة والعزاء

اما حظ المرأة من ذلك فغير حظهِ ونصيبها غير نصيبهِ فحياتها حياة وحدة وعزلة وتأمل سميرها افكارها وانيسها عواطفها فاذا صارت هذه العواطف وتلك الافكار رسل الحزن

والغصة اليهـا فاين المهرب من الشقاء والى اين المفرّ الى العزاء . فقد خلقت لتكون موضوع الحبّ والاعتناء فاذا شقيت في الحبّ كان قلبها كالحصن هاجمهُ الاعداء فاحتلوهُ وخرّبوهُ ونهبوهُ وتركوهُ قاعاً صفصفاً

وكم من عينين براقتين اظلمتا حزناً وغماً وخدين ذبلت ورودهما كدراً وجزعاً وكم من قامةٍ تزري بالغصن الاملد وراها الثرى لسرّ مدفون في قلب كسير . فالمرأة تكنّ ما في فؤادها من كلوم الحب كما تفعل الحمامة اصاب سهم الرامي منها مقتلاً فضمت جناحيها الى جانبيها وغطت بهما جرحها فهي مطبوعة على الحياء ميالة الى السكينة والهدوّ فاذا لقيت سعادة في الحبّ فلا تجسر على التفوّه بها لنفسها واذا اصابت شقاء فيهِ اضمرت ما بها ودفنتهُ في اعماق صدرها بين اطلال رغد العيش وبقايا هنائهِ ودعتهِ وعادت فاذا الكون قد اسودّت سماؤُهُ واظلم نهارهُ فلا هي ترى في الحياة حبوراً ولا في العيش نعيماً فتبتعد عن جميع ما يشرح الصدر ويخفق لهُ القلب من الالعاب والرياضات والاحاديث والاجتماعات والافراح والمسرات وتكحل عيناها بالسهاد وتهجرها الراحة وتلازمها الاحلام المزعجة ويمتص الحزن دمها فتبيت خيالاً تروّحهُ الرياح وتعبث بهِ الامراض حتى اذا ما انقضى برهة من الدهر اذا بالاهل والاصدقاء ملتئمون حول ضريحها يعجبون لذلك الغصن كيف ذوى قبل الاوان ولتلك الطلعة البهية كيف يواريها التراب وتأكلها الديدان ويحدثونك عن زكام اصابها فقضى عليها او توعّك المّ بها فاودى بحياتها لكنهم جهلوا الآفة التي انحلتها وامتصت الحياة من عروقها فغادرتها عرضة للادواء وفريسة للاسقام

انظر اليها كانها دوحة قد زانت الغاب بجمالها واعتدالها وزهوتها اينعت غصونها واخضرّت اوراقها وانبسط ظلّها وانما لا يغرّنك ما ترى من جمال وحسن منظر فان في اصلها دودة تنخرها فلا تلبث ان تذوي وانت تخالها باسقة فتطرق اغصانها اطراق الضعيف وتنتثر اوراقها حتى اذا ما اشتدّ بها الضعف سقطت في سكينة الغاب بين جاراتها فاذا تأملها متأمل او نظر اليها ناظر لم يفطن الى الصاعقة التي انقضّت عليها فاتلفتها

وقد شاهدت بنفسي كثيرات من الفتيات علق بهنّ الفحول وغلب عليهنّ الذهول ففارقنَ الحياة كانفاس تصعدها الى السماء وكنت ازعم فيمن زعم ان موتهنّ نجم عن ثقل وطأة الامراض الفتاكة كالسلّ وامراض الصدر والضعف فلا البث حتى اجد السبب الاوّل وارى خلال تلك الادواء اعراض الشقاء في الحبّ

واليك خبر واقعة حدثت في ارلاندا واشتهر امرها بين سكان تلك البلاد

لما اتقدت نيران الثورة في ارلاندا كان في من قبضت عليهم الحكومة فتى من خيرة شبانها فحاكمته متهماً بخيانة وطنهِ وصدر حكم المحكمة عليهِ بالاعدام فأعدم بين اسف القوم وحزنهم وكان لاعدامهِ وقع شديد في نفوس مواطنيهِ ورنة في جميع اطراف البلاد لأنهُ كان في عنفوان الشباب وزهوة العمر كريم الاخلاق ذكي الفؤاد باسلاً استجمع ما يستحب في الفتيان من الصفات الكريمة والمناقب المحمودة وابدى اثناء محاكمتهِ شمماً وعزة نفس يندر ان يرى مثلها حتى اذا ما اتهموهُ بخيانة بلادهِ اتقدت فيهِ الحمية وانفجرت ينابيع الشهامة وعزة النفس فدافع دفاعاً حشوهُ البلاغة وعنوانهُ الشرف والترفع عن الدنايا لكن ذلك لم يدفع المقدور ولما دنت الساعة ولم يبقَ في القوس منزع حرَّك قلوب القوم واثار نخوتهم بخطبة عزم فيها على الخلف من بني بلادهِ ان يعيدوا النظر في قضيتهِ بعد موتهِ لتبرئتهِ مما عُزي اليهِ من التهم وهو منها براء وبلغ من اسف الناس لمصابهِ ورثائهم لبلواهُ ان اعداءهُ الالداء انتقدوا خطة السياسة التي افضت الى اعدامهِ

وانما كان بين القلوب الخافقة والنفوس الولهانة فؤاد خيَّم الحزن عليهِ قلب فتاة بارعة في الجمال جامعة لطيب الخلال احبها الفتى واحبتهُ قبل ان تعصف بهِ انواء السياسة فصادف منها فؤاداً طاهراً خلياً فمحت لهُ مخادعهُ واشتدت بينهما ربط الحب والولاء حتى اذا ما جاهر الجاهرون بعداء حبيبها وكثر اعداؤهُ وحسادهُ واصبح الخطر والموت يتهددانهِ زادت ثباتاً في حبهِ وولاءً لعهدهِ كأن مصائبهُ ضاعفت قوة عواطفها ولا غروَ فان ما المَّ بهِ حرَّك شفقة الاعداء فأخلقْ بمن وهبتهُ قلبها ان تزداد لهُ ولاء وفي عهود حبها امانةً وثباتاً وأخلقْ بمن انطبعت صورتهُ في فؤادها وشاركت نفسهُ نفسها ان يسحقها الحزن عليهِ والخوف على حياتهِ بما احدق بها من المخاطر حتى انتهى امرها بالموت مفرق الاحباب

سل الذين رأوا ابواب القبر تفتح ثم تقفل على اعزّ من احبوهُ وسل الذين وقفوا امام الضريح منفردين عن الخلق كأنهم في عالم مظلم موحش فارقوا فيهِ احبَّ الناس اليهم واجملهم في عيونهم — سلْ هؤلاء ينبئوك بانكسار القلوب واما انباك مثل خبير

وكانت مصيبة الفتاة مزدوجة فانها خسرت حبيبها وقضى محكوماً عليهِ بما يلبس اسمهُ ثوب العار فلم يكن لها من الذكرى ما يبرّد لوعتها ويخفف الم فراقهِ عليها وجفت عيناها فلا ترسلان الدموع تلك الدموع المباركة المرسلة كالندى من السماء لانعاش القلوب ايام الكرب وساعات الفراق فراق الاحباب

وزاد شقاءها سخط ابيها عليها لحديث حبها فطردها من بيتهِ مهانة عقاباً لها واعلاناً لفرط

احتقاره لحبيبها لكنها لم تعدم الاصدقاء والمحبين الذين انتصبوا لحمايتها والاخذ بناصرها فانها لم تكد تخرج من بيت ابيها حتى فتح لها كبراء القوم واعيانهم بيوتهم وقبلوها على الرحب والسعة والارلندبون مشهورون بمكارم الاخلاق وسرعة التأثر وحب الضيافة. ولو كان الحنوّ واللطف والمحبة وطيب المعاملة تزيل غصص الفؤاد لزال ما بها بما افرغوا عليها من الرعاية والاكرام وباجتهادهم في تخفيف كربها وتبريد لوعتها فكانوا يذهبون بها الى محافل اللهو ومجامع الانس لعلّها تجد في اللهو والاحاديث والمعاشرة ما ينسيها حزنها او ما يفطمها عن تذكر واقعة حبها ومصاب من تهواه لكنّ مساعيهم حبطت وخابت آمالهم فانّ من المصائب ما يحلّ بالمرء فيحرق النفس حرقاً ويشويها شيًا ويدخل الى روض السعادة والهناء فيزيل ما فيهِ فلا يعود يطرح زهرًا ولا يحمل ثمرًا

وكانت الفتاة لا تستنكف من مرافقة اصدقائها الى حيث يريدون ولا تعترضهم فيما يدبرون لها لكنها كانت في المجامع والمحافل كمن هو في اعماق الوحشة والوحدة فكانت تسير فيها ذاهلة عمّا حولها تلوح عليها امارات الشقاء كانها تسخر بما يطيف بها من الملذات واسباب اللهو والفرح وكأن فواعل السرور كانت تندفع اليها فاذا بلغتها وقفت لا تجسر على التقدم احترامًا لما بها من الحزن المفرط والاسى الشديد

ورآها محدثي في سهرة راقصة تنكَّر فيها الراقصون فكان الطباق كاشدّ ما يمكن ان يكون عليهِ اذ كانت تسير بين اسباب الفرح والحبور وقد سكر القوم بخمرة الجذل والنشاط كأنها خيال حزين تردّى ثياب البهجة ليخدع القلب الكليم وينسيهُ ولو ساعةً مصائبهُ واحزانهُ . وبعد ان تمشت زمنًا يسيرًا في مقاصير القصر الفاخرة بين جماهير الراقصين والراقصات كأنها مستهواة جلست على سلّم الاوركسترا وحدّقت بباصرتيها في الفضاء كمن لا يشعر بما حوله ثم اندفعت تغني بما انفجر في قلبها من الحزن اغنية شجية بصوت رخيم وتلحين بديع بسيط ترجم عما كانت فيهِ من الشقاء فتألب القوم حولها مدهوشين ولم تبقَ عين الأ دمعت او قلبٌ الأ انصدع رثاءً لبلواها وحزنًا لمصابها

وكان ممن عرفها ضابط باسل فهذا احبها شديدًا واعلن لها شغفهُ بها وقال في نفسهِ ان فتاةً تخلص الولاء لموتى الى هذا الحدّ لجوهرة لمن يتزوجها فعرض عليها ان تقترن بهِ فرفضت طلبهُ لان نفسها كانت ممزوجة بذكرى حبيبها فالحّ عليها وزاد في اكرامها وكان من خيرة الفتيان خلقًا وخلقًا ورأت هي ما كانت عليهِ من الفاقة وانها طريدة من بيت ابيها عيال على اصدقائها فقبلتهُ زوجًا بعد ان افهمتهُ انهُ انما يملك قياد يدها واما قلبها فلآخر فقبل منها هذا الشرط واقترنا

وحملها الى صقلية آملاً ان تبديل الهواء والمكان ينسيانها ذكرى ما صادفتهُ من العناء والشقاء فيغيض ينبوع حزنها على حبيبها الاول فالفى منها زوجة فاضلة وامرأة كريمة ولكن كان السوس قد نخر اصل الشجرة فلم تستطع رد السعادة التي غادرتها . وقصر الدواء عن بلوغ غاية الداء ونفذت في المرض حيل الاطباء فنخر الحزن قلبها وهدَّت ذكرى حبيبها ركنها وذابت كما تذوب الشمعة حتى انطفأت فواروها الثرى قتيلة القلب الكسير

ونظم فيها الشاعر مور الارلندي ابياتًا في هذا المعنى

نزلـ الموت بها مبعدةً عن حبيبٍ بات في ارض الشقاء
حولها الاصحاب يبكون التي لم تذق في عيشها طعم الهناء
فادارت وجهها عنهم وقد هاجها تذكارها عهد الولاء
وبكت والعين قرحى حبٌّ من قلبها في قبرهِ يبغي الثواء

رنَّمت اغنيةً يا طالما رددتها عند روضٍ او غدير
وحبيب القلب يصغي طربًا قبل ان حلَّ بهِ الخطب الكبير
اطرب السامع ما غنتهُ إذْ خالها قد جازت الامر العسير
اترى السامع يدري انهُ نغمٌ ردَّدهُ القلبُ الكسير

عاش كي يسعد من يهوى وما تَ بحبِّ الوطن الغالي الثمين
لم يكنْ يبغي سوى هذين في ال عمر حتى صار في الترب دفين
فستجزيهِ بلادٌ مات في حبها الدمعَ على مرِّ السنين
والتي تهواهُ ان تلحقْ بهِ فعلى عهد الولا يبقى الامين

قبرها فابنوهُ في الروض النضير حيث نور الشمس يكسوهُ البهاء
تطلع الشمس عليهِ فتنير ارضهُ ايام يعتلُّ الهواء
كسلام جاء كالمسك الذفير من بلاد الغرب من ارض الشقاء
وادفنوا في قبرها القلب الكسير علَّهُ يلقى بهِ بعض العزاء

خليل ثابت

سجون المغرب الاقصى

يزور القطر المصري كل شتاء كثيرون من اشراف الانكليز وفي جملتهم ارل ميث وزوجتهُ كونتس ميث . والاثنان من كرام الانام الذين يتذرَّعون بمقامهم وثروتهم لنفع الناس . والظاهر انهما يزوران بلاد مراكش او المغرب الاقصى كما يزوران هذا القطر فقد كتبت كونتس ميث مقالةً في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وصفت فيها فظائع السجون في تلك البلاد وصفاً تقشعرُّ منهُ الابدان لا بقصد الوقيعة ولا لمجرَّد العلم باحوال الناس في تلك البلاد بل انهاضاً لهمم الكرام في سائر البلدان حتى يؤَلفوا لجنة من كل الامم الاوربية تسعى لدى سلطان مراكش ليصلح سجون بلادهِ ويمنع الجور عن اهلها . وقد تنجح في تأليف هذه اللجنة وقد لا تنجح وقد تفلح اللجنة في ما تسعى اليهِ وقد لا تفلح ولكن في القطر المصري وبين قرَّاء المقتطف اناساً كثيرين يحسبون كل بلاد اسلامية وطناً لهم ويدَّعون الغيرة الوطنية عليها . وعندنا انهم اذا ألَّفوا لجنة تسعى لدى سلطان مراكش في رفع الحيف عن اخوانهم كان سعيها مشكوراً وفعلها مأجوراً وتدفع عن تلك البلاد غائلة " التداخل " الاجنبي الذي اذا القى عصاهُ فيها قبل ان تنهض من سباتها ذهب باستقلال اهاليها من سلطانهم الى آخر سوقتهم . واذ قد تمهَّد ذلك نترجم جانباً مما اوردتهُ كونتس ميث في مقالتها قالت :

ان كلمة " المسجون " في بلاد مراكش لا يراد بها المجرم لان المسجون قد يكون بريئاً من كل جرم مسالماً للناس اجمع والمجرم قد يكون القاضي الذي حكم عليهِ بالسجن . وليس في مراكش قانون للجنايات فيحكم القضاة حسب اهوائهم يحكمون على الواحد مثلاً بالسجن لان لهُ مالاً يراد ابتزازهُ منهُ واذا ارتكب جناية واراد ان يخلص من عواقبها فما عليهِ الاَّ ان يتخلى عن بعض ما يمتلكهُ فتقلُّ جريمتهُ او يبرأ ويؤْخذ بها غيرهُ حتى اذا قيد الى السجن بقي فيهِ الى ما شاء الدينار او حُسب من المنسيين فيترك فيهِ الى ان ينجيهُ الموت منهُ

وقد يذنب رجل فيسجن واحد من اقاربهِ بدلاً منهُ ابوهُ او امهُ او اخوهُ او عمهُ وقد يُنقَل السجين في هذا البلد الى سجن آخر وبلد بعيد يقوم فيهِ مقام سجين آخر اشترى براءتهُ من القاضي بالمال

اخبرني احد الثقات وقد تفقد كثيراً من السجون انهُ شاهد مرةً عشرين سجيناً في حالة يرثى لها من المرض وسأل عن جرائمهم واسباب سجنهم فلم يجد مَن ينبئهُ عن ذلك وقال لهُ والي البلد ان والياً آخر ارسلهم اليهِ ليسجنوا ولم يشر الى جرائمهم

ولو سجن الابرياء والمجرمون او لو أخذ الابرياء بجريرة المجرمين وعومل الكل بالرأفة او نجوا من العذاب لهان الحال ولكن الامر على ضد ذلك ولولا الامل ان كشف المساوئ يدعو الى ازالتها لسبلتُ ستراً على ما رأيتُ وتركت هذه الفظائع محجوبة الى ما شاء الله فان لها اسوةً بغيرها مما يحتمله نوع الانسان من العذاب الهون في تلك البلاد من الجلد بالسياط حتى الموت وسمل العيون بالحديد المحمى وسلخ الجلد من الايدي ورش الملح عليها وربطها بسيور من جلد البقر الطري، وتركها حتى تنقلص وتقطع اللحم فيفسد وتنقطع الايدي

وكم يموت جوعاً ومرضاً من الذين يقضى عليهم بالسجن . سجن الحكومة الكبير في رباط مكشوف لا سقف له يقي السجناء من شمس الصيف ومطر الشتاء . وسجون داخلية البلاد اسوأ منه حالاً لانها كهوف تحت الارض وكثيرون من السجناء يودون لو كانت لهم قبوراً . والاقامة في مراكش الآن تجعل المرء يحسب الموت ملاكاً سموياً يُبعث لانقاذ الناس من الشقاء والعذاب

وتتوقف شدة الجور والعسف على الولاة فالوالي الظالم الغاشم لا تأخذه شفقة ولا يردعه عن الحيف حنان . ذهب قائد غازياً وامر برجل ان يجلد ثم لما عاد عن غزوته وجد الرجل في قيد الحياة فاغتاظ وامر بجلده ثانية ومضى الى الجامع يصلي فمات الرجل تحت الجلد . ورأى رجلاً آخر ذنبهُ الوحيد مصادقته للاجانب فامر به ان يوضع في بئر قائماً ويقيَّد هكذا الى ان يموت . وكان ابو هذا القائد حاكماً ظالماً مثله فاضطر شعبهُ ان يصبوا عليهِ زيتاً ويحرقوه حياً لكي ينجو من ظلمهِ

اذا عصت قبيلة وابت ان تؤدي الجزية سارت الجنود لاخضاعها وقبضت على من يقع في يدها من رجالها وعادت بهم اسرى مثقلين بالاغلال وقد يموت ثلثهم او نصفهم في اثناء الطريق لشدة ما يقاسون من العذاب الهون . واذا كان القائد قد اخبر بعدد اسراه حزَّ رؤوس الموتى منهم وملحها وعاد بها حتى لا يقال ان افلت احد منهم واذا اضاع رأساً منها فقد يحز رأس واحد من الجند بدلاً منهُ

ثم ذكرت ان وكلاء الدول في طنجة رفعوا مذكرة الى سلطان مراكش وصفوا له فيها حالة السجون ووجوب اصلاحها فنظر الى طلبهم وامر فاصلح بعضها حيث يسهل ان يرى الاجانب ما فعل . وان كثيرين من فضلاء الانكليز رجالاً ونساء اهتموا بمسألة السجون في مراكش اهتماماً شديداً وهم يبعثون النشرات الى الولاة يطلبون منهم الرفق بالعباد . ولا شبهة عندنا في ان اغراضهم حميدة لا يشوبها شيء من المصالح الذاتية ولكنها قد تصير اساساً " للتداخل "

الاجنبي وما يترتب عليهِ . هب ان كونتس ميث او سواها من النساء الشريفات ذوات المقام في البلاد الانكليزية أُهينت او اعتدى عليها سجّان او جندي او والٍ جهلاً منهُ او كرهاً وهب ان ذلك تكرَّر مراراً فما ينجي مراكش من الاساطيل الانكليزية وعلى مَ لا يصلح الناس فسادهم اذا اتخذهُ غيرهم سبيلاً عليهم

وزارت كونتس ميث سجن طنجة وقالت انهُ اصلح من غيره من السجون لانهُ بمرأى من الاجانب ورأت هناك رجلاً جُلد الف جلدة لانهُ سبَّ الوالي. ثم رأت امرأة اتتها تبكي وعلمت من امرها ان ابنها ورجلاً آخر اختصما فوُضعا في السجن وطلبت منها صدقة ترشي السجان بها ليطلق سبيل ابنها فأعطيت ريالاً ففتح الريال اقفال الحديد واطلق الابن ورفيقهُ . قالت الكونتس ولو اقتصر اطلاق الناس على مثل ذلك ولو كانت السجون خالية من الفظائع لهان الامر وسهل الخطب

ثم اشارت بانشاء اللجنة التي اشرنا اليها سابقاً حاسبة ان حكومة مراكش تصغي الى طلبها لانها تحسبها معضودة من دولها وارتأت ان تختار هذه اللجنة رجالاً مشهوداً لهم بالهمَّة والمروءة والعفة والدربة يطوفون في بلاد مراكش ويزورون سجونها ويوجهون انظار الولاة الى ما فيها من المساوىء الفاحشة ويتوسطون في الافراج عن الابرياء . ثم وعدت بان تدفع هي راتب واحد من هؤُلاء الرجال . وهذا هو النصح الحميد النصح بالقلم والمال . فهل في هذا القطر مَن يفعل فعل هذه الاميرة الجليلة او مَن يلبي نداءها فيسعى في تخليص مراكش من عيب فاضح ومن بلية قد تقود الى بلايا

وسلطان مراكش الآن مولاي عبد العزيز بن السلطان حسن ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٧٨ وخلف اباهُ في ٧ يونيو سنة ١٨٩٤ وحكمهُ مطلق ولهُ ستة وزراء يستشيرهم في شؤُون بلاده اذا اراد والاَّ فلا شأن لهم الاَّ تنفيذ اوامره

وقد اختلف المقدرون في عدد السكان فقال بعضهم انهم لا يزيدون على مليوني نفس وابلغهم البعض الآخر الى تسعة ملايين واربعمئة الف نفس . في ولاية فاس منهم ثلاثة ملايين ومئتا الف وفي ولاية مراكش ثلاثة ملايين وتسع مئة الف والباقون في بقية الولايات واكثر السكان من البربر . عاصمة البلاد مدينة فاس سكانها مئة واربعون الف نفس

والبلاد جبليَّة طيبة الهواء يصدر منها الصوف واللوز والفول والصمغ والشمع وجلود الماعز ويقال انها من اجود البلدان تربة واصلحها لزرع الحنطة ولو حسنت ادارتها ونشرت فيها وسائل العمران لكانت من اغنى ممالك الارض وامنعها

باب الهدايا والتقاريظ

قاموس الجغرافية القديمة

انتقاد

كل دولة سادت في الاعصر السالفة وشادت معالم الحضارة والعمران تركت من الآثار ما يدل على ما بلغتهُ من السطوة وعلو الشأن مثل المباني على اختلاف انواعها والاغراض التي أُعدَّت لها والآثار العلمية والصناعية وغيرها . ومن اهم تلك الآثار اللغة فما من امةٍ رفعت اعلام سلطتها على قطر من الاقطار الأ وسارت فيهِ لغتها تبعاً لسنة الارتقاء وتغلُّب الاقوى . يدلنا على ذلك ما نراهُ في تاريخ الممالك القديمة من الاسماء التي تغيَّرت بتغير الدول . هذه مصر لمَّا استولى عليها اليونان قسموها الى اقسام جديدة وابدلوا اسماء المدن الشهيرة باسماء يونانية . ولا يزال اغلب الاسماء القديمة مستعملاً لهذا العهد ولكن لتداولها وانتقالها من أُمةٍ الى اخرى تطرق اليها من شوائب التحريف والزيادة والنقصان ما غيَّر صيغها الاصلية بعض التغيير مثل ابوصير[1] فان اسمها المصري (بو اوسير) ومعناهُ دار اوزيريس وسماها اليونان بوسيرس . واطفيح اصلها (تباح) فجعلها الاقباط طبيح ثم أُبدلت الباء فاء فصارت طفيح او اطفيح حسب الرسم ثم سماها اليونان افروديتوبوليس اي مدينة افروديت لانها كانت مخصصة لعبادة هاتور (الشعرى اليمانية) وهي ربة الجمال عند المصريين وتسمى افروديت عند اليونان . واسيوط اسمها المصري (ساووت) وسماها اليونان ليكوبوليس ومعناها مدينة الذئاب لانهُ كان يُعبد فيها انوبيس وكانوا يصورونهُ برأس ذئب وغير ذلك مما لا نطيل الكلام فيهِ

وهكذا كان الامر في سورية واسيا الصغرى وبلاد الفرس وارمينية وغيرها من اقطار اسيا واكثر اقسام اوروبا فان كل دولة استولت عليها وضعت للبلاد اسماء جديدة او منحوتة من الاسماء القديمة او استعملت الاسماء القديمة نفسها ولكنها تحرفت بالتداول واختلاف اللغات كما ان العرب لما استولوا على الاندلس وغيرها من بلاد اوروبا ابدلوا بعض الاسماء القديمة باسماء عربية وبعضها حرفوهُ فاصبح بالاصطلاح من قبيل الاعلام العربية

ولا يخفى ما في معرفة هذه الاعلام والوقوف على مآخذها واشتقاقها ومعانيها وما وضعت لهُ من البقاع من الفوائد العلمية والاهمية التاريخية فهي التي اهتدى بها علماء اللغات والآثار

(1) علم على عدة قرى بمصر والمقصودة هنا ابو صير الجيزة التي كانت قسماً من مدينة منفيس.

في حل الكثير من مشكلات العلم وتحقيق ما ورد في اخبار الاولين وفي الكتب الدينية من الحوادث التاريخية وتعيين مواقعها الجغرافية

ولولا دلالة الاسماء القديمة على مواقع البلاد التي دُرست معالمها لما تيسر معرفة ما كان فيها من الآثار في سالف الايام وما حوتهُ من الدفائن النفيسة والكنوز الثمينة وما اختصت بهِ من المعابد التي كانت تقام فيها الشعائر الدينية اجلالاً لبعض المعبودات فما تلك الاعلام الأ خزائن اودع فيها من اسرار العلوم وكنوزها ما لا يتكشف الأ بحل رموزها

هذا فضلاً عما تدل عليهِ بعض الاسماء من الصفات الطبيعية التي تمتاز بها البقاع التي سميت بها ومن هذا القبيل اكثر اسماء بلاد العرب مثل نجد [1] والاحقاف [2] والحجاز [3] والعروض [4] واليمن [5] كما ان كثيرًا من الجبال سميت باسماء تدل معانيها على البياض لكثرة ما يعلوها من الثلج مثل جبال الالب [6] ومون بلان [7] ولبنان [8] واق طاغ [9] وهويت مونتز [10] ولهذا عُني الاوربيون بوضع القواميس والموسوعات الجغرافية والتاريخية لمعرفة الاسماء القديمة ومآخذها وما تدل عليهِ من البقاع وما يقابلها من الاسماء الحديثة مثل قاموس سميث الجغرافي في اللغة الانكليزية وقاموس بوليه الجغرافي التاريخي في اللغة الفرنساوية وغيرهما

وكانت اللغة العربية الى الآن في حاجة الى قاموس من هذا القبيل يُرجع اليهِ عند الحاجة الى معرفة الاعلام القديمة وما يرادفها من الاسماء ويهتدي بهِ المترجمون في ضبط الاعلام العربية التي حرَّفها الافرنج فانهم كثيرًا ما يخبطون في نقلها خبط عشواء فيكتبونها تارةً كما يكتبها الافرنج بلغاتهم محرفة ممسوخة وتارة بصورة لم ترد في كتب العرب ولا في كتب الافرنج. ولا تقتصر فائدة القاموس على الذين يعرفون اللغة العربية دون غيرها من اللغات بل يحتاج اليهِ كل من كان عالمًا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية لان جميع القواميس الافرنجية التي من هذا القبيل غير وافية بالمراد في بيان حقيقة الاعلام العربية التي لا يتيسر الوقوف عليها الا باستيعاب ما كتبهُ العرب في وصف الاقاليم والبلدان واخبار الامم

وخلاصة القول ان هذا القاموس لا يستغني عنهُ عالم او اديب بل هو من الضروريات في اللغة العربية وقد قام بتحقيق هذه الامنية حضرة الفاضل احمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظار فوضع قاموسهُ الجغرافي الذي طبع منذ عهد قريب وقد قال في مقدمتهِ "واذا نال هذا الكتاب

---

(١) لانها مرتفعة (٢) معناها الرمال العظيمة المستطيلة (٣) لانها حاجز بين نجد وتهامة (٤) لاعتراضها بين اليمن ونجد (٥) لانها واقعة على يمين الكعبة (٦) معناها ابيض باللغة اللاتينية (٧) اي الجبل الابيض باللغة الفرنساوية (٨) لفظة عبرانية تدل على البياض (٩) اي الجبل الابيض باللغة التركية وهو اسم جبل في ولاية ارضروم (١٠) اي الجبال البيضاء باللغة الانكليزية وهو علم على جبال في اميركا الشمالية

الصغير من الاقبال ما هو خليق بهِ تشدَّدت عزيمتي لابراز المعجم الكبير الوافي الذي جمعتهُ في هذا الموضوع المفيد" فلهُ من ابناء اللغة العربية مزيد الشكر والثناء على هذا العمل الخطير

ولما كنتُ ميالاً للبحث في الاعلام القديمة اقبلت على تصفح هذا المعجم الصغير اقبال الصادي على المورد العذب فعنَّ لي وانا التقط من فرائدهِ بعضُ ملاحظات جديرة بالامعان رأيتُ من الواجب اتماماً للفائدة ان استميح حضرة المؤلف الفاضل في ابدائها لعلها تقع عندهُ موقع الاصابة والاستحسان فيتفضل باستدراكها في القاموس الكبير الذي اشار اليهِ في المقدمة

(١) جعل عنوان كتابهِ "قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي" فهذه التسمية وان كانت تنطبق على بعض ما ورد فيهِ من الاعلام القديمة المكتوبة بحسب اصطلاح اللغة الفرنساوية مثل Mésopotamie, Olympe, Babylone الاَّ انهُ لا يحسن اطلاقها بوجه التعميم لان جميع ما حواهُ هذا القاموس انما هو اعلام قديمة اصلها مصري او فينيقي او يوناني مكتوبة فقط بالحروف اللاتينية التي هي حروف كل اللغات الاوربية كما انهُ حوى كثيرًا من الاعلام الفارسية والتركية فكان الاولى على ما ارى الاكتفاء بتسميتهِ "قاموس الجغرافية القديمة"

(٢) في الكلام على جزيرة انس الوجود (صحيفة ١٦) ذكر اسمها المصري القديم والاسم اليوناني المنقول عنهُ واسمها الوارد في بعض كتب العرب ولم يذكر الاسمين اللذين اشتهرت بهما وهما جزيرة البربا وجزيرة هيف

(٣) عند ذكر اهناس المدينة[1] (صحيفة ١٧) وهي بلد بصعيد مصر قال ان اسمها عند اليونان هيراكليوبوليس[2] على ان صحة هذا الاسم هيراكليوبوليس مانيا (الكبرى)[3] تمييزًا لها عن هيراكليوبوليس بارفا (الصغرى)[4] وهي مدينة أُخرى على بُعد ٢٥ كيلومترًا من صان (تانيس القديمة) وتسمى الآن تل الشبرج

وكثيرًا ما يسمي اليونان مدينتين باسم واحد متى كان معبودهما واحدًا ولكنهم يميزون احداهما عن الاخرى بكلمتي مانيا اي الكبرى وبارفا اي الصغرى مثل ابولونوبوليس مانيا (وهي ادفو الآن بمديرية اصوان) وابولونوبوليس بارفا (وهي قوص بمديرية قنا) وهرموبوليس

---

(١) اهناس تحريف (هاخنسو) وهو اسمها المصري القديم ووردت في التوراة باسم حانيس (اشعيا ٣٠: ٤)

(٢) ماسبرو وقاموس بوليه وغيرهما ومعنى هيراكليوبوليس مدينة هرقل وهو اله القوة عند اليونان واسمهُ ملكارث عند الفينيقيين

(٣) خطط مصر للمرحوم علي مبارك باشا جزء ١٧ وجه ٣٦

(٤) معنى ابولونوبوليس مدينة ابولون وهو اله الشمس والفنون والآداب عند اليونان ويسمى (حور) اي العلي عند المصريين

مانيا[١] (وتسمى الاشمونين الآن بمديرية اسيوط) وهرمو بوليس بارفا (وهي دمنهور الآن بمديرية البحيرة)

(٤) عند ذكر البقاع او بقاع العزيز (صحيفة ٢٤) وهو الوادي الفاصل بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي لم يذكر اسمهُ المشهور وهو سهل البقاع

(٥) من اسماء بلاد بين النهرين الجزيرة الفُراتية ولم يذكر هذا الاسم في الكلام على هذه الجزيرة (صحيفة ٣٤)

(٦) عند الكلام على العاصي (صحيفة ٥٧) وهو النهر المشهور في بر الشام لم يذكر اسمهُ اليوناني وهو اكسيرس[٢]

(٧) قال في تعريف قبط او قفط (صحيفة ٦٣) "مدينة بصعيد مصر اسمها البرباني كوبش واليوناني كپتوس Coptos وعنها اسم الطائفة القبطية ومنها اشتق الافرنج لفظة Egypte للدلالة على القطر المصري" على ان كلمة قبط الدالة على الامة القبطية ليست مأخوذة عن اسم مدينة قفط كما ذهب اليهِ حضرة المؤلف بل اصلها ايجيپتوس (بحذف المقطع الاول للتخفيف) وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان للدلالة على القطر المصري وهو منحوت من هاكو بتاح Ha-Ku-Ptah ومعناهُ دار عبادة بتاح وهو الاسم المقدس الذي كانت تسمى بهِ قديماً مدينة منفيس[٣] هذا ما اجمع عليهِ علماء الآثار المصرية مثل بروكش وماسبرو في تاريخهِ الكبير عن قدماء امم المشرق المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ صحيفة ٢٤ وصحيفة ٥٥ وحققهُ اخيراً البروفسور سايس وهو من اشهر علماء الآثار الانكليز بعد قراءة الالواح الاثرية التي وُجدت في تل العمارنة . امَّا ما ذهب اليهِ البعض من قبل في اشتقاق هاتين الكلمتين من المذاهب والآراء فلا يعوَّل عليهِ الآن

(٨) عند الكلام على بلاد الكلدان (صحيفة ٦٩) لم يذكر اسمها المشهور في كتب الجغرافية وهو العراق العربي وهو الاسم الذي يدل على هذه البلاد بما فيها المملكة البابلية

(٩) عند ذكر مدينة منبج اومنبج (صحيفة ٧٦) قال انها مدينة في تركية اوروبا والحقيقة انها في تركية اسيا واسمها القديم Bambyce وعنهُ الاسم العربي وتسمى ايضاً هيرابوليس[٤]

---

(١) معنى هرمو بوليس مدينة هرمس وهو اله الحكمة والعلوم عند اليونان ويسمى (تحوت) عند المصريين

(٢) ذهب فولنى الى ان هذا الاسم مأخوذ عن الاسم العربي

(٣) تسمى ايضاً باللغة المصرية (من نوفر) ومعناهُ المكان العظيم وعنهُ اخذ اليونان اسم منفيس (العقد الثمين لاحمد بك كمال)

(٤) اي المدينة المقدسة

(١٠) لما اورد اسم هليو بوليس في حرف الهاء صحيفة (٨٢) قال " انظر المطرية وعين شمس " على ان هليو بوليس علم على مدينة أُخرى، في بر الشام وهي بعلبك الشهيرة بآثارها العجيبة واعظم تلك الآثار هيكل الشمس ولذلك سماها اليونان بهذا الاسم ومعناهُ مدينة الشمس فمن الضروري اذن التنبيه الى ذلك لئلا يتوهم القارئ ان هليو بوليس علم على المدينة المصرية دون غيرها

هذا ما رأيتهُ بعد مراجعة ما لديَّ من الكتب الافرنجية والعربية التي يُعوَّل عليها في هذا الموضوع وارجو من حضرة المؤلف الفاضل المعذرة لاقدامي على مجاراته في هذه الابحاث المهمة فما دعاني الى ذلك غير الرغبة في الوصول الى الحقيقة التي هي الضالة المنشودة والغاية المقصودة

حبيب غزاله

القاهرة بمصلحة الصحة العمومية

التساهل الديني

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين :

بينما انا اطالع المقتطف الاغر عثرت في باب المراسلات منهُ على كتاب من حضرة الفاضل الارشمندريت خريسطفورس جباره يرفع بهِ عليكم احتجاجاً خفياً لاستحسانكم آرائي في التساهل الديني ويحاول معارضتي في المبدإِ الذي ما زال مصباحاً منيراً لارباب العلم والفلسفة يستضيئون بهِ في التفتيش الغير منقطع على ضالتهم المنشودة اي الحقيقة فهو يريد ان يقول — وكلامهُ السلبي في هذا المعنى واضح بان التساهل الديني بعيد التناول سيّء العاقبة فيهِ من الكفر والضرر ما لا يرضي الله والناس وان التوفيق بين الاديان يأتي بعكس هذه النتائج اي انهُ سهل التناول حسن العاقبة الخ . ولا يخفى على من اعار المسألة قليلاً من التأمل ان دعوة الارشمندريت المحترم لا تتم قبل ان يشمل روح التساهل اصحاب الاديان المختلفة . فالتوفيق بين الاديان التوحيدية لا يكون الاَّ نتيجة التساهل الديني الذي ندعو اليهِ الآن . والمسألة واضحة لا تقتضي كثير جدال . فلنأْخذ قضية الوهية المسيح مثلاً وان كانت لاهوتية اكثر مما هي عقلية فكيف يمكن لنا ان نوفق بين ائمة الاسلام واكليروس النصارى فيما يختص بها من الخلاف اذا ما تساهلنا في التفسير وتسامحنا في بعض الشروحات واغمضنا الطرف عن بعض الاقاويل التي تعرقل مساعي طالبي التوفيق وتحول دون بغيتهم . فالائمة يقرون لنا بنبوة السيد ولهم علينا من هذا القبيل حق الشكر على الاقل اما نحن فلا نشكر ولا نسكت بل نطلب

منهم اكثر من ذلك . نحن نريد منهم ان يعترفوا لنا بالوهيتهِ وان يقروا بكونهِ ابن الله وهم لا يفعلون ذلك فما العمل اذن ؟ أيستطيعون ان يوفقوا دون ان يتساهلوا أليس من الواجب على كل منهم ان يتنازل عن بعض حقوقهِ ويلاقي خصمهُ الى منتصف الطريق ؟ ايتم بينهم اتفاق اذا ظلوا متمسكين بعقائدهم كلها ؟ ان التساهل يعقد بينهم معاهدة الصلح اذ لا يستتب السلام قبل ان يتنازل كلا الطرفين عن بعض حقوقهم . وانا لا اطلب ذلك اذ اراه ضرباً من المحال غير انا ننادي بالتساهل لانهُ يؤدي بنا الى شيء من هذا التوفيق .

اما الاب المحترم فيظن التوفيق بين الاديان امرًا سهلاً ويبني ظنهُ على علمهِ الراسخ بالكتب المنزلة وعلى تفسيرهِ الخصوصي لبعض الآيات الالهية مستنجداً تصوراتهِ الشخصية لتحقيق ظنهِ ولا نجد بين خدمة الدين مسلمين كانوا او يهوداً او نصارى الاَّ القليل من الذين يدققون النظر في الكتب المنزلة ويحكّمون البصر والعقل في تفسير آياتها فكيف يمكن والحالة هذه ان ينتشر مبدأهُ ويقبل الناس على دعوتهِ التي يظنها قريبة التناول سهلة المأخذ ؟

اما الدعوة الى التساهل الديني الذي بينت فوائدهُ اكثر من مرة فهي ليست مبنية على تصورات او آراء شخصية يشتم منها روح بدعة بينها وبين الحقيقة العملية عداوة كبيرة بل على شواهد تاريخية وادلة عقلية وبراهين فلسفية . والتساهل الديني منتشر الآن في كل البلدان المتمدنة وليس العمل بهِ ضرباً من المحال فكما عم انتشارهُ بين الاوربيين وظهرت لهم نتائجهُ الحسنة لا ارى تعميمهُ بين الامم الشرقية امرًا مستحيلاً وليس فيهِ من الضرر ما يتوهمهُ الناس فهو الجاذب الوحيد الذي يجمع بين العناصر المتفرقة ويؤلفها

وبعد هذا وذاك ألا يجب على محبي السلام ان يوفقوا بين الشيع المسيحية المتعددة قبل ان يحاولوا التوفيق بين الاديان التوحيدية الثلاثة ؟ اقول هذا لنفسي ولحضرة الاب المحترم ولاصحاب المقتطف الافاضل فقط اذ انني اعجب واحزن لا بل اخجل اذ ارى المسيحيين وهم منشقون بعضهم على بعض يبشرون بالمحبة ويدعون الناس الى السلام والاتفاق . فلنتحد الفروع اولاً ثم فلنطلب اعادتها الى الاصل الواحد المشتقة منهُ

وحبذا لو ان الاب المحترم اغفل الاشارة الى الكفر الذي يريد ان يرمي بهِ اصحاب التساهل اذ انهُ بعد فحص ضميرهِ يجد باننا واياهُ في حالة واحدة فالكنيسة لا تفرق البتة بين طالب التوفيق ومحب التساهل فهما في عرفها شخص واحد او بالحري فرعا شجرة واحدة . واذا لمح مرة اخرى الى الكفر والضلال فليتذكر بانهُ زعيم مبدإٍ لا تقرهُ بعصمتهِ كنيستهُ وليذكر ايضاً بان الكفر لفظة نسبية فما يُعدُّ كفرًا في دائرة الفاتيكان مثلاً لا يُعد كفرًا في بلاط وستمنستر في لندرا

وغاية ما اريد اظهارهُ في هذه الرسالة هو ان التساهل يمهد السبيل الى الاتفاق فيجب على محبي السلام وطالبي التوفيق ان يساعدوا اولاً في بث روح التساهل بين الناس فيأتيهم بعدئذٍ التوفيق عفواً دون جهاد وبغير عناء . والذي يطلب التوفيق من غير باب التساهل يصح بهِ المثل الانكليزي القائل " قد كدن الجواد الى مؤخر المركبة " او بعبارة اوضح هو كمن يريد ان يهضم قبل ان يأكل

امين فارس ريحاني

من نيويورك في ٢٠ ايار سنة ١٩٠١

حاضر المصريين او سرّ تأخرهم

اتشرف باخباركم انني وفقت الى تأليف كتاب اجتماعي يبحث عن حاضر المصريين . وهو في ثلاثة اقسام قسم يبحث عن الاغنياء وآخر عن الوسط وثالث عن الفقراء

فالقسم الاول يتضمن كلاماً مسهباً عن . الاغنياء والعصبية . زواج الاغنياء . المحبة بين الزوجين الغنيين . العشرة بينهما . تربية اطفال الاغنياء . تعليم اولاد الاغنياء . تعليم بنات الاغنياء . اولاد الاغنياء واللغة العربية . دين اولاد الاغنياء . المحبة الاخوية . عوائد اولاد الاغنياء المستحدثة . اوهامهم . كرم الاغنياء الماضي وبخلهم الحاضر . الآباء الاغنياء في نظر الابناء . الاغنياء والموت . سلوك الابناء بعد موت الاباء . مقاضاة اولاد الاغنياء . بيوت الاغنياء الخربة اخيراً وعددها . المجالس الحسبية واولاد الاغنياء . (من هذا الفصل يعلم عدد اولاد الاغنياء المحجور عليهم في المحافظات والمديريات)

والثاني وهو في حالة الوسط من الامة . يبحث عن . وسط الامة . الجامع الازهر الازهريون . (وفي هذا الباب تاريخ الجامع الازهر منذ انشائهِ الى الآن وعدد الطلبة والمدرسين الذين فيهِ وميزانيتهُ اخذناها من مولانا العلامة الفاضل الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية) . العلماء . الوعظ والوعاظ . القرآن والفقهاء . المحاكم الشرعية وحاضرها . المدارس الابتدائية . المدارس التجهيزية . المدارس العالية . مدارس تعليم البنات (ويدخل في هذا احصاءٌ لعدد بنات المسلمين اللواتي في المدارس حالاً . وعدد بنات الاقباط ومنهُ يظهر الفرق جلياً بين الطائفتين) . الجمعيات . الاستخدام والمستخدمين . التجارة . الزراعة . الصناعة . المطابع والطباعة . (وفي هذا الفصل احصاء لعدد الكتب والرسائل التي طبعت في مدة الخمس سنوات الماضية) . الكتب والمؤلفين . كتاب " سر تقدم الانكليز السكسونيين " كتابي " تحرير المرأة والمرأة الجديدة " . السياسة . الجرائد السياسية . الاسلامية . (وفي هذا

تاريخ لانشاء الجرائد في مصر وحقيقة حالتها الحاضرة ودرجة تأثيرها واحصاء للجرائد السياسية التي ماتت في الخمس سنوات الماضية) . المجلات العلمية (وفي هذا الفصل ايضاً احصاء للمجلات التي ظهرت ثم احتجبت ولم تظهر ثانية واسباب ذلك) الجرائد الدينية . خلاصة القول عن الجرائد . (وعدد ما عند كل طائفة من الطوائف المؤلفة منها الامة المصرية) . الوطن والوطنية . الوطنية في عرف الشرقيين وعلة شقائهم . فساد الاعتقاد بارتباط الدين بالوطنية . الحاصل الآن في مصر . حقيقة مصلحة المصريين . الاسراف او ميزانية الهدم في الامة (ويعلم من هذا عدد القهاوي ومحلات اللهو والخلاعة في مصر) . الغناء والحماسة . شباننا وحاجاتهم

والثالث وهو في حالة الفقراء . يعلم منهُ من هم الفقراء على اختلاف طبقاتهم وعوائدهم في اعراسهم ومآتمهم واحاديثهم واوهامهم وخرافاتهم وآدابهم ودينهم وتعصبهم وصنائعهم وحرفهم وجبنهم واحتياجاتهم واحصاءات عنهم لا توجد في كتاب آخر ولم يفتكر فيها احد . ثم فصل ختامي عن الاوقاف الاسلامية المصرية وحقيقة حاضرها وقلة نفعها ولو كانت محبوسة للنفع والفائدة

والخلاصة ان مَن يطالع هذا الكتاب يقف على كل عوامل الانحطاط التي في الامة المصرية وتبين لهُ حقائق كثيرة حميدة ومرذولة ولاسيما في المسلمين منهم . وحجم الكتاب يزيد عن خمس مئة صفحة بقطع مجلة المقتطف هذا ما نحيط به علمكم الشريف محمد عمر

[المقتطف] اطّلعنا على فصول من هذا الكتاب فوجدنا المؤلف لم يدَّخر وسعاً في البحث والتنقيب حتى جمع فيهِ من الحقائق والفوائد والنوادر والاحصاءات ما يتعذَّر على غيرهِ جمعهُ او الوقوف عليهِ فهو خزانة اخبار وفوائد تلذُّ مطالعتها وتفيد . وقد عرضهُ للاشتراك وجعل قيمة الاشتراك فيهِ ١٥ غرشاً صاغاً وبعد طبعهِ ٢٠ غرشاً وترسل قيمة الاشتراك اليهِ في مخزن البوسطة بمصر حوالات او طوابع بوسطة مصرية



باب الزراعة

زراعة القطن في مصر

اطلعنا على مقالة مفيدة في مجلة الجمعية الزراعية لمسيو بنا كي وصف فيها تنوعات القطن التي تزرع الآن في القطر المصري والتي كانت تزرع فيهِ قبلاً ونسبة بعضها الى بعض من حيث

جودتها واسعارها فقال ان التنوعات التي تزرع الآن في القطر المصري اربعة وهي الميت عفيف والعباسي واليانوفتش والاشموني . الثلاثة الاولى منها تزرع في الوجه البحري والرابع يزرع في الوجه القبلي

والعفيفي (او الميت عفيف) اقدم التنوعات الثلاثة التي تزرع الآن في الوجه البحري ويفضلهُ الغزالون على غيرهِ للونهِ وخواص شعرهِ وهو ينضج باكرًا ويصفي اكثر من غيرهِ عند الحلج وجمعهُ سهل وسوقهُ رائجة واسعارهُ منتظمة . والعباسي يتلو العفيفي ومحصولهُ مثل محصول العفيفي او اكثر منهُ ولكن سوقهُ محدودة واسعارهُ غير منتظمة كاسعار العفيفي . وقد ارتفع سعرهُ هذا العام كثيرًا لقلة زراعتهِ ولاسباب اخرى تجارية وقتية لكن سعرهُ لا يهبط عن سعر ما يساويهِ نوعاً من العفيفي وهذا يطلق على الجمعة الاولى منهُ اما الجمعة الثانية والثالثة فدون الاولى كثيرًا ولاسيما اذا مزج بغيرهِ لان شعرة جمعتيهِ الثانية والثالثة غير متينة وهذا يحط قيمتهُ في عيون الغزالين . واليانوفتش حديث وجد منذ ثلاث سنوات او اربع وشعرتهُ دقيقة متينة حريرية ويصفي اقل من التنوعين الآخرين ثمانية في المئة الى عشرة وهو والنوع الجيد من العباسي يضارعان اجود تنوعات القطن الاميركي المعروفة بقطن فلوريدا وسي ايلند العادي . والغالب ان محصولهُ اقل من محصول العفيفي والعباسي وقد يكون مثل محصولهما . والجمعة الثانية والثالثة منهُ احسن من الجمعة الثانية والثالثة من العفيفي والعباسي

اما الاشموني فيزرع الآن في الوجه القبلي . وقد اشار المسيو بناكي بان يشرع في ابدالهِ بالعفيفي تدريجاً حتى اذا اتسعت زراعة القطن في الوجه القبلي بعد اتمام الخزان يكون القطن العفيفي قد تأصل فيهِ فانهُ اذا مضى عليهِ سنتان في الوجه القبلي وأحسنت خدمتهُ زاد ما يصفيهِ في السنة الثانية خمسة الى سبعة في المئة فزاد ثمن القنطار عشرين الى ثلاثين غرشاً. وهناك تنوعات اخرى كالباميا، والحمولي والابيض والقليني والحريري ولكنها كلها زالت من الوجه البحري لان ليس فيها من المزايا ما يفضلها على غيرها ومحصولها غير كثير

والمزية التي يمتاز بها القطن المصري ويتوقف عليها غلاء ثمنهِ هي ان شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فاذا اريد انتقاء التقاوي وجب ان ينظر الى هذه المزايا في القطن الذي تختار التقاوي منهُ

واشار المسيو بناكي بعد ذلك الى فائدة السماد وقال ان السباخ البلدي وحدهُ لا يفيد القطن اي انهُ لا يصلح نوعهُ ولكنهُ اذا مزج بسماد كيماوي او اذا مزج بالبودرت المصنوع في القاهرة كانت الفائدة كبيرة . وقد اشار بذلك الى التجارب الزراعية التي نشرها المستر فودن في الجزء الاول من المجلة الزراعية الصادر في فبراير الماضي وذكرنا خلاصتها في جزء مارس من

المقتطف . واهم ما فيها ان السباخ البلدي الممزوج بالبودرت افاد اكثر من غيرهِ وان استعمال البودرت تكبيشاً خير من استعمالهِ على صورة اخرى

ولكن من يمعن نظرهُ في التجارب التي ذكرها المستر فودن يجد اولاً انها قليلة جداً لايمكن ان يبنى عليها حكم وثانياً ان نتيجتها غير مضطردة وثالثاً ان بعض الاسمدة لا يفيد شيئاً بل من استعمالهِ خسارة كبيرة و بعضها فائدتهُ قليلة جداً كما ترى من الجدول التالي والقسم الاول منهُ عن ارض جيدة زرعت قطناً عباسياً والثاني عن ارض منهوكة زرعت من القطن العفيفي

		رطل	قنطار	ثمن السماد	ثمن القطن	الربح	الخسارة
الاول	غلة الفدان بغير سماد	٢١١	٥	٠	١٤١٨		
	غلةُ بسماد نيترات الصودا	٣١	٣	٩٤	٠٨٦٦		٨٦٠
	" " اعلى فصفات	١٣٠	٦	١١٥	١٦٠٠	٦٧	
	" " الكاينيت	٠٧٠	٦	٧٠	١٥٥٠	٦٣	
الثاني	غلة بغير سماد	١٧٦	٥	٠	١٣٩٠		
	" السماد الغوانو	٢٨٣	٦	٣٥٠	١٧٢٥	٠	١٥
	" نيترات الصودا	١٩٣	٦	٩٤	١٦٥٢	١٦٦	
	" اعلى فصفات	٢ ٦	٥	١١٥	١٤١٠		٩٥
	" الكاينيت	١٩٦	٥	٧	١٤٠٢		٥٨
	" البودرت	٠ ٣	٧	٢٧٦	١٧٥٠	٨٦	

وقد فرضنا ثمن القنطار فيها ٢٥٠ غرشاً لاثلثمئة غرش كما فرضهُ المستر فودن لان الثمن الذي فرضناهُ اقرب الى متوسط ثمن القطن . واذا كان الثمن اقل من ذلك قلَّ الربح من استعمال البودرت ونحوهِ من الاسمدة المفيدة . ولذلك ولان هذه التجارب قليلة جداً حتى الآن لا يصح الاعتماد عليها

اما اختلاف النتيجة فقد يمكن تعليلهُ باختلاف الارض لان التجارب الاولى أُجريت في ارض جيدة والثانية في ارض منهوكة ولكنَّ الاختلاف كبير جداً ولا سيما في نيترات الصودا فانهُ كان من استعمالهِ في التجربة الاولى خسارة كبيرة ٨٦٠ غرشاً للفدان الواحد وفي التجربة الثانية ربح يساوي ١٦٦ غرشاً . والظاهر ان البودرت لم يستعمل في التجربة الاولى وسواءٌ استُعمل او لم يستعمل فالربح قليل منهُ لا يساوي ما يقتضيهِ استعمالهُ من العناية وما يحتمل

حدوثهُ من الغش او من الضعف في نوعهِ ولو عن غير قصد الغش

ولذلك كلهِ لا نظن ان احداً من ارباب الزراعة يبتاع سماداً كيماوياً غالياً يسمد بهِ قطنهُ الاَّ على سبيل التجربة في بقعة صغيرة جداً من الارض

واذا ثبتت فائدة السماد بالامتحان يبقى على الحكومة ان تمتحن انواع السماد وتعطي اصحابها شهادة بما فيها من العناصر اللازمة لجودة القطن . وخير من ذلك ان يتفق اصحاب السماد والمزارعون على ان يكون ثمن السماد جانباً مما يزيد في المحصول كأن يسمد المزارع مئة فدان من اطيانهِ بالسماد المعطى لهُ ويترك عشرة افدنة من غير سماد فما يزيد في متوسط غلة المئة فدان يكون جانب منهُ لصاحب السماد . مثال ذلك سمد زيد مئة فدان بالبودرت وترك عشرة افدنة من نوع الاطيان الاولى من غير سماد فبلغ متوسط غلة الفدان من هذه خمسة قناطير ومتوسط الفدان من الاولى سبعة قناطير فالقنطاران زادا بفعل السماد . ويتفق الاثنان اولاً على اقتسامها كأن يأخذ صاحب السماد قنطاراً منهما بدل سمادهِ والمزارع القنطار الآخر بدل تعبهِ ومخاطرتهِ . وهذا الاسلوب متبع عند الذين يقدمون بزر القز لمربي الدود في بعض البلدان فانهم يأخذون جانباً من المحصول بدل ثمن البزر

بنجر السكَّر

ابنَّا في مكان آخر في هذا الباب ان السكَّر الذي يُستخرج من القصب يقل عن ثلاثة ملايين طن في السنة والسكر الذي يستخرج من البنجر يزيد على خمسة ملايين ونصف مليون طن او ان سكر البنجر صار مضاعف سكَّر القصب على قدم استخراج السكر من القصب وحداثة استخراجهِ من البنجر فانهُ استخرج من القصب منذ اكثر من الف سنة ولم يستخرج من البنجر الاَّ منذ نحو مئة سنة وكان المستخرج منهُ في اوربا كلها منذ خمسين سنة ١٦٠ الف طن لا غير

وقد اشرنا غير مرة الى ان البعض جلبوا بنجر السكر الى هذا القطر وامتحنوا زراعتهُ فيهِ وهم يرجون انها تكون زراعة رابحة

والظاهر انهُ يمكن زرع البنجر في القطر المصري في كل فصل من فصول السنة ولكن اذا اريد تشغيل المعامل في اوقات محدودة فلا بدَّ من ان يكون الزرع ايضاً في اوقات محدودة ومن رأي المستر فودن ان الزراعة الصيفية تبتدئ في الوجه القبلي من فبراير وتنتهي في آخر ابريل اما في الوجه البحري فلا يمكن التبكير كذلك لان الارض التي يمكن خدمتها باكراً تزرع الآن قطناً ولا يسهل اقناع الناس بزرع البنجر في ارض تزرع قطناً ولكن الفول يزال

من الارض في ابريل فيمكن زرعها بنجراً بعده . ثم ان الحنطة والشعير يحصدان في مايو فيمكن زرع البنجر بدلاً منهما واذا بقي البنجر في الارض ستة اشهر الى سبعة يبقى الوقت كافياً بعده لزرع الارض وارض البنجر تصلح لزرع القطن لانها لا تستدعي الاَّ قليلاً من الخدمة

والموسم الشتوي يزرع من اغسطس الى اوائل اكتوبر ثم يجنى من يناير الى آخر ابريل حسب وقت زرعهِ

وقد ابانت التجارب التي جرّبت في العام الماضي ان السكر يكون كثيراً في البنجر حسب المنتظر او اكثر من المنتظر . ولكن غلة الفدان من البنجر كانت اقل من المنتظر فمعظم ما بلغتهُ احد عشر طناً و ٧٢ في المئة في ارض الجمعية الزراعية في الجيزة واقل ما بلغتهُ نحو سبعة اطنان في اراضي القصر العالي في كفر الحمام والمتوسط نحو تسعة اطنان مع ان المتوسط في فرنسا اكثر من احد عشر طناً وفي المانيا اكثر من اثني عشر طناً

الاَّ ان ما نقص في محصول الارض يستعاض اكثرهُ من مقدار السكر فان السكر في فرنسا نحو ١٠ ونصف في المئة من وزن البنجر وفي المانيا ١٢ في المئة واما في القطر المصري فظهر انهُ من ١٥ الى ١٦ في المئة من وزن البنجر فيكون السكر الحاصل من الفدان الواحد في القطر المصري مثل السكر الحاصل من الفدان الواحد في المانيا ولكن يبقى فرق مهم وهو ان ضريبة الفدان في القطر المصري تزيد كثيراً على ضريبة الفدان في كل البلدان فلا بدَّ من الاهتمام بزيادة محصول الفدان لكي تكون هذه الزراعة رابحة ويقول المستر فودن ان زراعة البنجر لا تكون رابحة الاَّ اذا بلغت غلة الفدان ٤٠٠ قنطار الى ٤٥٠ قنطاراً حتى تفي بنفقات خدمتهِ الكثيرة ويبقى منها ربح كافٍ

واصلح الاراضي لزرع بنجر السكر الارض الطينية الرملية اي الارض الخفيفة التي يسهل حرثها وعزقها وامتداد الجذور فيها واما الارض الثقيلة الطينية الصلبة فلا تصلح لانهُ يصعب على جذور البنجر النمو فيها . ولا بدَّ من حرث الارض مراراً وتنعيم ترابها جيداً ويجب ان يكون الحرث عميقاً ثم تمهد وتسهل حتى تعتدل وتعمها مياهُ الري ولا يركد الماء في بعضها . ثم تخطط خطوطاً البعد بين الخط الواحد والآخر ٧٥ الى ٨٠ سنتيمتراً من رأس المصطبة الواحدة الى رأس المصطبة الأُخرى ويزرع بزر البنجر في ثقوب متوالية على جانبي المصطبة والبعد بين الثقب والآخر ١٨ سنتيمتراً في الارض الضعيفة الى ٢٢ سنتيمتراً في الارض الجيدة ويكفي ان يكون عمق الثقب ثلاثة سنتيمترات . وتروى الارض بعد زرع التقاوي فيها كما تروى وقت زرع القطن . او تروى قبل الزرع ثم تزرع حالما تجف قليلاً

ويمكن زرع البزر في اسفل الخط ويغطى حينئذٍ بقليل من التراب باليد ويكون البعد بين نبات وآخر اربعين سنتيمترًا

ويبتدئ النبات يظهر بعد زرعهِ بخمسة ايام الى ستة ولا يتم ظهوره كلهِ قبل عشرة ايام الى ١٥ يومًا ويعزق بالفاس ويخفف حينما يصير في كل نبات اربع ورقات حتى لا يبقى الا نبات واحد في كل نقطة واذا كان الزرع في المصاطب فكثير من النبات لا يظهر ابدًا ولا بدَّ من ترقيعهِ حينئذٍ بنقل نبات آخر الى مكانهِ اما من النبات الذي قلع بالخف او من مكان يزرع فيهِ النبات لاجل الترقيع خاصة وهذا هو الافضل

واذا كان الزرع في قلب الخطوط بين الاتلام فقلما يبقى مكان فارغًا من النبات . ويخفف النبات حينئذٍ بسهولة وقت عزقهِ

ولا يبقى من الخدمة بعد ذلك الا العزق الكثير والري القليل من وقت الى آخر. والغالب ان البنجر يحتاج الى اربع ريات او خمس فقط لان جذره طويل يغور في الارض كثيرًا ويجد فيها الرطوبة اللازمة لهُ والماء الكثير يضرُّ بهِ . واذا ذبل الورق في منتصف النهار فلا يدل ذلك على عطشهِ لانهُ يعود فينتعش من نفسهِ في الليل

وقد عرضت شركة تكرير السكر جوائز كبيرة لمن يزرع البنجر ويكون حاصل الفدان عندهُ اكثر من حاصلهِ عند غيرهِ وجعلت الجوائز لمن يزرع خمسين فدانًا فاكثر تسعًا الاولى ٦٠ جنيهًا والثانية ٥٠ والثالثة ٤٠ والرابعة ٣٥ والخامسة ٣٠ وهلمَّ جرًّا ولمن يزرع ١٥ فدانًا فاكثر الى ٤٩ تسعًا ايضًا الاولى ٤٥ جنيهًا والثانية ٤٠ والثالثة ٣٠ والرابعة ٢٥ وهلمَّ جرًّا . والجوائز لمن يزرع من ٤ افدنة الى ١٥ فدانًا تسعًا ايضًا الاولى ٣٠ جنيهًا والثانية ٢٥ والثالثة ٢٠ وهلمَّ جرًّا وتعهدت بانها تبتاع القنطار منهُ بثلاثة غروش ونصف غرش واصلاً الى المعمل فاذا بلغت غلة الفدان عشرة اطنان اي ٢٢٠ قنطارًا بلغ ثمنها واصلاً الى المعمل ٧٧٠ غرشًا وهي تقدم البذار مجانًا والظاهر انهُ لا بدَّ للمتبارين من استعمال نوع من الاسمدة فاذا بلغ ثمن السماد للفدان الواحد مئة غرش واجرة نقل البنجر من الاطيان الى المعمل مئتي غرش اي عشرين غرشًا عن كل طن بقي من ثمن البنجر ٤٧٠ غرشًا وذلك لا يكفي ايجارًا لارض تبلغ غلتها عشرة اطنان فلا ندري كيف يكون من زرع البنجر ربح وثمن القنطار منهُ ثلاثة غروش ونصف غرش فقط واصلاً الى المعمل الا اذا بلغت الغلة ٤٠٠ قنطار او ٤٥٠ قنطارًا اي مضاعف ما بلغتهُ حتى الآن في اراضي الجناب الخديوي وفي اراضي الجمعية الزراعية او اذا ثبت ان زراعة البنجر نصف زراعة والارض التي تزرع بنجرًا تزرع موسمًا آخر في

السنة نفسها لا تقل غلتهُ عن غلة البنجر وهذا هو الواقع علي ما يظهر وعليهِ الاعتماد

موسم الحرير في الدنيا

سنة ١٨٩٩

موسم الصين (الصادر منهُ)	٢٤ ٦٠٧ ٠٠٠	ليبرة
« ايطاليا	٠٧ ٣٩٨ ٧٠٠	«
« تركيا	٠٢ ٥٨٧ ٢٠٠	«
« فرنسا	٠١ ٢٣٢ ٠٠٠	«
« بلاد الهند	٠٠ ٧٧٠ ٠٠٠	«
« بلاد القوقاس	٠٠ ٦٨٢ ٠٠٠	«
« النمسا والمجر	٠٠ ٦٠٧ ٢٠٠	«
« ايران وتركستان (الصادر)	٠٠ ٥٢٨ ٠٠٠	«
« اسبانيا	٠٠ ١٧١ ٦٠٠	«
« اليونان	٠٠ ٠٧٤ ٨٠٠	«
والجملة	٣٨ ٦٥٨ ٤٠٠	«

موسم بزر الكتان

	١٨٩٨		١٨٩٩
اميركا	٢٤ ٦٥١ ٠٠٠	بشل	٢٩ ٦٠١ ٠٠٠
اوربا	٣١ ١٥٩ ٥٠٠	«	٢٠ ١٢٥ ٠٠٠
الهند الانكليزية	١٧ ١١٥ ٠٠٠	«	١١ ٨٢٧ ٠٠٠
الجزائر	٠٠ ٠١٣ ٥٠٠	«	٠٧ ٠٠٠ ٠٠٠
والجملة	٧٢ ٩٣٩ ٠٠٠	«	٦٨ ٥٥٣ ٠٠٠

احصاء القطن

الاحصاء التالي بالبالات الاميركية في البالة منها ٥٠٠ ليبرة اي نحو خمسة قناطير مصرية

وقد ذكر فيهِ الموسم الذي انتهى سنة ١٨٩٩ والموسم الذي انتهى سنة ١٩٠ من القطن الشعر

	١٨٩٩	١٩٠٠
موسم الولايات المتحدة الاميركية	١١ ٠٧٨ ٠٠٠	٩ ١٣٧ ٠٠٠
« الهند الانكليزية	٠٢ ٢٤٥ ٨٣٩	١ ٥٩٢ ٠٠٠
« مصر	٠١ ٠٩٨ ٥٩٦	١ ٢٢٨ ٠٠٠
« برازيل وغيرها	٠٠ ١٧٦ ١٩٦	٠ ٢٥٠ ٠٠٠
والجملة	١٤ ٧٩٨ ٦٣١	١٢ ١٧٧ ٠٠٠

هذا من حيث نتاج الارض اما استعمالهُ غزلاً ونسجاً فاكثرهُ في البلدان التالية

	١٨٩٧—١٨٩٨	١٨٩٨—١٨٩٩
بريطانيا العظمى	٣ ٤٣٢ ٠٠٠	٣ ٥١٩ ٠٠٠
بقية اوربا	٤ ٦٢٨ ٠٠٠	٤ ٨٣٦ ٠٠٠
الولايات المتحدة الاميركية	٢ ٩٦٢ ٠٠٠	٣ ٥٥٣ ٠٠٠
الهند	١١٤١ ٠٠٠	١٢٩٧ ٠٠٠
بقية البلدان	٠٧١٣ ٠٠٠	٠٧١٧ ٠٠٠
والجملة	١٢٨٧٦ ٠٠٠	١٣٩٣٢ ٠٠٠

الاهتمام بحراج السودان

من انفع اعمال حكومة السودان الاهتمام بما فيها من الحراج اكي لا تقل اشجارها بكثرة ما يقطع منها وقلة ما يزرع بدلاً منهُ . ولكي تعلم فائدة اشجارها من حيث ما يصلح منها للبناء وما يستخرج منهُ الصمغ ومواد الدباغة والصباغة وينتفع باثمارهِ والباقي وما اشبه . وقد استخدمت رجلاً من العارفين بزرع الغابات وحفظها فطاف في انحاء السودان وبحث عما فيها من الاشجار المختلفة وفائدة كل نوع منها وكيفية اغائهِ ووقايتهِ ووضع تقريراً مسهباً في ذلك سنلخص بعض ما فيهِ بعد نشرهِ ولا بدَّ من ان يكون من جملة المرغبات للناس في الذهاب الى السودان واستيطانهِ لانهُ واسع الارجاء كثير الخيرات على قلة سكانهِ فيسع اضعاف اضعافهم . وبعيد عن الظن انهُ يصلح لسكن الاوربيين لشدة ما فيهِ من الحرّ فيبقى المجال واسعاً فيهِ للمصريين وغيرهم من الشرقيين

احصاء السكَّر

ورد في كتاب الاحصاء السنوي الذي يصدر في الولايات المتحدة الاميركية انهُ أُستخرج من السكر سنة ١٩٠٠ نحو ثمانية ملايين طن وهي تستخرج من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول والمقادير المذكورة فيهِ بالطن وهو يساوي ٢٢ قنطارًا مصريًّا

سكر القصب	
جاوى (الصادر منهُ)	٧٢٢ ٠٠٠
كوبا	٣٩٥ ٠٠٠
هواي	٢٧٥ ٠٠٠
الولايات المتحدة	١٨٢ ٠٠٠
برازيل	١٧٥ ٠٠٠
موريتوس	١٥٥ ٠٠٠
الهند الغربية البريطانية	١٣٤ ٠٠٠
كوينس لند	١٢٢ ٠٠٠
بيرو (الصادر منها)	١٠٠ ٠٠٠
مصر	٠٩٤ ٠٠٠
ارجنتين	٠٩٠ ٠٠٠
غينيا البريطانية (ص)	٠٨٠ ٠٠٠
الهند الغربية الفرنسوية	٠٦٥ ٠٠٠
هيتي وسنت دومنغو	٠٥٥ ٠٠٠
فيلبين	٠٤٠ ٠٠٠
ريونيون	٠٣٥ ٠٠٠
فيجي	٠٣٠ ٠٠٠
اميركا المتوسطة	٠٢٢ ٠٠٠
نيوسوث وايلس	٠١٥ ٠٠٠
الهند الغربية الدنماركية	٠١٢٠٠٠
بقية البلدان	٠٣٤ ٠٠٠
والجملة	٢٨٣٩ ٠٠٠

سكر البنجر	
المانيا	١٧٩٠ ٠٠٠
النمسا	١١٢٠ ٠٠٠
فرنسا	٠٩٧٠ ٠٠٠
روسيا	٠٩٠٠ ٠٠٠
بلجيكا	٣٠٠ ٠٠٠
هولندا	٠١٨٠ ٠٠٠
بقية اوربا	٠٢٧٥ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٠٠٧٢ ٠٠٠
وجملة سكر البنجر	٥٦٠٧ ٠٠٠
وجملة سكر القصب	٢٨٣٩ ٠٠٠
وجملة السكر كلهِ	٨٤٤٦ ٠٠٠



معامل القطن

لما امرت الحكومة المصرية بربط المال على ما يُغزَل ويُنسج في المعامل المصرية الكبيرة حتى لا يقل المال الذي تأخذهُ جمركاً على المغزولات والمنسوجات الواردة من اوربا راعت في ذلك مصلحتها الوقتية لا مصلحة بلادها الدائمة ولذلك لا يبعد ان تلغي امرها هذا قريباً وتأمر بما يقوي عزائم الناس على انشاء المعامل كأن تسمح لهم بجلب ادواتها من غير ان يدفعوا عليها رسوم الجمرك كما تفعل الحكومة العثمانية. وقد تخسر بذلك بعض الخسارة ولكن اذا ربحت البلاد من وراء هذه المعامل فلا بدَّ من ان يعود جانب من الربح على الحكومة ان لم يكن من هذا الباب فمن ابواب اخرى. وكلما زادت ثروة الامة زادت ثروة حكومتها كما لا يخفى . واذا امكن ان تنشأ في مصر معامل تغزل كل قطنها وتنسجهُ وترسل منسوجاتها الى الاقطار الشاسعة ربحت حكومة مصر من ذلك اضعاف اضعاف ما تربحهُ الآن من اصدار القطن المصري وجمرك المنسوجات التي ترد الى هذا القطر

وقد اطلعنا الآن على مقالة مسهبة في جريدة السينتفك اميركان تبين منها نفقات انشاء المعمل وما يمكن ان ينتج منهُ من الربح اذا تولَّى ادارتهُ اناس امناء . ومما قالتهُ في هذا الصدد ان معامل القطن زادت في الولايات الجنوبية على نسبة لا مثيل لها في بلاد اخرى فكان فيها منذ سبعين سنة عشرة آلاف مغزل فقط وقد صار فيها الآن خمسة ملايين مغزل . وكان عدد المعامل ٣٢٥ معملاً سنة ١٨٩٥ وعدد المغازل فيها ٢٤٠٠٠٠٠ فصار عدد المعامل الآن ٤٨٥ معملاً وعدد مغازلها ٥٠٠٠٠٠٠ كما تقدَّم

ويمكن انشاء معمل فيهِ اربعة آلاف مغزل بخمسة عشر الف جنيه لا غير وانشاء معمل فيهِ ١٣ الف مغزل بخمسة وثلاثين الف جنيه . وذلك يشمل اقامة البناء من الحجر والطوب الاحمر وانارتهُ بالنور الكهربائي واحماءهُ بالبخار وانشاء المخازن اللازمة لخزن القطن ووضع كل الآلات والادوات اللازمة للغزل والنسج

والمعمل الذي نفقاتهُ ١٥ الف جنيه يغزل في الاسبوع من خمسين بالة الى ستين ولا بدَّ لهُ من اربعين عاملاً لاجل مغازلهِ وحدها وتبلغ نفقات العمال ١٥ في المئة وثمن المواد

والاستهلاك وهرش العدد ٦٥ في المئة فيكون الربح الصافي ٣٠ في المئة

واذا كان في معمل ١٠٠٠٠ مغزل و ٣٢٠ نولاً لزم لهُ ناظر وهو يكون امين الصندوق ايضاً ولزم لهُ ايضاً كاتب ومدير . وهؤلاء الثلاثة يتولون ادارتهُ وراتب الناظر ٥٠٠ جنيه في السنة وراتب المدير من ٣٠٠ جنيه الى ٤٠٠ جنيه وراتب الكاتب من ٢٤٠ جنيهاً الى ٣٠٠ جنيه . وتزاد هذه الرواتب باتساع المعامل وزيادة التعب والمسئولية والربح فناظر معمل فيهِ مئة الف مغزل يأخذ الى حد ثلاثة آلاف جنيه في السنة والكاتب الى حد خمس مئة جنيه والمدير الى حد الف جنيه وقد يكون لهُ مساعد ايضاً . وتبلغ نفقات الحصان البخاري في السنة من جنيهين ونصف الى ثلاثة جنيهات ونصف . والآلة التي قوتها اربع مئة حصان يكفيها ستة اطنان من الفحم الحجري الى ثمانية في اليوم اذا دارت احدى عشرة ساعة

والمباني التي تقام فيها هذه المعامل رخيصة جدًّا ارخص مما هي في القطر المصري ولكن اجرة العمال هناك اغلى مما هي هنا . وهذه المعامل توزّع ربحاً على المساهمين فيها من ١٠ الى ١٥ في المئة سنويًّا بعد ان تخصم ١٠ في المئة لهرش العدد . وبعضها يربح الى حد ٣٠ في المئة سنويًّا انتهى

عدد مغازل القطن في الدنيا

في بريطانيا العظمى	٤٦٠٠٠٠٠٠	مغزل
في بقية اوربا	٣٣٠٠٠٠٠٠	"
" الولايات المتحدة الاميركية	١٨٥٩٠٠٠٠	"
" الهند الشرقية	٤٤٠٠٠٠٠	"
" اليابان	١٥٠٠٠٠٠	"
" الصين	٦٠٠٠٠٠	"
" كندا	٦٤٠٠٠٠	"
" المكسيك	٤٦٠٠٠٠	"

زيت اوراق الصنوبر

صناعة جديدة

لا يخفى على الذين زاروا جبال لبنان ومرّوا تحت حراج الصنوبر التي فيها ان هواء تلك الحراج يكون معطّرًا برائحة راتينجية طيبة جدًّا . ويقول البعض ان هواء الصنوبر يشفي من

الامراض الصدرية . والظاهر ان لهذا القول ثبتاً علمياً فان في اوراق الصنوبر زيتاً عطرياً يفيد في الامراض الصدرية ويزيل الارق . والاوراق نفسها تُجفَّف الآن في اميركا حتى تجف ولا تيبس ثم تحشى بها الفرش والوسائد فتبقى رائحتها فيها حتى اذا نام عليها المصابون بالارق زال الارق منهم . و يعطر الصابون بالزيت الذي يستخرج منها فيصير من اطيب ما يكون

واذا نزع الورق الاخضر من شجر الصنوبر لم يلحق به ضرر من نزعهِ منهُ بل يقال انهُ يستفيد من ذلك

ويجمع الورق بعد نزعهِ ويوضع في انابيق كبيرة و يستخرج الزيت منهُ بالاستقطار كما يستخرج العرق وماء الزهر ويخرج من كل الفي رطل من الورق عشرة ارطال من الزيت لا غير . فعسى ان يجرب احد اللبنانيين استقطار الزيت من ورق الصنوبر لاننا نظنهُ عملاً رابحاً ولو كان الصنوبر السوري اصغر ورقاً من الصنوبر الاميركي

الصنائع وتعضيدها

الحاجة ام الاختراع فاذا بدت الحاجة الى شيء وشعر كثيرون بها فذلك دليل على ان الهمم ستنفى الى ايجاد ذلك الشيء . وهذا شأن الصنائع في القطر المصري ولا سيما الصنائع الصغيرة فان الحاجة ماسة اليها وقد شعر كثيرون بهذه الحاجة فلا بدَّ من ادراك الصنائع المطلوبة

ومعلوم انهُ اذا اشترك اثنان في مصلحة واحدة وادرك احدهما وجوب الجري على خطة ما قبلما ادركها الآخر ترتب على الذي ادركها اولاً ان يجري عليها اولاً وهذا شأن القطر المصري فان الحكومة والرعية مشتركتان في مصلحة واحدة وقد ادركت الحكومة قبل الامة وجوب انشاء المدارس الصناعية والمعامل الصناعية فيحسن بها ان تشرع في ذلك لتكون مثالاً للامة و يسرُّنا انها شرعت منذ مدة وهي تعلم الصنائع البسيطة الآن في مدارسها الصناعية في بولاق والمنصورة وفي سجونها ايضاً ولا سيما سجن الاحداث . ولم تقصر الامة عن مجاراة الحكومة فان في البلاد الآن ورشاً كبيرة للنجارة والحدادة والطباعة والنسج وهي تزيد عدداً واتقاناً يوماً فيوماً

والربح هو الباعث الاول على انشاء المعامل الصناعية والمساعد الاكبر على اتقانها فاذا لم يربح الصانع من صناعته ولا صاحب المعمل من معمله فلا امل انهما يوسعان تلك الصناعة او يتقنان ذلك العمل واذا وقفت لهما الحكومة بالمرصاد تثبط عزائمهما بالضرائب وتناظرهما ببخس الاسعار اماتت صناعتهما حتماً . اما الضرائب فنريد بها ما اقرّت الحكومة المصرية عليهِ حديثاً من فرض ضريبة على مغزولات القطر المصري ومنسوجاتهِ التي تدنع في المعامل الكبيرة تساوي

عوائد الجمارك المصرية حتى لا يرغب الناس في مصنوعات بلادهم عما يرد اليها من الخارج . وحجة الحكومة في ذلك انها تخشى من ان يقلّ ايراد جماركها . وقياساً عليهِ يحق لها ان تمنع اهل البلاد من زرع الحبوب على انواعها فانها اذا فعلت ذلك اضطرَّ الناس ان يجلبوا من الخارج نحو عشرين مليون اردب كل سنة من القمح والذرة ونحوهما من الحبوب والاَّ ماتوا جوعاً واذا فرضنا ان ثمنها ١٥ مليوناً من الجنيهات بلغت العوائد عليها مليوناً ومئتي الف جنيه فهل يجوز لها ان تمنع الناس من زرع الحبوب لكي تربح مليوناً ومئتي الف جنيه في السنة أَو لا يكون في ذلك خراب بلادها . وهذا شأن معامل القطن فانهُ اذا كان منها ربح للبلاد وجب تعضيدها بكل واسطة ممكنة واذا لم يكن منها ربح أُهملت من نفسها

هذا من حيث اضعاف العزائم بالضرائب . اما المناظرة فظاهرة من انها تستطيع ان ترخص مصنوعاتها اكثر مما يستطيع غيرها على ترخيص مصنوعاتهِ لان رؤَساء معاملها والعمال فيها يأخذون اجورهم من خزينة الحكومة اي من الاهالي فلا يتعذر عليهم ان يبيعوا المصنوعات بابخس الاثمان ولا خسارة عليهم . خذ مثالاً لذلك المطبعة الاميرية فان الامة المصرية بنت ما فيها من المباني الفخيمة واشترت ما فيها من الآلات والادوات وهي تدفع اجور ناظرها وعمالها . ونقدّر مبانيها وآلاتها بالوف من الجنيهات ولو اضافت هذه المطبعةُ الى اجرة ما تطبعهُ ربا راس المال كلهِ ولا نظن ان رأس المال اقل من خمسين الف جنيه واضافت اليها ايضاً ما يلزم للترميم والتجديد والاموال التي تدفعها لها الحكومة لعجزت عن مناظرة كل مطبعة اخرى في رخص الاثمان اما وهي لا تحسب رباً لراس المال ولا تبخل عليها الحكومة بالنفقات اللازمة فتستطيع ان تناظر كل المطابع وتقلل ارباحها وتمنع اتقانها فكأَنّ الحكومة تأخذ اموال الامة لتمنع بها ارتقاء الامة

وهي تفعل كذلك لو باعت مصنوعات مدارسها الصناعية بارخص مما تباع مصنوعات غيرها فانها تكون آفةً على احياء الصناعة وارتقائها في هذا القطر . فعسي ان تنتبه لذلك لئلا يكون احياؤُها للصناعة اماتةً لها

المعرض الصناعي

رأينا في المعرض الزراعي الماضي ان صناع الافرنج تسابقوا في عرض مصنوعاتهم فيهِ حتى صار معرضاً صناعياً اجنبياً او سوق تجارة اكثر مما هو معرض زراعي فكأَنَّ الحكومة المصرية وصندوق الدين اتفقا على فتح سوق للآلات والادوات الاوربية والاميركية حتى تروج

سوقها في هذه البلاد على نفقة دافعي الضرائب من المصريين . لكنّ تسابق التجار الى عرض المصنوعات في المعرض الزراعي واقبال الناس عليها حتى ان بعضها بيع مرارًا كثيرة يحدوان بالحكومة الى انشاء معرض آخر خاص بالصناعة تجعل القسم الاكبر منهُ للمصنوعات الوطنية مهما كان نوعها وتعطي الجوائز فيهِ للصناع الوطنيين ويمكنها ان تجعل دخلهُ من تأجير الاماكن للتجار الذين يعرضون فيهِ المصنوعات الاوربية فيستفيد الجميع في وقت واحد ويتشجع الصناع الوطنيون على اتقان صنائعهم . هذه امنية نعرضها على ذوي الشأن ونرجو ان تحقق في المستقبل القريب

باب التقريظ والانتقاد

السياسة الشرعيَّة

للمرحوم السيد عبد الله جمال الدين قاضي قضاة مصر مقام رفيع بين رجال العلم والفضل فاذا قال قولاً اتُّخذ قولهُ حجةً وسندًا ولذلك احسن حضرة ناشر هذا الكتاب بطبعهِ ونشرهِ وهو ينطوي على مقدمة وفصول كثيرة وقد قال في المقدمة انهُ " لم يُحافظ على صراط العدل كما ينبغي بعد الخلفاء الراشدين ولم يسلم الناس من سفك الدماء بلا طائل وهتك الاعراض واغتصاب الاموال قضاء لاوطار شخصية حتى بات السلاطين والحكام والامراء بعد ذلك وهم لا يجتنبون ارتكاب المظالم واقامة البدع باسم السياسة . واول دولة من الدول الاسلامية المتعاقبة بادرت الى رفع معاملات الظلم والاعتساف فقيدت وظائف الولاة والحكام بالقوانين ومنعت التصرُّف في امور الرعية بحسب الاهواء هي الدولة العثمانية " . ولم يذكر المؤلف رحمهُ الله متى تمَّ ذلك للدولة العلية ولكن لا شبهة في انهُ لم يتم الاَّ حديثًا في النصف الاخير من القرن الماضي واما النصف الاول منهُ فيكفي للدلالة على احوالهِ ما كنا نقرأهُ الآن في تاريخ الجبرتي قبل ان اخذنا القلم لتقريظ هذا الكتاب عن حوادث سنة ١٢٢٢ للهجرة فقد جاء فيهِ ان الانكليز اتوا الاسكندرية في ذلك العام بطلب الالفي واشترطوا على انفسهم ان لا يسكنوا البيوت رغمًا عن اصحابها بل بالمؤاجرة والتراضي ولا يمتهنوا المساجد ولا يبطلوا منها الشعائر الاسلامية وتبقى المحكمة الاسلامية مفتوحة تحكم بشرائعها وامنوا الاهالي والحكام والجنود ولم يؤذوا احدًا فقام الحكام والجنود لطردهم من القطر . وانظر ماذا فعلوا في هذا

السبيل نقلاً عن الجبرتي " اكلوا زروعات الجميع وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء ... واخذوا الغلمان وباعوهم فيما بينهم حتى باعوا البعض بسوق مكة وهكذا يفعل المجاهدون ولشدة قهر الخلائق منهم وقبح افعالهم تمنوا مجيء الافرنج من اي جنس كان وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة ". هذا كان شان الافرنج في ذلك الحين وشان الحكام والجنود وشان الامة . الافرنج يدخلون البلاد فلا يسيئون الى احد والحكام والجنود يقومون للجهاد فينهبون اموال الامة ويوقعون بها شر انواع العذاب والامتهان والامة تستغيث ولا مغيث كل ذلك والشريعة بين ايدي الناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر والسنّة تقول " من وُلّي من امر المسلمين شيئاً فولّى رجلاً وهو يجد من هو اصلح للمسلمين منهُ فقد خان الله ورسولهُ والمسلمين "

وفصول الكتاب كثيرة كما تقدم اولها في مشروعية السياسة . ولو قرأ المؤلف كتب سبنسر لقال ان السياسة نتيجة لازمة عن العمران لكن بحثهُ حسن جداً وادلتهُ من الشريعة والسنة واقوال الجماعة مقنعة ديناً وفلسفةً . ومن الاحاديث التي استشهد بها ما هو في غاية الارهاب كقولهِ " القضاة ثلاثة قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار " وقال " ان القاضي يطلق على السلطان والحكام والنوّاب جميعاً فهؤلاء كلهم داخلون تحت الحكم المستفاد من الحديث الشريف حتى اهل الخبرة الذين يميزون بين الخطين فقد جاء في بعض الآثار ان صبيين حكّما الامام الحسن رضي الله عنهُ ليحكم في اي خط من خطين كتباهما اجود من الآخر فلما رأى الامام علي رضي الله عنهُ ذلك قال للامام الحسن " يا بُنيَّ انظر كيف تحكم لان هذا حكم يسألك الله عنهُ يوم القيامة "

ويلي ذلك فصول مختلفة في المشورة والعدل والظلم والولايات وفوائد حسن السياسة وما اشبه والكتاب مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة الترقي

الدليل العصري للقطر المصري

لصاحبهِ ومحررهِ صالح جودت

يسرّنا ان نرى بين الكتب التي ترد الينا شهراً فشهراً للتقريظ والانتقاد كتباً يطلب اصحابها منا ان ننتقدها ولا نقتصر على تقريظها فقد كتب الينا حضرة مؤلف هذا الدليل يقول "ولست بمرسل اليكم هذا المؤلف لمحض النشر عنهُ ترغيباً للناس فيهِ بل لي غرض اسمى وهو ابداء رأيكم فيهِ وتنبيهي الى ما ترون تنبيهي اليهِ مما يساعد على تحسينهِ في المستقبل " . ونظن انهُ كتب الى غيرنا من اصحاب الصحف بمثل ما كتب الينا ولم يكتفِ بذلك بل ابقى في الكتاب

مكاناً فارغاً ليكتب فيهِ كل مطلع عليهِ ما يعنُّ لهُ من الآراء ثم يبعث بها الى المؤلف وهو غرض حميد يشكر عليهِ ولكن كثرة الآراء قد تفضي اكثر مما تفيد على حدّ قول العامة "بكثرة الطباخين يشوط الطعام". فاذا كان المؤلف قد استطاع ان يتحفنا في السنة الاولى بدليل جامع لاشتات الفوائد مثل هذا الكتاب فلا شبهة في ان دليلهُ يكون اغزر فائدة في سنيهِ التالية

والظاهر ان الغرض المقصود بالذات من هذا الدليل ذكر اسماء القائمين بمهام الامور والمتولين زمام الاحكام وهذا لم نرهُ في دليل عربي حتى الآن وقد وفاهُ المؤلف حقهُ من الجمع فذكر اسماء كل دوائر الحكومة في العاصمة والمحافظات والمديريات والمراكز واسماء كل الموظفين مثال ذلك مديرية البحيرة ذكر اولاً مساحتها وهي ٦٨٤٠٠٠ فداناً وعدد سكانها وهو ٦٣١٢٢٥ وقال ان بندرها دمنهور ومراكزها سبعة ثم ذكر اسماء المدير ووكيل المديرية والحكمدار والباشكاتب ورئيس الادارة ورئيس الايرادات ومعاوني الادارة وهم اثنا عشر وموظفي المصالح الاميرية فيها اي مفتش الصحة وحكيم الاسبتالية والحكيم البيطري والباش مهندس ومهندس التنظيم وناظر المدرسة الاميرية ورئيس مجلس القرعة والقاضي الشرعي ومفتش الاوقاف . ثم ذكر المراكز مركزاً مركزاً وذكر مساحة كل مركز وعدد سكانهِ وبعدهُ عن البندر واسماء مأمورهِ ومعاون بوليسهِ ومفتش صحتهِ ومهندس الري فيهِ وقس على ذلك سائر المديريات والمراكز . والمديريات التي فيها محاكم ذكر اسماء قضاتها والتي فيها مستشفيات ذكر اسماء اطبائها والتي فيها مدارس اميرية ذكر اسماء اساتذتها ثم ذكر اسماء وكلاء القناصل واسماء الاعيان والوجهاء والتجار والمحامين . واسهب في الكلام على مصر والاسكندرية على ما يقتضيهِ المقام

هذا من حيث موضوع الدليل وهو يشغل الجزء الثاني من الكتاب . اما الجزء الاول ففيهِ فوائد في تقسيم الزمن واسماء الشهور واوقات الاعياد وتقويم سنة ١٩٠١ في اسفل كل صفحة منهُ توقيعات لا محل لاكثرها في كتاب عصري يجمل ان يكون خالياً من الخرافات كقولهِ ان في ١٥ فبراير "تتزوج الطيور وتورق الاشجار" كأن الطيور لا تتزاوج والاشجار لا تورق الاَّ في يوم معلوم من السنة وفي ١٨ منهُ "يزرع شجر البرتقال واول جمرة في الهواء" وفي ٢٨ يكره الجلوس في الشمس" ويلي ذلك دفتر لحساب الايراد والنفقات وما اشبه واماكن لذكر الحوادث المختلفة التي تحدث اثناء السنة وفوائد علمية وتاريخية وزراعية وطبية ومنزلية

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جداً على ورق جيد فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

كتاب مظلوم

في المادّة الطبية والاقراباذين

تأليف فيتالس مظلوم الاجزاجي

كتاب المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي

لمؤلفهِ الصيدلي اسبريدون يوسف منسَّى

في الاول من هذين الكتابين كلام وجيز على المادة الطبية مرتب على حروف المعجم ذكرت فيهِ اسماء الادوية بالعربية والفرنسوية وكيفية استعمالها ويليهِ قسم ثانٍ في كيفية الاستحضارات الاقراباذينية كالارواح والمراهم والاكاسير والبلاسم والصبغات وما اشبه . وقسم ثالث في فحص البول ورابع في علاج السموم

وفي الكتاب الثاني كلام مسهب على واجبات الصيدلاني من حيث النظافة والمهارة والاعتناء والتدقيق وانواع الموازين والمكاييل والعبارات المستعملة في الصيدليات وهو مطبوع طبعاً متقناً جدًّا غير ان عبارتهُ مشوشة في بعض الاماكن لا يدرك معناها كما ترى في الصفحة ٥١ منهُ واما الكتاب الاول فطبعهُ سقيم في الغالب وعبارتهُ واضحة ولو كانت غير معربة في بعض الاماكن واحكامهُ جلية لا تردُّد فيها وتعجبنا نصيحتهُ للصيدلاني اذا التبس عليهِ شيءٌ في الوصفة حيث يمكن العمل بهذه النصيحة

حفظ الصحة المتزوج والعازب

تأليف المرحوم الاميرالاي الدكتور حسين بك رمزي استاذ علم الحيوان في المدارس السلطانية وتعريب محمد افندي توفيق المرعشلي

يضطرُّ الاطباء احياناً كثيرة ان يكشفوا ما سترهُ الانسان ويصرحوا بما يأبى الاشارة اليهِ ولو تلميحاً ومن هذا القبيل كثير مما في هذا الكتاب لكن اكثر ما فيهِ معرفتهُ لازمة للجميع رجالاً ونساء من حين يبلغون سن المراهقة الى انقضاء الاجل وقد يعرفون بعضهُ من تلقاء انفسهم او مما يسمعونهُ من والديهم ومرشديهم ولكن معرفتهُ بالشرح والاسهاب لا تكون الاَّ بدرسهِ في كتاب مثل هذا الكتاب فعسى ان يكون مفيداً لمطالعيهِ

وقد تولى طبعهُ حضرة الاديب نخله افندي قلفاط باذن من نجل المؤلف وراجع ترجمتهُ حضرة صديقنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر جريدة الطبيب وهو يطلب من المكتبة الكلية في بيروت

باب تدبير المنزل

الاسنان وعسر الهضم

من اهمال بعض الناس اسنانهم يتعرَّضون لامراض كثيرة منها عسر الهضم الذي يضيق دونهُ الصدر وتذهب معهُ راحة الجسم وقد لاح لي ان اشرح اسبابهُ بالاختصار وابين علاقتهُ بالاسنان فاقول

ان كلمة عسر الهضم تطلق على اعراض تصحب المعدة اثناء عملها وهي تنحصر في ما يأتي بالاختصار تغيُّر الذوق وقلة الشهية وكراهة الاغذية والقيء والضيق في التنفس الصدري والآلام في المعدة وانتفاخ غازي وامساك او اسهال

واسباب ذلك عديدة تتفاوت بحسب الغذاء من نوع وكمية وما ينشأ عن فساد الاسنان لان فسادها يسبب عسر الهضم على وجهين الواحد ان الاسنان الفاسدة لا تكفي لمضغ الطعام ولقد كان احد الاطباء يقول لمرضاهُ ان في الفم ٣٢ سناً فيجب مضغ اللقمة ٣٢ مرة واذا كان بعض الاسنان ناقصاً فقد تدعو الحال الى مضغها ٦٤ مرة

فليس من الحكمة ان تقلع الاضراس من الفم او تبقى فيهِ وقد نخرها السوس من غير ان يوضع بدل المقلوعة وتحشى المنخورة حتى يسهل استعمالها لمضغ الطعام لان اللثة لا تمضغهُ كما يجب ان يمضغ وكذلك القواطع لا تمضغهُ جيداً لان رؤوسها محددة غير مسطحة كرؤوس الاضراس فتصل الاطعمة الى المعدة غير ممضوغة جيداً حتى اذا دفعتها المعدة الى البواب لم يفتح لها بل ردها من حيث اتت وقد تهيج الغشاء المخاطي المعدي فتنقص العصارة المعدية وتتوالى الاعراض المرضية حتى تسوء الحالة جدا

ثم ان الاسنان المسوسة يكون فيها ميكروبات الفساد وهذه تمتزج بالطعام وتنزل معهُ الى المعدة فتزيد عسر الهضم عسراً

الدكتور علي البقلي

غذاء الطفل

يُترَك الطفل بعد ولادتهِ اربع ساعات او خمساً من غير رضاعة لانهُ يكون في جسمهِ من الغذاء ما يغنيهِ عن الطعام وخير لهُ ان يُترَك حينئذٍ لينام الى ان تستريح امهُ وتصير قادرة على ارضاعهِ . ولا يسقى شيئاً مما اعتاد البعض سقيهُ اياهُ لا زبدة ولا زيت خروع ولا شيئاً

آخر لاطلاق بطنهِ لان في لبن امهِ الذي يرضعهُ اولاً خاصةً اطلاق البطن

ولا يدرُّ لبن الام غالباً قبل اليوم الثالث ولكن يخرج منهُ في اليوم الاول والثاني ما يكفي طفلها الى ان يدر جيداً واذا كان لبنها قليلاً جداً او تأخر درُّهُ لسبب من الاسباب فلا بد من سقي الطفل شيئاً من لبن البقر ممزوجاً بضعفيهِ ماء ومحلًّى بقليل من السكر يسقى منهُ قليلاً كل اربع ساعات ولا بدَّ من ابطال ذلك حالما يدرُّ لبن امهِ . واللبن الذي يسقاهُ الطفل يجب ان يكون سخناً قليلاً حرارتهُ كحرارة الدم لا اكثر ولا اقل

وارضاع الطفل من اهم واجبات امهِ الا اذا كانت مريضة بالخنازيري او السل او الجذام او نحو ذلك من الامراض او كان في عقلها خلل ما فلا يجوز حينئذٍ ان ترضع طفلها لئلا تنقل اليهِ جراثيم المرض الذي فيها ولكنها اذا كانت سليمة من الامراض فخير لها ولطفلها ان ترضعهُ لاسيما وان الرضاعة تؤخر الحمل سنة من الزمان او اكثر . فالمرأة التي لا ترضع طفلها قد تلد مرة كل سنة فيضعف جسمها حالاً وتنتهك قواها واما التي ترضع اطفالها فلا تلد الا مرة كل سنتين او اكثر فلا تضعفها الولادة كثيراً . وعدم الارضاع يسبب في الغالب حمَّى اللبن وتشقق الثدي ونحو ذلك من الآفات التي لا تحدث لو كانت الام ترضع اطفالها . اما اذا كانت الام مريضة او ضعيفة جداً او كان لبنها قليلاً جداً او قليل التغذية فلا بدَّ حينئذٍ من مرضع آخر او من ارضاع الطفل بالرضَّاعة

واذا كانت المرأة فقيرة فقد تهمل ارضاع طفلها وترضع بلبنها طفل امرأة غنية اي انها تعيش بلبنها وهذا خطأ كبير نتيجتهُ في الغالب موت طفلها ولقد احسن العرب حيث قالوا "تموت الحرَّة ولا تعيش بثدييها"

وقد تخطئ المرأة فترضع طفلها اكثر مما يحتاج الى الرضاعة حتى لا يكاد ثديها يقع من فيهِ نهاراً وليلاً . وكلما بكى القمتهُ ثديها حاسبة ان بكاءهُ دليل جوعهِ مع انهُ قد يكون دليل كثرة ما رضعهُ او دليل البرد او دليل الحر او يكون ناتجاً عن دبوس غرز في لحمهِ او نحو ذلك من الاسباب الكثيرة التي يبكي الطفل منها . والام التي ترضع طفلها كلما بكى تضرهُ وتضرُّ نفسها

وفي الاشهر الثلاثة الاولى يكفي ارضاع الطفل مرة كل ساعتين او ثلاث ساعات مدة النهار اما في الليل فلا يرضع مطلقاً الا مدة الاسبوعين الاولين و بعد ذلك تصير الام ترضع طفلها الساعة العاشرة مساء حينما تذهب لتنام وتتركهُ الى الساعة الثالثة او الرابعة صباحاً فترضعهُ حينئذٍ . والطفل يعتاد حالاً على طلب الرضاع في الاوقات التي تعوّدهُ عليها امهُ حتى اذا صار عمرهُ ثلاثة اشهر فاكثر يرضع مرة كل ثلاث ساعات او اربع مدة النهار لا غير ويبقى على ذلك الى ان يفطم

ولا يُطعَم الطفل شيئاً غير لبن امهِ الى ان يفطم . اما اطعام الاطفال من اطعمة والديهم وهم في الشهر الرابع او الخامس فخطأٌ كبير منهُ ضرر كثير قد يذهب بحياة الطفل

صبغات الشعر

صبغ الشعر الشائب عادة قديمة جدًّا جرى عليها اليونان والرومان وتابعهم فيها العرب ولكنها لم تبلغ في عصر من العصور ما بلغتهُ في هذا العصر من الشيوع والاتقان

وصبغات الشعر على نوعين كبيرين النوع الاول اساسهُ المواد النباتية كالعفص والجوز المقيء وقشر الرمان وهو غير ضار ولكن فعلهُ غير ثابت .والثاني اساسهُ المواد المعدنية كالجير (الكلس) والفضة والرصاص والحديد والكبريت وفعلهُ ثابت ولكنهُ ضار قليلاً او كثيرًا حسب نوعهِ وكيفية استعمالهِ واقلهُ ضررًا الحديد والكبريت

وكان اليونانيون يصبغون الشعر الاشقر حتى يسود بالهباب ممزوجًا بالدهن ثم صاروا يستعملون العفص والحديد . وكان الرومانيون يغلون العلق (الدود) في الخل ويصبغون بهِ شعرهم

ومسلمو الهند يصبغون شعرهم بكبريتت الرصاص والانتيمون او الاسرب او باكسيد الحديد. وكثيرًا ما يصبغونهُ بالنيل يصنعون طلاء منهُ يدهنون بهِ الشعر ويبقونهُ عليهِ ثلاث ساعات او اربعًا ثم يغسلونهُ عنهُ ويدهنونهُ بالزيت فيسود اسودادًا فاحمًا وهو خير صبغة للشعر لا ضرر منها

والتخضيب بالحناء معروف في كل البلدان الشرقية وهو كثير الاستعمال فيها على قدم عهدهِ. ولون الشعر المخضب بالحناء احمر برتقالي. وعند الفرس مادة تسمى الرنك يدهن بها الشعر بعد تخضيبهِ بالحناء فيصير لونهُ اسود فاحمًا . ويغسل الجلد بين الشعر بالماء والصابون ويفرك جيدًا فيزول لون الخضاب عنهُ

ومن اقدم صبغات الشعر واشهرها الصبغة التي وصفها باولوس الاجيني الطبيب اليوناني الذي نشأ في القرن السابع للميلاد وهي عصير قشر الجوز الاخضر يضاف اليهِ نقط قليلة من زيت كبش القرنفل واوقية من الالكحول لكل رطل من العصير لكي لا يفسد . يدهن الشعر بهِ باسفنجة مرارًا حتى يسود . والظاهر انهُ يقوي الشعر ويرد لونهُ اليهِ لا انهُ يضيف اليهِ لونًا جديدًا

ومن الصبغات التي لا ضرر منها الصبغة التالية وهي تركَّب هكذا

زاج (كبريتات الحديد)		درهم
الكحول	٨	دراهم
زيت حصى اللبنى	١٢	نقطة
ماء نقي	٤٨	درهم

تمزج هذه المواد معاً ويدهن بها الشعر الشائب مراراً . وهذه الصبغة تفيد لازالة القشرة ايضاً
ومنها الصبغة التالية وهي سائلان السائل الاول

شترات البزموث	٨ دراهم
ماء الورد	١٦ درهماً
ماء مقطر	١٦ "
الكحول	٥ دراهم

امونيا كمية كافية

يدهن بهِ الشعر جيداً في الصباح . والسائل الثاني

هيبو كبريتيت الصودا	١٢ درهماً
ماء مقطر	٢٤ درهماً

يدهن بهِ الشعر جيداً في المساء . او يدهن الشعر بالسائل الاول وبعد ساعة يدهن بالسائل الثاني ولكن الدهن بالسائل الاول في الصباح والثاني في المساء على ما تقدَّم خير من الدهن بالواحد ثم بالآخر بعد ساعة فقط . ويحدث اللون الاسود من الفعل الكيماوي بين شترات البزموث وملح الصودا فيتكون كبريتات البزموث

صبغة نيترات الفضة

نيترات الفضة او حجر جهنم من اكثر المواد استعمالاً في صبغات الشعر والغالب ان يكون في الصبغة من خمس قمحات من حجر جهنم الى عشر لكل ثمانية دراهم من الماء ويدهن بها الشعر جيداً ويترك حتى يجف في الشمس او في غرفة جافة الهواء معرَّضاً لنور الشمس

واذا اريد ان يسرع فعل هذه الصبغة يذاب درهم من كبريتيت البوتاسا في ١٦ درهماً من الماء ويدهن بهِ الشعر بعد دهنهِ بصبغة الفضة بدقائق قليلة

وتعاب صبغة الفضة لانها تصبغ الاصابع والجلد كما تصبغ الشعر ويمنع ذلك بدهن الشعر بفرشاة والاحتراس من وصول الصبغة الى الجلد على قدر الامكان . وسيأتي الكلام على بقية صبغات الشعر في الجزء التالي

دواء النمل

اجعل لخزانة الاطعمة اربع قوائم وضع تحت كل قائمة منها صحفة فيها رماد فلا يستطيع النمل ان يصل الى الخزانة وما فيها من الاطعمة ولابدَّ من ان تكون الخزانة غير لاصقة بحائط

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العظام في الزراعة

البترون. مخلهِ افندي زعني. عندي قدر عظيم من العظام جمعتهُ لتسميد الارض فماذا ينبغي ان افعل بهِ ليكون صالحاً لتسميد الارض باقل ما يكون من النفقة

ج كسروها او دقوها دقًّا ناعماً وضعوا الرماد في شكل دائرة تسع العظام وضعوا دقيقها في هذه الدائرة وصبوا عليها خمس وزنها من الماء السخن وثلث وزنها من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج الذي ثقلهُ النوعي ١،٧) وقلبوا دقيق العظام برفش الى ان يأخذ الفوران فيهِ فاتركوهُ بضعة ايام حتى يجف وان لم يجف ذروا عليهِ رماداً او دقيق الفحم او نشارة الخشب حتى يجف ثم سمدوا بهِ الارض. وقد قلَّ استعمال العظام كذلك الآن فلا تستعمل الاَّ نادرًا لانهُ يمكن الانتفاع بها على اسلوب آخر قبل استعمالها سماداً اما بنزع الغراء منها او بتكليسها ونزع الزيت منها واستعمال مكلسها في قصر السكر واخيرًا تستعمل سماداً. وقد وُجد في الارض مادة طبيعية رخيصة تقوم مقام العظام تماماً اذا عولجت بالحامض الكبريتيك

(٢) الالقاب العلمية

المنصورة. ابرهيم افندي زكي. نرى بعض الكليات في اوربا يمنح القاب الدكتورية في علوم لاشخاص من ذوي المكانة العالية ممن لم يسبق لهم درس تلك العلوم فما قصد تلك الكليات من هذا العمل

ج لا نعلم انها تمنح القاب الدكتورية في شيءٍ من العلوم الخصوصية الاَّ للذين درسوا تلك العلوم فلا تمنح مثلاً لقب دكتور في الطب الاَّ لمن درس علم الطب ولا لقب دكتور في الموسيقى الاَّ لمن درس علم الموسيقى او برع فيهِ ولا لقب دكتور في العلوم الاَّ لمن درس العلوم الطبيعية واشتغل بها زماناً ولا لقب دكتور في الفلسفة الاَّ لمن درس العلوم بنوع عام واشتغل بها ولكنها تمنح رتبة دكتور في الشرائع او في الشرائع المدنية للمشهورين مهما كانت شهرتهم ولو كانوا قواد حرب وهو اصطلاح لا نزاع فيهِ والغرض منهُ الاعتراف

باشياز الذين تمنحهم هذه الرتبة

(٣) شيوع الجرائم

ومنهُ . ماذا ترون في شيوع الجرائم عندنا وتفنُّن المجرمين في كيفية ارتكابها فهل ينسب ذلك الى جهل العامة او الى اسباب أُخرى

ج ان الجرائم غير شائعة شيوعاً غير عادي في هذا القطر ولا اصحابها يتفننون تفنناً غير عادي في ارتكابها على ما نعلم . والظاهر ان القسوة خُلُق قديم في الانسان لم يزل منهُ تماماً حتى الآن فيظهر في بعض افرادهِ شديداً ويحملهم على ارتكاب الموبقات ويقال انهُ يكون فيهم خلقاً فطرياً لا يمكن نزعهُ منهم ولا ردعهم عنهُ الاَّ بالسجن المؤبد او بالاعدام

(٤) تغير اقليم مصر

ومنهُ . تدلُّ الدلائل الحاضرة على ان مناخ مصر تغير فتحوَّل الى البرودة في الصيف فهل تستنتجون من ذلك انهُ سيأتي وقت ينقلب فيهِ هواء مصر فيشبه هواء اوربا

ج ما هي الدلائل عندكم التي تدل على ان مناخ مصر تغير . فاننا لم نرَ شيئاً منها ولم نسمع عن دليل منها بل ان الارصاد الجوية من ايام الفرنسوية الى الآن تدلُّ على ان حرارة مصر لا تزال على حالها تماماً ومتوسط ما يقع فيها من المطر لا يزال على حالهِ . ولا ندري كيف يثب الناس الى النتائج وثباً من غير استقراء ولا تروٍّ فاذا جاء يوم شديد الحر في فصل الشتاء قالوا قد انقلبت الفصول وصار الشتاء صيفاً . واذا جاءهم يوم معتدل الحر في فصل الصيف قالوا قد تغير هواء البلاد ولم يعد حاراً كما كان . ولا يستحيل ان يتغير اقليم بلاد فيصير معتدلاً بعد ان كان حاراً او يصير بارداً بعد ان كان معتدلاً ولكن ذلك لا يتمُّ الاَّ في مدة الوف من السنين . ولا يوجد اقل دليل على ان اقليم القطر المصري تغير من ايام البطالسة الى الآن

(٥) المؤَلفات المفيدة

ومنهُ . الى اي شيءٍ تعزون قلة ما يظهر من المؤَلفات المفيدة الحاوية آراء رجال العلم من المصريين . ومتى يقلع بعض المتصدين للتأليف والترجمة عن تعريب ما لا ينفع من كتب الغربيين ورسائلهم

ج نقول جواباً عن القسم الاول من سؤَالكم ان قلة المؤَلفات المفيدة ناتج عن قلة العلم وقلة انتشارهِ في البلاد فلو كان سبعون او ثمانون في المئة من اهالي القطر المصري يعرفون القراءة والكتابة وجانب كبير منهم تعلم في المدارس العالية لدعت الحال الى تأليف كثير من الكتب المفيدة لان الكتب بضاعة والبضاعة تصنع وتروج متى كثر الطلب عليها فهي تابعة لناموس التجارة العام القاضي بان تجهيز المواد يكون على حسب الطلب . ونقول جواباً عن القسم الثاني ان ما يترجم وينشر يختلف نوعهُ باختلاف ما تطلبهُ الامة

فاذا كانت تطلب كتب الروايات والمجون وتبارى فيلسوف وماجن في التاليف فكتب الفيلسوف تكسد ويأكلها العث والفار وكتب الماجن تروج وتنفق فيخسر الاول ويبطل التاليف ويكسب الثاني ويُكثر منهُ فتكثر كتب المجون طبعاً وهذا الداء منتشر عند الاوربيين كما هو منتشر عندنا ففي مجلة العلم الاميركية سبع مئة مشترك لاغير وكتَّاب مقالاتها اكبر علماء اميركا ومن اكبر علماء الارض طرًّا. وفي بعض المجلات الفكاهية اكثر من خمس مئة الف مشترك مع ان كتَّابها من الطبقة الثانية او الثالثة . ويُطبع الف نسخة من كتاب في العلم او الفلسفة فلا تباع في عشر سنوات ويُطبع خمسون الف نسخة من رواية فكاهية فتباع في اقل من شهر . الا ان البلدان الاوربية والاميركية تداوي هذا الداء بطبعها الكتب العلمية الكبيرة على نفقة الحكومة وتوزيعها على المكاتب العمومية مجاناً حتى لا تكون النفقات مانعاً يمنع طبعها ونشرها . وتدفع للعلماء اجوراً طائلة لكي يجولوا في المدن ويخطبوا الخطب العلمية على جماهير الناس

(٦) تولستوي والثورة الروسية

ومنهُ . هل تظنون ان الثورة التي توشك ان تتقد في روسيا تكون مثل الثورة الفرنسوية وما رأيكم في تولستوي موقد جذوتها ومذكي لهيبها وفي مبادئهِ السياسية والادبية

ج اما الثورة فلا نظن انها تنتشر في روسيا لان حكومة الروس محوَّطة لها والروس اقل تهوُّراً من غيرهم وهم يكرمون القيصر الى حد العبادة الا طائفة النيهلست منهم . واما تولستوي وآراؤهُ فقد كتبنا عنهُ وعنها مقالة في صدر هذا الجزء سنردفها بمقالات اخرى نشبع الكلام فيها على هذا الموضوع

(٧) خطر سكك الحديد

ومنهُ . قدَّر بعضهم ان الاخطار الناشئة عن السفر في سكك الحديد اقل من الاخطار الناجمة عن الجلوس في المآدب او الوقوف على المنابر فهل ترون هذا القول صواباً

ج كلاَّ لان الذين يموتون في المآدب وعلى المنابر موتهم طبيعي واما الذين يقضى عليهم في سكك الحديد فان كان موتهم طبيعيًّا فلا حساب لهم وهم مثل سائر الناس الذين يدركهم الموت اينما يكونون وان كان غير طبيعي اي حادثاً من اصطدام او نحوهِ فعددهم مهما كان قليلاً هو زيادة في عدد الوفيات الطبيعية

(٨) قبر موسى

مصر . احد المشتركين . اين يوجد قبر النبي موسى وفي اي بلاد مات

ج جاء في الاصحاح الاخير من اسفار موسى الخمسة ان موسى " مات في ارض موآب ودفنهُ الله في الجواء في ارض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبرهُ الى

هذا اليوم " اما ارض موآب فشرقي الاردن وبحيرة لوط

(٩) شكل الصينيين

ومنهُ . لماذا يختلف الصينيون عن الشرقيين والغربيين شكلاً ولونًا وعادات

ج لانهم انفصلوا عن سائر اصناف الناس منذ ادهار طويلة ولم يعودوا يتزجون بغيرهم . فاذا طال انفصال صنف من اصناف الحيوان عن بقية اصناف نوعهِ ومرّت عليهِ السنون الطوال لم يبعد ان تتولَّد فيهِ اختلافات جديدة ترسخ فيهِ مع الزمان وتبعدهُ عن بقية اصناف نوعهِ وهذا يصدق على الشكل واللون والعادات

(١٠) القهوة

ومنهُ . من استعمل القهوة اولاً

ج من المؤكد ان القهوة لم تكن معروفة عند اليونانيين والرومانيين وان الاحباش عرفوها من عهد قديم جدًّا لا يعلم تاريخهُ وان العرب عرفوها قبل القرن الخامس عشر وهذا كل ما يعلم عن قدم تاريخها

(١١) اطعمة الصين

ومنهُ . قرأت في جريدة الصباح كلامًا لاحد السياح قال فيهِ ان اهل الصين دعوهُ الى عشاء كان طعامهم فيهِ من عقارب البحر وكلب مشوي وفار مقلي فعلى مَ لا يموتون من هذه المآكل

ج لان اكلها لا يميت فان لحم عقرب البحر طيب لذيذ ولحم الكلب ولحم الفار مكروهان عندنا ولكن لا دليل ان فيهما شيئًا من السم المميت بل ان الذين يحصرون في المدن ويعوزهم الطعام يأكلون لحم الكلاب والفيران كما لا يخفى . وقد كان العرب يأكلون السنانير والعقارب والجرذان واليرابيع والضباب والزنابير والبراذين والافاعي والديدان . انظر مقالة موضوعها " ما تأكل العرب من اللحوم" نشرت في الجزء الثالث من المجلد ٢٣ من المقتطف

(١٢) اتصال القمر بالارض

سان باو بالبرازيل . الخواجه نسيم خوري . قرأت قولاً لبعض العلماء مفادهُ ان القمر والارض كانا متصلين ثم انفصل القمر عن الارض لاسباب طبيعية واخذ في الابتعاد عنها رويدًا رويدًا فهل هذا القول صحيح وما هي الادلة على صحتهِ

ج يقول بعض العلماء انهُ صحيح وقد اوردنا بعض ادلتهم عليهِ في مقالة للاستاذ جورج داروِن بن داروِن الشهير نشرناها في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين فعليكم بمطالعتها

(١٣) الغل والفظ والبنغوين

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي . ما هو الغل والفظ والبنغوين المذكورة في سياق الحديث عن الرحلة الى القطب الجنوبي في عدد شهر ابريل هذه السنة

ج الغل Gull اسم انواع مختلفة من طيور البحر يطلق عليها باللاتينية اسم لاروس ونظن ان كلمة رخ العربية مأخوذة منها ولم نترجمها بها لئلاَّ يسبق الوهم الى ما وُصف بهِ الرخ في كتب العرب من ان طول جناحهِ الواحد عشرة آلاف باع . والفظ الحيوان البحري المسمَّى Seal وقد تابعنا في ترجمتهِ كذلك استاذنا الدكتور فان ديك واسمهُ باللاتينية فوسيدي. والبنغوين اسم طائر آخر من طيور البحر لا يطير لقصر جناحيهِ

(١٤) نزع ثلثي الامعاء

ومنهُ . كيف يعيش الانسان بعد نزع ثلثي امعائهِ حالة كون الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ

ج اما قولكم كيف يعيش الانسان لو نزع ثلثا امعائهِ فجوابهُ انهُ يعيش بان الثلث الباقي يقوم بما يحتاج اليهِ الجسم من الهضم والامتصاص كما اذا قطعت يد انسان لا يموت بل يقضي حاجاتهِ بيدهِ الاخرى وقد تقطع يداهُ ورجلاهُ ولا يموت اذ يستغني عنها بوسائط اخرى. واما قولكم ان الخالق لو لم يعرف اهمية لزوم اقل عضو او عرق في الانسان ما كان خلقهُ فيهِ فجوابنا عنهُ اننا ننظر فيهِ اذا ثبت لنا ان الخالق اخبر احداً بما يقصدهُ من خلقهِ . ولا نفهم كيف يكذب المرء نظرهُ ولمسهُ وينفي صحة ما يراهُ بعينيهِ ويلمسهُ بيديهِ فيقول مثلاً ان الرجل لا يستطيع ان يحلق لحيتهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن اللحية لازمة لحياتهِ ما خلقها الله . ولا يستطيع ان يقلم اظافرهُ ويبقى حيًّا لانهُ لو لم تكن الاظافر الطويلة لازمة لحياتهِ ما خلقها الله وهو يرى الناس يحلقون لحاهم ويقلمون اظافيرهم كل يوم

والذي عرفهُ الناس بالاختبار حتى الآن ان من الاعضاء ما هو رئيسي لا بدَّ منهُ لحياة الجسم كالقلب والرئتين والكليتين فاذا نزع زالت الحياة ومنها ما يمكن الاستغناء عنهُ كاليدين والرجلين فيمكن قطعهُ ولا تزول الحياة . وكان المظنون ان المعدة من الاعضاء الرئيسة التي لا يمكن الاستغناء عنها فنزعت الآن من بعض الناس وبقوا احياء فثبت انهُ يمكن الاستغناء عنها . ومن الاعضاء الرئيسة ما يمكن الاستغناء عن بعضهِ فيمكن مثلاً الاستغناء عن بعض الرئتين وعن كلية من الكليتين وعن جانب كبير من الامعاء وهلمَّ جرًّا

الخزان والفيضان

مصر . حنا افندي بحري . هل يبقى ارتفاع ماء الفيضان فوق القناطر الخيرية بعد اتمام الخزان على ما هو عليهِ الآن . الجواب نعم لان الخزان لا يُسدُّ وقت الفيضان بل بعد ان يبلغ حدهُ ويهبط لان ماء الفيضان يكون كثير الطمي فاذا خزن ملأ طميهُ ما فوق الخزان



اقوى المطهرات

ابنا غير مرة ان الاكسجين الممزوج بماء الانهر يطهرها من جراثيم الفساد التي تصل اليها. ويكون فعل الاكسجين على اشده حينما ينفصل عن مادة كان متحدًا بها . وقد وردت الانباء عند كتابة هذه السطور بان الاستاذ نوفي والاستاذ فريبر من مدرسة مشيغان الجامعة باميركا اكتشفا انهُ اذا وضع قليل جدًّا من اعلى اكسيد البنزولكتيل Benzolactyl hyperoxide في الماء يحل الاكسجين منهُ حالاً وامات الميكروبات التي في ذلك الماء وامات ايضاً جراثيمها وهذه المادة لا تضرُّ بالحيوان ولو كانت جرعتها كبيرة

الحرُّ ولون الفراش

بحث المسيو ستندفُس من علماء زورك في طبائع الفراش فوجد ان الوانهُ تتغير حسب تغير الحر والبرد فاذا اشتدَّ عليهِ البرد حينما يولد صار لونهُ مثل لون الفراش المتولد في لا بلندا او غيرها من الاصقاع الشمالية واذا اشتد الحرُّ ولد مثل الفراش المتولد في سورية وكورسكا

مخازن الكهربائية

لا يخفى ان الكهربائية تخزن احيانًا في بطريات الى حين استعمالها . وقد شاع في هذه الاثناء ان اديصن الكهربائي الاميركي المشهور استنبط مخازن جديدة للكهربائية تزيد قوتها ضعفين او ثلاثة على قوة المخازن المستعملة حتى الآن فان المخزن العادي يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض ميلين الى ثلاثة اميال ولكن المخزن الذي استنبطهُ اديصن يخزن فيهِ من القوة الكهربائية ما يرفعهُ عن الارض سبعة اميال . وتطول مدة تفريغ الكهربائية منهُ الى ثلاث ساعات ونصف ساعة ويمكن تفريغها في ساعة واحدة فتكون شديدة الفعل جدًّا وكذلك يمكن املاؤُهُ في ثلاث ساعات ونصف او في ساعة واحدة

ولم يكد اديصن يكشف سر استنباطهِ في الشهر الماضي حتى استنبط رجل اميركي آخر اسمهُ ولتر ستروجر مخزنًا آخر يملأ كهربائية في نصف ساعة فقط ويمكن ان يخزن فيهِ من الكهربائية اكثر كثيرًا مما يخزن في مخزن اديصن حتى لو خُزنت كهربائيتهُ في مخزن اديصن لاذابتهُ . وقد طُلب منهُ ان يصنع مخزنًا كبيرًا يكفي لجر قطار الاكسبرس من مدينة رونشستر الى نيويورك مسافة ٣٠٠ ميل . فاذا ثبت ذلك استفادت مصر منهُ

فائدة لا تقدَّر لانها تصير تجمع الكهربائية من خزان اصوان وتسيّر بها قطراتها شمالاً وجنوباً

كسوف الشمس

كسفت الشمس في ١٨ مايو الماضي كسوفاً كلياً وراقبها الرصد الذين ذهبوا لمراقبتها من اوربا واميركا وكانت السماء غائمة في بعض الاماكن ولكن ظهر الكسوف جلياً في غيرها وبان الاكليل جيداً وطالت مدة الاختفاء اكثر من ست دقائق وسياتي تفصيل ذلك

التلغراف الاثيري

كان التلغراف الاثيري يُمتحن على سواحل مالطة فوصلت الى آلته رسالة ايطالية ظهر انها مرسلة من سيراقوسة في صقلية على مسافة ١٣٤ ميلاً ولا بدَّ من مرورها فوق جانب من البر قبل وصولها الى مالطة فثبت من ذلك ان الانباء البرية تنقل اكثر من مئة ميل من غير سلك معدني

اتومبيل الشاه

صنع معمل في بلجكا اوتومبيلاً لشاه ايران بلغ ثمنهُ ٤٤٠٠ جنيه وهو من نوع اللاندو يسع خمسة اشخاص مبطن بالحرير الرمادي ومدهون دهاناً ازرق معلَّماً بالذهب وعجلاتهُ حمراء اللون وعلى فانوسيهِ شعار ايران الاسد والشمس وعلى المركبة اسم جلالة الشاه يحيط بهِ غصنان من الغار والسنديان

نول السجاجيد

السجاجيد العجمية تصنع باليد كما لا يخفى والصانع الماهر لا يصنع في يومهِ اكثر من مترين مربعين منها مهما اجتهد لكن احد الاوربيين استنبط نولاً تحاك بهِ السجاجيد العجمية والرجل الواحد يصنع بهِ ٣٥ متراً في اليوم من السجاد الجميل الذي لا يفرق عن اجود انواع السجاد العجمي. ويقال ان سنديكاتاً انكليزياً اشترى امتياز هذا الاختراع من صاحبهِ لكي يستعملهُ

دفع الخطر من اسلاك الترامواي

لما عزمت شركة الترامواي على مد اسلاكها في شوارع القاهرة اعترض البعض عليها ان اسلاك التلفون قد تنقطع وتقع على اسلاك الترامواي حتى اذا وصل طرف السلك المقطوع الى انسان او حيوان قتلهُ كما حدث بالامس في فرس وقع عليهِ سلك التلفون فقتلهُ لانهُ نقل اليهِ كهربائية الترامواي. وقد قرأنا الآن في الجرائد الانكليزية ان المستر كوين Quin المهندس الكهربائي في بلاكبول Blackpool ببلاد الانكليز استنبط مفتاحاً يتصل بالاسلاك الكهربائية حتى اذا انقطع سلك منها منع سير الكهربائية عليهِ من نفسهِ فيزول كل خطر من الاسلاك الكهربائية التي تستعملهُ سواء كانت للترامواي او للتلفون. فعسى ان تهتم الحكومة المصرية بهذا

الامر وتطلب من شركة الترامواي استعمالهُ

السفن الغوَّاصة

سار رئيس الجمهورية الفرنسوية واثنان من وزرائهِ في سفينة غوَّاصة وبقيا فيها ساعة ونصفاً قضيا اكثرها تحت الماء

الافعى بدل الهر

يربي اهل مانلاً الافاعي في بيوتهم بدل القطط لتأكل الفيران والجرذان . قالت احدى السيدات الاميركيات سمعتُ اول ليلة نمت فيها في مانلاً (عاصمة جزائر فيلبين) صوت جرذ ثم سمعت فحيح افعى فصات الجرذ وجلدت الافعى الارض لما امسكتهُ والتفت عليهِ ثم جعلت تبتلعهُ فصرختُ مذعورة وفي اقل من دقيقة امتلأَت غرفتي بالخدم فاطمأَن بالي وعلمتُ حينئذٍ ان الافعى في هذه البلاد كالهر عندنا . والحشرات والهوام كثيرة في مانلا لا يخلو منها بيت ولا سيما النمل فانهُ يكاد يملأُ البيوت فلا عجب اذا استشفى اهاليها من داء بداء ولا يفلُّ الحديد الاَّ الحديد

نمو الممالك بالتجنس

تنمو الممالك بالولادة وبالتجنس واحوجها الى التجنس الممالك الجديدة والبلدان الحديثة العمران كالولايات المتحدة الاميركية فانها لولا تسهيل التجنس على المهاجرين اليها ما بلغ عدد سكانها الآن عشر ما بلغ ولا بلغت ثروتهم عشر عشر ما بلغت . وقد بحث الاميركيون بالامس عن اصل ٤٠٩٩ ضابطاً من ضباط بوارجهم فوجدوا ٥٧ في المئة منهم من المولودين في اميركا و ٣٤ في المئة من الذين تجنسوا بالجنسية الاميركية وهم غير مولودين في اميركا وستة في المئة من الذين اظهروا رغبتهم في التجنس بالجنسية الاميركية والباقون اما غرباء قاطنون في الولايات المتحدة او غير قاطنين فيها . وطلب النمو ومنع التجنس لا يجتمعان

قدور الاليومنوم

ثبت بالامتحان ان قدور (حلل) الاليومنوم اربح في الاستعمال من قدور النحاس فانهُ يتوفر بها ٤٥ في المئة من الوقود على ما في جريدة السينتفك اميركان

العلم عبد الحاجة

انشئت خطوط الترامواي الكهربائي في مدينة لندن منذ بضعة اشهر ولكن رؤساء المرصد الفلكي في كو اعترضوا عليها ومنعوا استعمالها قائلين ان كهربائيتها تؤَثر في آلات الرصد فيبطل تدقيقها . ورُفعت المسألة الى لجنة من المحكمين فبحثت ووجدت ان اعتراض رؤساء المرصد في محلهِ ولكن اهالي المدينة يحتاجون الى الترامواي الكهربائي ولا بدَّ لهم منهُ لتسهيل الانتقال فتم الاتفاق اخيراً على نقل المرصد الى مكان آخر لا يصل اليهِ فعل

الكهربائية وان شركة الترامواي تدفع نصف ما يلزم لنقلهِ من النفقات

عربات الاتوموبيل

يظهر لنا انهُ لا يمضي وقت طويل حتى تقوم عربات الأتوموبيل مقام عربات الخيل والبغال في كل مكان في المدن والقرى حتى في البلدان القاصية سواء كانت العربات للركوب او للنقل . فان الدوائر الحربية في اوربا واميركا تمتحن الآن استعمال الاتوموبيل لنقل الزاد والمدافع والمرضى ولكل ما كان يُنقَل بعربات الخيل والبغال . وقد أُلفت الشركات في المدن الكبيرة لاستعمال مركبات الاتوموبيل بدل اومنيبوس الخيل وسكك الحديد في المدن وضواحيها وهم يحسبون انها تجري عشرين ميلاً في الساعة وتقف حالاً لاخذ الركاب في اي مكان كان . وقد شاهدنا هذه المركبات تصعد في سكك الجبال في بلاد سويسرا وصعودها فيها اسهل من صعود مركبات الخيل . ولا يبعد ان تؤلف شركات في هذا القطر والقطر السوري لاستعمال عربات الاتوموبيل للركوب والنقل بدل عربات الامنيبوس وبدل قوافل الجمال والبغال

سعوط الكوكايين

شاع استعمال الكوكايين سعوطاً في اميركا الجنوبية فيتسعط بهِ زنوجها فيفعل بهم فعل الافيون . وكأن يقظة الحياة عبء ثقيل على بعض الناس فيطلبون السكرة منها كيفما كان

تنشيط الصنائع

في جزيرة زيلندا الجديدة التي كان اهاليها يأكلون بعضهم بعضاً منذ سنين قليلة مناجم غنية بالحديد وقد ارادت حكومتها الآن ان تغري الشركات الصناعية باستخراج الحديد منها فوعدت باعطاء عشرين الف جنيه للشركة التي تستخرج منها عشرين الف طن من الحديد مشترطة ان لا يكون رأس مال هذه الشركة اقل من مئتي الف جنيه ولكنها اشترطت على نفسها ايضاً ان تبتاع من الشركة خمسين الف طن من الحديد الذي تستخرجهُ بثمن يزيد على ثمنهِ في السوق والغرض من ذلك ان يصير الحديد المستخرج في تلك المستعمرة كافياً لحاجة سكانها حتى لا يجلبوا الحديد من مكان آخر . هكذا هكذا تنشط الصنائع لا كما فعلت حكومة مصر حديثاً لمنع انشاء المعامل في بلادها

الصنائع في اليابان

يظهر ان ارباب الصنائع في اوربا واميركا يخافون مناظرة اليابان لهم اكثر مما يخافون اية مناظرة اخرى لرخص اجرة العمال في اليابان فان الساعة تصنع الآن فيها باربعين غرشاً والبيسكل بمئتين واربعين غرشاً والبيانو

المتقن بالفي غرش ومعامل الغزل والنسج فيها تدور ٢٢ ساعة كل يوم لكثرة الطلب عليها. ذلك كلهُ والمعامل الاوربية تخرج العمال لقلة الاعمال حتى يقال ان معمل كروب المشهور في المانيا اخرج من عمالهِ اربعة آلاف عامل منذ شهر اكتوبر الماضي

الكماتوغراف

استنبط رجل من سكان لندن اسمهُ ليو كام اسلوبًا جديدًا لتصوير الصور المتوالية التي تظهر الاعمال والحركات في السيناماتوغراف وذلك انهُ يضع في آلة التصوير لوحًا زجاجيًا مستديرًا يدور فيها دورانًا حلزونيًا امام العدسية التي يدخل النور منها فترتسم عليهِ صور متوالية في شكل حلزوني الواحدة بعد الاخرى حتى يمتلىء منها ثم تظهر الصور عليهِ كما تظهر عادةً ويوضع امام الستار الذي تلقى عليهِ الصور مكبرة ويدار بالسرعة التي أُدير بها وقتما اخذت الصور عليهِ فتظهر الصور على الستار متحركة كما كانت تتحرك وقتما صوّرت. ويؤخذ على اللوح الواحد ستمئة صورة في دقيقة من الزمان اي ١٢ صورة في الثانية الواحدة

العدوى من دكان الحلاّق

لم تبقَ شبهة في ان دكان الحلاّق (المزين) مسأول عن كثير من الآفات الجلدية كالحزاز والبهق وداء الثعلب والصلع وما اشبه. وقد رأى بعض الحلاّقين في باريس ان لا يبقوا سبيلاً للشكوى منهم فصنعوا الامشاط من المعدن ووضعوا مصباح غاز امام كل كرسي فيشعلون الغاز ويجيزون فيهِ المشط والموسى والمقراض قبلما يستعملونها ويصنعون سائلاً من الثيمول يميت الميكروبات يجيزون فيهِ البرش قبلما يستعملونهُ فلا يبقى سبيل للخوف من العدوى

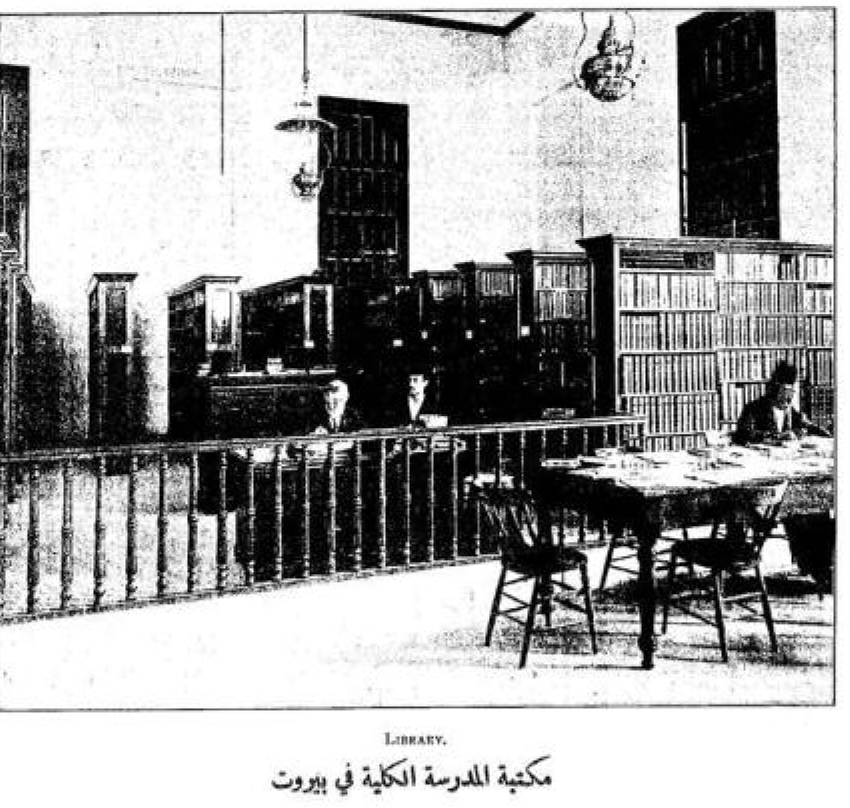
التلسكوب الاكبر

التلسكوب الاكبر حتى الآن تلسكوب معرض باريس الذي وصفناهُ وصورناهُ غير مرة في المقتطف لكن الاميركيين يأبون الاَّ ان يكونوا فوق غيرهم في كل مأثرة ومفخرة. ومتى وُجد المال والعقل وجد كل شيء فقد قرأنا الآن ان احد اغنيائهم عرض على قداسة البابا ان يهدي اليهِ تلسكوبًا يكون اكبر من تلسكوب معرض باريس يوضع في مرصد رومية فقبل البابا هذه الهدية ولم يبقَ الاَّ ان يصنع التلسكوب ويقام في المرصد الغريغوري اقدم مراصد اوربا

الجرذان والطاعون

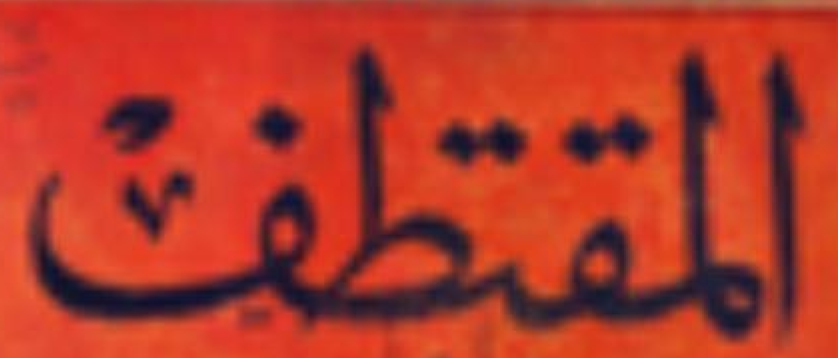
قال المستر غرام في التقرير الذي نشرناهُ في هذا الجزء عن الطاعون "والاولى ان تعدَّ الجرذان في جملة الحيوانات التي يفتك الطاعون بها كما يفتك بالناس لا ان يحسب

فهرس الجزء السادس من المجلد السادس والعشرين



LIBRARY.

مكتبة المدرسة الكلية في بيروت



December

المقتطف

الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٤ ربيع الاول سنة ١٣١٩

المدرسة الكلية ومكتبتها

انتهت الآن السنة الخامسة والثلاثون منذ انشئت اول مدرسة جامعة في الديار العربية بعد ما تقلَّص منها ظل العلم و بزغت شمسهُ في ربوع المغرب . أُنشئت في مدينة بيروت مرضعة الحكمة في عهد الرومان وأوت يوم انشائها الى دار صغيرة للطيب الذكر والاثر المرحوم بطرس البستاني . دخل تلك الدار نحو ستة عشر تلميذاً واخذ رئيس المدرسة ومنشئها الدكتور دانيال بلس يلقي علينا بعض الدروس الجبرية والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي دروس النحو والبيان من كتابيهِ نار القرى وعقد الجمان وغيرهما من الاساتذة غيرها من العلوم

وفي العام التالي جاء الدكتور ثمان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست وانضموا الى اساتذة المدرسة وشرعوا في تدريس العلوم الطبية . وبعد سنتين أُخريين — وكان قد مرَّ على المدرسة اربع سنوات — وقف خمسة في منبر الخطابة امام والي دمشق ومتصرف بيروت ووجهاء البيروتيين واللبنانيين وخطبوا في بعض المواضيع العلمية والفلسفية والادبية والاجتماعية مما تعلموهُ عن غوامض الكون وقوى العقل واسباب الارتقاء وطالبوا الحكومة بما يجب عليها نحو امتها وعاهدوا بلادهم امام ربهم ان يبذلوا النفس والنفيس في سبيل ارتقائها

وسارت المدرسة الكلية على هذا النسق سيرًا بطيئًا بقدم راسخة وبنت لها دارًا في رأس بيروت من اجمل دور العلم في اطيب بقعة من بقاع الارض تشرف على البر والبحر والجبال والوهاد . ومرَّ عليها خمس عشرة سنة وحرية القلم وحرية اللسان مطلقتان لاساتذتها وتلامذتها يؤلفون و يصنفون وينشرون والناس يقرأُون وتستعرُّ نفوسهم بعد سني الذل المتوالية . حتى اذا زرنا القطر المصري قُبيل الثورة العرابية قابلنا خديويها ووزراؤُها كأَننا وفود من دار العلم

والعرفان وسفراه من بلاد الحرية والاستقلال لما كانوا يسمعونهُ عن بيروت ويقرأونهُ في جرائدها

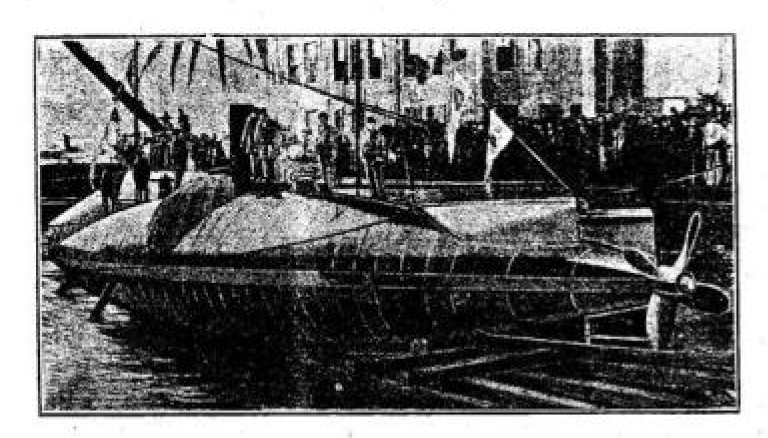
لكن ما اسرع ما تتغير الايام . اول خطبة عمومية تليت في دار تلك المدرسة عند توزيع شهاداتها تلوناها مطالبين الدولة بالاصلاح والامة بالسعي فصفق لنا والي سورية قبل غيره . وآخر شيء وصلنا من والي سورية قبل ان غادرناها إخطار رسمي بمنع حرية الصحافة

الاَّ ان المدرسة الكلية جسم حيٌّ نامٍ وهي مثل كل الاجسام الحية تعرض لها العوارض الخارجية فتضعف اولاً وتنكمش حتى اذا الفتها زال انفعالها منها وعادت الى النمو والريعان

واي نموّ اظهر من النمو الذي رأيناهُ في السنوات الأخيرة فقد اتسعت مبانيها باضافة الدور الكثيرة اليها وأُنشئ فيها قسم استعدادي كبير تعلم فيهِ مبادئ العلوم واللغات وقسم تجاري لتخريج الشبان في ماتمس الحاجة اليهِ للنجاح في التجارة . وزاد عدد تلامذتها زيادة لامثيل لها فبعد ان بقي عددهم عشرين سنة دون المئة في قسميها العلمي والطبي صار فيهما الآن ٢٢٣ تلميذاً وبلغ عدد تلامذة القسم الاستعدادي والتجاري ٣٢٢ تلميذاً . وقد بلغ عدد الذين اتموا دروسهم في قسمها العلمي حتى الآن ١٩١ وفي قسمها الطبي ١٨٣ وفي قسمها الصيدلي ٧٨ وفي قسمها الاستعدادي ٤١٦ يطرح منهم ١٦٧ لانهم درسوا في قسمين او اكثر من اقسامها فيبقى سبع مئة شاب كلهم تقريباً من رعايا الحكومة العثمانية ومنهم الآن التجار والاطباء والمحامون والمعلمون والمحررون والموظفون في الوظائف الادارية المختلفة ولهم كلهم اليد الطولى في اعادة العلم والعرفان الى ديار المشرق

وتمتاز المدرسة الكلية على غيرها من مدارس مصر والشام بترغيبها تلامذتها في المطالعة فقد اعدّت لهم مكتبة كبيرة فيها نحو عشرين الف مجلد وضعتها في دار فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء ترى صورتها من الداخل في اول هذا الجزء وفيها من نخبة كتب المراجعة كالانسكلوبيذيا البريطانية والانسكلوبيذيا الاميركية وانسكلوبيذيا ريس وكتب بليني في التاريخ الطبيعي ونحو ذلك من الكتب الشهيرة التي يغني كلٌّ منها عن مكتبة كبيرة . واكثر الكتب باللغة الانكليزية ولكن فيها نحو الف مجلد باللغة العربية وبعضها من كتب الخط النادرة وفيها ايضاً الف ومئتا مجلد في العلوم الطبية ونخبة المجلاّت العلمية بالعربية والانكليزية والفرنسوية . والتلامذة دئبون على مطالعة هذه الكتب والمجلات ولا سيما ما يتعلق منها بدروسهم حتى تتنور اذهانهم وتتسع معارفهم ولذلك يخرجون من المدرسة وقد عرفوا من تاريخ العلم والفلسفة واقوال العلماء وآرائهم ما يقصر عن استيفائهِ كتب التدريس

الغوّاصة العثمانية



تمسّ الحاجة الى شيء من الاشياء فيبحث عنهُ المخترعون والمستنبطون ويدأبون جهدهم وهم يصنعون ما يظنونهُ وافياً بالغرض فلا يفي بهِ ولكن لا يذهب تعبهم سدىً بل يكون اساساً لاستنباط آخر يمكن العمل بهِ فلا يكاد يظهر حتى يرى كل احد نفعهُ ويشيع استعمالهُ حالاً. وهذا شأن اكثر المخترعات الحديثة

وقد ابنّا في فصل سابق نشرناهُ في الجزء الثاني الصادر في غرة فبراير الماضي ان الناس شعروا بالحاجة الى سفينة تغوص تحت الماء وبذلوا جهدهم في استنباطها منذ ثلثمئة سنة ولكنهم لم يهتدوا الى عمل سفينة تفي بالغرض الاّ الآن وحالما ثبت ان السفينة المطلوبة قد صُنعت اخذت الدول البحرية تهتم بعمل سفن مثلها

وقد قرأنا الآن ان رجلاً انكليزياً اسمهُ غرت اشترك مع نوردنفلت صانع البندقية المنسوبة اليهِ وصنعا سفينة تغوص تحت الماء منذ سنة ١٨٨٨ ثم صنعا سفينة اخرى اتقناها تمام الاتقان وابتاعتها منهما الحكومة العثمانية وهي المرسومة هنا

طول هذه السفينة مئة قدم وتفريغها ١٦٠ طناً وفيها آلة بخارية قوتها ٢٥٠ حصاناً وهي تسير على وجه الماء كالسفن العادية ٩٠٠ ميل بحري اي قدر ما تستطيع حملهُ من الوقود . واذا اريد ان تسير تحت الماء سدَّت مدخنتها وفتحة دخول الهواء اليها وسُحب الماء الى حياض ثلاثة فيها فتثقل وتغوص في الما . ويكون الماء حارًّا جدًّا في آلتها البخارية فتبقى دائرة وتدفع

السفينة تحت الماء ولا يبقى ظاهرًا منها الاَّ مرقب زجاجي صغير يرى منهُ ما حولها

وغني عن البيان ان السفن الغواصة تستطيع الدنو من البوارج الكبيرة لقذف التربيد تحتها فاذا كثرت عند الدول تغيرت بها الحروب البحرية واختلف مصير العمران عما نراه عليهِ الآن

طبائع الضفدع

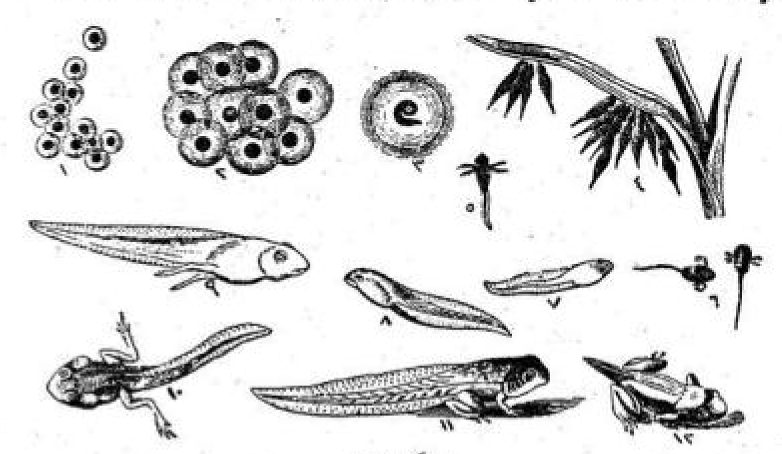
طبائع الحيوان غرائب في غرائب وتزيد غرابتها اذا درسها المرء درسًا مدققًا وقابل بين انواع الحيوان واصناف كل نوع منها وما يمتاز بهِ بعضها عن بعض

والضفدع من الحيوانات الحقيرة يُكرَه صوتها ولو كان تسبيحًا وتشمئز النفس من منظرها وملمسها ولو كان البعض يأكلونها ويتنافسون بلحمها . يراها كل احد مرارًا في عامهِ ولكن قلَّ من درس طبائعها من غير العلماء الراسخين . اما علماؤُنا الذين تكلموا في طبائع الحيوان فقال الدميري منهم "انها تتولد من المياه القائمة الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار الغزيرة حتى يظن انها تقع من السحاب لكثرة ما يرى منها على الاسطحة عقب المطر والريح وليس ذلك من ذكر وانثى وانما الله تعالى يخلقها في تلك الساعة من طباع تلك التربة" . وقولهُ هذا مثل كثير من اقوال المتقدمين الذين يحيلون على العلة الاولى كل ما يجهلون عللهُ الثانوية

والحقيقة ان الضفدع وكل انواع الحيوان لا تولد الاَّ من ذكر وانثى فتبيض الانثى بيضًا صغيرًا مستديرًا كما ترى عند الرقم ١ في الشكل الاول وفي كل بيضة نقطة مظلمة حولها مادة هلامية والغالب ان تكون هذه البيوض منظومة سمطًا طويلًا جدًّا كسمط اللؤلؤ طولهُ بضع اقدام. ويتصل بها اللقاح من الذكر بعد خروجها من الانثى كما يحدث في بيض السمك فتأخذ تنمو وتكبر كما ترى عند الرقم ٢ . والنقطة السوداء التي في قلبها تمتص حرارة الشمس وتنمو بالانقسام كما ينمو غيرها من الحويصلات الحية حتى تصير جسمًا مستطيلًا كما ترى فوق الرقم ٣ ثم تشق الغلاف الذي حولها وتخرج من بيوضها دعاميص صغيرة تسبح في الماء وتعلق بما فيهِ من الاعشاب كما ترى فوق الرقم ٤ . وتتولد لها خياشيم تتنفس بها كما ترى فوق الرقمين ٥ و٦ وتعود الخياشيم فتندغم فيها ويكون ذنبها دقيقًا فيكبر ويتسع وتصير مثل السمك تمامًا كما ترى فوق الرقمين ٧ و ٨ . ثم يتولد لكلٍّ منها رجلان كما ترى فوق الرقمين ٩ و ١٠ ويتولد لها يدان ايضًا كما ترى فوق

الرقم ١١ وقد تظهر يداها قبل رجليها و يقصر ذنبها فتصير اقرب الى الضفدع منها الى السمكة كما ترى فوق الرقم ١٢ واخيراً يزول ذنبها تماماً وتصير ضفدعاً تامة الخلقة مثل ابيها وامها وهما لا يعلمان شيئاً من امرها لانهما يتركانها وهي بيضة بعد ان يضعاها في مكان صالح لها

هذا اذا كانت الضفدع مما يبيض بيضاً كثيراً يكفي لحفظ النوع ولو هلك الكثير منهُ واما اذا كانت مما يبيض بيضاً قليلاً فلا تترك بيضها للطبيعة كما يترك عامة الناس اولادهم بل تعتني بهِ اعتناء خاصاً كما يعتني الخاصة باولادهم واليك بيان ذلك لما فيهِ من الغرابة والفكاهة



الشكل الاول

قلنا ان الضفدع تبيض بيضها في الماء وهي تختار الماء الراكد الضحضاح وكثيراً ما يحدث ان يكون الماء بركة كبيرة يقيم الماء فيها اشهراً فتلبث الدعاميص فيها زماناً طويلاً وهي تنمو وتكبر مفضلة الحياة المائية على الحياة البرية حتى تصير قدر الضفدع الكبيرة ولا تطرح ذنبها لانهُ يعينها على السباحة . ويحدث ايضاً ان ينضب الماء سريعاً فتبادر الدعاميص الى التخلق باخلاق الضفادع فتنبت ايديها وارجلها و يزول ذنبها حتى اذا جفَّ الماء تماماً مشت على اليابسة كالضفادع الكبيرة ولو كانت صغيرة كالنحل او اصغر والاول والثاني صنفان مختلفان

وقد لا تجد الضفدع ماء راكداً لتضع بيضها فيهِ فتضعهُ تحت حجر وقاية لهُ من اشعة الشمس و يكون حينئذٍ كبيراً جدًّا فيقضي الجنين في البيضة الطور الاول من حياتهِ الذي يحياهُ حينما يكون دعموصاً حتى اذا خرج منها خرج ضفدعاً كاملة

ومن الضفادع نوع يصنع لبيضهِ حفرة مستديرة قرب الماء يضعهُ فيها بعد ان يحوطهُ بشيءٍ

من الزبد كرغوة الصابون حتى اذا خرجت الدعاميص من هذا البيض سارت الى الماء واقامت فيهِ الى ان تظهر قوائمها و يزول ذنبها . ونوع يضع بيضهُ في اوراق الاشجار ويحوطهُ بالزبد على ما تقدم ويجف ظاهر الزبد و يسيل باطنهُ فتخرج الدعاميص من البيض تسبح في السائل الذي حولها الى ان يقع عليها المطر فتنزل معهُ الى البرك التي تجتمع تحت الاشجار . وقد تلتف اوراق الشجر على البيض فتقيهِ من الشمس الى ان يقع المطر فتنزل معهُ الى برك الماء

ومنها نوع يبني لبيضهِ عشًّا مستديرًا من الطين في الماء و يعليهِ رويدًا رويدًا حتى يرتفع عن سطح الماء قليلاً و يظهر فيهِ كحلقة مستديرة. تبنيهِ الانثى بيديها وزوجها جالس على ظهرها وتمسحهُ ببطنها من الداخل حتى يصير متينًا صقيلاً وتبيض فيهِ وتترك بيضها مطمئنة وتخرج الدعاميص منهُ وتبقى في العش الى ان يتهدَّم



الشكل الثالث



الشكل الثاني

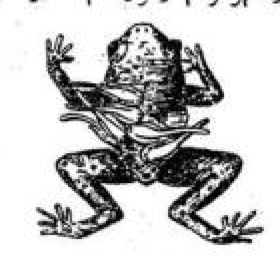
ظهر مما تقدَّم ان الضفادع فريقان فريق يبيض بيوضًا كثيرة جدًّا ويترك بيوضهُ للطبيعة يعيش منها ما يعيش ويموت ما يموت . وفريق يحوّط لصغاره تحوُّطاً مَّا بحفرة يضعها فيها او كرة هلامية يحوطها بها او بيت من الطين يبنيهِ لها . وقد بقي فريق ثالث وهذا لا يترك البيوض وشأنها ولا يحوّط لها ويتركها بل يحتفظ بها بنفسهِ الى ان تظهر الدعاميص منها او الى ان تقوى على السعي لنفسها من ذلك الضفدع القابلة وهي برية كثيرة في سويسرا وفرنسا وغربي المانيا ومن خواصها ان الذكر منها يحمل بيض انثاهُ بين تخذيهِ رابطاً اياها بربائط كما ترى في الشكل الثاني ويبقى حاملاً لها الى ان يحين الوقت لخروج الدعاميص منها فيمضي بها الى الماء ويضعها فيهِ . ولا يُعلم كيف يستلق البيض من انثاهُ و يربطهُ بين ساقيهِ ولكن الرباط يكون في البيض حال خروجهِ من الانثى كما هو معلوم في حبل القر

ويقال ان الذكر يجلس وراء الانثى ويوصل اول حبل البيض باحدى ساقيهِ و يصير ينقلب على نفسهِ وحبل البيض يخرج منها الى ان يلتف الحبل كلهُ على ساقيهِ حتى اذا تمَّ لهُ ذلك غنَّى اغنية السرور بصوت اطرب من النقيق وسار في طلب رزقهِ الى ان تتمَّ مدة الحضانة

ويحين الوقت لخروج الدعاميص فيمضي بها الى الماء على ما تقدَّم

وفي جزيرة سيلان ضفدع من ضفادع الاشجار تضع بيضها في كيس وتحمله على بطنها كما ترى في الشكل الثالث وتحضنهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ

وفي جزائر سشل ضفدع يحمل دعاميصهُ على ظهرهِ كما ترى في الشكل الرابع والذي يحملها الذكر لا الانثى وفي هذه الدعاميص مادة غروية تلصق بها بظهر ابيها وتبقى لاصقة بهِ الى ان يتم نموها وتظهر قوائمها وهو يحملها صابرًا كما حملهُ ابوهُ من قبلهِ



الشكل الرابع



الشكل الخامس

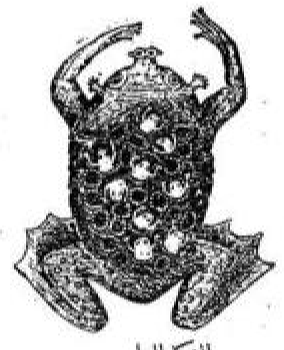
وفي فنزويلا وترندال ضفدع اذا جفت البرك اسرعت دعاميصها الى ظهر ابيها او الى ظهر علجوم آخر سواء كان ابيها او لم يكن ولصقت بهِ فيحملها ويسير بها الى بركة

وفي بلاد غينيا الهولندية ضفدع توجد ودعاميصها لاصقة بظهرها كما ترى في الشكل الخامس وهي الانثى لا الذكر كأن حمل الصغار يختلف باختلاف البلدان فيكون في بعضها قسمة الانثى وفي بعضها قسمة الذكر

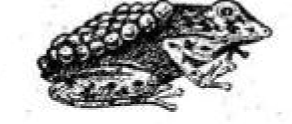
والضفادع المتقدم ذكرها تحمل صغارها من غير ان يكون في بدنها جهاز خاص معدٌّ لحملها بهِ ولكن في بلاد برازيل ضفدع من ضفادع الاشجار على ظهرها حفرة كبيرة كأنها حظيرة يحيط بها سور فتضع بيضها فيها كما ترى في الشكل السادس على الصفحة التالية وتحملهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ . وهناك ضفدع اخرى فيها ما هو اغرب من ذلك فان في ظهرها حفرًا صغيرة والظاهر ان الذكر يستلقي البيض من انثاهُ ويفرقهُ في هذه الحفر فيغرق فيها ويبقى هناك الى ان تخرج الضفادع الصغيرة منهُ كما ترى في الشكل السابع ويمضي عليها ثلاثة اشهر من حين يوضع البيض في الحفر الى ان تخرج الصغار منهُ وتسعى في طلب رزقها

ولا تنتهي غرائب الضفادع هنا بل بقي منها ما هو اغرب من ذلك كثيرًا في الضفدع التي اكتشفها الشهير دارون في بلاد شيلي فان علجومها (وهو ذكر الضفدع) يبتلع البيض حالما تبيضهُ انثاهُ لا لكي يأكلهُ ويغتذي بهِ كما تفعل حيوانات كثيرة تأكل اولادها بل

لكي يحضنهُ في بطنهِ ويقيهُ شر الاعداء ويمهد لهُ سبيلاً للنمو آمناً . وهو لا يبتلعهُ الى معدتهِ بل الى كيس كبير في بطنهِ لا باب لهُ الاَّ من فيهِ . وفراغ هذا الكيس ممتد تحت بطن العلجوم وحول حقويهِ حتى يكاد يصل الى سلسلة ظهرهِ . والبيوض كبيرة وعددها قليل من خمس الى خمس عشرة بيضة فتخرج الدعاميص منها تسرح وتمرح في جوف ابيها الى ان يتكامل نموها وهو صابر صبر الكرام وتضطر احشاؤهُ ان تضيف من اجل ذلك وان يقلل طعامهُ كثيراً لكنهُ لا يشكو ضيماً بل يصبر على بلواهُ الى ان تكبر صغارهُ وتصير قادرة على السعي والدفاع عن نفسها فتخرج من فيهِ الواحدة بعد الاخرى ولا تدري ان بنات خالتها الضفادع المائية العادية يذهب اكثرها فريسة لوالديها



الشكل السابع



الشكل السادس

وفي فنزويلا ضفدع اخرى ابت ان تكون اقل ايثاراً على نفسها من هذا العلجوم فان في ظهرها ثقباً كبيراً يوصل الى باطنها يتفرَّع منهُ دهليزان طويلان يمتدان حول حقويها حتى يكادا يحيطان بها . ولا يعلم كيف يتكون هذا الفراغ بين جلد الضفدع واحشائها ولا هل هو فيها دائماً او يتكوَّن في فصل التوليد فقط . ولا اتصال بينهُ وبين المبيض فلا بدَّ من ان يخرج البيض من المبيض اولاً ثم يوضع في الثقب الذي على ظهر الضفدع ولعلَّ الذكر يفعل ذلك اي انهُ يتناول البيوض ويضعها في الثقب المشار اليهِ. والبيوض كبيرة قطر البيضة منها سنتمتر وعددها قليل وجد منها اربع في الغرفة الوسطى واحدى عشرة في الدهليزين اللذين على جانبيها وتمتاز دعاميصهُ بكبر خياشيمها التي تتنفس بها فانها تبرز منها وتتشعب حتى تغطي بدنها والمظنون ان الدعاميص تتنفس بهذه الخياشيم وتغتذي بها ايضاً كانها المشيمة التي يلتف بها جنين الانسان . ومتى بلغت الدعاميص اشدها مضت بها امها الى الماء والقتها فيهِ حاسبة انها صارت اهلاً للنضال في معترك الحياة. وهذا قليل من غرائب الحيوان

احوال السودان

من فيكونت كرومر الى مركيز لنسدون

مولاي . جاءني تقرير مسهب مفيد جدًّا من السر رجينلد ونجت عن ادارة السودان في السنة الماضية ولي الشرف ان ارسل الآن نسخة منهُ اختصرت من غير ان حذف شيء مما فائدتهُ عامة

لا شبهة في انهُ تمَّ كثير من النجاح في السودان بعد استرجاعهِ ويظهر من مراجعة تقرير السر رجنيلد ونجت ان في كل جهة تقريبًا مجالاً واسعاً للاصلاح

والامران اللذان تمس الحاجة اليهما اكثر مما تمس الى غيرهما هما في ما اظن زيادة الموظفين الانكليز ورأس المال للانفاق على سكك الحديد والري

اما الامر الاول فيمكن اتمامهُ بغير صعوبة كبيرة . فقد عين بعض من الشبان الملكيين المنتقين وسيكونون مبدأ حكومة السودان الملكية والمرجح ان ينضم اليهم غيرهم مع الزمان. ولما زرت السودان حديثًا عجبت من همة الضباط الذين انيطت بهم الخدمة الملكية ومن كفاءتهم وهم في حالة السودان الحاضرة خير من تناط بهم الادارة هناك وان بدا منهم شيء من الخطإ لقلة خبرتهم في الامور الادارية فقليل من النصح والارشاد يصلح هذا الخطأ لاسيما وانهُ غير مقصود

وقد ذكر السر رجينلد ونجت ما يُعترَض بهِ على حصر الخدمة الملكية بالضباط العسكريين وهو ان الضباط معرَّضون دائمًا لان يُطلبوا الى مكان آخر فيختل نظام الادارة التي كانوا فيها . وزد على ذلك ان الضباط الذين يأتون ليقوموا مقامهم يمضي عليهم زمن قبلما يعرفون من لغة البلاد واطوار اهلها ما يلزم للقيام بما يجب عليهم ولذلك تدعو الضرورة الى انشاء ادارة ملكية في السودان . واكرر القول بانهُ يجب ان تبذل العناية التامَّة في انتقاء الموظفين لهذه الادارة

اما الامر الثاني الذي اشرت اليهِ آنفًا فليس من غرضي ان اسهب فيهِ الآن ولكني اقول ان نجاح السودان يبقى قليلاً ما لم تنفق فيهِ الاموال . ثم اني ارى الامل قليلاً ان ينفق احد الآن مالاً طائلاً في تلك البلاد ما لم يرَ لهُ معينًا (من الحكومة) واني الخ

(الامضا) كرومر

تقرير السردار والحاكم العام عن احوال السودان المالية والادارية سنة ١٩٠٠

ان الحالة التي وُصفت في التقرير السنوي عن سنة ١٨٩٩ لم تتغير تغيرًا جوهريًّا

فقد استمرت المخابرات بين السودان والمستعمرة الايطالية من جهة تحديد التخوم ولكن لم تُعين هذه التخوم حتى الآن والمرجح انهُ يشرع في ذلك قريبًا

واستخدم الكولونل تلبوث مدير المساحة في مسح البلاد التي هناك ولا بدَّ من ان نتائج عمله تسهل التحديد الاخير ويرجى ان العلاقات الحسنة جدًّا بين الحكومة البريطانية وحكومة بلاد الحبش تدعو الى اتفاق قريب تام بين السودان والحبشة على الحدود الفاصلة بينهما . وتمهيدًا لذلك مسحت البلاد التالية

اولاً من فمكا على البحر الازرق الى محطة حكومة السودان في الناصر على نهر السبَت بادارة الماجور جوين . وقد رسم هو ورجالهُ كل الاراضي التي مروا بها رسومًا مدققة ووصفوا كل الطرق التي ساروا فيها . وسار الماجور جوين الآن الى عاصمة بلاد الحبش لاستطراد اعمال المساحة حين اتمام المخابرات على التخوم بين الكولونل هارنجتون نائب الحكومة البريطانية في بلاط الحبشة وبين جلالة الامبراطور هناك

ثانيًا من فشودا في نهر السُّبَت ونهر بارو الى غورى ومن ثمَّ الى جلو جنوبًا ثم الى الناصر بطريق نهر بيبور وذلك بادارة الماجور اوستن . ولم يستطع ان يبلغ بحيرة رودلف كما قصد لان رجال الحبشة الذين على الحدود لم يفهموا مرادهُ ففسروهُ على غير ما اراد ولكنهُ قام ثانيةً قاصدًا البحيرة والمنتظر انهُ لا يلقى المانع الذي لقيهُ اولاً

وازيل السد او النبات الطافي الذي كان يسدُّ البحر الابيض وفتح الطريق في النيل الى النقط الشمالية من اوغندا ومحطة ولاية الكنغو الحرة في الرجاف

اما حصر النيل جنوبي متصل السبت في مجرًى واحد ليزيد مقدار الماء الوارد منهُ فمسألة لم تحلَّ حتى الآن . ولكن قد فتح طريق الملاحة وهذه اول خطوة لاتمام هذه الامنية لكن اتمامها يقتضي سنين كثيرة هذا اذا كان سهلاً

وفتح الطريق في اعالي النيل وَصَلَ بين شمالي اوغندا والخرطوم والقاهرة ولم يُقتصر على ذلك بل شرع رجال الحكومة في ولاية الكونغو الحرَّة يجلبون حاجياتهم بطريق النيل بدلاً من ورودها بطريق غربي افريقية والكونغو

وان قلة البواخر في النيل الآن يمنع اتساع التجارة ولكن يرجى انهُ حينما يأتي الفيضان التالي يؤتى ببواخر اخرى من جهات اصوان وحلفا فيسهل علينا ان نقوم بما تستدعيهِ احوال البلدان الجنوبية فتتصل العلاقات معها اتصالاً تجاريًا يكون منهُ نفع متبادل

وقد أُقيمت نقطة للحكومة قرب كرو على ٥٥ ميلاً شمالي محطة الكونغو الحرة في الرجاف وهي ابعد نقطة الآن جنوبًا للحامية السودانية

والبحث جارٍ في مسألة نقل المؤَن والمهمات والبريد الى نقط اوغندا بسكة الحديد بين

حلفا والخرطوم وبواخر حكومة السودان وبديهي انهُ يقتصد كثير في الزمن باستخدام هذا الطريق الى ان تتم سكة اوغندا

اما من حيث المديريات غربي البحر الابيض فقد أُرسلت حملة بقيادة الكولونل سباركس الى بحر الغزال لكي تستكشف وتحتل المديريات الواقعة بين النهر والارض التي يصبُّ ماؤُها في نيل الكونغو وهي داخلة في حدود السودان على ما هي محدَّدة في المعاهدة بين انكلترا وفرنسا في ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ . ويرجى انهُ ينتج من هذه الحملة فتح بلدان بقيت زماناً طويلاً مقفلةً عن منافع العمران والتجارة

وابعد المديريات الغربية التي تحكمها حكومة السودان الآن مباشرة مديرية كردفان التي احتلَّت عاصمتها القديمة الابيض في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٩

ومديرية دارفور يحكمها الشيخ علي دينار حفيد السلطان حسين ولا تزال علاقاتهُ مع حكومة السودان ودية وقد سار السر رودلف سلاتين باشا الى الحدود لترتيب بعض الامور المتعلقة بادارة المديرية وموقعها بالنسبة الى السلطة المركزية في الخرطوم

وقد بقيت بقية من الدراويش الذين تقهقروا الى القرب من بوهر برئاسة رجل اسمهُ عرابي دفع الله في داركارا الى الجنوب الغربي من دارفور . وهي تغزو القبائل المستوطنة هناك على ما بلغنا وهذا غاية ما وصلت اليهِ من العبث بالامن ولا يحتمل ان هذه الشرذمة الصغيرة الباقية من جيوش الدراويش الكبيرة يستفحل امرها فتقوض اركان السلم في مديرية دارفور او ما يجاورها

و يظهر من الالتفات الى بلاد السودان بنوع عام ان الراحة كانت مستتبة في العام الماضي في كل المديريات التي تديرها حكومة السودان وهذه الراحة لازمة جدًّا للبلاد والعباد لاسترجاع القوة التي ضاعت مدة سني الاضطراب والحروب المستمرَّة . وقد نتجت منها فوائد جمة وكان ماء الري وافياً والمطر غزيراً فجادت الغلال وكثرت الحبوب وهبطت اسعارها الى حدٍّ لم تبلغهُ منذ سنوات كثيرة . وهذه الامور مضافةً الى ما يشعر بهِ كل احد من استتباب الامن آلت الى ما يُرى من رضى السكان عن حالتهم الحاضرة ولذلك سار الاصلاح العام سيرًا اقل بطئاً مما كان ينتظر وان لم يكن سريعاً في هذه الاحوال . ولا ينكر ان الارتقاء لا يزال في بداءتهِ ولكن الادلة متوفرة على ان البلاد ستستفيد من الوسائل التي عُمل بها لتجديدها وبث مبادىء الحكومة المنتظمة فيها التي تقيها من مساوىء الماضي وتمهد لها مستقبلاً تجد فيهِ الراحة والفلاح المالية

يمكن الاعتماد على الارقام التالية المبنية على حساب السنة الماضية الى آخر نوفمبر الماضي وعلى ما يقدَّر لشهر دسمبر ومنها تعلم نتيجة السنة الماضية ماليًا

الايراد		المصروفات	
المديريات	٩٥٠٠٠	المديريات	٨٣٠٠٠
البوسطة	٠٥٠٠٠	الادارة المركزية	٣٨٠٠٠
التلغراف	٠٤٠٠٠	البوسطة	٠٩٠٠٠
سكك الحديد	٣٦٠٠٠	التلغراف	١٦٠٠٠
	١٤٠٠٠٠	سكك الحديد	١٣٢٠٠٠
المدفوع من الحكومة المصرية	٤١٧١٧٩	الاشغال العمومية	٣٨٠٠٠
	٥٥٧١٧٩		٣١٦٠٠٠
		النفقات الحربية	٢٨٢٨٦٢
			٥٩٨٨٦٢

فالعجز ٤١٦٨٣ ج . م او نحو ٤٠٠٠٠ ج . م . والسبب الاكبر لهذا العجز ان المصروفات قُدّرت باقل مما بلغت والايرادات قدّرت باكثر مما بلغت . ثم اتضح في آخر السنة انهُ لا بدَّ من الغاء بعض الضرائب وتقليل البعض الآخر او تأجيل ربطهِ لانهُ لم يحن وقتهُ فاذا ربط الآن كان ربطهُ عبئًا ثقيلاً على الاهالي واضرَّ بنجاح البلاد واداءتها . وأتت امور اخرى مانعة من تحقيق ما انتظرناهُ فاذكر بعضها على سبيل التمثيل ليظهر حرج الموقف الذي نحن فيهِ وانهُ لم يكن في الامكان الوقوف عند حدود الميزانية . ففي اول الامر وجدنا انفسنا مضطرين الى وفاء خمسة وعشرين الف جنيه أُنفقت في العام السابق فوق المال المعطى لتمديد سكة الحديد الى الخرطوم

وجاء طاعون المواشي ضربةً على اصحابها وعلى دخل الحكومة وتهدَّد مصر كما تهدَّد السودان ودعا الى نفقات غير منظورة نحو ستة آلاف جنيه لمقاومتهِ ووقاية القطرين منهُ

ثم ان احتلال الخرطوم دعا الى اقامة ادارة ملكية في تلك المديرية ابتدأت بداءة بسيطة جدًّا وتقدَّمت في غضون السنة فاقتضى ذلك انفاق ٣٥٠٠ ج . م رغمًا عن الاقتصاد الكثير وهذا لم يقدَّر لمَّا وُضعت الميزانية . وقد جُعلت النفقات لهذه المديرية في ميزانية هذه السنة ٨٤٣٧ ج . م لانها تقدَّمت فصار لا بدَّ من زيادة النفقات لاداءتها

وينتظر ان تزيد نفقات الاشغال العمومية ١٣٠٠٠ ج . م بسبب الزيادة اللازمة لبناء الدواوين والمنازل والمستشفيات وغيرها من المباني العمومية

وقد كانت سكة الحديد والاشغال العمومية عبئًا ثقيلاً على البلاد في العام الماضي وستبقى كذلك مدةً طويلة ايضاً . واضطررنا الى نفقات اخرى لم يعدَّ لها مالٌ في الميزانية من

ذلك تعيين لجان الاراضي والمهندسين لهندسة المدن وتعيين مفتش عام ومفتشين آخرين من الانكليز للجهات البعيدة تأميناً لاهاليها الذين استأمنوا الى الحكومة ولاظهار قيمة الاصلاح في الجهات التي لا يزال اهاليها مرتابين في مقاصد الحكومة وحيث يخشى من نهوضهم عليها اذا لم يكونوا تحت سلطتها مباشرة . وجرى بالايرادات مثل ذلك فالغيت عوائد القطعان وتسجيل البضائع في حلفا وعوائد القبانة في المديريات وكان المبلغ المقدَّر لها في الايرادات ٨٠٠٠ ج.م وأُنقصت رسوم حوالات البوسطة ورسوم الحوالات على الخزينة من واحد في المئة الى نصف في المئة . وأُعفيت اراضٍ كثيرة في مديرية بربر من الاموال فنقص ايراد تلك المديرية وصار ٦٥٠٠ ج.م بعد ان قدّر ١٤٠٠٠ ج.م ورفع جانب من عوائد النخيل في دنقلة . ورُفعت اموال اخرى من هذا القبيل جرياً على مقتضى الحال

ورغماً عن ذلك كلهِ ظهر في الايرادات كلها بنوع عام ميلٌ الى الزيادة والاتساع وينتظر ان تبلغ الايرادات كلها ١٤٠٠٠٠ ج . م وكانت في العام الذي قبله ١٢٦٥٩٦ ج . م فجملة الايرادات تنقص ١٨٥٠٠ عما قُدّر لها ولكن اذا استثنينا العجز من ايرادات مديرية بربر وايرادات البوسطة ويبلغ ١٣٥٠٠ ج . م والعجز من الغاء عوائد القطعان وتسجيل البضائع وهو ٨٠٠٠ ج . م فبقية الايرادات تكون قد بلغت ما قُدّر لها وزادت عليهِ نحو ٣٠٠٠ ج . م . وكذلك المصروفات اذا قوبلت بما قُدّر لها . ولا يمكن اتمام هذه المقابلة حتى الآن بالتفصيل ولكن اذا اغضينا عن ميزانية سكة الحديد التي اضيفت الى مصروفاتها مبالغ باقية عليها من حساب العام السابق وعن ميزانية الاشغال العمومية والتلغراف فليس في المصروفات الاخرى كلها عدا مصروفات سواكن ما يسرُّ كثيراً او يسيء كثيراً

اما مصروفات سواكن فقُدّرت ٢٦٢٠٠ ج . م ولكنها أُنقصت من وجوه مختلفة في غضون السنة ولذلك لا ينتظر انها تزيد على ١٦٠٠٠ ج . م . وزادت مصروفات التلغراف نحو ٦٥٠٠ ج.م لانهُ لما وضعت الميزانية لم ينظر فيها الى النفقات اللازمة لتمديد خطوط التلغراف وقد أُنفق الاعتماد الاضافي وهو ١٥٠٠٠ ج . م على انشاء البرابخ والكباري جنوبي الاتبرة

ولا يزال الفرق عظيماً بين المصروفات والايرادات ولكن جانباً كبيراً من المصروفات صُرف على انشاء مبانٍ وعلى اعداد المعدات اللازمة ابتداء في الادارات المختلفة مما لا يحسب عادة بين المصروفات العادية بل يعيَّن لهُ مال خاص من موارد أُخرى غير موارد الايرادات الى ان تكثر ايرادات البلاد وتصير كافية للانفاق على ما يُعَدُّ رأس مال للمستقبل

وميزانية سنة ١٩٠١ على ما يأتي بالجنيهات المصرية

الايرادات

البند	المبلغ	المجموع
الخرطوم	١٩٠٠٠	
بربر	١٠٠٠٠	
دنقلة	٢٨٠٠٠	
سنار	٠٤٠٠٠	
كسلا	٠٣٥٠٠	
سواكن	١٠٠٠٠	
حلفا	٠٤٥٠٠	
فشودا	٠١٠٠	
كردفان	٠٠٤٠٠	٧٩٥٠٠
من مبيع ذرة رسوم جليلة صنفاً	٢٦٠٠٠	
جزية القبائل	٠٨٠٠٠	
ايرادات عمومية	٠٢٠٠٠	٣٦٠٠٠
البوسطة	٥٠٠٠	
التلغراف	٤٠٠٠	
سكة الحديد	٦٣٠٠٠	٧٢٠٠٠
ما تدفعهُ الحكومة المصرية لسد العجز في ايرادات السودان		٤١٧١٧٩
الجملة		٦٠٤٦٧٩

المصروفات

البند	المبلغ	المجموع
الخرطوم	٢١٣٧٤	
بربر	١١٧٤٧	
دنقلة	١٣٥٠٠	
سنار	١٤٣٩١	
كسلا	٠٨٨٣٨	
سواكن	١٥١٢٨	
حلفا	٠٢١٥٤	
فشودا	٠٣٧٠٠	
كردفان	٠٨٤٣٧	٩٩٢٦٩
الادارة المركزية	٢٣٩٠٨	
السكرتير القضائي والمحاكم	٠٥٠٣٢	
ادارة المخازن	١٣٦٥٢	
المعارف	٠١٠٧٥	
مدير الغابات	٠١٢٠٠	
السجون	١٠٠٠٠	
ادارة الحيوانات البرية	٠١٢٠٠	
طاعون مواشي مطبعة مساحة	٠٦٢٥٠	
المستشفيات	٥٤٠٩	
المصروفات العمومية	٢٧٢٧٩	٩٤٩٩٥
الاشغال العمومية	٢٠٠٠٠	
البوسطة	٠٨٧٨١	
التلغراف	١٦٠٠٠	
سكة الحديد	١٤٣٠٠٠	١٨٧٧٨١
ما تدفع الحربية عن جيش السودان		٢٢٢ ٦٣٤
الجملة		٦٠٤٦٧٩

ويرجى ان تكون النتيجة موافقة لهذا التقدير ولا تنقص الايرادات عن المصروفات نقصاً عظيماً ولكن لا بدَّ من القول ان التقديرات المتقدمة قدّرت بغاية الاقتصاد والتقتير واعتمادنا في الايرادات الآن على اموال الاطيان . فيبذل المديرون اقصى جهدهم في كل المديريات ليرغبوا الاهالي في زرع ارضهم ويسهلوا لهم كل السبل لاقتناء المواشي ونتيجة ذلك مفيدة جداً من غير ريب وكل الدلائل تدل على ان الايرادات من هذا الباب ستزيد زيادة مستمرة

وقد بذل الماجور برنارد اقصى جهده في وضع اساس ثابت لمراقبة الحسابات ومراجعتها ونشرت تعليمات كثيرة مع ميزانية هذه السنة اساساً لهذه المراقبة . ويرجى ان هذه التعليمات تكون مرشداً لزيادة الدقة والانتظام

ومما يحسن ذكره ان كل حسابات حكومة السودان في كل فرع من فروعها صارت الآن تحت مراقبة مصلحة السودان المالية فحسابات التلغراف والبوسطة نقلت من الحربية الى المالية سنة ١٨٩٩ وحسابات سكة الحديد سنة ١٩٠٠

وتقدمت مصلحة البوسطة في السودان في العام الماضي تقدُّماً يذكر ليشكر ولكنها لا تزال مفتقرة الى شيء كثير ليزيد نفعها . وقد جرى العمل فيها على اصول صحيحة وبلغت المكاتب التي فتحت لقبول التحاويل المالية ١٣ مكتباً وزاد التدقيق والانتظام في ارسال المكاتيب والطرود وتسليمها وقلَّت الشكاوى كثيراً من فقد المكاتيب واضاعة الطرود . ويقال بنوع عام ان الاصلاح واضح في كل فرع من فروع هذه المصلحة . ولا تزال ايراداتها دون نفقاتها لانهُ ينفق كثير على استئجار الجمال لنقل البوسطة الى الاماكن البعيدة عن النهر وعن سكة الحديد. وقد فتحت بعض المكاتب لاجل مخابرات الضباط والجنود ولا ريب لما كان كذلك

وختاماً لما ابديتهُ عن الحالة المالية اتجاسر بان اشير الى النجاح البين الظاهر من كل وجه وفي كل فروع الادارة

فقد بُنيت الحسابات العمومية على اسس وطيدة ونُقل مكتب المالية الاجرائي الى الخرطوم ونظم فرع مراجعة الحسابات تنظيماً تاماً وتُرك في القاهرة لان ذلك مما ظهرت الحاجة اليهِ منذ زمن طويل واشار بهِ الكولونل ستورت في تقريرهِ المفيد عن السودان سنة ١٨٨٢ حاسباً اياهُ من جملة الاصلاحات الادارية

ومسحت الارض بقصد ربط الضرائب عليها . والعمل جارٍ في حفر الترع للري في بعض المديريات وينظر في حفر ترع اخرى في مديريات اخرى . وشُجّع الناس على اخذ الرخص

لوضع الآلات الرافعة . ولدينا مشروع لتقديم المواشي الى بعض المديريات مساعدةً للاهالي على ادارة سواقيهم وزرع اكثر ما يمكن زرعهُ من اطيانهم . ولم يُضَنّ عليهم بمساعدة من حيث تقديم التقاوي لهم قرضاً لكي يسهل عليهم الزرع ولا يلجأوا الى المرابين . ويرجى ان تظهر نتائج ذلك سريعاً بزيادة الحاصلات والايرادات . ورغماً عن هذا النجاح البيّن لا تزال البلاد كلها تطلب زيادة من المال ومن المواشي اللازمة للري ومن الموظفين الكبار ومن المراقبة الشديدة تسهيلاً لادارتها ونزعاً لكل ما يعود بالناس الى المساوىء القديمة مثل الرشوة والتزلف اللذين يميل اليهما بعض المستخدمين الوطنيين اشد الميل وينغمسون فيهما ما لم يروا انفسهم تحت اشد المراقبة . وطلب هذه الاموال سواء كان لترقية البلاد او لسد حاجة الاهالي الذين انهكتهم سنو الحروب والمظالم لا يجاب الاَّ بما قالهُ اللورد كرومر لما رأى الحاجة الحقيقية وخاطب علماء السودان ووجوههُ وشيوخهُ المجتمعين في الخرطوم قائلاً

"لا يبرح من الاذهان انهُ مهما كانت الرغبة شديدة في كل اصلاح لذاتهِ لا بدَّ من ان يراعي في اتمامهِ شرطان الاول ان لايزاد المال الذي يدفعهُ المصريون لاجل السودانيين والثاني ان يبقى المال الذي يدفعهُ السودانيون قليلاً على قدر الامكان"

هذه خلاصة الاحوال . ومع اعترافي بفضل الحكومة المصرية بما تكرّمت بهِ لادارة السودان اراني مقصراً في ما يجب عليَّ كنائب في تلك البلاد عن جلالة الملك وسمو الخديوي اذا لم اشر الى ان تنظيم الادارة في السودان تنظيماً تاماً يقتضي زيادة في المال

الاستعمار

أُريد في اوائل السنة ارسال جانب من الحامية الكبيرة التي كانت مجتمعة في ام درمان وتفريقها في المديريات المختلفة . ثم لما عمت الطمأنينة البلاد كلها تيسر تقليل الجيش المصري كثيراً . فالغيت اورطتان من الاورط المصرية وقلت قوة الاورط السودانية والمصرية معاً وانقص عدد الفرسان وغيرهم وبذلك كثر الاقتصاد

وسُمح لكثيرين من الجنود السودانيين ان يتركوا الخدمة وكانوا قد وُعدوا بان يسمح لهم بذلك حينما تفتح السودان . واختار كثيرون منهم العود الى اوطانهم ولكن رضي ثمانمئة منهم ان ينشئوا مستعمرات في جهات مختلفة من السودان يسكنونها هم ونساؤهم واولادهم فانشئت لهم القرى على البحر الازرق والابيض وفي مركز كسلا . ويظهر مما يُرى حتى الآن ان هذه المستعمرات ستنجح ويكون منها نفع للمديريات التي انشئت فيها . وقد منح كل مستعمر فدانين الى ثلاثة من الارض الجيدة التي يسقيها المطر (العذي) او ارض المراعي وفداناً من

الارض التي يرويها النيل عدا التقاوي التي يعطاها مجاناً . واعطي كل رجل وامرأة وولد ما يكفي من الذرة لطعامهم الى ان يحصدوا ما يكفيهم . وتُنظَم هذه المستعمرات على نظام عسكري فيختار لكل مستعمرة واحد من صف الضباط رئيساً او شيخاً عليها . وقد صار في بعض هذه القرى اسواق دوربة ويرجى ان تنشأ فيها المساجد والمدارس بعد حين . ولا بدَّ من ان تختار مواقع المستعمرات في الاماكن التي يكثر فيها وقوع المطر لان الاراضي التي لا تروى الأ بالسواقي او بالشواديف لا تصلح لمثل هؤلاء المستعمرين على ما يظهر لانهم لا يحملون الاعمال الشاقة ولذلك لم تفلح المستعمرات التي انشئت في بربر ودنقلة فهاجر اهاليها منها الى جهات اخرى . وكل المستعمرات تحت مراقبة مراقبين من الانكليز وقد تفاءلوا كلهم بنجاحها

سكة الحديد

وصلت سكة الحديد الممدودة من حلفا الى الحلفاية على البحر الازرق قبالة الخرطوم في ٣٠ دسمبر سنة ١٨٩٩

ولا تخلو الاحصاءات التالية من الفائدة ولكن لابدَّ قبل النظر فيها من اعتبار هذه الامور وهي

(١) ان هذه السكة مُدَّت لاجل الجيش وقت الحرب فاختير طريقها ونوعها وموادها حتى تفي بهذا الغرض

(٢) ان نصف السكة في قفر قاحل ولا يحتمل ان يكون منهُ اقل دخل ولا بدَّ من النفقات لحفظهِ مثل باقي السكة

(٣) كل قطار يقوم من حلفا قاصداً الخرطوم لابدَّ من ان يحمل معهُ ٩٥٠٠ جالون من الماء لآلتهِ البخارية وهذه خسارة كبيرة في ما يستطيع حملهُ

(٤) كل الجنود وموظفي الحكومة وكل لوازم الحكومة ومهماتها تنقل على هذا الخط مجاناً. ولا بدَّ ايضاً من ان تعطى بعض تذاكر السفر مجاناً لغير رجال الحكومة

(٥) ان نقل البضائع من الجنوب الى الشمال قليل جداً الآن الأ في بعض شهور السنة ولكنهُ آخذٌ في الازدياد على نسبة تقدم التجارة في البلاد . ويكثر نقل التمر على خط الحكومة في اواخر السنة . ويُقدَّر انهُ يصدر من السودان في العام المقبل مقدار كبير من الصمغ العربي من كردفان وغيرها ويحتمل ان يصدر منهُ مقدار كبير من الذرة ولكن الذرة السودان ليست رائجة في مصر . وينقل جانب من الحنطة من دنقلة الى الخرطوم مؤونة للجيش

(٦) والهمةُ مبذولة للاعتماد على ما في بلاد السودان من المواد لكي يقل ما ينقل اليها

الآن من مواد البناء والمهمات اللازمة لاقامة المباني واطعام الجيش حتى تتفرّغ سكة الحديد لنقل بضائع التجار . وقد أُوصي على مركبات جديدة لنقل البضائع فيتسع المجال لنقل بضائع التجار

وطول سكة الحديد في السودان الآن ٧٧٩ ميلاً

وبلغ الدخل من نقل الركاب	٦٧٠٣	ج . م
وقيمة نقل الضباط والجنود وعيالهم مجاناً	٤٨٧٨٨	» »
» » غيرهم من الملكيين »	٠٦٠٩٣	» »
اجرة نقل البضائع والمواشي »	٢٧٥٥٥	» »
قيمة نقل مهمات سكة الحديد »	١٦٩٤٤	» »
قيمة نقل المهمات لمباني الحكومة ونحوها على فرض اجرة نقل القنطار ١٠ غروش	٤٠٦٤٦٨	
وجملة الايرادات	١٤٦٥٥١	
يطرح من ذلك ما لم تؤخذ اجرته من الركاب والبضائع	١١٢٢٩٣	
فالربح الصافي	٠٣٤٢٥٨	
نفقات التشغيل (ما عدا نفقات الانشاء)	١١٣٣٥٠	

ولذلك فنفقات التشغيل تساوي ٧٧ في المئة من جملة الايرادات فهي كثيرة ولكن لا يبرح من الاذهان ان البضائع التي تنقل الآن من الجنوب الى الشمال لم تزل قليلة جدًّا

وبلغ عدد القطرات التي سارت على هذا الخط ذهاباً واياباً مدة السنة ٧٢٨ فكأنها سارت ٤١٩٤٤٠ ميلاً . وعلى خط الكرمة ٣٤٨ قطاراً فكأنها سارت ٧٠٥٦٠ ميلاً . ونفقات سير القطار ميلاً واحداً هكذا

على خط الخرطوم نحو ٢٢ غرشاً . وعلى خط الكرمة نحو ٢٥ غرشاً

و يظهر مما تقدم انهُ لو دُفعت الاجور المعتدلة عن نقل كل الركاب والبضائع التي تنقل الآن مجاناً لاجل الحكومة لبقي من الايراد ربح معتدل . ولكن يقال من جهة اخرى ان اكثر الموظفين والعمال على هذا الخط من رجال الحربية ولذلك فرواتبهم اقل كثيراً مما لو كانوا ملكيين

وكان في النية وضع مركبات النوم هذا الشتاء على هذا الخط ولكن شركة مركبات النوم لم تستطع تقديم المركبات اللازمة في الوقت فأُهمل ذلك هذه السنة . ويُنتظر ان تُعدّ المعدات اللازمة لتسهيل سفر السياح في الشتاء المقبل

وقد انشئ هذان الخطان اصلاً في زمن الحملة وكان لا بدّ من الاسراع في انشائهما ولذلك لم يكن العمل على ما يُرام من حيث المتانة

فلما هطلت الامطار الغزيرة في السودان حديثاً قطعت في الخطين ٢٨٩ قطعاً وكان السفر عليهما يتوقف احياناً اسابيع متوالية فيختل نظام الاتصال ولولا التحوّط لذلك لخيف من نتائجهِ في السودان فوق توقيف اعمال البناء في الخرطوم

وبناء على ذلك وعلى ان العسر المالي يقتضي تقليل النفقات الى الغاية القصوى دعت الضرورة الى طلب اعتماد خصوصي لترميم ما لا بدّ من ترميمهِ على ما في تقرير الماجور مكولي (مدير سكك الحديد) الذي لهُ فضل كبير على ادارة سكة السودان في احوال كثيرة المصاعب

القضاء

أُشير في التقرير السنوي الماضي الى بعض الاوامر التي نشرت تمهيداً لمجموع القوانين المدنية التي قُررت حينئذٍ او اريد تقريرها للعمل بها في بلاد السودان لكي يكون في البلاد نظام بسيط للقضاء يسهل الجري عليهِ . وقد مرّت سنة الآن فيمكن النظر في صلاحية هذه الشرائع ووصف الاوامر الجديدة التي يدعو اليها ما علم بالاختبار من احوال السكان

فقد ثبت ان قانون العقوبات وافٍ بالغرض (الا في ما ندر) لكل الجرائم التي ارتكبت في العام الماضي وقد اعترف السكان غالباً بعدل الجزاء المرتب على الجناية

اما قانون تحقيق الجنايات فوُجد انهُ يستحيل العمل بهِ من حيث القبض على المتهم وتحقيق التهمة ولذلك استُعملت اساليب اخرى ابسط من اساليبهِ وهي مما يدركهُ اهالي السودان بسهولة ولو كان ينقصهُ بعض ما يقي البريء مما هو موجود في القانون . ولم يُغض الطرف عن ان صغار الموظفين لا يحسنون التصرُّف اذا لم يكونوا مقيدين بقوانين مدققة في تحقيق الجنايات . والعمل جارٍ في اعداد السجلات وستكون مرشداً مفيداً وتجعل مراقبة ضباط البوليس وصغار القضاة افعل مما كانت حتى الآن

قال المستر بُنهام كارتر السكرتير القضائي في تقريرهِ ما يأتي

"راجعت في غضون السنة تحقيقات كل مجالس المديريات وغيرها من المجالس ويمكنني ان اقول ان اجراء العدالة بلغ درجة عليا في الامور الجوهرية . ويؤتى بالمتهمين لاجل التحقيق باقل ما يمكن من التأخر نظراً لصعوبة المواصلات . ويجري التحقيق بالعدل حسبما ينتظر من نظام المحاكم وعلى اسلوب ينظر فيهِ الى مدلول القانون والى الصبر والتأني للحصول على ادلة لم تكن منتظرة"

والعقوبات خفيفة في الغالب وقد نفذ الحكم بالاعدام في اربعة اشخاص . وفي طاقة المحاكم

ان تحكم على القتلة بالسجن بدل الاعدام . واطول مدة السجن لاي عقوبة كانت حسب هذا القانون اقصر مما هي حسب الشريعة الانكليزية . وقد كان ميل القضاة من الضباط الى الرأفة بالمجرمين وحوكم ثلاثة من الاوربيين مدة السنة وحُكم عليهم بالحبس مدداً قصيرة لكن لما رأينا الحبوس لا تصلح لاقامتهم فيها أُطلق سبيلهم على شرط ان يبرحوا السودان حالاً . وقبض على اوربي آخر مجرم وأُتي بهِ الى الحدود وسُلّم الى رجال قنصلهِ

وقد ساعد المستر برنيات من قلم قضايا الحكومة المصرية المستر بنهام كارتر في جمع اوامر قانون مدني نُشرت في ابريل الماضي . وهذه الاوامر على نسق قانون المرافعات الهندي المستعمل في بيشوانالند وبرما التابعتين لبريطانيا . ويفرض ذلك القانون وجود اربعة محاكم مختلفة الاولى القومسيون القضائي وهذا المنصب يشغلهُ الآن السكرتير القضائي والثلاثة الباقية مجالس القضاة من الدرجة الاولى والثانية والثالثة فالتي من الدرجة الاولى تحكم في كل القضايا من غير قيد من حيث قيمة القضية والتي من الدرجة الثانية تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٠٠ جنيه والتي من الدرجة الثالثة تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٥٠ غرشاً

وتستأنف احكام المحاكم التي من الدرجة الاولى والثانية الى المدير وتستأنف احكام المدير الى القومسيون القضائي

وكانت المصاعب كثيرة حتى الآن في العمل باوامر القانون المدني لكن ابتدأ العمل بها في ام درمان ابتداء حسناً فسمعت مئة قضية وقضيتان وسمع في غيرها عشرون قضية فقط عدا قضايا العقار التي يفصل فيها قومسيون مخصوص معين لذلك

ولا بدّ من وضع قانون للربا ولكن وضع هذا القانون يقتضي بحثاً مدققاً . فقد رفعت دعوى الى المستر بنهام كارتر حُسب فيها الربا ١٥ في المئة شهرياً بالنسبة الى رأس المال وكان سند الدين يغيَّر شهرياً ويحسب لهُ فائدة مركبة. والدائن من مستخدمي الحكومة وكان مشدداً الطلب على المديون طالباً ايفاء الدين. فكان الحكم ان يُجعل الربا عشرين في المئة فقط سنوياً وجرى مثل ذلك في قضايا اخرى من هذا القبيل

ومفاد القواعد التي في اوامر القانون المدني ان المسائل المتعلقة بالارث والهبة والزيجة والعلاقات العائلية والوقف تُفصل بموجب الشريعة المحمدية اذا كان الخصوم من المسلمين وان كانوا من غير المسلمين فبموجب ما هم خاضعون لهُ من الشرائع والاحكام وان لم يكن لهم شرع فالمجلس يحكم بينهم حسب شرعة العدل والانصاف والذمة . ويرى السكرتير القضائي ان وضع

قانون عام على مبدإِ القانون المدني لا يصح الاَّ بعد ان ينصب قضاة قانونيون

وقد ابتدأ التقاضي بالحقوق المدنية ابتداء حسناً ولكن يستحيل على غير القضاة الذين تخرَّجوا في علم القانون ان يحكم بموجب القانون المدني . وفي النية تعيين قاضٍ مدني لمديرية الخرطوم في غضون هذه السنة ثمَّ متى تيسَّر المال يعين غيرهُ في جهات اخرى من البلاد

وقد انشئت المحاكم الشرعية في اكثر المدن الكبيرة في السودان . وهي ليست على ما يرام ولم يقبل بالراتب الذي تدفعهُ حكومة السودان الاَّ قاضٍ او قاضيان من الذين مارسوا القضاء الشرعي سواءٌ كانوا مصريين او سودانيين . والذين لهم شيء من الالمام باصول الشريعة الاسلامية يجهلون غالباً كيفية العمل بها وتطبيقها فلا يستوفي العدل حقهُ

ولا استطيع ان اختم هذا الفصل عن نجاح الاصلاح القضائي في السودان ما لم اعرب عن شكري الخالص للمستر بنهام كارتر على الخدم الجليلة التي خدم بها هذا الفرع من فروع الحكومة بهمة لا تعرف الملل وعلى النجاح الذي نجحهُ في تنظيم التقاضي في السودان

امتياز المعادن

ان الامر الذي صدر سنة ١٩٠٠ من حيث الترخيص بالبحث عن المعادن ابقى للحاكم العام وضع الشروط التي تعطى الرخص بموجبها لكنهُ وضع بعض الحدود العمومية التي لا بدَّ من العمل بها في كل الرخص التي لا يذكر فيها اتفاق صريح على شروط تخالفها . ثم اثبت الاختبار ان الشروط المتضمنة في الامر المشار اليهِ لا توافق الباحثين عن المعادن نظرًا لصعوبة المواصلات وجهل البلاد حيث ينتظر وجود المعادن . ولذلك اهملت هذه الشروط من الرخص التي منحت وتم الاتفاق على شروط اخرى وهذه الشروط تختلف تفصيلاً باختلاف الرخص ولكنها تتفق كلها جوهريًا

وجرت المذاكرة لاعطاء امتيازات ببعض المعادن في غضون السنة وتمَّ الاتفاق في بعضها ولكن لا ينتظر ان يتسع نطاق البحث عن المعادن الاَّ بعد ان يتم تخطيط التخوم بين السودان وبلاد الحبش وبفتح جنوبي كردفان

وقد ارسلت شركة البحث في السودان المصري بعثةً في اوائل العام الماضي بادارة السر رودلف سلاتين (ولم يكن قد دخل في خدمة حكومة السودان حينئذٍ) الى البلاد التي جنوبي الابيض . واشتغل فريق من الباحثين عن المعادن في ارض منحت لهم في جوار سواكن واخذ فريق آخر يشتغل قرب حلفا . وتمَّ الاتفاق على البحث عن معادن البلاد التي بين البحر الابيض والازرق شمالي نهر طات

حفظ حيوانات الصيد

ان الامر الذي نُشر في شهر فبراير الماضي سنة ١٩٠٠ ذكر مفاده في تقرير السنة الماضية وفيهِ ان الصيادين الاجانب لا يباح لهم الصيد الاَّ برخصة يأخذونها . وهناك رخصتان الواحدة ثمنها ٢٥ جنيهاً واسمها رخصة وبباح لحاملها ان يصطاد كل ما يصاد من الحيوانات ما عدا قليلاً من الحيوانات التي مُنع صيدها منعاً مطلقاً . والثانية ثمنها ٥ جنيهات واسمها رخصة ب ويمنع صاحبها من صيد بعض الحيوانات النادرة

وقسمت الحيوانات والطيور الى اربعة صفوف . وقد اشار المديرون في تقاريرهم التي وصلت في غضون السنة عن الحيوانات التي تصاد الى انهُ يحسن ان تقسم تقسيماً يختلف باختلاف البلدان ولذلك صدر اعلان في غزطة السودان الصادرة في شهر يناير سنة ١٩٠١ عدد ١٩ تقسم بلاد السودان بحسبهِ الى اربعة اقسام

ويطلب من كل من بيدهِ رخصة ا ان يدفع رسماً عن كل حيوان يصيدهُ مما هو معدود في الصف الثاني واذا صاد انثى فالرسم اكثر ولا يجوز صيد الانثى من الصف الثاني مطلقاً اذا عرف الصائد انها انثى واذا صاد فيلاً وجب عليهِ ان يدفع ايضاً الرسم المقرر على عاجهِ

وفي الامر الصادر سنة ١٩٠٠ لحفظ الحيوانات يطلب من الاهالي ايضاً ان يأخذوا الرخص ولكن ذلك لا يصدق الاَّ على الاماكن التي نشر فيها عنهُ اعلان من الحاكم العام . ومأمور الرخص يضع شروطها . وجرى العمل بهذا الامر في كسلا ومنحت الرخص لشيخين او ثلاثة من شيوخ القبائل ليصيدوا عدداً محدوداً من الحيوانات الكبيرة . ولا يدفعون شيئاً عن هذه الرخص ولكن يُطلب منهم ان يخبروا المدير اذا اصطادوا فيلاً او زرافة او جاموساً برياً او غير ذلك من الحيوانات المخصوصة ويدفعوا عن كل حيوان رسماً يختلف من جنيه الى ثمانية لان هذه الحيوانات مطلوبة روامزها في كسلا فلا يصعب على الاهالي دفع هذا الرسم

وقد صدر من البلاد كثير من روامز الحيوانات البرية في السنة الماضية . والتجارة جارية في جلود الحيوانات وما يحفظ منها تذكاراً

ويُخشى انهُ اذا لم يكن على هذه التجارة شيء من المراقبة آلت الى استئصال الحيوانات النادرة . ولذلك وُضع اصدار الحيوانات البرية والطيور البرية تحت مراقبة الحكومة في الامر الصادر سنة ١٩٠١ لحفظ الحيوانات البرية . والبند الثاني منهُ يمنع تصدير الحيوانات البرية والطيور البرية وجلودها وريشها وقرونها في حالتها الطبيعية ما عدا انياب الافيال وقرون

وحيد القرن وريش النعام ما لم تأذن الحكومة بذلك وهذا المنع لا يعمُّ الحيوانات والطيور التي تصاد بالرخصة

وفي طاقة الحاكم العام ان يسمح بتصدير الحيوانات والطيور التي لا يخشى انقراضها وان يضع عليها رسمًا

ودُبرت التدابير لانشاء مصلحة مخصوصة في الحكومة تحت نظر الكبتن فلور مدير حديقة الحيوانات في الجيزة لترى في المسائل المتعلقة بحيوانات السودان وطيوره البرية

وتعطي هذه المصلحة الرخص لتصدير الرواميز الحية برسم يعين بعدُ وتقدم الرواميز الحية لحدائق الحيوانات والمعارض ونحوها

التعليم

تولى المستر بنهام كارتر النظر في امر التعليم الابتدائي الذي ابتدأ بادارته فوق مهامهِ القضائية . فنتجت منهُ نتائج تشهد لهُ بالهمة وحسن النظر في العواقب وذلك قبل وصول المستر جمس كري مدير المعارف في السودان وناظر مدرسة غوردون

ووصل المستر كري في نوفمبر الماضي ومن حين وصولهِ وهو موجه كل التفاتهِ الى هذا الموضوع الهام جدًّا وقد وضع عنهُ تقريرًا مفيدًا اعرب فيهِ عمَّا يظنهُ افضل اسلوب يتبع في السودان لنشر المعارف وقد اقتبست منهُ ما يأتي

"لا بدَّ من ان يكون التقرير الاول عن احوال المعارف في السودان من نوع الانباء بالمستقبل لا الإخبار بالماضي اي يكون فيهِ ذكر ما يتوقع حصولهُ لا وصف ما حصل . ولعلَّ اقرب ما يمكن ذكرهُ وصف حاجة البلاد الحاضرة الى التعليم وما جرى حتى الآن لسد هذه الحاجة . ولا داعي للبحث عن معايش السكان عمومًا الاَّ من حيث ما يشتركون فيهِ وهو الفقر المدقع . والبلاد كالعباد فانها تعتمد على ما تمنحها اياهُ مصر من الاموال وفيها كل الادواء المزمنة المترتبة على قلة المال فتضطر ان تسير سيرًا بطيئًا وتجتنب كل ما يدعو الى النفقات على ادارة التعليم وكل ما لا تفتقر اليهِ افتقارًا شديدًا وتزيد هذه الامور وضوحًا يومًا فيومًا"

وامسُّ ما تحتاج اليهِ البلاد الآن

اولاً تعليم الصنائع لفرقة من الوطنيين

ثانيًا نشر شيء من التعليم بين الاهالي كافٍ لجعلهم يفهمون اغراض الحكومة

ثالثًا تدريب بعض الوطنيين على الاعمال التي تؤهلهم لاخذ الوظائف الصغيرة في الحكومة

اما من حيث الامر الاول فليس في السودان الآن احد من الصناع لا نجارين ولا بنائين ولا حدادين ولاخياطين ولا نساجين . ولابدَّ من المجيء بهؤلاء الصنَّاع من اوربا او من مصر واجورهم حينئذٍ كبيرة تثقل على عاتق اهالي السودان . وفي النية انشاء مدرسة صناعية كبيرة في الخرطوم سدًّا لهذه الحاجة تكون متصلة بعنابر الحكومة وترساناتها . ويمكن ان يكون لها فرع في حلفا متصل بعنابر سكة الحديد هناك . وقد اهتم مديرا دنقلة و بربر بذلك من الآن . ولكن لا بدَّ من ان يمضي زمن قبل الشروع في هذا المشروع في الخرطوم لان الولد لا يستطيع ان يمارس مبادئ الصناعة قبلما يصير عمرهُ ١١ سنة او ١٢ سنة . وليس في المدرسة الآن عدد كبير من الاولاد الذين في هذا السن

والتعليم واجب ديناً عند المسلمين ولذلك تجد الكتاتيب منتشرة في بلاد السودان بالمئات وقد وصفها اللورد كرومر في تقريره عن العام الماضي وصفاً يغني عن زيادة التفصيل . وكان في النية مساعدة هذه الكتاتيب بالمال ثم اتضح انهُ لم يحن الوقت لذلك . وأُشير بانشاء بعض الكتاتيب المتقنة التي تجعل مثالاً لما يجب ان يكون عليهِ الكتَّاب و يُوتى اليها بالمعلمين من مصر وقد انشئ بعضها في الخرطوم وام درمان و بربر ودنقلة وود مدني وحلفا وسواكن و يراد انشاء غيرها ايضاً وتعلم فيها فروض الديانة والقراءة والكتابة والحساب وقد بُذلت الهمة لاصلاح كتاتيب الجنود

اما إعداد اهالي السودان لوظائف الحكومة فاحسن سبيل لهُ في رأيي انشاء مدرستين او ثلاث من المدارس الابتدائية مثل المدارس التي انشئت في وادي حلفا وسواكن منذ اكثر من عشر سنوات

والحكومة في اشد الحاجة الآن الى شبان سودانيين متعلمين للجيش ولفروع الخدمة الملكية وسكك الحديد والتلغراف وزد على ذلك ان الموظفين المصريين والضباط الذين في حكومة السودان يودون ان تكون المدارس التي يعلمون فيها ابناءهم قريبةً منهم . فانشئت مدرسة للتعليم الابتدائي في ام درمان منذ شهر اكتوبر الماضي وقد كثر عدد تلامذتها كثيرًا حتى زادوا مرتين على ما تسع وهي الآن مزدحمة بهم . يحضرها يومياً مئة وعشرون تلميذًا والتعليم فيها مثل التعليم في المدارس المصرية الابتدائية او ابسط قليلاً ليوافق حالة السودان . ونسبة التلامذة المولودين في السودان الى التلامذة المصريين نسبة ١١ الى ٢ وكثير من التلامذة من ابناء امراء الدراويش السابقين او مشايخ القبائل

و يظهر ان الاهالي يقدرون اهتمام الحكومة بتعليم ابنائهم قدرهُ و يعلمون ان لا غرض لها

في التعرُّض لدينهم . وكل المعلمين حتى الآن من المسلمين

لكن وجود المعلمين ليس بالامر السهل وحتى الآن أُخذوا من نظارة المعارف المصرية . والصعوبة شديد في وجود المعلمين الاكفاء الذين يرتضون بالانتقال الى السودان ولكن لا ارى سبيلاً آخر من الآن الى عدة سنوات . ويحتمل ان تنشأ مدرسة لتعليم المعلمين ولكن ذلك يستدعي ان يكون في السودان التعليم الثانوي (العالي) وهو مما لاسبيل اليهِ الآن فلا بدَّ من تركهِ الى المستقبل

وتقدَّم البناء في مدرسة غوردون في غضون السنة الماضية وقد دعت الحال الى تحوير الرسم الاصلي اذ ظهر ان نفقات العمل بهِ تزيد عمَّا قدّر لها . فلما كنت في لندن في الصيف الماضي عرضت على اللجنة المعينة للنظر على المال المجموع لهذه المدرسة ما حسبتهُ لازماً من التحوير فاستصوبتهُ وينتظر ان تتم المدرسة في مدة سنة بحيث تمكن الاقامة فيها ويكون التعليم قد تقدَّم هناك تقدماً يأذن بجعل العلوم فيها على نسق ما تكون في المدارس العالية . قال المستر كري في تقريرهِ عن هذا الموضوع

"ان نفع هذه المدرسة ضيق النطاق الآن طبعاً ولكنهُ سيتسع كثيراً كما اثمرت الوسائل المتخذة لنشر التعليم الابتدائي في البلاد . ويمكن ان نجني منها فائدة الآن ولكن فوائدها لا تقدَّر بعد خمسين سنة . وما نراهُ من فخامة بنائها لا ينسينا ما هي المعارف عليهِ الآن من سوء الحال في تلك البلاد . واذا حاولنا استخدام هذه المدرسة قبل اوانها لا نكون قد قمنا بالواجب نحو الفكر الذي اخرجها من عالم التصوُّر الى عالم الحقيقة لا سيما وانها بنيت منظوراً فيها الى حاجة السودان الحاضرة وما يحتاج اليهِ السودان الجديد . ولو كانت دون ما هي عليهِ من فخامة البناء لما استحقت ان تكون نتيجة للفكر الذي تصوَّرها وللكرم الذي جعل هذا التصور مما يمكن العمل بهِ ولكن الثمار لا تجنى في سنين قليلة . مثال ذلك ان البناء معدٌّ ليكون فيهِ طعام التلامذة ونومهم ولكن الطعام والنوم ضرب من المحال الآن ولا بدَّ من الانتظار وعليهِ فلا بدَّ من ان تنتظر المدرسة كلها الى ان ينتقل الناس من ام درمان الى الخرطوم . والبناء نفسهُ لا يتم تماماً قبلما يتم هذا الانتقال

"ولكن الحكم بان النجاح لا يكون الأ تدريجاً لا يستلزم ان يترك هذا البناء من غير استعمال حينما يتم . فارتأي ان توضع المدرسة الصناعية في الغرف المعينة لها في الرسم وهو مكان مناسب لها لان ترسانة الحكومة امامهُ على الجانب الآخر من النهر ومدير الورش قريب منهُ وحينما ينتقل الناس الى الخرطوم تنتقل المدرسة الابتدائية اليهِ ايضاً . ومن غرضي ان اضع فيهِ ما يأتي

"—ا مكتبة عمومية للمراجعة في السودان
"—ب معرض صناعي زراعي ليساعد على ا تقاء البلاد التجاري
"—ج مرصد متيورولوجي ومرصد فلكي صغير
"—د معمل كيماوي"

ولا يقوم فرع من هذه الفروع وحده من غير المدرسة مع ان كلاً منها لازم للسودان ومفيد له جدًّا . ومتى ارتقت البلاد وزادت حاجاتها العلمية امكن نقل هذه الفروع الى مبانٍ خاصة بها

طاعون المواشي

لا داعي للاشارة هنا الى تاريخ هذا الوباء وتقدمهِ شمالاً في افريقية وحسبُنا القول انهُ عاث في بلاد الحبشة عدة سنوات وانتشر منها الى المستعمرة الايطالية واماكن مختلفة من السودان الشرقي . وظهر في ابي حراز على البحر الازرق في شهر فبراير سنة ١٩٠٠ تابعاً مجرى نهر دندر . واستأصلت شأفتهُ هناك ولم يُسمع عن حادثة منهُ حتى شهر ابريل حين ظهر على البحر الابيض قرب كاوى وفي جزيرة ابا وبُذلت الهمة في منع انتشارهِ جنوباً الى بلاد الدنكا فقطع النهر ولم يستأصل من الدويم وكاوى حتى شهر يوليو

وظهر على غير انتظار في شهر يونيو في كوكو التابعة لمركز الحلفاية على البحر الازرق ولكنهُ لم ينتشر لحسن الحظ مع انهُ عاد فظهر بعد بضعة اشهر في الجريف ووصل الى بوري وهي قرية مجاورة للخرطوم . واشد ما ظهر بهِ ظهورهُ الاخير قرب ام درمان

ونحن نستخدم الفرسان والبوليس لمنع انتقال المواشي وانتشار الوباء ولكن بلغني وانا اكتب هذه السطور انهُ ظهر في قرى عند شلال شبلوكة وفي داخلية البلاد الى الشرق والغرب من تلك الجهة

وقد بذلت مصلحة الطب البيطري بادارة النشيط الهمام الماجور غرفث كل الجهد لاستئصالهِ ولا تزال تبذل جهدها في ذلك

وبُني معمل لاستخراج المصل في الحلفاية وأُعدَّت المعدَّات اللازمة لجلب كل ما يلزم لهُ من الادوات سريعاً . واستخدم ثلاثة من الجراحين البيطريين الذين اختبروا طاعون المواشي ومعالجتهُ في جنوبي افريقية وغيرهِ وأُتي بالمصل المضاد لطاعون المواشي من جنوبي افريقية والقسطنطينية

و يظهر من ذلك انهُ بذلت كل واسطة لاستئصال هذا الداء . ولم يعين مال لمقاومتهِ في الميزانية ولكن لم يُضن بمال ولا بجهد في سبيل استئصالهِ ان امكن ومنعهِ من الامتداد شمالاً

وجاء الاستاذ كول من معمل كوخ في برلين الى الخرطوم مدة الصيف وكتب تقريراً وافياً عن تقدُّم الوباء وافعل الوسائط لمقاومتهِ

الرق والنخاسة

مسألة الرق مسألة عسير حلها في السودان كما في غيرهِ من البلدان الافريقية

وقد اتخذت الوسائل المشدَّدة لمنع النخاسة قبل عصيان الدراويش . وبديهي ان النخاسة بلغت شأواً عظيماً في حكم الخليفة وان طرق منعها عادت فتسهلت باسترجاع السودان . وظهر نجاح هذه الطرق ظهوراً بيناً في العام الماضي . وكان الفرسان والهجانة وطوافة البوليس مهتمين كلهم في منعها . وخُطف كثيرون في بداءة السنة في ام درمان وسواكن . وجرى شيء من المتاجرة بالرقيق بين سواكن وام درمان واماكن اخرى من السودان

وكثير من قبائل العرب النازلة حول سواكن ولا سيما قبيلة الرشايدة يغتنم الفرص ويهرّب الرقيق الى الشاطىء ويعبر بهِ البحر الاحمر باذوائهِ . وفي الصيف الماضي اقامت فرقة من مصلحة منع تجارة الرقيق في سواكن ومعها مفتش انكليزي فقبضت على بعض المتهمين بتهريب الرقيق واتت بهم الى المحاكمة وفي جملتهم شيخ الرشايدة وكان متهماً بابتياع الرقيق فحُكم عليهِ بالسجن سبع سنوات . ونتج عن ذلك ان هاجر كثيرون من هذه القبيلة الى المستعمرة الايطالية وانا اتخابر الآن مع سعادة حاكم المستعمرة للاتفاق على الاساليب التي تبطل هذه التجارة القبيحة

وقد نشر الكبتن مكردو مدير مصلحة منع تجارة الرقيق في مصر رسالة على الرق في تلك الجهات . واثق انهُ لا يمضي وقت طويل حتى ينشأ فرع من مصلحتهِ في الخرطوم لكي ينتشر منها الخفراء في السودان يرقبون مع هجانة الحكومة المصرية السكك المختلفة التي تسير فيها قوافل تجار الرقيق

ووضعت فرقة من الهجانة في الشهور التسعة الماضية في ادارمة لكي تخفر البلاد حول الاتبرة وتزور آبار الصحراء وسيقوم مقامها فرقة من هجانة مصلحة الرقيق تشترك مع هجانة العرب التي جمعت من كسلا ومع فرقة سواكن فتتم المراقبة على طريق الاتبرة والطريق الذي بين كسلا وسواكن

وقد قرّر الكولونل كولنصن مدير كسلا انهُ حكم على احد عشر نفساً بموجب قانون

العقوبات وعتق ٥٣ رقيقاً وان العرب الرحَّل لا يزالون يبيعون الرقيق و يشترونهُ بعضهم مع بعض ولكنهُ يرجوان يمنع ذلك بعد حين . وكل العبيد الذين عتقوا كتبت اسماؤهم وهم يعيشون الآن بين السودانيين

وحكم على ١٣ بالنخاسة في جهات سواكن وعتق الماجور غودن ٦٦ من الرقيق عدا ١٢٩ عتقتهم مصلحة الرقيق . وعندهُ انهُ لا يهرَّب كثير من الرقيق الآن من هناك ولم يمحَ اثر النخاسة ولكن عدد الارقاء الذين سير بهم من سواكن سنة ١٩٠٠ اقل مما كان في السنين السابقة

وقد فهم اهالي السودان الآن ان الرق ممنوع ولذلك ترك كثيرون من العبيد بيوت اسيادهم واتوا المدن الكبيرة حيث لا يجدون كفافهم دائماً فصار بعضهم لصوصاً وهم يكرهون العمل بعد تحريرهم مع ان البلاد في حاجة شديدة الى العمال . فليس من مصلحة السودان ان يترك العبيد اسيادهم فتبطل الاعمال ويختل نظام البيوت ويزداد عدد الكسالى . واعني بالعبيد هنا الرجال والنساء الذين يخدمون اسيادهم من غير اجرة يتقاضونها منهم ولاسيادهم السلطة عليهم . فاذا اراد اهالي السودان ان لا تتعرَّض الحكومة لهم وجب عليهم ان يعاملوا هؤلاء الخدم بالحسنى والتودَّة ويعرفوا انهم لم يبقوا عبيداً اي انهم ليسوا الآن ملكاً حلالاً لهم كما كانوا قبلاً . فان لم يعلِ السيد خدامهُ ولم يعاملهم بالحسنى حق لهم ان يداعوهُ فيحكم عليهِ . ولا شبهة في ان كثيرين من الاسياد يعاملون عبيدهم احسن معاملة وقد يحسبونهم مثل اهل بيوتهم

التلغراف

مُدَّ في العام الماضي ٥٠٠ ميل من خطوط التلغراف ووصل بين الرصيرص وكركوج وبين ام درمان والدويم وبين الدويم والابيض وبين القضارف وود مدني وفتحت مكاتب التلغراف في الابيض والرصيرص وسنغا والجبلين (ثم أُقفل الاخير الآن)

ويراد مد خط هذه السنة من قوز ابي جمعه الى كاوى وجعل اسافل الاعمدة من الصلب (الفولاذ) من قوز ابي جمعه الى سنار ومنها الى الخرطوم بطريق ود مدني

والعمل جارٍ في مد الخط بين سواكن وبربر . وتبيَّن ان الارضة (النمل الابيض) تتلف اعمدة الخشب فدعت الحال ان منحت المالية المصرية ١٨٥٠٠ جنيه افرنجي لابتياع اعمدة من الحديد توضع في اسفل اعمدة الخشب . وابتيعت اسلاك مما يمدُّ في الماء لتمد بين الخرطوم وام درمان وبين الكرمة والحافر

عبرة وذكرى

فاجعة بيروت فجر يوم الخميس في ٣٠ مايو سنة ١٩٠١

صاحِ قِف بي فوق الحصى والجنادلْ ... وقفةَ الآسفِ الشجيِّ الثاكلْ
حيِّ واستنطقِ الطلولَ وسائلْ ... يا ترُى أين أهلُ هذه المنازلْ
لا ديارًا أرى ولا دُورًا ... كلها اصبحت هباءً منثورا
يا لها نكبةً تدكُّ الصخورا ... بل تردُّ الحديدَ كالماء سائلْ
رُزْءُ فجر الخميس بيروتَ ذكَّرْ ... بمصابٍ سهامها قبلُ فطَّرْ
في كلا الحادثَين اهولُ منظرْ ... لاح للعين عند ما انقضَّ ماثلْ
غير ان الاخير عنديَ اعظمْ ... وَهوَ عند الجميع ايضًا مسلَّمْ
بين هذا وذاك فرقٌ ومَن لمْ ... يقتنع بالمقُول دعهُ يقابلْ
خَطْبُ يوم الخميس آلمُ خطبِ ... هولهُ عمَّ مُذميًا كلَّ قلبِ
وبيروت حاق شرقًا بغربِ ... وجنوبًا اصابها وهو شاملْ
ذلك الفجرُ لم يكُنْ قطُّ فجرا ... فهوَ باسم الظلام اولى وأحرى
وجههُ كانَ باسرًا مكفهرًا ... من حُلى النور جيدهُ كان عاطلْ
غَشِيَ الغمُّ كلَّ وجهِ السماءْ ... هكذا كان من مسا الاربعاءْ
اذ تبدّى فيهِ لعينِ الرائي ... بدرهُ عادمَ الضيا متضائلْ
وكأنّي بهِ اتاهُ نذيرُ ... بمُصابٍ تشيب منهُ الشعورُ
واعتراهُ خوفٌ شديدٌ كبيرُ ... فدجا وهو طالعٌ غيرُ آفلْ
أنصف الليلُ والعيون تملّتْ ... سُهدَها وعُرى الافاقة حلّتْ
وجميع الجسوم للدأب ملّتْ ... وغدا كلها الى النوم مائلْ
هكذا نام اهل هذي البيوتِ ... مثل باقي السكان في بيروتِ
بسكونٍ وراحةٍ وسكوتِ ... رقدوا والسلام للكل شاملْ
ليس فيهم مَنْ ظنَّ أنَّ كراهُ ... ذلك الليل ينتهي بردّاهُ
علَّ النفسَ بالصباح يراهُ ... مستنيرًا الى النهار الكاملْ

هوذا الآن آخر الليل . إسمعْ ... كيف ناقوسُ ساعة البرج يقرعْ
كفَّ قرعاً بين اثنتين وأربعْ ... فثلاثاً اذاً يكون الحاصلْ

أنظر البدرَ مال نحو الغيابِ ... وهوَ قد ماط عنهُ سجفَ السحابِ
فتبدّى لنا بمجلى اكتئابِ ... أصفرَ الوجه شاحبَ اللون حائلْ

رامَ إرسالَ نورهِ ليصافحْ ... أهلَ ذاك الحمى صفاحَ البارحْ
فسرى منهُ نحوَهم وهو فاتحْ ... في حماهم باب الهلاك العاجلْ

ونسيمُ الصبا يهبُّ بليلاً ... قارصاً للخدود شيئاً قليلاً
وهوَ قد كان قاصداً تقبيلاً ... فانثنى عنهُ خائباً غيرَ قابلْ

حالت الامهاتُ دون مناهُ ... وحجبنَ الاولاد عن مسراهُ
خفنَ أن تُدميَ الخدود يداهُ ... فجعلنَ الدثار اعظمَ حائلْ

أصغِ تسمعْ صوتاً دوى مثل رعدِ ... بغتة قاصفاً ! اذاً صوتُ هدٍّ!
وبهِ الجوُّ بات يدوي ويصدي ... ولقد أرجف الثرى كالزلازل

وعلى إثرهِ عويلٌ عالِ ... ونداءُ استغاثةٍ متوالِ
وصراخٌ كلَّ المسامعِ مالِ ... واختلاط وحاوحٍ وولاولْ

كان هذا الصراخ بضعَ ثوانِ ... وانقضى صوتهُ من الآذانِ
وأُلو الصوتِ مثل هذي المباني ... أُودعوا جعبةَ الزوال الزائلْ

هُدِمَتْ تلكمُ المنازل هدما ... وغدَت عينها على الفور رسما
وأوى اهلها المساكين ردما ... فوقهم جرَّ للفناء ذلاذلْ

صاحِ انظرْ في الشرق شمس الخميسِ ... أقبلت تنجلي انجلاء العروسِ
بضياها طابت جميع النفوسِ ... رائعاتٍ من رغدها في خمائلْ

كلُّ فردٍ من اهل دار الصفاء ... قرَّ عيناً من الضحى بضياء
نال منها حرارةً مع غناء ... وانتعاشاً لهُ المسرّةُ كافلْ

ما عداكم يا أهل هذي القبورِ ... قد خبطتم في ظلمة الديجورِ
ليس فيكم مَنْ فاز منها بنورِ ... مثلما كان عند ما نام آملْ

ان شمس الخميس لما تبدّت شاركت في الاسى عليكم وحدّت
وسحابًا كالبدر ايضًا تردّت وعليكم بكاؤها متواصل

عمّ صوت النعيّ كلّ الاهالي فتجارى سوادهم في الحال
واتى حضرة الرشيد الوالي مع فريقٍ من رهطهِ والقناصل

وقفوا كلهم على الانقاضِ بصدورٍ ملأى دواعي انقباضِ
ونفوسٍ تشعّ نارَ امتعاضِ وقلوبٍ فراغها الغمّ شاغل

لم يغظهم يا صاحِ أنّ القصورا اصبحت صفصفًا وباتت بورا
بل لأنّ القصورَ صارت قبورا وباشلاء ساكنيها اواهل

وابتدا الحفر عاجلاً بالفؤوسِ عن خبايا النفوس لا عن "فلوس"
جثثًا أخرجت كما من رموس فوقها الموت شاربٌ وهو آكل

ويح قلبي على نفوسٍ بريّة ودماء بالحقّ كانت زكيّة
ضحيت فوق مذبح الاشعبيّة وبها شحّ غيرها كان ناكل

أخرجوها من جوف تلك الجلامد مشهدًا للتمثيل شرّ المشاهد
هذه أرجل وتلك سواعد بينها القطع فاصل غير واصل

ذاك قطعٌ بهِ وذلك ثرمٌ وبهذا جدعٌ وفي ذاك صلمٌ
ما عليها من السلامة رسمٌ بل عليها التشويهُ ساطٍ وصائلٌ

يا ضحايا التقتير هل من يجودُ منكمُ بالسؤال عما اريدُ
اعلموني فانني مستفيدُ عن امورٍ لها انا الآن جاهلٌ

ايّ رعبٍ ترى يكون اعتراكم اذ عليكم للردم بات تراكمٌ
واحتجبتم عنّا فما إن نراكم غيرُ عينٍ برأيها الكل داخلٌ

أخبرونا بما تراءى لديكم حين هدّت تلك القصور عليكم
والمنايا في الحال خفّت اليكم واستعدّت لقنصكم بالحبائل

ما فعلتنّ ايها الامهاتُ بالصغار الذين معكنّ باتوا
هامُ الآن مثلكنّ رفاتٌ ليس فيهم على الحياة دلائل

كَم ملاك بادٍ بصورة طفلٍ فوق الموت نحوهُ اي نبلِ
مات لكن قتلاً ! نعم شرّ قتلِ سامح الله من لهم كان قاتل
كَم فتى بالحياة عالٍ نفسهُ فأوى وهو ناعمُ البال رمسهُ
ما أراهُ الخميس يا قومُ شمسهُ بل عليهِ بنورها كان باخل
كَم فتاةٍ باهي الجمال اليها كان يعزى والحسنُ وقفاً عليها
صوَّحت زعزع الردى وجنتيها فغدا ورد خدّها الغصن ذابل
كان ما املت سحابة صيفٍ أقشعت وانقضت سريعاً كطيفٍ
وفراها مُصابها فريَ سيفٍ ارهفت حدّهُ اكفُّ الصياقل
يا حمام الحمى ابكي معنا وردّد ندب أهل الحمى وما شئت عدد
نُح ورجّع واسجع وبالمدّ ر اسعد قلبَ باكٍ على الكآبة عامل
وابكِ من اهله على غرباء امهات بنين مع آباء
ما لهم في بيروت من انسباء ولهذا الباكون كانوا قلائل
وارثِ امّاً لما قضت ولداها قضيا مع ذي الام لم يتركاها
طوّقتها ايديهما ويداها بهما حفتا تحفاً كامل
يا نفوساً بها المقدّر أردى وهي ترنو على الثلاثين عدّا
وبأمن سارت الى حيث تهدى راحة لا يشوبها من قلاقل
عبرة خطبك الملمّ وذكرى لنفوس بحالها الله ادرى
لنفوسٍ سكرى وما هي سكرى بل عليها الغرور مرخٍ سدائل
فليكن ذا المُصابُ خيرَ خطيبِ منذرٍ بانقضاض شُهب الخطوبِ
والليبُ اللبيبُ كلُّ منيبِ مرعوٍ تائبٍ رضى الله نائل
فلنبادر اليهِ في الحال نلق منهُ عوناً طبق المرام ورفقا
ذاك خيرٌ لنا جميعاً وأبقى فهنيئاً لمن الى الله راحل
واذا انهدّ بيتنا الارضيُّ فلنا في السماء بيتٌ بهيُّ
غير مصنوعٍ من يدٍ ابديُّ ذاك اسنى البيوت أسمى المنازل

اسعد داغر

الاسلام في الصين

الاسلام قديم الهجرة في بلاد الصين يذكر الصينيون ان اول ظهوره بين ظهرانيهم كان لعهد السلطان (تايتسونغ) وذلك في القرن السابع للمسيح وان اول داخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عَصَبَة النبي يقال لهُ ابن حمزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا في (سنغان فو) وانهُ جاء على اثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر واقاموا بجهات يونان . ويذكر مؤرخو الصين انهُ في نواحي سنة ٧٥٨ اقبل على بحر الصين متلصصة من العرب يأخذون كل سفينة غصباً فعاثوا في تلك البحار وجاسوا خلال الديار واكتسحوا ضواحي كنتون واحتووا على ما في الاهراء السلطانية التي هناك . وهذه تباشير دخول العرب لتلك البلاد بحسب ما ورد في تواريخ الصين

ولم اجد الى الآن في الكتب التي طالعتها من كتب العرب اثراً لقصة ابن حمزة هذا ولا ما يوافقها وانما روى المسعودي في تاريخهِ قصة تحكيها من بعض الوجوه نأثرها بالاختصار وهي ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعتهُ همتهُ الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان وهي من كبار مدنهم فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع و يذكر انهُ من اهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزالهِ في بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليهِ . وكتب الى الملك المقيم بخانقو بأمرهِ بالبحث عنهُ ومسألة التجار وعما يدعيهِ من قرابة نبيِّ العرب صلى الله عليهِ وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبهِ فاذن لهُ في الوصول اليهِ ووصلهُ بمال واسع واعادهُ الى العراق

و يظهر من كتب العرب ان اول صقع عرفوهُ من بلاد الصين هو كاشغر وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهليّ في خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي . قال ابن الاثير الجزريّ في تاريخهِ انهُ سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع الاَّ بجواز منهُ ومضى الى فرغانة وارسل الى شِعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهي ادنى مدائن الصين فغنم وسبى واوغل حتى بلغ قرب الصين فكتب اليهِ ملك الصين ان ابعث اليَّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم

فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال والسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دخلتم عليهِ فاعلموه انّي قد حلفت اني لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبي خراجهم . فساروا وعليهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت قلة اصحابهِ والاَّ بعثت اليكم من يهلككم . قالوا كيف يكون قليل الاصحاب مَن اول خيلهِ في بلادك وآخرها في منابت الزيتون واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل لسنا نكرههُ ولا نخافهُ . وقد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية . فقال فانّا نخرجه من يمينهِ ونبعث تراب ارضنا فيطأه ونبعث اليهِ بعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليهِ بجزية يرضاها . ثم اجازهم وبعث بما ذكر الى قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب . فقال سواد ابن عبد الملك السلولي

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم للصين ان سلكوا طريق المنهجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
ادَّى رسالتك التي استدعيتهُ فاتاك من حنث اليمين بمخرج

ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد ثم قُتل قتيبة في السنة نفسها ولا يبعد انهُ لو بقي حيًّا لاستأنف الكرة على الصين لما هو معهود من بعد همتهِ في الجهاد . ولا شك ان الاسلام كان قد دخل في البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت اتباعه وما زالوا على نموّ وازدياد يُلحظ ذلك من تضاعيف الحوادث المذكورة في تواريخ العرب فقد ذكر ابن الاثير انهُ في سنة اربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يُعرَف جمع غمارًا من العامة واهل الشرّ وقصد بهم مدينة خانقو وحصرها . قال وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من اهل الصين . هذا في القرن الثالث للهجرة واما بعد ذلك فترى الاخبار عن مسلمي الصين كثيرة . نقل الامام احمد القلقشنديّ المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندي وكان من السفّار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ انهُ قال ان من عجائب ما رأى في مملكة القان (اي الخان) انهُ مع كفرهِ في رعاياه من المسلمين امم كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ومتى قتل احد الكفار مسلمًا قُتل القاتل الكافر واهل بيتهِ ونهبت اموالهم وان قتل مسلم كافرًا لا يُقتل بهِ بل يُطلب بديتهِ ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيرهِ

ولم يدخل الاسلام بيت الملك في تلك البلاد الاَّ ما كان ببلاد المغول في ذرية جنكيز

خان وفي كاشغر . قال ابن خلدون في الجزء الخامس من تاريخهِ عند ذكر الترك انهُ كانت لهم دولة ببلاد تركستان وكاشغر وان ملوكهم اسلموا بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم وكان بينهم وبين بني سامان القائمين فيما وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم

قال يحيى بن احمد بن علي النسابي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولتهِ ان مملكة الصين منقسمة من قديم الزمان على تسعة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائباً عن الخان الاعظم وكان جنكيز احد الخانات المذكورين فتغلّب عليهم جميعاً وصار الملك الاعظم . وفي كتاب ابن فضل الله محكياً عن الصاحب علاء الدين عطاء ان دينهُ ودين قومهِ كان المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وما وراء الهند فاسلم من ملوكهم من هداهُ الله للاسلام

وذكر ابن خلدون في الكلام على ملوك بني جغطاي بتركستان وكاشغر وما وراء النهر انهم كانوا اولاً كلهم على دين المجوسية يعضُّون عليها بالنواجذ فلما صار الملك الى (ترماشين) منهم اسلم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجاهد واكرم التجار المترددين

وذكر الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخهِ في خبر الملوك بني دمرش خان وهو من اولاد جنكيز خان انهُ لما مات دوشي خان ولي مكانهُ ابنهُ ناطو خان ثم مات وولي بعدهُ طرطو خان ثم مات فولي بعدهُ ابن اخيهِ واسمهُ بركة فاسلم على يد شمس الدين الباخوري وكان مقيماً ببخاري كتب اليهِ يدعوهُ الى الاسلام فاسلم وان بركة هذا اعمل الرحلة الى لقاء شمس الدين فلم يأذن لهُ في الدخول حتى تطارح عليهِ اصحابهُ وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدد اسلامهُ وعاهد الشيخ على اظهار الاسلام وان يحمل عليهِ سائر قومهِ فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في بلاده وقرَّب العلماء والفقهاء . ثم ذكر المؤرخون اسلام ازبك بن طغرلجاي من سلالتهم واسلام تكدار بن هولاكو وخربندا بن ارغو ثم احمد بن هولاكو . وفي مختصر الدول لابي الفرج الملطي صورة كتاب كتبهُ الى سلطان مصر في ذلك الوقت جاء فيهِ " بقوة الله باقبال قاان فرمان احمد اما بعد فان الله تعالى بسابق عنايتهِ وبنور هدايتهِ قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيتهِ والاعتراف بوحدانيتهِ والشهادة لمحمد عليهِ افضل الصلاة والسلام بصدق نبوتهِ (الى ان يقول) وانفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين وهما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرفاهم طريقتنا ويحقق عندهم ما ينطوي عليهِ لعموم المسلمين جميل سنتنا وبيناً لهم انا من الله على بصيرة وان الاسلام يجبُّ ما قبلهُ الخ "

وقال القلقشندي في " صبح الاعشى " ان اول من اسلم من ملوك هذه المملكة ترماشيرين

فاسلم واحسن اسلامهُ واخلص وابد الاسلام وقام بهِ حق القيام وامر بهِ امراءهُ وعساكرهُ وذكر ايضاً عن بكذار انهُ اسلم

وقد بقي الاسلام في اعقاب الاويغور طائفة جنكيز خان الى يومنا هذا . في جغرافية اليزه ركلوس " ان الاويغور والطانغوت سكان بلاد كانسو كانوا قديمًا من عبدة اللاما ومن النساطرة فاسلموا واسلم بهم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جغطاي ثم ازداد عددهم بهاجرة المهاجرين من اهالي التركستان الشرقي ومسلمي المغول الذين بقوا من عهد تمرلنك وبهذا صارت الاغلبية للاسلام في هذا القسم من مملكة الصين "

ولما دخل ابن بطوطة الصين على ما ذكر في رحلتهِ كان الاسلام فيها غضًّا وافرًا حسبما يفهم من كتابهِ فهو يقول في الجزء الرابع من رحلتهِ " وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون فيها بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون "

ولما ذكر مدينة زيتون قال "وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض ودارهُ في وسطها كمثل ما في بلدة سجلماسة في بلادنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة " . ثم قال عمن تعرَّفهُ من صدور تلك البلاد " وجاء اليَّ قاضي المسلمين تاج الدين الاردويلي وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبدالله الاصفهاني وهو من الصلحاء وجاء اليَّ من كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزي احد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا بهِ اشد الفرح وقالوا جاء من ارض الاسلام ولهُ يعطون زكوات اموالهم فيعود غنياً كواحد منهم "

وقال عند ذكرهِ مدينة صين كلان " ان ببعض جهاتها بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاضٍ وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون امور المسلمين كلها راجعة اليهِ وقاضٍ يقضي بينهم وكان نزولي عند اوحد الدين السنجاري وهو احد الفضلاء الاكابر وذوي الاموال الطائلة "

وذكر عند وصولهِ الى مدينة قنجنفو ان المسلمين فيها يسكنون داخل السور الثالث وانهُ نزل عند شيخهم ظهير الدين القرلاني وقال عن الخنساء انها ست مدن كبار وان بالمدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك وبالثالثة مسكن المسلمين وبها المساجد ولاولاد عثمان ابن عفان المصري وهم كبراء المسلمين فيها زاوية تعرف بالعثمانية وبها طائفة من الصوفية والمسلمون كثيرون في هذه البلدة

والظاهر ان الاسلام ما برح ينتشر في آفاق الصين حتى بلغ عدد اهله عشرات من الملايين . زعم سكاتشوف انهم عشرون مليونًا فقط وذهب الاكثرون الى ان عددهم فوق هذا بكثير واحصاهم صاحب كتاب (le mahométisme en Chine) المحمدية في الصين خمسة وثلاثين مليونًا وزعم بعضهم انهم اربعون مليونًا وقال آخرون انهم يربون ايضًا على ذلك وان السواد الاعظم في ولاية كانسو هو منهم وهناك مدينتا سالار وكنكيابو محطا رحال الطلاب والمتفقهين من جميع اقطار الاسلام الصينية . وقد احصي عدد المساجد في بعض مدن كانسو فبلغ مئات وهو ما لم يعهد الا لعواصم الاسلام الكبرى مثل الاستانة العلية ودمشق والقاهرة وان كثيرًا من ولايات الصين الشمالية ثلثها من المسلمين وهم اهل التجارة والكد والعمل ولذلك تجد حالتهم اجمل وازين من حالة بقية الصينيين وكثيرًا ما يأخذون اولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الاسلام خصوصًا عند حصول المجاعات الشديدة . وقد شدّد فقهاؤهم عليهم في اداء الزكوات فيجمعونها في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم ويسدون بها عوز محاويجهم فتجد المعدمين منهم قليلين ولهم بعضهم على بعض حنان ورأفة وحفيظة فيما بينهم وعلى عدوهم لا توجد في الامم التي تساكنهم كذلك بسبب تجافيهم الافيون وانواع المسكرات تجد اجسامهم احسن من اجسام غيرهم فهم يفوقون جيرانهم الصينيين صورةً ومعنى ويسميهم الصينيون "هواي هواي" وهذا لقب طائفة الاويغور في الماضي واما هم فيؤثرون ان يسموا "كيا ومن" اي اهل الدين عطفًا على " ان الدين عند الله الاسلام " .

ومسلمو بلاد يونان الجنوبية يعرفون باسم "بانطي" وجميع المسلمين هناك يتميزون عن سائر الاهالي بملامحهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من النُعرة والانفة ما لا يلوح على سواهم وكلهم من اهل السنة والجماعة ولكنهم في الفقه فئتان الحنفية والشافعية وهم يكرهون جدًا الاختلاط بالوثنيين ولا يزوجونهم وانما يأخذون من بناتهم في الاحايين شراء بالدرهم

وقد وقعت لمسلمي الصين في هذا القرن مع اهل تلك المملكة حروب تشيب لها الاطفال اذا استقصى خبرها المؤرخ لم تكفه فيها المجلدات وملخصها ان اول ثورة حصلت هناك هي في بلاد يونان بسبب عملة من الفريقين كانوا يعملون في احد المعادن فاسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغهُ فاستنفروا اليهم الوثنيين قاطبةً ونادوا باستئصال شأفتهم وتعفية آثارهم وذلك في يوم معين من شهر ايار احد شهور سنة ١٨٥٦ فاستشعر المسلمون ذلك قبل وقوعه واخذوا له اهبتهم وجمّروا واستلأموا فلما وقعت الواقعة توفرت الطائلة لجهتهم ولم تنل الحكومة منهم مأربًا الا في القرى التي مسلموها قليلون .

وتكررت الوقائع و"عمد الفريقان بعضهم لبعض من اكثر جهات البلاد والمسلمون في غلبة وظهور حتى افتتحوا عنوة مدينة "طالى فو" وهي منيعة حصينة من الطراز الاول في حصون الصين وفتحوا منها طريقاً الى برمانيا يسربون منهُ اليها الميرة والسلاح ثم استولوا على مدينة "يونان فو" حاضرة البلاد ومضى على دولتهم هذه وهبوب ريحهم بتلك الارض ثلاث عشرة سنة والصين لا تزداد امامهم الا انخذالاً حتى ايقنت ان لا قبل لها بقهرهم بذباب السيف فمالت الى اعمال الحيلة والدسائس وجاذبت زعماءهم حبال الرشوة ومنتهم الاماني وادرّت عليهم العطايا الوافرة سرًّا وولتهم الاعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم وحلت بنفثات سحرها عقدة جامعتهم بل استمالت بعض رؤسائهم الى ان وقفوا في صفها يقاتلون بني ملتهم فبديهيًّا ان تنحل بعد ذلك عصبتهم وتفشل ريحهم وان يزرع الصينيون فيهم الانتقام حتى يهلك منهم ثلثون الفًا بحد السيف ويلحق اقوام منهم بمملكة برمانيا

اما في شمالي الصين فاستطار شرر الفتنة سنة ١٨٦٠ وذلك في "هوانشيو" شرقي "سينغان فو" وكانت الدائرة على الصينيين وتأثرهم المسلمون في كل سهل وجبل يقتلون ويسبون ولكنهم عجزوا عن دخول سينغان فو لمناعة اسوارها ثم امتد لهيب الثورة في تلك البلاد ونادي منادي الاسلام ياللثارات فقاموا قيامة الرجل الواحد وفرّ الصينيون والمغول من امامهم وانهال المسلمون في اثرهم يشلونهم شلاًّ و يستقصونهم اسرًا وقتلاً وامتلأت ولايات شانسي وكانسو عيثًا ودمارًا والتجأ الوثنيون الى الكهوف والمغاور وظنوا انها مانعتهم فلم تكن بمانعتهم واشتمل الخراب على تلك البلاد حتى لم يبقَ قرية الأخوت على عروشها ولم يذر المسلمون الأعلى المسيحيين ولم يبقَ عامرًا من تلك الجهات الا الامصار الكبيرة بما ادير عليها من سياج الاسوار . وقدر عدد الذين هلكوا في هذه المعمعة بالملايين . وحدث بعض مؤرخي الافرنج ان من المسلمين من بلغ منهُ الحنق ان قتل اولادهُ وامرأتهُ ليتوفر على الجهاد . والحاصل ان هذه الفتنة كانت من اكبر الفتن واستمرت خمسة عشر عامًا كاد ينقطع امل الصين في خلالها من استرداد البلاد ولكن لم يلبث الشقاق ان دخل بين المسلمين فادخل عليهم الوهن وتشظّت عصاهم قطعًا فنالت منهم عساكر الامبراطور واسترجعت الشانسي ثم الكانسو ثم معاقل تيان شان وبددت شمل الباقين من الثوار في دز ونغاريا ولكنهم لا يزالون الى الآن اهل صولة وشوكة وشأنهم على ازدياد وجدهم في صعود ومنهم كثير من الحكام وقواد الجيش . وكثير من المؤرخين الاوربيين يظنون ان لهم وحدهم مستقبل السلطان في الصين . وقد بعثت الدولة الروسية مرة بعثًا علميًا جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل امورها فكان من جملة ما قررهُ تحذير الروسية

من مستقبل الاسلام في تلك المملكة لانهُ ينمو ويتقدَّم واذا اخذ يوماً بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الاقصى انقلاباً عظيماً لان الصين اسلامية ليست كالصين وثنية (وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)

شكيب ارسلان

الجرائم واسبابها

الجرم لغةً الذنب وعرَّفهُ علماءُ القانون بما يقع من فعل او حركة خلافاً للحق والعدل والقانون . او هو كل فعل نصَّ القانون بالعقاب عليهِ لكونهِ منافياً للعدل عابثاً بمصلحة الجمهور

والجرائم على اختلاف انواعها القانونية لا تخلو منها امة من الامم ولا جيل من الاجيال ولا تختص بمصرٍ دون آخر بل تستوطن وتستقرُّ في جميع الامصار سواءٌ كانت آهلة باقوام متوحشين او متمدنين . وقد تنبه لها في القرن الماضي جماعة من المحققين وفي مقدمتهم الاستاذ لومبروزو الايطالي واهتموا بمعرفة الاسباب التي تحمل الناس على اقترافها وبعد التنقيب توصلوا الى كشف حقائق جلَّت وان قلت ولا جناح عليهم اذا قلَّ ما اكتشفوهُ مع طول مدات البحث ولا لوم اذا لم يبلغوا الغايات المرومة لانهم قلال ولان العقبات التي اعترضتهم في خلال التحقيق كثيرة لا يعترض مثلها غيرهم في التنقيب عن غيرها من الحقائق العلمية

ومع ان البحث عن الجرائم واسبابها مهم جدًّا ترى الجرائد العربية عموماً مقصرة عن الخوض فيهِ والعناية بدرسهِ الاَّ ان مجلة المقتطف تعرضت لهُ غير مرةٍ كما ترى في مقالة الجنون والجرائم المدرجة في الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر ومقالة منع الجرائم المدرجة في الجزء السادس من المجلد الثاني والعشرين ومقالة الجرائم والاوهام المدرجة في الجزء الاول من المجلد الثالث والعشرين. وقد عنَّ لخاطري الضعيف على ما بي من العجز والتقصير ان اطرق باب هذا البحث مستلفتاً انظار علمائنا الاعلام الى استجلاء غوامضهِ ومنهم اطباءنا الحاذقين لكشف كثير من اسرارهِ

اطبق العلماء في كل عصر واتفقوا على ان الاجتماع ضروري للنوع الانساني لان الواحد من الناس لا بدَّ لهُ في تحصيل غذائهِ وكسائهِ والدفاع عن نفسهِ من الاستعانة بابناء جنسهِ والانسان بطبعهِ الحيواني ميال الى الشر نازعٌ الى الظلم

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وهذا الطبع الحيواني لا يفارقهُ ولو انتظم في سلك الاجتماع بل يرافقهُ فيهِ ويدفعهُ الى

منافسة غيره ومغالبته وتملك ما يده بالاعتداء عليهِ . ولا بدَّ من وازع يصدُّ الناس عن الاعتداء ويدفع بالعقوبات بعضهم عن بعض حفظاً للنوع الانساني واستبقاء للعمران البشري . فقامت الحكومات ووضعت قانون العقوبات غير ان هذا القانون شرط ألاَّ يعاقب المجرم الاَّ اذا كان عاقلاً مميزاً حرًّا . ولا يخفى ان العقوبات لا تقوى على تغيير طباع المجرم بعد بلوغهِ وصيرورتهِ عاقلاً مميزاً ولا تؤثر في الاسباب التي صيرتهُ مجرماً ولهذا يتحتم على محبي المجتمع الانساني ان يبحثوا عن الاسباب التي تولد الجرائم ويتفقوا بعد معرفتها على استنباط دواء يؤدي الى استئصالها او يُفضي على الاقل الى تقليل وقوعها واتقاء شرورها

وقد ظن كثيرون ان الفقر من اهم اسبابها وانهُ يحمل الانسان على الاجترام والعبث بنظام الاجتماع ولكن هذا الظن لا يصدق في كل الاحوال لانهُ علم بالتحقيق ان ما يقترفهُ الانسان من الجرائم محمولاً عليهِ باضطرارهِ الى القوت انما هو قليل بازاء ما يجترمهُ بغير هذه العلة وان بني البشر لا يمتنعون من اقتراف المعاصي واتيان المخازي اذا حصلوا كل ما يحتاجونهُ من الاغذية والملابس والامتعة والمباني او بلغوا من التأنق فيها غايتهم بل يقدمون على اتيانها في الشدة والرخاء وفي حالتي الفقر والغنى

وقال آخرون ان تقدم الانسان في التمدن يمحو الجرائم و يزيل اثرها وهذا القول معترض عليهِ بان اقواماً من المتوحشين مع كونهم ناشئين على ما نشأ عليهِ اباؤهم واجدادهم متخلقين باخلاقهم متمسكين بعاداتهم ما زالوا حتى الآن يراعون حقوق بعضهم بعضاً ويحترمونها اكثر مما تراعي اعظم الشعوب تمدناً وتحترم حقوق بعضها البعض الآخر ولم يكن التمدن ليؤثر في الجرائم تأثيراً جوهريًّا بل أثر تأثيراً عرضيًّا في كيفية ارتكابها وخفف من صرامة العقوبات عليها

ومن اهم الوسائل لتقليل الجرائم ان يعنى بتربية الاولاد في المدارس الابتدائية وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتعليمهم آداب السلوك واشرابهم المبادئ الصحيحة . ويجدر بوالديهم بل يجب عليهم ان يعاونوا المدرسين والمدارس بان يُشرِبوا اولادهم تلك المبادئ في بيوتهم ويلقنوهم اياها و يعودوهم عليها منذ الصغر . وهذه المعاونة تتم بتحسين احوال الأُمهات وتسهيل امورهنَّ المعاشية اذ يتعذر على الأُم ما دامت منهمكة في التماس غذائها وتحصيل حاجتها وحاجات اولادها ان ترضعهم المبادئ القويمة وتخلقهم بالاخلاق الحميدة

ويتعين على كل دولة ان تهتم بصحة رعاياها وتستنفد وسعها استئصالاً للامراض التي تفسد اجسامهم وعقولهم لان الباحثين علموا بالاختبار ان معظم الجرائم ينشأ عن مثل هذه الامراض وان عدد المجرمين يتكاثر بتكاثرها ولو بلغت احوال سكانها في الرفاه ما عساهُ ان تبلغ . ولا يخفى

ان ضعف الانسان جسماً وعقلاً مضرٌّ باخلاقهِ مفسد لطباعهِ دافع لهُ على ارتكاب الموبقات

ويجب على ذوي التشريع ان ينظروا في الجرائم والعقوبات متبصرين في شأن المجرم غير مقتصرين على التروي فيهما دون الالتفات اليهِ وعلى رجال القضاء ايضاً ان يقدّموا النظر في المجرم واحوالهِ على البحث عن جرمهِ وعقابهِ محققين بادئ ذي بدءٍ ميل المجرم وصفاتهِ مستقصين اهم الاسباب التي جعلتهُ مجرماً باحثين عما يضمن استئصالها او اتقاء شرّها وعن تأثير كل نوع من انواع العقوبات . واذا اهمل رجال القضاء تقصّي هذه الامور الجوهرية أدّى اهمالهم الى انحرافهم عن جادة العدل بالميل تارةً الى التشديد في عقوبة الفتيان والفتيات الذين اذنبوا لاول مرة والجنوح تارةً الى الرفق بالمنبعثين في الشقاوة فيبعثونهم على التمادي فيها والاصرار عليها

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

اما الحكم على المجرم بعقوبة الحبس فيجب ان يكون عادلاً ليؤثر في نفسهِ ويقوّم سيرهُ في مستقبل ايامهِ و يردع غيرهُ عن ارتكاب مثل جرمهِ . واذا لم يكن الحكم عادلاً فلا يكون مفيداً. ولا تتم الغاية التي وضع السجن لها الاَّ اذا خرج المجرم منهُ معتبراً بما حلَّ بهِ من العقاب متأهلاً لنيل نعمة الحرية واذا أُطلق سراحهُ غير متعظٍ بالعقوبة التي عوقب بها فيكون السجن قد استوفى من العقوبة نصفها بجعل المذنب عبرة للجمهور وقصَّر عن استيفاء النصف الآخر الاهم اعني بهِ تأديب المجرم وتهذيبهُ وتأهيلهُ للحرية . وهذا التأهيل مستصعب جداً وقد يكون احياناً مستحيلاً . وحقيق بالحكومة وواجب عليها ان تختار لادارة السجون مأمورين من الذين حنكتهم الايام متصفين بمعارفهم معروفين بآدابهم اكفاء للادارة ولافادة السجناء وتهذيب اخلاقهم وتقويم ما اعوجَّ من امورهم واذا كانوا غير مستجمعين هذه الصفات خرج السجناء من سجونهم غير متعظين وربما انطلقوا منها ميالين الى الشر بما سرى اليهم فيها من الفساد بالعشرة الرديئة

ولم يخطر على بال المحققين ان يدرسوا هذا الموضوع و يبحثوا عنهُ بحثاً علمياً الاَّ في القرن الماضي ونظموا تسهيلاً لدرسهِ جداول احصائية افادتهم فوائد ذات شأن . ولو وجدت منظمة قبل القرن المذكور لعرف بها رجال القضاء ما اذا كانت الجرائم على ازدياد او تناقص وعلموا ما للعوامل الطبيعية والاجتماعية من التأثير في طباع المجرم واهوائهِ ولكانت وسيلةً للتخفيف من وطأة جورهم على المجرمين والرقة من غلظة عقوباتها فانهم كانوا احياناً يفرطون في الخشونة الى حد ان يعاقبوا مجرماً بالشنق على جرم يعدهُ القانون الآن من نوع الجنح او من قبيل المخالفات. وهذه الجداول توضح لكل شعب عدد الجرائم التي اقترفها افرادهُ وانواعها وعدد الذين سيقوا

الى المحاكمة ومقدار ما حكم بهِ عقاباً على كل مجرم مع بيان سنهِ وصنعتهِ ودرجة تهذيبهِ وكيفية سلوكه في خلال مدة حبسهِ وما اذا كان قد عاد الى جريمتهِ وكم مرة كررها . ومن رأي العالم مور يصون الانكليزي الذي نأخذ عنهُ ونستند اليهِ ونعتمد عليهِ في كل ما نكتبهُ بهذا الصدد ان يضاف الى هذه الجداول بيان موجز عن اطوار المجرم وعشرتهِ ومخالطتهِ وسلوكه قبل اقدامهِ على الجرم لتعلم اهم الاسباب التي حملتهُ على ارتكابهِ او ان يستنهج منهاج المدارس التأديبية في بلادهِ بعد تعديلهِ تعديلاً يوافق المرام . فان ارباب المدارس المشار اليها يقيدون اسماء الاولاد ووالديهم ووطنهم ويبينون بمجمل مزاياهم وامانتهم ورزانتهم وهل اودعوا السجن قبلاً ام لا واذا كان احدهم ذا حرفة فيرقمون مقدار الاجرة التي كان يتناولها مقابلةً لعملهِ . وقد اتفق الخبيرون على امور ذات بال بهذا الشأن سنأتي اذا سمح المقام على بيانها

والجرائم كالادواء والقاضي الحاكم كالطبيب المداوي ويتعين على ذاك ما يتعين على هذا اي ان يبحث اولاً ليعرف الاسباب قبل فرض العقاب كما يبحث الطبيب الحاذق عن علل الداء قبل وصف الدواء والاَّ كان الحكم غير نافع والعلاج غير ناجع . وبمعونة الجداول الاحصائية يستطيع رجال القضاء ان يفرغوا على المجرمين عقوبات لا تزيد على استحقاق جرائمهم ولا تنقص عنهُ آمنين معها الخطاء الفاضح الذي يقع كثيراً بسبب اهمالها . وقد قال الدكتور سنذر الالماني واكد انهم حاكموا مئة مجنون فعلموا بجنون ثمانية وعشرين منهم وعاقبوا الباقين كعاقلين حال كونهم مجانين ما اوجب القانون مسؤوليتهم ولا اجاز معاقبتهم

ويتفق في بعض الاحيان ان يزيد عدد الجرائم في البلاد بترقي سكانها وسمو نفوسهم الى انتهاج سبيل اقوم والبق بمدينتهم فتكثر الجرائم المخالفة النظامات والسنن المستحدثة كما لو فرضت حكومة على رعاياها التعليم الاجباري مثلاً او مراعاة نظامات صحية او ما اشبه مما لم يألفوهُ من قبل ولم يتعودوهُ فانهم لا ينقادون لها دفعةً واحدة بل تكثر منهم مخالفتها الى ان تتم لهم مؤالفتها . وفي حال كهذا لا تدل زيادة الجرائم على انحطاط القوم ادبياً كما ان نقصانها لا ينبئ دائماً بترقي الشعب بل يكون احياناً منذراً بتقهقرهِ دالاً على ان القانون غير مرعي بين ظهرانيهِ او ان الفوضى فاشية فيهِ

ومن مقول البعض ان الشرائع والقوانين في هذه الايام زادت الجرائم وكثرت عدد المجرمين اذ جعلها الشارعون ملازمة للناس كما يلزم الظل صاحبه ومن رأيهم ان يتأنى ذوو التشريع قبل سن القوانين والنظامات جاعلين من قواعدهم الاساسية ابعاد الناس عن السجون لا تقريبهم اليها وان يتعاهدوا دائماً وابداً كل ما يشرعون بالتعديل والتهذيب ليبقى مطابقاً لاحوال

الامة موافقاً لترقيها وان يمعنوا الروية في العواقب اذ يحدث ان شخصاً مهذباً نافعاً للمجتمع يأتي فعلاً مغايراً للنظام البلدي مثلاً فيعاقب بالحبس مع زمرة من ذوي النفوس السافلة والسوابق السيئة فتفسد آدابهُ بمخالطتهم. ويذهب كثيرون من المحققين في اوربا واميركا الى ان الجرائم تزيد مع ترقي الحكومات وتنوّع وظائفها واتساع نطاق اعمالها واحكامها . واثبت المستر ولس والمستر وينز المحققان الامركانيان ان الجرائم في الولايات المتحدة على ازدياد وان نموها هناك يسبق نمو السكان ويفوقهُ سرعة . وقال الدكتور مشلر النمساوي والاستاذ فون لزت الالماني بازديادها في المانيا ايضاً. وجاء في رسالة الاستاذ المشار اليهِ ان المحاكم الالمانية حاكمت خمسة عشر مليوناً في مدة لا تتجاوز عشر سنين. وحقق الموسيو هنري جولي الفرنساوي ان الجرائم في فرنسا زادت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر زيادة عظيمة وان هذه الزيادة مابرحت غير منقطعة. و يشف الاحصاء القضائي الانكليزي عن ان انكلترا تشبه غيرها وهي وان امتازت من هذه الجهة فامتيازها هذا غير حقيق بالتنويه والاطراء

ثم ان زيادة الجرائم في اكثر البلدان وان تكن مسايرة لعدد السكان فانهُ لممكن ان يسامي نموّهم نموّها ويفوقهُ . ويقال ان في انكلترا تكافوءا بذلك اي ان زيادة الجرائم وزيادة السكان يجريان فيها كفرسي رهان و يعزون الفضل بتقليل عدد الجرائم في تلك البلاد وتخفيفهِ عما هو في غيرها الى المدارس التأديبية والصناعية التي انشأها الانكليز تأديباً للمذنبين واهل البطالة والكسل من فتيانهم وتهذيباً لاخلاقهم وهم يفرغون الجهود و يصرفون العناية في عضد هذه المدارس وترقية شؤونها . وقد لاحظ المدققون ان عدد السجناء يقلّ يومياً حال كون الجرائم لم يقلّ عددها عن معدلهِ السابق ونسبوا قلة عددهم الى تلطيف العقوبات وتنقيص مُدَدها وتأيدت هذه الملاحظة بما يصرح بهِ رجال القضاء من انهم سالكون في هذه الايام سبيل التؤدة والرفق بالمجرمين

هذا ولا يخفى ان الجرائم لا تؤذي الناس باجسامهم فقط بل يتعدى اذاها الى اموالهم و بسببها تنفق الحكومات نفقات باهظة تذهب بجانب من دخلها . ففي الولايات المتحدة لاتقل نفقات " البوليس " عن خمسة عشر مليون ريال امركاني بحسب تقدير المستر وينز المشار اليهِ آنفاً. ومثل هذه النفقات يزيد سنة فسنة في انكلترا فانهم اختصوا السجون والبيمارستانات الانكليزية عام ١٨٩١ بنحو مليون جنيه وأجروا على المدارس الصناعية والتأديبية اكثر من نصف مليون جنيه وعينوا للبوليس نفقة تربي على خمسة ملايين ونصف مليون جنيه ولو اضافوا اليها ما يتقاضاهُ بعض المأمورين المعينين لها والحقوا بها ما تقتضيهِ المحاكمات لبلغ مجموع

النفقات التي تؤديها انكلترا سنوياً سبعة ملايين ونصف مليون جنيه . وزد عليهِ ما يفسده المجرمون في البلاد و يتلفونهُ من اموال العباد ومثل هذا المجموع يوازي نفقات حرب من الحروب الهائلة وربما فاق عشر خرج الحكومة ولو أُنفق هذا المال في اعمال خيرية او مشروعات نافعة لعاد باموال طائلة وافاد البلاد وسكانها فوائد ادبية ومادية جزيلة

ومن نكد الدنيا ان الجرائم والحروب لا يرجى ان تخلو عنها امة او تنجو منها تمام النجاة على ان الحرب صارت في هذا العصر ابعد وقوعاً بين الدول لارتباطهن بقوانين اذا رُوعيت امتنع على دولة منهن ان تشهر حرباً على دولة أُخرى فضلاً عن ان الامم المتمدنة اصبحت راغبة عن الحرب كارهة لها نازعة الى السلم تائقة اليهِ . ولعلهم يعرضون بعد قرن او اكثر عن الحرب ويستعيضون عن تحكيم المدفع والحسام بتحكيم العقول والاقلام . اما حظ الجرائم فلا يكون كحظ الحروب ولا يقاربهُ قبل الوقوف على اسبابها التي يقسمونها الى ثلاثة اقسام . الاول يتعلق بالمكان والاقليم والفصول والثاني بالمجتمع من حيث احوالهُ السياسية والاقتصادية والادبية والثالث يتعلق بالشخص ومنبتهِ ونسبهِ وعمرهِ وجسمهِ وعقلهِ وجنسهِ . وهذه الاسباب وان كانت لا تؤثر غالباً الاَّ مرتبطاً بعضها ببعض تحقيقٌ بالناظر فيها الباحث عنها ان يتروَّى في كل قسم من اقسامها الثلاثة ويبحث عنهُ على حدتهِ لتتجلَّى لهُ غوامضهُ وتنكشف اسرارهُ

محمد ابو عز الدين

أكرم الكرماء

البارون هرش وزوجتهُ

لا غرابة اذا عدنا الى الكلام على أكرم الانام ولو امسى هو وزوجتهُ عظاماً رميماً لان هبة كارنجي التي دوت بذكرها النوادي العلمية والادبية مليونين من الجنيهات دفعةً واحدة لمدارس اسكتلندا اعادت لنا ذكرى كريم آخر رأينا من الاجحاف ان لا نصف هباتهِ وهبات زوجتهِ بالاسهاب

هو البارون موريس ده هرش اكبر اولاد البارون يوسف هرش الذي رقَّاهُ الملك لويس الثاني ملك بافاريا الى رتبة البارونية لاجل امانتهِ لعرشهِ وخدمهِ الكثيرة النافعة لهُ . كان جدُّهُ تاجراً بالبقر فاثرى وصار ملك بافاريا يستدين المال منهُ . قيل سألهُ الملك مرةً كيف اثريت وانت تتاجر بالبقر فقال اثريت لاني اتاجر بالبقر ومع البقر

ولد البارون موريس هرش في مونخ عاصمة بافاريا في ٩ دسمبر سنة ١٨٣١ ودرس في بركسل عاصمة البلجيك ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر دخل بنك بيشوفسهيم وغولدشمت وهما من اكبر صيارفة بركسل فظهرت حالاً نجابتهُ ومقدرتهُ المالية واقترن بابنة بيشوفسهيم وهي اصغر منهُ بسنتين فاقترن بهِ السعد باقترانهِ بها لانها كانت كملاك يحرسهُ ويرشدهُ ويبث البهجة والحبور في حياتهِ

ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى صار المدير لذلك البنك والموسّع لاعمالهِ وكان شديد الزكانة قوي العزيمة مقتدراً على ادارة الاعمال وتنظيمها فانشأ سكة الحديد من بودابست الى وارنه على البحر الاسود وكان العمل ثلاثة اقسام أُخذت بالقرعة واصابت قرعتهُ القسم الاصعب منها لكنهُ ربح منهُ ربحاً طائلاً والاثنان الآخران خسرا لانهُ كان امهر منهما في ادارة الناس والاعمال

وافلس المسيو دينسو المالي البلجي العظيم سنة ١٨٦٩ فابتاع البارون هرش منهُ سندات سكة الحديد التركية وكان المظنون انها ابخس ممتلكاتهِ قيمة واقلها جدوى لكنهُ احسن ادارتها حتى صارت اساس ثروتهِ . وظل ينشئ سكك الحديد متغلباً على المصاعب الطبيعية والعراقيل السياسية حتى قدّرت ثروتهُ بعد خمس عشرة سنة بعشرة ملايين جنيه الى ثلاثين مليوناً

وكانت هذه الثروة الطائلة في يدهِ ويد زوجتهِ وسيلة لاغاثة الفقراء والمظلومين من ابناء ملتهِ فلما طُرد اليهود من روسيا عرض على حكومة الروس مليونين من الجنيهات لتنفقها على التعليم حاسباً ان السبب الاكبر لطردهم من بلاد الروس هو الجهل الضارب اطنابهُ فيها فاذا انتشر التعليم والتهذيب زال منها التعصب والتحمس . فرفضت حكومة الروس هذه الهبة السنية

وكان يحسب اليهود من اقدر الناس على الفلاحة والزراعة بناء على ما رأى منهم في بلاد المجر . قال " ان اكثر الفلاحين منهم هناك حتى ان خدَمة الدين الكاثوليكي يعتمدون عليهم فقط في زراعة اوقاف الكنائس وكل اصحاب الاملاك الكبيرة يفضلون اليهود لاجتهادهم واستقامتهم ومهارتهم فهذه الامور دعتني الى الاهتمام باصلاح شأْنهم وسيظهر انهم لم يفقدوا الميل الى الزراعة الذي امتاز بهِ اسلافنا وسأبذل جهدي لاهيئ لهم اوطاناً اخرى في بلدان مختلفة حيث يستطيع الفلاح ان يكون مستقلاً بحرث ارضهِ ويستفيد من جدهِ واجتهادهِ "

فابتاع الاراضي الفسيحة في جمهورية ارجنتين وولاية نيوجرزي باميركا واماكن اخرى واعطاها لابناء امتهِ ووهب جمعية استعمار اليهود مليونين من الجنيهات واعطى اليهود الروسيين

المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية نصف مليون جنيه لكي يتعلم ابناؤهم ويتهذبوا ويصيروا مثل الاميركيين . ففي كثيرون منهم الى الولايات المتحدة الاميركية واستوطنوها وزرعوا الارض وانشأوا المعامل وربوا المواشي ولهم في ولاية نيوجرزي مدرسة صناعية ومدرسة زراعية

وقد يُظن لاول وهلة ان رجلاً يبلغ اهتمامهُ بامر امتهِ وملتهِ هذا المبلغ لا يهتم بغيرها لكنَّ البارون هرش لم يكن كذلك بل كان يعتمد على الاكفاء من كل الامم ويهتم بالمساكين من كل الطوائف . وهو الذي بعث بالمؤلف هال كاين الى روسيا يبحث عن احوال العامة من شعبها وما يحتاجون اليهِ وبعث اليها ايضاً بالكاتب الشهير ارنلد هوبت (مكاتب جريدة التيمس) لهذه الغاية . كتب المستر هوبت عن البارون هرش " انهُ يشتغل في امر روسيا وتوزيع الصدقات فيها من الساعة السادسة صباحاً . وانا اكتب هذه السطور الآن والى جانبي ثلاثة مجلدات كبيرة كلها مكاتيب منهُ تدلُّ على اهتمامهِ الشديد ورثائهِ للمحتاجين والمظلومين . وقد تصدق باكثر من المال تصدّق بوقتهِ وقواهُ العقلية لنفع ابناء ملتهِ "

وكانت زوجتهُ تشاركهُ في كل اعمالهِ وصدقاتهِ . قال المستر اسكار ستروس سفير الولايات المتحدة في تركيا " انها اكبر مساعد لزوجها وكان يستشيرها في كل امر ويخبرها بكل شيء وكانت تقرأُ مكاتيبهُ وتساعدهُ في كتابة اجوبتها وترافقهُ في اسفارهِ وتشاركهُ في امانيهِ ولم تكن تشاركهُ في يأسٍ لانهُ لم يكن ييأس من امرٍ قط . وهي امرأَة فاضلة انيسة المحضر رقيقة القلب كريمة جداً انفقت جانباً كبيراً من ثروتها الخصوصية على المدارس والملاجيء والمستشفيات وكانت تزورها بنفسها وتهتمُّ بادارتها . ورأيتها في القسطنطينية تزور احياء الفقراء يوماً بعد يوم وتساعدهم بيدها مسلمين كانوا او مسيحيين او يهوداً من غير تمييز بينهم "

وقص المستر ستروس على السيدة سارة بولتن القصة التالية قال اخبرني رئيس مهندسي سكة الحديد التي انشأها البارون هرش ان اول قسم من السكة وصل من اسوار القسطنطينية الى قرية تبعد عنها عشرة اميال وكانت الحكومة العثمانية قد عينت لهُ مكان المحطة في وسط القرية واشترطت على نفسها ان تشتري مكان المحطة وتهدم البيوت التي فيهِ وتسلمهُ للبارون هرش . فقام السكان ونادوا بالويل والحرب مخافة ان لا تدفع الحكومة اليهم شيئاً من ثمن بيوتهم وارضهم . وبلغ الخبر زوجة البارون هرش وهي في الاستانة فسألت زوجها عن جليتهِ فقال هو كما بلغكِ ولكن الامر ليس في يدي بل في يد الحكومة العثمانية والشروط التي بيني وبينها تقضي عليها ان تبتاع البيوت والاراضي من اصحابها وتسلمنيها . فقالت ان لم يكن

الامر في يدك فهو في يدي كم ثمن هذه البيوت والاراضي فقال نحو مليون فرنك فكتبت تحويلاً على البنك بمليون فرنك وارسلت وكيلها فدفع الى الناس ثمن بيوتهم وما يملكون وطيَّب خواطرهم . وبعد ايام أُحتُفل بفتح القسم الاول من سكة الحديد وكان اولئك المساكين اشد الناس جذلاً وحبوراً

وانشأَت مدارس في القسطنطينية قبل مغادرتها انفقت عليها ٢٥ الف جنيه ولها ولزوجها مدارس كثيرة وملاجئ في اكثر بلدان المشرق

ومن صدقات البارون هرش الكثيرة اربعون الف جنيه بعث بها الى امبراطورة الروس على اثر الحرب الروسية التركية لتنفق على المحتاجين ومليون جنيه لتنفق على اربعين مدرسة في غاليسيا يتعلَّم فيها الاولاد من كل المذاهب لانهُ كان يقول اني اسمع صوت المعوز فلا اسأَل أَهو من ملتي او من غير ملتي ولكن لاعجب اذا سمعتُ اكثر هذه الاصوات من ابناء ملتي وبذلت جهدي في اغاثتهم

وقد قدَّر المستر ستروس الحبات التي وهبها البارون هرش في حياتهِ باكثر من خمسة عشر مليون جنيه

وكان لهُ قصور كثيرة في لندن وباريس وبلاد المجر وبعضها من القصور الملكية القديمة ومنها قصر في باريس بنتهُ الامبراطورة اوجيني لدوكة البا ولم يكد البارون هرش ينزل فيهِ هو وزوجتهُ سنة ١٨٨٧ حتى مرض ابنهما وحيدهما وتوفي فيهِ وتركهما مصدوعي الفؤَاد لكن وفاتهُ زادت رغبتهما في مؤَاساة الحزانى والبائسين . وكان متجملاً بكثير من مناقب ابيهِ وامهِ عاكفاً على عمل الخير مغرماً بالخيل عندهُ كثير من الجياد الكريمة فباعها ابوهُ بعد موتهِ وتصدَّق بثمنها كلهِ وبكل ما ربحتهُ خيلهُ في السباق وهو مئة الف جنيه . ولما مات باعت زوجتهُ جيادهُ وتصدَّقت بثمنها كما فعل هو بجياد ابنهِ

وكان البارون هرش يضع صدقاتهِ في موضعها حتى تنتج عنها الفائدة المقصودة . قال البرنس بسمارك في هذا الصدد " ان هرش هو الرجل الوحيد الذي لا ينفر الذين يتصدَّق عليهم ". وكان يأْتيهِ كل يوم اربع مئة مكتوب في طلب الصدقات وبعضها من ابناء الملوك وهؤُلاء كانوا يستدينون منهُ ولا يوفونهُ غالباً فيعدُّ ما يعطيهم اياهُ صدقة

وليلة العشرين من ابريل سنة ١٨٩٦ قضى نحبهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد ان عاش سنين كثيرة مثال الهمة والاجتهاد والاحسان وعلَّم الاغنياء بسيرتهِ وقدوتهِ كيف ينفعون الفقراء ويكونون بركة لنوع الانسان لا لعنة عليهِ

وبقيت زوجتهُ ثلاث سنوات بعدهُ سائرة في خطتهِ خطة التصدُّق . قالت لامرأة زارتها في فرساليا ان الغنى الوافر عبء ثقيل على صاحبهِ وغاية ما اطلبهُ وما ارجوهُ ان اتمكن من انفاق اموالي كلها حتى يحصل من انفاقها اكبر نفع لاكبر عدد من الناس

ولم يمضِ سنة على وفاة زوجها حتى ارسلت اكثر من مليون ريال الى مدرسة الصنائع التي انشأها في نيويورك حيث يتعلَّم شبان اليهود الذين هاجروا من روسيا . ولم تمضِ ثلاث سنوات على وفاتهِ حتى انفقت على الصدقات ثلاثة ملايين من الجنيهات . وجملة ما تصدَّقت بهِ هي وزوجها في حياتهما اكثر من خمسة وعشرين مليونًا من الجنيهات

كتب المستر ستروس " ان حياة البارونة هرش مثال للايثار وانكار الذات فان شغلها الشاغل كان كيف تستطيع ان تتصدَّق على الناس من غير ان يشعروا بالذل في نفوسهم وكثيرًا كنت اساعدها في فتح المكاتيب التي ترد اليها وكان متوسط ما يرد اليها في اليوم خمس مئة مكتوب من كل اقطار المسكونة وكان لا بدَّ من قراءة كل مكتوب منها واختيار ما تظن اصحابهُ اهلاً للمساعدة فتختار المكاتيب التي يجب ان يجاب اصحابها وتملي على الكتبة وتقضي بضع ساعات كل يوم في اجابة السائلين وارسال الحاويل المالية . هذه هي صدقاتها الافرادية غير صدقاتها العمومية الجمهورية كهباتها للمدارس والمستشفيات وما اشبه

" وكانت على غاية الوداعة والرصانة قلبها قلب ملاك ورأسها رأس فيلسوف قال زوجها لي مرةً انها لو كانت زوجة رجل فقير لكانت مثالاً لنساء الفقراء في الاجتهاد والتدبير

" لما كانت فتاة في بيت ابيها كانت سكرتيرًا لهُ في ما يتعلق بصدقاتهِ الكثيرة التي كان يتصدَّق بها ولما تزوجت صارت سكرتيرًا لزوجها في صدقاتهِ وكانت تحسن الكتابة بالانكليزية والالمانية والفرنسوية ولم تقتصر على ان تكون سكرتيرًا لزوجها في كل اعمالهِ الخيرية بل كانت تحضهُ دائمًا على عمل الخير وترشدهُ الى اساليبهِ . وقد كتبت اليَّ مرة تقول ان الثروة الوافرة مزية كبيرة ولكنها وديعة في يد صاحبها يُطلَب منهُ ان يستعملها حيث يكون منها النفع الاعظم

" ولم تكن تنفق على نفسها اكثر مما تنفقهُ امرأة من اواسط الناس ولا كانت تهمل ترتيب بيتها وخدمها. وكانت تعمل اعمالها على غاية الدقة والانتظام. كنت راكبًا معها مرةً في ضواحي باريس فاوقفت المركبة بغتة وطلبت من احد خدمها ان ينزل ويفرّق على بعض الفقراء مبلغًا من المال ثم التفتت اليَّ وقالت ان الذين درسوا احوال المساكين لا يستصوبون هذا النوع من الاحسان وانا اعلم انهم مصيبون ولكن ما حيلتي وانا امرأة بان اعطي واريد ان امرّ نفسي

مثل غيري . وكانت تقول هذا القول على غاية الدعة والبساطة "

توفيت في مدينة باريس في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً جداً واحتفل بجنازتها في اماكن كثيرة في اوربا واميركا

ومن صدقاتها المعروفة

٤٠٠٠٠٠	جنيه	لجمعية الاستعمار اليهودية في لندن
٤٠٠٠٠٠	«	للجمعية الخيرية الاسرائيلية في باريس
٤٠٠٠٠٠	«	معاشات لمستخدمي سكة الحديد الشرقية
٢٠٠٠٠٠	«	ليهود بودابست
١٢٠٠٠٠	«	لجمعية الاوصياء في لندن
١٢٠٠٠٠	«	لمدرسة هرش في جاليسيا
١٢٠٠٠٠	«	لجمعية الاحسان في فينا
٠٨٠٠٠٠	«	لبناء مستشفى للاولاد المسلولين في الرڤيرا
٠٨٠٠٠٠	«	لبناء ملجاء للنساء الشريفات اللواتي افتقرن
٠٧٠٠٠٠	«	لدار الناقهين في مستشفى همستد بلندن
٠٤٠٠٠٠	«	لجمعية الاحسان

هذه الصدقات الكبيرة اما الصدقات الصغيرة التي تقل الواحدة منها عن عشرين الف جنيه فكثيرة جداً و يبلغ مجموع ما تصدقت به هي وزوجها اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه كما تقدم ولعلها كل ثروتهما او اكثرها

هذا هو الكرم الحميد وهذه هي المناقب التي يفتخر بها الرجال والنساء . والرجل وزوجته شرقيان من بني اسرائيل من ارض فلسطين ولو كانت اوربا دارها ومسقط رأسها

رواية امينة

الفصل السابع

نهضت في الصباح وانا مصابة بصداع شديد حتى لا اكاد استطيع الوقوف . فقد مر علي ليل لا اطول منه كنت احاول فيه جمع افكاري فاراها كالفرس الجموح . ونهضت مئة مرة من سريري اذ كنت افكر بكلمة سمعتها او حركة رأيتها مما تتألم له النفس ثم احاول ان امحو ذلك من ذهني فلا اجد الى محوه سبيلاً . ولم يكن يمر امام ذاكرتي الأصور المشهد الاخير الذي

شهدتهُ البارحة . وجعل ضميري يوبخني توبيخاً شديداً وكنت اقول في نفسي لماذا لم ارفض طلبهُ بتاتاً لماذا ابحث لهُ ان يحبني لماذا لم اقل لهُ اني احب داود ولو كذباً فان اقتراني بذلك الرجل امهل كثيراً من وقوعي في هذه الورطة وبهِ يمنع ما وقع الآن من الشقاق بسببي في عائلة كانت عائشة على تمام الوئام لولاي ثم كنت احب زوجي على تمادي الايام . ولكن قلبي كان ينفر من ذلك كما خطر ببالي واردت اقناع نفسي بهِ

ولما اذن الظهر قُرع باب غرفتي فنهضت وفتحتهُ وقلبي يخفق واذا انا بكنجه فقالت ألا تزالين صائمة قلت نعم وامسكتُ يدها كمن تستغيث بها حاسبة انهُ لم يبقَ احد يفتكر بي غيرها وقلت لها لا اظنك صدقتِ كلام بوار

فقالت لا ادري لان الورقة وُجدت تحت عتبة الباب فكيف وُجدت لو لم تكن بوار صادقة

فقلتُ هي نفسها وضعتها هناك . ثم قصصتُ عليها قصة ذهابنا الى الساحر والورقة التي اخذتها منهُ . فلما اتممتُ قصتي امسكت يديَّ بيديها وقالت لي يا مسكينة اني ارثي لحالكِ واخاف ان الامور لا تنتهي هنا . فقد امرتني هانم افندي ان آخذكِ الى غرفة القلفة وارى ادهم بك جالساً معها لا يفارقها ولولا ذلك لكان الله يعلم ما فعلتْ بكِ

فقلت لها وما يقول ادهم بك

فقالت لا يقول شيئاً بل ترك الذهاب الى الديوان وبقي في غرفة امهِ يكتب فيها لكي لا يدع لها فرصة للايقاع بكِ على ما اظن

فارتعدت فرائصي لكنني تجلدتُ وقلتُ لها ألم يقل نصر الله باشا شيئاً لنافذ بك . فقالت بلى لكن لم اسمع شيئاً مما قالهُ لهُ وبقي نافذ بك في غرفة ابيهِ مدة ثم مضى الى غرفتهِ . واليوم قاما صباحاً وخرجا معاً . والظاهر ان نافذ بك يعلم ان اخاهُ يقيكِ من امهِ فاختار ان يبتعد عنها الآن ولما خرج امرتْ ان تنقل امتعتهُ كلها من دار الحريم الى السلاملك لكي ينام هناك من الآن فصاعداً ولا اعلم هل فعلت ذلك على علم من الباشا او على غفلة منهُ وامرت الاغوات (الخصيان) ان يمنعوهُ من دخول دار الحريم

فصرختُ " أإلى هذا الحد "

فقالت نعم ولا بدَّ من انهُ يغتاظ من ذلك غيظاً شديداً والآن تعالي معي والاَّ لم اخلص من لومها ولا تظني اني نسيتكِ اذا كنتُ لا ازوركِ لان زيارتي لكِ الآن تضرني ولا تنفعكِ

فقبلتها شاكرةً فضلها ومشيت معها الى غرفة القلفة وكانت هذه في غرفتها فنهضت وقالت لي ابقي هنا وكان يجب على هانم افندي ان تحبسكِ في القبو . قالتْ ذلك وخرجتْ واقفلت

الباب فاقفلتهُ انا من الداخل ايضاً

ومرّت ساعة بعد اخرى وانا احسُّ بثقل عظيم على صدري واعجب كيف لا ينصدع فؤادي . والظاهر ان ادهم بك لم يترك غرفة امهِ والاَّ ما تركتني كل هذه المدة . ولم يؤذّن المغرب حتى كدت اجن من القلق والكآبة . وبعد ساعة من الزمان اتت كنجه وقرعت الباب ففتحت لها فادخلت اليَّ طبقاً عليهِ صحاف الطعام وهي تقول ان ادهم بك سأل عما اذا كنت افطرتِ فقالت لهُ زوجتهُ كلاَّ فامرني ان اتيكِ بهذا الطعام ولم تجسر هانم افندي ان تمنع ذلك في حضرة الباشا

وحاولتُ ان آكل شيئاً فلم استطع واخيرًا شربت بعض المرق وشكرتها . وسألتها قائلةً هل عاد نافذ بك فقالت نعم اتى دار الحريم واخبرهُ الاغوات بامر امهِ . فقلت لها وماذا قال لهم. فقالت لا شيء لان نفسهُ الابية تأبي عليهِ ان يظهر الذل امام العبيد . فقلت لها وهل علم نصر الله باشا بذلك وهل هو مستصوب لهُ . فقالت نعم على ما يظهر وهو مستخفٌ بالامر ويقول ان كتابكِ سيكتب علي داود بعد اسبوع من الزمان فينتهي الاشكال

فسكتُّ لاني كنتُ اكرهُ التزوج بداود واغتظت من المعاملة التي عومل نافذ بك بها ووددت ان يفعل شيئاً يظهر شهامتهُ وانهُ مغتاظ من هذه المعاملة

ووقفت كنجه ترتب الصحاف على الطبق وكانها تريد ان تقول لي شيئاً وهي تزن كلامها خوفاً من عواقبهِ ثم قالت لي يا امينة انتِ اعقل من ان تعتقدي ان نافذ بك يقترن بكِ . فقلتُ نعم اعلم ان ذلك محال

فقالت ان ولية هانم سيدتي ويجب عليَّ ان اطيعها ولكنها مخطئة في عملها وقد كتبت الى نافذ بك تخبرهُ عنكِ تقول لهُ انها تحب ان يقترن بكِ فكتب اليها هذه الورقة فاعطتني اياها لآتيكِ بها لانها لا تستطيع ان تأتي اليكِ بنفسها . قالت ذلك واعطتني ورقة وهذه اول رسالة كتب بها نافذ بك اليَّ ففتحتها وقرأتها واذا هو يقول فيها

عزيزتي امينة . اخبرتني ولية انهُ لم ينلكِ اذًى وقد كنتُ واثقاً بذلك ما دام ادهم بك يقيك . وسأكلم ابي الليلة واتوسل اليهِ ان يأذن لي باقتراني بكِ فاذا اذن اضطررتُ امي ان تسلّم لهُ واذا ابى أرسل اخبرك غدًا صباحاً . وغدًا الجمعة يكون الخدم في الجامع فارسل اليكِ مفتاح باب الحريم فتفتحينهُ وتخرجين من غير ان يراكِ احد واكون انا بقايقي عند الرصيف فنمضي الى بيت واحد من اصدقائي ويكون القاضي في انتظارنا هناك فيكتب كتابنا ومتى كُتب الكتاب بطل كل اعتراض

نافذ

هذه اول رسالة حبية كتب بها اليَّ رسالة شغل مختصرة واضحة الاشارة والدلالة لكنها كانت عندي اثمن من كل ما يكتبهُ العشاق من بث الاشواق لاني كنت اعلم حبهُ لي ولا اريد عليهِ دليلاً

ولما قرأت الرسالة قالت لي كنجه لا تصدقي مواعيدهُ لان ليس في يدهِ شيءٌ ما دام ابوهُ غير راضٍ ولا تزدادين الاَّ تعباً

فلم اجبها وخرجتْ واغلقت الباب . ومضت ساعة زمانية وانا انظر في هذه الرسالة مترددة بين ان اطيع قلبي وحبي لكاتبها او عقلي وما يجب عليَّ لامهِ . وقلت في نفسي انهُ يحبني ويحسبني اهلاً لاكون قرينة لهُ وقد رضي بالاهانة لاجلي فهل يليق بي ان اظهر العتو وانغص عيشةُ وعيشي لان اباهُ وامهُ لا يستصوبان اقتراننا . واشكل الامر عليَّ فلم اعلم وجه الصواب لاتبعهُ. وكنت حديثة السن قليلة الاختبار ووددتُ لو اجد من اثق بهِ فيشير عليَّ بما يجب ان افعلهُ. وبعد جدال طويل بين عقلي وقلبي غلبت المحبة فنهضت عازمةً ان افعل ما طلب مني. وكان يخطر ببالي ان نصر الله باشا ربما يسلم بطلب ابنهِ ولكنني لم اعتمد على ذلك بل عزمت افعل ما يأمرني بهِ قلبي وامسكت الباب فوجدت ان كنجه لم تقفلهُ حينما خرجت كانها لم تكن تستطيع ان تمنع نفسها عن مساعدتي

ولما سكنت الاصوات وعلمت ان الجميع خرجوا الى البستان قلت في نفسي اني اخرج الآن وامضي الى غرفتي واجلب منها فرجيتي ففتحت الباب رويداً رويداً وخرجتُ فسمعت ادهم بك يقول وهو واقف في الرواق امام البيت ان الباشا يحب عزَّت باشا ويجب ان يعيد الصداقة القديمة فيزوج عطيَّة لنافذ . فاسرعت الى غرفتي واخذت منها فرجيتي ويشمكي وكانت غرفة نافذ بك امامها وهي خاوية خالية فاثر فيَّ منظرها تأثيراً شديداً وقبل ان ابعدت عنها كثيراً سمعت وقع الخطى على السلم فعلمتُ ان هانم افندي صاعدة لاني اعرف وقع خطاها ولم استطع ان اعود الى غرفتي ولم ارَ لي مهرباً الاَّ من باب يفتح الى السلاملك ولم يكن لي وقت لافكر واتردد فدخلت من هذا الباب حالاً ولم اكد ادخلهُ حتى رأيت هانم افندي مارَّةً امامي بقامتها الطويلة ووراءها بوار . فلما وقع نظري عليهما ارتعدت فرائصي لاني لو تأخرت لحظة لوقعتُ في يديهما وقُضي عليَّ . وقبل ان يطول تفكري في ذلك سمعتُ صوت نافذ بك فصرت كلي آذاناً لاني حسبتهُ هناك آتياً لخلاصي لكن خاب ظني لانهُ لم يكن هناك وكنت في ممرٍ ضيق يؤدي الى السلاملك وفيهِ باب يوصل الى غرفة فيها نصر الله باشا فوقفت حيث كنت ورأيت نصر الله باشا جالساً امام مائدة عليها اوراق كثيرة ونور المصباح على وجههِ

وكان عابساً مقطب الجبين ولم ارَ غيره حينئذٍ في الغرفة ثم سمعت نافذ بك يقول له انا اعلم يا مولاي انهُ لا يليق بي ان اتكلم معك في امر الحب والزواج ولكن لما رأيت امي ابت ان تصغي اليَّ ورأيتك فتحت الموضوع معي فارجو انك تغتفر هذه الجرأة مني وقد اخبرني اغا بك (اي اخوهُ الاكبر) انهُ جاءهُ مكتوب من اختي تتكلم فيهِ عن ابنة حميها وتشير بان اقترن بها فقلت اني لا اريد الاقتران بابنة عزَّت باشا

فقال لهُ نصر الله باشا انت حرٌّ لترفض الاقتران بها وانا لا اقدر ان اغصبك على هذا الاقتران ولا اريد ان افعل ذلك لو قدرت عليهِ . وغاية ما اطلبهُ منك ان تبطل ما ابديتهُ حديثاً من الميل لامينة لكي لا توقع بها ضرراً فان طيشك سيجعل امك عدوةً لهذه البنت ولو لم يبقَ ادهم في الحريم اليوم لندمت على الساعة التي رأتك فيها . وادهم لا يستطيع ان يحرسها دائماً ولا انا واثق ان اوامري تُتبع حرفياً اذا امرتهم ان لا يلحقوا بها اذًى

فقال نافذ بك ولكن لماذا يلحقون بها الاذى وماذا يمنع اقتراني بها فانك ازوجت اختي ولية بعلي بك وهو ياور شركسي فلا اظنك تأنف من تزويجي بامينة . كلاَّ كلاَّ افندم (لان نصر الله باشا تهيأ للكلام) انا اعرف ما تريد ان تقولهُ لي وهو ان الشراكسة والشركسيات شذوذ عن القانون ولكن كم من رجل من الاعيان اقترن بابنة لقيطة لا يُعرف ابواها وجدتها امرأة وتبنتها وربتها فلنفرض ان امينة ابنة لقيطة وقد تبنتها امي وحقاً انها ربيت في بيتنا كأنَّ امي تبنتها وليس لها اب ولا ام حتى نخجل بهما اذا اتيا الينا فلا ارى وجهاً لحرمانكما اياي مما اعدهُ السعادة الوحيدة لحياتي

وصمت نصر الله باشا يفكر في الامر ورأيت نافذ بك حينئذٍ وكان متكئاً على كرسي وعلى وجههِ امارات الاهتمام الشديد . ثم قال نصر الله باشا ان المسألة يا ولدي ليست ما يقولهُ الناس ولو كنتُ اعلم ان راحتك تتوقف على الاقتران بامينة ما كنت اتأخر لحظة عن التسليم اذ اقدر ان اجعل الناس يقولون كما اشاء لان المال والمقام يفعلان كل شيء في هذا الزمان بل اقدر ان اسلّم باقترانك بفتاة مسيحية ولا اخشى انتقاد احد. فقال نافذ بك وهذا هو التسليم بعينهِ يا ابي فهل ترتاب في اني احبها واود الاقتران بها من كل قلبي

فقال ابوهُ نعم ارتاب في ذلك لان الزواج عند الاتراك لا يتوقف على الحب وانا لست من اهل الزمان القديم حتى امنعك من الكلام على المحبة امامي ولكن انتَ نفسك آخذت نفسك لما اشرت الى المحبة عالماً انها لا تستحق ان تكون موضوعاً للبحث والخلاف . فانت الان مفتون بهذه الفتاة وهذا شيء زائل يوجد اليوم و يزول غداً فلا تنتظر مني ان اغيظ امك لكي

اجاريك على اهوائك

فصمت نافذ بك وقد قطب جبينهُ وقدحت عيناهُ شررًا ثم قال لابيهِ اتحسب اذًا يا مولاي ان سماحك لي بما اعدهُ اعظم سعادة لي في هذه الحياة وبما يجعلني اشكرك عليهِ مدى العمر لا يستحق ان يذكر في جانب غيظ امي

ولم يكد يتم كلامهُ حتى ارتفع حاجبا نصرالله باشا وعقد الغيظ في جبينهِ اسرارًا فقال لهُ بعُجب وخيلاء ان شكرك لي لا قيمة لهُ في عيني ما دام عاريًا من الاحترام الواجب ولا انتظر لك سعادة من الاقتران بفتاة كانت فاتحة تعلقك بها ما اراهُ من قلة الاحترام لوالديك

فقال نافذ بك حالاً العفو يامولاي العفو فاني لم اقصد قط ان اقلل من احترامي لك ولا انا مجنون حتى اغيظ ابي وليس لي صديق غيرهُ في هذا الوقت ولكن اذا كانت حياتي كلها تتوقف على ما يقرُّ قرارك عليهِ هذه الليلة فلا تعجب اذا رأيتني مهتمًّا بهِ الى هذا الحد

فتبسم ابوهُ قليلاً وقال اني اصدّق انك مهتم بهذا الامر الآن وانك تكلمني فيهِ بالجد لا بالهزل ولكني لا اصدق انك تبقى على ذلك طويلاً

فقال ابقى طول حياتي ولا اغير وان غيرت

فقال ابوهُ وان غيرت فعلى من تدور الدائرة على تلك المسكينة بعد ان تكون قد جرحتَ امك جرحًا لا تبرأُ منهُ واوقعت الشقاق والخصام في بيت ابيك فاسمع ما اقول لك كان يمكنني ان اقول لك من اول الامر اني لا اريد ان تتزوج بها ولكنني فضلت ان اباحثك لكي اقنعك بفساد رأيك

فقال وان كنت لا اقتنع

فقال ابوهُ لا بد من ان تقتنع ولا يبرح من بالك انك لست حرًّا لتفعل ما تشاءُ وان سلطتي عليك غير محدودة

فصمت نافذ بك ولم يجب بكلمة ولكن لاحت على وجههِ لوائح النفور والعصيان ونظر ابوهُ اليهِ مستفسرًا وكأنهُ لحظ ذلك ولم يرد ان يوسع الخرق

وشعرت حينئذٍ بحرج الموقف الذي كنتُ فيهِ موقف التنصُّت على الناس سرًّا وبكّتني ضميري على ذلك واردت الرجوع الى دار الحريم فسمعت لغطًا كثيرًا فيها لان الجواري كنَّ يضعن المائدة في دارها ولذلك لم اجد لي سبيلاً الى الخروج من حيث كنت واعدت نظري الى الغرفة التي امامي وانا اكاد اذوب خجلاً من نفسي لاني حسبتني ملومة باستماع ما اسمعهُ على هذه الصورة . فسمعت نصرالله باشا يقول لابنهِ "اشرتَ الآن الى اني افضل مرضاة امك

على راحتك الدائمة وهذا خطأ لانني ان كنت اراعي مرضاة امك فيكون ذلك لعلاقتها بامينة لا بك ولا بي لانك اذا تزوجت بهذه الابنة المسكينة على غير رضى امك حسبتها عدوة لها وانتقمت منها . افتكر بما يمكن ان تفعله بها وقل لي أيجوز لك ان تضحي هذه المسكينة ارضاء لاهوائك

فقال نافذ بك حينما تصير زوجتي فانا اقدر ان احميها ولا يحتمل ان امي تسيء الى كنتها ولا انت ترضى بذلك

فصمت نصرالله باشا مدة وظهر عليه الغيظ والاندهاش ثم التفت الى ابنه وقال له اني استغرب جداً كيف عشت في الحريم كل هذه السنين ولا تعرف ما يجري فيه فانهُ لو لم يرسل لها ادهم الطعام مع جاريته الخاصة كان قضي عليها الليلة

فاقشعر بدني وارتعدت فرائصي حينما سمعتهُ يقول ذلك . وخطر ببالي حينئذٍ ان السم اسهل علاج يلجأ اليه في الحريم ويقال ان هانم افندي تخلصت من كثيرات على هذه الصورة وقلت في نفسي هو يخشى اذاً من ان تقتلني سماً

وصمت نافذ بك بضع دقائق ثم قال بصوت منخفض . متى تزوجت بها يترتب عليَّ ان اقيها من كل شرٍ ولا تتعذر عليَّ وقايتها حينئذٍ

فقال ابوهُ بغيظ شديد انا لا ارضى بذلك ولا اظنك احمق الى هذا الحد حتى تعصي امري

فصمت مدة وكانت الجواري تضحك وتجلب في دار الحريم وانا سجينة في تلك الغرفة ثم سمعتهُ يقول بصوت مرتجف رنان

اني احبها حباً شديداً حتى اجسر ان اخالف امرك واقترن بها. الله يعلم اني لا اريد ان افعل شيئاً الاَّ بامرك ورضاك ولكن اذا كنتُ لا استطيع ان استرضيك فلا حيلة لي

فاجابهُ ابوهُ بالازدراء والاحتقار لك ان تفعل ما تشاء ولكن لا يكون لومك الاَّ على نفسك فانك يوم تقترن بها لا تعود تدخل بيتي ولا ترى وجهي بل وتربة اجدادي لا تعود ترى هذه البلاد . اقترن بها وانظر ما يحلُّ بك يوم تقترن بها ترسل الى اليمن ولا تعود الى هنا ما دمتُ حياً . قد حذرتك فاختر لنفسك . ولست اسألك كيف تستطيع ذلك لاني واثق انك قد دبرت التدابير اللازمة ولا يهمني معرفتها

ولما كنت اصغي الى هذه الكلمات التي قطعت حبال آمالي ونسفت اماني نسفاً سمعت واحداً يمشي في الممشى فاختبأت خلف الباب المفتوح واذا بعبد اسود مرَّ امامي الى الغرفة التي فيها نصرالله باشا ودعاهُ الى الطعام فقام وتبعهُ وكان الى جانبي باب آخر يفتح الى غرفة اخرى فدخلت

منهُ واختبأْت فيها ودخل نصرالله باشا واقفل باب السلاملك وراءه' وخرج نافذ بك من الغرفة ونزل الى الدار السفلى

وجعلت افكّر في ما سمعتُ ورأيتُ فصممتُ علي ان لا اقترن بنافذ بك الاَّ برضى ابيهِ لانهُ قادر ان يفعل كل ما تهدَّدهُ بهِ ومع ما كنت اراه' فيهِ من الشهامة وكرم الاخلاق كان مستبدًا برأيهِ لا يتجاسر اولادهُ على معصيتهِ . وكنت اعلم ان ما يحتملهُ الضباط في بلاد اليمن من المشاق وشظف العيش لا يستطيع نافذ بك احتمالهُ لانهُ لم يعتد الاَّ رفاهة المعيشة

ولما صممت هذا التصميم شعرت بقوة جديدة في نفسي ولم اعد افكّر في ما يأول اليهِ امري وما تكون عاقبتهُ عليَّ لاسيما وانني كنت حينئذٍ في موقف ينسى الشجاع عنده' شجاعتهُ فجعلتُ افكّر في ان سبيل النجاة قد سدَّ في وجهي باقفال باب السلاملك وانهُ ربما يُرسل العشاء اليَّ الآن فلا اوجد في غرفة القلفة فيعلم امري . وبقيت نصف ساعة افكر في طريق للنجاة فلا اجد واخيرًا سمعت واحدًا صاعدًا على السلم ثم اقترب نحو الغرفة التي كنت فيها ووقف هو ورجل آخر عند بابها ثم سمعت صوت نافذ بك يقول ألست عازمًا على دخول الحريم الآن فاجابهُ اخوهُ كلاَّ لأنَّ معي اوراقًا لا بدَّ من النظر فيها وانا ادخن سيكارة قبل المدفع ثم افترقا فاشعل ادهم بك سيكارتهُ ودخل الغرفة التي كنت فيها وتلمس فيها حتى وجد طاولة في وسطها فاشعل عود كبريت اضاء بهِ شمعةً عليها ووقف وظهره' متجهًا اليَّ وانا واقفة مكاني لا ادري هل اخرج قبل ان يراني وابق في المشي الى الصباح او اتجاسر واتقدَّم اليهِ واطلب مساعدتهُ . وقبل ان اصمم على امر من الامرين دار ليأتي بكرسي يجلس عليهِ فوقعت عينهُ عليَّ فوقف مبهوتًا كأنهُ يرى خيالاً ثم دنا مني ووضع يده' على كتفي كأنهُ لم يصدق عينيهِ وقال امينة أأنتِ هنا ما اتى بك الى هنا

فلم اجبهُ ولم استطع الجواب بل انطرحت على كرسي بجانبي واجهشت في البكاء فوقف امامي وقفة الحيرة ثم قال لي لماذا لم تناديني ان كنتِ محتاجة الى شيء فقد بقيت في البيت النهار كلهُ مخافة ان تحتاجي الى شيء فلا تجدي من يلبي نداءك ولم استحسن ان آتي اليكِ من تلقاء نفسي . الم يكن الأليق بكِ ان تناديني الى غرفتكِ من ان تأتي لتريني هنا

فقلتُ لهُ اني لم آتِ لاراك هنا ولكنني اود ان اتكلَّم معك على كل حال . ثم صمتُّ ونظرتُ في وجههِ وكنت اتوسم فيهِ دائمًا سمات الشهامة والفضل واثق بهِ تمام الثقة اما الآن فرأيتهُ فوق ذلك كلهِ رأيتهُ الرجل الوحيد الذي يمكنني ان اعتمد عليهِ في ساعة الشدة واطلعهُ على كل ما في ضميري . ولما خطر على بالي هذا الخاطر كدت اذوب خجلاً وقلت في نفسي

كيف اطلعهُ على ما انا فيهِ لكنني تجلدت لاني لم ارَ امامي سبيلاً آخر واطرقت راسي وجعلت اقصُّ عليهِ قصتي من حين اتتني رسالة نافذ بك واخبرتهُ بما سمعتهُ منهُ ومن ابيهِ
فاصغى اليَّ صامتاً ولم يفهُ بكلمة ولما اتممتُ قصتي اخذ يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وانا اسائل نفسي قائلةً لعلهُ اغتاظ مني لعلهُ اغتاظ من عزمي على الهرب مع اخيهِ ولم اكد اتصوَّر ذلك حتى شعرت كأَن الدم حرق وجهي والعرق تصبب من جبيني فوددت ان تشق الارض وتبتلعني . وعاد بعد قليل ووقف امامي وقال لي اني ارثي لكِ من كل قلبي فقد كنت اظن انك تحبين داود . لا يحمر وجهكِ فانكِ لم تفعلي شيئاً يستحى منهُ . هلي نحن نظرنا في الامر قلتِ ان ابي تهدَّده بالنفي اذا اقترن بكِ . فاطرقتُ راسي علامة الجواب لانني لم استطع الكلام وصمت هو مدةً ثم قال اودُّ من كل قلبي ان اساعدك ولكني لا ارى سبيلاً . يستحيل عليهِ ان يقترن بكِ من غير رضى ابي ولا افهم كيف يخطر ببالهِ ان ذلك ممكن . ولقد اخطأ في تهديدهِ ابي لانهُ لم يبقِ لي وجهاً لاسترضائهِ يوماً من الايام وقد كان استرضاؤهُ صعباً قبل هذا التهديد لانهُ لا يغير رأيهُ بسهولة فكيف يمكن استرضاؤهُ بعد الآن .
ولما رأيتُ انهُ لم يبقَ لي باب للرجاء قلتُ لهُ ألا يمكن ان اخرج من هنا اينما ارسلتني ارسلني لكي ابعد عن هذا المكان
فلم يقل شيئاً بل نظر اليَّ والكآبة على وجههِ وعاد الى الطاولة وكتب كتاباً وجيزاً ثم دنا مني وقال اني اعرف حرج الموقف الذي انتِ فيهِ وما يمكن ان ينالكِ من الاذى من امي لو بقيت هنا ولو كنت لا تستحقين شيئاً من ذلك ولا لوم عليك بل اللوم كلهُ علينا وحدنا ولكن يوجد مكان يمكنكِ ان تمضي اليهِ فقد كتبت اليَّ اختي سنية تطلب مني ان ارسل اليها واحدة تساعدها في تربية اولادها وهي مثل اختكِ لان جدتكِ ربتها فتستريحين عندها وتسرين بها وانا أؤكد لكِ انها تلاقيكِ على الرحب والسعة
فقلت هذا احسن شيءٍ ثم صمت بغتةً لانهُ خطر ببالي ان نافذ بك ربما يتبعني الى هناك وكأَنهُ قرأَ افكاري فقال لي اذا قبلت مشورتي تخير لكِ ولهُ ان يبقى ذهابك مكتوماً عنهُ ولا يعلم احد الى اين ذهبتِ الا ابي ثم فتح ساعتهُ وقال لم يضرب الموقع حتى الآن ولا يزال ابي مستيقظاً اتريدين ان اذهب واخبره . فقلت نعم اذهب لوجه الله ولكن خذني معك الى غرفتي . فوقف وعلامة الشك في وجههِ وقال لا اظن ذلك ممكناً لان امي لا تزال مستيقظة والخدم في الدار والاحسن ان تبقي هنا . فقلت لهُ وكيف تعتذر عن وجودي هنا . فقال اليس لكِ ثقة بي فقلت بلى لي كل الثقة وقبل ان اتم كلامي خرج واقفل الباب وراءهُ . البقية تأتي

اغنياء اميركا

يتوق الانسان طبعاً الى الوقوف على اخبار الغريب النادر . وهل من شيء اغرب واندر من حشد الكثير من المال في القليل من السنين . خصوصاً وان المال في هذه الايام قوة عظيمة يسعى كل واحد الى الحصول عليهِ ولهُ الشأن الاكبر في سياسة الممالك وشؤون الحياة

وقد فاق الاميركيون غيرهم في هذا المضمار واحرزوا من المال ما لم يحلم بهِ كسرى ولا قارون . وساذكر في هذه المقالة طرفاً من اخبارهم لان فيها فضلاً عن غرابتها فوائد كثيرة تهمُّ معرفتها مَن خاض معترك الحياة ولا يزال يغالب الايام فتغلبهُ تارة ويغلبها أُخرى

ويستفاد من هذه الاخبار ان الذين اثروا من الاميركيين كانوا متصفين بالهمة والاجتهاد والمواظبة وبُعد النظر واقتحام الاهوال التجارية والثبات على العمل ولو كان كلهُ خسارة في بدئهِ الى غير ذلك من المزايا التي لا غنى عنها لطالبي السبق في ميدان الحياة . ولكن الطبع غلاَّب والظلم من شيم النفوس فمتى ذاق المرء لذة الكسب هاجت اطماعهُ وضحى امامها كل ما فيهِ من عواطف الحنان وقال الحرب خدعة حتى اذا تمكن من مناظريهِ لم يشفق عليهم ولم يذر . فكم من الوف افقرهم الاغنياء بمطامعهم الاشعبية . ولو تتبعنا تاريخ كلٍّ منهم لرأينا انهُ بنى ثروتهُ على انقاض ثروة المئات بل الالوف من مواطنيهِ ومناظريهِ

ويلقب اغنياء اميركا بالاربعمائة وهم عدة بيوت يبلغ عدد اعضائها نحو اربع مئة نفس ويسكن اكثرهم الشارع الخامس من مدينة نيويورك فاذا قالوا ان فلاناً من الاربعمائة او من سكان الشارع الخامس قصدوا بذلك انهُ من ملوك الثروة في اميركا . ولو بقي اولئك الناس في بلدانهم التي نشأوا منها يجمعون باطماعهم اموال مواطنيهم ويفاخر بعضهم بعضاً بالابهة والترف لهان الامر على سكان النصف الشرقي من الكرة الارضية ولم يكن لنا فائدة كبيرة من استقصاء تواريخهم لكن اميركا ضاقت بهم فهاجموا اوربا هجوماً لم يرَ نظيرهُ منذ ايام تيمورلنك وجنكيز خان لا بالسيف بل بالدينار وجابوها من الغرب الى الشرق حتى انك لا تزور مدينة اوربية الاَّ رأيت الاميركيين فيها ينفقون الاموال الطائلة ورأيت اشراف العالم القديم وقد كانوا حتى الساعة يعتقدون انهم اغنى اهل الكرة يختبئون منهم خوفاً وخجلاً . فاعظم الاشراف في اوربا قد لا تتجاوز ثروتهُ المليون او المليونين من الجنيهات واغنياء اميركا قد ينفق الواحد منهم في سنتهِ ما ينيف على ذلك وهو آمن مطمئن . ولم ينحصر النزاع في المسائل الاجتماعية بل تعدَّاها الى المسائل التجارية والاقتصادية . فالشركات الاميركية تبيع الحديد والزيوت والفحم

والمصنوعات المختلفة في اوربا بارخص مما تبيعها معامل اوربا نفسها . وانكلترا اعظم البلدان الصناعية قد بليت بزاحمة اميركا لها في مستعمراتها حتى في نفس عاصمتها لندن حيث بنوا الترامواي الكهربائي على عمق عشرين متراً تحت سطح الارض من منتصف المدينة الى غربيها وهم شارعون الآن في ابتياع جميع السكك الحديدية التي تحت الارض في تلك العاصمة لتحويلها الى ترامواي كهربائية وهذه السكك ممتدة تحت اكثر شوارع المدينة . وقد قام بعض اعضاء البارلمنت ينتقدون على الحكومة ميلها الى مساعدة التجارة الاميركانية فتبرأ الوزراء من ذلك واثبتوا ان لا سبيل لايقاف تيار البضائع الاميركية الجارف الا بسعي المعامل الانكليزية في تحسين بضائعها وسرعة عملها وبيعها باثمان البضائع الاميركية . وقد دخلت تجارة اميركا هذا القطر منذ بضعة اعوام فاشترت الحكومة المصرية بعض القاطرات والعربات من اميركا وانشأ الاميركيون كبري نهر الاتبرة الذي قامت له قيامة الجرائد الانكليزية واصحاب المعامل في انكلترا

وجميع ارباب المال في اميركا او كما يدعونهم غالباً ملوك الثروة فيها من اصل فقير ولدوا في اميركا او هاجروا اليها طلباً للرزق فابتسم لهم السعد وخدمتهم الايام حتى صاروا على ما هم عليه . وهاك تاريخ بعض المشهورين منهم

(١) جون ركفلر ملك الزيت

وهو اغنى اهل العالم وتقدر ثروتهُ بثمانين مليوناً من الجنيهات ودخلهُ اليومي بنحو تسعة آلاف جنيه . وقد كانت ثروتهُ سنة ١٨٥٥ الف جنيه فقط ثم صارت سنة ١٨٧٠ عشرة آلاف جنيه وبلغت سنة ١٨٧٥ مئتي الف جنيه وسنة ١٨٨٥ عشرة ملايين جنيه وسنة ١٨٩٠ عشرين مليون جنيه وتبلغ اليوم نحو ثمانين مليوناً كما تقدم

بدأ ركفلر باحتكار زيت البترول والزيوت التي تستعمل لتزييت الآلات البخارية ونحوها منذ نحو ثلاثين سنة وكان لهُ ندّ اسمهُ جورج ريس يخرج من معمله الذي بنى فيه زيت البترول مئة الف برميل سنوياً فاهتم ركفلر حتى تمكن من مبيع زيته باقل مما كان يبيعهُ ريس . ولما بحث هذا عن السبب وجد ان شركات السكك الحديدية تلزم معامل الزيت المذكور ان تضع زيوتها في براميل وتشحنها في عربات الشركة اسوة ببقية البضائع مع انها تسمح لشركة ركفلر بنقل زيتها في عربات مخصوصة كالصهاريج الكبيرة فلا تدفع سوى أجرة نقل الزيت مع ان بقية المعامل تدفع اجرة نقل الزيت ونقل البراميل التي فيها الزيت فتدفع نحو ٢٠ جنيهاً عن شحن كل عربة زيادة عما يدفعهُ ركفلر . وظن ركفلر ان ريس قد يئس من الفوز في

المزاحمة فعرض عليهِ ان يبيع معملهُ ويعتزل تجارة الزيت فابى هذا وامرٌ على رفع دعواهُ الى المحاكم فرفعها وبدئ بالتحقيق فاتضح ان رئيس شركات السكك الحديدية ومديريها هم ركفلر وشركاؤُهُ مديرو معامل الزيت وانهم يمتلكون نحو خمس السكك الحديدية كلها في اميركا فكانوا ينقلون الزيت على نفقة الشركات ثم يعود الربح لهم ٣٠ او ٤٠ في المائة

وبينما كان التحقيق جاريًا خلا الجو لركفلر ولم يبقَ لهُ مزاحم اذ اقفلت معامل تكرير الزيت كلها لعجز اصحابها عن تجاراتهم . ثم رفعت الدعوى الى المحكمة فحكمت بحل شركة الزيت وبان لا حق لشركات السكة الحديد ان تجري على تعريفتين مختلفتين لنقل الزيوت . وظن ريس انهُ فاز بمرامهِ ولكن فوزهُ هذا كان ظاهرًا فقط فان ركفلر التجأ الى السلطة الادارية لما خسر دعواهُ امام السلطة القضائية ففاز وبقيت شركة الزيت على حالها وبقيت شركات السكك الحديد تأخذ أُجرة نقل الزيوت من ركفلر اقل مما تأخذ من غيرهِ وكان ذلك سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٠٢ حكمت المحكمة ثانية بحل شركة الزيت فادّعى ركفلر انهُ اذعن لحكمها غير ان انهُ اذعانهُ كان وهميًا فانهُ ابدل اسهم الشركة باسهم أُخرى ولا تزال اعمالها جارية الى الآن رغمًا عن احتجاج المحكمة . وقد وزعت هذه الشركة الارباح على مساهميها بين ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ تاريخ صدور الحكم بحلها وشهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ ستًا وعشرين مرة على معدل ١٣٧ في المئة من رأس المال اي ان كل مئة ريال ربحت ١٣٧ ريالاً . ولما كان رأس الشركة عشرين مليونًا ونصف مليون من الجنيهات كانت ارباحها في هذه المدة ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات

ولركفلر سلطة عظيمة قلَّ ان يضارعهُ فيها احد ومعيشة الوف من الناس تتوقف على البقاء في خدمتهِ . فعندهُ ٢٠ الف عامل في معامل الزيت عدا عن بحَّارة سفنهِ التجارية وعددها مئتا سفينة وهو يمتلك سبعين الفًا من عربات السكة الحديد المخصصة لنقل الزيت ولهُ اسهم كثيرة في جميع شركات السكك الحديدية في اميركا . قيل انهُ طلب يومًا من شركة سكة حديد بنسلفانيا ان تأخذ من بقية معامل الزيوت ضعفي الاجرة التي تأخذها من معملهِ فأبى مديروها ذلك اولاً ولكنهُ توعدهم جميعًا بالعزل ولما رأوا ان اكثر اسهمها لهُ خضعوا لاوامرهِ صاغرين . وقد فعل مثل ذلك بعدة شركات من شركات النقل حتى باتت كلها طوع بنانهِ يديرها كما يشاء

والظاهر ان ركفلر قد نصب من الجهاد وهمومهِ وعزم على الاعتزال . خطب حديثًا في احدى جمعيات الاحداث في نيويورك فقال : —

ما هو النجاح أهو جمع المال ان افقر انسان اعرفهُ ليس عندهُ سوى المال . ولو خيرت لفضلت ان اكون فقيرًا ويكون لي غرض اسعى اليهِ

ثم ذهب مساء اليوم الذي القى فيهِ هذهِ الخطبة الى نادي التجار فاجتمع حولهُ اصدقاؤهُ اذ رأوا عليهِ امارات التعب والهم وسألوهُ عما شاع عن عزمهِ على اعتزال العمل فاجاب نعم وادفع راتبًا سنويًا مئتي الف جنيه لمن يتولى اعمالي كلها نيابة عني وعليهِ ان يعرف جيدًا صناعة استخراج الزيت وتنقيتهِ وادارة السكك الحديدية وكيفية استخراج الحديد وقيمة العقارات وان يكون قد اتقن ادارة شركات النقل البحرية واعمال البورصة ويكون غاية في الامانة

فقاطعهُ احد الحاضرين وقال ماذا تعني بالامانة

فاجاب : على مَن يريد النيابة عني ان يكون امينًا لي ويحرص على مالي حرصهُ على مالهِ الخصوصي ولو ادّى ذلك الى ابطال تجارة الغير . وبعبارة أُخرى انهُ يجب على نائبي ان يضعني مثالاً امامهُ في العمل . ثم قال أتعلمون انهُ عدا اشغال شركة الزيت التي لي (وهي المعروفة باسم الستاندرد أُويل) والاشغال الاخرى المعروفة عليَّ مراقبة ٣٨ الف ميل من السكك الحديدية . ثم تنهد وقال من يأتني بالرجل الذي اطلبهُ ادفع اليهِ عشرين الف جنيه وخرج من النادي الى بيتهِ مثقلاً بهمومهِ وغمومهِ

وان يكن ركفلر اضرَّ بقليلين من الاغنياء الذين ناظروهُ اي قلَّل ثروتهم فقد افاد كثيرين من غيرهم لان هباتهِ للمدارس تقدَّر بالملايين وقد بلغت منذ خمس سنوات نحو ثمانية ملايين من الريالات وزادت عليها كثيرًا بعد ذلك

(٢) هنري هفمير ملك السكَّر

بدأ هنري هذا واخوهُ ثيودور باحتكار السكَّر سنة ١٨٨٨ بمساعدة بعض الماليين وكان عملهما مقتصرًا في اول الامر على المضاربة فلما احتكرا السكر في جزائر الانتيل وفي اوربا اخذا يحددان الاسعار حسبما يشاءان فلم تمضِ عليهما سنتان حتى ربحا بضعة ملايين من الريالات فوسَّعا اعمالهما وكان لهما مناظر كبير وهو شركة النهر الشمالي لتكرير السكر فارسلا اليها بلاغًا نهائيًا لتبطل العمل ولما ابت اعلنا عملاءها انهما يبيعانهم السكر باقل مما تبيعهُ هي عشرين في المئة فاقبل الجميع عليهما وهبطت اسهم شركة النهر الشمالي هبوطًا فاحشًا ثم اعلنا العملاء بعد مدة ان اسعار السكر عادت الى ما كانت عليهِ بزيادة ٢٥ في المائة فعادوا كلهم الى شركة النهر الشمالي ولكنهم وجدوا اسعارها زادت ايضًا وذلك لان هفمير واخاهُ اشتريا اسهمها كلها

بسبعين الف جنيه ليأمنا مناظرتها ثم باعاها بعد ذلك بشهرٍ الى جمهور المساهمين بمئة واربعين الف جنيه . وفي السنة التالية عاودا الكرة على هذه الشركة وفعلا بها كما فعلا اولاً وهاجما شركتين آخريين واضطراها الى الخضوع واشتريا اسهمهما بثمانية وعشرين الف جنيه ثم باعاها بثمانين الفاً وبذلك تمَّ النصر لهفمير وصار ملك السكر بلا منازع . وتزيد ثروتهُ الآن على خمسين مليوناً من الجنيهات وربحهُ السنوي نحو اربعة ملايين فانهُ يبيع سنوياً نحو مليون ومئتي الف طن من السكر وذلك يعادل اربعة اخماس مقطوعيتهِ في الولايات المتحدة

وهو يملك اثنين وعشرين معملاً لتكرير السكر متفرقة في انحاء البلاد وعدد العملة فيها نحو عشرين الفاً . ولهُ عدا ذلك معامل لعمل البراميل ولعمل الفحم الحيواني الذي يستعمل لتكرير السكر ولقطع الاخشاب اللازمة للبراميل و يبلغ عدد العملة في هذه المعامل التكميلية نحو عشرة آلاف

وقد تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا لفحص احوال الشركات الكبيرة التي احتكرت تجارة البلاد فقرر هفمير ان قيمة شركتهِ ثلاثون مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي نحو ستة ملايين اي ٢٠ في المائة ونفقاتها السنوية نحو ستة ملايين ونصف من الجنيهات واجور العمال منها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف . وفي معامل الشركة ٢٧٥ آلة بخارية مجموع قوتها اربعة وثمانون الف حصان وهي تعمل دائماً وتحرق يومياً الفين وثمانماية طن من الفحم الحجري وسبعة عشر الف متر مكعب من الماء و يصدر يومياً من معاملهِ خمسة واربعون الف برميل من السكر . ولم يكتفِ بالبيع بالجمل بل تراهُ يزاحم الباعة بالتفاريق حتى اضطرهم ان يبيعوا بالاسعار التي يحددها لهم . ومركز شركتهِ في نيويورك في وال ستريت وغرفتهُ بسيطة الاثاث جداً ومنها يدير معاملهُ العظيمة والثلاثين الفاً من العملة الذين يموتون لموتهِ ويحيون لحياتهِ و يصدر اوامرهُ المطاعة الى جميع تجار السكر في اميركا . ويقدرون انهُ اذا استمرَّ سائراً على هذه الخطة لا تمضي سبع سنوات او ثمان حتى تصبح اسواق السكر في اوربا ايضاً طوع امرهِ

(٣) روبرت نَيط ملك القطن

وهو اشد اصحاب الثروة صرامةً في معاملة مستخدميهِ مع ان ما قاساهُ في صباهُ كان يجب ان يجعلهُ ارأف الناس بالذين عضهم ناب الفقر واضطرهم الى العمل في معاملهِ

ولما كان في الثامنة من عمرهِ كان يعمل اربع عشرة ساعة في اليوم في احد معامل القطن و يأخذ ٢٥ غرشاً في الاسبوع واذ رآهُ صاحب المعمل على جانب كبير من النباهة والاجتهاد

عينهُ كاتباً وجعل راتبهُ الشهري ١٦ جنيهاً . وكان صارماً ذا همة في العمل لا تعرف الكلال وخبرة في اشغال القطن قلَّ ان توجد عند غيرهِ فسُرَّ بهِ صاحب المعمل كثيرًا وجعلهُ شريكاً لهُ ولم يطلب منهُ ثمن حصتهِ (وكانت ٢٨ الف جنيه) بل ضرب لهُ موعدًا لايفائهِ . و بلغ دخلهُ اول سنة نحو الف وخمسماية جنيه . ولما بلغ السادسة والعشرين من عمرهِ تخلَّص من صاحب المعمل الذي كان سبب نعمتهِ واشرك معهُ اخاهُ

وكانت تجارة القطن في اميركا محصورة كلها تقريباً في شركة سبراج غير انها ابتليت ببعض الخسائر فاستغنم نيط الفرصة وهاجمها بكل قواهُ ولم تمضِ سنتان حتى افلست فاشترى معاملها بما هو دون الطفيف وبذلك اصبح هو واخوهُ المالكين لتجارة القطن في اميركا

ومدار عملهِ في مقاطعة بروڤيدنس وفيها ١٥ قرية متشابهة البناء وكلها ملك لهُ .وتوفي اخوهُ منذ مدة فاصبح المالك الوحيد لها . ولهُ ٢١ معملاً يعمل فيها نحو ٧٥٠٠ عامل . ويبلغ عددهم مع نسائهم واولادهم نحو ثلاثين الفاً لا ملجأ لهم في الدنيا سواهُ

ومن غريب امرهِ انهُ يحب الاشجار والمناظر الطبيعية حباً يفوق الوصف ولما كان احد معاملهِ مبنياً في غابة غبياء لا تكاد اشعة الشمس تخرقها اضطرَّ ان ينير المعمل بالكهربائية مفضلاً ذلك على قطع اشجار الغابة ولا يزال مصرًّا على ذلك رغماً عن ابتلاء كثيرين من عمالهِ بامراض العيون وهو يبيع عمالهُ جميع لوازمهم من مأكل ومشرب . والطبيب والقسيس والمعلم من مستخدميهِ يصدعون بامرهِ حتى ان المعلم لا يلقي عليهم من الدروس الاقتصادية والسياسية الاَّ ما يوافق رأيهُ

ويمكن تقدير ثروة هذا الرجل هكذا : ان عندهُ في معامل الغزل والنسج ٧٥٠٠ عامل ولا تكون اجورهم في اليوم اقل من ثلاثة آلاف جنيه ولا تكون في السنة اقل من مليون جنيه . واجور العمال في معامل القطن تساوي ١٥ في المئة من رأس مالها فيكون رأس مالهِ ستة ملايين وستمئة الف جنيه لكنهُ يربح منها في السنة مليون جنيه على الاقل ولو حُسب هذا الربح ربا لرأس مال على معدل ٥ في المئة كان رأس مالهِ عشرين مليوناً من الجنيهات وهو على ازدياد

ستأتي البقية نسيم بر باري

الكونت تولستوي الروسي

تابع ما قبله

ختمنا الكلام في الجزء السابق بما جرى على المائدة بعد الطعام . قال المستر كنان صاحب الحديث ولم تحن لي فرصة حتى الآن لاري الكونت وصف اعتصاب الصوم الذي وعدت بان اريهُ اياهُ فلما عدنا الى غرفة الاستقبال عدت الى الكلام على معاملة المنفيين في سيبيريا واخرجت الكتاب واريتهُ اياهُ وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ باربع نساء من المتعلمات المتهذبات اللواتي تآمرنَ على الصوم وبقينَ من غير طعام ستة عشر يوماً لكي ينجينَ مما حسبتهُ قساوةً بربرية لاتطاق . وقد كتبت كتاب الوصف مدام روسيكوفا احدى المتعصبات وهرَّبهُ من السجن سجين آخر كان سجنهُ قريباً من سجنها فجعل الكونت يقرأُ الكتاب ويقطب وجههُ وبان لي من كلامهِ انهُ اطلع على حوادث كثيرة مثل التي فيهِ ويئس من اصلاح الحال ثم قال لا شبهة عندي في ان افعال هؤلاء المنفيات تشهد لهنَّ بالبسالة والشهامة ولكنني لا ابررهنَّ في ما فعلن لان فعلهنَّ مخالف لمقتضى الحكمة ولو اتبع المنفيون كلهم رأيي قبلما جاهروا بالعصيان لافادوا روسيا فائدة لا تقدَّر . فان رأيي هو الثورة الحقيقية التي تنفع البلاد فلو اتفق اهالي البلاد على ان لا ينتظموا في الخدمة العسكرية ولا يدفعوا الضرائب للاتفاق على الجيش لتقوضت دعائم الحكومة الحاضرة . والطريق الوحيد لمقاومة الشر هو ان يمتنع الانسان عن فعل الشر لنفسهِ ولغيرهِ

فاستغربتُ مناداتهُ باسلوب ثوروي لا يمكن العمل بهِ على ما ارى وقلتُ لهُ ان الحكومة تجبر الناس على دفع الضرائب وعلى الخدمة العسكرية وعليهم ان يدفعوها ويتجندوا والاَّ اودعتهم السجون

فقال هذا ضرب المحال لانها لا تستطيع ان تسجن الامة كلها وان سجنتها حصلت الغاية المطلوبة لانها تمسي بلا مال وبلا جنود

فقلت ولكن يستحيل عليك ان تجعل الامة كلها تتفق على امر واحد وتفعلهُ في وقت واحد . وقد تستطيع ان تقنع مئة الف او اكثر من الفلاحين ليعملوا برأيك ولكن هل تترك وشأنك . كلاَّ بل حالما ترى الحكومة ان آراءك عاملة على الاضرار بها تمنعك عن التمادي في عملك . وهبْ جدلاً انك استطعتَ ان تقنع ربع السكان كلهم فان الحكومة تستطيع ان تجند من الثلاثة الارباع الباقية ما يكفي للقبض على الربع الذي اتبعك ووضعهِ في السجون او نفيهِ الى

سيبيريا وتنتهي هناك آراؤك وامانيك . ولا ارى لك سبيلاً الاَّ ان تنال من الحكومة حرية العمل بالسلم ان امكن او بالثورة اذا دعت الحال ولا تستطيع ان تعلّم الناس وتقنعهم كيف يعيشون و يعملون ما دام في البلاد قوة اخرى ماسكة بخناقك تخمد انفاسك اذا فتحتَ فاك او رفعت يدك فكيف تفلح وانت كما انت

فقال اذا حقٌّ لكَ ان تقاوم الشرَّ بالشر حقٌّ لكل احد غيرك ان يقاوم ما يحسبهُ شرًّا فتمتلئُ الدنيا من الحرب والخصام ولذلك يترتب عليك ان تعلّم الناس بوجود طريق آخر غير الشر لمقاومة الشر وهو طريق النصح والارشاد

فقلت ولكن اذا رأيتُ امامي رجلاً يضربني على فمي كلما حاولت الكلام فكيف استطيع النصح والارشاد

فقال اذًا تكون قد امتنعت عن ضربهِ كما ضربك فتربيهِ بفعلك هذا انك ترفعت على خلة الانتقام البربرية ثم ان خصمك يكف عن ضرب رجل لا يقاومهُ ولا يقي نفسهُ . وقد ارتقى نوع الانسان بالذين تألموا لا بالذين آلموا غيرهم

فقلت ان الشكوى والتذمر لم يرقيا امةً من الامم ولم ينل احد حقهُ الاَّ بالقوة وسفك الدماء على ما يظهر لي من تاريخ العالم . والامة التي ترضخ للذل وتسكن الى الهوان لا تنال حرية ولا راحة

فقال ان تاريخ الانسان تاريخ ظلم وجور وحرب وخصام والناس مختلفون تمام الاختلاف في تحديد الظلم والجور فاذا ابحتَ لكل احد ان يقاوم ما يحسبهُ ظلمًا وجورًا ملأتَ الدنيا بالحروب والخصومات

فقلت ولكن ان كان الظلم نافعًا للظالم ورأى انهُ يستطيع ان يظلم غيرهُ ولا رادع لهُ ولا مطالب فهل يرجى ان يعدل عن ظلمهِ . و يظهر لي ان تعليم السلام الذي تعلّم بهِ يقسم الناس فئتين فئة قاهرة ظالمة تجد الظلم نافعًا لها فلا تحول عنهُ وفئة مقهورة مظلومة تعدُّ المقاومة اثمًا فتخضع للذل ابد الدهر

الاَّ انهُ بقي مصرًّا على رأيهِ وهو ان الظلم لا يزول بمقاومتهِ بالقوة بل بمقاومتهِ بالخضوع واجتناب كل عمل من مقتضاهُ مقاومة الظلم بالظلم والقوة بالقوة . و بعد حديث طويل على هذا الاسلوب طلب مني ان امشي معهُ فالتقينا بابنتهِ الكبرى راجعة من مساعدة بنات الفلاحين وهي لابسة مثلهن ثوبًا احمر مفتوح الصدر وشعرها مضفور جدائل على ظهرها وفي عنقها سموط من الخرز الملون فلم اعرفها لو لم يناديها ابوها باسمها . وظهر لي انها من رأيهِ في

وجوب مشاركة الفلاحين في اعمالهم مساعدةً لهم . وهو نفسهُ قضى الصباح في تفريق السماد في اطيان امرأة مسكينة وكان عازماً ان يعود الى تفريقهِ بعد الظهر لو لم اشغلهُ عنهُ .وقد قال لي في هذا الصدد انهُ يجب على كل انسان ان يساعد الفقراء الذين يحتاجون الى مساعدتهِ بالعمل بيديهِ في ما يعملون بهِ ولو ساعةً كل يوم فان ذلك انفع لهم مما لو بقي مقتصراً على عملهِ وساعدهم بجانب من دخلهِ لانك اذا فعلتَ الامر الاول تكون قد ساعدت من يحتاج الى المساعدة وعلّمتهُ الاجتهاد والابتعاد عن الكسل واريتهُ ان العمل شريف لذاتهِ لا تأنف منهُ على علوّ منزلتك فيصير يكرم نفسهُ ويفتخر بالعمل و يقنع بما قسم لهُ واما اذا اقتصرت على اعمالك العقلية واعطيت الفقير جانباً من دخلك كما تتصدّق على المساكين بالصدقات اغريتهُ بالكسل والاتكال على الغير وفصلتَ بينهُ وبينك بحاجز حصين وامتَّ الشهامة من نفسهِ واحييتَ بدلاً منها التذمُّر والشكوى من العمل والطموح الى التخلُّص من الحالة التي هو فيها والتطلُّع الى الحالة انت فيها ليلبس لباسك ويجلس في مجالسك . وما هذا بالسبيل لمساعدة الفقراء ونشر الاخاء في الدنيا

فقلت اذا سلَّمتُ معك ان مصلحة الانسان العظمى تقوم بان يفضل مصلحة غيرهِ على مصلحة نفسهِ وعائلتهِ فانت مصيب في كل ما قلتَ اي اني اذا سلمتُ بمقدماتك لم يبقَ لي سبيل للجدال معك في نتائجك . والذي يدهشني من مذهبك انهُ ليس مما يمكن العمل بهِ لان من يسعى لغيرهِ في احوال الناس الحاضرة يضحي مصلحتهُ ومصلحة عائلتهِ لانهُ لا يجد احداً آخر يفعل فعلهُ لكي يتبادل النفع

فقال على مَ لا تسلم بمقدماتي فانهُ اذا فعل كل احد الخير مع غيرهِ بدلاً من الشر صار الناس اصلح كثيراً مما هم الآن . أوَ لا يجب على كل احد ان يصلح حال المجتمع الانساني حتى يصير كل واحد منهُ يفعل الخير بدلاً من الشر فان كنتُ اهتمُّ واسعى لايجاد هذه الحالة الفاضلة التي تنفى بها الشرور من الدنيا فعلى مَ تقول ان سعيي وآمالي مما لا يمكن العمل بهِ . واذا اريد الوصول الى تلك الغاية فلا بدَّ من ان يشرع احد ما في السير اليها وثبت امكانها وان كانت احوال المجتمع الانساني الحاضرة تجعل هذا السعي صعباً فذلك لا يرفع المسؤولية عني ولا يثنيني من السعي لان بحثنا ليس عمَّا هو الاسهل بل عمَّا هو الواجب . وليس في حال المجتمع الانساني الحاضر ما يمتنع تغييرهُ بل هو نتيجة افعال الانسان وبافعال الانسان يُغير ولا بدَّ من تغييرهِ وانا باذل اقصى جهدي في هذا السبيل

ثم قصَّ عليَّ كيف تغيرت آراؤهُ في تعاليم المسيح و كيف وجد فيها مفتاحاً لحل اعوص

المسائل الاجتماعية وبنى عليها مذهبهُ في ان الشر يجب ان لا يقاوم بالشر وعداءه لمحاكم القضاء وامتياز الناس في المراتب واختصاصهم بالاملاك وكل الشرور المدنية . وقد يُظَنّ من كثرة ما يستشهد بالانجيل انهُ من المسيحيين المتدينين ولكن تعاليمهُ تدلُّ على انهُ بعيد عن ذلك بعداً شاسعاً فهو منكر للفداء والثالوث والوهية المسيح ضعيف الاعتقاد بخلود النفس . وديانتهُ عالمية مبنية على المصلحة العالمية فاذا اشار الى المسيح وتعاليمهِ لم يشر اليهِ كاله بل كانسان علَّم تعليماً فلسفياً يراهُ اصلح كل تعليم لنوع الانسان وهو من هذا القبيل كوحي الهي ولا بدَّ من العمل بهِ حرفياً من غير تفسير ولا تأويل وقد قال المسيح لا تقاوموا الشر فيجب ان لا تقاوم الشر مطلقاً من غير قيد

وجلنا في اراضيهِ غير قاصدين مكاناً معيناً ونحن نتباحث ونتجادل ولم يبقَ في ذهني صورة شيء مما وقع نظري عليهِ لاني كنت مشغولاً عن ذلك كلهِ بما اسمعهُ منهُ وما اراهُ في وجههِ من الامارات والمعاني الدالة على صدق نيتهِ وخلوص طويتهِ

وفي اخريات النهار امطرت السماء قليلاً فاضطررنا ان نعود الى البيت ودعاني الى مكتبتهِ وهي غرفة صغيرة ساذجة لا شيء فيها سوى سرير ضيق من الحديد وكرسي من الخشب المدهون وطاولة عليها غطاء اخضر قديم وحول جدران الغرفة رفوف الكتب وهي كثيرة واكثرها غير مجلَّد وفوق الطاولة صورة رجل روسي من مشاهير الخارجين على الحكومة الروسية . وقال لي تأتيني مكاتيب كثيرة من اميركا من الذين قرأوا كتبي . وفتح درجاً وقال هاك مكتوباً منها فقرأتهُ واذا هو من رجل في حراج بنسلفانيا كتب اليهِ يقول انهُ هو وكثيرون من اتباعهِ جروا من عهد طويل على الخطة التي ابانها في كتابهِ المعنون " دیانتي " وانهم انشأوا كنيسة خاصة بهم وبهذا التعليم . ثم قال لي ما رأيك في كاتب هذا المكتوب ألا ترى انهُ لم يفهم مرادي لانهُ يظن ان الديانة تستلزم وجود كنيسة وقد كتبت اليهِ ان حسن السلوك لا يقتضي ذلك

ودخل حينئذٍ شاب بثياب الفلاحين آتياً بما للكونت تولستوي في البريد من الكتب والرسائل فظننتهُ خادماً من خدمهِ ولم انهض لهُ لكن الكونت عرَّفني بهِ قائلاً انهُ فلان فاذا هو احد تلامذتهِ المشاركين لهُ في آرائهِ واعمالهِ وهو شاب متعلم متهذب درس في احدى المدارس الروسية الجامعة ثم تتلمذ لتولستوي واتبع مذهبهُ حرفياً فليس لهُ بيت ولا عقار آخر . يعمل للغير من غير اجرة ولا يتناول الاَّ طعامهُ ولباسهُ لا على سبيل الاجرة بل على سبيل الاشتراك حاسباً ان من عندهُ طعام يجب عليهِ ان يشرك الجياع فيهِ ومن عندهُ اكسية

يجب عليهِ ان يكسي العراة بها . واذا خيم الليل نام حيث يجد لهُ مأوًى . فهو عائش لاجل الجماعة و يعتقد ان الجماعة مضطرة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ من طعام وشراب وكساء وإواء. ولا يدفع مالاً للحكومة ولو قبضت عليهِ وعاقبتهُ لانهُ لا يريد ان يساعدها على ما يعتقد انهُ شرٌّ وظلم

وكان بين ما جاء بهِ هذا الشاب نسخة انكليزية من ترجمة كتاب تولستوي المعنون "دياني" وهي اول مرة رآهُ فيها مترجماً الى الانكليزية وقد ترجم اليها عن الترجمة الفرنسوية فاتى باصلهِ الروسي ولم يزل خطأً وطلب مني ان اساعدهُ على مقابلة الترجمة بالاصل فقابلنا ثلاث صفحات او اربعاً ثم قال ان الترجمة حسنة وقد حافظ المترجم على المعنى

ودار الحديث على رواياتهِ المترجمة فاخبرني ان بيت طباعة اميركي عرض عليهِ جانباً من المال عن كل نسخة يبيعها من رواياتهِ اذا سمح لهُ ان يقول انها الطبعة الوحيدة التي يكفل مؤلفها صحتها فاجابهُ رافضاً ذلك وقال انهُ لا يريد ان يكتسب شيئاً من رواياتهِ التي تطبع في بلاد اجنبية . وتكلم عن هذه الروايات بالاستخفاف حاسباً ان ما بذل في تأليفها من العناء وضعهُ في غير موضعهِ مضطرًّا لا مختارًا لان نشر آرائهِ الدينية ممنوع في بلاد الروس

فقلت لهُ اني رأيت كثيرًا من مؤلفاتهِ الحديثة منسوخاً نسخاً او مطبوعاً طبع حجر ومنشورًا في بلاد الروس فقال نعم لان الحكومة منعتني من طبعها ولكنها لا تستطيع ان تمنع انتشارها. واحياناً تمنعني من نشر آرائي في صورة ولا تمنعني من نشرها في صورة أُخرى . فالآراء التي في كتابي " ايفان الاحمق " منعتني من نشرها كما هي فافرغتها في قالب رواية فاذن الرقيب بطبعها من غير اعتراض ومنعت من طبع كتابي " الاعتراف " لكنَّ خدمة الدين نشروهُ في مجلتهم وردُّوا عليهِ وقد بلغني ان الجمهور يطالع هذه المجلة ويسرق منها الاوراق التي ذُكرت فيها آرائي

ودعينا الى العشاء حينئذٍ ولبس النساء ثياب العشاء على جاري العادة واما الكونت فبقي بثيابهِ وبقيت انا بثيابي . وكان العشاء بسيطاً خالياً من كل ترف والحديث كثير الفكاهة وكان الكونت اكثرنا هزلاً وضحكاً . وظهر لي انهُ يحب اولادهُ ويحبونهُ حباً شديدًا . وافترقنا بعد العشاء وجلس الشاب الذي اتى بالبريد والسيدتان اللتان كانتا هنا منذ الغداء وجعلوا يتذاكرون و يتجادلون وهم يقرأُون كتاباً غير مطبوع من مؤلفات الكونت الحديثة . ثم دعتني الكونتس لشرب الشاي في غرفتها الخاصة باستقبال ضيوفها وتبعنا الكونت الى هناك ومعهُ ادوات السكافة وحذاء كان يصنع لهُ كعباً وظهر لي انهُ من الماهرين في صناعة السكافة

وانهُ يعمل بها في ساعات الفراغ و يعظم شأنها و يعتني بعمل حذاءٍ اكثر مما يفتخر بتصنيف رواية وهو في غنى عن التأليف والتصنيف وعن كل صناعة لان املاكهُ تساوي ستمئة الف روبل او نحو مئة الف جنيه. وجعل يشرح لنا عمل الاحذية شرح عالم ماهر فقلت لهُ في آخر الامر اني افضل ان اقرأ رواية من تأليفهِ على ان احتذي حذاء من عملهِ

ثم جرَّنا الحديث الى حكومة الولايات المتحدة الاجرائية فقال انها اخطأَت في اضطهاد الصينيين والمورمون وخالفت مبادئها وتقاليدها . فسألتهُ عما اذا كان يعلم ما هو عذرنا في ذلك فقال قد لا اعلم فجعلت ابسط لهُ آراء الذين حملوا الحكومة على منع الصينيين من دخول بلادنا وابنت مقدار الضرر الذي نال بعض الجهات من نزولهم فيها وترخيص أُجرة عمالها . فقال وهل هذه كل شكواكم منهم فقلت نعم اوَّلا تكفي هب ان الصينيين هاجروا الى كليفورنيا مئة الف نفس كل سنة فانهم يلاشون عمراننا في تلك الجهات

فقال ولماذا لا يكون للصينيين حق في نزول كليفورنيا مثلكم . فقلت أَلا يباح لنا ان نتخلص من اعتداء الغرباء علينا في مواطننا . فقال ولماذا تحسبهم غرباء ولماذا تضع هذا الفرق بينكم وبين غيركم اليس الناس كلهم اخوة سواءٌ كانوا روسيين او مكسيكيين او اميركيين او صينيين

فقلت لهُ ولكن هب ان الصينيين كثروا كثرة فاحشة حتى اضطررنا ان نصير لهم عبيداً فهل تجيز ذلك . فقال وما ضركم ما دام الغرض من الحياة ان يعمل كل احد لغيرهِ سواءٌ كان عبداً او حرًّا . ولما سمعت منهُ ذلك غيرت الموضوع لاني رأيت من العبث مجادلتهُ فيهِ

ثم دار البحث على الحكومة الملكية وعلى العقاب بنوع عام والعقاب بالقتل بنوع خاص فرأيتهُ مضاداً لهُ كما انتظرت . وقال في عرض الحديث انهُ لما قُتل القيصر اسكندر الثاني وحُكِم على القتلة كتب الى ابنهِ القيصر اسكندر الثالث يبين لهُ وخامة قتل الناس صبرًا وتوسل اليهِ ان لا يجعل فاتحة ملكهِ القتل وارسل كتابهُ الى رئيس المجمع المقدس الذي كان معلمًا للقيصر اسكندر الثالث لانهُ ظن ان كلمتهُ مسموعة عند القيصر فاجابهُ هذا الرئيس انهُ موافق على قتل القتلة ولا يرى وجهًا للعفو عنهم ولا لعرض كتاب تولستوي على القيصر وختم كتابهُ بقولهِ "ان ديانتك ديانة الضعف والحنان وديانتنا ديانة السلطة والقوة"

وبقي الكاتب الى الساعة الحادية عشرة ليلاً ثم ودع الكونت واهل بيتهِ وعاد من حيث اتى . ولم يقتصر على ما اوردهُ من وصف هذه الزيارة بل عقَّب عليها بكلام حشوهُ الحكمة والبلاغة . قال وقد سألني كثيرون في بطرس برج وموسكو عما اذا كنت احسب الكونت

مخلصاً في دعواهِ لان البعض يظنون انهُ يلعب بعقول الناس لعباً فينهى عن اقتناء الاملاك ولهُ املاك واسعة لا يبيعها ولا يعطيها لاحد . وينهى عن الاهتمام بالاكتساب وهو يكسب المبالغ الطائلة من بيع كتبهِ

ولعلَّ سبب ذلك ان عائلة الكونت زوجتهُ واولادهُ لا يوافقونهُ على آرائهِ فرأى انهُ اذا اراد ان يعمل على مقتضى مذهبهِ اوقع الشقاق والخصام في بيتهِ فاختار اخف البليتين . وقد اشار الى هذا الموضوع في فقرة نشرها حديثاً قال فيها

يقولون لي انك تعظ الناس ولا تفعل بما تعظ وهم مصيبون في ما يقولون واراني امامهم صامتاً لا احير جواباً . يقولون انك تعظ الناس ولكن لا تفعل حسبما تعظ نعم هم مصيبون وكان الواجب عليَّ ان اعظ الناس بافعالي قبل اقوالي . ويحي فاني مخطئ ملوم مستحق للازدراء والاحتقار لكني اقول لا تبرئة لنفسي بل ايضاحاً لواقعة الحال انكم لو قابلتم حاضري بماضيَّ لوجدتم اني باذل جهدي للعمل بما اعظ بهِ ولم اتمم حتى الآن جزءا من ثمانين الف جزءٍ مما يجب عليَّ اتمامهُ لا لاني لا ارغب في اتمامهِ بل لاني لا استطيع اتمامهُ . علموني كيف التخلص من العراقيل التي انا فيها ساعدوني على اتمامها فاتممها . اللوم عليَّ لا على الآراء التي انادي بها . اذا كنتُ اعرف طريق بيتي واسير فيهِ سكران مترنحاً فاعتسف على غير هدًى لا يؤخذ ذلك دليلاً على ان الطريق لا يوصل الى البيت ولا على اني لا اعرفهُ وان كان هذا ليس طريق بيتي فاروني طريقاً غيرهُ ولا تقولوا اني مخطئ بل تعالوا وساعدوني لكي لا اضلَّ ولا تحاولوا ان تزيدوا ضلالي بالنداء والصخب . يكاد قلبي ينصدع لاننا كلنا قد ضللنا وانا احاول بكل جهدي ان اعود الى الطريق السوي وانتم لا ترثون لي بل تعيرونني وتشمتون بي

هذا اعتراف رجل يسعى الى الخير فلا يستطيع ان يتغلب على ما فيهِ من الشر ويحاول النجاة من العراقيل التي ولد فيها فيجد دون النجاة منها خرط القتاد . وهذا رأي الكاتب فيهِ فقد قال انهُ لم يرَ اعترافاً اصرح من هذا الاعتراف ولا ابسط منهُ ولا اكثر اخلاصاً كما انهُ لم يقرإ اعترافاً ابلغ منهُ ولا اشدَّ تأثيراً في النفوس

هذا وسنذكر في الجزء التالي اقوال غيرهِ من مشاهير الكتّاب الذين شاهدوا تولستوي وذاكروهُ وبنوا احكامهم على ما سمعوهُ منهُ وما قرأوهُ في كتبهِ . ونشفع ذلك بترجمة بعض الاقوال التي قالها ولا سيما في ما يتعلق بحرمهِ الاخير

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صبغ الشعر

صبغة الرصاص

تصنع صبغة الرصاص من اربعين قمحة من سكر الرصاص (خلات الرصاص) و ١٦ درهماً من الماء يدهن بها الشعر جيداً وحينما يكاد ينشف يدهن بمذوب كبريتيد الامونيوم فاذا كان هذا المذوب مخففاً كثيراً صار لون الشعر به اسود . وتمتاز هذه الصبغة على الصبغات السابقة بانها لا تسود الجلد

صبغة الزيبق

تصنع هذه الصبغة من ١٢ قمحة من السليماني و ٣٢ قمحة من الماء يدهن بها الشعر بفرشاة وحينما ينشف يدهن بمذوب ثمانية دراهم هيدروكبريتيت الصودا في ١٦ درهماً من الماء بفرشاة اخرى و يحسن ان يدهن الشعر بالمذوب الاول في المساء و بالمذوب الثاني في الصباح يوماً بعد يوم على ايام ثم يدهن مرة او مرتين كل اسبوع حتى يصير لونهُ على ما يرام

ولا يخفى ان السليماني سام جداً فيجب ان يكتب على قنينته انهُ سام وان لا يدهن به الرأس اذا كان فيه جرح او سحج

ولا بدَّ من تنظيف الشعر جيداً قبلما يدهن بالصبغة السابقة او غيرها من صبغات الشعر وتنظيفهُ اما بغسلهِ بالماء والصابون او بماء كولونيا والروم ثم ينشف جيداً . و يدهن بزيت من الزيوت بعد صبغهِ لكي يعود اليهِ لمعانهُ ولكي لا يزيد جفافهُ

واذا كان الشيب قليلاً يحسن صبغ الشعر بالصبغة التالية وهي اربعة دراهم من خلات الرصاص ودرهم من زهر الكبريت و ٣٢ درهماً من الماء يذاب خلات الرصاص في الماء ويمزج بهِ زهر الكبريت و يهز جيداً و يدهن بهِ الشعر في المساء والصباح على مدة اسبوع ثم تقلل الدهنات بالتدريج حتى تصير مرة كل اسبوع او مرة كل اسبوعين

وهذه الصبغة بطيئة وهي تستعمل للشعر الاشقر ولا سيما اذا كان الشائب فيهِ قليلاً واذا

رسب منها شيء على الجلد امكن نزعهُ بسهولة بعد جفافهِ . وفعلها بالشعر الاشقر احسن من فعلها بالشعر الاسود ولا سيما اذا كان الشعر ضارباً الى الحمرة

وهاك صبغة أُخرى للشعر الاشقر يمكن ان يزيد لونها دكنةً وهي تصنع من ١٦ قمحة من كبريتات النحاس (الشب الازرق) و ٣٢ درهماً من الماء المقطر يدهن بها الشعر جيداً ويترك حتى يجف او يكاد يجف ثم يدهن بمذوب ١٦ قمحة من فروسيانيد البوتاسيوم في ٣٢ درهماً من الماء المقطر . وهو يدهن بهذا المذوب باسفنجة او فرشاة

ولا يخفى ان فروسيانيد البوتاسيوم سام شديد الفعل جداً اذا شرب احد منهُ ولو قليلاً قتلهُ ولكن فعلهُ بالشعر حسن فانهُ يصبغهُ ويقويهِ

صبغة اخرى للشعر الاشقر المسود وقد تجعل الشعر اسود اذا تكرَّرت . وهي درهم من نيترات الفضة النشادري يذاب في ٣٢ درهماً من الماء المقطر ولا بدَّ من الحذر لئلا تمس الجلد لانها تسودهُ ايضاً . ومتى دهن الشعر بها وجفَّ يدهن ايضاً بمذوب درهمين من الحامض البيروغاليك في ٣٢ درهماً من الماء المقطر . يدهن الشعر بهِ باسفنجة

وكذلك اذا اذيب عشرون او ثلاثون درهماً من برمنغنات البوتاس في ثمانية دراهم من الماء المقطر ودهن بهِ الشعر الاشقر الشائب رد اليهِ لونهُ من غير ان يضرَّ بهِ . ويمكن ان يجعل لون هذه الصبغة فاتحاً جداً او اسود يدهن الشعر بها ثم بمذوب الحامض البيروغاليك دواليك

فطام الاطفال

لا يمكن تحديد وقت الفطام تماماً . ولا تحديد وقت يصلح لكل الاطفال في كل الاحوال . وكثيرات من النساء يضررن انفسهنَّ واطفالهنَّ بارضاع اطفالهنَّ زمناً اطول مما يلزم لهنَّ . والقاعدة المتبعة عموماً هي انهُ اذا كانت ام الطفل حسنة الصحة وكان لبنها كافياً وجب ان تفطم ابنها بين الشهر التاسع والثاني عشر . واذا ظهرت اسنانهُ فذلك دليل مع انهُ قد حان الوقت لفطامهِ . ولكن اذا صار لبن الام ضعيفاً في نوعهِ او قليلاً في كميتهِ حتى لا يكفي لتغذيتهِ فالاحسن ان يفطم ولو كان صغيراً

ويجب على أُم الطفل ان تقلل من ارضاع طفلها قبلما تفطمهُ بشهر من الزمان وتسقيهُ بدل لبنها قليلاً من لبن البقر الجيد بعد تسخينهِ ومزجهِ بالماء النقي الحار وتحليتهِ بقليل من السكر وليكن ذلك مرتين في اليوم ولا يكون اللبن حينما يسقاهُ الطفل احرَّ من دم الانسان

واللبن الغذاء الطبيعي للطفل واذا نفد لبن امهِ فلا بدَّ من الاستعاضة عنهُ بلبن البقر

ولكن لبن البقر يعرّض الطفل للاسقام على وجهين الاول ان تكون البقرة مريضة بالتدرُّن او نحوهِ فتنتقل العدوى الى الطفل باللبن فلا بدَّ اذاً من ان تكون سليمة من كل آفة . والثاني ان الهواء الذي يلامس اللبن المكشوف لا يخلو من انواع مختلفة من الجراثيم الحية فتنمو فيهِ وتتكاثر وقد يكون بعضها سمّاً مميتاً ولذلك لا يندر ان يصاب الاطفال الذين يشربون اللبن صيفاً بالامراض المعديَّة والمعويَّة ويوقى الطفل من ذلك بتسخين اللبن حتى تموت الجراثيم التي تكون قد وقعت فيهِ . ولا بدَّ من تسخينهِ في قناني مسدودة ثم تبرَّد قليلاً ويصب في رضاعة نظيفة يرضعهُ الطفل منها او يسقاهُ سقياً بملعقة نظيفة . ويحسن ان يطبخ لهُ بهِ قليل من الارز او التبيوكا او الخبز . ويزاد لهُ الطعام رويداً رويداً ويقال الرضاع حتى ينقطع فلا يستفقدهُ الطفل ابداً او يستفقدهُ قليلاً . وحينما يفطم تماماً يجعل طعامهُ من اللبن والخبز في الصباح ومطبوخاً من اللبن والخبز او اللبن والارز الظهر والعصر ويحسن ان يطعم قليلاً من مرَق اللحم اذا لم يكفهِ اللبن والخبز والارز . ولا بدَّ من تعيين الاوقات التي يطعم فيها الفطيم فيعتادها ولا يعود يطاب الطعام الاَّ فيها وتكون الفسحات بينها اربع ساعات اربع ساعات فيطعم اربع مرات فقط في اليوم الى ان يصير عمرهُ سنتين . وما تجري عليهِ بعض الامهات من اطعام اطفالهنَّ الكعك والاثمار النهار كلهُ حتى لا ترى الطفل الاَّ وفي يدهِ شيء يأكل منهُ فعادة مضرَّة جداً . ولا يسقى الطفل غير الماء القراح لا خمراً ولا شاياً ولا قهوة ولا بيرة ولا شيئاً من الاشربة

المرأة ونفقات البيت

اخبرتنا سيدة ايطالية الاصل من اللواتي كنَّ يترددنَ على بيوت الامراء في عهد اسمعيل باشا ان نساء الامراء في ذلك العهد كنَّ ينفقنَ بغير حساب حسب مفهوم هذه الكلمة تماماً فكان عند الواحدة منهنَّ صندوق او درج يملأ لها بالجنيهات فتخرج منهُ وتدفع للطالب قدر ما تتناول يدها وكلَّما فرغ مُلئ لها . او كانت تبتاع ما تشاء ولا تساوم في ثمنهِ بل تترك البائع يكتب ثمنهُ كما يشاء ويتقاضاهُ من الدائرة . وبذلك اغتنى كثيرون وافتقرت الدوائر لكي يجري في هذا القطر ناموس توزيع الاموال ويفتقر المبذّر ويغتني المدبر

والذين يهتمون بتدبير المنزل يرون ان اساسهُ واول شيء يعتمد عليهِ معرفة قيمة النقود فان الانسان لا يلتفت الى قيمة النقود بالفطرة لان معاملاتهِ في العصور الغابرة لم تكن بالنقود بل بالمقايضة والمبادلة . ويستحيل على المرأة ان تدبر بيتها حسناً ما لم تهتم بنفقاتهِ ولا تستطيع

ان تهتم بها حسناً ما لم تعرف اولاً قيمة النقود ونسبة بعضها الى بعض ونسبتها الى ما يشترى بها فتعرف مثلاً ان الريال يشتري كذا ارغفة من الخبز وكذا ارطالاً من اللحم وكذا اذرعاً من التيل وهذه المعرفة لا تأتي عفوًا بل لا بدَّ من تعلمها بالممارسة ولكن يمكن اتقانها في اسبوع او شهر من الزمان

ويتلو ذلك في الاهمية تقسيم النفقات فان دخل الانسان محدود ويجب ان تكون نفقتهُ اقل من دخلهِ . والمعيشة رخيصة وغالية فتستطيع العائلة التي فيها رجل وامرأة وثلاثة اولاد ان تعيش جيدًا فتاكل ما يغذيها وتلبس ما يدفئها ولا تنفق اكثر من خمسة غروش في اليوم في هذه العاصمة التي هي من اغلى المدن وتستطيع ايضا ان تنفق خمسة جنيهات في اليوم وترى انها غير مستوفية شروط الراحة والرفاهة التي تتوخاها

والمرأة التي يراد ان تكون مثالاً لما يبلغهُ النساء في القرن العشرين هي التي تعمل ميزانية بيتها كما تعمل نظارة المالية ميزانية الحكومة فترى اولاً موارد الدخل وتقدرها بما يمكن من الدقة فان كان زوجها من الموظفين فمعرفة الدخل سهلة من هذا القبيل وان كان صاحب عقارات فلا يتعذَّر تقدير ايجارها ولو بالتقريب وان كان صاحب تجارة فتقدير دخلهِ صعب ويجب ان تعتمد على دخل اقل السنين ربحاً وتجعلهُ قاعدةً للايراد . ولنفرض ان المرأة بحثت هي وزوجها فوجدا ان دخلهُ في السنة لا يقل عن مئتين واربعين جنيهاً ولا يزيد على ثلاثمئة او لا يقل عن الفين واربع مئة جنيه ولا يزيد على ثلاثة آلاف فيجب عليها ان تختار التعديل الاول مئتين واربعين جنيهاً في الحالة الاولى والفين واربع مئة جنيه في الحالة الثانية او عشرين جنيهاً في الشهر في الحالة الاولى ومئتي جنيه في الحالة الثانية وتقسم الدخل الشهري هكذا

	في الحالة الاولى		في الحالة الثانية	
للطعام	٧	جنيهات	٤٠	جنيهاً
للبس	٢	"	٣٠	"
للسكن	٣	"	٣٠	"
للتعليم والتهذيب	٤	"	٣٠	"
للظهور	٢	"	٤٠	"
والجملة	١٨		١٧٠	"

ويدخل في باب الطعام كل ما يؤكل في البيت يومياً وما يُشرَب فيهِ من ماءٍ وقهوة وما يستعمل من تبغ ومربيات واجرة الخدَم وامتعة الطبخ

وفي باب اللبس ثمن الثياب والحلى والاحذية

وفي باب السكن اجرة البيت وما يدفع لسوكرتاه الامتعة

وفي باب التعليم والتهذيب ما يلزم لتعليم الاولاد واشتراء الكتب واشتراك الجرائد وما يدفع لاماكن العبادة وشركة سوكرتاه الحياة

وفي باب الظهور ما يلزم تجديده من اثاث البيت وما ينفق على مركبات النزهة والدخول الى الملاهي والاسفار

ويظهر من ذلك ان في الحالة الاولى اي حينما يكون الدخل الشهري من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً تكون نفقات الاكل ٣٥ في المئة من الدخل . واللبس عشرة في المئة والسكن ١٥ في المئة والتعليم والتهذيب ٢٠ في المئة والظهور بين الناس عشرة في المئة . واما في الحالة الثانية فنفقات الطعام تقل نسبةً الى الدخل وتصير عشرين في المئة بعد ان كانت ٣٥ في الحالة الاولى وتزيد نفقات اللبس والزينة فتصير ١٥ في المئة ونفقات الظهور بين الناس فتصير ٢٠ في المئة بعد ان كانت في الحالة الاولى عشرة في المئة

ولا يخفى ان ما تنفقهُ العائلة الاولى وهو ١٨ جنيهاً في الشهر يكفي العائلة الثانية من حيث المعيشة البدنية والعقلية والادبية وقد تكون صحتها اجود وعقولها اسلم وآدابها اصح اذا اقتصرت عليهِ مما لو انفقت عشرة اضعافهِ ولكنها اذا فعلت ذلك وخزنت المال سنة بعد سنة ولم تنفقهُ اجتمع مال الارض عند اناس قلائل وتوقفت حركة الاعمال وضاقت موارد الكسب وهذا ضرر عام . وهي تستطيع ان تنفق عشرة اضعافهِ وتبقى في سعة لانهُ يتوفَّر لها كل سنة ٣٦٠ جنيهاً على الاقل

اذا تدبرت ربة البيت ذلك وكانت على ثقة من موارد الدخل وكميتهِ امكنها ان توزع النفقات على صورة معقولة يسهل العمل بها وتجتهد حتى اذا جاء آخر الشهر تكون قد اقتصدت في نفقاتها عشرة في المئة او اكثر تبقيها للعوارض التي تقع بالانسان من وقت آخر كالمرض والآفات والاضطرار الى السفر وما اشبه فانها اذا فعلت ذلك يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وجاء آخر السنة فرأت في يدها مبلغاً من المال مقتصداً مما كانت تقصد انفاقهُ شعرت بقوة جديدة في يدها ومقدرة على ادارة بيتها . واما اذا لم تدبر نفقاتها فانفقت اكثر من دخل زوجها او اكثر مما عينت لنفقات بيتها شعرت في آخر السنة بكآبة تنغص عيشها وتزيل منها كل البهجة التي قصدتها بزيادة النفقات فتقع في ضد ما توختهُ

تعليم الاطفال وقواهم

من اهم واجبات المرأة تعليم اولادها في البيت وفي المدرسة . واذا التفتنا الى المدارس الابتدائية رأينا الاطفال جلوساً على مقاعدها فرقاً فرقاً تدرس كل فرقة كتاباً واحداً وتمرَّن على اسلوب واحد ثم اذا راقبنا اولئك الاطفال في ميدان الحياة الى ان يصيروا رجالاً نرى بينهم فرقاً كبيراً جداً نرى بينهم العالم والجاهل والغني والفقير والمدبِّر والمبذر والحذور والمقتحم وهؤلاء على درجات متفاوتة حتى قلما نجد بينهم اثنين متساويين في كل شيء. فاين كان هذا الاختلاف لما كانوا اطفالاً في المدرسة . كان كامناً في نفوسهم وظهر فيهم عند اول درس سمعوه وامتحنوا فيهِ. يعلم ذلك كل اب وكل ام وكل معلم وكل معلمة . يعلمون كلهم ان الاطفال يختلفون كما يختلف الرجال والنساء الذين يصيرون منهم فلماذا عُلّموا على اسلوب واحد تماماً . لماذا لم يُلتفت الى هذا الاختلاف من سن الطفولية لماذا يحاول المرء ان يجري على ضد الطبع ويبذل القوة بعد القوة والعناء بعد العناء عبثاً وسدًى وعلى اسلوب لا ينتج منهُ الاَّ الضرر . ولماذا تترك قوًى اخرى من قوى الاطفال لو هُذّبت وربيت لجاءوا بها من نوابغ الرجال

واول ما يسأل عنهُ الوالدون ما هو السن الذي يصحُّ ان نعلّم فيهِ اطفالنا فان الطفل اذا بلغ الرابعة من العمر اظهر القلق والضجر من الاقامة في البيت فتود امهُ ان تتخلص منهُ . لكن ارسالهُ الى المدرسة في هذا السن يضرُّهُ الاَّ اذا كانت المدرسة مما يسمَّى ببستان الاطفال (كندرغارتن) فان المدارس التي من هذا النوع يتعلم فيها الاطفال باللعب حتى ينقضي النهار من غير ان يشعروا بالضجر والسآمة واذا بلغوا السابعة من العمر خرجوا متهذبي الاخلاق يعرفون مبادئ القراءة ويفهمون كثيراً مما يقع نظرهم عليهِ ولا غرابة في ذلك فاننا نعرف اطفالاً ادركوا دوران الارض وان النجوم اجراماً كبيرة اكبر من الارض والشمس اكبر من الارض كثيراً ادركوا ذلك وكانوا يذكرون بعض ادلتهِ وهم في السابعة من عمرهم ولم يدخلوا مدرسة وانما افهمهم والدوهم ذلك على اسلوب بسيط تدركهُ عقولهم

ومتى بلغ الولد السنة السابعة او الثامنة من عمرهِ يحسن ارسالهُ الى مدرسة ابتدائية

واختيار المدرسة امر غير سهل ولا بدَّ من النظر فيهِ الى امور شتَّى كالبعد والقرب والغلاء والرخص ونوع التلامذة الذين يترددون على المدرسة . وتفضَّل المدرسة التي تختلف درجات التلامذة فيها ولا يميز معلموهم بينهم من حيث مقام والديهم فاذا كان الولد فقيراً ورأى انهُ يعامَل مثل الولد الغني كبرت نفسهُ وزاد همة ونشاطاً واذا كان غنياً مفتخراً ورأى ان غنى ابيهِ لا يميزهُ على غيرهِ وانما يميزهُ اجتهادهُ بعُد عن الخيلاء واعتمد على نفسهِ . ولذلك يقال ان

المدارس الاميرية افضل من المدارس الخصوصية من هذا القبيل لان معلمي المدارس الاميرية لا يراعون اباء التلامذة كما يراعيهم تلامذة المدارس الخصوصية

واهم ما في المدرسة المعلم او المعلمة . ويجب ان نقول المعلمة فقط لان تعليم الاطفال حتى يبلغوا السنة الثانية عشرة يجب ان يكون على يد معلمة حكيمة تعرف كيف تعلم وكيف تربي تعرف ان تكتشف قوى الولد العقلية والادبية وتتعهدها بالارشاد كانها نبات صغير يُتعهَّد بالسقي والعزق وهذا مما يتعذَّر الحصول عليهِ في القطر المصري الآن لان ليس فيهِ من المعلمات ما يكفي مدارس البنات ولا بدَّ من الانتظار سنين كثيرة حتى يكثر عدد المعلمات ومن إبطال بعض العادات الشرقية التي تمنع البنات من تعاطي الاعمال

تمليح اللحم

يمكن حفظ اللحم مملحاً على هذه الصورة : امزج جزءا من ملح البارود باثنين وثلاثين جزءا من ملح الطعام وجزئين من السكر ومرّغ اللحم بهِ حتى يتغطّى كل سطحهِ بهِ ثم لفهُ بخرقة نظيفة وضعهُ في اناء وغطّهُ وقلّبهُ فيهِ مراراً كل يوم على ثمانية ايام فيحفظ مثل اجود انواع اللحم المملح



اللحام للالومنيوم

كثر استعمال آنية الالومنيوم في هذه الايام ولا يبعد ان نراها تنوب مناب الآنية النحاسيَّة بعد زمن غير بعيد لما يُقتصد باستعمالها من الوقود . واذا تشققت واريد لحمها او اذا أُريد لحم بعضها ببعض يصنع لها لحام مركَّب من ٥٠ جزءا من الكدميوم و ٢٠ جزءا من الزنك و ٣٠ جزءا من القصدير. او يصنع من ٤٥ جزءا من القصدير و ١٠ اجزاء من الالومنيوم

حفظ الدم

صب دم الحيوان حين ذبحهِ في اناء وامزجهُ بقليل من الجير (الكلس) الناعم الذي لم يطفأ فيمتص الماء منهُ ويرسب في قاع الاناء ويشتد قوام الدم فوقهُ فيصير كالهلام ويسهل فصلهُ عن الجير وتجفيفهُ وحفظهُ الى حين الاستعمال وهو غذاء جيد للذين يستحلون اكلهُ

اركان الصناعة

للصناعة ركنان عظيمان القوة والمواد الاصلية التي تُصنع المصنوعات منها . ولا تأْتاصل الصناعة في بلادٍ ما لم تكن مصادر القوة رخيصة فيها والمواد الطبيعية موجودة فيها او يسهل نقلها اليها. والقوة المعوَّل عليها حتى الآن هي قوة الفحم الحجري الذي يحُرَق فيصيّر الماء بخارًا يدير الآلات . واسهل وسائل النقل واقلها نفقة السفن البحرية شراعية كانت او بخارية .وقد تقدَّمت الصناعة في انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا لان فيها كلها كثيرًا من الفحم الحجري ولان بعض المواد الاصلية كالخشب والحديد والكتان موجود فيها والبعض الآخر كالقطن والحرير والصمغ يسهل جلبهُ اليها ولولا ذلك ما تقدَّمت فيها صناعة كبيرة تقدُّمًا يذكر

والظاهر ان وجود القوة اهم من وجود المواد الاصلية لان نقل المواد الاصلية الى البلاد التي فيها فحم ارخص من نقل الفحم اللازم لها الى البلاد التي هي فيها . هذان هما الركنان الاصليان ويتلوهما اركان اخرى قد لا تقلُّ عنهما اهمية وهي انتشار العلم في البلاد ولا سيما العلم العملي كالكيمياء الصناعية والهندسة الميكانيكية وما اشبه وكونها على بحار لها مرافئ بحرية تخرج منها تجارتها . وامتلاكها كثيرًا من السفن التجارية وكون دولتها قوية تحمي تجارة رعاياها وتحرز لهم الامتيازات في الممالك الاجنبية . هذه كلها اركان للصناعة لا تقوى بدونها

اذا فكَّر المرء في ذلك رأى مستقبل الصناعة مظلمًا في القطر المصري فليس فيهِ اول اركانها وهو الفحم الحجري وليس فيهِ من المواد الاصليَّة غير القطن وزيتهِ والصودا ولا سفن تجارية فيهِ ولا تجارة واسعة ولا ينتظر ان تبقى اجرة العمال فيهِ رخيصة كما هي الآن ومع ذلك لا يمتنع نجاح صناعة القطن اذا لقيت من الحكومة تعضيدًا بان عفتها من رسوم الجمرك وقد تنمو مع صناعة نسج القطن صناعة نسج الحرير فيصير في البلاد مورد كبير للارتزاق والاتجار لكن تبقى الزراعة اربح منهُ كثيرًا

وليس الامر كذلك في بلاد الشام المتصلة بالقطر المصري فان الفحم الحجري كثير فيها وفيها قوة اخرى لا تنفد وهي القوة المائية تكاد تكون من غير ثمن وتستطيع ان تزيدها كثيرًا ببناء السدود في بعض الاماكن المرتفعة فتخزن فيها من القوة ما تشاء . وهي على ساحل البحر ولها مرافئ كثيرة وفيها بعض المواد الاصلية كالحرير والزيت والخشب و يسهل جلب غيرها اليها ولا يعوزها الا حكومة تنشط الصناعة وتعضد التعليم وتمنع الحيف عن الناس

الجير في البناء

اعتاد البناؤُون في بلاد الشام ان يصوّلوا الجير (الكلس) قبل استعمالهِ وذلك بان يضعوهُ

في صندوق كبير مستطيل بسمونة مصولاً له فتحة في احد جوانبهِ الضيقة فيها خشبة تسدها بالزلق من الخارج و يصبون عليهِ ماء كثيرًا و يحركونهُ حتى يصير كاللبن ثم يرفعون الخشبة من امام الفتحة و يضعون داخلها بلاّنة او غصناً صغيرًا متشعباً فيخرج ماء الجير من المصول صافياً ويصبُّ في حفرة كبيرة حتى اذا تمَّ تصويل الجير كلهِ تركوهُ في الحفرة فيشتد قوامهُ و يصير كالزبدة وهو اذا جبل بالرمل كان منهُ طين او ملاط يقوم مقام الجبس والسمنت واذا مرَّت عليهِ السنون صلُب جدًّا حتى يتعذر فصل الحجارة المتصلة بهِ بعضها عن بعض واذا شيد بهِ جدار من الداخل او الخارج كان عليهِ صقيلاً كانهُ جبس واذا وُصل بهِ الرخام لم تكد ترى محل الاتصال بين رخامة ورخامة

اما البناؤون في مصر فيطفئون الجير بقليل من الماء و يجبلونهُ حالاً بالرمل والقصرمل وبنون بهِ او يشيدون الجدران و بعد قليل تنفقئ حبوب الجير وتتلف البياض او تبقى مجتمعة لينة في قلب الطين فتزيدهُ ضعفاً . وقد حثثنا البنائين على تصويل الجير كما يصوَّل في بلاد الشام فقالوا ان الجير المصري لا يصلح لذلك غير اننا رأينا بالامس رجلاً سوريًّا يصول الجير في بناء كبير قبل استعمالهِ واكد لنا انهُ وجد الجير المصري المصوَّل جيدًا مثل الجير الشامي المصوَّل لا فرق بينهما فعسى ان تُتبع طريقتهُ لان منها فائدة كبيرة واقتصادًا في النفقة اذ يستغنى بالجير حينئذٍ عن الجبس والمصيص (الجبسين)

اكبر القناطر

تبنى الآن قنطرة من الحجر في اكسمبرج فوق وادي البتروف ا. تفاعها مئة قدم وقدمان واتساعها ٢٧٧ قدماً ويقال انها اكبر القناطر المعروفة

المناظرة في الحديد

لما رأى الانكليز ان الاميركيين كادوا يحتكرون تجارة الحديد بالشركة الجديدة التي رأس مالها نحو خمسين مليون جنيه هبُّوا هبّة واحدة وابتاعوا المناجم الوافرة الحديد في اسبانيا ونروج ووضعوا الآلات والادوات الجديدة في معاملهم حتى ان بيتاً واحدًا من بيوتهم وضع في معملهِ من الادوات الجديدة ما يساوي مليونين من الجنيهات فرخص ثمن الحديد بسبب ذلك وسيزيد رخصاً اذا بقيت المناظرة بين البلادين

وبلغنا ان على شاطىء بلاد العرب مما يلي البحر الاحمر مناجم غنية بالحديد يكاد ترابها يكون من اكسيد الحديد الاحمر فلا يبعد ان تهتدي الشركات الانكليزية اليها وتستخرج الحديد منها



سياحة في غربي اوربا

لجناب نسيم بك خلاط

الرحلات من اقدم الوسائل لجمع المعارف لجأ اليها المصريون واليونانيون من قديم عهدهم ولا يزال كتاب شيخ المؤرخين هيرودوتس شاهداً على انها اصح الوسائل لجمع اخبار الامم ووصف احوالهم ولا سيما اذا كان الرحَّالة دقيق النظر واسع الروية يقف عند تقرير الحقائق خالية من شوائب الاوهام والاضاليل لهُ عين نقَّادة لا تكتفي بوصف ما ترى بل تقابل بينهُ وبين غيرهِ وتقيس بعضهُ على بعض فتستخرج منهُ القواعد الكلية والاحكام العمومية

وكُتب الرحلات من افكه كتب المطالعة واكثرها فائدة . لم نكد نحسن القراءة العربية حتى وقعت في يدنا رحلة المرحوم سليم بسترس فقرأناها مثنى وثلاث ورباع قبل ان قرأنا كتاباً آخر ولما رحلنا الى اوربا اول مرة ونشرنا رحلتنا فصولاً في المقتطف والمقطم طالبنا كثيرون بطابعها ونشرها على حدة لا لمزية فيها بل لما تجدهُ النفس من الفكاهة في كتب الرحلات

وقلَّما طاف كاتب في بلاد بعيدة عن بلادهِ الأَّ ودَّ ان يصف ما رآهُ فيها لابناء وطنهِ ولذلك لم يكد الكتَّاب يكثرون في هذا القطر والقطر السوري ويكثر الراحلون منهما الى اوربا حتى توالت كتب الرحلات ومحور الاختلاف فيها اختلاف اصحابها في قوة الملاحظة والانتقاد والوجوه التي اتَّفق لهم ان نظروا منها . والرحلة التي امامنا الآن سفر جليل خطتهُ يراعة رجل حكيم واسع الاطلاع دقيق النظر عرف تواريخ الامم الحاضرة والغابرة ودرس طبائع الناس واساليب عمرانهم وميز بين النافع والضار منها . قام من طرابلس الشام مسقط رأسهِ منذ سنة من الزمان فمرَّ على بيروت وبورت سعيد والاسكندرية ومرسيليا وليون ونزل في باريس مدة شاهد فيها معرضها ومعالمها الكثيرة . ثم مضى الى لندن وليفربول ومنشستر وعاد بطريق سويسرا وايطاليا فوصف ما مرَّ بهِ من مدنهما ولا سيما مدينة ميلان ورومية وخرائب بومبي ووصل الى الاستانة فوصفها بما يحتملهُ المقام من الاسهاب وعاد الى طرابلس بطريق رودس وقبرص

وبعض الوصف مسهب جدًّا على ما يقتضيهِ المقام كوصف باريس ومعرضها ومعالمها فانهُ

استغرق نحو اربعين صفحة وبعضهُ موجز كوصف المدن الصغيرة في سويسرا وايطاليا وكلهُ لا يخلو من الفوائد التاريخية والانتقادات الاجتماعية . بدأ بمدينة بيروت فقال انها اخذت تنسع من حين وُضع المحجر الصحي فيها على عهد ابرهيم باشا المصري فاصبحت اسكلة سورية حينئذٍ وكان المراد ان يوضع في طرابلس الشام فابتهُ لجهلها منافعهُ . ووصف اهاليها الذين نزلوا اليها تماً يجاورها واستوطنوها بانهم " كانوا اولاً خليطاً من السكان لا جامعة بينهم غير اللغة ووحدة المقصد والمسعى وليس فيهم صفة القوم العريقين في العوائد والشؤُون بل يرى كأن اخلاقهم وازياءهم مستعارة ممن خالطهم من الطوائف المختلفة التي حلت بين ظهرانيهم لكن لم يثبت هذا التقليد طويلاً بينهم بل تحولوا عنهُ الى ما هو خير منهُ وابقى لجمعهم بين هيئة الغرب وجدهِ وسماحة الشرق وكرمهِ جمعاً قصرت عن مثلهِ كل مدن الشام " . وبعد ان اسهب في مدحهم على هذا الاسلوب استدرك قائلاً " لم يبقَ لرائيهم او للمؤرخ ما يأخذهُ عليهم سوى ان اغنياءهم لا يهتمون بانشاء الشركات التي قام عليها وحدها نجح الامم ولا يعنون بالمشروعات الآيلة لخير اوطانهم وخيرهم " . وحبذا لو ذكر السبب الاكبر الذي يمنع البيروتيين وغيرهم من انشاء الشركات والمشروعات العمومية فقد كنا نتذاكر في اواخر الصيف الماضي مع رجل من اكبر اغنياء بيروت وذكر قصرهُ الجميل فيها فاكد لنا انهُ لن يعود اليهِ وانهُ يود ان يبيعهُ لكي لا يبقى لهُ عقار فيها وقد جعل وطنهُ القطر المصري لما يرى فيهِ من راحة البال وانتظام الاحوال

وانتقادهُ على الاوربيين شديد حيث يرى الى الانتقاد سبيلاً ومدحهُ لم مبني على حقائق راهنة . قال عن الهيئة الاجتماعية في غربي اوربا ما نصهُ

" ان من اطلق النظر على حالة شعوب هاتيك الممالك قبل التمكن من الاحاطة بشؤُونها يظنها تحت سيادة نبلاء البلاد واغنيائها اذ يرى بوناً شاسعاً بين اهل هذه الطبقة وبين اصحاب الصناعة واهل الكد والجد فيها وهم العدد الاكبر وذلك في استئثار الاولين بالرئاسة على الاحكام الأ فيما ندر رغماً عن ان بلوغها مباح للاستحقاق والفضل . وفي عيشتهم المنعمة البالغة حد البذخ والاسراف وفي ترفعهم عن مخالطة من هو دونهم او من هو من غير مرتبتهم — حالات قط ما وصلت اليها نبلاء واغنياء الشرق ذلك ما ادى للزحام الشديد بين طبقاتهم على ما يوصل الى هذا المقام الممتاز فلهذا ترى بينهم المخاطرين بكلما تملك ايديهم من حطام الدنيا للحصول على غنىً اوفر والمجازفين بمبلغ ما اعطوا من الفهم والفصاحة لاهاجة الخواطر او لاقناع السامعين بانهم خير من يتولى الزعامة وزمام الاحكام

"ولا خفاء ان الحضارة والتمدن الشاملين الآن الممالك الاوربية قائمان على اسس العلم والعدل والثروة فالعلم مباح للجميع على السواء . والعدل منوط بفئةٍ من القضاة يحكمون بموجب شرائع سُنَّتْ على مقتضيات الزمان والشؤُون . والثروة ملك مشاع ومحجب يتهافت عليهِ كل فرد فالبعض يصيب منهُ قسماً وافرًا والبعض قسماً يسيرًا والبعض يكتفي على كرهٍ منهُ بالقوت اليومي لان الاقدار لن تقسّم الحظوظ على احكام فريضةٍ شرعية"

وقال في انتقاد حكوماتها لانها تبقي على العدميين

"واني لا اعجبُ من تلك الممالك البالغة شأوًا بعيدًا في الحكمة والحضارة والعمران والدائبة على مزاولة العلاجات الشافية لادواء الناس وسائر انواع الحيوان كيف هي نفسها تسمح بسكنى العدميين القتلة بين ظهرانيها قانعةً بمراقبتهم عن بعدٍ كأنَّ ضربها على ايديهم واستئصالها شأفتهم وصمة على تمدنها ومعرَّة على عدلها وانصافها . حقًّا ثم حقًّا ان في التمدن الاوربي الحالي مناقضات توجب ضحك الاجيال المستقبلة ان قُدّر لها الافاقة من غفلة ايامنا"

وقال في وصف محامد الاوربيين

"هذا بعض ما لاح لي ادراجهُ في موضوع هيئة اوربا الاجتماعية وعساني لا اكون مفرّطًا او مفرطًا فيما ابنتهُ عن المغمز في حضارتها وعسى الأَّ يفهم من انتقادي خلو اهاليها ونظام ممالكها من الشيم الغراء والسجايا السامية والقوانين المحكمة الوضع لانهم بلغوا في عمل الاحسان والخير ما لم تبلغهُ دولة قبلهم حتى كادت عطاياهم وهباتهم السنية للمدارس والملاجىء الخيرية والمستشفيات والمعارف وجميع انواع الاكتشافات في العلوم والطب والجراحة وفي مجاهل الارض واغوارها ان تكون لجسامتها ومبالغها الطائلة من قبيل القصص والروايات البعيد تصديقها . فهم سريعو النهضة لمساعدة الجنس الانساني اينما كان وكيفما كان جنسهُ ودينهُ لا يسمعون بكارثة ألمت بهِ في اي زاوية قصيَّة من زوايا الارض الاَّ اندفعوا لاعانتهِ عليها اندفاع السيل . كرام النفوس سخاة الاكف ان وعدوا وفوا وان اوعدوا انزلوا القضاء . يجلون اهل الفضل ولا يبخسون حق المجتهد . يحسنون تربية اولادهم ويؤاسون شيوخهم . فهم قوم في هذه الخصوصيات بلغوا اعلى طباق المحامد لا يعوزهم سوى الوجه الباش . وقد بلغوا من الحكمة والدقة والبراعة وحسن التدبير في نظاماتهم العسكرية والقضائية والملكية والمالية مبلغاً شهدت بهِ امنع الممالك واقصاها واغمض الدعاوي واغلقها واعقد المسائل السياسية واشكلها وما نزف من جيوب اهل الشرق طرًّا . فهم اقوام اتخذوا طلب المزيد في كل شيءٍ ديدنًا وحسبوا القناعة والوقوف في ما صاروا اليهِ عيًّا وتأخرًا"

واكثر ما في الكتاب وصف كما لا يخفى لانهُ خبر رحلة وقد ادمج فيهِ حقائق تاريخية كثيرة كقولهِ في وصف بقايا بومبي

"ان بومبي كانت مدينة عامرة انيقة يسكنها علية الرومان ويؤمها كبراؤهم على مدار فصول السنة استنشاقاً لهوائها البليل واستشفاء بمائها النمير لاعتقادهم انها وما جاورها من المصايف والقصبات احسن مناخاً واطيب هواء من سائر المدن الجنوبية فلهذا اجتمعت على ما دلّت الآثار كل صنوف الملاهي الرومانية واباحت ما تأباه الاعصر الحالية من انواع التهتك وضروب المجون . ففي يوم من ايام السنة التاسعة والسبعين للميلاد اطبقت بغتة عليها وعلى جارتها هركولانيوم وعلى قصبات عديدة حولها سحاب رمادي كثيف وظلمة من سيلهِ الهتون اضاعت على الاهالي طريق النجاة . ذلك ان الجبل الناري فزوف ثار ثوراناً خارقاً للعادة وامطرها وامطر الجوار الى مسافات بعيدة ثلاثة ايام بلياليها دون انقطاع سيلاً هطّالاً من الرماد دفن المدينتين وما حوتا وارجع البحر بما القاه من الرماد على ساحلهِ مسافة اميال عن بومبي . وكنتُ قرأتُ اذ كنت يافعاً روايةً لكاتب من الانكليز سماها " آخر ايام بومبي " اورد فيها حكاية خادمة وُلدت عمياء فلما نزلت النازلة واظلمت الدنيا بعيون الاهالي وضلّوا عن طريق النجاة قادت هذه العمياء وليها لان الظلمة لم تخفِ عنها طريقاً ألفت طروقها وهي عمياء كل حياتها ونجت واياه من التهلكة وما برحتُ الى اليوم اتذكرها واتوق الى رؤية مكانها حتى رأيته"

ثم وصف ما رآه من آثارها فقال

"لما خرجتُ من بيت الآثار كما ذكرتُ استلمتُ طريقاً لا تحسب بعرف ايامنا وسيعة لان الاقدمين كما علمتُ لم يألفوا العرض في الطرقات فوجدتها مبلطة ببلاط كبير وسميك غير مربوع الزوايا على قول سادتنا البنائين يشبه في شكلهِ ووضعهِ ما يُرى حتى الآن في ما بقي من بقايا الطرقات الرومانية في بعض انحاء سورية ورأيتُ عليهِ اثر العجلات لكن دون ان يكون في الطريق مجال لمرور مركبتين تتعارضان ولهذا يُظن ان طرقاتها لم تكن لمرور مركبات الركوب بل لمرور عجلات النقل وربما مرور هذه ايضاً كان لهُ نظام مخصوص يمنع من وقوع تعارضها

" فدخلت اول بيت ازيح الغطاء عنهُ ايام الملك السابق فوجدتهُ بيتاً سفلياً وفي وسطهِ فسحة مربعة سماوية وحولها اروقة تظلل ابواب حجر على دائرها فمن الحجر ما هو متوسط الحجم ومنها ما هو صغير ليس لكبيرها ولا لصغيرها كوة او نافذة غير الباب كأنهم كانوا يستغنون عنها بالنور الداخل بالابواب من الفسحة السماوية لكن لا يعلم كيف كانوا يستغنون عن دخول الهواء الى الحجر

"ورأيت الحجر مفروشة بالفسيفساء التي يسمونها موزايك لكنها دون الفسيفساء المعروفة في الشرق في الدقة والتزويق والكلفة اذ ليست هذه غير كسير حجارة مربعة الشكل سوداء وبيضاء مصفوفة صفًّا بسيطاً . ثم دخلتُ الى بيت آخر فوجدتهُ يقاربهُ شكلاً ويخالفهُ تزويقاً والى ثالث فكان كسابقهِ او يزيد بوجود اركانٍ منصوب عليها تماثيل وترافيم من المرمر او من المعدن ثم الى الرابع والخامس والسادس الخ وكلها بيوت سفلية يتوسطها فسحات سماوية في وسطها احواض من الرخام وانصاب للتماثيل والاصنام وعلى دوائرها اروقة او مماشٍ مسقوفة يُدخل منها الى المخادع والحجر الخالية من الكوى والملونة الحيطان والمنقوشة بالرسوم والتصاوير التي يستهجنها الادب وينبو عنها طرف الحشمة وقد يوجد فيها تصاوير وقائع ميثولوجية كلها وقد مرَّ عليها ما يربو على ثمانية عشر قرناً دفينةً تحت الثرى زاهية الالوان واضحة الرسم كأنها خرجت اليوم من يدي المصور والنقاش"

وذكر المؤلف في هذا الفصل ان سكان بومبي كانوا يصورون عورة الرجل ويتعوذون بها من العقم والمحل ولم نستحسن نشر ما كتبهُ من هذا القبيل فحذفناهُ فكتب الينا يعاتبنا على ذلك قال " لقد استفقدتُ عبارةً كنت اثبتها عند الكلام على بومبي .... ولم اجدها فلحظت انكم اسقطتموها عمداً رعاية للعادة العصرية في اجتناب كما ولو على بُعد يخدش اسماع القراء من قبيل الالفاظ الآيلة معانيها الى تلك الاعضاء . فالداعي واظنني لستُ اقل منكم اتعاداً من النطق بها انما اوردتها في محلها وربما على كره مني احتفاظاً بحقيقة تاريخية لا مناص لي من ذكرها مغزاها انهم كانوا يتعوذون بصورة العضو المذكور من نوازل العقم والامحال ويضعونها في ديارهم تميمة للخصب والاقبال . فالعجب من شؤون عصرنا اليوم كيف اوجب الحد على مثل تلك الالفاظ ولو تحجبت مدلولاتها بنقاب اديب يشف عنها واباح في المنتديات الصناعية والمعاهد الفنيَّة وفي جميع المعارض العموميَّة والخصوصيَّة وضع تماثيل ابن آدم ذكراً وانثى متهتكة الاستار وصمد صورهُ كما نزل من بطن امهِ عرياناً لا بل في حالة يحمرُّ منها الخد ويندى لها الجبين وتعليقها في البيوت والاخدار . اليس في ذلك نظر يستلزم البحث في غموض احكام التمدن الحالي والتأمل في كيف اباح للنظر الاشد قابليةً للتأثر ما لا يبيحهُ للسمع . افيدوا وتفضلوا ان شئتم باثبات كتابي هذا في مقتطفكم الاغر"

هذا وبديهي اننا حذفنا العبارة التي اشار اليها لاننا واثقون ان كتاب رحلتهِ سيشيع كثيراً ويقرأهُ ابناؤنا وبناتنا فلم نستحسن ان نبقي فيهِ ما يخجلون من التلفظ بهِ على مسمع من والديهم . وهذا الخجل عادة سواء كان بالرؤية او بالتلفظ وهي متمكنة من اهالي بلادنا

لطول عهدهم بها فاذا حاولوا نزعها لم يتيسر لهم الأ بعد زمان طويل ولا بدَّ من ان يكون ذلك تدريجاً حتى لا تنفر منهُ الطباع . ويظهر لنا انهُ اذا الفت الاذن ما الفتهُ العين لم تعد تنفر ولا تخجل مما تنفر وتخجل منهُ الآن

والكتاب كلهُ فوائد وفكاهات ننصح لكل احد ان يطالعهُ ويحتفظ بهِ. وهو مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة المقتطف

ابحاث المجتهدين

في الخلاف بين النصارى والمسلمين

تاليف نقولا افندي غبريل

هذا الكتاب من كتب الجدل النادرة التي يتوخَّى اصحابها ظهار الحق . ويظهر منهُ ان صاحبهُ واسع الاطلاع لا يقتصر في تأييد حججهِ على التوراة والانجيل والقرآن والحديث وكتب التفسير بل يستشهد بكتب التاريخ ومباحث العاديَّات كما ترى في كلامهِ على الصلب وصحة التوراة فقد قال في الكلام على الصلب " ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد اشار في تاريخهِ الى صلب المسيح قائلاً ان بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب رؤساء الكهنة بيننا والذين احبوا المسيح اولاً لم يتركوهُ وهم باقون للآن يدعون مسيحيين نسبة اليهِ . وكتب الحاخام يوحنان بن زكاتليذ هلل الشهير كتاباً في العبرانية منذ زمن قديم ذكر فيهِ حكم اليهود على المسيح بالصلب لادعائهِ انهُ ابن الله وانهم علقوهُ على شجرة خارج اورشليم . وكتاب التلمود ذكر عرضاً صلب المسيح . وذكرهُ تاستوس المؤرخ الوثني في الفصل الخامس عشر من مؤلفهِ المكتوب بعد المسيح بنحو اربعين سنة ناقلاً ذلك عن التقرير الرسمي المحفوظ في سجلات رومية . وقد اشار الى هذا التقرير فلافيوس جوستنيوس الفيلسوف عندما خاطب الامبراطور انطونينوس بيوس سنة ١٣٩ للمسيح واشار اليهِ العالم ترتوليانوس القرطاجني سنة ١٩٩ "

واستدلَّ على صحة التوراة من صدق ما جاء فيها من النبوات التي قيلت قبل اتمامها بسنين كثيرة كنبوءة حزقيال الذي قال ولا يكون بعد رئيس من ارض مصر

اما الادلة في سائر فصول الكتاب فليست من هذا القبيل بل اكثرها قاصر على الآيات الكتابية والتفاسير النقلية والترجيحات العقلية

وثمن هذا الكتاب اربعة غروش وهو يطلب من مطبعة المعارف بالفجالة ومن المكتبة الانكليزية ومن مكاتب الاميركان بمصر والارياف ومن سائر المكاتب الشهيرة في القطر المصري

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الذكاء

مليج . رياض افندي سليمان . هل الذكاء امرٌ طبيعي في الانسان اكتسبهُ بالوراثة من والديهِ او هو نتيجة العلم والاختبار

ج يولد الانسان وفي دقائق دماغهِ قابليَّات كثيرة وفي جملتها القابليات الى ما سميتموهُ بالذكاء وهي موروثة في الغالب من والديهِ واسلافهما وقد يتولَّد بعضها فيهِ تولُّداً باجتماع قابليتين مختلفتين من والديهِ او باسباب اخرى طبيعية . ثم اذا كبر فالاحوال التي تعرض لهُ والوسائل التي تستعمل لتربية عقلهِ وتهذيبهِ وتثقيفهِ تؤَثر فيهِ فتزيد ذكاءهُ او تضعفهُ حسب اختلاف تأْثيرها

(٢) اللغة العامة

ومنهُ . أَصحيح ان العلماء آخذون الآن في التوصُّل الى استعمال لغة واحدة في كل اقطار المسكونة وهل ذلك ميسور لهم في الزمن القريب

ج لقد حاول البعض وضع لغة عامة للكتابة لا للتكلم ورأينا واحداً منهم منذ نحو سبع عشرة سنة جاء بيروت لهذه الغاية واسلوبهُ حسن ولكن العمل بهِ صعب ولو كان النجاح ميسوراً لهُ لنجح . اما وضع لغة عامة للتكلم ايضاً كما هو مفهوم سؤَالكم فلا نظن انهُ يخطر على بال العلماء ولا على بال الجهلاء لا لانهُ مستحيل لذاتهِ بل لان احوال الناس الحاضرة وانقسامهم الى امم وممالك مخالفة متباينة يمنع اجماعهم على لغة واحدة فاذا خضع الناس كلهم لملك واحد وصاروا مملكة واحدة لا يتعذَّر عليهم ان يقتصروا على لغة واحدة وهذا بعيد الوقوع قد لا يحدث الاَّ بعد مئات كثيرة من السنين

(٣) الاستحمام بالماء البارد

ومنهُ . هل الاستحمام بالماء البارد مفيد صحياً وان كان مفيداً فما هو انسب وقت للاستحمام وهل يمكث الانسان في الماء طويلاً

ج نعم يفيد في الضعف العام وفي الامراض المزمنة وفي حال الصحة عموماً . واصلح الاوقات الصباح بعد القيام من النوم قبل الفطور للاقوياء وبعدهُ للضعفاء ويجب ان تكون مدتهُ قصيرة بضع دقائق . ويجب ان لا يبرد المستحم فان برد فلا فائدة من الماء

البارد بل منهُ ضرر . ولا بدَّ من فرك الجسد بعد الاستحمام بالماء البارد

(٤) وفيات النساء

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . لماذا يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال

ج اذا كان نساء بلاد اكثر من رجالها فمن الضرورة ان يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال اذ لا بدَّ من موت الفريقين واذا كان عدد الرجال اكثر من عدد النساء فالوفيات من الرجال اكثر من الوفيات من النساء . والغالب ان الفرق قليل جدًّا بين عدد الرجال وعدد النساء ولذلك يكون الفرق بين وفياتهم ووفياتهنَّ قليلاً ايضاً

(٥) انكلترا والصين

ومنهُ . ان كانت انكلترا انتصرت على الصين في حرب الافيون وكسرت نفوس اهلها فلمَ لم تستولِ عليها في ذلك الحين

ج لانها لم تكن قاصدة الاستيلاء عليها ولم تدفعها الاحوال الى هذا الاستيلاء . ومن قرأ تاريخ حروب الانكليز في الهند وافريقية يجد انهم قلَّما قصدوا قصداً الاستيلاء على بلاد من البلدان بل اضطرهم سكانها الى ذلك اضطراراً اي انهم ليسوا مثل الملوك الغزاة الذين نقرأُ عنهم في تاريخ مصر واشور يخرجون للغزو والامتلاك بل يدخل تجارهم بلاداً بقصد الاتجار فيعتدي عليهم اهلها وترسل جنودهم قصد معاقبة المعتدين او منعهم من العود الى الاعتداء فلا يمتنعون بل يزيد اعتداؤهم وتضرم نار الحرب وتتوالى امور كثيرة من هذا القبيل كأنها مسخرة تسخيراً لجعلهم يمتلكون تلك البلاد غصباً عنهم . فاذا لم يحدث شيء من ذلك او اذا تلافى الوطنيون الامر بالتي هي احسن ولم يضطروا الانكليز اضطراراً الى امتلاك بلادهم بقيت لهم من غير نزاع الاَّ اذا كانت البلاد قفراً لا مالك لها فان رجالهم قد يرفعون عليها العلم البريطاني فيمتلكونها بالحق الاول من حقوق التملك وهو سبق وضع اليد

(٦) حرق المدن بسبب الوباء

ومنهُ . سمعت ان مدناً كثيرة احترقت في الزمن الماضي لتفشي الوباء فيها فلماذا لا تحرق كل مدينة يشتد فيها ضررهُ كبومباي

ج لان الضرر من حرقها عظيم جدًّا ولا تستأْصل بهِ شأفة الوباء من الدنيا ولم نسمع ان المدن كانت تحرق لاجل الوباء . اما احتراق مدينة لندن وقت انتشار الموت الاسود فيها فلم يكن عن قصد لاستئصال الوباء منها مع ان الوباء استئصل منها بحرقها على ما قيل . واذا كان الوباء منتشراً في قرى صغيرة وتعذَّر تطهيرها منهُ فيكون من الحكمة حرقها والتعويض على اهلها من مال الامَّة

(٧) اعتصاب العمال

ومنهُ . هل ترون ان مستقبل العمال في

مصر يكون مشابهاً لما عليهِ العمال في الغرب من جهة الاعتصاب الناشىء عن المزاحمة الحاصلة بين العمل ورأس المال فقد سمعت ورأيتُ ان العمال في مصر بدأوا يشعرون بالميل الى التخلص من النير القديم والشدة الماضية

ج لا بُدَّ من ان يحدث عندنا ما حدث في أوربا ولكن لا سبيل الى اتساع نطاق الاعتصاب هنا لان ليس عندنا معامل كبيرة ولا ينتظر ان توجد هذه المعامل وعسى ان لا نضطر اليها بل يبقى نطاق الزراعة واسعاً لمعيشة الاهلين ولا خوف من اعتصاب اهل الزراعة ولا سيما اذا بقي توزيع الاطيان شائعاً في البلاد

(٨) غرائب الاتفاق

ومنهُ . بماذا تعللون حدوث بعض الوقائع عقب التفكير بها فقد نُقل اليَّ واتفق لي مثل ذلك مراراً اذ كنت افكر في اشياء ثم لا يمضي قليل حتى أراها حدثت

ج لقد حاولنا ايضاح ذلك غير مرة كما ترون في الكلام على غرائب الاتفاق في المجلد الثاني عشر وفي المجلد الثامن عشر من المقتطف ولم نزل على رأينا في تعليلها وهو انها كلها اتفاقات ولو لم تتفق بعض الحوادث لكان ذلك اغرب من اتفاقها. ونعيد هنا ما قلناهُ في المجلد الثامن عشر وهو "حبذا لو انتبه القراء الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحرَّوا الدقة التامة فيهِ لعلهُ يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن"

(٩) استخدام حرارة الشمس

ومنهُ . كيف يمكن استخدام حرارة الشمس وخزنها للاستعاضة بها عن الفحم الحجري اذا نفد من مناجمهِ

ج ان نفاد الفحم الحجري بعيد جدًّا لانهُ لا يقل في مكان حتى توجد منهُ مناجم واسعة في اماكن اخرى . لكن يمكن استخدام حرارة الشمس بسهولة بخزن مياه الامطار في اماكن مرتفعة واجرائها منها فان ماء المطر يصعد من البحر بحرارة الشمس فالقوة التي يتحدَّر منها من جوانب الجبال بعد ان يقع عليها مطراً مستمدَّة اصلاً من حرارة الشمس وفي المطر الواقع من السماء من القوة ما يساوي مئة الف مليون حصان على حسب ما قدرتهُ حديثاً جريدة ناتشر العلمية ولا يتعذَّر الانتفاع بجزء كبير منهُ

(١٠) بالون زبلن

ومنهُ . هل تصدقون ان بالون الكونت زبلن الالماني يصل يوماً ما الى نقل الاثقال من جهة الى اخرى

ج هو ينقل الاثقال الآن ولكنهُ لا ينقلها نقلاً منهُ ربح تجاريٌّ فاذا استطاع ان ينقل صندوقاً من مصر الى الاسكندرية وبلغت نفقة نقلهِ بهِ عشرة غروش وكانت نفقة نقلهِ بسكة الحديد ثلاثة غروش وكان الزمن واحداً فكل احد يفضل النقل بسكة الحديد

على النقل بهِ . ولا يظهر ان نفقاتهِ ستقل كثيرًا عما هي الآن

(١١) تعريب اوركسترا

مصر . حافظ افندي سليمان . قرأت في المقتطف رواية القلب الكسير تعريب خليل افندي ثابت فوجدت فيها كلمات افرنكية مكتوبة بالعربي لفظًا ككلمة اوركسترا ولم افهم هل ضاقت بحضرتهِ اللغة العربية حتى يضع هذه الكلمة ولاي امر لم يتعاون كتابنا على رفع شأن العربية

ج لا نظن ان اللغة العربية ضاقت على حضرة المعرّب وهو من اكتب الكتّاب بها فكان يستطيع ان يعربها بمجلس المغنين او يقتدي بكتاب مصر فيستعمل كلمة "تخت" الفارسية ولعلهُ ابقى على الكلمة الانكليزية اليونانية الاصل لان الاوركسترا تطلق على مكان المغنين وعلى مجتمع آلات خاصة من آلات الغناء . والكلمة مألوفة الآن في بلاد الشام او في مدينة بيروت خاصة . وقد نقل اسلافنا العرب كل الكلمات الخاصة بالموسيقى من اللسان الفارسي كما ترون في يكاه وعشيران وعراق ورست ودوكاه وسيكاه وجهار كاه ونوى وحسيني واوج وماهور و بزرك وماهوران ونقلوا كلمة موسيقى من اليونانية ولم يسمعوا كلمة تعنيف ولا كلمة لوم من ابناء عصرهم فهل كانوا اقل حرصًا منا على اللغة او كانت نفوسهم اكبر من نفوسنا وصدورهم ارحب من صدورنا

(١٢) كلمة تواليت

ومنهُ . ما معنى كلمة تواليت الموضوعة باعلان الخواجه استيفنسن بآخر المجلة ولاي شيء لم يوضع معناها العربي أيضًا مع ان الاعلان مترجم في المطبعة

ج الظاهر ان الذي ترجمها يعلم انها مستعملة في مصر بهذا اللفظ والذين يقرأون الاعلان يفهمونها . وكلمة توالت Toilette فرنسوية الاصل لكن الانكليز يستعملونها بلفظها الفرنسوي وكذلك الطبقة العليا من المصريين . والغرض من نشر الاعلان تجاري لا لغوي فاذا اردت ان تبيع قطنك ورأيت ان المشتري لا يفهم منك اذا كلمتهُ بلسان عربي فصيح فلا يشتري القطن منك اضطررت ان تكلمهُ باللسان المصري العامي او بلسان اقرب الى التليانية منهُ الى العربية . واللغة وسيلة لا غاية

(١٣) سكان يابان

مصر . محمد افندي امين كم عدد سكان يابان وكم عدد التلامذة في مدارسها

ج كان عددهم نحو ٤٤ مليونًا منذ ست سنوات وهم يزيدون نحو نصف مليون كل سنة فيكون عددهم الآن نحو ٤٧ مليونًا وعدد سكان فرموسا التي اخذتها يابان من الصين نحو ثلاثة ملايين نفس وفي بلاد يابان نحو ٢٨ الف مدرسة ونحو اربعة ملايين ونصف من التلامذة



الأكابي

وجد السر هري جنستن حيواناً في اوغندا بافريقية متوسطاً في شكلهِ بين الزرافة والفرس يسميهِ اهالي تلك البلاد بالاكابي وقد ظُنَّ اولاً انهُ من نوع الحيوان المنقرض المسمَّى هلادوثاريوم لكن الاستاذ لنكستر اثبت انهُ نوع جديد قائم براسهِ وهو مشقوق الظلف مخطط القوائم قصير العنق كبير الراس جدًّا لهُ فنطيسة كفنطيسة الخنزير واذنان كبيرتان كاذني الحمار ونتوان بينهما كان فيهما قرنان ولم يبقَ منهما الآن الأ قليل من الشعر. رأسهُ ابيض مصفر وفنطيستهُ سوداء وجبهتهُ حمراء ولون اذنيهِ اسمر ضارب الى الحمرة وكذلك لون عنقهِ وكتفيهِ وظهرهِ وبطنهِ وتشتدُّ حمرتها في بعض الاماكن وسمرتها في غيرها والخطوط على قوائمهِ الاربع بيضاء وسوداء يصحُّ فيهِ قول النابغة "من وحش وجرة موشيٍّ اكارعهُ" وكذلك اظلافهُ معلمة بالابيض والاسود. وعلو الاكابي سبع اقدام عند كتفيهِ فهو اعلى من اكبر الخيل بنحو قدم ونصف وطولهُ عشر اقدام وثقلهُ طنٌّ وطعامهُ من اوراق الاشجار ويقال انهُ سريع العدد يسبق الفرس ولم يتمكن احد من صيدهِ حيًّا حتى الآن لشدة نفارهِ وسرعة عدوهِ والهمة مبذولة لجلبهِ حيًّا الى اوربا

وحوش اواهل

قال السر هري جنستن انهُ مرَّ بارضٍ في قلب افريقية كانت وحوشها تدنو منهُ ومن رجالهِ كالدواجن لانها بعيدة عن البشر فلم ترَ منهم حتى الآن ما يخيفها فكانوا يمرون وسط اسراب الافيال فلا تنفر منهم ويرون وحيد القرن افراداً وازواجاً فلا يضرُّ بهم وكانت حمر الزرد والايائل ترافقهم مسافات طويلة عن كثب والتقوا باسود كثيرة فلم تلتفت اليهم. ورأى في اطراف حراج الكنغو اناساً يشبهون القرود كثيراً وهم غير الاقزام الذين وصفهم ستانلي لانهم طوال القامة مثل سائر الزنوج

بستان الحيوانات

كان في بستان الحيوانات بالجيزة في آخر العام الماضي ٦٧٠ حيواناً من ١٤٩ نوعاً الوحوش منها ٢٥٣ والطيور ٣٧١ والزحافات ٤١ والضفدعيات ٥ وقد أُنفق على طعامها ستمئة جنيه فمتوسط نفقة الحيوان منها نحو جنيه في السنة. ونفقة البستان كلهِ على طعام

الحيوانات واجور الرئيس والعمال واصلاح اماكن الحيوانات ٣٦١٣ جنيهاً دفعت الحكومة منها ١٧٣٠ جنيهاً وحصل ٩٧٩ جنيهاً من رسم الدخول و٢٥ جنيهاً من ركب الاولاد على الفيل

هبة كارنجي العلمية

ذكرنا في الجزء الماضي ان المستر اندرو كارنجي المثري الشهير وهب مدارس سكتلندا مسقط رأسهِ مليونين من الجنيهات وقد وقفنا الآن على تفصيل ما يراد عملهُ بهذه الهبة وخلاصتهُ ان ربع الهبة السنوي ١٠٤٠٠٠ جنيه اي قدر ميزانية نظارة المعارف المصرية ينفق نصفهُ على اصلاح المدارس الجامعة في سكتلندا وتوسيع نطاق العلم فيها من حيث البحث العلمي ومن حيث التعليم وينفق النصف الثاني لتلامذة هذه المدارس يدفعونهُ اجرة تعليمهم سواءٌ كانوا ذكوراً او اناثاً. وقد اقام على هذه الهبة تسعة اوصياء واطلق لهم الحرية لينفقوا الريع في السبيل الذي يحسبونهُ مطابقاً لغرضهِ على ما تقتضيهِ احوال الزمان ويعمل بما يقرهُ ثلثاهم عليهِ

سكان باريس

بلغ سكان باريس الآن ٢٧١٤٠٦٨ وكانوا منذ خمس سنوات ٢٥٣٦٨٣٤ فزادوا نحو سبعة في المئة في خمس سنوات

التلوتوغراف

التلوتوغراف تلغراف تنقل الكتابة بهِ كما هي واجزاؤهُ الجوهرية في المرسل والمستقبل قلم متصل بخلين يحركان ساعدين على ريوستاتين فاذا امسك انسان القلم بيدهِ وكتب بهِ على ورقة تحرك الخلان المتصلان بهِ والساعدان فتغيرت قوة المجرى الكهربائي وانتقل هذا الفعل الى ريوستاتي المستقبل فحرك ذراعيهِ وخليهِ والقلم المتصل بهما فكتب على قرطاس تحتهُ كتابة تشبهُ الكتابة بالقلم الاول لانهُ يتحرك مثلهُ

اخترع هذه الآلة المستر فوستر رتشي وقد رأينا صورة كتابة كتبت بها وصورتها على القرطاس الذي ظهرت عليها وكان طول السلك بين المرسل والمستقبل ثلثمئة ميل

ضرر التبغ

يظهر من مقالة نشرت في جريدة اللانست الطبية ان النيكوتين الذي في التبغ قليل الضرر او لا ضرر منهُ وان الضرر من مادة أُخرى اسمها البريدين وان تدخين التبغ في السكاير اقل اساليب التدخين ضرراً ويتلوهُ التدخين بالبيب (الحجر) فانهُ اكثر منهُ ضرراً ثم التدخين بالسيكار الافرنجي فانهُ اشد طرق التدخين ضرراً

هبة علمية

وهب المستر ركفلر خمسين الف جنيه

لاجل البحث الطبي في اميركا فتنشأ بها دار مثل دار باستور لاجل البحث في المواضيع الطبيَّة

وقد عينوا لانشائهِ خمسة عشر مليوناً من الريالات الاميركية اي ثلاثة ملايين من الجنيهات

السفن التجارية وتلغراف مركوني

كان المظنون ان استعمال تلغراف مركوني يبقى مقتصرًا على البوارج الحربيَّة . لكن السفن التجارية تبارت مع البوارج في هذا المضمار فصارت السفن التي تقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا تضع آلة تلغراف مركوني فيها ويرسل ركّابها اخبارهم الى اصدقائهم في اوربا او اميركا وهم على ظهر البحر فتصل الاخبار الى الشاطئ وترسل من هناك بالتلغراف العادي الى من يراد ارسالها اليهِ واذا ابعدت السفينة عن البر كثيرًا حتى تعذر وصول الاشارات اليهِ اوصلت الى سفينة اخرى في منتصف الطريق وهذه ترسلها الى البر

مذنب انكي

مذنب انكي من ذوات الاذناب التي تتم دورتها حول الشمس في زمن قصير . ظهر آخر مرة سنة ١٨٩٨ وينتظر ظهورهُ هذه السنة في اواسط شهر سبتمبر المقبل وهو صغير لا يكاد يُرى بالعين المجردة

معرض سنت لويس

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة سنت لويس سنة ١٩٠٣

دواء لسع البعوض

اكتشف الاستاذ فوجس مدير مجلس الصحة في بونس ايرس ان النفتالين يزيل كل الم من لسع البعوض ولا يبقي لهُ اثرًا في الجلد فهو ترياق للسائل السام الذي في البعوض

رخص الهيدروجين

اكتشف رجل انكليزي اسمهُ هوبن اسلوبًا رخيصًا جدًّا لاستحضار مقادير كبيرة من الهيدروجين وهو ان يضغط الاسيتلين في آنية من الصلب ويحرق فيها بالكهربائية فيرسب كربونهُ عليها هباءً ويبقى الهيدوجين نقيًا . ويقال ان هذا العمل رخيص جدًّا فيسهل بهِ استحضار كميات كبيرة من الهيدوجين للبالونات ونحوها

اثمن اليخوت

من اثمن اليخوت يخت صنعهُ المستر بنت صاحب جريدة نيويورك هرلد بلغ ما انفق عليهِ مئة وخمسة وعشرين الف جنيه وغرفهُ ومقاصيرهُ ليس افخر منها في قصور الملوك

الطاعون في القطر

ظهر الطاعون في الزقازيق فجأة في السابع من ابريل وسار سيرًا بطيئًا جدًّا وظهرت

منهُ حوادث قليلة في الاسكندرية والمنيا وبورت سعيد وبلغت الاصابات كلها حتى آخر يونيو ٧١ توفي منها ٣٠ وشفي ١٣ وبقي تحت المعالجة ٢٨ اكثرهم في الزقازيق

اسرع القطرات

سار قطار في اميركا ١٤٩ ميلاً في ١٣٠ دقيقة فبلغت سرعتهُ نحو ٦٩ ميلاً في الساعة وقطع خمسة اميال من هذه المسافة بدقيقتين ونصف دقيقة فكانت سرعتهُ فيها ١٢٠ ميلاً في الساعة

اشعة بكرل

اكتشف المسيو بكرل العالم الفرنسوي سنة ١٨٩٥ انهُ تنبعث اشعة من عنصر الاورانيوم تشبه اشعة رنتجن فسميت بالاضافة اليهِ ثم اتضح ان هذه الاشعة لا تصدر من الاورانيوم نفسهِ بل من عنصر آخر . ويظهر الآن من بحث مدرسة الصنائع العليا في برلين ان هذا الامر صحيح وانهُ سيكون لهذه الاشعة شأن عظيم جدًّا ولا تزال نتائج البحث سرية يراد افشاؤها الى الامبراطور قبل غيرهِ

كثرة الانتحار

ينتحر في اسوج واحد من كل ٩٢٠٠٠ وفي روسيا واحد من ٣٥٠٠٠ وفي الولايات المتحدة الاميركية واحد من ١٥٠٠٠ وفي سكسونيا واحد من ٨٤٤٦ وفي بطرس برج ولندن واحد من ٢١٠٠٠ . والانتحار آخذ في الازدياد في اكثر البلدان الاوربية فمن سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٩٠ زاد ٧٢ في المئة في بلجكا و٤١١ في المئة في روسيا و٢٣٨ في المئة في سكسونيا و٧٢ في المئة في اسوج و٣٥ في المئة في الدنمارك

اكبر البواخر

صُنعت الباخرة الكبرى في بلاد الانكليز وأُنزلت الى البحر واسمها "السلتك" طولها ٧٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدماً وعمقها ٤٩ قدماً ومحمولها ٢٠٨٠٠ طن وفيها تسع طبقات للركاب والامتعة والوسق وهاك قياس اكبر البواخر

الاسم	الطول	العرض	المحمول
الشرقي العظيم	٦٩١	٨٢	١٨٩١٥ طنًا
باريس	٥٧٠	٦٣	١٠٥٠٠ "
كمبانيا	٦٢٠	٦٥	١٢٩٥٠ "
القيصر وليم	٦٤٨	٦٦	١٤٣٤٩ "
الاوشيانيك	٧٠٥	٦٨	١٧٢٧٤ "
الدتشلند	٦٨٦	٦٧	١٥٥٠٠ "
السلتك	٧٠٠	٧٥	٢٠٨٨٠ "

وتسع السلتك ٢٨٥٩ مسافرًا و٣٣٥ بحارًا

خمر فرنسا

بلغ ما صنع من الخمر في فرنسا في العام الماضي ١٧٢١٠٠٠٠٠٠ جالون

اطول سكك الحديد

يراد انشاء سكة حديدية من مدينة نيويورك في اميركا الشمالية الى بونس ايرس في طرف اميركا الجنوبية طولها ١٠٢٢٠ ميلاً وتبلغ نفقات انشائها مئتي مليون ريال اي اربعين مليوناً من الجنيهات

معرض بفلو

فتح المعرض الاميركي في مدينة بفلو وهو خاص باميركا وقد قامت بهِ مدينة واحدة لكن يظهر من صور مبانيهِ المختلفة انهُ من اكبر المعارض الخاصة ولا غرابة في ذلك لان حكومة اميركا وهبتهُ مئة الف جنيه وولاية نيويورك وهبتهُ ستين الف جنيه ووهبتهُ بقية الولايات هبات طائلة من خمسة عشر الف جنيه الى الفي جنيه وحالما قرَّ القرار على انشائهِ اكتتب لهُ بعض اغنياء اميركا بمئتي الف جنيه

محاربة داء الزهري

خطب الاستاذ فورنيه في باريس فاستدعى همَّة الاطباء ورجال الدين ورجال السياسة لينهضوا كلهم نهضة واحدةً ويقوا البلاد والعباد من آفة داء يفسد البنية و يصرم حبل الحياة . وطلب من كهنة الكاثوليك وقسوس البروتستانت وحاخامي اليهود ان يبذلوا اقصى جهدهم في التعليم والانذار والترغيب في الزواج الباكر والنهي عن قراءة الروايات وحضور اماكن التمثيل . ومن رجال الحكومة ان يمنعوا المصابين بهذا الداء من ان يعدوا غيرهم قائلاً اذا كان في بلد كلب كَلِبٌ وجب على رجال الحكومة ان يقتلوهُ او يمنعوهُ من عقر الناس فيجب عليهم ان يمنعوا كل مصاب ومصابة بهذا الداء من نقل العدوى الى الغير لا بالقتل بل بالحجز والمداواة وطلب منهم ايضاً ان يسهلوا السبل لتطبيب الفقراء مجاناً واعطائهم الدواء مجاناً ايضاً . قال ولا بدَّ من ان يكشف امر هذا الداء لتلامذة المدارس ويحذَّروا منهُ تمام التحذير

النطق واليد اليسرى

ظهر للاستاذ سمدلي الاميركي انهُ اذا منع الولد الاعسر من استعمال يدهِ اليسرى ايفت قوة النطق فيهِ فنما لا يحسنهُ كأَن بين استعمال اليدين وقوة النطق علاقةً ما فاذا مُنع الولد من الجري على مقتضى طبعهِ في استعمال يديهِ امتنع تكامُل قوة النطق فيهِ

مجاعة الهند

لم يزد عدد سكان الهند في السنوات العشر الاخيرة سوى ٢٨ مليوناً وكان يجب ان يزيدوا ٥٢ مليوناً فقلَّت زيادتهم ٢٤ مليوناً اربعة ملايين منها قلَّت في المواليد عمَّا ينتظر وعشرون مليوناً ماتوا بالجوع والوباء . اما الذين ماتوا منهم بالوباء (اي بالطاعون)

فنحو مليون نفس والباقون وهم ١٩ مليوناً ماتوا بالجوع او بالامراض الناشئة عنهُ

الغناء وقت التبنيج

رأى المسيو دروسنه طبيب الاسنان انهُ اذا بنَّج احداً ليقلع ضرسهُ وسمع هذا اثناء فعل البنج بهِ اصواتاً مزعجة اظهر الكدر الشديد. فجعل يُسمع المبنج اصواتاً موسيقية مطربة فرآه يطرب من ذلك ويقول حينما يفيق من فعل البنج انهُ كان في حلم مطرب جداً. وقد ظن انهُ يمكن استخدام الموسيقى وقت البنج في العمليات الجراحية فيكون منها فائدة كبيرة

نسبة الاطباء في اميركا

أُحصي عدد الاطباء في الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ يوجد فيها طبيب لكل ٦٥٥ نفساً من السكان وذلك نحو ثلاثة اضعاف ما يوجد في المانيا فان فيها طبيباً لكل ٢١١٤ نفساً من السكان

المسكرات والافيون

لما سُنَّت الشرائع لمنع المسكرات في الولايات المتحدة الاميركية كثر استعمال الافيون فيها فقد وجد الاستاذ غرنل انهُ يباع كل شهر فيها ٣٣ مليون جرعة من الافيون ونحوهِ ويراد بالجرعة قمحة من الافيون او ثمن قمحة من المورفين او عشرين نقطة من اللودنوم او نصف اوقية من صبغة الافيون

معرض غلاسكو

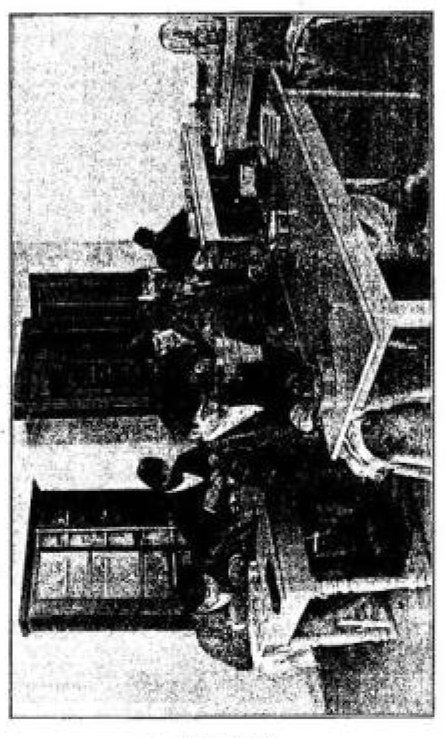
ان معرض بفلو الذي اشرنا اليهِ في مكان آخر خاص باميركا الشمالية والجنوبية لا يُسمح لاحد من اوربا واسيا وافريقية ان يعرض فيهِ شيئاً واما معرض غلاسكو الذي فتح ببلاد الانكليز فعام دُعي كل الناس من كل البلدان للعرض فيهِ

نفقات سكك الحديد

تبلغ نفقات الميل من سكك الحديد في المانيا ٢٠ الف جنيه وفي فرنسا ٢٥ الف جنيه وفي بلجكا ٢٨ الف جنيه واما في انكلترا فتبلغ ٥٠ الف جنيه لا لان نفقات السكة والمركبات تبلغ ضعفي ما تبلغهُ في فرنسا بل لان الشركات تنفق مليون جنيه فتصدر اسهماً بمليوني جنيه اي تنفق مليوناً وتأخذ مليوناً لنفسها ولهذا فاجرة النقل في السكك الانكليزية اغلى مما هي في كل مكان آخر. ويظهر لنا ان الشركات الانكليزية عازمة ان تفعل في مصر ما فعلتهُ في بلادها وهذا غبن فاحش لا يصح السكوت عنهُ

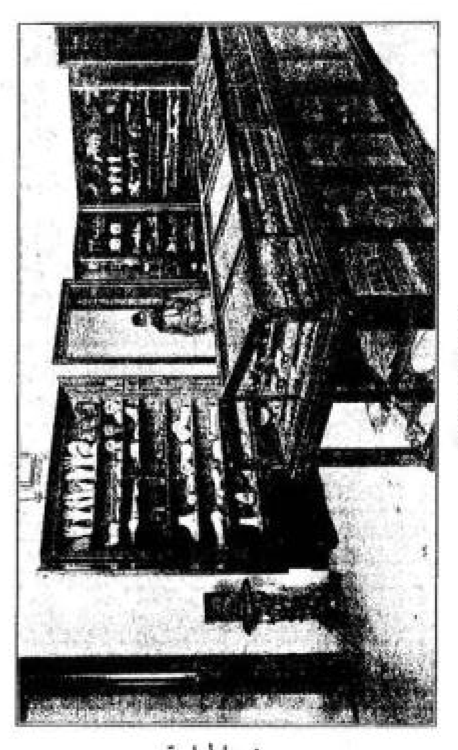
سكان لندن

كان عدد سكان لندن ٦٧٢ الف نفس سنة ١٦٢٣ فبلغوا الآن نحو خمسة ملايين من النفوس وكان سكان البلاد الانكليزية كلها نحو سبعة ملايين نفس وهم الآن اكثر من اربعين مليوناً



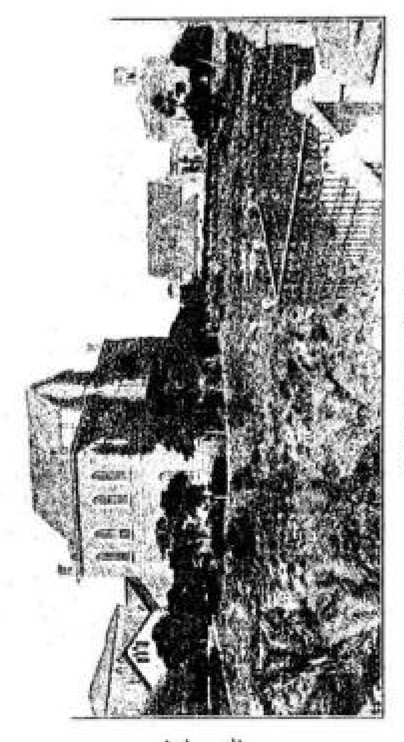
Zoölogical Laboratory.

معمل الزولوجيا



Surgical Museum.

معرض الجراحة

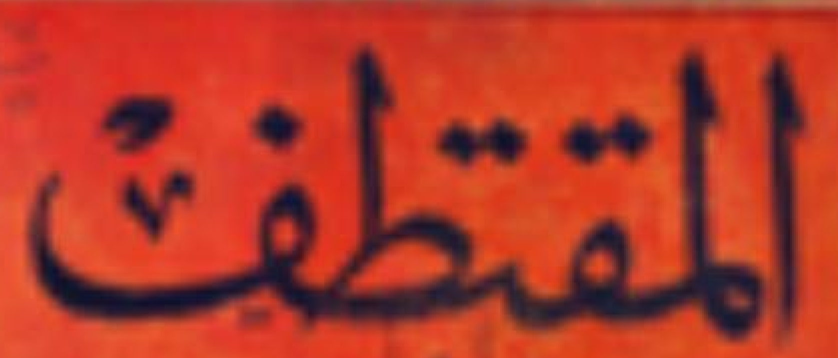


Medical Hall. Rear view.

القسم الطبي

القسم الطبي من المدرسة الكلية الاميركية (انظر الصفحة ٧٢٢)

فهرس الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين



December

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد السادس والعشرين

اغسطس ١ (آب) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣١٩

العلاج بالنور

اذا كتب المؤرخ السياسي اخبار الحروب التي نشبت في القرن الماضي فمهَّدت المسكونة للاوربيين والاميركيين وسلطتهم على الجانب الاكبر منها بعد ان اراقوا فيها انهاراً من الدماء فالمؤرخ العلمي يكتب اخبار المباحث الطبية التي قام بها علماء اوربا واميركا في ذلك القرن فكشفوا علل كثيرمن الادواء وطرق علاجها والوقاية منها لا بأنهار من الدماء اراقوها بل بتجارب قليلة في صغار الحيوان كالارانب والجرذان و بمراقبة افعال القوى الطبيعية والمواد الكيماوية فنجَّوا بها الالوف المؤلفة من ابناء جلدتهم ومن الذين تسلطوا عليهم من امم المشرق

ومن اغرب ما اكتشفوهُ في اواخر القرن الماضي فعل النور في شفاء بعض الامراض وقد اشرنا الى ذلك في الجزء الخامس من المجلد الثامن عشر من المقتطف حيث قلنا "انهُ اذا مُنعت اشعة النور الكيماوية عن المجدور لم يشتد الجدري عليهِ بل يسرع شفاؤُهُ منهُ . وتُمنع الاشعة الكيماوية اما بمنع النور مطلقاً او بادخالهِ من زجاج احمر او انسجة حمراء لان المواد الحمراء تمتص الاشعة الكيماوية . فان صحَّ ذلك ثبت ان ما يجريهِ العامة من منع النور عن المجدور مفيد ومبنيٌّ على الاختبار الذي هو المرشد الاول في الامور الطبية" . ثم كتب الدكتور شميل مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرت في الجزء الحادي عشر والثاني عشر من ذلك المجلد جاء فيها على تاريخ استعمال النور في علاج الجدري ناقلاً ذلك عن الاستاذ فينسن مستنبط هذه الطريقة

وقد اتخذ هذا البحث الآن صورة أُخرى عملية في علاج المرض الخبيث المعروف بالذئب الأكّال وفي علاج داء السل وايضاحاً لذلك نقول: ان الاستاذ فينسن وجد بالامتحان ان

اشعة النور الكيماوية تهيج اعضاء الحيوانات ولا سيما الحيوانات التي تعيش في الظلام وكان غيره قد بحث في هذا الموضوع ايضاً فدار البحث على فعل النور بالميكروبات وظهر كأن النور يميتها ويشفي من كل الامراض الجلدية التي سببها المكروبات واخبث هذه الامراض الذئب الاكال الا ان نور الشمس العادي لا تكفي شدته لشفاء الذئب لان هذا الداء يكون في الوجه وهو اكثر اجزاء البدن تعرضاً لنور الشمس ولذلك جعل فينسن يجمع النور بعدسيات ويزيل منهُ الاشعة الحمراء وما تحتها ويعالج بهِ الذئب وما اشبههُ من الامراض الجلدية . وكان النور الذي جمعهُ اقوى من نور الشمس العادي خمسة عشر ضعفاً . واستعمل النور الكهربائي ايضاً فكانت نتيجتهُ مثل نتيجة نور الشمس او اعظم منها

ثم دار البحث على مقدار ما يغور فيهِ فعل النور تحت الجلد فصُنعت انابيب دقيقة وضع فيها نيترات الفضة (حجر جهنم) ووضعت تحت جلود الحيوانات وعرضت للنور المجمع فظهر انهُ يخرق الجلد ويفعل بنيترات الفضة فيسود ولو كان عمق الانبوبة خمسة عشر سنتمتراً تحت الجلد

ووضعت ورقة من الورق الفوتوغرافي اي المعدّ لفعل النور بهِ وراء الاذن والقي النور على الاذن ليُعلَم ما اذا كان الدم الجاري فيها يمنع فعل النور بالورق الفوتوغرافي فلم تمضِ خمس دقائق حتى اسودَّ الورق . ثم اعيد الامتحان بعد ان ضغطت الاذن بين صفيحتين من الزجاج حتى خرج الدم منها فاسودَّ الورق الفوتوغرافي وراءها في عشرين ثانية فقط اي ان زوال الدم منها سهَّل اختراق النور لها وفعلهُ بالورق الفوتوغرافي

وصنع فينسن مصباحاً كبيراً لمعالجة الذئب الاكال بالنور فيهِ بلورة كبيرة عدسية الشكل مجوفة تملأ بذوب كبريتات النحاس النشادري وهو سائل ازرق اللون يمتص اشعة الحرارة من النور . ونصب هذه البلورة على قائمة تدور فيها وتتجه حسبما شاء الطبيب لكي يجمع النور بها على بؤرة في مكان الذئب . ويكون في يد الطبيب او الممرض صفيحتان من البلور في حلقة من المعدن فيضغط بها المكان الذي يريد ان يجمع اشعة النور عليهِ حتى يبعد الدم عنهُ ويقوي فعل النور بهِ . وبين صفيحتي البلور فراغ فيهِ ماء بارد يجري فيهِ ويتغيَّر دواماً لانهُ متصل بانبوب من الكاوتشوك لكي تبرد اشعة النور ولا تحرق الجلد . وتدوم العملية في كل جلسة ساعة من الزمان او اكثر قليلاً يدوى بها ما تساوي مساحتهُ مساحة قطعة بخمسة مليمات او اكثر من نصف الفرنك قليلاً

وصنع قنديل كهربائي كبير لمعالجة الذئب يساوي نورهُ نور ثلاثين الف شمعة او خمسة

وثلاثين الف شمعة . يخرج منهُ اربع انابيب كلٌّ منها مثل التلسكوب وكل انبوب قسمان الاعلى منها يجعل اشعة النور متوازية والثاني يجمعها في نقطة واحدة وفي القسم الاسفل ماءٌ ويحيط بهِ وعاء فيهِ ماء جارٍ لكي يبرد النور بروره فيهِ . ويوضع الضاغط على الجلد كما يوضع في المعالجة بنور الشمس حتى يعصر الدم منهُ ويجمع النور الكهربائي عليهِ . وليس في هذا الانبوب من محلول كبريتات النحاس لان الماء المقطر يغني عنهُ في النور الكهربائي لقلَّة اشعة الحرارة فيهِ . ويستعمل البلور في الضاغط لان الزجاج يصدُّ كثيرًا من الاشعة الكيماوية . وتدوم العملية ساعة واحدة في كل جلسة فيحمرُّ الجلد فيها قليلاً واذا كررت اثنتي عشرة مرة احمرَّ كثيرًا وقد تظهر فيهِ بثور . وتكرَّر العملية الى ان تزول آثار الذئب كلها

وفي كوبنهاغن مستشفى للعلاج بالنور عولج فيهِ حتى الآن خمس مئة نفس . وقد رأت ملكة الانكليز هذا المستشفى في العام الماضي فاهدت مستشفى لندن جهازًا كاملاً لهذه المعالجة من قنديل كهربائي وعدسيات وانابيب وما اشبه . واقبل المصابون بهذا الداء الخبيث على مدينة لندن من كل حدب وصوب ليعالجوا فيهِ . والمعالجة طويلة المدة كثيرة النفقات لغلاء الكهربائية اذ تبلغ نفقة القنديل الواحد في السنة اربع مئة جنيه وقد تبرَّع المستر الفرد هرمسورث بعشرة آلاف جنيه لانفاق ريعها على قنديل واحد ولا بد من ان يحذو غيره من اغنياء الانكليز حذوهُ . ومتوسط المدَّة اللازمة لشفاء الذئب الآكال ثلاثة اشهر اذا عولج المصاب يوميًا . وهذه المعالجة تفيد في امراض اخرى كالقرحة القارضة وداء الثعلب

وجاء في الجزء الاخير من جريدة اللانست الصادر في ١٣ يوليو ان النتائج العظيمة الناتجة من معالجة داء الذئب بالنور دعت الى اصلاح الجهاز الذي يجمع النور بهِ وقد كانت الانابيب التي يوضع الماء فيها لا تضبطهُ جيدًا فيرشح منها ويتعب الممرض او الممرضة والمصاب وكان يصعب نزع البلورات وتنظيفها اما الآن فصنع جهاز لا يرشح الماء منهُ ولا يصعب تنظيف بلوراته . ثم اتت جريدة اللانست على وصفهِ تفصيلاً واهم ما فيهِ انهُ رخيص الثمن وهو مصنوع في معمل بك Messrs. R. and J. Beck, Limt. of 68 Cornhill. E. C. London.

وصنع هذا المعمل جهازًا يستعمل بنور الشمس ثمنهُ نحو ٢٢ جنيهًا وثمن الضاغط نحو جنيه

ولا بدَّ للممرض او الممرضة من وضع زجاجات سوداء امام العينين لكي لا يبهرهما النور الساطع الذي تجمعهُ البلورات

والذئب الآكال على خبثهِ بين الامراض لا يعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب اخبث الامراض كلها واشدها فتكًا ألا وهو داء السل الذي يموت بهِ نحو خمس سكان اوربا . والميكروب

الذي يبتلي الناس بداء السل هو نفس الميكروب المسبّب للذئب الاكال فلا عجب اذا قام في النفوس ان النور الساطع يميت ميكروب السل و يشفي منهُ كما يميت ميكروب الذئب و يشفي منهُ ولا سيما بعد ان ثبت بالتجارب الكثيرة في ابدان الحيوانات ان فعل النور هذا يخرق الجلد الحي واللحم الذي تحتهُ الى عمق ست عقد اي نحو ١٥ سنتمترًا فلا يعجز عن قتل الميكروب في جسم الانسان مهما كان غائرًا فيهِ اذا كان مما يُقتل بهِ . وقد ثبت ذلك بالتجارب في الكلاب والخيل فكانت تبنّج و يشق جلدها وتوضع فيهِ انابيب فيها نيترات الفضة او ورق فوتوغرافي ويخاط الشق وتطلق هذه الحيوانات في الشمس او تجمع عليها اشعة نور الشمس وبعد نصف ساعة من الزمان تبنّج بالكلوروفورم ثانية وتنزع الانابيب من ابدانها فيُرى جليًا ان نور الشمس وصل اليها وفعل بملح الفضة الذي فيها فسوَّدهُ

واول من استعمل نور الشمس والنور الكهربائي في علاج السل الدكتور بلابر الاميركي فانهُ صنع مصباحًا كهربائيًا نورهُ مثل نور خمسين الف شمعة وعكس نورهُ بمرآة شلجمية كما يعكس النور الكهربائي في السفن الحربية حتى يقع عمودًا متوازيًا ساطعًا جدًّا على صدر الانسان فوق رئتهِ المصابة . ولا بدَّ من ان يمرَّ هذا النور قبل وصولهِ الى جسم الانسان في الواح من الزجاج البنفسجي تمتصُّ اشعة الحرارة ولا تبقي الاَّ الاشعة البنفسجيَّة لانها هي التي تقتل ميكروب السل على ما يقولهُ الدكتور بلبر وتقتل ايضًا ميكروب التتانوس الذي لا يموت في الماء الغالي . ولا بد من ان توقى عينا المريض والطبيب بزجاجات سوداء لكي لا تبهر بالنور الساطع

ويمكن استعمال نور الشمس في علاج السل كما يستعمل النور الكهربائي ولا بدَّ من نزع اشعة الحرارة منهُ قبل استعمالهِ والأَّ حرق المسلول قبلما يقتل ميكروب السل منهُ . ولعل فائدة الاقامة في الخلاء للمسلولين حاصل اكثرها من نور الشمس لا من غيرهِ

البابية في باريس

لحكمة لا يُعلم سببها ظهرت الاديان الشهيرة كلها من المشرق والثلاثة التي يدين بها نصف سكان المعمورة وارقاهم عمرانًا واوسعهم ثروةً واعظمهم سطوةً من بقعة صغيرة منهُ . ثم مضى اثنا عشر قرنًا ولم يظهر في المشرق دين جديد مع كثرة البدع التي نشأت فيهِ الى ان ظهرت

البابية في بلاد فارس وهي لا تقلُّ عن دين جديد ولو جاهر اتباعها بغير ذلك . وكان من امرها ما نشرناهُ من تاريخها منذ ست سنوات في المجلَّد العشرين من المقتطف . ولم يدرْ في خلدنا حينئذٍ ان يكون لها دعاة واتباع في البلدان الاوربية والاميركية حتى جعل السيَّاح الاميركيون يفدون على القطر المصري وهم يسألوننا عن الباب وتعاليمهِ واتباعهِ ويذهب بعضهم بعد ذلك الى عكاء يقابلون ابن بهاء الله نائبهِ ثم يروي لنا بعضهم الاعاجيب عنهُ من حيث معرفة الغيب والزهد في الدنيا . ورأينا سيدة اميركية من هؤلاء السياح في القاهرة ثم التقينا بها في اوربا بعد زيارتها لابن بهاء الله فوجدناها مقتنعة تمام الاقتناع بصدق دعوتهِ وزعمت انهُ اخبرها بتاريخ حياتها وسبب زيارتها لهُ وما تقصد ان تسألهُ من المسائل . وهي من الشهيرات في بلادها بالعلم والخطابة والتفاني في نشر المعارف والفضائل وقفت نفسها وما ورثتهُ من ابيها على ذلك . ونحن واثقون انها من اهل التخيُّل وانها فهمت من ابن بهاء الله ما هو راسخ في ذهنها لا ما سمعتهُ منهُ كانها نامت امامهُ نوماً مغنطيسياً بشيء من الاستهواء الذاتي وهو شأن بعض العصبيات المزاج لا سيما وانهُ يجهل الانكليزية وهي تجهل العربية وكان المترجم بينها ابنتهُ وهي تعرف النزر القليل من الانكليزية ولهُ مكاتبون في القاهرة يكاتبونهُ بما يعلمونهُ من امر السيَّاح الذين يقصدون زيارتهُ فاذا اخبر هؤلاء بالقليل مما علمهُ من امرهم اتسع هذا القليل في اذهانهم لشدَّة ما فيها من الاستعداد لهُ

وقد كنا نحسب ان هذه السيدة نادرة وان البابية لا يمكن ان تشيع في اميركا اكثر مما شاعت في سورية مثلاً حتى اطَّلعنا على بعض الجرائد الاميركية الصادرة في الشهر الماضي ورأينا فيها صور اناس من الذين نعرفهم كالدكتور ابرهيم خيرالله من ابناء المدرسة الكلية الاميركية ومس بارني الاميركية نزيلة باريس المشهورة بفن الالقاء فقرأنا الفصل الذي يتضمن هذه الصور واذا هو رسالة من باريس يقول كاتبها ان جماعة الباب من الاميركيين نزلاء باريس ذهبوا الى المستر برون سفير الولايات المتحدة في ايران وطلبوا منهُ ان يقنع جلالة الشاه بكف الاضطهاد والاذى عن البابيين في بلادهِ . ثم ذكر الكاتب ما سمعناهُ من مس بارني في الشتاء الماضي وهو انها باعت كل ما عندها من الحلى والجواهر وفرقت ثمنهُ على الفقراء زهداً في الدنيا وابتعاداً عن الزخارف الفانية وتشبُّهاً بقرة العين بت حاجي ملاَّ صالح اكبر علماء قزوين التي كانت اعجوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وقد اعتنقت مذهب الباب وصارت من اعظم انصارهِ وناظرت علماء كربلا فافحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها على ما ذكرهُ السيد ميرزا فضل الله الايراني في مقالتهِ الباب والبابية المشار اليها آنفاً

ويقدَّر عدد اتباع الباب في ايران الآن بمليون نفس وقدَّر الاستاذ دنيصن روص عددهم في اميركا بثلاثة آلاف نفس وكلهم من الاميركيين ابتدأ اتباعهم للبابية سنة ١٨٩٣ في معرض شيكاغو على يد الدكتور ابرهيم خيرالله فانهُ جعل يخطب حينئذٍ عن البابية فلم يمضِ وقت طويل حتى اتبعهُ مئة من الاميركيين ثم زاد عددهم رويداً رويداً . ويقدَّر ان منهم الآن الف نفس في مدينة شيكاغو وخمس مئة نفس في كنوشا واربع مئة في نيويورك والباقون متفرقون في باقي المدن الاميركية كوشنطون وبوستون وبروكلين وسان فرنسسكو ودنفر وغيرها من المدن الكبيرة

وقد بلغنا حديثاً ان سيدة اميركية الاصل من سكان باريس مشهورة بغناها ومبراتها اعتنقت البابية وكانت مترددةً في ذلك في الشتاء الماضي وان سيدة أُخرى من اغنى نساء اميركا اعتنقت هذا المذهب ولا بدَّ من ان تنفق الاموال الطائلة على تعزيزهِ في تلك البلاد كما هو شأن النساء الاميركيات

ومن غريب الاتفاق انهُ وصلتنا كراسة من اميركا ونحن نقرأُ مسودة هذه السطور نظرنا اليها فرأينا الصفحة الثانية منها ممضاة بامضاء بهاء الله والاولى بامضاء ابنة عباس وهما ترجمة كلام قالاهُ او اوصيا بهِ

النجوم الجديدة

من رأى في السماء نجوماً لا عديد لها يعجب من قولنا ان بينها نجوماً جديدة لم ترَ قبلاً لانهُ يحسب تمييز نجم جديد بين النجوم القديمة كتمييز حبة من الرمل في كثيب من الرمال لكن الامر على غير ذلك وعلماء الهيئة الذين يرصدون النجوم قلما تفوتهم فائتة من هذا القبيل

ذكر هبرخس واضع علم الهيئة في اسيا الصغرى الذي نشأ في القرن الثاني قبل الميلاد انهُ شاهد نجماً من هذه النجوم الجديدة وقال بلينيوس ان ظهور ذلك النجم حمل هبرخس على وضع زيج للثوابت تعرف بهِ مواقعها في السماء ونسبة بعضها الى بعض على ما رآهُ بعينهِ حتى اذا حدث اختلاف في عددها او مواقعها دلَّ هذا الزيج عليهِ فكان خير ما تركهُ الخلف للسلف من هذا القبيل . وكان ذلك سنة ١٢٥ قبل المسيح . ورأى الصينيون نجماً جديداً في صورة العقرب في سنة من تاريخهم تقابل سنة ١٣٤ قبل المسيح ولعلهُ النجم الذي رآهُ هبرخس على ما تقدَّم

وظهرت نجوم اخرى جديدة في ذات الكرسي سنة ٩٤٥ و ١٢٦٤ و١٥٧٢ والنجم الاخير منها ظهر بغتةً ورصده تيخو براهي الفلكي من نوفمبر سنة ١٥٧٢ الى مارس سنة ١٥٧٤ وفاق الشعرى والزهرة لمعاناً وظهر نهاراً وكان لون نوره ابيض فاصفر ثم احمر ثم عاد ابيض ولم يتغير موقعهُ بين النجوم

وتلاهُ نجم لامع ظهر في صورة الحوّاء سنة ١٦٠٤ وينسب الى كبلر العالم الفلكي لانهُ كتب رسالة عنهُ وبقي ظاهراً ثمانية عشر شهراً وفاق المشتري لمعاناً لكنهُ لم يظهر نهاراً مثل النجم الذي قبلهُ

واول نجم جديد شوهد بعدما صنع غاليليو التلسكوب ظهر سنة ١٦٧٠ في صورة الدجاجة وبقي سنتين ثم اختفى لكنهُ كان صغيراً من القدر الثالث . ومرَّت ١٧٨ سنة لم يذكر فيها نجم من النجوم الجديدة الى ان كانت سنة ١٨٤٨ فرأى المستر هِنْد الفلكي نجماً جديداً من القدر الخامس في الحواء وظهر نجم آخر سنة ١٨٦٠ لكن التلسكوب لم يفد كثيراً في رصد النجوم الجديدة الأ بعد ان اقترن بالسبكتروسكوب الذي تعرف بهِ مادة النجوم

واول نجم من النجوم الجديدة استعمل السبكتروسكوب في البحث عنهُ ظهر سنة ١٨٦٦ وآخرها النجم الذي ظهر في ٢٢ فبراير الماضي في صورة فرساوس كما ابنّا في جزء مارس هذه السنة . وقد اشتدَّ لمعانهُ في يومين حتى صار المع من الدبران والعيُّوق وبقي المع من العيوق الى الخامس والعشرين من الشهر وزاد لمعانهُ عشرة آلاف ضعف في اربع وعشرين ساعة ومئة الف ضعف في ثلاثة ايام . ثم ضعف لمعانهُ رويدًا رويدًا مدة ثلاثة اسابيع تخللها اوقات كان لمعانهُ يزيد فيها قليلاً ثم يعود الى حالهِ . وفي التاسع عشر من شهر مارس قلَّ اشراقهُ بغتةً فزال ثلاثة ارباع نورهِ في ليلة واحدة ثم زاد اشراقاً في اليومين التاليين وتكرَّر ذلك ثلاثاً في تسعة ايام ثم صارت هذه النوبات تنتابهُ مرةً كل خمسة ايام

وكان نورهُ في اول ظهورهِ ابيض الى الزرقة ثم مال الى البرتقالية واشتدَّت حمرتهُ في الثالث من شهر مارس ثم صار يختلف بين الحمرة والبرتقالية وكانت حمرتهُ تزيد كلما زاد نورهُ اشراقاً

وغنيٌّ عن البيان ان ظهور هذه النجوم الجديدة بغتة واختفاءها بعد ظهورها بأيام او شهور دعا العلماء الى البحث عن اصلها وسبب ظهورها واختفائها ولهم في ذلك اقوال لا محل لايرادها كلها بالاسهاب اشهرها ان نجمين مظلمين يصطدمان فيحترقان من شدة اصطدامهما و يتيران فيظهران كنجم جديد منير . و يردُّ عليهِ بان الابعاد بين النجوم شاسعة جدًّا بالنسبة الى اجرامها

حتى يبعد عن الاحتمال انها تصطدم بعضها ببعض . وهب انها التقت واصطدمت واشتعلت فيبعد عن العقل ان نورها يزول في ايام او شهور قليلة بعد احتراقها

ومن هذه الآراء ان نجمين مظلمين يدنو احدهما من الآخر في سيرهما فيزيد تجاذبهما ويمرّ احدهما بجانب الآخر مسرعاً فتضطرب المواد الغازية او السائلة التي في احدهما او فيهما كليهما فتحمى وتنير وهذا القول يؤيدهُ ما يرى من الخطوط في السبكتروسكوب ولكنهُ يقتضي ان يكون احد النجمين مقترباً منا بسرعة فائقة جداً تبلغ الف ميل في الثانية من الزمان وهذا بعيد الاحتمال ويقتضي ان يبقى احدهما مبتعداً عن الآخر على معدَّل واحد من السرعة مدة ظهور النجم الجديد وهذا بعيد عن الاحتمال ايضاً

ومنها ان نجماً مظلماً يمرُّ في سيرهِ بمجموع كبير من النيازك فتنقضُّ عليهِ وتلتهب حينما تدنو منهُ وتصير غازاً منيراً فتنير جوَّهُ ويظهر بها منيراً من سطح الارض

والرأي المعوَّل عليهِ لانهُ يسلم من الاعتراضات التي وردت على غيرهِ وينطبق على كل ما ظهر بالحل الطيفي حتى الآن هو ان ظهور النجوم الجديدة حادث من ثوران عظيم فيها يدفع الغازات منها الى ابعاد شاسعة كما تندفع الغازات المشتعلة احياناً من الشمس او كما تندفع الغازات والحمم من براكين الارض لكن بقوة اعظم ومقدار اكبر . ومعلوم ان الثوران على سطح الشمس يدفع الغازات المشتعلة منها بسرعة ٣٠٠ ميل في الثانية فلا عجب اذ حدث في بعض النجوم ثوران اعظم منهُ دفع الغازات منها بسرعة ٥٠٠ ميل الى ١٠٠٠ ميل في الثانية . واندفاع الغازات بهذه السرعة يصحبهُ تولُّد كهربائية وحرارة ونور ساطع فيظهر النجم منيراً بعد ان كان مظلماً لا يرى ويتوالى الثوران اياماً او شهوراً كما يحدث في براكين الارض فيزيد وينقص الى ان يخمد ويبقى لهُ اثر ظاهر. وهذا التعليل يربط النجوم بالارض والشمس والسيارات ويجعلها كلها من قبيل واحد ويدلُّ على انها خاضعة كلها لنوع واحد من القوى والنواميس

اما لماذا يحدث هذا الثوران في النجم وما هو السبب المباشر لهُ هل هو اقتراب نجم آخر منهُ او سقوط النيازك عليهِ او مرورهُ في سديم من الحجارة النيزكية او من المواد الغازية او هو دور من الادوار الطبيعية التي يمرُّ عليها في تكونهِ كما مرَّت الارض في ادوارها الجيولوجية فذلك مما يتعذَّر الحكم بهِ الآن ولا يعلم هل يكشف العلم النقاب عنهُ في مستقبل الزمان .

ومن رأي المستر لوجر الفلكي ان مرور النجم في سديم من المواد الغازية هو اقرب الاسباب لاحداث الثوران فيهِ والله اعلم

احوال السودان

المباني في الخرطوم والمديريات

عُيّنت المبالغ التالية للبناء وهي

١٤٠٠٠ ج . م من ميزانية الحربية
٢٠٠٠٠ « « « الميزانية الملكية
١٥٠٠٠ « « « المال الممنوح للتكنات
١٣٠٠٠ « « « مال مدرسة غوردون
٨٠٠٠ « « « الجوامع

هذا عدا المال المخصص لبناء الثكنات للجنود البريطانية والغرض في سنة ١٩٠١ ان يشرع في اتمام الثكنات للجنود والمساكن للضباط وانشاء مكان يكفي المرضى ومخازن للمهمات وجلب الماء الى الثكنات الجديدة في الخرطوم والاهتمام بمشروع لتوزيعهِ في كل المدينة

ولا بدّ من الاهتمام باصلاح المشروع الصحي وتوسيع نطاقهِ سنة ١٩٠١

والمباني اللازمة للادارة الملكية اخصها مباني المديريات ومكاتب البوليس ومساكن للموظفين والمستخدمين . وقد استخدمنا اربعة مهندسين ملكيين لادارة هذه الاعمال في دنقله وكسلا وبربر وود مدني

الغابات

من اهم ما لدينا من المسائل في السودان تقديم الوقود للبواخر والورش وشي الطوب والخشب للبناء

اما الوقود فثمن الفحم الحجري واصلاً الى محطة سكة الحديد في حلفا غالٍ جدًّا يمنع استعمالهُ ولذلك استُعمل الحطب بدلاً منهُ . ويحرق من الحطب مقادير فاحشة

وقد خلت البلاد من الاشجار حتى الدويم على البحر الابيض مسافة ١٠٠ ميل وحتى الكاملين على البحر الازرق مسافة ٧٥ ميلاً اذ قطعت اشجارها حطباً . ويوجد الحطب على مقربة من شلال شبلوكة ولكنهُ قليل

ولا بدَّ من ابطال قطع الاشجار من مديرية الخرطوم مخافة ان يقل بقطعها وقوع الامطار اما في اعالي البحر الابيض والازرق فقد تستفيد البلاد بقطع الاشجار منها ولكن الضباط والموظفين قليلو الخبرة جدًّا في المسائل المتعلقة بحفظ الغابات والحراج ولذلك دعت الضرورة الى استخدام

رجل خبير في هذا الامر فسمحت لنا حكومة الهند بالمستر موربال من مصلحة الغابات في بُرما وهو الآن يطوف في مديريات البحر الازرق والابيض ثم يزور كردفان

وقد طُلب منهُ ان يبين ما يرتئيهِ في مسأَلة الوقود وفي مسأَلة جلب الخشب للبناء من حراج الجنوب الكبيرة الذي يمكن ان يؤتى بهِ في النهر ارماثاً الى الخرطوم. وخشب البناء غالٍ جدًّا وقليل وكل ما استعمل منهُ في الخرطوم حتى الآن أُتي بهِ من موانئ البحر الاسود

وواضح من ذلك ان لهذه المسأَلة شأْناً جوهريًّا في احوال السودان في الحاضر والمستقبل

ويحتمل ان يقوم زيت البترول مقام الحطب . ولكن جُرّبت بعض التجارب فيهِ فلم تنجح حسب المنتظر لاسباب مختلفة . وقد يتعذَّر استعمالهُ لغلاء اجرة نقلهِ

الضرائب

اشار اللورد كرومر في تقريرهِ عن سنة ١٨٩٩ الى نظام الضرائب الذي ظهر بعد امعان النظر انهُ اصلح من غيرهِ لبلاد السودان وزاد على ذلك ان هذا الاسلوب لايزال في دور الامتحان فالاعتماد عليهِ يتوقف على ما يظهر من امتحانهِ

ويمكنني ان اقول الآن بعد امتحان سنة من الزمان ان هذا الاسلوب كان مرضيًّا بوجه الاجمال مع ان تقارير المديرين تشير الى وجوب بعض التحوير في اماكن مختلفة . ويراد اجراء التحوير الذي تنتظر منهُ النتائج المطلوبة من حيث ازدياد الايراد وجعل حمل الضرائب على الاهالي على اقلهِ

ولم ينفَّذ الامر الخاص بضرائب الاطيان على اكملهِ الاَّ في مديرية دنقلة ونفّذ في مديرية بربر في مركز الرباطاب ومركز بربر فقط . واما باقي المديريات فاماً لم تؤخذ منها ضرائب الاطيان والحاصلات او أُخذ منها العشر

واذا نظرنا في كل مديرية على حدتها بانت لنا كيفية عمل الاوامر المتعلقة بالضرائب فيها

فقد قرَّر مدير دنقلة ان نيل سنة ١٨٩٩ كان اوطأَ ما رآهُ السكان في حياتهم ونتج عن وطوئهِ نقص كبير في موسم الشعير ومحل موسم القمح وتُركت مئات كثيرة من الفدادين من غير زرع لقلة الماء وهي مما يزرع عادةً ولذلك لم يؤخذ المال الاَّ عن الارض التي زُرِعت . ورُبط مال آخر من الدرجة الثالثة على اطيان الجزائر وهو اربعون غرشاً للفدان . وقد وفر مال الاطيان الذي جُمع من مديرية دنقلة رغماً عن كل المصاعب فزاد على النفقات ٤٣٠٠ ج . م وهذا شيء مرضٍ

وبلغت اموال الاطيان اكثر من ١٧٠٠٠ ج . م وكان يمكن ان تزيد ٨٠٠٠ ج . م لو أُخذت الاموال عن كل الاطيان التي رُبط عليها المال

وكان مال النخيل ٧٠٠٠ ج . م على ٤٦٨٧٢٥ نخلة سنة ١٨٩٩ فبلغ ٩٣٠٠ ج . م على ٤٦٩١٢٣ نخلة سنة ١٩٠٠

وبلغ المال المجموع من جهات حلفا ٣٤٠٠ ج . م اكثره من مال الاطيان والنخيل . ودفع الناس ما يطلب منهم عن طيب نفس ولم يشكُ الاَّ قليلون وظهر لدى البحث ان شكواهم كانت في محلها غالباً

اما في مديرية بربر فلم يبلغ الايراد ما قُدِّر لهُ وذلك لانخفاض النيل الانخفاض الذي لم يعهد لهُ مثيل وضرورة رفع جانب من ضرائب الاطيان واموال النخيل

وقد اشار مدير بربر الى ان الحاجة ماسَّة الى زيادة المواشي في مديريتهِ فان كثيراً من السواقي واقف لقلة المواشي . ولدينا مشروع لبيع بعض الاطيان وابتياع المواشي بثمنها واعطائها للاهالي ولكن لا يمكن العمل بهِ الآن ما دام طاعون المواشي في السودان

وربطت الضرائب على مراكز الرباطاب وبربر فقط ثم رفع نصف مال النخيل في الرباطاب لان المحصول كان قليلاً جداً فقلَّ الايراد بسبب ذلك ٩٠٠ ج . م

وسيسهل تنفيذ قانون اموال الاطيان والنخيل بكليتهِ في المديرية كلها في العام المقبل لغزارة الامطار وجودة الحاصلات ولا ينتظر ان يثقل ذلك على عاتق الاهلين

وفي هذه المديرية اكثر من ٥٠٠٠٠ فدان متروكة من غير زرع . وفي النية عرض مقدار كبير منها للبيع في العام المقبل وهي تجود بقليل من النفقة

وقلَّ الايراد كثيراً في سواكن فبلغ عجزهُ ٥٧٠٠ ج . م عما كان سنة ١٨٩٩ لبوار التجارة وقلة رسوم الجمارك المترتبة على ذلك لكنَّ المصروفات قلَّت ايضاً اكثر من ٥٠٠٠ ج . م

وجاء الجراد فاتلف زراعة ٥٠٠٠ فدان او اكثر من الذرة والدخن في مركز طوكر فدعت الحال الى رفع الضرائب عنها

وستدعو الحال الى تقليل رسم التجارة او الغائهِ مناظرةً للتجارة بين مصوع وكسلا وبين كسلا وبربر ويبقى رسم الطرق يدفع الى مشايخ بربر وكسلا على السواء لتأمين التجارة في نقلها وحفظ الطرق والآبار

وظهر في ايرادات مديرية كسلا عجز اكثر من ٤٠٠٠ ج . م وذلك لمحل الموسم الشتوي سنة ١٨٩٩ على ما قررهُ مديرها حتى تعذَّر جمع شيء من العشور في بعض الاماكن واكتفي

يجمع نصفها في اماكن اخرى . وما جمع ووزّع اكثره على الجياع في يونيو ويوليو . فقلّ الايراد بسبب ذلك من وجهين

فاذا غضّ الطرف عن ايراد العشور لانهُ كان طفيفاً جدًّا بقي ان اكثر الايراد من رسوم الصمغ وريش النعام والعاج وعوائد الجمارك ورسوم الاسواق والمسالخ ورخص الاشربة والايجارات

اما الرسوم الجليلة فبلغ رسم الصمغ منها ٩٨٦ ج . م

وبلغت عوائد البضائع الواردة من المستعمرة الايطالية ٢٥٨ ج.م ومن الحبشة ٢٠٦ جنيهات

وينتظر ان يزيد الايراد سنة ١٩٠١ بسبب غزارة الامطار وقد هبط ثمن الذرة الآن فبلغ ثمن الاردب في القضارف ٥ اغرشاً فقط ولكن منيت الزراعة بالعصافير في مركز كسلا فاكلت نصف الغلة

ولم يكن في الامكان جمع شيء من الضرائب في مركز نشودا لاشتداد القيظ في العام السابق ومحل الحصول . وبقيت الحاجة الى الحبوب شديدة في البلاد كلها فدعت الحال الى ارسال كمية من الذرة من الخرطوم مساعدةً للاهالي

وقد اشار المأمور الذي هناك في تقريرهِ الى ان الامطار الغزيرة التي هطلت في الصيف الماضي جادت بها المواسم فزادت القطعان وظهر الرضى والسرور على وجوه الاهلين فقد يحسن ان تربط عليهم ضريبة خفيفة في العام المقبل ولكني سانتظر تفصيلات اخرى قبل الاقرار على ذلك

ووردت اخبار حديثاً من مركز بحر الغزال تشير الى القحط في تلك المديرية وسترد الاخبار الموثوق بها عن حقيقة الاحوال هناك من الحملة التي تحت قيادة الكولونل سباركس . ومن الواضح الجلي انهُ لا ينتظر ارسال الاسعاف من هذه المديرية الى المراكز الاستوائية لان ليس فيها على ما يظهر ما يقوم بحاجات اهلها اذا صحّ ما قيل عن وجود الفاقة في لادو التي تحيط بها ولاية الكنغو الحرّة ولا يبقى سبيل لاغاثتها الاّ ارسال البواخر من الخرطوم بالحبوب وغيرها من المؤن . وقد أُرسلت كمية كبيرة من الذرة جنوباً اجابة لطلب جلالة ملك بلجيكا . وسيُبذل كل جهد لاجابة رجال حكومة البلجيك هناك الى كل ما يطلبونهُ من هذا القبيل

وقد احتُلت الابيض منذ اكثر من سنة قليلاً فلم تكد تنتظم ادارتها وأُرسل الطوافة الى اطراف البلاد واخذ سكانها الاولون يعودون اليها افواجاً . وكانت المدينة القديمة قد خربت وهُجرت فصار فيها الآن بين خمسة آلاف وستة آلاف نفس وقد تعذَّر طبعاً اخذ الضرائب من هناك من اي نوع كان ولكن أُخذ قليل من رسوم الصمغ والعاج وريش النعام غير ان القسم الاكبر من هذه الرسوم يؤخذ في الخرطوم فيكون ايراد مديرية كردفان من هذا القبيل طفيفاً جدًّا

وقد ارتأى السر رودلف سلاتين باشا الذي يطوف الآن للتفتيش في تلك البلاد رأياً مفيدًا

من حيث وضع جزية خفيفة على القبائل الرحل و يرجح انهُ يُعمل برأيه . ثم ان غزارة الامطار صيفاً وزيادة السكان وما يحتمل حدوثهُ من كثرة اصدار الصمغ كل ذلك يدل على ان كردفان ستكون من المديريات الكثيرة الايراد ولكن يبقى ارتقاؤها بطيئاً اذا لم تصلح طرق النقل منها الى النيل

وقد ابقيت الكلام على اموال المديرتين الكبيرتين الخرطوم وسنار الى الآخر لان قلة النقود دعت الى جمع الايراد منهما صنفاً ولان في ما يلي مجالاً للنظر في هذا النوع من الضرائب

فيظهر من حسابات سنار ان الايرادات زادت على المصروفات فبلغت الزيادة ٦٠٠٠ ج.م وهذا تقدم بين على ما كان في العام السابق

وبلغ عشر الذرة ٧٠٠٠ ج . م على فرض ثمن الاردب ٤٠ غرشاً وعشر السمسم ١٢٠٠ ج.م وبقية الايرادات من الرسوم الجليلة وعوائد القوارب والمعادي والاسلحة والمصايد والاسواق

وزادت ايرادات مديرية الخرطوم على مصروفاتها ٤٠٠٠ ج . م وبلغ ثمن الذرة المأخوذة عشراً ٩١٥٣ ج . م . ورسوم الصمغ كثيرة وهي ٧٦٦٩ ج.م ولكن هذا الصمغ ليس كلهُ من مديرية الخرطوم بل اكثرهُ وارد من مديرية كردفان وقليل منهُ من سنار . وبلغ ثمن الذرة المأخوذة عشراً من كردفان وسنار معاً ١٦٤٥٣ ج . م ورسوم الصمغ ٧٨٠٠ ج . م

فاكثر الايراد في هاتين المديرتين من عشور الذرة لانها اهم ما يزرع فيها ولذلك فارتقاؤها يقوم اكثرهُ بتسهيل سبل الري فيهما . وعلى النهر بعض السواقي ولكن اكثر المزروعات يسقى بماء المطر . وقد ركبتُ حديثاً وقطعت الجزيرة من ود مدني على البحر الازرق الى الدويم قبالتها على البحر الابيض مسافة ثمانين ميلاً فوجدت الارض سهلاً منبسطاً مزروعاً كلهُ ذرة . ولا تزرع الارض الآن الأ زرعة واحدة تقيم فيها من ستين يوماً الى ثمانين فاذا تيسر ادخال اسلوب متقن للري فيها صارت غلاتها تكفي بلاد السودان و يرسل منها الى غيره من البلدان

ولكن اذا لم تصلح وسائل النقل بقيت هذه البلدان الخصيبة قليلة الفائدة من حيث ايراد الحكومة . فقد بلغت الذرة المجموعة عشراً من مركز عبود في الجزيرة ٥٠٩٤ اردباً فاخذ الجمالة ١٩٦٠ اردباً منها اجرة نقلها الى الدويم . ومعلوم انهُ اذا انشئت سكة حديد ضيقة هناك وفت بالمراد ولكن يُرتاب في ربحها قبلما تُصلح اساليب الري فتزيد المواسم السنوية

ولا يمكن الاعتماد على البواخر الموجودة عندنا الآن لنقل الحبوب في البحر الازرق فاذا وجدت بواخر تسير في الماء القليل الغور زالت هذه الصعوبة ولكن قلة المال تمنع ابتياعها

وما تقدم يُطلق ايضاً على نقل الصمغ من داخلية كردفان الى البحر الابيض . فسكة حديد ضيقة تفيد جداً ولاسيما اذا صحَّ ما يبلغنا من ان الصمغ كثير في حراج كردفان لا يمكن استنزافهُ منها

ملكية الارض

ان الاسلوب الذي ذُكر في التقرير السابق لملكية ارض الزراعة وارض المراعي جاء وافياً بالمراد بنوع عام

وقد تمت اعمال لجنة الاراضي في مدينة الخرطوم منذ ٣١ يناير سنة ١٩٠٠ ولكن مجلسها بقي يجتمع ثلاث مرات كل اسبوع الى آخر مايو لفض بعض المشاكل . ولا يزال يضطر الى الاجتماع من وقت الى آخر للنظر في ما يرفع اليهِ من العرائض . وقد اعطي الاراضي للذين ادَّعوها ما عدا . ٢٥ ادَّعوا ولم يحضروا لاستلام ما ادَّعوا بهِ مع انهم دُعوا لذلك مراراً. وعندي ان الكولونل دراج رئيس هذا المجلس جدير بكل مدح على ما تمَّ من النجاح في هذا العمل الشاق

وقامت اللجنة الى كردفان في ابريل الماضي لتسجيل ملكية الاراضي فيها برئاسة ضابط انكليزي . وقد حكمت حتى الآن في ٤٤٠ قضية والمرجح انهُ لا يتم عملها قبل سنة او سنتين لان كثيراً من الحجج التي تقدَّم اليها لاثبات الملكية كتب منذ ثمانين او تسعين سنة ومن ثم تظهر صعوبة هذا العمل

و يشكو البعض في الحلفاية وجوار الخرطوم من ان الحكومة اخذت بعض الاراضي لتوسيع المدينة او لبناء الثكنات ونحوها وقد عُرض على بعض هؤلاء ثمن لم يغبنوا فيهِ وعُرض على البعض الآخر اراض ثمينة في اماكن اخرى لكنهم ابوا ان يأخذوا العوض ثمناً او ارضاً لعلمهم ان اراضيهم سيغلو ثمنها كثيراً في المدينتين

وفصلت لجنة الاراضي في بربر في ٣٥٩ قضية ولقيت مشقة شديدة في جعل الاهلين يرضون بحكمها . وقد كتب المدير انهُ كان يحضر بنفسهِ جلسات اللجنة وهو مقتنع بان دعاوي الناس حُكم فيها بالانصاف بعد التروي . واشار الى الصعوبة في وجود المساحين الذين يُعتمد عليهم لتتميم تسجيل الاراضي . وهذه الشكوى عامة في كل الاراضي التي يراد مسحها لربط الضرائب عليها حتى في مصر لا يوجد من المساحين الاكفاء من يفي بالحاجة

واتمت لجنة كسلا عملها في تلك المدينة وستنتقل الى القضارف . وفصلت في كسلا في ٥٥ دعوى بملكية البيوت والسواقي والبساتين . وآل كثير من اراضي البساتين واراضي البناء الى الحكومة لانهُ لم يتقدَّم احد للادعاء بها وهي تمسح الآن ثم ينظر في تأجيرها او بيعها

والدعاوى بالملكية في القضارف مثل الدعاوى في كسلا ولكن تملك الاراضي الزراعية هناك

وفي اكثر البلدان التي تسقى بماء المطر ليس حقيقياً بل الارض مشاع للقبيلة

وقد قرَّر مأمور حلفا ان كل اراضيها سُجلت باسماء اصحابها ويقع بينهم اختلاف احياناً ولكنهُ ليس هاماً

وقد سُجل قليل جداً من اسماء ملاَّك البيوت والاراضي في سواكن ولعلَّ سبب ذلك ان الطريقة المصرية بقيت مستعملة في هذه المدينة الى عهد قريب ولم يجبر الاهالي على العمل بها

وعُينت لجنة لسنار ولكنها لم تشرع في عملها حتى الآن وقد قُدمت لها طالبات من كثيرين يدَّعون الامتلاك فيها

التجارة

ان في طريق التجارة في السودان عقبات كثيرة اخصها صعوبة النقل الى الاماكن البعيدة وقصور الري عن حاجة البلاد وقلة العمَّال وتقاعد التجار عمَّا يحسبونهُ مخاطرةً باموالهم

وكانت تجارة السودان القديمة قاصرة على جلب المنسوجات من منشستر واصدار الصمغ والريش والعاج والصمغ الهندي . وقد جرت التجارة الحديثة هذا المجرى ولكن وصول سكة الحديد الى الخرطوم افاد التجار فائدة حُرم منها اسلافهم

ومسألة الري من اهم المسائل للسودان ولمصر ايضاً . وكل مشروع يحرم مصر من جانب من مائها يُمنع العمل بهِ الآن الى ان تتم خزانات النيل و يصير الماء الكافي لمصر بمأمن من كل نقص . وهذا لا يستلزم منع الري في السودان بل ان السر وليم جارستن المطالب باجراء الماء الكافي للقطر المصري لا يعترض على اقامة السواقي والطلمبات واستخدام اساليب الري الاخرى حسبما تقتضيهِ حالة السودان الحاضرة

ويمكن الاعتماد على ري الحياض في اراضي البحر الازرق من غير ان يقل ماء مصر قلة مضرَّة . ويُرجى ان تستخدم حكومة السودان مهندساً ماهراً في الهندسة المائية ليشير عليها باحسن الطرق التي يمكن الجري عليها من هذا القبيل ثم تعمل بما يشير بهِ

ولا يبرح من الاذهان ان سكان السودان قلَّ عددهم كثيراً مدة حكم الدراويش فلا يوجد فيهِ عمَّال لاتمام الاعمال العمومية الكبيرة التي من هذا النوع ولا عمال لزرع الارض التي تستفيد من اعمال الري ولذلك لا بدَّ من السير في الاعمال تدريجاً وترك كل عمل يقتضي نفقات كثيرة لا تحتملها البلاد

ويظهر من تقارير المديرين ان عندهم ابواباً واسعة للتجارة بغير الحبوب . والتاجر الذي يسبق غيرهُ الى تلك البلاد يجد امامهُ الحاجة الى مطاحن الهواء والطلمبات البخارية

ومعديات النيل والكباري الصغيرة والمباني من كل الانواع واستعمال الغابات وانماء تجارة الصمغ ونحو ذلك مما يلوح امام الخاطر . ولا بدَّ من منع كل ازدحام في الاقبال على بلاد لم تشف حتى الآن مما حلَّ بها من سوء الادارة مدة السنين التي ساد فيها فساد الاحكام . لكن البلاد قد اخذت تنتعش بسرعة فائقة واراني مقصرًا في ما يجب عليَّ كنائب عن بريطانيا العظمى والقطر المصري اذا لم اقل علانية ان الابواب مفتوحة في السودان للتجارة والصناعة من كل نوع و بعضها مما ينتظر منهُ ربح وافر

وقد أُشير سابقًا الى ان سكك الحديد الضيقة تفيد البلاد فاذا انشئ خط بين الابيض والدويم على البحر الابيض كان منهُ نفع كبير من وجوه كثيرة وربح وافر من نقل الصمغ. وينقل الصمغ الآن على الجمال الى النيل ويؤتى به بالبواخر والقوارب الى ام درمان او الحلفاية ثم يرسل بسكة الحديد الى حلفا . وقد خفضت اجرة النقل من السودان في سكة الحديد ويراد تخفيضها ايضًا ان امكن . وكل المهمات ومواد البناء ونحوها تنقل الى الابيض على جمال الحكومة ونفقات هذه الجمال كثيرة فاذا انشئت سكة الحديد لم يعد للحكومة حاجة الى هذه الجمال ولكن لابدَّ من ان تضمن الحكومة ربحًا ما لكل شركة تنشئ هذه السكة وتتولى ادارتها

وكذلك يسهل مد سكة اخرى في بلاد الجزيرة تجاه الدويم الى ود مدني على البحر الازرق تمتدُّ على طول البلاد التي تزرع فيها الحبوب في معتوق وعبود ومناجل ولكن لابدَّ من اصلاح الري قبل ذلك والاَّ خيف من ان هذه السكة لا تربح

ويمكن ان تمدَّ سكة اخرى توصل بلاد القضارف الخصيبة بالبحر الازرق في ابي حراز ولكن السكان قلائل في تلك البلاد وهذا لا بدَّ من اعتبارهِ عند تقدير ربحها

ولا يبعد ان تتسع التجارة مع بلاد الحبش من عند فمكا والرصيرص و بطريق القلابات والقضارف ولذلك يجب الاهتمام باصلاح سبيل الاتصال مع حدود الحبشة في البر وفي النهر

وكسلا ابعد مديريات السودان عن مراكز التجارة الكبيرة الآن ولها ثلاثة طرق طريق ابربر وطريق سواكن وطريق مصوَّع اولها اكثرها استطراقًا بقوافل الجمال ومن الطريقين الآخرين طريق مصوع اقلها نفقة لنقل البضائع ولا سيما لسهولة الاتصال بين مصوع وبقية الموانئ البحرية . وقد بلغني ان في النية مد طريق مصوع الى جهة كسلا

وقد تم الاتفاق مع الحبشة على اقتسام عوائد الجمرك التي تؤخذ عند القضارف مناصفةً اشير في مكان آخر الى حالة التجارة بين نقط النيل في اوغندا وبين النقطة البلجية في الرجاف لكن قلة البواخر تمنع الآن توسيع التجارة ولا يصلح بالحكومة ان تتولى التجارة هناك بنفسها

دواماً بل هي تفضل ان يتولاَّها غيرها لان ذلك اصلح لهُ ولها . والعقبة الوحيدة في سبيل التجارة هناك الآن قلة الحطب وغلاء الفحم الواصل الى الخرطوم . ثم ان حالة سكة الحديد الحاضرة وقلة العربات فيها امران يجب ان لا يغفلا اذا اريد الشروع في عمل من مقتضاهُ جلب مواد كثيرة بسكة الحديد

ولم يمد التلغراف بعد القضارف (وهي على ٢٣٠ ميلاً من الخرطوم جنوباً) ولكن قد يمكن استعمال تلغراف مركوني في محطات ثابتة وعلى بواخر البحر الابيض

صحة الجنود

اقتبستُ ما يلي من التقرير السنوي للماجور بنتون حكيمباشي الجيش المصري عن صحة الجنود " قال كثر المرضى هذه السنة بين الجنود التي في السودان لان الحمَّى الملاريه انتشرت كثيراً . فقد كثر المطر في كل بلاد السودان وفي جملة ذلك كردفان وجهات البحر الابيض والبحر الازرق وكسلا فزادت الامراض مدة المطر وبعدهُ حتى بلغت اكثرها في شهر سبتمبر ثم اخذت تتناقص بالتدريج وكان اكثر الامراض الحمى الملاريه المتفترة والمتقطعة ويتلوها الجدري والدوسنطاريا والرمد والدود (ولا سيما دودة غينيا) وفقر الدم والخنازيري . وخيف من انتشار الجدري . وحدثت حادثة واحدة من التيفويد في ام درمان وحادثتان في الخرطوم وحدث في الربيع ثلاث حوادث من التهاب اغشية الدماغ

وهذا المرض العضال انتشر في ام درمان والخرطوم في شهور الشتاء منذ احتلال السودان لكنهُ زال منها الآن تماماً ولم تحدث حادثة منهُ في الشتاء الماضي وتدلُّ الادلة على انهُ لم يعد ينتشر بعد اجراء التدابير الصحية

الخاتمة

يظهر مما كتبهُ المديرون والمأمورون عن احوال البلاد التي هم فيها ان النجاح مستمر والجرائم قليلة والثقة بالحكومة تزداد يوماً فيوماً . لكن الشكوى عامة من قلة المال والحاجة شديدة الى اصلاح الري والمواصلات وبغير ذلك لا ترتقي البلاد مالياً

وقد نجحت ادارات الحكومة المركزية وجُعل الكولونل جكسن نائباً للحاكم العام سكرتيراً للحكومة الملكية ومعهُ رجال اكفاء لمساعدتهِ . وفي السودان سكرتير مالي وسكرتير قضائي وسكرتير للمعارف وكلٌّ منهم ناجح في ادارة الفرع المختص بهِ نجاحاً بيناً

وكان الفرق غير واضح بين اختصاصات الضباط والموظفين الحربية والملكية وذلك مما لا بدَّ منهُ في الادوار الاولى من تنظيم البلاد . ثم اخذ هذا الفرق يتضح رويداً رويداً . ويُفصل الآن بين الواجبات الملكية والحربية على قدر الامكان . وقد كانت نتيجة هذا الفصل حسنة جداً فانشئت حكومة ملكية في السودان تختلف عن الحكومات الملكية في ان موظفيها من رجال الحربية . ولا شبهة في ان الحكومة التي يتولاها رجال اشداء يوجبون الطاعة على الرعية لازمة للبلاد في اول انتظامها وارتقائها ونافعة لها من كل وجه

لكن الضباط مقيدون بالخدمة في الجيش الانكليزي فهم عرضة لان يُطلَبوا من السودان لاسباب مختلفة . او قد يتعبون من الشغل الشاق و يودون الرجوع الى فرقهم وما هو احب اليهم من السودان . فلا يصحُّ الاعتماد على الضباط الانكليز للبقاء في هذه المناصب ولذلك تدعو الضرورة الى تغيير هذه الحال تدريجاً وتعيين شبان منتقين من الملكيين يأتون السودان على نية الاقامة فيهِ . وقد عين البعض من هؤلاء وسيتأهلون رويداً رويداً للمناصب التي يشغلها الضباط الآن

واني اغتنم هذه الفرصة لتقديم شكري لرجال نظارة الحربية البريطانية على مبادرتهم الى اجابة طلبي بتغيير القوانين التي يرتبط بموجبها الضباط في الخدمة حتى يسهل عليهم البقاء في هذه البلاد من غير ان يخسروا حقوقهم في الجيش البريطاني . ولي الثقة ان هذا التغيير يرغب الضباط في البقاء في السودان ليزيد انتفاعهُ منهم

ولا يمكنني ان اختم هذا التقرير من غير ان اعترف بما قام بهِ الضباط وصف الضباط والجنود والموظفون من بريطانيين ومصريين وسودانيين من غير فرق بينهم مدة السنة الماضية لاحياء هذه البلاد وكذلك بما قام بهِ العلماء والمشايخ والاعيان الذين ابدوا تمام الولاء والمساعدة واعربوا عن رغبتهم الشديدة في ان يروا بلادهم سائرة في طريق التقدم والارتقاء مادياً وادبياً

واذكر بنوع خاص خدم الكولونل جكسن الذي ناب عني مدة اضطراري لمغادرة البلاد واليهِ ينسب كثير من النجاح الذي نجحتهُ السودان

واقدم شكري الخاص ايضاً للكولونل فرغوصن ولكل المديرين والمأمورين ورؤساء المصالح وغيرهم من الضباط والموظفين البريطانيين والوطنيين الذين تظهر نتائج اعمالهم المفيدة من هذا التقرير

(الامضاء) رجينلد ونجت

الخرطوم في ٣٠ يناير سنة ١٩٠١ الحاكم العام

عمران دمشق

في القرون الحديثة

بعد وقعة مرج دابق قرب حلب بين العثمانيين والجراكسة وقتل الغوري استولى السلطان سليم على دمشق صلحاً سنة ٩٢٢ فمكث بها اشهراً وعمّر بها بعض المباني . وبعد منصرفهِ قام جان بردي الغزالي كافل دمشق وغيرها من بلاد الشام للدولة الجركسية طامعاً بدمشق فامر ان يُخطب لهُ على المنابر ففعل وجيّش جيشاً من العامة فقاست دمشق في هذه المدة الوان العذاب والخوف حتى بعث العثمانيون بجيش لمحاربتهِ فدخل — على رواية صاحب الكواكب السائرة — ونهب البلاد ولم يسلم منها الاَّ ما قلَّ وجرت وقائع بين الجيش التركيّ والجيش الجركسيّ انتهت بقتل جان بردي وتفرّق اصحابهِ تحت كل كوكب ثم نُودي في البلدة بالامان سنة ٩٢٧

ومن مبدإ الدولة العثمانية انها كانت تكتفي من البلاد التي تفتحها بالخضوع والاموال ومن بعضها بالسكة والخطبة فقط وتترك لها ما وراء ذلك من تغيير العوائد والادارة تدبّر نفسها بنفسها فلا تزيد الاَّ ما تمس حاجتها اليهِ من انشاء بعض الثكن للجند كأن وقتها كان عزيزاً تصرفهُ غالباً في الغلبة وتكبير رقعة الملك وقتال القائمين عليهِ وقطع دابر من يُخشى بأسهم في مجاذبة حبل السلطة من امراء الاسلام . وكانت ايضاً طامحة الى توسيع املاكها في اوربا لايقانها بانَّ آسيا وهي عش عنصرها الاسلامي في قبضتها تدوّخها بعد تدويخ اوربا

فاستلم البلاد ولاةٌ حكموها برأيهم غالباً واخذوها اقطاعاً لقاء مبلغ يُؤدى الى الخزانة فتعدّى اكثر العمّال طورهم وضربوا المكس على الاحكام الشرعية وعطلوا الحدود فاستاء اكثر العقلاء لتغيّر الاحكام تغيّراً فجائياً . وممّا ساعد على ذلك قلة المواصلات وبعد دار السلطنة عن اكثر مراكز الولايات وان قُدّر لارباب الظُلامات فوصلوا العاصمة رغم هذه المصاعب لعرض شؤُون حَريّة بالعرض على مسامع الحاكم الاعظم كان ولاة الامور يحولون دون ذلك . ذكر صاحب تاريخ بغداد ان العجم استولوا على البصرة واستبدَّ الوزراء الذين انفذتهم الدولة لإنقاذ البلاد من مخالب الفرس فزوَّروا منشوراً على لسان السلطان ونصبوا مَن ارادوا من الحكام ولم تبلغ هذه الاخبار مسامع السلطان عبد الحميد الاول الاَّ بعد اربع سنين

وللجند غير المنظَّم يدٌ في التخريب عرفها الملوك العظام فيما بعد ويزعم بعض من قراء التاريخ ان الانكشارية خدموا الدولة في مبدإ امرهم خدمة نصوحاً اتت الامة بفوائد جلّى ولكن ما

بدر من سيئاتهم بعدُ يمحق كل حسنة سلفت ويُتلف كل بلاد افتتحت . ولو وقفوا عند حدّ التوفُّر على الظلم وابذاء الاهلين لما استحقوا ما استحقوهُ من التقتيل والتنكيل غير انهُ بلغت بهم القحة ان صاروا يُطيلون يد التعدّي على الوزراء وانكى من ذلك انهم صاروا يتداخلون في خلع السلاطين ونصبهم ويقتلون من شاءوا مثل سليم الثالث ومصطفى وغيرهما ويبقون في منصّة الحكم من تروقهم سياستهُ . ولما طفح الكيل منهم وقهروا البلاد والامة استفتى السلطان محمود خان في إبادتهم فافتتهُ المشيخة الاسلامية بذلك فدمّروا سنة ١٢٤١ عن بكرة ابيهم في الاستانة والولايات بيد الجند النظاميّ والاهليّ واستراحت الامة من شرورهم وحمد الناس هذه العناية

واقد تحكمك الخوارج على السلطنة بالفيحاء فقاست الأمرّين من ذلك ما رواهُ الغزيّ والمحبي من فتنة سنة ١٠١٥ ابّان حمل عليها الامير علي بن جانبولاذ — وفي نسخة ابن جان بلاط — وخلت البلاد من أذنة الى حدود صفد عن حكامها فحكمها هو سنتين ولما اراد احتلال دمشق حلّ بالمزّة فاستمرّ النهب في اطراف دمشق ثلاثة ايام متوالية وكانوا يأخذون الاموال والاولاد . ووردت السكبانية او السكمانية والدروز افواجًا الى خارج المدينة وشرعوا في نهب الضاحية فصولح ابن جان بلاط على مال اداهُ اليهِ حكام دمشق بعد ان حدث ما حدث وجرى لدمشق من المخاوف ما يجلّ عن الوصف واجتمع فيها معظم سكان الارباض وتشتت بعضهم تاركين ارزاقهم واموالهم . وكذلك الفتنة التي جرت بين عساكر دمشق والامير يونس الحرفوش وكرد حمزة سنة ١٠٣٣ فاغتنم الانكشارية الفرصة واغاروا على المستضعفين من الاهالي وتعاقب تغيير الولاة وانحاز بعض الخوارج اليهم ونقل الناس امتعتهم واثقالهم من خارج المدينة الى داخلها مرارًا

وفي غضون ذلك كان اعداء دمشق ينهكون قواها من الداخل فقد ذكر المؤرخون ان كيوان احد كبراء الاجناد فيها المتوفى سنة ١٠٣٣ نزع الى التعدي ولا شكيمة تردّ جماحهُ ولا وازع يكفّ من عزيهِ فأخذ الناس بالتهمة وتطاول الى اخذ املاكهم حتى استولى على اكثر بساتين الربوة والمزّة وضمّ بعضها الى بعض وكان اذا اخذ حصة في مكان احتال على الشركاء فيهِ حتى يأخذ حصصهم طوعًا او كرهًا وكان نوّاب محكمة الباب واعيان شهودها يساعدونهُ على عدوانهِ حتى هلك الحرث والنسل

ظفرتُ عند احد شيوخ العلم بتاريخ مهم لاحمد بن بدير الحلاق ذكر فيهِ حوادث دمشق الشام اليومية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ فجاء عبارة عن جريدة يومية تنشر الغثّ

والسمين من الابناء ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة فقرأت فيه عجباً من حوادث القتل والقتال بين الرعاة والرعايا يبعث فيها الارواح والاعراض والعروض بيع الكساد . هذا وابن بدير لم يؤرخ سوى حوادث اثنين وعشرين عاماً فياليت عمره طال على الاقل مائة سنة وياليتنا نرى ما الفهُ عبد الله البصروي المتوفى سنة ١١٧٠ من تاريخ ابناء عصره ذاك المؤلف الذي احرقهُ بعض الاعيان على اعين القوم قبل ان يُدفن مؤلفهُ مخافة ان ينتشر التاريخ بعد موت صاحبهِ فتنكشف سيئاتهم و يظاهر عارهم وعزمهم . بل ياليت ابن خلدون تأخر عصره الى هذه القرون وجاء البلاد قبل ان يكتب مقدمتهُ المشهورة في فلسفة العمران لتتوفر لديهِ الشواهد الكثيرة ويحصل على مادة عيانية يبني عليها فصوله الرائقة ويتنبأ لهذا القطر كما تنبأ على غيره

قال ابن بدير بلغ متسلم الشام سنة ١١٦٢ ان بعض الدروز من جماعة ابن تلحوق جاءوا الشام ينهبون ويحرقون فارسل الى الموالي والمفتي والقاضي يأمرهم بان يأخذوا معهم الاعلام وينادوا هؤلاء خوارج فمن كان يحب الله والسلطان ليخرج الى قتالهم فخرج الناس فقتلت الحامية منهم جماعة وكان الدروز يحتجون بأن قدومهم الشام كان بغية إخراج إخوان لهم كانوا مسجونين فلما موطلوا نادوا في حارة الميدان والقبيبات كلٌ من لا يخرج للقتال معنا ننهب مالهُ وداره فانضمَّ جماعة من الحارات ونزلوا الى السويقة ووقع القتال بينهم وبين القبوقول والدالاتية وأغلقت البلد حوانيتها وحصرت الحارات ونبَّه المتسلم على اهلها ان لا يخرجوا الى الازقة ليحرسوا دورهم ثم جرت مقتلة عظيمة بين الفريقين قتل فيها نحو خمسين قتيلاً من جماعة المتسلم والقبوقول وجرح واحدٌ من الدروز وقتل غلامان من العامة

ثم فتح عسكر الباشا الدكاكين في باب الجابية ليلاً ونهبوا ما فيها من طعام وإدام وهدموا مصاطبها وصيروها متاريس ومن الغد باكروا القتال وزحفوا الى السويقة ومعهم العملة والبناؤون فخرقوا الدور والقصور واطلقوا المدافع على الاشقياء فولوا الادبار فامر المتسلم عسكره ان يقعوا في نهب الدور والدكاكين وروي انهُ اخرج فتوى وحجة وامرًا قاضياً بان ينهب الجند من حد السويقة ويقتلوا ويهدموا ولا يعفوا عن انسان فسلبوا الاموال وسبوا الحريم ودام الامر الى وقت العصر فردهم الاشقياء والدروز ونصرهم اهل الميدان

ولما هرب الدروز نودي في البلد بالأمان وان تفتح الاسواق ويكف عن النهب . قال ابن بدير وقد سرتُ مع من سار فرأيت فضائح الميدان والقتلى مجدلة والابواب محطمة والدكاكين مقفرة ثم اضطرب اهل القبيبات والميدان والسويقة وباب المصلى واخذوا ينقلون اثاثهم الى داخل المدينة مثل باب السريجة والقنوات وغيرها من الحارات . وخاف الاكابر والحكام

والعامة فجعلوا يعزلون الدكاكين ويخبأون ما حوته في البيوت وبلغ عدد الدور المنهوبة في هذه الوقعة كما قيل الفاً وتسعمائة دار واما الحوانيت فلا تحصى كثرة . هذا وقد اخذ القبوقول يمسكون الناس ويأتون بهم الى الحاكم ويقولون هذا كان يقاتل مع الاشقياء فيقتلهم المتسلم من غير حجة ولا إثبات ولا قصد للقبوقول الا اخذ ثارات لهم مضت مع الانكشارية الى آخر ما اصاب الشام في ذاك العام من حرق ونهب وغلاء وفضائح وفظائع

وهكذا كانت تغلق ارتجة الفيحاء وحوانيتها جملةً عند اندلاع لسان الفتن بين القبوقول والانكشارية وبينهم وبين الدالاتية والاشراف والاكراد والدروز حتى ينادي منادٍ من قبل الحاكم بأمر بفتح الدكاكين ويطمن الناس

وفي شهر صفر سنة ١١٥٨ ملك الدالاتية القلعة فقاتلهم الانكشارية وامر اسعد باشا العظم حاكم الشام ان يقصدوا سوق ساروجا وهنا أطلقت المدافع فوهاتها فخربت الدور خصوصاً دار رأس الفتنة فانها نهبت كلها ثم جرت القافية بقية الدور ولم يبق من سوق ساروجا الا القليل وراح الصالح بين رجلي الطالح ثم اعمل اسعد باشا السيف بكل عاصٍ وقتل عسكره اناساً وسلبوا دوراً واحرقوا بعضاً ثم شرع في صلب كثيرين وبقيت المشنقة اياماً لا تخلو ساعة من مصلوب اتُّهم بانهُ كان يمالئ ارباب الدعارة على رغائبهم وتركت جثثهم اياماً امام السراي تأكلها الكلاب وسلخت رؤوسهم وجعلت اكواماً وصارت المدافع تُطلق بكرةً وعشيةً مدة شهرين وكثر العزف بالأبواق واطلاق السهام النارية في الفضاء

وفي هذه السنة جاء دمشق احد طغاة موالي اسعد باشا العظم وكان نُقل بعد ولايته الشام الى حلب فذكر الانكشارية والعامة ظلمهُ ايام كان سيدهُ حاكماً على هذه الحاضرة فقاموا عليهِ كرجل واحد فالتجأ الى القلعة وحماهُ القبوقول ولما أُريد على الخروج من دمشق أبى واستكبر فأغلقت البلدة دكاكينها ومحالها وتجمع الانكشارية وتبعهم الناس وتعصب العنابية والاكراد والدالاتية مع القبوقول واهل حارة العمارة وحدثت غارة في سوق الدرويشية وأُطلقت النيران على الانكشارية ثم قاموا على اهل العمارة فانهزم اهلها منها واحرقوها حتى صارت ساحة وراح اهلها الى الجامع الاموي ودامت الفتنة اياماً حتى قرَّ رأي الاكابر والامراء على إخراج مولى ابن العظم من دمشق فأُخرج ولم تطفأ جذوة الفتنة لان الثائرين ما زالوا يتلمظون بحلاوة الغنائم ويزدردون حلواء الغارات . وجاء الخبر بانَّ الجالين عن دمشق نهبوا الضياع في طريقهم وقتلوا الانفس وهتكوا الاعراض وصادفوا جماعة من المنتسبين للحكام فسلبوهم وقتلوا منهم فريقاً

ثم اخذ القبوقول يطلقون النار على الرعية وظلت الفتنة قائمة على ساقها في البلد بين القبوقول والانكشارية والاشراف فقتل من هؤلاء نحو ثلاثين وبضعة اولاد وثارت الحرب في اسواق المدينة اياماً ثم عتا الانكشارية على حاكم الشام فصاح في جندهِ وركب الى الميدان فهربوا امامهُ فاعمل وجنوده السيف فيهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً. ومن لم يمت بالسيف قادوهُ بالاغلال والسلاسل . وعمَّ نهب العسكر الكبير والصغير والناس بين قتيل واسير ونهبت الدور والدكاكين واتكبت الشام هذا العام نكبة عظيمة فانضبت ثياب النساء وخطفت الجواري والعذارى وتمنى العقلاء الموت ولا هذا الحال

ثم نهض جماعة الباشا الى النهب فمنعهم وامر بجمع ما نهبوهُ فما وصل الا القليل اودعهُ بعض الجوامع وامر منادياً ينادي لتأخذ الاسلاب اصحابها فأخذ البعض وذهب الاكثر واما اتباع الباشا فطفقوا يقتلون كلَّ من يصادفونهُ ويقطعون رأسهُ او يحبسونهُ وتناول أذاهم من في الدور وتعست الحال حتى قدرت البيوت المنهوبة بنحو اربعة وعشرين الف دار واكثر من ذلك من الدكاكين — كذا قال ابن بدير وكلامهُ فيهِ نظر لان عدد المساكن بدمشق كلها لهذا العهد بحسب احصاء الحكومة هو ١٨ الف دار حسب الاحصاء الاخير

وعدَّد ابن بدير كثيراً من مظالم الدفتر دار فتحي افندي قال ان الاهلين لما ضاقوا بهِ ذرعاً استمدوا الباب العالي فاعداهم فأحضر الى العاصمة ليمثل بين يدي السلطان فاخذ يمنح المنائح لارباب المظاهر اذ ذاك حتى أدخلوا على السلطان شخصاً آخر مكانهُ واوهموهُ انهُ فتحي فامر بقتلهِ فقتل للحال اما فتحي فسترهُ اعوانهُ من الذغار تحت جنح الدجى فآب الى الشام يفعل الافاعيل المنكرة حتى اذا ضاق الخناق ورد الامر بقطع رأسهِ فقطع وجرَّ في شوارع المدينة وترك للكلاب تنهشهُ ومُثّل ببعض اعوانهِ وصودر

وكذلك قل عن سليمان باشا العظم المتوفى سنة ١١٥٦ الذي ولي هذه الحاضرة سبع سنين فانهُ مع ما كان عليهِ من طول الاناة ورزانة الحصاة وإبطال بعض المظالم — على قول ابن بدير — لما قضى نحبهُ صودر ما ادَّخرهُ من مال وحليّ واوقع المفوَّض بذلك في امرتهِ ضرباً وتعذيباً على ابشع وجهٍ حتى أيقن باحتياز المدَّخر . فلما تسامع الناس بخبرها استولى عليهِ من الاموال قاموا يحدّدون شفار المطاعن بالمتوفى لاحتكارهِ مدة حكمهِ البضائع والغلات حتى غلت اسعار الارزاق والبضائع وذكروا انهُ كان متعدياً حدود الشرع ومراعيه

وما قلناهُ عن سليمان باشا ومعاملة أمرتهِ من بعدهِ قلهُ عن ابن اخيهِ اسعد باشا ذاك الذي حكم الفيحاء ١٤ عاماً متوالية جرى فيها على قدم عمهِ فلما اغتيل فوِّض الى من ضبط امواله

واموال جميع أتباعهِ فأُخرجت الدفائن من سراياهُ وكان بعضها مخبوءًا في الارض والجدران والاحواض وبيوت الخلاء

ولا تسل عن إثارة الرأي العام اذ ذاك والعامة هنا وفي اكثر البلاد اذا وقفوا على طرف من الاحوال يشتدُّ بهم الحنق ولذلك يرى اكثر قادة الامم ان لا يطلعوهم على شيءٍ من حقيقة السياسة بداعي أنَّ بحثهم فيها يُعطّلهم عن أشغالهم ولا يزيد الحال الاَّ ارتباكاً . قال ابن بدير ولما دخل الشام حسين باشا المكي الغزيّ واليًا خلفًا لاسعد باشا العظم بالاحتفال المعتاد جاء الاعيان من الغد الى قصرهِ فوقف العامة في دروبهم وسبوهم وشتموهم ورجموهم بالاحجار لانهم كانوا يدخلون الى اسعد باشا من قبل على تلك الكيفية من الخضوع وصاحوا خطابًا للاعيان انتم منافقون تعلّون الحكام الظلم وتعينونهم على الفقراء والمساكين

ولا يذهبنَّ ذاهب الى أنَّ كلَّ من ولي دمشق كان على هذه الشاكلة من الرغبة عن مصالح البلاد ويقولنَّ ان الظلم من شيم النفوس فلعلهُ قد لا يظلم الظلوم او ان يقرأ ترجمة المنصف المصلح من العمال فلا يرى لهُ من المادح الاَّ جامعًا او مدرسة او مقبرة بناها في حياتهِ بالسخرة وأموال المغارم وجسرًا من خشب او كوخًا من قصب او انهُ كان يلازم صلواتهِ ويقرب الصلحاء والعلماء فقد ذكر المراديُّ عن الوزير محمد باشا العظم المتوفى سنة ١١٩٧ وقد ولي الشام احدى عشرة سنة منها عشر متوالية انَّ لهُ من المآثر والآثار في كلّ ولاية وليها خصوصًا في دمشق ما يحسن ذكرهُ ثم عدد مآثرهُ فقال انهُ رفع المظالم وانشأ المعالم وبالجملة فهو احسن من ادركناهُ من ولاة دمشق واكملهم رأيًا وتدبيرًا

وعلى هذا يتصرَّف ما قالهُ المحبيُّ في ترجمة سنان باشا المتوفى سنة ١٠٠٤ وهو صاحب الآثار العظيمة في البلاد ومن جملتها الجامع بدمشق خارج باب الجابية والحمام والفرن المتفق على حسنهما ودقة صنعتهما ولهُ مثل ذلك في كل من القطيفة وسعسع وعيون التجار وعكاء مع خانات ينزلها المسلمون ولهُ ببولاق مصر جامع عظيم ومثلهُ باليمن وقسطنطينية وغيرها من البلاد جوامع ومدارس وخانات وحمامات تنيف على المائة . قال وبالجملة فهو اكثر وزراء آل عثمان آثارًا واعظمهم نفعًا للناس . قلت وما ادري من اين جلب سنان باشا كل هذه الاموال ولعلهُ كان موسرًا قبل ان يلي شيئًا من امر الامة

ولاسعد باشا العظم حاكم الشام دارٌ تعدُّ اليوم من صروح الفيحاء يقصدها السيَّاح للتفرج على قاعتيها المشهورتين بجمال الصنعة ولطافة الاحجار وتحلية الجدران بالذهب مما يندر مثلهُ في هذه البلاد إلاَّ ما كان من قاعة بناها هو ايضًا في حماة قبل ان يتولى دمشق فان تلك

على ما نقل لي احد الثقات اعظم رواه وافخم بناه من هاتين . واليك الآن ما رواهُ ابن بدير في كيفية اقامة هذه الدار قال

في سنة ١١٦٣ شرع اسعد باشا في بناء دارهِ جنوبي الجامع الاموي فهدم الدور التي حولها وادخلها فيها وجدَّ في العمارة ليلاً ونهارًا واحضر لها ١٢ الف عمود خشب عدا ما اهداهُ اياهُ اعيان البلد وأوعز الى الاطراف بان لا يباع القصرمل إلاَّ اليهِ وشغل غالب بنائي البلدة ونجاريها ونقاشيها وجلب البلاط من اكثر دور المدينة وحيثما وجد بلاطًا ورخامًا واعمدة وفساقي يبعث بمن يقتلعها و يُعطي القليل في ثمنها . وكان على مقربة من مقبرة البرامكة فوق نهر بانياس قصر يقال لهُ الزهرائية مطلّ على المرجة الخضراء قيل إنهُ من بناء الملك الظاهر كان من المتنزهات العظيمة تهدم فاخذ انقاضهُ

ونمي اليهِ ان في وادي كيوان طاحونًا قديمة على نهر بانياس تهدَّمت ولم يبقَ سوى اساسها فقطع ماء النهر واخرج ماهناك من اعمدة واحجار وظلَّ العملة والحجّارة واهل البساتين يقلعون و ينقلون والنهر مقطوع ماؤهُ ١٢ يومًا . وفي خلال ذلك اولم حسن السفرجلاني وليمة شائقة لوالي الشام المشار اليهِ في قاعة ابن ترُزنق بالصالحية فرأى فيها ثلاث مزوات طوال ضخام فطلبها لدارهِ ودفع لصاحبها شيئًا من المال فأبى فأخذها . ثم نقل الباشا من بصرى احجارًا وعمدًا من الرخام كثيرة العدد واخذ من مدرسة الملك الناصر في الصالحية عمدًا غلاظًا حملها على عجلات وجرّها بالثيران وهدم سوق الزنوطية فوق حارة العمارة وكان كلهُ معقودًا بالاحجار كالقبو ففكهُ واخذ احجارهُ ونقل احجارًا من جامع يلبغا تحت القلعة واينما سمع ببلاط لطيف او عمد حسنة يأتي بها شراء و بلا شراء و يشغل العملة بكراء و بلا كراء

على هذا النحو تمَّ بناء هذه الدار بخراب كثير من الدور والآثار شأن كل المباني الضخمة هنا كالخانات والجوامع لا تستقل بعمارتها اليد الواحدة ولكن اذا جرى حكم السخرة المحظورة في قوانين الامم المتمدنة تتأتى إقامة كل اثر على اعظم هيا كلهِ

وغير خاف ان الجوائح السماوية كالزلازل والاوبئة والمجاعات لا تعمل في خراب البلاد عمل الجوائح الارضية من ظلم وضياع حقوق وقلة امن كما ان الفتن الداخلية تكون في الغالب ابلغ نكاية وإغراقًا في نسف العمران من الفتن الخارجية . وفي التاريخ شواهد كثيرة تنهض دلائل على صحة هذه الدعوى فقد أُصيبت اوربا في القرون المتوسطة باوبئة لم تُبقِ ولم تذر فلما هبت من رقدتها كانت كلا شيء وكذلك حدثت في اوائل النصف الثاني من القرن السادس في بر الشام زلازل خرّبت المدن ودكت المعالم فقام نور الدين محمود بن زنكي واعاداليهِ بعدلهِ

رونقها احسن من ذي قبل ومثل ذلك قل عن الوباء الذي فشا سنة ٧٤٩ والقحط الذي سبقهُ فما اصاب الشام اذًا من زلازل عام ١١٨٣ فهدم معظم المآذن والوفًا من الدور والجوامع والمحال العمومية والقرى التي ذهب بعضها بما فيهِ من حيوان وانسان والقلاع ضارب بجرانهِ والطاعون الجارف يودي بالانفس حتى صار يخرج من كل باب من ابواب المدينة كل يوم الف جنازة وكذلك ما كان من الزلازل والاوبئة والمجاعات في القرن الماضي كان يمكن بعده للبلاد إرجاع مجدها السالف لو لم تتغلب تلك الاسباب الارضية وتصح الامور صورية

محمد كرد علي

رواية امينة

الفصل الثامن

مضت عليَّ ساعة زمانية وانا افكر في ما صممتُ عليهِ وفي ما ينال نافذ بك من فراقي وما ينالني من فراقهِ واذا انا بواحد يناديني باسمي ففتحت عينيَّ فرأيت نصرالله باشا نفسهُ واقفًا امامي فنظرت اليهِ والى ادهم بك وراءهُ مبهوتة وانا اقول في نفسي ما اتى بهِ اليَّ وكيف تنازل الى هذا الحد . وكأنهُ رأى اضطرابي فتناول كرسيًا وجلس وقال لي تعالي اليَّ يا امينة فقد قال لي ادهم بك انك تريدين مفارقتنا . فقلت "نعم" ولكن بصوت منخفض جدًا حتى اضطرَّ ان يحني رأسهُ اليَّ ليسمعني . ثم قال احسنتِ فانهُ صار يتعذر عليك البقاء هنا بعد ان حدث ما حدث امس . واظن ان ادهم مصيب في انكِ تجدين راحةً في بيت بنتي . ولا احب ان تتركينا مطلقًا ولكن ما دمتِ في بيت بنتي فانتِ في بيتنا كواحدة منا

وحاولت ان اشكرهُ على معروفهِ لكنهُ اسكتني قائلاً انتِ تعلمين بابنتي ان نافذًا لا يستطيع ان يتركك بسلام لانهُ مجنون ولا اظن انك تسلمين معهُ اذا طلب ان يكتب كتابهُ عليك سرًا. وامرأتي مغتاظة جدًا من مسألة هذه الورقة التي وجدتها تحت عتبتهِ. فهل تستطعين ان تذهبي الآن

فذهلتُ من هذا السؤال وقلتُ لهُ كيف استطيع ان اذهب الآن

فقال الامر سهل جدًا ولا اعني ان تمضي الى بيت بنتي حالاً اذ لا بد من انتظار المركب الذي يذهب الى هناك ولكن يسهل عليَّ ان ارسلكِ الى بيت رجل اعرفهُ في قباطاش

وهو طبيب ويقابلك على الرحب والسعة وترسل امتعتك الى هناك والدراهم التي تركتها لك جدتك الا اذا فضلت ان تبقى عندي

فقلت " هذا هو الاحسن " وانا لا ادري ما اقول . والتفت هو الى ادهم بك وقال له ايقظ سليماً وقل له ليهيئ القايق

فمضى ادهم بك وبقيت مع نصرالله باشا فقلت له الا يستغرب الطبيب ذهابي اليهِ في هذا الوقت من الليل

فقال لم يبق الوقت ليلاً فقد طلع الفجر ولا تصلين الى هناك حتى تشرق الشمس وسأرسل معك كتاباً اليهِ اخبره بواقعة الحال . ولما قال ذلك نهض ودنا مني ووضع يده على كتفي وقال صدقيني يا بنتي انني افعل ذلك رغماً عني ولاجل خيرك والله يعلم ان ما يظهر من الجفاء في معاملتي لكِ انما الغرض منهُ خيركِ لا غير

فقلت نعم اني اعرف ذلك ثم وقفت عن الكلام لانني رأيتهُ يتبسم ورابني هذا التبسم لا سيما وانني كنت اظن ان ادهم بك اطلعهُ على كل ما اطلعتهُ عليهِ

وصمت دقيقة ثم قال . ولكن لا تستطيعين ان تمضي كما انتِ اين فرجيتك . فقلت له هنا وقت واتيت بها من وراء الباب

فقال حسناً البسيها . ولم يستغرب وجودها هناك فجزعت من ذلك لانني رأيت ان ادهم بك لم يخفِ عنهُ شيئاً فلبستها وانا اتصبب عرقاً من الخجل . وعاد ادهم بك حينئذٍ وقال اعددنا القايق فتعالي يا امينة . وتقدمت الى نصرالله باشا لالثم يده فانحنى وقبلني كأني ابنتهُ وقال لي يحفظ الله يا بنتي واستري ما رأيتِ منا وسامحي تافذاً على طيشهِ . وسيرافقكِ ادهم الى بيت الطبيب

فشكرت فضلهُ ثانية ومشيت مع ادهم بك فنزلنا الى الطابق الاسفل وسرنا الى الحديقة وكان القايق في انتظارنا عند الرصيف فلما نزلنا فيهِ التفت الى الدار التي اويت اليها وقضيت فيها اويقات السرور وقد خرجت منها كاني مطرودة طرداً ولا احد يعلم بخروجي منها لا ولية هانم ولا وحيدة هانم ولا كلفه ولا غيرها من الجواري ولم اودع احداً منهن . نظرت طويلاً الى الدار والحديقة وقلبي يكاد ينفطر ثم غطيت وجهي بيدي واخذت ابكي وانتحب وجلس ادهم بك بجانبي ولم يفه بكلمة . ولما ابعدنا عن البيت ولم نعد نراه اخذ يدي بيديهِ وقال لي الله يعلم ان هذا خير لك

فقلت له وتكاد العبرات تخنقني نعم وانا اعلم ذلك ولكن ما حياتي اواه بك افندي هل

يليق بي ان اتركهُ على هذه الصورة من غير ان اقول لهُ كلمة ومن غير ان ابين لهُ سبب ذهابي

فقال نعم وهذا خير لهُ ايضاً لان مستقبلهُ كلهُ يتوقف على ما تظهرينهُ من الجلد هذه الليلة

فبقيت صامتة وانا احسب انني مخطئة في ما فعلتُ ولا اقدر ان ابرّر نفسي وخطر لي انهُ يحسب انني خفتُ من امهِ فهربت من وجهها من غير ان اهتم بهِ او براحة بالهِ. ولما خطر ببالي ذلك صغرتُ في عيني نفسي ولكنني رأيت ان لا سبيل الى رد ما فات لان القايق وصل حينئذٍ الى قباطاش فنزلنا منهُ ومشينا الى بيت الطبيب وهو قريب من الرصيف وكان النهار قد طلع ولكننا لم نرَ احداً لحسن الاتفاق والاَّ لحملَ ادهم بك على السنة الناس لخروجهِ معي في تلك الساعة . اما هو فلم يكن يبالي بذلك على ما ظهر لي بل مشى معي الى الباب وقرعهُ بيدهِ ففتح لنا خادم وقابلنا مدهوشاً من رؤيتنا فسألهُ ادهم بك عما اذا كان الطبيب في البيت فقال نعم ولكنهُ لم ينزل حتى الآن فقال قل لهُ ان ادهم بك هنا وخذ هذه السيدة معك الى غرفة تستريح فيها

فدخل الخادم وطلب منا ان نتبعهُ فتبعناهُ الى غرفة الاستقبال ثم اشار اليَّ ان اسير وراءهُ وصعد على سلم وقرع باباً في اعلاهُ فقالت لهُ امرأة ماذا تريد يا علي آغا فقال ان ادهم بك بن نصرالله باشا هنا ويريد ان يرى الافندي فقولي لهُ لينزل وافتحوا الباب حتى تدخل هذه السيدة

ففُتح الباب واذا انا بامرأة عمرها نحو ثلاثين سنة لابسة ثياب النوم فنظرت اليَّ مستغربة امري وقالت لي ادخلي يا حبيبتي وسأنادي زوجي الآن . وادخلتني غرفةً مثل كل غرف الاستقبال في الاستانة فيها كنسول عليهِ ازهار من الشمع وفوقهُ مرآة كبيرة تحيط المقاعد والكراسي بجدرانها . وكان فيها شباك مفتوح فوقفتُ امامهُ واتكأتُ عليهِ ولم اشعر في حياتي كلها بما كنت اشعر بهِ تلك الساعة من الغم والكآبة وصغر النفس . وكان اكثر غمي خجلاً من نفسي . ثم دخلت صاحبة البيت ونظرت اليَّ وكأنها علمت ما بي فلم ترد ان تشير اليهِ في كلامها بل قالت اجلسي يا حبيبتي هل انت صائمة او آتيك بفنجان قهوة

فقلت بل انا صائمة . فقالت انزعي يشمكك ثم نزعتْ عني اليشمك والفرجية ونظرت الى ثيابي وهي الثياب التي كنتُ فيها في البستان ولم اكن قد غيرتها ولعلها استدلت منها على انني لستُ من الهوانم لكنها بقيت على مؤانستها ومجاملتها وجلست امامي وجعلت تتكلم عن رمضان والحر وجامع قباطاش وعن كل موضوع خطر على بالها كل ذلك وهي حافية بقميص النوم ولا تبالي. فجاريتها في الكلام على قدر استطاعتي لان قلبي لم يكن فاضياً لها . وبعد ان

كلمتني ربع ساعة على هذا النسق سألتني من انا وقبل ان تتم سؤالها سمعت صوتاً يناديها باسمها صفية فقامت واعتذرت وخرجت قائلة هذا زوجي

واظنها خرجت تسأله عني فاسندت رأسي على الكرسي الذي كنت جالسة عليهِ وغصتُ في بحار الافكار وراجعت تاريخ حياتي من اولهِ الى آخرهِ كانهُ صورة مرّت امام ناظري و بعد نحو ربع ساعة عادت اليّ مسرورة وضمتني الى صدرها واخذت تقبلني . وقالت لي انكِ ستقيمين عندنا وانا مسرورة بذلك جداً وسنُرسل امتعتكِ اليكِ الآن وقد قلت للخادمة ان تسخن الحمام وانتِ طولي فاذا اردتِ ان تستحمّي يمكنكِ ان تلبسي ثيابي . ثم سارت بي الى الحمام وساعدتني في خلع ثيابي وخرجت واتتني بثياب غيرها وقالت لي اغتسلي والبسي هذه الثياب وانا ذاهبة الآن لاعدّ غرفتكِ

فشعرت بشيءٍ من النشاط بعد الحمام وتبعتها فرأيتها ترتب غرفةً صغيرة فاخذت اساعدها في ترتيبها ولما اتمتها التفتت اليّ وقالت عسى ان تنبسطي وتبقي عندنا مدة طويلة فاتسلَّى بكِ لاني وحيدة . ثم تركتني ومضت فاستلقيت على ديوان صغير كان هناك واغمضتُ عيني وانا كأني في بحر ولم يكن الاَّ قليل حتى غلب عليَّ النعاس فنمت و بقيت نائمة الى قرب الغروب . وجاءت حينئذٍ ووضعت يدها على جبيني فاستيقظت فقالت لي حان وقت صلاة العصر ألا تصلين فنظرت الى ما حولي مدهوشة و بقيت لحظة لا ادري اين انا . ثم قالت لي لم تأتِ صناديقكِ حتى الآن ولكن جاء ادهم بك الى هنا منذ ساعة من الزمان وسأل عنكِ وقال ان صناديقكِ تأتي في المساء

فقمتُ وصليت وهي جالسة امامي ولما اتممت صلاتي نادتني لاجلس معها امام الشباك قائلة اننا نرى المأذنة والمؤذن من هنا حتى اذا اذّن المغرب تنزل حالاً ونفطر وانا احب هذا الشباك لاننا نرى منهُ الاحتفال بليلة القدر وسيحتفل بها بعد تسعة ايام ولا بدّ من ان تكوني هنا و يزورني حينئذٍ كثيرات من الهوانم فاولم لهنّ وليمة كبيرة . ثم سألتني عن يوم سفري فقلت لها لا اعلم لان ذلك متوقف على امر نصرالله باشا

فقالت نعم من غير شك وليس في الدنيا رجل مثلهُ . اظن ان جدتك كانت خادمة في بيتهِ فقلت لها " نعم " وانا اسأل نفسي ترى كم تعرف من امري . فقالت ولما رآكِ وحيدة بعد موتها اراد ان يرسلكِ الى بيت واحدة من اقاربهِ الله يرضى عليهِ

فقلت في نفسي اذاً لا تعرف من قصتي شيئاً

ثم قالت ألكِ احد من الاقارب هناك ولماذا لم يبقكِ في بيتهِ فانهُ غني جداً وما هي

نفقة اكلكِ وشربك بالنسبة اليهِ

فقلت لها لانني لم احب ان ابقى في بيتهِ

فحملقت فيَّ وقالت ولماذا ألا تحبين اسلامبول . انا ولدت هنا وكان ابي تاجراً في طرابزون ولم يكن يريد ان يزوجني بالافندي ولكن لما رآهُ عاقلاً مواظباً على شغلهِ قال انهُ الاحسن لي ان اتزوج بهِ ولو كان فقيراً لان مستقبلهُ حسن ولا بدَّ من ان يرتقي مع الزمان لانهُ مجتهد . وانا أُؤكد لكِ انهُ مجتهد جدًّا ولا بدَّ من ان يصير باشا و بالاخص لان نصرالله باشا صار يساعدهُ من الآن فصاعداً بسببك . ثم وضعت ذراعها حول عنقي و باستني

وعند ذلك ضرب المدفع فنهضت وقالت ضرب المدفع ولا بدَّ من ان يكون الافندي في انتظاري

قالت ذلك وخرجت وتركتني مطمئنة البال لانني رأيت انها لم تعلم شيئاً من امري

الفصل التاسع

وقفت صفيَّة امامي وهي تقول اتدرين يا امينة من اتى الآن وسأل عنكِ وطلب ان يراكِ . قالت ذلك باسمةً مسرورةً . وكان في يدي منديل اطرزهُ فالتفتُّ اليها وقد خفق فؤادي وكان قد صار لي في بيتها ثلاثة ايام وقلت لها مَن . قلت ذلك وانا احاول ان اخفي اضطرابي

فقالت احزري . ان نصرالله باشا ارسل ابنهُ الثاني نافذ بك لكي يقول لكِ شيئاً . ما اغرب ذلك لماذا لم يرسل واحداً من الخدم

فلم اجبها لاني رأيت ان ما خفت منهُ وقعتُ فيهِ فقد عرف اين انا . وجعلت اقول في نفسي هل انزل واقابلهُ او ارفض مقابلتهُ . ثم رأيت انني اذا رفضت مقابلتهُ اثير الظنون والشبهات في نفس الطبيب وزوجتهِ فانهما كانا يحسبانني مكرمة معززة من الباشا فاذا رفضت مقابلة ابنهِ ظنوا بي ظنوناً كثيرة. ثم قلت في نفسي ترى ألا يجب عليَّ ان ابين لهُ سبب خروجي من بيت ابيهِ على هذه الصورة أوَ يستحق مني هذا الجفاء وقد خاطر بكل عزيز لديهِ لاجلي وكان يصعب عليَّ ان اقول في وجههِ انني صممت النية على عدم الاقتران بهِ ولكن ما دمتُ قد صممت نيتي فما الفائدة من اخفائي ذلك عنهُ

وقمت لانزل معها فنظرتْ اليَّ مستغربةً وقالت اتنزلين هكذا من غير ان تغطي رأسكِ . فوقفتُ مضطربة والتفتُّ الى الديوان واخذتُ منديلاً كان ملقى عليهِ ووضعتهُ على رأسي فلم امنعها ولكنني اشمأززت من هذا التظاهر بالحياء ومن نفسي ايضاً . ثم قالتْ لي انزلي الآن

فانهُ في السلاملك فنزلت ورأيت علي اغا فسألتهُ عما اذا كان سيدهُ هناك فقال لا ففتحت الباب وانا لا ادري هل يجب ان أُسرّ او اساء لانني التقيت بهِ وحدنا . وكان واقفاً بجانب طاولة فلما دخلت دنا مني وامسك بيديَّ ونظر في وجهي وضمني الى صدرهِ وقال لي ماذا فعلت بنفسكِ يا امينة فقد صرتِ كالخيال

فقلت لهُ ما اتى بك الى هنا لماذا أتيت ألم يكن الافضل لك ولي ان لا تأتي الى هنا

فقال لماذا تقولين ذلك اتصدقين اني اتركك تذهبين من غير ان اعرف سبب ذهابكِ

فقلت لهُ وما الفائدة من ذلك فان اباك قد رفض رفضاً باتاً

فقال لماذا اريتِ ورقتي لادهم ولماذا لم تثقي بي

فقلت لانني لا اريد ان ادخل بيتاً غصباً عن اهلهِ

فقال هل هذا هو الكل . اعلمي يا حبيبتي انكِ متى صرتِ زوجتي اضطرَّ ابي وامي وكل احد ان ينظر اليكِ كما ينظر اليَّ فلا تدعي هذا الوهم يغلب عليكِ . ومتى كُتب كتابنا نذهب من هذه المدينة فلا تعودين تخافين من امي. تعالي يا امينة ألا تؤكدين اني احبكِ صدقيني اني اتوسَّل اليكِ بذلك من اجل نفسي فانكِ انتِ وحدكِ قادرة من تخليصي من عاقبةٍ الموتُ خير منها . نعم اذا رفضتِ الاقتران بي لا اموت وما من احد مات حباً بل ربما اسلوك واقترن بامرأة أُخرى بامرأة لا اعرفها ولا توافق ذوقي امرأة تنظر اليَّ كأني سيد لها وانا انظر اليها مثل ام لاولادي لا غير

فقلت لهُ لا بدَّ من انك تجد كثيرات من بنات الاتراك اصلح لك مني كثيراً . قلت ذلك على غير ارادتي لانني كنت اراهُ يتكلم بجد وصراحة وكلامهُ خارج من اعماق قلبهِ

فقال اني لا انكر ذلك ولكن ما ادراني كيف تكون طباع التي تكون من نصيبي فان امي تذهب الى بيت فترى ابنة تعجبها وهي لا تعرف شيئاً من اخلاق النساء وطبائع الناس وكيف تستطيع ان تفرق بين الحشمة الحقيقية وبين التظاهر بها كما يتظاهر اكثر البنات امام من تأتي لخطبتهنَّ . وهَبي انني وجدتُ ابنة عاقلة اديبة تستحق كل محبتي واكرامي فهل يجوز لي ان اقترن بها بعد ان تعلّق قلبي بكِ . صدقيني يا امينة انني لا استطيع ان احب ابنة أُخرى كما احبكِ

فوضعت رأسي على كتفهِ والدموع ملء عينيَّ وقلت لهُ بصوت منخفض وانا احبك ايضاً ومع ذلك ارى ان لا بدَّ من افتراقنا اتظن انهُ يمكنني ان احب شخصاً آخر لو كان ذلك في استطاعتي ما رفضت داود

فقال كيف رفضتهِ وقد سمعتُ انكِ اتيتِ الى هنا لتقترني بهِ فان كنتِ تحبينني لماذا لا تصدقينني ان الهِوامي يعترفان بكِ حالما يكتب كتابي عليكِ ولا يعودان يقولان شيئاً

فقلت لهُ اني لا انكر معروفهما فقد قبلاني في بيتهما وعاملاني مثل بنتهما

فقال وختما هذه المعاملة بهجوم امي عليكِ حتى لولا قليل لقتلتكِ و بطردهما اياكِ من بيتهما في ظلمة الليل كانكِ من اللصوص ولذلك تفضحين نفسكِ وحبكِ مرضاةً لهما

فقلت ان الباشا لم يكن يقصد الاَّ خيري ووقايتي من امك

فقال "بالله عليكِ لماذا لم يقف مثل رجل ويقل لزوجتهِ اليكِ عن هذه الفتاة . أَخوفهُ من زوجتهِ جعلهُ يأمر القايقجي لكي لا يخبرني الى اين اتى بكِ حتى اضطررت ان ارشيهُ لكي يخبرني". وحاولتُ ان اتكلم فاسكتني قائلاً اني لم آتِ الى هنا لاسمع صدى صوت ادهم بك . الله يعلم انهُ وعظني مواعظ لا يزال صوتها يرنُّ في اذنيَّ . وغاية الامر اني لا اسمع لوم احد فقد قلتِ لي الآن انكِ تحبينني وما دمتِ تحبينني فانتِ لي ولا يفرق بيننا الاَّ الموت

فقلتُ لهُ ما دام ابوك يرفض اقترانك بي فانا لا يمكن ان اقترن بك وهذا ختام الامر

فقال مازحاً لماذا لا تضعين ورقةً أُخرى تحت عتبة غرفتهِ حتى يسلم باقتراني بكِ . انتِ تعلمين اني لا اصدق بهذه الخرافات ولكنني احبُّ ان اعرف لماذا تكتبين لي ورقة محبة اذا لم تكوني مهتمة بالاقتران بي

فعلتني حمرة الخجل حينئذٍ ونظرت اليهِ وقلت ان بوار هي التي جابت تلك الورقة ووضعتها . وقد كذبتْ هي وشاكر آغا لما قالا اني انا جلبتها ووضعتها

فقال لقد صدقتِ وكان من جنوني اني صدقتُ ان حبكِ لي يدعوكِ الى مثل هذا العمل فان حبكِ لي لا يحملكِ على ان تشغلي بالكِ لاجلي

فقلت لهُ ودموع الغيظ تجول في عينيَّ لقد ظلمتني يانافذ بك ولم تنصفني اتحسب اني لا احبك لاني لم اشأ ان ادعك ترسل اليمن حيث تدفن حياً

فقال ومَن قال لكِ ذلك . فلم اجبهُ فقال اذاً ادهم . امينة اسمعي كلامي ولا تدعي هذا الرجل يدجّل عليكِ فاني اعرف مقاصدهُ ونياتهِ

فقلتُ لهُ اليكَ عن هذا الكلام فان ادهم بك من اشرف الناس واجلهم وهو الرجل الوحيد الذي امكنني ان الجأَ اليهِ وقت الشدَّة

فقال بارك الله لكِ فيهِ . وسار نحو الباب ليخرج لكنهُ عاد ونظر اليَّ نظر مَن ثقلت عليهِ الهموم والغموم وامسك بيديَّ وقال "كيف استطيع ان ابين لكِ اني لا استحق هذه المعاملة

منكِ اني احبكِ من صميم قلبي حبًا طاهرًا نقيًا وانتِ تعاملينني كأن حبي لكِ عارٌ عليكِ. ألا تصدقين ان مستقبلي كلهُ في يدكِ ". واردتُ ان اتكلم فمنعني عن الكلام قائلاً نعم نعم ان ابي توعدني بارسالي الى اليمن والحياة هناك تعب وهلاك فهل رأيكِ فيَّ ضعيف الى هذا الحد حتى تحسبي اني اخاف من الذهاب الى هناك

فقلت انك لا تخاف من الذهاب ما دمتَ في سبيل الشهرة والمجد ولكن اذا نُفيت الى هناك نفيًا فاي نفع تنتظر . وحالما يُعلم ان نصر الله باشا اقصاك عنهُ لا يعود رؤساؤك يحسبونك الاَّ واحدًا من عامة الجند

فقال وما ضرَّني فاني احبُّ شغلي وامرُّ بهِ هنا وفي اليمن على حدٍّ سوى وما دمتِ معي لا فرق عندي بل امضي الى جهنم مسرورًا

فقلت لهُ هذا تقولهُ الآن ولكن مَن يعلم ما تقول بعد عشر سنوات او عشرين سنة لان مدة نفيك قد تطول اكثر من ذلك

فقال هبي اني عشت عمري كلهُ منفيًا فهذا لا يهمني ألا تصدقين يا امينة انني لو بقيت هناك ثلاثين سنة لا يمكن ان تسمعي مني كلمة لوم او تذمُّر

فقلت ولكن أيقلّ ألمك اذا لم تشكُ أو لا يكون اسهل عليَّ ان اسمع اللوم والتذمر من ان اعلم انك تحتمل في قلبك ولا تتذمَّر علانية

فامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي وقال قولي لي الحق أتحبينني

فنظرت في وجههِ ولم اتمالك ان نزعت يديَّ من يديهِ وادنيت رأسهُ مني وقبلتهُ وقلت لهُ هذا جوابي اصدقت اني احبك

فقال ما دمتِ تعلمين ما هو الحب فلماذا تبقين على هذا الاصرار وتخافين اني اندم يومًا ما على ما فعلت

فلم اجاوبهُ لانني شعرت بخجل شديد مما فعلت وقامت عليَّ كل التعاليم التي تعلمتها وكل الوصايا التي سمعتها توبخني وتونبني على ما فعلت . والظاهر انهُ اتخذ سكوتي تسليمًا لهُ فقال الحمد لله لقد رأيتِ بنفسكِ ان لا فائدة من هذا العناد تعالي وغدًا نذهب الى القاضي فيكتب كتابنا

فقلت لهُ كلاَّ كلاَّ لماذا تريد ان تزيد مرارتي مرارةً . وقبل ان يجيبني قُرع باب البيت فسار اليهِ وفتحهُ وقال جاء ادهم والتفت اليَّ عابسًا وقال قولي لهُ انكِ كنتِ تدافعين عنهُ . فلم اجبهُ اولاً لانني كنتُ اقول في نفسي ترى ماذا يقول ادهم بك عن وجودي مع اخيهِ وحدنا

ثم قلتُ له ُ ألا تستطيع ان تخرج قبل دخوله . فقال ولماذا ألا تظنين اني اقدر ان اقول له ُ ان لا يد لكِ في مجيئي الى هنا

وقبل ان اجيبهُ دخل ادهم بك وهو عابس ولكنهُ لم يبدِ اقل استغراب من وجود اخيهِ معي بل قال لي سألتُ علي آغا عنكِ فقال انكِ مع نافذ فلم احسب انكِ تعدّين دخولي تطفلاً ولذلك دخلتُ

فحاولت ان اجيبهُ ولا اعلم ماذا قلتُ لانني رأيت الغضب في وجههِ . ثم قال اری ان مجيء نافذ الى هنا قد ألمك كثيراً ولكن الحمد لله سنضع حداً لذلك

فقال له ُ نافذ بك لا تعد باكثر مما تستطيع ان تفي واحبُّ ان اعرف ماذا تفعل حتى تمنعني من المجيء الى هنا اذا اردت المجيء

فاجابهُ اني سآخذها الى حيث لا تستطيع ان تصل اليها وتعذبها فقد ارتني هذه الشهور الثلاثة انهُ من العبث ان أعتمد على شهامتك وحسن ذوقك

فقال نافذ بك واي نقص رأيتهُ في شهامتي وحسن ذوقي ولا انكر انك من اعرف الناس بهذه الامور فاذا اريتني موضع النقص سلمتُ لك حالاً

فقال ادهم بك ألا ترى ان كل ما اصاب هذه البنت اصابها بسبب حبك لنفسك ألا ترى انهُ لولاك ما كانت اضطرّت ان تترك البيت الذي ربيت فيهِ حيث كانت مكرَّمة معزَّزة

فقال نافذ بك نعم اني احب نفسي ولكني اقصد بحبي لنفسي ان اعطي أمينة بيتاً آخر ارجو ان تعيش فيهِ اسعد مما عاشت في البيت الذي تركتهُ وتكون مكرَّمة معززة كما كانت في البيت الذي تركتهُ فهل عدم حبك لنفسك يعدها بشيء احسن من هذا

فنظر اليهِ ادهم بك نظر الاستغراب والاستفسار ثم قال له ُ لقد امرني ابي بحمايتها فصار ذلك فرضاً عليَّ ولا بدَّ من القيام بهِ الى النهاية . وهذا اقل ما يجب علينا لها بعد ان عادتها امي بسبب طيشك ولذلك لا بدَّ لي من ان انظر في راحتها وسلامتها. ثم التفت اليَّ وقال اراكِ صفراء شاحبة يا بنتي اجلسي مكانك ألا تظنين انكِ تستطيعين الذهاب الآن . والتفتَ الى نافذ بك وقال له ُ هل اعماك جهلك حتى لا ترى انكَ تكاد تقتلها فهل من المروَّة وحسن الذوق ان تجبرها على مقابلتك وانت ترى انها ما عادت تستطيع الوقوف على قدميها

فقال له ُ نافذ بك ان مرضتْ فانت تكون سبب مرضها لا انا لانها تحبني كما احبها وانت تشير عليها ان تعمي قلبها وتميت عواطفها ارضاء لابي وان تضحي كل ما تنتظر من السعادة في هذه الحياة واراك تستغرب مع ذلك انها رزحت تحت هذا الحمل وخارت قواها . تقول اني

احب نفسي فهل تقسم بشرفك انك لم تكن تحب نفسك وتسعى في مصلحتك حينما اخبرتها ان اقترانها بي يعود بالعار عليها

ولما قال ذلك نظرتُ اليهِ مبهوتة مرعوبة واصفرَّ وجه ادهم بك فصار كالاموات وكان جالساً امامي فرأيت في وجههِ علامات من يحاول كظم غيظهِ فلا يستطيع وكان مطرقاً الى الارض حتى لا ارى من عينيهِ الاَّ رموشهما ثم رفع رأسهُ وفتح عينيهِ بغتة تخفق فؤادي وكأنهُ كان يراجع نفسهُ بين ان يتكلم او لا يتكلم ثم قال ماذا تعني قل لي ماذا تعني . هذه هي المرَّة الثالثة التي لمحت فيها هذا التلميح قل لي صريحاً ماذا تعني وبماذا تتهمني

فتوقف نافذ بك عن الجواب وكنت ارى في اضطرابهِ ان عقلهُ كاد يغلب على حدة طبعهِ واخيراً حوَّل جوابهُ الى صورة سؤَال وقال اني اسالك واطلب منك الجواب لو كانت بوار صاحبة الشأن في هذه المسألة أكنت تدافع عنها أوَ كانت قلة شهامتي ومروءتي تلجئك الى ان تعاملني هذه المعاملة

سكوت تام . كان ادهم بك جالساً امامي على جانب من الطاولة واخوهُ على الجانب الآخر مقابلهُ وكان النور واقعاً عليهما كليهما على السواء ورأيت على وجه نافذ بك اشارة الابتسام وهو ينظر الى اخيهِ اما اخوهُ فالظاهر انهُ لم يرَ ذلك لانهُ كان ينظر الى الحائط من فوق رأس اخيهِ وعلى وجههِ امارات الكرب الشديد كأنهُ كان يحارب نفسهُ وقد ذهل عمَّن حولهُ . فلم يجب اخاهُ ولا نفى التهمة التي اتهمهُ بها وكأنَّ نافذ بك ندم على ما فرط منهُ فلم يكرّر السؤَال بل التفت اليَّ وقال انا ذاهب الآن يا امينة افتكري بكلامي يا حبيبتي وغداً اعود وارى جوابكِ الاخير . ثم سار نحو الباب وقبل ان يخرج ناداهُ ادهم بك قائلاً انك اتهمتني تهمة فظيعة فتعال واسمع جوابي . لو طلبتَ ان تقترن ببوار او باية امرأة كانت ضد خاطر ابي لكنتُ اشير عليها ان ترفض طلبك وكنت احسب نفسي مصيباً في ما فعلتُ . ولا يمكنك ان تقترن بامينة من غير رضى ابي لانك تكون قد خرقت خرقاً اوسع من ان يرقع عدا عمَّا ينالك من الضرر بسبب ذلك لانك تتلف مستقبلك . ولو علمتُ ان كلامي يؤَثر في ابي الآن او في مستقبل الايام لكنت احثها على البقاء ثابتةً في محبتك ولكنك تعلم ابي كما اعلمهُ انا وهو وان كان بعيد الغضب لكنهُ بعيد الرضى ايضاً ولا يرضى ابداً على مَن يخالف لهُ قولاً عن عمد فان كانت ذمتك تطاوعك حتى تقول انك قادر ان تجعلهُ يحول عن عزمهِ يوماً من الايام فانا معك واساعدك على الاقتران بها غداً . فهل تنتظر مني اكثر من ذلك دليلاً على حسن نيتي وخلوص طويتي

فمدَّ اليهِ نافذ بك يدهُ وقال ارجو المعذرة اغا بك كان يجب عليَّ ان لا اتكلم كما تكلمت ولو لم اصر نصف مجنون بالفشل الذي نالني ما كنتُ تكلمتُ هذا الكلام . ومع ذلك فخير لك ان لا تتعرَّض لهذهِ المسأَلة بل دعني وابي نختصم ونفتصل وتعرُّضك لهذه المسأَلة لا يجدي نفعاً بل يعرضك للشبهات . واني اعلم كما تعلم ان ابي لا يصفح عني ولكن تصرُّفهُ هذا لا يوجب عليَّ طاعتهُ وخير لك ان لا تنتصر لي ولا لهُ

فلم يجبهُ ادهم بك وتظاهر بانهُ لم يرَ يدهُ ممدودة اليهِ لمصالحتهِ فانزل نافذ بك يدهُ الى جنبهِ وانتظر دقيقة من الزمان ولما لم يرَ من اخيهِ جواباً دار وسار حتى اذا بلغ الباب التفت الى اخيهِ ثانيةً وقال لهُ ان كنتَ تبقى ضدي فلا تعجب اذا اضطررت ان انظر اليك نظر العداء وان انسى الاحترام الواجب عليَّ لك. اما من حيث صرفي عما عزمت عليهِ فاعلمْ انك لا تقدر على ذلك مطلقاً . قال ذلك وخرج وغطيت انا وجهي بيديَّ ووددت ان اكون وحدي حتى لا ارى احداً

وبقي ادهم بك في الغرفة ومشى الى الشباك وتطلَّع الى البحر كانهُ يريد ان يكون على ثقة من ذهاب اخيهِ . ولبث هناك مدة ثم التفت اليَّ وقال متمهلاً مع ان الغيظ كان اخذ منهُ كل مأخذ اراكِ غير قادرة على ان تحتملي اكثر من ذلك وقد اتيت الآن لاخبركِ ان امي سلمت بذهابكِ الى بيت اختي . وستمضي السفينة غداً ولذلك يظن الباشا انهُ خير لكِ ان تسافري فيها افتستطعين السفر غداً

فقلت نعم لان صناديقي لا تزال مربوطة فهل نذهب غداً صباحاً . فقال نعم وساستدعي الطبيب الآن واوضح لهُ الامر . فقمت ومشيت نحو الباب وخرجت ولم يقل لي كلمة أُخرى وصعدت الى غرفتي واقفلت بابي وانطرحت بجانب سريري

الفصل العاشر

قمت في الصباح التالي ورأسي يكاد ينصدع وانا كريشة بمهب الرياح لا ادري الى اين امضي ولا ما يأتيني بهِ الغد ولذلك ودَّعت صاحبة البيت وانا لا اعلم اني اودعها وجاءني سليم آغا وهو من خوَل نصر الله باشا وقال لي ان مولاهُ امرهُ ليمضي معي الى بيت ابنتهِ ويوصلني الى هناك . ورأيت ادهم بك في انتظاري على الرصيف فامسك بيدي واصعدني على السلَّم الى السفينة ثم انزلني الى الغرفة المعدة لي وقال ستصلين المدينة قبل المساء وتنتظرين القافلة هناك يوماً او يومين وقد كتبتُ الى اختي مع البريد الماضي ولكني لا اظن ان كتابي يصل اليها في الوقت لترسل لكِ ركوبة ولكنها تعلم الآن بذهابك اليها وتنتظركِ وقد اخبرتها من قصتكِ

ما يغنيكِ عن الاجابة عن مسائل يصعب عليكِ الجواب عنها . ووقف عن الكلام قليلاً ثم قال ان ابي يسلّم عليكِ وكان يحبّ ان يأتي بنفسهِ لوداعكِ ولكنهُ خاف ان يلحظ نافذ ذلك وقد بعث اليكِ هذه المئة الليرة وهي ليست من دراهمكِ واعطتني امي هذه الصرة لكِ وفيها الحلى التي تركتها جدتكِ

وكان من عادتهِ ان يتكلم متمهلاً اما الآن فكان يتكلم على غاية السرعة وكانت امارات الكدر الشديد على وجههِ وتحت عينيهِ دائرتان سوداوان دلالة على انهُ لم ينم في الليل الفائت

وقال بعد ان سكت مدةً مع السلامة يا بنتي ديري بالك لنفسكِ

فامسكت يدهُ وقبلتها وافتكرت حينئذٍ باخيهِ فضاق صدري ولكنني صرفت هذا الفكر عن بالي حالاً لكي لا ادعهُ يلحظ عليَّ شيئاً . ومشى خطوةً نحو الباب ثم عاد اليَّ وامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي ملياً كأنهُ يتضرَّع اليَّ فاستغربت ذلك منهُ لانني كنت اراهُ قبلاً من اصلب الناس ثم قال اتصدقين يا امينة انني لم افعل الاَّ ما يجب فعلهُ في هذه الاحوال واني كنت اودُّ من كل قلبي ان تقترني بنافذ ولكني لم اجد الى ذلك سبيلاً

فقلت لهُ نعم اعرف انك فعلت ما يجب فعلهُ ولا انكر جميلك ومعروفك يا ادهم بك ولاسيما في ساعة الضيق وساحفظ لك ذلك ما دمت حيةً

فاشرق وجههُ قليلاً وانحنى وقبّلني في جبيني وقال لي الحمد لله فقد فرجتي غمومي ثم دار وخرج وتركني وحدي

ستأتي البقية

اغنياء اميركا

(تابع ما قبله)

(٤) يوسف ليتر ملك الحنطة

هو شاب في مقتبل العمر وابوهُ من سكان الشارع الخامس في نيويورك اي من اغنياء اميركا المعدودين . بدأ الاحتكار وهو دون العشرين من عمرهِ وذلك انهُ اشترك مع بعض المضاربين في شراء الحنطة من اميركا واوربا في ٢ ابريل سنة ١٨٩٧ وكان ثمن البشل اولاً ١٥ غرشاً فلم يمضِ على ذلك اربعون يوماً حتى بلغ ٣٥ غرشاً . ثم هبطت الاسعار بالمضاربات فعاد ليتر الى شراء الحنطة البشل بثلاثة عشر غرشاً وظلَّ يفعل ذلك حتى اجتمع لديهِ ٣٥ مليون بشل . واتفق نزول الارزاء على الولايات التي يرد القمح منها كجيورجيا وفلوريدا واحترق

كثير من مخازن الحنطة فارتفع سعر البشل الى ٣٨ غرشاً فباع نحو ٢٥ مليون بشل في اوربا وبلغ ربحهُ من هذه التجارة مليون جنيه قبل ان يمضي عليهِ ١٤ شهراً

غير ان هذا الاحتكار لم يدم طويلاً فان المضاربين في الحنطة لما رأوا ان كثيرين منهم افلسوا بسبب ليتر اعتصبوا عليهِ وكان لا يزال عندهُ ١٥ مليون بشل وساعدهم في اعتصابهم اقبال المواسم سنة ١٨٩٨ فلم تمضِ ستة اسابيع حتى نزلت الاسعار فخسر ما كان قد ربحهُ ونحو مئتي الف جنيه فوقهُ لان بقية شركائهِ تخلوا عنهُ فوقعت الخسارة كلها عليهِ وعاد الى والدهِ وقد ملأت شهرتهُ البلاد رغماً عن فشلهِ الاخير

ولم تؤثّر هذه الخسارة فيهِ لانهُ لم تمضِ اسابيع قليلة حتى شرع في احتكار اللبن فربح منهُ كثيراً

وعائلة ليتر اسرائيلية الاصل وكان ابوهُ ليفي ليتر احد ملوك الفضة وهو من اكبر اغنياء الشارع الخامس ووالدتهُ يضرب بها المثل في البساطة وقد ساحت في الشتاء الماضي في القطر المصري واختهُ ماري ليتر هي اليوم لادي كرزون زوجة حاكم الهند ويفتخر الاميركيون ان منهم زوجة رجل يحكم على ٣٠٠ مليون من النفوس

ومما يحكى عن سذاجة والدتهِ انها سُئلت يوماً بعد عودتها من سياحتها في الشرق عمَّا اذا كانت زارت الدردنيل فاجابت نعم وهو غاية في الرقة وقد تعشيتُ عندهُ مرتين

ولم اقف على تقدير ثروة هذا البيت ولكن الذي يضارب بالملايين يكون عندهُ كثير منها

(٥ و ٦) جاي جولد وكرنيليوس فندربلت ملكا السكك الحديدية

بقي هذان المثريان سنين عديدة قابضين على جميع السكك الحديدية في اميركا يرفعان اجورها ويخفضانها فيحكمان على اسعار اسهمها وعلى اثمان جميع البضائع حتى المأكولات التي عليها مدار الحياة . وقد توفي الاول منهما وبقي الثاني سنين عديدة يدير اعمالهُ من منزلهِ في الشارع الخامس في نيويورك لانهُ كان مقعداً حتى توفي منذ مدة قصيرة . وكثيرون في مصر يذكرون مجيئهُ الى هذا القطر منذ عامين تبديلاً للهواء

والفرق بين جولد وفندربلت ان اولهما عصامي والثاني ورث المال عن ابيهِ وجدهِ . ولم يكن جولد يعرف شيئاً عن السكك الحديدية وكيفية ادارتها فلذلك لم ينظر اليها من حيث ادواتها ومهماتها وطرق تشغيلها بل من حيث اسهمها اذ كان معظم همهِ موجهاً الى جمعها وكان حقيقةً ملك البورصة ايضاً يتلاعب بالاسعار كما يشاء فيخفضها تارة ويرفعها اخرى وبذلك يزيد ممتلكاتهِ من السكك الحديدية يومياً

اما فندربلت فالتجأ في اعماله الى الاحتكار فاذا القى شباكه ليصيد بها شركة ما لم يهنأ له عيش حتى يقبض عليها فيهددها بانشاء شركة اخرى و يشتري ديونها حتى تصبح تحت رحمته. وقد اتعبته الشركات في اول الامر وقاومته طويلاً حتى تمكن من عدة منها فلما رأت البقية ما حل برفيقاتها سلمت اليه عند اول اشارة بدت منه

وكان لكل من جولد وفندربلت سكة حديدية تصل بين نيويورك وحدود كندا فجعل الناس يفكرون في ما عسى ان يكون من امر هذين المثريين. ايبتلع احدهما الآخر ام يبقيان سلماً من غير ان يزاحم احدهما الآخر . وقد ادرك جولد وفندربلت ان نتيجة المزاحمة خراب المغلوب منهما فامتنعا عنها حتى اتفق يوماً انهما اختلفا على امرٍ ما في الكلوب واضمر كل منهما الشر لصاحبه . وكانت اكثر اعمال سكتيهما مقتصرة على نقل المواشي من كندا الى نيويورك وهما ينقلانها بتعريفة واحدة وهي خمسة جنيهات اجرة شحن العربة الواحدة فاعلن فندربلت انه خفض الاجرة وجعلها اربعة جنيهات فخفضها جولد وجعلها ثلاثة ثم انزلها فندربلت الى جنيهين وزادا في التخفيض حتى اوصلها فندربلت الى ٢٠ غرشاً صاغاً فلم يوصلها جولد الى ذلك فاضطر ان يوقف عمله وظهر ان قد ثبت الفوز لفندربلت غير ان فوزه كان وهمياً فان خسارته زادت بازدياد الشحن في قطراته اما جولد فلم تعد قطراته تنقل شيئاً كما تقدم ومع ذلك لم يظهر عليه انه كان يخسر شيئاً . وعرف فندربلت سر المسألة وهي انه لما رأى جولد ان اجرة الشحن بقطرات فندربلت صارت دون الطفيف وان منها خسارة لا ربحاً اغتنم الفرصة لشراء المواشي في كندا وجعل يشحنها بقطرات فندربلت فتصل الى نيويورك ويبيعها للجزارين فيربح بها ما يخسره فندربلت بنقلها . وقد قدرت ثروة جولد منذ اثنتي عشرة سنة بخمسة وخمسين مليوناً من الجنيهات كما ترى في المجلد الثالث عشر من المقتطف وقدرت ثروة فندربلت حينئذٍ بخمسة وعشرين مليوناً وكانت ثروة ابيه خمسين مليوناً. ولفندربلت وابنة جولد حسنات ومبرات كثيرة

وللسكك الحديدية ملك آخر ظهر حديثاً وهو

(٧) جيمس هل

ولد في كندا وكان ابوه فلاحاً ولكنه تعلم في المدارس العالية بخلاف زملائه من ارباب الثروة العصاميين . وقصد والداه اولاً ان يجعلاه قسيساً غير انه غيَّر رأيه بغتة فترك مدرسة اللاهوت واستخدم كاتباً في دكان بدّال ثم في شركة وابورات على نهر المسيسبي باجرة عشرة غروش في اليوم ولما لم يقنعه ذلك صار وقاداً في تلك الوابورات ورأى رؤساؤه فيه

النباهة فجعلوهُ من مستخدميهم ولما نشبت الحرب الاهلية ساعد كثيرًا في نقل الجنود والمهمات الى الولايات الشمالية وارتقى رويدًا رويدًا حتى صار مديرًا للسكة الحديدية من سان بول الى الباسيفيكي فظهرت قوى عقله المالية والاقتصادية واشترك معهُ بعض ارباب الاموال فبنى خطوطًا حديدية جديدة وامتاز بالصدق والامانة فاتسع نطاق اعماله واتسعت ثروتهُ فبلغ طول الخطوط الحديدية المنوطة به ادارتها اكثر من ١٨٠٠٠ ميل وبلغ دخلهُ اليومي منها نحو الف ومئتي جنيه عدا عن دخله من اعماله الصناعية . وتحت امره الآن ثلاثون الف عامل تبلغ اجورهم ثلاثة ملايين من الجنيهات في السنة ولهُ ١٥٠٠ قاطرة و ٤٠٠٠ مركبة من مركبات الركاب و ٨٠٠٠٠ من عربات البضائع وتبلغ ثروتهُ التجارية وثروة شركائهِ اكثر من ١٧٠ مليون جنيه ولهُ شغف بالفنون الجميلة وفي منزله اثمن الاثاث وكثير من صور المصورين المشهورين مما تقدر قيمتهُ بالملايين من الفرنكات

(٨) عائلة استور ملوك الاملاك العقارية

وهي العائلة الوحيدة التي لم تستعمل الاحتكار والمضاربات في جمع الاموال . اصلها الماني هاجر مؤسسها جون استور الى اميركا واقام سنة ١٧٩٠ في نيويورك يتاجر بالآلات الموسيقية فنجح كثيرًا . وكانت نيويورك اذ ذاك مدينة صغيرة وحولها اراض واسعة فبلغهُ ان كثيرًا من هذه الاراضي معروض للبيع فباع مخزنهُ وجمع ما لهُ من الاموال واشترى ارضًا بخمسة وعشرين الف جنيه ثم زاد عليها ارضًا اخرى بعد ذلك . وعلم ان مصير تلك المدينة الى النمو والعمران فجمع اولادهُ قبيل وفاتهِ واستحلفهم ان لا يبيعوا شيئًا من اراضيهم مهما كانت الحال فحافظوا على وصيتهِ وكان ذلك سبب ثروتهم

وكان من جون استور حينما اشترى تلك الارض انهُ باشر حالاً بناء المنازل فيها ولما كانت نيويورك تنمو بسرعة كانت اجور المنازل فيها ترتفع ايضًا فيزيد استور البناء وشراء الاراضي الجديدة حتى قال عنهُ معارفهُ انهُ يشم رائحة الاراضي الموافقة لبناء المنازل على بعد الف ميل ولو كان مصابًا بزكام شديد

واتفق ان احد اصحاب الاملاك اراد المهاجرة الى المكسيك فاشترى استور املاكهُ بنحو خمسة عشر الف جنيه ومن ثم اتسع نطاق ثروتهِ . ولو اقتصرنا في حسابنا على الارض التي اشتراها اولاً بخمسة وعشرين الف جنيه وشيد فيها المنازل الشامخة لوجدنا ان دخلها يبلغ اليوم نحو اربعة ملايين من الجنيهات وكلها واقع الآن في قلب المدينة فهي اشبه بساحة الاوبرا في القاهرة . ولم يقتصر اولادهُ على ذلك بل اضافوا الى اعمالهم تسليف النقود برهون

على عقارات فاذا جاء الميعاد ولم يدفع الدائن استولوا على العقار المرهون

وقد حسب بعضهم كيفية نمو ثروة هذه العائلة فرأى ان موءسسها جون استور كان يمتلك نحو اربعين الف جنيه في اوائل هذا القرن ثم بلغت ثروة ابنهِ اربعة ملايين جنيه وبلغت ثروة حفيديهِ اربعة عشر مليوناً من الجنيهات . وترك هذان الحفيدان خمسة اولاد بلغت ثروتهم ٥٦ مليوناً من الجنيهات وترك هؤلاء ١٣ ولداً تبلغ ثروتهم الآن ٧٥ مليوناً من الجنيهات وهي في زيادة مستمرة . ولا يدخل ضمن هذا المبلغ ما ذهب الى الاصهار صداقاً او انتقل الى غيرهم بطريق الارث ولا ما صُرف في شراء الاملاك خارج نيو يورك كالقصر الذي اشتراهُ وليم ولدروف استور في انكلترا بنصف مليون جنيه وهو يسكنهُ الآن . وثروة هذه العائلة هي نتيجة عمران الولايات المتحدة وخصوصاً مدينة نيو يورك

(٩) تشارلس فايروَل ملك المزارعين

واصلهُ من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا . حدث منذ اربع عشرة سنة ان سكان ولاية تكساس وهي اكبر الولايات المتحدة مساحة واقلها سكاناً بالنسبة الى مساحتها ارادوا بناء دارٍ لمجلس نوابهم ولم يتيسر لهم تدبير المال اللازم فاتفقوا على ان تشارلس فايروَل واخاهُ وبعض الماليين يبنون لهم الدار المطلوبة مجاناً واعطوهم عوضاً عما انفقوهُ ارضاً واسعةً طولها مئتان وستة وستون كيلو متراً وعرضها ثلاثة وثلاثون كيلو متراً اي نحو مليوني فدان . وهي غاية في الخصب بعضها اراضٍ زراعية وبعضها مراعٍ للمواشي فاعتنى فايرول بهذه الارض وحوَّطها بسياج من الاسلاك المعدنية وبنى فيها البيوت للمزارعين وحفر الآبار واقام عليها المضخات وبنى الطواحين ووضع فيها مئة وعشرين الف رأس من البقر واكثر من الف وخمسمائة حصان ولا يزال اكثر هذه الارض غير مزروع ولكن العمل في اصلاحها جارٍ بسرعةٍ . وقد قدروا انهُ لا تمضي بضع سنوات حتى يصير دخلها نحو اربعمائة الف جنيه في السنة فاذا حسبنا ان دخلها ١٠ في المائة من ثمنها تكون قيمتها اذ ذاك نحو اربعة ملايين من الجنيهات مع ان صاحبها لم يدفع شيئاً من ثمنها سوى الثلاثين الف جنيه التي صرفها في بناء دار لمجلس نواب الولاية . والظاهر انهُ استأثر بها وحدهُ دون شركائهِ

ومن نوادرهِ انهُ لا يسمح لمزارعيهِ بالمبيت داخل المساكن بل يبيتون كلهم في الخلاء وينتقلون من محل الى آخر فتتبعهم عربات المؤونة والمهمات اينما ساروا

(١٠) كلارك

ومن اغنياء اميركا المعدودين المستر كلارك وهو من الذين جمعوا المال بجدهم واجتهادهم .

ولد في بلدة فلاحين في بنسلفانيا سنة ١٨٣٩ وتعلم الهندسة . وسنة ١٨٥٧ هرع الناس الى كالفورنيا لاستخراج الذهب فلم يتمكن من الذهاب مع من ذهب لفقرهِ فاشتغل وجمع شيئاً من المال وعزم على المهاجرة مع اخوتهِ سنة ١٨٦٠ لكنهُ مرض ثم بعد شفائهِ عين معلماً في مدرسة احدى القرى المجاورة وبقي فيها اقل من سنة ثم سافر الى كولورادو حيث اشتغل اولاً بالزراعة ثم بالتعدين ثم بالتجارة حتى جمع نحو الف جنيه فاشترى شيئاً كثيراً من الزاد وسار الى بلدةٍ من ولاية مونتانا اشتهرت بغنى معادنها فجعل يبيع الزاد للعملة . وغلا ثمن الزاد حتى بلغ ثمن الرطل من البطاطس خمسة فرنكات ومن التبغ ثلاثين فرنكاً وثمن البيضة خمسة فرنكات وقس عليهِ. فجمع بذلك مالاً وافراً واشترى معدن ذهب وفضة ودفع ثمنهُ مبلغاً وافراً ولما شرع في العمل بهِ لم يجد للذهب اثراً ورأى ان مقدار الفضة زهيد جدًّا لا يفي ثمنهُ بنفقة استخراجهِ فندم على ما فعل وظن ان البائعين غشوهُ بهذه الصفقة الخاسرة حتى دخل عليهِ ذات يوم احد عمال المعادن القدماء وقال لهُ لماذا اقفلت هذا المعدن . فقال اتهزأُ بي ألا تدري ان اصحابهُ غشوني واخذوا دراهمي وهربوا فاني لم اجد في المعدن اثراً للفضة ولا للذهب فاجابهُ العامل ان هذا معدن نحاس والنحاس الذي فيهِ كثير بنسبة ١٥ في المائة اي في كل مئة رطل من الصخر والتراب خمسة عشر رطلاً من النحاس

وكان طول ارض هذا المعدن نحو ٥٥ متراً وعرضها نحو ثلاثين متراً فاستخرج منهُ كلارك في سنتين ثلاثين مليون رطل من النحاس وهو اليوم من اغنى معادن النحاس في العالم وربح منهُ حتى الآن نحو مليون ونصف من الجنيهات وثمنهُ في الوقت الحاضر نحو مليونين . ولهُ معادن أُخرى اهم من هذا المعدن بكثير وبنك كبير كثير الربح

ويسكن كلارك في مدينة نيويورك وقد بنى ضريحاً لزوجتهِ انفق عليهِ اكثر من ثلاثين الف جنيه . وهو يبني لنفسهِ منزلاً في نيويورك سيكون من اعظم ابنية تلك المدينة فقد صنعت رسومهُ في فرنسا على شكل المباني المعروفة بطراز لويس الرابع عشر وسينفق نحو مئة الف جنيه على نقشهِ من الداخل ويبلغ كل ما ينفقهُ على بنائهِ ونقشهِ اكثر من مليون جنيه . واراد حديثاً ان يشتري احدى الصور الشهيرة وكان جولد قد دفع بها ثمناً باهظاً فزاد كلارك حتى رسا عليهِ المزاد بنحو ثمانية آلاف واربعماية جنيه

نسيم برباري

[المقتطف] الظاهر ان كلارك هذا هو غير جونس كلاك الذي وهب مدرسة كلاك التي انشأها مليوناً ومئتي الف ريال على ما ذكرنا في الصفحة ١٨٩ من المجلد الخامس والعشرين من المقتطف

الكونت تولستوي الروسي

(تابع ما قبله)

اثبتنا في الجزئين السابقين وصف الحالة التي يُرى فيها الكونت تولستوي في مصيفهِ حيث يقضي نصف السنة مع الفلاحين يشاركهم في اعمالهم ويثبت اقوالهُ بافعالهِ . ونحن مثبتون الآن وصف الحالة التي يُرى فيها في دارهِ بمدينة موسكو حيث يقضي النصف الآخر من السنة اي فصل الشتاء يقابل الزوَّار و يشرح لهم آراءهُ و يراجع كتبهُ التي الَّفها و ينقحها و يقرأ مسودات طبعها . زارهُ الكاتب لونج الانكليزي منذ سنتين في مدينة موسكو و كتب عن هذه الزيارة ما ملخَّصهُ قال

ان كل ما كُتب عن تولستوي حتى الآن كتب عنهُ وهو في مصيفهِ يسنايا پوليانا ولم يكتب عنهُ شيء وهو في دارهِ بموسكو لان الرجل الذي تراهُ في موسكو ليس تولستوي نفسهُ بل ظلهُ ترى فيها الرجل النظري لا الرجل العملي فلا تفهم حقيقة آرائهِ وتعاليمهِ الاَّ في مصيفهِ حيث يقرن العلم بالعمل والقول بالفعل . والناس في الغالب قوَّالون لا فعَّالون فاذا رأيت رجلاً فعَّالاً يفعل كما يقول ويعمل كما يعلّم فاعلم انهُ من النوادر التي يتوق المرء الى معرفتها ولذلك كثر قصَّاد تولستوي الى مصيفهِ ووصفهم اياهُ فيهِ حيث يرونهُ يفلح الارض ويحصد الغلال و يربي المواشي ويصنع الاحذية ويعلم الاولاد واما تولستوي النظري الذي يسطر آراءهُ في كتبهِ ويصححها وينقحها فقلَّما يعرفون من امرهِ شيئًا

وهو يقيم في موسكو فصل الشتاء كلهُ كما تقدم ولكن كانهُ ليس من اهلها حتى رجال العلم والفضل فيها لا يعرفون من امرهِ كثيرًا . اقمت فيها شهرًا ولم اسمع من اخبارهِ ما يشفي الغليل فكان البعض ينسب اليهِ امورًا في حد الغلو ويقول غيرهم ان الحكومة الروسية عازمة على نفيهِ قريبًا ويقول آخرون بل ان ولاة الامر راضون عنهُ لانهُ يقاوم آراء المادبين الشائعة بين تلامذة المدارس

والظاهر ان اهل بيتهِ لا يدعون الناس يقابلونهُ الاَّ من ندر منهم لعلمهم انهم اذا اباحوا لكل احد ان يدخل و يراهُ ضاع وقتهُ كلهُ في مقابلة الزوار لكن للاجانب امتياز حيث كانوا لقلة عددهم . وقد بلغني ان الكونت يرحّب بالانكليز خاصةً ولعلَّ سبب ذلك قلة من يراهُ منهم فسمح لي بزيارتهِ حالما طلبتها . وبيتهُ في اطراف المدينة على نحو نصف ساعة في وسطها وهو من البيوت القديمة يشبه من ظاهرهِ بيوت التجَّار وحالما دخلتهُ رأيتُ في دارهِ كثيرًا من

اردية ضباط الجيش معلقة فيها كأنهم كانوا زوّارًا في تلك الساعة . والبيت دوران وغرفة الكونت حيث يقيم ويستقبل زواره في الدور الاعلى لكن لابدَّ لمن يدخل اليها من ان يمرّ في كثيرٍ من غرف البيت لان الغرف تنفتح بعضها الى بعض لكي تتوزّع الحرارة فيها على السواء . وقد رأيتها في زيارتي الاولى وزياراتي التالية غاصة بجمهور الزوّار من الطابقة العليا في المدينة وهم يلعبون العابًا مختلفة وتبدو عليهم سيماء البهجة والحبور كأن زوجة الكونت واولاده لا يشاركونهُ في آرائهِ بل يعيشون مثل سائر الناس الذين من طبقتهم . وفي هذه الغرف من القماش والرياش ما في بيوت الطابقة العليا من الروسيين فكأنَّ تولستوي يحلل اقتناء هذه الحطام ولو كان لا يشارك في استعمالها . ووصلت الى غرفتهِ فوجدتها صغيرة فيها اثاث بسيط ولكن لا الى الدرجة القصوى . فيها خزانة للكتب ومقعد وكراسي وطاولتان عليهما كتب وجرائد . غرفة رجل يطلب الراحة و يزدري الفخفخة لكنها تخالف سائر الغرف التي مررت فيها مخالفة كبيرة فكأن غرفتهُ مثلهُ واما بيتهُ فمثل العالم الذي يعيش فيهِ . عالم حقيقي لا ينكرهُ ولا يستطيع الانقطاع عنهُ بل لا بدَّ لهُ من السير فيهِ كما لا بدَّ لهُ من المرور في غرف بيتهِ قبل الوصول الى غرفتهِ وبذلك امتاز على كل المعلمين لانهُ وفَّق بين الآراء الفلسفية والمصالح المادية او لم يدع الواحدة منها تلاشي الاخرى

ومنظرهُ ينطبق على ذلك فانهُ منظر رجل حكيم كبير العقل ولكنهُ ليس منظر رجل متخيل متفلسف . رأيتهُ بقميص الفلاحين كما رآهُ غيري في مصيفهِ ولكن لا شيء من المشابهة بينهُ وبين فلاحي الروس فهو معتدل القامة عريض الانف واسع المنخرين غليظ الفم واسع الجبين صغير العينين غائرهما تتلألأ عيناهُ تحت حاجبين كثين تدلُّ ملامحهُ على انهُ حاد الطبع فيهِ شيءٌ من دم التتر لو هذَّب لحيتهُ وشاربيهِ لظهر وجههُ مثل وجوه ضباط القوازق لا مثل وجوه الفلاحين الودعاء

لما دخلت غرفتهُ لم يكن فيها ثم جاء مسرعًا بعد بضع دقائق ومعهُ نسخة من المجلة البيضاء الفرنسوية واوراق كثيرة تحت ابطهِ فحيَّاني وجلس في كرسي كبير وشرع يذمُّ قصةً كان يقرأها حاسبًا اني قرأتها قبلهُ . وهو يحسن التكلم بالانكليزية لكن لهجتهُ فيها روسيةٌ ثم أخذ يسألني عن غرضي من زيارة روسيا ولما وجد اني اتكلَّم الروسيةَ لم يعد يكلمني الأَ بها وكلامهُ فيها بسيط فصيح جدًّا خالٍ من التصنع يلحقهُ بالنكات الادبية والامثال ويميل فيهِ الى لهجة الفلاحين حتى اذا عرض ذكر المظالم والمغارم صعد الدم الى وجههِ واحتدَّ في كلامهِ كأَنهُ خُلق ليحارب الظلم والبطل ويدافع عن العدل والحق . وهو سموح لا يعارض مَن يخالفهُ

في الرأي ولكنهُ غيور لا يحتمل المقاومة والمعارضة ولا سيما اذا عارضهُ احد في المبادىء العامة. واذا تكلّم عن شيء يكرههُ تكلّم عنهُ بالاحتقار والازدراء

وقد علمتُ من امرهِ انهُ ينهض باكرًا ويشتغل في كتبهِ ودفاترهِ ولا يقابل زوارهُ الاَّ في المساء ويعاملهم كلهم معاملة واحدة اقارب كانوا او اباعد اغنياء او فقراء . وهو جلود على الشغل ينقح ما يكتبهُ مرارًا ثم ينقح مسوداتهِ كثيرًا حتى يفضل الطباعون ترتيب حروفها ثانية على تصحيحها ويساعدهُ اولادهُ في نسخ ما يكتبهُ . وهو لا يحتمل ان ينتقد احد آراءهُ في كلياتها ولكنهُ يسرُّ بانتقاد الجزئيات ويرغب فيهِ

ولما زرتهُ المرَّة الثانية رأيتهُ وقد اتمَّ كتابة كتاب الى البعض من اعضاء مجلس النواب الاسوجي وكانوا قد كتبوا يسألونهُ عن رأيهِ في دعوة القيصر الى عقد مؤتمر السلم فاجابهم ان ما عرضهُ القيصر باطل ولا يمكن العمل بهِ لان الحكومات الحاضرة لا تستطيع ان تبطل الحروب ولا ان تخفف ويلاتها . ثم قرأ لي جوابهُ وكان كلما قرأ فصلاً منهُ يقف ويقول لي افهمتَ مرادي حتى أتي على آخرهِ فقال هذا ما ارتأيهِ في مؤتمر القيصر فانهُ كلهُ سخافة ورياء لا غير . ولا تستطيع الحكومات الحاضرة ان تبطل الحروب ولا تريد ابطالها لان الحروب ليست عرضًا طارئًا عليها بل هي جزء جوهري من قوامها لازم لوجودها فاذا قلتُ ان هذا المؤتمر رياء برياء لا اعني ان الحكومات التي اشارت بهِ واشتركت فيهِ قصدت ان ترائي قصدًا ولو كان عملها رياء . اذا قلتَ انك عازم على تغيير شيء لا يغيَّر ما لم تغير طبعك وانت غير عازم ان تغير طبعك فانت مراءٍ. فاقتراح القيصر رياء وقبول حكومات اوربا بهِ رياء ومنهم من يعتقد نجاحهُ وكأن الحكومات تريد ان تخفي اعراض دائها لكي تحوّل اذهان شعوبها عن العلاج الشافي لكنها لا تفلح في ذلك ولا يستطيع هذا المؤتمر ان يقلل الحروب ولا ان يقلل مضارها . اذا تسلح رجلان وكان كلٌّ منهما يعتقد ان مصلحة الآخر ضد مصلحتهِ فلا يأمن احدهما الآخر ولا يركن اليهِ ولا يصدق كلامهُ اذا عاهدهُ على السلم لانهُ لو صدَّق كلٌّ منهما الآخر لما بقي داعٍ للسلاح . واذا استطاعت الممالك ان تعيش بالسلم من غير ان يكون عند كلٍّ منها مليون جندي تستطيع ان تعيش بالسلم من غير ان يكون عند كلٍّ منها الف جندي لان القلة لا تمنع الحروب اذا كانت الكثرة لا تمنعها . لما حوصرت سفستوبول رأى البرنس اورسوف ان احد الحصون أُخذ واستُردَّ مرارًا فقال للقائد العام دعنا نطلب من الاعداء ان يعينوا رجلاً منهم يلاعب رجلاً منا بالشطرنج فمن غلب كان الحصن لهُ . ولا شبهة في ان القائد ضحك من هذا الاقتراح لانهُ يعلم ان الفريق الذي يخسر الحصن بالشطرنج لا يكف عن

استرجاعهِ بالسلاح اذا استطاع . والناس يفصلون خصوماتهم بقتل بعضهم بعضاً لا بلعب الشطرنج لان الغالب هو الذي يُثخن في خصومهِ ويضطرهم الى الكف عن مقاومتهِ . والمغلوب يتربَّص بغالبهِ الفرص حتى اذا استقوى واستضعف خصمهُ عاد الى الاخذ بالثار . وقد يضع المؤتمر قواعد وقوانين لمنع الحروب ولكن هذه القواعد والقوانين لا تمنع دولة من ان تدَّعي ان خصمها هو الذي نكث العهود اولاً

وقلت لهُ ان الحكومات قد لا تمنع الحروب ولكنها تقلل مضارها . فقال هذا وهم ورياءٌ من الذين يدَّعونهُ ومصلحتهم قائمة بابقاء الحروب وقد قلت انهُ رياءٌ لان الغرض منهُ اقناع الناس بان مضار الحرب يمكن ان تقلَّ كثيرًا فانك ترى الحكومات تمنع استعمال الرصاص المنفجر لانهُ يجرح ولا يقتل حالاً ولكنها لا تمنع استعمال الرصاص العادي مع انهُ كثيرًا ما يجرح ويؤلم والسبب الحقيقي لمنع الرصاص المنفجر انهُ لا يقتل حالاً فلا يفي بغرضهم وهو التنكيل بعدوهم حتى يضطر الى التسليم والخضوع . ولذلك لا اريد ان ينجح هذا المؤتمر ولا انا معتقد بنجاحهِ وان نجح فيكون منهُ ضرر لانهُ يحول افكار الناس عن الحل الحقيقي الذي يمكن العمل بهِ في كل مكان وهو ان يخضع كل انسان لضميرهِ والضمير يقول لهُ ان قتل الناس غير جائز فاذا اقتنع كل انسان بذلك بطلت الحروب من نفسها وعجزت الحكومات عن اثارتها

فقلت لهُ ولكن هبْ ان امةً من الامم اقتنعت بصحة رأيك وعملت بهِ فلا ينتظر ان امم العالم كلها ترى رأيها حينئذٍ وتفعل مثلها وهب ان امة من هذه الامم اعتدت على الامة الاولى وحملت عليها أفلا تضطر الامة الاولى الى حمل السلاح للدفاع عن نفسها

فقال لا لانهُ يجب عليها ان لا تقتل غيرها والواجب واجب كيفما كانت الحال

وكنت اقرأُ كتاباً لاحد الروسيين اقام مؤلفهُ الادلة الكثيرة على ان الحرب تجارة خاسرة ولا بدَّ من ان تبطلها الدول لهذا السبب . وبلغني ان هذا الكتاب اثَّر في القيصر تأثيرًا شديدًا وانهُ هو الذي دعاهُ الى اقتراح عقد المؤتمر . وليس في الكتاب دليل واحد ادبي على وجوب ابطال الحرب بل كل ما فيهِ ادلة عملية على ان الحرب تجارة او مضاربة لم يعد منها ربح بسبب الاحوال الحاضرة فصار تركها واجباً من هذا القبيل . فسألتُ الكونت عن رأيهِ في هذا الكتاب وكنت احسب انهُ يلوم المؤلف ويقول انهُ اخطأ خطاء فظيعاً لانهُ لم يذم الحرب من باب ادبي ويطلب منعها لانها غير جائزة بالذات اما هو فلم يقل ذلك بل قال انهُ كتاب كثير الفكاهة والفائدة ولا بدَّ من ان ينفع كثيرًا اذا قرأهُ كل احد

وهذه اول مرة تجلَّى لي فيها تولستوي كرجل نظري وعملي في وقت واحد . ثم اتضح لي ان

نظرهُ الى الكليات يختلف عن نظرهِ الى الجزئيات فاذا نظر الى الامور الكلية التفت الى المبادىء الاصلية ولم يحد عنها شعرةً ولا قبل فيها معارضةً واما اذا نظر الى الجزئيات تساهل فيها وتسامح وراعى احوال الزمان والمكان

وافاض الكاتب بعد ذلك في الكلام على آراء تولستوي الدينية وتفضيلهِ الروسيين على غيرهم لانهم لا يزالون على السذاجة الفطرية البعيدة عن مساوىء العمران ولما ذكر لهُ الكاتب مزايا العمران الاوربي وما فيهِ من الروابط التي تكفل للناس راحتهم ورفاهتهم قال لهُ ان هذا العمران لا يصلح لروسيا ومن اكبر الخطإ ان نحاول النسج على منوالهِ. ومن رأي الكاتب ان تأثير تولستوي في روسيا قليل جداً الآن

وزارهُ المستر اندرو هويت العالم الشهير سفير اميركا في بطرس برج وفي المانيا وذاكرهُ في مواضيع مختلفة وبقي يتردد عليهِ الى ان عجم عودهُ وعرف خلَّهُ وخمرهُ وكتب عنهُ الآن مقالة مسهبة في مجلة مكلور ومما عزاهُ اليهِ انهُ لا يحسب النساء اهلاً للقيام بالمهام السياسية مطلقاً. وان من اكبر المشاكل الآن كثرة الاهتمام بامر النساء ومطالبهنَّ. واعتراضهُ الاكبر على المرأة انها لا تستطيع ان تضحي مصلحتها لاجل غرض من الاغراض العامة النافعة. وقال انهُ لا يعرف الاَّ امرأتين او ثلاثاً من اللواتي ضحين انفسهنَّ لمصلحة عمومية. والمرأة لا تعمل بمقتضى العقل غالباً بل تراها دائماً ميالة الى الخرافات والاوهام كالاعتقاد بالارواح والطب الهوموباثي وما اشبه

وقال المستر هويت انهُ رأى تولستوي يختلف عن كل الرجال المشهورين الذين لقيهم بافتقارهِ الشديد الى تحوير الآراء الذي ينتج عن مقابلة كثيرين من بلدان مختلفة وموازنة آرائهم بعضها ببعض. فان لكل امرءٍ اراء ومذاهب خاصة بهِ فاذا اقتصر على التفكير بها ولم يقابلها بآراء غيرهِ صارت في نفسهِ كالولد المدلل الذي لا يحتمل اقل مقاومة وصار يراها عين الكمال خالية من كل عيب. وختم المستر هويت مقالتهُ بقولهِ

" اننا نرى هنا رجلاً نابغةً يحتقر العلوم كلها ويحث الناس على الرجوع الى الفطرة. يحرّم الزيجة وهو متزوج وعائش مع زوجتهِ على اتم الوفاق ولهُ ١٦ ولداً. لا يحسب اسكيلوس ودانتي وشكسبير من نوابغ الشعراء لكنهُ يحسب ادين بالو من نوابغهم ولا يحسب ميخائيل انجلو ورفائيل من مشاهير النحاتين والمصورين ويفضل عليهم اناساً خاملي الذكر. ولا يحسب بتهوفن وهندل وموزارت وهيدن من كبار الموسيقيين ويفضل عليهم اناساً لا نعرف اسماءهم. ولكن هذه السخائف وامثالها تنسى حالاً ويبقى من ذكر تولستوي ما امتاز بهِ من سمو الافكار ونبالة المقاصد

هذا يبقى منهُ على كرور الدهور وبهِ تستنير بلاد الروس ومنهُ تستفيد

وكتب تولستوي حديثًا في مجلة اميركا الشمالية يصف اصول الشرور فقال ان الغنى لا ينال بالعناء والاجتهاد بل بالغش والخداع وها ترجمة كلامهِ

"ان الفلاح الذي يفلح ارض غيرهِ ويبتاع ضروريات الحياة بالثمن الذي يُطلَب منهُ لا يستطيع ابدًا ان يصير غنيًّا مهما كان مجتهدًا مقتصدًا. واما الرجل الشريف المبذّر الذي يتسرَّب في مناصب الحكومة او ينال الحظوى لدى اربابها او يصير مرابيًا او صاحب معمل او بنك او تاجر خمر او يقتني بيتًا للمومسات فهذا ينال الغنى من اقرب طريق وامثلة ذلك كثيرة حولنا"

ثم قال "على مَ نرى الرجال الاقوياء الماهرين المعتادين التعب هم والفريق الاكبر من بني البشر يخضعون لاناس ضعفاء الابدان لرجال اخناث او شيوخ عجزة . لماذا نرى الاقوياء يتعبون لهؤلاء الضعفاء . لان الضعفاء قد امتلكوا الارض وخيراتها والمعامل وما فيها . والحق الذي يمتلك بهِ الغنيُّ الارض ويجني ثمار ما يتعب بهِ غيرهُ لا ينطبق على مبدإٍ من مباديء العدل والانصاف وما هو الاَّ اغتصاب تؤيدهُ القوة الحربية

وقد صار العمال آلات لقهر اخوانهم بصيرورتهم جنودًا للحكومة وآلات في يدها للقتل والفتك . وما دام الناس يحللون قتل غيرهم تبقى الجنود في يد رجال الحكومة اي في يد فريق صغير من الناس ويبقى هذا الفريق مستعينًا بهم على ابتزاز الاموال من الذين يكسبونها بعرق جبينهم . وشرٌّ من ذلك ان رجال الحكومة يفسدون جمهور الناس ولولا ذلك ما استطاعوا التسلُّط عليهم وابتزاز اموالهم . واصل كل الشرور ما رسخ في الاذهان من ان تجنيد الجنود لقتل الناس ليس اثمًا بل هو شرف كبير وعمل نبيل لذلك لا تزول الشرور من الدنيا بتحرير الفلاَّحين ورفع الضرائب وتكثير الآلات والادوات ولا بابطال الحكومات الحاضرة بل بابطال كل تعليم ديني يجيز للناس ان يحملوا السلاح لقتل غيرهم"

وغنيٌّ عن البيان ان اقوالاً مثل هذه لا يترك قائلها وناشرها لا سيما وان لكلامهِ وقعًا كبيرًا في النفوس ولذلك حرمهُ المجمع المقدس في بلاد الروس لاعتقادهِ انهُ ضلَّ عن سبيل الهدى. ولم يغظ هذا الحرم تولستوي لانهُ هو لا ينفي صحة الدين بل يقول ان دعاتهُ ضلوا عنهُ وعلَّموا الناس تعاليم منهم لا منهُ . واما زوجتهُ فاغتاظت من هذا الحرم وكتبت الى رئيس المجمع المقدَّس تعترض على ما فعل وتلومهُ لومًا شديدًا . واعتصب التلامذة وذهب خمس مئة منهم الى كنيسة قازان وطلبوا ان يحرَموا مثلهُ ولذلك أُتبع الحرم بمنشور يقال فيهِ ان سبيل

الخلاص لا يزال مفتوحاً امامهُ اذا تاب ورجع عن ضلالهِ

اما هو فكتب كتاباً مسهباً الى القيصر يعترض فيهِ على نظام الحكومة الحاضر و يطلب مطالب كثيرة للاصلاح وهاك بعض فقراتهِ

اليكم نرفع خطابنا باولاة الامور من القيصر واعضاء مجلس الحكومة الاعلى والنظار الى اقارب القيصر اعامهِ واخوتهِ وكل الذين يستطيعون ان يحكموهُ . اليكم نرفع خطابنا لا كاعداء بل كاخوان مرتبطين معنا ارتباطاً متيناً (اردتم ذلك او لم تريدوهُ)حتى اذا حلّت بنا البلايا اصابكم شيءٌ منها . ليس اللوم على الذين يثورون بل اللوم كلهُ عليكم لانكم لا تفتشون الأعن راحتكم ورفاهتكم وقد كان الواجب عليكم ان تفتشوا عن سبب الثورة والشكوى وتزيلوهُ . والناس مسالمون بالطبع لا يطلبون الخصام والعداء بل يفضلون الوفاق والمسالمة فان كانوا قد ثاروا عليكم الآن وطلبوا الايقاع بكم فلا يكون ذلك الأ لانهم وجدوكم مانعاً يمنع عنهم وعن الملايين من اخوانهم اعظم نفع يطلبهُ الانسان في هذه الدنيا وهو الحرية والعلم . وغاية ما يُطلب منكم لكي لا يبقى سبيل لثورة العامة عليكم وهو نافع لكم ايضاً لاجل راحتكم وسلامتكم هذه الامور الطفيفة وهي

اولاً . المساواة بين الفلاحين والعمال وغيرهم من اهل الطبقات العليا (في امور ذكرها بالتفصيل مثل الغاء القوانين التي تربط العمّال باصحاب الاعمال واعفاء الفلاحين من الاموال الاميرية التي تأخرت على غيرهم ومن اخذ الجواز اذا ارادوا الانتقال من مكان الى آخر .ومن تقديم الخيل والعلائف لرجال الحكومة ولا سيما رجال البوليس ومن العقاب بالضرب)

ثانياً . الغاء الحكومة العرفية التي تلجأُون اليها آونةً بعد أُخرى فتسلطون على الرعية اناساً ظالمين فاسقين سخاف العقول الخ

ثالثاً ازالة كل الموانع التي تمنع تعليم اولاد العامة لكي يتحرَّر جمهور الروسيين من ربقة الجهل . والجهل اكبر معين للحكومة على الاستبداد بهم

رابعاً واخيراً اطلاق الحرية الدينية

والكتاب طويل وعلى كل بند من هذه البنود شرح مسهب فاجتزينا بما تقدَّم . و يظهر منهُ ان تولستوي اعتدل كثيراً فصار يحسب للحكومة حساباً كبيراً و ينتظر منها نفعاً عميماً اذا عملت بمشورتهِ . وهذه المطالب التي طلبها معقولة كلها وان خلت منها مملكة الروس لا يخلو منها سواها من الممالك الاوربية . ولا بدَّ من ان تنتفع بلادهُ نفعاً كبيراً باقوالهِ وتحيي ذكرهُ مثل ذكر اعظم المصلحين الذين اصلحوا شؤُون الناس

المدرسة الكلية والعلم العملي

لما جاء الدكتور اليوت رئيس مدرسة هارفرد الجامعة الى هذا القطر منذ بضع سنوات ورأى مدارس الحكومة المصرية اقترح عليهِ ناظر المعارف ووكيلها ان يكتب تقريرًا مسهبًا عما يراه لازمًا لهذه المدارس فكتب التقرير المطلوب وبعث الينا بنسخة منهُ فترجمناه ونشرناه في المقتطف . واهمُّ ما فيهِ ان لا بدَّ من قرن العلم بالعمل في مدارس الحكومة العلمية والاَّ كان العلم عقيمًا . ويسرُّنا ان مدرسة قصر العيني الطبية ادركت هذا الامر وقد شاهدنا تلامذتها بالامس يشتغلون بالتحليل الكيماوي والبحث الميكروسكوبي كما ينتظر منهم

ومن المدارس التي ادركت ذلك قبل غيرها في ديار المشرق المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فان اساتذتها وتلامذتها حاولوا قرن العلم بالعمل من حين نشأتها ولا يزالون جارين في هذا المضمار

لما دعي كاتب هذه السطور لتدريس الفلسفة الطبيعية في تلك المدرسة قال لهُ رئيسها أتدري ما ذكرني بك حينما احتجنا الى من يدرّس الطبيعيات فقال لا فقال الرئيس هو انك لما كنتَ تتعلم هذا العلم ووصلت في درسك الى مطحنة باركر في فرع السائلات صنعت مطحنة حسبما هو مشروح في الكتاب فقلت في نفسي ان تلميذًا يقرن العلم بالعمل من تلقاء نفسهِ لحريٌّ بان يُندب الى تعليمهِ وبقي ذلك في ذاكرتي الى الآن

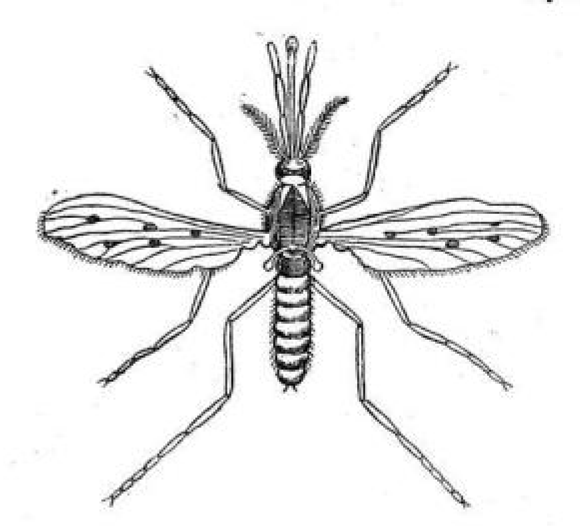
وبمثل ذلك يُرغب تلامذة المدرسة الكلية في قرن العلم بالعمل لكي ترسخ قواعد العلم في نفوسهم ففي القسم العلمي يمرّنون على الانشاء والخطابة ويحثون على البحث والتنقيب في كتب العلم والفلسفة ولذلك يكثر اختلافهم الى مكتبة المدرسة ومطالعة ما فيها من الكتب العلمية والادبية حتى اذا وصلوا الى العلوم التي تقتضي المشاهدة كعلم النبات وعلم الحيوان جعلوا يطوفون في الحقول والمزارع يقتلعون النباتات ويجففونها ويبوّبونها حسب انواعها وعيالها ويضربون في الفيافي ويخوضون لجج البحار يجمعون الحشرات والدبابات ويشرحونها ليروا تركيب ابدانها. ولولا خطأ ارتكبهُ اصحاب هذه المدرسة يوم قرَّ قرارهم على ان لا يكون احد من اساتذتها من الوطنيين لانقطع بعض الوطنيين الآن الى الاشتغال بالعلم وحققوا وكشفوا كثيرًا من القضايا العلمية التي تخلد اسمهم واسم مدرستهم في تاريخ العلوم الطبيعية. وان قيل لماذا لم يفعل اساتذتها الاميركيون ذلك قلنا ان هؤلاء لا يقيمون فيها الاَّ سنين قليلة ثم يتركونها

غالباً قبلما تقوى رغبتهم في العلم ويتمكنون من البحث العلمي واما الذين اقاموا السنين الطوال فيها كالمرحوم الدكتور فان ديك والدكتور بوست والدكتور لويس والدكتور بورتر فان كلاً منهم اشتغل بفرع او اكثر وجمع وحقق ما تفتخر به كل مدرسة كلية . وكان اكثر اشتغال الاول بالفلك والمتيورولوجيا والثاني بالجراحة والنبات والثالث بالجيولوجيا والرابع بالاركيولوجيا وجمعوا المجاميع الكبيرة الشاهدة لهم بعلو الهمة وطول الباع . وقد توفي الاول واستعفى الثالث و بلغنا ان خليفتيهما سارا في خطتيهما ووسَّعا نطاق مباحثهما ومجاميعهما . ومَن كان في ريب من ذلك فليشاهد معارض المدرسة الكلية او فليفتح كتاباً علمياً مثل كتاب نبات سورية وفلسطين فانهُ يجد فيهِ اسم الدكتور بوست وارداً مراراً كثيرة بجانب النباتات التي سبق غيره الى اكتشافها وشرحها او ليفتح الكتب العلمية المختلفة التي الَّفها اساتذة المدرسة الكلية وتلامذتها والمجلات العلمية والادبية التي انشأُوها

واكثر العلوم اعتماداً على العمل علم الطب ولذلك تجد اساتذتهُ وتلامذتهُ يشتغلون بتطبيق قواعدهِ على العمل يومياً في غرف المدرسة وفي المستشفى الالماني القريب منها . ترى في الصورة التي صدَّرنا بها هذا الجزء رسم بناء القسم الطبي حيث تدرَّس العلوم الطبية وهو بناء جميل متين قائم على اكمة مطلقة الهواء تعرّش اللبلاب على وجههِ الغربي فزاد منظرهُ مهابة فيهِ مشهدان وسيعان في كلٍ منهما مقاعد في شكل دوائر متراكزة يعلو بعضها بعضاً كالمشاهد الرومانية القديمة يجتمع التلامذة فيهما لاستماع الخطب ومشاهدة العمليات والامتحان في الدروس . وفي غرفهِ المختلفة معمل الزولوجيا والبكتيريولوجيا ومجاميع التشريح والجراحة والباثولوجيا والزولوجيا والمترالوجيا . وقد رسمنا في الشكل الاوسط من الصورة غرفة المجموع الجراحي وما فيهِ من الحصى والعظام ونحوها مما استخرجهُ استاذ الجراحة في العمليات الجراحية . وفي الشكل الاسفل المعمل الزولوجي حيث يدرس التلامذة ابنية الحيوانات واوصافها بالنظر فيها و بتشريحها بايديهم . وهذا هو الدرس المفيد الذي يرسخ في الذهن و ينبه قوى العقل ويقويها ولا سيما قوَّتي الانتباه والاستدلال . هذه خير صورة شاهدناها لطلبة العلم في مدرسة من المدارس الجامعة ولم نعنَ بنشرها و بكتابة هذا الشرح الوجيز لكي نمدح المدرسة الكلية بل لكي نحث اصحاب المدارس الاخرى في مصر والشام على ايجاد الوسائل التي يقترن بها العلم بالعمل في مدارسهم حتى ترسخ الحقائق العلمية في اذهان الطلبة وتنمو فيهم ملكة البحث والاستقصاء وطلب الادلة والوقوف عند الحقائق وبغير ذلك لا يصير في الشرق الرجال الذين يستعزُّ بهم و يجاري امم المغرب

بعوض الحمَّى في بيروت

جاءنا من بيروت نبأٌ كنا ننتظرهُ منذ شهور ونعجب من تأخُّر اساتذة المدرسة الكلية عن تحقيقهِ . فقد نشرنا في المقتطف الصادر في شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٨٤ اي منذ ١٧ سنة ما يدلُّ على علاقة البعوض بالحمَّى الملاريَّة . ثم اثبتت التجارب الحديثة في الهند واوربا وافريقية ان لنوع خاص من البعوض علاقةً سببيةً بالحمَّى الملاريَّة اي انهُ يلسع المحموم وينقل جراثيم العدوى منهُ الى السليم مع ما يمتصهُ من دمهِ كما اوضحنا ذلك في العام الماضي وما قبلهُ في مقالات عديدة

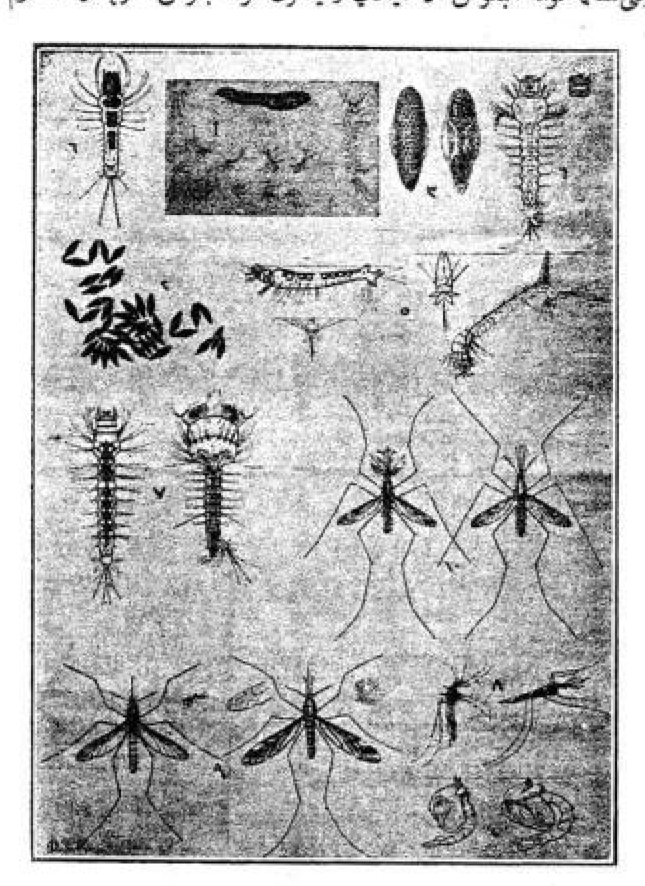


(الشكل الاول)

وهذا النوع من البعوض قليل جداً قلَّما يتولَّد حول منازل الناس . ويختلف عن البعوض العادي ويمتاز عنهُ امتيازاً بيناً بنقط سوداء على جناحيهِ كما ترى في الشكل الاول المرسوم هنا فانهُ صورة بعوضة منهُ مكبَّرة كثيراً لكي يظهر جناحاها ونقطها ظهوراً واضحاً . و يمتاز عنهُ ايضاً في وضع بيضهِ في الماء فان البعوض العادي يجمع بيضهُ بعضهُ مع بعض في شكل قارب مقعَّر يطفو على وجه الماء و يرتفع عنهُ قليلاً كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الثاني المرسوم

ههنا واما بعوض الحمَّى فيضع بيضهُ متفرقاً كما ترى فوق الرقم ٢

وفي هذا الشكل صور اخرى تظهر فيها سائر الفروق بين بعوض الحمَّى والبعوض العادي فترى على جانبي الرقم ٤ في اسفل الشكل مما يلي اليمين صورة عُومتين في الحالة الزيزية او الشرنقية اليمنى منهما عومة البعوض الاعتيادي واليسرى عومة بعوض الحمى. وعند الرقم ٦ صورة



(الشكل الثاني)

عومة بعوض الحمى اليسرى صورتها حالما تخرج من البيضة واليمنى بعدما تنمو . وعلى جانبي الرقم ٧ عومتان اليسرى منهما لبعوض الحمى واليمنى للبعوض الاعتيادي

والفرق بين هذه العوّم واضح جدًّا فان عوّم بعوض الحمّى تختلف عن عوّم البعوض العادي في بنائها وغذائها وشكل وقوفها في الماء فتقضي اكثر وقتها عند سطح الماء وفي ذنبها انبوب للتنفس قصير جدًّا فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ ورأسها يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجه الماء ولون هذه العوم اسمر قاتم يكاد يكون اسود والظاهر ان جسمها خفيف ثقلهُ كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب . واما عوّم البعوض العادي فتصعد الى سطح الماء للتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها وجه الماء ثبتت تحتهُ مائلةً على زاوية حادةً كما ترى الى يمين الرقم ٥ وتبقى هناك لحظة من الزمان ثم تغوص في الماء تفتش عن شيء تأكلهُ وتعود الى وجه الماء كل دقيقة او دقيقتين وكأنها اثقل من الماء فتضطران تتلوَّى حتى تستطيع الصعود الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء ولونها رمادي ضارب الى الصفرة . وكل ما شاهدناهُ في بيروت من العوّم كان من هذا القبيل وقد كنا نراقبهُ ساعةً بعد ساعة ويوماً بعد آخر من حين يوضع بيضاً في الماء الى ان يصير بعوضاً ويطير وكنَّا نأتي بقواربهِ من بركة في المدرسة الكلية ونربيها في آنية زجاجية مغطاة بشباك دقيقة لكن البيض الذي كنا نجمعهُ من البيوت في رأس بيروت كنَّا نراهُ متفرقاً على وجه الماء لا مجموعاً في شكل قوارب فهل كان من بعوض الحمّى او من البعوض العادي ذلك ما لا سبيل لنا الآن الى تحققهِ ولم يكن الفرق بين هذين النوعين معلوماً حينئذٍ

وكما يختلف بعوض الحمى عن البعوض العادي في وضع بيضهِ وشكل عوّمهِ يختلف ايضاً في شكلهِ نفسهِ وشكل وقوفهِ على الحائط فترى تحت الرقم ٨ بعوضتين واقفتين على حائط قائم اليسرى واقفةً موازية لهُ وهي من البعوض العادي واليمنى واقفة عمودية عليهِ وهي من بعوض الحمى . وعند الرقم ٩ بعوضتين آخريين اليمنى منهما جناحاها مرقطان وليس كذلك اليسرى واليمنى قرنان طويلان على جانبي خرطومها واما قرنا اليسرى فقصيران جدًّا . وللذكر من بعوض الحمى ريش كثير على جانبي خرطومهِ كما ترى فوق الرقم ١٠ فان اليمنى صورة انثى هذا البعوض واليسرى صورة ذكرهِ

وبعوض الحمّى المرسوم ههنا هو بعوض حمّى الربع اي التي تنوب يوماً وتترك يومين والظاهر ان لكل نوع من الحميات الملارية نوعاً خاصاً بهِ من البعوض لكن هذه الانواع

متشابهة في الخواص المتقدمة على ما يظهر اذ لم يميَّز بعضها عن بعض حتى الآن في ما نعلم

وفي ضواحي بيروت مكان يسمى البوشرية ولعل اسمهُ فرنسوي الاصل (امبوشير) معناهُ مصب النهر لانهُ قريب من مصب نهر بيروت حيث كان يصبُّ قديماً وهذا المكان مشهور بالملاريا حتى لا يبيت احد فيهِ و يسلم من الحمى . وفي ساحل بيروت كلام يتناقلهُ الناس وهو " قالت حارة حريك للبوشريا من عجزتِ عنهُ رديهِ عليّ " دلالة على ان هذين المكانين يتباريان في قتل الناس بالحمى ولذلك لا يستغرب وجود بعوض الملاريا فيهما . وقد اتصل بنا الآن ان المستر داي استاذ التاريخ الطبيعي في المدرسة الكلية الاميركية وجد هذا البعوض هناك فلم تبقَ شبهة في انهُ هو سبب انتشارها بهِ

و يصعب على السكان في تلك المخفضات ان يتخلصوا من هذا البعوض لان القنوات التي يجري فيها ماء نهر بيروت لري بساتين الساحل طويلة مستوية اذا انقطع جري الماء منها بين عدّان وعدّان بقي فيها من الماء الراكد ما يكون محضناً لبعوض الحمى وعوّمهِ فيبيض فيهِ ويتكاثر. ولا سبيل لهم للتخلص منهُ الاَّ بتدبير ماء الري حتى لا ينقطع جريهُ من تلك القنوات . ولو تمَّ اجراؤهُ كلهُ في القناة العليا وتفرَّعت منها فروع جانبية على طولها تروي كل الاراضي التي تحتها لبقي الماء جارياً فيها كما في نهر وامتنع تولُّد البعوض منهُ لا سيما وان بعوض الحمى لا يتولد الاَّ في الماء الراكد القليل

تاريخ الفلسفة الحديثة

يعتبر المؤرخون زمن ابتداء الفلسفة الحديثة منذ ظهور الفيلسوفين العظيمين باكون وديكارت وهما اللذان ناصبا الفلسفة المدرسية حرباً عواناً فدكا معاقلتها ونسفا حصونها وجعلاها اثراً بعد عين

على انَّ هذا النصر المبين لم يعقد لهما بنودهُ الاَّ وكانت الايام من قبل ظهورها قد هيأت النفوس واعدت الخواطر للاخذ بناصرهما ولتلبية نداءهما لنسخ القديم نسخاً مطلقاً والنسج على منوال جديد يعتق العلم من رق الحدس الباطل والوهم الفارغ ويجعلهُ حليف الحقائق الراهنة المبنية على الاختبار الطويل والبحث الدقيق

وقبل اطلاق الكلام عن الفلسفة الحديثة وما كان من امرها نذكر تمهيداً لمعة من حالها قبل تقمصها الثوب الجديد وظهورها على هذا الشكل البديع الذي رفع شأن الانسانية واعلى

منارها وادرّ على الانسان من المنافع ما لا يقع تحت حساب

لا يخفى ان سقوط الدولة الرومانية الغربية اسقط معهُ التمدن الروماني واصبحت أُوربا اثر ذلك السقوط في حالة اقرب الى البداوة منها الى الحضارة كما شهد لنا تاريخها وشهادتهُ حق وهي ان انتشار الدين المسيحي في هاتيك الاصقاع وما في تعاليمهِ من المبادىء السامية والآداب العالية دفع عن أُوربا استفحال البربرة والخشونة وامسكها عن التهالك في الجهالة وصيّر مجتمعها الانساني في حالة ارق كثيرًا من حالتها يوم لم تكن بعدُ قد بزغت اشعة الدين المسيحي في ارجائها

ولما عمّ الدين المسيحي اوربا بجملتها نهض نفر من رجالهِ واخذوا في درس الفلسفة وتعليمها وما توالت الايام حتى سنة ٨٠٠ م الأَ وكانت الفلسفة والعلم بيد رجال الدين ودعاتهِ على ان تلك الفلسفة لم تكن الفلسفة اليونانية بتمامها وسائر مذاهبها وطرقها وانما اتخذت عندهم شكلاً خاصًا حيث انحصرت في منطق ارسطو وفلسفة اوغسطينوس . وجملة القول ان هذه الفلسفة لم تكن الأَ الادلة على حقيقة الايمان ولم تكن تتوخى الأَ تلك الغاية وهي خدمة الدين والخضوع التام لهُ وذلك شأن كل فلسفة في بدء امرها ان تكون والدين يدًا واحدةً ثم تنفصل عنهُ تدريجًا وتستقل مع الايام بذاتها. اعتبر ذلك في فلسفة الهند واليونان فانها خرجت من الدين ولكنها لم تخرج منهُ دفعةً واحدةً وانما قضت دهرًا طويلاً حتى تهيأ لها الاستقلال

وليس بالمستغرب خضوع الفلسفة للتعاليم الدينية زمن العصور الوسطى اذ كان كل المجتمع الانساني بسائر شؤُونهِ تحت حكم الكنيسة ومطلق تصرفها . وقد عرفت فلسفة هاتيك الايام بالفلسفة المدرسية ولا يعنى بهذا الاسم الاشارة الى مذهب خاص وانما يراد بهِ الفلسفة التي كانت تُعلَّم في الصوامع والاديرة من القسس والرهبان وسائر القائمين على خدمة الدين

وقد قسم مؤَرخو الفلسفة العصر المتوسط الى ثلاثة ادوار الدور الاول يبتدىء من ايام شارلمان سنة ٨٠٠ م وينتهي سنة ١٢٠٠ م وكانت الفلسفة في غضون هذه الاعوام خاضعة للدين كل الخضوع كما سبق فقلنا واما في الدور الثاني الذي ينتهي سنة ١٤٠٠ م فانها اتحدت بهِ اتحادًا تامًا وهي في كلا الدورين على منهاج واحد وحالة مستقرة اي انها لا تتجاوز في ابحاثها الى ما وراء منطق ارسطو وفلسفة اوغسطينوس . وقد نقل في الدور الثاني بضعة من يهود الاندلس الى أُوربا شيئًا من مؤَلفات ارسطو عن الطبيعة ورسالتهُ عن النفس ونبذًا اخرى من محاورات افلاطون مشروحة شرحًا دقيقًا من نوابغ العرب وفلاسفة هاتيك القرون كابن رشد وابن سينا وغيرهما ومع ذلك ظلت الفلسفة المدرسية صاحبة السيادة المطلقة

ولها المحل الاول

هذه هي الحالة الفلسفية مدى الدورين ولا ريب ان خضوع العقل الإنساني لعلم واحد وبقاءهُ السنين الطوال ضمن دائرة ضيقة لا يباح لهُ الخروج منها ولا التطلُّع الى ما وراءها لَما يذهب بمضاء الذهن ويكسب الخواطر الخمول ويجعلها في حسبان الجماد لان الحركة والنماء من خصائص الحياة

اما الدور الثالث الذي ينتهي سنة ١٦٠٠ م والمعروف بزمن النهضة فيباين الدورين الاولين من حيث انهُ استهلَّ ايامهُ بافتراق الفلسفة عن التعاليم الدينية افتراقاً ضيقاً ثم اخذ ذلك الافتراق بالاتساع شيئاً فشيئاً حتى انتهى الامر باستقلال كلٍّ منهما استقلالاً تاماً . على ان من اسباب هذا الافتراق سقوط الدولة الرومانية الشرقية فانهُ لدى دخول محمد الفاتح الى القسطنطينية رحل كثيرون من علمائها الى ايطاليا والبلاد المجاورة لها ونقلوا معهم اليها الفلسفة اليونانية وسائر فنونها بحيث لم يأتِ القرن السادس عشر الاَّ وانتشرت المذاهب الفلسفية اليونانية القديمة في كل اوربا وانضمَّ تحت لواء كل منها نفر من جهابذة العلماء وخيرة الاذكياء على ان هذا الدور لم يحدث في الفلسفة شيئاً جديداً غير اعادة القديم والتفاني في اتباعهِ وتهيئة الخواطر لاقتبال الانقلاب الفلسفي

ولا جرم ان ذلك الانقلاب العظيم نتيجة لازمة عن النمو المعنوي الذي سُتر في طيات القلوب زمن النهضة ثمَّ تجلى للعيان اوائل القرن السابع عشر بمظهر جديد من القوة غار بها على القديم فزعزع اركانهُ ونسف دعائمهُ نسفاً

هذا وقد انتهت العصور المتوسطة وانتهت معها الفلسفة المدرسية وجاء القرن السابع عشر بفلسفتهِ الحديثة التي من خصائصها المميزة لها الاستقلال فانها استقلَّت اولاً عن علم الدين واتبع كل منهما الغاية التي وضع لاجلها فغاية العلم البحث عن حقائق الموجودات وغاية الدين سامية وهي نشر الحقائق التي فوق الطبيعة والدفاع عنها وصار العلم لهذا العهد مباحاً للطالبين من اي صنفٍ كانوا ولم يعد مخصصاً بدعاة الدين ولا محصوراً في صوامعهم وحسبك ان مؤسسَي الفلسفة الحديثة لم يكونا من خدمة الدين ودعاتهِ بل كان الواحد منهما متشرعاً والثاني جندياً

ثانياً انها رفعت عنها سلاسل التقليد وسعت وراء الحقائق سالكة اليها سبيل الامتحان والاستقراء . ألا ترى انهُ كان في مجرد الاسناد الى كلام سقراط واقوال افلاطون وغيرهما من اقطاب العلم ما يغني عن الحجة القاطعة والبرهان الدامغ كما كان زمن النهضة اي في القرنين

الخامس عشر والسادس عشر فان رجال ذينك العصرين بالغوا في الانقياد الاعمى للفلسفة اليونانية ولآراء رجالها بحيث كانوا يسترسلون لكل قضية قال بها فيلسوف من اولئك الفلاسفة ولو ان الادلة تكذّبها وظواهر الحال تنقضها. وسبب ذلك الغلو في التقليد والمتابعة ظاهر لمن اطَّلع على حالة الفلسفة في اوربا قبل زمن النهضة وعرف مكانها من الخلل ومحلها من القصور ثم نظر الى الفلسفة اليونانية فراها مع ما هي عليهِ تسمو الفلسفة المدرسية من وجوهٍ كثيرة فلا يعجب بعد هذا من تهافت الافرنج على درسها وانزالها من التجلَّة مكاناً رفيعاً وحسبان اقوال رجالها فصل الخطاب في كل بحث فذلك طبيعي في كل امة تتصل بامة تعلوها حضارة وتفوقها ادراكاً ان تأخذ في تقليدها في سائر احوالها وتتابعها في جميع شؤُونها. اما زعماء الفلسفة الحديثة كباكون وكساندي وليبنتيز وسبنيوزا وديكارت ومن جاء بعدهم فلم يستندوا في ابحاثهم الى آراء الفلاسفة المتقدمين ولم يتخذوا كلامهم حجة لتأييد ما يذهبون اليهِ بل لم يكن لها عندهم اقل اعتبار

قلنا ان مؤَسسي الفلسفة الحديثة هما باكون وديكارت فانهما رأَيا انحطاط العلم ووهن اصولهِ ووجوب اصلاحهِ فسعيا الى ذلك جهدهما حتى بلغا الغاية الاَّ ان كلاًّ منهما سلك الى ذلك سبيلاً غير سبيل الآخر فانهما وان اتفقا في سلوك طرق التحليل فقد افترقا بان اتخذ ديكارت شهادة العقل فكان ابا للمذهب الصوري Idéalisme وباكون تخيّر شهادة الحس فحسب ابا للمذهب الحسيّ Sensualisme وسنورد هنا شيئاً من اراء كلٍّ منهما مبتدئين اولاً بباكون لسبق عهدهِ

باكون

هو فرنسيس باكون فيكونت سان البنس وبارون فرولام ولد في لندن سنة ١٥٦١م وهو اصغر اخوتهِ رأى فيهِ ابوهُ منذ نعومة اظفارهِ توقُّد خاطرٍ ومضاء ذهنٍ لا يكونان الاَّ في اعاظم الرجال ونوابغ الدهر فارسلهُ وهو في الثانية عشرة من سنيهِ الى مدرسة كمبردج حيث تلقى العلم ثمَّ خرج منها وأُرسل الى سفارة دولتهِ في باريز ولم يقم هناك طويلاً حتى اضطرَّ الى الرجوع بسبب موت ابيهِ ولأَنهُ لم يتركْ لهُ من الثروة ما يقوم بهِ ولهذا درس الحقوق ليحصل على المال فجعلتهُ الملكة اليصابات محامياً في مجلسها الخاص ثمَّ انهالت عليهِ الالقاب والرتب جزاء تفوُّقهِ وبلاغة عبارتهِ حتى قال فيهِ احد واصفيهِ : لم يكن سامعوهُ يخشون الاَّ انتهاء كلامهِ : وكان في تضاعيف تلك المدة ينشر تآليفهُ الشهيرة التي كان يقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً وتترجم الى لغات كثيرة . ولامور لا محل هنا لذكرها حُكم عليهِ بالسجن ثم عفى الملك عنهُ فانقطع

للدرس والتأليف ومات سنة ۱٦٢٦م وترك في الوجود اسماً عطراً يبقى بقاء الدهر

هذه لمحة من حياة باكون في مظهرها العالمي بقيَ علينا ان نذكر الرجل في مظهره الفلسفي فانهُ اخذ على نفسهِ محو الفلسفة القديمة محواً مطلقاً ولاجل ذلك وضع مؤلفهُ الشهير المعنون Instauratis Magna اي الاصلاح العظيم والكتاب مقسوم الى ستة اجزاء ابان في الجزء الاول منهُ وهن دعائم العلم لذلك العهد ثم ذكر في الجزء الثاني امكنة الضعف وقال بوجوب اتخاذ الملاحظة بدل الحدس والاستقراء عوض القياس واوضح في الجزئين الثالث والرابع انهُ يجب على الانسان الأ يكتفي بالطريقة المار ذكرها بل يتعلم كيف يستخدمها وذلك ان يجمع اولاً بواسطة الملاحظة والامتحان الحوادث الطبيعية ثم يرتقي منها صعداً الى معرفة اسبابها واكتشاف شرائعها العامة ثم يعود نزولاً من الشرائع العامة الى الخصائص الخاصة. وابان في الجزئين الخامس والسادس انهُ لم يأتِ بعد الوقت الذي تعزز فيهِ طريقتهُ بالاكتشاف ثم بيَّن اوجه الفرق بين الفلسفة الحقيقية والعلم المدعوم على اسس واهية وسمَّى الجزء الخامس دليل الفلسفة والجزء السادس الفلسفة الحقيقية

ولم يكن لهُ مذهب خاص في الفلسفة وان حسبوهُ ابًا للمذهب الحسي الجديد وانصرف معظم ابحاثهِ ان لم نقل كلها نحو الفلسفة الطبيعية وانحصر في الطبيعيات جملةً ولم يرَ لهُ في مؤلفاتهِ الكثيرة كلام عن الفلسفة البحتة وانما عرَّفها في بعض مقالاتهِ انها من الآثار القديمة التي ليس في درسها شيء من الفائدة سوى ضياع الوقت عبثاً . ولربما كان استغراقهُ في درس الطبيعيات وسكوتهُ عمَّا سواها من العلوم الفلسفية مما حمل عداتهُ وحسادهُ على رميهِ بالكفر وحسبانهِ من اعداء الديانة كذباً وافتراء وهو على الضد من ذلك فانهُ كان معروفاً لدى مريديهِ بقوة العقيدة تشهد لهُ كتاباتهُ بشدة تمسكهِ بعروة مذهبهِ وطالما كرر العبارة الآتية وهي ان معرفة الشيء القليل من الفلسفة الطبيعية تقود الانسان الى الكفر ولكن التعمق فيها يرجع بهِ الى حظيرة الدين القويم . وليس باكون بالفيلسوف الوحيد الذي قام عليهِ حسادهُ يناصبونهُ العدوان و يرمونهُ بالكفر ظلماً وبهتاناً فكثيرون من قبلهِ ومن بعدهِ ثارت عليهم احقاد الحساد فاذاقتهم مرَّ العذاب

هذا وقد جعل باكون المعارف على ثلاث مراتب وكل مرتبة منها تختص بقوة من قوى النفس فالذي يختص بالذاكرة من المعارف هو العلوم التاريخية على قسميها المدني والطبيعي والذي يختص منها بالمخيلة الشعر وما بقي من الفنون الجميلة والذي يختص بالعقل الفلسفة الطبيعية والعقلية واللاهوت

على ان غايتهُ ان يكون العلم ذا فائدة عملية لا علماً نظرياً بحتاً لا فائدة منهُ غير ملء الذهن بالاوهام الفارغة والتخرصات الكاذبة ولذلك اشار على قومهِ ان ينصرفوا الى درس الطبيعة اكثر من انصرافهم الى درس كتب تلك الايام وان يستشيروا الحوادث بدلاً من استشارة المؤلفين. ثم شنّ على قياس ارسطو غارةً شعواء لم تبقِ عليهِ ولم تذر فنعتهُ بالعقم ورماهُ بالعجز عن ابلاغ الانسان الى اكتشاف الشرائع الحاكمة في الكون. على ان مؤاخذة باكون للقياس من هذه الوجهة مؤاخذة حقيقية لا ريب فيها فانهُ منذ ايام واضعهِ والعلماء يحسبونهُ الآلة الوحيدة للاحاطة بالصحيح وتبيان الحق . وحتى الآن لم نرَ لهُ من الحقائق والاكتشافات ما يحملنا على التمسك بهِ شديداً وانزالهِ منا منزلة الذين اقتصروا من العلم عليهِ وظنوا ان لا حقيقة الاَّ حيث انتظمت مقدمات القياس وكانت الحدود طبق ما رسم الميزان وعرّف المناطقة

ولما كانت غاية باكون تقويض اركان القياس وادالة سطوتهِ رأى من الضرورة ان ينشئ طريقة جديدة تقوم مقامهُ وتكفي الباحثين مؤونتهُ ولاجل ذلك وضع طريقتهُ المسماة بالملاحظة والاستقراء في كتابٍ لهُ يعرف بالقانون الجديد Novum Organum وقد ابدع في تأليفهِ ونسقهُ نسقاً خالياً من الحدس عن مبدإ العالم وكيفية تكوينهِ كما جرت عادة كثير من العلماء قبل زمانهِ وبيَّن فيهِ ببلاغة تسحر الالباب وادلة قاطعة ان للطبيعة نظاماً لا تتعداهُ وليس منهاشيءٌ غير محكوم بشرائع ولا مقيد بنواميس وانها موجودة وحوادثها تقع امامنا ونشاهدها بحواسنا . ثم اسهب في ذكر المنافع التي تحصل للانسان من اكتشاف نظام الطبيعة ومعرفة قواها وان لا سبيل الى ذلك الاَّ في اتباع طريقة الملاحظة والاستقراء وعرّف الملاحظة بانها مراقبة ما يجري من الحوادث مراقبة تامة وتحققها جيداً حتى تميز الواحدة عن الاخرى تميزاً فاصلاً وامتحان كلٍّ منها امتحاناً مدققاً على اوجه مختلفة ومتى تسنَّى لهُ معرفة الحوادث الطبيعية بطريقة الملاحظة والامتحان عليهِ ان يتخذ الاستقراء لمعرفة شرائعها وقواها . والاستقراء هو التوصل الى الحقائق العامة من معرفة الامور الخاصة او هو انتقال الفكر من معرفة الجزئيات الى الحكم على الكليات مثال ذلك اذا شاهدنا ان البرودة جمدت الماء ثم تأيدت تلك المشاهدة بالتكرار وبالامتحان في احوال متباينة وكذلك شاهدنا ان الحرارة اذا اصابت الماء على درجة معلومة حولتهُ بخاراً نحكم حينئذٍ ان ما فعلتهُ البرودة والحرارة في هذا الماء تفعلهُ في كل المياه ومن هذا الحكم ايضاً ننتقل الى حكم اعم بان البرودة والحرارة تفعلان بالزيبق والزيت والحليب ونحوها من السوائل فعلهما بالماء مع اختلاف قليل ثم ننتقل من حكم عام الى حكم اعم منهُ وهو ان كل السائلات تمددها الحرارة وتجمدها البرودة وتلك المشاهدة هي الملاحظة والحكم على العام من

الحكم على الخاص هو الاستقراء

هذه خلاصة طريقة باكون بسطناها اجمالاً . على ان الاستقراء قديم العهد في الوجود بدليل ان هيبوقراط ابا الطب والفلسفة الطبيعية اتخذهُ مشكاة في معظم ابحاثهِ وقد ذكرهُ ارسطو مراراً وعرّفهُ بانهُ نقيض القياس . اما رجال العصور الوسطى فما عولوا عليهِ ولا اتبعوا منهاجهُ بل ظلّ مجهولاً حتى زمن باكون الذي لم يبعثهُ من العدم المطلق بل انما ابرزهُ من الخفاء بمظهر الشباب من القوة والحياة فظهر للعالمين في شكل جديد بالغاً من الإحكام والدقة ما قلب هيئة الفلسفة وغيّر وجه العلم وجاء بالفوائد الغزيرة التي محّصت معارف الاقدمين فاثبتت الصحيح ونسخت الفاسد واضافت اليها حقائق كثيرة ثم اكتشفت النواميس العامة والخاصة المتسلطة على الطبيعة ودفعتها للانسان فاستخدم قواها وحوّل الماء بخاراً تطوى بهِ الفيافي والقفار باسرع من لمح الابصار وسيّر منهُ البواخر في عرض البحر تشق عبابهُ ولا تخاف شدة هياجهِ ولا تخشى تلاطم امواجهِ وذلّت لهُ الكهرباء فجعلت البعيد قريباً فصار الانسان يحادث اخاهُ وهو في مشرق الارض وذاك في مغربها كأنهُ اقرب اليهِ من حبل الوريد وعرفتهُ ماهية البرق فلم يعد يحسبهُ عفريتاً ولا الرعد شيطاناً مريداً واقام لقصورهِ الباذخة قضباناً تقيهِ شر الصواعق اذا انقضت ثم نظر الى الظلمة الدامسة فصير المساء صباحاً

وهذه الكيمياء التي كان للاقدمين فيها من الآراء ما يضحك الثكلى ومن المباحث ما تنبذها عقول صغار الطلبة لعهدنا هذا من نحو بحثهم عن حجر الفلاسفة الذي يحوّل الحديد والقصدير الى ذهب وفضة ومن مثل تفتيشهم عن اكسير الحياة الدواء الذي يدفع عن مستعملهِ الموت والمرض فلما جاءها الامتحان والاستقراء جعلها حقائق راهنة لا يشوبها الخزعبل ولا يعتورها التمويه فدخلت الصناعة فاحيت الصباغة والصياغة والدباغة وعمل الانوار والادهان والتفتت الى الزراعة فحسنت الزرع والغرس وعالجت امراضها فصارت الارض تفيض لبناً وعسلاً وامّت دار الطب فاكتشفت العقاقير الناجعة وحللت مواد الطعام فبينت المفيد منهُ والضار والفاسد من الماء والنقي الى غير ذلك مما يطول بنا شرحهُ ويستغرق المجلدات تعدادهُ

هذا وان لم يكن باكون قد اكتشف اكتشافاً عظيماً يؤيد فيهِ طريقتهُ الا ان فضلهُ عظيم حيث ارشد الباحثين الى الطريق المؤدية الى ذلك فكان كما قال فيهِ احد واصفيهِ انهُ يشبهُ جندياً ينفخ بالبوق لحشد الجند في ساحة الوغى ولكنهُ لا يقاتل بنفسهِ

صموئيل يني



جمعيتان ونادٍ في اسيوط

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اتحد فريق من شبان اسيوط الادباء فأسسوا جمعية دعوها جمعية الاتحاد الادبي واضافوا اليها نادياً للقراءة جمعوا فيهِ اكثر المجلات والجرائد العربية وعدداً كبيراً من الجرائد الانكليزية وافتتحوا هذا النادي يوم الجمعة الواقعة في ٦ الجاري فدعوا وجهاء البلدة وادباءها الى حفلة اقاموها لهذا الغرض فخطب بعض اعضائها في القوم في مواضيع مختلفة وكانت الجمعية قد دعت غيرهم للغاية عينها فاجمع الخطباء على وجوب الاتحاد ونظروا في خير الوسائل المؤدية اليهِ والتي تكفل تقدم البلاد في صناعتها وزراعتها وعلمها

ولمَّا انتهت الحفلة دعا رئيس الجمعية الزائرين لزيارة النادي فأمّوهُ فاذا هو مؤلف من غرفتين لمطالعة الجرائد في كلٍ منهما خوان قد رتبت عليهِ تلك الصحف وغرفة ثالثة وضعت فيها مكتبة الجمعية الصغيرة وغرفة رابعة للسكرتارية ولما كان شرب المسكرات في النادي ممنوعاً بموجب نص قانونهِ فقد اضافت الجمعية اليهِ غرفة أُخرى وضعت فيها المشروبات المحللة والمرطبات لمن يرغب ذلك وتركت دكاناً لطيفاً يشرف على بستان جميل لجلوس من يريد الحديث والمسامرة من الاعضاء

والنادي بسيط الاثاث واقع في نقطة مطلقة الهواء بجانب محطة سكة الحديد والظواهر تدلُّ على ان الاعضاء المؤسسين قد اعتمدوا ان يسيروا في خطة الارتقاء الاكيد فلم يندفعوا الى الاسراف المذموم وهم يرجون لناديهم النمو شيئاً فشيئاً عالمين ان الفائدة انما هي من الاقبال على النادي والمطالعة والاستفادة مما فيهِ من الكتب والجرائد هذا عدا الفائدة الادبية المتحصلة من انضمام هذا الفريق من الشبان واتحادهم لترقية شؤونهم وتعميم المعارف على ابسط الطرق واسهلها

ولما كان تقدير اعمال اولي الفضل من الواجبات رأيت ان اشير هنا الى ما فعلهُ حضرة حبيب بك شنوده من اعيان البلدة مساعدةً لهذا النادي فإنهُ قدَّم منزلاً لهُ مجاناً لستة اشهر حتى ترسخ قدم الجمعية وتستطيع ان تقوم بنفقاتهِ عن سعة وعندي ان وجهاء الاسيوطيين

لا يغمضون الطرف عمَّا لهذا العمل من النفع فيشدون ازر القائمين بهِ بالاسعاف المادي والهدايا من الكتب ونحوها وينشطون مؤسسيهِ الذين قاموا بهذا المشروع غير حافلين بالصعوبات التي تحول دون بلوغهم غايتهم حتى تحققت امانيهم وشروط النادي تمكنهم من القيام بهذه المساعدة ومكتبتهُ في حاجة الى الكتب الكثيرة والقواميس والانسكلوبيذيات والنادي يقبل ما يهدى اليهِ منها بكل شكر وارتياح

وقد شاهدت من اجماع القوم على امتداح هذا العمل واعجابهم بهِ ما يحملني على الظن انهُ سيصادف نجاحاً واقبالاً وان اسيوط ستكون قدوة لغيرها من المدن المصرية فيهِ فتزداد هذه الاندية ليؤمَّها الشبان في ساعات الفراغ ينفقون اوقاتهم في خير الامور وابقاها فيغذون العقول ويكتسبون ما فيهِ النفع لهم ولوطنهم

على اننا نحن الشرقيين مشهورون بسرعة التغيُّر وعدم الثبات وكثرة الانشقاق واني بلسان مجلتكم اعزم على اعضاء جمعية الاتحاد الادبي ومؤسسي ناديها ان يذكروا على الدوام الشعار الذي اتخذوهُ لهما وان يهزأوا بالصعوبات التي تعرض لهم فيظهروا للعالم باسرهِ ان العلم اخذ يثمر في الشرق وان المتعلمين اصبحوا اكفاء قادرين على مجاراة اخوانهم الغربيين واطلب الى الاسيوطيين ان يبدوا في هذا النادي ما هو مشهور عنهم من الثبات وصدق العزيمة

وفي اسيوط جمعية أُخرى حميدة الغاية تضم اليها فريقاً من النجباء وقد علمت ان اعضاءها ساعون في ايجاد مكان مناسب متوسط ليجعلوهُ داراً للمطالعة والقراءة حقق الله آمالهم وبلَّغوا غايتهم فان النجاح قرين الجدّ والثبات

وعندي ان مجلة المقتطف التي خدمت الشرق خدمات علمية وادبية جزيلة لا تتأخر عن النظر في هذا العمل وامثالهِ من باب الارشاد والحث والتنبيه لعلها توقظ الهمم الناعسة بين الناطقين بالضاد كما هي عادتها في مثل هذه الاحوال وعسى سائر الجرائد والمجلات ان توافي قراءها بما يزيدهم علماً بفضل هذه الجمعيات والاندية

اسيوط ٧ يوليو ١٩٠١ خليل ثابت

عربات الاوتوموبيل

اقتراح لغوي

ظهرت بمصر هذه العربات وكثر الآن تحدث الناس عنها بسبب مسابقاتها بين باريس وبوردو وبين عاصمتي الفرنساوية والالمان بل بين القاهرة والاسكندرية فوجب على الذين

يغارون على العربية ان يبادروا بوضع لفظ عربي يدل على هذه العربة قبل ان يشيع اسمها الطمطماني على ألسنة الناطقين بالضاد و يتعذر تلافي هذا الفساد كما استحال استئصال الكثير من الكلمات الاعجمية المبهمة التي رسخت بالرغم عن أُنوفنا في لغتنا الشريفة ونحن ندّعي أننا القائمون بحمايتها وصيانتها

هذا والذي يجول بخاطري من زمان بعيد وقد حانت الآن فرصة التعبير عما في الضمير أنّ معاشر الكتاب وفريق المتعلمين يجب عليهم ان يتكاتفوا لرفع شأن اللغة العربية والسير بها في طريق التقدم العصري لتكون وافية بحاجاتنا في التفاهم والإبان . وذلك بان يقفوا بجانب بعضهم كالبنيان المرصوص حتى يتألف منهم نطاق يشابه نطاق الكمارك والدخوليات لمنع كل كلمة غريبة جديدة من الدخول الى حظيرة لغتهم قبل ان يمحّصوها تمحيصاً وينقبوا لها عن اسم عربي أصيل او موضوع . ويا حبذا لو فعلوا ذلك فرادى اولاً ثم تألفت منهم الجماعات ثانياً فتحقق الفائدة المقصودة بفضلهم و باذن الله

والذي اقترحهُ الآن على عموم المتأدبين ان يوافقوني على اختيار اللفظ العربي المبين للأُوتوموبيل كما وافقوا من قبلُ على استعمال " صحافة " لتعريب كلمة (Presse) دلالة على مجموع الجرائد من باب اسم الجنس و" صحافي " للقائم بخدمة الجرائد و " دراجة " لتلك العجلة التي يركبها الانسان و يسير عليها كالشيطان وهي البيسكليت (Byciclette)

اما اللفظ العربي الاصيل الذي اقترحهُ اليوم لتعريب كلمة اوتوموبيل (Automobile) ومعناها " المتحركة بنفسها " او " الجارية من نفسها " فهو " السيارة " ومن الغريب ان كلمة السيارة قد تجمعت فيها كل المعاني التي يشملها اللفظ الافرنكي وكافة الدلالات المقصودة من تلك العربات . هذا وان مجرد الفكر القليل في " السيّارة " وفي مادتها الاصلية اللغوية وفي تركيبها وفي المعاني التي تدل عليها وفي طائفة من الكواكب خصوصاً يكفي لموافقتي على هذا الاقتراح

لذلك جئتكم راجياً التكرم بعرض هذه اللفظة في جريدتكم " السيارة " ليسير عليها الكاتبون والمعرّبون كما درجوا من قبل على استعمال " الدرّاجة " وعساكم تستعينوا بصحيفتكم البيضاء الكثيرة الشيوع والكبيرة التأثير على ضم صوتكم العظيم الى صوتي الضعيف ليسمعهُ و يصحح لهُ جميع الناطقين بالضاد والسلام

احمد زكي

عن رمل الاسكندرية في ٨ يوليو سنة ٩٠٩ مجلس النظار

[المقتطف] طلب الينا حضرة الكاتب الفاضل ان نضم صوتنا الى صوتهِ لكي نمنع

الدخيل من اللغة اي لكي تمنع عنها احدى طريقتي النمو فان اللغات الحية تنمو بالاضافة اليها من الخارج كما تنمو بالتوسع فيها من الداخل شأن كل الاجسام الحيَّة . وهو مصيب في منع الدخيل حيث لا تدعو الحاجة اليهِ وحيث يسهل الاستغناء عنهُ بكلمات اللغة لئلاَّ تكثر المترادفات فيها فيزيد تعب الذهن في ادراكها على غير زيادة في المعاني ولكن اذا كان الدخيل علماً او قائماً مقام العلم فادخالهُ بلفظهِ خير من محاولة تعريبهِ او ترجمتهِ ان لم يكن واجباً

ولقد كثرت المكتشفات والمخترعات في هذا العصر حتى لو اردنا ترجمة كل الاسماء التي يضعها الاوربيون يوماً بعد يوم لما يكتشفونهُ و يستنبطونهُ من الآلات والادوات والمواد الجديدة وما يصفونهُ من انواع الحيوان والنبات والجماد لضاق علينا نطاق العربية واضطررنا ان نحت منها ونصرف كلمات تربو على كلماتها الواردة في كتب اللغة وتعدُّ بمئات الالوف

وغنيٌّ عن البيان ان المخترع الذي يقضي الايام والاعوام في اختراع آلة واتقانها حريٌّ بان يضع لها الاسم الذي يريدهُ لتعرَّف بهِ . وقد يحاول الكتَّاب تغيير هذا الاسم او ترجمتهُ بما يدلُّ على معناهُ اذا لم يحلُ لهم لفظهُ لكنهم قلَّما يتوخون ذلك في غير المقالات الادبية التي للفظ فيها مقام رفيع تضحَّى لهُ المعاني اما اذا كتبوا كتابة علمية او صناعية او تجارية لم يروا لهم بدًّا من الاعتماد على الاسماء التي وضعها اصحابها خفيفة كانت على اللفظ او ثقيلة معربة او معجمة . وهذا شأن عام للناس في كل العصور فالعرب لما ترجموا كتب العلم عن اليونانية ابقوا على كثير من الاسماء العلمية كالاسطرلاب والدوسنطاريا والقنطاريون ولم تزل هذه الاسماء شائعة الى يومنا هذا حتى في كلام العامة . والافرنج لما ترجموا كتب العلم عن العربية ابقوا على الاسماء العربية كالجبر والمقنطر والنظير

وقد حاول البعض من كتَّابنا ترجمة بعض الكلمات العلمية والصناعية التي وضعها الاوربيون حديثاً كالميكرسكوب والفونوغراف وهم انما يفعلون ذلك حيث المقام الاول للفظ لا للمعنى ولو كان احدهم تاجرًا يبيع هذه الآلات وخطر لهُ ان يكتب على باب مخزنهِ هنا تباع المجاهر والمقاول وكان لهُ مناظر يناظرهُ و بضاعتهما واحدة وكتب هذا على باب مخزنهِ هنا تباع انواع الميكرسكوب والفونوغراف لظهر الفوز للثاني على الاول بعد زمن قصير

وهذا لا ينفي جواز الترجمة والتعريب واستعمال الاسماء المترجمة والمعرَّبة حيث يؤمن اللبس وحيث لا خوف من ضياع المعنى او من ضياع الفائدة . وما دامت العربية واسعة جدًّا وفيها كثير من الالفاظ التي ضاعت مدلولاتها وما دام باب النحت والتصريف فيها واسعين فلا يكون من الحكمة استعارة كلمات كثيرة الاستعمال لتدل على غير ما تستعمل فيهِ ككلمة

سيَّارة التي اختارها حضرة الكاتب الفاضل للدلالة على مركبة استنبطت بالامس وهي مستعملة منذ الف سنة فاكثر للدلالة على نوع مخصوص من كواكب السماء . وهذا الحكم لا يصدق على الدرَّاجة لانهُ اذا اريد بها آلة الحصار فقد بطل استعمالها الآن ولا تجدها مذكورة بهذا المعنى في كتاب من كتب المحدثين الاَّ نادرًا جدًّا واذا اريد بها العجلة التي يدرج عليها الطفل فهي اشبه شيء بالبيسكل فتعريب البيسكل بها من التوفيقات الغريبة . ولو عُرِّب الاتوموبيل بالدوَّامة مثلاً او بالدوَّارة لكان ذلك اولى لان الدوَّامة قليلة الاستعمال في ما وضعت لهُ وهي تدلُّ على حركة مكتسبة تصير ذاتية وتدوم طويلاً . والدوَّارة قليلة الاستعمال بمعناها الاصلي وتدلُّ على كثرة الدوران . ولا بدَّ من الاحتفاظ بكلمة الاوتوموبيل في كل المعاملات التجارية والصناعية . وحبذا لو اختار واضعها كلمة اقل منها حروفًا واسهل لفظًا واقرب الى الاوزان العربية ليسهل تعريبها والنطق بها لكننا لم نخطر ببالهِ يوم وضع هذا الاسم ولا نحن في الوجود شيئًا مذكورًا . وحبذا لو اقترح علينا حضرة الكاتب ان ندعو قراء المقتطف الى تأليف شركة وطنية تنشئ معملاً كبيرًا لعمل الاوتوموبيل اسوة باهالي يابان الذين انشأوا معامل البيسكل في بلادهم وناظروا بها المعامل الاوربية وهم يهتمون الآن بانشاء معمل للاوتوموبيل . ولكن هيهات ان نحذو حذوهم او نجاري اصغر الممالك الاوربية ما دامت اللغة ديننا ومعبودنا

المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

احتفلت المدرسة الكلية في بيروت احتفالها السنوي الثاني والثلاثين في ناديها الكبير مساء الاربعاء في ١٠ يوليو (تموز) فافتتح حضرة الدكتور هنري جسب الاحتفال بقراءة فصل من التوراة والصلاة وخطب منصور افندي جرداق من منتهي القسم العلمي في تقدُّم العمران وازدحام السكان . وسوتيري افندي دوماني من منتهي القسم الطبي في الطاعون ثم نهض حضرة الاستاذ جبر ضومط استاذ العربية والبيان في المدرسة الكلية وخطب الخطبة السنوية وموضوعها سورية فاجاد وافاد كثيرًا . ووزع جناب رئيس المدرسة الدكتور بلس الشهادات على مستحقيها وهم ستة من منتهي القسم الطبي

اسعد سليم ايوب	ومحمد امين يوسف قزعون
وقروبت بابكيان	ونعمة خليل نحو
وسوتيري نقولا دوماني	ونظرت كفورق نعلبنديان

واربعة عشر من منتهي القسم الصيدلي وهم

روبين بدروس اجزاجيان وتوفيق ملحم رعد
وسقراط ابرهيم اماسليدس وجدديه موسى روبوفيتس
واسكندر كيفورق بيراميان وسليم خليل شديد
ورشيد جرجي بدوره وايليا متري صليبي
وملحم موسى جربصاتي ويعقوب ماركوس كولاروس
وناصيف خليل جمل وميخائيل فضل الله نجار
وسليمان اسعد الخوري وتريانتوفيلو قسطنطين لاداكس

واثنا عشر من منتهي القسم العلمي وهم

اسكندر ابرهيم ابو ريحان وامين متري صليبي
ودكران قرهبت اتمكجيان والياس خليل عيساوي
وخالد الياس ثابت ونيقولاوس فلامباس
وسليم الياس ثابت وروفائيل جورج كساب
ومنصور حنا جرداق واسعد نقولا مدري
وعبد الرحمن صالح شهبندر وتوفيق ابرهيم مشاقة

وستة واربعون تلميذًا من منتهي القسم الاستعدادي. والمجموع ٧٨ تلميذًا وهم كل التلامذة الذين تقدموا الى الامتحان الانتهائي

ثم منحت المدرسة الكلية رتبة معلم في العلوم (ارتيوم مجستر) لحضرة الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط وهي اول مرة منحت هذه الرتبة لاحد من ابنائها

والتلامذة الذين نالوا شهادتها هذه السنة مختلفو البلدان من سورية ومصر وحلب وبغداد وعينتاب وبر الاناطول وبلاد اليونان وجزيرة قبرص . وقد عادت بها بيروت الى ما كانت عليه في عهد الرومان مرضعة للعلوم في ديار المشرق

احد ابناء المدرسة

المدارس الانكليزية في الشويفات

احتفلت المدارس الانكليزية في الشويفات احتفالها السنوي في ٢١ يونيو (حزيران) بحضور جم غفير من وجهاء بيروت ولبنان . جرى الاحتفال صباحًا في مدرسة البنات وبعد الظهر في مدرسة الصبيان وقدّمت في كلتيهما الخطب الادبية والمحاورات المفيدة بالعربية

والانكليزية والفرنسوية فاظهر التلامذة والتلميذات تمام البراعة وصفق لهم الحضور مراراً . ولا غرابة في ذلك لان مؤسسة هذه المدارس السيدة لويزا بروكتر ومديرها الاديب انطونيوس افندي سعد ومعلميها ومعلماتها ساهرون عليهم سهر الوالدين على اولادهم يساعدهم على ذلك جمال مكان المدارس وجودة هوائهِ فان الصحة تجود بهما ومتى جادت الصحة قوي العقل وسهل عليهِ الدرس والحفظ . ودام الاحتفال الى الساعة الخامسة بعد الظهر وحينئذٍ خطب بعض الحضور شاكرين حضرة مؤسسة هذه المدارس وحضرة مديرها ومعلميها ومعلماتها وداعين لبيوت العلم بالعمران الدائم

حنا صروف

باب تدبير المنزل

الرضاعة

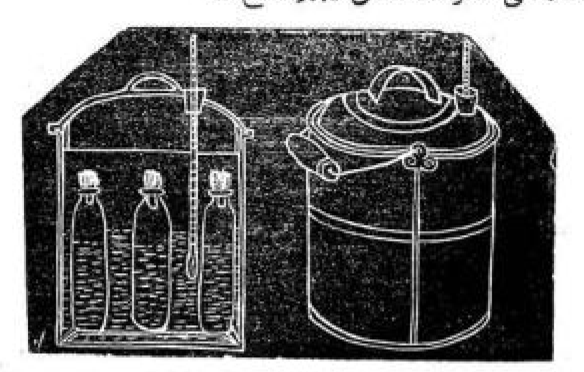
لما اخذنا القلم لكتابة هذه السطور ورد تلغراف روتر من بلاد الانكليز وفيهِ ان الاستاذ كوخ قال في مؤتمر السل ان ميكروبهُ لا يدخل البدن من لبن الحيوان المصاب بهِ ولا من لحمهِ . وهذا قول رجل ثقة تطمئنُّ لهُ قلوب الذين صاروا يحسبون اللبن اكبر عدو لنوع الانسان بعد ان كانوا يعدونهُ صديقهُ الاكبر . لكننا لا نظن الدكتور كوخ قطع بصحة قولهِ فان ميكروب السل يوجد في لحم الحيوانات المصابة بهِ وفي لبنها ايضاً اذا كان التدرُّن في ضرعها فلا يعقل انهُ لا يتصل باللبن ولا انهُ يوجد في اللبن ويكون اللبن سليماً . ثم اذا انتفى وجود ميكروب السل من اللبن لا ينتفي وجود غيرهِ من الميكروبات ولا سيما التي تقع في اللبن بعد حلبهِ وتتصل اليهِ من مزجهِ بماء قذر ووضعهِ في آنية وسخة ولذلك لا يجوز ان يرضعهُ الاطفال اذا تعذَّر ارضاعهم من امهاتهم او من مرضع اخرى الاَّ اذا سخِّن الى درجة تميت الميكروبات منهُ لو كانت فيهِ

ويختار لبن البقر على غيرهِ ويجب ان يكون جديداً وان يحلَّى بالسكر ويمزج بالماء ففي الشهرين الاولين يمزج بضاعف وزنهِ من ماء الشعير ثم يقلل الماء ويزاد اللبن رويداً رويداً حتى يصير اللبن كالماء في الشهر الخامس . ويُصنع ماء الشعير بان يصبَّ رطل (مصري) من الماء على ملعقة صغيرة من مدقوق الشعير ويغلى هذا الماء عشر دقائق . والسكر اللازم هو ملعقة

صغيرة لكل رطل من اللبن وماء الشعير . ولا يضاف السكر الى اللبن الاَّ قبلما يُسقاهُ الطفل بيضع دقائق

ولا يسخَّن اللبن بوضعهِ على النار مباشرة بل يوضع في زجاجات وتوضع الزجاجات في اناء فيهِ ماء يسخَّن على النار كما ترى في هذه الصورة فيسخن الماء ويسخن اللبن . ولا بدَّ من اغلاء الماء ايضاً قبل مزج اللبن بهِ ويحسن ان يمزج اللبن بهِ ثم يسخَّن الاثنان معاً

واذا كان اللبن كثير السمن كلبن الجاموس وجب ان يزاد مقدار الماء الذي يمزج بهِ او ان يترك مدة حتى تطفو القشدة على وجههِ فتنزع عنهُ



ومتى ظهرت اربع اسنان من اسنان الطفل يضاف الى لبنهِ شيءٌ من الطعام كدقيق الارز والسميد والكورن فلور والاروروط وطعام ملن وما اشبه ويحلَّى هذا الطعام بقليل من السكر و يصنع حالما يراد ان يطعمهُ الطفل فلا يترك من يوم الى آخر

واذا أُريد ان يرضع الطفل اللبن بالرضَّاعة تفضل ان تكون حلمتها قصيرة متصلة بفمها حتى يسهل تنظيفها . وتغسل القنينة وحلمتها كما اريد وضع اللبن فيها وكما رضع الطفل منها واتمَّ رضاعتهُ حتى لا يبقى فيها شيءٌ من اثر اللبن . ومن الحكمة ان يكون للطفل رضَّاعتان يستعمل احداها بينما تنظَّف الاخرى . ولا بدَّ من ان توضع الرضاعة في يد الطفل مائلة حتى يبقى عنقها مملوءا باللبن ويجب ان يحمل حينئذٍ كما تحملهُ امهُ وهي ترضعهُ

والارضاع بالرضاعة خير من سقي اللبن بالملعقة لان مصَّ اللبن مصاً يدعو الى افراز اللعاب فيمتزج باللبن و يساعد على هضمهِ واما شربهُ فلا يدعو الى افراز اللعاب

ويختلف مقدار اللبن باختلاف سن الطفل وقوتهِ فاذا كان قوي البنية وعمرهُ من شهر الى ثلاثة اشهر كفاهُ كل مرة نصف رطل من اللبن وماء الشعير اي نحو سبعين درهماً واذا

كان عمره ُ من ثلاثة اشهر الى ثمانية كفاه ُ كل مرة ثلاثة ارباع الرطل اي نحو مئة درهم ولا بدَّ من الاعتناء حتى لا يُغصَب الطفل على الاكل غصباً لان الطعام اذا زاد على الحاجة فمنهُ ضرر كبير . فاذا ترك الطفل الثدي او الرضاعة ولم يعد يرضع فذلك دليل على انهُ شبع . وقد يترك الثدي والرضّاعة اذا اصابهُ مغص ولو لم يشبع ويعالج منهُ بان تقلبهُ امهُ على بطنهِ على يدها اليسرى وتفرك ظهره ُ بيدها اليمنى ثم تعيده ُ الى الثدي او الى الرضاعة فاذا ابى الرضاعة ايضاً فلا يغصب عليها

والطفل الذي يرضع بالرضاعة يُرضَع مراراً كالذي يرضع من الثدي ومتى ظهرت اربع من اسنانهِ يمزج اللبن لهُ بشيءٍ من الطعام كما لو ربي على ثدي امهِ

السندويش

خير طعام يأخذه ُ الانسان معهُ اذا سافر في سكة الحديد او ذهب الى النزهة الخبز المحشو بقليل من اللحم والزبدة وهو المعروف بالسندويش . واذا كان هذا الخبز ابيض جيداً وأُحسن قصُّهُ ووضعُ دقيق اللحم او شرائحهِ فيهِ وكان اللحم ممزوجاً بقليل من الزبدة والتوابل كالخردل والفلفل وما اشبه فهو من اطيب الاطعمة والذي يأكلهُ لا يحتاج الى سكين وشوكة ولا الى صحاف ولا تتسخ يداه ُ فيأكلهُ وهو مسافر او وهو في النزهة ولا يحتاج معهُ الاَّ الى ماء يشربهُ فيكون غذاءه طيباً كافياً

وخير انواع الخبز لعمل السندويش الخبز النمسوي المربع والخبز الاسمر والخبز الرومي الكبير اي الخبز الذي ثقوبهُ صغيرة حتى يسهل دهنهُ بالادام واما الذي ثقوبهُ كبيرة فاذا دُهن بالادام تجمَّع كثير منهُ في ثقوبهِ

وكل انواع اللحم المقلو (روستو) يصلح لعمل السندويش والأولى ان يفرم فرماً ناعماً جدا ويمزج بقليل من الزبدة والخردل والفلفل والملح ويدهن الخبز بهِ من ان يشرَّح شرائح ويوضع في قلب الخبز . وما يصدق على اللحم يصدق على اللسان وعلى اللحم المقدَّد والمحفوظ على انواعهِ . ويحسن ان يضاف الى اللحم قليل من البيض المسلوق او يعمل بعض السندويش باللحم وبعضهُ بالبيض . ولا بدَّ من اضافة قليل من التوابل والبهارات الى البيض ايضاً . ويحسن ان يضاف اليهِ والى اللحم قليل من الخيار المفروم والطماطم المفروم فرماً دقيقاً فيغني عن السلطة . ولحم الدجاج والطيور والسمك تقوم مقام لحم الضان ولحم البقر

وقد يوضع في السندويش زبدة وسردين بعد مزجها بقليل من البقدونس والكرفس .

يفرم البقدونس والكرفس فرماً ناعماً جدًّا و يمزجان بالزبدة والسردين بعد نزع عظامهِ ويدق الجميع في هاون حتى يصير مزيجاً كالعجين فتدهن بهِ قطع الخبز . او يوضع فيهِ زبدة وجبن يبرش الجبن اولاً كما يبرش للمكرونة ويمزج بالزبدة وبقليل من الملح والفلفل والكرفس . ويحسن ان يفرم الخيار المخلل او غيره من المخللات فرماً ناعماً و يضاف قليل منهُ الى كل ما يوضع في السندويش

ويوضع في بعض السندويش مربيات حلوة من مربى المشمش والتفاح والعليق وقشر البرتقال وما اشبه فتقوم مقام الحلوى بعد الطعام

الخبز الجديد والخبز العتيق

جاء في جريدة اللانست الطبيَّة ان الخبز الجديد اعسر هضماً من الخبز العتيق مع انهُ اطيب منهُ طعماً لكن الخبز الجديد لا يكون عسر الهضم الاَّ اذا ابتلعهُ آكلهُ من غير ان يمضغهُ جيداً واما اذا مضغهُ جيداً كما يمضغ الخبز العتيق حتى امتزج بلعابهِ صار سهل الهضم مثل الخبز العتيق . اما الخبز العتيق فلا يستطيع بلعهُ ما لم يلكهُ ويمضغهُ جيداً ولذلك يمتزج باللعاب ويسهل هضمهُ . وهذا سبب الفرق الظاهر بين الخبز الجديد والخبز العتيق من حيث سهولة هضم الثاني وصعوبة هضم الاول

هذا ما ذكرتهُ جريدة اللانست ويقول غيرها ان الخبز العتيق اسهل هضماً من الخبز الجديد لان تركيبهما الكيماوي بين مختلفان . واذا سُخِّن الخبز العتيق صار كالجديد في طيب طعمهِ وبقي سهل الهضم كما كان . ولا يبعد ان يكون قول اللانست هو الاوجه اي ان الخبز الجديد سهل الهضم كالعتيق اذا مُضغ جيداً كما يمضغ العتيق

ليموناضة الاناناس

افتح علبة من علب الاناناس وقطِّع الاناناس الذي فيها قطعاً صغيرة جدًّا واضف اليهِ والى السائل الذي معهُ عصارة اربع ليمونات ونحو اقة ونصف اقة من الماء الغالي وما يكفي من السكر لتحليتهِ حسب المراد واترك الجميع في اناء ثلاث ساعات ثم صفِّهِ واضف اليهِ قليلاً من الثلج

اتقاء النمل

وضعنا اربع صحاف تحت قوائم خزانة كبيرة من اول هذا الصيف حيث يكثر النمل ووضعنا في الصحاف رماداً وقليلاً من المسحوق الفارسي ونحن نضع في هذه الخزانة وعليها من كل انواع الطعام والنمل عاجز عن الوصول اليها



بعض الحشرات وعلاجها

زيز ورق الكرم

هو حشرة حمراء قرمزية اللون رأسها اسود وكذلك قوائمها طولها نصف سنتمتر او اكثر قليلاً على جناحيها غطاء ان مستديران تقع هذه الحشرة على اوراق الكرم فتأكلها او تتلفها ثم تلف ورقة وتصنع فيها عشاً كقمع الخياط وتبيض فيهِ وتخرج صغارها منهُ وتأكل ورق الكرم

العلاج — تهزّ قضبان الكرم فتقع الحشرات عنها وتُقتل واذا كانت على شجيرة اخرى غير الكرم ترش بمذوب اخضر باريس رطل من اخضر باريس في الف وستمئة رطل من الماء يحرك المذوب جيداً ويرش الشجر بهِ بنفخة تدفعهُ اليهِ نقطاً صغيرة جداً. واسم هذه الحشرة العلمي *Rynchites bicolae*

سوس الفول

سوس الفول معروف وهو صغير جدًّا لونهُ اسمر يكاد يكون اسود وعلى غطاء جناحيهِ خطوط دقيقة

العلاج — اذا وضع الفول في ماء سخن مات كل السوس منهُ ولكنهُ لا يعود ينبت اذا زرع سواء كان مخوراً بالسوس او غير مخور واما اذا عولج ببي كبريتيد الكربون مات السوس منهُ وبقيت جرثومتهُ حية اي انهُ ينبت اذا زرع ولو كان مخوراً قليلاً. وهو يعالج بهذه المادة هكذا تصنع صناديق كبيرة من الخشب يسع الصندوق منها مئة قدم مكعبة من الفول اي يكون طولهُ خمس اقدام وعرضهُ خمس اقدام وعلوهُ اربع اقدام ويوضع في اسفلهِ اناء من الخزف يوضع فيهِ رطل من بي كبريتيد الكربون ثم يملأ بالفول ويقفل ويترك كذلك اربع ساعات فهذا السائل يتبخر حالاً ويطرد الهواء من الصندوق ويملأ الفراغ بين حبوب الفول ويقتل السوس الذي فيها ويكون للصندوق فتحة جانبية في اسفلهِ تفتح ليخرج الفول منها. ويتم هذا العمل في الخلاء. ولا يخفى ان بي كبريتيد الكربون سريع الالتهاب فلا يجوز ان تدنى منهُ نار او سيكارة مشتعلة ويجب ان يقف العامل الى الجهة التي تهب منها الريح حتى لا يتنفس بخارهُ واسم هذا السوس العلمي *Bruchus fabæ*

دود الشجر

هو دود صقيل يشبه دود القطن طولهُ اذا بلغ نحو اربعة سنتمترات يظهر في الربيع ويختفي نهارًا تحت الارض ويخرج في الليل ويأكل ورق الاشجار ولا سيما الاشجار المثمرة

العلاج — تلفّ ورقة متينة حول ساق الشجرة وتدهن بحبر الطباعة الممزوج بزيت الخروع حتى لا يجمد ويعاد دهنها مرتين او ثلاثًا في الاسبوع . او توضع قطعة من الكرتون الصقيل حول ساق الشجرة وضعًا افقيًا حتى تكون كالمظلة المفتوحة بالنسبة الى عصاها فان الدود يصل اليها ويعجز عن الصعود على الشجرة . واسم هذا الدود العلمي *Agrotis atomaris*

الدود الكبير

فراش هذا الدود كبير يبلغ اتساعهُ اذا بسط اجنحتهُ عشرة سنتمترات او اكثر جناحاهُ المقدمان اسمران رماديان والمؤخران ورديان حواشيهما سمراء وهو سريع الطيران يطير بعد الغروب و يضع بيضهُ على اوراق العنب وبيضهُ مستدير اخضر باهت يلصق بالورق بمادة غروية . ويكون الدود في اول امرهِ اخضر وعلى مؤخرهِ نتوّ بارز شعري او قرني ثم يتغير لون الدود فيصير اسمر ضاربًا الى الحمرة واخيرًا يتولد على جسم الدودة ستة خطوط الى ثمانية خطوط من النقط البيضاء مائلة على جنبيها ومتى بلغت اشدها تغور في الارض وتستحيل فيها زيزًا ثم تظهر في الربيع التالي فراشة

العلاج حرث الارض قبلما يظهر الفراش وقتل الزيزان منها . واذا ظهر الدود فهو كبير قليل العدد ولا بدَّ من قتلهِ واحدة فواحدة يمسك واحد مقراضًا بيدهِ ويفتش عن الدود وكلما وجد دودةً قطعها بالمقراض

واسم هذا الدود العلمي *Philampelus* اي محب الكرْم

تربية العجول للذبح

لقد شاع اكل لحم البقر في هذا القطر والقطر السامي بعد ان كان اكلهُ قليلاً وصار لحم العجل اغلى من لحم الضان لا لانهُ اطيب منهُ طعماً ولا لانهُ اكثر منهُ غذاء بل لان الناس يقلدون الاوربيين وهؤلاء يفضلون لحم العجل على غيرهِ حتى صارت تربية العجول عملاً رابحًا . وقد كتب المستر تشارلس بروس مقالة في خير الطرق التي تستعمل لتربية العجول وتسمينها نشرها في مجلة الشركة الزراعية وقد لخصنا منها ما يأتي

العجول التي يراد تربيتها للذبح تختار من حين ولادتها وتربى تربية خصوصية . توضع في مكان مظلم لا صوت فيهِ حيث تأكل وتنام ولا تحتاج الى الحركة فتربو قليلة الحركة كأنها مخازن يخزن الغذاء في بدنها . ويجب ان لا تزعج بوجه من الوجوه بل تعوَّد على السكون التام بكل واسطة

وتطعم كل ما يمكنها ان تأكلهُ من الطعام اي يجب ان يكون الطعام زائداً عن حاجتها. ولهم في تربيتها اسلوبان الاول ان تطعم اللبن فقط الى ان تذبح ولكن نفقة ذلك كثيرة جداً. والثاني ان يجعل بعض طعامها لبناً و بعضهُ علفاً . وعلى كل حال لا تترك العجول لترضع اماتها اذا اريد ذبحها لانها تجهد نفسها حينئذٍ في الرضاعة وفي اتباع اماتها اجهاداً يزيد حركتها ويمنع سمنها . ولكن تسقى من لبن امها سقياً سبعة ارطال الى ١١ عشر رطلاً (مصرياً) كل يوم مدة الشهر الاول يضاف اليها رطلان من دقيق الفول او دقيق الذرة في الاسبوع الثاني ثم يزاد مقدار اللبن والدقيق رويداً رويداً كما ترى في هذا الجدول

الاسبوع	ارطال اللبن يومياً	ارطال الدقيق اسبوعياً
الاول	٧	
الثاني	٨	٢ ١/٢
الثالث	٩ ١/٢	٥
الرابع	١١	٦ ١/٢
الخامس	١٢	٨
السادس	١٣ ١/٢	١٠
السابع	١٥	١٢
الثامن	١٦	١٣

ثم يزيد مقدار اللبن فيبلغ في الشهر الثالث ٤٧٦ رطلاً والدقيق فيبلغ ٦٦ رطلاً وفي الشهر الرابع فيبلغ مقدار اللبن ٤٨٠ رطلاً ومقدار الدقيق ٨٢ رطلاً . وجملة ما يطعمهُ العجل في ١٦ اسبوعاً ١٦٠٠ رطل من اللبن و ٢٢٠ رطلاً من دقيق الفول او الذرة وهو يباع حينئذٍ باربع مئة غرش اذا بيع العجل الذي لم يسمن بثمني غرش واللبن يصلح ان يكون مخيضاً كلهُ اي مما نزعت قشدتهُ ولكن الاولى ان يكون نصفهُ فقط مخيضاً الاَّ في الاسبوع الاول فيكون غير مخيض . ويطعم العجل فوق ذلك قليلاً من العسل (دبس قصب السكر) يبتدأ بشيءٍ قليل منهُ ثم يزاد قليلاً قليلاً حتى يبلغ رطلاً وربع رطل في اليوم ولا بدَّ من

اضافة الملح الى طعام العجول فانهُ يقلل طعم الدبس و يساعد الهضم . اما دقيق الحبوب فيطبخ باللبن طبخاً اي يغلي بهِ قليلاً ثم يضاف العسل اليهِ بعد ما يبرد

و يزعم الفلاحون في مصر انهم اذا تركوا العجول مع اماتها زاد لبنها وهذا خطأٌ والعجول نفسها لا تسمن ما دامت مع اماتها ولا يعود تسمينها سهلاً لانها تعتاد كثرة الحركة وكذلك لا تربو صالحة للشغل . نعم اذا اعتادت البقرة ان تدر لبنها وعجلها معها صارت تمتنع عن الادرار اذا أُبعد عجلها عنها ولكنها تمتنع عن ذلك بضعة ايام ثم تعود اليهِ وقد تمتنع عن الادرار اذا غاب عنها من اعتاد حلبها واذا اعتادت ان ترى كلباً او حيواناً آخر وهي تحلب ثم غاب عنها . والعادة المتبعة في هذه البلاد وهي حشو جلد عجل واقامتهُ امام البقرة متبعة في بلدان اخرى ولا بأس بها وهي تغني البقرة عن رؤية عجلها وخير من ذلك انهُ حينما تلد البقرة يبعد عجلها عنها حتى لا تراه ابداً ولا تسمع صوتها ولا تسمع صوتهُ ويبقى مبعداً عنها الى ان تعتاد ان تدر لبنها لكل من يحلبها ويتم ذلك في بضعة ايام ثم لا تبقى صعوبة في حلبها من غير ان يكون عجلها معها

تربية الغنم

دخل القطر المصري في العام الماضي ٨٥ الف راس من الغنم . أُتي بها من سورية وبني غازي وروسيا والقرم وبلغ عددها في العام الذي قبلهُ ٦٥ الفاً ولا بدَّ من ان يزيد عدد الغنم التي تجلب الى القطر المصري عاماً بعد عام ما لم يعتنَ بتربية القطعان فيهِ

وقد بلغنا من كثيرين من ارباب الزراعة ان تربية مئة رأس من الغنم في ارض مساحتها مئة فدان لا يكاد يكلف شيئاً فان الغنم تأكل من فضلات الزراعة وما ترعاهُ من حافات الاطيان واذا أُطعمت قليلاً من الفول والبرسيم فزبلها وصوفها يفيان بما تأكلهُ وباجرة الولد الذي يرعاها ويخدمها وتبقى خلائفها ربحاً . فان كان ذلك صحيحاً فالربح منها يزيد كثيراً اذا زادت العناية بتربيتها وخدمتها

وتلد النعجة وعمرها سنتان ويحسن ان تترك في القطيع ثلاث سنوات ونصف سنة فتلد في غضونها ثلاث مرات ثم تذبح وعمرها اربع سنوات ونصف سنة لان خلائفها لا تحسن بعد ذلك غالباً الا اذا كانت من نوع جيد جداً او ظهرت جودة غير عادية في لبنها وخلائفها فتترك لتلد حملاً آخر او اثنين او اكثر حسب جودتها . واذا كانت سقيمة ولبنها قليلاً او خلائفها سقيمة تذبح حالاً ولو بعد ان تلد اول مرة . ولا بد من فحص كل نعجة قبلما يشال عليها وينظر

في ضرعها ليُرى هل هو سليم او حدث فيهِ تشويه او تقرّح ما وفي اسنانها وفي عموم بدنها وصوفها فلا تُترك للنتاج الاَّ اذا كانت سليمة من كل العيوب

وحالما تفطم الحملان (الرمسان) في اوائل شهر مارس تنقل النعاج الى مراعٍ قليلة المرعى لكي يجف لبنها وتطعم الحبوب وفضلات الخرفان التي تسمن للذبح ثم يزاد علفها في شهر مايو وتطلق عليها الكباش في يونيو والغالب انها تحمل حالاً ومدة الحمل ٢١ اسبوعاً او نحو خمسة اشهر فتلد في شهر نوفمبر حينما يكون المرعى كثيراً

هذا في القطر المصري واما في القطر السوري فيجعل زمن الولادة في الربيع حينما يكثر المرعى والغالب انهُ يطلق كبش واحد على كل ستين نعجة ولكن اذا كانت الكباش كثيرة يفضل ان يطلق الكبش منها على عدد قليل من النعاج وتختار لهُ النعاج التي يراد اصلاح نتاجها بهِ . واذا كانت النعاج صحيحة قوية فالغالب انها تتئم اي تلد اثنين معاً وقد تلد ثلاثة. وتبقى الكباش مع النعاج ستة اسابيع او سبعة ثم يفصل بينها

ستأتي البقية

القطن المصري والاميركاني

نما القطن المصري احسن نمو حتى الآن وظهرت الدودة فيهِ في الشهر الماضي ولكنها زالت منهُ حالاً كأن الحرَّ اماتها قبلما تنمو وتكثر . وقد رأينا اللوز في القطن العفر في آخر يوم من يونيو وهو جيد طويل الشعر ايضاً ودخلنا اطياناً مزروعةً قطناً في الثاني والعشرين من هذا الشهر فكان شجر القطن اعلى منا ولكن لوزهُ غير كثير لقرب اشجارهِ بعضها من بعض . ولا يبعد ان تبلغ غلة القطن المصري هذا العام ستة ملايين ونصف مليون قنطار الى سبعة ملايين اذا سلم من العوارض الجوية والندوة . اما محصول العام الماضي فبلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية حتى السادس والعشرين من شهر يوليو ٥٤٤٣٠٣٨ قنطاراً والوارد من بزرهِ ٣٣١٧٣٢٣ اردباً فزاد المحصول عمَّا قدَّر لهُ كل احد ولكنهُ بقي اقل من محصول العام الذي قبلهُ بنحو مليون قنطار . والموجود من القطن المصري في الاسكندرية الآن ٦٨٧٧٦٤ قنطاراً وكان الموجود فيها في مثل هذا الوقت من العام الماضي ٤٥٨٦١٩ قنطاراً . والموجود منهُ في لفربول الآن ٧٤٠٠٠ بالة يقابلها في العام الماضي ٥٥٠٠٠ بالة

اما القطن الاميركاني فاضرَّ بهِ القيظ الشديد الذي طالت مدتهُ في الولايات التي تزرع القطن وبقيت اسعارهُ مرتفعة الى حين كتابة هذه السطور فهبطت في اميركا وانكلترا وهبط معها سعر القطن المصري نحو نصف ريال ويقال ان سبب هذا الهبوط في سعر القطن الاميركاني هطول الامطار في الولايات التي تزرع القطن

باب التقريظ والانتقاد

كتاب المجال

(1) The Book of the Rolls.

هذا كتاب ديني قديم وجدته السيدة مرغريت جبسن في دير جبل سينا فصورته بالفوتوغرافيا في زيارتها الثانية لذلك الدير سنة ١٨٩٣ ثم اعادت تصويره وتنقيحه في زيارتيها التاليتين سنة ١٨٩٥ و ١٨٩٧ ونسخته وترجمته وطبعته بالعربية والانكليزية وقالت انها ظنته اولاً كتاب آدم وحواء الذي منه نسخة عربية في مكتبة مونخ وقد ترجم من اللغة الحبشية حديثاً فاذا هو ليس كذلك . ثم بلغها انه ترجم سنة ١٨٨٣ وطبع بالسريانية والعربية سنة ١٨٨٨ لكن النسخ التي طبع منها تختلف كثيراً عن النسخة التي وجدتها . وليس على هذه النسخة تاريخ يعلم منه وقت كتابتها ولكن مسز جبسن تظن انها كتبت في اواخر القرن التاسع للميلاد لان خطها يشبه خط كتاب آخر كتب سنة ٨٨٥ للميلاد . والخط متوسط بين الكوفي والنسخي ونظنه اقدم كثيراً مما ظنَّت الاَّ اذا كان كاتبه قد قلَّد به خطاً قديماً متقناً فقد رأينا كتباً مخطوطة قبل هذا التاريخ وخطها اقرب الى النسخي من خطهِ . ثم ان مسز جبسن حسبت المجال جمع مجلة فترجمتها Book of the Rolls ولكن يظهر لنا ان الكلمة مكتوبة مجال وحقها ان تكتب مجالي ومعناها كتاب الرؤى Book of Revelations فان العرب ترجموا سفر الرويا سفر الجليان ونظنهم استعملوا كلمة مجلى ومجالي بهذا المعنى ولو لم نرها واردة كذلك في كتب اللغة

قد الحقت به نسختين من قصة افيقا زوجة يشوع بن سيراخ ولغتها سقيمة جداً ولم تحسن الترجمة بعض الاحيان فترجمت " وكان الفراغ من نسخ كتاب يشوع بن سيراخ وخبر زوجته افيقا " بما معناه ان الفرّج هو الذي ترجم كتاب يشوع بن سيراخ . وترجمت " ثاني يوم عيد البشارة " بما معناه ثاني يوم عيد الانجيل annunciation . وترجمت دمشق المحروسة بما معناه حصن دمشق . لكن الغلط الذي من هذا القبيل لا يحط من اكرامنا لسيدة انكليزية تقضي الايام والاسابيع راكبة على الجمال تزور الاديرة القديمة البعيدة عن السكان لعلها تجد فيها كتاباً عربياً فتنسخه او تصوره وتطبعه على نفقتها وتوزعه على رجال العلم والمكاتب العلمية . جزاها الله خيراً

(1) Edited and translated into English by Margaret D. Gibson M.R.A.S., L.L.D., London C. J. Clay and Sons.

علم الفراسة الحديث

وضع هذا الكتاب حضرة رصيفنا الفاضل جورجي افندي زيدان منشئ الهلال الاغر وقال انهُ اعتمد في تأليفهِ على كتاب لافاتر وكتاب صموئيل ولس وعلى غيرهما من الكتب الافرنجيَّة والعربيَّة وما وقف عليهِ من آراء اهل العلم وما رجع اليهِ من كتب المراجعة كالموسوعات والقواميس والفهارس وما اختبرهُ بنفسهِ او استدلَّ عليهِ بمطالعتهِ

وعلم الفراسة مثل علم السحر والتنجيم من الموضوعات التي يرغب الناس في مطالعتها وتشغلهم سخائفها عن الجواهر واهل الجد يحرمونهُ ويعدون المشتغلين بهِ من المتشردين فقد سُنَّ قانون في عهد الملكة اليصابات ملكة الانكليزية يحكم على من يدَّعي علم الفراسة بان يعرى من وسطهِ فما فوق ويُجلد علانية الى ان يدمى بدنهُ . ونُقح هذا القانون في عهد الملك جورج الثاني " بان كل من يدعي علم الفراسة يحسب متشرداً نصاباً ويجلد علانية ويسجن "

وهذا العلم قديم جدًّا كما قال المؤلف في مقدمة كتابهِ اشتغل بهِ اليونان والرومان والعرب والافرنج ولكنهُ لم يصر علماً حتى الآن ولم يكشف العلماء لهُ الاَّ قليلاً من الاصول العلميَّة من ايام السر تشالس بل الذي وضع رسالة في تشريح الملامح سنة ١٨٠٦ . وقد قام الشهير داروِن بعد ذلك ووضع كتابهُ المشهور في دلالة الملامح على العواطف سنة ١٨٧٢ . واذا اقتصر البحث في هذا الموضوع على ما اثبتهُ داروِن ومن جرى مجراهُ من العلماء فهو حسن مفيد ولكن اذا تجاوزهُ شمل كثيراً من دعاوي المتقدمين والمتأخرين التي لا قيد لها . مثال ذلك ماجاء في هذا الكتاب عن تغضُّن ما بين الحاجبين وهو قولهُ صفحة ٧٠ " اذا اشرف التغضُّن فوق الانف وكان متعدداً كان صاحبهُ متعقلاً حازماً . واذا كان مفرداً دلَّ على شرف النفس والانفة واذا كان مزدوجاً كان صاحبهُ طلاباً للعدل لا يطيق الضيم يحكم بالانصاف ولو على نفسهِ كذلك كان لوثيروس المصلح المسيحي المشهور وكان التغضُّن بين حاجبيهِ مزدوجاً . وافضل الجباه دلالةً على الاخلاق الحسنة عند العرب المعتدلة الموافقة لوجه صاحبها التي ليس فيها تربيع ولا تعجرف ولا هي مسحاة الى الراس ولا مشرفة على الوجه ولا عظيمة . لا صغيرة ولا ضيقة ولا واسعة ولا طويلة ولا جلحاء ولا قصيرة الشعر ولا مستدقة ولا هي مخففة ولا خشنة ولا شعر الرأس مالك اعلاها بكثرة بل مستوية الخلق لينة عالية في وضعها حسنة المنظر نقية من الشامات ومن الخيلان ومن الشعر النابت بها كالزغب "

فالقول الاول عن الغضون وتقدير اخلاق المرء الادبية بعددها يكفي لنقضهِ ان هذه

الغضون تزيد او تنقص في الشخص الواحد تبعاً لاحوالهِ من حيث التعب والراحة وكثرة الاشتغال وقلتهِ ولا تكون فيهِ شاباً بل تظهر اذا اكتهل . وهذا القول مثل كل الاحكام المبنية على الاستقراء الناقص يصدق احياناً ولا يصدق احياناً اخرى لان ليس من علاقة سببية محدودة بين عدد الغضون والاخلاق

والقول الثاني المنقول عن العرب مثل كل الاقوال المبهمة في كتب السحر والتنجيم والحدود منهُ ان صدق مرةً لا يصدق مراراً واي علاقة يمكن ان تكون بين شامة في الجبهة وبين اخلاق المرء الادبية

واكثر ما في الكتاب حسن نافع او لا يضر ان لم ينفع وبعضهُ يضرُّ حتماً لان المطَّلع عليهِ يعتقد صحتهُ ويبني حكمهُ عليهِ فاذا تزوجت امرأة برجل مقرون الحاجبين ثم قرأت في هذا الكتاب ان اقتران الحاجبين " دليل الحسد فاذا رافقهما غور العينين واسودادهما مع خشونة الملامح كان صاحبهما كتوماً عبوساً عاتياً ظالماً سيء الخلق طاعاً " رسخ في ذهنها ان زوجها كذلك وصارت تحمل كل عمل من اعمالهِ على العتو والظلم وسوء الخلق فيقوم الخصام بينهما ويسوء خلق الرجل ولو كان رضياً . كذلك اذا قرأ رجل ما قيل في الصفحة ٣٩ من ان " رقة الشفتين تدل على ضعف عاطفة الحب في صاحبها " وكانت امرأتهُ رقيقة الشفتين اتهمها بضعف حبها لهُ وصار يعزو اعمالها كلها الى ضعف حبها . واذا قرأت امرأة ما في الصفحة ٤٠ عن تدلي الشفة السفلى وبروز العليا وان ذلك دليل النهم والميل الشديد الى الملذات الشهوانية وكان زوجها بارز الشفة العليا متدلي السفلى اتهمتهُ بالنهم والملذات الشهوانية واساءت الظن بهِ ولو كان من اعف الرجال . وقد يحسب المرء انهُ لم يصدق شيئاً مما قرأهُ ولكن لا بدَّ من ان يبقى اثرهُ في ذهنهِ فيتغلَّب عليهِ في وقت يضعف فيهِ سلطان العقل على العواطف . كذلك اذا كانت عينا فتاة وحاجباها مثل المرسوم في الشكل الخامس على الصفحة ٦٤ وقرأ فتى يرغب في خطبتها ما وصفها بهِ المؤلف من انها " غير صالحة للزواج لانها لا ترضي زوجها ولا هو يرضيها ولو كان اغنى من قارون واحكم من سليمان بل هي اصلح للتمريض في المستشفيات او التدريس في المدارس " فانهُ يبتعد عنها وينفر منها. ولا عبرة بما استدرك بهِ المؤلف حيث نصح العزَّاب لكي يتبصَّروا لئلاَّ يخلطوا بين الاشكال او يحسبوا هذه القواعد بلا استثناء فضلاً عما تؤثرهُ التربية والتعليم مما قد يقوم مقام خلق جديد لان القاعدة الاولى ترسخ في الذهن اكثر من هذا الاستدراك ولانهُ عاد فاضعفهُ او نفاهُ بقولهِ " اما اذا ثارت ثائرة الغضب او اتقدت شعلة الحدَّة فيرجع كل خلق الى اصلهِ "

وربَّ قائل يقول ان كانت هذه الامور صحيحة وجب نشرها مهما كانت نتيجتهُ . والجواب ان الادلة على صحتها ضعيفة جدًّا وكلها من نوع الاستقراء الناقص والغالب ان دعاتها يتمسكون بما يوافقهم ويغضون الطرف عمَّا لا يوافقهم ويرون مشابهة تامة حيث لا يرى غيرهم اقل مشابهة

هذا من حيث ما يؤاخذ بهِ حضرة المؤلف لكنَّ في الكتاب حسنات كثيرة ليس من الانصاف الاغضاء عنها فقد جمع فيهِ زبدة ما ذكرتهُ كتب الفراسة وادمج فيهِ اقوالاً كثيرة من اقوال العرب في هذا الموضوع مما يتعذَّر العثور عليهِ في غير المكاتب الكبيرة كالفقرة التي نقلناها آنفاً عن الجبهة . ورصَّعهُ بكثير من الاشعار العربية التي جاء اكثرها منطبقاً على ما ذكرها فيهِ اشد الانطباق كاستشهادهِ على الشمم بقول كعب بن زهير

شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

وبقول الفرزدق

في كفهِ خيزران ريحهُ عبق من كف اروع في عرنينهِ شممُ

وبقول الثعاويذي في دلالة العين

عيناك قد دلَّتا عينيَّ منكَ على اشياء لولاهما ما كنت رائيها

والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

وقول المتنبي في هجاء اسحق بن ابرهيم بن كيغلغ

وجفونهُ ما تستقرُّ كانها مطروفة او فُتَّ فيها حصرم

وقول جواش في قصر القامة

واورثهم شر التراث ابوهمُ قماءة جسم والرواه ذميمُ

وقول كثير عزَّة " شر النساء البحاتر "

واوضحهُ بمئتين واربعة وسبعين رسماً وبينها صور اكثر المشاهير كالفلاسفة والقواد والخطباء والمخترعين والمكتشفين من اقدم العصور الى الآن وهي مزية كبيرة لهذا الكتاب . وحبذا لو خلا مما من ذكرهِ ضرر كما تقدَّم وأُفرغ باقيهِ في قالب الشك او اليقين حسبما يقتضيهِ حال هذا العلم الآن عند العلماء المدققين . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وقد نشر ملحقاً بهِ

شجرة الدُّر

مجلة نسائية علمية ادبية فنية فكاهية تصدر في اول كل شهر بالتركية والعربية لمنشئتها سعديه سعد الدين

خير وصف نصف بهِ هذه المجلة نقل الفصل التالي عنها وهو وارد في الجزء الثاني منها
"الزواج يقيد الامرأة بامور خطيرة فاذا لم تحسن ادارتها هوت بالرجل من شامخ العز والمجد الى قاع الفقر والهوان فان وقع الخطأ وعدم التدبير في ادارة المنزل زالت الثروة وتبددت وان حدث في التربية والتهذيب ادَّى الى ضياع الشرف والاعتبار فالامرأة الحكيمة ترتب الاطعمة وتنظف الملبوسات وتزين المنزل وتؤنقهُ وتشارك رجلها في السعادة والرخاء وتشاطره والضيم والشقاء فتخفف عنهُ الكدر وتسكن روعهُ عند الحدة وتقتصد داخل بيتها وخارجهُ وقايةً واحتياطاً ليوم مظلم يهاجم زوجها فيلقيهِ في العناء وضيق ذات اليد فهي تبالغ في الاقتصاد متحملة كل صعوبة وعذاب لتحفظ بيتها وزوجها ومقامهُ امام الناس كما كان وتجهد نفسها في تسليتهِ فتنشط همتهُ وتوقد غيرتهُ فيجتهد حتى تدب فيهِ روح النشاط وهكذا بحسن ادارتها تنشله من مخالب الدهر وغدره وتحفظ شرفه وكرامته

ثم ان اكثر الرجال لا يسمحون ولا يصفحون عن هفوة تكاد لا تذكر اذا صدرت عن الزوجة ولذلك يعاملونها بالشدة والتحقير ويذيقونها من العذاب الواناً واشكالا فتحتمل المرأة بكل صبر واناءة كاتمة قساوة زوجها وافعالهُ الغير اللائقة حتى عن والديها . وقد نشاهد كثيرين من الرجال الذين لا تقف دناءة انفسهم عند حد تبذير اموالهم وذهاب ثروتهم بل يمدون ايديهم الى مال الزوجة فيسرفون بهِ ويبددونهُ في طرق الدناءة والخيانة وقد يغيب الرجل عن زوجتهِ واولاده ليالي واياماً حتى اذا صحا من سكرتهِ ورأى جيوبهُ فارغة انثني عائداً الى البيت بوجه عبوس فتقابلهُ المرأة بكل لطف واكرام وتصفح عما اتاه وتسامحهُ عما جناه وبحكمتها وتدبيرها تقرر في نفسه حاسات الامانة والشهامة فكانها بذلك تربيه وتهذبه وهو رجل واب وهي امرأة دونه سناً

والخلاصة اننا نرى الرجل محتاجاً في كافة احواله وادواره الى المرأة وسيطرتها فهي التي تخلصه بحسن تدبيرها من كل بليةٍ وتدفع عنهُ اية مصيبة حدثت وقد رأينا اطفالاً فقدوا اباءهم فقامت والدتهم بتربيتهم وتهذيب اخلاقهم حتى بلغوا سن الرشد فشبوا على مبادىء الشرف والمروءة وكانوا عنواناً للادب جديرين باعلى المقامات واشرف الرتب بينما نرى الاطفال الذين فقدوا والدتهم مهملين ولو تزوج الاباء بامرأة ثانية قصد الاعتناء بهم حتى لو غذي الاطفال بلبن الغنم والبقر فالفضل على كل حالٍ للاناث . فاذا تقرر ذلك من جهة غذاء الجسم بقي علينا ان ننظر الى البون الكائن بين التربية المستفادة من الام لدى فقد الآب وبين التربية المستفادة من الآب لدى فقد الام وهنا نترك الحكم لاولي الانصاف وعليهِ فلا شك

ان الرجل محتاج الى المرأة لغذاء جسمهِ وعقلهِ كما تقدم

فالامرأة اذاً صاحبة المقام الاول في الهيئة الاجتماعية وهي التي تترقى بها الممالك وتعمر ويسعد الانسان ويتوفر شرفهُ وتحسن اخلاقهُ وعليها تتوقف نشأة العلم وعلى الجملة فهي روح الانسانية

فقد اوضحت ما هي المرأة وبينت اوصافها ومقامها قبل النظر الى حقها لتصح الدعوى فلا نعتسف بالحكم عليها بحجة الانصاف

وهنا اختم مقالتي هذه الاولى مؤملة من الرجال الذين ختم الله على قلوبهم وابصارهم بنسبتهم الى المرأة العجز وعدم المدارك ان ينصفوا ولا يعيدوا القول "ان المرأة طويلة الشعر قصيرة العقل" فلو كان طول الشعر يؤدي الى قصر العقل لكان الذين يقصون شعورهم منذ ولادتهم اقل عقلاً من اللواتي يرسلن شعورهن بقطع النظر عن قص اللحى والشوارب ولو ارسل الرجال شعرهم كالنساء لطال فراسخ واميالاً ومع ذلك ارجو من فضل هؤلاء ان يدلونا نحن النساء على آلة نقص بها شعرنا وهنيئاً لهم باتباع الازياء والمودة في قص شعرهم وتزيين لحاهم كل يوم مرة او مرتين لكي تزداد عقولهم كمالاً والسلام"

وفصول المجلة من هذا القبيل بعضها باقلام النساء وبعضها باقلام الرجال ومن ذلك مقالة موضوعها القول بالموجب قال كاتبها فيها "اذا كان الافرنج يعيبون الشرقيين بانهم يمتهنون نساءهم و ينسبون انحطاطهم وتأخرهم الى سوء معاملتهم هذا الجنس الموصوف باللطف والضعف فالخطب يسير في جنب ما يصف بهِ الشرقيون النساء عموماً من المكر والكيد والخداع وقلة العقل الى غير ذلك من الصفات التي وضعت شأن النساء وايسر من ذلك في جنب ما يتقولهُ بعض اصحاب السيادة الجارين على خطة التقليد الراغبين في بقاء حجاب الجهل مسدولاً على الابصار والبصائر فانهم يتسترون بالمدافعة عن الدين في بث آرائهم المخالفة لهذا الدين الحنيف ويحتجون بما جرى عليهِ السلف والاحوال تتبدَّل فرُبَّ عادة حمدت في طور استهجنت في آخر ويأبى الله ان يكون الدين المحمدي مانعاً من ارتقاء نصف هذه الامَّة المتوقف عليهِ ارتقاء النصف الآخر وثباتها بجملتها لدى مباراة سائر الامم ونحن نعلم ان هذا الدين لم يبخس النساء حقوقهنَّ وهو انما قام وثبت في بدء امره وانتشر بواسطتهنَّ"

وعسى ان تبقى هذه المجلة ساعية سعياً حميداً فتفيد الفائدة المقصودة منها . وهي باللغتين العربيَّة والتركيَّة ولا ندري ما الفائدة من انشائها بالتركيَّة في هذا القطر بعد ان كادت اللغة التركية تضيع منهُ تماماً

فصل الخطاب في المرأة والحجاب

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي طلعت حرب بدأه بعبارة لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيها "خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن تخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليهِ في هذا وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكنّ في احكامهِ غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث" وهو بمثابة فتوى افتى بها مفتي الديار المصرية

وقد توخى مؤلف فصل الخطاب نقض اقوال قاسم بك امين في كتابهِ الاخير المرأة الجديدة بما جاء في كتاب له قديم ردّ بهِ على دوق داركور. والظاهر انهُ استاء من قول قاله بعض الكتّاب وهو" ان الله اتاح للشرق اثنين بهما اصلاحه احدهما اصلح النصف الاول من الامّة وهو المرحوم جمال الدين الافغاني فانهُ اصلح الرجال والثاني هو صاحب المرأة الجديدة فان بهِ صلاح القسم الثاني" ولا ندري من قال هذا القول ولا نسبة المرحوم جمال الدين الافغاني الى اصلاح الامة لاننا لم نرَهُ ولا قرأنا الاَّ النزر من اقوالهِ واما كتاب المرأة الجديدة فلا شبهة عندنا في انهُ سيدعو الى بحث وتنقيب كثير وتغيير عادة لها شأن كبير في تقدُّم الشرق وتأخرهِ ويستبعد ان يجمع قوم على ضلال اذا بحثوا ونقَّبوا طويلاً

ولا ريب في ان المؤلف بلغ مرادهُ من المقارنة بين كتابي قاسم بك امين واضعف حجج المنتصرين له بما اوردهُ من كتابيهِ من الاقوال المناقضة لاقوالهم حيث ارادوا الدفاع عنهُ. ولكن كتاب المرأة الجديدة غير مساوٍ لما في الرد على كتاب داركور ولو كان مؤلفهما واحداً لأن المرء يستطيع ان يغير رأياً تبيَّن ضعفهُ او فسادهُ وخير له ان يغيرهُ من ان يبقى مصرًّا عليهِ. وكما يغير المرء آراءهُ يغير نظرهُ الى الاشياء بزيادة البحث والتدقيق واطراح اسباب التشيع فيغير اخبارهُ عنها ولا يلام على ذلك قدر ما يلام مَن ينسب كل تأخر تأخرناهُ الى اختلاطنا بالاجانب كما قال المؤلف في الصفحة ٣٦ وما بعدها. وانا نلتمس منهُ ان يقرأ ما جاء في هذا الجزء من المقتطف عن عمران دمشق قبل العصر الذي يشير اليهِ او فليقرأ تاريخ ابن اياس او تاريخ الجبرتي او غيرهما من التواريخ التي يذكر اصحابها حوادث زمانهم كما حدثت في ايامهم ويصفون الموبقات كما كانوا يرونها ويخبرونا عن اسبابها وعن الامم الاوربية التي اوصلتها الينا. لكنهُ احسن حيث قال "لنترك الجدال واللجاج ولنشمر عن ساعد الجد ونبحث عمَّا ينفعنا وطرق الفوز بالمراد ونيل المرغوب" وعسى ان لا ينشد الكتّاب غير هذه الضالة

العذراء الوردية

La Vierge Rose.

يمتاز ابناء المشرق بمقدرتهم على تعلُّم اللغات الاجنبية واتقانها حتى لقد يؤلفون فيها و ينظمون الشعر المكين واكثر ما برعوا فيهِ اللغة الفرنسوية وبالامس كنا نقرأ عن رواية افرنسية نظمها احد السوريين وهي تمثَّل اليوم في مدينة باريس . ولدينا الآن كراسة باللغة الفرنسوية فيها قصة عربية الاصل فرنسوية الوصف والنثر واشعار بديعة الانسجام وخطبة قُدّمت للمرحوم الخديوي السابق وذلك كلهُ من انشاء حضرة الفاضل فريد بك بابازوغلي رئيس قلم الادارة في نظارة الاشغال العمومية كتبهُ وهو فتيٌّ حين خروجهِ من المدرسة بعدان قرأ المؤلفات الفرنسوية البليغة وطلبت نفسهُ الكبيرة الظهور في عالم الانشاء . والظاهر ان اشتغالهُ بمهام منصبهِ في الحكومة شغلهُ عن التأليف فترك هذه المنظومات في زوايا النسيان الى ان اطلع عليها بعض اصدقائهِ فحثهُ على طبعها ونشرها . ونحن نقول مع كل من اطلَع عليها ان ارباب الاقلام خسروا كاتباً بليغاً لكن نظارة الاشغال العمومية كسبت رجلاً ماهراً في ادارة اشغالها كما شهد لهُ رؤساؤهُ ويشهد كل مرؤوسيهِ

الباكورة

وهو تقرير جمعية مساعدة المرضى في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٠٠

بلغت الاموال المجموعة لهذا المستشفى في العام الماضي اكتتاباً وصدقات ٢٧١١٩ غرشاً عدا كثير من الامتعة والاكسية والاطعمة فترى بينها فرشاً وساعات وثياباً مختلفة واكياساً من الطحين والارزوما اشبه . وبلغ الدخل كلهُ من الصدقات والاوقاف ونحوها ٦٤٤١٥ غرشاً وبلغت نفقات المستشفى ٥١٦٦٧ غرشاً ونفقات الصيدلية التابعة لهُ ٦٤٧٦ وبقي في صندوقهِ ٦٢٧٢ غرشاً . ورئيس هذه الجمعية واعضاؤُها من اوجه وجهاء بيروت وهم الخواجات نخله جرجس تويني وديمتري يوسف دباس والياس ربارط ونجيب جهشان وميخائيل مسره واطباء المستشفى الدكاترة اسكندر بك رزق الله وحبيب افندي طبجي ونقولا افندي فياض ونجيب افندي بتلوني ونجيب افندي عفيش ويني افندي باسيلا جزاهم الله خيراً عمَّا ينفقونهُ من مالهم ووقتهم في مساعدة الفقراء

باب المسائل

(١) تربية دود الحرير

قلين . م . ز . س . ما هو احسن كتاب في اللغة العربية او الفرنسوية لتربية دود الحرير

ج ان تربية دود الحرير بسيطة جدًّا لا تقتضي تأليف كتاب وكل ما تقتضيهِ يُشرح في صفحة او صفحتين كما ترون في جوابنا على السؤَال ١٣ في الصفحة ٩٣٩ من المجلد العشرين من المقتطف . وقد وضع حضرة الوجيه خطار افندي ثابت كتابًا في دود الحرير وزرع التوت طبع في مطبعة المقتطف منذ ثلاث سنوات وحضرة الدكتور اسعد سليم كتابًا آخر طبعهُ في بيروت منذ سنتين فعليكم بهما

(٢) المدرسة الزراعية

بيروت . جرجي افندي نقولا باز . باي لغة تعلم المدرسة الزراعية المصرية أبالعربية ام بالانكليزية ام بغيرها وكم نفقة التدريس فيها وفي كم سنة يتم التلميذ دروسها القانونية

ج تدرّس بالانكليزية ويتم التلميذ دروسهُ في ثلاث سنوات واجرة التدريس ١٥ جنيهًا مصريًّا في السنة اذا كان خارجيًّا ويأكل الظهر و ٣٠ اذا كان داخليًّا

(٣) عنوان كارنجي

اسكندرية . احمد افندي كامل مراد . ما هو عنوان المثري الشهير المسيو كارنجي

ج لا نعلم وقد سألنا كثيرون عن عنوانهِ فاجبنا باننا لا نعلم ذلك . والرجل لا يساعد احدًا بمالهِ ولكنهُ يفعل للشعوب والجماعات ما يعلم انهم عاجزون عن فعلهِ وهو مفيد لهم مثال ذلك انهُ اذا علم ان وجود مكتبة عمومية في الاسكندرية مفيد لها وان اهالي الاسكندرية عاجزون عن انشاء هذه المكتبة فانهُ ينشئها لهم ولكن اذا علم ان فيهم من اصحاب اليسار القادرين على انشاء المكتبة فانهُ لا ينشئها ولو علم انها مفيدة لهم

(٤) معاش المستخدمين

ومنهُ . رجل خدم الحكومة خمسين سنة وتوفي تاركًا عائلة ارشدها كفيف البصر فاخذ معاشًا ثلث مرتب والدهِ ثم توفي تاركًا جملة اولاد قصرًا اما تتبرع لهم الحكومة بشيءٍ بقانون بهِ او القانون لا يجيز ذلك

ج لا يوجد قانون يمنع التبرع . وقانون المعاشات في الحكومة المصرية مخيف جدًّا بعيد عن العدل والعقل فان المعاش الذي يستحقهُ الانسان اذا خرج من خدمة الحكومة حقٌّ شرعي لهُ اخذتهُ الحكومة من راتبهِ السنوي وجمعتهُ لهُ عندها كانهُ في بنك التوفير فلا يجوز لها ان تحرمهُ اياهُ بعد موتهِ وان كانت مضطرة شرعًا ان تردهُ لهُ اذا اخرجتهُ

من خدمتها بسبب مرض او آفة او باستغنائها عنهُ وهو قادر ان يسعى لاولادهِ في طلب رزقهم فمن باب اولى يجب عليها ان ترد هذا المال لاولادهِ اذا اخرجهُ الموت من خدمتها ولم يبقَ من يسعى لهم

(٥) معاش الزوجة

ومنهُ . رجل خدم الحكومة ٥٥ سنة وتوفي تاركاً زوجة مقعدة وولدين فاخذ اكبرهما ثلث معاش ابيهِ لانهُ كفيف ولم يأخذ الثاني شيئاً لانهُ بالغ ومتوظف في الحكومة ولم تعطَ الزوجة شيئاً مع ان عمرها خمسون سنة وهي مقعدة لا تستطيع عملاً فما سبب حرمانها

ج لا نعلم ولكننا نرجح انها اذا رفعت شكواها الى نظارة المالية نظرت في امرها وانصفتها

(٦) توزيع الميراث

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . ايهما افضل في نظركم اتوزيع الثروة المخلَّفة عن الآباء على كل من يستحق فيها شيئاً بالسواء او حصرها في اكبر الابناء

ج يظهر من النظر في احوال الامم ان النظام الانكليزي آل الى نجاح الانكليز وحفظ بيوتاتهم اكثر من غيرهِ وهو يقضي باعطاء الجانب الاكبر من الثروة للابن الاكبر واما بقية الاولاد فيعلَّمون ويهذَّبون ويعطون ما يكفيهم من ثروة ابيهم ليكون رأس مالٍ لهم فان كانوا من اهل الفلاح وسعوا في انمائهِ زادت بهم البيوت المثرية وان كانوا من اهل التبذير والاسراف بقي جانب كبير من ثروة ابيهم محفوظاً للعائلة ولاسمها . وخير ما يتركهُ الوالدون لاولادهم ليس المال بل المقدرة على اكتساب المال

(٧) الافاعي الاليفة

ومنهُ . كيف تكون الافاعي اليفة ويمكن استخدامها في قتل الجرذان واتقاء شرها على ما وصفتم في الجزء السادس من مقتطف هذه السنة

ج ان هذا الامر غريب ولكنهُ ليس بعيداً عن التصديق لان جانباً كبيراً من الافاعي غير سام واذا ربيت الافعى صغيرة فلا يبعد ان تصير اليفة . والافعى تأكل الجرذان ونحوها فلا عجب اذا ربيت في البيوت كما تربَّى القطط لهذه الغاية

(٨) التنويم المغنطيسي

ومنهُ . لماذا لا تستعمل بعض الحكومات ومنها الحكومة المصرية طريقة التنويم المغنطيسي لكشف الجرائم

ج لان الذي ينوَّم لا يعلم ما فعلهُ غيرهُ بل ما فعلهُ هو او ما وُضع في ذهنهِ بالكلام او بالاشارة فلا بدَّ اذاً من تنويم المجرم نفسهِ لكي يعترف بجريمتهِ الَّا ان الذي

بنوم قد يعترف بجريمة لم يرتكبها اذا اقنعهُ المنوّم انهُ ارتكبها فاذا قلت لمنوَّم انك سرقت امتعة فلان وذكرت لهُ ظروف السرقة ثم سألتهُ قائلاً هل سرقت امتعة فلان فقد يجيب نعم ويسرد ظروف السرقة كما ذكرتها ولذلك ولان التنويم يضرُّ بالمنوَّم ضرراً اكيداً لا يجوز الاعتماد عليهِ ولا الالتجاء اليهِ

(٩) جنسان في شجرة واحدة

ومنهُ . هل يمكن ان يستخرج من شجرة واحدة جنسان من الثمر

ج كلاَّ ولكن يمكن ان يستخرج منها صنفان من نوع واحد كليمون البرتقال والليمون الحلو وكالمشمش والخوخ

(١٠) الطبع القليل النفقة

ومنهُ : يقال ان عند الاميركيين طرقاً تجعل الطبع قليل النفقة فهل تعلمون شيئاً عنها

ج نعم فقد رأينا عندهم آلات لترتيب الحروف يعمل العامل الواحد بها قدر ما يعملهُ ستة عمَّال بايديهم ومطابع سريعة تطبع الواحدة منها سبعين الف نسخة في الساعة فلا عجب اذا كان ذلك يرخص الطبع والمطبوعات . ولا يخفى ان حروفنا العربية كثيرة الاشكال جدًّا لا تصلح لها آلة ترتيب الحروف وعدد قرائنا قليل جدًّا لا يمهد سبيلاً لاستعمال المطابع السريعة فلا امل لنا بترخيص الطبع مثلهم

(١١) اميركا والادريسي

ومنهُ . يقال ان الشريف الادريسي اخذ علمهُ عن وجود قارة اميركا عن العرب وهؤُلاء عن الصينيين الذين رحلوا الى اميركا فما رأيكم في ذلك

ج من قال ان الشريف الادريسي اخذ علمهُ عن وجود قارة اميركا عن العرب ومن قال ان الشريف الادريسي كان يعلم بوجود قارة اميركا . فهل قال ذلك هو او قالهُ غيرهُ وان كان هو القائل فاين قالهُ من كتابهِ وان قالهُ غيرهُ فمن هو الذي قالهُ . هذا وقد نشرنا صورة الخريطة التي صنعها الشريف الادريسي وليس فيها رسم قارة اميركا وذلك دليل نفي على انهُ لم يكن يعرف بوجودها

(١٢) الجغرافية العمومية

دمشق . عبد الجليل افندي القصري . هل أُلِّف كتاب حديث في الجغرافية العمومية مثل كتاب ملطبرون الذي ترجمهُ رفاعه بك وهل عُرِّب او لم يعرب

ج في الفرنسوية جغرافية واسعة للشهير ركلو Reclus تسمى الجغرافية العمومية الجديدة ظهر منها ١٤ مجلداً كبيراً بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٨٩ ولم تترجم الى العربية

(١٣) وفاة ملطبرون

ومنهُ . متى كانت وفاة ملطبرون

ج توفي في ١٤ دسمبر سنة ١٨٢٦

(١٤) قاموس للعبراني بالعربية

ومنهُ . لا تزال اكثر الالفاظ العبرانية مستعملة في الطوائف الثلاث في الكتب العلمية والاعلام الشخصية فهل اطلعتم على قاموس للغة العبرانية ترجمت مفرداتها فيها الى اللغة العربية نظير ما جاء في خاتمة كتاب مرشد الطالبين فقد اوّل جملةً من الاسماء العبرانية

ج كلاّ ولم نسمع ان للعبرانية قاموساً في العربية

(١٥) شرح الكتاب المقدس

ومنهُ . اي شرح ادق للكتاب المقدس باللغة العربية

ج للمطران اغابيوس صليبا الارثوذكسي وللمطران يوسف الدبس الماروني وللدكتور وليم ادي الانجيلي شروح كبيرة للاناجيل و بعض الرسائل وللدكتور كاين تفسير لانجيل لوقا وهذه التفاسير الاربعة اوسع ما رأينا في العربية وادق شروح الكتاب المقدس فيها

(١٦) الارعواء عند الوفاة

العزازي . حافظ افندي سليمان نرى البعض يطلبون تتميم الواجبات الدينية عند الوفاة ولو كانوا في حياتهم لا يعتقدون بالبعث والنشور ولا بشيء من هذا القبيل فما سبب ذلك

ج ان التربية الدينية التي يتربأها الانسان صغيراً تبقى اصولها راسخة في نفسهِ واذا حدث لهُ في شبيبتهِ وكهولتهِ ما زعزع ايمانهُ او الهاهُ عنهُ عاد في شيخوخته وفي اخريات ايامهِ الى تذكر الافكار القديمة التي شغلتهُ مشاغل الدنيا عنها لان سلطان هذه المشاغل يكون قد ضعف حينئذٍ . هذا هو الغالب

(١٧) مصر والقاهرة

ومنهُ . ان تذاكر سكة الحديد المنصرفة من المحطات الى القاهرة مكتوب عليها الى مصر و بالافرنكي Caire مع ان حقيقة ترجمة هذه الكلمة القاهرة واما كلمة مصر فتقوم مقام كلمة Egypte فهل من سبب يجعل كلمة مصر مقابل كاير

ج لا يظهر ان لذلك سبباً غير اصطلاح اهالي مصر انفسهم فانهم يسمون عاصمتهم مصر وان كان اسمها الحقيقي القاهرة واسم مصر هو اسم القطر المصري كلهِ . والذين كتبوا تذاكر سكة الحديد وختوم البوستة جاروا اصطلاح الناس

(١٨) النجوم وضوءها

ومنهُ . ان النجوم بعيدة عنا بعداً شاسعاً جداً ولا يصلنا ضوءها الاَّ في الوف من السنين فكيف نعلم انها في الوجود الآن ولماذا لا نقول انها تلاشت منذ سنين كثيرة

ج ان النجوم التي تشيرون اليها لا دليل عندنا على انها باقية على حالها لان

الضوء الذي يصلنا الليلة منها وبهِ نراها ونستدلُّ على وجودها يحتمل ان يكون قد صدر منها قبلما انطفأ ضوءها ان كان قد انطفأ. هذا من حيث وصول ضوئها الينا اما ملاشاتها من الوجود فمسألة اخرى لان كل ما نعلمهُ من امر المادَّة يدل على انها لا تتلاشى ولو تحوَّلت من صورة الى صورة أُخرى

(١٩) ثآليل الخضر

ومنهُ . هل من طريقة لازالة الثآليل من جذور الخضر كالطماطم ونحوهِ

ج ان هذه الثآليل تتكوَّن في الغالب من حشرات او مواد فطرية تنمو في الجذور فاذا كانت الارض مخدومة جيداً والنبات قوياً فالغالب انهُ يقوى عليها ولا تتولد الثآليل فيهِ

(٢٠) اليقطين والسماد

ومنهُ . من المعلوم ان السماد يفيد الزرع. وفي الشهر الماضي زرعت نوعاً من اليقطين وسمدت بعضهُ ولم اسمد البعض الآخر. والتسميد بطريقة التكبيش والسماد من زبل الطيور فكان المحصول هكذا

المسمَّد يقطينة واحدة لكل شجرة واليقطينة زنتها ١١٥ رطلاً

وغير المسمَّد يقطينتان لكل شجرة واليقطينة زنتها ٢٠ رطلاً

فهل السماد يجيد الثمر الى هذه الدرجة ويقلل المحصول في عددهِ حتى لو سُمِّدَ الزرع كلهُ كانت غلتهُ يقطيناً كبيراً قليل العدد

ج لا شبهة في ان السماد يغذي النبات ويقويهِ وحبذا لو كررتم هذه التجارب في كثير من اليقطين واخبرتمونا بنتيجتها ووزنتم السماد حتى يعرف مقدارهُ وانَّا نشكركم على ذلك سلفاً

(٢١) ملك اسبانيا

مصر . احد المشتركين . ما اسم ملك اسبانيا الحالي وكم عمرهُ وقد بلغني ان اختهُ ملكت مدة وجيزة قبل ولادتهِ فهل ذلك صحيح

ج اسمهُ الفونصو الثالث عشر وهو ابن الفونصو الثاني عشر وماريا كرستينا بنت كارل فرديناند ارشديوق اوستريا . توفي ابوهُ في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٨٥ قبل ولادتهِ فانتقل الملك الى ابنتهِ الكبرى وبقيت ملكة الى ان ولد اخوها في ١٧ مايو سنة ١٨٨٦ فانتقل الملك اليهِ حسب قانون البلاد وعمرهُ الآن خمس عشرة سنة ونحو ثلاثة اشهر

(٢٢) سكان روسيا

ومنهُ . كم عدد سكان روسيا الآن وكم كان عددهم منذ خمسين سنة . الجواب بلغ في الاحصاء الذي تم سنة ١٨٩٧ نحو ١٣٥ مليوناً والمرجح ان عددهم الآن يبلغ ١٤٠ مليوناً وقد كان عددهم منذ خمسين سنة ٦٨ مليوناً اي انهم تضاعفوا في هذهِ السنين



موتمر السل

التأم مؤتمر السل في بلاد الانكليز في ٢٢ يوليو وافتتحهُ دوق كمبردج بالنيابة عن جلالة ملك الانكليز ووقف معهُ كثيرون من رجال السياسة ورجال العلم مثل سفراء فرنسا واميركا وهولندا واسوج والدنمرك والبرتغال واليونان ورومانيا والسرب ومركيز لنسدون وارل دربي ولورد لستر والاستاذ شروتر النمسوي والاستاذ فن ليدن الالماني والاستاذ أُسلر الاميركي والدكتور سكرتان السويسي والاستاذ بروردل الفرنسوي والاستاذ سمس وددهد الانكليزي والدكتور اسبيناكايو الاسباني والدكتور روانا الايطالي والدكتور كلادو اليوناني والدكتور هلبوي النروجي والاستاذ تومسان الهولندي والاستاذ غرام الدنمركي والاستاذ كوراني المجري والاستاذ كوخ الالماني وغيرهم من كبار العلماء ورجال السياسة . ولم نرَ بينهم اسم رجل من مصر ولا من كل بلاد الدولة العلية كأن داء السل لا يوجد في هذه البلاد او لا يستحق عناية حكومتها واطبائها

وقرأ كاتب المؤتمر تقريرًا ابان فيهِ ان مؤتمر السل الذي عُقد في برلين سنة ١٨٩٩ قرَّر ان يعقد هذا المؤتمر في مدينة لندن في ٢٢ ابريل سنة ١٩٠١ ورضي سمو ولي العهد (وهو الملك الآن) ان يكون رئيساً لهُ ثم الجأهم موت الملكة الى تأخيرهِ حتى ٢٢ يوليو وانتدب جلالة الملك سمو دوق كمبردج ليقوم مقامهُ وشكر الدول التي لبَّت دعوة المؤتمر وقال انهُ سيُتلى فيهِ خطب كثيرة يتلوها نخبة رجال العلم المشتغلين بمعالجة داء السل ففي يوم الثلاثاء يخطب الدكتور كوخ الذي اكتشف باشلس السل وفي يوم الاربعاء يخطب الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية الذي لهُ فضل كبير في تقدم التدابير الصحية الواقية من السل . ويوم الخميس يخطب الاستاذ مكفديان واللورد سبنسر وهما من المشتغلين بالبحث عن انتشار داء السل في المواشي . ويوم الجمعة يرئس اللورد دربي الاجتماع الختامي الذي تُتلى فيهِ نتائج مباحث العلماء وما يقر المؤتمر عليهِ

ثم قام لورد كمبردج وقال مخاطباً السفراء واللوردات والسيدات والعلماء الذين هناك

يا اصحاب السعادة ويا ايها اللوردات والسيدات والسادات ترتَّب عليَّ ان افتح هذا المؤتمر بطلب جلالة الملك الذي كان عازماً ان يرئسهُ بنفسهِ لو لم تمنعهُ الاحوال الحاضرة ولما رأى انهُ لا يستطيع ذلك طلب مني ان

انوب منابهُ فرأيت من الفرض عليَّ ان اطيع امرهُ وارجو ان يعذرني هذا المحفل اذا توخيت عملاً اشعر من نفسي انني لا استطيع القيام بهِ على ما احبُّ فاني وان كنت مقصرًا جدًّا في مثل هذه المباحث المفيدة لكنني شديد الاهتمام بها مثل جلالتهِ ولذلك سأبذل جهدي في مساعدة الذين حولي على انتشار النفع الذي يتوخونهُ في هذه البلاد وفي كل البلدان لكي تقل الامراض والآلام

وتلاهُ لورد لنسدون فتكلم بالنيابة عن الحكومة ورحَّب باعضاء المؤتمر ثم قال ان هذه البلاد اشتبكت حديثًا في حرب طويلة جلبت الحزن والغم الى كثير من بيوتها ولكني اقول ولا ابالغ انهُ ما من حرب فتكت بالناس فتك السل او ابتلتهم بما ابتلاهم بهِ هذا الداء الخبيث من قديم الزمان الى الآن فهو عدو موجود في كل مكان ومترصّد كل احد لا مثيل لهُ في ذلك بين سائر الاعداء . ونحن كلنا مديونون لاولئك العلماء الذين بيَّنوا لنا ان هذا العدو مما يمكن قهرهُ وانهُ لم يتغلَّب علينا حتى الآن الا لاننا اهملنا بعض الاحتياطات وسلمنا انفسنا لهُ صاغرين يئسين لذلك استميح منكم ان ارحب بهؤلاء الزوار الفضلاء الذين تجشَّموا المشاق وجاؤوا هذه المدينة لكي يشاركوا رجالنا في الاشارة بالوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في مقاومة هذا العدو الالد وارجو من صميم الفؤاد ان تكلل اعمالكم بالنجاح

وقام بعدهُ لورد كدوغان الارلندي ومحافظ لندن ولورد ستراثكونا وتكلم كل منهم كلامًا وجيزًا ثم قام لورد لستر الجراح الشهير فرحَّب بهِ الجميع وخطب فيهم خطبة وجيزة قائلاً انهم اجتمعوا في طالع سعيد لم يكن اجتماعهم مقرونًا بهِ لو وقع منذ سنوات قليلة والفضل في ذلك لكوخ الشهير الذي كشف لهم حقيقة عدوهم وكان علاج السل قبل اكتشافهِ ميكروبهُ خبطًا في ظلام دامس . وعرفوا ايضًا من فضل باستور ان الميكروبات لا تتولَّد من نفسها في جسم الانسان وان بعض الاجسام اصلح لها من البعض الآخر وهي على كل حال تولد من ميكروبات اخرى موجودة خارج جسم الانسان ومن ثم فُتح الباب للوقاية من السل . ولكن غرض الاطباء لا ينحصر في الوقاية منهُ بل يتناول معالجتهُ وشفاءهُ وقد صار الامل بنجاح المعالجة اقوى مما كان قبلاً في كل عصر من العصور . والطبيب يستفيد كثيرًا من اختبار الجرَّاح من وجوه شتَّى . ومن الآفات الجراحية ما اصلهُ تدرُّن في مثل السل الرئوي لانها كلها ناتجة عن فعل باشلس التدرُّن . ويعلم الجراح الآن ان كثيرًا من هذه الآفات يشفى شفاء تامًّا اي ان ميكروب التدرُّن يزول من الجسم بالوسائط التي يقاومهُ الجسم بها فتعود انسجتهُ الى حالتها الصحية الاصلية . وقد تبيَّن من

ذلك ان التدرُّن من الادواء التي تقبل الشفاء وهذا امر كبير في ذاتهِ ولذلك قوي امل الاطباء بشفاء السل اذا عالجوهُ على الاسلوب الذي يشفى بهِ التدرُّن الجراحي. وقال انهُ قلما اهتمَّ بمعالجة المسلولين لانهُ جرَّاح لا طبيب ولكنهُ رأى كثيرين بين الذين يعالجهم كانوا مصابين بالسل فنجوا منهُ وعاشوا متمتعين بالصحة التامة وهو يحسب ذلك شفاء من داء السل والان يحاول البعض معالجة الدرجات المتقدمة من هذا الداء لشفائها وتظهر في اعمالهم تباشير النجاح وستذكر اساليبهم في المؤتمر بالتفصيل واذا اريد منع السل منعاً تاماً فلا بدَّ لجمهور الناس من مساعدة الاطباء والجراحين في ذلك

وتلاهُ الاستاذ أُسلر الاميركي والاستاذ فون شروتر النمسوي والمسيو منتفيوري لامي البلجي والاستاذ غرام الدنمركي والاستاذ بروردل الفرنسوي والاستاذ فون ليدن الالماني والاستاذ رواتا الايطالي وتكلَّم كلٌّ منهم بالايجاز وكان دوق كمبردج قد بعث تلغرافاً الى الملك حينما افتتح المؤتمر يخبرهُ بافتتاحهِ فورد اليهِ الجواب حينئذٍ وقرأهُ على الحضور وهو

الى دوق كمبردج. وصلني تلغرافك واشكرك لانك رضيت ان تفتح المؤتمر باسمي ولقد سررت بنجاح عملك وارجوان ترحب عني بكل الافاضل التابعين لكل امةٍ تقريباً من امم الارض الذين اجتمعوا الآن برئاستك واعرب لهم عمَّا ارجوهُ وهو ان الفوائد التي تنتج عن هذا المؤتمر تساعد على تخفيف وطأة هذا الداء الخبيث الذي عجز عنهُ مشاهير الاطباء زماناً طويلاً

هذا وسنترجم اكثر الخطب التي تليت في ذلك المؤتمر وننشرها في الجزء التالي وما بعدهُ حتى ينتفع ابناء المشرق بما اجمعت حكوماتهم عن إشراكهم فيهِ

وزن الفكر

صار وزن الفكر امرًا واقعياً في الولايات المتحدة الاميركية بلاد الغرائب فقد رأينا صورة ميزان يستلقي عليهِ المرء فيظهر منهُ ما اذا كان خالي البال او مشغولاً بامرٍ من الامور يفكر فيهِ ويقلّب. والميزان كفة طويلة طولها نحو مترين قائمة في وسطها على دارك تتوازن عليهِ بساعدين تحتها يطولان ويقصران . فيستلقي المرء على هذه الكفة ويطوَّل ساعداها او يقصران حتى تصير افقية اي حتى يتوازن طرفاها ثم يؤمر بان يفكر في امرٍ من الامور التي تشغل بالهُ فحالما يشرع في التفكير يرتفع الطرف الذي عليهِ قدماهُ وينخفض الطرف الذي عليهِ رأسهُ وما ذلك الاَّ لأن الدم الذي كان متوزعاً في بدنهِ كلهِ على السواء او على صورة ما قبلما اخذ في التفكير وحينما استلقى على كفة الميزان جرى كثير منهُ الى رأسهِ لكي يغذي دقائق دماغهِ وهو

يفكر فيثقل رأسهُ من جرّاء ذلك ويخفض طرف كفة الميزان الذي تحتهُ ويرتفع الطرف الآخر الذي تحت قدميهِ

وجريان الدم الى الدماغ وقت اعمال الفكرة امر كان يعتقدهُ العلماء حتى كأنهم رأوهُ بعيونهم ولكن لم يثبت فعلاً بدليل حسي على صورة موزونة الأ الآن

وقد ثبت بهذه الآلة امر آخر كان العلماء يقولون بهِ ولو لم يثبت لهم بالامتحان وهو ان الدم يغادر الراس وقت النوم فاذا استلقى المرء على هذا الميزان وتولاهُ النعاس فنام ارتفع رأسهُ وانخفضت قدماهُ دلالةً على ان دمهُ جرى من رأسهِ نحو قدميهِ ويحدث فيهِ مثل ذلك اذا نوّم تنويماً مغنطيسياً بالاستهواء ولذلك يقلُّ افتكار الانسان وهو نائم لان الدم يكون قليلاً في دماغهِ . والظاهر ان جريان الدم من الراس الى البدن نتيجة عن النوم لا سبب لهُ

والآلة عند الدكتور ارثر مكدُنلد في ديوان المعارف الاميركي وهو يستعملها في المباحث العلمية وقياس الافكار وما تقتضيهِ المسائل العويصة من اجهاد العقل . وعندهُ آلات كثيرة من هذا القبيل اثبت بواحدة منها ان ضربان القلب يكون على اقلهِ اذا استلقى الانسان او وضع نفسهُ وضعاً افقياً وعلى اكثرهِ اذا انتصب فالاستلقاء خير الوسائل لراحة القلب

ومن الحقائق العلمية الكثيرة التي اثبتها ايضاً ان الاولاد الذين يولدون صيفاً يكونون اطول من الذين يولدون شتاء وان الاولاد النبهاء اثقل من البلداء وان سكان المدن اقصر من سكان الارياف وهم في سن البلوغ وانهُ في السنة الثالثة عشرة والرابعة عشرة يكون الاناث اطول من الذكور وقبل ذلك وبعدهُ يكون الذكور اطول من الاناث وان الدماغ يبلغ اعظمهُ وزناً في السنة الثامنة من العمر

الاستاذ تايت

نعت الجرائد العلمية والسياسية الاستاذ تايت العالم الطبيعي الرياضي المشهور استاذ الفلسفة الطبيعية في مدرسة ادنبرج وهو من اشهر علماء الانكليز وادقهم بحثاً توفي في الرابع من يوليو عن سبعين سنة من العمر قضى اربعين سنة منها في تعليم الفلسفة الطبيعية وتوسيع نطاقها . درس في مدرسة ادنبرج وكان من انبغ النابغين فيها ومن اكبر اصدقاء كلارك مكسول العالم الرياضي الشهير وبقي هذان الكوكبان النيران ينيران ظلمة المسائل الرياضية الغويصة الى ان توفي مكسول واشترك مع اللورد كلفن والَّفا كتاباً في الفلسفة الطبيعية طبعاهُ سنة ١٨٦٧ فقلب هيئة هذا العلم وصار من ذلك الحين علماً طبيعياً رياضياً ثم نقحاهُ ووسَّعاهُ ونشرا بعدهُ

فصولاً كثيرة تضاف اليهِ في موضوعها ولا يعلم الآن اي اقسام هذا الكتاب كتبهُ تايت ولا ايها كتبهُ كلفن وهما يشيران اليهِ كأنهُ كتاب مؤلف آخر غيرهما

ولتايت كتب أُخرى في النور والحرارة والقوات وخواص المواد ومقالات شتَّى في الانسكلوبيذيا البريطانية . وهو الذي ألَّف الكتاب المشهور المعنون بالعالم الخفي "Unseen Universe" الفهُ هو وبلفور ستورت ونشراهُ غفلاً من اسميهما وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليهِ في ما اوردناهُ من الادلة العلمية على الخلود . وكان صديقاً حميماً لكل العلماء الرياضيين على ما بينهُ وبينهم من المناظرات العنيفة في مواضيع شتَّى

الدكتور شبلي ايلاَّ

عرفنا هذا الفاضل في مدينة صيداء منذ ثلاثين سنة وكان قد درس علم الطب على المرحوم الدكتور فان ديك من غير مدرسة ونال الشهادة الدكتورية وحصَّل كثيراً من العلوم واللغات وهو مع ذلك يدير اعمال املاكهِ الواسعة واشغال القنصلية الاميركية التي كان وكيلاً لها ويعالج المرضى بحذق ومهارة . وكان اصغر اخوتهِ فضموا الى آبائهم الواحد بعد الآخر وقنصلية انكلترا في صيداء التي يتولونها بالارث تنتقل من الواحد الى الآخر الى ان وصلت اليهِ وقد توفاهُ الله في التاسع عشر من شهر يوليو عن ٦٦ عاماً وكان وجيهاً في قومهِ عالي الهمَّة اصيل الرأي حاد الذهن عزَّى الله حضرة قرينتهِ الفاضلة واولادهُ وسائر آل ايلاَّ الكرام عن فقدهِ

تجارة القطر في نصف عام

يظهر من تقرير الجمارك عن شهر يونيو الماضي ان صادرات القطر المصري بلغت في الشهور الستة الماضية من هذه السنة ٧٨٠٩٤٨١ جنيهاً فنقصت ١١٧٣٠٣٠ جنيهاً عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي ووارداتهِ بلغت ٦٩٠٩٤١٧ جنيهاً فزادت ٧٦٢٣٢٨ جنيهاً عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي . والزيادة في قيمة الواردات والنقص في قيمة الصادرات من دلائل التأخر فاذا بقيت الحال على مثل ذلك في النصف الثاني من السنة وقعت البلاد في ضيقة مالية شديدة لكن من يمعن نظرهُ في ما زادت قيمتهُ من الواردات يجد اكثرهُ من الدقيق والارز والذرة مما كان لابدَّ من زيادتهِ بسبب انخفاض النيل في العام الماضي والذي قبلهُ

اسمعيل باشا الفلكي

فجعت مصر بعالم فاضل من خيرة علمائها ألا وهو المرحوم اسمعيل باشا الفلكي توفاهُ الله عن ثمانين عاماً قضاها في خدمة العلم وكان في جملة الذين ارسلتهم الحكومة المصرية لتلقي العلوم في اوربا فنبغ فيها وخصوصاً في علمي

الهندسة والفلك فلما عاد الى مصر انشأ المرصد الخديوي وعُيِّن ناظرًا لهُ ولمدرسة المهندسخانة ومدرساً للعلوم الهندسية فيها وفي المدرسة الحربية . توفاهُ الله في السابع والعشرين من شهر يوليو وشيعت جنازتهُ عصر ذلك اليوم ودفن في قرافة العفيفي وقد ابنهُ سعادة اباتا باشا في المدفن بالنيابة عن الجمعية الجغرافية والجمعية العلمية وذكر مآثرهُ وافضالهُ العلمية وقال انهُ مات ولكن ذكرهُ يبقى حيًّا بمؤلفاتهِ وخدماتهِ العلمية التي خدمها لهذا القطر وللعلم

تاريخ الامير حيدر

يسرُّنا ان هذا التاريخ الفريد في بابهِ قارب النجاز فقد طُبع منهُ حتى الآن ٩٣٦ صفحة كبيرة والمنتظر ان طبعهُ يتم في غضون هذا الشهر فيكون مجلدين كبيرين حاويين زبدة التواريخ الشرقية القديمة والحديثة ولاسيما الحوادث السورية والمصرية التي حدثت في عهد الامير حيدر وقد اضاف اليهِ حضرة منقحهِ الفاضل نعوم افندي مغبغب حواشي كثيرة وألحق بهِ حوادث عديدة مما اغفل المؤلف ذكرهُ فجاء كتابًا جامعاً في بابهِ وافياً بحاجة لايفي بها تاريخ آخر سواهُ

السيدة الينور اورمرود

عالمة انكليزية مشهورة بمباحثها عن الحشرات الضارة بالمزروعات وكيفية اتقائها وقتلها كانت اكبر ثقة في هذا الموضوع ولها مؤلفات كثيرة فيهِ منها كتاب في الحشرات الضارة ودليل حياة الحشرات طبع سنة ١٨٨٤ وكتاب زراعي في علم الحشرات طبع سنة ١٨٩٢ والحشرات الضارة في جنوبي افريقية طبع سنة ١٨٨٩ وتقارير سنوية عن الحشرات الضارة من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٧ وكتاب عن الحشرات التي تتلف البساتين والاشجار المثمرة طبع سنة ١٨٩٨ . وكتاب في الظواهر الجوية طبع سنة ١٨٨٠ وافتها المنية وعمرها ٧٤ سنة

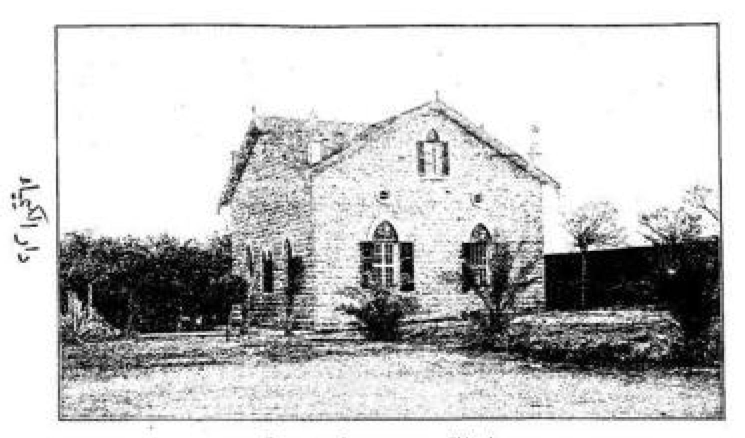
فيل سيبيريا

سيبيريا بلاد باردة جدًّا لا يعيش فيها الفيل الآن لكن الافيال كانت تسرح وتمرح فيها من عهد غير بعيد كما ظهر من بقاياها التي وجدت مدفونة تحت الثلوج . وقد جاء الآن في خبر من بطرس برج انهم وجدوا فيلاً من هذه الافيال لا يزال لحمهُ وعظمهُ وجلدهُ وشعرهُ سالمة كلها وفي معدتهِ طعام غير مهضوم كأنهُ مات بالامس وقد يكون مضى عليهِ الف سنة مدفونًا في تلك الثلوج

كرة قديمة

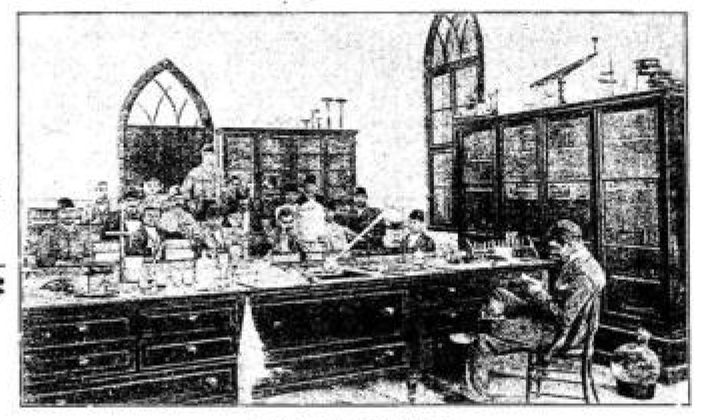
وجد في مدينة بروسيا قرب بطرس برج كرة كبيرة من النحاس قطرها ١١ قدماً اي اكثر من مترين ونصف بدئ بعملها سنة ١٦٥٤ وتمت في عشر سنوات . ظاهرها يمثل كرة الارض وباطنها السماء وكواكبها وفي داخلها مجلس لاثني عشر رجلاً وهي تدور على محورها وثقلها نحو ثمانين قنطارًا مصريًّا

المدرسة الكلية الاميركية في بيروت (الهلال الصفحة ٨١٧)



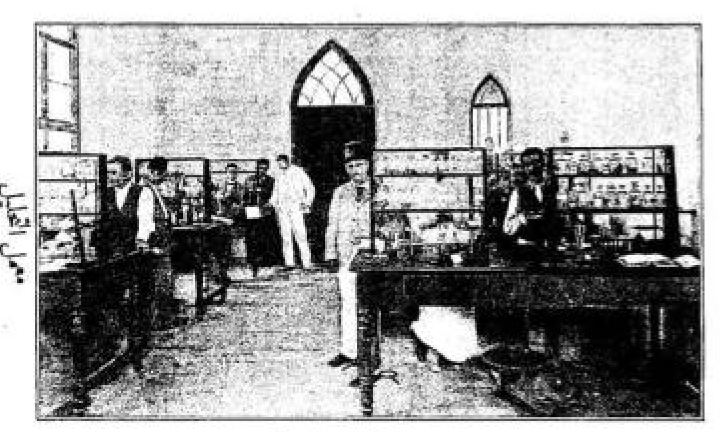
دار الكيمياء

CHEMICAL LABORATORY. Side view.



معمل التدريس

LABORATORY. Lecture Room.



معمل التحليل

ANALYTICAL LABORATORY.

فهرس الجزء الثامن من المجلد السادس والعشرين



December 1930 — ديسمبر ١٩٣٠

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٩

استئصال السل [1]

خطبة الاستاذ كوخ في مؤتمر السل تلاها في ٢٣ يوليو الماضي

ان العمل المفروض على هذا المؤتمر من اصعب الاعمال لكنهُ من الاعمال التي لا يذهب التعب فيها سدًى

ولا داعي لان اشير الى عدد الذين يفتك بهم السل سنويًا في كل البلدان ولا الى مقدار الشقاء الذي يصيب العيال بسببهِ فانكم تعلمون انهُ ما من داءٍ يصدع قلوب البشر مثل السل ولذلك يعظم سرورنا اذا رأينا ان الوسائل التي اشير بها لتخليص الناس من هذا العدو الالد الذي ينخر عظامهم قد تكلَّلت بالنجاح

ولقد يرتاب كثيرون من نجاح الوسائل التي يقصَد بها استئصال داءٍ وُجد منذ الوف من السنين وهو منتشر الآن في كل اقطار المسكونة اما انا فلستُ من هؤلاء المرتابين ويقيني بالفوز لا يخامرهُ ريب لاسباب سأبسطها لديكم

منذ سنين قليلة كنا نجهل علة السل وكان المظنون انهُ ناتج عن فساد في حال المجتمع الانساني فمتى صلحت حال الناس زال هذا الداء من نفسهِ ولذلك نيطت الآمال

(١) [المقتطف] الكلمة الاصلية التدرُّن وهي اعم من كلمة السل لانها تطلق على التدرُّن الرئوي الذي هو السل وعلى التدرن المعوي وغيره من انواع التدرن ولكننا فضلنا كلمة السل واقتصرنا عليها غالبًا من باب تسمية الكل باسم البعض لان مدلولها اوضح لدى جمهور القراء

بالوسائل التي تستعمل لإسعاد الناس . اما الآن فتغير ذلك كلهُ وصرنا نعلم ان شقاء الناس انما يمهد السبيل لهذا الداء ولكنَّ علتهُ الحقيقية نوع من الاحياء الصغيرة التي تعيش على غيرها من الاحياء الكبيرة اي انها عدو محسوس يمكننا ان نتبَّعهُ ونستأصلهُ كما يمكننا ان نتبع ونستأصل غيرهُ من الاحياء التي تسطو على نوع الانسان

وكان المنتظر ان يرى كل احد امكان استئصال السل حالما كُشف الميكروب الذي هو علتهُ وعلمت خواصهُ وكيفية انتقالهِ . وقد علمتُ فائدة هذا الاكتشاف من اول الامر وكذلك كلُّ مَن اقتنع من الاطباء بان نسبة هذا الميكروب الى السل نسبة العلة الى المعلول . ولكن عدد الاطباء قليل لا يكفي لمقاومة داء متأصل واسع الانتشار ولا بدَّ من ان يشترك في هذه المقاومة جميع الناس الاطباء ورجال الحكومة والسكان اجمع . وقد حان الوقت لهذا الاشتراك ولا اظن ان احداً من الاطباء ينكر ان السل ناتج عن نوع من الميكروبات بل هذا معروف ايضاً لدى كثيرين من غير الاطباء

ومما يعين على ذلك النجاح الذي نجحهُ الاطباء حديثاً في مقاومة كثير من الامراض الميكروبية الاصل فقد علمنا منهُ كيف نقاوم الاوبئة . واهم ما تعلمناهُ من ذلك ان مقاومة الاوبئة لا تكون على اسلوب واحد ففي العهد القديم كانت الوقاية من الكوليرا والطاعون والجذام تجري مجرًى واحداً بالعزل والكورنتينا والتطهير الخالي من كل نفع اما الآن فنعلم ان كل مرض مستقلٌّ عن الآخر ويجب ان يُعالج على اسلوب خاصٍّ بهِ وتُتخذ للوقاية منهُ اساليب خاصة . ويحق لنا ان ننتظر النجاح من مقاومة السل اذا جرينا هذا المجرى وايضاحاً لذلك اذكر الامثلة التالية

ان الوباء الذي لهُ الشأن الاكبر الآن هو الطاعون الدبلي . وقد كان الناس يعتقدون ان العدوى تنتشر من المطعون نفسهِ وتنتقل بهِ وبامتعتهِ . وما قرَّ عليهِ قرار الدول اخيراً من التدابير الصحية الواقية مبني على هذا الاعتقاد . وقد صرنا نميز كل حادثة من حوادث الطاعون بواسطة الميكروسكوب وبواسطة التجارب في الحيوانات وصارت السفن تُفتَّش التفتيش الصحي الدقيق ويحجز على الناس في الكورنتينا ويُعزل المرضى عن الاصحاء وتطهَّر المنازل والسفن بقاتلات الميكروبات ومع ذلك كلهِ انتشر

الطاعون في اماكن كثيرة واشتدَّت وطأتهُ في بعضها وقد عُرف سبب ذلك الآن لانهُ عُرِف كيف ينتقل الطاعون حقيقةً . فقد كُشف ان المطعون لا يُعدي الاَّ اذا كان مصاباً بالطاعون المصحوب بالتهاب الرئة وذلك نادر لحسن الحظ وان الذي ينقل العدوى هو الجرَذ . ولم تبقَ شبهة في ان اكثر اوبئة الطاعون التي انتقلت بواسطة التجارة البحرية كان الناقل لها الجرذان التي تكون في السفن . وقد وُجد انهُ حيث استئصلت الجرذان عن قصدٍ او عن غير قصد زال الوباء سريعاً وحيث لم تبذل الهمة لاستئصال الجرذان بقي الطاعون منتشراً . وهذا الارتباط بين طاعون الناس وطاعون الجرذان لم يكن معروفاً من قبلُ ولذلك لا لوم على الذين اشاروا بالوسائل التي تستعمل اليوم لمقاومة الطاعون اذا لم تجدِ نفعاً . ولكن قد حان الوقت للاعتماد على المعارف الحديثة في مقاومة الطاعون بنوع عام وفي نقل البضائع من بلاد الى اخرى ولاسيما في نقلها في البلاد الواحدة . ولما عُلم ان طاعون البشر متوقف على طاعون الجرذان اتضح لماذا كانت الفائدة قليلة من استعمال التلقيح الواقي والمصل المضاد لسم الميكروب . ويحتمل ان البعض نجوا من الطاعون بهاتين الواسطتين ولكن ذلك لم يمنع انتشارهُ مطلقاً

والكوليرا تجري على اسلوب آخر فقد تنتقل عدواها من انسان الى انسان ولكن طريق العدوى الغالب هو الماء فلابدَّ من الاهتمام بالماء اولاً في مقاومة الكوليرا وبناء على ذلك نجحنا في استئصالها من المانيا اربع سنوات من غير ان نصدَّ سبيل التجارة مع انها كانت تدخل بلادنا من البلاد المجاورة لنا

والنظر في الكلَب لا يخلو من فائدة فان التطعيم الواقي منهُ يمنع ظهورهُ في الذين أُعدُوا بهِ ولكنهُ لا يمنع انتقال العدوى الى الانسان ولو منع ظهور نتيجتها فيهِ وانما يمنع انتقالها الى الانسان كمّ الكلاب لمنعها من عضّ الناس . وقد نجحنا في ذلك نجاحاً تاماً في المانيا ولكن لا يمكن استئصال الكلَب تماماً ما لم تتفق البلدان كلها على مقاومتهِ لاننا اذا منعناهُ من بلاد اتاها من بلاد اخرى

واسمحوا لي ان اذكر مرضاً آخر سببهُ يشبه سبب السل ومن ذكر الوسائل التي نجحت في مقاومتهِ فائدةٌ كبيرة وهو مرض الجذام . سبب هذا المرض ميكروب يشبه

ميكروب السل . وهو مثل السل لا يظهر الاَّ بعد وصول العدوى بزمن طويل . وسيره ابطأُ قليلاً من سير السل وهو انما ينتقل من انسان الى آخر اذا اقاما معاً في غرفة واحدة او في بيت ضيّق . وقلما تنتقل عدواهُ الاَّ مباشرةً فلا يُنظَر فيها الى الحيوانات والمياه وما اشبه . فطرق المقاومة تكون بمنع هذا الاتصال بين المرضى والاصحاء وذلك بعزل المجذومين عن غيرهم . وقد جرى الناس على هذا الاسلوب في القرون الوسطى وكان الجذام قد انتشر في اوربا فاستئصل من اواسطها تماماً . وجرى اهل نروج على هذه الخطة حديثاً وسنُّوا قانوناً لعزل المجذومين عن غيرهم وقد رأَوا انهم غير مضطرين الى عزل كل المجذومين بل الى عزل الذين تمكَّن منهم الجذام اكثر من غيرهم او الى عزل بعضهم فيقل عدد المجذومين رويداً رويداً . ولو فعل اهالي نروج كما فعل الناس في القرون الوسطى وعزلوا كل المجذومين لزال الجذام من بلادهم سريعاً لكنهُ سيزول بطيئاً من غير قسوة على الناس

ويظهر من هذه الامثلة ما ارمي اليهِ وهو اننا اذا اردنا مقاومة الاوبئة واستئصالها وجب علينا ان نفتش عن اصلها ونزيلهُ ولا نبدد قوتنا في الوسائل التي لا تجدي نفعاً . فهل فعلنا ذلك او نحن عازمون على فعلهِ اي هل استخدمنا الوسائل التي تقاوم داء السل من اصلهِ . ولابدَّ لنا في الجواب عن هذا السؤال ان نبحث اولاً عن كيف تنتقل عدوى السل او التدرن

يقع السل غالباً في الرئتين وهو يبتدئُ فيهما . ويستنتج من ذلك ان ميكروبهُ يصل اليهما بالتنفُّس . ولسنا في ريب من حيث المكان الذي يأتي منهُ ميكروب السل الى الهواء فاننا نعلم انهُ يأتي الهواء من نفث المسلولين (اي بصاقهم) فان نفث المسلول الذي صار سلهُ في الدرجات الاخيرة يحوي دائماً كثيراً من ميكروبات السل واذا سعل او تكلم خرج الميكروب من فيهِ مع ما يخرج منهُ من نقط النفث حتى اذا كان امام المسلول شخص سليم وتنفَّس الهواء الذي امتزج بهِ هذا النفث أُعدي بداء السل . ثم ان النفث الذي يقع على الارض وعلى الثياب والمناديل ونحوها يجف ويتفتَّت ويطير في الهواء ومعهُ ميكروب السل فيُعدي الذين يتنفسونهُ

فالرئة المصابة بالسل يخرج منها بلغم وقيح فيهِ ميكروبات السل وهذه الميكروبات صغيرة جدًّا فتبقى منتشرة في الهواء زمانًا طويلاً قبلما ترسب منهُ وتدخل معهُ رئات الذين يتنفسونهُ وتولّد السل فيها . وقد تصل الى اعضاء اخرى من اعضاء الجسم وتكوّن فيها اشكالاً اخرى من التدرن لكن ذلك نادر . فنفث المسلولين هو السبيل الاكبر لعدوى السل . ولا اظن احدًا يخالفني في ذلك . وهنا نسأل عمَّا اذا لم توجد سبلٌ اخرى واضحة لنقل العدوى يجب اعتبارها في مقاومته

كان المذهب الشائع ان السل ينتقل بالوراثة وكان لذلك شأن كبير لكن التجارب المدققة ابطلت هذا المذهب واثبتت ان انتقال السل بالوراثة نادر جدًّا جدًّا حتى يصح اغفالهُ

والجمهور على ان السل ينتقل من الحيوان المصاب بهِ الى الانسان وعلى ان هذا الانتقال مثبَت حتمًا وانهُ كثير الوقوع جدًّا حتى يحسبهُ البعض اكثر طرق العدوى انتشارًا . وسيكون لهذا الموضوع اي انتقال السل من الحيوان الى الانسان شأن كبير في مباحث هذا المؤتمر . الاَّ ان تجاربي اقنعتني بما يخالف مذهب الجمهور فاسمحوا لي ان ابيّن ذلك بالتفصيل لما لهُ من الشأن الخطير

لقد شوهد السل (التدرن) في كل الحيوانات الاليفة ولاسيما في الدجاج والبقر الاَّ ان سل الدجاج يختلف كثيرًا عن سل البشر حتى يصح لنا ان لا نحسب لهُ حسابًا في انتقال العدوى الى الانسان فيبقى سل البقر وهو اذا كان ينتقل الى الناس حقيقةً فلهُ سبيل واسع بشرب اللبن واكل اللحم من البقر المصابة بهِ

لما نشرتُ اول شيءٍ كتبتهُ عن اصل السل لم اقطع بان ميكروب سل الانسان وميكروب سل البقر واحد ولكن لم يكن عندي امور مثبتة تدل على انهما مختلفان كما لم يكن في الامكان ان اثبت انهما متماثلان فتركت هذه المسألة من غير ان اقطع فيها . ثم كرّرتُ التجارب مرارًا لعلي احلها ولكن لم اصل الى نتيجة مرضية لان تجاربي كانت مقصورة على صغار الحيوان كالارانب وخنازير الهند مع ان الدلائل كانت كثيرة على اختلاف النوعين . ثم لما مكنتني نظارة الزراعة من اجراء التجارب في المواشي وصلتُ الى

نتائج قاطعة وهنذا اتلو على مسامعكم خلاصة ما وصلت اليهِ من التجارب التي اجريتها مع الاستاذ شاتز مدة السنتين الاخيرتين

اتينا بعجول ثبت لنا بالامتحان بالتوبركولين(٢) انها سليمة من السل واوصلنا اليها ميكروب السل على طرق مختلفة بعد ان اتينا بهِ من اناس مصابين بالسل—اوصلنا الى بعضها نفث المسلولين حقناً تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في الوريد الوداجي . ومزجنا طعام ستة عجول بنفث السل يوماً سبعة اشهر او ثمانية . وجعلنا اربعة تتنفَّس هواء ممزوجاً بميكروب السل بعد مزجهِ بالماء ورش الماء في الهواء . وجملة العجول تسعة عشر ولم يظهر السل في عجل منها بل بقيت كلها سليمة وزاد وزنها كثيراً . ثم ذُبحت فلم يوجد اثر لميكروب السل في اعضائها الباطنة غير ان العجول التي حقنت بميكروب السل وجد فيها مكان الحقنة بؤرة متقيحة فيها قليل من ميكروب السل كما يوجد في حيوان حقن بميكروبات ميتة اذا كان مما يُعدى اي ان هذه العجول تأثرت من ميكروب السل الانساني كما تتأثر من ميكروب ميت

ولكن كانت النتائج على ضد ذلك حينما جرَّبنا فعل الميكروب المستخرج من بقر مصابة به بعجول سليمة فان داء السل كان يظهر في اعضائها الباطنة بعد مدة الحضانة وهي اسبوع وتكون اعراضهُ شديدة جداً وكانت النتيجة واحدة سواء كان الحقن بالميكروب تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في النسيج الخلوي . اشتدَّت الحمَّى وضعفت الحيوانات وهزلت ومات بعضها بعد شهر ونصف او شهرين وذبح البعض الآخر بعد ثلاثة اشهر وكانت هزيلة جداً وظهر ان الميكروبات كانت كثيرة جداً حيث دخلت الحقنة وفي الغدد اللمفاوية المجاورة لها وانهُ حدث تغيُّر عظيم في اعضائها الباطنة ولاسيما في الرئتين والطحال . وحيث أُدخلت الحقن في التجويف البريتوني وجد النموّ التدرني الذي يمتاز بهِ سل البقر في الترب والبريتون اي ثبت ان العجول تُعدى بسل البقر ولا تُعدى بسل البشر

وظهر الفرق بين سل البقر وسل البشر بتجربة اخرى في الخنازير . اتينا بستة خنانيص

(٢) [المقتطف] لقاح من ميكروب السل الممزوج بالغليسرين يعرف بهِ ما اذا كان الحيوان مسلولاً او غير مسلول

اطعمناها طعاماً ممزوجاً بنفث المصابين بالسل كل يوم على ثلاثة اشهر وأتي بستة اخرى مزج طعامها بميكروب سل البقر ثلاثة اشهر ايضاً فبقيت الخنانيص الاولى اي التي أكلت نفث المصابين بالسل سليمة وزادت نمواً وغضاضة واما الستة الاخرى التي مُزج طعامها بميكروب السل من بقر مصابة بهِ فمرضت وتوقف نموها ومات ثلاثة منها وبعد ثلاثة اشهر ونصف ذُبحت الثلاثة الباقية والستة الاولى . فالستة الاولى لم يوجد فيها أثر للسل سوى درنات صغيرة متفرقة في عنقها . وكان في واحد منها نقط صغيرة رمادية في رئتيهِ اما الثلاثة الباقية من الخنانيص التي أكلت ميكروب سل البقر فوجد مرض التدرن شديداً فيها والارتشاح الدرني في غدد العنق الكبيرة والغدد الماسيريقية ووجد التدرن كثيراً في الرئتين والطحال

وظهر هذا الفرق بين سل البقر وسل البشر في الحمير والغنم والمعزى فانها حقنت بالنوعين ففعل بها الاول ولم يفعل الثاني

وتجاربنا ليست التجارب الوحيدة من هذا القبيل التي انتجت هذه النتيجة فان من يطالع ما كُتب عن التجارب القديمة يجد ان شوفو وغنثر وهرمس وبولنجر وغيرهم اطعموا العجول والخنازير والجداء مواد تدرنية فالتي كانت تسق لبناً فيهِ قطع من رئة بقرة مصابة بالتدرن كانت تصاب بالتدرن واما الحيوانات التي كانت تسق لبناً فيهِ من نفث الناس المصابين بالتدرن فلم تكن تصاب بهِ . وقد جُرِّبت تجارب اخرى حديثاً في اميركا من هذا القبيل فكانت نتيجتها مثل النتيجة التي وصلتُ اليها . ولا شبهة في صحة النتيجة التي وصلنا اليها لاننا تجنبنا كل ما يوقع اقلَّ خطاءٍ فيها

فاذا اعتبرت هذه الامور كلها ارى نفسي مصيباً بقولي ان سل البشر يختلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها ولكني أودُّ ان يكرّر غيري هذه التجارب في اماكن أخرى حتى لاتبقى شبهة في صحة قولي وصحة النتيجة التي وصلت اليها . وبناء على ذلك قد عينت الحكومة الالمانية لجنة للبحث في هذا الموضوع

ولكن ماذا نقول من حيث عدوى البشر بسل البقر. فان هذه المسألة اهم جداً من المسألة الاولى . ويستحيل ان نحكم فيها حكماً باتاً مبنياً على الامتحان ولكن لا يصعب

علينا ان نصل الى النتيجة المطلوبة بغير الامتحان . فمن المعروف ان اللبن والزبدة اللذين يباعان في المدن الكبيرة يحتويان غالباً كمية كبيرة من ميكروب سل البقر وهو حيّ فيهما كما ثبت من امتحانهِ في الحيوانات . واكثر سكان هذه المدن يشربون من هذا اللبن ويأكلون من هذه الزبدة يومياً فيدخل ابدانهم كثير من ميكروب سل البقر وهم لا يدرون فكأنهم يجربون في انفسهم التجارب التي نحجم نحن عن تجربتها فيهم . فلو كان ميكروب سل البقر يُعدي البشر لوجب ان يصاب كثيرون بالسل من اكلهم اطعمة فيها من ميكروبهِ ولا سيما الصغار منهم . ويظن اكثر الاطباء ان هذا الامر واقع فعلاً . ولكن الامر على خلاف ذلك فاذا اصيب انسان بالسل من طعام اكلهُ ظهر السل في امعائهِ اولاً ولكن السل الذي يظهر في الامعاء اولاً نادر جداً . وقد بحثتُ في رمم كثيرين من الذين ماتوا بالسل فلم اجد ان هذا الداء ابتدأ في الامعاء الاّ في اثنين منهم . وكل الذين بُحث في رممهم في مستشفى الرحمة ببرلين مدة خمس سنوات لم يوجد ان السل ابتدأ في امعائهم الاّ في عشرة منهم . ومن ٩٣٣ ولداً مصاباً بالسل في مستشفى الاطفال لم يوجد السل في امعاء احد منهم الاّ وكان موجوداً في رئتيهِ ايضاً وغددهِ الشعبيةً . وقد فحص بيدرت رمم ٣١٠٤ اولاد من الذين ماتوا بالسل فلم يجد ان السل ابتدأ في الامعاء الاّ في ستة عشر ولداً منهم . واستطيع ان اذكر احصاءات كثيرة من هذا القبيل تدلُّ كلها دلالة قاطعة على ان وجود السل في الامعاء ابتداء نادر جداً ولا سيما في الاطفال . والذين ظهر في امعائهم ابتداء لا دليل على انهم أُعدوا من البقر بل يحتمل ان ميكروب سل البشر وصل الى طعامهم اوشرابهم بطريقة من الطرق ويكفي لذلك ان يبلعوا لعابهم بعد ان يدخل ميكروب السل أفواههم مع الهواء . ولم يكن احد يستطيع أن يحكم في ما اذا كان ميكروب السل الذي اصاب الامعاء من سل البشر او من سل البقر اما الآن فصرنا نستطيع ان نفرق بينهما بتطعيم العجول ونحوها بمستنبت نقي من ميكروبات سل الامعاء . وأشير ان يكون ذلك بالحقن تحت الجلد لان نتائجهُ واضحة مقنعة فاذا فعل هذا الميكروب بالعجول فاصلهُ من البقر والاّ فلا . وقد اشتغلت بذلك مدة الاشهر الستة الاخيرة ولكن تدرُّن الامعاء نادر جداً

ولذلك فالحوادث التي بحث فيها قليلة والنتائج التي وصلت اليها لا تدلُّ على ان سل البقر يصيب البشر

فلا يمكننا الآن ان نحكم حكماً قاطعاً ان سل البقر لا ينتقل الى البشر . ولكن يحقُّ لمن وقف على الامور المتقدمة ان يقول انهُ ان كان البشر يُعْدَون من سل البقر فذلك نادر جداً . ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها

فاتضح مما تقدَّم ان السبب الاكبر لانتقال عدوى السل هو نفث المسلولين او بصاقهم فاذا أُريد استئصال السل وجب منع انتشاره بهذه الواسطة

وكيف يكون ذلك . اول ما يخطر بالبال عزل المسلولين الذين في نفثهم ميكروب السل ووضعهم في مكان خاص مناسب لهم . وهذا عمل صعب لا يستطاع ولا هو لازم لان المسلول الذي يوجد في نفثهِ ميكروب السل يستطيع ان يستلقي نفثهُ كلهُ حتى لا يبقى منهُ اقل ضرر وهذا سهل ولاسيما في الدرجات الاولى من السل وحيث يكون المسلولون من اهل اليسار ويكون في طاقتهم استخدام الممرضات الماهرات . ولكن ماذا يكون شأن المسلولين الفقراء فان كل طبيب دخل بيوت المسلولين الفقراء يعلم ما فيها مما تدمى لهُ الافئدة فقد تضطر عائلة كبيرة ان تقيم في غرفةٍ واحدة او غرفتين صغيرتين وليس مَن يعتني بالمسلول ويمرضهُ لان الاصحاء من عائلتهِ يجب ان يسعوا في طلب رزقها فكيف تحفظ النظافة في هذه الحال وكيف يمنع المسلول نفثهُ لكي لا يُضرَّ بهِ احد . ثم ماذا تكون حال هذه العائلة في الليل حينما تنام كلها في غرفةٍ صغيرة مع المسلول . مهما كان حذرهُ شديداً لا يستطيع الاَّ ان يسعل وينفث وتنتشر نقط نفثهِ في هواء الغرفة فيتنفسهُ النيام فيها ولذلك تعدى عيال بجملتها ويموت واحد منها بعد الآخر ويقوم في اذهان الذين لا يعرفون كيفية انتقال العدوى ان السل اتاهم بالوراثة مع انهُ اتاهم بابسط اساليب العدوى وهذا الاسلوب لا ينُتبه لهُ لان نتيجة العدوى بهِ لا تظهر الاَّ بعد سنين والغالب ان العدوى لا تنحصر في عائلة واحدة بل تنتشر بين عيال كثيرة من العيال

المجاورة كما ظهر من بحث الدكتور بغز في اكثر احياء نيويورك ازدحاماً . ولكن اذا امعن الباحث نظرهُ وجد ان انتشار السل ليس ناتجاً عن الفقر نفسهِ بل عن ازدحام الفقراء في مساكنهم في المدن الكبيرة لانهُ يظهر من الاحصاءات في المانيا ان انتشار السل بين الفقراء قليل اذا لم يكونوا مزدحمين ويكثر انتشارهُ بين الاغنياء اذا لم تكن مساكنهم على ما يرام ولاسيما غرف النوم فيها . فازدحام الفقراء في مساكنهم هو الذي يعرّضهم لداء السل والى ذلك يجب ان تنضى الهمم وفيهِ تبذل الوسائل حتى يُزال الشرّ من اصلهِ

ولما كان الامر كذلك اهتمَّت الممالك كلها باتخاذ الوسائل لاصلاح مساكن الفقراء وانا واثق ان هذه الوسائل التي لا بدَّ من بذل الجهد في توسيع نطاقها ستقلل انتشار السل كثيراً ولكن لا بدَّ لذلك من زمن طويل ويمكن الوصول الى الغاية المطلوبة بطريق اخصر كثيراً

اذا لم نستطع في الوقت الحاضر ان نجو من مضار المساكن الضيقة التي يزدحم فيها الفقراء امكننا ان نخرج المسلولين منها وننقلهم الى اماكن اصلح لهم وذلك نافع لهم ولبقية السكان وهذه الاماكن هذه المستشفيات ولا اشير بنقلهم الى المستشفيات رغماً عنهم لان ذلك ليس من مذهبي بل اشير بان يمهَّد لهم سبيل التمريض الذي هم محرومون منهُ الآن

والجمهور الآن على ان المسلول الذي تمكَّن السل منهُ لا يُرجى شفاؤُهُ ولا يصلح ان يقيم في المستشفى ولذلك يقبل فيهِ على غير رضى الاطباء والمرضين ويخرج منهُ حالما يوجد سبيل لاخراجهِ . وحينما يرى المسلول ان العلاج لا يجديهِ نفعاً وان النفقات كثيرة عليهِ لطول مدة المرض تشتدُّ رغبتهُ في الخروج من المستشفى . وهذا يتغير كلهُ اذا كان عندنا مستشفيات خاصةٌ بالمسلولين ومجانيَّة ايضاً او قليلة النفقة فيدخل المسلولون هذه المستشفيات عن طيب نفس ويعتنى بهم فيها اكثر مما يعتنى بهم في غيرها . ولا يخفى عليَّ ما دون ذلك من المصاعب لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك جلهُ فيمكن ان تخصَّص اقسام للمسلولين في المستشفيات التي تقبلهم الآن

يساعدون فيها مالياً . فاذا دخل جانب منهم هذه المستشفيات قلّت العدوى كثيرًا.
واسمحوا لي ان اذكّركم بما قلتهُ آنفاً عن الجذام فان عزل جانب من المجذومين في مستشفيات خاصة بهم قلّل عدد المجذومين كثيرًا . والبلاد الوحيدة التي فيها مستشفيات خاصة بمرض السل هي انكلترا ولا شبهة في ان قلة المسلولين فيها عمَّا هم في غيرها ناتجة عن وجود هذه المستشفيات . ولذلك ارى ان افضل الوسائل لمقاومة السل واستئصالهِ انشاء مستشفيات خاصة بالمسلولين واصلاح المستشفيات الموجودة الآن حتى يكون فيها اماكن خاصةٌ بهم . وهنا مجالٌ واسع تتبارى فيهِ همم رجال الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ والاحسان . ويود كثيرون من كبار الاغنياء ان يساعدوا الفقراء والمساكين من ابناء نوعهم . ولكنهم لا يعرفون السبيل لذلك فهنا مجال واسع لهم يخدمون بهِ نوع الانسان خدمةً لا تقدَّر بانشاء مستشفيات للمسلولين يمرَّضون فيها مجاناً او بالاتفاق على بعض المسلولين في المستشفيات الموجودة الآن

ولكننا نخشى ان لا ننال مساعدة الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ في وقت قريب فيجب علينا ان نلجأ الى وسائل اخرى تمهد السبيل لهذه المستشفيات وتقوم مقامها ولو الى وقت

ومن هذه الوسائل الزام الاطباء باخبار الحكومة عن كل مسلول يشاهدونهُ . فقد اتضح ان لا بدَّ لمقاومة الامراض المعدية من معرفة كيفية انتشارها وزيادتها ونقصانها وكذلك لا بدَّ من هذا الإخبار في مقاومة السل لا لمعرفة انتشار المرض فقط بل ليُعلَم ما اذا كان المسلول محتاجاً الى المساعدة والإرشاد ولتطهَّر غرفتهُ بعد موتهِ او بعد خروجهِ منها. ولسنا محتاجين ان نخبر الحكومة عن كل مصاب بالتدرن ولا عن كل مسلول بل عن الذين يخشى من انتقال العدوى منهم الى غيرهم بسبب احوالهم المعاشية وضيق بيوتهم . وقد جرت بعض البلدان على ذلك فسنَّت لهُ بلاد نروج قانوناً بين قوانينها واصدرت لهُ بلاد سكسونيا امرًا وزارياً وجرى مثل ذلك في ولاية نيويورك وغيرها من الولايات الاميركية . وكان الإخبار اختيارياً في ولاية نيويورك ثم صار اجبارياً وقد ظهرت لهُ فائدة كبيرة وعسى ان يجري في سائر البلدان

وهناك وسيلة اخرى مرتبطة بإخبار الحكومة وهي التطهير وهذا لا يكون الاَّ بعد ما يموت المسلول او ينتقل من مسكنهِ لكي لا يُعدى الذين يسكنونهُ بعدهُ . ويجب ان يشمل التطهير مساكن المسلولين واسرَّتهم وفرشهم وثيابهم

ومن الوسائل التي يسلم الجميع بفائدتها ولزومها تعليم الناس من كل طبقاتهم ان السل معدٍ وتعليمهم كيفية الوقاية منهُ . ومن المؤكد ان السبب الاكبر لقلة انتشار السل حديثاً في البلدان المتمدنة هو معرفة الناس انهُ معدٍ واهتمامهم بالتوقي منهُ . فان كانت هذه المعرفة كفت لتقليل انتشارهِ فذلك موجب لنشرها حتى تصل الى كل احد ويعلم كل انسان ما ينالهُ من الضرر اذا خالط المسلولين . ولا بدَّ من ان تكون القواعد الموضوعة لهذا التعليم اخصر مما هي الآن وان يوضَّح فيها جيداً ان اشد الخطر في مساكنة المسلولين اي في النوم معهم في غرفة واحدة والاقامة معهم في معامل او مخازن لا يتجدَّد هواؤها . ولا بدَّ ايضاً من ان يكون فيها ارشادات للمسلولين ترشدهم الى ما يفعلونهُ وقتما يسعلون وما يفعلونهُ بنفثهم

ومن هذه الوسائل ايضاً وسيلة حديثة صار لها اكبر شأن بين الوسائل المستعملة لعلاج السل وهي المصاحّ (١) او المستشفيات الصحية التي تنشأ لاجل المسلولين

ومما لا جدال فيهِ الآن ان السل يقبل الشفاء في درجاتهِ الاولى ولذلك يرى انهُ اذا بُذلت الهمة لشفاء كل الذين يمكن شفاؤهم من المسلولين وهم في بداءة السل قلَّ عدد الذين يصلون الى الدرجات الاخيرة حينما يصير مرضهم معدياً فيقل انتشار السل .

ولكن هل يمكن ان يشفى من المسلولين ما يقلل عدد الاصابات الجديدة وجواباً عن ذلك اقول: يظهر من تقرير لجنة المصاح المنشأة لشفاء السل في المانيا انهُ سيكون فيها مكان لخمسة آلاف وخمس مئة مسلول في ختام السنة الحاضرة. ومتوسط ما يقيمهُ المسلول فيها ثلاثة اشهر فتكفي لان يعالج فيها عشرون الفاً في السنة. ويظهر مما ذكر عن نتائج

---

(١) [المقتطف] الكلمة الافرنجية سنتوريوم والجمع سنتوريا Sanatorium, Sanatoria ويراد بها الاماكن التي تنال فيها الصحة بطيب الهواء والتدابير الصحية بنوع خاص وقد ترجمناها بالمصحّ والجمع مصاحّ وفضلنا هذه الكلمة على غيرها لانها تقرب من المعنى المراد وهي غير مستعملة لمعنى آخر

المعالجة فيها ان باشلس السل يزول من خمس المسلولين الذين يعالجون فيها اي انه يشفى اربعة آلاف من العشرين الفاً. ويظهر من تقرير مجلس الصحة الامبراطوري ان في المانيا الآن ٢٢٦٠٠٠ مسلولاً من الذين عمرهم اكثر من ١٥ سنة وتجب معالجتهم في المستشفيات . فعدد الذين يشفون قليل جداً بالنسبة الى هؤلاء المسلولين حتى لا ينتظر منها نفع كبير في استئصال السل لكني لا احطُّ من قدرها ولا اريد ان يُفهم مني اني لا اريد تنشيطها وانما اريد ان لا يُبالغ في نفعها حتى يحسب الناس انه يمكن الاكتفاء بها والاقتصار عليها وان فائدة غيرها من الوسائل قليلة والحال ان فائدة غيرها اعظم من فائدتها فقد ظهر من احصاء الوفيات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٧ ان عدد المتوفين بالسل في هذا المدة قلَّ ١٨٤٠٠٠ عنه لو جرت الوفيات على ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٩ وسبب ذلك معرفة عدوى المرض والاهتمام بالتوقي منه . وقلَّت وفيات السل في نيويورك اكثر من ٣٥ في المئة منذ سنة ١٨٨٦ بواسطة التدابير الصحية

وعندي انه اذا اقتصرت المصاحّ على معالجة المسلولين الذين يُرجى شفاؤُهم واطيلت مدة معالجتهم اكثر مما تطال الآن زادت فائدتها كثيراً وشفي فيها نصف الذين يعالجون او اكثر من نصفهم . ولكن اذا تمّ ذلك وزاد عدد المصاح ايضاً تبقى الفائدة الناتجة منها قليلة حتى لا يمكن الاستغناء بها عن الاساليب الاخرى التي ذكرتها

واذا نظرنا الى ما تمّ حتى الآن لمقاومة السل والى ما يمكن ان يتم لمقاومته حقّ لنا ان نقول ان البداءة حسنة جداً وتبشر بحسن الختام . وتُذكر في هذه البداءة مستشفيات السل الانكليزية والقوانين التي سنتها نروج وسكسونيا لتخبر الحكومة بموجبها عن كل مسلول والنظام الذي وضعه الدكتور بغز في نيويورك والمصاح وتعليم العامة . هذا وغاية ما يطلب الآن ان تقوّى هذه الوسائل ويعمّم فعلها ويزاد وان تستعمل في كل مكان لم تُستعمل فيه حتى الآن

فاذا سرنا في هذا السبيل مسترشدين بوسائل الطب المنعي الحقيقيَّة وبما استفدناه من مقاومة سائر الاوبئة وتجنبنا الطرق المضلَّة واستقصينا الشر الى اصله فلا شبهة في اننا نخرج من هذه الحرب التي أثرناها على السل ظافرين غانمين

تذييل

لم يخطب احد خطبة اقامت العلماء واقعدتهم مثل خطبة الدكتور كوخ التي ترجمناها ونشرناها آنفاً فهو مكتشف ميكروب السل ومثبت عدواهُ وهو الذي جرأ العلماء على القول بان سل البقر مثل سل البشر وان اكثر موارد السل من اكل لحم البقر المسلولة وشرب لبنها . لكنهُ وقف الآن وقال قولاً صريحاً انهُ وجد فرقاً كبيراً بين ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وان الاول لا يفعل بالبقر كما ثبت لهُ بالتجارب الكثيرة وان الثاني لا يفعل بالبشر كما يستدلُّ من قلة حوادث السل المعوي الَّا ان العلماء الذين خطبوا بعدهُ كانوا مستعدين كلهم لتحذير الناس من لبن البقر المسلولة ولحمها وكانت الاحصاءات التي جمعوها مخالفةً لما اثبتهُ كما ترى في خطبة الاستاذ بروردل التالية وفي الخطب التي سننشر خلاصتها في الجزء التالي

وقام بعد الاستاذ كوخ شيخ الجراحين اللورد لستر وكان في كرسي الرئاسة فقال ان خطبة الاستاذ كوخ مفعمة بالفوائد من اولها الى آخرها ولكن فيها امراً احرى من غيره بالنظر وهو نسبة سل البشر الى سل البقر فان هذا الامر على غاية الاهمية لانهُ اذا كان الدكتور كوخ مصيباً فقد تسهلت الوقاية من السل كثيراً ولكن اذا كان مخطئاً واهملت العناية بنقاوة اللبن واللحم فهناك الخطر الكبير والضرر الكثير . ثم قال ان الادلة التي اقامها الدكتور كوخ على ان سل البشر لا يعدي البقر مقنعة على ما يظهر لهُ ولكن لا ينتج عنها مطلقاً ان سل البقر لا يعدي البشر ولا الادلة التي ذكرها الدكتور كوخ لذلك كافية ولا بدَّ من استئناف البحث والتنقيب في هذه المسألة قبلما يقرُّ المؤتمر على قرار فيها

وتلاهُ الاستاذ نوكار اكبر ثقة في فرنسا في طب الحيوان وقال ان الخطر من اتصال سل البقر بالبشر ليس كبيراً كما ظنَّ الناس حديثاً ولا صغيراً كما قال الدكتور كوخ الآن . ولعلَّ قصور ميكروب السل البشري عن التأثير في البقر ناتج عن تغيُّر حدث فيهِ بتغيُّر الاحوال واشار الى ان حوادث السل قلَّت النصف في بلاد الانكليز بالتدابير الصحية الَّا السل المعوي الذي يصيب الاطفال فانهُ لم يقل بل زاد للاعتياد في تربيتهم على لبن البقر كما اثبتهُ السر رتشرد ثورن. وقام بعدهُ الاستاذ بانغ الدنمركي والاستاذ وودهد الانكليزي وايَّدا قولهُ

والظاهر ان اعضاء المؤتمر كلهم مخالفون للدكتور كوخ ولكنهم على غاية الحذر لئلاَّ يكون مصيباً وهم مخطئون . وقد شرعت الحكومة الاميركية في اعادة تجارب كوخ وتمحيصها وسنوافي القراء بما يقرُّ عليهِ قرار العلماء الباحثين في هذه المسألة الخطيرة

اساليب منع السل

خطبة الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية تلاها في مؤتمر السل في ٢٤ يوليو

ان عدد المتوفَّين بالسل يختلف باختلاف البلاد فقد كان في بعضها سدس الوفيات وفي بعضها الخمس وفي البعض الآخر الربع — فتك ذريع مثل هذا اضطر كل الامم والحكومات ان تدقق البحث عن الوسائل المانعة انتشار هذا الداء المميت الذي هو الدُّ اعداء الانسان ومن العجيب ان صوت الإنذار بهذا الخطر العظيم اقتضى قروناً كثيرة حتى سمعهُ الناس وان اجدادنا بقوا القرون الطوال ينظرون الى هذا الداء الوبيل المحيق بهم غير مكترثين لهُ ولا مهتمين بهِ

وكان لهذا الاهمال او عدم الاكتراث اسباب عديدة . فقد اعتبروا ان الاهتمام بامر هذا الداء عبث لانهُ داء عياء لا ينجح فيهِ دواء ولا يُعرَف كيف ينتشر . وبالغوا في بعض ما شاهدوهُ من امرهِ فحكموا انهُ وراثيٌّ واسترسلوا الى هذا الحكم واتخذوهُ وسادة للتراخي والتقاعد عن البحث والتفتيش عن اصلهِ . والملاحظات المبنيَّة على الاختبار اعتُبِرت كأنها حكايات مجازية فقد روى الطبيب مورغاني انهم كانوا في ايطاليا في القرن السابع عشر يحرقون امتعة الذين يموتون بالسلّ خوف العدوى وهذا الطبيب نفسهُ قال صريحاً عن نفسهِ انهُ كان يتهيب فتح رمَّة مسلولٍ خوفاً من سريان العدوى اليهِ . ولكن لما قام فلمن في مدرسة الطب في ٥ دسمبر سنة ١٨٦٥ وأجرى تجارب وامتحاناتٍ برهنت وجود العدوى حقيقةً وجاء بعدهُ رصيفنا الشهير الاستاذ روبرت كوخ واكتشف واثبت للاطباء وجود المسبّب لهذه العدوى حينئذٍ شعر كلُّ واحد بانفتاح باب جديد للفرج وارتاحت كل امَّة الى الاستفادة من الخير العمومي المبني على هذه الاكتشافات العلمية الحديثة . وقبلما شُهِرَ اكتشاف العالمين اللذين نوهتُ بهما الآن كان الشعب الانكليزي قد تحفَّز لتلافي الخطب ونهض للعمل واذ تحقَّقوا بالاختبار ان السلَّ تطيب لهُ الاقامة في الاماكن المظلمة الرطبة حيث يشري شرُّهُ ويزداد فتكهُ سنُّوا سنَّةً منذ سبعين سنة بوجوب بناء المنازل على قواعد صحيَّة . ومنذئذٍ لم تفتر همتهم ولا كلَّت عزيمتهم بل سنُّوا عشر سننٍ أُخرى واصلحوا بيوت الفقراء والمعامل والمدائن والمملكة كلها . وهذا العمل الخطير وُسِم باسم جلالة الملكة التي عُنِيَت بإنفاذهِ فسمي عصرهُ عصر فكتوريا وكفاها بهِ اجلالاً وتكرمة . واني باسم جميع مواطنيَّ اتحد مع زملائي من الشعب الانكليزي في اتخاذ هذا الاسم الاثير واطلاقهِ على الجهاد الصادق الذي قضي في هذا السبيل والنجاح العظيم الذي نتج عنهُ فقد قلَّت وفيات السل في البلاد الانكليزية اربعين في المئة فلكم الفخر

بذلك وما علينا الآن نقتفي خطواتكم

وقدا قُتْرِح عليَّ أن اخطب في الاساليب التي اتخذتها الأُمم منعاً لتفشي داء السل فلبَّيت الدعوة ووددتُ من كل قلبي ان اعمل مرضاة زملائي الفضلاء ولكن لسوء الحظ يصعب عليَّ الحصول على التقارير الصحيحة في هذا الشأن . والوقت المعين لتمحيصها أقصر مما يطلبهُ هذا الموضوع المهمّ فاخاف انَّ كلامي لا يخلو من الايجاز الكثير ومن الغلط ايضاً على اني أسرُّ بأن أنبّه الى ذلك وارجو من زملائي ان لا يبخلوا عليَّ بهذه المنَّة فتدرك رغائب اللجنة وتصبح كل امةٍ باطلاعها على ما فعلتهُ جاراتها مرتاحةً الى المنافسة والمسابقة في ما يعمّ نفعهُ وتجمل فائدتهُ

ايها السادة ان الاسباب المبني عليها منع السلّ هي واحدة في كل بلاد وعليها اجمع اطباء العالم . فالسلُّ يسهل اتقاؤُهُ ويمكن شفاؤُهُ : والوسائط المتخذة لتحقيق هذين الامرين هي هي في كل البلدان ولكن بعض الأُمم نالت فيها الاسبقية بهمة علمائها المحرّضين على ذلك والمشوّقين اليهِ وفضلِ حكومتها المنفذة لقوانينها الآمرة بهِ

فاستأذنكم في الالتفات الى سنّ القوانين الصحية . اذا كان القانون يعترض اعمالنا اليومية ويناقض عاداتنا الراسخة ويقتضي مع ذلك ان ينفَّذ في بيوتنا لا يستطاع تنفيذهُ ما لم يطلبهُ الرأي العام ويقنع الجميع بفوائدهِ ويتحقق كل انسانٍ خطر العادات الرديئة ويصبح مستعداً بنفسهِ لاصلاحها والطلب الى جارهِ ان يأخذ مأخذهُ ويجري مجراهُ . هذه هي حقيقة الحال في انكلترا وأراها افعل واسطة للاصلاح العامّ . فاول ما تدعو الحال اليهِ تنبيهُ الرأي العام وتهذيبهُ ولعلكم تسألونني كيف نجح تنبيه الرأي العام الى مضادة السلّ ومقاومتهِ . فقد انشأتم في انكلترا سنة ١٨٩٩ برئاسة سمو البرنس اف ويلس (جلالة ملكها الحالي) جمعية وطنية لمنع السلّ وغيرهِ من الامراض التدرنية . وكان غرضها اجراء المنع بواسطة تهذيب عامة الشعب ونشرتم مجاناً كراريس في هذا الموضوع منها " الجهاد ضد السل " و" اللبن والتدرن " و" المواد التي اطلاقهُ " و" كيف يمنع السلّ " الخ . وقد تألفت تلك الجمعية من رجال في مقدمتهم الرجال الذين فتحوا هذا المؤتمر . والمانيا أسَّست جمعيات لاجل بناء المصاحّ (الملاجيء الصحية) وجمعيات أُخَر لاجل نشر هذا الرأي وجعل التدابير الصحية من الامور المألوفة . وهي صغيرة ومنتشرة في البلاد وتطبع كراريس تنشرها لافادة العامة . وفي البلجيك عُقدت محالفة على السل مقرها في بروكسل ولها في كل مقاطعة فرعٌ مستقلٌ . وفي نروج اقرَّ مجلس الامة على انفاق ٤٠٠٠٠ ريال على طبع وتوزيع كتاب موضوعهُ السلّ تأليف الدكتور كلدس هُسن . و ٢٠٠٠ ريال تعطى لفريق من الاطباء نفقة سفر الى حيث يتمكنون من الالمام بادارة المصاحّ (الملاجيء

الصحية) . وفي فرنسا اتخبت جمعية مقاومة السلّ بالتعليم العمومي التي بادارة الدكتور بيرو كلّ مَن رأته قادراً على التعليم ومسموع الكلمة نظير لافيس ومانينون وفكتور ين وساردو ولاندوزي وغيرهم . وكثيرون منا خطبوا على الجماهير واوضحوا لهم قوانين التوقي حتى كادث تعمّ النهضة لمقاومة السلّ . وقد تذرعت بنصبي كرئيس للمجمع الصناعي الى نشر التعليم العمومي في باريس . وفي هذه السنة ألقي ٨٨ خطاباً في السلّ على ١٢٠٠٠ نفسٍ . وهكذا اخذ العامة في كل بلاد يحققون بالتدريج شدة ضرورة الاعتناء والنظافة الشخصيين لمنع العدوى وان المسلول لا يكون منهُ خطر الاّ اذا لم تؤخذ لهُ الاحتياطات اللازمة ولم يعتنِ هو نفسهُ بوقاية اقربائهِ واصدقائهِ ورُفقائهِ من العدوى

ولا يجوز ان تُشرَب القلوب شدة كراهة السلِ ونبذ المسلول . فقد كان المسلولُ قديماً يعيش اشهراً عديدة بدون ان يُعديَ زوجتهُ واولادهُ . والخطر في اللعاب او النفث الذي يحتوي على الوفرِ من الجراثيم المعدية . والنفث او البصق على الارض عادة قبيحة كثيرة الخطر . و بزوال هذه العادة يقلّ انتشار السل على الفور . اما فعل النفث في نشر السل فيختلف باختلاف الاحوال ودرجات السل فاذا جُمع البصاق في مبصقة خاصةٍ او مبصقة عامة ولكن فيها مواد مضادّة للفساد او أُتلف بحرقهِ او غير ذلك من الوسائط لم يعد فيهِ من خطرٍ على احد . واذا أُلقي في ارضٍ ناشفةٍ معرَّضة لاشعة الشمس يفقد خواصهُ الضارَّة . اما اذا بقي في ارض رطبة مظلمة يحفظ قوتهُ الى وقت طويل وهكذا يرتاد فرائسهُ في الاماكن المظلمة الرديئة الهواء والخالية من النور

وهذا الامر قد اصبح معروفاً عند كل الأُمم لكنّ الفضل الاعظم لانكلترا التي تنبهت على هذه الحقيقة المهمة قبل غيرها وتوفقت الى حلّ هذه المسألة الخطيرة على وجهٍ مختصٍ بها . واذ عُلم ان المساكن التي لم تُراعَ فيها الشروط الصحية تُعين على انتشار هذا الداء الوبيل سُنَّت القوانين القاضية بهدم مثل هذه المساكن وبناء المساكن الموافقة للصحة

فقد سنتم منذ عام ١٨٣٦ قوانين لبناء المساكن الصحية وهذا الحرص من الحكومة شوّق اهل الخير والاحسان الى الاشتراك في هذا العمل المبرور فقام منهم اناسٌ ينبغي ان تظلّ اسماؤهم مذكورةً بالخير لدى المهتمين بحفظ الصحة العمومية

اما في المانيا فلم يهتم الجمهور بهذا العمل الاهتمام الواجب لكنّ الامة البلجيكية كانت من اشدّ الأُمم غيرة على العناية بشأنِ المساكن الصحية . وفي الدنمرك بلغت جمعيات المباني الصحية غاية التقدم وسنة ١٦٠٠ جعل الملك خرستيان الرابع نفسهُ مثالاً بأن بنى بيوتاً بجنّاتٍ وجعلها

مساكن لخدمتهِ . على ان جراثيم السلّ اذا وقعت في بيت رطب مظلم تحتفظ بقوتها ونشاطها وقتاً طويلاً سواءٌ كان ذلك البيت في المدينة او في الاماكن المحيطة بها حيث يكون السكان مزدحمين . وليس غريباً أن نرى في باريس في غرفة واحدة خمسة اشخاص او ستة او ثمانية واحياناً اثني عشر شخصاً ساكنين معاً . وفرص العدوى تكثر بهذا السبب وحدهُ وزد عليهِ قذارة السكان وعدم امكانهم ان يعتنوا بالنظافة المطلوبة

فتتولد بعض بؤَر السلّ في تلك المساكن وتشن الغارة على غيرها فان الفعلة والخدمة يحملون الجراثيم الى معاملهم ومصانعهم ويجعلون المدينة مقرّ العدى . لكني هنا ينبغي ان انبه على حقيقةٍ مهمة واحذر فلا اركب متن التغرير والتضليل . فالمدينة لا تكون موبوءة كلها بل يختلف عدد الوفيات بالسلّ في احياء ملاصقةٍ بعضها لبعض اختلافاً بيناً . ففي احياء باريس يختلف عدد المتوفين بالسل من ١٠ الى ١٠٠ في كل ١٠٠٠٠ ساكن وفي كل حيّ مرتع خصيب لجراثيم السل . فهذه علينا أن نكتشفها ونقوّضها ونزيلها . وفوق ذلك ايضاً يجب الاحتراز من بناء منازل جديدة مخالفة للقواعد الصحية لانها تكون خطراً على المدينة والبلاد . وفي اكثر المدن الآن نرى رسم البيوت خاضعاً لقوانين بلدياتها الصحية وهو احتياط ضروريّ جداً لا صرامة فيهِ مهما بولغ في انفاذهِ . هذا وانّ مضار المسكن الذي لم تراعَ في بنائهِ التدابير الصحية لا تحصر في خطر العدوى المشار اليها . فان الحاجة الى النور والهواء تؤثر في تغذية سكانهِ فيهزل الاولاد ويعجز الاقوياء عن المقاومة ويصبح كل ساكن في مثل هذه البيوت عرضةً لتطرّق الامراض المعدية اليهِ . واذا قصرنا نظرنا على السل رأينا ان هذه المساكن تعد الناس لهُ وتجعل اقوامهم كما لو كان مولوداً من ابوين مسلولين . فالنظامات الانكليزية والالمانية والايطالية والفرنساوية وغيرها مما اشرت اليهِ قبيل هذا سديدة صحيحة ويجب ان تنفَّذ على الدوام خصوصاً عند ما يعرض الميل الى حشد الجانب الاعظم من السكان في المدن وعند ما تراعى الاسباب الصحية في المدن تضمن الصحة في البلاد كلها . والمساكن التي لم تراعَ فيها اسباب الصحة تسبب بلايا أُخر لانها اذ تكون مظلمةً ومزحومةً فالنظافة يصعب حصولها فيها ان لم نقل يتعذر ولا يرى اهلها ما يستميلهم الى قضاء الوقت فيها ولذا قلما يمكث العامل في بيتهِ . نعم انهُ يأكل وينام فيهِ ولكنهُ يقضي باقي وقتهِ في الحانات . ولقد صدق جول سيمون بقولهِ " ان منازل الفقراء مصادر الحانات " ولنا ان نزيد عليهِ ان الحانات مصادر السل . وبالحقيقة ان ادمان المسكرات اعظم عامل على انتشار السل واقوى انسانٍ متى اعتاد المسكر اصبح ضعيفاً جداً وعاجزاً عن مقاومة هذا الداء

ويعوز في الوقت لأتكلم عن القوانين المسنونة لاجل كبح جماح هذا الشرّ المستفحل وردّ تيار هذا الآفة الطاغية . لكني اقول ان صراخاً عاماً من اقصاء المعمور ينذر بالويل والثبور ويشير الى آفات المسكرات فكلُّ وسيلةٍ او واسطةٍ مأخوذةٍ من حكومةٍ او فردٍ من افراد الرعية لتقليل اضرار المسكرات تكون اكبر عونٍ لنا على هذا الجهاد المشروع فيهِ ضدّ السل على انّ هذه المسألة اكبر من ان نبحث فيها هنا ومع ذلك اودُّ التنبيه على خطاٍ كثيراً ما يرتكبهُ وزراء المالية في بلدان مختلفة . فانهُ يحلو لهم ان يذكروا المبلغ الذي تفرضهُ الحكومة ضريبة على المسكرات لكنهُ يجب عليهم ان يطرحوا منهُ ما تتكبدهُ الامة من الخسارة بكل عائلة سكيرٍ تحكم بهِ التلف والخراب وترك لها اولاداً فاسدي الاخلاق مخطي الشأن عرضةً للادواء الوبيلة والامراض المعدية كالداء الخنازيري والصرع وغيرها وفي حاجةٍ شديدة الى كل شيء . ان هذه الغارة الشعواء التي يشنها المسكر ينبغي ان يعتبرها كل واحدٍ خطراً عاماً طارئاً . وهذا الحق الصريح الذي لا ريب فيهِ ويجب ان يكون معلوماً عندكل انسان هو أنّ مستقبل العالم في ايدي اهل الصحو والاعتدال الذين يعافون المسكر . والمخاطر المحيطة بإنسانٍ في بيت مضر بالصحة هي نفس المخاطر المحدقة بمن لاجل عملهِ او واجباتهِ او مسرّتهِ او لسبب مرضٍ او امرٍ آخر يمكث يوماً او جزءاً من اليوم في مكانٍ ازدحمت فيهِ اقدام كثيرين غيرهِ وازدادت الاسباب المضرة بالصحة . فان كان ذلك الانسان صحيحاً فالخطر عليهِ من رفقائهِ . وان كان مريضاً فعليهم الخطر منهُ . وهذا الخطر من مخالطة الناس الذي لا بدّ منهُ في عصر التمدن يزداد كل يوم فهو الجزاء المفروض وبهِ يعلل انتشار السل المخيف . وبهذا الاعتبار نُظر في امر اولئك الذين أُعدّوا للمرض بالوراثة العائلية ورداءة مساكنهم فكان من الواجب في بعض البلدان ان يسعى في تقوية هؤلاء المنكودي الحظ ويؤهلوا لصد هجمات الخطر الذي يتهددهم.

ولقد اصاب من قال ان الحداثة والشبيبة يسهل فيهما التأثير على الانسان اكثر مما في غيرها من اطوار الحياة وانّا مديونون لبعض المدن والافراد في ايطاليا وفرنسا وغيرهما من البلدان التي هزّتها الاريحية لبناء مصاحّ (ملاجئ صحية) على الشواطئ البحرية للاولاد الضعفاء ففي فرنسا ١٤ مصحّاً يأوي اليها سنوياً اكثر من ٢٠٠٠ ولد وقد نجمت عنها نتائج حسنة . وليؤذن لي هنا ان اقول اننا مديونون بهذا النجاح للهمة والنشاط المبذولين من لدن استاذنا الجليل الدكتور برجرون Bergeron . وقد نحت بعض البلدان هذا المنحى فانشأت مصاحّ ترغب الناس في قضاء اوقات العطلة في السواحل البحرية او الاماكن الجبلية . وكل ما عمل من هذا القبيل بواسطة اهل النجدة والإحسان يعين على انقاذ المساكين من مخالب العدوى .

وسنة ١٨٩٣ انشأَت مدام هرفين في سيدان حدائق عمل للاولاد والشبان ووالديهم ومساحة هذه الحدائق اكثر من الفي متر مربع تسع ٣٢١ عائلة مؤلفة من ١٢٥١ نفساً . والجمعية تمدُّ كلاًّ عائلةٍ بما يلزم لها من الادوات والبذار والسماد . وسنة ١٨٩٤ اقام الاب فوابت بساتين للعمل في سنت اتين مساحتها نحو ٤٢ فدانًا تسع ٤١٠ عائلات مؤلفة من ٢٤٦٠ نفساً ويوجد من هذه البساتين في برمي وبعضها انشئ حديثًا في فونتنبلو وفلربان بقرب ليون

وقبل النظر في مسئلة شفاء السل اتكلم ولو بغاية الايجاز على الوسائط المتخذة لمنع عدوى السل بالطعام . فمنذ ما اوضح شوفو ان جراثيم التدرُّن التي تكون في الطعام تولّد تدرُّنًا في الامعاء انصرفت العناية الى منع اكل اللحم واللبن من الحيوانات المسلولة . اما من جهة اللحم فمراقبة المسالخ في المدن الكبيرة تقضي هذه الحاجة . وفي البلجيك نرى هذه الواسطة مرعية الإجراء في الارياف ايضاً لكنني لا اعرف مملكة اخرى تفتش فيها المجازر الخاصة حيث تذبح البقر المسلولة والخنازير المصابة بالحصبة والحيوانات المختلفة الامراض ومع ذلك تترك الحيوانات من غير فحص ويؤكل لحمها الضار طريًّا او فطائر او مقانق لم تنزع منها الاحشاء المتدرنة . ومما لا يصح الاغضاء عنهُ نقل اللحم من بلد الى آخر فان قطع اللحم ترد من الارياف الى الباعة في المدن من غير ان تفحص . ولا يصح الاغضاء عن نشر السل بواسطة اللحم كما لا تصح البالغة فيهِ . ولكن في طاقة الحكومة ان تقي شعبها منهُ . وقد تقدمتنا حكومة البلجيك فكانت لنا خير مثال

وليس من ريب في ان بعض اللبن الذي يشربهُ الناس هو من بقر مصابة بالتدرُّن في ضروعها . وقد اشار الصحيني الانكليزي الشهير السر رتشرد ثورن الى ان عدد الوفيات بالسل بين البالغين في انكلترا قد تناقص منذ سنة ١٨٥٠ نحو ٤٥ في المئة ثم تأسف على انهُ رأى عدد الوفيات بالداء المذكور بين الاطفال زاد من ذلك العهد ٢٧ في المئة . وعندهُ أنَّ هذه الزيادة نشأت عن تدرُّن الامعاء بسبب شرب الاطفال من ابن سنة فما دون لبنًا تشوبهُ العدوى لان البقر في انكلترا لا تُفحَص . أمَّا في فرنسا فالظاهر ان النظام يجيز مراقبة البقر ومقاليدهُ في ايدي حكام المدن لكنَّ هؤلاء لكي يُنفذوا القانون ينبغي ان يبلغهم خبر البقر المصابة في ضروعها وهذا انما يستطيعونهُ اذا اخبرهم بهِ البقَّارون (اصحاب البقر) وهؤلاء لا يعلنون ذلك الاَّ متى جفت الضروع ولم يعد فيها من خطر يتهدد الغير . وليس يخاف ان اللبن في الغالب يكون مزيجًا من بقرات متنوعةٍ ولبن بقرةٍ واحدةٍ مصابةٍ بالتدرُّن يكفي لافساد المزيج كلهِ . فلدرء هذا الخطر ينبغي اعتماد وسائل الفحص المدقق والمراقبة المستمرَّة كما

هو جارٍ منذ سنين عديدة في بلاد الدنمرك واسوج ونروج . وريثما تتحقق هذه الامنية يجب التذرُّع الى رفع الخطر باغلاء اللبن قبل شربهِ وهذا الامر ينبغي اذاعتهُ وتعميمهُ بالرغم عمَّا ارجف البعض بقولهم ان اللبن المغلى قليل الغذاء صعب الهضم

واذا أُصيب انسان بالسل وجب بذل المستطاع لاجل شفائهِ لانهُ يمكن ان يشفى وليس من ريب في هذا الامر . فمن اختباري الشخصي في معرض الجثث في باريس حيث اشرح غالباً جثث المتوفين غرقاً استطيع القول انهُ في نصف الحوادث — هذا اذا كان الميت سكن باريس منذ نحو عشر سنين — وجدتُ آثاراً تدلُّ على ان الميت اصيب بالسل وشفي منهُ . ومن الواضح ان الذين فحصت رممهم في الملاجيء والمستشفيات ومعرض الجثث لم يتخذوا شيئاً من الاحتياطات التي نحسبها ضرورية . وبالرغم عن عوائدهم القذرة المضرَّة كانت بنيتهم قويةً على صدّ غارات الداء . ولهذه الآثار التشريحيَّة معنى آخر وهو انها تدل على ان السل كان متقدماً فيهم جدًّا . فالسل يقبل الشفاء حتى في اقصى درجاتهِ وهذه حقيقة مصدقة من مشاهير الاطباء . وقد قال غرانشو "ان شفاء المسلولين ايسر من شفاء المصابين بباقي الامراض المزمنة"

وبما انَّ شفاء المسلول ممكن فمن الواجب ان يبذَل الجهد في تحقيق ذلك . واذا اقتنع الطبيب بشفاء مريضهِ تغير التفاتهُ الى هذا الداء . اما قبلاً فإذ كان قانطاً من انهُ يستطيع عمل شيء لمريضهِ لم يكن يجسر ان يخبر المريض ولا اصدقاءهُ بطبيعة المرض . امَّا الآن وقد صار الشفاء ممكناً فصار يعامل المريض بعكس المعاملة السابقة . واذا صح انهُ يمكن الشفاء من السل في كل درجاتهِ فمن باب اولى يكون الشفاء ممكناً اذا تحوَّط المرء من بادىء الامر قبلما يتمكن السل منهُ اي حينما تكون المقاومة في جسمهِ قوية . ولا بدَّ للطبيب من ان يخبر المريض وعائلتهُ انهُ مصاب بمرض منهُ خطر شديد ولكنهُ يقبل الشفاء ولا يستطيع ذلك ما لم يكن قادراً ان يخبر المريض بافضل طرق العلاج العلمية التي يستخدمها

وما هي افضل الطرق وكيف يتمّ اجراؤُها في البلدان المختلفة . ففي هذا الخطاب اقصر بحثي على المرض من حيث فعلهُ بالفعلة والمستخدمين . والعلاجات التي يشار بها فيهِ تختلف بحسب الدرجة التي بلغها المرض وكون المريض غريباً او متزوجاً او ربَّ عائلة . ولهذا الداء ثلث درجات محدودة . ففي الاولى يسعل المريض ويصاب بالزكام فماذا يعمل في الغالب . اما انهُ لا يكترث للامر او انهُ يبتاع من الصيدلي دواء ليزيل السعال . وتمرُّ الايام والاسابيع والاشهر فان اشتدت وطأة البرد تسوء حالهُ وان اعتدل الهواء تحسَّن قليلاً . ولا تلبث ان

تنوبهُ اعراض شديدة ثم تصيبهُ الحمَّى والنحول فيضطر ان يترك عملهُ ويظن ان مرضهُ ابتدأ مذ الآن ونحن نعلم انهُ يكون قد وصل الى الدرجة الثانية وان المعالجة صارت ضرباً من العبث في الغالب . اذًا تهمنا الدرجة الاولى من هذا المرض حين تكون المعالجة مفيدة . فبأيّ شيء نستطيع ان نفيد المسلول في الدرجة الاولى

ففي المانيا مستوصفات متعددة للمسلولين في المدن الكبيرة منها حيث يكون الطبيب مجهزًا بالادوية اللازمة ومستعدًّا لمشاهدة المرضى الذين يأتون اليهِ . وهناك لجنة مؤلفة من رجال البر ونساء الاحسان تفتش عن المسلول في بيتهِ وتخبر زوجتهُ بما ينبغي ان تفعل لهُ وتساعدها على حفظ البيت نظيفاً وتنظر في اعداد اساليب الوقاية وتقدم لهُ ما يقوم بمعيشتهِ ومعيشة اهل بيتهِ . وقد اشار المسيو كالمت بذلك سنة ١٨٩٩ وزاد عليهِ انهُ عوضاً عن ان ننتظر المسلول ليأتي ويستشير الطبيب نذهب اليهِ نحن وندعوهُ الى ذلك دعوةً ونعرض مساعدتنا عليهِ قبلما يشعر بانهُ في خطرٍ . قال واود ان اكتشف التدرن حالما ينشأ واتمكن من ارشاد المصاب بهِ الى استعمال الوسائط الضرورية وهو باقٍ مع عائلتهِ غير مضطرٍ الى مفارقتها . وقد اخرج كالمت هذا الامر من حيز القوَّة الى الفعل فانهُ انشأ صيدلية مجانية للعلاجات المضادة للسل في لِلْ سماها اميل روفنجحت نجاحاً عظيماً وقد اسس الدكتور بونه محلاً اشبهَ بهذا في باريس في حي مونت مارتر واُخذ في بناء اماكن اخرى من هذا النوع . وقد تبين بالاختبار ان الفعلة لا يأنفون المجيء الى هذه الاماكن بعضهم لداعي السعال والبعض لشعورهم بالداء . وعندي ان افضل طريقةٍ يُثار بها هذا الداء من مكمنهِ هي ان يقام على الفعلة رقباء ووكلاء يلاحظون رفقاءهم حين يسعلون وينصحون لهم ان يذهبوا الى حيث يعالجون واذ يرسخ في اذهانهم ما في وساخة المعامل وساحاتها من الخطر يرتاحون من تلقاء انفسهم الى الدأب على حفظها نظيفةً وهكذا يتعلمون مقاومة هذا الداء العياء . والذين يأتون الصيدلية يصادفون عناية كبيرةً من الاطباء ويُخبرون ان هذا الداء ينتشر بالبصاق وادمان المسكرات . ويُعتنى بهم ويعطون مرق اللحم مرَّة او مرَّتين في اليوم كما تسمح الاحوال . وتُمَدُّ يد المساعدة لعيالهم وتُراعى الشروط الصحية في بيوتهم

وبعض هؤُلاء المرضى ينبغي ارسالهم الى المصاحّ فان كان المريض عزباً ويمكن ارسالهُ الى واحدٍ منها فذلك اضمن لشفائهِ . اما ذهاب المتزوج فيتطلَّب الاعتناء بامرأتهِ واولادهِ مدة غيابهِ لكي لا يشغل بالهُ بهم ولا يقلق لاجلهم

وليس من غرضي البحث عن بناء المصاحّ وتدبيرها . ولكن ينبغي ان نذكر فقط انها يجب

ان تكون منفردة لا تتطرّق اليها عفونة ولا فساد حسنة الترتيب المعالجة فيها بالراحة الطبيعية والادبية والغذاء الكثير والهواء النقي

وهذه الطريقة قد اتبعت في المانيا بارتياح ونشاط لا مزيد عليها وقد ساعدت الحكومة فضلاً عن أهل الخير والاحسان على تأييد هذا العمل العظيم متحققة فائدتهُ العظيمة . وفي المانيا الان ٨٣ مصحًّا عمومياً مفتوحاً او على اهبة الفتح وهي تسع ١٢٠٠٠ مريض سنوياً . أنشأتها شركات الضمانات وبنوك المرضى والمعامل التي تكاتفت على تأسيسها لفعلتها ومستخدميها ووضعت ضريبة في بعض الاماكن وهي طفيفة من نصف غرش فاكثر على النفس . وقد بنت الحكومة عدة مصاحّ لمأموريها واقرّت لجنة المالية في مجلس النواب ان يبنى مصحٌّ للحكومة تحت ادارة وزير الداخلية . والمعالجة تقتضي ٩٠ يوماً على الاقل وقد علم بالاختبار انهُ يحسن بالمرضى ان يقضوا في المصحّ شهراً آخر من السنة التالية

وكان من الذين غادروا المصاحّ وهم قادرون على العمل ٤٦ في المئة سنة ١٨٩٦ و ٤٧ في المئة سنة ١٨٩٧ و ٥٨ سنة ١٨٩٨ و ٦٠ سنة ١٨٩٩ . وكانت نفقة المريض في اثناء الاشهر الثلاثة ثمانية فرنكات يومياً وهي تشمل ما ينفق على عائلتهِ وهو نحو ثلث المبلغ . وهذا المنهج الذي انتهجتهُ المانيا كان مثالاً لغيرها . فبنت انكلترا وسكوتلندا واوستراليا وكندا بعض المصاحّ . وخصص اهالي الولايات المتحدة اقساماً من مستشفياتهم بالمسلولين وانشأوا ثلثين مصحًّا صغيراً . وبنت جمعية الاباما مصحًّا للمسجونين ونظارة البحرية مصحًّا آخر للبحارة وفي نيويورك الآن ستة مصاحّ . ووهب ملك اسوج المبلغ الذي جمع لهُ في يوبيلهِ وهو ٢٣٠٠٠٠٠ ريال لاجل بناء ثلثة مصاحّ وعين مجلس امتهِ ٨٠٠٠٠٠ ريال لهذه الغاية واعطت الحكومة الارض اللازمة لهذه المصاحّ الثلثة وشيدت فرانسا عدة مَصاحّ وشعرت كل الامم باهمية هذا الامر الخطير واخذت تقتدي بعضها ببعض في اتمامهِ وسيأتي وقت لا يترك فيهِ المسلول وشأنهُ بل يجد اذا كان بعدُ في الدرجة الاولى من مرضهِ انهُ لا يزال لهُ رجاء بواسطة العلاجات والمداواة

واذا كان المسلول قد تجاوز الدرجتين الاوليين حينما يطلب الدخول في المستشفى لا يجوز قطع الامل من شفائهِ بل يقبل ويوضع منفرداً لكي لا ييأس بما يراهُ في رفقائهِ من الالم . وقد اعتني في برمبتون بالف وخمس مئة مسلول مدة عشرين سنة ولم يعدَ منهم طبيبٌ ولا خادمٌ ولا ممرض وهذا الامر شهد بصحتهِ كثيرون من الاطباء الذين يوثق بصدقهم

ايها السادة لما اقترحَ عليَّ أن اذكر الاساليبَ التي تذرَّعت بها الامم لمقاومة السل سئلتُ

ايضاً ان انظر في المسألة من وجهٍ دولي . فلا اظن انهُ يسعنا ان نعامل السل كما عُومل الطاعون والهواء الاصفر والحمّى الصفراوية لمنع دخوله الى البلاد . ولا ادري كيف يستطيع احد من الاطباء ان يجزم بان هذا المسافر او ذاك غير مصاب بداء السل . لكنهُ قد يمكننا اتخاذ وسائط عامة من جهة أُخرى وذلك بان تُطهر مركبات سكك الحديد والسفن والفنادق من العدوى حتى يأمن المسافر جراثيمها وهذا من التدابير الدولية وقد ارسل مؤخراً وزير الاشغال العمومية في فرنسا منشوراً الى اصحاب السكك الحديدية يدعوهم الى وجوب التحفظ لمنع خطر العدوى بالسل . وعلى اصحاب الفنادق في بلدان كثيرة ولا سيما في الولايات المتحدة ان يخبروا البلدية بكلّ مسلول نزل عندهم . ويطهروا غرفتهُ عند خروجهِ منها . على ان وزير داخلية المانيا زاد في التشديد بان أوجب على كل طبيب شاهد حادثة من سل الرئة او سل الحنجرة ان يخبر البوليس كتابة حالما ينتهي من تشخيص المرض . وبعد الموت بالسل ينبغي ان تطهر الغرفة التي كان فيها المسلول وكل امتعتهِ . وعلى اصحاب الفنادق والمنازل والملاجىء وغيرها من الاماكن العمومية ان يعلنوا في الحال كل حادثة من هذا النوع تعرض في مساكنهم

وإخبار الحكومة والتطهير ومراعاة الشروط الصحية في الفنادق والمركبات والبواخر مسائل عامة ينبغي الالتفات اليها من جميع الأُمم . والامر الذي ينبغي ان نستفيده من تضافر كل الامم على مناصبة هذا الداء هو انهُ يجب علينا ان نُعلن في احاديثنا ومطبوعاتنا العمومية ونشراتنا الخصوصية ان السلّ يمكن تجنُّبهُ وان المصاب بهِ يمكن شفاؤهُ . والوسائط المتخذة الآن لمقاومة هذا الداء الوبيل ستزداد على توالي الايام قوة وانتشاراً ولا تبقَ محصورة في ايدي بعض الجمعيات بل يعمُّ الاحتفال بها والتعويل عليها من جميع الحكومات وسائر الشعوب ولنا مذ الآن ان نتنبأ ان العالم المتمدن سيتحد بنفسٍ واحدةٍ ورأيٍ واحدٍ ويتوفّق اخيراً الى استئصال شأفة هذا البلاء

ايها السادة قلت منذ عشر سنين في مؤتمر الصحة في لندن ما يأتي :

" ان قرناً يستطيع المرء ان يكتب في اولهِ اسم جنّرو في اخرهِ اسم باستور لحريٌّ بان يسرّ بهِ نوع الانسان لانهُ تمَّ فيهِ مما يزيل الشقاء والمرض والموت اكثر مما تمَّ في كل عصر من العصور التي تقدمتهُ " . فالفخر للقرن التاسع عشر ولكن القرن الذي ابتدأ حديثاً رأى في سنتهِ الاولى اعظم عملٍ عُمل لاجل الصحة العامَّة . فعسى ان لا نجد في طريقنا ما يعوقنا وعسى الذين يخلفوننا في اواخر القرن العشرين ان يشهدوا بان اتعابنا لم تذهب سدًى وان نتائج مساعينا جاءت وفق مشتهى الامم التي مثلتموها ايها السادة باجتماعكم في هذا المكان لاشرف غاية خطرت على بال انسان

عمران دمشق

تاريخها العصري

ضاعت سيرة احمد باشا الجزّار البشناقي الذي نفذ حكمهُ في سوريا ٢٨ عاماً واخذ دمشق اربع مرات اولاها سنة ١١٩٨ كما ضاع كثير من الانباء الاخيرة . ومما يؤرخ من حوادث القرن الثالث عشر حادثة الصدر الاعظم سليم محمد باشا سنة ١٢٤٦ وقد جاء دمشق والياً بعد ان أباد جيش الانكشارية في الاستانة فهمَّ ان يغتال بعض اعيان المدينة وعلمائها لانهم حالوا دون تنفيذ مآرب لهُ من ضرب خراج على عقارات دمشق فجمعهم بحجة دعوة في القلعة ولما احسوا بمكيدتهِ ثار العامة بالباشا تهم فضربهم من ابراج القلعة بالقنابل ولما ضاق عليهِ خناق الحصار جاء في بعض رجالهِ الى دارٍ في باب البريد فتأثرهُ العامة وقتلوهُ وحاشيتهُ حرقاً

وبعد مُضي اشهر جاء دمشق ابرهيم باشا بن محمد علي باشا عزيز مصر للانتقام من عبد الله باشا والي عكاء فجعل دمشق عاصمة سورية ومنع الرشي والمحاباة وبثَّ قواعد المساواة وابطل المصادرات وقرَّر حقَّ التملك وبسط ظلَّ الامن . وزاد صاحب الروضة الغناء انهُ نشَّط الزراعة والتجارة والصناعة وامر بتعميم تربية دود الحرير ودودة القرمز . واكَّد لي كثيرون ان بعملهِ هذا استعادت اكثر قرى حوران وعجلون وحماة وحمص وغيرها من اصقاع الشام عمرانها الذي كانت فقدتهُ منذ عشرات من السنين . وقرَّب العلماء والشعراء ورخَّص للاجانب في إرسال معتمديهم الى الفيحاء وكانوا يُمنعون من دخولها قبلهُ

غير ان حكمهُ كان مشوباً شأن كل داخل بالسفك والبطش . ومع انصراف وجههِ الى التمهيد مدة مقامهِ وهو تسع سنين شيَّد في بر الشام مباني عظيمة خصوصاً في دمشق تصعب محاكاتها كالمستشفى العسكري وثكن الجند ومستودع البارود وغيرها من المحالّ

ومن رسوم الفتح ان يخطب باسم الفاتح لكن البعض قد لا يهتمون بذلك كما فعل ابرهيم باشا فانهُ ابقى الخطبة باسم السلطان وعملت انكلترا على جلائهِ طوعاً او كرهاً كما فعلت مع نابوليون بونابرت ايام احتلالهِ مصر وبعض سواحل الشام في القرن الماضي

ومن الحوادث الخطيرة حادثة جرت منذ اربعين سنة ونيّف بين المسلمين والمسيحيين اختلفت الآراء في اسبابها ويؤكّد بعضهم انها امرٌ دُبِّر بليل عمداً . وكانت جذوة الفتنة تضطرم اولاً في لبنان ووادي التَّيم وجرت حروب اهلية بين المسيحيين والدروز وفتك هؤلاء

بمواطنيهم فتكاً ذريعاً في حاصبيا وراشيا وزحلة ودير القمر ثم سرت شرارتها الى دمشق فقام ارباب الدعارة من المسلمين وجاء الدروز ايضاً يقتلون وينهبون ويخربون ويحرقون . قال صاحب قطف الزهور فارسلت فرنسا باختيار الدولة العلية ورضاها عشرة آلاف جندي للمحافظة ومنع التعدي عند الاقتضاء وكذلك باقي الدول الفرنجية منها من ارسل مراكب حربية ومنها من ارسل نواباً لاصلاح الحال

وخيم جند الفرنسيس في البقاع تسعة اشهر والسفن الاجنبية ظلَّت راسية مدة في ميناء بيروت حتى أعاد فؤاد باشا الامن الى حالهِ وارجع الحكم الى نصابهِ فنفى بعض الاعيان لعدم ممانعتهم الاشقياء والاسافل من وقوع هذا الاختلال وقتل بعضهم رشقاً بالرصاص منهم والي الشام احمد باشا وبعض رؤساء الجند وصلب كثيراً ممن ثبت عليهم الاشتراك في هذا الاثم الكبير

وعُوّض على المنكوبين من مال الدولة والاهلين ولكن لا بالانصاف فاغتنى بعضهم وكان فقيراً وافتقر بعضهم وكان غنياً واصبح الناس شرعاً في الشؤون الاجتماعيَّة الى غير ذلك من المنافع التي تمخضت عنها تلك المضارّ . ولولا ما ابداهُ الامير الخطير السيد عبد القادر الحسيني الجزائري الشهير وبعض من حذا حذوهُ من عقلاء الدماشقة في حماية المسيحيين لازداد الشرّ تفاقماً والعقدة ارتباكاً

وممَّن احسن الخدمة من الولاة المتأخرين في دمشق ضيا باشا الذي ولي الشام اشهراً في خلال سنة ١٢٩٣ وقد اشتهر بحفظهِ للآثار والعاديَّات وبث روح الصدق والاخلاص في قلوب الاهلين وشفقتهِ عليهم شفقة مجردة عن الغرض . ومدحت باشا ذاك الرجل الذي يُرَدّ تاريخ العمران في سورية الى عهدهِ فانهُ اسس مدارس ابتدائية واعدادية ومدرسة للصنائع ووسع بعض الطرق وفتح الاسواق واقام الحدائق لنزهة الاهلين وكفاهُ طريق الشوسه بين مدينتيّ طرابلس وحمص الذي أُسس بمال الوطنيين وأُدير بايديهم . وانهُ للوزير المتفضّل على كل من أُنقذ من ظلمة الأُمية من الشبان وجاء ايضاً مصطفى عاصم باشا المشهور باستقامتهِ وغيرتهِ على الامة والدولة فقام ببعض الآثار الاَّ ان المنية عاجلتهُ بعد ان حكم قرابة سنتين . وكذلك الوالي الحالي حسين ناظم باشا صرف وكدهُ لتشييد البيمارستان ودار المعتوهين في غربي البلد فنجزا في العام الماضي على اجمل وجه ثم بُدئَ بانشاء دار للحكومة لائقة لان الموظفين كانوا حتى اليوم يقيمون في دار هي للسكنى اليق منها بدار حكومة

وكادت تنتهي الثكنة التي بدئَ بانشائها في غربي المدينة منذ مدة وقد كلفت ٦٣

الف ليرة عثمانية عدا جماعات الجند النظامي الذي سخّر للعمل بها والاحجار الضخمة التي نُسلت من ابراج القلعة القديمة ونُقلت لتُعمر بها

وفي ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٤ نجز ثاني خط حديدي في سورية وهو خط دمشق وحوران طوله مائة كيلو متر وفي شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٩٥ احتفل بافتتاح خط آخر بين بيروت ودمشق طوله ١٤٧ من الكيلو مترات فأوصل بالاول . وقد كان يُرجى من هذا المشروع ما يُرجى عادة من قطار البخار اذا انتهب السباسب والقفار . فتكثر المواصلات والاختلاط وتزيد حركة التجارة والزراعة و يتوفر الصادر والوارد الا ان الامر جاء على عكس المبتغى وابى سوء بخت هذا القطر والشقاء البيّن في كل ادواره ان يؤاتيه هذا العصر ايضاً ولو بخط حديدي مُدّ بيد اجنبية فلم تراعِ الشركة مصالح الركاب والتجار خلافاً للخطة التي تسير عليها سائر الشركات التجارية في البلاد المتمدنة من مراعاة شعائر كل قبيل والقيام على ما يُوفر الراحة والنظر في ما يخفض الاجور . فنفر القوم منها والنفوس من عادتها ان تنفر ممن يستخف بها ولا يحفل بشأنها

استعملت مركبات للركاب لا تليق الا بالبهائم ولم تبنَ محطات مناسبة واماكن للانتظار وحدّث ما شئت ان تحدث عن محطة البرامكة في ظاهر المدينة وكأن الشركة احتقرتها فجعلت اقرب محطة منها من احقر محطات العالم . خلِّ عنك معاملة موظفيها للاهلين معاملة يشمئز منها اخسُّ حيوان ناطق

اما من حيث الاقتصاد فقد كان البريد بين دمشق وبيروت اسرع تبادلاً ايام كانت شركة طريق الحوافل بين المدينتين فقد كانت الرسالة تصل في يومين من بيروت الى دمشق وبالعكس اما الآن فيستغرق وصولها اربعة ايام . فضلاً عن ان الطريق بين المدينتين ينسدّ بالثلوج كل عام مرة او مرتين تدوم المرة زهاء اسبوعين او ثلاثة وتنقطع المواصلات بتة مما لم يحدث من قبل

وكانت الشركة في اول نشأتها سيّرت قطاراً ليلياً بين بيروت ودمشق لينقل ركاباً وبضائع ويأخذ البريد فالغته بعد سنة ثم استُرضيت فعينت ثلاث ليال في الاسبوع ثم حنقت من الحكومة المحلية لبعض شؤونها فابطلت القطار الليلي جملة واكتفت بتسيير ثلاث قطارات في النهار احدها للركاب والاثنان للبضائع تسير في هنيهة متقاربة فتقطع المسافة بين دمشق وبيروت في تسع ساعات على حين ان الحافلة كانت تقطعها في ١٢ ساعة بخيلها وبغالها . واكتفت بتسيير قطار دمشق وحوران ثلاث مرات في الاسبوع على قرب المسافة وسهولة الطريق بخلاف

سكة بيروت فانها في اودية وشعاب وعقاب تشبهُ الاراقم في انسيابها وتلوّيها وزد على ذلك أن هذه السكة لا تُعدُّ من ذات السير السريع بل هي ترامواي بخاري وسيرها بطيءٌ ليس إلاَّ

وكانت شركة العربات والحوافل بين دمشق و بيروت تستخدم كثيراً من ابناء البلاد وتؤدي اليهم رواتب متناسبة مع اقتدارهم وحسن بلائهم اما الآن فقد اكتفت شركة السكة الحديدية ببعض فتيان من الوطنيين تنقدهم من الدراهم ما يقيهم الجوع فقط واختصت رجالها بالخدمات الرابحة كان عند الشركة الخالية الف بغل وحصان فلو فرض انها كانت تُطعم الدابة في اليوم نصف مدّ من الشعير يساوي من ثلاثة الى اربعة قروش واحياناً اكثر من ذلك عدا العلف والتبن والكلأ فكم كانت تستنفد في السنة من هذه الاصناف . وكفى برهاناً على خسارة البلاد من هذا الوجه ان كورة البقاع كاد يسرع اليها الخراب لما سقطت شركة الحوافل لان منها كانت تبيع محصولاتها . وقد بلغت واردات الشركة لعام ١٨٩٩ — ٩٠٤٩٢٧٤ قرشاً اميرياً وعدد الركاب بين دمشق و بيروت وحوران ١٥٩٣٧٢ نفساً بزيادة ٨٧٦٥ عن السنة التي قبلها والمنقولات ٩٠ الف طن بزيادة ١٣ الفاً عن العام المنصرم . ولعلّ الشركة الجديدة التي اخذت على عهدتها ادارة هذه السكة في العام الماضي تسعى في تحسين حالتها فترفع شكواها من الخسارة وشكوى الناس من سوء الادارة

ومنذ امد غير بعيد اشتدّ اللغط بشأن انشاء سكك حديدية جديدة الاولى من حيفا فدمشق فبغداد فخليج فارس والثانية من دمشق لحماة لحلب والثالثة من دمشق الى مكة . الاَّ ان هذه الاعمال على انتغالي بامرها فما فتئت كلاماً في كلام . ومن عادة الشرقيين ان يتظاهروا بالقول ويطنطنوا بهِ حتى اذا حقت كلمة الفعل لبدت عجاجتهم وغاضت مجاجتهم ولكن المستقبل كشَّاف الخفايا يدلُّ على الاقتدار الحقيقي كما يدلُّ على العجز المموَّه

يُتبادل البريد الآن بين دمشق والبلاد الشرقية والشمالية وعمالات الولاية مرة في الاسبوع غالباً مع السعاة . والانتظام معدوم في ادارة البريد والبرق هنا وكم من تحارير فقدت او فتحت ومن رسائل برقية تأخرت وعُطلت ومن جرائد ومجلات أُحرقت او سرقت

للمجالس البلدية في البلاد المتمدنة شأن واي شأن فاذا قلت البلدية فكأنك تعني ادارة بيدها حضارة مدينة وغضارتها مما هو على طرفي نقيض عندنا فقد أُنشئت بلدية دمشق منذ نحو ثلاثين سنة فكانت ولا تزال مأكلة تُسدُّ باموالها النهمات تؤخذ من الصعاليك مكساً واختلاساً بالدانق وتُعطي لمن لا خلاق لهُ بالدنانير . ومنذ عشرين سنة اخذت الدولة للخزانة نصف واردات البلدية ثم احدثت ضريبة تتقاضى من اللحم . وتتراوح واردات البلدية

مساناةً بين ١٢ و ١٣ الف ليرة عثمانية هذا اذا تُركت لها ال ٤٥٠٠ ليرة التي تأخذها ادارة الجامع الأموي.

ولئن عُنيت البلدية برصف بعض طرق البلدة وتوسيع بعض شوارعها الاَّ انَّ ما صرفتهُ لا يوازي ما تتقاضاهُ الاهلين . وهي الآن مضطرة الى اداء رواتب للضابطة والشرطة ومشاهرات لبعض المتفيين وغاضة الطرف طوعاً او كرهاً عن القيام بما يجب عليها من الكنس والرش ورفع القاذورات واصلاح الطرق وانارة الاحياء والشوارع الى آخر وظائفها فاصبح مجلسنا البلديّ كما قيل لاهو ميت فيُنسى ولا حيٌّ فيرجى يُذكّر بديوان الحسبة الذي كان يقوم قِدماً بهذه الاعباء فينتق الالسن بالترحم على أيامهِ

ولعمري لو سُلّمت واردات البلدية الى رجل امين عارف باصول الادارة ذي كفاءة لتنفيذ قانون البلدية قولاً وفعلاً مكفوفة عنهُ ايدي المسيطرين مع رخص موادّ البناء واجور العملة وكثرة المياه لاصبحت دمشق في بضع سنين زهرة البلاد العثمانية وربما ضاهت المدن الاوربية بانتظامها وحسن هندامها

غوطتها

قلَّ من يدخل دمشق او يقرأ عنها شيئاً في الاسفار الاَّ تطرق اذنهُ كلمة "غوطة" وهي الكورة التي عُدَّت من مفاخر هذه الحاضرة قديماً وحديثاً لخصب ارضها وكثرة مياهها ووفرة متنزهاتها وضياعها . يُروى ان المأمون اقسم وقد نظر يوماً الى اشجارها وبنائها انها خير مغنى على وجه الارض وقال عجبت لمن سكن غيرها كيف يدم معهذا المنظر الانيق الذي لم يُخلق مثلهُ

قال ياقوت والغوطة من الغايط وهو المطمئن من الارض وجمعهُ غيطان واغوط وقال ابن الاعرابي الغوطة مجتمع النبات وقال ابن شميل الغوطة الوهدة في الارض المطمئنة والغوطة هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما من شماليها فان جبالها عالية جدًّا ومياهها خارجة من تلك الجبال وتمدّ في الغوطة في عدّة انهر فتسقي بساتينها وزروعها ويصبُّ باقيها في أجمة هناك وبحيرة . والغوطة كلها اشجار وانهار متصلة قلَّ ان يكون بها مزارع للمستغلات الاَّ في مواضع يسيرة وهي بالاجماع انزهُ بلاد الله واحسنها منظراً وهي احدى جنان الارض الاربع صُغد سمرقند ونهر الأُبُلّة وشِعب بَوّان والغوطة أجلُّها . ويصعب تحديد الغوطة بالتدقيق والغالب ان كل ما يُحيط بالفيحاء من قرى شجراء يدخل تحت هذا الاسم . وذكر صاحب نزهة المشتاق ان طولها مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن مثل المزّة وداريا وحرستة وكوكبا وبلاس وكفرسوسة وبيت الاهو

وبها جامع قريب الشبه بجامع دمشق . ومن بابها الغربي وادي البنفسج وطوله اثنا عشر ميلاً وعرضهُ ثلثة اميال وكلهُ مغروس باجناس الثمار يشقهُ خمسة انهار - كذا قال ولا يعرف اليوم البنفسج ولا واديه

وقال الاصطخري ان عرض الغوطة مرحلة في مرحلتين وروى المقدسي انها تكون مرحلة في مثلها يعجز عن وصفها . وفي رأي شيخ الربوة ان الغوطة هي من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على ارضها لاختفاق اشجارها والتفاف ازهارها . ولعلَّ ما ورد في شعر وجيه الدولة بن حمدان من ذكر الغوطة بلفظ التثنية يُراد به غوطة شرقية وغوطة غربية وهو قولهُ

سقى الله ارض الغوطتين واهلها … فلي بجنوب الغوطتين شجونُ
فما ذكرتها النفس الأَ استخفّني … الى برد ماء النّيربين حنينُ
وقد كان شكّي للفراق يروعني … فكيف يكون اليوم وهو يقينُ

هذا مختلف اقوال قدماء الجغرافيين في تحديد الغوطة ولم اعثر على كلام المحدثين في هذا الباب

جبالها

قال احد السياح احسن مناظر سورية ثلاثة جبال جبل الصبر في نابلس وجبل الكرمل في حيفاء وجبل الشيخ المعروف في الكتب القديمة بجبل حرمون ولو انصف لعدَّ ايضاً جبل قاسيون المطل على دمشق وغوطتها الغناء . ولقد كان لهُ في القديم شأن ما برح يتردد ذكرهُ على المدى وفيه من القصور والصروح وفي سفحه من المتنزهات والجنان ما يكل عن وصفه اللسان . وللعامة قصص على مشاهد الجبل لا تزال دائرة على الافواه وما هي في الحقيقة الاَّ من قبيل الامور الروحانية واكثرها ان لم اقل كلها لا يثبت تاريخياً

ويتسلسل من جبل قاسيون جبل كان يُدعى جبل سنير واليوم يقال لهُ جبل قلمون او الحلو . ويؤخذ من عبارة ابي الفداء ان جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللُّكام سلسلة متصلة بعضها ببعض حتى صارت جبلاً ممتداً من الجنوب الى الشمال فالطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد قال في رسم الارض طرف جبل الثلج يمتد الى الشمال ويتجاوز دمشق ويسمى اذا صار في شماليها جبل سنير وجانبهُ المطلُّ على دمشق قاسيون ويتجاوز دمشق ويمر غربي بعلبك ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان واذا تجاوز بعلبك وصار شرقي طرابلس الشام يسمي جبل عكار ثم يمر شمالاً ويتجاوز سمت طرابلس الى حصن الاكراد ويسامت حمص من

غربيها على مسيرة يوم ويمتد و يتجاوز سمت حماة ثم سمت شيزر ثم سمت افامية ويسمى حين ما يكون قبالة هذه البلاد جبل اللكام قال البحتري

وتعمدتُ ان تظلَّ ركابي ... بين لُبنانَ طُلَّعاً والسنيرِ

مشرفات على دمشق وقد اعـــرض منها بياض تلك القصورِ

وعلى ثلاث ساعات من جنوبي دمشق سلسلة جبال تتصل بجبال الشيخ وعجلون وحوران تدعى غالباً باسماء قراها القريبة منها كأن يقولوا جبل الكسوة وجبل الحرجلة وغيرهما وسيأتي الكلام على متنزهات دمشق في الجزء التالي — محمد كرد علي

اغنياء اميركا

(١١) اندرو كارنجي

وهو اشهر اغنياء اميركا بلا استثناء لما اتاهُ ويأتيهِ من الاعمال الخيرية وقد آلى على نفسهِ ان ينفع العالم بمالهِ قبل وفاتهِ عوضاً عن ان يتركهُ لابنتهِ وهي وحيدة . ولا حاجة بنا الى ذكر تاريخ حياتهِ فقد ذكرهُ المقتطف في عدد سابق ويكاد القارئ لا يفتح جريدة يومية او شهرية الأ يرى لهُ ذكرًا فيها خصوصاً بعد ما وهب مليوني جنيه لمدارس اسكوتلاندا مسقط رأسهِ . وقد قال مرة ان من يموت غنيًّا يموت حقيرًا وبذلك اوضح المسئولية الادبية العظيمة التي على اصحاب الثروة . ويعلم جمهور القراء ان كارنجي ولد فقيراً وكان في بدء امره ساعياً في بيت التلغراف ثم تعلم العمل بهِ وما زال يجدُّ و يرتقي من عمل الى آخر حتى صار ملك الصلب (الفولاذ) في اميركا . يُرْوَى عنهُ انهُ قليل الكلام كثير الافتكار حتى قالت عنهُ احدى السيدات لو اوقفتهُ تحت القبة الزرقاء والسماء صافية الاديم وسألتهُ عن لونها لافتكر هنيهة قبل ان يبدي جواباً

ولكارنجي ولع شديد بثلاثة اشياء كان يعلّل النفس بها وهو فقير وعقد النية على اتمامها عند ما يصير غنياً . اولها انشاء المكاتب العمومية وذلك لانهُ اعتاد وهو فقير ان يستعير كتباً من احد المحسنين وكان قد وقف مكتبتهُ للعمال فكان يُسَرّ بقراءتها وينتظر يوم السبت بفروغ صبر حتى يستبدل كتاباً قرأهُ بآخر . وبلغ عدد المكاتب التي انشأها نحواً من تسعين مكتبة في مدن متفرقة في سكوتلاندا واميركا وبلغ ما انفقهُ على بعضها نحو مئتي الف جنيه عدا

المكاتب التي اهداها الى مدينة نيويورك وقيمتها فوق المليون جنيه

والشيء الثاني الذي أُولعَ بهِ الموسيقى والثالث محبة الطبيعة وقد طالما حنَّ الى حقول اسكوتلاندا الجميلة وهو يوقد النار في معامل الحديد في اميركا تسع ساعات في اليوم

ويكره ان يُدعى محسناً ويعتقد ان هذا اللقب لا يُطلق الاَّ على الغنيّ الذي ينفق المال جزافاً اما هو فلا يساعد الاَّ العامل المجتهد وقد قال مرة لا فائدة من مساعدة انسان على الصعود على السلم ان لم يساعد هو نفسهُ فانهُ ان تركتَهُ وقع لا محالة وكانت اخراه شرًّا من أُولاه ومن رأيهِ ان مساعدة الناس ينبغي ان تكون بترقية عقولهم لا بالاحسان اليهم وينصح للشبان ان يغتنموا الفرص ولا يضيعوها وانهُ لا بدَّ للمرء ان تسنح الفرص في حياتهِ ولو مرة واحدة فاذا اضاعها قضى على نفسهِ

اما الاموال التي وهبها لعمل الخير ففاقت ما وهبهُ سواه الى الآن ولا يزال يهب نحو مليوني جنيه ونصف مليون سنويًّا ويقال انهُ سيعطي خمسة ملايين جنيه لبناء مدرسة صناعية في مدينة بتسبرج وهذا اكبر مبلغ دفعهُ مرة واحدة . واذا جمعنا ما دفعهُ لانشاء المكاتب مما ينيف على المليوني جنيه وما انفقهُ في تأسيس المدارس بلغ نحو احد عشر مليوناً من الجنيهات

وبعد ان مرَّ على زواجهِ عشر سنوات رزقهُ الله ابنة فاخذ الناس يتحدثون بغناها . اما هو فضحك عند ما سألهُ اصحابهُ عن ذلك وقال ان المال انما يجلب السعادة بتمكينهِ ايَّانا من جعل الآخرين سعداء وهذه هي السعادة الحقيقية . وبنى حديثاً قصرًا لابنتهِ لكنهُ صرَّح بعزمهِ ان لا يتركها تعيسة تحت وقر الغنى الثقيل

وبين ارباب الثروة كثيرٌ من النساء اللواتي منهنَّ مَن جمعت الثروة بجدها واجتهادها ومنهنَّ من ورثتهُ عن ابيها او كان زوجها حيًّا لكنها استأثرت بالاسم لما اشتهرت بهِ من البذخ والذكاء وحب الشهرة . والنساء في الولايات المتحدة الاميركية يضارعن الرجال في كثير من صفاتهم العقلية والادبية فبينهنَّ الطبيبات والمحاميات والكاتبات وخدمة الدين حتى ان بعض الولايات اعطتهنَّ حقوق الانتخاب وهي حقوق لم ينلنها في غيرها من البلاد

١٣ مسز كنج

ومن ربَّات الثروة مسز هنريتا كنج واسمها ملكة المواشي . تُوفي زوجها سنة ١٨٨٥ بعد ان اسَّس محلاً في ولاية تكساس لتربية المواشي ولم يترك لزوجتهِ ما يستحق ان يسمَّى ثروة لكنها اشترت اراضي جديدة وزادت عدد المواشي وسهلت مبيعها . وتقدر مساحة اراضيها بنحو

٧٠٠٠٠٠ هكتار او ما ينيف على مليون وخمسمائة الف فدان او نحو ثلاثة عشر مثل مساحة باريس مع ضواحيها والحقيقة انها اكبر من ذلك ولكنها لم تمسح بعد . ومالكة هذه الاراضي مطلقة التصرف فيها وارادتها هي القانون الذي يسير عليهِ مستخدموها وهم يطيعونها كما لو كانت حكومة منظمة . ويصح ان يقال ان حياة مستخدميها تتوقف على مشيئتها لانها لو اخرجت احدهم من خدمتها لقضى جوعاً ولم يجسر احد على استخدامهِ خوف الناس منها

ومسز كنج الآن في الثانية والخمسين من عمرها ولها في املاكها منزلان فخيمان ولكنها تسكن غالباً قصرها المنيف في مدينة كوربس كريستي. وتظهر ثروتها وقت سياحتها في املاكها لكي تتعهدها وذلك مرتين في السنة . احداهما في الربيع لترى حال المواشي والثانية في الخريف لترى ما اعدهُ رجالها لراحة المواشي في الشتاء . ويرافقها في سياحتها هذه كثير من المدعوين الذين يملأُون المئات من المركبات ويحرسهم كثير من الخفر والرعاة والخدم والحشم وخلافهم. ويبلغ عدد مواشيها ثمانماية الف رأس من البقر ومئة وستين الف راس من الغنم وعشرة آلاف حصان . ويباع من هذه الحيوانات كل سنة نحو ثلاثماية الف رأس بثمن يختلف من ثلاثة ملايين جنيه الى اربعة ملايين

واملاك مسز كنج مقسومة الى اثني عشرة مقاطعة لكلٍّ منها حاكم وللجميع مفتش عام . والحكام مطلقو الحرية في مقاطعاتهم فهم يستخدمون العمال ويعزلونهم (وهذا نادر) ويدفعون الأجر ويُديرون الاعمال . وبيت الحاكم في وسط القرية تحيط بهِ بيوت العمال وكلها فسيحة وحولها بيوت الرعاة واسطبلات الخيول . وفي كل قرية مدرسة وكنيسة والعمال لا يدفعون من اجورهم سوى ثمن ثيابهم اما ثمن الاكل والدواء واجرة الطبيب فكل هذه تعطى لهم مجاناً ولذلك تراهم في سعة عيش ورخاء فليس بينهم فقير ولا جانٍ

١٣ مسز امري

مسز سوسنا امري ملكة الذهب وهي بديعة الجمال لا تتجاوز السابعة والعشرين . توفي زوجها منذ سبع سنوات تاركاً لها بعض معادن لم يظن احد حينئذٍ ان لها قيمة تذكر . غير انها لم تلبث ان اجرت جميع الامتحانات اللازمة حتى تبين لها ان الفضة في احدها كافية لتشغيلهِ وقد كان كذلك فربحت منهُ اول سنة نحو خمسة عشر الف جنيه ثم زاد دخلهُ بعد ذلك وهو الآن على ازدياد متواصل . واشترت حديثاً معدناً آخر في مقاطعة غنية بالمعادن فربحت منهُ في السنة الاولى مئتي الف جنيه وقد عرضت عليها احدى الشركات ابتياعهُ بمليوني جنيه فلم ترضَ واجمع العارفون انهُ يساوي نحو ثمانية ملايين . ومسز امري بارعة الجمال كما تقدم وطلاب

الزواج يتقاطرون اليها من كل صقع وناد فقد طلبها سنة ١٨٩٨ مئة وثمانية وثلاثون طالباً

١٤ مسز بوتر بالمر

وهي اشهر سيدات الاميركان عند الاوربيين عرفها الاوربيون والشرقيون ايام معرض شيكاغو اذ كانت رئيسة قسم النساء فيهِ وزارت اوربا ومصر وتعرفت بالأسر المالكة في انكلترا وبلجيكا وايطاليا ثم ارسلها الرئيس مكنلي في العام الماضي الى باريس لتنوب عن نساء الولايات المتحدة الاميركية في المعرض وجاءت سنة ١٨٩٦ لقضاء الصيف في نيوبورت وهي في ضواحي نيويورك يقصدها "الاربعمائة" في ذلك الفصل واستأجرت منزلاً صغيرًا ومعها ابنة اختها حفيدة الجنرال غرانت الشهير . وكان معها توصيات لاغنياء نيويورك فاضطروا الى دعوتها في اجتماعاتهم العامَّة ولكنهم لم يجاملوها ثم عادت سنة ١٨٩٧ الى نفس المنزل فابتدأ النيويوركيون يتساءلون فيما بينهم من عسى ان تكون وارتأى بعضهم ان زوجها يدير فندقاً في شيكاغو . وفي السنة التالية استأجرت قصر همَّاير لقضاء الصيف باربعة آلاف جنيه وفي تلك الاثناء قدم ولي عهد بلجيكا ونزل عليها ضيفاً كريمًا فقامت نيوبورت وقعدت لذلك وتسابقت السيدات في التزلُّف اليها خصوصاً ان الامير البلجيكي فتن بجمال ابنة اختها وشاع انهُ سيتزوجها فتلبس يوماً تاجاً ملكياً

وبعد سفر البرنس البرت البلجيكي جاء الكونت ده تورين ونزل ضيفاً على مسز جون سبنسر ولكنهُ زار مسز بوتر بالمر وهي صديقة امرأة عمهِ ملكة ايطاليا فاولمت لهُ وليمة لم ترَ نيوبورت اعظم منها ودعت اليها النيويوركيين ومن ذلك الوقت صارت المجلّية في ذلك الميدان ولحقها زوجها الى نيوبورت وهو ابعد الناس عن الاسراف واقربهم الى الدعة

ومدام بالمر فرنسوية الاصل لا تزال طلعتها تنبئ بما كانت عليهِ في صباها من الجمال وهي ذات بشاشة وحذق وتفنن في اساليب الحديث ولها هيبة ووقار حتى يتصور جليسها انهُ يخاطب ملكة عظيمة الشان تزوجت سنة ١٨٧١ بالمستر بوتر بالمر وكان ذا املاك كثيرة في شيكاغو يبلغ دخلها نحو اربعين الف جنيه . فلما احترقت المدينة احترقت بيوتهُ كلها فساعدتهُ امرأتهُ حتى جددها وتقدر ثروتهُ الآن بنحو اربعة وعشرين مليون جنيه . ولهُ قصر فخيم في شيكاغو ويبني الآن قصرًا في نيويورك لان امرأتهُ تودُّ الانتظام في سلك "الاربعمائة"

١٥ بنات الصيني اه فونغ

قدم هذا الصيني الى جزيرة هنولولو كفاعل بسيط منذ سنين عديدة وتوصل الى التقرب من ملكها فمنحهُ احتكار تجارة الافيون فجمع منها ثروة وافرة وبنى قصرًا يفوق اكثر قصور

الملوك . ولا تعرف ثروة هذا الرجل تمام المعرفة ولكن يمكن ان نشير اليها بوجه التقريب فلهُ ثلاث عشرة ابنة وولدان وقد اعطى كلاً من اولادهِ وقت الزواج عدة ملايين من الريالات

وكيفية دخول بناتهِ بين اغنياء الاميركان ان الكبرى منهنَّ تزوجت بطبيب اسنان انكليزي وتزوجت اختها الثانية باحد ضباط البحرية الاميركية العظام ومن اشرف عائلات الشارع الخامس في نيويورك وتزوج بعضهنَّ ببعض اغنياء نيويورك المعدودين والباقيات في حراسة احدى سيدات الشارع الخامس الشهيرات فلا يلبثنَ ان يلاقينَ ازواجاً اغنياء

اما اه فونج فعاد الى الصين ولم يعد يمكنهُ الخروج منها الاَّ بدفع غرامة عظيمة . وكانت امرأتهُ الاولى الصينية لا تزال حية فعاد اليها و بقيت امرأتهُ الثانية في قصرها في هنولولو وقد آلت على نفسها ان لا تخرج منهُ ابدًا

وقد تزوج كثيرٌ من بنات الاميركان ذوات الثروة الطائلة باشراف الاوربيين طمعاً بالقابهم ولو كان بعضهم فقراء وبلغ ما اعطينهُ لأزواجهن الاوربيين نحو اربعين مليون جنيه نال الازواج الفرنساويين منها نحو النصف . ومن اولئك المثريات ابنة فندربلت تزوجت بدوق مارلبرو من اشرف عائلات انكلترا المرتبطة برباط النسب مع العائلة المالكة وبلغ مهرها مليونَي جنيه وابنة جولد تزوجت بالكونت بوني كستلان وهو من اعرق عائلات فرنسا نسباً ولكنهُ فقير الحال . قيل انهما ذهبا مرة الى حفلة عامة وفيما هي سائرة عثرت رجلها واوشكت ان تسقط فنظر اليها مغضباً وقال لا يليق بالكونتسة كاستلان ان تقع فاجابتهُ لولا دراهم ابنة جولد لم يكن كونت من عائلة كستلان . وكان مهرها نحو ثلاثة ملايين جنيه لكنَّ اباها وضع المال تحت تصرُّف اخيها الاكبر فهو يدفع لكل من اخوتهِ واخواتهِ نصيبهُ من الدخل وعيَّن لها مئة وعشرين الف جنيه سنوياً اي اربعاً في المائة من نصيبها ورأَى حديثاً انها منذ زواجها سنة ١٨٩٥ انفقت دخلها كلهُ ونحو ٨٠٠ الف جنيه فوقهُ فاستصدر حكماً من محكمة باريس بتعيينهِ قيماً عليها ريثما يتم تصفية ديونها

واغنياء اميركا في قلق دائم من جهة اموالهم فهم يخافون ان يبددها اولادهم من بعدهم ولذا يتخذون الاحتياطات اللازمة لحفظها . والطريقة التي جرى عليها اكثرهم في ذلك هي ان يوصي الواحد منهم بمالهِ لاولادهِ و يشترط الاَّ يقبض كلٌّ منهم الاَّ نصف نصيبهِ يتصرف فيهِ كما يشاء و يبقى النصف الآخر في الشركة التجارية التي كان يديرها ابوهُ ليقبض ريعهُ اما راس المال فلا ياخذهُ الاَّ اولادهُ بعد موتهِ وهكذا تزيد اموالهم وتتضاعف وهم مطمئنون آمنون . وليس ذلك فقط بل انهم يحتالون على الحكومة بطرق شتى ولا يدفعون من الضرائب

الاَّ ما هو دون الطفيف . ولم يقتصر هذا التساهل على الافراد بل تناول الشركات كشركات السكك الحديدية في اسواق نيو يورك فانها لا تدفع شيئاً مع ان صافي ارباحها يبلغ نحو ٩ في المائة

قلنا قبلاً ان سبب ثروة اكثر الاميركيين الذين ذكرناهم توحيد الشركات وهو ما يسمونهُ Trust وكيفية ذلك ان بعض الشركات او الافراد الذين يتاجرون في صنف ما يتفقون على توحيد شركاتهم او ضمّها كلها وجعلها شركة واحدة حتى تقل نفقاتهم ويسهل عليهم تخفيض الاسعار ما امكن فتفلس الشركات المعارضة لهم فيشترون معاملها بارخص الاثمان وبذلك يأمنون مزاحمتها في المستقبل ثم يرفعون الاسعار ويتحكمون بها كما يشاؤون فترد الاموال الى خزائنهم بالملايين . وتأليف مثل هذه الشركات مخالف للقانون وقد صدرت احكام عديدة بحلها غير ان اصحابها استولوا على زمام السلطة التنفيذية فبقيت تلك الاحكام حبرًا على ورق . ثم انهم يغيرون اسماء الشركات وهيئة تركيبها حتى تظهر بخلاف ما هي عليهِ ويبقى ضررها كما كان قبلاً بل قد يزيد . ولكي يأمنوا مزاحمة البضائع الخارجية الزموا الحكومة ان تضرب عليها رسوماً فادحة . والحكومة الحالية في يدهم يديرونها حسب اهوائهم وقد انفقوا الملايين من الجنيهات لانتخاب ماكنلي لهذا الغرض

ولا تقتصر شركة على التجارة المختصة بها بل تعمل كل ما ينبغي لنجاح تلك التجارة مثال ذلك ان شركة الزيت تمتلك كثيرًا من السكك الحديدية والوابورات فتنقل زيتها بنفقة قليلة ولكنها تقتضي اجرة باهظة من بقية الشركات ولذا افلس اكثرها

هذه نزر من اخبار اولئك الاغنياء ولا بدَّ ان نراهم بعد قليل في المشرق اذا استمروا على خطة الهجوم التي اتخذوها حديثاً . وعسى ان نطرح جشعهم الشديد جانباً ونأخذ عنهم الثبات والاجتهاد وغيرها من الصفات اللازمة للنجاح

نسيم برباري

رواية امينة

الفصل الحادي عشر

وصلت البلد الذي كنت قاصدةً اليهِ بعد سفر ايام برًّا وبحرًا وكان سفر البر اشدَّها تعباً اضعت فيهِ رشدي وبقية جلدي وكيف لا اضيعهما وقد مرَّ عليَّ اسبوعان وانا على ظهر بغل يصعّد بي ويصوّب . وصلت البلد ونزلت في الخان وذهب سليم آغا الى سراي الحكومة

ليقدم الجواز الذي معنا ولم اكد اصل حتى استلقيتُ على سرير صغير لا استطيع الحراك من شدَّة التعب وخطر ببالي انهُ لا بد لي من ان اغسل وجهي واغير ثيابي قبلما اقابل ابنة نصرالله باشا ولكنني كنت متعبة جدًّا لا استطيع الوقوف . وكثيرًا ما خطر ببالي وانا في اثناء الطريق ان اطرح نفسي عن البغل وابقى على الارض الى ان اقضي نحبي . وغاية ما كنت اهتم بهِ ان امنع نفسي عن هذا الجنون . ولما كنت مستلقية في الخان خطر ببالي ان هذا التعب لا بدَّ من ان يصرم حبل حياتي وقلت في نفسي لعلَّ ذلك خير لي . وبينما انا افكر في هذا فتح الباب ووقف فيهِ سليم آغا وبيدهِ ساعة من الذهب وهو يقول لقد ذهبت واخبرت الباشا بوصولكِ فسرَّ بذلك وانعم عليَّ بهذه الساعة لاني اوصلتكِ سالمةً وهوذا مركبةٌ عند الباب لتأخذكِ الى قصرهِ وستأتي عربة وتنقل امتعتكِ فقومي وانزلي معي

فقمت ونزلت معهُ واذا بمركبة فاخرة وجوادين مطهمين فصعدت الى المركبة وصعد سليم اغا وجلس بجانب السائق فسارت بنا تنهب الارض نهبًا ولم يكن الأَ دقائق قليلة حتى وصلت الى باب القصر ففتحت عينيَّ لانني كنت قد اغمضتهما في اثناء الطريق من شدَّة التعب واذا انا بساحة فسيحة وامامي ممشًى طويل فيهِ الخصيان وقوف على جانبيهِ . وتقدَّم واحد منهم وفتح باب المركبة وانزلني منها ثم التفت حولي واذا امامي جماعة من الارناؤوط وهم بالسلاح الكامل ينظرون اليَّ باسمين فاسرعت وراء الخصي الى الممشى وسرت فيهِ وراءهُ الى ان وصلنا الى باب كبير يفتح الى حديقة غنَّاء في وسطها قصر صغير. فقال لي الخصي هذا مسكن الباشا وهو يقيم هنا واما بقية العائلة فتسكن في قصر ثانٍ على الجانب الآخر من الساحة وهنا تسكن سنية هانم واما السلاملك فعلى الجانب الآخر

فنظرت الى القصر واذا هو في وسط حديقة وامامهُ رواق يغطيهِ اللبلاب والورد المعترش ولم اكد اتقدَّم حتى رأيت سيدة نهضت واقبلت اليَّ وهي طويلة القامة مهيبة المنظر لا يلمح الانسان عينيها السوداوين لمحة حتى يقول انها اخت ادهم بك . ولما دنت مني نادتني باسمي ورحَّبت بي . فاغرورقت عيناي بالدموع والظاهر انها رأت انفعالي فلم تقل كلمة أُخرى لئلا يراني الجواري على تلك الحال بل ضمتني الى صدرها واخذت تقبلني وسارت بي الى دار كبيرة ومنها الى غرفة صغيرة فادخلتني ووقفت تنظر في وجهي فرأيت امامي طلعةً بهية ووجهًا اسمر جميلاً وفمًا عليهِ هيئة العظمة وجهًا كوجه ادهم بك تمامًا وكوجه الهانم امهما فانهما ورثا منها هذه الطلعة البهية ولكنهما لم يرثا كبرها وانفتها فالناظر اليها يخاف ويضطرب واما الناظر اليهما فيسرّ ويطمئن

ثم تبسَّمت وقالت ما اخف هذه القامة كأَنهُ مضى عليكِ شهر صائمة لقد احسن ادهم بارسالك الى هنا . تعالي وانزعي فرجيتك واستحمي فان الماء سخن في الحمام ولكن اخبريني قبل ذلك كيف ابي الم تريهِ يوم سفركِ

وكان في صوتها ما يدلُّ على شوقها الى ابيها وحبها لهُ . واستغربتُ اولاً انها سأَلت عن ابيها ولم تسأَل عن أُمها ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان اولاد هانم افندي يخافونها اكثر مما يحبونها . فقلت لها بخير وسلامة وقد رأَيتهُ قبل سفري بثلاثة ايام

فقالت وا ابتاه وا اماه وا اختاه ست عشر سنة لم ارَ احداً منهم . ثم نظرت اليَّ وقالت ولكن ليس من العدل ان اوقفك الآن واسأَلك مثل هذه المسائل وانت محتاجة الى الراحة . وصفقت بيديها ونادت جارية اسمها ميالي وقالت لها خذي امينة الى الحمَّام ثم قالت لي ولا بدَّ لكِ بعد ذلك من ان تنامي قليلاً لان عليك علامات التعب الشديد

فشكرت فضلها وتبعت الجارية وقبل ان اصل الى الباب دار رأسي فمددت يديَّ لاستند على شيء وسقطت الى الوراء وأُغمي عليَّ

الفصل الثاني عشر

ذهب الصيف وجاء الخريف وعصفت الرياح عصفاً شديداً في السهول التي حول هذه المدينة واخذت الغيوم تتراكم فوق الجبال ودنت الشمس من المغيب كأَنها في اتون من نار والدلائل كلها تدلُّ على ان زوبعة على الابواب ولا بدَّ من عصفها ذلك الليل وكنت واقفة في الرواق ارى الاوراق تتناثر والاشجار تتمايل من شدة الريح حتى تكاد اغصانها تلثم الثرى واخذت العصافير تتسابق الى سنديانة كبيرة امامي وكان الى جانبها سروة طويلة وهي تنحني وترتدُّ مراراً في الدقيقة ولما وقع نظري عليها ذكرتني باسطانبول وجامع ايوب سلطان وكأَني رأَيتُ نافذ بك واقفاً امامي مغضباً ينتهرني لاني كلمت داود . ثم وقعت على رأْسي ورقة ورد فردَّت افكاري من عالم الخيال وقلت في نفسي عصفت الرياح او هجعت وهطلت الامطار او انحبست سيَّان عندي ما دامت حياتي كلها قفراً اجرد لا مسرَّة فيهِ ولا بهجة

مضى عليَّ هنا شهران وهذا اول يوم سُمح لي فيهِ ان اخرج من غرفتي وقد مرَّت عليَّ ايام كثيرة بعد ما أُغمي عليَّ وانا اغالب الموت واود ان يغلبني ولكن لكل اجل كتاب . ولم ارَ من اهل هذا البيت غير الحنو والدعة وقد سهرتْ عليَّ سنية هانم كاني ابنتها ولما رأَيت حبها وحنوها وصبرها شعرت بحب لها يفوق الوصف ورأَيت بين جانبَي ذلك الجسم المهوب الطلعة قلباً شفوقاً مفعماً بالحب رغماً عما كنت آراهُ في وجهها من امارات الغم والكآبة

وبينا انا افكر في ذلك سمعتُ صوتها الحنون يناديني قائلاً ادخلي يا بنتي فقد برد الهواء ولم تمتلكي صحتكِ حتى الآن فدرت ودخلت وراءها الى غرفة فيها منقل كبير يدفئها فجلست على سجادة قريبة منهُ وجلست هي على الديوان امامي وقالت لي انكِ لم ترَي زوجي حتى الآن ولا الاولاد . ثم ضحكت قائلة اني لا ارى كيف يرسلونكِ لتعتني بالاولاد وانتِ احوج منهم الى من يعتني بكِ فتبسمتُ قليلاً لانني لم اكن اعلم كم اخبرها ادهم بك من قصتي ولا كم افشيتُ من سري وانا مريضة وفي حال الهجران اما هي فقالت اواهُ على ادهم اظن انهُ تغيَّر كثيراً ونافذ ذلك الولد الطائش نعم كان ولداً لما فارقتهُ ومن اكثر الاولاد طيشاً واشدهم نزقاً وقد اتلفتهُ امي بتدليلها لهُ فكان يقع كل يوم في ورطة يتعذَّر علينا تخليصهُ منها قبلما يعلم ابي . يصعب عليَّ ان اراهُ رجلاً والظاهر انهُ لم يزل في اطوارهِ كما كان على ما كتب لي ادهم

ولما قالت ذلك علتني حمرة الخجل والتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليَّ باسمة وعيناها تدلاَّن على انها تقصد المزاح معي فزاد تخجلي واضطرابي فقالت لي اتظنين ان ادهم يخفي عني شيئاً نعم اخبرني بكل شيءٍ يا حبيبتي ولا افهم لماذا اقلقوا الدنيا ماذا يمنع نافذاً من الاقتران بكِ . ولكن ما دامت امي غير راضية فالامر ضرب من المحال اما انتِ فقد احسنتِ بعملكِ ولابدَّ من ان الامر كان صعباً عليكِ وهو صعب ايضاً على اخي المسكين

فقمت وجلست بجانبها والقيت رأسي على ركبتها وقلت لها ولكن هذا هو الاصلح لهُ فان الذهاب الى اليمن ليس بالامر السهل

فقالت نعم الحق في يدكِ ولا احب ان اسمع ان نافذاً غاظ ابي ولا اعرف اخلاقهُ الآن حتى احكم عليهِ او لهُ ولكن اذا كان صادقاً في حبهِ لكِ فهو يستحق منكِ احسن من هذهِ المعاملة ولكن ادهم اشار عليكِ ان تفعلي ذلك وادهم رجل حكيم متأنٍ وهو يعرف الاحوال اكثر مني ومنكِ . اسمعي اظن ان واحداً آتٍ الى هنا هذا صوت ابنة حميَّ اظنها آتية بالاولاد من البيت الكبير

فالتفتُّ وانا اقول في نفسي كم ابنة حمٍ لها وهل هذه هي الابنة التي يراد اعطاؤُها لنافذ بك ونظرت اليها ماياً وهي تسلم على سنية هانم فرأيتها فتاة طويلة القامة بدينة الجسم جميلة الوجه شعرها اشقر طويل غزير وعيناها كبيرتان لوزيتان وفمها صغير ولكن شفتها العليا بارزة قليلاً وحركاتها وسكناتها تدل على تمام اللباقة والدلال فهي جميلة فتانة . ولما كنت انظر اليها واعجب من جمال طلعتها نظرتْ اليَّ وقالت أهذه هي البنت التي اتت من اسطانبول

فنظرت اليَّ سنية هانم باسمة وقالت نعم هذه امينة وقد كانت مريضة كل هذه المدة

فحنت ابنة حميها رأسها قليلاً وجلست على الديوان بجانبها ولم تعُد تلتفت اليَّ بل قالت لسنية هانم اسكتي فقد هلكنا من التعب والنزاع واتيت بالاولاد الى هنا لاخرج من البيت بجحيثهم . وكان في صوتها خنَّة قليلة كانها تتكلم من انفها

فقالت سنية هانم وابن عم الآن لاني احب ان تريهم يا امينة . قالت ذلك ملتفتةً اليَّ

ودخل رجل حينئذٍ فنهضتْ لهُ سنية هانم وابنة حميها ونهضت انا ايضاً وقلت في نفسي هذا عزّت باشا فجلس والتفت اليَّ وقال بتودُّد أهذه امينة . الحمد لله على السلامة يا بنتي لقد شغلتِ بالنا ولا تزالين نحيفة فتقدَّمت وقبَّلت يدهُ فلم يقل شيئاً بل تناول جريدة كانت هناك واخذ يقرأُ فيها ودخل حينئذٍ ثلاثة اولاد صبيان وابنة عمر الكبير سبع سنوات والصغير ثلاث فتقدموا الى ابيهم اولاً وباسوا يدهُ ثم مضوا الى امهم واتكأُوا عليها فالتفتت اليَّ وقالت هؤلاء هم الاولاد هذا ادهم وهذا يوسف وهذه ظبي . فتقدمتُ منهم وركعت بجانبهم وجعلت اتودَّد اليهم والظاهر انهم كانوا خائفين من ابيهم فلم يكلموني وقد استغربت ذلك لانهُ لم يظهر على عزّت باشا انهُ كان صارماً ولكن اختهُ واولادهُ كانوا يخافونهُ ولم يكن احد يجسر على الكلام معهُ الاَّ امرأتهُ فنظر الى اختهِ وقال لها اجلسي يا عطية كيف امكِ فانها كانت منحرفة الصحَّة امس

فقالت لهُ هي احسن الآن وجلست ثم قالت ألم تدخل الحريم اليوم وكأنها كانت تفتش عن موضوع تحدثهُ بهِ فلم تجد غير هذا

فقال لا لاني كنت مشغولاً . وانتظر دقيقة ليرى هل يريد احد ان يكلمهُ ثم عاد الى القراءة في الجريدة

فقالت عطية هانم بصوت منخفض سكنت الريح الآن والاحسن لي ان اذهب

فقالت لها سنية اخاف ان تمطر السماء فابقي عندنا الليلة

فالتفت عزّت باشا وقال ماذا تقولين . فقالت اني اطلب من عطية ان تبقى عندنا الليلة فان السماء متهيئة للمطر

فقال لا خوف من المطر ولكن اذا ارادت ان تبقى فلتبقَ . اتريدين ان تبقي هنا يا عطية

فقالت كيف لا اريد ومَن لا يريد ان يبقى عندكم

فهزَّ كتفيهِ ولم يجبها بشيءٍ بل عاد الى قراءة الجريدة

وقالت لي سنية هانم كيف انتِ والاولاد اتحبين الاولاد . فقلت نعم احب الاولاد كثيراً وقد كنت متعلقة باولاد ادهم بك واولاد علي بك وكانوا متعلقين بي

فقال عزت باشا ومن هو علي بك هذا

فقلت هو زوج وحيدة هانم

فقال اظنهُ من الشراكسة

ولما اجبتهُ بالايجاب طرح الجريدة من يدهِ وقال تعالي الى هنا واخبريني عن نصرالله باشا واهل بيتهِ هل ادهم في الحكومة الآن

فدنوت منهُ واجبتهُ عن مسائل كثيرة فانهُ سألني عن كل واحد وجلست سنية هانم على كرسي امامنا تعترض بمسألة هنا وهناك وكانت العاصفة قد اشتدَّت وكادت تقتلع الاشجار فتطلَّع من الشباك قليلاً ثمَّ التفت الى زوجتهِ وقال ما الحيلة حتى نعود الى اسطانبول نعم ان مركز الوالي غير قليل ولكن لا شيءَ مثل اسطانبول ألا تودين الرجوع اليها يا هانم

فتبسمت زوجتهُ وبشَّ وجهها وظهر كأن ما يبدو عليهِ من الكآبة لم يكن سببهُ زوجها بل كان لهُ سبب آخر وقالت نعم اني اود مراراً ان اعود اليها ولكني لا احب ان اعود وحدي فان كنت تعود معي فذلك غاية ما اتمنَّاهُ

فسرَّ بكلامهما و برقت اسرَّتهُ وقال نعم ما أحلى ذلك ولم يخطر ببالي ان تطول غيبتنا بهذا المقدار لما ودَّعناهم — لما ودعنا نصرالله باشا وادهما في القارب وودعنا نافذاً ايضاً . والتفت اليَّ وقال ماذا يعمل نافذ الآن . وقبل ان اجيبهُ قالت سنية هانم هوذا ابرهيم ما اتى بهِ في هذه العاصفة . وفتح الباب ودخل منهُ فتى مبتلُّ الثياب من المطر ووقف امام عزَّت باشا . فقال لهُ مالك فقال بصوت منخفض لا شيءَ ولكن اتى رجل معهُ مكاتيب فظننت انها ضرورية واتيتكم بها . فقال عزت باشا لماذا لم ترسلها مع خادم . ودار الولد ليعود من حيث اتى فاشارت اليهِ سنية هانم ليبقى وقالت لهُ كيف تمضي وانت مبتل ابقَ هنا وتعشَّ معنا واذا لم تصحُ السماءُ تنام هنا

فقال عزَّت باشا وما ضرَّهُ لو تبلَّل اذا اراد ان يتعشَّى هنا فليتعشَّ ولكن الذهاب الى البيت خير لهُ والمطر لا يضرُّهُ

فوقف الفتى وسلَّم بيدهِ علامة الطاعة ونظرتُ اليهِ وقد حركتني الشفقة عليهِ وكان في وجههِ آثار الجدري عيناهُ صغيرتان واذناهُ كبيرتان وشفتاهُ غليظتان ولكنهُ لم يكن قبيح المنظر وكأنَّ سنيَّة هانم اشفقت عليهِ فأومأت اليهِ ان يتبعها فتبعها وسألهُ عزت باشا قائلاً كيف ابي ولما لم يسمع مجيباً التفت وقال اين ابرهيم فقالت عطية هانم خرج فهل ادعوهُ فقال لا . ثم قال لها هل رأيتِ أبي اليوم

فقالت نعم وحالتهُ اردأ كثيرًا . فتنهد ولم يقل شيئًا

وكان الجواري قد اخبرنني ان حافظ باشا ابا عزت باشا مصاب بالفالج وبدخل في عقلهِ وان الاشغال كلها أُحيلت على عزت باشا . وان لحافظ باشا ستة عشر ولدًا وتسع نساء ولكن امرأتهُ الاولى ام عزت باشا ماتت ولم يعطِ السيادة لواحدة من نسائهِ بعدها فاصبح بيتهُ فوضى لا آمر فيهِ ولا ناهي او كل واحد يأمر وينهى كما يشاء هذا اذا غاب عزت باشا واما في حضورهِ فالكل يخشون بأسهُ

وعادت سنية هانم حينئذٍ ومعها الفتى ابراهيم وقد مسح ثيابهُ من المطر . ودُعينا حينئذٍ الى العشاء فقال عزت باشا لزوجتهِ ان امينة تجلس معنا على المائدة . فقالت نعم بلا شك واردت ان اعتذر فامسكتني بيدها وقبلتني وقالت لي انتِ واحدة منا ولا تحسبي ان ليس فينا احد حسن الذوق غير زوجي

الفصل الثالث عشر

مضى الشتاء واقبل الربيع واكتست الاشجار باوراقها وتفتحت ثغور الازهار وقلَّ عصف الرياح بعد ان توالى كل فصل الشتاء

مضى عليَّ الآن عشرة شهور منذ اتيت الى هذا المكان وقد عرفت كل اهل البيت رجالاً ونساء وسمعتهم يتخاصمون و يغتاب بعضهم بعضاً . ورأيتهم يتملَّقون سنية هانم من كبيرهم الى صغيرهم ولم استغرب حينما سمعت انهم كلهم يكرهونها لانها الشخص الوحيد المسموع الكلمة عند عزَّت باشا . وقد عذرت عزَّت باشا على ما يُرى منهُ من القسوة بعد ما رأيت من اخوتهِ ونساء ابيهِ من فساد الاخلاق وقلة العقل ورأيت ان رجلاً مثلهُ لا يطيق السكنى في ذلك البيت ولم اعد استغرب ما كنت اراهُ على وجه سنية هانم من دلائل الغم لان الفرق شاسع بين هذا البيت وبيت ابيها من كل وجه

وكنت يوماً جالسة مع سنية هانم وعطية هانم تحت السنديانة اخيط بطانة سلة لكلب صغير أُتيت بهِ ظبي فاتى سعيد بك وحسين بك اخوا عزَّت باشا فانحنيت فوق شغلي ولم التفت اليهما لان احدهما حسين بك كان على جانب عظيم من الوقاحة وقلَّة الادب وكان يُظهر لي التودُّد كلما رآني اما انا فكان قلبي ينفر منهُ . فجلسا معنا ولو لم تكن سنية هانم هناك لقمت وانصرفت لانني كنت اخاف منهُ ولكنني اعلم انهُ لا يجسر ان يكلمني في حضرتها . وكان اخوهُ علي بك اودع منهُ واكثر تأدُّبًا وهو شاب عمرهُ نحو عشرين سنة ولا ادري ممَّن تعلَّم التأدب فقال لامرأة اخيهِ ان عزَّت باشا ارسلني اليكِ بهذا المكتوب وقال انهُ اتتهُ اخبار من

اسطانبول وانهُ سيأتي الى هنا حالما تسمح لهُ اشغالهُ

فاخذتْ المكتوب وفضتهُ ورمتْ طرفهُ فنظرتُ واذا عليهِ خط نافذ بك . والمكتوب طويل وامتقع وجهها وهي تقرأهُ ولما اتمَّت قراءتهُ قامت لتدخل البيت واشارت اليَّ لاتبعها فقمتُ وتبعتها وانا اخشى ان يكون فيهِ اخبار سوء من بيت ابيها ولما وصلنا الى غرفة الاستقبال قالت لي الاخبار من البيت لا تسرك هذا المكتوب من نافذ وقد كتب طالباً خطبة عطية

فوقفتُ صامتة مبهوتة كأنَّ صاعقة انقضت عليَّ وقد قدَّرتُ لامتقاع وجهها الف تقدير ولكن لم يخطر ببالي هذا الخاطر ولا كنتُ احسب ان كاس مصائبي يضاف اليها زواجهُ بامرأة أُخرى

اما هي فقالت ان مكتوبهُ حسن جدًّا والظاهر انهُ مُكرَه على الزواج اسمعي ما يقول "ان ابي وامي يحسبان ان لا نجاة لي الاَّ بالزواج حالاً وانا لا ابالي بما يصيبني لو خالفتهما ولكنني اودُّ ان اجد امرأة فاضلة اقدر ان احبها واعيش معها بالراحة والسلامة وتستطيع ان تنزع هذا الطيش مني . وقد كتبتِ اليَّ مرة عن عطية ولتقني بانكِ تعرفينها جيدًا عزمت ان اعمل بقولكِ وقد كتب ابي الى عزت باشا الآن فاذا اجاب طلبهُ اكون عندكم بعد شهر من الزمان . ولا تنسي ان اجازتي لا تزيد على شهر او شهرين فاعدوا كل شيء لازم حتى لا اغيب طويلاً . انكِ لا تعرفينني ايتها العزيزة ولكنكِ تعرفين بقية اهل البيت وهذا كافٍ ليقنعكِ ان امرأة اخيكِ تجد ما يسرها فيهِ اما انا فمغتاظ جدًّا من هذه الاحوال ولكنني ما كنت لاظهر غيظي في امرأتي"

وليس هذه الكتابة مما اعهدهُ فيهِ ولكن تأنيهُ فيها حرك عواطفي لانني رأيت انهُ أكره نفسهُ على الزواج ليسلوني وكنت اعلم ان اللوم كلهُ عليَّ لا عليهِ ولكنني لم استطع ان اخفي كدري

وقالت سنية هانم بعد ذلك انهُ اخبرها بسفرهِ الى اوربا وان ادهم مضى الى الروملي بعائلتهِ ولا يُنتظر ان يعود الى اسطانبول قبل ثلاث سنوات . ثم قالت اني لا احب ان آخذ على نفسي هذه المسؤولية لانني لما كتبت الى ادهم عن عطية لم اكن اعرفها كما اعرفها الآن . ونافذ يفتش عن امرأة يستطيع ان يحبها ويحترمها وهذه لا شيء فيها يحَبُّ ولا شيء فيها يستحق الاحترام ومع ذلك لا اعرف عليها عيباً يشينها سوى انها مغرورة بنفسها ثم انهُ لم يعد نصحهُ في الامكان لانهُ طلبها من ابيها رسمياً

فقلت لها كلاَّ . قلتُ ذلك على غير ارادتي . ثم قلت ولكنهُ اذا اتى الى هنا يراني حتماً فماذا افعل والى اين امضي

فقالت الامر هين وابي يعلم اني استطيع ان ادبرهُ فانكِ تمضين الى البيت الآخر وتبقين هناك وهو لا يستطيع ان يدخل بيت حافظ باشا قبلما يتزوج بابنتهِ . قالت ذلك ونظرت اليَّ بحنوٍ والدي ووضعت يدها حول خصري والقت رأسي على كتفها وقالت الله يعلم اني كنتُ اود من صميم قلبي ان تكوني انتِ زوجتهُ . ولكن لا سبيل الى ذلك لاني كتبت الى ادهم بهِ مجيئكِ الى هنا اسألهُ ان يبذل جهدهُ في اقناع ابي وامي فاجابني ان ذلك ضرب من المحال

فلم اقل شيئاً وشعرت كأني كدت أُعدَم التنفس واتفق حينئذٍ اننا سمعنا صوت عزَّت باشا آتياً فسررت لانني استطعت ان اسرع الى غرفتي واغسل كآبتي بدموع عيني . ولم يكن عندي اقل شبهة في ان عزَّت باشا يقبل طلب نافذ بك لانهُ كان يعلم مقام نصرالله باشا وهو نفسهُ انتفع كثيراً بمصاهرتهِ . وعطية من عائلة كريمة وهي تستحق مثل هذا الرجل . وقد حاولت ان اقنع نفسي بان ما جرى هو الاصلح وبانهُ لا حق لي ان اعتب على رجل رفضت الاقتران بهِ اذا اقترن بغيري ولكنني لم استطع ذلك بل اخذتني الغيرة حتى كادت تعمي بصري

سيأتي البقية

شعر العرب وتاريخهم

[المقتطف اطلعنا على رسالة انشأها حضرة الكاتب الذكي امين افندي ظاهر خيرالله وجمع فيها تاريخ عمران العرب من اشعارهم وقد قرأ لاجلها مئات من الدواوين وتصفح الوفا من الصحف وسنطرف قراء المقتطف ببعض فصولها الى ان يتسنى لهُ نشرها في كتاب على حدة وقد اخترنا منها الآن الفصول التالية]

ملابس العرب

كان لباسهم قميصاً وثوبين قال عروة بن حزام

اغرَّكما مني قميصٌ لبستهُ ... جديداً وبردا يمنة زهيانِ

وقد ذكر الثوبين كثارٌ من الشعراء قال امرؤ القيس الكندي

وأقبلتُ زحفاً على الركبتينِ ... فثوباً لبستُ وثوباً اجرّ

وقال ذو الاصبع العدواني

فتلنا منهم كلَّ ... فتى ابيض حسّانا

يُرى يرفلُ في بردي ... ـهِ من ابراد نجرانا

وكانوا في ايام الشتاء يتدثرون بالملابس الكثيرة وفي ايام القيظ يكتفون بخفيف الكسوة قال الربيع بن ضبع الفزاري

اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهدمهُ الشتاء
فامَّا حين يذهب كلُّ قرٍّ فسربال خفيف او رداء

وكانوا لدى النوم ينضون ثيابهم الاَّ ثوبًا يسمونهُ الفضل وذلك واضح من قول امرىء القيس في معلقتهِ

فجئتُ وقد نضَّت لنوم ثيابها لدى الستر الاَّ لبسة المتفضِّلِ

واَّما ما كانوا يتخذون منهُ ملابسهم فالحرير قال المخل اليشكري .

الكاعب الحسناء تر فل في الدمقس وفي الحريرِ

والخز قال عمر بن ربيعة القرشي

فقامت اليها حرَّتان عليهما كساءان من خز دمقس واخضرِ

والسندس والديباج قال امية بن ابي الصلت

عليهم سندس وجياد ريطٍ وديباج جرى منهم قتومُ
وتحتهمُ غارق من دمقسٍ ولا احد يرى منهم سقيمُ

والاضريج قال النابغة الذبياني

يحييهم البيض الولائد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجبِ

والبوصي قال الحطيئة

وهند اتى من دونها ذو غوارب يقمّص بالبوصيّ معرورف وردُ

وهذه الانواع كلها من الحرير وهذا دليل تفنن العرب في النوع الواحد منها . والكتَّان قال زهير بن ابي سلمى المزني

ليأتينَّك مني منطق قذع باقٍ كما دنَّس القبطية الودكُ

والقبطية ثياب من كتان تستجلب من مصر . وقال رؤبة بن العجاج

بل بلدٍ ملء الفجاج قتمهُ لا يُشترى كتانهُ وجهرمهُ

والجهرم ثياب من كتان يُؤتى بها من جهرم وهي بلد بفارس . وفي هذين الشاهدين دليل اتصال التجارة بين العرب والفرس والمصريين . وقد استعملوا الصوف بدليل قول المعاجم ان الخزّ خليط من صوف وحرير و بدليل اوضح وهو ان مَن عرف الحرير والكتان لا وجه للريب بانهُ عرف الصوف لانهُ اسهل عملاً وارخص ثمنًا واغزر وجودًا ولا سيما عند العرب الذين

ذهبوا في التفنن بالملابس كل مذهب حتى طرزوا ثيابهم بالذهب قال سلمى بن ربيعة

والبيض يرفلن كالدمى في الريط والمذهب المصون

وقد عرفوا المسوح (ثياب من شعر) قال مضرّس بن ربعي الاسدي

كأنّ لنا منهُ بيوتاً حصينة مسوحاً اعاليها وساجاً كسورُها

وكانت نساء العرب اذا خرجنَ من بيوتهنّ لزيارة لبسنَ فوق الثياب ازاراً ذا اهداب ربما كان منقوشاً عليهِ رسوم قال امرؤُ القيس الكندي

كأنَّ دُمى شغف على ظهر مرمرٍ كسا مزبد الساجوم وشياً مصوّرا

وقال ايضاً

خرجتُ بها امشي تجرُّ وراءنا على اثرينا ذيلَ مرطٍ مرحَّلِ

والمرط الازار والمرحل الذي عليهِ صوّر الرحال . وقد كان المرط طويلاً حتى كان يمحو آثار اقدامهم فتأمل

واما الشيوخ فكانوا يتخذون الفراء كسوة في ايام القرّ قال النابغة الذبياني "جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ " والثوب المرنباني هو المتخذ من جلد الارنب

وكانت الحسان يعمدنَ الى اخلاء اعلى الصدر ليظهر بياض الجسد للعيون قال طرفة بن العبد البكري

ندامايَ بيض كالنجوم وقينةٌ تروح علينا بين بردٍ ومُجسَدِ

رحيب قطاب الجيبِ منها رفيقة بجس الندامى بضّة المتجرَّدِ

وقطاب الجيب مجتمعهُ حيث قُطِب اي جُمِع وهو مخرج الرأس من الثوب والرحيب الواسع وانما وصف قطاب الجيب بالسعة ليبدو صدرها فينظر اليهِ . وكنَّ ايضاً يفتقنَ فتيقاً في الكم الى الابط قال الاعشى ميمون " لجسّ الندامى في يد الدرع مفتقُ " . واماَّ ذيل الثوب فقد جاء في ارسالهِ حتى الكعب قول النابغة الذبياني

اثيث نبتهُ جعد ثراهُ بهِ عوذ المطافـل والمتالي

كأنَّ نساءهنَّ مبطنات الى فوق الكعاب برود خالِ

وفي ارسالهِ حتى يمسَّ الثرى قول زياد بن حمل بن سعد من بني تميم

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها تمشي الهوينى ولا يبدو لها قدَمُ

وربما كانت النساء يلبسنَ ثيابهنَّ سابغة الذيول كما قال التيمي والبنات يلبسنَ ثيابهن قصيرات الذيول كما ذكر الذبياني ونستخلص من ذلك ان العادة المتبعة عندنا الآن في لباس

النساء والبنات واردة الينا عن العرب الاقدمين والله اعلم

واما لباس الرجال فكان مميزًا بكشف الذراع قال محرز بن المكعبر الضبي في مدح قوم

لهم اذرعٌ بادٍ نواشر لحمها ... و بعض الرجال في الحروب غثاء

وقال دريد بن الصمة في صفة اخيهِ عبد الله المدعو ايضاً معبدًا

قصير الازار خارج نصف ساقهِ ... صبور على العزّاء طلاّع انجدِ

تيجان الملوك

وكانت ملوك العرب تلبس التيجان قال امية بن ابي الصلت في خطاب سيف بن ذي يزن تبَّع حمير

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً ... برأس غمدان دارًا منك محلالا

وقال تميم بن ابي مقبل العامري

وعاقد التاج اوسامٍ لهُ شرفاً ... من سوقة الناسِ نالتهُ عوالينا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

وسيد معشر قد توَّجوهُ ... بتاج الملك يحمي المحجرينا

تركنا الخيل عاكفة عليهِ ... مقلَّدة اعنتها صفونا

وقال النابغة الذبياني هازئاً بيزيد بن عمرو بن الصعق

لعمرك ما خشيتُ على يزيد ... من الفخر المضلل ما اتاني

كأنّ التاج معصوباً عليهِ ... لاذوادٍ اصبنَ بذي أبانِ

عمامات الرجال

وكانت الرجال تستر رؤوسها ايام السلام بالعمائم قال سليك بن السلكة

الا عتبتْ عليَّ فصارمتني ... واعجبها ذوو العمم الطوالِ

وقال عنترة العبسي

وما الفخر الاَّ ان تكون عمامتي ... مكوَّرة الاطراف بالصارم المندي

واما الفتيان منهم فبعضهم يلبسون البرنس قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس ... مختلق الذفرى شديد الحزامْ

نصيف النساء

اما النساء فكنَّ يغطين رؤوسهنَّ بالنصيف حتى يسترن وجوههنَّ قال النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم تُرِدْ اسقاطهُ ... فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وكنَّ يغطين الوجوه قال ابو دؤاد الايادي

و يصنَّ الوجوه بالميسانيّ (م) كما صان قرن شمس غمامُ

وقال عنترة العبسي

فخر الرجال سلاسلٌ وقيودُ وكذا النساء بخانقٌ وعقودُ

والبخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشدُّ طرفيها تحت حنكها

وقال حجية بن المضرَّب

لجحنا ولجَّت هذه في التغضُّبِ ولطَّ الحجاب دوننا والتنقبِ

وقال الممزق العبدي

ظهرنَ بكلَّةٍ وسدلنَ رقماً وثقَّبنَ الوصاوصَ للعيونِ

ولم يكن غطاء الوجه عاماً عند العرب . قالت فاطمة بنت الاحجم في رثاء ابيها

قد كنتَ لي ذا حمية ما عشتَ لي امشي البراز وكنتَ انتَ جناحي

وربما كان بعضهنَّ يرسلنهُ عندما يرغبنَ في اخفاء امرهنَّ قال الاعشى ميمون

ولقد ساءها المشيب فلطَّت بحجابٍ من دونها مصروفِ

ولبعضهنَّ حيلة للنجاة من السبي يحسن ذكرها وهي انهنَّ كنَّ يتنقَّبنَ دون امائهنَّ فاذا غزت الاعداء قومهنَّ كنَّ يبرزنَ وجوههنَّ وينقّبن اماءهنَّ فتسبى الاماء دون الحرائر والى هذا اشار سبرة بن عمرو الفقعسي في قوله

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها يُخلْنَ اماء والاماء حرائرُ

و بعضُ العرب كانوا اذا فقدوا عزيزاً حسرت نساؤهم عن وجوههنَّ نائحات لاطمات قال الربيع بن زياد العبسي

مَن كان مسروراً بمقتل مالك فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ

يجد النساء حواسراً يندبنهُ يلطمنَ اوجههن في الاسحارِ

قد كنَّ يخبأن الوجوهَ تستراً فاليوم حين برزن للنظارِ

يضربنَ حرَّ وجوههنَّ على فتى عف الشمائل طيب الاخبارِ

ولكن ذلك لم يكن شأن جميع العرب بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذ الالهِ ان تنوحَ نساؤنا على هالكٍ او ان تضجَّ من القتلِ

بيروت امين ظاهر خير الله

العلم العملي

ابنّا في الجزء الماضي فوائد العلم العملي واحتياج البلاد اليهِ وذكرنا اهتمام مدرسة الطب المصرية ومدرسة الطب الاميركية بهِ حتى اذا قرن التلامذة العلم بالعمل خرجوا من المدرسة وقد أُشربت قلوبهم محبة العلم ورسخت حقائقهُ في نفوسهم فاذا اشتغلوا بهِ بعد خروجهم من المدرسة كان لهم مما عملوا بهِ اساس يبنون عليهِ ويتوسعون فيهِ واذا لم يشتغلوا بالعلم بل تعاطوا اعمالاً اخرى كان ما تعلموهُ وتحققوهُ بالعمل اكبر مساعد لهم على فهم حقائق الاعمال والقياس عليها . ولذلك تجد البون شاسعاً بين الذين تعلَّموا على هذه الطريقة وبين الذين اقتصروا على استظهار القواعد العلمية الاولين كأنهم مارسوا الاعمال سنين عديدة وتعلَّموا بالاختبار ما لا يتعلمهُ المرء الأ بعد التجارب الكثيرة والآخرين كأنهم لم يتعلموا شيئاً ولا مارسوا عملاً . وكثيراً ما تجد ابن العالم الذي ربي في الغيط او في السوق او في الديوان امهر من ابن المدرسة الذي لم يقرن العلم بالعمل بل اقتصر على حفظ القواعد العلمية

وقد يُظن لاول وهلة ان قرن العلم بالعمل مقتصر على القسم الطبي من اقسام المدرسة الكلية وعلى ما يتعلق بالدروس الطبية وهذا يكاد يكون صحيحاً لان تلامذة القسم العلمي قلما يشاركون تلامذة القسم الطبي في غير الاعمال الكيماوية والمباحث النباتية والحيوانية لكن علم الكيمياء والمباحث الطبيعية منهُ تشتمل على كثير من الحقائق العملية بل هي اساس كل الاعمال حتى اذا كانت صناعة انسان طبخ الطعام رأى في ما وقف عليهِ من الحقائق الطبيعية والكيماوية مرشداً يرشدهُ الى اتقان الطبخ وجعل الطعام طيباً نافعاً . واذا اقتنى الاطيان والمواشي وجد في ما تعلمهُ اكبر مرشد لاصلاح طرق الحرث والزرع والغرس وتربية الحيوانات واستثمار خيرات الارض . واذا اتَّجر في اي صنف كان من اصناف التجارة كان علمهُ معيناً لهُ على الفرق بين البضائع والتمييز بين صحيحها وفاسدها وخالصها ومغشوشها

وللكيمياء الشأن الاكبر في ذلك كلهِ ولا سيما اذا توسَّع الاساتذة فيها ولم يكتفوا بتدريس الطلبة المبادئ الاصلية بل ارشدوهم الى ما يبنى عليها وبيَّنوا لهم علاقتها بالزراعة والصناعة والتجارة وسائر الاعمال . هذا ما كنا نتوخاهُ وقتما كنا ندرّس هذا الفن في المدرسة الكلية الاميركية ولا بدَّ من ان يكون خلفاؤنا قد توسَّعوا فيهِ بعدنا لان المدرسة انشأت بعد ذلك داراً خاصةً بالكيمياء وهي التي تراها مرسومة في اعلى الشكل الاول الذي صدَّرنا بهِ هذا الجزء . بناء لم نرهُ حتى الآن ولكن يبلغنا انهُ رحب صالح للتدريس والتجارب الكيماوية .

وفي الصورة الوسطى من تلك الصوَر الثلاث معمل التدريس حيث يجري استاذ الكيمياء التجارب الكيماوية امام التلامذة ولعلهم يشاركونهُ فيها فيروا بعيونهم و يلمسوا بايديهم المواد الكيماوية والآلات والادوات التي تستخدم في اجراء العمليات . تراهم في الصورة وقوفاً وامامهم الانابيق والكؤوس والمرشحات وهو يقرأ اسماءهم او يراجع موضوع خطبته في مذكرته . وترى بعضهم في الصورة السفلى وقوفاً في معمل التحليل الكيماوي حيث يبحثون عن العناصر والمواد السامة و يرون تفاعل المواد الكيماوية بعضها ببعض

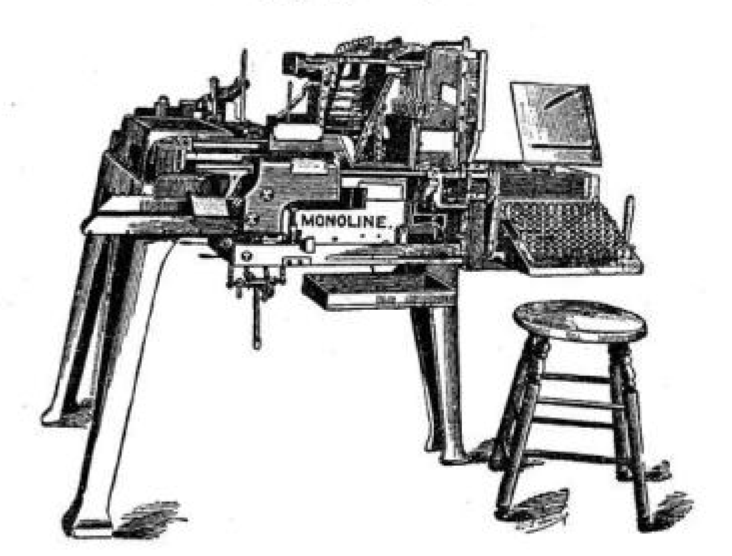
لو بحثتَ عمَّا دفع الاوربيين في ميدان الارتقاء وميزهم علينا في كل عمل وسهَّل لهم استنباط ما لا يحصى من الاساليب العملية والآلات والادوات الصناعية لرأيت اكثرهُ في معمل الكيمياء ودار الفلسفة الطبيعية هناك وُجدت نواميس البخار وعُلم فعل الحرارة بالاجسام ودُرست قواعد الميكانيكيات فمُهدت السبيل لعمل الآلة البخارية وما نشأ منها . هناك اكتشف جلفني وفولطه وارستد وفرادي نواميس الكهربائية والمغنطيسية فبُني عليها التلغراف والتلفون والنور الكهربائي وما يتصل بذلك مما يُعَدُّ منهُ ولا يعدَّد . هناك عُرفت حقيقة الاختمار وكُشفت خفايا الميكروبات فعُلمت اسباب الامراض وصُنعت المواد المضادَّة لها . هناك قامت الصناعة على الطبيعة تجاريها او فاقت عليها في عمل الاصباغ وتركيب الطيوب واستخراج الاصول الدوائية فصُنع صبغ الفوة وصبغ النيل وما لا يحصى من الاصباغ الجمادية التي تفوق الاصباغ النباتية جمالاً وبهاء وصُنعت الطيوب على انواعها المسك والعطر والزباد والناردين . وصُنعت الكينا ايضاً او ما يقوم مقامها وما لا يحصى من المواد الدوائية

والاوربيون الذين بلغوا هذا الشأوَ بعلومهم العملية تراهم يشكون من قلتها و يطلبون المزيد منها . الفرنسويون يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتقدُّم الانكليز عليهم والانكليز يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتفوُّق الالمانيين عليهم والالمانيون يشكون و يتذمرون من سبق الاميركيين لهم . وكلهم خيل رهان يتبارون و يتسابقون مع ان احقر امة منهم تفوقنا بمراحل . مَن رأى مصنوعات بلجكا او هولندا او اسوج ونروج او سويسرا الجمهورية الصغيرة التي لا يزيد سكانها على ثلاثة ملايين من النفوس — مَن رأى مصنوعات هذه الامم في معرض باريس او في مخازن القاهرة والاسكندرية ولم يرَ قصورنا وتقصيرنا وان كنا لا نلام في القصور فمن لا يلومنا في التقصير

هذا ويرى قراء المقتطف في الكلام على كارنجي الغني الاميركي في مقالة اغنياء اميركا في هذا الجزء انهُ عقد نيتهُ على انشاء مدرسة صناعية في البلد الذي جمع فيهِ اكثر ثروتهِ

يهبها خمسة ملايين من الجنيهات . هبة يقصر عنها الملوك ولا يعلم الاَّ الله كم ينجم عنها من الفوائد لتلك البلاد التي فاقت ممالك الارض في اجتهاد اهاليها وتقدُّمهم . فكأَنَّ هذا الرجل الذي جمع ثروتهُ بارتقاء الصناعة سيثبت للملإِ بهذه الهبة ان العلوم الصناعية من خير ما ترتقي بهِ البلدان وتغنى الامم . وبلغنا ان احد اغنياء القطر المصري عازم على انشاء مدرسة جامعة بمالهِ الكثير فعسى ان يقتدي بغني اميركا ويجعل مدرستهُ داراً لتعليم العلم العملي العلم الزراعي والعلم الصناعي اللذين لا غنى لهذه البلاد عنهما ولا ارتقاء لها بدونهما

اللينوتيب والمونولين



لا ندري ما يقول غوتنبرج لو بُعث في هذا العصر ورأى حروف الطباعة التي عُني بعملها وضبطها حتى تتألف منها الكلمات وجرى الناس على خطتهِ فيها من غير تغيير ولا تبديل مئات من السنين قد صُنعت لها آلة الآن تجمع امّاتها بعضها مع بعض سطوراً متوالية وتسبك الحروف عليها فتخرج سطوراً منظومةً على غاية الدقة والإحكام

لدينا الآن كتاب عربي كتاب الاصول الهندسية الذي وضعهُ اقليدس ونقلهُ الى

العربية نصير الدين الطوسي طُبع هذا الكتاب منذ اكثر من ثلثمئة سنة وحروفهُ مثل حروف مطابعنا ويظهر منها انها كانت تسبك وتجمع كما تسبك وتجمع حروفنا الآن فلم يتقدم قيد شبر عما كان عليهِ اسلافنا منذ ثلثمئة سنة . وما من عار علينا في ذلك فان الاوربيين لم يستنبطوا آلة لجمع الحروف الا منذ بضع عشرة سنة وكان لاحد ابناء سورية يد في استنباطها كما ابنا ذلك في حينهِ . والآلة المشهورة عندهم الآن المعروفة باللينوتيب نجحت نجاحاً عظيماً على قرب عهدها حتى يقدَّر ربح الشركة التي تصنعها في اميركا باربع مئة الف جنيه في السنة

وقد رأينا هذه الآلة في معرض باريس كما رآها كل من زار ذلك المعرض وكانت تجمع الحروف وتسبكها سطوراً باسرع من لمح البصر ولعلها تغني عن ثلاثة او اربعة من امهر مرتبي الحروف لكنها كثيرة التراكيب والتفاصيل فيبلغ ثمن الآلة منها خمس مئة جنيه او اكثر . وقد رأينا هناك آلة أُخرى اسمها المونولين مرسومة في صدر هذه النبذة وهي اصغر من اللينوتيب حجماً لا يزيد جرمها على ثلث اللينوتيب وثمنها نحو مئتي جنيه وشرحها بسيط يجلس الصانع على كرسي كما ترى في الرسم ويكون امامهُ مفاتيح بارزة كمفاتيح آلة الكتابة وهي للحروف المختلفة فاذا اراد ان يجمع كلمة بيت ضغط باصبعهِ مفتاح حرف الباء فتنزل امُّ هذا الحرف الى امام عينيهِ ثم يضغط مفتاح حرف الياء فتنزل امهُ الى جانب ام الباء ثم يضغط مفتاح حرف التاء وهلمَّ جرًّا الى ان يتم السطر الذي يريد جمع حروفهِ وفروقهِ ومربعاتهِ فتأتي الى امام عينيهِ حتى يصير منها سطر كامل فيمعن نظرهُ فيهِ خوفاً من السهو او الخطإ ثم يضغط مخلاً صغيراً الى يمين المفاتيح ويشرع في جمع سطر آخر وللحال يذهب السطر الاول الذي جمعهُ الى حيث يُسبك عليهِ معدن الحروف فيخرج سطرًا كاملاً من حروف الطبع . ومرتب الحروف لا يفعل شيئاً من ذلك بل يأخذ في ترتيب امات السطر الثاني كما رتب امات السطر الاول ومتى اتمَّ ترتيبها يضغط المخل عن يمين المفاتيح فتذهب هذه الامات كما ذهبت الامات الاولى ليسبك عليها سطر من معدن الحروف وهلمَّ جرًّا الى ان تستعمل الامات كلها فتعود وتتفرَّق في اماكنها الاولى . كل ذلك تفعلهُ الآلة نفسها لا يساعدها الصانع الا في ضغط مفاتيح الحروف

وقد شاعت هذه الآلة في اوربا وفي بلاد كندا من اميركا ولم يمنع شيوعها في الولايات المتحدة الاميركية الا امتياز اللينوتيب فيها فمتى انقضت مدة امتيازهِ وستنقضي قريباً يشيع المونولين فيها كما شاع في غيرها

هذا وكلامنا عن اللينوتيب والمونولين كان الى الآن ككلام الفقراء عن ثروة الاغنياء لان اشكال حروفنا تزيد على مئتي شكل في كل نوع من انواع الحروف فيتعذَّر عمل آلة لها

ان لم يستحل . غير ان آلة الكتابة الحديثة التي استنبطها سليم افندي حداد المصور قللت اشكال الحروف العربية كثيراً فصار استخدام المونولين لها امراً ممكناً بعد ان كان متعذراً من هذا القبيل . ويبقى ان نفقات هذه الآلة كثيرة الثمن يتعذر على مطبعة من المطابع الشرقية ان تبتاع بضع آلات منها وهي لا تصنع بهذا الثمن الاَّ اذا طُلب منها آلات كثيرة اما اذا طُلب آلات قليلة فيكون ثمنها اكثر من ذلك كما لا يخفى

وكيفما نظرنا في صناعة الطباعة رأينا للاوربيين مزية كبيرة علينا باعتمادنا على صور للحروف تخالف الصور التي اعتمدوا عليها . ومن الغريب انهم هم نقلوا صور حروفهم عن صور الحروف الشرقية الفينيقية ونحن لا يرضينا ان نستردها منهم ونقلوا ارقامهم عن ارقامنا العربية فاهملناها واعتمدنا على غيرها وصرنا نأنف من استرجاعها . وكأننا آلينا على انفسنا ان نبقى مبتعدين عن كل ما يسهل علينا مجاراة الاوربيين واذا قام احد منا ونادى بما فيهِ صلاح حالنا لم يلقَ مجيباً من اخوانهِ ولا سامعاً من ولاة الامور . وهؤلاء اميون في الغالب لايعرفون العلم ولا يقدرونهُ قدره ُ ولا خبرة لهم بما يُبنى عليهِ عمران البلاد واسهل عليهم ان ينفقوا الف جنيه في السنة على حديقة لا يدخلها احد من الناس من ان ينفقوا مئة جنيه على بحث علمي من ورائهِ فائدة كبيرة

اصغر الممالك الدستورية

الى الغرب من بلاد النمسا مع تخومها مما يلي سويسرا امارة صغيرة مساحتها ستون ميلاً مربعاً اي نحو ٣٥ الف فدان وسكانها نحو تسعة آلاف نفس اسمها لكتنستين Liechtenstine لها امير يُعدُّ بين ملوك اوربا كما يعدُّ قيصر الروس وامبراطور الالمان او كما يعد امير الجبل الاسود وملك اليونان فيحق لاولادهِ ان يقترنوا ببنات الملوك وللملوك ان يقترنوا ببناتهِ وهو الامير يوحنا الثاني من اقدم الاسر الاوربية المالكة . ويقال انهُ على جانب عظيم من الثروة لهُ في بلاد النمسا كثير من القصور والاباعد ويبلغ عدد قصورهِ واباعدهِ فيها تسعة وتسعين وهو الحد الذي يستطيع احد من الناس ان يمتلكهُ في تلك البلاد . ولهُ في مدينة فينا معرض للصور من اكبر معارض الدنيا ومن اعظم ما تفاخر بهِ تلك العاصمة . وهو ملك مستقل في بلادهِ ومتقلد اعظم نياشين الملوك لكنهُ واحد من رعايا امبراطور النمسا ايضاً وعضو من اعضاء مجلس الاعيان النمسوي وضابط في الجيش النمسوي

سُنَّ دستور هذه الامارة سنة ١٨٦٢ ونُقح سنة ١٨٧٨ وكانت قد ارتبطت ببلاد النمسا من حيث الجمرك والبوسطة سنة ١٨٥٢ فان حكومة النمسا تأخذ رسوم الجمرك على ما يدخل هذه البلاد وتعطيها بدل ذلك نحو خمسة آلاف جنيه في السنة وتقدم لها طوابع البوسطة ايضاً . واميرها يقيم في فينا لا فيها ولهُ هناك مجلس خاص لكن مجلس نواب البلاد يجتمع في قرية فادوز عاصمتها وهو مؤلف من خمسة عشر عضواً ثلاثة منهم ينتخبهم الامير والباقون ينتخبهم الشعب ورئيس هذا المجلس هو مدير الادارة ومعهُ وزير الداخلية ووزير المالية ووزير الحقانية ومهندس الحكومة ومدير الغابات هؤلاء اعضاء مجلس النظار . والمجلس الخاص الذي عند الامير في فينا بمثابة مجلس الاستئناف تستأنف اليهِ القضايا الجنائية والمدنية وبمثابة مجلس اعلى لمجلس النواب الاول

ويجتمع مجلس النواب في فادوز حين لا يكون اعضاؤهُ مشغولين بزراعتهم والغالب انهم لا يجدون فيهِ من المسائل ما يدعو الى بحث طويل لكنهم قد يختلفون في بعض المسائل ويكثر فيها حجاجهم ولجاجهم فاذا لم يتفقوا بعثوا وفوداً الى اميرهم في فينا فيجمع مجلسهُ الخاص وينقض المشكل الذي اختلف مجلس النواب فيهِ

وفادوز عاصمة البلاد قرية صغيرة سكانها نحو الف نفس وقد بنى الامير فيها كنيسة كبيرة بلغت نفقات بنائها خمسة عشر الفاً من الجنيهات وبنى فيها ايضاً مدرسة كلية وكل نفقاتها منهُ

والاهالي فلاحون كلهم يحرثون الارض ويصنعون الخمر وآدابهم في الطبقة الاولى ولا يكاد يوجد بينهم مجرم وليس في بلادهم سجن للمجرمين فاذا مسكوا احداً في جريمة بعثوا بهِ الى سجن في بلاد النمسا ودفعت حكومتهم نفقاتهِ في سجنهِ

قال احد الكتاب انهُ كان في عاصمتهم مرة فرآهم مضطربين رجالاً ونساء يجتمعون في الشوارع ويتباحثون كأنهُ بلغهم ان عدوًّا شنَّ الغارة عليهم ولما بحث عن سبب اضطرابهم وجد انهم امسكوا رجلاً من اهالي سويسرا في سرقة . والسرقة فرخان من الدجاج . وكانوا قد قبضوا عليهِ وبعثوا بهِ الى السجن ولكنهم لم يفيقوا من دهشتهم ولم يسكن روعهم النهار كلهُ وهذه اول جناية ارتكبت تلك السنة

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان هذه الامارة الصغيرة شهرت الحرب مرة على مملكة بروسيا ولم تصالحها حتى الآن فانهُ لما نشب القتال بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ جرَّد اميرها جيشهُ وهو ستة وستون رجلاً بقيادة يوزباشي اسمهُ رنبرجر وسار بهِ الى حدود النمسا لينضم الى الجيش

النمسوي ولم يصل اليهِ حتى بلغهُ انهُ جرت المعركة التي كانت الفاصلة بين النمسا و بروسيا فعاد بجنوده الى بيوتهم قبل ان يطلقوا بندقية . وحلَّ الامير جيشهُ سنة ١٨٦٨ مع ان بلاده لا تزال شاهرة الحرب على المانيا حسب قوانين الدول لانها خرجت الى الحرب ولم تمضِ معاهدة الصلح لكنها كالبعوضة على قرن الثور لا يدري بوقوعها ولا بطيرانها . ولاميرها املاك وسيعة في بروسيا وسكسونيا كما لهُ في النمسا واذا اجتمع مجلس الامة الالمانية العام فلهُ فيهِ كرسي وصوت

مستقبل الصين

اخلاق الصينيين وعاداتهم

لا شك ان الصينيين امة منفردة بذاتها استقلت باخلاق وعاداتٍ لها واوضاعٍ واحوالٍ درجت عليها وان هذا السور الذي ادارتهُ من خلفها حاجباً بينها و بين غيرها من الامم واردفتهُ بسور آخر معنوي حوطت بهِ ارواح افرادها من منع خروج الخارج ودخول الداخل لتكون ارضها عقبة لم يجزها راكب لمَّا يجعل هذه الامة قسماً من البشر مستقلاً برأسهِ وحدانياً بنفسهِ ولذلك مع كون هذه الامة شرقية تجد بينها وبين سائر امم المشرق بوناً بعيداً حتى كأن سائر الشرقيين اقرب الى الغربيين مما هم اليها وهذا مما لا جدال فيهِ . وانما اختلف المؤرخون واهل النظر في الحكم على اخلاق وعادات الصينيين على ما هي عليهِ من خير وشرّ وهل هي اميل بجملتها الى جانب الفضيلة والصلاح ام الى جانب الرذيلة والفساد وذلك الاختلاف بسبب اختلاف اذواق السياح واغراضهم وتباين مشارب الكتّاب واهوائهم فذهب بعض المرسلين من اهل اوربا الى ان اخلاق الصينيين في الدرك الاسفل من اخلاق البشر وانهم احوج الامم الى التثقيف واقلهم نصيباً من الفضائل وصوَّروهم باقبح الصور ومثَّلوا بهم اشنع التمثيل في الوصف حثًّا للاوربيين على الالتفات الى تلك البقعة واستدراراً لاخلاف جيوبهم للبذل في سبيل اصلاح سكانها ولكن هذه الطائفة من المبشرين اقل من الفرقة الثانية التي تميل الى الصينيين وتذكرهم بالخير وتمتدح الجمهور من اخلاقهم . ومنها من ذهب الى ان الآداب الصينية اعلى من الآداب الاوربية . وما زال بعض هؤُلاء الدعاة يبالغون في مدح اخلاق الصينيين في كتبهم ورسائلهم حتى اذاعوا لهم في اوربا احدوثة حسنى واطاروا لهم سمعة عظيمة في التهذيب والفضائل لم يوجد بعد البحث والاستقصاء ما يحققها او ما يحقق اكثرها فصحَّ ان الكتّاب كانوا يمثلون الصينيين بحسب اغراضهم واذواقهم فمنهم المحب الغالي ومنهم المبغض القالي ولعل الاصح

هو الحد المتوسط بين الطرفين

اما الصينيون فيرون انفسهم اعلى كعباً في المدنية الصحيحة من الاوربيين و يطلقون على هؤلاء اسم "برابرة الغرب" و يستشهدون على ذلك بميلهم الى استئكال بعضهم بعضاً وقساوتهم في الحروب وتفننهم في آلات القتل وطرق الفناء وربما جاراهم على هذا الفكر غير واحد من الاوربيين الذين يقولون الحق ولو على انفسهم

والحق انهُ لا يوجد بقعة على سطح الكرة تُحترم فيها العوائد والشعائر مثل بلاد الصين ولا يوجد اقليم ينقاد اهلهُ لدعوة الانسانية اكثر من هذا الاقليم فهم صفر الوجوه بيض الصنائع والوداعة عندهم خلق فطريٌّ تعم كبيرهم وصغيرهم ويسمون انفسهم اخواناً فيقولون "رجال الابحر الاربعة اخوان" والأتراب منهم اخوان بعضهم لبعض ويكون بينهم من حقوق المتاربة ما بين الاخوان من حقوق الاخاء

ومن الدلائل على وداعتهم ان كثيرًا من سيّاح الافرنجة جابوا احفل اصقاع الصين بالعمارة مثل هوبه وستشوان ورادوا قاصيتها ولم يتفق ان وقع لهم اقل اهانة ولا ان تعرض لهم احد بادنى سوء واذا وقع شيء من هذا القبيل في يونان او هونان فهو من النادر الذي لا يعتد بهِ . واحسن ما يحتاط بهِ الغريب لمنع ذلك ان يحتمي برجل من ذوي السنّ العالية فيكون كأنهُ دخل في حمى كليب فانهُ ليس على الصينيين شيء اكرم من الشيخوخة . ثم انك لا تجد في كبار مدن الصين مع ازدحام الالوف في شوارعها سكيرًا واحدًا وان اشتهيت رؤية سكير لزمك ان تقصد الثغور البحرية حيث قد اختلط الاوربيون بالوطنيين واقتدى هؤلاء بهم فهناك ترى السكارى في الاسواق صرعى بنت العنقود كما في اوربا وحسبك ان الاولاد في المكاتب على جانب عظيم من الرزانة والطاعة للمعلمين مع صبرهم العجيب على الدرس وابتعادهم الزائد عن الغضب . واذا تأمل الانسان حركاتهم وسكناتهم وجدها حركات وسكنات قوم يشعرون على حداثة اسنانهم بانهم من اهل المدنية وانهم مرشحون لامور مهمة

عيب الصينيون في ضعف نفوسهم وفقد الاقدام الشخصي من بينهم ففاقهم الاوربيون في الجرأة والعزم كما فاقوا الاوربيين في الثبات والصبر ولا ينكر انهم من اهل الكد والسعي في كسب معاشهم لكن اعتمادهم في السعي على الثبات اكثر مما هو على الاقدام . وتقل عند الصينيين المطامع السياسية ويندر عندهم هذا الولوع بالرئاسة والتطاول الى السيادة والغلب كما هو عند كثير من الامم . وفي غرائزهم من حب السلام والركون الى الدعة ما لا يوجد عند أمة على وجه الارض ولا اظن توجد امة تقلّ فيها اشعار الحماسة واهازيج الفتوة قلّتها عند الصينيين

فاكثر اغاني الفلاحين عندهم في معنى الحراثة والشغل كأنهُ لا يهيجهم الاَّ موضوع السلام

"عند ما ذهبنا كان النبات قد وسم وجه الارض وعند ما رجعنا كان النبات قد ذوى. السفر طويل والزاد قليل . كم اصابني شقاء بدون استحقاق منذ اضطررت لنقل السلاح وتركت المحراث"

وانت ترى انهُ لو كان فيهِ شيء من الخواطر الشعرية المعروفة عندنا لعقدتهُ شعرًا ولكنهُ اشبه باقوال المتصوفة والزهاد منهُ بالشعر فتركتهُ على حالهِ لئلاَّ تعيره الديباجة العربية شيئًا من مسحة الشعر العربي فيخرج عن اصلهِ . ولعمري ان من ادلّ الدلائل على طباع الصينيين ان تكون اهزاج فتيانهم في المحافل واغاني حداتهم اذا سالت الاباطح باعناق الرواحل عبارة عن تذكارات الراحة والدعة والشغل والحرث . وامةٌ هذه افكارها وفتيان تلك اشعارها لجديرة بان يوالي اليابانيون عليها الهزائم وهم نحو عشرها وان لا يكون لها في الحرب موطن يحمد

والشعر عندهم لا يخلو من علو الطبقة ودقة المعاني ولكنهُ يندر ان يوجد فيهِ النفَس الشخصيّ والمذهب المختص والطريقة المبتدعة وانما القوم على قواعد يراعونها وقيود يرسفون فيها واصطلاحات في التركيب ومناهج في الفكر لا يحيدون عنها يمنة ولا يسرة فلا يكاد يظهر معها المعنى المراد ولا تفيد فيهِ الشراح . وكأنَّ المباني عندهم اهم من المعاني حتى يصح في شعرائهم تمثل بعض المعاصرين في حق نفسهِ وقد نبَّهوهُ الى كثرة اعتنائهِ بالرَّصف مع الخلو من المعنى قال "فقل انا وزّانٌ وما انا شاعرُ"

والصحيح ان الشعر غير الوزن وغير التقفية وقد يكون النثر شعرًا ويكون النظم نثرًا في المعنى الذي نريدهُ . ولما كان الصينيون ينسجون الشعر على المنوال الذي تقدم وكان الغالب على افكارهم الحكم والامثال والمبادئ الادبية كان شعرهم اميل الى منظوم الحكم منهُ الى الخيال والانفعال فكأنهُ اليهم ينظر ابن خلدون فيما ذكر عن شعر الفقهاء والنظَّار وما يقعد بهم عن التفنن والبلاغة من حفظ المتون واستظهار القواعد

وقد جمح بنا جواد القلم في موضوع الشعر الصيني من طريق الاستدلال على اخلاق هذه الامة لأن الشعر كما لا يخفى مرآة اخلاق الامم ومحك عوائدها ومنازعها وعنوان طباعها وعواطفها فلنرجع الى ما كنا فيهِ من اخلاق الصينيين وعوائدهم

فلا مشاحة ان من اشد الامور ارتباطًا في الصين واوثقها عقدةً مما هي في كل الدنيا مسألة القرابة فالعيال في الصين مرتبطات بروابط لا توجد في بلاد غيرها والمملكة كلها تلقب بالمائة أسرة ثم هذه المائة أسرة في الآخر تندمج دمجًا واحدًا فتعدّ اسرة واحدة . والفضائل

كلها عند الصينيين قائمة بطاعة الابناء للآباء . وفي وصايا كنفوشيوس ان المحبة البنوية هي اساس الاجتماع والقواعد الخمس الثابتات في علاقة الاب مع ابنائهِ والملك مع رعيتهِ والزوج مع زوجتهِ والشيوخ مع الشبان والصديق مع الصديق . وكل سلطة عندهم مشتقة من سلطة الوالد على الولد وهو ما مكَّن عرى الهيئة الاجتماعية الصينية ووثَّق روابط الوحدة بين اجزاء هذه الأُمة . ثم ان الفصائل قائمة في الصين مقام الافراد في البلدان الاخرى فاذا جرى من الامور العمومية ما يستدعي صوت الامة مثل انتخاب اعضاء المجالس البلدية كان حق التصويت لرئيس الاسرة او مقدم العشيرة فهو الذي ينوب عنهم جميعاً وفيهِ تنحصر حقوقهم وبمقابلة ذلك هو المسؤُول عنهم والمجزي بذنوبهم ان قدَّموا خيرًا كان الفضل لهُ وان قدموا شرًّا كانت اللائمة عليهِ ولكنهُ مطاعٌ فيهم اميرًا عليهم ولا تسمح الحكومة لولد ان يعق اباهُ او يشاقهُ في امرٍ من الامور ومن يفعل ذلك يلقَ عذاباً اليماً ومن يجترئ على ابيهِ بضربة واحدة يعاقب عليها بالموت

ولكن الابناء عندهم يحترمون آباءهم الى درجة العبادة وقد شوهد في الجهات التي يشتد فيها الفقر ان شباناً باعوا انفسهم بتقديمها للقصاص بدلاً عن محكومٍ عليهم بالقتل حيث يجوّز القانون الصينيّ النيابة في العقوبات كما تقدَّم لنا في فصل سابق وان ذلك البيع كان لاجل اعانة والديهم على المعيشة . فانت ترى انهم يفدون آباءهم بانفسهم . ولن يبلغ البرّ بالوالدين هذه الدرجة عند شعب من الشعوب بل نرى هذا الغلو في البرّ من القسم المذموم وكل شيءٍ تجاوز حدَّهُ فقد اشبه ضدَّهُ . ثم اذا مات الاب فهي القيامة الكبرى فيمتد الحداد ثلاث سنوات لا يأكل احد من افراد الفصيلة اثناءها لحماً ولا يشرب خمرًا . ويتأنقون جدًّا في عمل نعش المتوفَّى فاذا لم يملك الانسان الاَّ ما يصنع بهِ نعشاً لابيهِ باعهُ بحذافيرهِ حتى يقوم بذلك الواجب

قيل ان بعضاً ممن لا يملكون شيئاً من حطام هذه الدنيا باع خيط رقبتهِ ليشتري بهِ نعشاً لابيهِ المتوفَّى ورضي بالعبودية بدلاً عن النعش . ومنهم من يبقي نعش والدهِ في البيت فيجعلهُ قبلة لهُ ويجثم بجانبهِ نهارًا ويضطجع حذاءهُ ليلاً . وكيف كانت الحال فالولد في الصين خافض لوالديهِ جناح الذل من الرحمة سواءٌ كانا في الحياة او بعد الممات . والعادة عندهم تعليق ترجمة المتوفَّى في الهيكل وقد درجت القرون على ذلك وتعاقبت الاحقاب فاصبحت الانساب محفوظة بهذه الطريقة حفظاً لا يضاهيها فيهِ غيرها من الضبط ودرجة الثبوت . وانك لتجد الرجل من عُرض القوم يعرف آباءهُ وجدودهُ واحدًا واحدًا الى حد عشرين قرناً ولا تقتصر

معرفتهُ على اسمائهم فقط بل تتناول احوالهم ومواليدهم ووفياتهم . قال اوجين سيمون في رحلتهِ الى الصين انهم يظنون انفسهم خالدين بحفظهم ما وراءهم من تواريخ جدودهم ولذلك كان المطرودون من عيالهم منهم اشقياء فعلاً لانهم مطرودون من حظيرة الاجتماع الانساني"

اما الاولاد فليس لهم هذا الشأن عند الموت وما قلت فيهم يقال في العزّاب والعبيد والنساء الغير الشرعيات . وكثير من الفقراء يلقون جثث اولادهم في مجاري الانهر وربما تركوها امام بيوتهم تجاه الدفّانون فاخذوها وهي عادة ذميمة عند اهل الصين واقبح منها ما هو معهود في بعض المقاطعات من قتل البنات خشية املاق على حد الوأد الذي كان معروفاً في الجاهلية مع اختلاف في الطريقة فالعرب كانوا يدفنون المولودة حيةً في القبر وهؤلاء يقتلونها غطساً في الماء البارد حتى تختنق . وتختلف الاسباب والوأدُ واحدٌ . وهذا ناشيء عندهم كما كان عند العرب عن خوف الحاجة او العار . وربما افتخروا بذلك كما افتخر العرب قائلين دفن البنات من المكرمات. واصل معنى الوأد عند العرب الثقل لأنها كانت تثقل بالتراب واول من منع من الوأد في الجاهلية صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ولما جاء الاسلام كان قد فدى ثلثمائة موؤدة والى ذلك اشار الفرزدق مفتخراً وحقٌّ لهُ الفخر

وجدّي الذي منع الوائدات   واحيا الوئيد فلم تؤاد

ثم ابطل ذلك الاسلام ونزل قولهُ تعالى " ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم " والولاة في الصين يظهرون انكار هذه العادة واكبارها على فاعليها ولكنهم باطناً يعذرون اصحابها و يغضون الطرف عنهم . وهناك طريقة اخرى للتخلص من الفقر وهي بيع الاولاد والشائع بيع الاناث اكثر من الذكور

واما حالة النساء في الصين او على رأي كتاب العصر " حالة المرأة في الصين " فهي من اسوإ الحالات وحسبك دليلاً على ذلك قصر اقدامهن" تلك العادة القبيحة التي استحسنها اهل الصين واصرّوا عليها ورأوا فيها الجمال الباهر واللطف الساحر اذ اعتدّوا مزيد الترف في دقة الطرف فاوجبوا تصغير الاقدام وعمدوا الى القوالب يضعونها فيها منذ بلوغ البنت الخامسة او السادسة من العمر فتنشأ قدمها صغيرة واصبحت المرأة الصينية لا تستطيع رفع شيء ثقيل من الارض ولا النهوض بسرعة ولا القيام بشغل فيهِ مشقة واذا مشت لزمها ان تحني ذات اليمين وذات الشمال متوكئةً على ذراعيها كأنها تستمسك بالهواء لضعف قاعدة جسمها وهي المشية التي تأخذ بمجامع قلوب عشاقهم ويتغزل بها شعراؤهم فيشبهونها بتموجات الصفصاف حركهُ النسيم . وزعم بعضهم ان مبدأ هذه العادة كان عندهم سنة ٩٢٥ للمسيح وانها انتشرت شيئاً

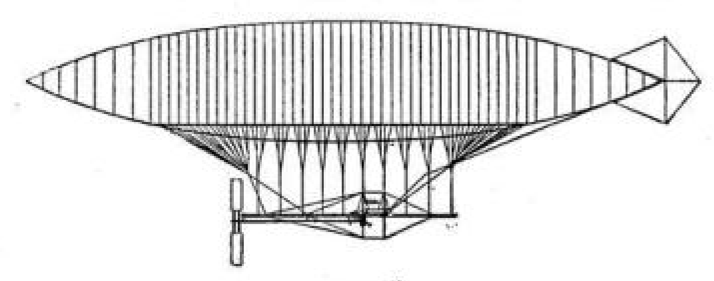
فشيئاً حتى عمت البلاد الاَّ بأكين من الشمال وستشوان والولايات الجنوبية فان الفلاَّحات مستثنيات فيها من هذه العادة الذميمة . ويقال ان اكثر من ثلثي النساء في مدن الجنوب لا يقصرن اقدامهنَّ ومقصورات الاقدام منهنَّ انما هنَّ مقصورات الحجال لان المرأَة التي لا تخضع لهذه العادة بحسب زعم اهل الصين تعد خارجة عن الجمعية المتمدنة ولا نصيب لها من الكياسة والحضارة . ولذلك كثير من الآباء الذين يستهجنون هذه العادة لا يجدون ندحة من الخضوع لها وتحدث لبناتهم الامراض والآلام بسببها وهم صابرون لئلاَّ تفوتهم الكياسة و يطردوا من حلقة التمدن ولئلاَّ تحرم بناتهم الزواج فيلبثن في البيوت عوانس ويبقين كلاًّ على العوائق . ولا يخفى ما ينزل هذا الامر بالمرأَة في درجة الاضطلاع على تدبير المنزل ولكن تنتهي الحيلة والمران باقتدار النساء على ذلك وبعض نساء الفلاحين يساعدن بعولتهنَّ في الحراثة والشغل والعادة طبيعة خامسة او حامسة كما يقول بعضهم

وعلى المرأَة طاعة زوجها الى حد العبادة لانها من دونهِ ولكن طاعتها لوالديها لا تزال مقدَّمة . ومن امثال النسوة عندهم " اذا تزوجتُ طيرًا يجب ان اطير معهُ " فليس للمرأَة ان تشكى ولا ان تتبرَّم ولا ان تحاكم بعلها الى القضاة وانما يجوز لها اذا اشتد عليها ظلم زوجها وضاقت مذاهبها ان تتوجه الى الهيكل وفي يدها ورقة عليها صورة زوجها فتعلقها منكوسة وتصلي لالهة الرحمة لكي تغير لها قلب زوجها الى الاصلح لان قلبهُ متزحزح عن موضعهِ . وللزوج الحرية في الطلاق بدون مراجعة حاكم وليس يتعين ان يكون السبب مهمًّا فقد تطلق الزوجة لعاهة فيها او مرض اصابها او لهذرها . ولكن الصينيَّ يجد طريقة للتخلص من امرأَتهِ بدون ان يلحقها ضرر فانهم يبيعون نساءهم بالثمن فاذا كانت المرأَة غير موافقة سرَّحها زوجها مبيعة من بعلٍ آخر فتخلَّص هو منها واعلقها بيتًا آخر تعيش فيهِ ورجلاً آخر يعولها ولبعض النسوة عادة في الانتحار عقيب وفاة ازواجهنَّ وهي عادة عزيزة عندهم لا يأتيها الاَّ أُولات العزم فمنهنَّ من يخترن الموت بالافيون ومنهنَّ من يلقينَ بانفسهنَّ في الماء ومنهنَّ من تشنق نفسها بيدها وكلهنَّ يخالفنَ الهنديات في امر الحريق . ومتى عزمت المرأَة على الانتحار اعلنت عزمها هذا الجاه الاهل والجيران والاصحاب يحمسونها على كريم فعلها عندهم ويهنئونها عليهِ بدلاً من ان ينهوها عن هذه الفظاعة والظاهر ان قتل النفس يهون عند اهل تلك البلاد فانهُ لما دخلت العساكر الاوربية اقليم تشيلي سنة ١٨٦٠ انتحر الوف من الصينيات خشية الوقوع في ايدي الاجانب . ولو كان يهون عند اهل الصين قتل الغير كما يهون عندهم قتل النفس لما اقتحمتهم امة ولا استباحت حماهم دولة ولكن قتل النفس من الجبن وهم عريقون في هذه الخلَّة

شكيب ارسلان

السير في الهواء

ضاقت صفحات المقتطف في الشهر الماضي عن خبر كنَّا نودُّ نشرهُ فيهِ . لكن تأخرهُ الى هذا الشهر جاء اوفى بالمراد لانهُ وردتنا جريدة السينتفك اميركان وفيها رسم الآلة التي الخبر عنها وهي بالون صنعهُ شاب برازيلي اسمهُ سانتوس ديمون على امل ان ينال بهِ الجائزة التي وعد بها المسيو هنري دوبتش لمن يصنع بالوناً يطير بهِ من سان كلو (على مقربة من باريس) الى برج ايفل ويدور بهِ حول ذلك البرج ثم يعود الى سان كلو في نصف ساعة اي انهُ يجب ان لا يقيم اكثر من نصف ساعة من حين خروجهِ من سان كلو الى حين رجوعهِ اليها والجائزة مئة الف فرنك والمسافة ذهاباً واياباً نحو عشرة اميال

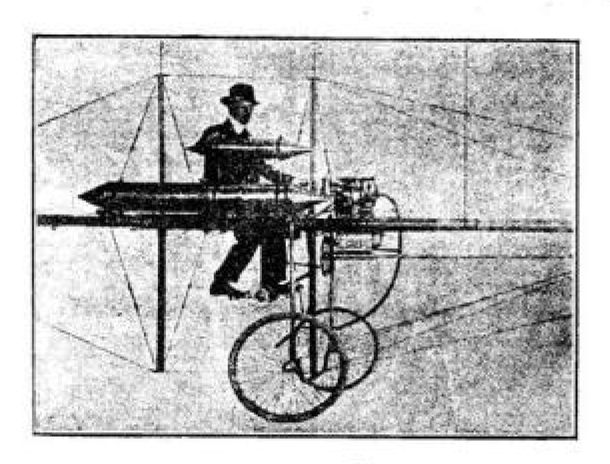


بالون ديمون

ولد هذا الشاب في بلاد برازيل سنة ١٨٧٣ وأُولع من حداثتهِ بالبالون والطيران وكان اولاً يستعمل البالون الكروي فاهملهُ وفضَّل عليهِ المغزلي . والبالون الذي صنعهُ الآن طولهُ ٣٤ متراً وقطرهُ في وسطهِ ستة امتار ومساحة فراغهِ ٥٥٠ متراً مكعباً وهو مغزلي كما ترى في هذا الشكل تحيط بهِ حبال علق بها الآلة التي يحركهُ بها وطولها ١٨ متراً وهي عمود طويل من خشب الصنوبر وآلة بخارية في وسطهِ قوتها ١٦ حصاناً و يتصل بها لولب كالمروحة وفي وسط الآلة سلَّة صغيرة يجلس فيها و يدير الصمامات والدفَّة وفي اسفلها عجلتان كعجل الدراجة تجري عليها قبل طيرانها وترى ذلك كلهُ واضحاً في الشكل الثاني

وقد طار بهذا البالون من سان كلو الساعة الخامسة صباحاً خرج بهِ من البيت الذي كان فيهِ وسار قليلاً على عجلتيهِ ثم ادار الآلة البخارية فادارت الدفة ورفعت البالون فارتفع بهِ رويداً رويداً وهو يرمي الرمل قبضة بعد قبضة والبالون يزيد ارتفاعاً ثم سار في خط مستقيم الى برج ايفل ودار حولهُ بسهولة على بعد ثلثمئة متر منهُ ولما اتمَّ الطواف حولهُ عاد ادراجهُ الى

سان كلوفوصلها لكن تعذَّر عليهِ ان يدخل البيت الذي خرج منهُ وتعذَّر عليهِ ايضاً ان يدخل دار البالونات لان المسيو دويتش كان يبني فيها بالوناً كبيراً امام بابها ونفد حينئذٍ السائل الذي يوقدهُ في الآلة البخارية فترك البالون الى رحمة الرياح واضطرَّ ان ينزل بهِ سريعاً فعلق بشجرة ولكن لم ينلهُ ضرر لا هو ولا راكبهُ . وبلغت المدة التي ذهب فيها ورجع احدى واربعين دقيقة لا ثلاثين دقيقة فلم يستحق الجائزة لكنهُ كان عازماً ان يصلح البالون ويطير بهِ مرةً اخرى



آلة بالون دبمون

والظاهر ان مسألة الطيران في الهواء قد حُلَّت بهذا البالون اذا لم تكن الرياح شديدة ولكن لا على اسلوب عملي تجاري يسهل استعمالهُ كاستعمال سكك الحديد وسفن البخار بل على اسلوب فكاهي يصلح استعمالهُ للنزهة وهذا ليس الغرض المقصود من السير في الهواء ويصح استعمالهُ ايضاً في زمن الحرب وهو وان كان عملياً تجارياً الاَّ ان فائدة الناس منهُ لا تزيد عن فائدتهم من المدافع والبنادق

اما بالون زبلن الذي ذكرناهُ غير مرة فالعواصف التي عجزت عنهُ طائراً في الجو قدرت عليهِ ساكناً في بيتهِ لانها عبثت بهِ وبالبيت الذي يظللهُ وفتلت قضبانهُ وعوارضهُ وكادت تمزقهُ تمزيقاً فلم يعد صالحاً للطيران . ويقال ان صانعهُ عازم ان يصلحهُ او يصنع بالوناً آخر امتن منهُ واقوى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اسهال الاطفال

من كتاب الفهُ الدكتور اسكندر جريديني وهو شارع في طبعهِ

الاسهال ابراز مواد مائعة دفعات متوالية يختلف عددها من ١٥ الى ٢٠ الى ٥٠ في اليوم. وانواعهُ اربعة البسيط والحاد والبطني والالتهابي

النوع الاول الاسهال البسيط : ويقال لهُ سوء الهضم المعوي يحدث من الافراط في الاكل وعدم مراعاة قوانين النظافة وترتيب اوقات الغذاء سواء كان من الثدي او زجاجة الارضاع . ومن الاسباب التي تعدّ الاطفال لهذه العلّة تغيرات الجوّ الفجائية والانتقال من الاقاليم الباردة الى الحارة ولهذا السبب يكثر الاسهال بين الاطفال والاحداث الذين ينتقلون في فصل الصيف من الجبال الى السواحل او من القطر الشامي الى المصري . وتشتد العلة اذا وافق حدوث الاسباب المذكورة طور التسنين وهو زمن ظهور الاسنان فان الجهاز العصبي والقناة الهضمية يتأثران في مثل هذه الحال بسرعة زائدة

الاعراض : براز متواتر يبلغ عددهُ من ٥ الى ٢٠ في اليوم الواحد . وفي الغالب يكون البراز في الدفعات الثلاث الاولى طبيعياً في لونهِ وقوامهِ ثم يصير مائعاً مخضرًا او مصفرًا وممزوجاً بمخاط ومواد غير مهضومة من الطعام وفي الآخر يختلط قليلاً بالدم

وقد يسبق البراز ألم وزحير وفي اثناء ذلك يسرع النبض وترتفع حرارة الجسد شيئاً قليلاً. ويرافق العلة قيء خفيف وانتفاخ في البطن من تولّد الغازات في المعى وألم يشعر بهِ في القسم المعوي تحت الضغط وفي بعض الحوادث يصاب العليل بتشنجات عضلية وهي علامة رديئة تدلّ على تسمُّم القناة الهضمية وجملة الكلام انهُ لا يمر على العليل ساعات قليلة وهو في هذه الحال حتى تبدو على وجههِ وساقيهِ علائم الضعف والهزال

العلاج : يعطى العليل ملعقة او ملعقتين من زيت الخروع لتنظيف المعى من فضلات الطعام وغيرها من الاسباب المهيجة . وقد يرفض زيت الخروع كما هو الغالب في الاطفال

فيحقن بهِ في المستقيم بعد مزجهِ بقليل من الماء او يُكسر باللبن ويضاف اليهِ نحو عشر نقط من الكونياك فيختفي طعمهُ ويسهل تناولهُ . ولا يجوز استعمال المساهل الا في اول ظهور الاعراض لئلاَّ تكون سبباً لانحطاط قوى العليل وعندئذٍ يُعالج بالحقن على الطريقة الآتية

تحت نترات البزموت ٦٠ سانتيجراماً

ملح الطعام ٦٠ " "

ماء مقطر او مرشح ٦٥ غراماً

وكل ٣٢ غراماً تساوي فنجاناً صغيراً . يحقن بها صغار الاطفال مراراً في النهار كل مرة بمثل هذا المقدار واذا كان الطفل ابن سنتين يضاعف هذا المقدار ثلاث مرات ويجب الاحتراز من استعمال الافيون او غيرهِ من القوابض قبل تنظيف الامعاء من المواد المهيجة على نحو ما اسلفنا ذكرهُ

اما الالم فيسكَّن بملعقة صغيرة من شراب الراوند العطري او بخمس نقط او اقل من صبغة الكافور المركبة تكرَّر تبعاً لمقتضى الحال

ومما يفيد ايضاً العلاج الآتي ولا سيما اذا كانت العلة مصحوبة بالقيء وهو ماء الكلوروفورم وماء الجير وماء القرفة من كل صنف فنجان صغير تمزج معاً وتعطى ملعقة صغيرة كل ١٠ دقائق او ١٥ دقيقة فيخف الذرب فضلاً عن ان هذا الدواء مطهر للمعي ومضاد للفساد

واذا لم ينقطع الاسهال بعد ٢٤ ساعة من هجمتهِ فتفيد الجرعة الآتية

كالومل ٣٠ الى ٥٠ مليجراماً

تحت نترات البزموت ٣٠ سانتيجراماً

سالول ٥ سانتيجرامات

تمزج معاً وتعطى كل اربع ساعات على خمسة ايام ويجوز استعمالها ايضاً بعد انقطاع الاسهال خوف الانتكاس

بقي ان نذكر انهُ ينبغي ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٦ ساعات او اكثر اذا كان ممن يُغذَّى بالصناعة ويُسقى في خلال المدة المذكورة مقدار فنجان من ماء بارد مع ٥ الى ٢٠ نقطة كونياك كل ساعة وفي نهايتها يُعطى مرق اللحم ولا يغذَّى باللبن ما لم يعد البراز الى حالتهِ الطبيعية وعندئذٍ يعطى من صبغة جوز القيء نحو نقطتين قبل الاكل لتقوية الهضم المعوي

النوع الثاني الاسهال الحاد : وهو الذي تأتي اعراضهُ فجأَةً فيتواتر الذرب والقيء وتنحط قوة العليل ويهزل بسرعة زائدة وفي قليل من الوقت يصبح جلداً على عظم . ويقال لهذه العلة

كولرا الاطفال لانها تشبه في سيرها الكولرا الاسيوية المعروفة بالهواء الاصفر . ولا تحدث الأ في فصل الصيف من شدة الحر ولا سيما في المدن الكبيرة بين الفقراء الذين يسكنون البيوت القذرة ولا يراعون في تربية اطفالهم قوانين النظافة . واكثر حدوثهِ من الشهر الثالث الى آخر السنة الثانية من العمر

الاسباب : ميكروب خصوصي يفسد اللبن وكل طعام مؤلف منهُ . ولذلك يكثر هذا النوع من الاسهال بين الاطفال الذين يعيشون على الرضاع من الزجاجة اذا لم يطهر اللبن قبل استعمالهِ . وما عدا الاسباب المار ذكرها فان جراثيم المرض تدخل القناة الهضمية عن طريق المستقيم او من حلمة الثدي او اصابع الطفل الوسخة

الاعراض : يهجم القيء والاسهال فجأةً وفي بعض الحوادث يسبقهما ذربٌ خفيف مائع مخضرٌ قليلاً . اما القيء فنهكٌ واكثرهُ في الاول من محتويات المعدة ثم يصير مائياً متواصلاً واخيراً تفرغ المعدة ويبقى العليل متكلفاً له . ويزداد القيء عند تناول اقل شيء من طعام او شراب

وفي اثناء ذلك يصفرُّ وجه العليل وينتفخ بطنهُ وتغور عيناهُ ويبرد عرقهُ ويعطش عطشاً زائداً وفي الآخر يتجعد جلدهُ وتنحطُّ حرارة جسدهِ ولا يزال على هذه الحال حتى يصبح كالخيال ويستولي عليهِ السبات فيموت في اقل من ست ساعات واحياناً تنتهي العلة بتشنجات عضليَّة تقضي عليهِ

واما البراز فيزداد المرة بعد الأُخرى ثم يتواصل ويتغير لونهُ بالسرعة من اصفر طبيعي الى اخضر يشبهُ السبانخ وفي الآخر يتبرز العليل مواد مائعة في كمية كبيرة يتخللها مواد مخاطية اشبه بماء الارز

وهذا النوع من الاسهال شديد الخطر على الحياة ولا ينجو من شرهِ الأ الاطفال السمان . واذا كان العليل ممَّن تربَّوا على التغذية الصناعية فالامل في شفائهِ ضعيف لان فعل السم يبلغ درجةً لا يؤثر فيها دواء . ومن الاعراض الحسنة تناقص القيء والاسهال بالتدريج وعدم حدوث اعراض عصبية وانحطاط في القوى

العلاج : نوعان علاج واقٍ . وعلاج شافٍ

العلاج الواقي : يقوم بتنظيف حلمة الثدي قبل الرضاع وبعدهُ . واذا كان الطفل يُغذَّى بالصناعة فيطهر اللبن من جراثيم الفساد باغلائهِ على النار . ولكن الاغلاء يفسد طعمهُ ويغيّر موادهُ فلا يصلح للرضاعة (١) . ويجب ان تغسل الزجاجة بالماء السخن حتى تنظف

---

(١) راجع الجزء الماضي من مقتطف هذه السنة

جيداً وقليلٌ من اللبن القديم اذا نُسي فيها يكفي لفساد اللبن الجديد. وان تكون الحلمة الصناعية التي تُركب عليها قصيرة لكي يسهل غسلها من بقايا اللبن العالقة بها

ومن الوسائل الناجعة ان يمنع الطفل عن الرضاع عند اقل اسهال يصيبهُ في الصيف ويُسق مرق اللحم او زلال البيض عدة ساعات

العلاج الشافي: (١) ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٨ ساعات واحياناً اربعاً وعشرين ساعة من ابتداء العلة. وبسبب الانحطاط الزائد الذي يظهر باكرًا في هذه العلة يضطر العليل الى المنبهات وافضلها الكونياك يعطى منهُ ملعقة صغيرة او ملعقتين في فنجان ماء بارد مقطر يكرَّر ذلك كل ساعة او اقلّ تبعاً لمقتضى الحال

(٢) ينبغي مساعدة الطبيعة على قذف السموم من الامعاء بمحلول ملح الطعام او البزموت (خمس جرامات في ٥٠٠ جرام ماء مقطر) يحقن بها في المستقيم ويكرَّر ذلك ما دام القيء والاسهال مستمرين

واذا كانت حرارة الجسد منخفضة كما هي الحال في اغلب الحوادث فيغمس العليل في ماء درجة حرارتهِ ٩٥° وتزاد الى ان تصير ١١٠° بمقياس فرنهيت. و يضاف الى الماء قليل من مسحوق الخردل لتنبيه دورة الجلد

واما الحمَّى (اذا وجدت) فتخفف بوضع اكياس الثلج على الرأس او غسل البدن بماء فاتر وفركهِ بمنشفة خشنة ولا يجوز تخفيفها بالادوية لئلا تنحط القوى ويموت العليل

(٤) يغذَّى الطفل بعد زوال القيء بماء زلال البيض او مرق اللحم ولا يعود الى غذائهِ الاصلي ما لم يمرَّ عليهِ بضعة ايام سليماً من الاعراض المذكورة وعلى ذلك فقد يبقى في خطر الانتكاس عند اقل سبب يهيج الامعاء

هذا كل ما يمكن عملهُ في غياب الطبيب ومن الواجب اعلامهُ باسرع ما يمكن من الوقت ضناً بحياة العليل ان تذهب ضحية الجهل والاهمال. انتهى

زينة المائدة

الازهار والاثمار اجمل ما تزدان بهِ موائد الطعام فإما ان توضع الازهار في حقة واسعة في وسط المائدة او في كأسين طويلتين دقيقتين توضعان منحرفتين عن وسطها احداهما الى يمين الخط الاوسط والاخرى الى يسارهِ او توضع في اربع كؤوس صغيرة في شكل مربع ويوضع بينها اناء فيهِ اثمار جميلة المنظر كالتفاح والعنب والبرتقال

ولا بدّ من ان توضع الازهار على اسلوب تظهر فيهِ كل زهرة على حدتها وان يكون بينها اوراق خضراء من ورقها او من نبات آخر دقيق الورق كالسرخس ونحوهِ . ويحسن ان يكون للازهار رائحة عطرية ولكن اذا لم توجد الازهار ذات الرائحة العطرية فالازهار البرية الخالية من الرائحة تقوم مقامها بشرط ان لا تكون خبيثة الرائحة

والازهار على المائدة لا تغذي الجسم ولا تجيد القابلية ولكنها تبهج النظر وتربي الذوق على حب الطبيعة وجمالها

غطاء المائدة

يجب ان يكون غطاء المائدة من الكتان النقي لا من القطن ولا من الكتان الممزوج بالقطن لان الكتّان الصرف يقيم اكثر من القطن وهو اجمل منهُ منظرًا وارخص منهُ ثمنًا بالنسبة الى طول اقامتهِ . واجود انواع الكتان الارلندي ثم الفرنسوي . وتغطى المائدة بلباد رقيق اولاً ثم بغطاء الكتان ويجب ان يكون هذا ابيض ناصع البياض مكويًّا ومطويًّا وان يكون واسعاً يغطي المائدة و يطف عليها ٤٥ سنتمترًا الى ٥٠ . واذا كان خاصاً بالمائدة من اصلهِ فيكون فيهِ نقش مخصوص يزيدهُ جمالاً فهو يفضل على الغطاء الذي يقص من الثوب . واذا كانت ربة البيت تحب الزينة طرّزت حرفين من اسم زوجها في وسط الغطاء او في احدى زواياهُ او طرزت رقعة مستديرة او مستطيلة و بسطتها عليهِ لزينتهِ

ويجب ان تكون فوط الطعام من نوع غطاء المائدة وتكون فوط العشاء كبيرة طول الفوطة منها يرد وعرضها يرد . اما فوط الفطور والغداء فتكون اصغر منها . واذا اريد اتقان المائدة فلا بدَّ لها من فوط صغيرة طول الفوطة منها نحو ١٥ سنتمترًا وعرضها كذلك توضع تحت الكؤوس التي تغسل فيها الفاكهة والانامل وهذه تطرَّز على اساليب مختلفة و كذلك توضع فوط مطرزة في صحون الخبز والكعك وفي الصحون التي توضع فيها اباريق الماء وقناني الشراب وتحت الصحاف الكبيرة التي يوضع فيها الطعام قبل تفريقهِ

ولا بدَّ من ان تكون الالوان في كل ما يطرَّز خفيفة قليلة الظهور او يُقتصر على اللون الابيض

الذهاب الى المائدة

اذا كان في البيت دعوة لغداء او عشاء فالعادة المتَّبعة عند الاوربيين ومن جرى مجراهم ان تعرّف ربة البيت كل رجل بالسيدة التي تختارها لهُ ليسير معها الى المائدة ويجلس بجانبها . ثم يسير رب البيت باكبر المدعوات سنًّا او ارفعهنَّ مقاماً يأخذ يسارها بيدهِ اليمنى اي يضع

ذراعها تحت ابطهِ الايمن ويمشي بها الى المائدة ويجلسها عن يمينهِ ويمشي الجميع وراءهُ على هذا النسق رجلاً وامرأَة رجلاً وامرأة وفي آخرهم ربة البيت تمشي مع اكبر المدعوين سنًّا او ارفعهم مقاماً وتجلسهُ عن يمينها

المائدة التركية

الطعام التركي يلذ لجمهور كبير من قراء المقتطف اكثر من الطعام الاوربي وليس كلامنا فيهِ من حيث نوعهُ وطبخهُ بل من حيث الاسلوب الذي يؤْكل بهِ في الولائم

فاول طعام يقدَّم على المائدة التركية الشائعة في الولائم في هذا القطر مرق فرخة يقدَّم في اناء كبير والفرخة فيهِ فيأْكل منهُ الجميع بملاعقهم . وهي عادة لا تخلو من الضرر لانهُ اذا كان في فم احد منهم مرض معدٍ كما قد يكون احياناً فلا يبعد ان تمتزج جراثيم العدوى من فمهِ بالمرق وتضرَّ الذين يأْكلون منهُ

ويأْتي بعد المرق خروف محمَّر او ديك رومي والغالب ان الآكلين يأْكلون منهُ بايديهم ولا ضرر في ذلك ولكن يحدث كثيرًا ان يتبرَّع احد الحضور ويمزق اللحم بيدهِ كما يمزق الاسد فريستهُ ويقدِّم من اللحم للذين يريد اكرامهم فلا منظر ذلك يروق للآكلين ولا طعمهُ يحسن لهم وما هو من الكياسة في شيءٍ

ثم تتوالى الوان الطعام والغالب ان كل واحد يأْكل منها قليلاً جدًّا مما امامهُ فلا ضرر من اكل كثيرين من صحفة واحدة ولكنَّ رؤْية الناس يأْكلون باصابعهم ويلحسون انامله لا تروق لكثيرين ولا داعي لها فاذا كان الخبز رقيقاً يسهل رفع الطعام باللقمة منهُ فالاكل باليد حسن وقد يستطيبهُ اكثر الشرقيين اكثر مما يستطيبون الاكل بالشوكة ولكن اذا لم يكن الخبز رقيقاً ولم يُستعمل لتناول الطعام فالاكل بالشوكة افضل من الاكل بالانامل واسلم منهُ عاقبةً

وما يقال عن الطعام يقال عن الحلوى فان اكل السائل منها بالملاعق من صحفة واحدة ليس حسناً وقد لا يخلو من الضرر واكل ما بقي بالانامل ليس مما يستحسن الاَّ اذا كانت جافَّة لا يسيل قطرها على الاصابع

وجملة القول ان اكل السوائل من صحفة واحدة عادة غير حميدة ولا بدَّ من الاقلاع عنها وكذلك يجب ابطال كل ما من شأْنهِ تلويث الطعام بلعاب احد الآكلين منهُ او تلويث طعام زيد بيد عمرو

اما الشراب فلا يقدَّم منهُ على المائدة التركية الاَّ الماء وهو قد يكون مرشحاً وقد يكون غير

مرشَّح والغالب ان يقف الساقي وبيده ابريق او قلَّة وكاس يصب الماء ويسقي الآكلين من كاس واحدة . وهي عادة مستهجنة جدًّا اقل ما يقال فيها انها لا تخلو من الضرر . والذي يولم وليمة ينفق عليها القليل والكثير لا يتعذَّر عليهِ ان يضع كاسًا لكل ضيف من ضيوفهِ كما يضع لهُ ملعقة وكرسيًّا . ولا بدَّ من استعمال الماء المرشَّح اذ قد ثبت الآن ان مرضين ويلين من اشد الامراض فتكًا وهما الهواء الاصفر والتيفويد تدخل عدواها الجسم مع ماء الشرب فلا يجوز لمن يدعو الناس الى وليمتهِ ان يعرضهم لمثل هذا الخطر

هذا من حيث العيوب الكبيرة التي يجب اصلاحها اما العيوب الصغيرة التي تعدُّ من باب النقص فكثيرة وسنفرد لها فصلاً آخر في فرصة اخرى

اشربة مبردة

شراب الليمون

فنجان من عصير الليمون الحامض وفنجان من عصير البرتقال وفنجان من عصير الفروله امزج هذه الفناجين الثلاثة وحلها بالسكَّر وضعها في ابريق كبير من الزجاج واضف اليها فنجانين من الثلج المكسَّر كسرًا صغيرة وما يكفي من الماء

شراب الاناناس

قطّع ثلاث اناناسات كبيرة ناضجة شرائح صغيرة وضعها هي وعصيرها في اناء عميق وضع عليها سكَّرًا ناعمًا وصبَّ فوقها نصف اقة من الماء الغالي واتركهُ حتى يبرد . ثم ضع هذا الماء وما فيهِ في اناء كبير فيهِ قطع ثلج كثيرة . و يشرب هذا الماء في كؤُوس فيها ثلج مكسَّر كسرًا صغيرة وفيها قليل من السكَّر الناعم

شراب اللبن

برِّد اللبن الحليب بعد اغلائهِ واضف اليهِ سكَّرًا ناعمًا وقليلاً من الماء والخمر وثلجًا مكسرًا كسرًا صغيرة كالحمص فيكون من ذلك شراب منعش مبرد . واللبن الرائب يقوم مقام اللبن الحليب و يستغنى بهِ عن الخمر

تسنين الاطفال

التسنين او ظهور الاسنان من اللثة حادث يتعب منهُ الاطفال احيانًا كثيرة وتصيبهم منهُ نوب تشنج ولكن ذلك خاص بالاطفال الضعاف الذين لم يعتنَ بهم الاعتناء الواجب .

اما الاطفال الاقوياء الذين أُحسنت تربيتهم فالغالب ان اسنانهم تظهر من غير الم ولا تعب او بقليل من الالم والتعب

ولا بدَّ من تقليل طعام الطفل وقتما يبتدئ ظهور اسنانهِ ولكن يسقى من الماء قدر ما يشاء لتبريد فمهِ ويحسن ان يعطى شيئاً يمضغهُ تسكيناً لالم لثتهِ . والبعض يعطونهُ حلقة من العاج لكن العاج صلب لا يصلح لذلك وخير منها قطعة من الكاوتشوك في شكل حلقة او في شكل صليب ويقال ان القطعة التي في شكل صليب اصلح من القطعة التي في شكل حلقة

نوم الاطفال

الاطفال احوج الناس الى النوم ويجب ان تمضي الايام الاولى من عمرهم في الاكل والنوم ثم يُقلَّل نومهم ولكنهُ يبقى كثيراً بالنسبة الى نوم الكبار فيجب ان ينام الطفل الذي عمرهُ سنتان اثنتي عشرة ساعة ليلاً وساعة او ساعتين نهاراً

وعلى ام الطفل ان تبذل جهدها لتجعل طفلها ينام في اوقات معلومة كل يوم فان نام في الوقت المعيَّن لنومهِ فبها والاَّ وجب عليها ان تصبر صبر الكرام الى ان ينام ولا يجوز لها بوجه من الوجوه ان تسقيهُ شيئاً منوّماً كالخشخاش ونحوهِ لان المنوّمات سامَّة كلها وقد لا يظهر لها ضرر كبير في اقوياء البنية من الاطفال ولكنها تميت الضعاف او تسقمهم

والهز في السرير والتربيت باليد (اي الضرب باليد قليلاً قليلاً) غير لازمين لتنويم الطفل وهما يتعبانهِ ويتعبان امهُ

ولا يجوز ان ينام الطفل ليلاً في الثياب التي كانت عليهِ نهاراً لانها تكون مبلَّلة بعرقهِ ولا بثياب مبلَّلة مطلقاً بل تنزع عنهُ الثياب المبلَّلة وتنشر في مكان مطلق الهواء حتى تجف . وتكون ثيابهُ ليلاً في الشهر الاول مثل ثيابهِ نهاراً وبعد ذلك تخفف ثياب النوم حتى لا يبقى منها الاَّ قميص النوم

ولا يجوز ان ينام مع امهِ في فراش واحد بل يجب ان ينام في سريرهِ الخاص الاَّ اذا كان البرد شديداً فيكون الاصلح لهُ ان ينام معها في فراشها فيدفأ . هذا اذا لم تكن تستغرق في النوم فتنقلب عليهِ او تغطي وجههُ فيختنق

وفراش الطفل يتبلل كثيراً فتفسد رائحتهُ ولذلك يجب ان يصنع من مادَّة رخيصة يمكن الاستغناء عنها وان يصنع لهُ فراشان حتى اذا تبلَّل احدهما وُضع لهُ الآخر . ومن ارخص المواد الطحلب الذي ينمو في بعض البلدان وليس لهُ ثمن اما في هذا القطر فالقش الناعم للفراش

الاسفل والقطن والصوف للاعلى . وقد يكون الصوف ارخص من القطن لان الصوف يغسل وينشر في الشمس فينظف

وحالما يخرج الطفل من سريرهِ تنزع الملاءات كلها منهُ وتنشر في الهواء حتى تنشف وتطيب رائحتها واذا غسلت تنشر مبلولة في مجرى الهواء لان البخار الذي يصعد عنها حينئذٍ يتكوَّن حال صعودهِ اوزون يزيل الفساد منها ويطيب رائحتها

ويجب ان يكون غطاء الطفل كافياً لتدفئتهِ لا يزيد على ذلك لئلاَّ يتعرَّض للزكام اذا برد . ومعلوم ان الطفل يقضي اكثر من نصف عمرهِ نائماً فيجب ان يستريح في نومهِ تمام الراحة من حيث لين الفراش وتمام الدفء . ولا بدَّ من الالتفات اليهِ من وقت الى آخر وهو نائم لئلاَّ يقع الغطاء عنهُ فيبرد او لئلاَّ يغطي فمهُ وانفهُ فيعيق تنفسهُ ويتعبهُ او يخنقهُ

وقد يقلق الطفل ويمتنع نومهُ ويكون سبب ذلك برغوث او بقة . ومما يوقظهُ ويتعبهُ الاصوات الشديدة التي يسمعها بغتةً ويقال ان اطفالاً ضعفاء سمعوا صوتاً فجائياً قوياً فقتلهم . ولا يجوز رفع الطفل من سريرهِ بغتةً

ولا بدَّ من ان تكون الغرفة التي ينام فيها الطفل نقية الهواء مطلقةً واطلاق الهواء فيها لا يكلف شيئاً ولا بدَّ منهُ للطفل لان الهواء النقي لازم لهُ كما هو لازم للبالغين . ولا يجوز ان يوضع في مجرى الهواء



الاعتناء بالحملان

حينما يقرب وقت ولادة النعاج يؤتى بها الى الحظيرة وتترك فيها وتراقب لئلاَّ تتعسر ولادتها والغالب انها لا تتعسر فتلد بالراحة ولكن اذا تعسرت وجب على الراعي ان يساعدها على استخراج الحمل . ومتى ولدت النعجة توضع هي وحملها في قسم خاص من الحظيرة ويقدَّم لها شيء من البرسيم او الدريس او نحوهما ويُعتنى بها كذلك ثلاثة ايام فقط . واما الحمل فيعتنى بهِ مدة اسبوع او اسبوعين ثم يترك معامهِ ولا تحتاج النعجة ولا حملها عناية اخرى اذا كانت الولادة طبيعية والحمل طبيعياً في جسمهِ وخلقتهِ ولم يصب النعجة ولا حملها مرض على اثر الولادة ولا

قلَّ لبنها لسبب من الاسباب اما اذا حدث شيء من ذلك فلا بدَّ من ان يعتنى بها وبهِ اعتناءٌ خاصًّا

وحينما يصير عمر الحملان بضعة ايام تشرع تأكل بعض الاوراق الطرية كاوراق الكرنب واوراق البرسيم فاذا اريد الاسراع في تسمينها لذبحها صغيرة وعمر الواحد منها عشرة اشهر يعتنى بعلفها حتى يزيد الواحد منها نحو ربع رطل مصري كل يوم لانها تذبح وثقل الواحد منها ٢٥ اقَّة هذا اذا كانت من الغنم الكبير الحجم اما الغنم المصري فلا يبلغ هذا الثقل مهما كبر وسمن لان حجمهُ صغير طبعاً

ويحسن بكل من يربي المواشي ان يكون عندهُ ميزان او قبَّان يزنها بهِ يوماً بعد يوم حتى يثبت لهُ انها تزيد وزناً ويعلم مقدار زيادتها والاَّ فان رآها لا تزيد او رآها تنقص ولم يرَ نقصاً في علفها ذبحها اذ لا فائدة من تعليفها وهي لا تزيد ثقلاً

ومتى صار عمر الحملان اسبوعين تطعم قليلاً من الرضَّة (النخالة) مع قليل من كسب بزر القطن وتوضع حيث تستطيع ان تصل الى العشب الاخضر او البرسيم وترعى ما يروق لها منهُ وتتبعها اماتها وتأكل ما بقي

ومتى بلغت الاسبوع العاشر او الثاني عشر من عمرها تفطم وتبعد عن اماتها وتنقل من مرعًى الى مرعًى وتطعم مع ما ترعاهُ علفاً يابساً كالرضة (النخالة) وجريش الحبوب وكسب بزر القطن . ولا بدَّ من ان يكون الماء النقي قريباً منها لتشرب وقتما تشاء ويكون على مقربة منها قطعة كبيرة من الملح لتلحسها كلما ارادت . ويجب ايضاً ان يكون لها مكان تستظل فيهِ وقت حر النهار كشجرة غضَّة او خيمة او ما اشبه . والظل لازم للغنم ولكل المواشي ولا سيما في هذا القطر وهو الزم للخرفان الكبيرة منهُ للحملان

واهالي سورية يعلفون الحملان ولا يقتصرون على ما تأكلهُ بنفسها بل يطعمونها بايديهم ورق التوت وحدهُ او يضعون لها فيهِ حبوباً مغذية مثل الكرسنَّة ونحوها فتسمن كثيراً حتى لا تعود تستطيع المشي وهم في كل هذه المدة يعتنون بنظافتها فيغسلونها كل يوم مرةً او مرتين ويقصون صوفها حتى يسهل عليهم تنظيف بدنها وتقوم نساء الفلاحين الى تعليفها قبل الفجر فيبلغ وزن السمين منها اربعين اقةً او خمسين وقد يبلغ ستين اقة لكثرة العلف وقلة الحركة واذا ذُبح تجد هبرهُ ودهنهُ طريَّين جامدين يكادان ينكسران كسراً لشدَّة جمودهما وطراءتهما . ولم نذق لحماً اطيب من لحم الغنم المعلَّفة في جبال سورية . وتعليف الغنم والبقر موضوع كبير مهمٌّ جدًّا ولا بدَّ من ان نتوسَّع فيهِ في جزء تالٍ

الحشرات القشرية

كثيرًا ما نرى اغصان الاشجار وسوقها مغطاة بقشور صغيرة كالنمش اذا نزعتها وجدت تحت كل قشرة منها حيوانًا صغيرًا وقد يكون هذا الحيوان كبيرًا كالبق يظهر للعيان ويكون تحتهُ مادة بيضاء وهو اصفر اللون او برتقاليهُ . وانواع الحشرات القشرية كثيرة واشكالها مختلفة وكلها حيوانات دقيقة تمتص عصار الاشجار من قشورها واوراقها وقد تلصق بالاثمار ايضًا كما في انواع الليمون فتتلفها . فاذا كانت هذه الحشرات كبيرة كالتي اصابت اللبخ في الاسكندرية حديثًا فدواؤها السائل الآتي

قلفونة	٣٠	رطلاً
صودا كاوي (فيهِ ٧٠ في المئة)	٩	ارطال
زيت السمك	٢	ارطال
ماء	٨٠٠	رطل

ضع القلفونة والصودا الكاوي وزيت السمك في اناء كبير وصب عليها نحو ٣٠٠ رطل من الماء واغلها على نار محتدمة نحو ثلاث ساعات ثم اضف اليها ماء سخنًا قليلاً قليلاً وانت تحركها حتى يصير الماء الذي في الاناء اربع مئة رطل اي نصف الماء كلهِ وضع هذا المزيج في وعاء كبير لهُ مضخة واضف اليهِ بقية الماء البارد رويدًا رويدًا وانت تحرك المضخة حتى يمتزج الماء كلهُ ورش الاشجار بهذا الماء

وعندهم سائل آخر يستعملونهُ صيفًا حالما تولد الحشرات وهو مصنوع من ٤٠ رطلاً من البترولوم ورطل وربع من الصابون وعشرين رطلاً من الماء . يذاب الصابون اولاً في الماء بعد اغلائهِ ويرفع المذوَّب عن النار ويضاف اليهِ البترولوم رويدًا رويدًا ويمزج بهِ جيدًا وهو يحرَّك بعنف حتى يصير كاللبن . ويمزج الرطل من هذا المزيج بسبعة ارطال من الماء ويضاف اليهِ ثلث رطل من الصابون الذي اذيب بقليل من الماء الغالي . ترش الاشجار بهذا المزيج وحرارتهُ ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت

اما اذا كانت الحشرات صغيرة والقشور تغطيها تمامًا كما يرى في ضربة الليمون والزيتون والازدرخت وما شبه فانجع العلاجات فيها غاز الحامض الهيدروسيانيك ولكنهُ سام جدًا لا يستطيع استعمالهُ الاَّ اصحاب البساتين الكبيرة الذين يقدرون ان ينفقوا نفقات طائلة على عمل الخيام التي تغطى بها الاشجار وقت استعمالهِ . وهو يستخرج بفعل الحامض الكبريتيك بسيانيد البوتاسيوم

ويختلف مقدار سيانيد البوتاسيوم والحامض الكبريتيك والماء حسب كبر الشجرة التي يراد تبخيرها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما ترى في هذا الجدول

ارتفاع الشجرة	قطر فروعها	الماء اللازم	الحامض الكبريتيك	سيانيد البوتاسيوم
٦ اقدام	٤ اقدام	اوقيتان	اوقية	اوقية
١٠ "	٨ "	٦ اواقي	٣ اواقي	٣ اواقي
١٢ قدماً	١٠ "	١٠ "	٥ "	٥ "
١٤ "	١٤ قدماً	١٦ اوقية	٨ "	٨ "
١٨ "	١٦ "	٢٠ "	١٠ "	١٠ "
٢٤ "	٢٠ "	٢٦ "	١٣ اوقية	١٣ اوقية
٣٠ "	٢٠ "	٢٨ "	١٤ "	١٤ "

وهذا الغاز سامٌّ جدًّا لا يجوز لمستعمله ان يستنشقهُ مطلقاً فيقف في الجهة التي تهبُّ منها الريح لكي لا يصل اليهِ ولكن اذا بقي ضمن الخيمة برهةً وجيزة لا يعود ساماً لان بخار الماء يمتصهُ

اما الخيام التي تحاط بها الاشجار وقت تبخيرها فتدهن بمادة تسدُّ مسامها وتمنع خروج الغاز منها واحسن مادة لذلك عصير قروط الصبر تقطَّع هذه القروط وتوضع في برميل كبير الى ثلثهِ ويملأ ماء وبعد اربع وعشرين ساعة يصفى الماء ويذاب قليل من الغراء في الماء ويضاف اليهِ ما يكفي من الترابة الصفراء او الحمراء التي تستعمل في عمل الدهان ليشتد قوامهُ ثم يدهن بهِ نسيج الخيام من جانبيهِ

تسميد القطن

نقلاً عن مجلة نقابة اتحاد مزارعي القطن المصري

القطن نبات كثير الكلفة ينتزع من الارض جانباً عظيماً مما بها من مواد الخصب فلا بدَّ له من السماد الكثير وقد أجمع الناس اليوم على لزوم تسميد (أرض) القطن وأدنى فلاح لا ينكر تأثير السماد على القطن بالزيادة في المحصول ولم يكن الامر كذلك في جميع الازمان فان الفلاح المعتاد على تسميد الادرة (الذرة) منذ الازمنة القديمة كان من منذ ثلاثين عاماً يعد من الجهل تسميد القطن ويعتبر من يشير بذلك جاهلاً لا يعوَّل على قوله ولا يعبأ برأيهِ وقد فطن الى ضرورة هذه الطريقة وعمل بها اثنان من كبار الحكام لم يدرسا فن الزراعة

ولكنهما أُوتيا سعة العقل ونور الفكر ألا وهما دولتلو نوبار باشا في ابعاديتهِ الجميلة بشبرا ودولتلو رياض باشا في مزارعهِ التي ينسج على منوالها ويقتدى بها في محلة روح وبذلك زاد المحصول فبلغ بين ٨ و ٩ بل و ١٠ قناطير من الفدان أوجب ذلك تسبيخ القطن بسماد المزارع تدريجاً حتى أصبح اليوم اقل فلاح لا يتأخر عن ذلك متى كان لديهِ شيء فاضل عن الحاجة من السماد

ولقد كان اقتداء الناس بعمل هذين البطلين مفيداً جداً من حيث تجهيز السباخ فانهم كانوا فيما سبق يجهزونهُ بوضع كميات قليلة من الطمي تحت البهائم وكان السباخ الذي ينتج عن ذلك لا يلبث ان تزول خواصهُ اذا بقي معرضاً للهواء المطلق شهوراً ثم صاروا من بعد ذلك يزيدون الشرب حتى صار السباخ اطول بقاء

ولكن مهما اعتني بتجهيز السماد فلا ينكر ان ما يحصل منهُ غير كافٍ لارض تزرع ادرة وقطناً معاً و يتعين اذن التدبر في شيء يحصل منهُ على مواد الاخصاب وها هو قد انتشر سماد البراز بحيث كثيراً ما نصرف بعض المصالح فيهِ لغاية ٢٠٠٠ جنيه و بسبب ذلك بعد ان كان محصول القطن بين ٣ و ٣ ونصف من القناطير اصبح يبلغ ٦ و ٧ قناطير واول من عمل السباخ البرازي بمصر هو الموسيو سيكار الكيماوي الفاضل وكان ذلك قبل الآن بنحو خمسة عشر عاماً وقد جد كثيراً و بذل كثيراً ولكنهُ لم يلقَ لبضاعتهِ رواجاً بل قوبلت بالرد واعرض عنها المزارعون وانكروا فائدتها ولو ان فريقاً منهم اشتروا منها قليلاً ولكنهم أهملوهُ ولم يستعملوهُ وأقام المذكور سنوات واعواماً يكافح هذا الصد وذلك الاعراض حتى مات من اليأس اذ رأي عملهُ لا نصيب لهُ غير التحقير فليس من العدل ان نبخل باحياء ذكره بما هو أهلهُ

وقد أحدث اقتداء الناس بكبار المزارعين في السباخ البرازي ما أحدثهُ من الاثر في سباخ البهائم وصار الاول اليوم سباخاً مطلوباً حينما مكنت طرق المواصلات من استجلابهِ بغير كبير نفقة في النقل واصبح محصول شركة (كيروسواج ترنسبور) غير قائم بايفاء الطلبات التي ترد عليهِ والدليل على ذلك تضاعف اثمانهِ ثلاثة اضعاف منذ ثلاث او اربع سنين وهذا ايضاً شاهد على تأثير الاسوة الحسنة التي كانت للمزارعين في مشاهير الرجال وهؤلاء واجب عليهم ان يشكروا ما بهِ تقدم الزراعة وعلى الناس ان يتبعوهم

هذا وان زراعة القطن يبلغ محصولها الآن في مصر اربعة قناطير من كل فدان وهذا يدل على انهُ باق فرق كبير حتى يبلغ معدل المحصول في بعض الجفالك اعني ٧ و ٨ و ٩ ولا تدرك هذه الغاية الا باتقان تهيئة الارض وزيادة السباخ وحيث ان كثيراً من الاباعد لا تحصل منها على سباخ كافٍ ومن جهة اخرى طرق النقل كثيرة الكلفة نظراً لثقل السباخ

في الوزن فيجب التدبر في طريقة ثالثة لايجاد المواد المخصبة ونعني بذلك السباخ الكيماوي فان المزارعين الاوربيين يستعملونهُ في مساحات كثيرة فتبلغ محصولاتهم في الزيادة حداً لم يعهد في مصر وحيث ان الاوربي معروف بالاقتصاد ومع ذلك نراهُ يبذل ما عز في شراء السباخ فلا بد ان يكون وجد فيهِ مزية وفائدة ومن جهة اخرى تزايد استخراج السباخ المعدني وتزايد استعمالهِ سنة عن سنة يدلان على ان في استعمالهِ فائدة .

وان يكن هذا العمل مفيداً في اوربا فلا أرى ما يستوجب القول بان الامر ينعكس فيهِ في مصر وخصوصاً في وقت احتياج الزراعة لباب يحصل منهُ على سباخ كاف للزراعة القطنية وقد سار في هذا الطريق بالتوسع كثير من كبار المزارعين نخص بالذكر منهم سعادة بوغوص باشا نوبار وجناب برلس وزرودا كي والكونت دي زغيب

وقد بيع في زراعة ١٩٠٠ — ١٩٠١ للمزارعين اكثر من ١٠٠٠ طنولاته من السيبر فوسفات والسكوريا ومئات كثيرة من الطنولاته من سلفات النشادر ونترات السوده الكيمية وسلفات البوتاسه الخ وقد استعملت هذه المواد في زراعة القطن في الجهات التي كان سماد البهائم فيها غير كاف والذي يوضع في القطن ٣٠ طنولاته من السباخ ان كان من سماد المزارع فقط فان كان مختلطاً فيكفي ١٠ والتكلمة تحصل من السباخ المعدني

وقبل الدخول في موضوع اختيار هذه الاسمدة وتقديرها كيماوياً نرى من الضروري ان نجيب عن اعتراضين طالما اوردا وهما . هل تنتج عن استعمال السباخ الكيماوي زيادة في القطن تسد قيمة السباخ ويبقى بعدها ربح . والجواب عن ذلك نعم وقد جرب وليس في ذلك تردد فاني باستعمال السباخ الكيماوي زادت محصولاتي بين ١ و ٢ من القناطير ومن ذلك الوقت صار رجالي يوالون التردد عليَّ طالبين سباخاً كيماوياً . واذكر ايضاً ان جناب الكونت دي زغيب تحصل من ابعاديتهِ التي ببلبيس ما بلغ ١٠ قنطاراً عن كل فدان من مساحة قدرها ٤٨ فدانًا . والاعتراض الثاني هو . ألا يتعقب استعمال السباخ الكيماوي خسة في نوع القطن . والجواب عن ذلك اني جربت ذلك تجريباً مدققاً وسأبدي نتيجتهُ في مقالة آتية

ي . اغاتون

فائدة البرسيم في تقوية الارض

اهم العناصر الغذائية في الارض عنصر يقال لهُ النيتروجين ولا بدَّ لكل نبات يزرع في الارض من ان يأخذ جانباً من نيتروجينها فاذا اخذ كثيراً منهُ قيل انهُ يفقر الارض واذا

اخذ قليلاً قيل انهُ لا يفقرها واذا ردَّ الى الارض اكثر مما يأخذهُ منها قيل انهُ يفيد الارض ويقويها . وقد وُجد بالامتحان انهُ اذا زُرعت الارض ذرةً اخذت الذرة ٦١ رطلاً من النيتروجين من كل فدان منها واذا زرعت قطناً اخذ القطن ٥٩ رطلاً من كل فدان منها واذا زرعت شعيرًا اخذ الشعير ٤٣ رطلاً من كل فدان منها . فالذرة تفقر الارض اكثر من غيرها من هذا القبيل ولهذا تحتاج ارض الذرة الى خدمة كثيرة وسماد كثير . والقطن يفقر الارض اقل من الذرة واكثر من الشعير . والشعير يفقر الارض اقل من القطن واكثر من القمح . والقمح يفقر الارض اقل من الجميع

اما البرسيم فقد قلعت جذورهُ التي تبقى في الارض وحلِّلت فوجد فيها ٦٥ رطلاً من النيتروجين في كل فدان هذا في غير القطر المصري اما في القطر فلا يبعد ان يوجد فيها اكثر من ذلك لان خصب البرسيم عظيم جدًّا في هذا القطر ولان حرارتهُ تساعد نمو الميكروبات التي تأخذ النيتروجين من الهواء وتخزنهُ في ثآليل الجذور ولذلك فزرع البرسيم في الارض يفيدها جدًّا ولا سيما اذا رعتهُ المواشي في ارضهِ او اذا قطع قبل ان يزهر ويبزر . ومما يجري مجرى البرسيم في افادة الارض الفول والترمس والعدس والحمص والحلبة

ري مصر والسودان

من الفيكونت كرومر الى مركيز لنسدون في ١٩ يونيو سنة ١٩٠١

اتشرَّف بان ارسل طيهُ التقرير الذي وضعهُ السر وليم جارستن وضمنهُ خلاصة ما يراهُ من امر البحر الابيض ونواصرهِ . ولهذا التقرير شأن كبير وفائدة عظيمة لان هذه اول مرة بحث فيها مهندس خبير بفن الهندسة المائية في اعالي النيل . وقد وصف في القسم الاول منهُ البحر الابيض وبحر الجبل وبحيرة نو وبحر الغزال وبحر الزراف والسُّبْت . وفي القسم الثاني السد والطرق التي مهِّد بها سبيل الملاحة في النهر . ثم انتقل الى مقدار الماء الذي ينصبُّ من النيل وهذه مسألة هامة جدًّا لان كل عمل كبير يراد الاخذ بهِ في المستقبل لاجل الري يُنظر فيهِ ولا بدَّ الى مقدار الماء الذي يمكن الاعتماد عليهِ . وما ذكرهُ السر وليم جارستن من هذا القبيل اتمُّ واصحُّ من كل ما ذُكر قبلهُ . والنتائج التي وصل اليها هي

اولاً . اذا طُهر بحر الجبل وازيل السد منهُ يبقى نحو نصف مائهِ ذاهباً ضياعاً في فصل الصيف لانهُ ينصبُّ في المستنقعات بين البور وبحيرة نو

ثانياً . ان بحر الغزال بمثابة خزان للماء لكنهُ لا يزيد الماء في البحر الابيض صيفاً ولا يزيدهُ

كثيرًا وقت الفيضان

ثالثًا . ان لنهر السبت شأنًا كبيرًا لانهُ ينصبُّ منهُ من شهر يونيو الى نوفمبر مقدار ما يرد من بحيرة فكتوريا وبحيرة البرت معًا . وينصب منهُ وقت التحاريق خمس ما ينصبُّ من البحر الابيض على الاقل

رابعًا . ان ايراد البحر الابيض عند الخرطوم قلما يزيد وقت الفيضان على ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية وقلما ينقص وقت التحاريق عن ٣٠٠ متر مكعب في الثانية

والى القسم الاخير من تقرير السر وليم جارستن احوّل التفات سيادتكم حيث يبحث عن الاساليب لاستخدام مياه النيل في المستقبل

وسنصل قريبًا الى ما يمكن ان يسمَّى بالدرجة التمهيدية لاستخدام ماء النيل كلهِ . وقبل الكلام على المستقبل اصف اعمال الماضي بالاختصار الاعمال التي بُذِلت العناية في اتمامها مدة سنين كثيرة

في ختام هذه السنة تكون الحكومة المصرية قد انفقت على اعمال الري والصرف اكثر من سبعة ملايين جنيه مبتدئة من سنة ١٨٨٥ وربَّ سائل يقول ماذا استفادتهُ مصر مقابل انفاق هذا المال الطائل

والجواب اولاً ان القناطر الخيرية التي انشأها مهندس فرنسوي ماهر اهتمَّ بها السر كولن سكوت مونكريف سنة ١٨٨٦ وانفق عليها ٤٦٥٠٠٠ جنيه لجعلها صالحة لما أُنشئت لهُ

ثم بني امامها حبسان أُنفق عليهما ٤٨٦٠٠٠ جنيه لكي تستطيع رفع الماء الكافي للري الصيفي

ونتج عن اصلاح هذه القناطر ان تضاعف محصول القطن في الوجه البحري اي ربحت البلاد خمسة ملايين جنيه كل سنة على الاقل . وقلَّ ما يلزم لتطهير الترع . اما الحبسان ففي السنة الماضية وهي الاولى بعد اتمامهما حفظا موسم القطن وقتما بلغ النيل من الهبوط ما لم يبلغهُ قبلاً

وثانيًا أُنفق ٦٧٣٠٠٠ جنيه على اعمال أُخرى مختلفة اهمها انشاء قناطر حوض قشيشة في الوجه القبلي والرياح التوفيقي لري القسم الشرقي من الوجه البحري . وقد استفادت البلاد من هذه الاعمال فوائد لا تقدر

وثالثًا أُنفق ٧٧٢٠٠٠ جنيه على الاعمال اللازمة لري الشراقي حينما يكون الفيضان واطئًا . وقد تمَّت هذه الاعمال الآن . وتظهر نتيجتها من انهُ لم يتخلف من الشراقي سنة ١٨٩٩

سوى ٢٦٤٠٠٠ فدان وقد تخلّف سنة ١٨٧٧ التي كان فيضانها اعلى من فيضان سنة ١٨٩٩ اكثر من ٨٠٠٠٠٠ فدان

ورابعاً أُنفق نحو مليون جنيه على المصارف فصارت اراضي كثيرة تأتي بمحصول وافر بعد ان كانت سباخاً لا تصلح لشيء وكانت الاموال الاميرية التي تتأخر كل سنة كثيرة فلم يعد يتأخر الآن شيء يذكر

وخامساً ان الخزانين الكبيرين في اصوان واسيوط اللذين رسمهما المستر ولكوكس يرجح ان يتما ويصيرا صالحين للاستعمال في الصيف التالي وستبلغ نفقاتهما نحو ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

وخزّان اصوان يخزن به الماء بعد ما ينتهي زمن الفيضان فيمدّ به النيل في الصيف ويُستخدَم جانب كبير من هذا الماء المخزون لاراضي الحياض في المنطقة المتوسطة فان لهذه الاراضي محصولاً واحداً الآن لانها تزرع نيلياً فقط اما في المستقبل فيصير لها محصولان اي انها تصير تزرع نيلياً وصيفياً . وتوضع الآلات الرافعة فيتّسع بها نطاق زراعة القصب . ويحيا كثير من الارض الموات في الفيوم والوجه البحري

وخزان اسيوط يرفع منسوب الماء فتجري الزيادة في الترعة الابرهيمية وعليها الاعتماد في تحويل ري الحياض الى ري صيفي و يزيد الماء في بحر يوسف الذي تروى منهُ مديرية الفيوم

وقد انفق ٦٦٣٠٠٠ جنيه فوق الثلاثة ملايين الجنيه لاجل انشاء الترع والمباني اللازمة لتحويل ري الحياض الى ري صيفي

وقد ابتدأ العمل في قناطر زفتة والمرجح انها تتم سنة ١٩٠٢ وتقدّر نفقاتها ٤٥٠٠٠٠ جنيه وهي تفيد الجزء الشمالي من الوجه البحري كما استفاد الجزء الجنوبي من القناطر الخيرية فتقسم الترعة من الترع الكبيرة التي طول بعضها مئة ميل الى قسمين كل قسم منها يأخذ الماء من فوق قناطره فيسهل توزيع الماء كثيراً بسبب ذلك

وحينما تنتهي هذه السنة تكون الاعمال المشار اليها آنفاً قد تمّت كلها او قاربت التمام . ويلزم لاتمام قناطر زفتة ٤٢٠٠٠٠ جنيه ولاتمام الاعمال اللازمة للري في الوجه القبلي بعد بناء الخزان ٤٠٠٠٠٠ جنيه عدا ما يلزم لاتمام الخزان . ويحسن ان ينفق ايضاً مبلغ ٤٠٠٠٠٠ جنيه على المصارف والجملة ١٢٢٠٠٠٠ جنيه

ولا صعوبة في اخذ المال اللازم لقناطر زفتة واعمال الري من المال الاحتياطي العمومي في مدة سنتين او ثلاث . واعمال المصارف يمكن تمديدها على عدة سنوات

ولذلك قد حان الوقت للنظر في امر النيل في البلاد الخارجة عن القطر المصري

والمشروعات التي يمكن ان يعمل بها . وغنيٌّ عن البيان انهُ لا بدَّ من البحث الدقيق في هذه المشروعات قبل الاقرار على شيء نظرًا الى ما يمكن ان ينتج عنها من النفع الكبير او الضرر الكثير ولعظم النفقات التي تقتضيها

كل من ينظر الى خريطة افريقية يرى ان بحيرة فكتوريا وبحيرة البرت هما خزَّانا البحر الابيض كما ان بحيرة صنا في بلاد الحبش هي خزَّان البحر الازرق . ولكن الفرق كبير بين ما يراه المرء من غير بحث ولا روية وبين ما يصل اليهِ بعد البحث والتنقيب . وقد وقف السر وليم جارستن نفسهُ للبحث في هذا الموضوع مدة السنوات الثلاث الاخيرة ويستطيع الآن ان يظهر النتيجة التي اوصلهُ اليها درسهُ وبحثهُ . ولا يستطيع حتى الآن ان يشير بامر قطعي ولكنهُ ابان الطرق التي تفيد زيادة البحث فيها . واثبت مزية بعض الاساليب على البعض الآخر

ولا بدَّ للحكومة المصرية من ان تسترشد بآراء مشيريها في امر مثل هذا . ولا احسن لها من اتباع مشورة السر وليم جارستن فانهُ ادار اعمال الري مدة سنوات كثيرة — الاعمال التي رقَّت مصر من حال الإفلاس الى حال لا يكاد يوجد لها مثيل في النجاح . ولا اعلم انهُ اخطأ في امر واحد رغمًا عن المصاعب الفنيَّة الكثيرة التي حلَّها الماجور برون والمستر وب وغيرهما من رجالهِ الاكفاء . والمعلومات التي عندهُ الآن تمكنهُ من ان يتكلَّم عن كل ما يتعلق بالنيل كلام الثقة الخبير

ولا بدَّ من ان تدور المناقشة في تقرير السر وليم جارستن بعد نشرهِ وستكون هذه المناقشة مفيدة جدًّا . ويجب ان لا يبرح من الاذهان ان المعلومات الكاملة التي لا يستطيع المهندس الثقة ان يبني حكمهُ الاَّ عليها لا تزال غير موجودة وانهُ ما دامت هذه المعلومات غير موجودة على اسلوب يرضي السر وليم جارستن فلا يحتمل ان يقرَّ القرار على شيء من هذا القبيل

وكثير من الادلَّة التي اقامها السر وليم جارستن واضح حتى لغير العارفين بالمسائل الهندسية وهي تظهر لي مقنعة تمام الاقناع من حيث الاسلوب الذي اختارهُ بنوع عام ستأتي البقية

موسم القطن

وردت الاخبار ان موسم اميركا ليس على ما يرام فان القيظ الشديد اضرَّ بهِ ثم وقع مطر غزير في بعض الاماكن فاضرَّ بهِ ايضاً ونحن نكتب هذه السطور وثمن القطن الاميركاني آخذ في التحسُّن . اما القطن المصري فموسمهُ جيد جدًّا على ما يظهر حتى الآن واسعار الكنترات حين كتابة هذه السطور في ٢٢ اغسطس تسعة ريالات و٨/٢ الريال لنوفمبر و ١٠ ريالات لمارس ويباع القطن الجديد بنحو ٢٣٠ غرشًا

باب التقريظ والانتقاد

كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول

ألّف هذا الكتاب جناب الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العلية في بروكسل المعروف في هذا القطر برسائلهِ التي كان يكاتب بها المقطم . قال في مقدمتهِ انهُ رأى حاجة اللغة العربية الى كتاب في السياسة يبحث في حقوق الملل ومعاهدات الدول مما احدثهُ التمدّن الحديث ولا يليق بامة متمدنة ان تجهلهُ فعمد الى تأليف كتاب في هذا الموضوع اعتمد فيهِ على ثقات فلاسفة العمران وخيرة علماء السياسة وقسمهُ اربعة اقسام رابعها في الاختلافات وطرق صلحها والحرب برًّا وبحرًا . وبادر الى نشر هذا القسم اولاً لحدوث الحرب بين انكلترا والترانسفال ولهج الجرائد بذكر اسبابها واختلاف الاقوال في شرعيتها فنشرهُ فصولاً متوالية في مجلة الهلال الغراء . وقد جُمعت هذه الفصول الآن ونشرت في كتاب واحد فيهِ ١٣٠ صفحة كبيرة احسن المؤلف في رصفها وتفصيلها حتى لا يكاد يخطر موضوع بالبال مما يتعلق بحقوق المحاربين وغيرهما من الملل التي يمسها حربهما الاّ وفيهِ كلام مسهب او موجز . وحبذا لو اسند بعض ما ذكرهُ الى المصادر التي اخذ عنها ولا سيما القضايا الخطيرة حتى تقوى ثقة الكتّاب على الاستشهاد بها كقولهِ في الصفحة ٩ "ومن غريب التلاعب السياسي انهُ قبل ان شبّت الحرب (بين روسيا والدولة العلية) طلب صفوت باشا من الدول الاوربية وساطتها وفقاً للبند الثامن من معاهدة باريس فاعارت الدول اذناً صمّاء واجابت انها تبقى على الحياد مما يدلّ على ان السياسيين لا يخافون منكرًا عند غاياتهم السياسية ولا يحترمون معاهدة ولا توقيعاً" . ولعلّهُ كتب ذلك قبل ان انتظم في سلك السياسيين . وقد اوضح كثيرًا مما ذكرهُ بامثلة قديمة وبعضهُ بامثلة حديثة مألوفة . والظاهر ان اكثر نقلهِ عن المصادر الفرنسوية او ما يماثلها كقولهِ في الكلام على عدالة الحرب "واي شاهد لدينا اعظم من حرب الترانسفال الحاضرة فان انكلترا هي التي رغبت بها وما زالت تحرّش بالترانسفال حتى اضطرتهم اخيرًا الى اشهارها ولما طلب كروجر وستاين السلم من اللورد سالسبري كان جوابهُ انهما البادئان بالعدوان ... فتأمل" . ونحن نكرّر كلمة "تأمل" مرارًا بدليل ما ظهر من استعداد انكلترا لهذه الحرب وعدم استعداد الترانسفال التي على صغرها حاربت مئتين وخمسين الفًا من الجنود البريطانية سنتين ولم تنفد ميرتها ! . ولكن قضي على الشرقيين ان يشربوا كراهة الانكليز مع اللبن بما يُنقل الى لغتهم وينشر في

جرائدهم حتى يستحكم النفور في النفوس وتشتد الضغائن ويخسر الشرقيون عند كل احتكاك كما يخسر كل ضعيف احتك بقوي

وثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة غروش وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

الكوخ الهندي

رواية فلسفية من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير. يقال ان نبوليون الاول كان شديد الاعجاب بها حتى انهُ كان كلما لقي برناردين مؤلفها يقول لهُ متى تكتب لنا كوخاً هندياً آخر. نقلها الى العربية حضرة رصيفنا الفاضل فرح افندي انطون منشيء مجلة الجامعة الغراء ونشرها فيها فصولاً متوالية ثم نشرها في كتاب على حدتهِ وقدَّم لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ترجمة المؤلف ويؤخذ منها انهُ كان فقيراً قبلما ظهرت نفثات اقلامهِ وقابلتها الامة الفرنسوية بالثناء والمال. والثناء بلا مال "قلما يجدي نفعاً فسعى لهُ رئيس اساقفة اكس فمنحتهُ الحكومة راتباً قدرهُ الف فرنك وعينت لهُ احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك واحد اقلام الحكومة الف فرنك وربح من كتبهِ اول مرة ستة آلاف فرنك فاكتفى واستطاع التفرغ للتأليف". ثم قال المعرب ان خيرة كتبهِ الكوخ الهندي وبولس وفرجيني ووعد بترجمة الكتاب الثاني الى العربية. ونرجح اننا قرأنا هذا الكتاب فيها منذ بضع وعشرين سنة فلا يتعب بترجمتهِ. اما رواية الكوخ الهندي فالظاهر ان حضرة المعرب اختصرها لانها لا تزيد على ٧٨ صفحة صغيرة لكنهُ ابقى على كل ما فيها من الفوائد الادبية والاجتماعية

مجلة
نقابة اتحاد مزارعي القطر المصري

يظهر لنا ان الجمعية الزراعية الخديوية دعت الى انشاء جمعية اخرى زراعية جعلت عنوانها "نقابة اتحاد مزارعي مصر" وقالت ان من مواضيعها رعاية صالح الفلاحة المصرية من الوجهتين الاقتصادية والعمومية وبث فن الزراعة وما يرتبط بهِ من العلوم الاخرى خصوصاً ما تعلق منها بالطرق العقلية التي يجوز ان تتبع في الزراعة المصرية. وقد اصدرت هذه النقابة مجلة زراعية رأينا منها النسخة العربية فوجدناها كثيرة المواضيع المفيدة حسنة الانشاء يكتب مقالاتها رجال اكفاء في المواضيع التي يكتبون فيها ثم تفرغ في قالب عربي كما يرى في المقالة التي نقلناها عنها في باب الزراعة وموضوعها تسميد القطن. فنتمنى لهذه الجمعية ولهذه المجلة تمام النجاح

غادة كربلاء

رواية تاريخية غرامية وهي الحلقة الخامسة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام التي وضعها حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال الغراء تتضمن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها من الحوادث الفظيعة وافظعها مقتل الامام الحسين واهل بيتهِ في سهل كربلاء . واكثر ما ورد فيها من الحوادث مسند الى من ذكرهُ من كتّاب العرب كابن الاثير والمسعودي والفخري والدميري . وقد نشرت تباعاً في مجلة الهلال ثم نشرت على حدة في كتاب كبير فيهِ ٢٢٤ صفحة ووعد حضرة المؤلف بان يتبعها بالحلقة السادسة ويختار لها اهم نقط التاريخ التي عقبت موت يزيد . وثمنها عشرة غروش صاغ وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

مفتاح المحادثة

في اللغتين العربية والبرازيلية

قضي على ابناء سورية ان يتفرقوا تحت كل كوكب فاضطرهم الاغتراب الى تعلُّم لغات الاقوام الذين نزلوا بينهم حتى اللغة البرازيلية . والظاهر ان المهاجرة الى برازيل آخذة في الازدياد فقد وضع احدهم الاديب يوسف افندي لطفي كتاباً مختصراً لتعلُّم اللغة البرازيلية حتى يذهب ابناء سورية الى تلك البلاد ولهم المام بلغة اهلها وهو كلمات وجمل مكتوبة بحروف رومانية وعربية ومترجمة بالعربية . وجانب من الكلمات مرتب على حروف المعجم وجانب حسب المواضيع المختلفة . والجمل مما يضطر الى معرفتهِ المهاجرون الى تلك البلاد . والكتاب يطلب من حضرة مؤلفهِ في بيروت وثمنهُ فرنكان

نبذة في الملاريا

انشأ هذه النبذة صديقنا الفاضل الدكتور بشاره منسّى بيَّن فيها السبب الحقيقي لانتشار هذه الحمى وهو البعوض المعروف بالانوفلس الذي ينقل العدوى من المصاب الى السليم على ما اكتشفهُ العلماء حديثاً وما ذكرناهُ مراراً في المقتطف . وقد رسم فيها هذا البعوض حتى يظهر الفرق بينهُ وبين البعوض العادي . وذكر اعراض الحمى الملارية وطرق علاجها بالتفصيل . ولا شبهة في ان اتقاء الامراض مقدَّم على علاجها والناس يتعلمون طرق الاتقاء بنشر المقالات والكراريس التي ترشدهم الى اسباب الامراض وكيفية توقيها

باب المسائل

(١) زمن خلق آدم

جكسن بولاية مسوري باميركا . الخواجه رشيد ابو ريحان . كم سنة من حين خلق الله آدم الى الآن

ج يُرى في حواشي التوراة العربية المطبوعة في المطبعة الاميركية في بيروت ان خلق آدم كان قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف واربع سنوات تبعاً لحساب رئيس الاساقفة اشر . ومن التاريخ المسيحي الى الآن ١٩٠١ فالجملة ٥٩٠٥ سنوات . والقسم الثاني من هذا التاريخ اي من بداءة التاريخ المسيحي الى الآن مدقق نوعاً واما القسم الاول ففيهِ اختلاف كثير فان اليهود يجعلونهُ ٣٩٩٢ سنة والسمرة ٣٢٩٣ سنة والتوراة السبعينيَّة ٥٢٢٨ سنة . ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدلُّ على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة وانهُ وُجد فيها قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين . ولا يطمع العلماء ان يحلُّوا مسألتكم حلاً علمياً مدققاً

(٢) امرأة قايين

ومنهُ . من هي امرأة قايين وما هي البلاد التي توجَّه اليها

ج هاتان المسألتان من المسائل الكثيرة التي بذل الشرَّاح جهدهم في تفسيرها فلم يرووا غليلاً . وذهب البعض منهم الى ان آدم فرد من افراد الناس او جدُّ القبيلة التي منها اليهود وان الارض كانت معمورة قبلهُ بامم كثيرة فيسهل مع هذا الزعم تفسير زواج قايين بامرأة غير اختهِ وقولهِ كل من وجدني يقتلني ولكن تقوم مصاعب اخرى يتعذَّر حلها اذا فُهم الكتاب على ظاهرهِ

(٣) زرع الكستنا

برج صافيتا سورية . ميخائيل افندي بشور . اي ارض تصلح لزرع الكستنا وفي اي وقت تزرع وما هي طرق خدمتها

ج كل اراضيكم الجبلية تصلح لزرع الكستنا لانهُ يجود في الاراضي الخفيفة التي اسافلها جافَّة اي ليست سبخة ولكن اقليمكم لا يصلح لهُ لانهُ حارٌّ نوعاً وهو يجود في الاقاليم الباردة كاواسط اوربا او الجبال الباردة ولو كانت في اقليم حارٍّ نوعاً كاقليمكم . ويزرع في اوائل فصل الشتاء في اتلام البعد بين التلم والذي يليهِ قدم ونصف وبين البزرة والتي تليها ربع قدم وتطمر البزور بالتراب حتى يعلو عليها نحو اربع سنتمترات . وحينما يصير عمر النبات سنتين يقلع وتقص رؤُوس جذورهِ

ويزرع صفوفاً والبعد بين كل صف وما يليهِ نصف قدم وبين كل نبتة والتي تليها نصف قدم ايضاً لكي تنمو مستقيمة حتى اذا مرَّ عليها سنتان في هذه الصفوف يصير ارتفاع كل نبتة نحو ثلاث اقدام فتقلع وتزرع في الاماكن التي يراد ان تستقر فيها . وهي تنقل من اواخر الخريف الى اوائل الربيع . والكستنا التي ترسل الى بلادنا تُجفَّف في فرن غالباً قبل ارسالها تسهيلاً لنقلها فلا ينبت منها الاَّ القليل ولذلك يجب على الذين يريدون زرع الكستنا ان يجلبوها من بلادها غير مجففة او يكتفوا بالقليل الذي نبت منها . وقد زرعنا بزورها في بيروت فلم ينبت منها الاَّ واحدة ورأينا منها اشجارًا نامية في برمانا بلبنان . ثم ان الكستنا اصناف مختلفة فتطعَّم بعد ان تكبر باجود اصنافها

(٤) تلميع الثياب المكواة

بغداد . داود افندي فتو . ما هو المركَّب الذي يستعملهُ الافرنج عند كي قمصان الكتان حتى يظهر لها لمعان كثيرة . وقد اخبرنا بعض الذين زاروا البلاد المصرية ان في مصر اناساً يكوون الثياب بعد ان يضيفوا الى النشا مركباً ابيض فتظهر لامعة كالتي تأتي من أوربا

ج ان المركَّب الذي تلمع بهِ الثياب المنشاة مؤلف من عشرين درهماً من السبرمسيتي وعشرين درهماً من الصمغ العربي وعشرين درهماً من البورق و ٥٠ درهماً من الغليسرين ومئتي درهم من الماء . تضاف اربع ملاعق من هذا المزيج الى خمسين درهماً من النشا ويستعمل النشا مغلياً . والذين يكوون لنا في مصر يقولون ان عندهم مكواة محنيَّة من اسفلها كالقوس فيدعكون بها الثياب المنشاة مرارًا حتى تلمع اما النشا فيضيفون اليهِ البورق Borax لا غير هكذا : يأخذون اوقية من البورق لكل رطل من النشا ويذيبون البورق بقليل من الماء على النار ويمزجون النشاء بقليل من الماء ويعجنونهُ بهِ جيداً ثم يضيفون اليهِ مذوَّب البورق ويمزجونهُ بهِ ويضيفون اليهِ ماء رويدًا رويدًا وهم يدعكونهُ حتى يصير كاللبن الحليب فيغطون الثياب فيهِ ويدعكونها جيدًا ثم يكوونها

(٥) كتب اليهود

دمشق الشام . السيد عبد الجليل القصري . رأيت في بعض الكتب الحديثة يقول جامعها "وعندي الآن مكتبة على حدة مملوءة من كتب اهل الكتابين" اما كتب النصارى فلا نزال نراها منتشرة متنوعة الاساليب في فنون شتى والى الآن لم نرَ من كتب اليهود مصنفات كذلك . فاذا كنتم اطَّلعتم عليها فما هي وما اسماء النفيس منها

ج لم نطَّلع على غير التوراة من كتب اليهود وتاريخ يوسيفوس . وعندهم كتب كثيرة من نوع التفاسير والاحاديث

والتواريخ والقواميس وكتب الشعر والطب والفلسفة كالمشنى او المثنى (ويقال ان كلمة مثاني العربية منهُ) وقد نقحهُ اخيرًا يهوذا الحنسي في مدرسة طبرية سنة ٢٢٠ للميلاد وهو ست اقسام او صُدَر الاول في الزراعة والثاني في الاعياد والثالث في النساء والزواج والطلاق والرابع في الجرائم وفيهِ قوانين الشرائع المدنية والجزائية والخامس في المقادس والذبائح والسادس في الطهارات والنجاسات

والجمار او هو شرح المثنى . والتلمود وهو نوعان الغربي الذي أُلِف في طبرية والبابلي الذي أُلِّف في بابل . والاول شرح وحواش للاقسام الخمسة الاولى من المثنى بدئ بجمعهِ في مدرسة يوحنان بطبرية سنة ٢٧٩ للميلاد وتمَّ على ما يرجح في آخر القرن الرابع اما البابلي فلم يتم جمعهُ حتى اواخر القرن الخامس وجامعهُ ربي اشا رئيس مدرسة صورا في بابل جمعهُ في ثلاثين سنة وكان يعاونهُ في مقابلتهِ وتنقيحهِ عشرة كتّاب . وقد ضاع جانب من هذا الكتاب الآن والموجود منهُ يملأ ٢٩٤٧ صفحة كبيرة مما قطعهُ مضاعف قطع المقتطف

هذا من حيث الكتب القديمة اما الحديثة فكثيرة جدًّا لأن لليهود مقامًا رفيعًا بين علماء اوربا في كل العلوم العقلية والنقلية واكثر اساتذة المدارس الكبرى في المانيا وفرنسا يهود او من اصل يهودي ومنهم نيندر المؤرخ وويل وبنفي واوبر اللغويون وفالنتين الفسيولوجي ومن الاسماء المشهورة عند قرّاء المقتطف دارمستاتر وسلفستر وملدولا ومنهم كثيرون من كبار الموسيقيين والمصورين والنقاشين فضلاً عن رجال المالية

وقد شرع احد علماء اليهود الآن في جمع انسكلوبيذيا كبيرة سمَّاها الانسكلوبيذيا اليهودية في اثني عشر مجلدًا كبيرًا واخذ في طبعها ونشرها بيت اميركي اسمهُ فنك ووغنولس Funk and Wagnalls وستبلغ نفقات تأليفها وطبعها مئة وعشرين الف جنيه واسم المؤلف الاول الدكتور ايسيدور سنجر يساعدهُ اكثر من اربع مئة من العلماء وسيكون في هذا الكتاب ثمانية آلاف صفحة والفا صورة وبعضها ملوَّن

(٦) التحنيط

منورس . عزيز افندي ابرهيم . قرأت في احد الكتب التاريخية الانكليزية ان التحنيط عند المصريين القدماء كان كما يأتي : يحشى الرأس بالعقاقير الطبية والبهارات ويشوى الجسم كلهُ ويوضع في محلول ملح البارود مدة سبعين يومًا ثم يربط ربطًا وثيقًا بعصابات كتانية مصمغة ومعطرة . وقرأت ايضًا في بعض المجلات العربية عن مواد أُخرى للتحنيط وان عند الايطاليين مواد تحفظ الجسم قرونًا كثيرة صلبًا كالحجر فهل ذلك كلهُ صحيح وان كان صحيحًا فلماذا بطلت

عادة التحنيط الآن

ج اكثر ما تقدَّم صحيح وسننشر مقالة مسهبة عن التحنيط في جزء تالٍ . وقد قلَّ استعمال التحنيط الآن اذ لا داعي له فان قدماء المصريين كانوا يحنطون موتاهم لسبب ديني اما الآن فلم يعد الناس يعتقدون اعتقادهم فزال هذا السبب

(٧) شجر التالبوت

ومنهُ . ما هي شجرة التالبوت التي توجد في سيلان

ج هي شجرة من فصيلة النخل تصنع من سعوفها المراوح ونوع من الورق

(٨) انتخاب رئيس الولايات المتحدة

ومنهُ . نرجو ان تشرحوا لنا كيفية انتخاب رئيس الولايات المتحدة الاميركية وكيف يتفق سكان نيوهمشير مثلاً التي هي في الشمال الشرقي مع سكان كاليفورنيا التي هي في الجنوب الغربي على شخص واحد ربما يكون من اواسط الولايات ولا معرفة لاحدهما بهِ

ج ان الذين ينتخبون الرئيس هم المنتخبون لا اهالي البلاد كلهم وعدد هؤُلاء المنتخبين في كل ولاية بقدر عدد نوابها في مجلس النواب ومجلس الشيوخ وينتخبهم كل الذين لهم حق بالانتخاب في ولايتهم وهم كل بالغ عمره ُ اكثر من ٢١ سنة . ويجتمع منتخبو كل ولاية يوم الاربعاء الاول من شهر دسمبر ويصوّت كلٌّ منهم لمن يختاره ُ رئيساً (ولا داعي لان يعرفهُ شخصياً لان الجرائد تكون قد ذكرت المرشحين واطنب كل حزب في فضائل مرشحهِ وجال المرشح وانصاره ُ في الولايات يرغبون الناس فيهِ) وتجمع اصواتهم ويكتب منها ثلاث نسخ ترسل نسخة منها الى نائب الرئيس في مركز الحكومة واذا لم يوجد فالى ناظر الداخلية ونسخة الى رئيس مجلس الشيوخ ونسخة الى قاضي الجهة التي اجتمع فيها المنتخبون . ثم يجتمع مجلس النوّاب يوم الاربعاء الثاني من شهر فبراير وتفتح حينئذٍ نسخ الانتخاب وتعدُّ الاصوات . ويجري ذلك في انتخاب الرئيس ونائبهِ ويجب ان يكون عمر كلٍ منهما ٣٥ سنة على الاقل وان يكون مولوداً في الولايات المتحدة

(٩) المبارزة

ومنهُ . هل تسمح الحكومات الاوربية بالمبارزة ولماذا لا تعدها مخالفةً للقانون اذ يُعدم الواحد حياة الآخر على مشهد من الناس

ج لا يمنع المبارزة منعاً قانونياً الآن الاَّ انكلترا وتمنعها المانيا ايضاً على غير الجنود وهي ممنوعة من فرنسا لا بقانون خاص بل بالقانون العام اي يعاقب من يجرح غيره ُ او يقتله ُ من المتبارزين كما يعاقب من اعتدى على غيرهِ بجرحه ُ او قتله ُ ويعاقب شهوده ُ كمشاركين له ُ في الجناية . والدول الاوربية التي تغضُّ الطرف عنها لا تعدها مخالفة للقانون لانها لم تمنعها بقانون حتى الآن

باب الاخبار العلمية

موتمر السل وعدواه

افتتحنا هذا الجزء بخطبة الدكتور كوخ التي اقامت علماء الطب واقعدتهم وشغلت افكار رجال السياسة لئلاً يكون كل ما يعانونهُ في فحص اللحم واللبن عناء فارغاً وتضييقاً لا موجب لهُ. واتبعنا هذه الخطبة بما وصل الينا



اللورد لستر

يوم نشرها من كلام اللورد لستر الذي كان في كرسي الرئاسة وقتما القى الدكتور كوخ خطبتهُ. ثم اطلعنا على كلام اللورد لستر كلهِ الذي عقَّب بهِ على الخطبة فاذا هو يعترض على الدكتور كوخ بان لقاح الجدري قلما يفعل بالبقر اذا أُخذ من البشر ولكن لقاح جدري البقر يفعل بالبشر. فاذا لم يفعل سل البشر بالبقر فمن المحتمل ان يكون سبيلهُ كسبيل جدري البشر الذي لا يفعل بالبقر وان يكون سل البقر فعَّالاً بالبشر كما يفعل جدري البقر بالبشر. وقال ان الدكتور منكتون كوبمان لما عجز عن نقل جدري البشر الى البقر نقلهُ اولاً الى القرد ثم نقلهُ من القرود الى البقر ففعل بها. ويظهر لنا انهُ اذا جرى ميكروب السل مجرى عدوى الجدري تماماً فانتقل من



الدكتور كوخ

البقر الى البشر بالتطعيم فلا يبعد ان يفيد البشر وقاية من السل كما يفيدها طعم الجدري البقري وقايةً من الجدري البشري

وانتقد اللورد لستر الدليل السلبي الذي جاءَ بهِ الدكتور كوخ لتأييد مذهبهِ وهو قلَّة آثار السل المعوي في الاطفال مع كثرة ما يبتلعونهُ من ميكروب السل مع اللبن الذي يشربونهُ بان السل الماسيريقي غير قليل في الاطفال

وهو يدل على ان ميكروب السل خرق اغشية الامعاء المخاطية من غير ان يبقي فيها عاهةً ظاهرة واستقرَّ في الغدد الماسريقية كما يخرق ميكروب التيفويد الغشاء المعوي المخاطي احياناً من غير ان يبقي فيهِ عاهةً ظاهرة . وما يحدث في التيفويد لا يبعد حدوثهُ في السل وان صحَّ ذلك بطل اقوى دليل من ادلة كوخ . اما ما ذكرهُ كوخ من انهُ طعَّم العجول من مواد مأخوذة من غدد الاطفال المصابين بالسل فلم تصب بهِ فالتجارب التي اجراها من هذا القبيل قليلة كما قال لا يبنى عليها حكم . ويحتمل ان يتنوَّع ميكروب السل بدخولهِ جسم الانسان ولو كان اصلهُ من البقر

هذه خلاصة ما ذكرهُ اللورد لستر معترضاً على الدكتور كوخ . وكل ما اعترض بهِ غيرهُ في المؤتمر لا يخرج عن ذلك

ولما وصل كلام الدكتور كوخ الى المانيا سئل عنهُ الدكتور هبنر والدكتور فركو الشهيران فقال الاول انهُ يوافق الدكتور كوخ في ما قالهُ عن عدم انتقال السل بالوراثة لان اختبارهُ كلهُ مؤيد لذلك ويوافقهُ ايضاً في ان انتقال السل من البقر الى البشر قليل جدًّا ولكن لم يُحكَم الحكم البات في المسألتين حتى الآن . وقال الثاني اني ناقضت القائلين بانتقال السل بالوراثة منذ سنين كثيرة ولكني لا اوافق كوخ بنوع عام لانهُ لم يعبأ بما اثبتتهُ اللجنة الصحية التي عينتها حكومة الدنمارك فانها جعلت مدار بحثها على سل البقر وكيفية انتقالهِ الى البشر واثبتت انتقالهُ بعد بحث مدقق . وعلى نتائج بحثها بُنيت اوامر الكورنتينا المشددة . ولما كانت النتائج التي وصلت اليها تلك اللجنة مخالفة للنتيجة التي وصل اليها الاستاذ كوخ فالمسألة باقية في حيز البحث والنظر

ملك الانكليز ومؤتمر السل

لما مثل اعضاء مؤتمر السل لدى جلالة ملك الانكليز خاطبهم بما يأتي

" ايها السادة سررتُ جدًّا بدعوتكم الى هنا اليوم وانما انا آسف لانكم وصلتم في هذه العاصفة ولقد منعتني امور لا سلطة لي عليها عن ان افتتح مؤتمركم العظيم بنفسي واحضر جلساتهِ ولكني أؤكد لكم انني كنت مهتمًّا بكل ما قلتموهُ شديد الاهتمام ولو تعذَّر عليَّ الحضور معكم وقد كنت اطالع خطبكم في الجرائد اليومية واقف على كل مباحثاتكم . ولا داء ارهب من السل وارجو واثق انكم تخففون وطأتهُ فتكسبون الشكر من العالم كلهِ . وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان قدَّركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهد غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثال في كل العواصم

هذا وارجو ان اقامتكم في لندن وفي

انكلترا كانت سارة مرضية لكم وانكم تعودون حاملين طيب الذكر من زيارتكم لبلادي"

وكل فقرة من كلام هذا الملك العظيم حرية بان تكون موضع نظر لملوك المشرق وامرائهِ وان يطالب امم المشرق ملوكهم وامراءهم بتحديها . اي ملك منهم يستطيع ان يقول ما قالهُ ملك الانكليز انهُ لولا بعض الموانع التي لا سلطة لهُ عليها لحضر جلسات المؤتمر كلها وانهُ كان يطالع ما تنشرهُ الجرائد اليومية من الخطب والمباحثات على كثرة مشاغلهِ ومهامهِ وان عينهُ ترقب ما فعلهُ العلماء وما يفعلونهُ وما ينتج عنهُ من النفع للعباد . لا غرو ان بلاداً يهتم ملوكها بالعلم والعلماء هذا الاهتمام لحرية بان تسامي السماكين وتأمن طوارق الحدثان

شقر افريقية

لا يخفى ان في افريقية اقواماً بيض الوجوه شقر الشعور عجز العلماء عن معرفة اصلهم وكيفية وصولهم الى افريقية وقد ارتأى السنيور مرجي الايطالي في كتاب الَّفهُ حديثاً عن اصل الشعوب الاوربية ان اصلهم ليس من الامم الاوربية كما زعم البعض والاَّ لظهر اصلهم في لغتهم وعاداتهم ولا سيما دفن موتاهم ولكنهم من شعوب افريقية وما بياض الوجه وشقرة الشعر الاَّ من سكنهم في البلاد الجبلية العالية فانهم ساكنون في جبال اطلس ولارتفاع تلك الجبال وشدَّة البرد فيها كأنهم ساكنون في شمالي اوربا

التين في اميركا

يظهر من تقرير المباحث الزراعية في اميركا ان الاميركيين نجحوا بعد عناء شديد في نقل التين الجيد من ازمير الى كاليفورنيا ونقلوا معهُ التين البري ايضاً وهو التين الذكر الذي يلقح بهِ التين الانثى بواسطة حشرات صغيرة تعيش في اثمار التين الذكر وتنتقل الى التين الانثى وتلقحهُ باللقاح الذي تحملهُ اليهِ من الذكر فتكبر اثمار التين ويجود طعمها كثيراً

مؤتمر علم الحيوان

التأم مؤتمر علماء الحيوان في مدينة برلين في الثاني عشر من اغسطس في دار مجلس النواب . وتلا الاستاذ غراسي المقالة الأولى ووصف فيها تجارب كثيرة تثبت ان البعوض ينقل عدوى الملاريا وعدوى الحمَّى الصفراء ايضاً . ومن المقالات الكثيرة التي تُليت فيهِ مقالة للاستاذ فورل الاسوجي وصف فيها النمل وقال ان دماغ العمَّال او الخناثى كبير بالغ ودماغ الاناث اصغر منهُ ودماغ الذكور صغير جداً يكاد يكون اثريًّا وان للنمل من الحواس النظر والشم واللمس والذوق واما السمع فغير ثابت لها . وحاسَّة اللمس فيها شديدة جدًّا وفيها الذاكرة والاستدلال والشجاعة والبأس وحب الخصام والانتقام

ومن اهم المقالات التي تليت مقالة للاستاذ شنك عن تولد الذكر والانثى ايَّد فيها مذهبهُ المعروف وهو ان تولد الذكر والانثى ناتج عن الغذاء . ومنها مقالة للاستاذ برنكومن برلين ابان فيها انهُ اذا حُقن حيوان بدم حيوان آخر فان كان الحيوان الآخر من عائلتهِ لم يضرَّ بهِ الحقن بدمهِ وان كان من عائلة أُخرى اضرَّ بهِ كانهُ سم ناقع وعلى ذلك دم الحمار لا يضر الفرس ولكن يضرُّ الكلب . وقد وجد ان دم الانسان يميت كل الحيوانات ما عدا الطائفة العليا من القرود دلالة على انها من عائلة الانسان . وسيلتئم هذا المؤتمر في مدينة برن بسويسرا في المرة التالية .

نوردنشلْد Nordenskjöld

توفي الاستاذ البارون نوردنشلد الرحَّالة الاسوجي المشهور الذي اكتشف طريقاً الى اسيا من جهة الشمال الشرقي . ولد بفنلندا سنة ١٨٣٢ وابوهُ اسوجي الاصل وكان استاذاً لعلم المعادن في مدرسة هلسنفور الجامعة فدرس فيها واقام في ستكهلم وجُعل استاذاً لعلم المعادن في مدرستها الجامعة ورحل اول مرة الى الاصقاع القطبية سنة ١٨٥٨ . ثم أُؤتمن على قياس خط الهاجرة فرحل ثانية سنة ١٨٦٠ ثم رحل رحلتهُ الاولى الكبيرة سنة ١٨٦٨ فبلغ الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٢ من العرض الشمالي وجمع كثيراً من الحقائق العلمية عن نباتات الاصقاع الشمالية وحيواناتها . وطاف في غرينلندا سنة ١٨٧٠ ووجد فيها حجراً نيزكيًّا كبيراً . ووجد سنة ١٨٧٥ انهُ يسهل السفر شمالي اوربا واسيا في بعض شهور السنة واثبت ذلك سنة ١٨٧٨ فأُعطي لقب بارون لانهُ اكتشف طريقاً للملاحة من شمالي اوربا واسيا . ولهُ تآليف كثيرة اشهرها سفر الڤيغا حول اسيا والرحلة الاسوجية الثانية الى غرينلندا . توفي في الثاني عشر من اغسطس في مدينة ستكهلم

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل وهي مئتا الف فرنك للاستاذ فينسن مكتشف علاج مرض الذئب الاكال بالنور على ما ابناهُ في الجزء الماضي وبولف الفسيولوجي لاجل بحثهِ في التغذية

النساء في مؤتمر السل

شاركت النساء الرجال في مؤتمر السل وتلاوة المقالات المفيدة فيهِ فقد قرأَت الدكتورة ليديا بارينوبتش مقالة في اللبن وسل البقر ابانت فيها انها اثبتت بالامتحان منذ سنة ١٨٩٩ ان ميكروب سل البقر يوجد في لبنها ولو كان السل كامناً فيها لا يظهر الاَّ بالتيوبركولين . وان كثرة تفشي السل في العجول والخنازير ناتجة عن كثرة وجود هذا

الميكروب في اللبن ولو كان السل غير ظاهر في ابدان البقر

وفيات السل

قال الدكتور نتهام من دار الاحصاء في انكلترا ان متوسط الوفيات بالسل سنوياً من١٨٩٦ الى ١٨٩٩ كان١٥٢١في المليون من الذكور و ١١٤١ في المليون من الاناث وقد اختلف عدد الوفيات باختلاف السن فكان بين الاطفال من الولادة الى سن ٥ سنوات ٤٠٣ في المليون من الذكور و ٣٣٤ في المليون من الاناث ومن سن ٥ الى ١٠ كان ١٤٠ في المليون من الذكور و ٢٠١ في المليون من الاناث ومن سن ١٠ الى ١٥ كان ١٩٥ في المليون من الذكور و ٤١٠ في المليون من الاناث ومن سن ١٥ الى ٢٠ زاد فتكهُ كثيرًا فصار ٩٠٨ في المليون من الذكور و ١١٦٥ في المليون من الاناث وبلغ معظم فتكهِ بين السنة ٤٥ و ٥٥ فصار ٣١٧٣ في المليون من الذكور و ٢٠٩٥ في المليون من الاناث . فلا صحة اذًا لما يقال من شدة فتك السل بالاطفال فانهُ افتك بالكهول منهُ بالاطفال سبعة اضعاف

وقال ايضاً ان معدَّل الوفيات بالسل كان ٢٥٧٩ في المليون بين سنة ١٨٥١ و ١٨٦٠ فصار ١٥٢١ فقط في المليون بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٩ هذا في الذكور واما في الاناث فكان معدل الوفيات ٢٧٧٤ في المدة الاولى فصار ١٤٤١ في المدة الثانية . واكثر هذا النقص في وفيات الاطفال فانهُ مات من الذكور منهم في المدة الاولى ١٣٢٩ في المليون وفي المدة الثانية ٤٠٣ فقط

السل والصنائع

قال الدكتور فون كوروسي انهُ بحث عن صنائع ١٠٦٩٥٤ نفساً من الذين ماتوا وعمر كل منهم اكثر من ١٥ سنة فوجد انهُ مات بالسل نحو ٦١ في المئة من الذين صناعتهم الطباعة و ٥٢ في المئة من الذين صناعتهم السكافة والصباغة والطحانة و ٤٩ في المئة من الذين صناعتهم عمل الاقفال و ٤٧ في المئة من البنائين و ٤٢ في المئة من الخياطين و ٤٠ في المئة من الخبازين والنجارين و ٣٤ في المئة من المستخدمين و ٣٣ في المئة من الجزارين و ٢٨ في المئة من التجار و ٢٧ في المئة من اصحاب الفنادق و ٢٠ في المئة من المحامين و ١٢ في المئة من الاطباء و ١٠ في المئة من المالكين . فاكثر ما يفتك السل بالطبَّاعين واقل ما يفتك بالمالكين

السل والمذهب

وجد الدكتور كوروسي انهُ يموت بالسل ٧٨٨ من كل مئة الف من اتباع لوثيروس و ٧٢٢ من كل مئة الف من الكاثوليك

و ٦٢٥ من كل مئة الف من البروتستانت
و ٥٥٩ من كل مئة الف من اتباع كلفينوس
و ٣٧٦ من كل مئة الف من اليهود

السل والفقر

ووجد انهُ مات بالسل ١٥٩٤٣ من كل مئة الف ماتوا من الاغنياء و ٢٢٣٣٩ من كل مئة الف من الفقراء فهو افتك بالفقراء منهُ بالاغنياء

السل والرضاع

توفي ٣٠٧١٧ طفلاً عمر كل منهم اقل من سنتين وكلهم من الذين كانوا يرضعون من امهاتهم او من مراضع فوجد انهُ مات بالسل منهم ١٦٦٠ . وتوفي ٦٥٩٦ طفلاً من الذين كانوا يرضعون بالرضاعة فوجد ان الذين ماتوا بالسل منهم كانوا ٥٣٣ اي ان الاطفال الذين يرضعون من الثدي يموت منهم بالسل نحو ٥ ونصف في المئة واما الذين يرضعون من الرضّاعة فيموت منهم بالسل نحو ثمانية في المئة

السل وسن الوالدين

ظهر للدكتور كورومي بالاحصاء ان السل يصيب اولاد الوالدين الصغيري السن والكبيري السن اكثر مما يصيب اولاد الوالدين المتوسطي السن فتكون الوفيات بالسل على اكثرها اذا كان عمر الام اقل من عشرين سنة ثم تقل رويدًا رويدًا الى ان يصير عمر الام من ٣٠ الى ٣٥ سنة وتزيد بعد ذلك

المدافع والبَرَد

يكثر وقوع البَرَد في بعض الاماكن فيتلف الاثمار والمزروعات . شاهدنا بردًا سقط مرةً في بيروت تخرق قروط الصبر كانهُ رصاص البنادق وحرق ورق التوت حرقًا . وقد زعم بعضهم انهُ اذا اطلقت مدافع البارود في الجو وقت تكوُّن البَرَد فيهِ لم يعد البرد يتكوَّن حاسبًا انهُ انما يتبلور في الجو الساكن تبلورًا كما يتبلور الملح في الماء الراكد . وشاع استعمال المدافع لهذه الغاية في بلاد النمسا وايطاليا وفرنسا . وسئل المستر مور رئيس دار الاحداث الجوية في الولايات المتحدة الاميركية عن رأيهِ في استعمال هذه المدافع فاجاب ان الغرض منها ارسال حلقات من الدخان والهواء الى اعالي الجو ولكن اقوى المدافع التي تستعمل لذلك لا تدفع هذه الحلقات اكثر من ١٢٠٠ قدم فوق سطح الارض فلا تصل الى الغيوم مطلقًا . والنظر والعمل ينفيان فائدتها فان البَرَد ليس بلورات كبلورات الملح ولا هو يتكون في الهواء الساكن حتى يبطل تكوُّنهُ بحركة الهواء كما يزعم القائلون بفائدة هذه المدافع . وكل ما نشرعنها في السنتين الاخيرتين يدل على

انها خداع بخداع مثل الاعتقاد بتأثير القمر في تقلبات الجو

الياقوت من الاليومنوم

خطب السر روبرتس اوستن في دار العلم الملكية خطبة موضوعها حرق المعادن وقوداً ابان فيها ان معدن الاليومنوم يحرق الآن فتتولد منهُ حرارة شديدة تلحم بها انابيب الحديد ثم يبقى منهُ بدل الرماد حجارة صغيرة من الياقوت والصفير وامتحن حجارة الياقوت التي تولدت من احتراق الاليومنوم امام الحضور فثبت لهم ان خواصها مثل خواص الياقوت الطبيعي

مجمع الاطباء البريطاني

التأم هذا المجمع في الثلاثين من يوليو الماضي فخطب رئيسهُ الدكتور فرغوسن في ان المباحث العلمية هي اساس كل تقدم طبي ومادي . وابان في عرض كلامهِ ان علم الطب مديون لعلماء البيولوجيا وعلماء الطبيعة عموماً في تقدمهِ اكثر مما هو مديون للاطباء ثم فصّل ذلك تفصيلاً مسهباً وربما ترجمنا خطبتهُ ونشرناها في جزء تالٍ

الدوران حول الارض

تراهن ثلاثة من الغلمان الاميركيين على السبق في الدوران حول الارض فسبق احدهم واسمهُ تشارلس سسل فتزمورس ودار حول الارض في ٦١ يوماً و ١٣ ساعة و ٢٩ دقيقة و ٤٢ ثانية . ولا يذكر ان احداً طاف حول الارض بهذه السرعة

متى تمتلئ الدنيا

بحث المستر سكولنج الاحصائي الشهير عن ازدياد السكان فقال ان ازدياد الشعوب الآرية آخذ في التناقص وان الشعوب التوتنية التي منها الانكليز والالمان والاميركان تزيد اكثر من الشعوب اللاتينية التي منها اكثر الفرنسويين والايطاليين . واكثر البلدان سكاناً الآن بلجيكا ويبلغ عدد السكان في الميل المربع منها ٥٧٢ نفساً . فاذا بلغ سكان الميل المربع الف نفس (وهو كذلك في القطر المصري) قيل ان البلاد امتلأت بالسكان. وفي الارض ٥٢ مليون ميل صالحة للسكن فلا تمتلئ الأ متى بلغ عدد السكان ٥٢ الف مليون نفس واذا بقي ازدياد السكان على ما عليهِ الآن اي نحو واحد في المئة سنوياً بلغوا هذا العدد سنة ٢٢٥٠ للمسيح كما ترى في هذا الجدول

السنة	السكان بالملايين	عددهم في الميل
١٩٠٠	١٦٠٠	٠٣١
٢٠٠٠	٤٣٢٨	٠٨٣
٢١٠٠	١١٧٠٦	٢٢٥
٢٢٠٠	٣١٦٦٢	٦٠٩
٢٢٥٠	٥٢٠٧٣	١٠٠١

فلا تمتلئ الارض بسكانها الأ بعد ثلثمئة وخمسين سنة هذا اذا بقي متوسط النمو على ما هو عليهِ الآن

موسم القطن

انتهى الآن موسم القطن المصري فبلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية ٦٠٦ ٤٦٤ ٥ قنطارًا اي بلغ موسم العام الماضي نحو خمسة ملايين قنطار ونصف مليون وكان موسم العام الذي قبلهُ ستة ملايين قنطار ونحو نصف مليون قنطار. وقد أُرسل من هذا القطن الى البلدان الاوربية والاميركية ما ترى في هذا الجدول وهو بالبالات المصرية وفي البالة منها نحو ثمانية قناطير

	١٩٠١	١٩٠٠
الى انكلترا	٣١٩١٦٨	٤ ٥٥٤٥
روسيا	٠٨٣٨٧٦	٠٦٨٧٨٦
فرنسا	٠٤٧٦٤٩	٠٧٨٢٢٠
المانيا	٠٣٩٠٧٧	٠٤٧٣٦٠
ايطاليا	٠٣١٠٠٣	٠٣٥٥٢٩
النمسا	٠٢٩٦٦١	٠٣٩٠٢١
سويسرا	٠٢٨٠٦٩	٠٤١٤٥٦
اسبانيا	٠٢٣٩٥٠	٠٢١٠٨٤
الهند واليابان	٠٠٩٠١٠	٠١٦١٣٠
بلجكا	٠٠٣٥٣٩	٠٠٥٦٣٩
تركيا واليونان	٠٠٢٣٤٤	٠٠٠٩٧٠
والجملة	٦٧٢٤٣١	٨٢٩ ١٢٤

علوٌّ شاهق

صعد اثنان ببالون من مدينة برلين في ٣١ يوليو الماضي فارتفع بهما الى علو شاهق جدًّا يزيد على ١٠٥٠٠ متر ولا يُعلم كم يزيد عليها لان آلات قياس الارتفاع لم تعد تؤثر وبلغت الحرارة هناك ٤٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

حركات الارض

يظن عامَّة الناس ان الارض ثابتة لا تتحرك. والحقيقة انها تتحرك اثنتي عشرة حركة وهي

(١) دورانها على محورها مرة كل ٢٤ ساعة

(٢) دورانها حول الشمس مرةً كل ٣٦٥ ¼ يوم

(٣) حركتها المعبَّر عنها بمبادرة الاعتدالين وهي تتم مرةً في ٢٥٧٦٥ سنة

(٤) الحركة الحاصلة من التجاذب بينها وبين القمر ودورها ٢٨ يومًا

(٥) حركة الكبو ومدتها ١٨ يومًا و ⅔ يوم

(٦) الاختلاف في ميل دائرة البروج

(٧) اختلاف اهليلجية فلك الارض

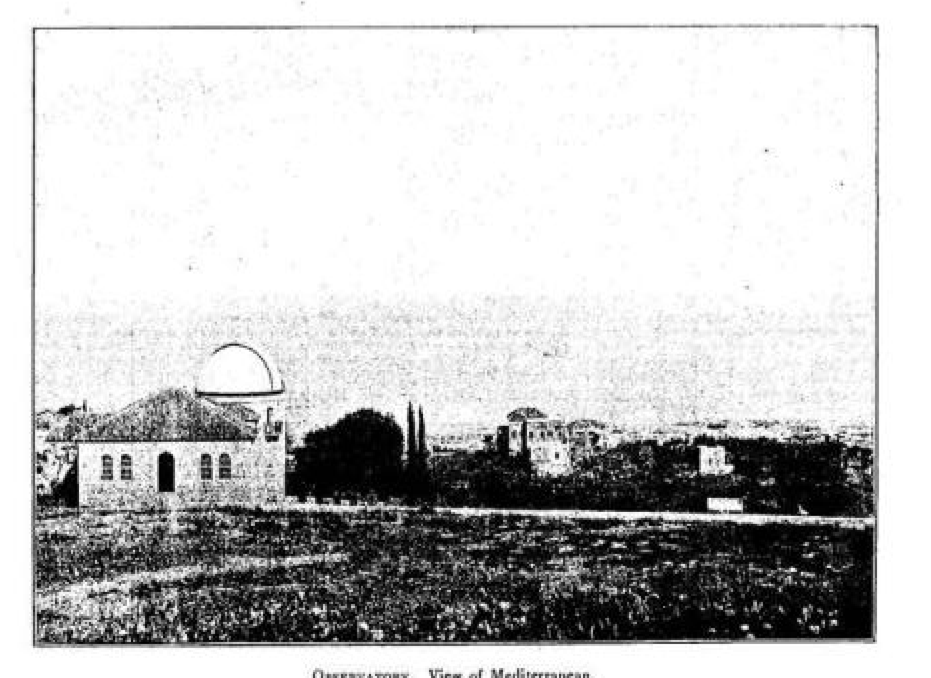
(٨) اختلاف طول الخط بين نقطتي الراس والذنب وهو يتم في ٢١٠٠٠ سنة

(٩) اضطراب حركتها بفعل السيَّارات

(١٠) اختلاف مركز الثقل لكل النظام الشمسي

(١١) حركة النظام الشمسي عمومًا في الفضاء

(١٢) اختلاف العروض الدوري



Observatory. View of Mediterranean.

مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

فهرس الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين